

الدكتورة: فاطمة محجوب

الموسم الحدث

للعلاوم الإسلامية



الناشر
دار الفكر العربي

٣ شارع دانش - العباسية

ت : ٤٨٢٤٣٢٩ القاهرة

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

الدكتورة
فَاطِمَةُ مَحْجُوبٌ

الوسيلة التربوية للعلوم الإسلامية

المجلد الخامس عشر

الناشر




دار الفكر العربي

٣ شارع دانتش - العباسية

٤٨٢ ٤٣٢ ٩٠٥ القاهرة

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لِلنَّاشِرِ
 **دار الفكر العربي**
للطباعة والنشر والتوزيع

٣ شارع دانش - العباسية - عبده باشا - القاهرة

الإدارة : ٢٨٥٦١٢٢ / ٤٨٢٤٣٢٩ / ٢٨٤٣١١٥

فاكس : ٤٨٢٤٣٢٩ القاهرة

جمهورية مصر العربية

الموسوعة الدعوية للعلامة الإسلاميين

تابع حرف الجاء

* ابن حنّابة (٣٠٨-٣٩١ هـ) :

ذكره الحافظ السيوطي فيمن كان بمصر من حفاظ الحديث وقال عنه :

ابن حنّابة الوزير الكامل الحافظ أبو الفضل جعفر بن الوزير أبي الفتح الفضل بن الفرات البغدادي . نزيل مصر، وزير لصاحب مصر كافور الخادم، وحدث عن محمد بن هارون الحضرمي وغيره . ورحل إليه الدارقطني، وعزم على التأليف على مسنده . قال السلفي : كان من الحفاظ المتقنين، يملئ ويروي في حال الوزارة، عندي من أماليه، ومن كلامه على الحديث، الدال على حدة فهمه وقوة علمه . وحنّابة اسم جدته أم أبيه . ولد سنة ثمان وثلاثمائة، ومات في ثالث عشر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين (٤٩ / ٣) .
(حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم / ١، ٣٥٢، ٣٥٣) .

* الحنطة :

من النباتات التي أحصاها القزويني وقال عنها :

الحنطة : قال كعب الأحبار رضي الله عنه : لما أهبط آدم عليه السلام أتاه ميكائيل عليه السلام بشيء من حب الحنطة وقال : هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث الأرض وابذر البذر، وقال : لم يزل الحب من عهد آدم إلى زمن إدريس عليهما السلام كبيض النعامة، فلما كفر الناس نقص إلى قدر بيض الدجاجة ثم إلى قدر بيض الحمامة ثم إلى قدر البندقة، وكان زمن العزيز على قدر الحمصة . قال صاحب الفلاحة : الحبة التي تقع على قرن الثور عند بث البذر لا تنبت أصلا . حبها ينقى الوجه وكذلك النشا، ومدقوقها ينفع من عضه الكلب الكلب ضمادا ويوضع على حديدة محماة حتى يظهر منها رطوبة ويصلى بتلك الرطوبة القوباء يزيلها، خميرها يخلط بالملح ويضمّد به الدمايل ينضجها، خبزها يبل بماء وملح ويضمّد به القوباء ينفعها (عجائب المخلوقات / ١٨٥) .

وقال ابن النفيس :

حنطة : حارة في الأولى معتدلة في الرطوبة واليبس والمقلوة بطيئة الهضم، نفاخة، تولد الدود، والحنطة الكبيرة الحمراء أغذى (الموجز في الطب / ٩٦) .

وقد ذكرها صاحب «المعتمد في الأدوية المفردة» واستخدم هذين الرمزتين للدلالة على مصادره :

ع : عبد الله البيطار صاحب «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسي .

حنطة «ع» أجود ما يستعمل منها في وقت الصحة الحديث الذي قد استكمل بالامتلاء، ولونه إلى الصفرة، والذي بين وقت ما يزرع ووقت ما يحصد ثلاثة أشهر . والحنطة إذا وضعت، من خارج البدن تسخن البدن . وهي في الدرجة الثانية من درجات الأشياء المسخنة، وفيها شيء لزج يشد ويغري، والخيل إذا أكلت الحنطة لم تسلم من مضرتها، وإذا أكلت الحنطة لينت ولدت الدود، وإذا مضغت وتضمّد بها نفعت من عضه الكلب الكلب، وأجودها الحديثة، المتوسطة في الصلابة والسخافة (سخف الشيء : رق وضعف المعجم الوجيز / ٣٠٥) العظيمة السليمة الملاء التي بين الأحمر والأبيض، والحنطة السوداء رديئة، وهي معتدلة في الرطوبة واليبوسة، والكبيرة والحمراء أكثر غذاء، والمسلوقة بطيئة الهضم نفاخة، لكن غذاؤها إذا استمرى كثير، والدقيق الحواري قريب من النشا، لكنه أسخن، والدقيق اللزج بطبعه، غير اللزج بالصنعة، فليس للزج بالصنعة ما للزج بطبعه . والحنطة أوفق حبة عمل منها الخبز، وأشدّها ملاءمة لبدن الإنسان المعتدل، وإذا أكلت نيئة ربما تولد حب القرع، وإدمان أكل المقلو (في الجامع لابن البيطار: الفطير، في مكان : المقلو) منها يعقل البطن، والمطبوخة والفريكية ينفخان البطن جدا .

«ف» حنطة مسلوقة أجودها الأحمر الكبار النضيج، وهي حارة رطبة، تنفع الأبدان المتخللة، وتزيد في قوة البدن، والحساء المتخذ من دقيقها وماء الكشك المعمولان منها

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ١٨٥ ،
والموجز في الطب لابن النفيس - تحقيق الأستاذ عبد الكريم الغرابوي ،
مراجعة د. أحمد عمار / ٩٦ ، والمعتمد في الأدوية المفردة للمظفر
الرسولي - تصحيح وفهرسة مصطفى السقا / ١٠٩ ، ١١٠ ، ومفتاح الراحة
لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري - تحقيق ودراسة
د. محمد عيسى صالحية ، ود. إحسان صدقي العماد / ١٢٥ ، ١٢٦) .

* الحنظل :

الحنظل : نبت مفترش ، ثمرته في حجم البرتقالة ولونها ،
فيها لب شديد المرارة (المعجم الوسيط ١ / ٢٠٢) وهو من
النباتات التي أحصاها القزويني وقال عنه :

الحنظل : نبت معروف تحب الأطباء أكله والسباع تهرب
من شجر الحنظل والشجرة التي ليس عليها إلا حبة واحدة من
الحنظل فإنها رديئة جدا ، ورنها الطرى يقطع نرف الدم وينفع
من المايخوليا والصرع ، ثمرتها إذا نقعتها في الماء ورششت به
البيت ماتت براغيثه . قال القاضي أبو علي التنوخي عن بعض
بنى عقيل إنه قال : كانت عندنا جارية زمنة ومن عادتنا أنا نقور
الحنظل ونجعل فيه شيئا من اللبن ونرد رأسها إلى مكانها
وندفنه في الرماد الحار حتى يغلى فإذا غلت حسا ذلك من
أراد الإسهال . قال : فاتخذنا ثلاث حناظل لثلاثة أنفس
فالجارية الزمنة حست جميع الثلاث فحصل لها إسهال شديد
حتى أيسنا من حياتها ، فلما كان الليل انقطع إسهالها وقامت
ومشت برجليها وعاشت بعد ذلك سنين ، والحنظل يدللك به
الجذام وداء الفيل وعرق النسا والنقرس ، وأصله نافع لنهش
الأفاعي وهو أنفع الأدوية للدغ العقرب سقيا وطلاء ، وسقى
واحد لدغته العقرب في أربع مواضع فبرئ في الحال (عجائب
المخلوقات / ١٨٥) .

وقد أورده المظفر الرسولي في « المعتمد » نقلا عن
مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية
والأغذية » .

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله
الإنسان » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسي .

قال : حنظل - « ع » هو نبات يخرج أغصانا وورقا مفروشة

نافعان من السعال . « ف » حب معروف مشهور ، أجوده
الكبار الرزين ، المائل إلى الحمرة ، طبعها حارة معتدلة في
الرطوبة واليبوسة ، الممضوغ منها ينضج الأورام الصلبة ،
وسويقها بطيء الانحدار ، يستعمل بقدر الحاجة (المعتمد ١ /
١٠٩ ، ١١٠) .

أما عن زراعة الحنطة فقد قال ابن وحشية : ينبغي أن تزرع
الحنطة في الأرض العميقة التي هي ما بين السمينة والدسمة
والقشفة ، وهي التي نسميها الأرض السهلة ، وفي الأرض
الصلبة التي تضرب إلى غبرة وإلى بياض ، وهي التي تسمى
الشديدة ، وفي الأرض الرقيقة ، والأرض الدسمة موافقة لسائر
الحبوب المقتاتة على الإطلاق ، وأوان زرعها المبكر من أيلول
(سبتمبر) من نصفه إلى غاية كانون الثاني (يناير) ، وما زرع
في كانون الأول (ديسمبر) وحُصد في نيسان (إبريل) كان
أسمن وأجود ، وما زرع في كانون الثاني (يناير) حُصد في أيار
(مايو) .

قالت المؤلفة : أوردنا لك الشهور السريانية وما يقابلها من
الشهور الميلادية في مادة « أسماء الشهور » في م ٤ / ٥١٢
فارجع إليها إن شئت .

قال ابن وحشية : وأجود الحبوب المقتاتة للزرايع ما
حالت عليه سنة واحدة ، وما مضى له سنتان كان أضعف ،
والأيام الدفيئة في الشتاء في أوقات زرع الحنطة هي
المحمودة ، وإن اتفق يوم تهب فيه ريح جنوب فهو أحمد
الأوقات . وإن كان اليوم من الأيام التي يكون فيها القمر زائداً
فإنه لا يكون أجود ولا أدسم ولا أقوى من حب ما زرع فيه .

قال ابن وحشية : متى سحق شيء من عظم الفيل
وأضيف إليه سحق المساذريون ، ونقعا في الماء يوماً وليلة ،
ورش ذلك الماء على الحنطة أو الشعير أو الذرة أو الدخن
قبل وضعها في الأرض وزرعه فيها ، ثم زرعت ، حفظها ذلك
من الدبيب كله ، وخاصة الفأر والطير ، ويكون نباتها أجود .

وقال ديمقراطيس : إن دخن الزرع أو الشجر بثوم أو عيدان
السرو تساقط كل دود فيها . وإن أخذ قرن أيل أو ظلف شاة أو
نشارة عظم فيل ، أى ذلك كان ، ودخن به الزرع لم يبق فيه
دود إلا هلك ، وإن أخذ ورق السرو وورق الدلب بعد خفافهما
وتركا مع البزور دفعا عنهما في الأرض جميع الآفات السماوية
والأرضية (مفتاح الراحة / ١٢٥ ، ١٢٦) .

العصب والمفاصل والنسا والنقرس البارد، وينقى الدماغ، ومن بدء الماء في العين، وأصله نافع من الاستسقاء، وشحمه يسهل البلغم الغليظ من المفاصل، والمرار الأسود والأصفر، وينفع من القولنج الريحي، والشربة منه: درهم مع عسل، ودانق ونصف مع الأدوية، وأصله ينفع من لدغ الأفاعي والعقرب طلاء وشربا، وإذا احتمل قتل الجنين، والمجتنى أخضر يسهل بإفراط، ويقىء بإفراط وكرب، حتى ربما قتل، والحبة المنفردة وحدها في شجرتها ربما قتل منها دانقان، ومن قشرها وحبها دانق. «ف» ثمرة كالبطيخة الصغيرة، أصفر اللون، أجوده البالغ الكثير العدد على شجرتيه، وهو حار يابس في الثانية، ويسهل الأخلاط البلغمية، وينفع من القولنج الرطب، ويسهل البلغم الغليظ اللزج المخاطي من المفاصل، ويسهل المرة السوداء من الدماغ، وينفع دلكا الجذام وداء الفيل، وورقه الغض يحلل الأورام وينضجها، وأصله يطبخ مع الخل ويتمضمض به لوجع الأسنان والاستفراغ به ينفع من انتصاب النفس، وأصله نافع للاستسقاء رديء للمعدة، وشحمه ينفع من القولنج الرطب والريحي، وينفع من أوجاع الكلى والمثانة، والشربة منه: دانق، وبدله: حب الخروع.

(المعتمد ١ / ١١٠-١١٢).

قال ابن النفيس: والشربة منه اثنا عشر قيراطا... وإصلاحه بالكثيراء ودهن اللوز (الكثيراء: صمغ القتاد، وهي شجرة شوكة) (الموجز في الطب / ٩٦).

وقال الحافظ الذهبي: الحنظل حار يابس في الثالثة. وينبغي أن يجتنب حبه وقشره، ويستعمل شحمه مفروطا بلب الفستق. والمفرد منه على الشجر قاتل، وهو يسهل البلغم بعنف. وقال رسول الله ﷺ: «مثل المنافق كالحنظله لا ربح لها وطعمها مر» (الطب النبوي / ٨١).

قالت المؤلفة: أخرج الإمام السيوطي هذا الحديث في الجامع الصغير بلفظ «مثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثله الحنظلة ليس لها ربح وطعمها مر» لأحمد في مسنده، والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي موسى (الجامع الصغير ٢ / ١٦١).

(المعجم الوسيط ١ / ٢٠٢، وعجائب المخلوقات وغرائب

على الأرض شبيهة بأغصان ورق القثاء البستاني، وورقه مشرف، وله ثمرة مستديرة، شبيهة بكرة متوسطة في العظم، شديدة المرارة. وينبغي أن يجنى من شجرتها إذا ابتدأ لونها إلى الصفرة، والحبة الواحدة لا تجنى، فإنها قتالة، وإذا كان الحنظل أخضر وذلك به الورك ممن يوجعه، انتفع به، وشحم الحنظل خاصيته إسهال البلغم الغليظ، إذا شرب منه، وقلع صفرة اليرقان من العين إذا استعط بمائه، ويسهل البلغم الغليظ الذي ينصب إلى مفاصل البدن، وله أيضا صعود إلى الرأس، يسهم منه الأخلاط السوداء، ولا يسقى في برد شديد، ولا في حر شديد، وهو يسهل من لا تكاد طبيعته تجيب من أهل البلاد الباردة، ومن غذاؤه الألبان والأجبان. ومن أراد إصلاحه وخلطه بالأدوية فليخلص شحمه من حبه وقشره الخارج، ويخلط بسوزنه صمغ أبيض، وكثيرا أو نشاستج، منفردة أو مؤلفة، وأكثر ما يشرب منه إذا دبر بهذا التدبير مع غيره. دانقان، وأقله قيراط، والأقوياء: نصف درهم، وإذا أخرج الشحم من البطيخة نقص فعله، فمن أراد بقاءه أبقاه فيها لوقت الحاجة. والحنظل صنفان: ذكر وأنثى، فالذكر ليفي، والأنثى رخو سلس، ولا يجتنى حتى يصفر، ولا يقرب وهو أخضر، ومن أراد أن يجعله في الحقن القشاه في طبيخ الحقنة صحيحا، فإنه ينفع من القولنج، وينزل الخام والمرة السوداء، ويلقى منه في الحقنة من درهمين إلى أربعة دراهم، وليس ينبغي أن يستعمل في الأدوية شيء من قشور الحنظل، ولا من حبة، لأنهما غليظان يابسان جدا، يلصقان بالمعدة والأمعاء، ويمغصان إمغاصا شديدا، ولا يسهلان، فأما ورقه الغض فإنه يحلل الأورام إذا ضمده مع النشاستج، وينفع انفجار الدم، وإذا طبخ ورقه كما يطبخ البقل أسهل الطبيعة أيضا، وكذلك تفعل قضبانته، وأصله أعظم دواء للسع العقرب، والذكر الليفي أقوى من الأنثى الرخوة.

والحنظل حار في الثالثة، يابس في الثانية. «ج» حنظل: وهو العلقم. وحبه يسمى الهبيد، ومنه ذكر، ومنه أنثى، والأخضر منه رديء، وما كان واحدة على شجرة فهي رديئة قتالة، وأجوده الأصفر المدرك أيام الربيع، وهو حار في الدرجة الثالثة، وقيل في الثانية، يابس في الثانية. وقال: عن الكندي إنه بارد رطب، وهو محلل مقطوع، جاذب من بعد، ينفع إذا ذلك به من الجذام وداء الفيل، وينفع من أوجاع

الموجودات للقرطبي / ١٨٥ ، والمعتمد في الأدوية المفردة للمظفر
الرسولي صححه وفهرسه مصطفى السقا / ١١٠ - ١١٢ ، والموجز في
الطب لابن النفيس - تحقيق الأستاذ عبد الكريم الغرناوي ، مراجعة د.
أحمد عمار / ٩٦ ، والطب النبوي للحافظ أبي عبد الله محمد ابن أحمد
الذهبي - قدم له وخرج آياته الشيخ قاسم الشماصي الرفاعي / ٨١ ،
والجامع الصغير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي / ٢ (١٦١)

* حنظلة بن الربيع :

قال عنه صاحب الرياض المستطابة : حنظلة بن الربيع
ابن صيفي الأسدي بتخفيف الياء الأولى أو تشديدها .
نسبة إلى أسيد بن عمر بن تميم . وحنظلة هذا هو ابن
أخي أكثم بن صيفي حكيم العرب ، وكان حنظلة أحد كتّاب
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بعثه إلى أهل الطائف
يعرض عليهم الصلح : فلما توجه إليهم قال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم : « ائتموا بهذا وأشباهه » .

روى عنه أنه مر بأبي بكر وهو يبكي فقال له أبو بكر : ما
لك يا حنظلة ؟ فقال : نافق حنظلة يا أبا بكر ، نكون عند
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكرنا بالنار والجنة فكأنما
نراهما رأى عين ، فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والضيعة ، نسينا
كثيرا . فذهبوا إلى رسول الله فأخبروه ، فقال صلى الله عليه وآله
وسلم : « لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي
لصافحتكم الملائكة في مجالسكم ، وفي طرقكم ولكن
ياحنظلة ، ساعة فساعة » .

روى حنظلة في صحيح مسلم حديثا واحدا ، وهو
السابق . وخرج عنه الترمذي والنسائي وابن ماجه . وكان
حنظلة ممن تخلف عن مولانا على كرم الله وجهه في حرب
الجمال ثم انتقل إلى قرقيسا فمات بها ، (وقيل بالكوفة) بعد
على رضي الله عنه . ولما مات جزعت عليه زوجته وتمادت
في الحزن فنهاها جاراتها وقلن لها : يحبط أجرك ! فقالت :

تعجبت دعاء لمحزوننة

تبكى على ذي شيبة صاحب
إن تسألني اليوم ما شئتني
أخبرك قولا ليس بالكاذب
إن سواد العين أودى به
حزن على حنظلة الكاتب

رضي الله تعالى عنه ورحمه .

(الرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبي بكر العامري اليمني / ٥٦ -
٥٨) .

* حنظلة بن أبي عامر :

قال الإمام النووي : حنظلة بن الراهب الصحابي رضي
الله عنه : مذكور في المختصر والمهذب في كتاب السير وفي
جنايز المهذب أيضا هو حنظلة بن أبي عامر واسم أبي عامر
عمرو بن صيفي بن زيد بن أمية بن ضبيعة وقيل اسم أبي عامر
عبد بن عمرو الأنصاري الأوسي المدني وكان أبو عامر يعرف
في الجاهلية بالراهب وكان هو وعبد الله بن أبي ابن سلول
منافقين فعبد الله يبطن النفاق وأبو عامر يظهره . ومات أبو
عامر كافرا سنة تسع وقيل سنة عشر من الهجرة . وأما حنظلة
فهو من سادات الصحابة وفضلائهم وهو المعروف بغسيل
الملائكة وإنما قيل له ذلك لما اشتهر في كتب التواريخ
والمغازي أنه حين استشهد بأحد قال النبي ﷺ ما شأن حنظلة
أنه غسلته الملائكة فسألوا امرأته فقالت سمع الهيعة وهو
جنب فلم يتأخر للاغتسال استشهد يوم أحد نصف شوال سنة
ثلاث من الهجرة رضي الله عنه .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي /
١٧٠ ، ١٧١) .

* حنظلة بن قيس :

قال الإمام النووي : حنظلة المذكور في المهذب في
كتاب الصيام في مسألة الغلط بالفطر قبل غروب الشمس هو
حنظلة بن قيس بن عمرو بن حصين بن خلدة بن مخلد بضم
الميم وتشديد اللام ابن زريق بتقديم الزاي الأنصاري الزرقى
المدني التابعي . روى عن عمر بن الخطاب وعثمان وابن
الزبير وأبي هريرة ورافع بن خديج رضي الله عنهم . روى عنه
يحيى الأنصاري والزهري وربيعة وغيرهم وهو ثقة روى له
البخاري ومسلم وكان ذا حزم .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي
١٧١ / ١) .

* الحنظلي :

قال السمعاني :

الحنظلي بفتح الحاء المهلمة وسكون النون وفتح الظاء

سلمة يقول ما رأيت بعد إسحاق - يعني بن راهويه - ومحمد ابن يحيى أحفظ للحديث ولا أعلم بمعانيه من أبي حاتم محمد بن أدريس . قال أبو حاتم قال لي هشام بن عمار يوما أى شيء يحفظ على الأدواء قلت له : ذو الأصابع ، وذو الجوشن ، وذو الزوائد ، وذو اليسدين ، وذو اللحية الكلابي - وعددت له ستة ، فضحك وقال : حفظنا نحن ثلاثة ، وزدت أنت ثلاثة . مات أبو حاتم بالري في شعبان سنة سبع وسبعين ومائتين . سمع جماعة من شيوخ البخاري ومسلم . وتوفي سنة نيف وثلاثمائة بالري . سمعت أبا العلاء أحمد بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان أنا أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي الحافظ إجازة قال : أبو حاتم الرازي الحنظلي منسوب إلى درب حنظلة بالري وداره ومسجده في هذا الدرب رأيت ودخلته ؛ ثم قال : سمعت أبا علي الشافعي يقول أنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد البزاز في المسجد الحرام ثنا أبو الحسين علي بن إبراهيم الرازي سمعت أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي يقول قال أبي : نحن من موالى تميم بن حنظلة من غطفان قال المقدسي : والاعتماد على هذا أولى والله أعلم .

وأبو محمد عبد الصمد بن إبراهيم بن الفضل الحنظلي البخاري ، من أهل بخارا ، سمع أبا الفضل أحمد بن علي السليماني وأبا عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الغنjar وأبا بكر محمد بن إدريس الجرجرائي وأبا القاسم علي بن أحمد القضاعي وأبا إسحاق الحضرمي وجماعة كثيرة ببخارا روى عنه أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن محمد النخشي وأبو بكر محمد بن علي بن حيدرة الجعفرى ، وقال عبد العزيز : أبو محمد الحنظلي هذا يدعى الحفظ والمعرفة وله شيء من الفهم ، مشغل بأعمال السلطان يتعصب لأهل الرأي ويشنع على أهل الأثر والسنة ، تاب الله علينا وعليه ، رأيت بسمرقند يقرأ كتاب ذكر الصالحين لأبي عبد الرحمن بن أبي الليث من كتابه الذي سمعته ببخارا ، ومع القوم نسخة كتبت بسمرقند فما نقص من رواية البخاريين قرأ من نسختهم التي زادها المصنف بسمرقند ولم يسمعها هو ، فعلمت أنه ليس بثقة (الأنساب ٢/ ٢٧٩ ، ٢٨٠) .

وقد استدرك ابن الأثير في اللباب على السمعاني فقال : قلت : فاته النسبة إلى حنظلة تميم ، وهو حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر ، منهم الفرزدق الشاعر ، وإسحاق بن

المعجمة هذه النسبة إلى بني حنظلة ، وهم جماعة من غطفان فأما الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي ، هو مولى بني حنظلة ، من أهل مرو ، يروى عن إسماعيل بن أبي خالد وحميد الطويل وعاصم الأحول ، روى عنه أهل البلاد ، وهو من أهل مرو ، كان مولده بها سنة ثمانى عشرة ومائة ومات في شهر رمضان منصرفا من طرسوس سنة إحدى وثمانين ومائة ، وقبره بهيت - مدينة على الفرات مشهور يزار ، والأخبار في مناقب ابن المبارك وشماله أشهر وأكثر من أن يحتاج إلى الإغراق في ذكرها ، كانت فيه خصال لم تجتمع في أحد من أهل العلم في زمانه في الدنيا كلها ، كان فقيها ، ورعا عالما ، بالاختلاف حافظا ، يعرف السنن ، رحالا في جمع العلم ، شجاعا ، ينازل الأقران ويكشف الأبطال ، أدبيا يقول الشعر فيجيد ، سخيا بما ملك من الدنيا - والله يرحمه وبالري درب مشهور يقال له درب حنظلة منها أبو حاتم محمد ابن إدريس بن المنذر (بن داود بن مهران) الرازي الحنظلي إمام عصره والمرجوع إليه في مشكلات الحديث ، وهو من هذا الدرب ، وكان من مشاهير العلماء ومن مذكوري العلماء الموصوفين بالفضل والحفظ والرحلة ولقى العلماء ، سمع محمد بن عبد الله الأنصاري وأبا زيد النحوي وعبيد الله بن موسى وهوذة بن خليفة وأبا مسهر الدمشقي وعثمان بن الهيثم المؤذن وسعيد بن أبي مريم المصري وأبا اليمان الحمصي في أمثالهم ، كان أول كتبه الحديث في سنة تسع ومائتين ، روى عنه الأعلام الأئمة مثل يونس بن عبد الأعلى والربيع بن سليمان المصريين وهما أكبر منه سنا وأقدم سماعا وأبو زرعة - الرازي والدمشقي ومحمد بن عوف الحمصي - وهؤلاء من أقرانه ، وعالم لا يحصون ؛ وذكر أبو حاتم وقال : أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سنين أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ لم أزل أحصى حتى لما زاد على ألف فرسخ تركته ؛ وقال أبو حاتم قلت على باب أبي الوليد الطيالسي : من أغرب علي حديثا غريبا مسندا صحيحا لم أسمع به فله علي درهم يتصدق به - وقد حضر على باب أبي الوليد خلق من الخلق أبو زرعة فمن دونه ، وإنما كان مرادى أن يلقي على ما لم أسمع به فيقول هو عند فلان فأذهب فأسمع ، وكان مرادى أن أستخرج منهم ما ليس عندي فما تهيأ لأحد منهم أن يغرب علي حديثا . وكان أحمد بن

سعيد القطان ومحمد بن عبيد الكوفى ؛ قال ابن أبى حاتم سمعت أبا زرعة يقول : يعد فى الهرويين وكتبت عنه . قال ابن أبى حاتم : كتب عنه أبى على باب إبراهيم بن موسى ؛ سئل أبى عنه فقال صدوق . وأما أبو عبد الله محمد ابن الحنفية ، ابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه نسب إلى أمه واسمها خولة ، وسميت الحنفية وغلب عليها لأنها كانت من سبى بنى حنيفة أعطاه إياه الصديق أبو بكر (رضى الله عنه ، ولو لم يكن إماما لما صح قسمته) وبهذا يستدل أهل السنة على الشيعة أن خولة كانت من سبى بنى حنيفة وقسمها أبو بكر رضى الله عنه ولو لم يكن لما صح قسمته وتصرفه فى خمس الغنيمة ، وعلى رضى الله عنه أخذ خولة وأعتقها وتزوج بها (الأنساب ٢ / ٢٨٠ ، ٢٨١) .

وقد استدرك ابن الأثير فى اللباب على السمعاني فقال : قلت : فاته النسبة إلى الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، ولا يدخل من ينسب إلى مذهبه تحت الحصر ، واسمه النعمان بن ثابت ، من أهل الكوفة ، توفى ببغداد سنة خمسين ومائة ، وقبره مشهور ، وولد سنة ثمانين ، وهو أشهر من أن ينسب إليه . ومن ينسب إليه ابنه حماد بن أبى حنيفة . والقاضى أبو عبد الله الحسين بن على بن محمد بن جعفر الصيمرى الحنفى ، كان إماما فى مذهبه ، وهو أستاذ قاضى القضاة أبى عبد الله السامغانى ، توفى فى شوال سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، وأبو الحسن عبد الله بن الحسين الكرخى الحنفى صاحب التصانيف المشهورة (اللباب ١ / ٤٦٢) .

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٨٠ ، ٢٨١ وهامش ٢ للمحقق ، واللباب لابن الأثير - تحقيق د . مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٦٢) .

* الحنفى (الجامع -) :

قال عنه على باشا مبارك : هذا الجامع بخط الحنفى بين سوق مسكة وسويقة اللالا . أنشأه الأستاذ شمس الدين أبو محمود محمد الحنفى بجوار داره فى سنة سبع عشرة وثمانمائة - كما فى المقرئى - وله ثلاثة أبواب : أشهرها المفتوح على الشارع ، يعلوه شباك من الخشب الخرط دقيق الصنعة ، وبجواره على يسار الداخل مدفن الشيخ عمر شاه والشيخ عمر الركنى ، ومكتب لتعليم الأطفال وسبيل ،

راهويه الحنظلى ، روى عن ابن عيينة ، وغيره . روى عنه البخارى ومسلم ، وغيرهما ، وكان فقيها إماما ، وخلق لا يحصون كثرة من القراء والشعراء والعلماء ، وهو أشهر حنظلة ينسب إليها .

وفاته : النسبة إلى حنظلة بن كعب بن سعد بن عوف بن حُرَيْم بن جُعْفَى بطن من بطن جُعْفَى (اللباب ١ / ٤٦١) .

قال الجوهري : حنظلة أكرم قبيلة فى تميم ، يقال لهم حنظلة الأكرمون ، وأبوهم حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم (اللسان ١٢ / ١٠٢٥) .

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، واللباب لابن الأثير - تحقيق د . مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٦١ ، ولسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٢٥) .

* الحنفى :

قال السمعاني :

الحنفى : بفتح الحاء المهملة والنون وفى آخرها الفاء ، هذه النسبة إلى بنى حنيفة ، وهم قوم أكثرهم نزلوا اليمامة وكانوا قد تبعوا مسيلمة الكذاب المتنبى ثم أسلموا زمن أبى بكر رضى الله عنه وقتل مسيلمة ، فالمشهور بالنسبة إليها جماعة كثيرة منهم سراج بن عقبة بن طلق بن على الحنفى من أهل اليمامة ، يروى عن عمته خلدة بنت طلق ، روى عنه ملازم بن عمرو وقد قيل إن اسم عمته جعدة . وعبد الله بن بدر ابن عميرة بن الحارث بن شمر الحنفى اليمامى ، جد ملازم بن عمرو ، يروى عن قيس بن طلق بن على وعبد الرحمن بن على ابن شيبان ، روى عنه ملازم بن عمرو . وعبد الحميد بن عقبة ابن قيس بن طلق بن على الحنفى من أهل اليمامة يروى عن قيس بن طلق ، روى عنه ملازم بن عمرو . وعبد الحميد بن عبد الحميد الحنفى من أهل اليمامة ، يروى عن هوزة بن قيس ، روى عنه ملازم بن عمرو والسرى بن هوزة . وأثال بن قرة الحنفى من أهل اليمامة ، يروى عن [شهر بن حوشب عن] أم سلمة رضى الله عنها ، روى عنه عكرمة بن عمار . وجماعة سواهم مثل إسماعيل بن سميع الحنفى (وأيوب بن النجار الحنفى . وأبى سليمان خليل بن جعفر الحنفى . وأبى رميل سمالك بن الوليد الحنفى وغيرهم) وأبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أبى رجاء الحنفى الهروى ، يروى عن يحيى بن

أن يبنى له فى ذلك الموضع خلوة يختلئ فيها فبناها له تحت الأرض ، وشرع سيدى أبو العباس فى بناء الزاوية ، فبناها من ماله وأخذ عنه وكان يخدمه ويتردد عليه ولا ينقطع عن خدمته . انتهى .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك - إعداد محمد مصطفى إبراهيم ٤ / ٢٠٥ ، ٢٠٦) .

قالت المؤلفة : هذا الجامع ليس مدرجا فى فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة .

« الحنفى (شمس الدين) (٨٤٧ هـ / ١٤٤٣ م) ،

محمد بن حسن بن على التيمسى البكرى الشاذلى ، أبو عبد الله شمس الدين الحنفى ، صوفى مصرى ، من أهل القاهرة . اشتهر بأخبار حكيت عنه مع السلطان فرج بن برقوق وغيره . له « الروض النسيق فى علم الطريق » مخطوط شرح به كلام شيخه محمد العجان ، و « ديوان » مخطوط ذكره بروكلمان . وللشيخ نور الدين على بن عمر البتنونى كتاب « السر الصفى فى مناقب سيدى محمد الحنفى » مطبوع ، جزءان فى مجلد صغير . وفى شعره شطحات ومفردات ، منها :

فلان قلبى بيت لربى

قطوف من حوله القلبوب

(الأعلام ٦ / ٨٨) .

وطريقته هى طريقة الشاذلية ، وهو خامس الخلفاء فيها ... وله الأمثال فى التصوف . ومن ذلك حكايته عن التوبة قال :

قالت لى : زرعونى فلما سقونى أسست ، فلما أسست فرعت ، فلما فرعت أورقت ، فلما أورقت أثمرت ، فلما أثمرت أطعمت . وقال : فكان كلامها سلوكا لى .

وكان الحنفى يحب الفساخر من الثياب ، وينكره عليه القوم . وقال عن الولى : هو من قال لا إله إلا الله ، وقام بشروطها ، وشروطها أن يوالى الله ورسوله ، بمعنى أنه يواد الله بشهادته له بالوحدانية ، ولمحمد ﷺ بالرسالة . وكان يقول : إذا مات الولى انقطع تصرفه فى الكون من الإمداد ، وإذا حصل للزائر مدد بعد الموت ، أو قضاء حاجة فهو من الله تعالى على يد القطب صاحب الوقت ، فيعطى الزائر من المدد على قدر المزور . وهو قول جديد فى هذا الأمر من

سليمان أفندى تابع أفندينا محمد على باشا فى شهر رمضان سنة ألف ومائتين وسبعة وثلاثين ، وبأعلى القبلة حجر أحمر عليه كتابة عسرة القراءة ، وبه بئران قديمتان : إحداهما فى الإيوان الصغير البحرى ، كان يملأ منها حوض الحنفية ، وكان بجوارها قبة أزالها بعض النظار وسد فم البئر بالحجر ، وكانت تسمى بئر الكرامة . والثانية تجاه باب المقصورة بجوار العمود ، يستشفون بمائها ويتبركون بالشرب منها ، ويزعمون أنها من ماء زمزم ، ولها فم ضيق عليه غطاء من خشب يقفل بقفل من حديد ، ولا تفتح إلا نادرا كأيام المولد ، ويملاً منها بإناء فخار ورشاء قصير لقرب مائها ، وعن يمين الداخل من الباب الكبير شجرة سدر غليظة الساق جدا نافذة فى السقف ، تقصدها العامة للتبرك بها ، ويعتقدون أنها مسكونة بولية تسمى الشیخة خضرة ، يحلفون عليها ويدقون بها المسامير لشفاء الأسنان . وضريح الشيخ بالجانب الأيمن من الجامع من داخل قبة مرتفعة ، عليه مقصورة من الخشب المرصع بالصدف والعاج وضبة باب المقصورة بقفیز فضة ، وبأعلى الباب لوح فيه دوائر منقوش فيها لفظ الجلالة وأسماء بعض الصحابة وفيها : يا سيدى محمد يا شمس دين الله يا حنفى مددك « ثلاث مرات » وعاداتك « مرة » وبجوار المقصورة قنديل بلور أخضر كبير منقوش معلق بأعلى القبة ، وفيها قبة بها عمودان من الرخام ، وباب القبة مرصع بالعاج والصدف عليه اسم صانعه إبراهيم مع « نصر من الله وفتح قريب » وفوق الباب بيتان من الشعر يقال إنهما من كلامه رضى الله عنه وهما :

وحط فى بانبنا ما شئت من ثقل

وعنك دع حادثات خفتها وعنا

فكل فضل بنى الصديق كعبته

وكل أمر عسير قد يهون بنا

وكان موضع هذا الجامع ملكا للشيخ أبى العباس نقيب الأستاذ الحنفى ، ففى كتاب مختصر السر الصفى فى مناقب الأستاذ الحنفى : أن الشيخ أبا العباس أخذ بيد الشيخ فى مبدأ زهده فى الدنيا وجاء به إلى موضع الزاوية الآن قبل عمارتها ، وكان منشرا وبه البئر التى هى الآن بالزاوية ، وكان ذلك الموضع ملكا لسيدى أبى العباس ، فأشار الشيخ لأبى العباس

الحنفى يخرج به إلى دائرة العقل . وقالوا فى تفسير مقالته : ليس المزور فى الحقيقة إلا الصفات لا الذوات ، فإن الذوات تبلى وتنفى ، والصفات هى الباقية . والناس فى الزيارة إنما تتذاكر الصفات . وكان الحنفى نفسه يزور قبر أحد الصالحين وكان فى زمنه أبارا وكلمه أصحابه فى سبب هذه الزيارات فذكر أن الرجل كان كثيرا ما يطلب من الناس أن يقوموا لأهل العلوم الربانية ، ويعلل طلبه منه أن قيامهم فى حقيقته هو قيام لصفة من صفات الله أناء بها قلوب هؤلاء الأولياء . ومات الحنفى سنة ٨٤٧ هـ (الموسوعة الصوفية / ١٣١ ، ١٣٢) .

الإمام الحنفى وقد بسط الكلام عليه على باشا مبارك فى خطه وأسماء سلطانا فقال عنه :

ترجم هذا السلطان جماعة كثيرون ، وأفرد ترجمته بالتأليف جماعة ، منهم : الشيخ نور الدين على بن عمر البتنونى فقد كتب فى ذلك مجلدين .

وترجمه الإمام الشعرانى فى طبقاته بنحو كراسة ، فقال : هو سيدنا ومولانا شمس الدين محمد الحنفى رضى الله عنه ، كان من أجلاء مشايخ مصر وسادات العارفين ، له الباع الطويل فى التصريف ، واليد البيضاء فى السولية ، والقدم الراسخة فى درجات النهاية ، وهو أحد أركان الطريق وأكابر أئمتها علما وعملا وحالا وقالا وزهدا وتحقيقا ومهابة ، وكان ظريفا جميلا فى بدنه وئيا به ، وهو من ذرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، تربى يتيما من أمه وأبيه ، ربه خالته فكان زوجها يريد أن يعلمه الصنعة فمضى به إلى الغرابلى فهرب إلى المكتب ، ثم مضى به إلى المناخلى فهرب إلى المكتب فكف عنه فحفظ القرآن ، وكان ابن حجر رفيقه فى المكتب ، ولما خرج من المكتب جلس يبيع الكتب فى سوقها ، فمر عليه بعض الرجال فقال : يا محمد ما للندى خلقت . فترك الدكان بما فيه ولم يسأل عنه . ثم حبب إليه الخلوة فدخل خلوة تحت الأرض وهو ابن أربع عشرة سنة ، فاختم بها سبع سنين ولم يخرج منها حتى سمع هاتفا يقول : يا محمد اخرج انفع الناس « ثلاث مرات » وقال فى الثالثة : إن لم تخرج وإلا هيه . فقال الشيخ : ما بعد « هيه » إلا القطيعة ، فخرج إلى الزاوية فكان يجلس يعظ الناس على غير موعد فيجىء الناس حتى يملأوا زاويته ، وكان رضى الله عنه حنفى المذهب وعلى خده

الأيمن خال ، وهو أبيض مشرب بحمرة وفى عينيه حور ، وتربى يتيما فقيرا ، أخذ الطريق رضى الله عنه بعد أن خرج من الخلوة عن الشيخ ناصر الدين بن الميلىق ، عن جده شهاب الدين بن الميلىق ، عن ياقوت العرشى ، عن المرسى ، عن الشاذلى رضى الله عنه ، فلذا كان الشاذلى يقول : الحنفى خامس خليفة من بعدى . وكان أولا يتعمم بعمامة صماء ، ثم رثى له فى المنام أن جده أبى بكر الصديق رضى الله عنه عممه بحضرة النبى ﷺ ، وأرخى للعمامة عذبة يساره فأرخى العذبة ، وكذلك فعل كل من فى مجلسه ، وصار رضى الله عنه إذا ركب يرخى العذبة ، وترك الطيلسان الذى كان يركب به إلى أن مات ، وكان رضى الله عنه يلبس المثملة الفاخرة ، وكان لا ترد له شفاعته عند من يعرفه وعند من لا يعرفه .

وقال شيخ الإسلام العيني فى تاريخه الكبير : والله ما سمعنا ولا رأينا فيما حوينا من كتبنا وكتب غيرنا ، ولا فيما اطلعنا عليه من أخبار الشيوخ بعد الصحابة إلى يومنا هذا أن أحدا أعطى من العز والرفعة ونفوذ الكلمة وقبول الشفاعته عند الملوك والأمراء وأرباب الدولة والوزراء عند من يعرفه ومن لا يعرفه مثل ما أعطى الشيخ شمس الدين الحنفى . ثم قال : وأبلغ من ذلك أنه لو طلب السلطان أن ينزل إليه خاضعا حتى يجلس بين يديه ويقبلهما لكان ذلك أحب الأيسام إلى السلطان ، ولم يقم قط لأحد من الملوك ولا الأمراء ولا القضاة ، ولم يغير قعدته لدخولهم ، ولا يجلس أحد منهم إلى جانبه ، ولا يتربع بل يجلس جاثيا متأدبا خاضعا لا يلتفت يمينا ولا شمالا .

وكان الملك الظاهر جقمق يكرهه ويقول : إنى لا أقبل لهذا الرجل شفاعته ، ومع ذلك يرسل له فى الشفاعات فيقضيها ، ويقول لمن حوله : أنا لا أستطيع رد شفاعته ، بل أقبلها وأتعجب من نفسى .

ونزل إليه السلطان الملك المؤيد فجاء إلى الزاوية فوجده فوق سطح البيت ، فطلع إليه سيدى أبو العباس وأخبره فقال له : قل له : إنه ما يجتمع بأحد فى هذا الوقت . فوضع السلطان يده على رأسه ورجع إلى القلعة ، ولم يتغير من ذلك .

وكان أهل المغرب يرسلون يأخذون من تراب زاويته

البلغم الحار والبلغم البارد، واجتمع عنده الأطباء وقالوا إن النصف الأعلى قد تحكم منه البلغم الحار، والنصف الأسفل قد تحكم منه البلغم البارد، فإن داوينا الأعلى غلب عليه الأسفل، وإن داوينا الأسفل غلب عليه الأعلى وأقام بذلك المرض سبع سنين ملازماً فراشه إلى أن توفى سنة سبع وأربعين وثمانمائة. وكان مع هذا البلاء يتوضأ قبل دخول الوقت بخمس درج، ولا يصلى إلا مع جماعة، ومات على طرف حوشه والناس يمرون عليه فى الشوارع. انتهى باختصار.

وله حضرة كل يوم سبت يجتمع فى مسجده القراء والذاكرون والمنشدون وأهل الموسيقى، ويتناوبون بغرائب الألحان وبدائع الموشحات ويسمون ذلك بالوعظيات، فينشدون من موشحات الوزراء وفرائد المنشئين وبدائع الشعراء مما فيه المديح النبوى مثل :

يا نسيم بلغ سلام المستهـام المستقيم
للكريم طه إمام المرسلين العظيم
عن أليم وجدى به حدث وشوقى القديم
ليس لى من ملجأ سوى الحمى الأفضلى

الجللى وآله أولى الجنـاب العلى
ويستمر المجلس نحو الساعتين قبل الظهر بجوار المزار، ولأربابه مرتب من الخبز كل جمعة، ومن النقود كل شهر، ومن الكسوة كل سنة، وله مولد يعمل كل سنة من أول شهر شعبان إلى قرب آخره، ويصرف أهل الخط فيه أموالاً كثيرة فى العزومات والوقدات ونحو ذلك (الخطط الترفيقية الجديدة ٤ / ٢٠٦-٢٠٩).

(الأعلام للزركلى ٦ / ٨٨، والموسوعة الصوفية - د. عبد المنعم الحنفى / ١٣١، ١٣٢، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك - إعداد محمد مصطفى إبراهيم ٤ / ٢٠٦-٢٠٩).

❖ الحنفى (المذهب -) :

صاحبه الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، إمام أهل رأى فى عصره (ينقسم العلماء إلى أهل حديث وأهل رأى، وأكثر علماء العراق كانوا أهل رأى).

ولد سنة ٨٠ هـ بالكوفة. وتوفى سنة ١٥٠ هـ (انظر ترجمته تحت عنوانه).

وهذا المذهب أقدم المذاهب الأربعة، والذين دونوه أربعون رجلاً أشهرهم ثلاثة :

ويجعلونه فى ورق المصاحف، وأهل الروم يكتبون اسمه على أبواب دورهم يتبركون به. وكان رضى الله عنه يقول كثيراً : لو كان عمر بن الفارض فى زماننا ما وسعه إلا الوقوف ببابنا. وكان الشيخ طلحة المدفون بالمنشية الكبرى يقول : قال لى سيدى محمد الحنفى : يا طلحة خرج من زاويتى هذه أربعمائة ولى على قدمى كلهم داعون إلى الله تعالى، وأصحابنا بالمغرب كثير، وبالروم والشام أكثر، وأكثر أصحابنا باليمن والبرارى والكهوف والمغارات.

وكان رضى الله عنه يلحن الخائف من ظالم ويقول : إذا دخلت عليه فقل : بسم الله الخالق الأكبر حرز لكل خائف، لا طاقة لمخلوق مع الله عز وجل.

وسمع جلال الدين البلقينى تفسيره للقرآن العظيم فقال : والله لقد طالعت أربعين تفسيراً ما رأيت فيها شيئاً من هذه الفوائد، وقبله سراج الدين البلقينى بين عينيه وقال له : أنت تعيش زماناً طويلاً، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ﴾.

وكانت ملوك أقاليم الأرض ترسل الهدايا فيقبلها. وكان يتنزه عن سماع المعازف وجميع آلات اللهو، فدخل يوماً يزور ابن الفارض رضى الله عنه فرأى عمالاً وآلات تضرب فأمر بالسكوت حتى يزور ولم يتعرض لكسر الآلات. وسمع حنفياً يقول فى درسه : الحكم كذا خلافاً للشافعى. فجزه، وقال : تقول خلافاً للشافعى بقلة أدب، لم لا تقول رضى الله عنه، أو رحمه الله تعالى ؟ وكان إذا رأى فى جبهة فقير أثر سجود يقول : يا ولدى أخاف عليك أن يكون هذا من الرياء. وكان يكره مشايخ القرى والمدركين للبلاد ويقول : أنا لا أقول بإسلامهم. وكان يكره للفقير لبس الطليحية ويقول : الفقر فى الباطن لا فى الظاهر. وإذا رأى من الفقراء والمجاورين عورة سترها عليهم، ويرغبهم فى الأمر الذى فيه صلاحهم، وكان إذا ركب فى شوارع مصر لا يلقاه أمير أو كاتب سر أو ناظر خاص إلا ورجع معه إلى أى مكان أراد. وتلقاه رجل عجمى فأنشده :

نهـارى نسيم كلـه إن تبسمت

أوائـله منهـا بـرد تحيـة

وكان به عدة أمراض كل مرض منها يهد الجبال، منها

إلا فى بعض مسائل فى الأحوال الشخصية ، رأى من مصلحة المتقاضين أخذ أحكامها من المذاهب الثلاثة الأخرى وغيرها .

وأكثر أتباعه الآن من المتعلمين والموظفين والأمراء والأسر التركية ، ويقل فى الريف والصعيد .

ويغلب فى الشام والعراق وفى الجمهورية التركية وبلاد الألبان وسكان البلقان وفى الأفغان والهند وتركستان .

ويقل فى فارس واليمن والحجاز وفلسطين (الدين الإسلامى ٨٠-٨٣) .

وعن فقه أبى حنيفة كتب الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى يقول :

قال الشافعى رضى الله عنه : « الناس فى الفقه عيال على أبى حنيفة » وقال فيه عبد الله بن المبارك : « أنه مخ العلم » ، أى أنه يصل دائما إلى الباب الخالص من العلم فى غير انحراف . وقال فيه الإمام مالك بعد أن ناقشه فى مسائل مختلفة من العلم : « إنه لفقيه » .

فأبو حنيفة كان فقيها جليلا بلا ريب ، شغل عصره بفقهه ، واختلف الناس فى أمره ، لأنه أتاهم بطريقة فى التفكير الفقهى لم يسبق بها ، أو على الأقل لم يأخذ أحد بمقدار ما أخذ فيها ، مع استقلال فى التفكير ، واستقامة فى النظر فغضب عليه المتمسكون بظواهر النصوص الذين لا يتغلغلون فى أعماق معانيها ، ورموه بالخروج عن الجادة ، وغضب عليه أهل الانحراف الفكرى ، لأنهم وجدوه يضع دعائم ثابتة للاستنباط فى الفقه الإسلامى ، ويحد الحدود فيها .

منهاجه :

رسم أبو حنيفة منهاجا للاستنباط ، وإذا لم يكن مفصلا ، فإنه جامع لأنواع الاجتهاد . ولقد روى عنه أنه قال : « أخذ بكتاب الله ، فإن لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ ، فإن لم أجد فى كتاب الله تعالى ، ولا سنة رسول الله ﷺ ، أخذت بقول أصحابه ، أخذ بقول من شئت منهم ، وأدع من شئت منهم ، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم . فأما إذا انتهى الأمر إلى إبراهيم (أى النخعي) والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيب ... فقوم اجتهدوا ، فأجتهد كما اجتهدوا »

(١) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم وكان أكبر أصحاب أبى حنيفة ، وهو الذى نشر علم الإمام فى أقطار الأرض كما سيجىء ، وكانت وفاته سنة ١٨٣ هـ .

(٢) ومحمد بن الحسن الشيبانى وقد أخذ عن أبى حنيفة طريقة أهل العراق ، وأتمها على أبى يوسف بعد وفاة الإمام . وكانت كتبه مرجع الحنفية فى مذهبهم وتوفى سنة ١٨٩ هـ .

(٣) وزفر بن الهذيل الكوفى المتوفى سنة ١٥٨ هـ . وقد وصل هؤلاء الثلاثة إلى مرتبة الاجتهاد ، وخالفوا إمامهم فى كثير من آرائه ، وإذا قيل « الصاحبان » فى هذا المذهب كان المراد . أبى يوسف . ومحمدا .

وقد استكثر أبو حنيفة وأصحابه من القياس ومهروا فيه ؛ لأن الحديث كان بالعراق قليلا ؛ ولهذا قيل لهم أهل رأى .

نشأ هذا المذهب بالكوفة (موطن الإمام) رضى الله عنه ! ثم انتشر منها فى سائر بلاد العراق وكثير من البلاد الإسلامية . وسبب انتشاره أن الرشيد حين ولى الخلافة عهد بالقضاء إلى الإمام أبى يوسف ، ووكل إليه تولية القضاة فى العِمالات ، فكان لا يولى إلا من كان على مذهبه .

ففسا هذا المذهب فى بغداد ومصر وبلاد الروم وبلاد فارس وبعض بلاد اليمن وغيرها ، واستمر كذلك مدة الخلفاء العباسيين لإيثارهم الحنفية بالقضاء .

وأول من أدخله مصر إسماعيل بن اليسع الكوفى أول قاض حنفى بمصر ، ولاه المهدي ، ثم فسا فيها بعد ذلك مدة الرشيد ومن بعده من الخلفاء .

ولما جاء الفاطميون غصوا من هذا المذهب ؛ لأنه مذهب الدولة العباسية المناوئة لهم بالمشرق ، فلم تكن له سوق نافذة بمصر (أى رائجة) .

وفى مدة الدولة الأيوبية كثر الحنفية بمصر ، وفى عهد الدولتين التركية والشركسية عاد أهل هذا المذهب إلى القضاء بعد انقطاعه عنهم .

ولما استولى العثمانيون على مصر حصروا القضاء فى أهله ، فأصبح مذهب أمراء الدولة ، ورغب كثيرون من أهل العلم فيه لتولى القضاء .

شيوعه فى عصرنا (فى سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢) :

وهو مذهب الدولة المصرية والمتبع فى القضاء والإفتاء

على حكمه بأمر آخر منصوص على حكمه لعللة جامعة بينهما، فهو فى حقيقته حمل على النص، بأن تتعرف الأسباب والأوصاف المناسبة للحكم الذى نص عليه، حتى إذا عرفت علته طبق الحكم فى كل موضع تنطبق فيه العلة. ولقد سماه بعض العلماء تفسيراً للنصوص. وأبو حنيفة قد بلغ فى الاستنباط بالقياس الذروة، وبه بلغ ما بلغ فى المرتبة الفقهية... كان يبحث عن العلة فإذا وصل إليها أخذ يختبرها، ويفرض الفروض، ويقدر وقائع لم تقع ليطبق عليها العلة التى وصل إليها. وذلك النوع من الفقه يسمى الفقه التقديرى، إذ تقدر وقائع لم تقع، ثم يذكر حكمها، وهذا لاختبار العلة التى وصل إليها.

٥ - الاستحسان : والاستحسان أن يخرج عن مقتضى القياس الظاهر، إلى حكم آخر يخالفه : إما لأن القياس الظاهر قد تبين من الاختيار عدم صلاحيته فى بعض الجزئيات، فيبحث عن علة أخرى، ويسمى العمل بموجب هذه العلة القياس الخفى. وإما لأن القياس الظاهر قد عارضه نص، فإنه يترك لأجل النص، لأن العمل بموجب القياس يكون إذا لم يكن نص، وإما لأن القياس خالف الإجماع، أو خالف العرف، فإنه يترك القياس، ويؤخذ بما انعقد عليه الإجماع أو العرف.

٦ - الإجماع : وهو فى ذاته حجة، ثم هو إجماع المجتهدين فى عصر من العصور على حكم من الأحكام. وقد اتفق العلماء على أنه حجة، ولكن اختلفوا فى وجوده بعد عصر الصحابة. وقد أنكره الإمام أحمد فى غير عصر الصحابة لإمكان اجتماعهم واتفاقهم، ولا يمكن اجتماع الفقهاء بعد عصر الصحابة.

٧ - العرف : وهو أن يكون عمل المسلمين على أمر لم يرد فيه نص من القرآن أو السنة أو عمل الصحابة، فإنه يكون حجة... والعرف قسمان : عرف صحيح، وعرف فاسد. فالعرف الصحيح هو الذى لا يخالف نصاً، والعرف الفاسد هو الذى يخالف نصاً. والعرف الفاسد لا يلتفت إليه، والعرف الصحيح حجة فيما وراء النص.

نقل مذهب أبى حنيفة :

لم يؤلف أبو حنيفة كتاباً، إلا رسائل صغيرة نسبت إليه،

وهذا الكلام يدل على أنه يأخذ بالكتاب، ثم السنة، ثم أقوال الصحابة، ولا يأخذ بأقوال التابعين... وإن هذا هو الاجتهاد بالنصوص. أما الاجتهاد بغير النصوص، فقد جاء فى المناقب للمكى عن أحد معاصريه ما نصه :

« كلام أبى حنيفة أخذ بالثقة وفرار من القبح، والنظر فى معاملات الناس، وما استقاموا عليه، وصالح عليه أمورهم. يمضى الأمور على القياس، فإذا قبح القياس يمضيها على الاستحسان ما دام يمضى له، فإذا لم يمض له رجع إلى ما يتعامل المسلمون به. وكان يوصل الحديث المعروف الذى أجمع عليه، ثم يقيس عليه ما دام القياس سائغاً، ثم يرجع إلى الاستحسان : أيهما كان أوفق رجع إليه. قال سهل : هذا علم أبى حنيفة، وهو علم العامة ».

والمنهاج الذى رسمه أبو حنيفة لنفسه يقوم على أصول سبعة :

١ - الكتاب : وهو عمود الشريعة وحبل الله المتين، ونور الشرع الساطع إلى يوم القيامة. وهو كل الشريعة، إليه ترجع أحكامها، وهو مصدر المصادر لها، وما من مصدر إلا يرجع إليه فى أصل ثبوته.

٢ - السنة : وهى المينة لكتاب الله، المفصلة لمجمله. وهى تبليغ النبى ﷺ رسالة ربه، فهى بلاغ لقوم يوقنون، ومن لم يأخذ بها، فإنه لا يقر بتبليغ النبى ﷺ لرسالة ربه.

٣ - أقوال الصحابة : لأنهم هم الذين بلغوا الرسالة، وهم الذين عاينوا التنزيل، وهم الذين يعرفون المناسبات المختلفة للآيات والأحاديث، وهم الذين حملوا علم الرسول ﷺ، إلى الأخلاف من بعده.

ولست أقوال التابعين لها هذه المنزلة، لأنه فرض فى أقوال الصحابة أنها كانت بالتلقى عن رسول الله ﷺ، ولم تكن بالاجتهاد المجرد. وأن بعض أقوالهم، أو أكثرها مبنية على أقوال للنبي، وإن لم يرووا الأقوال فإن أبا بكر وعمر وعلياً وغيرهم لم يرووا أحاديث عن النبى ﷺ بمقادير تتناسب مع طول صحبتهم وملازمتهم للنبي ﷺ فلا بد أنهم كانوا يفتنون بأقوال النبى من غير أن ينسبوا إليه خشية الكذب عليه ﷺ.

٤ - القياس : فهو يأخذ بالقياس إذا لم يكن نص من قرآن أو سنة أو قول لصحابه. والقياس هو إلحاق أمر غير منصوص

وانتشر المذهب الحنفى فى كل بلد كان للدولة العباسية سلطان فيه ، وكان يخف سلطانة كلما خف سلطانها ، غير أن بعض البلاد تغلغل فيه بين الشعب ، وبعض البلاد كان فيه المذهب الرسمى من غير أن يسود بين الشعب فى العبادات ... فكان فى العراق وما وراء النهر والبلاد التى فتحت فى المشرق المذهب الرسمى ، وكان مع ذلك مذهبا شعبيا ، وإن نازعه فى بلاد التركستان وما وراء النهر المذهب الشافعى فى وسط الشعب وكانت المناظرات تجرى بين الشافعية والحنفية ، وكانت المآتم تحيا بالمناظرات الفقهية ، فكانت هى العزاء . ومن المناظرات الفقهية المستمرة تولدت الأدلة المختلفة ، فتولد عنها علم ، ولم تتولد عنها عداوة .

وإذا تركنا العراق وما وراءه من بلدان المشرق نجد المذهب الحنفى يسود فى الشام شعبا وحكومة ، حتى إذا جاء إلى مصر وجد المذهب المالكى والمذهب الشافعى يتنازعاں السلطان فى الشعب المصرى : الأول لإقامة كثيرين من تلاميذ الإمام مالك ، والثانى لإقامة الشافعى بمصر فى آخر حياته ، ودفنه بها . وكان للمذهبين علماء أجلاء ، فلما جاء المذهب الحنفى كان له سلطان رسمى ، ولم يكن له سلطان شعبى ، حتى جاءت الدولة الفاطمية فأزالت ذلك السلطان ، وأحلت محله المذهب الشيعى الإمامى ، حتى إذا حل محلهم الأيوبيون قوروا نفوذ المذهب الشافعى ، حتى جاء نور الدين الشهيد ، فأراد نشر المذهب الحنفى فى الشعب ، وأنشأ له المدارس . ولما جاءت دولة المماليك جعلت القضاء بالمذاهب الأربعة ، حتى آل الأمر إلى محمد على ، فأعاد إلى المذهب الحنفى صفته الرسمية منفردا .

ولم يتجاوز المذهب الحنفى بلاد مصر إلى المغرب إلا فى عهد أسد بن الفرات ، وكان ذلك زمنا قصيرا ، لأن دولة الأغالبة كانت ذات سلطان ، وانفرد المذهب المالكى بالنفوذ فى المغرب والأندلس (« أبو حنيفة » / ٣٦٩ - ٣٧١ ، ٣٧٥ - ٣٧٧)

ويقول الأستاذ محمد إسماعيل إبراهيم : إن من الثابت أن أبا حنيفة لم يتول أى وظيفة من وظائف الدولة أو يشغل أى عمل قضائى يمكن أن يمارس فيه أبحاثه الفقهية ممارسة عملية تجريبية وإنما كان منهجه التدقيق وإطالة النظر فى أهداف الفقه دون وقائع حدثت تحتاج إلى حكم ، أى أن أبا

كرسالتة المسماة الفقه الأكبر ، وكرسالتة العالم والمتعلم ، ورسالتة إلى عثمان بنى المتوفى عام ١٣٢ هـ ، ورسالتة فى الرد على القدرية . وهذه الرسائل كلها فى علم الكلام أو المواعظ . ولم يؤلف كتابا فى الفقه ، بل إن تلاميذه هم الذين قاموا بمدرسته وتدوين آرائه ، والآثار التى رواها .

وأخص هؤلاء التلاميذ الذين قاموا بحفظ آثار فقيه العراق وآرائه : تلميذان جليلان سميا فى تاريخ الفقه الإسلامى باسم الصاحبين لتلازمهما وطول صحبتهما ، وقيامهما على المدرسة الفقهية التى أنشأها شيخهما ، وهما : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى نسا ، والذى يكنى بأبى يوسف ، ومحمد بن الحسن (انظر كلا تحت عنوانه) .

وقد نما المذهب الحنفى بالاستنباط والتخريج نموا عظيما ، وكانت عوامل نموه ترجع إلى ثلاثة أمور :

أولها : كثرة تلاميذ أبى حنيفة ، وعنايتهم بنشر آرائه وبيان الأسس التى قام عليها فقهه ، وقد خالفوه فى القليل ووافقوه فى الكثير ، وعنوا ببيان دليله فى الوفاق وفى الخلاف معا .

وقد أكثروا من التفريع على آرائه ، وبيان الأقيسة التى قام عليها التفريع .

وثانيها : أنه جاء بعد تلاميذه طائفة أخرى عنيت باستنباط علل الأحكام ، وتطبيقها على ما يجد من الوقائع فى العصور ، وأنهم بعد أن استنبطوا علل الأحكام التى قامت عليها فروع المذهب جمعوا المسائل المتجانسة فى قواعد عامة شاملة ، فاجتمع فى المذهب التفريع ووضع القواعد والنظريات العامة التى تجمع أشتاته . وتوجه إلى كلياته .

وثالثها : انتشاره فى مواطن كثيرة ذات أعراف مختلفة ، وتتولد فيها أحداث تقتضى تخريجات كثيرة ، وذلك لأنه كان يعتبر مذهب الدولة العباسية الرسمى ، فمكث بهذا أكثر من خمسمائة سنة يطبق فى نواحي البلاد الإسلامية ، وذلك لأن الرشيد عين أبا يوسف قاضيا لبغداد ، وما كان القضاء يعينون إلا باقتراحه فى كل الأقاليم فكان لا يعين إلا من يعتنق المذهب العراقى ، وبذلك عم وذاع .

وإن الأعراف المختلفة تنمى الاستنباط بلا ريب وخصوصا أن من أصول الاستنباط فى المذهب الحنفى العرف فى غير موضع النص ، وعندما يكون الاستنباط بالقياس .

البلاد التى ذاع فيها المذهب الحنفى :

فكان فكره فى ذلك أصح وأدق ما كان من تشريع مستمد من الكتاب والسنة (أئمة المذاهب الأربعة / ٦٠ ، ٦١) .

وعن المؤلفات فى المذهب الحنفى من كتب ومخطوطات يقول الدكتور محمد الزحيلي :

وأهم كتب الحنفية كتب ظاهر الرواية الستة للإمام محمد ابن الحسن (وهى الجامع الكبير والجامع الصغير ، والسير الكبير والسير الصغير ، والمبسوط أو الأصل ، والزيادات) وتمثل الآراء الراجحة فى المذهب الحنفى ، ثم كتب النوادر للإمام محمد أيضا (وهى الجرجانيات والهارونيات والكيانيات والرقيات) وكتاب الكافى للحاكم الشهيد المروزي (٣٧٤ هـ) الذى جمع كتب ظاهر الرواية وصاغها من جديد ، وحذف المكرر ، والمبسوط للسرخسى (٤٨٣ هـ) الذى شرح كتاب الكافى بأسلوب سهل مبسط ، مع الأدلة والمناقشة والمقارنة ، ثم كتاب بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع للكاساني (٥٨٧ هـ) الذى شرح فيه كتاب تحفة الفقهاء للسمرقندى (٥٣٩ هـ) ومختصر الهداية للمرغيناني (٥٩٣ هـ) وهو أشهر وأهم مختصر فى الفقه الحنفى ، وعليه شروح كثيرة أهمها فتح القدير للكمال بن الهمام (٨٦١ هـ) ثم كتاب رد المختار المعروف بحاشية ابن عابدين (١٢٥٢ هـ) وهو حاشية على شرح الدر المختار للحصكفى ، على متن تنوير الأبصار للثمرتاشى ، وأخيرا مجلة الأحكام العدلية التى وضعتها لجنة من العلماء فى الدولة العثمانية وأصبحت قانونا مدنيا مستمدا من الفقه على المذهب الحنفى ، وصدرت الإرادة السنية بلزوم العمل بها سنة ١٢٩٣ هـ على جميع الأراضى للدولة العثمانية ، ومنها سورية والأردن وفلسطين ولبنان ، وسوف نعرف بأهم هذه الكتب فى المبحث الثالث .

ثم يقول عن مخطوطات الفقه الحنفى فى مكتبة الأسد بدمشق :

لقد احتل المذهب الحنفى مكانة مرموقة فى بلاد الشام منذ العصر العباسى عندما زاحم مذهب الأوزاعى ، ثم صار المذهب الرسمى طوال هذه المدة - تقريبا - حتى نهاية الدولة العثمانية ، وأنشئت مدارس كثيرة لتدريسه ، وآلت مناصب الإفتاء والقضاء - غالبا - إلى علمائه الذين قاموا برعايته وخدمته ونشره وتنقيحه والتأليف فيه .

حنيفة كان فقيها يعمل ويفكر ويتحرك على أرض المسرويات باحثا عن الحكم الذى يمكن أن يستنبط منها سواء أكان حكما لأمر واقع أو ليتم به تدبيرا تشريعا لحادثة يمكن أن يحدث مثلها وهذا هو ما عرف باسم الفقه الفرضى أو التقديرى المبني على مسائل فرضية وتقديرية .

ومن أمثلة ما مارسه أبو حنيفة فى هذا الفقه التقديرى أنه كان يفرض قضية غير واقعية ويعرضها على تلاميذه ثم يطلب إلى كل منهم البحث والتفكير فى استنباط الحكم الصحيح لها فيدلى كل واحد من التلاميذ برأيه ويعرض كل منهم على الأستاذ رأيه ، وبعد مناقشته لأرائهم جميعا ويختار الحل الصحيح الذى يقبله يقوم التلاميذ بتدوينه لديهم كراى فقهي يرضاه أبو حنيفة ، بهذه الطريقة وغيرها جمع هؤلاء التلاميذ آراء أستاذهم ودونوها لتكون أساسا للمذهب الحنفى فى التشريع .

ولم يعرف عن أبى حنيفة أنه اشتغل فى حياته بتأليف أى كتب تشمل أصول مذهبه ، وإنما الذين اهتموا بتدوين آرائه فى الفقه هم تلاميذه من بعده وأخصهم أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى اللذين كانا ألصق تلاميذه به وأشربا روح تفكيره ومنهجه ، وقد أنس خلفاء الدولة العباسية من أن فقه أبى حنيفة القائم على مدرسة الراى هو أصلح ما يلائم التطور العمرانى الجديد فى العراق لذلك أسندوا إلى أبى يوسف ومحمد وظائف القضاء فى العراق وما جاورها .

لقد كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله - كما أوردنا فى ترجمته - تاجرا ذا خبرة واسعة بالأعمال التجارية ومعاملاتها وقد كان قسم وقته بين التجارة والفقه والعبادة قسمة عادلة فهو فى الليل العابد المتهجد وفى ضحوة النهار التاجر الذى يتولى العقود حتى إذا جاء الغداة عكف على العلم دارسا ومذاكرا أو مؤصلا الأصول ومفرعا الفروع وكان خبير من يشرع بين الناس فى معاملاتهم التجارية بيعا وشراء لمعرفته بكل ما يقره الشرع .

وقد صار من الضرورى لبلاد العراق من تشريع ينظم المعاملات التجارية بحكم ما صارت إليه العراق من مركز تجارى عظيم بين الدول المحيطة بها وحاجة أهلها إلى فقه أبى حنيفة الذى مارس التجارة على اختلاف صورها وفى جميع موادها ممارسة عملية بحكم عقلية المالية التجارية

وظهر منهم علماء أجلاء ، وتركوا لنا تراثا زاخرا ، وثروة فقهية عظيمة ، انحصر أكثرها فى الظاهرية بدمشق ، والأحمدية بحلب ، ثم ضم القسمان إلى مكتبة الأسد .

١ - مخطوطات الظاهرية فى الفقه الحنفى كثيرة ، وقد وضع فهرسا لها الأستاذ محمد مطيع الحافظ ، ونشر الفهرس مجمع اللغة العربية بدمشق فى جزأين ، وكشف الفهرس عن « كتب كثيرة كانت فى عالم النسيان » وأخرى مثلها فريدة لا نظير لها فى مكتبات العالم ، ومؤلفات لعلماء شاميين بخطوط مؤلفيها ومجاميع فقهية نادرة ، كان للظاهرية فضل حفظها وصيانتها من العابثين والجاهلين ، ثم انتقلت إلى مكتبة الأسد لتأخذ الحظ الأوفى فى الرعاية والعناية والترميم والحفظ ، وترنو بأعناقها إلى الأيدى الحانية لإخراجها إلى النور ، وتحقيقها وطبعها ، ليطلع الخلف على تراث الآباء والأجداد ، ويستفيدوا من اللبنيات والبنيان الذى شيده للعالم ، وحملوا فيه مشعل النور والحضارة للأمة ، وتغضى مختلف جوانب الحياة والأحكام العملية التى تبين حكم الله تعالى فى كل صغيرة وكبيرة ، ويمكن الرجوع للفهرس للاستفادة منه .

قالت المؤلفة : هذا الفهرس المشار إليه اشتريته من مجمع اللغة العربية بدمشق أثناء زيارتنا الأولى لها من الإثنين ٢ صفر ١٤١٢ هـ / ١٢ أغسطس ١٩٩١ م إلى الخميس ١٢ صفر / ٢٢ أغسطس . وتنقل مواده تباعا فى هذه الموسوعة وفقا لترتيب ورودها . وقد حرصت عند إدخال كل مخطوط إلى التنويه بأنه قد يكون بمكتبة الأسد الآن وتم نقله من دار الكتب الظاهرية ، وذلك تنبيها للدارسين والباحثين فى مصر ممن يحتاجون إلى الحصول على نسخة من مخطوطاتها . وقد تأكدنا من ذلك بزيارتنا لقسم المخطوطات بمكتبة الأسد ، التى تقع على مقربة من دار الكتب الظاهرية .

٢ - مخطوطات الفقه الحنفى فى المكتبة الأحمدية بحلب التى ضمت إلى مكتبة الأسد أيضا وجاءت فى الفهرس الخطى ويضاف إلى ذلك رسائل فى الفقه الحنفى جاءت فى مجاميع ، وصنفت فى فهرس مخطوطات الظاهرية - مجاميع (١ / ٤٥٢ - ٤٥٥) (٢ / ٤٠٢) (مرجع العلوم الإسلامية / ٣٦٥ - ٣٦٧) .

ويقول الأستاذ محمد مطيع الحافظ :

ونستطيع التعرف على مدى انتشاره فى بلاد الشام وبخاصة دمشق من خلال المدارس التى شادها الخلفاء والملوك والولاة فى تدريس الفقه الحنفى ، إذ كانت أول مدرسة أنشئت بدمشق هى المدرسة الصادرة (قرب المسجد الجامع الأموى) وقد تم بناؤها سنة ٣٩١ هـ - وهى مدرسة شرط واقفها تعليم الفقه الحنفى فيها ، ويجد الباحث أسماء المدارس التى كانت تقوم بتدريس المذهب الحنفى إلى جانب علوم أخرى وهى إحدى وخمسون مدرسة فى كتاب النعمى : « المدارس فى تاريخ المدارس » . وفى هذه المدارس نشأ كثير من كبار العلماء الأحناف مثل أبى الحسن الكرخى وعمر الخبازى وتاج الدين الكندى ، وجلال الدين الرازى وجمال الدين الحصىرى ، ثم أنشأ العثمانيون بعض المدارس فتابعت تدريس الفقه الحنفى فيها ، ونجد وصفا لها فى ذيل كتاب ثمار المقاصد ليوסף بن عبد الهادى والذى وضعه الدكتور محمد أسعد طلس كالمدرسة المرادية والبخارية ومدرسة الخياطين ومدرسة العظم والفتحية ... وغيرها وقد ضمت هذه المدارس مكتبات كثيرة وكتبا قيمة ، فيها مجموعات ضخمة من كتب الفقه الحنفى ، ثم ازدادت هذه الثروة نماء بما انضاف إليها من هدايا مثل مكتبة الشيخ عبد الغنى النابلسى ، ومكتبة نقيب أشراف الشام الأستاذ محمد سعيد آل حمزة رحمه الله ومكتبة الشيخ عبد الله الكزبرى ومكتبة الشيخ حامد التقي وغيرها .

لقد ظفر المذهب الحنفى فى العهود المتتابعة فى ظل الخلافة العباسية والدولة النورية والخلافة العثمانية بالحظوة الكبيرة ، فكان المذهب الرسمى والسائد فى الشام ومصر والعراق والهند والصين وبخارى ...

وقد تتابعت دراسات العلماء لهذا المذهب فاستنبطوا أصوله ، ثم خرجوا الفروع على هذه الأصول مستفيدين من أقوال الإمام الأعظم وأصحابه ، معتمدين على مرونة التخرج وقوة الترجيح .

ولهذا أضحي الفقه الحنفى بفضل عبقرية الإمام الأعظم وموهبته الفذة وبفضل الاجتهادات التى لم تنقطع أو لم تكد غنيا ثريا ، الأمر الذى حدا بالإمام الشافعى رضى الله عنه إلى

إطلاق قبولته الشهيرة : « الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة » (فهرس الظاهرية ١/ ٧-٩) .

(الدين الإسلامي - الشيخ حسن منصور ، والشيخ عبد الوهاب خير الدين ، والشيخ مصطفى عناني ٢ / ٨٠-٨٣ ، و « أبو حنيفة » - الإمام محمد أبو زهرة . دائرة معارف الشعب كتاب الشعب ٨٨ ، مطابع الشعب ١٩٦٠ / ٣٦٩-٣٧١ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، وأئمة المذاهب الأربعة - محمد إسماعيل إبراهيم / ٦٠ ، ٦١ ، ومرجع العلوم الإسلامية - د. محمد الزحيلي / ٣٦٥-٣٦٧ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفي - وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٧-٩) .

* ابن الحنفية (٢١-٨١ هـ / ٦٤٢-٧٠٠ م) :

محمد بن علي بن أبي طالب ، الهاشمي القرشي ، المدني ، أبو القاسم ، المعروف بابن الحنفية ، من كبار التابعين ، أحد فقهاء المدينة ، وأحد الأبطال الأشداء الأقوياء في صدر الإسلام . ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وهو أخو الحسن والحسين ، غير أن أمهما فاطمة الزهراء ، وأمّه خولة بنت جعفر الحنفية ، وينسب لها تمييزا له عنهما ، وكان يقول : « الحسن والحسين أفضل مني ، وأنا أعلم منهما » كان كثير العلم والورع ، سمع من أبيه وعثمان ، وروى عنه بنوه الحسن وعبد الله وعون وإبراهيم وجماعات من التابعين ، وكان اسمه وكنيته رخصة لعلي رضي الله عنه ، قال علي : « قلت : يا رسول الله ، إن ولد لي مولود بعدك أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك ؟ قال : نعم » وكان كثير الإسناد عن والده وكان ثقة ، وأخرج أحاديثه أصحاب الكتب الستة قال الحافظ إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد : « لا نعلم أحدا أسند عن علي عن النبي ﷺ أكثر ، ولا أصح ، مما أسنده محمد ابن الحنفية » وكان أسود اللون ، وله أخبار طريفة في القوة والشجاعة ، وكان يحمل راية أبيه بصفين ، وكان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته . ويزعم أنه المهدي ، وكانت الكيسانية (وهي فرقة من فرق المسلمين ، تنسب إلى المختار ، أو إلى كيسان مولى علي) تزعم أنه لم يمت ، وأنه مقيم بجبل رضوى ، عنده غسل وماء ، وأنه سيرجع ، توفي بالمدينة سنة ٨١ هـ ، وقيل غير ذلك ، وقيل : خرج إلى الطائف هاربا من ابن الزبير ، فمات هناك (مرجع العلوم الإسلامية / ٨٦) .

وقد ذكر الشيخ الشبلنجي مناقب ابن الحنفية فقال :

في طبقات الشعراني كان يقول رضي الله عنه من كرمته عليه نفسه لم يكن عنده للدنيا قدر وكان يقول ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له مخرجا . ولما كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتوعده ويحلف ليحملن إليه مائة ألف في البر ومائة ألف في البحر أو يؤدي إليه الجزية كتب عبد الملك إلى الحجاج أن اكتب إلى محمد ابن الحنفية تتهدده وتتوعده ثم اعلمني بما يرد عليك فكتب إليه فأرسل محمد ابن الحنفية كتابه إلى الحجاج يقول إن الله عز وجل ثلثمائة وتسعين نظرة إلى خلقه وأنا أرجو أن ينظر إليّ نظرة يمنعي بها منك فبعث الحجاج بذلك الكتاب إلى عبد الملك فكتب مثل ذلك إلى ملك الروم فقال ملك الروم هذا ما خرج منك ولا كتبت أنت به ولا خرج إلا من بيت نبوة . لما بلغ محمدا مسير أخيه الحسين رضي الله عنهما إلى الطف وكان بين يديه طشت يتوضأ فيه بكى حتى ملأه من دموعه (كرامة) مر زيد بن علي زين العابدين بمحمد ابن الحنفية فنظر إليه وقال أعيذك بالله أن تكون زيد بن علي المصلوب بالعراق فكان كما قال كذا في الخطط ومن كلامه رضي الله عنه وكل الله الجهل بالعطاء والعقل بالحرمان ليعتبر العاقل وليعلم أن ليس له من الأمر شيء حكى أبو طالب المكي في القوت أن عليا رضي الله عنه قال لابنه محمد ابن الحنفية وقد قدمه أمامه يوم الجمل اقدم اقدم ومحمد يتأخر وهو يكرهه بقائم الرمح فالتفت إليه محمد وقال هذه والله الفتنة المظلمة العمياء فوكزه علي بالرمح وقال له تقدم لا أم لك أتكون فتنة أبوك قائد لها وسائقها . وكانت الشيعة تسميه المهدي وهو يقول كل مؤمن مهدي وكان صاحب راية أبيه يوم الجمل وكان شجاعا كريما فصيحاً توفي محمد ابن الحنفية رضي الله عنه بالمدينة المنورة سنة إحدى وثمانين من الهجرة كذا في مختصر التواريخ ويقال إنه مات بالطائف (نور الأبصار / ١٨١) .

(مرجع العلوم الإسلامية - د. محمد الزحيلي / ٨٦ وما جاء بهامش

(١) من مصادر ، ونور الأبصار في مناقب آل النبي المختار للشبلنجي .

ط دار الغد العربي / ١٨١ ، ١٨٢ . انظر أيضا الأعلام للزركلي ٦ / ٢٧٠)

* أبو حنيفة الاتقاني (٦٨٥-٧٥٨ هـ / ١٢٨٦-١٣٥٧ م) :

أحد الذين تولوا مشيخة مدرسة الإمام أبي حنيفة ببغداد .

وهو الإمام لطف الله أمير كاتب العميد ابن أمير عمر بن

أمير غازي قوام الدين المكنى بأبي حنيفة الاتقاني الفارابي .

ولد في اتقان في شوال سنة ٦٨٥ هـ ، وأخذ عن أحمد بن أسعد الخريفي عن وعن حميد الدين علي الضرير البخاري وغيرهم من علماء عصره ومصره . حتى نبغ وبرع ، وصار رأسا لعلماء الحنفية ، بارعا في الفقه واللغة والأدب والتفسير والحديث . وكان كثير الإعجاب بنفسه . شديد التعصب لمذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه .

وله من التصانيف شرح المنتخب الحسامي وسماه (التبيين) وله شرح على كتاب الهداية سماه (غاية البيان ونادرة الأقران) وقدم بغداد ، وكان خبره قد ذاع فيها ، وانتشر صيته ، فاستقبله العلماء فيها وأكرموه وأخذوا عنه ، وقد ولى التدريس بمدرسة الإمام أبي حنيفة بالمشهد .

وزار دمشق سنة ٧٤٧ هـ واجتمع بنائب السلطنة فيها . وولاه تدريس دار الحديث الظاهرية . ومنها زار مصر سنة ٧٥١ هـ ، وقابل الأمير صرغتمش فأكرمه وبنى له المدرسة الصرغتمشية ، ثم عاد إلى بغداد وولى قضاءها ، ثم رحل إلى دمشق ثانية .

توفي في الحادي عشر من شوال سنة ٧٥٨ هـ .

راجع الفوائد البهية / ٥٠-٥٢ وكشف الظنون ٢ / ١١٩١ (مدرسة الإمام أبي حنيفة - وليد الأعظمي / ٦٩) .

انظر : أبو حنيفة (مدرسة الإمام -) .

✽ أبو حنيفة (الإمام الأعظم -) (٨٠-١٥٠ هـ / ٦٩٩-٧٦٧ م) :

هو النعمان بن ثابت ، التيمى بالولاء ، الكوفي ، أبو حنيفة إمام الحنفية ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة . كان عالما عاملا ، زاهدا ، عابدا ، ورعا ، تقيا ، كثير الخشوع ، دائم التضرع إلى الله تعالى . ولد سنة ٨٠ هـ ، وأدرك أربعة من الصحابة هم : أنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى وسهل بن سعد الساعدي وأبو الطفيل عامر بن واثلة ، ولم يلق أحدا منهم ولا أخذ عنه ، وأصحابه يقولون : لقي جماعة من الصحابة ، وروى عنهم ولم يثبت ذلك عند أهل النقل . وفي « تاريخ بغداد » أنه رأى أنس بن مالك . أصله من أبناء فارس ، ولد ونشأ بالكوفة ، وكان خزايا يبيع الخبز ويطلب العلم في صباه ، ثم انقطع للتدريس والإفتاء . وأراد يزيده بن عمر

بن هبيرة الفزارى أمير العراقيين على القضاء بالكوفة أيام مروان بن محمد - آخر ملوك بني أمية - فامتنع ورعا ، فضربه ١١٠ أسواط ، كل يوم ١٠ أسواط ، وهو على الامتناع ، فلما رأى ذلك خلى سبيله ، وأراد المنصور العباسي بعد ذلك على القضاء ببغداد ، فأبى ، فحلف عليه ليفعلن ، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل ، فحبسه إلى أن مات وكان قوى الحججة ، من أحسن الناس منطقا . قيل لمالك بن أنس : « هل رأيت أبا حنيفة ؟ فقال : نعم ، رأيت رجلا لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته » . وعن الإمام الشافعي : « الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة » وقال جعفر بن ربيع : « أقمت على أبي حنيفة خمس سنين ، فما رأيت أطول صمتا منه ، فإذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادي ، وسمعت له دويا وجهارة في الكلام » توفي سنة ١٥٠ هـ . وكانت وفاته في السجن له « مسند » في الحديث جمعه تلاميذه ، و « الخارج » في الفقه ، رواه عنه تلميذه أبو يوسف . (كتاب الوفيات / ١٢٩) .

روى الحديث وأخذه عن الصحابة ، ودون تصانيفهم ، مثل كتاب « الآثار » لمحمد بن الحسن ، وفي تصانيف أبي يوسف منه الكثير ، وجمع أبو محمد الحارثي بعد الثلاثمائة مسندا من حديثه في مجلد ، رواه عن أبي حنيفة الحسن بن زياد اللؤلؤي ، ورتبه على أبواب الفقه قاسم بن قطلوبغا ، وشرحه السيوطي في التعليقة المنيفة ، وملا على القاري ، والملا محمد حسن في « تنسيق النظام بشرح مسند الإمام » وجمعه أيضا أبو بكر بن المقرئ في مسند أقل من مسند الحارثي ، وجمع أبو الخير بن المظفر له مسندا ، وجمع ابن خسرو له مسندا .

جمع له محمد بن محمود الخوارزمي خمسة عشر مسندا جمعتها فحول المحدثين ، وذكر أيوب الخلوتي أن له سبعة عشر مسندا .

أخذ أبو حنيفة الفقه والحديث عن حماد بن أبي سليمان ، وعطاء ، ونافع ، وابن هرمز ، وقتادة ، وعمرو بن دينار ، وغيرهم وتفق به وروى عنه أصحابه : زفر ، وأبو يوسف ، والحسن ابن زياد ، وأبو مطيع البلخي ، وابن المبارك ، ووكيع ، وداود الطائي وغيرهم .

شهد له العلماء بالفقه وجودة الرأي ، وقرأ عليه علماء الكوفة وبغداد ، وتخرج عليه منها الأئمة من أصحابه .

ابن همام ، وحفص بن عبد الرحمن السلمى وعبيد الله بن موسى ، وأبو عبد الرحمن بن المقرئ ، ومحمد بن عبد الله الأنصارى ، وأبو نعيم ، وهوذة بن خليفة ، وأبو أسامة ، وأبو يحيى الحماني ، وابن نمير ، وجعفر بن عون ، وإسحاق بن سليمان الرازي ، وخلائق .

(مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه / ١١ ، ١٢) .

أبو حنيفة والحديث الشريف :

للإمام أبي حنيفة رحمه الله مسانيد كثيرة رواها جماعة من حفاظ الحديث ؛ قدامى ومحدثون :

قال في « شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ص ٥٤ » :

« ... ومنهم أبو حنيفة (أى ممن أخذ عن مالك) فقد ذكر غير واحد أنه لقي مالكا وأخذ عنه شيئا من الأحاديث .

وذكر الجلال السيوطي في كتابه « تزيين الممالك بترجمة الإمام مالك » أن رواية أبي حنيفة عن مالك ذكرها جماعة من المتقدمين والمتأخرين .

فمن المتقدمين : الدارقطني في كتابه ، وابن حجر ، والبخاري في « مسند أبي حنيفة » وهذا مسند آخر له رواه البزار الحافظ المشهور) « والخطيب البغدادي في كتب « الرواة عن مالك » .

وذكرها من المتأخرين : الحافظ مغلطي ، وسراج الدين البلقيني .

قال الزركشي في نكتته : « صنف الدارقطني جزءا في الأحاديث التي رواها أبو حنيفة عن مالك » .

وقال الحنفية : « أجل من روى عن مالك أبو حنيفة » اهـ بلفظه .

المسانيد التي ذكر الحافظ لأبي حنيفة :

ذكر في « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » أن للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت خمس عشرة مسندا ، سردها ورواتها ، فقال :

« مسند الإمام الأعظم أبي حنيفة : رواه حسن بن زياد اللؤلؤي » .

ورتب المسند المذكور الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفى ، برواية الحارثي على أبواب الفقه ، وله عليه « الأمانى » (ذكر

ولم يصل إلينا شيء من كتبه في الفقه ، وإنما وصلت إلينا كتب تلاميذه ولا سيما أبي يوسف ومحمد ، ويلقبان عادة بالصاحبين ، أى صاحبي أبي حنيفة . توفي الإمام أبو حنيفة ببغداد سنة ١٥٠ هـ ، وهو من الطبقة السادسة ، وقد انتشر مذهبه في العراق (المبكر / ٢٦١ - ٢٦٤) .

وهو أول من بوب الفقه وحرر فصوله ورتب قياسه وقال فيه بالرأى لكثرة الوضعاء من زنادقة العراق ، وحرصه على ألا يأخذ بالشك في دينه . فلم يصح عنده إلا سبعة عشر حديثا . (تاريخ الأدب العربي / ٣٨٢) .

شيوخ أبي حنيفة وأصحابه :

قال الذهبي :

تفقه بحماد بن أبي سليمان صاحب إبراهيم النخعي وبغيره وقال : اختلفت إلى حماد خمس عشرة سنة . وفي رواية أخرى عنه قال : صحبته عشرة أعوام أحفظ قوله وأسمع مسأله . وسمع الحديث من عطاء بن أبي رباح بمكة ، وقال : ما رأيت أفضل من عطاء . وسمع من عطية العوفى ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وعكرمة ، ونافع ، وعدى بن ثابت ، وعمرو بن دينار ، وسلمة بن كهيل ، وقتادة بن دعامة ، وأبي الزبير ، ومنصور ، وأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ، وعدد كثير من التابعين .

تفقه به جماعة من الكبار ، منهم زفر بن الهذيل ، وأبو يوسف القاضي ، وابنه حماد بن أبي حنيفة ، ونوح بن أبي مريم المعروف بنوح الجامع ، وأبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي ، والحسن بن زياد اللؤلؤي ، ومحمد بن الحسن ، وأسد بن عمرو القاضي . وروى عنه من المحدثين والفقهاء عدة لا يحصون ، فمن أقرانه مغيرة بن مقسم ، وزكريا بن أبي زائدة ، ومسعر بن كدام ، وسفيان الثوري ، ومالك بن مغول ، ويونس بن أبي إسحاق . وممن بعدهم زائدة ، وشريك ، والحسن بن صالح ، وأبو بكر بن عياش ، وعيسى بن يونس ، وعلي بن مسهر ، وحفص بن غياث ، وجريز بن عبد الحميد ، وعبد الله بن المبارك ، وأبو معاوية ، ووکیع ، والمحامري ، وأبو إسحاق الفزاري ، ويزيد بن هارون ، وإسحاق بن يوسف الأزرق ، والمعافي بن عمران ، وزيد بن الحباب ، وسعد بن الصلت ، ومكي بن إبراهيم ، وأبو عاصم النبيل ، وعبد الرزاق

العاشر : الإمام محمد بن حسن الشيباني ، والمروى عنه يسمى « نسخة محمد » .

الحادى عشر : ابنه الإمام حماد (هو : حماد بن أبى حنيفة سماه باسم شيخه) ورواه عن أبى حنيفة .

الثانى عشر : الإمام محمد أيضا ، وروى معظمه عن التابعين (أى ما رواه أبو حنيفة عن التابعين) وما رواه يسمى « الآثار » .

الثالث عشر : الإمام الحافظ أبو القاسم : عبد الله بن أبى العوام السعدى .

الرابع عشر : الإمام الحافظ حسين بن محمد بن خسرو البلخى المتوفى سنة ٥٢٣ هـ ، وقد خرج تخريجا حسنا .

الخامس عشر : الإمام الماوردى .

واختصره الإمام شرف الدين إسماعيل بن عيسى بن دولة الأوغانى المكي وسماه : « اختيار اعتماد المسانيد فى اختصار أسماء بعض رجال المسانيد » وتوفى سنة ٨٩٢ هـ . ذكر فيه نبذة من مناقب الإمام .

واختصره أيضا الإمام أبو البقاء : أحمد بن أبى الضياء محمد القرشى العدوى المالكي . أوله : « الحمد لله رب العالمين إلخ ... »

فهذا مختصر مسند الإمام الأعظم الذى جمعه الإمام أبو المؤيد الخوارزمى ، حذف الأسانيد منه ، وما كان مكررا ، وسميته « المستند فى مختصر المسند » .

واختصره محمد بن عباد الخلاطى المتوفى سنة ٦٥٢ هـ وسماه « مقتصد المستند » .

واختصره : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الحنفى . وجمع زوائده أيضا : حافظ الدين محمد الكرورى المعروف بابن البزار ، المتوفى سنة ٨٢٧ هـ .

وشرحه جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ وسماه « التعليقة المنيفة على مسند أبى حنيفة » .

واختصره بعضهم : أوله : الحمد لله الذى أكمل ديننا « إلخ ... قال : لما رأى المسند الكبير لأبى المؤيد الخوارزمى ووجده مطولا بالأسانيد ، فحذفه ، ثم وجد مختصرين من المسند الكبير : أحدهما للإمام جمال الدين محمود بن

الإمام العيني فى عمدة القارى « أنه قرأ منه إلى الجزء الخامس » ولعله هو الذى أوله : « أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد : عبد الله بن محمد بن يعقوب بن الحارث البخارى المصنف . حدثنا محمد بن المنذر بن سعيد الهرورى ، حدثنى أحمد بن عبد الله بن محمد الكندى بمصر ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا المبارك ، حدثنا أبو حنيفة ... » إلخ .

ومختصر المسند المسمى بـ « المعتمد لـ » جمال الدين محمود بن أحمد القونسوى الدمشقى « المتوفى سنة ٧٧٠ هـ ، ثم شرحه وسماه « المستند » .

وجمع « زوائده » أبو المؤيد : محمد بن محمود الخوارزمى المتوفى سنة ٦٦٥ هـ أوله : الحمد لله الذى سقانا بطوله من أصفى شرائع الشرائع إلخ .

قال : « وقد سمعت بالشام عن بعض الجاهلين بمقداره ما ينقصه ويستغفره ، ويستعظم غيره وينسبه إلى قلة رواية الحديث ، ويستدل على ذلك بمسند الإمام الشافعى وموطأ مالك . وزعم أنه ليس لأبى حنيفة مسند ، وكان لا يروى إلا عدة أحاديث ، فلحققتى حمية دينية ، فأردت أن أجمع بين خمسة عشر من مسانيده التى جمعها له فحول علماء الحديث :

الأول : الإمام الحافظ أبو محمد : عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثى المعروف بـ « عبد الله الأستاذ » .

الثانى : أبو القاسم طلحة بن محمد بن جعفر : « الشاهد العدل » .

الثالث : الإمام الحافظ : أبو الحسن محمد بن المطهر ابن موسى بن عيسى بن محمد .

الرابع : أبو نعيم : الحافظ الأصبهاني الشافعى صاحب حلية الأولياء .

الخامس : الشيخ أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصارى .

السادس : الإمام أبو أحمد : عبد الله بن عدلى العرجانى .

السابع : الحافظ عمر بن حسن الشيباني .

الثامن : أبو بكر أحمد بن محمد بن خالد الكلاعى .

التاسع : الإمام أبو يوسف القاضى : يعقوب بن إبراهيم

الأنصارى والمروى عنه يسمى : « نسخة أبى يوسف » .

أبى العباس القونوي، والثاني للإمام أحمد بن أبي الضياء المكي، ورأى الأول ما وفي المقصود، والثاني أتى به، لكنه ما حذف الحديث المكرر «أهـ بلفظه من كشف الظنون.

(مسند الإمام أبي حنيفة برواية الحصكفي / ١٨ - ٢٣).

وقد ذكر الكتاني مسند أبي حنيفة في كلامه على كتب الأئمة الأربعة فقال: ومسند إمام الأئمة ركن الإسلام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الفارسي الكوفي فقيه العراق المتوفى ببغداد سنة خمسين أو إحدى وخمسين ومائة، وله خمسة عشر مسنداً وأوصلها الإمام أبو الصبر أيوب الخلوتي في ثبته إلى سبعة عشر مسنداً كلها ينسب إليه لكونها من حديثه وإن لم تكن من تأليفه (الرسالة المستطرفة / ١٣).

قال الإمام أبو زهرة رحمه الله:

وقد مات أبو حنيفة كما يموت الصديقون والشهداء، وكان ذلك في عام ١٥٠ هـ. وقد كان في الموت راحة لذلك الضمير المعنى، ولذلك الوجدان الديني المرهف، وذلك القلب القوى، والعقل الجبار، وتلك النفس الصبور التي لاقت الأذى فاحتلمته، لاقتنه من المخالفين في الآراء، ورميت بكل رمية، فتحملت ما رميت به مطمئنة راضية مرضية، ولقيت الأذى من السفهاء، ثم لقيته من الأمراء ثم الخلفاء، وما ضعفت وما وهنت، وإذا كان للنفس جهاد، ولجهادها ميادين، فأبو حنيفة رضي الله عنه كان من أعظم أبطال ذلك النوع من الجهاد، وممن انتصر في كل ميادينه، وكان جليداً في جهاده، حتى وهو يلفظ النفس الأخير. فهو يوصى بأن يدفن في أرض طيبة لم يجر عليها غصب، وألا يدفن في أرض قد اتهم فيها الأمير.

ولعظمة العلم والدين والخلق روعة وتأثير، لا تقل عن عظمة السلطان وجاه الحكام، ولذلك شيعت بغداد كلها جنازة فقيه العراق، والإمام الأعظم. ولقد قدر عدد من صلى عليه بخمسين ألفاً، بل أن أبا جعفر الذي عذبه صلى على قبره بعد دفنه. ولا ندري أكان ذلك إقراراً منه بعظمة الخلق والدين وجلال التقى، أم لإرضاء العامة، ولعله مزيج من الأمرين، فقد كان أبو حنيفة عظيماً حقاً. ولقد ذهبت أخبار الذين آذوه، فلا يذكرهم إلا بمظلمة ارتكبوها، أو دم أراقوه. أما هو فله آراء تدرس في مشارق الأرض ومغاربها، وعلم

يتذاكره الناس ويتعلمونه، ويجلون صاحبه، رضي الله عنه وأرضاه (أبو حنيفة / ٣٧٧).

قال الذهبي في وفاة أبي حنيفة:

قيل إنه بقي في نفس المنصور من أبي حنيفة لقيامه مع إبراهيم بن عبيد الله على المنصور، وكان أبو جعفر لا يصطلي له بنار، وفيه جبروت وشهامة. قال بشر بن الوليد: مات أبو حنيفة بالسجن ببغداد، ودفن في مقابر الخيزران. أحمد بن القاسم البرتي، عن بشر بن الوليد، عن أبي يوسف قال: مات أبو حنيفة في نصف شوال سنة خمسين ومائة. وقال الواقدي وغيره: مات أبو حنيفة في رجب سنة خمسين ومائة وله سبعون سنة. وقال الواقدي: مات ببغداد وكنت يومئذ بالكوفة. وقال أبو حسان الزياتي، ويعقوب بن شيبة: مات في رجب سنة خمسين. وجاء عن بعضهم: مات في شعبان. وفي رجب أصبح رحمه الله تعالى. (مناقب الإمام أبي حنيفة / ٣٠).

ترجم له صاحب الطبقات السنية ترجمة حافلة ننقل بعضها فيما يلي. قال المؤلف رحمه الله:

هو إمام الأئمة، وسراج الأمة، وبحر العلوم والفضائل، ومنبع الكمالات والفواضل، عالم العراق، وفقيه الدنيا على الإطلاق، من أعجز من بعده عن لحاقه، وفات من عاصره في سياقه، ومن لا تنظر العيون مثله، ولا ينال مجتهد كماله وفضله.

أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى، بضم الزاى وفتح الطاء، وهو المشهور، وقال ابن الشحنة، نقلاً عن شيخه مجد الدين الفيروزبادي، في «طبقات الحنفية»: إنه بفتح الزاى والطاء المهلمة، مثل سكرى. وكان زوطى مملوكاً لبنى تيم الله ابن ثعلبة، واختلف في أصله، فقيل: من كابل، وقيل: من بابل، وقيل: من نسا، وقيل: من ترمذ، وقيل: من الأنبار، وقيل غير ذلك.

قال السراج الهندي: ووجه التلفيق بين هذه الروايات أن يكون جده من كابل، ثم انتقل منها إلى نسا، ثم إلى ترمذ، أو ولد أبوه بترمذ، ونشأ بالأنبار،... إلخ.

قال ابن الشحنة: وهذا التلفيق أصله لمخطيب خوارزم، ونظر ذلك ببعض مشايخه، فقال: كأبى المعالى الفضل بن

سهل الإسفرايني ، فإن أباه من أسفراين ، وولد هو بمصر ، ونشأ بحلب ، ثم أقام ببغداد ، ومات بها ، ويقال له : المصرى الحلبى ، البغدادي .

وروى الخطيب (تاريخ بغداد ١٣ / ٣٢٦) بسنده ، عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ، أنه كان يقول : أنا إسماعيل ابن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان ، من أبناء فارس الأحرار ، والله ما وقع علينا رق قط ؛ ولد جدى فى سنة ثمانين ، وذهب ثابت إلى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، وهو صغير ، فدعا له بالبركة فيه ، وفى ذريته ، ونحن نرجو من الله أن يكون قد استجاب ذلك لعلى بن أبى طالب ، رضى الله تعالى عنه فىنا . انتهى .

قال السراج الهندى ، بعد نقل ما ذكر عن إسماعيل : وكذلك قاله أخو إسماعيل ، ولا يحل لمسلم أن يظن بهما مع جلالة قدرهما ، ودقة ورعهما ، أن ينتسبا إلى غير آبائهما .

قال الخطيب البغدادي : والنعمان بن المرزبان ، أبو ثابت ، هو الذى أهدى لعلى بن أبى طالب الفالودج يوم النيروز ، فقال : نورزونا كل يوم . وقيل : كان ذلك فى المهرجان ، فقال : مهرجوننا كل يوم .

وذكر فى « الجواهر المضية » (٢٦ / ٢٧) لأبى حنيفة نسباً طويلاً ، أوصله إلى آدم عليه الصلاة والسلام ، تركنا ذكره لعدم صحته ، والله تعالى أعلم .
مولده ، ووفاته ، وصفته :

عن مزاحم بن داود بن عليّة ، أنه كان يذكر عن أبيه أو غيره ، أن أبا حنيفة ولد سنة إحدى وستين ، ومات سنة خمسين ومائة . وقال الخطيب (تاريخ بغداد ١٣ / ٣٣٠) لا أعلم لصاحب هذا القول متابعاً ، ثم روى بسنده عن أبى نعيم ، أن أبا حنيفة ولد سنة ثمانين ، وكان له يوم مات سبعون سنة ، ومات فى سنة خمسين ومائة ، وهو النعمان ثابت ، وروى عنه بسند آخر ، أنه قال : ولد أبو حنيفة سنة ثمانين بلا مائة ، ومات سنة خمسين ومائة ، عاش سبعين سنة ، واختلف فى الشهر الذى مات فيه ، فقال بعضهم : فى شعبان ، وقال بعضهم : فى رجب ، وعن أبى يوسف : أنه مات فى النصف من شوال ، وكانت وفاته بمدينة بغداد ، ودفن بالجانب الشرقى منها فى مقبرة الخيزران ، وقبره هناك ظاهر معروف مقصود بالزيارة .

وقال ابن خلكان (وفيات الأعيان ٥ / ٤٦ ، ٤٧) : وبنى شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمى ، مستوفى مملكة السلطان ملك شاه السلجوقى ، على قبره مشهداً وقبة ، وبنى عنده مدرسة كبيرة للحنفية (أفردنا مادة لكل من الضريح والمدرسة وتأتيان بعد هذه المادة) ولما فرغ من عمارة ذلك ، ركب إليها فى جماعة من الأعيان ليشاهدوها ، فبينما هم هناك إذ دخل عليهم الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضى ، وأنشد :

(جاء تعليق المحقق فى هامش (٢) كما يلى :

البيتان فى مناقب الإمام الأعظم ٢ / ١٩٤ ، ومناقب الكردى ٢ / ٣٣ ، وهما فى المصدرين للشريف أبى جعفر مسعود بن أبى المحسن العباسى ، وفى الاسم خطأ كما ترى) .

ألم تـر أن العلم كان مبـسـوداً

فجمعه هـذا المغيـب فى اللـحـد

كـذلك كـانت هـذه الأرض مـيتـة

فأنشـر هـا فـعل العـمـيد أبى سـعـد

فأجازه أبو سعد بجائزة سنية ، وكان بناء المشهد والقبة ،

فى سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، وقيل : الذى بنى ذلك ألب أرسلان محمد والد السلطان ملك شاه . قال ابن خلكان : والظاهر أن أبا سعد بناهما نيابة عن ألب أرسلان المذكور ، وهو كان المباشر ، كما جرت عادة النواب مع ملوكهم ، فنسبت العمارة إليه بهذا الطريق انتهى .

وأما ما ورد فى صفة أبى حنيفة :

فمنه ما ذكر أبو نعيم ، قال : كان أبو حنيفة حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، حسن المجلس ، شديد الكرم ، حسن المواساة لإخوانه . وقال أبو يوسف : كان أبو حنيفة ربة من الرجال ، ليس بالقصير ولا بالطويل ، وكان أحسن الناس منطلقاً ، وأحلاه نغمة ، وأنبهه على ما يريد . وعن عمر ابن حماد بن أبى حنيفة ، أن أبا حنيفة كان طويلاً تعلوه سمرة ، وكان لباساً ، حسن الهيئة ، كثير التعطر ، يعرف بريح الطيب إذا أقبل وإذا خرج من منزله قبل أن نراه رضى الله عنه .

مناقب أبى حنيفة رضى الله عنه وثناء الأئمة عليه :

عن إبراهيم بن عبد الله الخلال ، قال : سمعت ابن المبارك يقول : كان أبو حنيفة آية . فقال له قائل : فى الشرىا

يقول: لا نكذب الله، ما سمعنا أحسن من رأى أبى حنيفة، وقد أخذنا بأكثر أقواله.

قال يحيى بن معين: وكان يحيى بن سعيد يذهب فى الفتوى إلى قول الكوفيين، ويختار من قولهم قوله، ويتبع رأيه من بين أصحابه.

وقال الإمام الشافعى: الناس عيال على أبى حنيفة فى الفقه. وقال أيضا: ما رأيت أفقه من أبى حنيفة. يعنى ما علمت. وقال: كان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه، ومن أراد أن يتبحر فى الشعر فهو عيال على زهير بن أبى سلمى، ومن أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن إسحاق، ومن أراد أن يتبحر فى النحو فهو عيال على الكسائى، ومن أراد أن يتبحر فى تفسير القرآن فهو عيال على مقاتل بن سليمان.

وعن حرمله، أنه قال: سمعت الشافعى، يقول: الناس عيال على هؤلاء الخمسة.

وعن الحسن بن عثمان، أنه كان يقول: وجدت العلم بالعراق والحجاز ثلاثة، علم أبى حنيفة، وتفسير الكلبي، ومغازى محمد بن إسحاق.

وعن أحمد بن عطية، قال: سمعت يحيى بن معين، يقول: القراءة عندى قراءة حمزة، والفقه فقه أبى حنيفة، على هذا أدركت الناس.

وعن أبى على الجبائى المعتزلى المشهور، أنه قال: الحديث لأحمد بن حنبل، والفقه لأصحاب أبى حنيفة، والكلام للمعتزلة، والكذب للرافضة.

وقال جعفر بن ربيع: أقمت على أبى حنيفة خمس سنين، فما رأيت أطول صمتا منه، فإذا سئل عن شيء من الفقه تفتح وسال كالوادی، وسمعت له دوياء، وجهارة بالكلام.

وقال إبراهيم بن عكرمة المخزومى: ما رأيت أحدا أروع، ولا أفقه من أبى حنيفة...

وروى الخطيب أيضا (تاريخ بغداد ١٣ / ٣٤٨، ٣٤٩)، عن النضر بن محمد، قال: دخل قتادة الكوفة، ونزل فى دار أبى بردة، فخرج يوما، وقد اجتمع إليه خلق كثير، فقال قتادة: والله الذى لا إله إلا هو، ما يسألنى اليوم أحد عن الحلال والحرام إلا أجبتة. فقام إليه أبو حنيفة، فقال: يا أبا الخطاب، ماتقول فى رجل غاب عن أهله أعواما، فظنت

أبا عبد الرحمن، أو فى الخير؟ فقال: اسكت يا هذا؛ فإنه يقال: غاية فى الشر، آية فى الخير، ثم تلا هذه الآية: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ [المؤمنون: ٥٠] وعن ابن المبارك أيضا (تاريخ بغداد ١٣ / ٣٣٦) قال: ما كان أوقر مجلس أبى حنيفة، كان حسن السميت، حسن الوجه، حسن الثوب، ولقد كنا يوما فى مسجد الجامع، ف وقعت حية، فسقطت فى حجر أبى حنيفة، وهرب الناس غيره، ما رأيته زاد على أن نفص الحية، وجلس مكانه. وعنه أيضا، أنه قال: لولا أن الله أعاننى بأبى حنيفة وسفيان، لكنت كسائر الناس. وعن أبى يحيى الحماني أنه كان يقول: ما رأيت رجلا قط خيرا من أبى حنيفة. وكان أبو بكر الواعظ (هو ابن عياش) يقول: أبو حنيفة أفضل أهل زمانه. وعن سهل بن مزاحم (تاريخ بغداد ١٣ / ٣٣٧) أنه كان يقول: بذلت الدنيا لأبى حنيفة فلم يردّها، وضرب عليها بالسياط فلم يقبلها.

وقيل للقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود: ترضى أن تكون من غلمان أبى حنيفة؟ قال: ما جلس الناس إلى أحد أنفع من مجالسة أبى حنيفة. وحدث الشافعى محمد بن إدريس، قال: قيل لمالك بن أنس: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهابا، لقام بحجته. وعن روح بن عبادة، أنه قال: كنت عند ابن جريج سنة خمسين، وأتاه موت أبى حنيفة، فاسترجع، وتوجع، وقال: أى علم ذهب قال: ومات فيها ابن جريج...

وعن أبى عبد الله الكاتب، قال: سمعت عبد الله بن داود الخريبي (نسبة إلى الخريبة وهى محلة بالبصرة) يقول: يجب على أهل الإسلام أن يدعوا الله لأبى حنيفة فى صلواتهم.

قال: وذكر حفظه عليهم السنن والفقه.

وقال شداد بن حكيم: ما رأيت أعلم من أبى حنيفة.

وقال مكى بن إبراهيم: كان أبو حنيفة أعلم أهل زمانه.

وقال النضر بن شميل: كان الناس نياما عن الفقه، حتى أيقظهم أبو حنيفة فيما فتقه وبينه ولخصه.

وحدث أحمد بن على بن سعيد القاضى، قال سمعت يحيى بن معين، يقول: سمعت يحيى بن سعيد القطان،

وروى عنه أبو يحيى الحماني ، وهشيم بن بشير ، وعباد بن العوام ، وعبد الله بن المبارك ، ووكيعة بن الجراح ، ويزيد بن هارون ، وعلى بن عاصم ، ويحيى بن نصر بن حاجب ، وأبو يوسف القاضي ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، وعمرو بن محمد العنقزي (نسبة إلى العنقر ، وهو المرزنجوش ، وقيل الريحان وكان عمرو بن محمد يبيعه أو يزرعه) وهوذة بن خليفة ، وأبو عبد الرحمن المقرئ ، وعبد الرزاق بن همام ، في آخرين لا يحصون .

وقال في « الجواهر » (الجواهر المضية ١ / ٣) نقلا عن « كتاب التعليم » : إنه روى عن أبي حنيفة ، ونقل مذهبه نحو من أربعة آلاف نفر .

وقال أبو إسحاق الشيرازي : كان في زمنه أربعة من الصحابة : أنس بن مالك ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وسهل بن سعد ، وأبو الطفيل ، ولم يأخذ عن أحد منهم .

وكان أبو حنيفة ممن تلقى عنه الحفاظ ، وعملوا بقوله في الجرح والتعديل ، كتلقينهم عن الإمام أحمد ، والبخاري ، وابن معين ، وابن المديني ، وغيرهم من شيوخ الفن .

وعن يحيى الحماني ، قال : سمعت أبا حنيفة ، يقول : ما رأيت أكذب من جابر الجعفي ، ولا أفضل من عطاء بن أبي رباح .

وعن عبد الحميد الحماني : سمعت أبا سعيد الصنعاني وقام إلى أبي حنيفة ، فقال : يا أبا حنيفة ، ما تقول في الأخذ عن الثوري فقال : اكتب عنه ، فإنه ثقة ، ما خلا أحاديث أبي إسحاق عن الحرث ، وحديث جابر الجعفي .

وقال أبو حنيفة : طلق بن حبيب كان يرى القدر .

وقال : زيد بن عياش ضعيف .

وعن سفيان بن عيينة ، قال : أول من أقعدني للحديث أبو حنيفة ، قدمت الكوفة ، فقال أبو حنيفة : إن هذا أعلم الناس بحديث عمرو بن دينار ، فاجتمعوا عليّ ، فحدثتهم .

في ذكر عبادته ، وورعه ، وثناء الناس عليه بذلك :

عن يحيى بن معين ، أنه قال : سمعت يحيى القطان ، يقول : جالسنا والله أبا حنيفة ، وسمعنا منه ، وكنت والله إذا نظرت إليه عرفت في وجهه أنه يتقى الله عز وجل .

وعن الحسن بن محمد الليثي ، أنه كان يقول : قدمت

امراته أن زوجها مات ، فتزوجت ، ثم رجع زوجها الأول ، ما تقول في صداقها ؟ وقال لأصحابه الذين اجتمعوا إليه : لئن حدثت بحديث ليكذب ، وإن قال برأى نفسه ليخطئن . فقال قتادة : ويلك ، أوقعت هذه المسألة ؟ قال : لا قال : فلم تسألني عما لم يقع ؟ فقال أبو حنيفة : إنا نستعد للبلاء قبل نزوله ، فإذا وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه قال قتادة : والله لا أحدثكم بشيء من الحلال والحرام ، سلوني عن التفسير فقام إليه أبو حنيفة ، فقال له : يا أبا الخطاب : ما تقول في قول الله تعالى : ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ ؟ قال : نعم ، هذا آصف بن برخيا بن شمعي ، كاتب سليمان بن داود . وكان يعرف اسم الله الأعظم .

فقال أبو حنيفة : وهل كان يعرف الاسم سليمان ؟ قال : لا . قال : فيجوز أن يكون في زمان نبي من هو أعلم من النبي ؟ قال : فقال قتادة : والله لا أحدثكم بشيء من التفسير ، سلوني عما اختلف فيه العلماء . قال : فقام إليه أبو حنيفة ، فقال : يا أبا الخطاب ، أمؤمن أنت ؟ قال : أرجو قال : ولم ؟ قال : لقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام [الشعراء : ٨٢] ﴿ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ فقال أبو حنيفة : فهلا قلت كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام : قال ﴿ أولم تؤمن قال بلى ﴾ [البقرة : ٢٦٠] قال ، فقام قتادة مغضبا ، ودخل الدار ، وحلف أن لا يحدثهم ...

في ذكر ما نقل في حق الإمام ، رضى الله تعالى عنه ، من أنه كان من كبار الحفاظ للحديث الشريف ، وكان مقبول القول في الجرح والتعديل ، وفي ذكر طائفة ممن روى عن الإمام ، وروى الإمام عنه ، وأنه كان من كبار الثقات ، وثقات الكبار ، رضى الله تعالى عنه : قال الخطيب في تاريخه (تاريخ بغداد ١٢ / ٣٢٣ ، ٣٢٤) : النعمان بن ثابت ، أبو حنيفة ، التيمي ، رأى أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، وسمع عطاء بن أبي رباح ، وأبا إسحاق السبيعي ، ومجارب بن دثار ، وحمام ابن أبي سليمان ، والهيثم بن حبيب الصراف ، وقيس بن مسلم ، ومحمد بن المنكدر ، ونافعا مولى ابن عمر ، وهشام بن عروة ، ويزيد الفقير ، وسماك بن حرب ، وعلقمة بن مرثد ، وعطية العوفي ، وعبد العزيز بن رفيع ، وعبد الكريم أبا أمية وغيرهم .

الامتناع ، فلما رأى ذلك خلى سبيله . وكان ابن هبيرة إذ ذاك عامل مروان على العراق في زمان بنى أمية .

وروى الخطيب أيضا ، أنه كان يخرج كل يوم ، أو بين الأيام ، فيضرب ، ليدخل في القضاء ، فيأبى . ولقد بكى في بعض الأيام ، فلما أطلق ، قال : كان غم والدتي أشد عليّ من الضرب .

وكان أحمد بن حنبل إذا ذكر له ذلك بكى ، وترحم عليه ، خصوصا بعد أن ضرب هو أيضا .

وروى عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ، أنه قال : مررت مع أبي بالكناسة (محلة بالكوفة) فبكى ، فقلت : ما يبكيك يا أبت ؟ قال : يا بني ، في هذا الموضع ضرب ابن هبيرة أبي عشرة أيام ، في كل يوم عشرة أسواط ، على أن يلى القضاء ، فلم يفعل .

وروى الخطيب بسنده ، عن بشر بن الوليد الكندي ، قال : أشخص أبو جعفر المنصور أبا حنيفة من الكوفة ، فأراد على أن يولى القضاء فأبى ، فحلف عليه ليفعلن ، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل ، فحلف المنصور ليفعلن ، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل ، فقال الربيع الحاجب : ألا ترى أمير المؤمنين يحلف ! فقال أبو حنيفة : أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر منى على كفارة أيماني . فأبى أن يلى ، فأمر به إلى الحبس في الوقت .

وروى أن أبا جعفر المنصور بعد أن حبسه دعاه يوما ، وقال له : أترغب عن ما نحن فيه ؟ فقال أصلح الله أمير المؤمنين ، لا أصلح للقضاء . فقال له : كذبت . ثم عرض عليه الثانية ، فقال أبو حنيفة : قد حكم على أمير المؤمنين أنى لا أصلح للقضاء ، لأنه نسبني إلى الكذب ، فإن كنت كاذبا فلا أصلح ، وإن كنت صادقا فقد أخبرت أمير المؤمنين أنى لا أصلح . فلم يقبل منه ورده إلى الحبس ، فأقام به إلى أن مات فيه ، على الصحيح من الروايات ...

قال عباس : وهذا قبره في مقابر الخيزران إذا دخلت من باب القطانين يسرة ، بعد قبرين أو ثلاثة . وقيل : إن المنصور أقدمه بغداد لأمر آخر غير القضاء ، وقيل : إنه أقام بعد قدومه إلى بغداد خمسة عشر يوما ، ثم سقاه المنصور ، فمات ، رحمه الله تعالى ، ورضى الله عنه ، وذلك في سنة خمسين ومائة ، وله من العمر سبعون سنة .

الكوفة ، فسألت عن أعبد أهلها ، فدفعت إلى أبي حنيفة ، ثم قدمتها وأنا شيخ ، فسألت عن أفقه أهلها ، فدفعت إلى أبي حنيفة .

وعن سويد بن سعيد ، قال : سمعت سفيان بن عيينة ، يقول ما قدم رجل مكة في وقتنا أكثر صلاة من أبي حنيفة .

وقال أبو مطيع : كنت بمكة ، فما دخلت الطواف في ساعة من ساعات الليل إلا رأيت أبا حنيفة وسفيان في الطواف .

وقال يحيى بن أيوب الزاهد : كان أبو حنيفة لا ينام الليل . وقال أبو عاصم النبيل : كان أبو حنيفة يسمى الوتد ؛ لكثرة صلاته .

وعن أسد بن عمرو ، قال : صلى أبو حنيفة - فيما حفظ عليه - صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء أربعين سنة ، فكان عامة الليل يقرأ القرآن جميعه في ركعة واحدة ، وكان يسمع بكأوه بالليل حتى يرحمه جيرانه ، وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة ...

وكان خارجة بن مصعب ، يقول : ختم القرآن في الكعبة أربعة من الأئمة : عثمان بن عفان ، وتميم الدارى ، وسعيد بن جبير ، وأبو حنيفة ، رضى الله تعالى عنهم .

وكان أبو حنيفة ربما ختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة ...

وقال وكيع : كان ، والله ، أبو حنيفة عظيم الأمانة ، وكان الله في قلبه جليلا كبيرا عظيما ، وكان يؤثر رضاء ربه على كل شيء ، ولو أخذته السيوف في الله لاحتمل ، رحمه الله تعالى ، ورضى عنه رضى الأبرار ، فلقد كان منهم .

وقال ابن المبارك : ما رأيت أحدا أروع من أبي حنيفة ، وقد جرب بالسياط والأموال .

في بيان ما روى وصح عن أبي حنيفة ، من إرادتهم إياه على القضاء ، وامتناعه من قبوله ، وضربهم إياه بالسياط على ذلك ، رحمه الله تعالى .

روى الخطيب بسنده ، أن ابن هبيرة (والى مروان بن محمد على العراقيين) كلم أبا حنيفة أن يلى قضاء الكوفة ، فأبى عليه ، فضربه مائة سوط وعشرة أسواط ، وهو على

في ذكر جود أبي حنيفة ، وسماحه ، وحسن عهده ، رضى الله تعالى عنه :

عن قيس بن الربيع ، قال : كان أبو حنيفة رجلاً ورعاً فقيهاً ، محسوداً ، وكان كثير الصلة والبر لكل من لجأ إليه ، كثير الإفضال على إخوانه .

وقال أيضاً : كان أبو حنيفة من عقلاء الرجال ، وكان يبعث بالبضائع إلى بغداد ، يشتري بها الأمتعة ، ويحملها إلى الكوفة ، ويجمع الأرباح عنده من سنة إلى سنة ، فيشتري بها حوائج الأشياخ المحدثين وأقواتهم ، وكسوتهم ، وجميع حوائجهم ، ثم يدفع باقى الدنانير من الأرباح إليهم ، فيقول : أنفقوا فى حوائجكم ، ولا تحمدوا إلا الله ؛ فإنى ما أعطيتكم من مالى شيئاً ، ولكن من فضل الله على فيكم وهذه أرباح بضاعتكم ؛ فإنه هو والله مما يجريه الله لكم على يدي فما فى رزق الله حول لغيره .

وحدث حجر بن عبد الجبار ، قال : ما رأى الناس أكرم مجالسة من أبي حنيفة ، ولا أكثر إكراماً لأصحابه .

وقال حفص بن حمزة القرشى : كان أبو حنيفة ربما مر به الرجل فيجلس إليه لغير قصد ولا مجالسة ، فإذا قام سأل عنه ، فإن كانت به فاقة وصله ، وإن مرض عاده .

وكان أكرم الناس مجالسة .

وأما ما ينسب إلى أبي حنيفة من الشعر فكثير ، منه قوله :

إن يحسدونى فإنى غير لائمهم

قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لى ولهم ما بى وما بهم

ومات أكثرنا غيظاً بما يجد

ومنه قوله وقد اتفق له مع شيطان الطاق فى الحمام لما رآه

الإمام مكشوف العورة ، ونهاه عن ذلك ، ما هو مشهور ، وهو :

أقول وفى قولى بلاغ وحكمة

وما قلت قولا جئت فيه بمنكر

ألا يا عباد الله خافوا إلهكم

فلا تدخلوا الحمام إلا بمئزر

قالت المؤلفة : يلاحظ الاقتباس فى عجز البيت الثانى

فقد ضمنه الإمام أبو حنيفة جزءاً من الحديث النبوى الشريف

الذى أوردناه فى مادة « الحمامات » (م ١٤ / ٥٤٩) نقلاً عن كتاب الترغيب والترهيب لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى (ص ١٩) الذى أوردته بلفظ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ... إلخ » رواه النسائى والترمذى وحسنه والحاكم وصححه . كما أخرج الحديث الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير (١٨٦ / ٢) بلفظ « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام بغير إزار ... إلخ » من رواية الترمذى والحاكم عن جابر وقال عنه حديث حسن . وأما شيطان الطاق : كما جاء فى هامش (٣) للمحقق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو -

فهو أبو جعفر محمد على بن النعمان البجلي الكوفى الأحول .

وإنما سمي بالطاق ؛ لأنه كان يعانى الصرف بطاق المحامل بالكوفة .

كان فصيحاً بليغاً ، فقيهاً مناظراً ويقال إن أبا حنيفة هو الذى سماه شيطان الطاق .

وكانت وفاته نحو سنة ستين ومائة .

قال صاحب الطبقات السنية :

وأما ما كان يتمثل به أبو حنيفة من الشعر ، وما مدح به رضى الله تعالى عنه من النظم ، فكثير لا يدخل تحت الحصر ، ومنه قول بعضهم :

لأبى حنيفة ذى الفخار قراء

مشهورة منخولة غراء

عرضت على القراء فى أيامه

فتعجبت من حسنهم القراء

لله در أبى حنيفة إنـه

خضعت لـه القراء والفقهاء

خلف الصحابة كلهم فى علمهم

فتضاءلت لجلاله العلماء

سلطان من فى الأرض من فقهاءها

وهم إذا أفتوا لـه أصـداء

إن الميـاه كثيرة لكنـه

فضل الميـاه جميعها صـداء

(صداء : ركية ليس عند العرب ماء أعذب منها ، ومنه قولهم « ماء ولا كصداء » وهو مثل يقال في الرجلين يكونان ذوي فضل ، غير أن لأحدهما فضلا على الآخر . معجم البلدان ٣ / ٣٧٢) .

قال ابن الشحنة : وكان « أصداء » هذا جمع صدى بالقصر ، وهو الذي يجيبك مثل صوتك في الجبال وغيرها ، إشارة إلى أن الأصل منه نشأ وعنه أخذ ؛ لأنه كان كافل الفقهاء ومرييهم ، لأنهم عياله ، كما نص عليه الشافعي . انتهى .

وفي هذه الأبيات تصريح بأن الإمام رضى الله تعالى عنه كان من المتقدمين في فن القراءات ، كما هو من المتقدمين السابقين في علم الفقه . وهو كذلك ، فقد أفردوا بالتأليف قراءته التي انفرد بها ، ورووها عنه بالأسانيد .

وممن أفردوا بالتأليف أبو القاسم الزمخشري ، وأبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي البسكري ، بموحدة وسين مهملة ، في كتابه المعروف بـ « الكامل » ، وغيرهما .

وممن روى عنه القراءة أبو يوسف ، ومحمد رحمهما الله ، وغيرهما وحروفه معروفة مذكورة في « المناقب » ، وغيرها .

وقد وضع بعض الحساد قراءات ونسبها إليه ، فأظهر الله الحق ، ومحق الباطل ، وجوزى كل بفعله .

وقال صاحب المناقب يمدحه (البستان في : مناقب الإمام الأعظم ١ / ٢٣ ، مناقب الكردي ١ / ٣٠) .

رسول الله قال سراج ديني

وأمتي الهداة أبو حنيفة

غدا بعد الصحابة في الفتاوى

لأحمد في شريعته خليفته

وقال غيره ، يصفه بالعلم والعبادة ، من أبيات :

نهـار أبى حنيفة للإفـساده

وليل أبى حنيفة للعبـاده

وودع نسومه خمسين عامـا

لطاعته وخداه السوساده

وكان يحيى بن معين إذا ذكر من يتكلم في أبي حنيفة ،

يقول :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه

فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها

حسدا وبغيسا إنسه للذميم

وقيل لعبد الله بن طاهر : الناس يقعون في أبي حنيفة ،

فقال :

ما يضرب البحر أمسى زائرا

أن رمى فيسه غلام بحجر

ثم أنشد :

إن يحسدوني فزاد الله في حسدي

لا عاش من عاش يوما غير محسود

ما يحسد المرء إلا من فضائله

بالعلم والبأس أو بالمجد والجود

وقال :

فازداد لي حسدا من لست أحسده

إن الفضيلة لا تخلو عن الحسد

ما ضربني حسد اللئام ولم يزل

ذو الفضل يحسده ذوو النقصان

يا بؤس قوم ليس ذنبى بينهم

إلا تظاها هر نعمة الرحمن

ولله در الشريف الرضى ، حيث يقول :

نظـروا بعين عداوة ولو انها

عين الرضا لاستحسنوا ما استبحوا

يولـوننى شـزر العيـون لأننى

غلست فى طلب العلى وتصبحوا

ومما أنشده صاحب المناقب في مدح الإمام ، وذكر

واقعته مع ابن هبيرة ، قوله :

أرضيت نفسك ضنارب النعمان

فكسبت جهلا سخطه الرحمن

ما زلت تنقص لا تزيد بضربه

يا بئس ما قدمت للميزان

أضربت عابدا ربه فى ليله

ونهاره يا عابدا الشيطان

أعطيته الدنيا ولكن ردها
رد التقى الخائف الرباني
حر السياط قد ارتضى كي لا يرى
يوم الجزاء مقامع النيران
ما ذل يا ابن هبيرة بالضرب من
ملا الفؤاد بعزة الإيمان
وعن سفيان بن عيينة، قال: قال مساور الوراق، وكان
رجلا صالحا في أبي حنيفة، وله فيه رأى:
إذا ما الناس يوما قايسونا
بمعضلة من الفتيا لطيفة
أنيهم بمقياس صحيح
بديع من طراز أبي حنيفة
إذا سمع الفقيه به وعاه
وأثبت به بحبر في صحيفه
وعن الحسن بن السريع، قال: سمعت عبد الله بن
المبارك، يقول:
رأيت أبا حنيفة كل يوم
يزيد نباهة ويزيد خيرا
وينطق بالصواب ويصطفيه
إذا ما قال أهل الحق حورا
يقايس من يقايسه بلب
ومن ذا تجعلون له نظيرا
كفانا فقد حماد وكانت
مصيبتنا به أمرا كبرا
رأيت أبا حنيفة حين يؤتى
ويطلب علمه بحرا غزيرا
إذا ما المشكلات تدافعتها
رجال العلم كان بها بصيرا
(الطبقات السنية ١ / ٨٦ - ٩٠، ٩٥، ٩٦، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٩ -
١١٢، ١١٤، ١١٦، ١١٩، ١٢٣، ١٥٨ - ١٦٦) .

وقد أورد صاحب الطبقات السنية في ختام ترجمته
وصيتين للإمام أبي حنيفة، الأولى منهما وصية عامة أوصى بها
أصحابه وإخوانه، والثانية أوصى بها الإمام أبا يوسف وقد أثرنا

أن ندرجهما تحت مادة « الوصايا » التي تأتي في حرف الواو إن
شاء الله تعالى .

(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسطيني - تحقيق
عادل نويهض / ١٢٩، ١٣٠ هامش المحقق، والمبتكر الجامع لكتابي
« المختصر والمعتصر » - عبد الوهاب عبد اللطيف / ٢٦١ - ٢٦٤،
وتاريخ الأدب العربي - أحمد حسن الزيات / ٣٨٢، ومناقب الإمام أبي
حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن للإمام الحافظ أبي عبد الله
محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - عن بتحقيقه والتعليق عليه محمد
زاهد الكوثري، وأبو الوفا الأفعاني . عنت بشره لجنة إحياء المعارف
النعمانية بحيدر آباد الدكن بالهند . بدون تاريخ / ١١، ١٢، ٣٠، ومسد
الإمام أبي حنيفة برواية الحصكفي - قدم له وقام بتصحيحه عبد الرحمن
حسن محمود . مكتبة الآداب . القاهرة ١٩٨١ / ١٩ - ٢٢، والرسالة
المستطرفة لمولانا الإمام السيد محمد بن جعفر الكتاني / ١٣، و « أبو
حنيفة » فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة . دائرة معارف الشعب . كتاب
الشعب ٨٨ . مطابع الشعب ١٩٦٠ / ٣٧٧، والطبقات السنية في تراجم
الحنفية للمولى تقي الدين بن عبد القادر التميمي الدار العربي المصري
- تحقيق عبد الفتاح محمد الحلوا / ٨٦ - ٩٠، ٩٥، ٩٦، ١٠٣ -
١٠٧، ١٠٩ - ١١٢، ١١٤، ١١٦، ١١٩، ١٢٣، ١٥٨ - ١٦٦ . انظر
أيضا الأعلام للزركلي ٨ / ٣٦، والانتصار والترجيح للمذهب الصحيح
لأبي المظفر جمال الدين يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي سبط ابن
الجوزي - قدم له وعلق عليه فضيلة الأستاذ محمد زاهد الحسن الكوثري .
وقف على طبعه وراجع أصله السيد عزت العطار الحسيني بدون تاريخ /
١٨ - ٢٤، والانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء للإمام الحافظ أبي
عمر يوسف بن عبد البر / ١٢٢، ١٢٣، ونور الأبصار للشبلنجي . ط دار
الغد العربي / ٣٦٨ - ٣٧٣، و « الإمام أبو حنيفة » - الشيخ وهبي سليمان
غاوجي . من أعلام التربية العربية الإسلامية . مكتب التربية العربي لدول
الخليج م ١ / ١٢٥ - ١٥٥، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي -
أعده للطبع ووضع فهرسه عبد الجبار زكار ٣ / ١٢٥، ١٢٦، والفهرست
لابن النديم / ٢٨٤، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢٥ / ١٧٤ - ١٩٤ .
انظر: الحنفي (المذهب -)، أبو حنيفة (مدرسة -)،
أبو حنيفة (مسجد وضريح) .

« أبو حنيفة الدينوري (٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) :

يحتل أبو حنيفة الدينوري مكانة هامة وخاصة بين علماء
العرب الذين اهتموا بالنبات، وتركوا كتباً خاصة فيه، وإنما

استحق أبو حنيفة هذه المكانة لأسباب كثيرة أهمها : المؤلفات الكثيرة التي تركها والتي بلغ عددها واحدا وعشرين كتابا تناولت تفسير القرآن، والفقه، والمنطق، والرياضيات، والأدب، واللغة والبلاغة، والأنواء، والفلك، والتاريخ. ثم وفرة المصادر التي تحدثت عنه والتي بلغ عددها أكثر من خمسين بحثا باللغات العربية والأجنبية. والقيمة التي يحملها كل من كتابيه في التاريخ (الأخبار الطوال). وفي النبات، الذي استطاع في أولها أن يكتسب نبوغا ممتازا في تصوير الحوادث التاريخية بأسلوب عربي مبين، وبطراز فريد في المنهج التأليفي. إنه أسلوب منطقي يخاطب العقل ويستهو القارئ، في لفظ سهل، وجرس موسيقى متلاحق، وعبرة متصلة أخاذة، نسجها الدينوري نسجا فريدا.

وعلى الرغم من هذه المكانة الهامة التي يحتلها الدينوري في تاريخ علم النبات العربي، ومن كونه «شيخ النباتيين العرب على الإطلاق»، فإننا لا نعرف الكثير من تفاصيل حياته، التي نوجزها فيما يلي :

فهو أبو حنيفة أحمد بن داود بن وئند، ويسمى أيضا أبا عبد الله بن علي العشاب. ينسب إلى دينور.

ولد أبو حنيفة في دينور هذه في العقد الأول من القرن الثالث الهجري. وعاش معظم حياته فيها، وأمضى شبابه في الرحلات التي قادت به إلى قلب الحضارة العربية، في بلاد ما بين النهرين والفرات، ثم امتدت به أسفاره إلى المدينة المنورة وإلى فلسطين، وإلى شواطئ الخليج العربي، ولقد عاش فيها أزمانا، طالت أو قصرت وتركت في نفسه ذكرا، وفي فكره علما.

أخذ دروسه عن البصريين والكوفيين، وتعلم في فقه اللغة على العالم النحوي الكوفي السكيت وعلي ولده ابن السكيت نفسه، ودرس معارف كثيرة، جعلت منه دائرة معارف عصره، ودفعته إلى التأليف في النحو واللغة والهندسة والهيئة والحساب والنبات والتاريخ.

انتقل إلى أصفهان سنة ٣٣٥ هـ (٨٥٠ م) وعاش بها مدة، واشتغل برصد الكواكب، وسجل نتائج الأرصاد التي قام بها في معمله الفلكي الذي كان يقيم في بيته والذي شاهده الفلكي المشهور، عبد الرحمن الصوفي المتوفى سنة ٣٧٦ هـ (٩٨٦ م).

أما وفاة أبي حنيفة الدينوري فقد كانت في أوثق الروايات يوم السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٢٨٢ هـ، (الرابع والعشرين من تموز - يولية ٨٩٥ م) (تراث العرب القديم / ٢٥، ٣٠).

قال القفطي :

أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري، من أهل الدينور، أخذ عن البصريين والكوفيين، وأكثر أخذه عن ابن السكيت وأبيه، وكان مفتتا في علوم كثيرة، منها النحو واللغة والهندسة والهيئة والحساب، ثقة فيما يرويه ويمليه، معروفا بالصدق، وله من الكتب كتاب «الفصاحة». كتاب «الأنواء». كتاب «حساب الدور» كتاب «الرد على رصد الأصبهاني» (هو الحسن بن عبد الله المعروف بلغة الأصبهاني) ذكر الداودي أنه كتاب «الرد على لغزة»، كتاب «البحث في حساب الهند» كتاب «البلدان» كبير. كتاب «الجمع والتفريق» كتاب «الجبر والمقابلة» كتاب «نواذر الجبر» كتاب «الوصايا». كتاب «الشعر والشعراء» كتاب «لحن العامة» (في الفهرست : كتاب ما يلحن فيه العامة) كتاب «الكسوف»، ملكته بخطه. كتاب «تاريخ الأخبار الطوال» في الفهرست ومعجم الأدباء والخزانة، كتاب «الأخبار الطوال» وسماه صاحب كشف الظنون «تاريخ أبي حنيفة»، ونقل عن المسعودي : «وهو كتاب كبير، أخذ ابن قتيبة ما ذكره وجعله لنفسه». «كتاب النبات» (زاد ياقوت وصاحب الخزانة : كتاب «إصلاح المنطق»، وكتاب «القبلة والزوال». وحكى ياقوت عن أبي حيان أن له كتابا في تفسير القرآن).

نقلت من خط ياقوت الموصلي الكاتب ما مثاله : «وجدت على ظهر الجزء الأول من كتاب «النبات» لأبي حنيفة الدينوري بخط أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد ابن الخشاب ما هذه حكايته فنقلته : وجدت بخط أبي عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالغ الشاعر - رحمه الله - ما هذه حكايته، فنقلته : قرأت هذا الكتاب على القاضي أبي سعيد السيرافي ورواه لي عن مسيح بن الحسين ابن أخت أبي حنيفة الدينوري، وذكر أنه قرأه على خاله أبي حنيفة. وقرأ عليه بهذه الرواية كتاب «الأنواء»، وسمعته قراءة عليه، وقرأناه على أبي عبد الله الحسين بن هارون القاضي الضبي بهذه الرواية أيضا، وبقراءة أبي أحمد عبد السلام بن الحسين البصري، وسمع أبو الحسين السمسمي، وسمع الشريف المرتضى أبو القاسم. نقله أحمد بن أحمد في جمادى الآخرة

عنه لا أعرفه . فاستحسن منه هذا الإقرار وترك البهت (البهت : الكذب) .

ترجمته في بغية الوعاة / ١٣٢ ، وتلخيص ابن مکتوم / ١٢ ، وخزانة الأدب / ١ / ٢٦ ، وسلم الوصول / ٨٢ ، والفهرست / ٧٨ ، وكشف الظنون / ٢٨٠ ، ٦٦٤ ، ١٣٩٩ ، ١٤٤٦ ، ومعجم الأدباء / ٣ / ٢٦ - ٣٢ ، ونزهة الألباء / ٣٠٥ - ٣٠٦ ، وذكره ابن كثير وأبو الفدا في وفیات سنة ٢٨٢ . انظر أيضا الفهرست لابن النديم / ٧٨ ، والإرشاد لياقوت / ١ / ١٢٣ - ١٢٧ ، وبغية الوعاة للسيوطي / ١٣٢ ، وضحي الإسلام لأحمد أمين / ١ / ٤٠٦ - ٤٠٨ (إنباه الرواة / ١ / ٤١ - ٢٤٤ ، والفهرست / ١١٦) .

وعن أبي حنيفة الدينوري ومصنفاته يقول بروكلمان :

وكان مثل ابن قتيبة ، في تعدد نواحي العلم واتساع دائرة المعارف وكثرة التصنيف ، معاصره أبو حنيفة أحمد بن داود بن وند الدينوري .

وفوق علوم النحو والعربية ، التي أخذها أبو حنيفة الدينوري عن أستاذه الكوفي « ابن السكيت » ، اهتم أيضا بعلوم الحساب والنجوم والجغرافية والتاريخ فوسع بكل ذلك دائرة ثقافته وعلمه ، وكان الجاحظ يشبهه في سعة العلوم والمعارف بأبي سهل بن أحمد البلخي .

ويحصى مصنفاته على النحو التالي :

١ - الأخبار الطوال .

٢ - كتاب النبات .

٣ - كتاب المجالسة : ذكره السيوطي في شرح شواهد المغني ١٩٣ ص ٢٧ .

٤ - كتاب الأنواء ، أخذ ابن سيده قسما منه في كتاب المخصص ٩ : ١٠ وما بعدها .

٥ - الدرة الفريدة في الدروس المفيدة ، في تسعة أجزاء : أصفية ٢ : ١٥ رقم ١٠ ، ١٢٦ - ١٣٤ .

وذكره كراتشكوفسكي بقية مصنفات أبي حنيفة الدينوري في كتاب الأخبار الذي نشره ص ٢٩ وما بعدها .

أما الطعن الذي وجهه المسعودي في مروج الذهب ٣ / ٤٤٢ إلى ابن قتيبة بأنه سطا على مصنفات أبي حنيفة

سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ، ويخطه أيضا على ظهر النسخة المذكورة : قرأ جميع هذه المجلدة - وعددها سبع عشرة كراسة على الشيخ يحيى بن الحسين بن أحمد بن البناء من أولها إلى البلاغ المقابل لنسخة الخالغ بروايته عن أبي القاسم على بن أحمد السري ، إجازة عن أبي عبد الله الضبي ، وإجازة عن مسبح بن الحسين عن أبي حنيفة - عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب في مجالس آخرها يوم الأحد سابع رجب من سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، والباقي وجادة ؛ لأنه لم يقابل بالمسموع من الضبي ، وأثبت بحمد الله نقل المذكور جميعه ياقوت بن عبد الله في سابع رجب من سنة ست وستمائة بمدينة الموصل .

(الوجادة ، بالكسر ، وهي في اصطلاح المحدثين : اسم لما أخذ من العلم من صحيفة ، من غير سماع ولا إجازة ولا مساولة . تاج العروس ٥٢٤ / ٢) .

توفي أبو حنيفة أحمد بن داود ليلة الإثنين لأربع بقين من جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومائتين - رحمه الله .

وحكى ابن روضة البروجردى (منسوب إلى بروجرد) قال : زعموا أن أبا العباس المبرد ورد الدينور زائرا لعيسى بن ماهان ، فأول ما دخل إليه وقضى سلامه قال له : أيها الشيخ ، ما الشاة المجثمة التي نهى النبي ﷺ عن أكل لحمها ؟ فقال : هي الشاة القليلة اللبن مثل اللجبة ، فقال : هل من شاهد ؟ فقال : نعم ، قول الراجز :

لم يبق من آل الجعبيـــــــــــــــة نســــــــــــمة

إلا عنيــــــــــــز لجبيــــــــــــة مجثمــــــــــــة
فإذا بالحاجب يستأذن لأبي حنيفة الدينوري ، فأذن له ، فلما دخل قال له عيسى بن ماهان : ما الشاة المجثمة التي نهى النبي ﷺ عن أكلها ؟ فقال : هي التي جثمت على ركباتها ونحرت من قفاها فقال : كيف تقول وهذا شيخ العراق - يعني أبا العباس المبرد - يقول : هي مثل اللجبة ، وهي القليلة اللبن ، وأنشد البيهقي . فقال أبو حنيفة : أيما البيعة تلزم أبا حنيفة إن كان هذا الشيخ سمع هذا التفسير ، وإن كان البيتان إلا لساعتهما هذه .

فقال أبو العباس المبرد : صدق الشيخ أبو حنيفة ، أنفت أن أرد عليك من العراق ، وذكرى ما قد شاع ، فأول ما تسألني

والطمأنينة، حيث المدارس العديدة وهي تعج بالعلماء والطلاب. والمسكن المريحة لطلبة العلوم والنفقات والأرزاق المخصصة لهم من أصحاب الوقوف. والمكتبات الجامعة لمصادر مختلف العلوم والفنون.

حتى بلغت المدارس الكبيرة في بغداد عند واقعة هولاكو ٣٨ مدرسة عدا المدارس الصغيرة الملحقة بالمساجد والتكايا والربط، والكتاتيب لتعليم الصغار ذكراً وإناً.

وخلال هذا التاريخ الطويل، قد اندثرت تلك المدارس، وتغيرت خطط بغداد، ومعالمها التاريخية.

وزالت تلك المدارس على شهرتها وذيوها، وبقي صيتها يتردد في تضاعيف كتب التاريخ والأدب.

وبقيت المدرسة المستنصرية في مكانها، ولكنها بقيت أثراً من الآثار، يقصدها الزوار والسياح، ليس فيها شيوخ، ولا طلاب، ولا تدريس. منذ زمن بعيد.

أما «مدرسة الإمام أبي حنيفة» فهي المدرسة الوحيدة في العراق، التي بقيت محافظة على مكانها ومكانتها العلمية، طيلة تسعة قرون ونصف، شهدت خلال ذلك أحداثاً جليلة وخطيرة في تاريخ العراق.

وبقيت تواصل رسالتها العلمية في مختلف الظروف، يسراً وعسراً، وتلقى رعاية وبراً، وتعانى عنتاً وشدة.

وكنت أجداً أخبارها متناثرة في ثنايا الكتب.

وقد تناول بعض الأفاضل من الباحثين، جوانب يسيرة من تاريخ هذه المدرسة الطويل الحافل بالأمجاد.

ومن أشهر الذين كتبوا عنها الدكتور مصطفى جواد، والدكتور ناجي معروف، والدكتور عماد عبد السلام رؤوف.

وكان الشيخ هاشم الأعظمي، قد وضع كتاباً في «تاريخ جامع الإمام الأعظم ومدرسته العلمية» تناول في الجزء الأول بعض الجوانب من تاريخ المدرسة، وترجم لطائفة قليلة من شيوخها ومدرسيها، كما ترجم لجماعة من طلابها الذين تخرجوا فيها.

ورأيت من الوفاء لهذه المدرسة، أن يكون لها كتاب جامع لأخبارها، تمجيداً لها، وتخليداً لعلمائها، واعتزازاً بها... إلخ وعقدت العزم على ذلك، وبمعاونة الله سبحانه أكملت

الدينوري، فربما كان راجعاً إلى كتاب الأنواء، إذ ألف كل منهما كتاباً بهذا العنوان، انظر كراتشكوفسكى ٤٠، وانظر أيضاً خزائن الأدب ٢٦/١، ١٠/٤، طبقات الأئمة لصاعد ٧٠س ١٠، وانظر أيضاً كراتشكوفسكى ٤٩ (تاريخ الأدب العربي ٢/٢٣١، ٢٣٢).

(تراث العرب القديم في ميدان علم النبات - فريد حجا/ ٢٥، ٣٠، وإنباه الرواة للقفطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١/٤١ - ٤٤، والفهرست لابن النديم / ١١٦، وتاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان - نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار. دار المعارف ٢/٢٣١، ٢٣٢. انظر أيضاً الأعلام للزركلى وقد أوردته تحت عنوان «الدينورى» والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٨/٣٢٢).

«أبو حنيفة (مدرسة الإمام):»

خص الخطاط وليد الأعظمى هذه المدرسة التاريخية بكتاب يحتوى على معلومات مستفيضة، ونقل لك هنا بعض ما جاء فيه - يقول المؤلف:

إن من أكبر ما تعتز به الأئمة والشعوب، ما يضمه تاريخها من مراكز العلم، والعلماء فيها، وما يشير إلى مظاهر حضارتها. و (مدرسة الإمام أبي حنيفة) من المدارس العريقة في تاريخ العراق، وهى من أبرز معاهد بغداد العلمية التى نباهى بها ونعتز ونفتخر.

وقد أنشئت عند منتصف القرن الخامس الهجرى، سنة ٤٥٩ هـ. وافتتحت قبل المدرسة النظامية الشهيرة بخمسة شهور.

ووصفها الدكتور مصطفى جواد بأنها: «أول مدرسة منتظمة واسعة أنشئت فى العراق ...» (دليل خارطة بغداد / ١٥٦).

ثم أنشئت بعدها المدرسة النظامية، ثم التاجية، ثم مدرسة تركان خاتون، ومدرسة سعادة، والمدرسة التنشئية، والمغيشية، والموفقية. والزيركية. والكمالية ثم توجت المدارس فى بغداد بالمدرسة المستنصرية الشهيرة التى افتتحت سنة ٦٣١ هـ (مدارس بغداد فى العصر العباسى للدكتور عماد عبد السلام رؤوف).

وكانت بغداد مأوى العلماء والفضلاء، يقصدها طلاب العلم والمعرفة من أقصى الدنيا، لينعموا فيها بالأمن والعلم

كتابي هذا وسميته « مدرسة الإمام أبي حنيفة ، تاريخها ، وتراجم شيوخها ومدرسيها » وجعلته في ثلاثة فصول .

تناولت في الفصل الأول . تاريخ المدرسة ومراحل تطورها ، من حيث التنظيم ، والمناهج ، وأسلوب التعليم ، وما يتعلق بذلك .

وخصصت الفصل الثاني ، في تراجم الذين تولوا مشيختها وعمادتها . ورتبتهم حسب تاريخ تسلسل تولي المشيخة والعمادة .

وجعلت الفصل الثالث ، في تراجم الذين تولوا التدريس فيها . ورتبتهم حسب تسلسل وفياتهم ، وأما الأحياء فقد رتبتهم على تاريخ تولدّهم .

وجعلت في آخر الكتاب ملحقا بأسماء الأساتذة الذين شغلوا وظيفة التدريس فيها ، من غير العراقيين .
إنشاء المدرسة :

وفي سنة ٤٥٩ هـ ذكر ابن الجوزي (المنتظم ٨ / ٢٤٥) أن أبا سعد المستوفي الملقب شرف الملك ، بنى في تلك السنة مشهد الإمام أبي حنيفة وعمل لقبره ملبنا ، وعقد القبة ، وعمل المدرسة بإزائه ، وأنزلها الفقهاء ، ورتب لهم مدرسا ، فدخل أبو جعفر بن البياضي (ت ٤٦٨ هـ) إلى الزيادة ، وأنشد ارتجالاً :

ألم تـر أن العلم كان مضيعاً
فجمعـه هـذا المغيب في اللحد
كذلك كانت هذه الأرض ميتة
فأنشـرها جود العميد أبي سعد

وذكر ابن الأثير : أن هذين البيتين كتبنا على القبة بخط جميل وقال ابن الجوزي (المنتظم ٨ / ٢٤٥) : « قرأت بخط أبي الوفاء بن أبي عقيل قال : وضع أساس مسجد بين يدي ضريح الإمام أبي حنيفة بالكلس والنورة وغيره ، فجمع سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، وأنا ابن خمس سنين أو دونها ، وكان المنفق عليه تركي قدم حاجا ، ثم قدم أبو سعد المستوفي ، وكان حنفيا متعصبا ، وكان قبر الإمام أبي حنيفة تحت سقف عمله أمراء التركمان ، وكان قبل ذلك - وأنا صبي - عليه (خربشت) (كلمة فارسية معناها « الستارة ») خاصا له ،

وذلك في سني سبع أو ثمان وثلاثين ، قبل دخول الغز بغداد سنة سبع وأربعين ، فلما جاء شرف الملك سنة ثلاث وخمسين ، عزم على إحداث القبة ، وهي هذه ، فهدم جميع أبنية المسجد ، وما يحيط بالقبر ، وبنى هذا المشهد ، فجاء بالقطاعين والمهندسين ، وقدر لها ما بين ألوف آجر ، وابتاع دورا من جوار المشهد ، وحفر أساس القبة ، وكانوا يطلبون الأرض الصلبة ، فلم يبلغوا إليها إلا بعد حفر سبعة عشر ذراعا في ستة عشر ذراعا ، فخرج من هذا الحفر عظام الأموات ، الذين كانوا يطلبون جوار النعمان ... » .

وكان الابتداء في إنشاء المدرسة يوم ١٨ صفر من سنة ٤٥٩ هـ ، واستغرق بناؤها مدة أربعة شهور ، وكمل إنشاؤها وافتتحت يوم ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٤٥٩ هـ ، وتعتبر مدرسة الإمام أبي حنيفة أول مدرسة منتظمة واسعة أنشئت في العراق ، إذ افتتحت قبل المدرسة النظامية بخمسة شهور . وكان أول من ولي مشيختها الفقيه أبو طاهر الديلمي الحنفي المتوفى سنة ٤٦١ هـ ، وتعاقب بعده أعلام المشايخ والفقهاء كالإمام أبي طالب الزينبي المتوفى سنة ٥١٢ هـ والإمام أبي إسحاق الشلجي المتوفى سنة ٥١٥ هـ ، والإمام أبي يوسف اللمغاني المتوفى سنة ٥٣٦ هـ ، والقاضي أبي منصور الهيتي المتوفى سنة ٥٣٧ هـ ، وقاضي القضاة الزينبي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ ، وزين الأئمة الحنفي المتوفى سنة ٥٤٦ هـ ، والفقيه أبي الغنائم البغدادي المتوفى سنة ٥٥٧ هـ ، والعلامة ابن الكيال الواسطي المتوفى سنة ٦٠٥ هـ ، والفقيه الأشهر العلامة ضياء الدين التركستاني المتوفى سنة ٦١٠ هـ ، وغيرهم من فحول العلماء وأكابر المشايخ .

وكانت هذه المدرسة محط أنظار العلماء وطلاب العلوم في مختلف الأقطار ، وكانت خاصة بالفقه الحنفي ، وتقابلها المدرسة النظامية في بغداد وهي خاصة بالفقه الشافعي ، وإلى جانب هاتين المدرستين الكبيرتين ، قامت مدارس أخرى أقل منهما شأنًا وأثرا .

حتى قامت المدرسة المستنصرية في سنة ٦٣١ هـ ، والتفتت الأنظار إليها ، وصار في بغداد ثلاث من كبار المدارس .

وبعد نكبة بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ اضطربت

ثم أخذت المدرسة بعده تضمحل ، وقل عدد طلابها وساءت أحوالها ولم يبق فيها سوى عدد يسير من المجاورين في المشهد ، وأكثرهم من الهنود والأفغان والأترك .

المناهج وأسلوب التعليم

كانت الدراسة في مدرسة الإمام أبي حنيفة في العهد العباسي تقوم على نظام الحلقات ، وعلى سنتها سارت المدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية فيما بعد .

وكان يعين المدرس في درسه أحد الطلاب المتقدمين ، ويعيد الدرس بعد شيخه ، وكذلك كان الطلاب المتقدمون المتفوقون يعلمون المبتدئين والذين هم أدنى منهم في المراحل العلمية .

ونجد في نص التوقيع الصادر بتعيين العلامة ضياء الدين التركساني سنة ٦٠٤ هـ ما يرشدنا إلى مناهج التعليم في هذه المدرسة جاء فيه : « ... وأن يذكر من الأصول فصلا يكون من سهام الشبه جنة . ولنصر اليقين مظنة ، متبعا من المذهب مفرداته ، ونكته ومشكلاته ما ينتفع به المتوسط والمبتدى ، ويتبينه ويستضيء به المنتهى ، وليذكر من المسائل الخلافية ما يكون داعيا إلى وفاق المعاني والعبارات ، هاديا لشوارد الأفكار إلى موارد المنافسات ، ناظما عقود التحقيق في سلوك المحافظات ، مصوبا أسنة البديهة إلى ثغر الأناة ... » (الجامع المختصر لابن الساعي ٩/ ٢٣٣-٢٣٧) .

أما ما يتعلق بشيخ المدرسة وواجبه في رعايتها فقد جاء فيه :

« وليبذل جهده في عمارة الوقوف المذكورة واستئنائها ، واستثمار حاصلها وارتفاعها مستخيرا من يستخدمه فيها من الأجلاء الأمناء ، ذوى العفة والغناء متطلعا إلى حركاتهم وسكناتهم ، مؤاخذا لهم على ماله يتصل بهم من فرطاتهم ، لتكون الأحوال متسقة النظام والمال محروسا من الانثلام ، وليبتدئ بعمارة المشهد والمدرسة ، المذكورين ، وإصلاح فرشها ومصنایيحها ، وأخذ القوام بالمواظبة على الخدمة بها وإلزام المتفقه بملازمة الدروس وتكرارها وإتقان المحفوظات وإحكامها ، وليثبت ما بخزانة الكتب من المجلدات وغيرها معارضا ذلك بفهرسته . متطلبا ما عساه قد شذ عنها وليأمر خازنها بعد استصلاحه بمراعاتها ونفضها في كل وقت ، ومرومة

الأحوال ، وساءت الأوضاع ، وتشتت شمل العلماء والطلاب ، وتدهورت الدراسة ، ثم استعادت المدرسة سيرتها بعد مدة وجيزة حين تولى مشيختها الإمام مجد الدين بن بلدجي الموصلي سنة ٦٦٧ هـ فسار فيها سيرة حسنة ، وكانت حلقاته في مشهد الإمام أبي حنيفة من أوسع الحلقات يقصدها العلماء والطلاب ، وتدور فيها المناظرات العلمية .

وازدهرت المدرسة بصورة أوضح حين تولى مشيختها الإمام تاج الدين بن السبائك البغدادي في الربع الثاني من القرن الثامن الهجري ، وكان رئيس علماء الحنفية ، وكبير علماء العراق ، وقد تولى التدريس في المستنصرية أيضا .

وتولاها بعده الإمام ابن الفصيح الكوفي الذي انتهت إليه رئاسة الحنفية في بغداد .

ثم اضطربت الأحوال الاجتماعية والسياسية في العراق ، وأثر سوء الأوضاع في سير الحركة العلمية ، فأخذت المدرسة بالتدهور والضمور والانحطاط ، حتى انقطعت أخبارها عند نهاية القرن الثامن الهجري ، حتى عدنا لا نجد لها ذكرا ولا خبرا في كتب التاريخ . وامتد هذا السبات حتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري ، وهي مرحلة طويلة من تاريخ العراق استغرقت ثلاثة قرون ونصف ، وكانت بغداد ترزح تحت تعسف حكومتى الخروف الأبيض والخروف الأسود من القزلباش والصفويين والعثمانيين ، حتى استولى الخراب والدمار على مشاريع الري والعمران والتعليم وغيرها من أسباب الحضارة .

وعند منتصف القرن الثاني عشر الهجري ، أعيد تعمير جامع الإمام الأعظم ، وبدأت حلقات العلم تلتئم في المشهد ، وبخاصة في أيام الوالي أحمد باشا بن حسن باشا المتوفى سنة ١١٦٠ هـ وقد تولى مشيخة المدرسة العلامة الشيخ مصطفى العلقبند الكبير المتوفى سنة ١١٦٥ هـ ، ثم أخذ النشاط العلمي يدب في حجرات المشهد ، حتى استعادت سيرتها ، وازدهرت تحت رعاية شيخها العلامة الإمام عبد الله السويدي المتوفى سنة ١١٧٤ هـ ، وكثر عدد طلابها ومدرسيها في عهد شيخها العلامة عبد الله الألوسي المتوفى في الطاعون سنة ١٢٤٦ هـ وهو والد العلامة الإمام المفسر أبي الثناء الألوسي (انظر الألوسي (أبو الثناء) في م ١/ ٥٥٤-٥٦١ والألوسيون في م ١/ ٥٧٣ ، ٥٧٤) .

مدرسة القرآن الكريم

كانت الجوامع في بغداد، لا تخلو من مدرسة لتعليم القرآن الكريم، وبخاصة منها الجوامع الكبيرة، وكانت في جامع الإمام الأعظم مدرسة لتعليم القرآن الكريم، وكان موضعها في حجرة خاصة كبيرة تقع في جهة الجنوب، وقد ادخلت ضمن كلية الشريعة.

وكان المرحوم الملا عبد الرزاق الأعظمي سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م مدرسا فيها.

ثم تولى التدريس فيها وكالة المرحوم الملا شريف المغربي، ثم أعيد التدريس فيها إلى الملا فاضل بن الملا عبد الرزاق عند بلوغه، وفي سنة ١٩٢٣م نظمت الأوقاف مدرسة القرآن الكريم في جامع الإمام الأعظم واعتبرت درجتها بمنزلة المدارس الابتدائية.

وفي سنة ١٩٢٨م أعادت الأوقاف تنظيم المدرسة، وجعلتها خاصة بتعليم أصول التجويد، وعينت فيها الشيخ سليمان سالم الكركوكلي مدرسا، ثم نقل إلى جامع الأزبك.

وفي سنة ١٩٤٥م عين الشيخ عبد القادر الخطيب مدرسا فيها. ويكون الدوام بعد صلاة العصر عدا يومى الثلاثاء والجمعة. وبعد وفاة الشيخ عبد القادر أهملت المدرسة.

كلية الإمام الأعظم :

بعد إعلان الدستور (المشروطية) سنة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م بدأ الوعي يدب في العقول والنفوس، ويحرك ذوى الفكر المنير بالمطالبة، والسعى لإصلاح أوضاع التعليم في العراق. وكان المرحوم العلامة الشيخ نعمان الأعظمي، العقل المدبر لإعادة بناء المدرسة، وحسن تنظيمها، والأخذ بالأساليب والأسباب العصرية في نشر العلوم والمعارف.

وكان دؤوبا في عمل الخير، وله همة عالية، وطموح بالغ في إعلاء شأن المدرسة في العراق خاصة والعالم العربي والإسلامي عامة. وقد شاور بعض علماء الأعظمية في إيصال خبر المدرسة ومطالبتهم بتنظيمها والعناية بها، إلى السلطان، محمد رشاد، واتفقوا على تقديم طلب بذلك حتى إذا جاءت الموافقة من السلطان يكون عند ذلك الوالى وموظفو الأوقاف تبعاً ومنفذين، ولا يستطيعون أن يعارضوا أمراً للسلطان.

وجعل الحاج نعمان طلبه هذا رسالة على لسان الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان يطالب فيها السلطان بإعادة بناء مدرسته العلمية وتخصيص نفقات الطلاب من أوقافه.

شعنها، وأن لا يخرج شيئا منها إلا إلى ذى أمانة مستظهرها بالرهن عن ذلك» (المرجع السابق).

ويشير هذا التوقيع إلى أن شيخ المدرسة كان مسئولاً عن الأوقاف المخصصة للجامع والمدرسة فقد جاء فيه.

«... رأينا الإحسان إليه، والتعويل عليه في التدريس بمشهد الإمام أبى حنيفة رحمة الله عليه، ومدرسته، وإسناد النظر في وقف ذلك أجمع إليه...» (المصدر نفسه).

وبقيت المدرسة على هذه الحالة إلى عهد الانحطاط في القرنين العاشر والحادى عشر الهجريين.

وعند استيلاء العثمانيين، جعلوا الأوقاف الموسومة باسم الإمام أبى حنيفة تدار من قبل الدولة، وتوسعوا في الوظائف، فهناك المتولى والسادن، والمدرس والواعظ والخطيب والإمام، والقارئ ولكل واحد من هؤلاء راتب مخصص وليس له الإشراف على الأوقاف. وكانت المدرسة في أواخر العهد العثماني يقوم بها اثنان من العلماء وهما المدرس الأول. ويقوم مقام المدير، ثم المدرس الثانى، ويعينهما الطلاب المعيدون للدرس، وهم المتفوقون.

وكان آخر من شغل منصب المدرس الأول فيها سماحة العلامة المرحوم الشيخ سعيد النقشبندى، وكان قد أقام في سامراء عند تأسيس المدرسة العلمية فيها، وكان هو الساعى فى تأسيسها، وبقي فيها ست سنوات من ١٣١٢هـ إلى ١٣١٨هـ ثم أعيد إليه التدريس في مدرسة الإمام الأعظم، وفي ذلك يقول المرحوم الرضا فى :

ألا قد سرَّ طالب كل علم

ومن بسَّط النفائس فى طلابه

صبيحة شرف الزورا سعيد

بمقدمه المبارك من غيابه

وتدريس العلوم لطالبيها

لدى (النعمان) عاد إلى جنابه

هو البحر الخضم بغير حد

فرائد كل علم فى عبابه

فقلت بمعرض التاريخ بشرى

وأمر المدرس عاد إلى نصابه

سنة ١٣١٨هـ

الرشدى والإعدادى العلوم الخاصة بالدين كالتفسير والحديث والفقه . ويكون تعلم اللغة التركية والفارسية إجباريا . وتعلم لغة الأوردو - من اللغات الشائعة فى الهند - اختياريا .

والطلاب الذين يرقون إلى الصف العالى . يتعلمون فى السنوات الست الخاصة بهم ، علوم الدين ، ويتبحرون فى غوامضها .

وتعلم فى هذه المدرسة الكبرى ، كل ما اعتبر تدريسه فى مدارسنا من العلوم الشريفة ، وتعلم فى صفوفها العالية عدا ما تقدم : فلسفة الأديان ، وتاريخ الأديان ، وأصول الأديان المختلفة ، والمطالب المتعلقة بالحقوق العمومية ، وتعلم كذلك الفلسفة الجديدة .

وستكون فى المدرسة مطبعة صغيرة ، تنشر فيها مجموعة دينية ، تصدر باللغة التركية والعربية الفارسية فى كل شهر مرة . وتكون المدرسة بأجمعها تحت إدارة مدير عام ، ويكون لهذا المدير معاون ، وكتّاب ، ومأمورون ، ويكون لكل شعبة من شعب المدرسة ناظر للدروس ، يسأل عن انضباط الطلاب وسائر الخصوصيات .

وتكون للمدرسة لجنة علمية . تؤلف من المدير العام ، والمدرسين ، ونظار الشعب ومعاون المدير ، وتجتمع تحت رئاسة المدير العام كل خمسة عشر يوما مرة واحدة أو أقل ، حسب دعوة المدير العام ، وهذه اللجنة تتذكر فيما بينها كل ما يتعلق بأمور التعليم من الخصوصيات ، وتتعاطى الآراء فيما يختص بالأحكام الدينية وعلومها وتدير أمور الرسالة الشهرية التى تختص بالمدرسة .

ومن وظائف هذه اللجنة العلمية أن تدقق المحاضرات التى تلقى على الطلاب وغيرهم قبل إلقيها فى غرفة المدرسة الكبيرة من المباحث المتنوعة الدينية والفنية ، وأن تنظر فى تحرير المجموعة السنوية الباحثة عن المعاملات التدريسية لكل سنة ، وعن الشؤون العامة السنوية مما يتعلق بالعالم الإسلامى .

وأن تفحص تقارير الدعاة الذين يتخرجون من صفوف المدرسة العالية ، ويعينون بمراتب كافية ، تعطى من قبل الحكومة ، مأمورين لبث الدين الإسلامى فى أنحاء الأرض ، وتعطيهم التعاليم اللازمة لهذا الأمر الجليل .

وصنع الحاج نعمان ختما كبيرا باسم الإمام الأعظم وختم به الرسالة وأرسالها مع العلامة السيد علاء الدين الألوسى . والعلامة السيد مصطفى الواعظ عضوى (مجلس المبعوثين) إلى السلطان محمد رشاد ، كما طلب الحاج نعمان من والى بغداد ناظم باشا ومجلس الولاية ، أن يبرقوا إلى السلطان فى تأييد هذا الطلب الكريم وتعضيده ...

وقد وافق السلطان محمد رشاد على إعادة تعمير المدرسة ... وأنه تخصص للطلبة ثمانون ألف قرش سنويا ...

وفى أوائل شهر جمادى الآخرة ١٣٢٩ هـ الموافق أوائل حزيران (يونية) سنة ١٩١١م تم تخطيط كلية العراق الإسلامية المعروفة بـ (الكلية الأعظمية) ، ولا زالت عناية دولة الوالى يوسف باشا (آكاه) ، مصروفة إلى إخراج هذه الكلية من عالم الخيال إلى عالم المثال . وهى تلك الكلية التى رفعت إلى هذه المرتبة نهار الجمعة ١٦ أيار ١٩١١م الموافق ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٢٩ هـ ، وكان قد حضر حفلة ترفيتها جم غفير من أكابر البلدة ، ورجالها الأمثال من عسكريين ومدنيين .

وتم إنشاء الطابق الأول فى عهد الوالى يوسف باشا آكاه ، وتم بناء الطابق الثانى ، وتزويدها بالأثاث واللوازم فى عهد الوالى أحمد جمال باشا (السفاح) وافتتحت فى أول سنة ١٣٣٠ هـ - ١٩١٢م .

نظام الكلية الجديد :

ذكرت مجلة سبل الرشاد (العدد ١ ص ٣ ، ٤ سنة ١٩١٢) تفصيلا لنظام الكلية الجديد ، الذى بموجبه ستقسم هذه الكلية إلى ثلاث شعب مستقلة ، إحداها : القسم الرشدى ، والثانية : القسم الإعدادى ، والثالثة : القسم العالى ، وتكون مدة التعليم فى كل من شعبة الرشدى والإعدادى أربع سنوات . وفى الشعبة العالية ست سنوات ، فىكون كل مدة التعليم فى المدرسة أربع عشرة سنة ، تدرس فى شعبتى الرشدى والإعدادى . كل العلوم والفنون الموجودة فى بروغرام المكاتب العالية (اللغات الأجنبية مستثناة) ، وتكون التدريسات باللغة العربية ، لغة الأهلين خاصة ، وتعلم القواعد العربية ، وعلم الأدب ، وفروعهما باهتمام كبير من أول سنة الرشدى إلى سنة الإعدادى ، وكذلك تعلم فى صفوف

لجرحى الحرب، وكذلك جعلت الرواق من جامع الإمام الأعظم مستشفى أيضا. وبقيت كذلك حتى سقوط بغداد، واحتلالها من قبل الإنجليز في ١١ آذار (مارس) ١٩١٧ م. واستؤنفت الدراسة فيها بتاريخ ١٧ نيسان (إبريل) ١٩١٧ م وعين الشيخ النقشبندی عميداً لها.

وكانت الطامة حين نفى الإنجليز العلامة الحاج نعمان الأعظمي إلى الهند بتاريخ ٣١ مارس ١٩١٧ م بعد الاحتلال بخمسين يوماً، فبقيت الكلية من دون راع يرعاها، ويدافع عن حماها مدة ثلاث سنوات.

وبعد وفاة الشيخ سعيد النقشبندی سنة ١٩٢٠ م عين العلامة نور الدين الشيرواني عميداً لها، ثم أعيد النظر في نظام ومناهج الكلية وأصبحت الدراسة فيها ست سنوات تتكون من مرحلتين:

الأولى: إعدادية ودراستها سنتان.

والثانية: ومدتها أربع سنوات.

وبموجب هذا النظام اكتسب خريجوها حق التوظيف في وظائف الدولة والأوقاف.

وكان منهج الدراسة في الكلية يتضمن المواد العلمية التالية:

التفسير، الفقه، الحديث، التجويد، النحو، المنطق، البيان، الحساب، الحكمة، الطبيعة، الجغرافية، التاريخ، البلاغة، الأدب، الإنشاء، الرياضيات.

وكانت الدراسة فيها نهاراً، ولم يكن فيها قسم داخلي في تلك المرحلة، لذلك كانت الأوقاف تصرف للطلاب مكافآت شهرية وهي:

١٥ ربية للطالب في الصفين الأول والثاني.

١٧ ربية للطالب في الصفين الثالث والرابع.

٢٠ ربية للطالب في الصفين الخامس والسادس.

ونتيجة لنظامها الجديد، فقد أعلنت إدارة الكلية في مطلع سنة ١٩٢١ م شروطاً لقبول الطلاب وهي:

١- أن يكون الطالب (على الأقل) مجازاً من إحدى المدارس الابتدائية ذات الصفوف الستة، أو يبرز القابلية في الامتحان.

٢- أن لا يكون عمره أقل من ثلاث عشرة سنة.

الوظائف المهمة الخادمة لمنافع المسلمين بهذه اللجنة المؤلفة من مدرسيها المنتخبين من كبار علماء الأمة المشهورين بسعة الاطلاع، فإن وظائفهم تحدد وتوضح كما ينبغي في نظام داخلي يسن لها.

وسيوجد في كل صف من صفوف قسم الرشدي المؤلف من أربعة صفوف ثمانون تلميذاً ليلياً، وأربعون نهارياً، فيكون عدد التلاميذ (١٢٠)، وينقسم كل صف إلى ثلاثة أقسام، عدد تلاميذ كل منها أربعون.

وأما صفوف القسم الإعدادي. فسيكون عدد التلامذة اللياليين في كل منها (٧٥) وعدد النهاريين منهم (٣٠) فيكون عدد مجموع تلاميذ كل صف منها (١٠٥)، وينقسم هذا أيضاً إلى ثلاثة أقسام كل قسم منها عدد تلاميذه (٣٥) والشعبة العالية: صفوفها ستة، يحتوى كل منها على (٦٠) تلميذاً ليلياً و (٣٠) نهارياً، فيكون عدد مجموع التلاميذ فيها (٥٤٠) وينقسم كل صف إلى قسمين، يضم كل منهما إليه (٤٥) تلميذاً.

وعلى هذا الحساب سيكون عدد مجموع التلاميذ في كلية الإمام الأعظم (١٤٤٠) تلميذاً، (٩٨٠) منهم ليلي و (٤٦٠) نهارياً.

من خلال ما تقدم، يتضح لنا التقدم الواضح الذي حققته الكلية في هذا النظام الجيد المتكامل.

لكن مما يؤسف عليه، أن هذه الكلية ما إن باشرت بالدوام شهراً أو شهرين حتى بدأت العوائق تلقى في مسيرتها، فقد خفضت نفقاتها في شهر آذار (مارس) سنة ١٩١٢ م واقتطعت من نفقاتها مبلغ ١٦,٠٠٠ قرش.

فكان هذا التقليس في الميزانية أول صدمة أصابتها، وهي بعد في أول نشأتها.

تحويل الكلية إلى مستشفى:

ما إن سلخت الكلية من عمرها سنتين، وبدأ شمل الطلاب يلتئم فيها، وتنظم الدروس والمحاضرات، حتى قامت الحرب العالمية الأولى وأعلن النفير العام، واضطربت الأحوال، واستدعى المدرسون والطلاب الكبار إلى الخدمة العسكرية، فألغيت الدراسة فيها، واتخذت السلطات العسكرية التركية قراراً بتحويل الكلية إلى مستشفى عسكرية

٣- أن يكون سالم الأطراف مع سلامته من الأمراض السارية .

٤- أن يكون مشهود الأطوار والأخلاق .

٥- أن يقدم كفيلا بضمان ما صرف عليه عند ترك الدراسة وأشار نظام الكلية إلى أن الغاية من العناية بهذه الكلية «تخريج أناس لائقين لتقليد القضاء، والفتيا، والتدريس، والسوخط، وكتابة الضبط، وغير ذلك من الوظائف العلمية والدينية» .

وكان قد بلغ عدد الطلاب في الكلية (٨٠) طالبا في سنة ١٩٢٠ م ...

وفي سنة ١٩٢٣ م افتتحت الشعبة العالية من جامعة آل البيت في الأعظمية، وكان أمينها العام المرحوم فهمي المدرس يسعى جاهدا لجعل الكلية الأعظمية، بدرجة المدارس الثانوية، لينتسب طلابها بعد تخرجهم إلى جامعة آل البيت التابعة لوزارة الأوقاف .

وكان ساطع الحصري يسعى من جانبه لتكون الكلية (ثانوية عامة) ينتسب خريجوها إلى الكليات التي تنشئها وزارة المعارف ...

وفي سنة ١٩٢٨ م أدمجت مع جامعة آل البيت، وصارت الدراسة فيها أربع سنوات، وفي الشعبة العالية من الجامعة ثلاث سنوات .

دار العلوم الدينية والعربية :

وفي نيسان (إبريل) سنة ١٩٣٠ م ألغيت جامعة آل البيت، وصدر النظام الجديد للكلية الأعظمية في ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٥٠ هـ / الأول من أكتوبر سنة ١٩٣١ م بعنوان (دار العلوم الدينية والعربية) وعين العلامة الأعظمي عميدا لها، واستعادت سيرتها بصورة منتظمة، وهذا نص تعديل نظام دار العلوم الدينية والعربية :

« تُدرس في الدورة المتوسطة العلوم الآتية :

التفسير وأصوله، الحديث وأصوله، العبادات، المناكحات، المعاملات، الفرائض والوصايا، اللغة، الصرف، النحو، تاريخ الآداب، قراءة ومحفوظات، الإنشاء، الحساب، الهندسة، الطبيعيات، الجغرافية، التاريخ، الرسم .

وتدرس في الدورة الثانوية العلوم الآتية :

التفسير وأصوله، الحديث وأصوله، أصول الفقه، الكلام، تاريخ التشريع، المعاملات، الأوقاف، التربية وعلم النفس، التطبيقات، اللغة، النحو، البلاغة، العروض، تاريخ الآداب، الإنشاء تاريخ الإسلام، الأخلاق، المنطق . وتعين مفردات هذه العلوم، لجنة تؤلفها مديرية الأوقاف العامة بعد استشارة وزارة المعارف .

المادة الثالثة : تبدل كلمة (الكلية) الواردة في المادة التاسعة عشرة من النظام المذكور بكلمة (المدرسة) ... إلخ .

وفي سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م أجرى تعديل في نظامها، وفي سنة ١٩٣٦ م، بلغ عدد طلابها (١٢٠) طالبا، تنفق وزارة الأوقاف على (٩٠) طالبا منهم في أقسامها الداخلية، وتنقسم الدراسة فيها إلى دورتين . خلال ست سنوات . الأولى : تتألف من ثلاثة صفوف، وهي تعادل الدراسة المتوسطة .

والثانية : من ثلاثة صفوف أيضا، على أن يتخصص الطلاب باللغة العربية، والدين، وأصول التربية والتعليم .

وتجرى الامتحانات العامة مع وزارة المعارف .

ويشترط في قبول الطالب أن يكون ناجحا في الامتحان العام للدراسة الابتدائية، ويجتاز الفحص الطبي، ويتعهد باكتساء الكسوة العلمية ...

وفي عام ١٩٤٦ م ألغيت دار العلوم، وصدر النظام الجديد بعنوان « كلية الشريعة » .

في عام ١٩٤٦ م صدر (نظام كلية الشريعة رقم ٥٥ لسنة ١٩٤٦ م) . وأصبحت بموجبه كلية دينية عالية ...

ويكون التعليم فيها على مرحلتين :

١- المرحلة الإعدادية : ومدتها سنتان، ولا يقبل فيها إلا خريجو الدراسة الدينية، وخريجو المدارس المعترف بشهادتها .

٢- المرحلة العالية : ومدتها أربع سنوات، ويكون طلابها من الناجحين في إعداديتها .

وتدرس فيها العلوم المتعلقة بالدين، والتشريع، والتاريخ، واللغة العربية والفلسفة .

الداخلية التعليمات المطبقة في إدارة الأقسام الداخلية التابعة
لجامعة بغداد، وللكلية مجلس يتولى شئونها ...

وفي سنة ١٩٦٧ م صدر القانون رقم (٣٨) وبموجبه
أسست « كلية الإمام الأعظم للدراسات الإسلامية » من جديد
وهي تابعة للأوقاف ... وألغيت كلية الشريعة وصارت تسمى
« قسم الدين » في كلية الآداب بجامعة بغداد .

وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من سنة ١٩٧٢ م صدر قانون
الجامعة الإسلامية رقم (١١٦) لسنة ١٩٧٢ م ...

وكان القانون يتضمن تسعا وعشرين مادة، وأن تتألف
الجامعة الإسلامية من الكليات التالية :

١ - كلية الشريعة .

٢ - كلية أصول الدين .

٣ - كلية الدراسات العربية .

... ثم توقف العمل بمشروع الجامعة الإسلامية ... وفي
سنة ١٩٨٠ م ألغيت كلية الإمام الأعظم وأبدلت إلى كلية
الشريعة، وانقطعت علاقتها بوزارة الأوقاف، وألحقت بجامعة
بغداد .

ونسوق لك بيانا لكل مما يلي :

١ - العلماء الذين تولوا مشيخة المدرسة .

٢ - العلماء والأساتذة الذين تولوا التدريس فيها .

٣ - العلماء والأساتذة الذين تولوا التدريس فيها من غير
العراقيين .

أولا : العلماء الذين تولوا مشيخة المدرسة :

تاريخ الوفاة

- ١ - الفقيه أبو طاهر الديلمي الحنفي ٤٦١ هـ
- ٢ - الإمام أبو طالب الزيني ٥١٢ هـ
- ٣ - الإمام أبو إسحاق الشلجي ٥١٥ هـ
- ٤ - الإمام أبو يوسف اللمغاني ٥٢٦ هـ
- ٥ - القاضي أبو منصور الهيثي ٥٣٧ هـ
- ٦ - قاضي القضاة أبو القاسم الزيني ٥٤٣ هـ
- ٧ - زين الأئمة الحنفي ٥٤٦ هـ
- ٨ - الفقيه أبو الغنائم البغدادي ٥٥٧ هـ

وفيها قسم داخلي تنفق الأوقاف فيه على الطلاب .

ولخريجي هذه الكلية ما لخريجي المدارس العالية من
الحقوق والامتيازات، ويرجح المتخرج فيها على سواه في
وظائف الأوقاف العلمية والإدارية، والمحاكم الشرعية،
ويعين لتدريس العلوم العربية والدينية في مدارس المعارف .

وفي سنة ١٩٥٢ م صدر نظام جديد لكلية الشريعة برقم
(٤٤) ...

إلحاقها بجامعة بغداد

بقي النظام رقم (٤٤) سائدا حتى ثورة ١٤ تموز (يولية)
١٩٥٨ م . فألغى وحل محله نظام كلية الشريعة رقم ٣٣ لسنة
١٩٥٨ م .

وكانت الكلية تابعة إلى مديرية الأوقاف العامة حتى صدر
النظام رقم ٤٧ لسنة ١٩٦٠ م القاضي بإلحاق الكلية بوزارة
المعارف . على أن تلحق بجامعة بغداد في نهاية السنة
الدراسية ١٩٦٠ - ١٩٦١ ، على أن يجري تطوير الدراسة
فيها، والتوسع بعلوم اللاهوت، والفقه، والشرائع، وقد نص
النظام على أن تكون كلية الشريعة . كلية عالية تنفق عليها
وزارة المعارف، وتعنى بشؤونها الإدارية والعلمية .

وأن الغرض من تأسيسها هو إقامة دراسة ثقافية منظمة من
مستوى عال في علوم الشريعة الإسلامية . واللغة العربية
وآدابها وتاريخ الأديان واللاهوت، والعلوم الاجتماعية
والتربوية .

وجعلت مدة الدراسة في الكلية أربع سنوات ، بعد
الدراسة الثانوية، ويمنح خريجوها شهادة البكالوريوس في
العلوم .

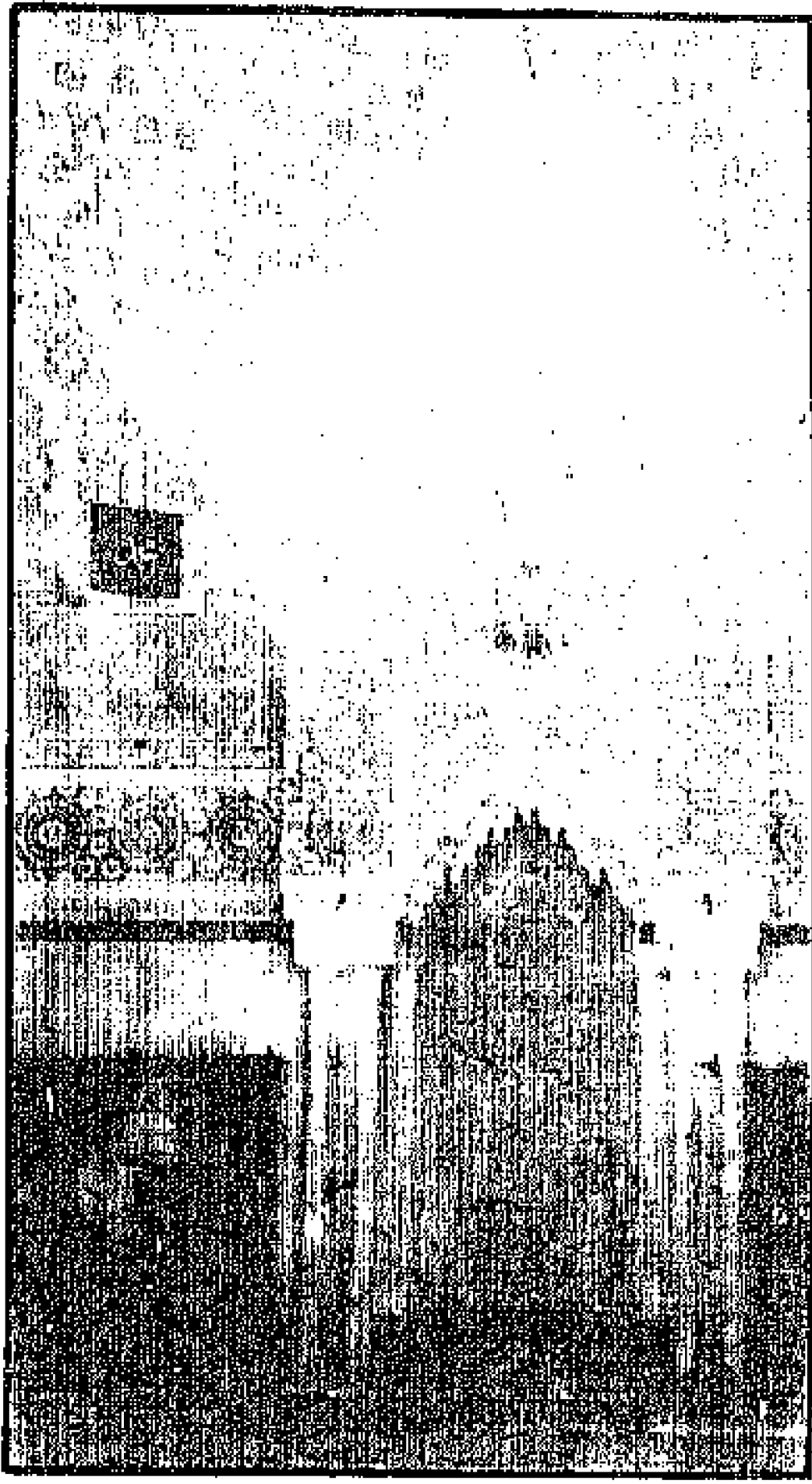
وقد نصت المادة الخامسة من النظام على أن : لخريجي
كلية الشريعة من الحقوق والامتيازات ، مالحمة الشهادات
العالية الأخرى ، الممنوحة وفقا لقانون جامعة بغداد .

كما نصت المادة التاسعة على أن : الدراسة في الكلية
مجانية، ويلحق بها قسم داخلي، يقبل فيه على نفقة وزارة
المعارف الطلاب من خارج مدينة بغداد، وتتعهد الوزارة
بإطعامهم وإكسائهم ، وتجهيزهم بالكتب المدرسية، ولوازم
التدريس، وتدفع لهم مخصصات شهرية يحددها وزير
المعارف، بناء على اقتراح مجلس الكلية ، وتتبع في القسم

٩ - أبو الحسن اليزيدي	٥٧١ هـ	٤٠ - الدكتور عمر الملاحويش	٠٠٠
١٠ - ابن الكيال الواسطي	٦٠٥ هـ	٤١ - الدكتور حمد ياسين الكبيسي	٠٠٠
١١ - الفقيه الأشهر ضياء الدين التركستاني	٦١٠ هـ	٤٢ - الأستاذ ياسين أشكح العزاوي	٠٠٠
١٢ - أبو الكرم البغدادي	٦٢١ هـ	٤٣ - الدكتور هاشم جميل	٠٠٠
١٣ - الشيخ مجد الدين اللمغاني	٦٤٨ هـ	ثانيا : العلماء والأساتذة الذين تولوا التدريس فيها :	
١٤ - الإمام أبو الفضل اللمغاني	٦٤٩ هـ	٤٤ - الفقيه أبو سعيد النسفي	بعد ٥٦٦ هـ
١٥ - الإمام مجد الدين بن بلدجي	٦٨٣ هـ	٤٥ - الفقيه عبد العزيز الخوارزمي	بعد ٥٦٨ هـ
١٦ - الإمام حسام الدين السفغاني	٧١٤ هـ	٤٦ - الفقيه الحسن بن ناصر الكاغدي	٥٧٩ هـ
١٧ - تاج الدين بن السباك البغدادي	٧٥٠ هـ	٤٧ - الإمام يوسف اللمغاني	٦٠٦ هـ
١٨ - فخر الدين بن الفصيح الكوفي	٧٥٥ هـ	٤٨ - الفقيه أبو الفرج الحنفي	٦٠٩ هـ
١٩ - الإمام أبو حنيفة الإتقاني	٧٥٨ هـ	٤٩ - الشيخ شمس الدين الجبي	٦١٦ هـ
٢٠ - القاضي حسام الدين الغوري	٧٧١ هـ	٥٠ - الشيخ عبد الكريم بن بلدجي	بعد ٦٨٣ هـ
٢١ - الشيخ مصطفى العلقبند الكبير	١١٦٥ هـ	٥١ - الشيخ حسام الدين الفرغاني النعماني	٧٨٢ هـ
٢٢ - العلامة الشيخ عبد الله السويدي	١١٧٤ هـ	٥٢ - العلامة مصطفى المدرس الأعظمي	١٢٣٤ هـ
٢٣ - الشيخ أمد العلقبند الأعظمي	١١٧٦ هـ	٥٣ - الشيخ محمد العلقبند الأعظمي	١٢٤٦ هـ
٢٤ - السيد عبد الله الراوي	٠٠٠ هـ	٥٤ - العلامة الشيخ بهاء الحق الهندي	١٣٠٠ هـ
٢٥ - العلامة الشيخ عبد الله الألوسي	١٢٤٦ هـ	٥٥ - الملا عبد الرزاق الأعظمي	١٣٠٣ هـ
٢٦ - العلامة الشيخ حسين البشدرى	١٣٢٢ هـ	٥٦ - الشيخ عبد الغنى المدرس الأعظمي	بعد ١٣٠٣ هـ
٢٧ - العلامة الشيخ سعيد النقشبندى	١٣٣٩ هـ	٥٧ - الشيخ قاسم الغواص	١٣١٧ هـ
٢٨ - الشيخ نور الدين الشيروانى	١٣٦١ هـ	٥٨ - العلامة الشيخ أحمد السمين	١٣٢٠ هـ
٢٩ - العلامة الحاج نعمان الأعظمي	١٣٥٥ هـ	٥٩ - الملا فاضل الأعظمي	١٣٢٦ هـ
٣٠ - الأستاذ فهمي المدرس	١٣٦٣ هـ	٦٠ - الحاج شريف المغربي	١٣٣١ هـ
٣١ - الأستاذ عاصم الجلبى	١٣٨٢ هـ	٦١ - الشيخ معروف البشدرى	١٣٤٥ هـ
٣٢ - العلامة الحاج حمدي الأعظمي	١٣٩١ هـ	٦٢ - الشيخ على القره داغى	١٣٥١ هـ
٣٣ - الدكتور ناجى معروف الأعظمي	١٣٩٧ هـ	٦٣ - الشيخ محمد رشيد آل الشيخ داود	١٣٥٧ هـ
٣٤ - الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى	٠٠٠ هـ	٦٤ - الشيخ محمد فخرى الموصلى	١٣٥٨ هـ
٣٥ - الأستاذ هاشم الألوسي	١٣٨٤ هـ	٦٥ - الأستاذ عبد الهادي الأعظمي	١٣٦١ هـ
٣٦ - الأستاذ رشيد العبيدى	١٤٠٠ هـ	٦٦ - الأستاذ عبد اللطيف آل ثنيان	١٣٦٤ هـ
٣٧ - الدكتور جميل سعيد	٠٠٠ هـ	٦٧ - الشيخ عبد المحسن الطائي	١٣٦٤ هـ
٣٨ - الأستاذ عمر باوزير	١٣١٩ هـ	٦٨ - العلامة طه الراوى	١٣٦٥ هـ
٣٩ - الدكتور أحمد ناجى القيسى	٠٠٠ هـ	٦٩ - الشيخ عبد الوهاب الأعظمي	١٣٦٦ هـ

٧٠ - الشيخ بهاء الدين النقشبندى	١٣٦٨ هـ	١٠١ - الشيخ محمد محمود الصواف	٠٠٠
٧١ - العلامة الشيخ يوسف العطا	١٣٧١ هـ	١٠٢ - الدكتور عبد العزيز الدورى	٠٠٠
٧٢ - العلامة الحاج نعمان العمر الأعظمى	١٣٧١ هـ	١٠٣ - الدكتور صالح أحمد العلى	٠٠٠
٧٣ - الأستاذ حسين على الأعظمى	١٣٧٥ هـ	١٠٤ - الدكتور فاضل النعيمى	٠٠٠
٧٤ - العلامة الشيخ قاسم القيسى	١٣٧٥ هـ	١٠٥ - الدكتور يوسف عز الدين	٠٠٠
٧٥ - السيد سامح الأعظمى	١٣٧٨ هـ	١٠٦ - الشيخ عبد القادر إبراهيم	٠٠٠
٧٦ - العلامة الشيخ محمد القزلبجى	١٣٧٩ هـ	١٠٧ - الأستاذ نظام الدين عبد الحميد	٠٠٠
٧٧ - العميد طه الهاشمى	١٣٨٠ هـ	١٠٨ - الدكتور أحمد شاكر شلال	٠٠٠
٧٨ - الدكتور ناجى الأصيل	١٣٨٢ هـ	١٠٩ - الدكتور عبد الله عبد الحميد السامرائى	٠٠٠
٧٩ - الشيخ محمد وحيد الدين القادرى	١٣٨٤ هـ	١١٠ - الدكتور على محسن مال الله	٠٠٠
٨٠ - العلامة الشيخ أمجد الزهاوى	١٣٨٧ هـ	١١١ - الأستاذ إبراهيم المدرس	٠٠٠
٨١ - العلامة السيد منير القاضى	١٣٨٨ هـ	١١٢ - الدكتور حسيب السامرائى	٠٠٠
٨٢ - العلامة الشيخ عبد القادر الخطيب	١٣٨٩ هـ	١١٣ - الأستاذ سعيد عبد الكريم	٠٠٠
٨٣ - الدكتور مصطفى جواد	١٣٨٩ هـ	١١٤ - الدكتور عبد الستار حامد	٠٠٠
٨٤ - الأستاذ عبد العزيز الخياط	١٣٩٠ هـ	١١٥ - الدكتور أحمد مطلوب	٠٠٠
٨٥ - الشيخ عبد العزيز الشواف	١٣٩٠ هـ	١١٦ - الشيخ أحمد حسن السامرائى	٠٠٠
٨٦ - الأستاذ شفيق العانى	١٣٩١ هـ	١١٧ - الشيخ إبراهيم الدبو	٠٠٠
٨٧ - الأستاذ عبد الرحمن البزاز	١٣٩٣ هـ	١١٨ - الدكتور بدرى محمد فهد	٠٠٠
٨٨ - الشيخ نجم الدين الواعظ	١٣٩٦ هـ	١١٩ - الدكتور محسن عبد الحميد	٠٠٠
٨٩ - الأستاذ حسن رضا	١٣٩٧ هـ	١٢٠ - الدكتور محمد رمضان عبد الله	٠٠٠
٩٠ - الشيخ كمال الدين الطائى	١٣٩٧ هـ	١٢١ - الأستاذ أبو اليقظان الجبورى	٠٠٠
٩١ - الأستاذ محمد سعيد عارف	١٣٩٩ هـ	١٢٢ - الدكتور عبد الرحيم الزقة	٠٠٠
٩٢ - الأستاذ محمد سعيد المبصر	١٤٠٢ هـ	١٢٣ - الدكتور بشار عواد معروف	٠٠٠
٩٣ - الدكتور محمد بديع شريف	١٤٠٢ هـ	١٢٤ - الدكتور الشيخ عبد الله الجبورى	٠٠٠
٩٤ - الأستاذ جمال الدين الألوسى	٠٠٠	١٢٥ - الدكتور حارث الشيخ سليمان الضارى	٠٠٠
٩٥ - الدكتور فاضل الجمالى	٠٠٠	١٢٦ - الدكتور محمد مخروس المدرس	٠٠٠
٩٦ - الشيخ عبد الله الصوفى	٠٠٠	١٢٧ - الشيخ عبد اللطيف الهرزنجى	٠٠٠
٩٧ - السيد شاكر البدرى	٠٠٠	١٢٨ - الأستاذ غانم قدورى حمد	٠٠٠
٩٨ - الشيخ جلال الحنفى	٠٠٠	ثالثا : العلماء والأساتذة الذين تولوا التدريس فيها من غير	
٩٩ - الشيخ عبد الله الشيخلى	٠٠٠	العراقيين والأقطار التى يتسبون إليها :	
١٠٠ - الدكتور عبد العزيز البسام	٠٠٠	١ - أكرم زعير	فلسطين

٢ - علي الطنطاوي	سورية	٣٣ - الشيخ محمد نمر الخطيب	فلسطين
٣ - الدكتور صبحي الصالح	لبنان	٣٤ - الشيخ علي حسن محمود حبيبة	مصر
٤ - الشيخ يوسف عبد الرازق	فلسطين	٣٥ - الدكتور عبد الغني إسماعيل	مصر
٥ - الدكتور أحمد محمد الحوفي	مصر	٣٦ - محمد الطيب النجار	مصر
٦ - شمس الدين عبد الحافظ	مصر	٣٧ - الدكتور عبد الله عبد الفتاح درويش	مصر
٧ - عبد الفتاح علي شحاته	مصر	٣٨ - شاكر محمود عطية	مصر
٨ - الدكتور إبراهيم أبو الخشب	مصر	٣٩ - إبراهيم عبد الرزاق	مصر
٩ - أحمد محمد الحجار	مصر	٤٠ - الشيخ عبد المجيد المهنا	مصر
١٠ - حسن الشافعي الطواهي	مصر	٤١ - الشيخ ياسين الشاذلي	مصر
١١ - الشيخ عبد الحميد المسلول	مصر	٤٢ - الشيخ أحمد السيد غالي	مصر
١٢ - ماهر حسن فهمي	مصر	٤٣ - الشيخ يوسف البيومي البسيوني	مصر
١٣ - محمد جمعة حسنين	مصر	٤٤ - الشيخ يحيى محمد عبد العاطي	مصر
١٤ - محمد رفعة فتح الله	مصر	٤٥ - محمد المتولي سعد	مصر
١٥ - أحمد فهمي أبو سنة	مصر	٤٦ - محمد عيسى الشتلي	مصر
١٦ - الشيخ عبد الوهاب البحيري	مصر	٤٧ - عبد الله محمد عبد النبي	مصر
١٧ - عبد العظيم الغباشي	مصر	٤٨ - عبد العزيز عبيد	مصر
١٨ - زكي محمد غيث	مصر	(مدرسة الإمام أبي حنيفة - الخطاط وليد الأعظمي / ١١، ٥، ٤ -	
١٩ - الشيخ محمود جميلة	مصر	٢١، ١٧ - ٢٥، ٣٠ - ٣٥، ٤٢، ٤٣، ٢٢٤ - ٢٢٨، ٢١٣، ٢١٤) .	
٢٠ - الشيخ عبد الرحيم فرغلي	مصر	انظر : أبو حنيفة (الإمام الأعظم -) ، أبو حنيفة (جامع	
٢١ - الشيخ بدر المتولي عبد الباسط	مصر	وضريح) .	
٢٢ - الدكتور تقى الدين الهلالي	المغرب	* أبو حنيفة (جامع وضريح-) :	
٢٣ - الدكتور محمد حسين الذهبي	مصر	الأعظمية :	
٢٤ - الدكتور محمد ندي	مصر	أبو حنيفة : هو النعمان بن ثابت مؤسس المذهب الذي	
٢٥ - الشيخ عبد الغني الراجحي	مصر	دعى باسمه ، توفي عام ١٥٠ هـ (٧٦٣ م) ودفن في مقبرة	
٢٦ - الشيخ محمد خطاب	مصر	الخيزران وصارت تعرف بعد ذلك باسمه ودعيت المحلة التي	
٢٧ - الشيخ عبد المقصود شلتوت	مصر	قامت حول الضريح والمسجد باسمه أيضا ولكن طغى على	
٢٨ - الأستاذ محمود يوسف	مصر	المنطقة اسم «الأعظمية» من كلمة «الأعظم» وهو اللقب	
٢٩ - الدكتور محمود بدير	مصر	الذي أعطى للإمام .	
٣٠ - الدكتور محمود أحمد الدهمة	مصر	ولا شك أن العراق قد كرم الإمام النعمان بن ثابت بإقامة	
٣١ - الشيخ عبد الرحيم الكشكى	مصر	بناء على قبره . وتذكر المصادر الأدبية أن الاهتمام قد ازداد	
٣٢ - الشيخ محمد صبحي الخيزران	فلسطين	بضريح الإمام في عهد السلطنة السلجوقية فقد جاء أن العميد	
		شرف الملك أبو سعد مستوفى السلطنة السلجوقية قد أمر عام	



لوح ٨٠: محراب جامع الامام الاعظم

وإضافات شملت أجزاء من المسجد وبعض الجدران الخارجية ، وحررت المشهد بصورة عامة من جملة الأبنية التي كانت تلتصق به ، ليظهر بالمظهر اللائق وكست الرئاسة أجزاء من وجوه هذه التجديدات بقراميد مزجج محلى بتشكيلات متقنة من زخارف نباتية وهندسية وكتابية .

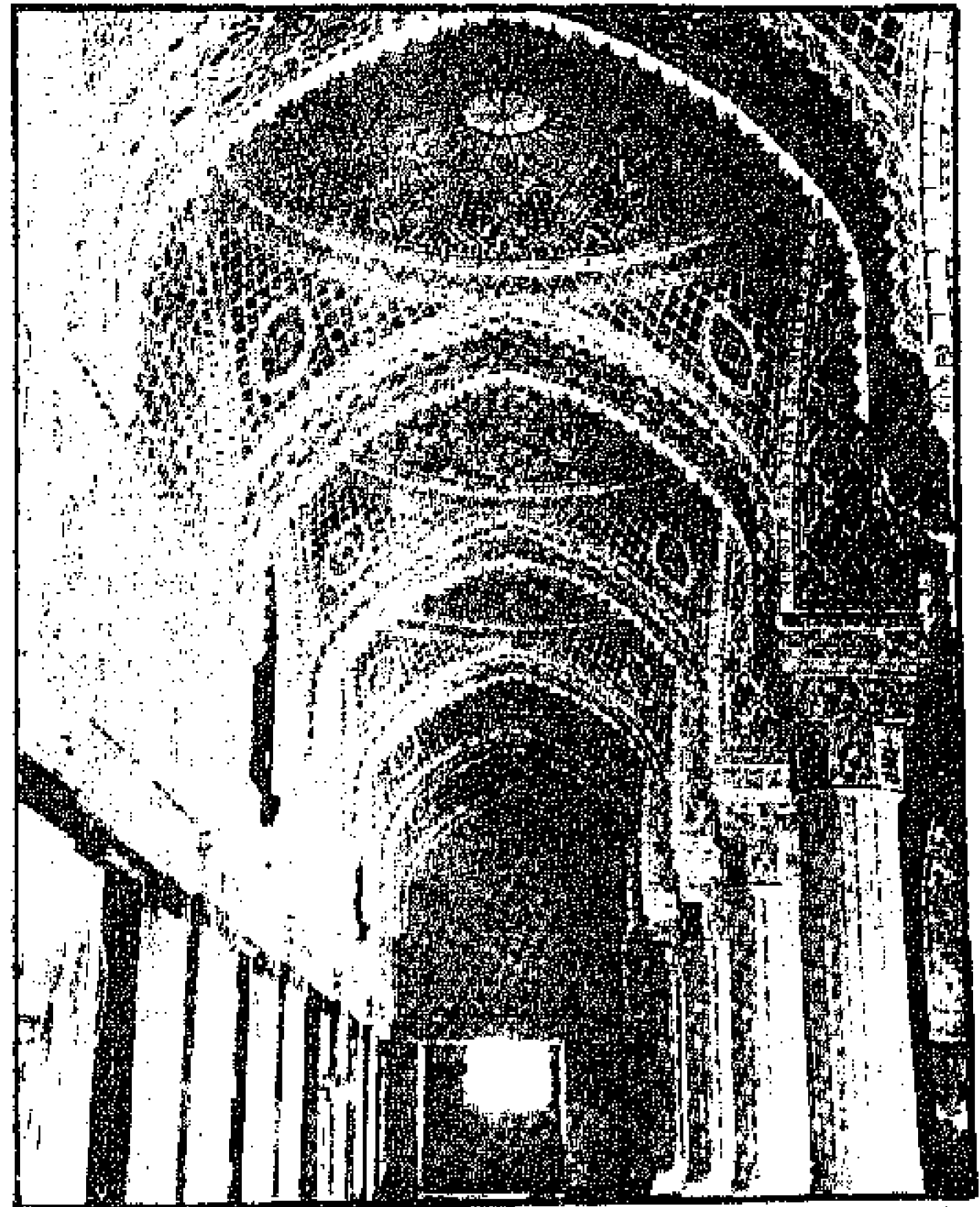
يقوم البناء في قضاء الأعظمية بمحافظة بغداد بالقرب من جسر الأئمة الذي يربط بين الأعظمية والكاظمية ، وتعرف العمارة بين أهالي المنطقة بجامع (الإمام أبي حنيفة) ويعتبر في الحقيقة من بين جوامع العراق المشهورة ، وتقوم مجمل الأبنية على مساحة أرض شبه منحرفة أبعادها ١٢٠ × ٩٠ مترا .

ويكشف تخطيط الأبنية هذه عن تشابه بتخطيط الحضرة الكيلانية ، ويمتد هذا التشابه إلى قضايا أخرى ضمن الطراز المعماري والعناصر المعمارية والزخرفية . وتتألف الأبنية هنا من مشهد ومسجد جامع ومدرسة تشغل القسم الشمالي الغربي من الأرض ويسورها جميعا سياج بتصميم معين وشيدت الأبنية جميعها بالطابوق والجص .

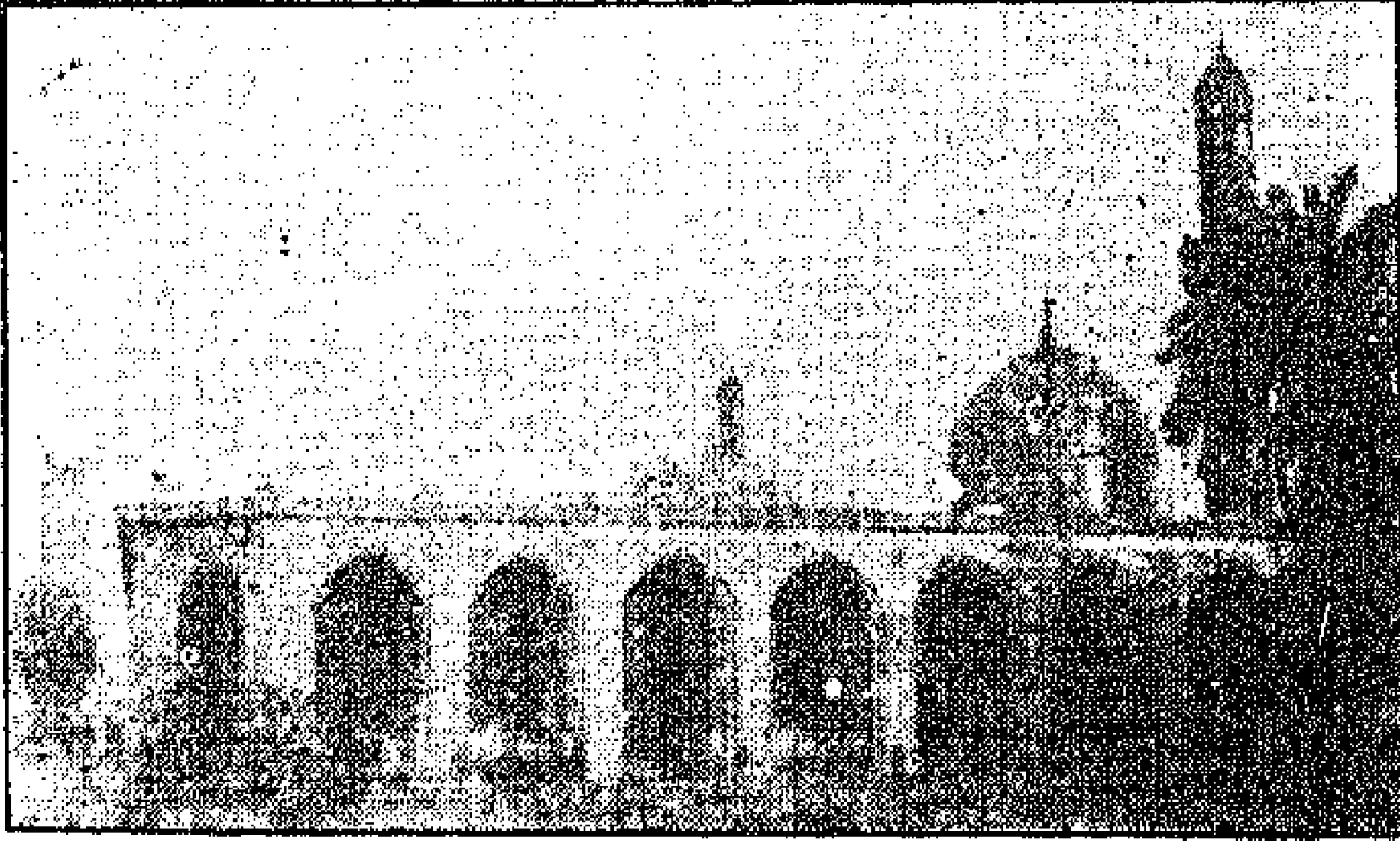
وغرفة الضريح مربعة طول ضلعها ١٠ أمتار، تلتصق

٤٥٩هـ (١٠٦٦ م) بتجديد الضريح ، وجعله على غرار مشاهد آل أبي طالب وجعل له رواقا وصحنا ، وبني بصلقه مدرسة ؛ وتعتبر هذه المدرسة أولى مدارس الحنفية في العراق (أفردنا لها مادة خاصة تحت عنوان « أبو حنيفة (مدرسة -) ») لم تبق الأبنية التي أمر بها أبو سعد على حالها ، بل تعرضت إلى تجديدات وتعميرات كثيرة خاصة عندما حكم العثمانيون العراق . فقد قام عمر باشا ببناء قبة ومئذنة بأمر السلطان أبي الفتح محمد العثماني عام ١٠٩٢ هـ (١٦٨١ م) وأمر والي بغداد سليمان باشا عام ١٢١٧ هـ (١٨٠٢ م) بتذهيب رأس المئذنة ، وأجريت تجديدات في البناء على عهد السلطان عبد الحميد الذي أمر بهدم الأبنية المحيطة بالتربة والمسجد ، وتم عقد قبة ضخمة على مصلى المسجد ، كما أمر بتوسيع الصحن وأضاف بناء مدرسة تتألف من طابقين في القسم الشمالي الغربي من الأرض التي تشغلها الأبنية في الوقت الحاضر وأضيفت أيضا غرف أخرى ومرافق لرواد الإمام .

وقامت رئاسة ديوان الأوقاف قبيل سنوات بتحلية المسجد ومحاربه بمقرنصات متدلّية وبطلب من الملك محمد الخامس ملك المغرب . وقامت الرئاسة أيضا بتجديدات



رواق في جامع الامام الاعظم



منظر عام لواجهة جامع الإمام
الاعظم من جهة الشرق

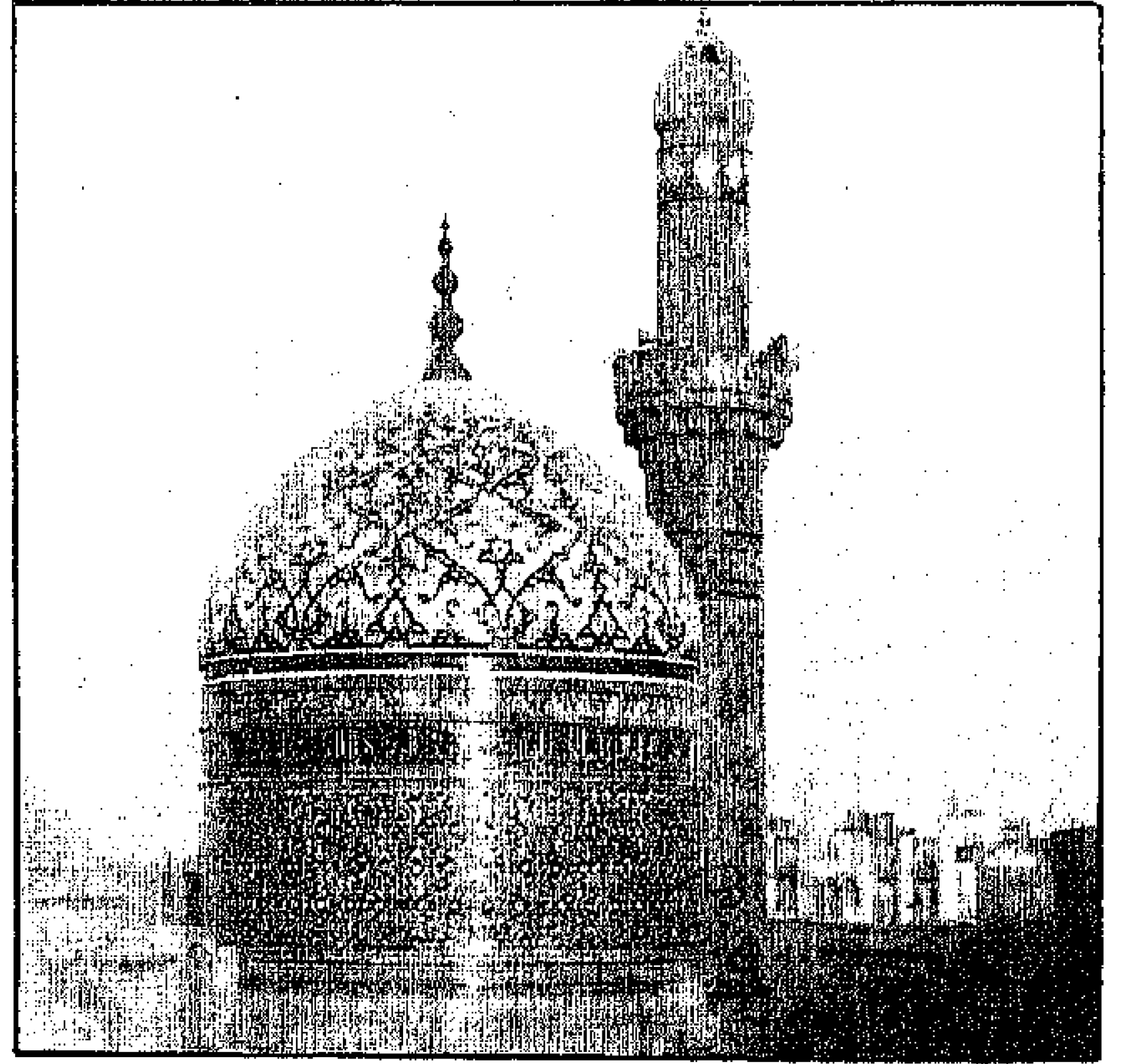


الباب الرئيسي لجامع
الإمام الأعظم

التي تغطيها هو ١٤ مترا لا عشرين مترا كما هو الحال في قبة مسجد الحضرة القادرية وتتميز قبة الجامع بأنها تجلس على قاعدة مرتكزة على أعمدة وبطريقة فنية نجدها لأول مرة في هذه العمارة وتستند القبة على ثمانية من الأعمدة ومن ثلاث جهات أما الجهة الرابعة فهي جدار القبلة الذي يتوسطه محراب جميل للغاية وقبة جامع الإمام أبي حنيفة بدون رقبة أيضا حيث تظهر واطئة مثل قبة الحضرة الكيلانية والقبة مغطاة بقراميد مزججة ذات تشكيلات من الزخارف النباتية الجميلة .

بجدار الجامع عند الركن الغربي ، وتبرز عنه بمقدار عشر أمتار . وجدران الغرفة سمكية والدخول إليها يكون عن طريق الجامع ، حيث تتصل بيت الصلاة عن طريق مدخل في الضلع الجنوبي الغربي ، ويتوسط القبر هذه الغرفة ، وهو مغطى بصندوق وقد زينت جدران الغرفة من الداخل بزخارف جميلة وتتربع على غرفة القبر هذه قبة مرتفعة نصف كروية مدببة قليلا وتتميز هذه القبة برقتها الطويلة وتشابهه مع قبة ضريح الشيخ الكيلاني من حيث شكل القبة وطول الرقبة ، ويمتد هذا الشبه أيضا إلى التشكيلات الزخرفية التي تحلى القراميد المزججة والتي تغطي القبة والرقبة ، فتشكيلات كسوة القبة نباتية ذات ألوان صفراء وبيضاء وسوداء على أرضية بلون أزرق فاتح . وتحلى الرقبة أنطقة متناسقة قراميدية مزججة أيضا ويتوسطها نطاق مشغول بكتابات بخط جميل متقن يتضمن آيات بتشكيلات من الزخارف النباتية والهندسية .

يشغل الجامع مساحة كبيرة نسبيا وهو مستطيل الشكل أبعاده ٣٥ × ٤٠ مترا ويتألف من خمسة أساكيب وست بلاطات وقد صمم بطريقة معينة بحيث جعلت بلاطة المحراب واسعة جدا امتدت على تسعة من المربعات الناتجة من تقاطع الأساكيب مع البلاطات . وتغطي هذا القسم من المصلى قبة كبيرة مفرطحة لا تختلف كثيرا عن قبة مسجد الحضرة القادرية والحقيقة أن طول ضلع المساحة المربعة

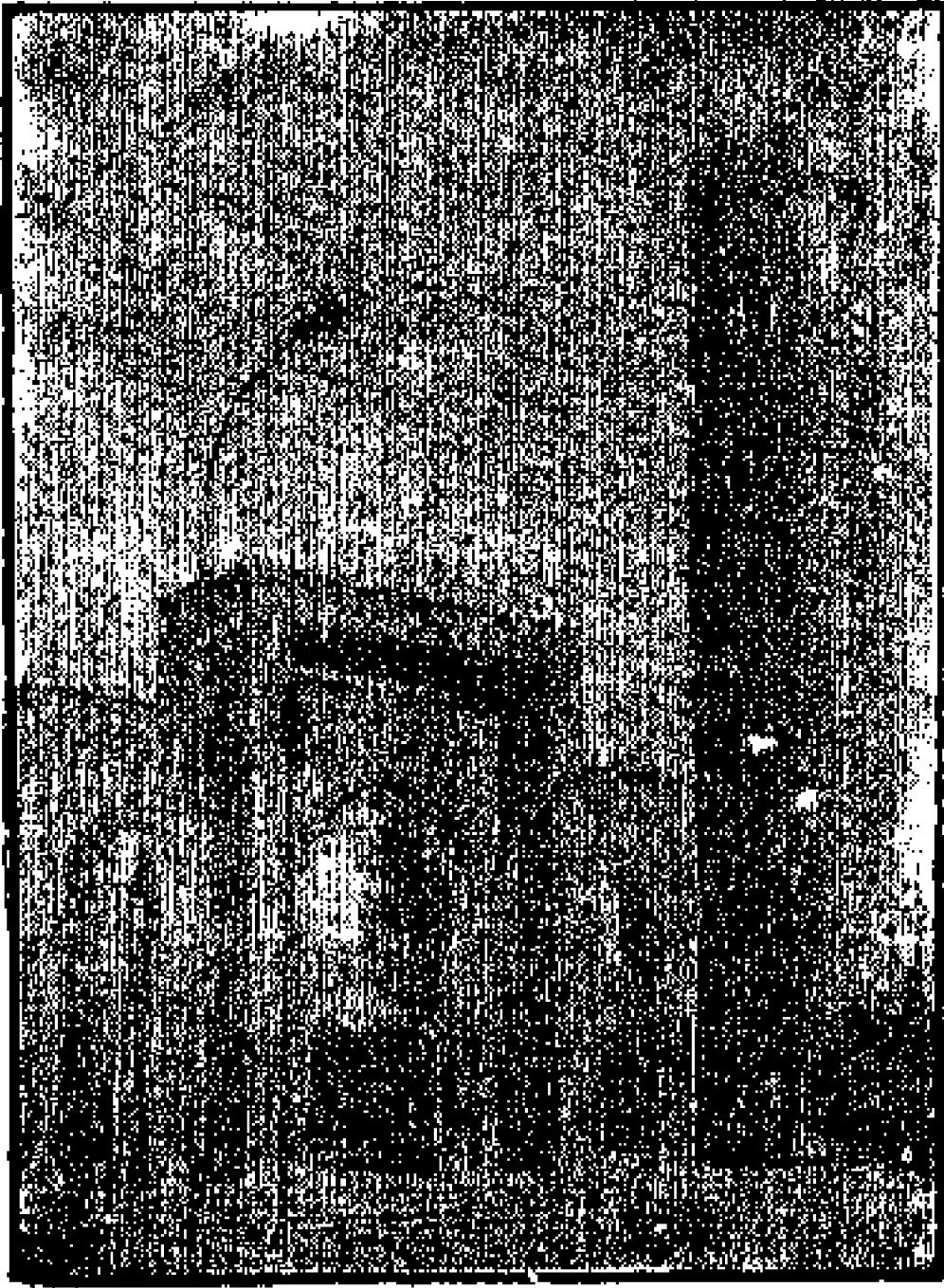


القبة وضريح الإمام أبي حنيفة النعمان

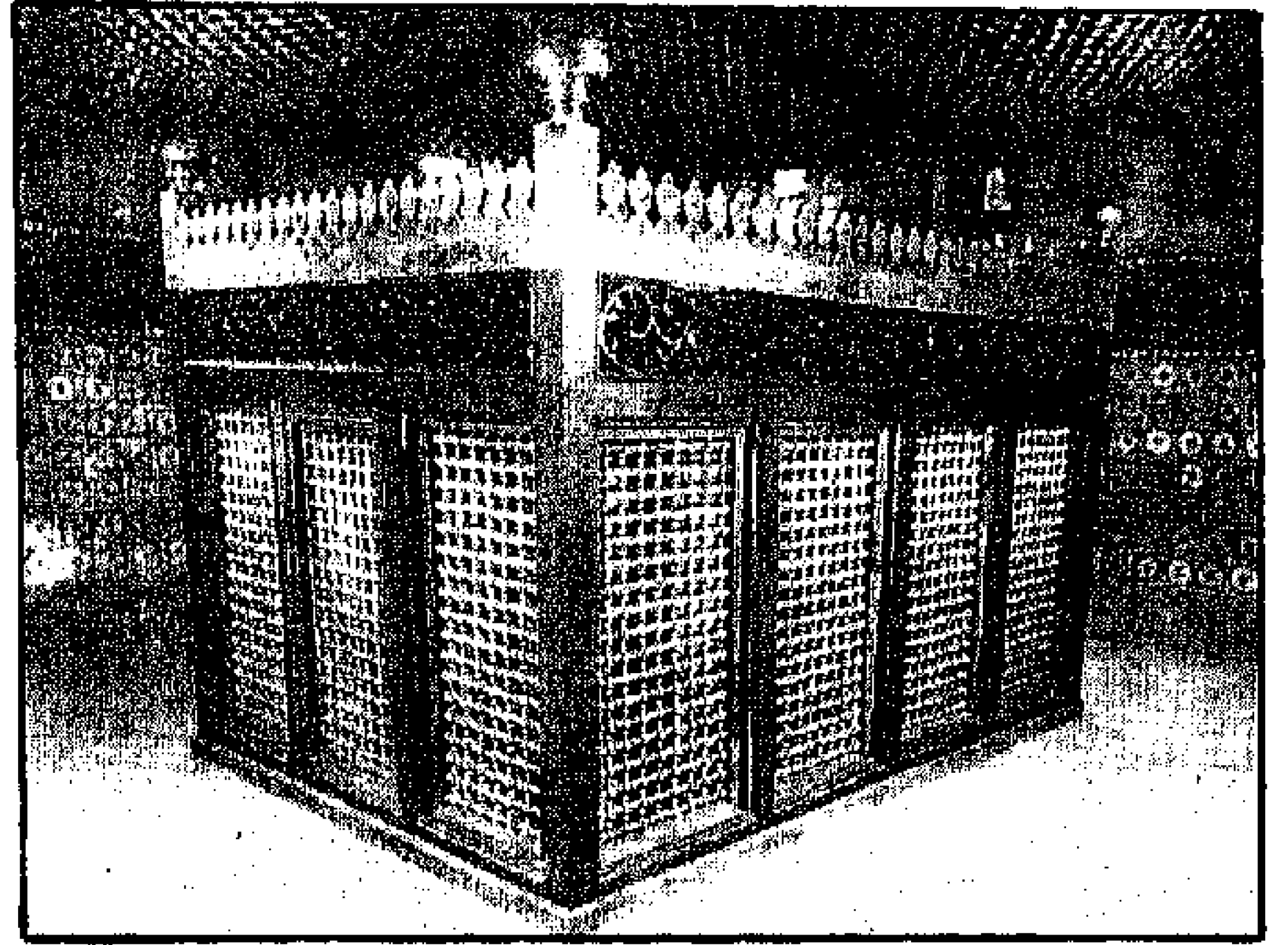
تاريخها إلى عهد من أمر بنائها وبناء القبة أى قبة الضريح وكان ذلك عام ١٠٩٢ هـ - (١٦٨١ م) ويزيد ارتفاع المئذنة هذه على عشرين مترا وقد غطت أبنية الجامع قاعدتها والجزء الظاهر منها هو البدن والرقبة والرأس فقط وبدنها أسطوانى رشيق نسبيا يتوجه حوض يستند على صفيين من المقرنصات ورقبتها طويلة نسبيا رشيقة فى مظهرها ، ويتوجها رأس مصلع ذو شكل بصلى . ولقد زينت جميع أجزاء المئذنة هذه بتشكيلات زخرفية تتألف من وحدات هندسية وكتابات بخط دقيق وقد شكلت هذه الوحدات عن طريق التفنن فى صف الطابوق المزجج .

للجامع صحن واسع يشغل القسم الشمالى الشرقى والقسم الجنوبى الشرقى من الأرض وتطل المدرسة على الصحن من الجهة الشمالية الغربية ويفصل الجامع عن الشارع العام من الجهة الشمالية الغربية والشمالية الشرقية سياج بسيط جدد عدة مرات وينتصب فى الركن الشمالى من الأرض برج طويل لساعة وهذا البرج حديث البناء ومصمم بطريقة لا تتسجم مع المظهر العام لأبنية هذا المجمع (انظر الصورة) (العمارات العربية الإسلامية فى العراق ١٣٣/٢ - ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤١) .

وعن برج الساعة هذا يقول الشيخ هاشم الأعظمى :
فى الجامع برج يبلغ ارتفاعه ٢٢م وضعت عليه ساعة



برج الساعة الأعظمية



الضريح الشريف وفوقه ستار أخضر وجدران الغرفة مبلطة بالكاشاني ذي الورد وقد أبدل بالمرمر الاردني عام ١٩٥٩

وتجد الإشارة هنا إلى أن الأعمدة التى ترفع القبة رخامية أسطوانية الشكل قطر كل منها ٩٠ سنتيمترا وتجلس الأعمدة هذه على قواعد مربعة طول ضلعها متر واحد وتنتهى بتيجان جميلة تمتد رؤوسها مع العقود التى تصل بين الأعمدة ، وتضم داخلها حشوات زخرفية مفرغة وغير مفرغة وقبل عدة سنوات أمر الملك محمد الخامس ملك المغرب بأن تكسى القبة وبعض الأروقة والمحراب بمقرنصات متدلية متقنة . جميلة .

ومثل مسجد الحضرة القادرية ومشهدا فإن الجامع والمشهد يفصلهما عن الساحة الرئيسية رواق بعرض عشرة أمتار ويحيط بها من ثلاث جهات وتتوسط الرواق هذا بائكة من عقود قائمة على دعائم مربعة طول ضلعها متر واحد . والعقود هنا مدببة مطولة ، ويتقدم هذا الرواق رواق آخر تطل بوائكه على الصحن مباشرة وتتناظر مع بوائك الرواق الداخلى . ونتيجة للتجديدات المستمرة التى أجريت فى الجامع خلال السنوات الأخيرة فقد تم الوصل بينه وبين جامع يجاوره من الجهة الشمالية الغربية ، ويضم الجامع هذا محرابا ومنبرا بنى على غرار محراب ومنبر الجامع الأصيل . وللجامع بصورة عامة أربعة مداخل ضخمة يتوسط واحد منها الضلع الشرقى ويقابل الآخر محراب الجامع .

تحتل مئذنة المسجد الركن الجنوبى فيه وتجاور قبة الضريح وتكشف عناصرها المعمارية والزخرفية أنها تعود فى

عراقية الصنع . صنعها المرحوم الحاج عبد الرزاق محسوب الأعظمى عام ١٩٢٢ بنى برجها فى جامع الإمام الأعظم (أبى حنيفة) رضى الله عنه عام ١٩٦٢ ونصبت عليه وقد غلف برجها بالألمنيوم الذهبى عام ١٩٧٣ وقال فيها الأستاذ الأديب قاضى بغداد الأسبق الحاج عطا نجل العلامة المرحوم الحاج حمدى الأعظمى .

يـد محسوب يـد مـاهـرة
صنعت للجامع المعمور ساعسة
جاورت قبر إمام أعظم
منه ترجى ساعة الحشر الشفاعة
كلما دقت ذكرنا فضله
وسألنا الله أن يجزى اختراعه
وسألنا الله أن يرحمه
إن شكر الله من شكر الجماعه
ويقول الشيخ هاشم الأعظمى عن التطورات التى مرت بالجامع عبر القرون الخوالى :

بعد بناء السلاجقة المسجد ٤٥٩ هـ لم يذكر التاريخ عنه شيئا حتى عام ٩٤١ هـ وذلك عندما احتل السلطان سليمان القانونى بغداد وطرد الفرس منها الذين هدموا المسجد والمدرسة العلمية .

أعاد بناء المسجد والمشهد وبنى المنارة القائمة حاليا وقلعة مدورة حصينة ودار ضيافة وحماما وخانا وعدة دكاكين ومسناة على نهر دجلة لحفظ الأعظمية من مياه الفيضان . وآثارها لا زالت تحت المياه غرب الجسر . وفى عام ١٠٣٢ هجرية احتل بغداد عباس الصفوى فعمل ضروبا من وحشية القرون الوسطى قتلا وهدما للأماكن المقدسة وفى مقدمتها جامع مولانا السيد الشيخ عبد القادر الكيلانى وجامع الإمام أبى حنيفة رضى الله عنهما . وفى عام ١٠٤٦ هـ تم احتلال بغداد وطرد الفرس إلى الأبد من قبل السلطان الصالح مراد الرابع رحمه الله تبارك وتعالى . وبعد أن أقام مدة من الزمن أمر بإعادة تشييد المسجدين المباركين ومدرسة الإمام أبى حنيفة وتعيين مدرسين وطلابا للمدرسة الحنفية وأجرى عليها

الجرايات تصرف غلتها على إدارتها وبعد تمام البناء المحكم وإقامة القبة الضخمة حاليا فوق غرفة المشهد أقام احتفالا كبيرا لافتتاحه حضره شيخ الإسلام يحيى أفندى كان الله معه وجمهرة من العلماء والوجهاء ورجال الحكومة والجيش فنحرت الذبائح لوجه الله تبارك وتعالى ونصبت الموائد وعليها ما لذ وطاب من الطعام ثم ودع بغداد راجعا إلى مقر خلافته .

بناؤه مجددا ١٢٨٨ هـ زمن السلطان عبد العزيز وذلك عندما أوعزت والدته المرحومة برتو نبال بتجديد وتوسيع الجامع وبناء مدرسته العلمية بناء يتفق مع هندسته الجديدة وهو الحالى القائم وخصصت مبلغا قدره عشرون ألف ليرة ذهبية على نفقتها الخاصة . وشكلت لجنة من المدرسين والأئمة ومدير الناحية آنذاك وأخذت بعض الدور المجاورة له وأدمجت أرضها مع أرض الجامع ثم وضعت له خارطة وكذلك للمدرسة العلمية وبوشر بناؤه فانتهى بعد عدة سنوات وبعد أن قام بناؤه جعل له حفل افتتاح مشهود حضره والى بغداد آنذاك السيد رديف ورجال ولايته وأعيان بغداد ووجهائها وعلمائها وألقى الشاعر عبد الغفار الأخرس .

لله والـدة المليك ومـا بنت
من جامع رحب الفنـاء متمم
للكرايعين الساجدين لقد زها
سمة التقى للناظر المتوسم
ترجـو من الله الكـريم مشـوبـة
أجـر المـشـيب على الجليل المنعم
إذ غـيـرته وقـدـرتـه بحكمة
وكـذا يـراد من البـناء المحكم
أخذت بتوسعة وأعـانها
نظر الرديف وخـدمـة المستخدم
فيه الإمام أبـسـو حنيفة ومن له
زهـو المناقب مثل زهـر الأنجم
أخذت علوم أصولها وفروعها
عند الأئمة فى الزمان الأقدم
لقد عمرته وسـيـدته وجـددت
تأريخ مسجـد الإمام الأعظم

خان الرابع أسمع خان سنة ١٠٨٥ هـ وقرآن مخطوط وغلافه مرصع بالأحجار الكريمة والياقوت ومذهب أهده القائد التركي أنور باشا، والشعرات النبوية الشريفة أهدها للجامع السلطان عبد الحميد خان عليه الرحمة عام ١٣٠٤ هـ تُخرج للتبرك ليلة القدر والمولد النبوي الشريف وأيام الأعياد وآخر جمعة من رمضان للتبرك بها كما تخرج لرؤساء الدول الضيوف للتشرف بها .

ثم يصف الشيخ هاشم الأعظمي الجامع فيقول:
هندسة الجامع تعتبر فخر الهندسة المعمارية فنا حرمه كبير. مقبب يشكل مستطيل ١٤ × ٣٤ م^٢ رحب تقوم فوق وسطه قبة فخمة جلست على أطواق تحملها، والأطواق تسعة أعمدة من الرخام الموصلى العراقى تحيط بها من جهاتها الثلاث تسعة قباب استندت إلى الأعمدة والجدران ودعامتان تحملان ثلاث قباب أخرى ومحرابان ومنبر ومحفل قبالة المحراب مرتفع عمل من خشب الساج علقت فى وسط القبة ثريا فخمة وفرش بالسجاد الإيراني وله أحد عشر بابا على الأروقة وباب المرقد داخل الحرم ويحيط بالحرم ثلاثة أروقة من جهاته الثلاث مقببة تقوم قبابه وعددها ٣٢ على أطواق من الطابوق تحملها والأطواق أعمدة رخامية متينة تبلغ مساحتها ٨٠٠ م^٢ تقريبا لها ثلاثة أبواب واحد من جهة الغرب وبابان من جهة الشمال وتسعة شبايك مظلة على الطارمة وباب المرقد والمأذنة من جهة القبلة وغرف ثلاث والرواقان توجا بأفرز من الكاشانى الأزرق خطت عليه سورة الفتح بخط جميل وحروف غاية الإبداع ومئارة فخمة جميلة المنظر شامخة يبلغ ارتفاعها ٢٩ م تقريبا لها خوذة مضلعة حليت بالذهب حلاها الوالى سليمان باشا عام ١٢١٧ هجرية وساحتان من جهتي الشمال والشرق ومصلى صيفى وقد أزيل مع عدة غرف وحوض ماء الوضوء عام ١٩٣٥ م .

عام ١٩٣٥ : فى هذا العام أجريت تصليحات شاملة للمسجد والكلية البابان الرئيسيان والسور وبني مكانهما بابان فخمان وسور جميل وأبدلت شبايك الرواقين الحديدية بشبايك خشبية من الساج الفاخر وبلطت الساحة بالمرمر.

عام ١٩٤٨ :

فى هذا العام بنيت الطارمة الأمامية لإستاد بناء الجامع

وقال ما دحا ولدها السلطان عبد العزيز:
أجامع من بعد ما درسا
بأمر سلطان الزمان أسسا
عبد العزيز الملك المولى
الذى مراميه تساوى الأطلسا
ظل الإله قد غدا فى أرضه
لدين طه حافظا وحارسا
لا زال فى الست الجهات
أحكامه لخمس أصحاب الكسا
باشره الوالى رديف الذى قد
طاب فى وادى الجنسان مغرسا
فى حضرة النعمان من عمله
أصبح كل عالم مقتبسا
ثم بناؤه المشيد أرخوا
بياناته على التقى تأسسا
غرفة المرقد الشريف

بناؤها أثرى قديم يعود إلى زمن السلطان مراد الرابع عليه الرحمة عام ١٠٤٦ هـ شكلها مربع ٧,٥ × ٧,٥ وسطها الضريح الشريف عليه قفص ذو شبايك معدنية توج بأسماء الله الحسنى على المينة البيضاء خطت على أوراق من الزهور بشكل بديع وأحيط القفص بالمينة البيضاء كتب عليها ما نصه « بسم الله الرحمن الرحيم » « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وقال ﷺ « لو كان العلم معلقا عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس » .

هذا مرقد الإمام الأعظم والمجتهد الأقدم أبى حنيفة نعمان ابن ثابت الكوفى كانت ولادته ٨٠ للهجرة الشريفة ووفاته رحمه الله ورضي الله عنه سنة ١٥٠ للهجرة الشريفة ...

وقد جدد العمل بعد اندراسه ومحو آثاره ... وكان ذلك سنة ١٣٤٧ هـ وداخل الغرفة شمعدانان أثريان كبيران فضيان مزخرفان بزخارف مذهشة يرجع تاريخهما إلى ١٢٦٣ هـ وآخران أصغر منهما وفى قطبها ثريا علقت فيها قناديل فضية وذهبية ومعدن أخرى ذات أهمية أهديت من قبل سلاطين آل عثمان وولاتهم وفيها قنديل أثرى أهده بنت السلطان مراد

القديم ونقل الإفريز الكاشاني الأزرق الذي كان الرواقان متوججين به فوضع عليها من جهة الساحتين بنى على شكل أطواق تزينها الورود الكاشانية .

عام ١٩٥٩ :

بعد ثورة ١٤ تموز (يولية) ١٩٥٨ أجريت بعض الإصلاحات والزيادات فبنى نصف رواق من جهة الشرق وبلط جدار الحرم والأروقة بالمرمر الأردني بارتفاع ثلاثة أمتار وجددت أسس الحرم وبلط الجامع كله بالكاشي الموزائيك وبنى برج الساعة (الأعظمية) وهدمت الأبواب الرئيسية والسور وبنيت مكانها أبواب كونكرتية على شكل أطواق وبنى سور جميل مطعم جداره بالكاشي ذي الورود ونقش الحرم جدرانه وسقفه وقبابه وكذلك الأروقة بفن عربي إسلامي مغربي بنقوش جصية على شكل ورود وأزهار ذات بهجة تدهش الناظرين إليها ونقشت قبة الضريح كذلك وبلطت جدرانها بالمرمر الأردني وبلطت قبة الحرم من الخارج بالكاشاني الجميل .

وفي عام ١٣٨٩ عصر يوم المولد النبوي وضع حجر الأساس لإعادة الأبواب الرئيسية المغلقة في العهد القاسمي المنقرض نيابة عن السيد رئيس الجمهورية باحتفال مشهود ثم عدل عن فتحها في محلها إلى محل آخر.

عام ١٩٧١ :

بالنظر للتوسع الذي طرأ على منطقة الأعظمية عمراناً ونفوساً أصبح الجامع لا يسع المصلين أيام الأعياد والجمع الرمضانية ويضيق بالاحتفالات والمناسبات الدينية . ومن هذا الشعور أمر السيد رئيس الجمهورية بتوسعته توسعه تكون على شكل الجامع القائم ففي عام ١٩٦٨ اشترت بعض الدور المجاورة من جهة الغرب والسوق القديم والزقاق وأدمجت أرضها مع أرض الجامع لتنفيذ هذا المشروع ثم صممت له خارطة على نمط هندسة الجامع الحالي . وفي ١٨ تموز في عام ١٩٧١ أجرى احتفال مشهود لوضع حجر الأساس لهذا المشروع الضخم ...

وتضمن المشروع بناء حرم ورواقين وقاعات تحتها سرداب كبير مساحته ١٠٤٠ م^٢ وطارمة أمامية ومنارة وقبة موازية لقبة المرقد تكون مكتبة تضم الكتب التي كانت قديماً في الجامع

(يأتى الكلام على المكتبة فيما بعد) وعدة غرف ذات طابقين من جهة الغرب يكون هيكل البناء كونكرت مسلح وتجديد الأبواب والسور وبناء الكلية بناء جديداً ونقش البناء الجديد وزيادة بايين كبيرين للجامع ونقش الرواقان والحرم على نمط نقش البناء القائم إلا أنه بأيدي عراقية وبنى باب كبير فخم مكان الباب القديم أقيم هيكله بالكونكرت المسلح وغلف بالطابوق المحفور نقشا على شكل أزهار وورود ذات بهجة تسر الناظرين إليها جاءت آية في الفن المعماري وتحفة فنية ذات ثلاثة مداخل توجت بالآيات القرآنية ﴿ الرحمن ﴾ علم القرآن ﴿ خلق الإنسان ﴾ علمه البيان ﴿ [الرحمن : ١ - ٤] .

وعلى الجانبين لوحتان مستطيلتان بنيتا بالطابوق المحفور فنا على شكل ورود وأزهار داخلها لوحة كاشانية خط عليها قوله تبارك وتعالى ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ وبنى سياج جميل على شكل أطواق بالطابوق المحفور نقشا وفنا تسوج بأسماء الله الحسنى كتبت على ألواح كاشانية بخط جميل وجعل للجامع أربعة أبواب بلغت مساحته العمومية مع الكلية قرابة من ٨ آلاف متر مربع تقريبا ومقدار الأرض التي ضمت إلى الجامع بهذه التوسعة يبلغ حوالى ١٠ آلاف متر مربع تقريبا (جامع الإمام الأعظم / ٧٠-٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩-٨١) . ويتحدث الأستاذ وليد الأعظمي الخطاط عن مكتبة المشهد والكلية فيقول :

منذ أن حول مرقد الإمام أبي حنيفة رضى الله عنه ، إلى مشهد ، وكثر تردد الزوار والعلماء إليه ، عند بداية القرن الثالث الهجرى ، وصار العلماء يعقدون حلقات العلم والمناظرة في المشهد ، ثم أخذ المشهد بالتوسع من قبل القضاة والمحسنيين ، حتى بنى فيه أحد الحجاج الأتراك صُفَّةً للعلماء فى سنة ٣٧٥ هـ .

ونفهم من هذا أن نواة المكتبة بدأت مع حلقات العلماء ، ثم أخذت بالنمو والزيادة ، وصار العلماء يقفون كتبهم على المشهد ليفيد منها العلماء وطلاب العلم .

وتذكر لنا كتب التاريخ أن الطبيب العالم الخطاط يحيى ابن عيسى بن جزلة المتوفى فى سنة ٤٩٣ هـ قد وقف كتبه كلها على مشهد الإمام أبي حنيفة فى حياته . وإذا قرأت ترجمة هذا العالم الجليل تتضح لك قيمة كتبه وعددها وأهميتها .

وكذلك فعل العالم الكبير والمفسر الشهير جابر الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ .
قال الزمخشري عند رحلته إلى مكة المكرمة لمجاورة بيت الله الحرام : « ... وأما ما طلب عندي ، وخطب إلى من العلوم والدرايات ، والسماعات والروايات ، فبنات خلعت على تربيتهن الشباب ، ثم دفنتهن وحثوت عليهن التراب ، وذلك حين آثرت الطريقة الأويسية على بنات الطرائق ، وأخذت نفسي برفض الحجب والعوائق ، ونقلت كتبى كلها إلى مشهد الإمام أبى حنيفة رحمه الله ، فوفقتها ، وأصفرت منها يدى إلا دفترًا واحدًا ، تركته تيممة فى عضدى ، وهو كتاب الله المبين . والحبل المتين .

ولك أن تتصور ضخامة مكتبة الإمام الزمخشري ، وما كانت تحتويه من الكتب المهمة فى مقاصدها وأغراضها .
وفى كتب التاريخ إشارات إلى هذه المكتبة ، وإلى بعض الذين تولوا الإشراف عليها . ومنهم الفقيه الكبير عبد العزيز ابن على بن أبى سعيد الخوارزمي المتوفى بعد سنة ٥٦٨ هـ ، قدم من خراسان وسكن بغداد ، وكان يقيم فى مشهد الإمام أبى حنيفة ، ويتولى خزانة الكتب فيه . وكذلك الشيخ ابن الأهوازى المتوفى فجأة سنة ٥٦٩ هـ . وقد ذكر ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ أنه رأى ثبت كتب مشهد الإمام أبى حنيفة .

ومن المناسب أن نذكر جانباً من (التوقيع) الصادر فى عهد الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦٠٤ هـ المتضمن توجيه التدريس فى مشهد الإمام أبى حنيفة إلى العالم الشيخ ضياء الدين أحمد بن مسعود التركستانى المتوفى سنة ٦١٠ هـ جاء فيه ما يخص المكتبة : « ... ويثبت ما بخزانة الكتب من المجلدات وغيرها ، معارضاً ذلك بفهرسته متطلباً ما عساه قد شذ منها ، وليأمر خازنها بعد استصلاحه بمراعاتها ، ونفضها فى كل وقت ، ومرة شعنها ، وإن لا يخرج شيئاً منها إلا إلى ذى أمانة مستظهِراً بالرهن عن ذلك ... » (صيد الخاطر لابن الجوزى - تحقيق الشيخ محمد الغزالى : القاهرة ، مطبعة السعادة / ٤٤٠) .

ولا بد أن يكون قد أصاب المكتبة فى واقعة هولاكو سنة ٦٥٦ هـ ما أصاب دور العلم والمدارس والمؤسسات الثقافية من العبث والحرق والإتلاف .

ومما لا شك فيه أن يحاول بعض العلماء الاحتفاظ ببعض الكتب وإخفاءها حرصاً عليها فى مثل هذه الجوائح .
وقد ذكر محمد بن يعقوب الفيروزابادى صاحب القاموس المتوفى سنة ٨١٧ هـ أنه رأى نسخة من الكشف للزمخشري بخط المؤلف بمدينة السلام مختبئة فى تربة الإمام أبى حنيفة ، خالية عن أثر كشط وإصلاح .

ثم بدأت المكتبة بالنمو والازدهار حتى عادت روضة يانعة ، فأصابها نكبة أخرى على أيدي الفرس الصفويين ، لا تقل عن سابقتها خسارة ، ولم يعد لها ذكر ولا خبر .

وبدأت المكتبة تزدهر فى عهد الإمام الشيخ عبد الله السويدي المتوفى سنة ١١٧٤ هـ - مدرس شهد الإمام أبى حنيفة ، ومن بعده العلامة الشيخ عبد الله الألوسى المتوفى سنة ١٢٤٧ هـ - والد الإمام المفسر أبى الثناء الألوسى (انظر : الألوسى (أبو الثناء) ١/ ٥٥٤ - ٥٦١) ...

وفى سنة ١٩٢٩ أمرت وزارة الأوقاف بنقل المكتبة إلى المكتبة العامة التى أنشأتها وزارة الأوقاف ...

ثم بدأت المكتبة تنمو من جديد ، وعين الشيخ رشيد بن أحمد أغا مشرفاً عليها إلى سنة ١٩٤٦ م حيث صدر نظام كلية الشريعة وألحقت المكتبة بالكلية وأصبحت خاصة بها ...

وما زالت ملحقة بكلية الشريعة بعد انتقالها إلى جامعة بغداد ، ولم تطالب الأوقاف بها .

وفى سنة ١٩٧٩ م عند إتمام الحرم الجديد لجامع الإمام الأعظم خصص جانب منه إلى المكتبة وهى قاعة جميلة تحت القبة الثانية وأخذت وزارة الأوقاف تزودها بالمصادر والمراجع (مدرسة الإمام أبى حنيفة / ٤٣ - ٤٦) .

قالت المؤلفة : أسعدنا الحظ بزيارة الأعظمية والضريح الجليل يوم الخميس ٤ أكتوبر ١٩٨٦ .

(العمارات العربية الإسلامية فى العراق - د . عيسى سلمان وزميلاته ١٣٣ / ٢ - ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، وجامع الإمام الأعظم - الشيخ هاشم الأعظمى / ٧٠ - ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ - ٨١ ، ومدرسة الإمام أبى حنيفة - الخطاط وليد الأعظمى / ٤٣ - ٤٦) .

* أبو حنيفة (مسجد وضريح -) :

انظر : أبو حنيفة (جامع وضريح -) .

* حنين :

حنين : يجوز أن يكون تصغير الحنان ، وهو الرحمة ،
تصغير ترخيم ، ويجوز أن يكون تصغير الحن ، وهو حى من
العن ، وقال السهيلي : سمى بحنين بن قانية بن مهلائيل ،
قال : وأظنه من العماليق ؛ حكاه عن أبي عبيد البكري ، وهو
اليوم الذى ذكره جل وعز فى كتابه الكريم : وهو قريب من
مكة ، وقيل : هو واد قبل الطائف ، وقيل : واد بجانب ذى
المجاز ، وقال الواقدي : بينه وبين مكة ثلاث ليال ، وقيل :
بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا ، وهو يذكر ويؤنث ، فإن
قصدت به البلد ذكرته وصرفته كقوله عز وجل : ﴿ ويوم حنين
إذ أعجبكم كثرتم ﴾ [التوبة : ٢٥] وإن قصدت به البلدة
والبقة أنثته ولم تصرفه كقول الشاعر :

نصروا نبيهم وشهدوا أزره

بحنين ، يوم تواكل الأبطال

(معجم البلدان ٢ / ٣١٣) .

فحنين هنا ممنوعة من الصرف لوجود العلمية والتأنيث ،
(كما فى المختار وغيره) (الرسالة الرشادية / ٢٢) .

وقال خديج بن العوجاء النصرى :

ولما دنونا من حنين ومائه

رأينا سوادا منكر اللون أخصفا

بلمومة عمياء لوقد ذفوا بها

شماريخ من عروى ، إذا عاد صفصفا

ولو أن قومي طاوعتني سراتهم ،

إذا ما لقينا العارض المتكشفا

إذا ما لقينا جنود آل محمد

ثمانين ألفا ، واستمدوا بخندفا

كأنه تصغير حن عليه إذا أشفق ، وهى لغة فى أحنى ،

موضع عند مكة يذكر مع الولج ؛ وقال بشر بن أبى خازم :

لعمرك ما طاب لك أم عمرو ،

ولا ذكر اركها إلا ولوع

أليس طلاب ما قد فات سهلا ،

وذكر المرء ما لا يستطيع ؟

أجـدك ما تزال تحن هـما ،

وصحـبى بين أرحلهم هـجـوع

وسـائـدهم مـرافـق يعمـالـات ،

عليهـا دون أرحلهـا قطـوع

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٣١٣ ، والرسالة الرشادية -

محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٢) .

انظر : حنين (غزوة -) .

* حنين (غزوة -) (هـ ٨) :

قال تعالى : ﴿ لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين
إذ أعجبكم كثرتم ﴾ فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم
الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينة على
رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا
وذلك جزاء الكافرين * ثم يتوب الله من بعد ذلك على من
يشاء والله غفور رحيم ﴾ [التوبة : ٢٥ - ٢٧] وتسمى أيضا
« غزوة هوازن » ؛ لأنهم الذين أتوا لقتال رسول الله - ﷺ - ، كما
تسمى أيضا « غزوة أوطاس » باسم الموضع الذى كانت فيه
الوقعة ... و « حنين » واد إلى جنب ذى المجاز قريب من
« الطائف » بينه وبين « مكة » بضعة عشر ميلا .

قال ابن كثير :

ولما بلغ فتح مكة هوازن جمعهم مالك بن عوف النصرى ،
فاجتمع إليه ثقيف وقومه بنو نصر بن معاوية ، وبنو جشم ،
وبنو سعد بن بكر ، وبشر من بنى هلال بن عامر ، وقد
استصحبوا معهم أنعامهم ونساءهم لثلا يفروا ، فلما تحقق
ذلك دريد بن الصمة شيخ بنى جشم - وكانوا قد حملوه فى
هودج لكبره تيمنا برأيه - أنكر ذلك على مالك بن عوف
النصرى وهجنه ، وقال : إنها إن كانت لك لم يفعك ذلك ،
وإن كانت عليك فإن المنهزم لا يرده شيء . وحرضهم على ألا
يقاتلوا إلا فى بلادهم ، فأبوا عليه ذلك واتبعوا رأى مالك بن
عوف ، فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم يغب عنى .

وبعث ﷺ عبد الله بن أبى حذرر الأسلمى فاستعلم له
خبر القوم وقصدهم ، فتهيا رسول الله ﷺ للقائهم ، واستعار
من صفوان بن أمية أدراعا ، قيل : مائة . وقيل أربعمائة .
واقترض منه جملة من المال ، وسار إليهم فى العشرة آلاف
الذين كانوا معه فى الفتح ، وألفين من طلقاء مكة (هم الذين
شملهم عفو النبى ﷺ من أهل مكة حين قال لهم : « اذهبوا
فأنتم الطلقاء ») . وشهد معه صفوان بن أمية حينما وهو

بغلته التي أهداها له فروة بن نضلة الجذامي ، وهو يركضها إلى وجه العدو ، والعباس أخذ بحكمتها يكفها عن التقدم ، وهو ﷺ ينوه باسمه يقول :

« أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب » .

ثم أمر العباس ، وكان جهير الصوت ، أن ينادى : يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب الشجرة ، يا معشر أصحاب السمرة ، فلما سمعه المسلمون وهم فارون كروا وأجابوه : ليك ، ليك ، وجعل الرجل إذا لم يستطع أن يثنى بغيره لكثرة المنهزمين ، نزل عن بغيره وأخذ درعه فلبسها ، وأخذ سيفه وترسه ، ويرجع راجلا إلى رسول الله ﷺ ، حتى إذا اجتمع حوله عصابة منهم نحو المائة ، استقبلوا هوازن فاجتلدواهم وإياهم ، واشتدت الحرب ، وألقى الله في قلوب هوازن الرعب حين رجعوا ، فلم يملكوا أنفسهم ، ورماهم ﷺ بقبضة حصى بيده ، فلم يبق منهم أحد إلا ناله منها ، وفسر قوله تعالى : ﴿ ومما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ [الأنفال : ١٧] بذلك . وعندى فى ذلك نظر ، لأن الآية نزلت فى قصة بدر كما تقدم .

وتفر هوازن بين يدى المسلمين ، ويتبعونهم يقتلون ويأسرون ، فلم يرجع آخر الصحابة إلى رسول الله ﷺ إلا والأسارى بين يديه ، وحاز ﷺ أموالهم وعيالهم .

وانحازت طوائف من هوازن إلى أوطاس ، فبعث ﷺ إليهم أبا عامر الأشعري واسمه عبيد ومعه ابن أخيه أبو موسى الأشعري حامل راية المسلمين فى جماعة من المسلمين ، فقتلوا منهم خلقا ، وقتل أمير المسلمين أبو عامر ، رماه رجل فأصاب ركبته ، وكان منها حتفه ، فقتل أبو موسى قاتله ، وقيل : بل أسلم قاتله بعد ذلك ، وكان أحد إخوة عشرة قتل أبو عامر التسعة قبله ، فالله أعلم . ولما أخبر أبو موسى رسول الله ﷺ بذلك استغفر ﷺ لأبى عامر .

وكان أبو عامر رابع أربعة استشهدوا يوم حنين ، والثانى أيمن ابن أم أيمن ، والثالث يزيد بن زمعة بن الأسود ، والرابع سراقه بن الحارث بن عدى من بنى العجلان من الأنصار رضى الله عنهم .

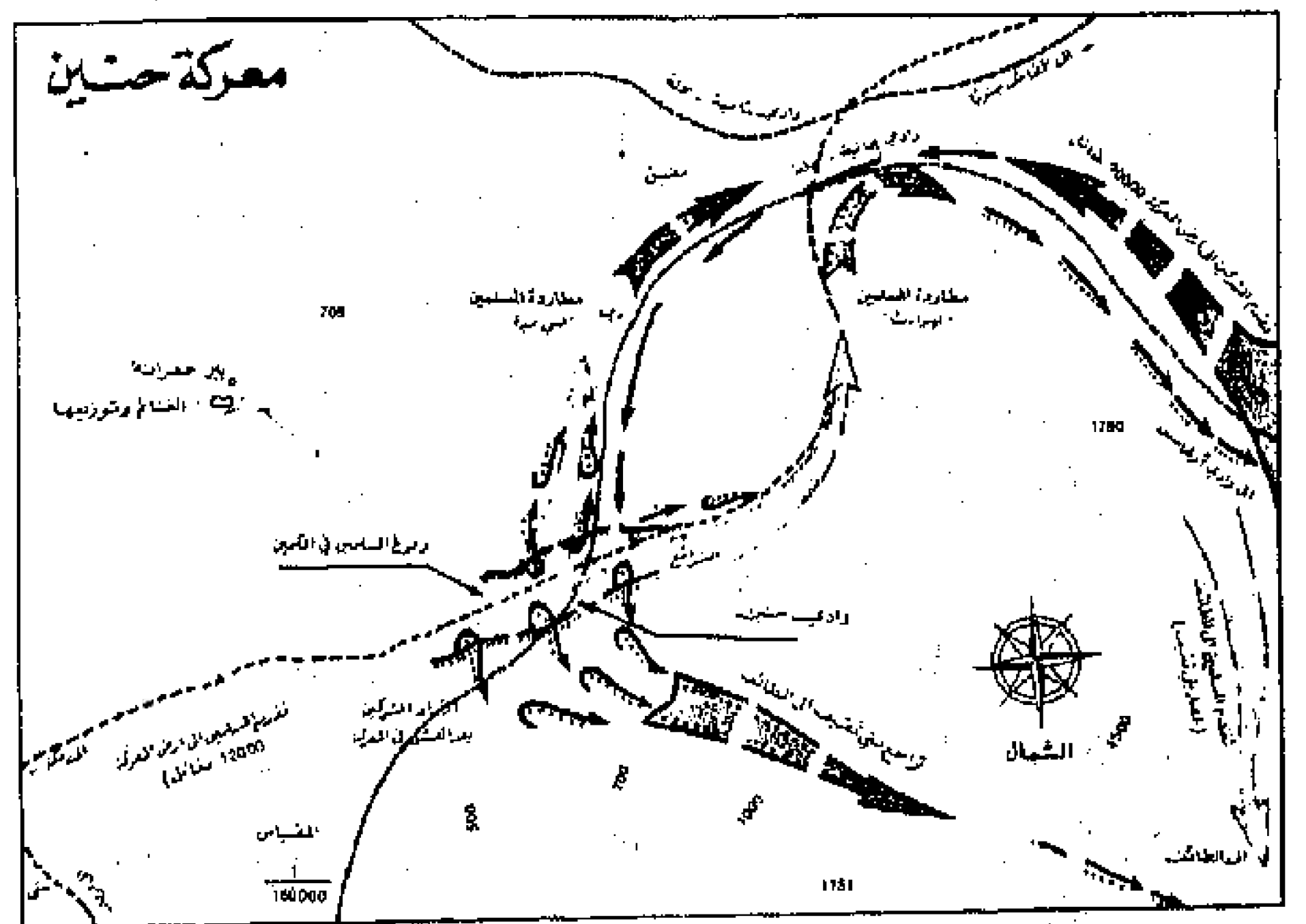
وأما المشركون فقتل منهم خلق كثير نحو الأربعين .

وفى هذه الغزوة قال ﷺ : « من قتل قتيلًا فله سلبه » فى

مشرك ، وذلك فى شوال من هذه السنة ، واستخلف على مكة عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس ، وله نحو عشرين سنة .

ومر ﷺ فى مسيره ذلك على شجرة يعظمها المشركون يقال لها ذات أنواط ، فقال بعض جهال العرب : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال : « قلت والذى نفسى بيده - كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، لتركين سنن من كان قبلكم » (ذات أنواط : أنواط جمع نوط ، وهو معلق كل شىء سميت الشجرة بذلك لأن كفار قريش كانوا يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها . ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوما) .

ثم نهض ﷺ فوافى حنينا ، وهو واد حدور من أودية تهامة ، وقد كمنت لهم هوازن فيه ، وذلك فى عمية الصبح ، فحملوا على المسلمين حملة رجل واحد ، فولى المسلمون لا يلوى أحد على أحد ، فذلك قوله تعالى : ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾ [التوبة : ٢٥] وذلك أن بعضهم قال : لن نغلب اليوم من قلة . وثبت رسول الله ﷺ ، ولم يفر ، ومعه من الصحابة : أبو بكر ، وعمر ، وعلى ، وعمه العباس ، وابناه : الفضل ، وقثم ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وابنه جعفر ، وآخرون . وهو ﷺ يومئذ راكب



قصة أبي قتادة رضى الله عنه (الحديث رواه البخارى فى كتاب المغازى) (الفصول / ٨٧-٨٩).

وجاء تفصيل ما صحب هذه الغزوة من أحاديث نبوية فى تيسير الوصول على النحو التالى :

١- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ حين أراد حينا ؟ منزلنا غدا إن شاء الله بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر » أخرجه الشيخان . (الخيف) ما انحدر عن غليظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء .

٢- وعن سهل بن الحنظلية رضى الله عنه قال : « سرنا مع رسول الله ﷺ يوم حنين . فأطنبنا السير حتى كانت عشية . فحضرت صلاة الظهر وجاء فارس . فقال : يا رسول الله ؟ إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت على جبل كذا وكذا . فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم ، اجتمعوا إلى حنين . فتبسم ﷺ وقال : تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله . ثم قال : من يحرسنا الليلة . فقال : أنس بن أبى مرثد الغنوى : أنا يا رسول الله . قال : اركب ، فركب فرسا له وجاء إلى رسول الله ﷺ . فقال له : استقبل هذا الشعب حتى تكون فى أعلاه ولا نغرن من قبلك الليلة . فلما أصبحنا خرج ﷺ إلى مصلاه . فركع ركعتين ثم قال : هل أحسستم فارسكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما أحسسنا فثوب بالصلاة فجعل ﷺ يصلى وهو يلتفت إلى الشعب ، حتى إذا قضى صلاته وسلم قال : أبشروا فقد جاء فارسكم . فجعلنا ننظر إلى خلل الشجر فى الشعب . فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ . فقال إننى انطلقت حتى كنت فى أعلاه هذا الشعب ، حيث أمرنى رسول الله ﷺ . فلما أصبحت اطلعت الشيعين كليهما فنظرت فلم أر أحدا ، فقال له رسول الله ﷺ : هل نزلت الليلة ؟ قال : لا إلا مصليا أو قاضى حاجة . فقال له ﷺ : قد أوجبت فلا عليك أن لا تعمل بعدها » أخرجه أبو داود .

(جاء القوم عن بكرة أبيهم) إذا لم يتخلف منهم أحد (ثوب بالصلاة) نادى إليها وأقامها . و (أوجب فلان) إذا فعل ما يوجب له الجنة أو النار ، والمراد هنا الجنة .

٣- وعن أنس رضى الله عنه قال : « لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بذرايرهم ونعمهم ؛ ومع رسول

الله ﷺ يومئذ عشرة آلاف . ومعه الطلقاء . فأدبروا عنه حتى بقى وحده . فنادى يومئذ نداءين ، لم يخلط بينهما شيئا قال : التفت عن يمينه فقال : يا معشر الأنصار . فقالوا : لبيك يا رسول الله ، نحن معك ، أبشر ثم التفت عن يساره . فقال : يا معشر الأنصار . فقالوا : لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك ، وهو على بغلة بيضاء . فنزل فقال : أنا عبد الله ورسوله فانهزم المشركون ، وأصاب غنائم كثيرة فقسمها بين المهاجرين والطلاء ، ولم يعط الأنصار منها شيئا ، فقالوا : إذا كانت الشدة فنحن ندعى ، ويعطى الغنائم غيرنا ، فبلغه ذلك فجمعهم وقال : يا معشر الأنصار ، ما شئ بلغنى عنكم ؟ فسكتوا فقال : يا معشر الأنصار ، أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون بمحمد ﷺ تحوزونه إلى بيوتكم . قالوا : بلى يا رسول الله رضينا . فقال : ﷺ : لو سلك الناس واديا وسلك الأنصار شعبا لسلك شعب الأنصار » أخرجه الشيخان والترمذى .

(الطلقاء) جميع طليق وهو الذى خلى سبيله ، وهم أهل مكة الذين أسلموا بعد الفتح قال ﷺ لأهل مكة يومئذ : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

٤- وعن أبى إسحاق قال : « جاء رجل إلى البراء بن عازب رضى الله عنهما . فقال : أكتنم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة . فقال : أشهد على نبي الله ﷺ أنه ما ولى . ولكن انطلق أخفاء من الناس وحسرا إلى هذا الحى من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد فانكشفوا فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب رضى الله عنه يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر ، وهو يقول :

أنا النبی لا کذب

أنا ابن عبد المطلب

اللهم أنزل نصرک ثم صفهم قال البراء رضى الله عنه : كنا والله إذا احمر البأس نتقى برسول الله ﷺ وإن الشجاع منا للذى يحاذى به » أخرجه الشيخان والترمذى .

(الأخفاء) جمع خفيف وهو المسرع الذى ليس له شئ يعوقه . و (الحسر) جمع حاسر وهو الذى لا درع عليه . و (الرشق) الرمى و (الرجل من الجراد) القطعة الكبيرة

و (انكشفوا) أى انهزموا . و (البأس) الشدة والخوف . ومعنى (احمر البأس) اشتد الحرب .

٥ - وعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : « أتى النبى ﷺ عين من المشركين وهو فى سفر فجلس عند أصحابه يتحدث ثم انفتل . فقال رسول الله ﷺ : اطلبوه فاقتلوه ، فقتلته فنفلى رسول الله ﷺ سلبه » أخرجه الشيخان وأبو داود .

٦ - وعن أنس رضى الله عنه قال « اتخذت أم سليم خنجرا أيام حنين فكان معها . فقال لها النبى ﷺ : ما هذا يا أم سليم ؟ فقالت : اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرن بطنه . فجعل ﷺ يضحك . فقالت يا رسول الله : أقتل من يعدنا من الطلقاء الذين انهزموا بك فقال رسول الله ﷺ ، يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن » أخرجه مسلم وأبو داود . (البقر) الشق .

(تيسير الوصول ٣ / ٢٠٧ - ٢٠٩) وكانت أم سليم قد خرجت إلى الغزوة مع زوجها أبى طلحة وتأتى ترجمتها فى موضعها فى حرف السين إن شاء الله تعالى .

ويمكن تلخيص مراحل هذه الغزوة على النحو التالى : أسباب الغزوة ، تجهيز المسلمين ، سير المعركة فى شوال عام ٨ هـ ، هجوم المسلمين المقابل ، مطاردة المشركين ، خصار الطائف (ويأتى الكلام عليها فى مادة « الطائف (غزوة -) إن شاء الله تعالى) ، خسائر الطرفين ، توزيع الغنائم ، العودة إلى المدينة (الدروس المستفادة / ٤٩٧ - ٥٠٢) .

وقد أورد صاحب السيرة النبوية ما قبل من الشعر يوم حنين ننقل لك بعضه فيما يلى ، وهو من شعر الحماسة ومن الشعر التاريخى الذى يسجل الأحداث التاريخية ويؤرخ لوقائعها .

قال بجير بن أبى سلمى فى يوم حنين :

لولا الإله وعبداه وليتم
حين استخف العرب كل جبان
بالجزع يوم جبالنا أقراننا
وسوابح يكبون للأذقان
من بين سباع ثوبه فى كفه
ومقطر بسنابك ولبان
والله أكرمنا وأظهر ديننا
وأعزنا بعبادة الرحمن

والله أهلكهم وفرق جمعهم

وأذلهم بعبادة الشيطان

(الجزع : ما انعطف من الوادى . جبا اعتراض . سوابح . أى خيل سوابح . وهى المسرعة يكبون : يسقطون . مقطر : ملقى على قطره ، أى جنبه . ولبان الفرس : صدره) .

قال ابن هشام : ويروى فيها بعض الرواة :

إذ قسام عم نيكم وولييه

يدعون : يا لكتيبة الإيمان

أين الذين هم أجابوا ربهم

يوم العريض ويعة الرضوان

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس :

يا خاتم النبى إنك مرسل

بالحق كل هدى السبل هداكا

إن الإله بنى عليك محبسة

فى خلقه ومحمداً سماًكا

ثم السذين وفوا بما عهدتهم

جند بعثت عليهم الضحاكا

رجلا به ذرب السلاح كأنه

لما تكفاه العدو يراكا

يغشى ذوى النسب القريب وإنما

ينفى رضا الرحمن ثم رضاكا

أنبيك أنى قد رأيت مكره

تحت العجاجة يدمغ الإشراكا

طورا يعانق باليدين وتارة

يفرى الجماجم صارما بتاكا

يغشى به هام الكمأة ولو ترى

منه الذى عاينت كان شفاكا

وينو سليم معنقون أمامه

ضربنا وطعننا فى العدو دراكا

يمشون تحت لوائه وكأنهم

أسد العرين أردن ثم عراكا

ما يرتجون من القريب قرابة
إلا لطاعة ربهم وهواكنا
هذى مشاهدنا التي كانت لنا
معروفة وولينا مولاكنا
(الذرب : الحدة . بتاك : قاطع . معنقون : مسرعون .
دراك : متتابع . العراك : المدافعة) .
وقال عباس بن مرداس أيضا في يوم حنين :
عفا مجدل من أهله فمتالع
فمطلا أريك قد خلا فالمصانع
ديار لنا يا جمل إذ جل عيشنا
رخى وصرف السدار للحي جامع
حبية ألوت بها غربة النوى
لبين فهل مـاض من العيش راجع
فإن تبتغي الكفار غير ملومة
فإني وزير للنبي وتـابع
دعاني إليهم خير وفد علمتهم
خزيمة والمرار منهم وواسع
فجئنا بألف من سليم عليهم
لبسوس لهم من نسج داود رائع
نبايعه بالأخشين وإنما
يسد الله بين الأخشيين نبـايـع
فجئنا مع المهدي مكة عنوة
بأسيفنا والنقع كساب وساطع
عدنية والخيل يغشى متونها
حميم وأن من دم الجوف نـاقـع
ويوم حنين حين سارت هوازن
إلينا وضائق بالنفسوس الأضالع
صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا
تـراع الأعداى منهم والوقائع
أمام رسول الله يخفق فوقنا
لسواء كخـذروف السحابة لامع

عشية ضحاك بن سفيان معتص
بسيف رسول الله والمسوت كناع
نذود أخنانا عن أخينا ولو ترى
مصالا لكننا الأقربين تتابع
ولكن دين الله دين محمد
رضينا به ، فيه الهدى والشرائع
أقام به بعد الضلالة أمرنا
وليس لأمر حمـمـه الله دافع
(مجدل : مكان . متالع : جبل . المطلاء : الأرض
السهلة . أريك : موضع . المصانع : ما يجتمع فيها ماء
المطر كالأحواض . الأخشبان : جبلان بمكة . جسنـا : وطننا
المهدي : نبي الهدى محمد ﷺ . كاب : مرتفع . ساطع :
متفرق . الحميم هنا : العرق . آن : حار ، نـاقـع : كثير .
خذروف السحابة : طرفها) .
قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضا :
نصرنا رسول الله من غضب لـه
بألف كمي لا تعد حساوسه
حملنا له في عامل الرمح راية
يذود بها في حومة الموت ناصره
ونحن خضبناهما دما فهو لونها
غداة حنين يوم صفوان شاجره
وكننا على الإسلام ميمنة له
وكان لنا عقد اللواء وشاهره
وكننا له دون الجنود بطائفة
يشاورنا في أمره ونشاوره
دعانا فسمنا الشعار مقـدما
وكننا له عوننا على من يناكـره
جزى الله خيرا من نبي محمد
وأيمده بالنصر والله ناصره
قال ابن هشام : أنشدني من قوله : « وكنا على الإسلام »
إلى آخرها ، بعض أهل العلم بالشعر ، ولم يعرف البيت الذي
أوله : « حملنا في عامل الرمح راية » . وأنشدني بعد قوله :

«وكان لنا عقد اللواء وشاهره» ، ونحن خضبناه دما فهو لونه» .

(الحواسر : الذين لا دروع عليهم ، شاجره : خالطه بالرمح . الشعار : أصل الشعار : الثياب التي تلى الجسد . كناية عن القرب) .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضا :

من مبلغ الأقوام أن محمدا

رسول الإله راشد حيث يمما

دعنا ربه واستنصر الله وحده

فأصبح قد وفى إليه وأنعمما

سرينا وواعدنا قديدا محمدا

يسوم بنا أمرا من الله محكما

تماروا بنا فى الفجر حتى تبينوا

مع الفجر فتيانا وغابا مقوما

على الخيل مشدودا علينا دروعنا

ورجلا كدفاع الآتى عرمرما

فإن سسرة الحى إن كنت سسائلا

سليم وفيهم منهم من تسلما

وجند من الأنصار لا يخذلونه

أطاعوا فما يعصونه ما تكلمما

فإن تك قد أمرت فى القوم خالدا

وقدمته فإنه قد تقدمما

بجند همداه الله أنت أميرة

تصيب به فى الحق من كان أظمما

حلفت يميننا بكرة لمحمدا

فأكملتها ألفا من الخيل ملجمما

وقال نبى المؤمنين تقدموا

وحب إلينا أن نكون المقدمما

وبتنا بنهى المستديسر ولم يكن

بنا الخوف إلا رغبة وتحزما

أطعنناك حتى أسلم الناس كلهم

وحتى صبحنا الجمع أهل يلملما

يضل الحصان الأبلق الورد وسطه

ولا يطمئن الشيخ حتى يسومما

سمونا لهم ورد القطا زفه ضحى

وكل تراه عن أخيه قد احجمما

لسدن غداة حتى تركنا عشية

حنينا وقد سالت دوافعه دما

إذا شئت من كل رأيت طمسة

وفارسها يهوى ورمحا محطما

وقد أحرزت منا هوازن سربها

وحب إليها أن نخيب ونحرمما

(تماروا : شكوا ، الغاب : الرماح ، الآتى : السيل .

العرمرم : الكثير ، من تسلما : يريد أن فى سليم من اعتزى

إليهم من حلفائهم ، فتسلم بذلك ، كما تقول : تقيس

الرجل ، إذا اعتزى إلى قيس . أنشد سيبويه :

* وقيس عيلان ومن تقيسا *

يلملم : ميقات حجاج اليمن ومن أتوا عن طريقها .

الأبلق : الذى يختلط لونه بالسواد والبياض . الورد : المشرب

بالحمرة ، يسوم : يعلم . القطا : طائر ، زفه : أسرع به .

دوافع : مجارى السيل . الطمرة : الفرس السريعة . (السيرة

النبوية ٤ / ٧٦ - ٧٩ ، ٨٣ - ٨٥) .

ملاحظة : الخريطة المصاحبة لهذه المادة أخذت من

كتاب « معارك الإسلام الكبرى » لمحمد فتحى بكوش ص

١٤٤ .

(الفصول فى سيرة الرسول ﷺ للحافظ أبى الغداء إسماعيل بن كثير /

٨٧ - ٨٩ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٣

/ ٢٠٧ - ٢٠٩ ، و « الدروس المستفادة من غزوة حنين وحصار الطائف »

- اللواء أ . ح . محمد جمال الدين محفوظ . مجلة الأزهر . الجزء الرابع

السنة الخامسة والستون . ربيع الآخر ١٤١٣ هـ - أكتوبر ١٩٩٢ م / ٤٩٧ -

٥٠٢ ، والسيرة النبوية لابن هشام - قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه

عبد الرؤوف سعد ٤ / ٧٦ - ٧٩ ، ٨٣ - ٨٥ . انظر أيضا معارك الإسلام

الكبرى - محمد فتحى بكوش / ١٤٥ - ١٦٣ ، ومعجم المعارك الحربية -

ماجد اللحام / ١٣٣ ، وأيام العرب فى الإسلام - محمد أبو الفضل إبراهيم

وعلى محمد البجاوى / ١٠٤ - ١٢٢ ، والمنتخب من السنة . المجلس

الأعلى للشئون الإسلامية . الطبعة الثانية . القاهرة ١٣٥٥ هـ / ٢٩٨ - ٣٠١ ، ومحاسن الإسلام - الشيخ محمد سعد بن عبد الله الرباطي العباسي / ٩٢ - ٩٥ ، والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للشيخ عبد الرزاق المناوي / ٢٠٦ - ٢٠٨ .

انظر حنين .

* حنين (معركة) :

انظر : حنين (غزوة) .

* حنين (يوم) :

انظر : حنين (غزوة) .

* حواء أم البشر :

جاء في طبقات ابن سعد : قال : أخبرنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، قال : خلق حواء من قصيرى آدم ﷺ - والقصيرى الضلع الأقصر - وهو نائم ، فاستيقظ فقال : أنا ! امرأة بالنبطية . قال : أخبرنا محمد بن عبد الله الأسدي ، حدثنا سفيان بن سعيد الثوري ، عن أبيه ، عن مولى لابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : إنما سميت حواء ، لأنها أم كل حي . قال : أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أهبط آدم بالهند وحواء بجدة ، فجاء في طلبها حتى أتى جمعا ، فازدلفت إليه حواء ، فلذلك سميت المزدلفة ، واجتمعا بجمع ، فلذلك سميت جمعا (الطبقات الكبرى ١ / ١٦) .

وقال الإمام النووي : حواء أم البشر عليها السلام مذكورة في آخر باب ميراث العصبه من المذهب هي بالمد . قال أفضى القضاة الماوردي في تفسيره : اختلف العلماء في الوقت الذي خلقت فيه حواء على قولين : أحدهما قاله ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما : دخل آدم عليه السلام الجنة وحده فلما استوحش خلقت له حواء في الجنة من ضلعه ، والثاني قاله ابن إسحاق : إنها خلقت من ضلعه قبل دخوله الجنة ، ثم أدخلها جميعا إلى الجنة .

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر الجاقل أبي القاسم أن حواء سكنت بيتا لها قرية معروفه من غوطه دمشق ، وفيه بإسناده عن ابن عباس قال : سميت حواء لأنها أم كل شيء حي ، وفيه أن حواء أهبطت من الجنة بجدة ، وفيه عن عثمان

ابن الساج قال : بلغني أن حواء ولدت لآدم أربعين ولداً في عشرين بطنا ، وكانت تلد غلاما وجارية . وعن ابن إسحاق عن الزهري وغيره أنهم قالوا : ولد لآدم في الجنة هابيل وقايل وأختاهما . قال ابن إسحاق : بلغني عن غير هؤلاء أنه لم يولد لآدم في الجنة والله أعلم أي ذلك كان (تهذيب ٢ / ٣٤٠) .

(الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد كاتب الواقدي . كتاب التحرير ١ / ١٦ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النوري ٢ / ٣٤٠) .

* الحوَاب :

قال ياقوت :

الحوَاب : بالفتح ثم السكون ، وهمزة مفتوحة ، وباء موحدة ؛ وأصله في اللغة ، يقال : حافرٌ حوَابٌ وأب صعب ، والحوَابَة : العلبة الضخمة ، والحوَاب : الوادي الواسع في هذه . والحوَاب : موضع في طريق البصرة محاذي البقرة ماء أيضا من مياههم ، قال أبو زياد : ومن مياه أبي بكر بن كلاب الحوَاب ، وهو من المياه الأعداد وقديم جاهلي ، وقال نصر : الحوَاب من مياه العرب على طريق البصرة ؛ والحوَاب والعناب والحزير : جبال سود أظنها في ديار عوف بن عبد بن أبي بكر ابن كلاب أخى قريظ بن عبد ، وقيل : سمى الحوَاب بالحوَاب بنت كلب بن وبرة ، وهي أم تميم وبكر المعروف بالشعيراء والغوث وهو الربيط ، وهو صوفة وتعلبة ، وهو طاعنة وغيرهم من ولد مر بن أد بن طابخة ، وبالحوَاب حصن لعبد العزيز بن زرارة الكلبي ؛ وقال أبو منصور : الحوَاب موضع بئر نبحت كلابه على عائشة أم المؤمنين عند مقبلها إلى البصرة ؛ ثم أنشد :

ما هي إلا شربة بالحوَاب ،

فصعدني من بعدهما أو صوبى

وفي الحديث : أن عائشة لما أرادت المضي إلى البصرة في وقعة الجمل مرت بهذا الموضع فسمعت نباح الكلاب فقالت : ما هذا الموضع ؟ فقيل لها : هذا موضع يقال له الحوَاب ، فقالت : إنا والله ما أراني إلا صاحبة القصة ، فقيل لها : وأي قصة ؟ قالت : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول وعنده نساؤه : ليت شعري أيتكن تنبئها كلاب الحوَاب سائرة إلى الشرق في كتيبة ! وهمت بالرجوع فغالطوها وحلفوا لها أنه

الرقم : ١١١٣ .

لكمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن المفضل الشيباني البغدادي المعروف بابن الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣ هـ ١٣٢٣ م وهو كتاب في تأريخ العراق رتبته المؤلف على السنين تبدأ هذه النسخة بحوادث سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م وتنتهي بحوادث سنة ٧٠٠ هـ ١٣٠٠ م نقلت هذه النسخة عن نسخة الخزنة التيمورية بالقاهرة ولم يذكر عنوان المخطوط أو اسم المؤلف . في أولها تعليقات ليوسف اليان سركيس . والأب انستاس ماري الكرملى والدكتور مصطفى جواد ... وقد كتب يوسف اليان سركيس في أولها أنها أهديت من أحمد تيمور بمصر إلى الأب انستاس ماري الكرملى ببغداد سنة ١٩٢١ م .

نشر الكتاب سنة ١٣٥٠ هـ ١٩٣٢ م ببغداد بتصحيح الدكتور مصطفى جواد (انظر المخطوطات التاريخية في مكتبة المتحف العراقي لكوركيس عواد مجلة سومر عدد ١٣ لسنة ١٩٥٧ ص ٥٤) .

القياس ٤٤٥ ص ٢٥,٥ × ٢٠,٥ سم ١٤ س
معجم المؤلفين ٢١٥ / ٥ كشف ٢٧٩ / ١ فهرس
المطبوعات العراقية ٢ / ٣٩٠ .
نسخة أخرى .

الرقم : ١١٦٠٦

كتب بقلم جيد ولعلها بخط عبد الرزاق بن فليح البغدادي .

القياس ٤٠٠ ص ٢٥ × ١٨ سم ١٩ س
نسخة أخرى :

الرقم : ١٣٧٩ .

حديثة الخط منقولة عن النسخة التيمورية .

القياس ٤٢٤ ص ٢٠,٥ × ١٤ سم ١٨ س
نسخة أخرى :

الرقم : ١٥٩٩ .

تتضمن قطعة من الكتاب تنتهي بحوادث سنة ٦٣ هـ ١٢٣٢ م بقلم عبد الرزاق فليح البغدادي عن نسخة الخزنة التيمورية .

القياس ٦٠ ص ٢٩ × ٢٠ سم ١٩ س

ليس بالحواب ؛ وفي كتاب سيف : أن فلان يوم بزاخة الذين كانوا مع طليحة المتنبي أجمعت إلى ظفر وبها أم زمل سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر الفزارية ، وكانت عزيزة في أهلها مثل أمها أم قرفة ، فنزلوا إليها فدمرتهم وأقربتهم بالحرب ، وكانت أم زمل قد سبيت أيام أم قرفة فوهبت لعائشة فأعتقتها ، فكانت تكون عندها ، وقد كان النبي ﷺ ، دخل عليهن فقال : إن إحداهن تستنجح كلاب أهل الحوآب ، ثم رجعت سلمى إلى قومها وارتدت فيمن ارتد ، فلما رجع إليها الفلال طلبت بذلك الثأر فسيرت ما بين ظفر والحوآب حتى تجمع لها خلق كثير من غطفان وهوازن وسليم وأسد وطىء ، فبلغ ذلك خالدًا ، فسار إليها واقتتل الفريقان قتالا شديدا وهي راكبة على جمل أمها حتى اجتمع على الجمل أناس من المسلمين فعقروه وقتلوا وقتلوا حولها مائة رجل ، فكانوا يروون أنها التي عناها النبي ﷺ . والحوآب في أخبار الردة : مخلاف بالطائف . والحوآب أيضا : جبل أسود تقدم ذكره .

(معجم البلدان ٢ / ٣١٤) .

* الحواتكة :

وصفها علي باشا مبارك كما كانت في زمانه فقال عنها :

(الحواتكة) قرية كبيرة من مديرية أسيوط بقسم منفلوط على الشاطئ الغربي للنيل في شرقي الإبراهيمية في جنوب منفلوط بأقل من ساعة ، وأبنيتها من أحسن أبنية الأرياف ، وفيها قصور مشيدة بشبابيك الزجاج والحديد لأولاد أبي محفوظ ، وبها مساجد جامعة ومساجد غير جامعة ومعمل دجاج ونخيل وأشجار وجنات ، وأطيانها جامعة المحصول ويزرع في جزيرتها الدخان البلدي والسلجم والبصل والمقائىء خصوصا الحرش الكبير ، وتكسب أهلها من الزرع ومنهم حاكة ينسجون الصوف .

وأولاد أبي محفوظ عائلة مشهورة من أجيال ، ولهم أملاك كثيرة ويزرعون الألوف من الأتيان الخصبة ... إلخ .

(الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك - إعداد عزت عبد المجيد شلقامى ١٠ / ١٨٩ ، ١٩٠) .

* الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابقة :

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ .

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى .

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير في مكتبة المتحف العراقي - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٦٠ ، ١٦١) .

* حوادث الزمان وأنبأؤه:

من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط ، وجاء بيانه كما يلي :

لشمس الدين محمد بن إبراهيم الجزري الدمشقي المتوفى سنة ٧٣٩هـ ، كتب عليه الحريري بدل الجزري غلطاً ، الجزء الثاني ، من نسخة بخط نسخي جيد ، من خطوط القرن التاسع تقريباً . وهو نادر يتتدىء بحوادث سنة ٦٠٨هـ إلى سنة ٦٥٨هـ ، في ١٨٠ ورقة .

(مجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة في المغرب مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١ / ٨٤) .

* الحَوَارِي :

أدرجه صاحب كتاب التنوير في باب الأطعمة والأشربة وقال عنه : الحواري : ما بُلّ ، وقشر بالدق ، ثم طحن .

(كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية لأبي منصور الحسن بن نوح القمري - تحقيق وفاء تقى الدين / ٥٠) .

* حَوَارِين :

هي اليوم في محافظة حمص ، وتتبع ناحية القريتين (من كتاب معجم البلدان س ٣ ق ١ / ٣٩٠) قال عنها ياقوت :

حوارين : بالضم ، وتشديد الواو ، ويختلف في الرء فمنهم من يكسرها ومنهم من يفتحها ، وياء ساكنة ، ونون : وحوارين : من قرى حلب معروفة .

وحوارين : حصن من ناحية حمص ؛ قال بعضهم :

يا ليلة لي بحوارين ساهرة

حتى تكلم في الصبح العصافير

وقال أحمد بن جابر : مر خالد بن الوليد في مسيره من العراق إلى الشام بتدمير والقريتين ثم أتى حوارين من سنير فأغار على مواشي أهلها ، فقاتلوه وقد جاءهم مدد من أهل بعلبك ثم أتى مرج راهط ، وفي كتاب الفتوح لأبي حذيفة إسحاق بن بشير : وسار خالد بن الوليد من تدمر حتى مر بالقريتين ، وهي التي تدعى حوارين ، وهي من تدمر على مرحلتين ، وبها مات يزيد بن معاوية في سنة ٦٤ .

(من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي الرومي - اختار النصوص

وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان س ٣ ق ١ / ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ومعجم البلدان ٢ / ٣١٥ ، ٣١٦) .

* حواريو رسول الله ﷺ :

جاء في اللسان : قال بعضهم : الحواريون صفوة الأنبياء الذين قد خلصوا لهم : وقال الزجاج : الحواريون خلصاء الأنبياء عليهم السلام ، وصفوتهم . قال : والدليل على ذلك قول النبي ﷺ : « الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي » أي خاصتي من أصحابي وناصري . قال : وأصحاب النبي ﷺ حواريون ، وتأويل الحواريين في اللغة الذين أخلصوا ونُقُوا من كل عيب ، وكذلك الحواري من الدقيق سمي به لأنه ينقى من لباب البر ، قال : وتأويله في الناس الذي قد روجع في اختياره مرة بعد مرة ، فوجد نقيا من العيوب .

ابن سيده : وكل مبالغ في نصرة آخر حواري ، وخص بعضهم به أنصار الأنبياء ، عليهم السلام ، وقوله أنشده ابن دريد .

بكي بعينك واكف القطر

ابن الحواري العالي المذكر

إنما أراد ابن الحواري ، يعني بالحواري الزبير ، وعنى بابنه عبد الله بن الزبير .

وقيل لأصحاب عيسى عليه السلام الحواريون للبياض ، لأنهم كانوا قصارين (القصار : المبيض للثياب . المعجم الوجيز / ٥٠٤) والحواري : البياض ، وهذا أصل قوله ﷺ في الزبير : « حواري من أمتي » ، وهذا كان بدءاً ، لأنهم كانوا خلصاء عيسى وأنصاره ، وأصله من التحوير التبييض ، وإنما سموا حواريين لأنهم كانوا يغسلون الثياب ، أي يحورونها ، وهو التبييض (اللسان ١٢ / ١٠٤٤) .

قال الشيخ الشبلنجي عن حواريي رسول الله ﷺ :

وأما حواريوه ﷺ فكلهم من قريش وهم اثنا عشر رجلاً أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون والذي جمع بين النجابة والحوارية أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وجعفر وعثمان بن مظعون فهؤلاء الستة جمعوا بين الشرفين رضي الله عنهم أجمعين . من المحاضرات للشيخ محيي الدين (نور الأبصار / ٨٦) .

(لسان العرب لابن منظور ١٢ / ٥٧٤٤ ونور الأبصار للشيخ الشبلنجي / ٨٦).

* حواش على حاشية الحفيد وحاشية العبادي وحاشية عيسى على شرح مختصر التلخيص للتفتازاني :
من المخطوطات اللغوية في مكتبة المتحف العراقي .
الرقم : ١٨٥

لياسين بن زين الدين بن أبي بكر بن محمد العليمي الحمصي المتوفى سنة ١٠٦١ هـ / ١٦٥٠ م .
كتبت بخط مغربي .
القياس ص ١٣٢ ، ٢٧, ٥ × ٢٠ سم ٢٩ س
معجم ١٩٤٦ ، كشف ٤٧٦/١

(الحفيد : أحمد بن محمد بن يحيى حفيد التفتازاني المتوفى سنة ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م ، العبادي : أحمد بن قاسم العبادي المتوفى سنة ٩٩٤ هـ / ١٥٨٥ م ، عيسى : عيسى الصفوي الإيجي) .

(المخطوطات اللغوية في مكتبة المتحف العراقي - أسامة ناصر النفشبندي / ١٢٢) .

* حواش على الكتاب الهندي في الحساب :

من مصنفات التراث الإسلامي في الرياضيات .
مخطوط بمعهد المخطوطات العربية .

تأليف عيسى بن أحمد بن يوسف .

أولها : الحمد لله الذي لم يجعل الواحد من العدد ... أما بعد ، فهذه حواش علقتها على كتاب « الهندي » المنتزح من « الكافي » وذلك على ما أشكل ... إلخ .

نسخة بقلم معتاد بخط تلميذ مؤلف الحاشية يحيى بن علي بن إسماعيل بن علي بن عبد القادر سنة ١٢٠٥ في ١٥ ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرا تقريبا .

١٥ × ٢٠ سم

انظر هذه الحواشي مع : الكتاب الهندي .

دار الكتب المصرية ٨٤ رياضة - ف ١٠٣٤ .

(فهرس المخطوطات المنصورة ، معهد المخطوطات العربية ج ٣

العلوم ق ٣ الرياضيات - وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٠ / ٤٤) .

* حواش لبعض العلماء على تفسير بعض الآيات :

من مصنفات التراث الإسلامي في علم التفسير .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (بمكتبة الأسد الآن) .

الرقم : ١٠٢٣٨ .

المؤلف : حبيب العمرى الأقراني .

أولها : الحمد لله الذي بين بقرآنه الكريم على رسوله آيات بينات ، وأعلى به على عباده رايات عاليات ... وبعد قال العلامة الزمخشري في الكشف في سورة الحشر في تفسير قوله تعالى ﴿ والذين تبوءوا ﴾ معطوف على المهاجرين ، وهم الأنصار ، فإن قلت : ما معنى عطف الإيمان على الدار ، ولا يقال تبوءوا الإيمان .

آخرها : وإضافة الشح إلى النفس في قوله تعالى ﴿ ومن يوق شح نفسه ﴾ لأنه صفة عزيزة مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل ، ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها ، فيما يغلب عليها ، لا يكون إلا الفلاح الفائز بكل مطلوب ، والعدل أقرب للتقوى .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثاني عشر الهجري ، كتبت بخط فارسي معتاد ، ألفاظ القرآن الكريم ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر ، على الهوامش بعض الشروح المكتوبة بخط دقيق ، أحيطت الكتابة بإطارات مرسومة بالذهب . توجد هذه الرسالة في مجموع يحوى عددا من الرسائل في التفسير ، المجموع مصاب بالروطية ، غلافه من الورق المقوى .

١٧ × ١٢ سم ٢١ س (١٩ - ٢٤)

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم . التفسير - وضعه صلاح محمد الخيمي ٣ / ٢٩٠ ، ٢٩١) .

* حواش مقيدة على شرح الجزرية :

من مصنفات التراث الإسلامي في علم التجويد .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم : ١٠٥٧٧ .

المؤلف : حسن بن علي بن أحمد بن عبد الله المنطاوى الشافعي الشهير بالمداغني المتوفى سنة ١١٧٠ هـ / ١٧٥٦ م

أما بعد : فإن أولى ما تصرف فيه الهمم العوالي كلام الكبير المتعالى ، وأهم ما يبدأ به تجويد حروفه وتحسين ألفاظه ومعرفة وقوفه ، وما يتبع ذلك مما يحتاج إليه المنقول وكيفية الوقوف على المقطوع والموصول ، وتتميم معرفة وجوب الإظهار والإدغام وأحكام النون الساكنة والتنوين والروم والإشمام .

خاتمة الرسالة : التقصى : الانتهاء شيئاً فشيئاً . والنظم : جمع الأشياء على هيئة مناسبة . وقوله : مقدمة أى تحفة وهدية ، وختمها بالحمد والصلاة لتكون ميمونة الافتتاح والاختتام والحمد لله الذى هدانا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والحمد لله رب العالمين . تم الكتاب والله الحمد بعون الملك الوهاب فى الواحد والعشرين يوماً خلون من شهر رجب الفرد سنة ١١٦٦ .

أوصاف المخطوط : الرسالة من مکتوبات القرن الثانى عشر الهجرى ، وقد كتبت بخط نسخى معتاد ، أبيات الأصل والفصول مكتوبة بالأحمر وبخط أكبر . على الهوامش بعض التصويبات والشروح . أصيبت النسخة بالرطوبة فى أعالي الأوراق ، وهى موجودة فى مجموع يحوى عدداً كبيراً من الرسائل المختلفة فى مواضيع متعددة أغلبها فى علوم القرآن والقراءات والتجويد . أولها : الإتحاف بتميز ما تبع فيه اليبضاوى صاحب الكشف لمحمد بن يوسف الشامى وآخرها القول المفيد فى حل بعض مشكلات من القرآن المجيد لأحمد بن سليمان الخالدى ، المجموع مكتوب بخطوط مختلفة وأزمنة مختلفة ، وهو بحاجة إلى ترميم .

١٥ (٨٣ - ٩٧) ق ٢١ × ١٥ س ٢٥

المصادر : الضوء السامع : ٣ / ١٧١ ، شذرات الذهب : ٨ / ٢٦ ، الكواكب السائرة : ١ / ١٨٨ ، كشف الظنون : ١ / ١٢٤ ، إيضاح المكنون : ١ / ١١٨ ، بروكلمان الدليل : ٢٢ / ٢ .

نسخة ثانية :

الرقم : ٥٦٠٦ .

خاتمة المخطوط : والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، قال المؤلف : هذا الشرح للشيخ خالد الوقاد الأزهري تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوحه جنته إنه على ما يشاء قدير ...

فاتحة المخطوط : الحمد لله الذى ألع قلوب العارفين بتلاوة كتابه وجعلهم معبودين واقفين عند حدوده ... وبعد فيقول راجى عفوره المنان عبد الرحمن النجراوى ، قد حملنى أستاذى عطية الله الأجهورى على تبييض ما لخصه شيخنا المدابغى من حاشية الشبراملى على شرح الجزرية لشيخ الإسلام وأن أدخل فيه ما كتبه بالهامش فامتثلت قوله المأمون فجاء بحمد الله كالجوهر المكنون ...

خاتمة المخطوط : المحمود الاختيارى حقيقة أو حكماً ، فدخل : نحو صفات الله تعالى من حيث إنها مبدأ للأفعال الاختيارية على جهة التبجيل بالإضافة البيانية أى على جهة هى التبجيل أى التعظيم ، قاله النور الحلبى فى شرح الكلام على البسملة .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثالث عشر الهجرى مخرومة الآخر كتبت بخط معتاد بالمداد الأسود ، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر ، على الهوامش الكثير من الشروح المختلفة ، أصيبت النسخة بالرطوبة فى بعض أوراقها دون أن تتأثر الكتابة فيها ، أما غلافها فهو من الورق .

١٢ ق ٢٢ × ١٥ س ٢٣

المصادر : عجائب الآثار ١ / ٢٠٩ ، فهرس الفهارس ٢ / ٥ ، هدية العارفين ١ / ٢٩٨ ، فهرس التيمورية ٣ / ٢٧٤ ، بروكلمان : الدليل ٢ / ٤٥٥ ، معجم المطبوعات / ١٧١٩ . (فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، علوم القرآن الكريم - المصاحف - التجويد - القراءات - وضعه صلاح محمد الخيمى ١ / ١٥٨ ، ١٥٩) .

* الحواشي الأزهريّة في حل ألفاظ المقدمة الجزرية :

من مصنفات التراث الإسلامى فى التجويد .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (بمكتبة الأسد الآن) .

الرقم : ٤٤٨٨ .

المؤلف : زين الدين خالد بن عبد الله بن أبى بكر بن محمد الجرجاوى الأزهري المتوفى سنة ٩٠٥ هـ .

فاتحة الكتاب : يقول الفقير إلى عفوره الغنى خالد بن عبد الله الأزهري رحمه الله تعالى : الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ووعد من تلاه وعمل به جزيل الثواب ...

وكان الفراغ من كتابته نهار السبت المبارك أوائل شهر ربيع الأول الذي هو من شهور سنة ٩٦٤ هـ .

أوصاف الكتاب والمجموع : المخطوط من مكتوبات القرن العاشر الهجري وقد أصابت الرطوبة أعالي الأوراق فيه فتأثرت الكتابة بذلك كتب بخط نسخي معتاد مشكول ، أبيات الأصل والفصول ، ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر وبخط أكبر ، النسخة مخرومة مقدار ورقة واحدة وقد عوضت بخط مختلف عن الأصل ، وهي موجودة في مجموع يحوى - الفوائد الجليلة شرح المقدمة الجزرية لعلاء الدين الطرابلسي ... على الورقة الأولى قيد تملك باسم محمد سعيد ابن محمد السمان ، وبعض الفوائد . المجموع بحالة حسنة .

٣٥ (١٨ - ٥١) ق ٢١ ١٥ × ١٥ س

- نسخة ثالثة :

الرقم : ٨٤٧٥

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثاني عشر الهجري ، أصيبت بالرطوبة في جميع أوراقها وقد رمت جميعا ، كتبت بخط نسخي معتاد وبالممداد الأسود ، أبيات الأصل ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر .

النسخة في مجموع يحوى الأنوار البهية شرح المقدمة الميدانية لخليل بن حسن التاجي ، وهي في علم التجويد ، على الورقة الأولى قيد مطالعة لعبد الله أبى سالم يوسف ، وعلى الورقة الأخيرة فائدة في أقسام التنوين ، ثم منظومة في ظاءات القرآن العظيم .

٢٧ (٢٥ - ٥١) ق ٢٢ ١٦ × ١٦ س ١٩

- نسخة رابعة :

الرقم : ١٠٥٨١

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثاني عشر الهجري كتبت بخط نسخي صغير وبالممداد الأسود ، أبيات الأصل مكتوبة بالأحمر ، أصيبت النسخة بالرطوبة والتلف ، وقد رمت قديما ، على الورقة الأولى قيد تملك باسم محيى الدين بن العطار تاريخه رجب ١٢٢١ هـ وقيد آخر مطموس ظهر فيه كلمة الحفار تاريخه سنة ١٢٨٠ هـ بالإضافة إلى حديث شريف مروي عن ابن عساكر .

على الورقة الأخيرة أربعة أبيات في وصف جامع يلبغا ، ثم قصيدة ميمية في الغزل . أوراق النسخة جافة وغلافها عادى .

١٩ ق ١٤ × ١٤ س ١٧

- نسخة خامسة :

الرقم : ٨٠١١

خاتمة المخطوط : وافق الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة نهار الخميس الرابع والعشرين من شهر محرم الحرام سنة أربع وخمسين ومائة وألف على يد الفقير الحقير عبد الواحد بن إسماعيل بن محمد بن محمد بن سراج الدين سنة ١١٥٤ هـ .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثاني عشر الهجري ، كتبت بخط رديء . المقدمة مكتوبة بالممداد الأحمر ، والشرح بالممداد الأسود النسخة في مجموع يحوى فوائد في أصول الدين ، ثم رسالة في صفات الحروف ، ثم المقدمة الجزرية وأخيرا مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين لمحمد ناصر الدين الطبلاوى .

المجموع مفروط الأوراق مصاب بالرطوبة يحتاج إلى صيانة .

٣٨ (١٠٠ - ١٣٧) ق ١٦ × ١١ س ١٧

(فهرس الظاهرية ١ / ١٥٠ - ١٥٤) .

توجد نسخة في الخزنة الطلسية بحلب ضمن مجموع فيه التيسير في القراءات السبع لأبى عمرو الدانى .

قالت المؤلفة : وجاء فيها خطأ أن وفاة الشيخ الأزهري سنة ٨٠٥ هـ والصحيح ٩٠٥ هـ كما ورد العنوان بدون كلمة «ألفاظ» .

والنسخة حسنة الخط بقلم كاتب التيسير . وقد طبعت الحاشية مرات بمصر انظر كشف الظنون ص ٣٠٣ . مقياسه : ١٦ × ٢٠ (المنتخب ق ٤ / ٣٢١ ، ٣٢٢) .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . القرآن الكريم . المصاحف - التجويد - القراءات - وضعه صلاح محمد الخيمي ١ / ١٥٠ - ١٥٤ ، والمنتخب من المخطوطات العربية في حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤ / ٣٢١ ، ٣٢٢) .

* حواشي عبد اللطيف البغدادي على القانون :

من مصنفات التراث الإسلامي في الطب .

يوجد مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية .

وهو موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي المتوفى

سنة ٦٢٩ هـ .

أوله : إنه لا يعرف مشاق الأعمال إلا من كان له مشاركة فيها .

وأخره : وقد سبق ذكرها في المعاجين ... آخر ما كتب على القانون .

نسخة بقلم نسخي ٦١٦ هـ .

٩٠ صفحة ٢١ سطرا .

[الرضوية - مشهد - إيران ٥٠٧٥]

(فهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ج ٣

العلوم ق ٢ الطب . الكتاب الثاني . القاهرة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م / ٨٥)

* الحواشي الكبرى على أنوار التنزيل وأسرار التأويل :

من مصنفات التراث الإسلامي في علم التفسير .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٦١٧ - تفسير ٢٤٢ .

المؤلف : مصلح الدين مصطفى بن شعبان الكليولي

الرومي الحنفي المعروف بسروري جلي المتوفى سنة ٩٦٩ هـ

أولها : الحمد لله الذي جعلني كشاف القرآن ، وقاضيا

بين أهل الحق وأرباب البطلان والصلاة على نبيه المبعوث

على أفصح لسان وعلى آله وصحبه الذين سبقونا بالإيمان أما

بعد : فيقول العبد الفقير سروري الحقيق : أردت أن أكتب

تيسير تفسير القرآن وشرح تفسير القاضي بأبلغ البيان فكتبت

لفظ القرآن بالمداد الأحمر وجعلت التفسير سطورا في المسطر

وفسرت القرآن بالمداد الأحمر وجعلت التفسير سطورا في

المسطر وفسرت القرآن فيما يحتاج إلى التبيين وبينت تفسيره

بالتبيان المتين ...

آخرها : وفي الحديث : نسخت الزكاة كل صدقة .

مقصود المصنف من إيراد هذا الحديث الذي هو دليل من

أنكر أن لا يكون في المال حق غير الزكاة ترجيح الاحتمالين

على الثالث وقد مر الكلام المتعلق به قريبا فتذكروا الأمر الرابع

من الأمور التي اعتبرها الله تعالى في تحقيق البر والوفاء بالعهد

ولهذا قال : ﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾ عطف على

من آمن لأنه من مجموع المغنى . أقول : هذا إنما يصح إذا

قدر المضاف المعطوف عليه في جانب الموضع .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الحادي عشر

الهجري ، كتبت بمجموعة من الخطوط كلها فارسي بعضها

دقيق وبعضها معتاد . ألفاظ القرآن الكريم ورؤوس الفقر

مكتوبة بالأحمر ، على الهوامش الكثير من الشروح والزيادات

المختلفة . أصابتها الرطوبة في مواضع متعددة ولكنها لا تزال

بحالة حسنة .

على الأوراق الأولى بعد الغلاف قيود تملك منها : قيد

باسم محمد طالبي وآخر باسم محمد المسرور وثالث باسم

يحيى بن محمد الشهير بعيني زادة . ثم ترجمة مختصرة

للمؤلف وذكر لبعض مؤلفاته .

٣٤٨ ٢٨ × ١٦,٥^ق ٢٩ - ٣١^س

المصادر : العقد المنظوم : ٢ / ٢١٤ ، شذرات الذهب :

٨ / ٣٥٩ ، كشف الظنون / ١٨٩ ، هدية العارفين : ٢ / ٢٣٤ ،

بروكلمان : الذيل : ٢ / ٦٥٠ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم .

التفسير - وضعه صلاح محمد الخيمي ٣ / ٢٩١ ، ٢٩٢) .

* الحواشي المفهومة في شرح المقدمة « شرح المقدمة

الجزرية في علم التجويد » :

من مصنفات التراث الإسلامي في علم التجويد .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم : ١٧٩ .

المؤلف : أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد الجزري

المتوفى سنة ٨٢٧ هـ . (وهو ابن ناظم المقدمة الجزرية في

علم التجويد) .

فاتحة الرسالة : الحمد لله المتعالى في جلال قدسه ، لا

أحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ، حمد من خلقه

فسواه ، موقن أنه لا رب له سواه ... وبعد : فإن أولى ما

تصرف فيه الهمم العوالي كلام الله الكبير المتعالى ، وأهم ما

يبدأ به قبل تلاوته تجويد حروفه وتصحيح قراءته ، وكان أنفع

ما ألف في ذلك الأرجوزة المسماة المقدمة ... نظم سيدى

والدى .

خاتمة الرسالة : قال الإمام أبو الحسين الواحدى : الأولى ترك السلام عليه لاشتغاله بالتلاوة ، فإن سلم كفاه الرد بالإشارة ، وإن ردها استأنف ثم عاد إلى التلاوة ، وهذا آخر ما قصده من هذا الشرح .

وقد منّ الله الكريم بما هو له أهل من الفوائد النفيسة والدقائق اللطيفة من أنواع علوم القرآن ومهماتهما ، والله المحمود على ذلك وغيره من نعمه التى لا تحصى أن هدانى لذلك ووفقنى لجمعه ...

وكان الفراغ من تحرير هذه النسخة المباركة سنة خمس وأربعين ومائة وألف في بلدة جزير ... ؟

أوصاف الرسالة والمخطوط : النسخة من مكتوبات القرن الثانى عشر الهجرى ، وقد كتبت بخط نسخى حسن ، على الهوامش بعض التعليقات والإضافات والشروح .

توجد الرسالة فى مجموع يحوى مجموعة كبيرة من الرسائل المختلفة منها : شرح معانى كلمة التوحيد لأحمد البدلىسى ، ورسالة الورقات فى أصول الفقه ، ثم باب وقف حمزة وهشام على الهمزة ، ثم مناجاة لأمر المؤمنين على بن أبى طالب وغيره ... ثم مختصر الأسباب فى تجويد القرآن ... وينتهى بإجازة لعبد اللطيف بن جعفر البدلىسى سنة ١١٧٤هـ .

كتب المجموع بخطوط مختلفة وأزمنة مختلفة وهو مفروط الأوراق يحتاج إلى ترميم ...

١٩ (٥٢ - ٧٠) ق ٢٢ × ١٦,٥ ١٦ س
المصادر :

كشف الظنون : ١٧٩٩/٢ - بروكلمان الذيل : ٢ / ٢٧٦ .

- نسخة ثانية .

الرقم : ٥٧٤٠ .

خاتمة المخطوط : تمت بحمد الله وعونه ، وحسن توفيقه على يد العبد الفقير إلى الله تعالى الراجى عفوره القدير أحمد بن محمد المنادى ببلدا والشافعى مذهب الأزهري الشهير بالكونسي فى ثمانى عشرين من شهر رجب الفرد سنة سبع وخمسين وثمانماية ، بلغت مقابلة على نسخة كتبت منها معتمدة .

أوصاف المخطوط : نسخة قيمة من القرن التاسع الهجرى كتبت بخط معتاد وبالمدا الأسود ، أبيات الأصل ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر . على الورقة الأولى قيد تملك باسم السيد حسن المدرس بأموى حلب . على الورقة الأخيرة أرجوزة فيما خرج من الهمز عن القياس فى الرسم ، النسخة مفروطة الأوراق مصابة بالرطوبة ، غلافها ممزق ، تنقص مقدار ورقة واحدة فى نهاية الورقة (٩) تحتاج النسخة إلى ترميم .

٦٧ ق ١٨ × ١٣ ١٧ س

- نسخة ثالثة مخرومة .

الرقم : ٦٦

خاتمة الرسالة : ونهاك عن الوقف على رؤوس الآية ، وهو سنة . وأول بالوقف على المضاف دون ما يضاف إليه من نحو « وإله » ، أو على الاسم الموصول دون صلته من نحو « والذين » .

أوصاف الرسالة والمخطوط : نسخة ناقصة ، خربت كثيرا بمقارنتها مع النسخة ذات الرقم - ٥٧٤٠ - كتبت بخط مغربى دقيق جدا عسير القراءة ، كتبت النسخة سنة ١٠٣١هـ ، وكتبها محمد بن محمد بن على المغربى المكناسى (ق ١٦٥) . توجد هذه النسخة فى مجموع يحوى مجموعة من الكتب والرسائل فى القراءات والتجويد والتصوف وجميعه بالخط المغربى ، وهو مفروط الأوراق يحتاج إلى صيانة وترميم .

٩ (١٦٥ - ١٧٣) ق ٢١,٥ × ١٥ ٤١ س

- نسخة رابعة :

الرقم : ٩٥٦٩ .

خاتمة الشرح : وفرغت من تأليفه يوم الخميس من غرة شهر رمضان المعظم سنة ٨٠٦ ست وثمان مائة بمدينة رندة من معاملة قرمان من البلاد الرومية حماها الله وحرسها وعمرها ببقاء مآلكها ، أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره وثبت أركانه ونصر جيوشه ...

أوصاف المخطوط : نسخة قيمة وقد تكون نسخة المؤلف ، خرم القسم الأول منها ومقداره تسع ورقات وعوض بخط نسخى آخر مكتوب بالمداين الأسود والأحمر .

القسم الأصلي من الكتاب مكتوب بخط نسخي جيد، أبيات الأصل مكتوبة بالأحمر وهي مضبوطة بالشكل على الهوامش بعض الشروح القليلة ، توجد هذه النسخة في مجموع يحوى : السراجية فى الفرائض ، وأرجوزة بالفرائض ليجبى بن أبى بكر الحنفى ، ونصيحة الأحياء فى لبس فروة السنجاب لنجم الدين محمد بن عبد الله ابن قاضى عجلون ورسالة تتعلق بالفرق بين الحياة المستقرة والحياة المستمرة .

كتب المجموع بخطوط مختلفة وقد أصيب بالרטوبية ورممت بعض أوراقه مع غلافه قديما .

٣٦ ق ١٨ × ١٣ ٢٥ س

- نسخة خامسة :

الرقم : ٦٤٦٢ .

خاتمة المخطوط : وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة نهار الخميس خامس عشرين من ربيع الأول من شهور سنة ٩٨٧ على يد العبد الفقير إسماعيل بن خليل ...

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن العاشر الهجرى كتبت بخط معتاد وبالممداد الأسود . أبيات المقدمة مكتوبة بالممداد الأحمر على الورقة الأولى مجموعة من الفوائد المختلفة على الهامش فى الورقة الأولى (ب) قيد وقف باسم الشيخ محمد عاشور البخارى فى البدرعية ، وعلى السورقة الأخيرة قيد مطالعة باسم محمد بن الشيخ عبد الله سبط أبى أيوب الأنصارى وقيد آخر باسم رمضان الوطيفى . الكتاب بحالة حسنة رغم جفاف أوراقه .

١٧ ق ٢٠ × ١٥ ١٤ س

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - علوم القرآن الكريم -

المصاحف - التجويد - القراءات - وضعه صلاح محمد الخيمى ١ / ١٥٤ - ١٥٨) .

* الحوالة :

الحوالة : تحويل الدين من ذمة إلى ذمة ، كأن يكون لرجل على شخص دين ، وعليه لآخر دين مماثل ... فيقول له : أحلتك على فلان ؛ فلى عليه دين فخذ منه فمتى رضى المحال ، برىء من ذمة المحيل . (مختصر الأحكام الفقهية / ١٥٩) .

والحوالة بفتح الحاء وقد تكسر .

يقول فضيلة الشيخ السيد سابق : الحوالة مأخوذة من التحويل بمعنى الانتقال ، والمقصود بها هنا نقل الدين من ذمة المحيل إلى ذمة المحال عليه .

وهي تقتضى وجود محيل ومحال ومحال عليه .

فالمحيل هو المدين ، والمحال هو الدائن ، والمحال عليه هو الذى يقوم بقضاء الدين . والحوالة تصرف من التصرفات التى لا تحتاج إلى إيجاب وقبول ، وتصح بكل ما يدل عليها كأحلتك وأتبعتك بدينك على فلان ونحو ذلك .

مشروعيتها :

قد شرعها الإسلام وأجازها للحاجة إليها .

روى الإمام البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « مطل الغنى ظلم ، وإذا أتبع أحدكم على ملىء فليتب » (المطل فى الأصل المد ، والمراد به هنا تأخير ما استحق أدائه بغير عذر . والغنى : هنا القادر على الأداء ولو كان فقيرا . والملىء : الغنى المقتدر) .

ففى هذا الحديث أمر الرسول ﷺ الدائن إذا أحاله المدين على غنى ملىء قادر أن يقبل الإحالة ، وأن يتبع الذى أحيل عليه بالمطالبة حتى يستوفى حقه .

هل الأمر للوجوب أو الندب ؟

ذهب الكثير من الحنابلة وابن جرير وأبو ثور والظاهرية : إلى أنه يجب على الدائن قبول الإحالة على الملىء عملاً بهذا الأمر .

وقال الجمهور : إن الأمر للاستحباب .

شروط صحتها :

ويشترط لصحة الحوالة الشروط الآتية :

رضا المحيل والمحال دون المحال عليه استدلالاً بالحديث المتقدم ، فقد ذكرهما الرسول ﷺ . ولأن المحيل له أن يقضى الدين الذى عليه من أى جهة أراد . ولأن المحال حقه فى ذمة المحيل فلا ينتقل إلا برضاه .

وقيل : لا يشترط رضاه لأن المحال يجب عليه قبولها لقوله ﷺ : إذا أحيل أحدكم على ملىء فليتب . ولأن له أن يستوفى حقه سواء أكان من المحيل نفسه أو ممن قام مقامه .

الجواب - المنقول عن الرافعي أنه جزم بعدم صحة الإقالة في الحوالة وإن كان البلقيني حكى عن الخوارزمي فيها خلافاً وصحح الجواز فعلى ما جزم به الرافعي يكون ما قبضة وارث المحتال من المحال عليه صحيحاً واقعا موقعه ولا رجوع عليه .

مسألة - شخص له على آخر دين به ضمان أحال به شخصاً على ذمة الأصيل والضامن فهل الحوالة صحيحة أم لا؟ وإذا صحت فهل يطالب الأصيل على انفراده أو هما معاً؟

الجواب - هذه الحوالة باطلة فإن الرافعي والنووي حكيا في صحتها وجهين ولم يرجحاً شيئاً وصحح البلقيني البطلان ووجهه كما قال في الروضة أن صاحب الدين كان له مطالبة واحد فلا يستفيد بالحوالة زيادة صفة .

مسألة - رجل له على رجل دين فمات الدائن وله ورثة فأخذ الأوصياء من المدين بعض الدين وأحالهم على آخر بالباقي فقبلوا الحوالة وضمنوا آخر فمات المحال عليه فهل لهم الرجوع على المحيل أم لا؟

الجواب - يطالبون الضامن وتركه المحال عليه فإن تبين إفلاسهما بأن فساد الحوالة لأنها لم تقع وفق المصلحة للأيتام فيرجعون على المحيل (الحاوي ١/١٠٧) .

ومن الألفاظ الفقهية ما أورده ابن فرحون عن الحوالة فهو يسوق للفرع بادئاً بـ « فإن قلت » ثم يورد حله بقوله : قلت ، وذلك على النحو التالي ، وقد احتفظنا بالأرقام التسلسلية للألفاظ كما وردت في النص :

٤٥٩ - فإن قلت : رجل أحال رجلاً بمائة على من له عليه مائة حالة وذلك برضى المحيل والمحال ، واجتمع في الحوالة جميع ما ذكره من الشروط ، ثم إن المحال عليه مات ، فقبل للمحال : ارجع على الذي أخالك؟ .

قلت : هذا رجل أحال غريمه على امرأة خالعهما بتلك المائة .

وفي « المتبعية » عن ابن المواز : إذا كان علي الزوج دين فأحال به على الزوجة فيما خالعهما « انظر : الخلع » به فماتت قبل أن يقبض المحال دينه منها ، فإن له أن يرجع على الزوج بدينه ولم يجعل لذلك حكم الديون الثابتة في الذمة لأن ذلك من غير عوض مالى .

وأما عدم اشتراط رضا المحال عليه فلأن الرسول لم يذكره في الحديث ولأن الدائن أقام المحال مقام نفسه في استيفاء حقه فلا يحتاج إلى رضا من عليه الحق . وعند الحنفية والإصطخرى من الشافعية اشتراط رضاه أيضاً .

٢ - تماثل الحقيقين في الجنس والقدر والحلول والتأجيل والجودة والرداءة ، فلا تصح الحوالة إذا كان الدين ذهباً وأحاله ليأخذ بدله فضة .

وكذلك إذا كان الدين حالاً وأحاله ليقبضه مؤجلاً أو العكس .

وكذلك لا تصح الحوالة إذا اختلف الحقان من حيث الجودة والرداءة أو كان أحدهما أكثر من الآخر .

٣ - استقرار الدين ، فلو أحاله على موظف لم يستوف أجره بعد فإن الحوالة لا تصح .

٤ - أن يكون كل من الحقيقين معلوماً .

هل تبرأ ذمة المحيل بالحوالة؟

إذا صحت الحوالة برئت ذمة المحيل ، فإذا أفلس المحال عليه أو جحد الحوالة أو مات لم يرجع المحال على المحيل بشيء .

وهذا هو ما ذهب إليه جماهير العلماء .

إلا أن المالكية قالوا : إلا أن يكون المحيل غرّ المحال فأحاله على عديم قال مالك في الموطأ :

« الأمر عندنا في الرجل يحيل الرجل على الرجل بدين له عليه ، إن أفلس الذي أحيل عليه أو مات ولم يدع وفاء فليس للمحتال على الذي أحاله شيء وأنه لا يرجع على صاحبه الأول » .

قال : « وهذا الأمر الذي لا اختلاف فيه عندنا » .

وقال أبو حنيفة وشريح وعثمان البتي وغيرهم :

يرجع صاحب الدين إذا مات المحال عليه مفلساً أو جحد الحوالة (فقه السنة ٣ ج ١١ / ٣٣٣-٣٣٥) .

ونسوق فيما يلي بعض المسائل التي يجيب عنها الحافظ السيوطي :

مسألة - رجل أحال رجلاً بدين له على آخر ثم تقايلا أحكام الحوالة ومات المحتال فادعى وارثه على المحال عليه بالمبلغ المحال به وقبضه منه فهل له الرجوع؟ .

٤٦٠ - فإن قلت : رجل ثبت له حق في ذمة رجل ولا يجوز لصاحب الحق أن يستحيل به في ذمة أحد من الناس ؟ .

قلت : هذا في الصرف إذا باعه ديناراً بعشرين درهما فقال المشتري : خذها من وكيلي لم يجز الصرف لانتفاء المناجزة (انظرها في موضعها) (درة الغواص / ٢٧٠) .

أما عن النظم فنسوق منه نموذجين . الأول من منظومة صفوة الزيد للشيخ الإمام أحمد بن رسلان ، وقد جاء بها هذان البيتان عن شرط الحوالة :

شُرط رضا المحيل والمحتال

لـزوم دينين اتفـاق المـال

جنسـا وقـدرا أجـلا وكـسرا

بـها عن الـدين المحيل يـبـرا

وجاء الشرح للإمام الفشني والإمام المناوي على النحو

التالي :

(قوله رضا المحيل والمحتال) أي لأن للمحيل إيفاء الحق من حيث شاء فلا يلزم بجهة وحق المحتال في ذمة المحيل فلا ينتقل إلا برضاه ولا يشترط رضا المحال عليه لأنه محل الحق والتصرف كالعبد المبيع ولا بد فيها من الصيغة نحو أحلتك على فلان بالدين الذي لك على اه فشني .

(قوله جنسا) أي تصح بدراهم على دنانير وعكسه لأنها معاوضة إرفاق كالقرض (قوله وقدرًا) أي فلا يحال بتسعة على عشرة وعكسه كذلك لذلك ويصح أن يحيل من عليه خمسة بخمسة من عشرة له على المحال عليه (قوله أجلا) أي وقدرة وحلولا وصحة (قوله وكسرا) أي وجودة ورداءة وغيرها من سائر الصفات إلحاقا لتفاوت الوصف بتفاوت القدر اه مناوي .

(متن الزيد / ٦٣ ، ٦٤) .

أما النموذج الثاني فهو من منظومة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي الموسومة بالسبل السنوية لفقه السنن المروية ، وهو خمسة أبيات جمع فيها الناظم بين الحوالة والضمان فقال :

مطل الغنى ظلم ومن على ملى

أحـالـه مـسـدـينـه فليحتل

ومن يمت وهو مـسـدـين وحمل

عـنـه أخـاه دينـه فقـد وصل

وتبرأ الذممة بالأداء لا

مجرد الضمان فيما نقلنا

ومن يكن له متاع فقـدا

وبعد بيع عينه قد وجدنا

فهو به أولى ومن يتاعه

يسرجع بقيمته على من باعاه

(مجموع / ٦٦ ، ٦٧) .

(مختصر الأحكام الفقهية لعلي بن فريد الكشجوري الهندي - تحقيق يوسف البدرى ، مراجعة د . محمد أحمد عاشور / ١٥٩ ، وفقه السنة الشيخ السيد سابق م ٣ جـ ١١ / ٣٣٣ - ٣٣٥ ، والمحوى للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي / ١٠٧ ، ودرة الغواص في محاضرة الخواص لبرهان الدين إبراهيم بن فرحون المالكي - تقديم وتحقيق وتعليق محمد أبي الأجناب وعثمان بطيخ / ٢٧٠ ، ومن الزيد للشيخ الإمام أحمد بن رسلان الشافعي / ٦٣ ، ٦٤ ، ومجموع : « السبل السورية لفقه السنن المروية » - نظم حافظ بن أحمد الحكمي / ٦٦ ، ٦٧ . انظر أيضا منهاج المسلم - أبو بكر الجزائري / ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، وعمدة الفقه لابن قدامة - تخريج أبي عبد العزيز عبد الله بن سفر عبادة العبدلي الغامدي ومحمد دغليـب البراق / ٥٣ ، وأعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية - تحقيق الشيخ عبد الرحمن الوكيل / ١ / ٤٧٩ - ٤٨١ ، ومتن الغاية والتقريب لأبي شجاع / ٣)

انظر مادة « الإحالة » في م ٢ / ٥٠٢ ، ٥٠٣ .

* الحواميم :

أوردنا نبذة عن الحواميم في مادة « أسماء السور » في م ٤ / ٥١٠ ، ونفرد لها هذه المادة هنا .

الحواميم السبع هي : غافر ، وفصلت ، والشورى ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف . وقد وقعت الحواميم على هذا الترتيب الذي وردت به في المصحف لاشتراكها في الافتتاح بلفظ « حم » ، ويذكر « الكتاب » بعد حم ، أو بوصفه كما في الشورى .

يقول الإمام السيوطي في تناسق الدرر عن وجه إيلاء الحواميم السبع عند الكلام على سورة غافر :

أقول : وجه إيلاء الحواميم السبع . سورة الزمر : تأخى المطالع في الافتتاح بتنزيل الكتاب وفي مصحف أبي بن كعب : أول الزمر حم ، وذلك مناسبة جليـلة .

ثم إن الحواميم ترتبت لاشتراكها في الافتتاح بـ « حم »
وبذكر الكتاب بعد حم ، وأنها مكية ، بل ورد في الحديث أنها
نزلت جملة (يعلق الأستاذ عبد القادر أحمد عطا على ذلك
في هامش (٤) بقوله : لم نعثر على هذه الرواية ولم يذكرها
السيوطي في الإتقان ولا الزركشي في البرهان ، ولا مصادر
السنة الستة ، ولا مجمع الزوائد) .

يقول الإمام السيوطي : وفيها (أى الحواميم) شبه من
ذوات « آلر » الست (ذوات « آلر » الست هى يونس ، وهود ،
ويوسف ، والرعد) وأولها « آلر » (إبراهيم ، والحجر) .

فانظر ثانية الحواميم وهى فصلت ، كيف شابها ثانية
ذوات « آلر » هود فى تغيير الأسلوب فى وصف الكتاب . وأن
فى هود : ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت ﴾ [٢] وفى
فصلت : ﴿ كتاب فصلت آياته ﴾ [٢] وفى سائر ذوات « آلر »
﴿ تلك آيات الكتاب ﴾ (ولكن فى إبراهيم ﴿ كتاب أنزلناه
إليك ﴾) وفى سائر الحواميم : ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ أو
﴿ والكتاب ﴾ ولكن فى فصلت : ﴿ تنزيل من الرحمن
الرحيم ﴾ وفى الشورى ﴿ كذلك يوحى إليك وإلى الذين من
قبلك الله ﴾ [١] .

ورويانا عن جابر بن زيد وابن عباس فى ترتيب نزول السور :
أن الحواميم نزلت عقب الزمر ، وأنها نزلت متتاليات كترتيبها
فى المصحف : المؤمن ، ثم السجدة ، ثم الشورى ، ثم
الزخرف ، ثم الدخان ، ثم الجاثية ، ثم الأحقاف . ولم
يتخللها نزول غيرها . وتلك مناسبة جلية واضحة فى وضعها
هكذا ...

وقال الكرماني فى « العجائب » (هو كتاب لباب التفسير
وعجائب التأويل) : ترتيب الحواميم السبع لما بينها من
التشاكل الذى خصت به ، وهو : أن كل سورة منها استفتحت
بالكتاب أو وصفه ، مع تفاوت المقادير فى الطول والقصر ،
وتشاكل الكلام فى النظام . انتهى .

قلت : وانظر إلى مناسبة ترتيبها ، فإن مطلع غافر مناسب
لمطلع الزمر ، ومطلع فصلت التى هى ثانية الحواميم مناسب
لمطلع هود ، التى هى ثانية ذوات « آلر » ومطلع الزخرف مؤاخ
لمطلع الدخان ، وكذا مطلع الجاثية لمطلع الأحقاف (تناسق
الذبر / ١١٦ ، ١١٧) .

وعن الحواميم يقول الإمام النظام النيسابورى :

وأما الحواميم فإن شئت قلت هكذا وإن شئت قلت آل
حم . قال ابن عباس : إن لكل شىء لبابا وإن لباب القرآن آل
حم وقال الحواميم . فكأن من قال آل حم نسب السور كلها
إلى حم ، وهو من أسماء الله تعالى بدليل قوله ﷺ « إن بيتهم
الليلة فقولوا : حم » لا ينصرون » وتسمى الحواميم عرائس
القرآن . عن عاصم عن زر بن حبیش الأسدى قال : قرأت
على على بن أبى طالب القرآن فى المسجد الجامع بالكوفة ،
فلما بلغت الحواميم قال يا زر بن حبیش عرائس القرآن ؛ فلما
بلغت رأس العشرين من حم عسق ﴿ والذين آمنوا وعملوا
الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم
ذلك هو الفضل الكبير ﴾ [الشورى : ٢٢] حتى ارتفع نجيبه
ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : يا زر آمن على دعائى ، ثم
قال : اللهم إنى أسالك إخبات المخبئين ، وإخلاص
الموقنين ، ومرافقة الأبرار ، واستحقاق حقائق الإيمان ،
والغنيمة من كل بر ، والسلام من كل إثم ، ووجوب رحمتك
وعزائم مغفرتك ، والفوز بالجنة ، والخلاص من النار . إذا
ختمت القرآن فادع بهؤلاء الدعوات فإن حبيبى رسول الله ﷺ
أمرنى أن أدعو بهن عند ختم القرآن (غرائب القرآن / ٣٦ / ٣٧) .

إما الأحاديث النبوية الشريفة التى وردت عن الحواميم فقد
أخرج الإمام السيوطي فى الجامع الصغير الأحاديث الثلاثة
الآتية :

١- « الحواميم ديباج القرآن » رواه أبو الشيخ فى الثواب عن
أنس عن الحاكم عن ابن مسعود موقوفا حديث حسن (وقد
أخرجه أيضا الإمام المناوى فى « كنوز الحقائق » من رواية
الديلمى فى مسند الفردوس)

٢- « الحواميم روضة من رياض الجنة » . رواه ابن مردويه
عن سمرة . حديث حسن .

٣- « الحواميم سبع ، وأبواب جهنم سبع ، تجىء كل
حاميم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول : اللهم لا
تدخل هذا الباب من كان يؤمن بى ويقرأنى » رواه البيهقى فى
شعب الإيمان عن الخليل بن مرة مرسلا (الجامع الصغير / ١ / ١٥٧) .

(تناسق الدور فى تناسب السور للإمام جلال الدين عبد الرحمن
السيوطي - دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١١٥ - ١١٧ ، وغرائب

هذا وقد تولى مشيخة هذه المدرسة في القرن الماضي جماعة من الأفاضل ، منهم العلامة الصالح الشيخ أبو محمد حسن الشريف المفتي المالكي ، وإمام جامع الزيتونة ، والعلامة الشريف المفتي الشيخ الطاهر بن عاشور ، ومن بعده تولاهما الركن المستلم بقية السلف من آل البيت الأطهار ، الشيخ أحمد الشريف ، كبير أهل الشورى المالكية وإمام جامع الزيتونة ...

وبعد تحرير النبذة المتقدمة ، وفقت بمحفوظات الدولة التونسية حرسها الله ، على وقفية هذه المدرسة ، فإذا هي تتضمن أشياء كثيرة رأيت من الفائدة نقلها هنا إتماماً لما تقدم ، فمن ذلك أن هذه المدرسة كان تأسيسها في عام ١١٥٩ / ١٧٤٦ م وأن عدد بيوتها المعدة لسكنى الطلبة أربعة وعشرون ، بإضافة بيت للمؤذنين ، واشترط المؤسس اختصاصها بطلبة المذهب المالكي ، كما اشترط أن يكون إمامها هو المدرس بها ، وجعل له من ريع أوقافها نصف ريال في اليوم في مقابلة ثلاثة دروس يومية ، في الفقه ، والتوحيد ، والنحو ، كما يستحق ثمانية عشر ريالاً في العام عن رواية صحيح البخاري في رجب وشعبان ورمضان ، وجعل لكل واحد من الطلبة سكان بيوت المدرسة ناصريين في اليوم ، وجعل لمؤدب الكتاب التابع للمدرسة ربع ريال في اليوم ، ولا يأخذ شيئاً من الصبيان عن تعليمهم القرآن ، وجعل لكل واحد من هؤلاء الصبيان نصف ناصري في اليوم مع ناصري لجميعهم لا شراء الألواح والأقلام ، والمحابر ، وجعل لختان مائة صبي بسقيف المدرسة يوم عاشوراء من كل عام مائة وخمسة وعشرين ريالاً لا شراء مائة سورية (سورية بمعنى «قميص» في الاصطلاح التونسي) ، ومائة صدرية ، ومائة شاشية ، بإضافة عشرة ريالات للختان ، وخصص لختم صحيح البخاري في رمضان خمسة وعشرين ريالاً ، يعطى منها ثلاثة ريالات لراوى الحديث ، وجعل لإحياء ليلة المواسم الإسلامية السبعة ، وهي : عاشوراء ، وليلة المعراج ، وليلة نصف شعبان ، وليلة ٢٧ رمضان ، ويوم عيد الفطر ، ويوم عرفة ، ويوم عيد الأضحى ، ستة وخمسين ريالاً بحساب ثمانية ريالات لكل موسم بقصد قراءة ختمة من القرآن يهدي ثوابها للمحبس ، حبس على إمام المدرسة داراً لسكناه ، وجعل نظير المدرسة للشيخ أبي محمد عبد الله السوسى

القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى - تحقيق إبراهيم على سالم / ٣٦ ، ٣٧ ، والجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١ / ١٥٧ ، وكنوز الحقائق في حديث خير الخلائق للإمام عبد الرءوف المناوى ، المطبوع بذييل الجامع الصغير للإمام السيوطى ١ / ١٢٥ .

* حوانيت عاشور (مدرسة -) (١١٥٩ هـ / ١٧٤٦ م) :

المدرسة التاسعة عشرة في ترتيب المدارس في تونس التي أحصاها الشيخ محمد بن الخوجة في كتابه « تاريخ معالم التوحيد » ، وجاء عنها بهامش ٣١ ما يلى : مدرسة حوانيت عاشور ، وتعرف باسم المدرسة العاشورية ، تقع بنهج عاشور عدد ٦٢ بالقرب من نهج سيدى إبراهيم الرياحى ، وقد تم ترميمها في المدة الأخيرة ، وتحويلها إلى دار للجمعيات الثقافية بإشراف وزارة الشؤون الثقافية .

قال المؤلف عنها رحمه الله :

هذه المدرسة أسسها المرحوم الباشا على باى الأول بن محمد بن على تركى وهى أولى المدارس التي بناها لطلبة العلم ، وجعلها وقفاً على طلبة المذهب المالكي ، ورتب بها رواية للحديث ، وخزانة للكتب ، مع أوقاف كافية للقيام بشئون المدرسة ما زالت جارية لهذا الزمان . قال في كتاب « نزهة الأنظار » للشيخ محمود مقديش الصفاقسى (عاش في النصف الثانى من القرن الثامن عشر الهجرى ، وبعد مزاوله تعلمه بجامع الزيتونة وجامع الأزهر رجع إلى صفاقس مسقط رأسه وتفرغ للتدريس) اشتهر بكتابه « نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار » طبع في المطبعة الحجرية بتونس (في جزئين) سنة ١٣٢١ هـ فبنى أولاً مدرسة بحوانيت عاشور من تونس ، ورتب فيها شيخنا أبا محمد سيدى عبد الله السوسى رحمه الله تعالى ، وأخرى ببئر الحجار ، وهما معا للمالكية ، ثم زاد ثالثة بالقشاشين قرب جامع الزيتونة ، وهى للحنفية ، وجعل بها تربته ، ثم زاد رابعة بالقرب منها للمالكية ، وجعل شيخها الشيخ أبا عبد الله سيدى محمد الغريانى رحمه الله تعالى ، وجعل بكل مدرسة خزانة كتب ، وجعل لها مرتبات من الخبز ، والدراهم ، إعانة لطالب العلم ...

- ٢٠٨ - أما الذي يصطاد من أنهار
قذرة عذبة البخرار
- ٢٠٩ - وما يصطاد من مياه راكده
وما للزوجاة عليه زائده
- ٢١٠ - فهذه أخبت حوت يؤكل
وتركها لدى الحكيم أفضل
- ٢١١ - وخيرها على العموم البورى
لا تهملن فضلها الضرورى
- ٢١٢ - ودون هذا الشرغ ثم الشابل
والكل للإصلاح قالوا قاهل
- ٢١٣ - تصلح فى الصيف لدى الصفرء
فإنها شفاؤه من داء
- ٢١٤ - فاغسله بالصابون خوف الضرر
ثم اطرحنه فى طيخ الزعتر
- ٢١٥ - واصبر عليه ليلة واطبخه، أو
للقللى والشى اعمسكن كما روى
- ٢١٦ - طيبه بعسل قليله بفلفل
منع سحيق مصطكى وخسر دل
- ٢١٧ - وزنجيل مع ثقيف الخل
لتأمين العطش عند الأكل
- ٢١٨ - من شرب الخل عليه قتله
ونفسه أحيى بما قد فعله
- ٢١٩ - والعكس فى شرب المياه مثل
يقول جالينوس حبر الحكماء
- ٢٢٠ - كل ما ملح كالسردين
فاحذر جميع ضرره المبين
- ٢٢١ - يحدث فى الأجسام شر داء
كوجع الجنب والاستسقاء
- ٢٢٢ - وطالما ما أوقع فى عرق النساء
فمن يكثر أكله فقد أساء
- (المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهاني - تحقيق وضبط
محمد سيد كيلاني / ١٣٤ ، والطب العربى فى القرن الثامن عشر من

المتقدم ذكره، ونعته) بالمدرس العالم العلامة البحر الفهامة
المحقق المدقق المتضلع فى العلوم النقلية والعقلية والولى
الصالح نفع الله به)، ووقف على المدرسه خزانة عامرة
بالكتب اشتملت على ٥٧ مجلدا، منها عدة مصاحف،
أحدها مكتوب على الرق ومزوق بالذهب فى ثمانية أجزاء،
والبقية فى التفسير، والحديث، والفقه المالكى، والتوحيد،
والأصول والمعاني، والبيان، والمنطق، والنحو، والسيرة
النبوية، واللغة، والحساب، كل ذلك بشهادة العدلين الشيخ
أبى الحسن على المنزلى، والشيخ أبى عبد الله محمد
طاوس، بتاريخ أوائل جمادى الأولى عام ١١٥٩ هـ /
١٦٤٦ م.

(تاريخ معالم التوحيد فى القديم والجديد لمحمد بن الخوجة -
تحقيق وتقديم الجيلانى ابن الحاج يحيى، وحمادى الساحلى / ٣١٣ -
٣١٦).

انظر الجدول الذى يضم هذه المدارس فى م ١١ / ١٤٨ -
١٥٠.

* الحوت :

قال الله تعالى : ﴿ نسيا حوتهما ﴾ [الكهف : ٦١] ،
وقال تعالى : ﴿ فالتقمه الحوت ﴾ [الصافات : ١٤٢] وهو
السماك العظيم (المفردات / ١٣٤) .

الحوت : السمكة ، صغيرة كانت أو كبيرة ، وجنس من
الحيوانات الثديية من رتبة الحيتان (المعجم الوسيط ١ / ٢٠٤) وفى
الآيات التالية من منظومة الطبيب المغربى عبد القادر بن
شقران الموسومة بالشقرونية ، يعدد الناظم أنواع السمك (أو
الحوت) وفوائده ومضاره وطريقة أكله ، ونقلها لك فيما
يلى ، وقد احتفظنا بأرقام الآيات كما وردت فى النص . يقول
الناظم .

٢٠٥ - القول فى مزاج لحم الحوت ،

وما يسرى فى طبيعه المنعوت

٢٠٦ - الحوت بارد المزاج ، لين

بطيء هضم لحمه معفن

٢٠٧ - معطس مرطب الأبدان

يفضى لقولنج بلا ثوان

* بأعين محوَّرات حُور *

يعني الأعين النقيات البيضاء الشديديات سواد الحدق
(لسان العرب ١٢ / ١٠٤٣، ١٠٤٤).

أما عن الأحاديث النبوية فقد أخرج الإمام السيوطي في
الجامع الصغير حديثين الأول: «الحوار العين خلقت من
الزعران» من رواية ابن مردويه للخطيب عن أنس.

والحديث الثاني: «الحوار العين خلقت من تسبيح
الملائكة» من رواية ابن مردويه عن عائشة (الجامع الصغير
١٥٧/١).

وجاء في اللسان: وفي حديث صفة الجنة: «إن في
الجنة لمجتمعاً للحوار العين» (اللسان ١٢ / ١٠٤٤).

وقد أورد الحافظ السيوطي في «الحوار» مسألة على
الحوار العين وأجاب عنها كما يلي:

مسألة: في حديث الطبراني عن أم سلمة قالت: «قلت
يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿حَوْرٌ عَيْنٌ﴾ قال:
حور بيض [عين] ضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح
النسر فإن الشيخ شمس الدين السخاوي استفتى عنه فأفتى
وضبطه بخطه «شقر» بالقاف وضبط الحوراء بالرفع وقال:
هذه استعارة - يعني أن الحوراء بمنزلة جناح النسر في السرعة
والطيران والخفة، وأحضرت إلى الفتوى التي كتب عليها
بذلك فأريت خطه بذلك.

الجواب: هذا تصحيف للحديث وتبديل لمعناه إنما لفظ
الحديث «شفر الحوراء» - بالفاء - مضافاً إلى الحوراء،
والمراد به هذب العين. والمقصود تشبيهه بجناح النسر في
الطول المناسب ذلك لضخامة العيون. وقد ورد التصريح
بذلك في رواية ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حيث قال: شفر
المرأة من الحوار العين أطول من جناح النسر، وما قاله من
عنده في تفسير ما صحفه في غاية الركافة كما لا يخفى
(الحوار ٩٤، ٩٥).

وقد أفرد الإمام ابن القيم في قصيدته النونية الحافلة فصلاً
في صفة عرائس الجنة وحسنهن وجمالهن، ومما جاء فيه
ما يلي:

فاسمع صفات عرائس الجنات
ثم اختر لنفسك يا أخا العرفان

خلال الأرجوزة الشقرونية - تحقيق وتعليق د / بدر التازي، تعريب وتقديم
د. عبد الهادي التازي / ١٠٤، ١٠٧، ١٠٩).

* الحوت (برج -):

أحد البروج الاثني عشر التي وصفها القزويني. قال:
كوكبة السمكة وهي الحوت: وكواكبها أربعة وثلاثون في
الصورة وأربعة خارجة وهما سمكتان إحداهما السمكة
المتقدمة وهي التي على ظهر الفرس الأعظم في الجنوب
والأخرى على جنوب كوكبة المرأة المسلسلة، وبينهما خيط من
كواكب يصل بينهما على تعريج. وهو من الكواكب الثابتة.
(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ٢٩).

* الحوت الجنوبي (كوكبة -):

من الكواكب الثابتة. وصفها القزويني بقوله:
كوكبة الحوت الجنوبي: وهي أحد عشر كوكباً في الصورة
على جنوبي كواكب الدالى رأسه إلى المشرق وذنبه إلى
المغرب، ويسمى النير الذي على فمه الحوت.
(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ٣٢ / ٣٣).

* الحوار العين:

في القرآن الكريم:
قال تعالى: ﴿كذلك وزوجناهم بحور عين﴾ [الدخان:
٥٤]

﴿متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين﴾
[الطور: ٢٠]

﴿حور مقصورات في الخيام﴾ [الرحمن: ٧٢]
﴿وحور عين﴾ كأمثال اللؤلؤ المكنون [الواقعة:
٢٢، ٢٣].

قال الراغب الأصفهاني: حُور: جمع أحور وحوراء،
والحوار قيل ظهور قليل من البياض في العين من بين السواد
وأحورت عينه وذلك نهاية الحسن من العين (المفردات / ١٣٥).

وقال الشيخ حسنين محمد مخلوف في معنى ﴿وزوجناهم
بحور عين﴾: قرناهم بنساء بيض مخلوقات في الجنة
واسعات الأعين حسانها (كلمات القرآن / ٢١٤).

وجاء في اللسان: والحواريات من النساء: النقيات
الألوان والجلود لبياضهن. ومن هذا قيل لصاحب الحوارى:
محور، وقول العجاج:

حدور حدان قد كملن خلألقا

ومحداسنبا من أجمال النسوان

حتى بحدار الطارف فى الحسن الذى

قد ألست فالطارف كالحديران

وىقول لما أن يشاهد حسنهابا

سبحان معطى الحسن والإحسان

والطارف يشرب من كئوس جمالهابا

فتسراه مثل الشارب النشوان

كملت خلألقهابا وأكمل حسنهابا

كالبدل لئل الست بعد ثمان

والشمس تجرى فى محاسن وجههابا

والللل تحت ذوائب الأغصان

فتسراه بمعب وهو موضع ذاك من

للل وشمس كلف يجتمعان

فىقول سبحان الذى ذا صنعبه

سبحان متقن صنعبة الإنسان

لا لللل يدرك شمسهابا فتغيب عبنا

عد مجئهب حتى الصبأاح الشانى

والشمس لا تأنى بطسرد الللل

بل يتصأاحبان كلاهما أخوان

وكلاهما مرآة صأأبهب إذا

ما شاء يصسر وجههب ىربان

فىرى محاسن وجههب فى وجههابا

وترى محاسنهابا بهب بعبان

حمر الخدود تغورهن لآلىء

سود العيون فواتر الأجفان

والبرق ىبدو حئن ىبسم تغرهابا

فىضىء سقف القصر بالجدران

ولقد روبنا أن برقأ ساطعأ

ىبدو فىسأل عبهب من بعبان

فىقال هذا ضوء تغر ضأأحك

فى الجنة العلبا كمالا تربان

(متن القصفدتن النوبى والمفمبة / ٢٢٩) .

ولأحمد بن فارس بن زكربا الشفرازى أبو الحسن المتوفى

سنة ٣٩٠هـ أو ٣٩٥هـ كتاب « الحدور العفن » - حقه كمال

مصطفى . مطبعة السعادة ١٣٦٧هـ (الأعراب الرواة / ٣٣٠) .

(المفردات فى غرب القرآن للراغب الأصفهانى - تحقيق وضبط

محمد سبد كبلانى / ١٣٥ ، وكلمات القرآن تفسير وبيان - فضيلة الشفخ

حسن بن محمد مخلوف / ٣١٤ ، ولسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٤٣ ،

١٠٤٤ ، والجامع الصغر للشافظ جلال الدين عبء الرحمن السبوطى

١ / ١٥٧ ، والحاوى للفتاوى للشافظ جلال الدين عبء الرحمن السبوطى

٢ / ٩٤ ، ٩٥ ومن القصفدتن النوبى والمفمبة للعلامة ابن القفم / ٢٢٩ ،

والأعراب الرواة - د. عبء الحمفد الشلقانى / ٣٣٠) .

* الحدور والحبى (كوكبة) :

من الكواكب الشابة . ىصفهابا القزوفى بقوله :

كوكبة الحدور والحبى : أما الحدور فصورة رجل قائم قد

قبض بىدب على حبى ، وكواكبه أربعة وعشرون فى الصورة

وخمسة خارجهأ . وأما الحبى فكواكبها ثمانية عشر وعلى

عنقهابا كوكب ىسمى عنق الحبى ، وتسمى الكواكب المصطفة

على رأس الحبى نسقا شامبا والمصطفة تحت عنقهب نسقا

فمانبا ، وىسمى ما بفن النسقفن الروضة ، والكواكب التى بفن

النسقفن فى الروضة الأغنام الذى على رأس الحدور ىسمى

الراعى ، والذى على رأس الجأئى كلب الراعى .

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوفى / ٢٦) .

* حدوران :

حدوران : بالفتح ، فبوز أن فكون من (خار فحدور حدورا) ،

ونعود بالله من الحدور بعد الكور ، أى من النقصان بعد الزفادة .

وحدوران : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ،

ذات قرى كثرى ومزارع وجرار ، وما زالت منازل العرب ، وذكرهابا

فى أشعارهم كثرى ، وقصبتها بصرى (انظر مادة « بصرى » فى م ٧ /

١٦٤ - ١٧٥ حث بسطنا الكلام علهابا) .

قال امرؤ القفس :

ولما بدت حدوران والآل دونهابا

نظرت فلم تنظر بعبفك منظرأ

(الآل : السراب . والضمفر فى دونهابا فعود على صأأبهب أسماء) .

وقال جرير:

هبت شمالا، فذكرى ما ذكرتكم
عند الصفاة التي شرقي حوراننا
هل يرجعون، وليس الدهر مرتجعاً
عيش بها طال ما أحلولى وما لانا؟
وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قد ولى علقمة بن
علاثة حوران، فقضده الحطيئة الشاعر فوصل إليه وقد
انصرفوا عن قبره، فقال عند ذلك:

لعمري! لنعم المرء من آل جعفر
بحوران أمسى أقصدته الجبال
لقد أقصدت جوداً ومجداً وسؤدداً
وحلماً أصيلاً، خالفته المجاهل
وما كان بيني، لو لقيتك سالماً
وبين الغنى إلا ليلال قلائل
فإن تحي لم أملل حياتي، وإن تمت
فما في حياتي بعد موتك طائل
وقال ثعلب في قول الحطيئة

ألا طرقت هند الهنود وصحبتي
بحوران حوران الجنود، هجود
قال: أهل الشام يسمون كل كورة جنداً، وقال: حوران
الجنود أى بها جنود، ويقال: أنا من أبعتها جنوداً أى بلدًا،
وفتحت حوران قبل دمشق، وكان اجتمع المسلمون عند قدوم
خالد على بصرى ففتحوها صلحاً وانبثوا إلى أرض حوران
جميعاً وجاءهم صاحب أذرعات فطلب الصلح على مثل ما
صولح عليه أهل بصرى، وقد نسب إلى حوران قوم من أهل
العلم منهم: إبراهيم بن أيوب الشامي الحوراني الزاهد وكان
من الصالحين، روى عن الوليد بن مسلم ومضاء بن عيسى
وغيرهما.

(معجم البلدان ٢/٣١٧، ٣١٨)

وتحت عنوان «صفحة من تاريخ حوران» يقول عنها
الشيخ محمد أحمد دهمان رحمه الله: تعد بلاد حوران أهراء
مدينة دمشق فهي تملؤها بالقمح الجيد من قديم الزمان،

وكما تغذيها بالطعام كانت تغذيها بالعقل أيضاً، فكان عدد
غير قليل من رجال الثقافة والقانون والفقه في دمشق من
حوران.

وهذه المنطقة أصيلة بالعروبة أكثر من جميع مناطق هذا
الإقليم، فقد نزلها الغسانيون اليمانيون قبل الفتح الإسلامي
وأسسوا فيها مملكة عربية تحت حماية البيزنطيين وعاصمتها
بصرى التي كانت ملجأ ومحطة للقوافل التجارية العربية
القادمة من جزيرة العرب.

وكان شعراء العرب يفدون على ملوك غسان يمتدحونهم
ويرجعون إلى جزيرتهم بأسنى الجوائز والتحف.

وممن نزل على غسان فامتدحهم وامتدح ملوكهم حسان
ابن ثابت الأنصاري (انظر ترجمته في م ١٣ / ٥٩٨ - ٦٠٢) اليماني
الأصل شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد أمدنا في
شعره بمعلومات قيمة عن أسماء منازلهم وقراهم وبلداتهم.
فمن شعره:

لمن السدار أوخشت بمعمان
بين وادي اليرموك فـالجمان
فالقريبات من بلاس، فـداريـ
سا، فسكاء، فالقصور السدواني
فقفا جاسم، فأوديعة العفـ
رر مغنى قبائل وهجـان
تلك دار العزيز بعد أنيس
وحلـول عزيمة الأركـان
ذاك مغنى لآل جفنة فى السـدهـ
رر وحق تعاقب الأزمان

معان: مدينة فى طرق بداية الشام تلقاء الحجاز وهى
اليوم من مدن شرقى الأردن داريا وبلاس وسكا: قرى فى غوطة
دمشق ومرجها.

جاسم: قرية مشهورة فى حوران لا تزال باقية، خرج منها
الشاعر الشهير أبو تمام حبيب بن أوس الطائي - وادى الصفر
ومرج الصفر هما قرب شقحب، واشتهر مرج الصفر بوقعة
فاصلة بين العرب والروم عند فتح الشام، كما اشتهر أيضا
بوقعة فاصلة بين جيوش المماليك وجيوش التتار وطردهم عن
دمشق.

وتنقسم حوران إلى منطقتين : سهلية : وتسمى في عهدنا محافظة درعا ، وجبلية وتسمى محافظة السويداء (في رحاب دمشق / ٢٢٧ ، ٢٢٨) .

(معجم البلدان لياقوت الحموي ٢ / ٣١٧ ، ٣١٨ ، ومن كتاب معجم البلدان اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان س ١٩٣ / ٣٩٢ - ٣٩٤ ، وفي رحاب دمشق - محمد أحمد دهمان / ٢٢٧ ، ٢٢٨) .

* ابن الحوراني (— بعد ١١١٧ هـ / — بعد ١٧٠٥ م) :

هو عثمان بن أحمد بن محمد بن رجب بن سويح بن سعيد السويدي (نسبه إلى السويداء عاصمة جبل العرب) الحوراني ثم الدمشقي الشاغوري .

هكذا ذكرته المصادر دون اختلاف بينها .

وقال عنه نجم الدين الغزي في « الكواكب السائرة » .

الواعظ يوم السبت الثلاثة أشهر (رجب وشعبان ورمضان) بجامع دمشق الأموي . باشر الوعظ نيابة عن الشيخ شرف الدين الحكيم خطيب الجامع سنين - ثم فرغ له عنه . وكان يعظ من الكرايس بعبارة فصيحة ، وصوت جهوري ، مقبول التأدية ، حسن الطريقة ، وكان يعظ النساء في البيوت فيقبلن عليه ، ويفهمن وعظه ؛ وكان له خط حسن ، كتب كتبا كثيرة ، وألف في الوعظ وغيره مؤلفات ، منها :

- الإرشاد إلى طريق الرشاد .

- وبلوغ المنى في أسباب الغنى .

- والإشارات إلى أماكن الزيارات . أنجز تأليفه سنة ١١١٧ هـ .

- وإرشاد الطلاب إلى معاشر الأحاب .

وكل من أتى بعد الغزي نقل عنه . وسنة ولادته غير معروفة .

وأما وفاته فقد اختلف فيها فخير الدين الزركلي - رحمه الله - في كتابه (الأعلام) ٤ / ٢٠٣ يذكر أنه توفي بعد ١١١٧ هـ استنادا على أن مؤلفه (الإشارات إلى أماكن الزيارات) أنجز سنة ١١١٧ هـ . ويذكر أنه اعتمد في تقرير ذلك على ثلاثة مصادر :

- معجم المطبوعات لسركيس : ٨٠٤ .

- فهرس المكتبة الأزهرية ٥ / ٣٢٨ .

- هدية العارفين للبغدادي ١ / ٦٥٦ .

ويذكر بعد أن وفاة ابن الحوراني في هدية العارفين (سنة ألف ؟) ولكن الدكتور المنجد في كتابه (المؤرخون الدمشقيون) صفحة ٨٥ يعترض على ما سبق قائلا : (جاء في فهرس مخطوطات الأزهر (٥ / ٣٢٨) عند الكلام على ابن الحوراني أنه كان من علماء دمشق في أوائل القرن الثاني عشر . فرغ من تأليف كتابه سنة ١١١٧ هـ . ولكن هذا مستبعد ، بدليل أن مخطوطة كتابه الموجودة في الأزهر كتبت سنة ١٠٩٧ هـ . فكيف تكتب النسخة قبل أن يكون المؤلف ألفها ؟) .

ومن ثم يذكر الدكتور المنجد أنه كان في القرن الحادي عشر ، ويستدل على ذلك بأن ابن الحوراني نقل من كتاب البصري المتوفى سنة ١٠١٥ هـ والذي ألف كتابه سنة ١٠٠٣ هـ .

(الإشارات إلى أماكن الزيارات لابن الحوراني - تحقيق بسام عبد الوهاب الجابى / ب - ٥ ، مقدمة المحقق ، والأعلام للزركلي ٤ / ٢٠٣) .

* حَوَزِي :

قال ياقوت :

حوري : قرية من قرى دجيل ببغداد ؛ ينسب إليها سليم ابن عيسى بن عبد الله الحوري الزاهد صاحب أبي الحسن القزويني الحربى ، حكى عنه ، وكان من الصالحين صاحب كرامات ، قال هبة الله بن المحلى : حدثني سليم بن عيسى الحوري ولم أر مثله في معناه ، يعنى في الزهد والعبادة ؛ وأبو على الحسن بن مسلم بن الحسين بن أبي الجود الفارسي ثم الحوري من هذه القرية وانتقل إلى قرية من قرى نهر عيسى يقال لها الفارسية ، وكان من الزهاد ، وذكر في الفارسية .

(معجم البلدان ٢ / ٣١٨) .

* الحَوَز :

قال ياقوت :

الحَوَز : بالفتح ثم السكون ، وزاى ، من حزت الشيء حوزا إذا حصلته ؛ وهى قرية من شرقى مدينة واسط قبالتها متصلة بالحزامين ، وهى محلة تقابل واسطا من الجانب الشرقى ويقال له حوز برقة ؛ ينسب إليها الأديب أبو الكرم خميس بن على الحوزى ، حدث عن أبي القاسم عبد العزيز

وهناك مسجد في مكان مصلاه في ذنب حوصاء ومسجد آخر
بئذى الجيفة من صدر حوصاء؛ وقال ابن إسحاق: اسم
الموضع حوصاء، بالضاد المعجمة والقصر، كذلك وجدته
مضبوطاً بخط ابن الفرات، وقال: بنى به مسجداً؛ قاله
الحازمي.

(معجم البلدان ٢/٣١٩).

* الحوض:

جاء في اللسان: حوض الرسول ﷺ: الذي يسقى منه
أمته يوم القيامة.

حكى أبو زيد: سقاك الله بحوض الرسول، ومن حوضه
(اللسان ١٢/١٠٥١).

وجاء في مقدمة رسالة ابن القيرواني في «باب ما تنطق به
اللسنة وتعتقد الأفئدة من واجب الديانات»: من ذلك
الإيمان بحوض رسول الله ﷺ ترده أمته لا يظماً من شرب منه
ويُزاد عنه من بدل وغير (مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني/ ٨).
ورد في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن
رسول الله ﷺ قال: «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه
أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه أكثر من
نجوم السماء من شرب منه فلا يظماً أبداً».

وقد اختلفت الروايات في تحديد سعته قلة وكثرة ولا تنافي
لاحتمال أخباره أولاً بالأقل ثم تفضل عليه بالأكثر.

كما اختلفت الروايات في محله فقال الجمهور محله قبل
الصراط لشرب الناس منه بعد خروجهم عطاشاً من القبور.
وقيل بعد الصراط لأن ماءه من الكوثر لشرب الناس منه حينما
يحبسون بعد الصراط للقصاص فيما بينهم، وصح عن
القرطبي أن له حوضين.

والصحيح أنه خاص بهذه الأمة، ولكل نبي حوض لأمته،
والذي يشرب منه من وفي بعهدته فلم يشرك ولم يرتد ولم يبدل
ولم يحدث في الدين ما لا يرضاه الله ولم يخالف جماعة
المسلمين ويطرد من الشرب منه الكفار والعصاة ومن لم يؤمن
بوجوده.

وأنكر المعتزلة وجود حوض بهذا المعنى وقالوا هو عبارة
عن نوع من الرضوان يتفضل الله به على من يشاء من عباده،
وهذا تأويل ينبو عنه لفظ الحديث.

فالحق وجوب اعتقاد أن لنبينا ﷺ حوضاً موروداً، ولكون

ابن علي الأنماطي وأبي منصور محمد النديم العكبري وأبي
القاسم علي بن أحمد البصري وغيرهم من البغداديين
والواسطيين، قال أبو طاهر السلفي: كان خميس من حفاظ
الحديث المحققين بمعرفة رجاله ومن أهل الأدب البار، وله
من الشعر الغاية في الجودة، وفي شيوخه كثرة، وقد علفت
عنه فوائد وسألته عن رجال من الرواة فأجاب بما أثبتته في جزء
ضخم وهو عندي، وقد أملى علي نسبه، وهو: خميس بن
علي بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن الحسن بن سلامويه
الحوزي، ومولده سنة ٤٤٧، وكان إتقانه مما يعول عليه، وفي
كتاب ابن نقطة: مولده سنة ٤٤٢ في شعبان، ومات في
شعبان أيضاً سنة ٥١٠ بواسط. والحوز أيضاً: موضع
بالكوفة؛ ينسب إليه أبو علي الحسن بن علي بن زيد بن
الهيثم الحوزي، حدث عن محمد بن الحسن النحاس،
حدث عنه أبي النرمي ومحمد بن علي بن ميمون؛ وابنه أبو
محمد يحيى بن الحسن بن علي بن زيد الحوزي، حدث عن
محمد بن عبد الله بن هشام التيملي، حدث عنه أبي. والحوز
أيضاً: محلة بأعلى بعقوبا، ينسب إليها أبو محمد عبد
الحق بن محمود بن أبي طاهر الفراهي، سمع من أبي الفتح
عبيد الله بن مثاقيل، سمع منه ابن نقطة وذكره وقال: كان
فقيهاً صالحاً فاضلاً.

(معجم البلدان ٢/٣١٨، ٣١٩).

* الحوش (جامع —):

قال عنه علي باشا مبارك.

في المقرئ أن الجامع بداخل قلعة الجبل بالحوش
السلطاني. أنشأه الملك الناصر فرج بن برقوق في سنة اثنتي
عشرة وثمانمائة، فصار يصلى فيه الخدم وأولاد الملوك من
أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن قتل الناصر فرج
انتهى. والآن قد تخرب وتعطلت شعائره.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلی باشا مبارک ٤/٢٠٩).

* حوصاء:

قال ياقوت:

حوصاء: بالفتح، والمد؛ والحوص: ضيق في مؤخر
العين، والرجل أحوص والمرأة حوصاء: موضع بين وادي
القرى وتبوك، نزله رسول الله ﷺ، حين سار إلى تبوك،

ثبوت الحوض بالحديث لم يكفر منكروه (مذكرة التوحيد ٤ / ٤٠ ، ٤١).

يقول الإمام أبو الحسن الشعراني :

وأنكرت المعتزلة الحوض ، وقد روى عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ، وروى عن أصحابه بلا خلاف ، وروى عفان قال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن أنس ابن مالك أنه ذكر الحوض عند عبيد الله بن زياد فأنكره ، فبلغ أنسا فقال : لا جرم والله لأفعلن به ، قال فأتاه فقال : ما ذكرتم من الحوض ؟ قال عبيد الله : هل سمعت رسول الله ﷺ يذكره ؟ قال « سمعت النبي ﷺ أكثر من كذا وكذا مرة يقول : ما بين طرفيه - يعني الحوض - ما بين أيلة ومكة ، أو ما بين صنعاء ومكة ، وأن أنيته أكثر من نجوم السماء » . وروى أحمد بن حمد الله بن يونس قال : حدثنا ابن أبي زائدة عن عبد الملك بن عمير عن جندب بن سفيان قال « سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنا فرطكم على الحوض » في أخبار كثيرة (الإبانة / ١٤١).

أما ما ورد في صفة الحوض من الأحاديث النبوية فقد جاء في تيسير الوصول مايلي :

١ - عن أبي ذر رضي الله عنه قال : « قلت يا رسول الله : ما آتية الحوض ؟ قال : والذي نفسي بيده لآتيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصححة آتية الجنة : من شرب منها لم يظمأ ، آخر ما عليه يشخب في ميزابان من الجنة عرضه مثل الطول ما بين عمان إلى أيلة ، وماؤه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل » . أخرجه مسلم والترمذي . (يشخب) أي يسيل ويجرى .

٢ - وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : إن لكل نبي حوضا ترده أمته ، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة ، وأنى أرجو أن أكون أكثرهم واردة » . أخرجه الترمذي .

٣ - وعن أنس رضي الله عنه قال : « سُئل رسول الله ﷺ ما الكوثر ؟ قال : نهر في الجنة أعطانيه الله ، أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل . فيه طير أعناقها كأعناق الجزور . فقال عمر رضي الله عنه : إن هذه لناعمة . فقال ﷺ : آكلها أنعم منها » . أخرجه الترمذي .

٤ - وعن جندب رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : أنا فرطكم على الحوض » . أخرجه الشيخان .

٥ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : أنا فرطكم على الحوض ، وليرفعن إلى رجال منكم حتى إذا أهويت إليهم لأناولهم اختلجوا دوني . فأقول : أي رب أصحابي . فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول : سحقا ، سحقا لمن بَدَل بعدى » . أخرجه الشيخان .

٦ - وفي أخرى لمسلم ، عن أبي هريرة قال : « ترد أمتي على الحوض ، وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله . قالوا : يا رسول الله تعرفنا ؟ قال : نعم ، لكم سيما ليست لأحد غيركم ، تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء ، ولتصدن عني طائفة منكم فلا يصلون إلي . فأقول : يا رب أصحابي أصحابي ؟ فيجيبني ملك ، فيقول : وهل تدري ما أحدثوا بعدك » .

وفي أخرى : « وإن حوضي أبعد من أيلة إلى عدن ، لهو أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل ولآتيته أكثر من عدد النجوم » .

(الفرط) المتقدم على القوم السواردين الماء . (اختلجوا) أي أخذوا بسرعة . و (سحقا) أي بُعِدا .

٧ - وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : ما أنتم جزء من مائة ألف جزء ممن يرذ على الحوض . قيل : كم كنتم يومئذ ؟ قال : سبعمائة أو ثمانمائة » . أخرجه أبو داود .

٨ - وعن أنس رضي الله عنه قال : « قلت اشفع لي يا رسول الله يوم القيامة قال : أنا فاعل إن شاء الله . قلت : فأين أطلبك ؟ قال : اطلبني أول ما تطلبني على الصراط . قلت : فإن لم ألقك ؟ قال : فاطلبني عند الميزان . قلت : فإن لم ألقك قال : فاطلبني عند الحوض ، فإنني لا أخطئ هذه الثلاثة المواطن » . أخرجه الترمذي .

(تيسير الوصول ٤ / ١٠١ ، ١٠٢) .

والحديث « إن حوضي من عدن إلى عمان البلقاء ، ماؤه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، أكوابيه عدد النجوم ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ، أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين الشعث رءوسا الدنس ثيابا ، الذين

قال الغماري : زاد شقيقنا : أبا ذر وعميرا الليثي (الأزهار المتناثرة / ٧٤ ، ٧٥) .

أما عن النظم في المصادر التي بين أيدينا فلدينا ما يأتي :
١ - منظومة ابن أبي زيد القيرواني ورد بها عن الحوض هذان البيتان :

وحوضه تـردـه الأـمة لا
يظـمأ من شـرب منه مسـجلا
فإنـما يـلـذذ عنـه كل من
بـدل أو غـيـر سـرراً أو علـن
(الفتح الرباني ٣٢/١)

٢ - منظومة جوهرة التوحيد للإمام اللقاني حيث يقول عن الحوض :

إيماننا بحوض خير الرسل
حتم كـمـا جـاء في النقل
ينال شـرباً منه أقـوام وفـوا
بعمـلهم وقل يـلـذذ من طـفـوا
ويشرح شيخ الإسلام البيهقي البيتين عن وجوب الإيمان بحوض نبينا محمد ﷺ فيقول :

وقوله : (إيماننا بحوض خير الرسل حتم) أي تصديقنا بالحوض الذي يعطاه في الآخرة أفضل المرسلين - وهو محمد ﷺ - واجب ، لكن لا يكفر من أنكره وإنما يفسق ، وقد نفته المعتزلة ولذلك أشار المصنف للرد عليهم بما ذكر . وهو جسم مخصوص كبير متسع الجوانب يكون على الأرض المبدلة ، وهي الأرض البيضاء كالفضة ، من شرب منه لا يظمأ أبداً ترده هذه الأمة . وقد ورد أن لكل نبي حوضاً ترده أمته ، فعن الحسن مرفوعاً « إن لكل نبي حوضاً وهو قائم على حوضه وييده عصا يدعو من عرفه من أمته ألا وإنهم يتباهون أيهم أكثر تبعاً ، وإنني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً » . وفي أثر أن حوضه - ﷺ - أعرض الحيضان وأكثرها وارداً ، وتخصيص حوض نبينا بالذكر لوروده بالأحاديث البالغة مبلغ التواتر بخلاف غيره لوروده بالأحاد . وقوله (كما قد جاءنا في النقل) أي للنص الذي قد ورد إلينا في المنقول عنه ﷺ ، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله

لا ينكحون المتنعمات ولا يفتح لهم السدد ، الذين يعطون الحق الذي عليهم ولا يعطون الذي لهم . أخرجه السيوطي في الجامع الصغير لأحمد في مسنده ، والترمذي ، وابن ماجه ، والحاكم عن ثوبان وقال عنه : حديث صحيح (الجامع الصغير ٩١/١) .

وحديث : « الحوض » :
أخرجه الشيخان عن أنس وأسيد بن حضير وجندب وحارثة بن وهب وسهل بن سعد وعبد الله بن يزيد وابن عمرو وابن مسعود والمستورد بن شداد وأبي هريرة وأسماء بنت أبي بكر .

والبخاري عن ابن عباس .
ومسلم عن ثوبان وجابر بن سمرة وحذيفة بن اليمان وعقبة ابن عامر وأبي ذر وأبي سعيد وعائشة وأم سلمة .
وأبو عوانة عن أبي بكر الصديق .
والبيهقي في البعث عن عمر بن الخطاب وعقبة بن عبد السلام .

وأبو نعيم في الحلية عن علي بن أبي طالب .
والترمذي عن سمرة بن جندب .
والحاكم عن أمامة بن زيد وحمزة بن عبد المطلب وزوجه خنولة بنت قيس وخباب بن الأرت وزيد بن أرقم وعائذ بن عمرو وكعب بن عجرة ولقيط بن عامر وأبي برزة .
والبزار عن بريدة .

والطبراني عن أبي بن كعب والبراء بن عازب وجابر بن عبد الله وحذيفة بن أسيد والحسن بن علي وزيد بن ثابت وسلمان وأبي أمامة وأبي بكرة وأبي الدرداء وأبي مسعود .
وأبو زرعة الدمشقي في مسند الشاميين عن سويد بن حلية .

وابن حبان عن العرياض بن سارية .
وابن أبي الدنيا عن النواس بن سمعان .
رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق عدد نجوم السماء » .
وأخرجه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري ، وحذيفة ، وثوبان وأنس ، وأبو هريرة - رضي الله عنهم .

وصححه القرطبي، وهذا كله لا يجب اعتقاده وإنما يجب اعتقاد أنه ﷺ له حوض ولا يضر الجهل بكونه قبل الصراط أو بعده.

قوله (ينال شرباً منه أقواماً) أى يتعاطى الشرب من ذلك الحوض أقوام، والمراد بهم ما يشمل الذكور والإناث، وأحوالهم فى الشرب مختلفة: فمنهم من يشرب لسدغ العطش، ومنهم من يشرب للتلذذ، ومنهم من يشرب لتعجيل المسرة، وأطفال المسلمين ذكورههم وإناثهم حول الحوض وعليهم أقبية الديباج ومناديل من نور وبأيديهم أباريق الفضة وأقداح الذهب يسقون آباءهم وأمهاتهم إلا من سخط فى فقدهم فلا يؤذن لهم أن يسقوه. وقوله: (وفوا بعهدهم) وصف لأقوام أى وفوا لله تعالى بعهدهم وهو الميثاق الذى أخذه عليهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم؟ قالوا بلى أى أنت ربنا، وأول من قال بلى النبى ﷺ، ومعنى وفائهم بعهدهم أنهم لم يغيروه ولم يبدلوه حتى ماتوا، وهذا الوصف وإن شمل جميع مؤمنى الأمم السابقة لكنه خلاف ظاهر الأحاديث من أنه لا يرد إلا مؤمنو هذه الأمة، لأن كل أمة ترد على حوض نبيها. قوله: (وقل يذاذ من طغوا) أى وقل قولاً باطنياً وهو الاعتقاد يُطرد عنه أقوامٌ ظلموا أنفسهم بأن غيروا وبدلوا الذى أخذه الله عليهم، فالمرتد من المطرودين، ومن أحدث فى الدين ما لا يرضاه الله تعالى، ومن خالف جماعة المسلمين كالخوارج والروافض والمعتزلة على اختلاف فرقهم، والظلمة الجاثرون، والمعلن بالكبائر المستخف بالمعاصى، وأهل الزيغ والبدع، لكن المبدل بالارتداد مخلص فى النار، والمبدل بالمعاصى فى المشيئة فإن شاء الله عفا عنه وإن شاء عاقبه، وظاهر ذلك أن جميع من ذكر لا يشرب منه أبداً، والذى عليه المحققون أن المطرودين عن الحوض قسمان: قسم يطرد حرماناً وهم الكفار فلا يشربون منه أبداً، وقسم يطرد عقوبة له ثم يشرب وهم عصاة المؤمنين فيشربون قبل دخولهم النار على الصحيح. (المختار من شرح البيجورى / ٢٢٢-٢٢٥، وتحفة المريد / ١١٥، ١١٦)

٣- منظومة الشيخ أحمد بن مشرف المالكي الأحسائي على مقدمة رسالة ابن أبى زيد القيرواني، وقد جاء فيها عن الإيمان بالحوض ما يلى:

عنهما « حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه فلا يظماً أبداً ».

وقد ورد تحديد الحوض بجهات مختلفة، ففي رواية لأحمد أن الحوض كما بين عدن وعمان وذلك نحو شهر، وفي رواية للصحيحين ما بين صنعاء والمدينة وذلك نحو شهرين، وفي رواية ما بين مكة وأيلة وذلك نحو شهر كالأولى، وفي رواية لابن ماجه ما بين المدينة الى بيت المقدس وهو كالذى قبله، فقد تحدث المصطفى بحديث الحوض مرات وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة، فكان يخاطب كل قوم بالجهة التى يعرفونها، ولا تنافى من حيث تقدير المسافة بنحو شهر فى بعض الروايات وبنحو شهرين فى بعض أخرى، لأن الله سبحانه وتعالى تفضل عليه باتساعه شيئاً فشيئاً فأخبر ﷺ بالمسافة القصيرة أولاً ثم أخبر بالمسافة الطويلة، والاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة كما أشار إليه النووى، وفيما أوحى الله تعالى إلى عيسى ﷺ من صفة نبينا ﷺ « له حوض أبعد من مكة إلى مطلع الشمس فيه آية مثل عدد نجوم السماء وله لون كل شراب الجنة وطعم كل ثمارها » وقوله فى هذه الرواية مثل عدد نجوم السماء لا ينافى قوله فى الرواية السابقة أكثر من نجوم السماء لاحتمال أنه أخبر أولاً بأنها مثل ثم أخبر ثانياً بأنها أكثر، ومعنى كونه له لون كل شراب الجنة أن بعضه لونه أحمر وبعضه لونه أبيض وهكذا، فلا يرد أن فيه الجمع بين الأضداد وهو ممتنع، ومعنى كونه له طعم كل ثمارها أن له طعم الخوخ والموز والمشمش وغيرها فمن يشرب منه يجد طعم ثمار الجنة.

واختلف فى محله فقل قبل الصراط، وهو قول الجمهور، وصححه بعضهم لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشاً فيردون الحوض للشرب منه، وقيل بعده وصححه بعضهم لأنه ينصب فيه الماء من الكوثر وهو النهر الذى فى داخل الجنة، فيكون الحوض بعد الصراط بجانب الجنة ولو كان قبله لحالت النار بينه وبين الماء الذى ينصب فيه من الكوثر، ورد عليه أن الحوض إذا كان عند الجنة لم يحتاج للشرب منه، وأجيب بأنهم يحبسون هناك لأجل المظالم التى بينهم حتى يتحللوا منها وهو المسمى بموقف القصاص. وقيل: له ﷺ حوضان: حوض قبل الصراط وحوض بعده،

وَأَنَّ لِلْمُصْطَفَى حَوْضًا مَسَافَتَهُ

مَا بَيْنَ صَنْعَا وَبَصْرَى هَكَذَا ذَكَرَا

أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ الصَّافِي مَذَاقَتَهُ

وَأَنَّ كِيْرَانِسَهُ مِثْلَ النُّجُومِ تَرَى

وَلَمْ يَرِدْهُ سِوَى أَتْبَاعِ سَنَتِهِ

سِيْمَاهُمْ أَنَّ يَرَى التَّحْجِيلَ وَالْفَرَا

وَكَمْ يَنْحَى وَيَنْفَى كُلَّ مَبْتَدِعٍ

عَنْ وَرْدِهِ وَرَجَالٍ أَحْدَثُوا الْغَيْرَا

(مقدمة رسالة ابن أبي زيدون القيرواني / ١٣)

٤ - متن الشيبانية (الآيات ١٨ - ٢٠) :

وَحَوْضُ رَسُولِ اللَّهِ حَقًّا أَعْدَهُ

لَهُ اللَّهُ دُونَ الرُّسُلِ مَاءً مَبْرَدًا

وَيَشْرَبُ مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ وَكُلُّ مَنْ

سَقَى مِنْهُ كَأْسًا لَمْ يَجِدْ بَعْدَهُ صَدًا

أَبَارِقَهُ عَدِ النَّجُومِ وَعَرْضُهُ

كَبَصْرَى وَصَنْعَا فِي الْمَسَافَةِ حَدَا

(مجموع مهمات المتن / ٣٦)

(لسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٥١، ومقدمة رسالة ابن أبي زيد

القيرواني ونظمها للشيخ أحمد بن مشرف المالكي الأحسائي. من

مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. تاريخ الإيداع ١٩٧٨ /

١٣، ٨، ومذكرة التوحيد - حسن السيد متولى ٤ / ٤٠، ٤١، والإبانة عن

أصول الديانة للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري. دار الكتاب

العربي. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م / ١٤١، وتيسير

الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن السديع الشيباني ٤ / ١٠١، ١٠٢،

والجامع الصغير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ١ / ٩١،

والأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي

- قدم له وأتمه الشيخ أحمد حسن جابر رجب. هدية مجلة الأزهر. صفر

١٤٠٩ هـ / ٧٤، ٧٥، والفتح الرباني شرح على نظم رسالة ابن أبي زيد

القيرواني - محمد أحمد الملقب بالداء الشنقيطي ١ / ٣٢، والمختار من

شرح البيجوري على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد

لشيخ الإسلام إبراهيم البيجوري / ٢٢٢ - ٢٢٥، وتحفة المريد على

جوهرة التوحيد لشيخ الإسلام إبراهيم البيجوري، وبالهامش جوهرة

التوحيد للشيخ إبراهيم اللقاني وتقريرات لأحمد الأجهوري / ١١٥،

١١٦، ومتن الشيبانية المطبوع في مجموع مهمات المتن ط مصطفى

البابى الحلبي / ٣٦).

* حَوْضَاء :

جاء في اللسان : وفي الحديث ذكر حوضاء، بفتح الحاء

والمد، وهو موضع بين وادي القرى وتبوك نزل به سيدنا رسول الله

ﷺ، حين سار إلى تبوك، قاله ابن إسحاق بالضاد.

(لسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٥٢).

انظر مادة «تبوك (غزوة -)» في م ٨ / ٤٦٨ - ٤٧٤.

* الحوض المرصود .

قال عنه علي باشا مبارك في خطه عند الكلام على شارع

قلعة الكباش : هذا يعرف أيضا بشارع الحوض المرصود من

أجل حوض كان به يعرف بالحوض المرصود، وهو حوض من

الحجر الصوان الأسود كان في فجوة على قدره بالقرب من

الكباش، وكان معدًا للسقي، فلما دخلت فرنساوية ديار

مصر واستولوا عليها أخرجوه من موضعه، وأرسلوه إلى باريز

مع غيره من التحف التي أخذوها من الديار المصرية، لكنها

لم تصل إلى باريز بل في أثناء الطريق استحوذ عليها الإنجليز

وأخذوها جميعها إلى بلادهم، وإلى الآن موجود هذا

الحوض بخزانة الآثار التي بمدينة لوندرة. ويؤخذ مما حرره

الفرنساوية أن طول ذلك الحوض متران وسبعة أعشار متر

وكسر، وعرضه الأمامي متر وثلاثة أعشار متر وثمانية أعشار

عشر متر، أعني مترًا وثمانية وثلاثين سنتيمترًا، وعرضه الخلفي

متر وسبعة عشر سنتيمترًا وثمانية أعشار عشر المتر، وارتفاعه

متر وتسعة عشر سنتيمترًا واثنيان من أعشار عشر المتر، وعلى

جميع أسطحه كتابة من الداخل والخارج اهـ.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلي باشا مبارك ٢ / ٣٢٤).

* الحوض المورد في زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود :

من مصنفات التراث الإسلامي في التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم : ٤٠٠٨ .

- رسالة ألفها المؤلف عندما ظهر قبران عائدان للشيخ

يوسف القميني والشيخ محمود الصالحى فألف هذه الرسالة

في التعريف بهذين الوليين .

قطعة كبيرة، وسمعت المعانى له بدمشق عن أبى طالب بن أبى عقيل الصورى عن ... أبى الحسن الحوفى هذا

وأبو القاسم خلف بن أحمد بن الفضل بن جعفر بن يعقوب الحوفى الحنفى، قال ابن ماكولا: هو شيخ لقيته بمصر، ثقة، سمع ابن يزيد الحلبي وأحمد بن عمر بن خرشيد قوله الأصبهاني أبا على ... وكان على مكثراً، سمعت منه وسمع منى، ويعرف بالزجاجي. قلت: لنا روى ببغداد أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن السمرقندي بالإجازة عنه، وسمع منه عمر بن أبى الحسن الرواسي الحافظ، وأبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي الحافظ.

وجابر بن زيد أبو الشعثاء الأزدي اليماني الحوفى ناحية عمان، قال أبو نعيم: مات سنة ثلاث وتسعين - هكذا ذكره البخاري في تاريخه وأثنى على أبى الشعثاء.

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٢٩٠
انظر أيضاً الباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٤٦٨)

انظر: الحوفى (أبو الحسن).

* الحوفى (أبو الحسن) (٤٣٠هـ / ١٠٣٩م):

من علماء مصر فى النحو وهو أبو الحسن على بن إبراهيم، وأصله من شبرا النحلة (من حوف بليس) بمحافظة الشرقية. ورد القاهرة فسمع من أبى بكر الأدفوى وبعض علماء المغرب الذين نزحوا إلى القاهرة، وسرعان ما اشتهر علمه وأدبه، فتصدر لإقراء العربية، وصنف فى النحو «الموضح» استوفى فيه العلل والأصول. وقد لاحظ عليه ابن هشام فى مقدمة كتابه «مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب» فرط عنايته بإعراب الواضحات كالمبتدأ والخبر والفاعل ونائبه والجار والمجرور والعاطف والمعطوف مما لا حاجة إليه. توفى سنة ٤٣٠هـ (نشأة النحو / ٢١٣).

ذكره الحافظ السيوطى فىمن كان بمصر من أئمة النحو واللغة وقال عنه:

الحوفى صاحب إعراب القرآن الإمام أبو الحسن على بن إبراهيم بن سعيد. كان إماماً فى العربية والنحو والأدب، وله تصانيف كثيرة، وهو من قرية يقال لها شبرا من أعمال الشرقية. قال فى العبر: أخذ عن الأدفوى، وانتفع به أهل مصر

المؤلف: أبو الفيض عبد الغنى بن إسماعيل النابلسي الحنفى الدمشقى النقشبندى القادري المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م.

أولها: الحمد لله عاصم الأنبياء وحافظ الأولياء ... أما بعد فيقول ... لما يسر الله تعالى ظهور القبرين المعهودين سالفا والمعروفين عند بعض الناس لاحقا ...

آخرها: هو الشيخ محمود بن الحلوانى الصالحى وكنيته أبو الفيض وكانت العامة من أهل الصالحية ينادونه أبا بيضة ويؤذونه كما هو عادة كل قوم فى الصالحين الناشئين بينهم ... الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود.

اسم الناسخ: المؤلف عبد الغنى النابلسي.

ملاحظات: نسخة مسودة المؤلف بعض أوراقها قطع صغير بها بعض الترميم ضيع بعض كلماتها.

مصادر عن الرسالة: عقود الجواهر / ٦٠.

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٥ / ٢٧١.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - التصوف - وضع محمد

رياض المالح ١ / ٤٨٧، ٤٨٨).

* الحوف:

قال ياقوت: الحوف بالفتح، وسكون الواو، والفاء ... قال البخاري: الحوف بناحية عُمان. والحوف بمصر حوفان: الشرقى والغربى، وهما متصلان، أول الشرقى من جهة الشام، وآخر الغربى قرب دمياط، يشتملان على بلدان وقرى كثيرة.

(معجم البلدان ٢ / ٣٢٢).

* الحوفى:

قال السمعماني: الحوفى: بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفى آخرها الفاء، هذه النسبة إلى حوف، وظنى أنها قرية بمصر حتى قرأت فى تاريخ البخارى: [الحوف] ناحية عمان، والمشهور بالانتساب إليه هو قسيم بن أحمد بن مطير الحوفى المقرئ.

وأبو الحسن على بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفى النحوى (تلى ترجمته إن شاء الله تعالى) حدث عن ابن رشيق وغيره، وكان عنده من تصانيف النحاس أبى جعفر المصرى

مات مستهل ذي الحجة سنة ثلاثين وأربعمائة (حسن المحاضرة ٥٣٢ / ١).

وقد ذكره الحافظ السيوطى أيضا فى طبقات المفسرين وقال عنه :

هو على بن إبراهيم بن سعيد أبو الحسن الحوفى ثم المصرى النحوى الأوحى .

له « تفسير » جيد، وكتاب « إعراب القرآن » فى عشر مجلدات، وكتب آخر (طبقات المفسرين / ٨٣) .

(نشأة النحو - الشيخ محمد الطنطاوى / ٢١٣، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم / ٥٣٢، وطبقات المفسرين للحافظ جلال الدين السيوطى - بتحقيق على محمد عمر / ٨٣ . له ترجمة فى : إرشاد الأريب / ٥ / ٨٠، وإنباه الرواة / ٢١٩ / ٢، والبداية والنهاية / ١٢ / ٤٧، وبغية الوعاة / ٢ / ١٤٠، وشذرات الذهب / ٣ / ٢٤٧، وطبقات المفسرين للدوادى / ٣١ / ١، وطبقات المفسرين للدوادى / ١ / ٣٨١، وطبقات النحاة لابن قاضى شعبة / ٢ / ١٣٢، والعبر / ٣ / ١٧٢، ومفتاح السعادة / ٢ / ١٠٧، ووفيات الأعيان / ٢ / ٤٦١ (طبقات المفسرين للسيوطى / ٨٣) .

* الحوفى (أبو القاسم) (٥٨٨ هـ) :

من أهل الحوف بمصر .

ذكره ابن قنفذ القسطنطينى فى وفيات سنة ٥٨٨ وقال عنه : الفقيه القاضى الزاهد أبو القاسم الحوفى الفرضى وكان قوته فى مدة قضائه من صيد الحوت بيده وكان الأمير يقوم بأمر بغلته ولم يزد ثوبا على مرقعته .

(كتاب الوفيات / ٢٩٥، ٢٩٦) .

وقد ذكره القلصادى فى ترجمة بعض شيوخه الذين قرأ عليهم كتاب الحوفى فى الفرائض، فذكره فى ترجمة شيخه جعفر بن أبى يحيى إذ قرأ عليه « بعض الحوفى »، ثم ذكره فى ترجمة شيخه عيسى الرتمى وقال إنه لم ير أعلم منه بكتاب الحوفى فى الذين أخذ عنهم ثم قال : « وأخبر رحمه الله (أى شيخه عيسى الرتمى) أنه لم يسر إلى القراءة على سيدى سعيد العقبانى إلا بعد أن قرأ جميع الحوفى على والده ست مرات، وحضر مع الغير نحو الثمان عشرة ختمة - فقرأت عليه كتاب الحوفى من مواضع مختلفة، بطريقتى الصحيح والكسور » اهـ .

وقد ورد فى هامش ٣٤ ص ٨٦ من الرحلة نبذة عن

الحوفى للمحقق الأستاذ محمد أبى الأجفان جاء فيها ما يلى : أبو القاسم أحمد بن خلف الحوفى ت ٥٨٨ هـ وكتابه فى الفرائض توجد منه نسخة خطية فى الخزانة العامة بالرباط رقم ١٢٥٢ كـ .

وقد شرح ابن غازى ت ٩١٩ هـ مسائله ووضع لها جداول فى كتابه « الجامع المستوفى بجداول الحوفى » الذى توجد نسخته الخطية بالخزانة العامة بالرباط : ٣٣١٤ كـ .

وقد حلى القلصادى أبا القاسم الحوفى بقوله : « إمام هذه الصناعة وقاضى الجماعة » وذكر أنه كشف النقاب عن وجه مشاكل هذا العلم (شرح فرائض خليل للقلصادى (آخره) مخطوط المكتبة الوطنية بتونس : ١٩٧٤) .

(رحلة القلصادى لأبى الحسن على القلصادى الأندلسى - دراسة وتحقيق محمد أبى الأجفان . الشركة التونسية للتوزيع : تونس . الطبعة الثانية . بدون تاريخ / ٨٦ وهامش ٣٤، و ٩٨، ٩٩) .

* ابن حوقل (بعد ٣٦٧ هـ / بعد ٩٧٧ م) :

رحالة جغرافى قضى ثلاثين عاما فى التجوال والاستكشاف، وألف كتابه « صورة الأرض » الذى يشتمل على خرائط متطورة .

(عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى) .

وهو أبو القاسم محمد بن على الموصلى المشهور بابن حوقل . ولد فى بغداد وعاش فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وقد اشتهر برحلاته الواسعة فى العالم الإسلامى حيث دامت رحلاته ما يقرب من ثلاثين عاما . وقد طاف فى أنحاء مصر والشام والعراق والبحرين والإحساء وإيران وأذربيجان وأرمينيا، كما تجول فى بعض جهات آسيا الوسطى والجنوبية الشرقية حيث بلغ أقليم السند، كذلك دخل بلاد البلغار ووصل إلى أواسط نهر الفولجا، كما تجول فى ربوع بلدان المغرب العربى والأندلس وجهات غربى إفريقيا حتى مملكة غانة، كذلك زار نابولى وصقلية، ولذلك فقد حفل كتابه بالمعلومات القيمة عن بلدان الإسلام التى قصر كتاباته عنها . وكان هدفه الأول من هذه الجولات الواسعة الاشتغال بالتجارة، إلا أنه استفاد فى الوقت نفسه فائدة علمية عظيمة انعكست فى كتابه «صورة الأرض» . وقد ذكر بأنه التقى بالجغرافى الإصطخرى فى جرجان فطلب منه أن يعيد النظر فى كتابه وخرائطه فقبل

والديلم وطبرستان ، وبحر الخزر، ومفازة خراسان وفارس ، وسجستان ، وخراسان ، وما وراء النهر. ثم تناول بالدراسة كل إقليم من هذه الأقاليم فتحدث عن معالم الطبيعة وأبرز صفاته الطيبوغرافية والمناخية وموارد المياه فيه ، وأهم زراعته وصناعاته ، وأهم مدنه ، كما تحدث عن سكانه وعاداتهم وتقاليدهم وحكامهم وقص طرفا من تاريخ كل إقليم . وهكذا قدم الكتاب نموذجا عاليا في الدراسة الجغرافية الإقليمية .

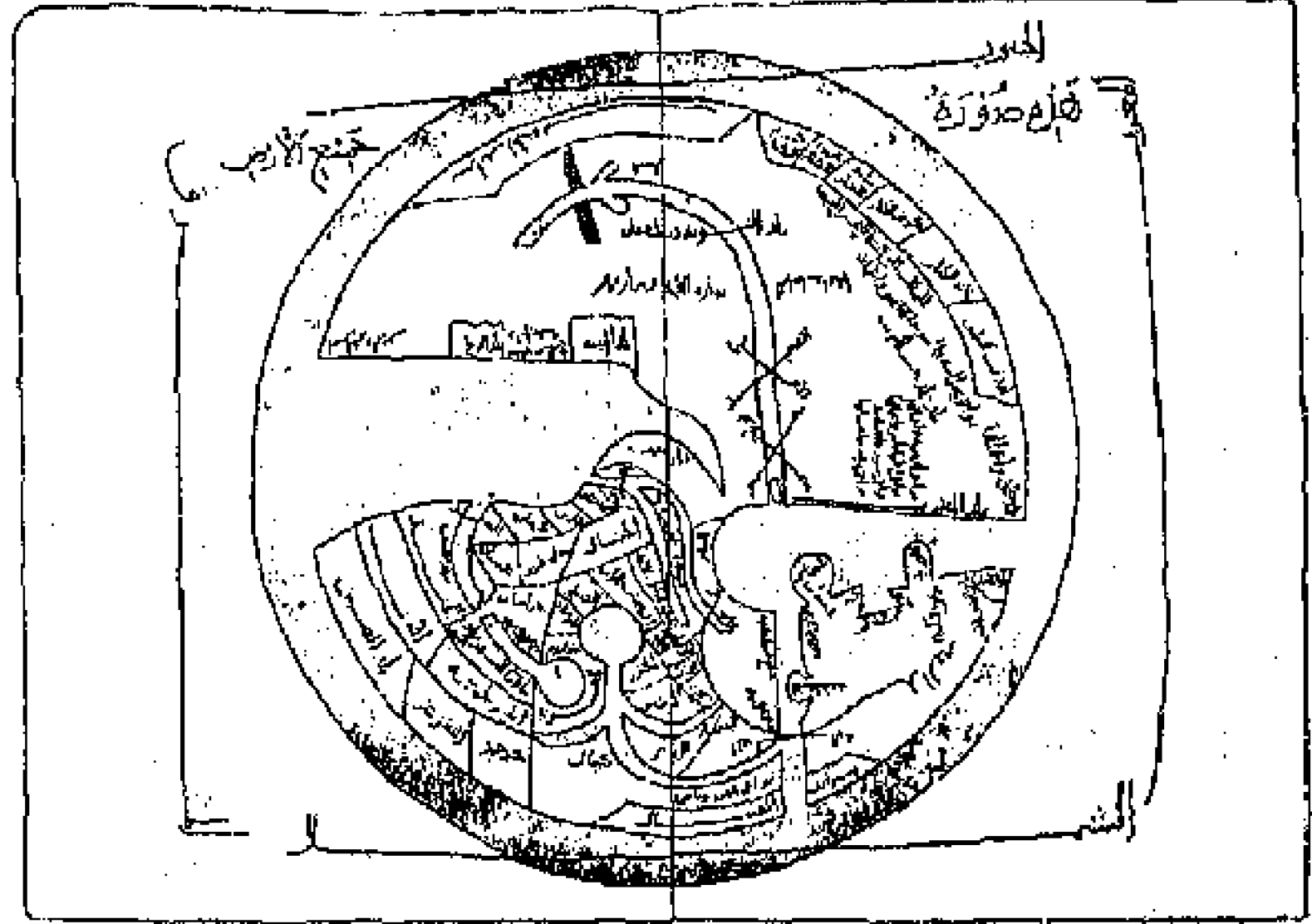
ولم يستطع الباحثون تحديد تاريخ وفاة ابن حوقل .

(العلوم الإسلامية - د. أحمد شوقي الفنجري ٢ / ٤٨ ، ٤٩ ،
وكلمات مضيئة في التراث الجغرافي العربي - د. شاكر خصباك / ٥٦ ،
٥٧ انظر أيضا أعلام الجغرافيين العرب - د. عبد الرحمن حميدة / ٢١٠ -
٢٣٣) .

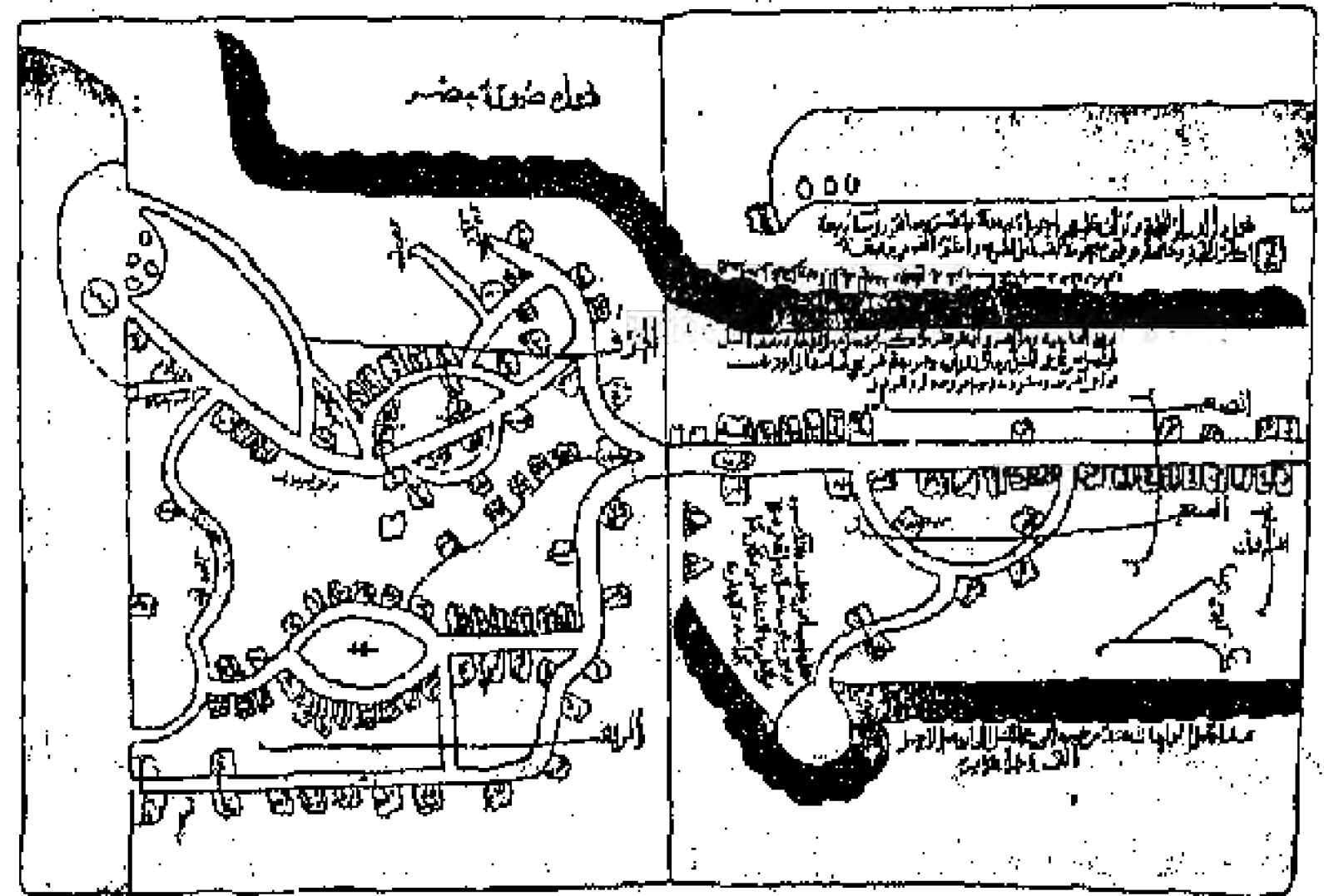
* الحوقلة :

الحوقلة : هي قوله لا حول ولا قوة إلا بالله ، يختتم بها المؤلف أو الناظم كتابه للتبري من حوله وقوته لأن فيها التبري من حول العبد وقوته والركون إلى حول الله وقوته ، فمعنى لا حول ولا قوة إلا بالله لا تحول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بمعونة الله . يقول السيد بكري المكي . واعلم أنه جاء في فضائل لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم شيء كثير؛ فمن ذلك ما أخرجه الطبراني وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ « أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنها كنز من كنوز الجنة وفيها شفاء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم » وفي رواية « أكثروا من ذكر لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها تدفع عن قائلها تسعا وتسعين بابا من الضرر أدناها الهم » ومن ذلك ما أخرجه الطبراني وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أبطأ عليه رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » وفي رواية البخاري ومسلم أنها كنز من كنوز الجنة . ومن ذلك ما رواه ابن أبي الدنيا بسنده إلى رسول الله ﷺ أنه قال « من قال في كل يوم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مائة مرة لم يصبه فقر أبدا » ومن ذلك ما روى « أن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أسر ابني وشكنا إليه الفاقة فقال عليه الصلاة والسلام ما أمسى عند آل محمد إلا مد فائق الله واصبر وأكثر من قول لا

بذلك . إلا أنه غير رأيه فيما بعد كما يبدو، وتولى تأليف كتابه المعروف « صورة الأرض » الذي يعتقد أنه كتبه في حدود عام ٩٦٧م أو ٩٧٧م . لذلك يتهمه بعض الباحثين أنه استمد الكثير من معلوماته وخبرائته من كتاب الإصطخري ، لا سيما وإن هناك تشابها واضحا بين أجزاء ونصوص الكتابين كالأجزاء المتعلقة بجزيرة العرب والخليج العربي وخوزستان وفارس وكرمان وحوض نهر السند والديلم وبحر الخزر. ومهما يكن الأمر فإن كتابه يعتبر من أبرز وأهم الكتب الجغرافية العربية المبكرة التي تمثل ركنا هاما من أركان الجغرافية العربية . وقد تميز الكتاب بمنهجه القويم الذي يعتبر الخارطة جزءا لا يتجزأ من النص ، بل أنه اعتبر الخارطة أهم من النص ، وإن النص ما هو سوى شرح للخارطة . وقد قسم ابن حوقل العالم الإسلامي إلى اثنتين وعشرين إقليما هي ديار العرب وبحر فارس ، والمغرب ، والأندلس ، وصقلية ، ومصر ، والشام ، وبحر الروم ، والجزيرة والعراق ، وخوزستان ، وفارس ، وكرمان ، والسند ، وأرمينية والران وأذربيجان ، والجبال ،



صورة الأرض لإبن حوقل يتوفى عام ٣٨٠/٩٩٠م



حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ففعل فينما هو فى بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها « وفى الفسنى على الأربعين النووية : ومن الأدعية المستجابة أنه إذا حل بالشخص أمر ضيق يطبق أصابع يده اليمنى ثم يفتحها بكلمة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، اللهم لك الحمد ومنك الفرج وإليك المشتكى وبك المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وهى فائدة عظيمة اهـ . وبالجمل فلاح حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لها تأثير عظيم فى طرد الشياطين والجن وفى جلب الرزق والغنى والشفاء وتحصيل القوة ودفع العجز وغير ذلك .

(كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء شرح السيد بكرى المكي بن السيد محمد شطا الديماطى على منظومة هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء للشيخ زين الدين بن على المعبرى ثم المليارى / ١٢٨) .

* الحول :

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب العيون . قال عنه صاحب النزهة المبهجة :

الحول : زوال موضع البصر الطبيعى عن موضعه ويقع للأطفال غالباً وأسبابه سوء العلاج والتربية كخفض الرأس والإرضاع من جانب دائماً أو غالباً وشد ربط الرأس وتنكيسه وأخذ ما غلظ من الأطعمة وقد يكون لصوت مهول ينظر إليه فازعا وفى الكبر نزول ريح أو خلط أو صعودهما بين الطبقات وعلاماته تغير الشكل والنظر عن الجرى الطبيعى (العلاج) ما كان قبل الولادة لا دواء له وغيره يجعل على العين ستارة مثقوبة الوسط بحيث يكون النظر مستويا ويربأ له بما يميل النظر إليه من الجانب المخالف ، ومن الناجب فى ذلك ضرب الأوتار بغتة فى الجانب المخالف للنظر ووضع الألواح السبحية وقد رسمت فيها الصور المذهبة والأجراس المصوتة فإنه مجرب ومتى كان إلى الأسفل فمن استرخاء العصب ويكون العلاج حيث شد بما يشده كتضميد الجبهة بالأس والعفص والبلوط والطين الأرمنى وما كان إلى فوق فعلاجه علاج التشنج اليابس وأسفله ما كان إلى أحد الجانبين ومما ينبج فى رده الكحل بالإثمد ممزوجاً بالبندق الهندى والسعوط بعصارة ورق الزيتون والكحل بالسبع والبسند ، وفى اليابس تقطير الألبان .

(النزهة المبهجة لداود بن عمر الأنطاكى المطبوع بذيلى تذكرة أولى

الألباب للمؤلف نفسه / ٢، ٣) .

* حول النبات والفواكه وفوائدها الطبية :

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الفلاحة .

مخطوط بقسم التراث العربى بالكويت

المؤلف : مجهول .

أوله : « ... القول فى البطيخ ، وأما البطيخ فينقسم ... على أربعة أبواب ، لأن منه البطيخ الربيعى ... » .

آخره : النسخة ناقصة الآخر .

النسخ : يعود إلى القرن الثامن الهجرى .

الخط : جيد .

الأوراق : ٦٠ ق .

الأسطر : ١٥ س .

المقياس : ٢٤ × ١٧ سم .

كتب بالمداد الأسود ، وأسماء النبات كتبت بخط عريض

بالمداد الأسود .

- سوريا ، حلب ، مكتبة معهد التراث العلمى العربى ،

أنطاكي .

(فهرس مخطوطات الفلاحة - النبات - المياه والرى بقسم التراث العربى بالكويت - وضعه محمد عيسى صالحية وعبد الله فليح / ٣٠١) .

* حويصة :

قال الإمام النووى .

حويصة أخو محيصة المذكوران فى القسامة من المختصر والمهذب ويجوز فيهما تشديد الياء مكسورة ويجوز تخفيفها ساكنة والأشهر التشديد وهو أبو سعيد حويصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصارى الأوسى الحارثى المدنى الصحابى رضى الله عنه شهد هو وأخوه محيصة أحدا والخندق وسائر المشاهد بعدهما مع رسول الله ﷺ . روى عنه محمد بن سهل بن أبى حنيفة وحرام بن سعد وكان حويصة أسن من محيصة وأسلم محيصة قبله وأسلم حويصة على يد محيصة رضى الله عنهما وقصتهما مشهورة .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى / ١

١٧١) .

* ابن حى التجيبى :

انظر : التجيبى (الحسن بن محمد) فى م ٨ / ٥٣٩ .

* الحى جل جلاله:

الاسم الثالث والستون من أسماء الله الحسنى . قال فى تفسيره الإمام أبو حامد الغزالى :
هو الفعال الدراك ...

حتى أن ما لا فعل له أصلا ولا إدراك فهو ميت ، وأقل درجات الإدراك أن يشعر المدرك بنفسه ، فما لا يشعر بنفسه فهو الجماد والميت .

فالحى الكامل المطلق هو الذى يندرج جميع المدركات تحت إدراكه ، وجميع الموجودات تحت فعله ، حتى لا يشذ عن عمله مدرك ، ولا عن فعله مفعول ... وكل ذلك لله تعالى ؛ فهو الحى المطلق ، وكل حى سواه فحياته بقدر إدراكه وفعله ، وكل ذلك محصور فى قلة . ثم إن الأحياء يتفاوتون ، فمراتبهم بقدر تفاوتهم (المقصد الأسنى / ١١٧) .

أما الإمام فخر الدين الرازى فيفسره بقوله :

قال تعالى : ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم ﴾ [آل عمران : ٢] وقال تعالى ﴿ هو الحى لا إله إلا هو ﴾ [غافر : ٦٥] وقال تعالى ﴿ وتوكل على الحى الذى لا يموت ﴾ [الفرقان : ٥٨] .

واعلم أنه تعالى إنما تمدح بكونه حيا ، لأن مراده منه كونه حيا لا يموت ، ألا ترى أن الحى الذى يجوز عليه الموت حكم عليه بأنه ميت ، قال تعالى : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ [الزمر : ٣٠] .

حكى أنه مات لبعضهم ابن فبكى حتى عمى ، فقال بعضهم : الذنب لك حيث أحببت حيا يموت ، هلا أحببت الحى الذى لا يموت ، حتى لا تقع فى هذا الحزن ، قالوا : كل من صار حيا بالله لم يمت ، قال تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

قال الشبلى : عجبت ممن ذكر الموت كيف لا ينسى أهل الدنيا ، وعجبت ممن ذكر الله كيف لا ينسى نفسه .

واعلم أن إطلاق لفظ الحيوان لا يجوز على الله ، مع أنه يجوز إطلاق لفظ الحى عليه ، والفرق هو التوقيف (شرح أسماء الله الحسنى / ٣٠٣ ، ٣٠٤) .

ويرد استنم الحى (جل جلاله) فى البقرة : ٢٥٥ ، وآل عمران : ٢ ، وطه ١١١ ، والفرقان ٥٨ ، وغافر ٦٥ .

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١١٧ ، وشرح أسماء الله الحسنى للإمام فخر الدين الرازى - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرؤوف سعد / ٣٠٣ ، ٣٠٤ . انظر أيضا والله الأسماء الحسنى فادعوه بها - جمع وترتيب أحمد عبد الجواد - قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود ، وشعبان على خليل عبد الرحمن ، ومحمد المهدي محمود على / ١٦٣ ، ١٦٤) .

* حى العالم :

من الأعشاب الطيبة ، وقد أوردها المظفر الرسولى نقلا عن مصادر أربعة رمز إليها بالحروف التالية :

ع : عبد الله البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان » .

ز : الزهراوى .

قال : حى العالم « ع » سمي بهذا الاسم لأنه لا يطرح ورقه فى وقت من الأوقات ، وهو نبات له قضبان طولها نحو من ذراع وأكثر ، فى غلظ الإبهام ، فيها شىء من رطوبة تدبى باليد (دبق : لصق . المعجم الوجيز / ٢٢٢) وهى غضة ، وقوته مبردة قابضة ، إذا تضمد به وحده أو مع السويق ، للحمرة والنملة والقروح الخبيثة ، والأورام الحارة العارضة للعين ، وحرق النار ، والنقرس ؛ وقد تخلط عصارتها بدهن الورد ، وتطلى بها الرأس من الصداع ، ويسقاها من غضة الرتلاء ، ومن كان به إسهال ، ومن قرحة الأمعاء ، وإذا شرب بالشراب أخرج الدود المستطيل من البدن ، وإذا احتملته المرأة قطع سيلان الرطوبات المزمنة من الرحم الصنف الثانى : حى العالم الصغير ينبت فى الحيطان ، وبين الصخور ، وله قضبان صغار ، مخرجها من أصل واحد مملوءة من ورق صغير مستدير ، وله رطوبة تدبى باليد ، وله زهر أصفر . وقوة هذا مثل قوة الأول ، وهما جميعا يجففان تجفيفا يسيرا ، ويبردان تبريدا شديدا ، وهما فى الدرجة الثالثة من درجات التبريد ، نافعان من الورم والحمة والأورام الساعية .

وصنف ثالث يشبه ورق البقلة الحمقاء ، وله قوة مسخنة

وأخيره : فهذه المقدمات ، وسأذكر فى المستأنف تدابيرهم وآراءهم فى ذلك بلا زيادة على هذه المقدمة ولا نقصان فمنها فاعرفه .

- نسخة بقلم نسخ جميل ، تمت كتابة فى بلدة تبريز سنة ٦٨٨ .

ومسطرته ١٧ سطرا ٢١×١١ سم

(ضمن مجموعة من ص ١٠٩ - ١١٤) .

[مكتبة بروسة حسين جلبى - ١٥] .

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ج ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات - وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٣ / ١١٧ ، ١١٨) .

* الحياء :

تعنى مصنفات التراث الإسلامى فى كل من علم الأدب وعلم الأخلاق عناية بالغة بفضيلة الحياء فتفرد له الفصول الطوال ، وتمتدح فضائله شعرا ونثرا ، باعتبار أنه رأس الفضائل ، وأن انعدامه يفتح باب الرذائل ، مما لخصه الحديث النبوى الموجز البليغ : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » ويأتى الكلام عليه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

يقول صاحب اللسان : والحياء ، الثوبة والحشمة ، وقد حىي منه حياء واستحيا واستحي ، حذفوا الياء الأخيرة كراهية التقاء اليائين ، والأخيرتان تتعديان بحرف وبغير حرف ، يقولون : استحيا منك واستحياك ، واستحي منك واستحاك ، قال ابن برى : شاهد الحياء بمعنى الاستحياء قول جرير :

لولا الحياء لعادنى استعبار

ولزرت قبرك والحبيب يزار

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « الحياء شعبة من الإيمان » . قال بعضهم : كيف جعل الحياء ، وهو غريزة ، شعبة من الإيمان ، وهو اكتساب ؟ والجواب فى ذلك : أن المستحي ينقطع بالحياء عن المعاصى ، وإن لم تكن له تقية ، فصار كالإيمان الذى يقطع عنها ويحول بين المؤمن وبينها قال ابن الأثير : وإنما جعل الحياء بعض الإيمان لأن الإيمان ينقسم إلى ائتمار بما أمر الله به وانتهاء عما نهى الله عنه ، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعض الإيمان ، ومنه

حارة مقروحة للجلد ، إذا سحق مع السمن العتيق حلل الخنازير . « ف » نبات معروف ، وهو ثلاثة أصناف : برى ، وبستاني ، وجلبى . أجوده البستاني الغض الطرى ، وهو بارد فى الثالثة ، يابس فى الأولى ، نافع من نفث الدم ، ويدخل فى أدوية العين ، وإذا اعتصر وشرب من مائه عشرون درهما ، نفع من سدد الكبد ، وإذا شرب من مائه خمسة دراهم أطفأ حرارة الصفراء والدم الغالب ، وينفع من الصداع إذا خلط بدهن ورد ، وطفى على الصدغين . والشربة منه : خمسة دراهم . « ج » بارد فى الدرجة الثانية ، يابس فى الأولى ، والبرى حار فى الأولى ، يطفى به الأورام الحارة ، والكبد والصدر الحاران . « ز » بدله : وزنه من عصارة الخس ، أو ماء عنب الثعلب (المعتمد ١ / ١١٤ ، ١١٥) .

وقال عنه ابن رشد :

حى العالم : هذا النبات أنواع منها المسمى الشيان ، وهو يزرع فى الدور ، ومنه المسمى المصفقات ، ومنه المسمى عنب السقف ، وكلها فى الدرجة الثالثة من البرودة ، وذلك أنها مسيخة الطعم ، كثيرة المائية . وهما تجفيفان (٨١٣) تجفيفا يسيرا ، ويدل أيضا على ذلك أنها تنبت فى المواضع الباردة ، وفى فصل الشتاء (الكلبيات / ٢٥٨) .

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١١٤ ، ١١٥ ، والمعجم الوجيز / ٢٢٠ ، والكلبيات فى الطب لابن رشد - تحقيق وتعليق د . سعيد شيان ، ود . عمار الطالبي / ٢٥٨) .

* الحى (كتاب -) :

من مصنفات التراث الإسلامى فى العلوم .

تأليف جابر بن حيان الصوفى .

وهو المقالة الحادية عشرة من كتاب « السبعين » .

أولها : قد سبق لنا قبل هذا عشرة كتب يذكر فيها من أمر الحجر المطلوب ما فيه كفاية وغناء لم يذكر مع غيره ، وضمننا فى كتابنا أن نذكر الحيوان كله ، فإننا لم نذكر الحيوان ، أفضل من الحجر المقدم على سائر الحيوان فى تلك الأجزاء ، نحن نستأنف هاهنا الكلام فى سائر الحيوان ، فافهمه وتدبره ، والشرط مع ذكرنا الحيوان ، أن نذكره قريبا فى مدة تدبيره ، على ما شرطنا فى باب الكبير إن شاء الله ... إلخ .

الحديث: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»، المراد أنه إن لم يستح صنع ما شاء، لأنه لا يكون له حياء يحجزه عن المعاصي والفواحش. قال ابن الأثير: وله تأويلان: أحدهما ظاهر، وهو المشهور، إذا لم تستح من العيب، ولم تخش العار بما تفعله، فافعل ما تحدثك به نفسك من أغراضها، حسنا كان أو قبيحا، ولفظه أمر، ومعناه توبيخ وتهديد، وفيه إشعار بأن الذي يردع الإنسان عن مواقف السوء هو الحياء، فإذا انخلع منه كان كالمأمور بارتكاب كل ضلالة وتعاطى كل سيئة، والثاني أن يحمل الأمر على بابه، يقول: إذا كنت في فعلك آمنا أن تستحي منه لجريك فيه على سنن الصواب، وليس من الأفعال التي يستحي منها فاصنع منها ما شئت.

ابن سيده: قوله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستح فاصنع ما شئت» أي من لم يستح ما شاء على جهة الذم لترك الحياء، وليس يأمره بذلك، ولكنه أمر بمعنى الخبر، ومعنى الحديث أنه يأمر بالحياء ويحث عليه ويعيب تركه (لسان العرب ١٢ / ١٠٧٩، ١٠٨٠).

وحديث «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» هو الحديث العشرون من الأربعين النووية، وجاء عنه ما يلي: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» المراد أنه إن لم يستح صنع ما شاء، لأنه لا يكون له حياء يحجزه عن المعاصي والفواحش. قال ابن الأثير: وله تأويلان: أحدهما ظاهر، وهو المشهور، إذا لم تستح من العيب، ولم تخش العار بما تفعله، فافعل ما تحدثك به نفسك من أغراضها، حسنا كان أو قبيحا، ولفظه أمر، ومعناه توبيخ وتهديد، وفيه إشعار بأن الذي يردع الإنسان عن مواقف السوء هو الحياء، فإذا انخلع منه كان كالمأمور بارتكاب كل ضلالة وتعاطى كل سيئة، والثاني أن يحمل الأمر على بابه، يقول: إذا كنت في فعلك آمنا أن تستحي منه لجريك فيه على سنن الصواب، وليس من الأفعال التي يستحي منها فاصنع منها ما شئت.

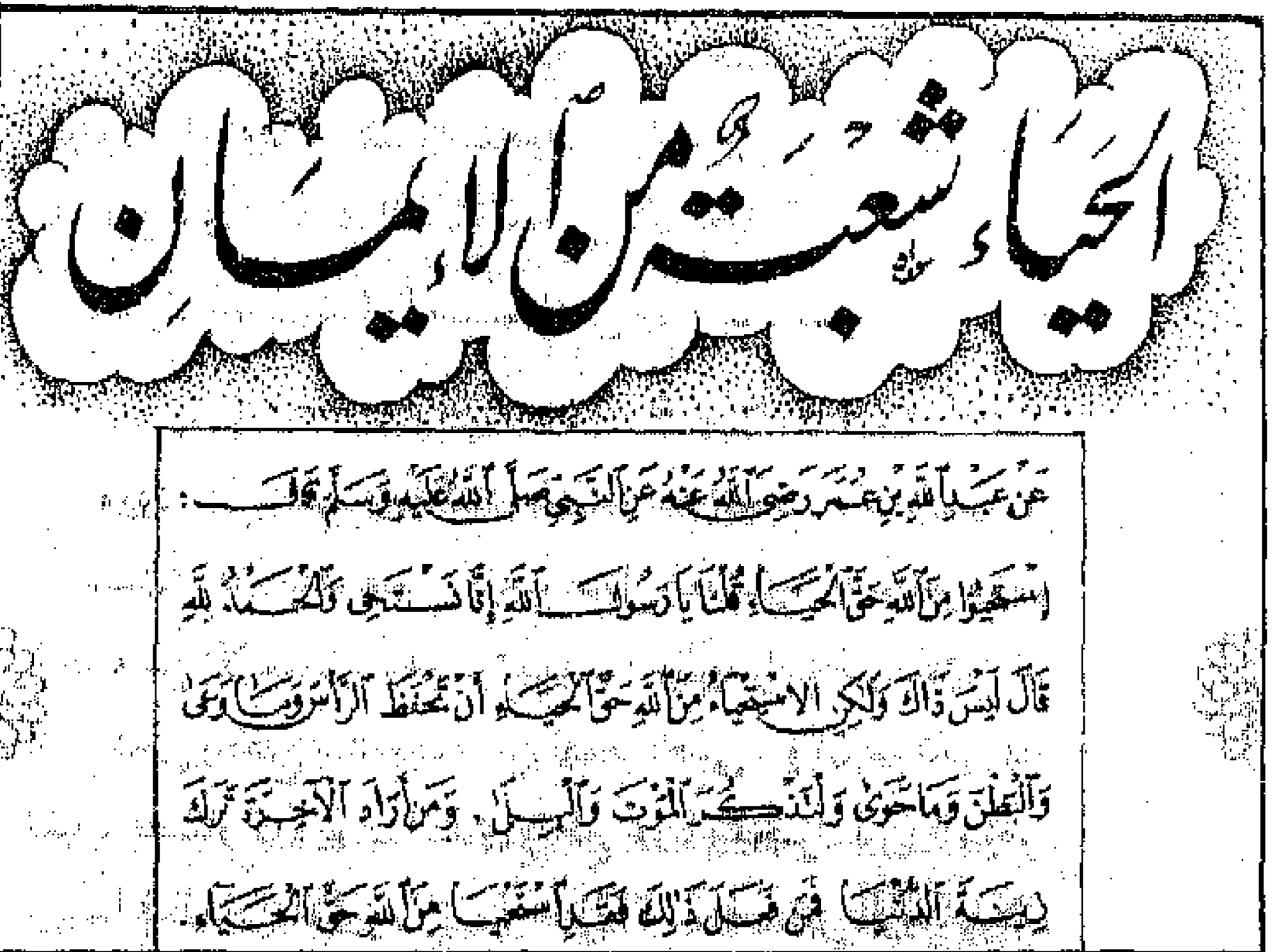
ابن سيده: قوله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستح فاصنع ما شئت» أي من لم يستح ما شاء على جهة الذم لترك الحياء، وليس يأمره بذلك، ولكنه أمر بمعنى الخبر، ومعنى الحديث أنه يأمر بالحياء ويحث عليه ويعيب تركه (لسان العرب ١٢ / ١٠٧٩، ١٠٨٠).

وحديث «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» هو الحديث العشرون من الأربعين النووية، وجاء عنه ما يلي: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» المراد أنه إن لم يستح صنع ما شاء، لأنه لا يكون له حياء يحجزه عن المعاصي والفواحش. قال ابن الأثير: وله تأويلان: أحدهما ظاهر، وهو المشهور، إذا لم تستح من العيب، ولم تخش العار بما تفعله، فافعل ما تحدثك به نفسك من أغراضها، حسنا كان أو قبيحا، ولفظه أمر، ومعناه توبيخ وتهديد، وفيه إشعار بأن الذي يردع الإنسان عن مواقف السوء هو الحياء، فإذا انخلع منه كان كالمأمور بارتكاب كل ضلالة وتعاطى كل سيئة، والثاني أن يحمل الأمر على بابه، يقول: إذا كنت في فعلك آمنا أن تستحي منه لجريك فيه على سنن الصواب، وليس من الأفعال التي يستحي منها فاصنع منها ما شئت.

وحديث «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» هو الحديث العشرون من الأربعين النووية، وجاء عنه ما يلي: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» المراد أنه إن لم يستح صنع ما شاء، لأنه لا يكون له حياء يحجزه عن المعاصي والفواحش. قال ابن الأثير: وله تأويلان: أحدهما ظاهر، وهو المشهور، إذا لم تستح من العيب، ولم تخش العار بما تفعله، فافعل ما تحدثك به نفسك من أغراضها، حسنا كان أو قبيحا، ولفظه أمر، ومعناه توبيخ وتهديد، وفيه إشعار بأن الذي يردع الإنسان عن مواقف السوء هو الحياء، فإذا انخلع منه كان كالمأمور بارتكاب كل ضلالة وتعاطى كل سيئة، والثاني أن يحمل الأمر على بابه، يقول: إذا كنت في فعلك آمنا أن تستحي منه لجريك فيه على سنن الصواب، وليس من الأفعال التي يستحي منها فاصنع منها ما شئت.

وحديث «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» هو الحديث العشرون من الأربعين النووية، وجاء عنه ما يلي: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» المراد أنه إن لم يستح صنع ما شاء، لأنه لا يكون له حياء يحجزه عن المعاصي والفواحش. قال ابن الأثير: وله تأويلان: أحدهما ظاهر، وهو المشهور، إذا لم تستح من العيب، ولم تخش العار بما تفعله، فافعل ما تحدثك به نفسك من أغراضها، حسنا كان أو قبيحا، ولفظه أمر، ومعناه توبيخ وتهديد، وفيه إشعار بأن الذي يردع الإنسان عن مواقف السوء هو الحياء، فإذا انخلع منه كان كالمأمور بارتكاب كل ضلالة وتعاطى كل سيئة، والثاني أن يحمل الأمر على بابه، يقول: إذا كنت في فعلك آمنا أن تستحي منه لجريك فيه على سنن الصواب، وليس من الأفعال التي يستحي منها فاصنع منها ما شئت.

وحديث «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» هو الحديث العشرون من الأربعين النووية، وجاء عنه ما يلي: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» المراد أنه إن لم يستح صنع ما شاء، لأنه لا يكون له حياء يحجزه عن المعاصي والفواحش. قال ابن الأثير: وله تأويلان: أحدهما ظاهر، وهو المشهور، إذا لم تستح من العيب، ولم تخش العار بما تفعله، فافعل ما تحدثك به نفسك من أغراضها، حسنا كان أو قبيحا، ولفظه أمر، ومعناه توبيخ وتهديد، وفيه إشعار بأن الذي يردع الإنسان عن مواقف السوء هو الحياء، فإذا انخلع منه كان كالمأمور بارتكاب كل ضلالة وتعاطى كل سيئة، والثاني أن يحمل الأمر على بابه، يقول: إذا كنت في فعلك آمنا أن تستحي منه لجريك فيه على سنن الصواب، وليس من الأفعال التي يستحي منها فاصنع منها ما شئت.



والطبراني عن ابن عباس وابن مسعود وعمران بن حصين وابن ماجه عن أبي بكر وبألفاظ متقاربة عن أبي سعيد الخدري، وأنس وابن عباس (الأزهار المتناثرة / ٢١).

وورد في كتاب الحياء في «تيسير الوصول إلى جامع الأصول» ما يلي:

١- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: استحيوا من الله حق الحياء. قلنا إنا نستحي من الله يا رسول الله والحمد لله. قال: ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء، أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، وآثر الآخرة على الأولى، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء». أخرجه الترمذي.

والمراد: (بما وعى الرأس) السمع والبصر واللسان. و(بما حوى البطن) المأكول والمشروب، والمراد: الحث على طلب الحلال من الرزق، واستعمال هذه الجوارح في مرضاة الله تعالى.

٢- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه» أخرجه الشيخان.

(الخدري: ناحية في البيت يترك عليها ستر فتكون فيها الجارية البكر).

٣- وعن زيد بن طلحة بن ركانة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: إن لكل دين خلقاً، وخلق الإسلام الحياء» أخرجه مالك.

٤- وعن أنس رضي الله عنه قال: «قال النبي ﷺ: ما كان الفحش في شيء إلا شأنه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه» أخرجه الترمذي (تيسير الوصول ٢/ ٢٢، ٢٣).

وفي ذكر الحياء وما جاء في فضله أورد الإمام ابن أبي الدنيا عدداً كبيراً من الأحاديث نختار منها ما يلي، وقد احتفظنا بالأرقام التسلسلية كما وردت في النص، كما وضعنا تخريجات الأحاديث للمحقق الأستاذ مجدي السيد إبراهيم بين أقواس في ثانيا النص إتماماً للفائدة:

لقول أم المؤمنين - رضي الله عنها - رأس مكارم الأخلاق الحياء.

٧٢- حدثني سعيد بن سليمان الواسطي ومحمد بن أبي غالب عن هشيم عن منصور بن زاذان عن الحسن عن أبي بكرة عن النبي - ﷺ - قال: «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار».

(الحديث صحيح. وإسناده ضعيف. وأخرجه ابن ماجه (٤١٨٤)، والحاكم (٥٢/١). وفي سنده هشيم وهو مدلس، وكذا الحسن، وقد روياه بالنعنة. وأخرجه أحمد (٥٠١/٢)، والترمذي (٢٠١٠)، وابن حبان (١٩٢٩)، والحاكم (٥٣/١)، والبيهقي (٣٥٩٥) من حديث أبي هريرة، وسنده حسن).

٧٣- حدثنا علي بن الجعد الجوهري أخبرني عبد العزيز ابن عبد الله بن أبي سلمة الماششون عن ابن شهاب عن سالم ابن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: سمع النبي - ﷺ - رجلاً يعظ أخاه في الحياء يقول: إنك لتستحي حتى كأنك ... فقال النبي - ﷺ -: «دعه فإن الحياء من الإيمان».

(إسناده صحيح، وأخرجه البخاري (٢٤)، (٦١١٨)، ومسلم (٣٦)، وأحمد (٥٦/٢، ١٤٧)، وابن حبان (٤/٢)، والبيهقي (٣٥٩٤)).

٧٤- حدثنا علي بن الجعد أخبرني أبو غسان عن حسان ابن عطية عن أبي أمامة قال: قال رسول الله - ﷺ -: «الحياء والعق شعبة من شعب الإيمان والبذاء والبيان شعبان من شعب النفاق».

(إسناده صحيح. وأخرجه أحمد (٢٦٩/٥)، والترمذي (٢٠٢٨) وقال حسن صحيح، والحاكم (٩/١) وصححه، والبيهقي (٣٣٩٤) في شرح السنة).

٧٥- حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس أنا يزيد بن هارون أنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - قال: «الحياء من الإيمان».

(إسناده حسن. والحديث صحيح. في سنده أبو مسلم المستملي، وهو صدوق كما في التقريب (٥٠٣/١) وكذا محمد بن عمرو).

٧٦- حدثنا أبو خيثمة نا يزيد بن هارون نا خالد بن رباح عن أبي السوار عن عمران بن حصين أن رسول الله - ﷺ - قال: «الحياء خير كله» قال: فقال رجل: إن منه ضعفا وإن

منه عجزا. فقال عمران: أحدثك عن رسول الله ﷺ - وتحديثي عن الصحف.

(صحيح). وإسناده لا بأس به، فيه خالد بن رباح، قال ابن عدي: لا بأس به، وقال ابن حبان كثير الخطأ لا يحتج به، كذا في الميزان (١/ ٦٣٠)، وسقط من المطبوعة كلمة «أبي» من «أبي السوار». أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٧، ٤٣٦، ٤٤٢)، والبخاري (٦١١٧ فتح)، ومسلم ((٣٧)).

٧٨ - حدثنا محمد بن سليمان الأسدي نا حبان بن علي عن حارثة بن محمد الأنصاري عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت: قالوا: يا رسول الله، إن حارثة بن النعمان أفسده الحياء. فقال رسول الله ﷺ: «لا يفسد الحياء ولكن لو قلتم أصلحه الحياء لصدقتم». (إسناده ضعيف. فيه حبان بن علي، وحارثة بن محمد، وهو ابن أبي الرجال، كلاهما ضعيف، انظر: التقريب (١/ ١٤٥)، (١/ ١٤٧)).

٨٠ - حدثنا الحسن بن حماد الضبي نا أبو يحيى الحماني عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ - إذا بلغه عن الرجل شيء لم يقل: لم قلت كذا وكذا؟ ولكنه يعم فيقول: «ما بال أقوام؟»

(إسناده حسن. وإخرجه أبو داود (٤٧٨٨) في سنده الحماني، وهو صدوق يخطيء كما في التقريب (١/ ٤٦٩)، وفيه عن الأعمش، لكن يشهد له حديث أنس الذي أخرجه أحمد (٣/ ٢٤١، ٢٨٥) وغيره).

٨٤ - حدثنا يحيى بن أيوب حدثني الهذيلي بن ميمون عن الأحوص بن حكيم عن ابن عون عن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: «قلة الحياء كفر».

(إسناده ضعيف. في سنده هذيل بن ميمون، قال أبو حاتم: لا أعرفه، انظر: الجرح والتعديل (٩/ ١١٣)، وفيه الأحوص بن حكيم من الضعفاء، كما في التقريب (١/ ٤٩)، وفيه الإرسال من سعيد. أورده الهندي في الكنز (٥٧٩٠) مرفوعا من حديث عقبة بن عامر، وعزاه إلى الحكيم والشيرازي في الألقاب.

الحديث في نواذر الأصول للحكيم (ص / ٣٦٦).

٨٦ - حدثنا شجاع بن الأشرس نا ليث بن سعد عن خالد ابن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن حفص بن عمر أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال لعروة بن مسعود: «يا عروة، إن الله يحب العبي الحبي العفيف المتعفف ويغض البذي الفاحش السال الملحف».

(إسناده مرسل. وينحوه أخرجه ابن جرير، وابن المنذر عن قتادة كما في الدر المنثور (١/ ٣٥٩) وله شواهد مهلهلة الإسناد ذكرها الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٢٠)).

٩٨ - حدثني أبو محمد نا أبو عتبة الحسن بن علي بن مسلم البراد الحمصي وكان من خيار المسلمين نا معاوية بن يحيى عن محمد بن عبد العزيز عن الزهري عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «إن لأهل كل دين خلقا وإن خلق الإسلام الحياء».

(إسناده ضعيف. والحديث حسن. وأخرجه ابن ماجه (٤١٨١)، والخرائطي (ص / ٤٩) في المكارم، والطبراني (ص / ١٣) في الصغير.

في سنده معاوية بن يحيى الصدفي، وهو ضعيف، كما في التقريب (٢/ ٢٦١).

وله طريق أخرى أخرجه الباغندي في مسند عمر (ص / ١٣) وسنده ضعيف، وذكر الشيخ الألباني طريقا آخر، أخرجه الخطيب في تاريخه (٨/ ٤) ثم قال: وبالجمله فهذا الإسناد حسن.

وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه العقيلي (١٨٧) في الضعفاء، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٢٠) وفيه صالح بن حسان منكر الحديث (مكارم الأخلاق / ٣٤-٤١). ويعرف التهاني الحياء بقوله:

الحياء بالفتح والياء المثناة التحتانية وهو انكسار وتغير يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به أو يذم على ما قال الزمخشري كذا في بحر الجواهر وفي الشرع عبارة عن خلق باعث على ترك القبيح كما في تيسير القاري ترجمة صحيح البخاري وفي رسالة السيد الجرجاني الحياء انقباض النفس من شيء وتركه حذرا عن اللوم فيه وهو نوعان نفساني وهو

الذى خلقه الله تعالى فى النفوس كلها كالحياة عن كشف العورة ... ، وإيماني وهو أن يمتنع المؤمن من فعل المعاصي خوفا من الله تعالى .

(كشف اصطلاحات الفنون ١/ ٣٩٧ ، ٣٩٨) .

ويفرد الأمير أسامة بن منقذ فى كتابه النفيس « لباب الآداب » فصلا فى الحياة ، يبدؤه كعادته بالآيات القرآنية ، تعقبها الأحاديث النبوية ، ثم أقوال الزهاد والصالحين ، ثم ما ورد فيه من شعر .

أما عن الآيات القرآنية فيقول ابن منقذ :

قال الله عز وجل فى سورة القصص فى قصة موسى عليه السلام : ﴿ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراأتين تزدودان قال : ماخطبكما ؟ قالتا : لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ﴾ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلّى من خير فقير * فجاءته إحداهما تمشى على استحياء ﴾ [القصص : ٢٣ - ٢٥] .

قيل : إنما استحييت أنها كانت تدعوه إلى الضيافة ، فاستحييت أن لا يجيب موسى عليه السلام ، فصفا المضيف الاستحياء ، وذلك استحياء الكرم .

وقيل فى بعض الأقوال فى قوله عز وجل فى قصة يوسف عليه السلام وامرأة العزيز : ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ [يوسف : ٢٤] : البرهان أنها ألقت ثوبا على وجه صنم فى زاوية البيت ، فقال يوسف عليه السلام : ماذا تفعلين ؟ فقالت : أستحيى منه ! فقال يوسف عليه السلام : أنا أولى أن أستحيى من الله تبارك وتعالى .

وأورد الإمام عبد الكريم بن هوازن [القشيري] رضى الله عنه فى رسالته قال : فى بعض الكتب : يقول الله تعالى : « ما أنصفنى عبدي ، يدعوني فأستحيى أن أردّه ، ويعصينى ولا يستحيى منى » .

أما الأحاديث النبوية فقد أورد ابن منقذ ثلاثة عشر حديثا ، وقد استبعدنا منها ما سبق وروده ، وهى كما يلى ، وقد احتفظنا بأرقامها التسلسلية كما وردت فى النص :

١٢٠ - وعن أنس بن مالك رضى الله عنه : « أن النبى ﷺ كان يعظ أصحابه ، فإذا ثلاثة نفر يمرون ، فجاء أحدهم

فجلس إلى النبى ﷺ ، ومشى الثانى قليلا وجلس ، وأما الثالث فإنه مضى ، فقال النبى ﷺ : ألا أنبئكم عن هذه الثلاثة ؟ أما هذا الذى جلس إلينا فتاب فتاب الله عليه ، وأما الذى مشى فجلس فإنه استحيا فاستحيا الله منه ، وأما الذى مر على وجهه فإنه استغنى فاستغنى الله عنه ﴿ والله غنى حميد ﴾ (رواه الحاكم فى (٤/ ٢٥٥) وصححه هو والذهبي ، ولكن ليس فيه قوله ﴿ والله غنى حميد ﴾ [التغبين : ٦] .

١٢١ - وعن سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم لا يدركنى زمان ولا أدركه : لا يتبع فيه العليم ، ولا يستحيا فيه من الحليم ، قوم قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب » .

رواه أحمد فى المسند (٥/ ٣٤٠) ولكن فيه « اللهم لا يدركنى زمان ولا تدركوا زمانا » ... إلخ وأشار السيوطى (رقم ١٥٤٣) إلى أن الحاكم رواه من حديث أبى هريرة .

١٢٤ - وعن أبى بكره رحمه الله قال : قال رسول الله ﷺ : « الحياة من الإيمان ، والإيمان فى الجنة . والبذاء من الجفاء ، والجفاء فى النار » .

رواه البخارى فى الأدب المفرد (ص ٢٣٦) ونسبه السيوطى (رقم ٣٨٦٥) لابن ماجه والبيهقى والحاكم من حديث أبى بكره ، وللترمذى والحاكم والبيهقى من حديث أبى هريرة ، ونسبه المنذرى (٣/ ٢٥٤) لأحمد وابن حبان من حديث أبى هريرة .

١٢٨ - وعن عطاء رحمه الله قال : « مر رسول الله ﷺ برجل يغتسل ، فقال : يا أيها الناس ، إن الله حىي عليم ، يستر ويحب الحياء ، فإذا اغتسل أحدكم فليتوار عن أعين الناس » (رواه أحمد مختصرا (٤/ ٢٢٤) عن عطاء عن يعلى بن أمية ، ونسبه السيوطى (رقم ١٧٢٩) لأبى داود والنسائى وعندهم إن الله حىي ستر) .

ثم ينتقل الأمير أسامة بن منقذ إلى أقوال الزهاد والصالحين فى الحياة فيقول :

وعن محمد بن عبد الملك قال : سمعت ذا النون المصرى رحمه الله يقول : الحياة وجود الهيبة فى القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك .

وقال ذو النون رحمه الله : الحب ينطق ، والحياة يسكت ، والخوف يقلق .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان الداراني رحمه الله يقول : يقول الله تعالى : « عبي ، وإنك ما استحييت مني أنسيت الناس عيوبك ، وأنسيت بقاع الأرض عيوبك ، ومحيت من أم الكتاب زلاتك ، ولا أنساقتك في الحساب يوم القيامة » (ابن أبي الحواري هو أحمد بن عبد الله ابن ميمون الزاهد ، ولد سنة ١٦٤ ومات سنة ٢٤٦ ، وله ترجمة في التهذيب ، وكان تلميذا لأبي سليمان الداراني ، ونقل عنه بعض أقواله ، انظر اللمع ص ٥٣ ، ١٨٧ و ٢٧١ و ٢٨٢) .

قيل : الحياة على وجوه : حياة الخيانة ، كآدم عليه السلام ، قيل له : أفرارا منا ؟ قال : لا ، بل حياة منك . وحياة التقصير ، كالملائكة ، يقولون : ما عبدناك حق عبادتك . وحياة الإجلال ، كإسرافيل عليه السلام ، تسربل بجناحه حياة من الله تعالى . وحياة الكرم ، كالنبي ﷺ ، استحيا من أمته أن يقول : اخرجوا ، فقال الله سبحانه : ﴿ ولا مستأنسين لحديث ﴾ [الأحزاب : ٥٣] . وحياة خشية ، كعلي ابن أبي طالب رضوان الله عليه حين سأل المقداد حتى سأل النبي ﷺ عن حكم المذى ، لمكان فاطمة رضي الله عنها منه . وحياة الاستحقار ، كموسى عليه السلام ، إذ قال : إنه لتعرض على قلبي الحاجة فأستحيي أن أسألكها يا رب ، فقال الله عز وجل : سلني حتى ملح عجيتك وعلف شاتك . وحياة الإنعام ، وهو حياة الرب تبارك وتعالى ، يدفع إلى العبد كتابا مختوما بعد ما عبر على الصراط ، فإذا فيه : « فعلت ما فعلت ، ولقد استحييت أن أظهر عليك ، فاذهب فإنني قد غفرت لك » .

قالت الحكماء . الحياة هرب النفس من الملامة .

وقالوا : خوف المستحي من تقصير يقع به عند من هو أفضل منه ، وليس يوجد إلا فيمن كانت نفسه بصيرة بالجميل عن عيبه عنه .

وقالوا : كفى بالحياة على الخير دليلا ، وعن السلامة مخبرا ، ومن الهم مجيرا .

وقالوا : الحياة تمام الكرم ، وموطن الرضى ، وممهد الشاء ، وموفر العقل ، ومعظم القدر ، وداع إلى الرغبة .

قال الشاعر :

إذا لم تخش عاقبة الليالى
ولم تستحي فاصنع ما تشاء
يعيش المرء ما استحييا بخير
ويبقى العبود ما بقى للحاء
وما فى أن يعيش المرء خيرا
إذا ما الوجه فارق الحياء
(اللحاء - بكسر أوله - ما يكون على أعواد الشجر وأصولها من غطاء ، وهو قشرتها والذي فيه لها)

وقال أمية بن أبى الصلت يمدح ابن جدعان بالحياة :

أذكر حاجتى أم قد كفىانى
حياؤك ؟ إن شيمتك الحياء
وعلمك بالأمر وأنت قمر
لك الحسب المؤئل والثناء
وقالت ليلي الأخيلية تصف توبة بن الحمير :

فإن تكن القنلى بسواء فإنكم
فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر
فتى كان أحيا من فتاة حياء
وأشجع من ليث بخفان خادر
(خفان : موضع قرب الكوفة ، وهو مأسدة ، كما قال ياقوت . والأسد الخادر : المقيم فى عرينه وهو خدره) .

وقال الفضل بن عباس بن عتبة :

إننا أناس من سجيننا
صدق الحديث ووأينا حتم
لبسوا الحياء فإن نظرت حسبهم
سقموا ولم يمسهم سقم

وقال الشماخ :

أجامل أقواما حياء وقد أرى
صدورهم تغلى على مراضها
وقال آخر :

حياءك فاحفظه عليك فإنما
يبدل على فضل الكريم حياؤه

إذا قل ماء الوجه قل حياة
ولا خير في وجه إذا قل ماء
وقال آخر :

ورب قبيحة ما حال بيني
وبين ركوبها إلا الحياة
إذا رزق الفتى وجهها وقاها
تقلب في الأمور كما يشاء
وقال محمد بن حازم :

وانى ليشينى عن الجهل والخناس
وشتم ذوى القرى خلائق أربع :
حياء وإسلام وتقوى وأننى
كريم، ومثلى قد يضر وينفع
وقال آخر :

إياك أن تزدري الرجال فما
تعلم ماذا يجنسه الصدف
نفس الجواد الكريم باقية
فيه وإن كان مسه عصف
والحر حر وإن ألم به الـ
ضر وفيه الحياء والأنف

(العجف - بالتحريك - ذهاب السمن ، وبقاء الهزال من
الجوع ، ويريد هنا أن الهزال يدركه من الجوع تعففا عن
السؤال . والأنف - بالتحريك - كالأنفة ، وهما : الحمية
والإباء) .

وقال آخر :

كريم يفض الطرف فضل حياته
ويدنو وأطراف الرماح دواني
وكالسيف إن لا ينته لان منه
وحده إن خاشسته خشنان
وقال العرجى :

إذا حرم المرء الحياء فإنه
بكل قبيح كان منه جدير

له قحة في كل شيء، وسره
مباح، وخذناه خنا وغرور
يرى الشتم مدحا والدناءة رفعة
وللسمع منه في العظائم نفور
ووجه الحياء ملبس جلد رقة
بغض إليه ما يشين كثير
له رغبة في أمره وتجرده
حليم لدى جهل الجهول وقور
فرج الفتى ما دام يحيا فإنه
إلى خير حالات المنيب يصير
(لباب الآداب / ٢٧٩ - ٢٨٧) .

ومن أحوال أدب الرياضة والاستصلاح التي ذكرها الإمام
أبو الحسن البصري الماوردي حين تناول موضوع أدب النفس
ما أورده عن الحياء إذ يقول عنه : اعلم أن الخير والشر معان
كامنة تعرف بسمات دالة كما قالت العرب في أمثالها : تخبر
عن مجهوله مرآة وكما قال سلم بن عمرو الشاعر :

لا تسأل المرء عن خلائقه في وجهه شاهد من الخير
فسمة الخير البدعة والحياء وسمة الشر القحة والبداء
وكفى بالحياء خيرا أن يكون على الخير دليلا وكفى بالقحة
والبداء شرا أن يكونا إلى الشر سبيلا وقد روى حسان بن عطية
عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : «الحياء والعى
شعبتان من الإيمان والبداء والبيان شعبتان من النفاق» ويشبه
أن يكون العى فى معنى الصمت والبيان فى معنى التشدد كما
جاء فى الحديث الآخر « إن أبغضكم إلى الثرثارون المتفيهقون
المتشدقون » وروى أبو سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن
رسول الله ﷺ قال : « الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة
والبداء من الجفاء والجفاء فى النار » وقال بعض الحكماء :
من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه . وقال بعض البلغاء :
حياة الوجه بحيائه كما أن حياة الغرس بمائه . وقال بعض
البلغاء العلماء : يا عجبا كيف لا تستحي من كثرة ما لا
تستحي وتتقى من طول ما لا تتقى . وقال صالح بن عبد
القدوس :

إذا قل ماء الوجه قل حياة
ولا خير في وجه إذا قل ماء

حياءك فاحفظه عليك وإنما

يسدل على فعل الكريم حياؤه
وليس لمن سلب الحياء صاد عن قبيح ولا زاجر عن
محذور فهو يقدم على ما يشاء ويأتى ما يهوى وبذلك جاء
الخبر. روى شعبة عن منصور بن ربيع عن أبي منصور
البدري قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مما أدرك الناس من
كلام النبوة الأولى يا بن آدم إذا لم تستحي فاصنع ما شئت »
وليس هذا القول إغراء بفعل المعاصي عند قلة الحياء كما
توهمه بعض من جهل معانى الكلام ومواضع الخطاب .
وفى مثل هذا الخبر قول الشاعر :

إذا لم تخش عاقبة الليالى

ولم تستحي فاصنع ما تشاء

فلا والله ما فى العيش خير

ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يعيش المرء ما استحييا بخير

ويبقى العود ما بقى للحياء

واختلف أهل العلم فى معنى هذا الخبر . فقال أبو بكر
ابن محمد الساسى فى أصول الفقه معنى هذا الحديث : أن
من لم يستحي دعاه ترك الحياء إلى أن يعمل ما يشاء لا يردعه
عنه رادع فليستحي المرء فإن الحياء يردعه . وسمعت من
يحكى عن أبي بكر الرازى من أصحاب أبي حنيفة : أن
المعنى فيه إذا عرضت عليك أفعالك التى هممت بفعلها فلم
تستحي منها لحسنها وجمالها فاصنع ما شئت منها فجعل
الحياء حكما على أفعاله وكلا القولين حسن والأول أشبه لأن
الكلام خرج من النبى ﷺ مخرج الذم لا مخرج الأمر . لكن قد
جاء الحديث بما يضاهى القول الثانى وهو قوله ﷺ « ما
أحببت أن تسمعه أذنك فأته وما كرهت أن تسمعه أذنك
فاجتنبه » ويجوز أن يحمل هذا الحديث على المعنى الصريح
فيه ويكون التأويل الأول فى الحديث المتقدم أصح إذ ليس
يلزم أن تكون أحاديث رسول الله ﷺ كلها متفقة المعانى بل
اختلاف معانيها أدخل فى الحكمة وأبلغ فى الفصاحة إذا
يضاد بعضها بعضا .

واعلم أن الحياء فى الإنسان قد يكون من ثلاثة أوجه :
أحدها حياؤه من الله تعالى ، والثانى حياؤه من الناس ،
والثالث حياؤه من نفسه . فأما حياؤه من الله تعالى فيكون

بامتنال أوامره والكف عن زواجه . وروى ابن مسعود أن النبى
ﷺ قال « استحيوا من الله عز وجل حق الحياء » فقليل يا
رسول الله فكيف نستحيى من الله عز وجل حق الحياء قال « من
حفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وترك زينة الحياة الدنيا
وذكر الموت والبلى فقد استحييا من الله عز وجل حق الحياء »
(سبق أن أوردنا هذا الحديث من تيسير الوصول ٢ / ٢٢) وهذا الحديث
من أبلغ الوصايا .

وقال أبو الحسن الماوردى مصنف الكتاب : رأيت
رسول الله ﷺ فى المنام ذات ليلة فقلت يا رسول الله أوصنى
فقال : استحي من الله عز وجل حق الحياء ثم قال : تغير
الناس قلت : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : كنت أنظر إلى
الصبي فأرى من وجهه البشر والحياء وأنا أنظر إليه اليوم فلا
أرى ذلك فى وجهه . ثم تكلم بعد ذلك بوصايا وعظات
تصورتها وأذهلنى السرور عن حفظها ووددت لو أنى حفظتها
فلم يبدأ بشيء ﷺ قبل الوصية بالحياء من الله عز وجل وجعل
ما سلبه الصبي من البشر والحياء سببا لتغير الناس وخص
الصبي لأن ما يأتبه بالطبع من غير تكلف فصلى الله وسلم
على من هدى أمته وتابع إنذارها وقطع أعارها وواصل تأديبها
وحفظ تهذيبها وجعل لكل عصر حظا من زواجه ونصيها
من أوامره أعاننا الله على قبولها بالعمل وعلى استدامتها
بالتوفيق .

وقد روى أن علقمة بن علاثة قال يا رسول الله عظمى :
فقال رسول الله ﷺ « استحي من الله تعالى استحياءك من ذوى
الهيبة من قومك » وهذا الحياء يكون من قوة الدين وصحة
اليقين ولذلك قال النبى ﷺ : « قلة الحياء كفر » يعنى من الله
لما فيه من مخالفة أوامره . وقال ﷺ « الحياء نظام الإيمان فإذا
انحل نظام الشيء تبدد ما فيه وتفرق » .

وأما حياؤه من الناس فيكون بكف الأذى وترك المجاهرة
بالقبيح وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من تقوى الله اتقاء
الناس » وروى أن حذيفة بن اليمان أتى الجمعة فوجد الناس
قد انصرفوا فتنكب الطريق عن الناس وقال : لا خير فيمن لا
يستحي من الناس ، وقال بشار بن برد :

ولقد أصرف الفؤاد عن الشئ

ع حياء وجبته فى السواد

أمسك النفس بالعفاف وأمسى

ذاكرا فى غد حديث الأعادى

وإنسى لأرى من لا حياء له
ولا أمانة وسط القوم عريانا
(أدب الدنيا والدين / ٢٩٨-٣٠٢).

(لسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٧٩، ١٠٨٠، وشرح متن الأربعين النووية للإمام يحيى بن شرف النووي - تحقيق وتعليق عبد الله إبراهيم الأنصاري، بدون اسم الناشر وبدون تاريخ / ٧٧، ٧٨، ومختصر شعب الإيمان للبيهقي - اختصار القزويني / ٩٠، والأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي - قدم له وأتمه الشيخ أحمد حسن جابر رجب - هدية مجلة الأزهر، صفر ١٤٠٩هـ / ٢١، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الدبيع الشيباني ٢ / ٢٢، ٢٣، ومكارم الأخلاق للحافظ ابن أبي الدنيا - تحقيق وتعليق مجدي السيد إبراهيم / ٣٤، ٤١، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١ / ٣٩٧، ٣٩٨، ولباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ - تحقيق أحمد محمد شاكر / ٢٧٩-٢٨٧، وأدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي - حققه وعلق عليه ووضع فهرسه محمد فتحي أبو بكر / ٢٩٨-٣٠٢. انظر أيضا الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري / ١٦٧-١٧٠، ومنهاج المسلم - أبو بكر جابر الجزائري / ١٥٤-١٥٦، واللطائف والظرائف لأبي منصور الثعالبي / ١٤٢-١٤٤، والأدب المفرد للإمام البخاري / ١٧٥-١٧٧، وشرح الأربعين حديثا النووية للإمام العلامة ابن دقيق العيد / ٥٢، ٥٣).

ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من الموسوعة الجامعة للخط العربي - كتبها محمد حداد / ١٤٨.

* الحيات (جامع -):

مسجد هام بمدينة سوريا يرجع تاريخه إلى القرن السابع الهجري، ويعرف أيضا باسم جامع أبي الفداء (وهو الملك المؤيد إسماعيل أبو الفداء صاحب حماة) كما يعرف باسم جامع الدهشة، وقد نقش على أحد أعمدة أروقة القبلة صورة حية ملتفة ولذلك سمي بجامع الحيات ولا يزال الجامع يحتفظ بالكثير من فسيفسائه الذهبية والمتعددة الألوان. كما لا يزال يحتفظ ببلوخته التأسيسية التي جاء فيها : أمر بعمل هذا الجامع المبارك السلطان الملك المؤيد عماد الدنيا والدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين ابن الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب في شهور سنة سبع وعشرين وسبعمائة.

وهذا النوع من الحياء قد يكون من كمال المروءة وحب الشاء ولذلك قال عليه السلام : « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له » يعني والله أعلم لقلة مروءته وظهور شهوته . وروى الحسن عن أبي هريرة قال : قال عليه السلام « إن مروءة الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه ومجلسه وإلقه وجليسه » . وقال بعض الشعراء :

ورب قبيحة ما حال بيني
وبين ركبويها إلا الحياء
إذا رزق الفتى وجهها وقاها
تقلب في الأمور كما يشاء
وقال آخر :

إذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا
وتستحي مخلوقا فما شئت فاصنع
وأما حياؤه من نفسه فيكون بالعفة وصيانة الخلوات . وقال بعض الحكماء : ليكن استحيائك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك . وقال بعض الأدباء : من عمل في السر عملا يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر. ودعا قوم رجلا كان يألف عشرتهم فلم يجبههم وقال : إنني دخلت البارحة في الأربعين وأنا أستحي من سني . وقال بعض الشعراء :

فسرى كإصلائي وتلك خليقتي
وظلمة ليلي مثل ضوء نهاري
وهذا النوع من الحياء قد يكون من فضيلة النفس وحسن السرية فمتى كمل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة فقد كملت فيه أسباب الخير وانتفت عنه أسباب الشر وصار بالفضل مشهورا وبالجميل مذكورا وقال بعض الشعراء :

وإنى ليثني عن الجهل والخنس
وعن شتم ذي القربى خلائق أربع
حياء وإسلام وتقوى وإنسى
كريم ومثل من يضمر وينفع
وإن أخل بأحد وجوه الحياء لحقه من النقص بإخلاله بقدر ما كان يلحقه من الفضل بكماله . وقد قال الرياشي : يقال إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يتمثل بهذا الشعر :
وحاجة دون أخرى قد سنحت لها
جعلتها للشيء أخفيت عنوانها

(المجتمع الإسلامي في بلاد الشام - د. أحمد رمضان أحمد /

۱۴۰).

انظر مادة « حلب » في م ۱۴ / ۴۵۷ - ۴۷۱).

* الحیات (جبل -):

قال عنه القزويني :

جبل الحیات بأرض تركستان فيه حیات من نظر إليها يموت إلا أنها لا تخرج من ذلك الجبل البتة .

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ۱۱۲).

* ابن حياتي (۷۱۸-۷۸۱ أو ۷۸۸هـ) :

ذكره ابن الخطيب في وفيات سنة ۷۸۱هـ وقال عنه :

قال عنه ابن الخطيب الشهير بابن قنفذ :

توفي شيخنا الأستاذ أبو عبد الله محمد بن حياتي بمدينة فاس سنة إحدى وثمانين وسبعمائة وكان له تحقيق في النحو والقراءات وطلب منه بعض الناس أن يقرأ عليه « الجزولية » في النحو فأخذها الأستاذ في يده وقصد شيخنا ومفيدنا أبا العباس أحمد بن الشماخ المراكشي لمعرفته بفن المنطق وقرأ عليه استفتاحها في الجنس والنوع وأنا حاضر ثم قرأها في عشية يومه وهذا من إنصافه وتحقيقه رحمه الله تعالى اهـ .

وابن حياتي هو محمد بن علي بن حياتي ، أبو عبد الله : فقيه ، مقرر ، نحوي ، ولد سنة ۷۱۸هـ ، ونشأ بغرناطة وقرأ بها على ابن الفخار وغيره ، وانتقل إلى فاس فأخذ بها عن أبي العباس اليفرنى المكناسي وقاضى الجماعة ابن عبد الرزاق . قال التنبكتي : قال السراج في فهرسته : توفي يوم الخميس ثامن جمادى الأولى عام ثمان وثمانين وسبعمائة ، وقال ابن الخطيب القسطنطيني توفي سنة إحدى وثمانين وسبعمائة ، وهو خلاف ما تقدم في وفاته والأول أشبه ... » انظر : « النيل الابتهاج » / ۲۷۲ .

(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسطنطيني - تحقيق

عادل توبهض / ۳۷۵ وهامش ۱ للمحقق) .

* ابن حيان (۳۷۷-۴۶۹هـ / ۹۸۷-۱۰۷۶م) :

قال عنه الزركلي :

حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء ، أبو مروان ، مؤرخ ، بحاث ، من أهل قرطبة . كان صاحب لواء

التاريخ في الأندلس ، أفصح الناس بالتكلم فيه ، وأحسنهم تنسيقاً من كتبه « المقتبس في تاريخ الأندلس » مخطوط مجلدان منه ، ويقع في عشر مجلدات ، طبع جزء منه في سيرة الأمير عبد الله بن محمد الأموي بقرطبة . وأحداث عصره وله « المبين » .

قالت المؤلفة : ذكره محمد عبد الله عنان في تراجمه باسم « المتين » (ص ۲۷۶) وقال عنه إنه تاريخ للأندلس تبالغ بعض الروايات في ضخامته ، وتصفه بأنه يقع في ستين جزءاً اهـ . كذلك ذكره الدكتور إسماعيل العربي في مقدمة تحقيقه لكتاب « المقتبس » (ص ۸) باسم « المتين » ويقول إن حاجي خليفة صاحب كشف الظنون أورده بتحريف باسم « المبين » .

يقول الزركلي : وله كتاب في « تراجم الصحابة » وجد منه الجزء الثالث (الأعلام ۲ / ۲۸۹) .

يقول محمد عبد الله عنان بعد أن بسط القول في كتاب « المقتبس » مما نقله لك في حرف الميم إن شاء الله تعالى : ونحن نعرف أن ابن حيان قد كتب غير « المقتبس » مؤلفين آخرين هما « المتين » وهو تاريخ للأندلس تبالغ بعض الروايات في ضخامته ، وتصفه بأنه يقع في ستين جزءاً ، وكتاب « المآثر العامرية » ، أو « أخبار الدولة العامرية » وهو أيضاً مؤلف ضخم ، يقص فيه ابن حيان سيرة المنصور بن أبي عامر ، وتفاصيل غزواته ، ولو وصل إلينا هذا الكتاب أو بعض أجزائه لكان لدينا عن المنصور أعظم الروايات والوثائق ، لأن ابن حيان نشأ في أواخر عهد المنصور ، وكان أبوه ضمن وزراء المنصور ، ولكن لم يصلنا مع الأسف الشديد شيء منه . ولابن حيان فوق ذلك كتاب « البطشة الكبرى » ، وهو كتاب يتضمن تفاصيل سقوط دولة بني جهور أمراء قرطبة الذين خدمهم ابن حيان . ولم يصلنا شيء من هذه المؤلفات الأخيرة غير بعض الشذور القليلة التي نقلها الكتاب المتأخرون ، وقد كتب ابن حيان رسائل أخرى منها كتاب معرفة التابعين ، وهو فيما يبدو فصل من المقتبس ، وأخبار القضاة ، والجامع لمآثر بني خطاب . ولكننا لا نعرف شيئاً عن هذه الرسائل أكثر من عناوينها .

وعاش ابن حيان أكثر من تسعين عاماً ، وتوفي في اليوم

السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٤٦٩هـ (٣١ أكتوبر سنة ١٠٧٦م) ودفن بمقبرة الرضف في جنوب شرقي قرطبة، على مقربة من نهر الوادي الكبير، وكانت مشوى العظماء والكبراء (تراجم شرقية وأندلسية ٢٧٦، ٢٧٧).

(الأعلام للزركلي ٢/ ٢٨٩، وتراجم إسلامية شرقية وأندلسية - محمد عبد الله عنان / ٢٧٦، ٢٧٧).

* أبو حيان (٦٥٤-٧٤٥هـ / ١٢٥٦-١٣٤٤م):

قال عنه صاحب إشارة التعيين:

الشيخ الإمام العلامة حجة العرب، سيويه المتأخرين أثير الدين أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفري الأندلسي الغرناطي مولدا ومنشأ، شيخ البلاد المصرية (قدم الديار المصرية سنة ٦٧٩)، والشامية، انتهت إليه رئاسة العربية في زمانه، وقصده الطلاب لعلم الإعراب، ووضع فيه المصنفات الباهرة، من مطولات زاهرة، ومختصرات فاخرة، أحرز بها الدار الآخرة، تنيف على الخمسين، أعجز بها من أعجز، ما بين مسهب وموجز، فمن ذلك: البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم (يأتي الكلام عليه فيما بعد) والوهاب في اختصار المنهاج في مذهب الشافعي والتكميل لشرح التسهيل، ومنهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك، وشرح التسهيل (في بغية الوعاة: «التذيل والتكميل في شرح التسهيل») يدخل في عشرة أجزاء، وزهو الملك في نحو الترك، وكتاب الأسفار الملخص من كتاب الخفاف والصفار من كتاب سيويه (في البغية: الإسفار الملخص من شرح سيويه للصفار)، والمبدع في اختصار الممتع، والموفور من شرح ابن عصفور، وغاية الإحسان في علم اللسان، وكتاب التذكرة في النحو، وهو كتاب كبير، وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، وكتاب الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء، وعقد اللآلي في القراءات السبع العوالي (ذكر السيوطي أنها في القراءات على وزن الشاطبية وقافيتها)، والمورد الغمر في قراءة ابن عمرو، والأثير في قراءة ابن كثير، وغاية المطلوب في قراءة يعقوب، والحلل الحالية في الأسانيد العالية، والأمالى في شرح عقد اللآلي، والنكت الحسان في شرح غاية الإحسان، وكتاب الشذا في مسألة كذا، وغير ذلك، وله

ديوان شعر، الأدب مقصور عليه (ذكر الفيروزآبادي ارتشاف الضرب في علم لسان العرب، وهو أحسن مصنفاته).

قرأ عليه الجهم الغفير، فبلغوا في الفضل ما هو للأثير (في البلغة «فبلغوا في الفضل ذروة الأثير»).

مولده في أخريات شوال سنة أربع وخمسين وستمائة بمطبخشارش (من أعمال غرناطة، وفي البلغة «مطبخشارش».

انظر بغية الوعاة، وطبقات ابن قاضي شهاب (من حصون غرناطة، كتب لي بخطه أبقاه الله، في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بالقاهرة المحروسة إجازة بجميع ما يرويه وما صنفه، أحسن فيها غاية الإحسان، وقلدنيها أنواع الامتنان اهـ) إشارة التعيين / ٢٩٠-٢٩٢).

وقال عنه الداودي (٢ / ٢٨٦ - ٢٩١، وقد ذكر نسبته النفري بالزاي المعجمة وقال: نسبة إلى نفزة قبيلة من البربر):

نحوى عصره، ولغويه، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه.

ولد بمطبخشارش، مدينة من حضرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة.

وأخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطباع، والعربية عن أبي الحسن الألبدي، وأبي جعفر بن الزبير، وابن أبي الأحوص، وابن الصائغ، وأبي جعفر اللبلى. وبمصر عن البهاء بن النحاس، وجماعة.

وتقدم في النحو، وأقرأ في حياة شيوخه بالمغرب، وسمع الحديث بالأندلس وإفريقية والإسكندرية ومصر والحجاز. من نحو أربعمائة وخمسين شيخا، منهم أبو الحسين بن ربيع، وابن أبي الأحوص، والرضي الشاطبي، والقطب القسطلاني، والعز الحرائي.

وأجاز له خلق من المغرب والمشرق منهم الشرف الدمياطي، والتقى ابن دقيق العيد، والتقى ابن رزين، وأبو اليمن بن عساكر.

وأكب على طلب الحديث وأتقنه وبرع فيه. وفي التفسير والعربية. والقراءات، والأدب، والتاريخ واشتهر اسمه، وطار صيته، وأخذ عنه أكابر عصره، وتقدموا في حياته، كالشيخ تقي الدين السبكي، وولديه، والجمال السنوي،

ظاهر اللون ، مشرباً بحمرة ، منور الشيبة ، كبير اللحية ، مسترسل الشعر .

وكان يعظم الشيخ تقي الدين بن تيمية ، ثم وقع بينه وبينه في مسألة نقل فيها أبو حيان شيئا عن سيوييه ، فقال ابن تيمية : وسيوييه كان نبي النحو لقد أخطأ سيوييه في ثلاثين موضعا من كتابه ، فأعرض عنه ورماه في تفسيره « النهر » بكل سوء .

قال الصفدي : وكان له إقبال على الطلبة الأذكياء وعنده تعظيم لهم ، وهو الذي جسر الناس على مصنفات ابن مالك ورغبهم في قراءتها ، وشرح لهم غامضها ، وخاض بهم لججها .

وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب : هذه نحو الفقهاء .

تولى تدريس التفسير بالمنصورية ، والإقراء بجامع الأقم ، وكانت عبارته فصيحة ، لكنه في غير القرآن يعقد القاف قريبا من الكاف .

وله من التصانيف : « البحر المحيط في التفسير » ، « النهر » مختصره ، « إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب » ، « التذيل والتكميل في شرح التسهيل » ، « مطول الارتشاف ومختصره » مجلدان .

قال شيخنا الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى : ولم يؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين ، ولا أجمع ولا أحصى للخلاف والأقوال ، « التنخيل الملخص من شرح التسهيل » للمصنف وابنه بدر الدين ، « الإسفار الملخص من شرح سيوييه للصفار » ، « التجريد لأحكام كتاب سيوييه » ، « التذكرة في العربية » أربع مجلدات كبار ، « التقريب » ، « مختصر المقرب » ، « التدريب في شرحه » ، « المبدع في التصريف » ، غاية الإحسان « في النحو » الشذا « في مسألة كذا » ، « اللوحة البدرية في علم العربية » ، « الشذرة » كلاهما في النحو ، « الارتضاء في الضاء والطاء » ، « عقد اللآلي في القراءات » على وزن الشاطبية وقافيتها ، « الحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية » ، « نحة الأندلس » ، « الأبيات الوافية في علم القافية » ، « منطق الخرس في لسان الفرس » ، « الإدراك للسان الأتراك » .

ومما لم يكمل « شرح الألفية » ، « نهاية الإغراب في

وابن قاسم ، وابن عقيل والسمين ، وناظر الجيش ، والسفاسي وابن مكتوم ، وخلائق .

قال الصفدي : لم أره قط إلا يسمع أو يشغل ، أو يكتب أو ينظر في كتاب ، وكان ثباتا قيما ، عارفا باللغة ، وأما النحو والتصريف هو الإمام المجتهد المطلق فيهما ، خدم هذا الفن أكثر عمره ، حتى صار لا يدركه أحد في أقطار الأرض فيهما غيره .

وله يد طولى في التفسير والحديث ، وتراجم الناس ومعرفة طبقاتهم ، خصوصا المغاربة وأقرأ الناس قديما وحديثا ، وألحق الصغار بالكبار ، وصارت تلامذته أئمة وأشياخا في حياته ، والتزم ألا يقرئ أحدا إلا في « كتاب سيوييه » ، أو « التسهيل » أو مصنفاته .

وكان سبب رحلته عن غرناطة أنه حملته حدة الشيبة على التعرض للأستاذ أبي جعفر بن الطباع ، وقد وقعت بينه وبين أستاذه أبي جعفر بن الزبير واقعة ، فنال منه وتصدى لتأليف في الرد عليه وتكذيب روايته ، فرفع أمره إلى السلطان ، فأمر بإحضاره وتنكيله فاخفى ، ثم ركب البحر ، ولحق بالمشرق .

وذكر هو في كتاب « النصار » الذي ألفه في ذكر مبدئه واشتغاله وشيوخه ورحلته ، أن مما قوى عزمه على الرحلة عن غرناطة أن بعض العلماء بالمنطق والفلسفة والرياضية والطبيعية قال للسلطان : إني قد كبرت وأخاف أن أموت ، فأرى أن ترتب لي طلبة أعلمهم هذه العلوم ، لينفعوا السلطان من بعدى .

قال أبو حيان : فأشير إلى أن أكون من أولئك .

قال الصفدي : وقرأ على العلم العراقي ، وحضر مجلس الأصبهاني ، وتمذهب للشافعي ، وكان أبو البقاء يقول : إنه لم يزل ظاهريا .

قال الحافظ ابن حجر : كان أبو حيان يقول : محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه .

قال الأديب : وكان يفخر بالبخل كما يفخر الناس بالكرم ، وكان ثباتا صدوقا حجة سالم العقيدة من البدع الفلسفية والاعتزال والتجسيم ، ومال إلى مذهب أهل الظاهر وإلى محبة علي بن أبي طالب ، كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرآن وكان شيخا طوالا حسن النعمة ، مليح الوجه ،

التصريف والإعراب»، أرجوزة، «نور الغبش في لسان الحبش»، «مجانى الهصر في تواريخ أهل العصر» وله «ديوان شعر».

وحدث، فسمع منه الأئمة العلماء والحفاظ وغيرهم، وأضر قبل موته بقليل.

مات بالقاهرة في صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة، ودفن بمقابر الصوفية.

ومن شعره :

عــداى لهم فضل على ومنــة

فلا أذهب الرحمن عني الأعاديـا

هم بحثوا عن زلتى فاجتبتها

وهم نافسونى فاكسبت المعاليـا

(طبقات المفسرين ٢/ ٢٨٦-٢٩٠).

ذكره الكتانى فى مؤلفى كتب الفوائد الحديثية (الرسالة المستطرفة / ٧٥) كما ذكره الحافظ السيوطى فىمن كان بمصر من أئمة النحو واللغة، وأورد قصيدة رثاء الصلاح الصفدى له، ونقلها لك فيما يلى : ويلاحظ أنه يستخدم ألفاظا تتصل بعلم النحو :

مات أثير السدين شيخ الـورى

فاستعمر البارق واستعبرا

ورق من حسن نسيم الصبـر

واعتل فى الأسحار لما سـرى

وصادحات الأيك فى نسوحهما

رثته فى السجع على حـرف را

يا عين جودى بالدموع التى

يروى بها ما ضمه من ثـرى

واجرى دما فى الخطب فى شأنه

قد اقتضى أكثر مما جرى

مات إمام كان فى علمه

يرى إماما والورى من ورا

أمسى منادى للبلـا مفردا

فضمه القبر على ما نـرى

يا أسفا كان هدى ظاهرا

فعاد فى تربته مضمرا

وكان جمع الفضل فى عصره

صح فلمنا أن قضى كسرا

وعُرف الفضل به برهـة

والآن لمنا أن مضى نكرا

وكان ممنوعا من الصرف لا

يطرق من وافته خطب عرا

لا أفعل التفضيل منا بينـه

وبين من أعرفه فى الـورى

لا بـدل عن نعمته بـالتقى

ففعله كان له مصدرا

لم يندغم فى اللحد إلا وقد

فك من الصبر وثيق العـرا

بكى له زيد وعمرو فمن

أمثلة النحـو وممن قـرا

ما عقل التسهيل من بعـده

فكم له من عمره يسـرا

وجسـر الناس على خوضه

إذ كان فى النحو قد استبحرا

من بعده قد حال تميزه

وحظـه قد رجع القهـرى

شارك من ساواه فى فنـه

وكم له فن به استأثرا

دأب بنى الآداب أن يغسلوا

بدمعهم فيه بقايا الكـرى

والنحو قد سار الردى نحوه

والصـرف للتصريف قد غيرا

واللغة الفصحى غدت بعـده

يلغى السدى فى ضبطها قـرا

تفسيره البحر المحيط السدى

يهـدى إلى وارده الجـوهـرا

ويناقش ويجادل، حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير.

وينقل أبو حيان في تفسيره كثيرا من تفسير الزمخشري وتفسير ابن عطية. ولا سيما ما يتعلق بمسائل النحو ووجوه الإعراب، ويتعقبها كثيرا بالرد، ويحمل على الزمخشري أحيانا حملات قاسية، وإن كان يشيد بما له من مهارة فائقة في تجلية بلاغة القرآن وقوة بيانه.

ولا يرضى أبو حيان عن اعتزاليات الزمخشري فينقدها ويردها بأسلوب ساخر، ويعتمد في أكثر نقوله على كتاب «التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير» وهو لشيخه: جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان المقدسي المعروف بابن النقيب، ويذكر أبو حيان عنه أنه أكبر كتاب صنف في علم التفسير، يبلغ في العدد مائة سفر أو يكاد (مباحث في علوم القرآن / ٣٢٩).

(إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني - تحقيق د. عبد المجيد دياب / ٢٩٠-٢٩٢ وقد وضعنا هوامش المحقق بين أقواس في ثنايا النص، وطبقات المفسرين للداودي بتحقيق علي محمد عمر ٢/ ٢٨٦-٢٩١، والرسالة المستطرفة للكتاني / ٧٥، وحسن المحاضرة للسيوطي - بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم / ١/ ٥٣٤ - ٥٣٦؛ ومباحث في علوم القرآن - مناع القطان / ٣٢٩ - انظر أيضا نشأة النحو - الشيخ محمد الطنطاوي / ٢٦٦، والأعلام للزركلي ٧/ ١٥٢ وقد أدرجه تحت عنوان «أبو حيان النحوي»).

له ترجمة في الأعلام ٨/ ٢٦ وبغية الوعاة ١/ ٢٨٠-٢٨٥ والبلغة / ٢٠٣ والبدر الطالع ٢/ ٢٨٨-٢٩١ والدرر الكامنة ٤/ ٣٠٢-٣١٠ وشذرات الذهب ٦/ ١٤٥-١٤٧ وطبقات الشافعية ٦/ ٣١-٤٤ (ط الحسينية) وطبقات ابن قاضي شهبة ١/ ١٥٣-١٥٧ وطبقات القراء ٢/ ٢٨٥-٢٨٦ وفوات الوفيات ٢/ ٢٨٢-٢٨٥ وكشف الظنون / ٥ و ٦ و ٤٩ و ٦١ و ١٥٣ و ٢٦٦ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٣٦٢ و ٣٩٣ و ٤٠٥ و ٦٨٨ و ٧١٧ و ٩١٨ ومعجم الثقافة ١٢٩٤١٢ ص ١٤ و ١٦ و ١٩ لمحمد عبد الغنى حسن، ومعجم المؤلفين ١٢/ ١٣٠ والنجوم الزاهرة ١٠/ ١١١-١١٥ ونفع الطيب ٩/ ٣٣١ وهدية العارفين ٢/ ١٥٢-١٥٣، وذيل طبقة الحفاظ / ٢٣، وذيل العبر / ٢٤٥، والمقفى ورقة ٢٤١.

فوائد من فضله جملة
عليه فيها نعقد الخنصر
وكان ثبنا نقله حجة
مثل ضياء الصبح إذ أسفرا
ورحلة في سنة المصطفى
أصدق من تسمع إن خبرا
له الأسانيد التي قد علت
فاستسفلت عنها سوامي السار
ساوي بها الأحفاد أجدادهم
فأعجب لماض فاتته من طرا
وشاعرا في نظم مقلدا
كم حصر اللفظ وكم جبرا
له معان كلما خطها
تسمر ما يرقم في تسترا
أفديه من ماض لأمر السردى
مستقبلا من ربه بالقبرى
ما بات في أبيض أكفانه
إلا وأضحى سندسا أخضرا
تصافح الحور له راحة
كم تعبت في كل ما سطرا
إن مات فالذكر له خالدا
يحيى به من قبل أن ينشرا
جواد ثرى وأراه غيث إذا
مساه بالسقيال له بكرا
وخصه من ربه رحمة
تورده في حشره الكوثر
أما عن تفسير أبي حيان «البحر المحيط» فقد أدرجه الشيخ مناع القطان في الكتب المؤلفة في التفسير بالرأى وقال عنه :
ويقع هذا التفسير في ثمانى مجلدات كبار، وهو مطبوع متداول، ويهتم أبو حيان فيه بذكر وجوه الإعراب، ومسائل النحو، ويتوسع في هذا فيذكر الخلاف بين النحويين،

(إشارة التعيين / ٢٩٠ هامش المحقق).

قالت المؤلفة : بالنسبة لكتاب أبى حيان « اللوحة البدرية فى علم العربية » عندى كتاب بعنوان « شرح اللوحة البدرية فى علم العربية » لأبى حيان الأندلسي - ابن هشام الأنصارى - تحقيق وشرح وتعليق وتبويب د. صلاح روى . الناشر هو المؤلف سنة ١٩٨٤ .

* أبو حيان الأندلسي :

انظر : أبو حيان .

* أبو حيان التوحيدى (نحو ٤٠٠ هـ / نحو ١٠١٠ م) :

هو أبو حيان على بن محمد بن أحمد بن العباس البغدادي المعروف بالتوحيدى ، شيرازي الأصل ، وقيل واسطى ، وقيل نيسابورى .

فيلسوف ، متصوف معتزلى ، نعتة ياقوت الحموى بشيخ الصوفية ، وفيلسوف الأدباء ، وأديب الفلاسفة ، وإمام البلغاء . تفقه على القاضي أبى حامد المروروزي ، وسمع الحديث من أبى بكر الياضى وأبى سعيد السيرافى وجعفر الخلدى ، ولعله أخذ عنه التصوف ، وغيرهم . ولد فى شيراز أو فى نيسابور ، وأقام ببغداد مدة ثم انتقل إلى الري ، فصحب أبا الفضل ابن العميد والصاحب بن عباد ، فلم يحمدهما ، وصنف فى مثالبهما كتاب « مثالب الوزيرين » . ثم وشى به إلى الوزير الحسن بن محمد المهلبى (٢٩١ - ٣٥٢ هـ) فاستتر منه ومات فى استتاره نحو سنة ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م عن نيف وثمانين عاما . وقبل موته أحرق كتبه ضنا بها ، قال ابن الجوزى « نادقة الإسلام ثلاثة : الراوندى ، والتوحيدى ، وأبو العلاء المعرى ، وشرهم على الإسلام التوحيدى لأنهما صرحا ولم يصرح » . وقال الذهبى : « كان سيىء العقيدة ، كذابا ، قليل الدين والورع عن القذف والمجاهدة بالبهتان والقذح فى الشريعة » . وذكره السبكى فى طبقاته وقال : « والحامل للذهبي على الوقعة فيه مع ما يبطنه من بغض الصوفية هذان الكلامان - يعنى كلام ابن الجوزى والصاحب كما فى الكفاة - ولم يثبت عندى إلى الآن من حال أبى حيان ما يوجب الوقعة فيه ، ووقفت على كثير من كلامه فلم أجده فيه إلا أنه كان قوى النفس مزدريا بأهل عصره ، ولا يوجب هذا أن ينال هذا النيل منه » وقال ابن النجار : « كان صحيح العقيدة » (طبقات الشافعية / ١١٤ - ١١٥) .

وكان أبو حيان التوحيدى من تلاميذ أبى سعيد السيرافى كما سبق القول - ويعد ما كتبه أبو حيان ورواه عن أبى سعيد أهم ما قيل فى التعريف بشيخه ، وقد وصف شيخه بالإمام ، وهو الذى سجل مناظرته مع متى بن يونس . وذكر أيضا أنه قرأ عليه شرح كتاب سيبويه (أخبار النحويين البصريين للسيرافى / ١٧) .

ويعد التوحيدى من أعظم أدباء العربية ، وأسلوبه من السهل الممتنع وله قطعة كتبها على لسان شيخ الشونيزية ببغداد يقلد بها شطحات الصوفية فى غاية الإمتاع والظرف (محاضرة الأبرار ١ / ١٠ نقلا عن معجم الأدباء وبغية الوعاة / ٣٤٨ وميزان الاعتدال ٣ / ٣٥٥) .

آثاره :

لم تبقى يد الحدثان من آثار التوحيدى إلا النزر القليل . وقد أورد ياقوت فى معجمه ثبوت كتب التوحيدى فبلغت سبعة عشر كتابا ، وبالرغم من أن هذا الثبوت لم يستوف جميع آثار التوحيدى فقد صار عمدة لجميع من ذكروا هذه الآثار ، ومن المعلوم أن التوحيدى أحرق فى أواخر حياته كتبه - كما سبق القول - ولا ندري هل كان فقدان أكثر آثاره ناتجا عن هذه الفعلية ، غير أن السيوطى وطاش كبرى زاده يعتقدان « أن النسخ الموجودة الآن من تصانيفه كتبت عنه فى حياته ، وخرجت من قبل حرقها » (بغية الوعاة / ٣٤٨ ، مفتاح السعادة / ١٨٨ / ١) .

ومهما يكن من أمر فإن ما تبقى من آثاره يدل على حياة فكرية خصبة ، وفعالية وافرة فى التأليف .

(أ) الآثار الأدبية :

- الإمتاع والمؤانسة (يأتى الكلام عليه فيما بعد) .

- الصداقة والصديق .

- الهوامل والشوامل .

بصائر القدماء وسرائر الحكماء (المعروف بالبصائر والذخائر) .

- مثالب الوزيرين .

- « النوادر » : كتاب مفقود ، ذكره التوحيدى نفسه فى المقابسات .

الخير والحق والجمال والنظر إليه بعين العقل المجرد والقلب المضاء بالإيمان المطلق والوجه الصوفى المحرق (يأتى المزيد عنه فيما بعد) .

- «الحج العقلى إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعى» : كتاب مفقود، ذكره ياقوت، ويقول صاحب روضات الجنات : «إن كتاب الحج العقلى نظير ما كتبه حسين بن منصور فى كيفية حج الفقراء من اختراعات نفسه المنخدولة، فصار عمدة السبب فى قتله» ويقول مارغليوت : «إن عنوان الكتاب يوحى بالزندقة التى قتل من أجلها الحلاج» .

- «الزلفى» : ذكره صاحب معجم الأدباء، وذيل تجارب الأمم .

- «رياض العارفين» : ذكره صاحب معجم الأدباء .

- «رسالة فى أخبار الصوفية» : ذكرها صاحب معجم الأدباء، ونظيرها «الرسالة القشيرية» التى ألفها القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى سنة ٤٦٥ هـ وحاول فيها الدفاع عن التصوف والتوفيق بينه وبين السنة، والظاهر أن غرض التوحيدى من رسالته محاربة البدع التى طرأت على الطريقة «لكثرة الدخلاء فيها، كما لحق البلاغة لكثرة مدعيها» فأبعدها عن مناهج السنة .

- «رسالة الحياة» : طبعها الدكتور إبراهيم الكيلانى ضمن مجموع ثلاث رسائل لأبى حيان التوحيدى : دمشق ١٩٥١ .
د- كتب التراجم والجدل .

- رسالة فى بيان ثمرات العلوم . ذكرها بروكلمان تحت عنوان «رسالة فى وصف العلوم» ملحق ١/ ٤٣٦، ونشرتها مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة تحت عنوان «رسالة أبى حيان فى العلوم» .

- «رسالة الإمامة» (المعروفة برواية السقيفة) : طبعها الدكتور إبراهيم الكيلانى ضمن مجموع ثلاث رسائل لأبى حيان التوحيدى . دمشق ١٩٥١ .

ألف التوحيدى هذه الرسالة لمواجهة جماعات الرافضة الذين رفضوا رأى الصحابة فى الشيخين، وفضلوا علياً عليهما، وجرت بينهم وبين أهل السنة أحداث وأهوال .

إن هذه الرسالة التى أظهر فيها التوحيدى مقدرته البيانية وفهمه لنفسية الناس وإطلاعه على الأحداث ذات الرجوع الخطير فى تاريخ الإسلام، كانت هدفاً لهجوم واستهجان

- «تقريظ الجاحظ» : وردت منه مقتطفات فى معجم الأدباء فى ترجمة أحمد بن داود الدينورى وأبى سعيد السيرافى .

- «رسالة الحنين إلى الأوطان» : ذكرها صاحب معجم الأدباء .

- «رسالة فى علم الكتابة» : نشرها الدكتور إبراهيم الكيلانى ضمن مجموع «ثلاث رسائل لأبى حيان التوحيدى» .

وتعتبر هذه الرسالة من أمتع وأقدم ما نشر عن الخطوط العربية وقواعدها وأنواعها . وكان التوحيدى بحكم مهنة الكتابة والوراقة معنياً بهذه الصناعة مطلعاً على دقائقها وأسرارها .

(ب) الآثار الفلسفية :

- المقابسات .

- «رسالة فى ضلالات الفقهاء فى المناظرة» .

- «المحاضرات والمناظرات» : وردت مقتطفات منه فى المسامرات والمحاضرات لابن العربى، ومطالع البدور للغزولى وذكره ياقوت مرة تحت عنوان «محاضرات العلماء» معجم الأدباء ١/ ٥٨، ٨/ ١٥٢ .

- «الإقناع» : ذكره صاحب كشف الظنون (ص ٥٢) .

- «التذكرة التوحيدية» : ذكره صاحب غرر الخصائص الواضحة / ٣٣ .

(ج) الآثار الصوفية :

- «الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية» : مخطوط فى جزأين، حفظ الجزء الأول منه فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (رقم ٧ تصوف، وطبعه د. عبد الرحمن بدوى فى القاهرة سنة ١٩٥٠) كتب سنة ٤٧١ هـ، وله مختصر مخطوط فى مكتبة برلين (فهرست إهلوارد رقم ٢٨١٨)، والكتاب مؤلف من ٥٤ رسالة فى المواعظ والأدعية الصوفية «المستحسن البليغة» (شرح نهج البلاغة ٣/ ٨٨) الموجهة إلى مريدى التوحيدى وطلابه، وقد ألفه فى الدور الأخير من حياته أى بعد أن تجاوز الستين بل السبعين من عمره وهدأت ثورة نفسه الجامحة، وجنح إلى حياة روحية صرفة هدفها الاتجاه نحو الله منبع

طلب منه مرة المفاضلة بين العجم والعرب مما دعاه إلى الخوض في قضايا الحضارات القديمة والفلسفة التاريخية ، وأخرى إلى البحث في موضوع الإرادة والاختيار والمحبة والشهوة ، والحساب والبلاغة ، والنظم والنثر ، وقد يطلب ابن العارض من محدثه أن تكون فاتحة الحديث منه ، أو يدفع إليه برقعة فيها أسئلة تقتضى التفكير واستشارة أرباب المعرفة ، أو يطلب إليه « جمع أشياء كان يسمعها من أهل العلم والأدب » لتكون موضوع مناقشة وتعليق .

وقد درج ابن العارض في نهاية كل جلسة على طلب ملححة الوداع ، وهى عادة أبيات من الشعر ، أو حكمة مأثورة ، أو عظة خلقية (أبو حيان التوحيدى / ٣٧ ، ٣٨) .

يوجد مخطوطه المصور بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى :

أوله : مبتور الأول ، وأول الموجود منه : وقال فى وقت آخر : قد بلغنى أن الخالع ... فتحسس لى جهدك ، وجرى فيها محبتك ، وأظن الخالدى قد ماله ، ولست آمن ابن الجلباب ، فإن هؤلاء الثلاثة أضافى العيوب ، وجماع المخازى ولهم اللسان العضب ، والوجه الصفيق ، ولأمر ما قال الناصح : لا تصحب شاعرا فإنه يهجوكم مجانا ...

وأخره : وآخر ما أقول : افعل ما ترى ، واصفح ما تستحسن ، وابلغ ما تهوى فليس والله منك بد ، ولا عنك غنى ، والصبر عليك أهون من الصبر عنك لأن الصبر عنك مقرون باليأس ، والصبر عليك ربما أدى إلى رفع هذا الوسواس ، تم الجزء الثانى ، وهو الثالث من التجزئة وبتمامه تم جميع الكتاب .

وهو نسخة جيدة بقلم نسخى واضح ، جميل ، ومضبوط بالشكل ، كتبت فى القرن السابع .

٢٣٥ ورقة ١٥ سطرا

(امبروزيانا ٨٦)

(فهرس المخطوطات المصورة / ٦٥ ، ٦٦) .

كما توجد نسخة فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانها كما يلى : قال وأضعا القرس :

الأول : (نجا من آفات الدنيا من كان من العارفين ، ووصل إلى الخيرات الآخرة من كان من الزاهدين ...) .

عنيفين من قبل السنيين والشيعة على السواء ، فألصقوا به تهمة الافتعال والانتحال والتطاول على الأئمة الكبار ، وما كان نسبتها إلى أستاذه أبى حامد المروروزى إلا تخلصا لما قد يلحقه من الأذى .

— « المناظرة بين أبى سعيد السيرافى ومتى بن يونس القنائى : عن المفاضلة بين النحو العربى والمنطق اليونانى كما رواها التوحيدى فى الإمتاع والمؤانسة طبع هذه الرسالة على حدة المستشرق مارغليوث ، وقد صدرها بملاحظات عن حال المتناظرين وعلمهما ومنزلة الرواية من الصحة أو الريب ، وألحق المناظرة بترجمتها الإنكليزية .

(هـ) كتب مجهولة المضمون :

— « الرسالة البغدادية » : ذكرها صاحب معجم الأدباء (معجم الأدباء ١٥ / ٧) .

— « رسالة لأبى بكر الطالقانى » : رواها عن أبى حيان التوحيدى . ذكرها بروكلمان (ملحق ١ / ٤٣٦) . راجع فهرست مكتبة بريل رقم ٣٦٠ ليدن (١٨٨٣) .

— « رسالة إلى أبى الفضل بن العميد » : ذكرها بروكلمان (ملحق ١ / ٤٣٦) .

(أبو حيان التوحيدى / ٣٧ - ٥١) .

وقد اختلف اختلافا كثيرا فى سنة وفاته فقال السيوطى وطاش كبرى زاده وابن شاکر: توفى سنة ٣٨٠ ، وقال الذهبى والبغدادى فى إيضاح المكنون والفيروزابادى فى البلغة / ١٤٥ إنه مات سنة ٤٠٠ ، وقال حاجى خليفة إنه مات سنة ٤١٤ أما عن كتاب « الإمتاع والمؤانسة » فهو مطبوع فى ثلاثة

أجزاء صدرت على التوالى فى السنوات ١٩٣٩ ، ١٩٤٢ ، ١٩٤٤ بالقاهرة ، ويتضمن أحاديث شتى سامر بها التوحيدى الوزير البويهى ابن العارض . وقد قسم التوحيدى كتابه إلى أربعين ليلة على غرار ألف ليلة وليلة مع الفرق بين الكتابين وهو أن موضوعات الإمتاع عقلية وواقعية ، وموضوعات ألف ليلة قصصية خيالية . ففى بدء كل ليلة يقترح ابن العارض بعض المسائل الأدبية واللغوية والفلسفية أو العلمية ، وهى على الغالب بنت ساعتها ، أو مما كان يدور فى خلد الوزير ، « ويتدرد فى نفسه » أو مسوقة بتداعى الخواطر ، فكان على التوحيدى ارتجال الجواب عن غير سابق أهبة واستعداد كما

توحيد لا يشوبه إشراك ومعرفة لا يخالطها إنكار. وإن كانت أعمارنا قاصرة عن غايات حقائق التوحيد والمعرفة، فنسألك أن لا ترد علينا هذه الثقة بك فتشمت بنا من لم تكن له هذه الوسيلة إليك. يا حافظ الأسرار، ويا مسبل الأستار، ويا واهب الأعمار، ويا منشىء الأخبار، ويا مولج الليل فى النهار، ويا مصافى الأخيار، ويا مدارى الأشرار، ويا منقذ الأبرار من النار والعار. عد إلينا بصفحك عن زلاتنا، وأنعشنا عند تسابع صرعاتنا وخطر حالنا معك فى اختلاف سكراتنا وصحواتنا، وكن لنا وإن لم نكن لأنفسنا، لأنك أولى بنا، فامزج خوفنا منك برجائنا فيك. وإذا غلب علينا يأسنا منك، فتلقه بالأمل فيك. بشرنا عند توجهنا نحوك بالوصول إليك. متعنا بالنظر إلى نور وجهك. أسبغ علينا نعمتك بما وهبت لنا من توحيدك (الموسوعة الصوفية / ٨٧، ٨٨).

له ترجمة فى الأعلام ٣٢٦/٤، وأمرء البيان لمحمد كرد على ٤٨٨/٢، «دائرة المعارف الإسلامية» مجلد ١ ص ٣٣٣ - ٣٣٥ وما بها من مراجع، و«معجم الأدباء» ١٥/٥ وما بعدها، و«طبقات الشافعية» للسبكي ٢٨٦/٥ وما بعدها، و«بغية الوعاة» ١٩٠/٢ ت ١٧٦٧، و«ميزان الاعتدال» ٣/٣٥٥، و«لسان الميزان» ٣٦٩/٦، و«مفتاح السعادة» ١/١٨٨، والبلغة (على بن أحمد) ١٤٣، والبلغة أيضا (على بن محمد) ١٦٢، وشذ الإيزار للشيرازي ٥٣ - ٥٤، وكشف الظنون / ١٤٠، ١٦٧، ٢٤٦، ٢٥٢، ١٧٧٨، وكنوز الأجداد لمحمد كرد على / ٢٢١ - ٢٣٢، ومعجم المؤلفين ٧/٢٠٥، وهدية العارفين / ٦٨٤ - ٦٨٥، ووفيات الأعيان ٢/٧٩ (إشارة التعيين / ٢٢٦).

(الطبقات الشافعية لأبي بكر بن هداية الله الحسيني - حققه وعلق عليه عادل نويهض - دار الآفاق الجديدة - بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م / ١١٤، ١١٥، وأبو حيان التوحيدي - د. إبراهيم الكيلاني / ٣٧ - ٥١، وأخبار النحويين البصريين - لأبي سعيد السيرافي - تحقيق د. محمد إبراهيم البنا / ١٧، ومحاضرة الأبرار لمحبي الدين بن عربى - تحقيق محمد مرسى الخولى - نوابغ الفكر العربى (٢١) دار المعارف. القاهرة. الطبعة الرابعة ١/١٠ هامش ٢ للمحقق، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، الأدب ج ١ ق ٢. القاهرة ١٩٧٩ م / ٥٦، ٦٦، ومخطوطات الأدب فى المتحف العراقى /

نسخة خزائنية نفيسة كتبها لخزانة السلطان سليمان بن غازى بن محمد بن أبى بكر الأيوبى سنة ٨١٤ هـ / ١٤١١ م شرف بن أميرة فى حصن كيفا.

صفحة العنوان مزخرفة بزخارف هندسية ونباتية، كتب العنوان فى أعلى الصفحة، وداخل شريط مزخرف، وفى الوسط دائرة تحيط بها زخارف نباتية وأزهار، وكتب داخل الدائرة اسم الخزانة التى أهدت لها هذه النسخة.

قوبلت هذه النسخة على نسخة أخرى فى نفس سنة النسخ فى أولها فهرس، دفنا الغلاف عليها آثار زخارف.

تتضمن الجزء الأول من الكتاب.

الرقم : ١٠٠٤٨.

٤٢٨ ص . ١٨ × ٢٦ سم . ١٥ س .

معجم المؤلفين ٧ / ٢٠٥، كشف ١ / ١٦٧.

طبع بتحقيق إبراهيم الكيلاني وكذلك طبع بتحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وصدر بالقاهرة سنة ١٩٥٣ م عن لجنة التأليف والترجمة والنشر وقد اعتمد المحققان على نسختين. الأولى نسخة إستانبول. الجزء الأول منها غير مضبوط والجزء الثانى منها يكمل نسخة خزائنية كتبت لخزانة السلطان سليمان، أما النسخة الثانية فهى نسخة ميلانو تتألف من قطع ثلاث وهى مشوشة وغير مرتبة.

ومن هنا يتبين أن نسختنا الخزائنية التى تتضمن الجزء الأول تكمل النسخة الخزائنية الموجودة فى إستانبول ويمكن أن يعاد تحقيق الكتاب على نسختنا ونسخة إستانبول المتكاملتين (مخطوطات الأدب / ٤٧، ٤٨).

وأما كتاب «الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية» فيقول عنه د. عبد المنعم الحفنى إنه ربما ينتمى للمرحلة الأخيرة من عمره، وإنه كتبه للتعبير عن توبته. ثم يقول :

والكتاب درة من درر الآداب العالمية نهج فيه التوحيدي على منهج المناجاة وليس نظير فى ذلك إلا كتاب مناجاة الفرد الكامل للمصدر القونوى، ويوجه فيه الخطاب إلى الله، ومن ذلك قوله : اللهم إنا نسألك ما نسأل لا عن ثقة بياض وجوهنا عندك وحسن أفعالنا معك وسوالف إحساننا قبلك، ولكن عن ثقة بكرمك الفائض وطمعنا فى رحمتك الواسعة. نعم وعن

٤٧، ٤٨، والموسوعة الصوفية - د. عبد المنعم الحفني / ٨٧، ٨٨، وإشارة التبيين في تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني - تحقيق د. عبد المنعم دياب / ٢٢٦، انظر أيضا « مواقف لأبي حيان التوحيد ونظراته الاجتماعية واللغوية » - محمد إسماعيل النص. المجلة العربية للعلوم الإنسانية. جامعة الكويت. م ٢ العدد ٨٥، خريف ١٩٨٢م / ١٢٥، ١٢٦، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي / ٣، ٧٦، ٧٧ وفيه (ص ٧٦) قول ابن حجر: « ويحتمل أن ينسب إلى التوحيد الذي هو الدين، فإن المعتزلة يسمون أنفسهم أهل التوحيد »، والأعلام للزركلي ٤ / ٣٢٦، وأعلام التراث الإسلامي - د. عبد الفتاح محمد الحلو / ٥١ - (٥٤).

* أبو حيان الغرناطي :

انظر : أبو حيان .

* الحياة :

من صفات المعاني الواجبة لله تعالى : قال سيدي أحمد الدردير صاحب الخريدة رحمه الله :

حياته وقدرته إرادة

وكل شيء كـ كائن أراد

حياة الله : صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تقتضي صحة اتصافه تعالى بنحو الإرادة والعلم ، فالانصاف بالحياة شرط للانصاف بنحو هذه الصفات .

الدليل على وجوب صفة الحياة لله : أنه قد وجب انصاف الله بالإرادة والعلم فوجب انصافه بالحياة لأنه لا يتصف بهذه الصفات إلا من اتصف بالحياة ، ولك أن تقول في الاستدلال : إذ لو لم يتصف المولى بالحياة ما اتصف بنحو العلم والسمع . إذ يستحيل أن يكون غير الحي عالما سميعا ، لكن وجب انصافه تعالى بهذه الصفات فوجب انصافه بصفة الحياة ، قال تعالى : ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾ [الفرقان : ٥٨] ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم ﴾ [طه : ١١١] ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ [آل عمران : ٢] (توضيح العقيدة المفيدة ١٠، ٦).

وقال الإمام إبراهيم اللقاني صاحب الجوهرة رحمه الله :

وغير علم هـ كـ ثابت

ثم الحياة مـ بشيء تعلق

والمعنى أن الحياة لا تتعلق بشيء أي أمر موجود أو معدوم ، فالمراد بالشئ هنا المعنى اللغوي الشامل للموجود والمعدوم ويصح أن يكون المراد به المعنى الاصطلاحي . ويقال : إذا كانت لا تتعلق بالموجود فأولى أن لا تتعلق بالمعدوم ، فليست الحياة من الصفات المتعلقة لأنها صفة مصححة للإدراك أي مصححة لمن قامت به أن يتصف بصفات الإدراك ولا تقتضي أمرا زائدا على قيامها بمحلها ، ومثل الحياة الوجود والقدم والبقاء عند من يعدها من الصفات الذاتية (المختار من شرح البيجوري على الجوهرة / ١٠٣، ١٠٤) .

وقال الشيخ معروف النودهى عن صفة الحياة بالنسبة لله تعالى ، في منظومته على العقائد النسفية ، وهي الموسومة بالفرائد في علم العقائد :

أقدم الكلام في الحياة

فهى إمام سائر الصفات

ليس لها بدونها تحقق

ومـ بها يمكن تعلق

والحق قد جل عن الروح وعن

حياته بهـ ونفس وبدن

(الأعمال الكاملة ٩٠ / ٥) .

وقال صاحب كفاية الغلام في أركان الإسلام الشيخ عبد الغنى بن إسماعيل النابلسي رحمه الله في البيت ١٥ من منظومته :

حي عليم قـ مـ ريد

فى خلقه يفعل مـ ريد

(رشحات الأقلام / ٣٢) .

ويفرد الإمام البيهقي بابا في ما جاء في إثبات صفة الحياة لله تعالى جاء فيه ما يلي :

قال الله عز وجل ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ وقال جل وعلا : ﴿ الم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ [آل عمران : ١، ٢] وقال جل جلاله : ﴿ هو الحي لا إله إلا هو ﴾ [غافر : ٦٥] وقال تبارك وتعالى : ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾ [الفرقان : ٥٨] وقال جل جلالته ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم ﴾ [طه : ١١١] أخبرنا أبو عبد الله

عنها : « ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين . »

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا عبد الله الصفار ثنا أبو بكر ابن أبي الدنيا ثنا أبو خيثمة ثنا أبو معاوية عن عبيد الله بن الوليد عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال حين يأوي إلى فراشه : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، كفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر . » وقد مضى بإسناد آخر أصح من هذا . ورويناه بإسناد آخر في الدعوات . أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا العباس بن محمد الدوري ثنا عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إن النبي ﷺ كان إذا نزل به كرب قال : « يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث » وقد قيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وهذا مع إرساله أصح . أخبرنا أبو الحسين بن بشران ببغداد أنا أبو علي الحسين بن صفوان ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ثنا القاسم بن هشام ثنا الخطاب بن عثمان ثنا ابن أبي فديك حدثني سعد بن سعيد حدثني أبو بكر إسماعيل بن أبي فديك قال قال رسول الله ﷺ : « ما كربني أمر إلا تمثل لي جبريل عليه السلام فقال : يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت ، والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدل وكبره تكبيرا » هكذا جاء منقطعا . وأخبرنا أبو الحسين أنا أبو علي ثنا ابن أبي الدنيا حدثني هارون بن سفيان حدثني عبيد الله بن محمد القرشي عن نعيم بن موريث عن جويبر عن الضحاك قال : دعا موسى عليه السلام حين توجه إلى فرعون ، « ودعا رسول الله ﷺ يوم حنين ، ودعا : لكل مكروب كنت وتكون وأنت حي لا تموت ، تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حي قيوم ، لا تأخذك سنة ولا نوم : يا حي يا قيوم » أخبرنا أبو نصر بن قتادة أنا علي ابن الفضل بن محمد بن عقيل الخزاعي أنا جعفر بن محمد المستفاض الفريابي ثنا محمد بن عبد الأعلى ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « كان

محمد ابن عبد الله الحافظ أنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ثنا محمد ابن النضر الجارودي ثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي ثنا حسين المعلم ح . وأخبر أبو عبد الله قال أخبرني أبو أحمد الحسين بن علي ثنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم ثنا أبو يحيى ثنا أبو معمر ثنا حسين حدثني عبد الله بن بريدة حدثني يحيى بن يعمر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « إن رسول الله ﷺ كان يقول اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت ، أعوذ بعزتك ، لا إله إلا أنت أن تفضلني أنت الحي الذي لا يموت ، والجن والإنس يموتون » رواه البخاري في الصحيح عن أبي معمر ، ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن أبي معمر .

أخبرنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن الفضل القطان ببغداد أنا محمد بن عبد الله بن عمرو بن الصفار ثنا ابن أبي خيثمة ثنا موسى بن إسماعيل ثنا حفص بن عمر الشني . وكان ثقة . حدثني أبو عمر بن مرة قال سمعت بلال ابن يسار بن زيد مولى رسول الله ﷺ قال سمعت أبي يحدثني عن جدي أنه سمع النبي ﷺ يقول : « من قال استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم غفر له وإن كان فر من الزحف » أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي المقرئ أنا الحسن بن محمد بن إسحاق الإسفرائيني ثنا يوسف بن يعقوب ثنا عبد الله بن محمد بن أسماء أنا مهدي بن ميمون ثنا عمرو ابن دينار قال سمعت سالم بن عبد الله يذكر عن أبيه عن عمر رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ : « من مر بسوق من هذه الأسواق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، كتب الله تعالى له ألف ألف حسنة ، ومحى عنه ألف ألف سيئة ، وبنى له بيتا في الجنة » تابعه أزهري بن سنان عن محمد بن واسع عن سالم بن عبد الله ، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو يعلى حمزة بن عبد العزيز الصيدلاني قالا : أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ثنا الحسن بن الصباح وغيره قالوا : ثنا زيد بن الحباب حدثني عثمان بن موهب قال سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله

من دعاء النبي ﷺ يا حي يا قيوم » (الأسماء والصفات / ١٣٧ - ١٤١) .

ويسلط التهانوي صاحب كشاف اصطلاحات الفنون الكلام على الحياة فيقول :

الحياة بالفتح ضد موت والحي كما في الصراح ومفهومه بديهى فإنه من الكيفيات المحسوسة وقال ابن سينا ماهيات المحسوسات غنية عن التعريف واختلف في رسومها فقل هي قوة تتبع الاعتدال النوعى وتفيض منها سائر القوى الحيوانية ومعنى الاعتدال النوعى أن كل نوع من أنواع المركبات العنصرية له مزاج مخصوص هو أصلح الأمزجة بالنسبة إليه فالحياة في كل نوع من أنواع الحيوانات تابعة لذلك المزاج المسمى بالاعتدال النوعى ومعنى الفيضان أنه إذا حصل في مركب عنصرى اعتدال نوعى فاضت عليه من المبدأ قوة الحياة ثم انبعثت منها قوى أخرى أعنى الحواس الظاهرة والباطنة والقوى المحركة إلى جلب المنافع ودفع المضار كل ذلك بتقدير العزيز العليم فهي تابعة للمزاج النوعى ومتبوعة لما عداها .

وقد ترسم الحياة بأنها قوة تقتضى الحس والحركة الإرادية مشروطة باعتدال المزاج ، واستدل الحكيم على مغايرة الحياة لقوتى الحس فقال ابن سينا هي غير قوة الحس والحركة وغير قوة التغذية فإنها توجد في العضو المفلولج إذ هي الحافظة للأجزاء عن الانفكاك وليست له قوة الحس والحركة وكذا الحال في العضو الذابل فإنه لو لم يكن حيا يفسد بالتعفن مع عدم قوة التغذية وتوجد في النبات قوة التغذية مع عدم الحياة وأجيب بأن لا نسلم أن قوة الحس والحركة والتغذية مفقودة في المفلولج والذابل لجواز أن يكون الإحساس والحركة والتغذية قد تخلف عن القوة الموجودة فيها لمانع يمنعها عن فعلها لا لعدم المقتضى ولا نسلم أن التغذية التى فى الحى موجودة فى النبات لجواز أن تكون التغذية فى النبات مخالفة بالماهية للتغذية فى الحى هذا خلاصة ما فى شرح الطوالع وشرح المواقف فعلى هذا لا توجد الحياة فى النبات وقيل بوجودها فى النبات أيضا لأن الحياة صفة هى مبدأ التغذية والتنمية .

ومنهم من ادعى تحقق الحس والحركة فى النبات وفى الملخص الحياة إما اعتدال المزاج أو قوة الحس والحركة أو

قوة تتبع ذلك الاعتدال سواء كان نفس قوة الحس والحركة أو مغايرة لها كما اختاره ابن سينا انتهى .

وفى البيضاوى فى تفسير قوله تعالى ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ﴾ [البقرة : ٢٨] الحياة حقيقة فى القوة الحساسة أو ما يقتضيه مجاز فى القوة النامية لأنها من مقدماتها وفيما يخص الإنسان من الفضائل كالعقل والعلم والإيمان من حيث إنه كمالها وغايتها والموت بإزائها يقال على ما يقابلها فى كل مرتبة كما قال تعالى ﴿ يحييكم ثم يميتكم ﴾ [الجاثية : ٢٦] وقال ﴿ اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها ﴾ [الحديد : ١٧] وقال ﴿ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس ﴾ [الأنعام : ١٢٢] انتهى كلامه .

فائدة : شرط الحياة عند الحكماء البنية التى هى الجسم المركب من العناصر على وجه يحصل من تركيبها مزاج قالوا الحياة مشروطة باعتدال المزاج وبالروح الذى هى أجسام لطيفة تتولد من بخارية الأخلاط سارية فى الشرايين المنبثة من القلب وكذا عند المعتزلة إلا أن البنية عندهم هى مجموع جواهر فردة لا يمكن الحيوان من أقل منها والأشاعرة لا يشترطون البنية ويقولون يجوز أن يخلق الله تعالى الحياة فى جزء واحد من الأجزاء التى لا تتجزأ .

قال الصوفية الحياة عبارة عن تجلى النفس وتنورها بالأنوار الإلهية وفى التفسير الكبير تفسير قوله تعالى : ﴿ إذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحى الموتى ﴾ [البقرة : ٢٦٠] أن المراد من الموتى عند أهل التصوف القلوب المحجوبة عن أنوار المكاشفات والتجلى والإحياء عبارة عن حصول ذلك التجلى والأنوار الإلهية انتهى . وفى القشيري فى تفسير هذه الآية قال الجنيد الحى من تكون حياته بحياة خالقه لا من تكون حياته ببقاء هيكله ومن يكون بقاؤه ببقاء نفسه فإنه ميت فى وقت حياته ومن كانت حياته به كان حقيقة حياته عند وفاته لأنه يصل بذلك إلى رتبة الحياة الأصلية قال تعالى ﴿ لينذر من كان حيا ﴾ [يس : ٧٠] انتهى .

والمستفاد من الإنسان الكامل أن الحياة هى الوجود وهى تعم المعانى والهيئات والأشكال والصور والأقوال والأعمال والمعادن والنباتات وغير ذلك قال وجود الشيء لنفسه حياته

التامة ووجوده لغيره حياة إضافية له فالحق سبحانه موجود لنفسه فهو الحي وحياته وهى الحياة التامة والخلق من حيث الجملة موجودون بالله فحياتهم إضافية ولذا التحق بها الفناء والموت ثم إن حياة الله تعالى فى الخلق واحدة تامة لكنهم متفاوتون فيها :

فمنهم من ظهرت الحياة فيه على صورتها التامة وهو الإنسان الكامل فإنه موجود لنفسه وجودًا حقيقيا لا مجازيا ولا إضافيا فرُّبه هو الحي التام الحياة بخلاف غيره والملائكة العليون وهم المهيمنة ومن يلحق بهم وهم الذين ليسوا من العناصر كالقلم الأعلى واللوح وغيرهما من هذا النوع فإنهم ملحقون بالإنسان الكامل فافهم .

ومنهم من ظهرت فيه الحياة على صورتها لكن غير تامة وهو الإنسان الحيوانى والملك والجن فإن كلا من هؤلاء موجود لنفسه يعلم أنه موجود وأنه كذا وكذا ولكن هذا الوجود له غير حقيقى لقيامه بغيره فربه موجود للحق لا له وكانت حياة ربه حياة غير تامة .

ومنهم من ظهرت فيه لا على صورتها وهى باقى الحيوانات ومنهم من بطننت فيه الحياة فكان موجودا لغيره لا لنفسه كالنباتات والمعادن والمعانى وأمثال ذلك فسارت الحياة فى جميع الأشياء فما موجود إلا وهو حى لأن وجوده عين حياته وما الفرق إلا أن يكون تاما أو غير تام بل ما تم إلا من حياته التامة لأنه على القدر الذى تستحقه مرتبة فلو نقص أو زاد لعدمت تلك المرتبة فما فى الوجود إلا ما هو حى بحياته تامة ولأن الحياة عين واحدة ولا سبيل إلى نقص فيها ولا إلى انقسام لاستحالة تجزئ الجوهر الفرد فالحياة جوهر فرد موجود بكماله فى كل شىء فشيئية الشىء هى حياته وهى حياة الله التى قامت الأشياء بها وذلك هو تسمييحها من حيث اسمه الحى لأن كل موجود يسيح الحق من حيث كل اسم فتسميحه من حيث اسمه الحى هو عين وجوده بحياته ومن حيث اسمه العليم هو دخولها تحت علمه وقولها له يا عالم هو كونها أعطاه العلم من نفسها بأن حكم عليها إنها كذا وكذا وتسمييحها له من حيث اسمه السميع هو إسماعها إياه كلامها وهو ما استحق حقائقها بطريق الحال فيما بينها وبين الله بطريق المقال ومن حيث اسمه القدير هو دخولها تحت قدرته وقس على ذلك باقى الأسماء .

إذا علمت ذلك فاعلم أن حياتها محدثة بالنسبة إليها قديمة بالنسبة إلى الله تعالى لأنها حياته وحياته صفة له قديمة ومتى أردت أن تتعقل ذلك فانظر إلى حياتك وقيدها بك فإنك لا تجد إلا روحا يختص بك وذلك هو المحدث ومتى رفعت النظر فى حياتك من الاختصاص بك وذقت من حيث الشهود أن كل حى فى حياته كما كنت فيها وشهدت سريان تلك الحياة فى جميع الموجودات علمت أنها الحياة الحق التى أقام بها العالم وهى الحياة القديمة الإلهية .

واعلم أن كل شىء من المعانى والهيئات والأشكال والصور والأقوال والأعمال والمعادن والنباتات وغير ذلك مما يطلق عليه اسم الوجود فإن له حياة فى نفسه لنفسه حياة تامة كحياة الإنسان لكن لما حجب ذلك عن الأكثرين نزلناه عن درجة الإنسان وجعلناه موجودا لغيره وإلا فكل شىء له وجود فى نفسه لنفسه وحياته تامة بها ينطق ويعقل ويسمع ويبصر ويقدر ويريد ويفعل ما يشاء ولا يعرف هذا إلا بطريق الذوق والكشف وأيد ذلك الإخبارات الإلهية من أن الأعمال تأتى يوم القيامة صورا تخاطب صاحبها فتقول له عملك ثم يأتى غيرها وتطرده وتناجيه ومن هذا القبيل نطق الأعضاء والجوارح انتهى ما فى الإنسان الكامل .

فائدة : اختلف العلماء فى حياته تعالى فذهب الحكماء وأبو الحسن البصرى من المعتزلة إلى أنها صحة العلم والقدرة وقال الجمهور من الأشاعرة ومن المعتزلة إنها صفة توجب صحة العلم والقدرة وقال صاحب الإنسان الكامل إنها هى وجوده لنفسه كما عرفت (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٣٩٨ - ٤٠١) .

(توضيح العقيدة المفيد فى علم التوحيد لشرح الخريدة لسيدى أحمد الدردير - حسين عبد الرحيم مكى - صححها ونقحها مع بعض التعليقات موسى أحمد اللباد / ٦ ، ١٠ ، والمختار من شرح البيجورى على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد للإمام شيخ الإسلام إبراهيم البيجورى / ١٠٣ ، ١٠٤ ، والأعمال الكاملة للشيخ معروف النودى - دراسة وتحقيق السيد بابا على بن الشيخ عمر القرداغى وزميله . المجموعة الأصولية ق ٥ / ٩٠ ، ورشحات الأقلام شرح كفاية الغلام فى أركان الإسلام للعلامة الشيخ عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى - تحقيق محمد خالد الخرسة / ٣٢ ، والأسماء والصفات للإمام البيهقى .

دار الكتب العلمية بيروت . بدون تاريخ / ١٣٧ - ١٤١ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١ / ٣٩٨ - ٤٠١ .

* حياة الأنبياء :

من بين الرسائل المجموعة في الحاوي للفتاوى للإمام جلال الدين السيوطي رسالة وردت به بعنوان « أنباء الأذكىاء بحياة الأنبياء » ، وطبعتها مكتبة عالم الفكر تحت عنوان « إنباه الأذكىاء في حياة الأنبياء » ونقل جزءا منها فيما يلي ، حيث يجيب الإمام السيوطي على سؤال وقع له ؛ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس في ثانيا النص إتماما للفائدة :

قال المؤلف رحمه الله وغفر له ولسائر المسلمين ، آمين ، اللهم آمين :

« الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى : وقع السؤال : أنه قد اشتهر أن النبي ﷺ حى في قبره . وورد أنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال :

« ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أورد عليه السلام » (رواه أبو داود عن أبي هريرة) .

فظاهره أن مفارقة الروح له في بعض الأوقات !! فكيف الجمع ؟ وهو سؤال حسن يحتاج إلى النظر والتأمل فأقول :

حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علماً قطعياً لما قام عندنا ، من الأدلة في ذلك ، وتواترت به الأخبار الدالة على ذلك وقد ألف الإمام البيهقي رحمه الله جزءاً في حياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم .

فمن الأخبار الدالة على ذلك ، ما أخرجه مسلم عن أنس رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ليلة أسرى به مر بموسى عليه السلام وهو يصلى في قبره » (ورواه الإمام أحمد ، والنسائي عن سيدنا أنس ولفظه من الجامع الصغير للسيوطي .

« مررت ليلة أسرى بي على موسى قائماً يصلى في قبره » وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم مر بقبر موسى عليه السلام ، وهو قائم يصلى فيه » .

وأخرج أبو يعلى في مسنده ، والبيهقي في كتاب « حياة الأنبياء » عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه

وآله وصحبه وسلم قال : « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون » .

وأخرج أبو نعيم في الحلية ، عن يوسف بن عطية ، قال : سمعت ثابتاً البناني رضي الله عنه يقول لحميد الطويل : « هل بلغك أن أحداً يصلى في قبره إلا الأنبياء قال : لا » .

وأخرج أبو داود والبيهقي عن أوس بن أوس الثقفي ، رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أنه قال : « من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فأكثروا على الصلاة فيه ، فإن صلاتكم تعرض على ، قالوا يا رسول الله ، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرميت (يعني بليت) فقال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسام الأنبياء » .

(وقد أورد ابن القيم في كتابه « جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الانام » حديثاً هذا نصه :

« قال الطبراني : حدثنا يحيى بن أيوب العلاف . حدثنا سعيد بن أبي مريم ، عن خالد بن زيد ، عن سعيد بن أبي هلال عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ :

« أكثروا الصلاة على يوم الجمعة ، فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة ، ليس من عبد يصلى على إلا بلغني حيث كان . قلنا : وبعد وفاتك ؟

قال : وبعد وفاتي ، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .

وقال في الهامش : ذكره الحافظ المنذرى في الترغيب ، وقال : رواه ابن ماجه بإسناد جيد هـ ... وفي نسخة « الحاوي » أجسام ، بدل « أجساد ») .

وأخرج البيهقي في « شعب الإيمان » والأصبهاني في « الترغيب » عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : « من صلى على عند قبري سمعته ، ومن صلى على غائباً بلغته » . (في الحاوي : نائياً) .

وأخرج البخاري في « تاريخه » عن عمار : « سمعت النبي ﷺ يقول :

إن الله تعالى ملكاً أعطاه أسماع الخلائق ، قائم على قبري ، فما من أحد يصلى صلاة إلا بلغنيها » (في الحاوي « إلا بلغتها ») .

وأخرج البيهقي في « حياة الأنبياء » والأصبهاني في « الترغيب » عن أنس رضي الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :

« من صلى على مائة في يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة ، وثلاثين من حوائج الدنيا ، ثم وكل الله بذلك ملكا يدخله على قبري كما يدخل عليكم الهدايا ، إن علمي بعد موتي كعلمي في الحياة » (وفي الجامع الكبير للسيوطي ما نصه : « من صلى على يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة من الصلاة قضى الله له مائة حاجة : سبعين من حوائج الآخرة ، وثلاثين من حوائج الدنيا ، ووكّل الله بذلك ملكا يدخله على قبري كما يدخل على أحدكم الهدايا : أن علمي بعد موتي كعلمي في الحياة » الديلمي عن حكامه عن أبيها : عثمان بن دينار ، عن أخيه : مالك بن دينار عن أنس .

ولفظ البيهقي : « يخبرني من صلى على باسمه ونسبه فأثبته عندي في صحيفة بيضاء » .

وأخرج البيهقي عن أنس : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ، ولكنهم يصلون بين يدي الله سبحانه وتعالى حتى ينفخ في الصور » .

وروى سفيان الثوري في « الجامع » قال : قال شيخ لنا ، عن سعيد بن المسيب ، قال : « ما مكث نبي في قبره أكثر من أربعين ليلة حتى يرفع » .

قال البيهقي : « فعلى هذا يصيرون كسائر الأحياء ، يكونون حيث ينزلهم الله تعالى » .

ثم قال البيهقي « ولحياة الأنبياء بعد موتهم شواهد » .

فذكر قصة الإسراء في لقيه جماعة من الأنبياء ، وكلمهم وكلموه وأخرج حديث أبي هريرة في الإسراء ، وفيه .

« وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلي وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي : أشبه الناس به صاحبكم (يعني نفسه) فحانت الصلاة فأمتهم » .

وأخرج حديث « أن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق » . وقال هذا يدل (في الحاوي « يصح ») أيضا على أن الله رد على الأنبياء أرواحهم وهم أحياء عند ربهم ، كالشهداء ، فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى صعقوا فيمن صعقوا ثم لا يكون ذلك موتا في جميع معانيه ، إلا في ذهاب الاستشعار . انتهى .

وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « والذي نفسي بيده لينزلن عيسى ابن مريم ، ثم لئن قام على قبري ، فقال يا محمد لأحيينه » .

وأخرج أبو نعيم في « دلائل النبوة » عن سعيد بن المسيب قال : لقد رأيتني ليالي الحرة وما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غيري ، وما يأتي وقت صلاة إلا وسمعت الأذان من القبر » (وهي في أيام يزيد بن معاوية ، لما نهب المدينة عسكره من أهل الشام الذين نهبهم لقتال أهل المدينة من الصحابة والتابعين ، وأمر عليهم مسلم بن عقبة في ذي الحجة سنة ٦٣ هـ .

وعقبها هلك يزيد .

والحرة هذه : أرض بظاهر المدينة ، بها حجارة سود كثيرة ١٢ مجمع البحار » اهـ من هامش المطبوعة الأولى) .

وأخرج الزبير بن بكار في « أخبار المدينة » عن سعيد بن المسيب ، قال : « لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيام الحرة حتى عاد الناس » .

وأخرج ابن سعد في الطبقات ، عن سعيد بن المسيب : أنه كان يلزم المسجد أيام الحرة ، والناس يقتلون .

قال : فكنت إذا حانت الصلاة أسمع أذانا يخرج من قبل القبر الشريف » .

وأخرج الدارمي في « مسنده » قال : أخبرنا مروان بن محمد ، عن سعيد بن عبد العزيز ، قال : لما كان أيام الحرة لم يؤذن في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ولم يقيم وأن سعيد بن المسيب لم يبرح مقيما في المسجد ، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعونها من قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم » .

كالحال في الملائكة ، فإنهم موجودون أحياء ، ولا يراهم أحد من نوعنا ، إلا من خصه الله بكرامته من أوليائه » انتهى .

وسئل البارزى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، هل هو حي بعد وفاته ؟ فأجاب : إنه صلى الله عليه وآله وسلم حي .

قال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي الفقيه الأصولي شيخ الشافعية في أجوبة مسائل « الجاجرميين » قال المتكلمون المحققون من أصحابنا إن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم حي بعد وفاته ، وإنه يبشر بطاعات أمته ، ويحزن بمعاصي العصاة منهم ، وإنه تبلغه صلاة من يصلي عليه من أمته .

وقال : « إن الأنبياء لا يلبسون ، ولا تأكل الأرض منهم شيئا » وقد مات موسى في زمانه ، وأخبر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أنه رآه في قبره مصليا .

وذكر في حديث المعراج أنه رآه في السماء الرابعة ، وأنه رأى آدم في السماء الدنيا ورأى إبراهيم ، وقال له : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح (كل هذه الأحداث التي ذكرها الشيخ رحمه الله موجودة في حادث الإسراء : رؤية موسى ، والصلاة بالأنبياء ، ولقاؤهم في السموات وما إلى ذلك) .

راجع في ذلك كتب التفاسير وستجدها مشروحة مخرجة .

وإذا صح لنا هذا الأصل : قلنا نبينا عليه الصلاة والسلام قد صار حيا بعد وفاته ، وهو على نبوته . وهذا آخر كلام الأستاذ .

وقال الحافظ شيخ السنة أبو بكر البيهقي في « كتاب الاعتقاد » الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد ما قبضوا ردت أرواحهم ، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء .

وقد رأى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم جماعة منهم وأهمهم في الصلاة ، وأخير - وخبره صدق - أن صلاتنا معروضة عليه ، وأن سلامنا يبلغه - وأن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء .

(لابن القيم رحمه الله تعالى كتاب « جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام » جمع فيه الكثير الطيب من

فهذه الأخبار دالة على حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأنبياء ، وقد قال الله تعالى في الشهداء - ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

والأنبياء أولى بذلك ، فهم أجل وأعظم ، وقُلْ نبي إلا وقد جمع مع النبوة وصف الشهادة ، فيدخلون في عموم لفظ الآية . وأخرج أحمد ، وأبو يعلى ، والطبراني ، والحاكم في « المستدرک » والبيهقي في « دلائل النبوة » عن ابن مسعود ، قال : لأن أحلف تسعا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتل قتلا ، أحب من أن أحلف واحدا أنه لم يقتل ، وذلك أن الله اتخذه نبيا ، واتخذه شهيدا .

وأخرج البخاري والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول في مرضه الذي توفي : لم أزل أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم » .

ثبت كونه صلى الله عليه وآله وسلم حيا في قبره بنص القرآن ، إما من عموم اللفظ ، وإما من مفهوم الموافقة ، قال البيهقي في « كتاب الاعتقاد » : الأنبياء بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم ، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء .

وقال القرطبي في « التذكرة » في حديث « الصعقة » نقلًا عن شيخه : الموت ليس بعدم محض ، وإنما هو انتقال من حال إلى حال ، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين ، وهذه صفة الأحياء في الدنيا ، وإذا كان في الشهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء (راجع في ذلك ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ تجد فيه الكثير الطيب والحمد لله) وأنه صلى الله عليه وآله وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء وقد رأى موسى قائما يصلي في قبره (رواه أبو داود ، وصححه النووي في الأذكار ورواه الإمام أحمد وصححه النووي أيضا) وأخبر صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يرد السلام على كل من يسلم عليه إلى غير ذلك مما يحصل من جملة القطع بأن موت الأنبياء ، إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا ، بحيث لا ندركهم ، وإن كانوا موجودين أحياء ، وذلك

هذه الأحاديث، وخرجها تخریجا حسنا وصحيحا ، والله الحمد والمنة) .

قال : وقد أفردنا لإثبات حياتهم كتابا ، قال : وهو بعد ما قبض نبي الله ورسوله وصفيه ، وخيرته من خلقه ﷺ : اللهم أحينا على سنته ، وأمتنا على ملته ، واجمع بيننا وبينه في الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير » انتهى جواب البارزى .

وقال الشيخ عفيف الدين اليافعي : الأولياء ، ترد عليهم أحوال يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض ، وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات ، كما نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى موسى عليه السلام في قبره .

قال : وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة ، بشرط عدم التحدى (لأن المعجزة للتحدى) .

قال : ولا ينكر ذلك إلا جاهل .

ونصوص العلماء في حياة الأنبياء كثيرة ، فلنكتف بهذا

القدر (إنباه الأدكياء ١٥/٥ والحاوي للفتاوى ١٤٧/٢ - ١٥٠) .

يقول فضيلة الشيخ عطية صقر :

بعد الأخبار المذكورة وبعد كلام السيوطي في تواتر الأخبار وكثرة الأدلة على حياة الأنبياء في قبورهم يمكننا أن نطمئن إلى ذلك ولا نكذب ، بالإضافة إلى أن النبي ﷺ أفضل من الشهداء ، وقد قال الله فيهم : ﴿ ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] ولا يقال : قد يكون في المفضل ما ليس في الفاضل ، لأن محل ذلك ما لم يرد نص ، وقد ورد .

وحياتهم في القبور مختلف في كفيته ، وجمهور المسلمين على أنها حياة حقيقية لا مجازية ، وقد وضع الفخر الرازي ذلك في تفسيره لهذه الآية .

وأما قوله تعالى ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ [الزمر : ٣٠] فمعناه أن روحك ستفارق بدنك ، وتدخل في عالم آخر كسائر الناس ، قال تعالى : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾ كل نفس ذائقة الموت ﴾ [الأنبياء : ٣٤ ، ٣٥] .

وحديث رد روح النبي ﷺ ليحيى من يسلم عليه إن كان ظاهره يفيد أن روحه الشريفة تفارق جسده الشريف فقد أجاب

على ذلك العلماء بأجوبة أوصلها السيوطي إلى سبعة وعشرين وجها ، أحسنها أنه ﷺ يكون مستغرقا بمشاهدة حضرة القدس فيفنى عن إحساسه الشريف ، فإذا سلم المسلم عليه ترد روحه من هذا الاستغراق إلى الإحساس لأجل الرد ، كما نرى في الدنيا من يكون مشغول البال قد لا يحس بمن يتكلم بجواره (المنحة الوهية ص ٦) هذا ، وعدم أكل الأرض أجساد الأنبياء ثابت بالحديث السابق ، وهو حديث صحيح عند كثير من العلماء كابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي كما صححه النووي في كتابه « الأذكار » والعقائد وأخبار الغيب تؤخذ من الأدلة القطعية في الثبوت والدلالة . والخلاف موجود في كفاية حديث الآحاد في ذلك ، وما دام الأمر داخلا في قدرة الله سبحانه ، معه اختلاف قوانين عالم الغيب والشهادة ، ومع عدم مصادمة ذلك لأمر مقطوع به فالقلب يطمئن إلى قبوله (أحسن الكلام ٣ / ١٢ ، ١٣) .

(إنباه الأدكياء في حياة الأنبياء للشيخ العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - حققه وراجعته الشيخ عبد الرحمن حسن محمود ، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس في ثلثي النص / ٥ - ١٥ ، والحاوي للفتاوى للإمام السيوطي أيضا ١٤٧ / ٢ - ١٥٠ ، وأحسن الكلام في الفتاوى والأحكام - فضيلة الشيخ عطية صقر ط دار الغد العربى / ١٢ ، ١٣) .

* الحياة البشرية في الطب الإسلامي :

يفرد الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الحميد الصياد الباب الثانى من كتابه القيم لبيان نظرة الطبيب المسلم للحياة البشرية فيقول في بدايته :

يرتبط عمل الطبيب بالحياة الإنسانية ، لذلك وجب عليه أن يستوعب نظرة الإسلام للحياة كقيمة مطلقة :

وهذه النظرة تتناول عدة قضايا :

- ١ - حماية الحياة البشرية .
- ٢ - حماية مقومات الحياة البشرية .
- ٣ - توفير الكرامة البشرية .
- ٤ - الضوابط الشرعية المتعلقة بالحياة .
- ٥ - عناصر المساواة والتفضيل المتعلقة بالبشر .
- ٦ - حماية حق الحياة لغير المسلم .

٧ - صيانة الحياة غير البشرية .

ثم يفصل القول في كل واحدة من هذه القضايا ، وننقل بعضها فيما يلي :

المبحث الأول : حماية حق الحياة البشرية .

الحياة البشرية هبة من الله تعالى ، تكسب قدسيتها من النفخة الإلهية الكريمة ، وبذلك صارت حقاً مقدساً ، لا يجوز لأحد أن يسلبه إلا بحق الله ، ويتساوى في ذلك كل البشر في جميع مراحل حياتهم مهما كان جنسهم ولونهم ودينهم .

مظاهر احترام حق الحياة في الإسلام :

١ - حق الجنين في الحياة :

المفهوم الإسلامي للحياة البشرية يمتد إلى الجنين داخل الرحم ، فيجعل له كيانه مستقلاً ، وله شخصية اعتبارية وحقوقاً مستقلة عن حقوق والدته رغم أنه ما زال جزءاً منها ، فإذا اعتدى أحد على امرأة حامل فأجهضها فإنه يكون قد ارتكب جريمتين : جريمة الاعتداء عليها وجريمة قتل الجنين .

روى الخمسة عن أبي هريرة - رضي الله عنه :

« اقتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها فاختصموا إلى رسول الله ﷺ ، فقضى رسول الله أن دية جنينها غرة عبد أو وليدة (إنسان مملوك) وقضى بدية المرأة على عاقلتها (دافع الدية) وورثتها وولدها ومن معهم . فقال ابن النابغة الهذلي :

يا رسول الله كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ، ولا نطق ولا استهل ، فمثل ذلك يطل (أي يهدر دمه ولا يضمن) : فقال رسول الله ﷺ :

« إنما هذا من إخوان الكهان من أجل سبجه الذي سجع » (رواه مسلم في الحدود) .

وهذه القصة توضح مدى الطفرة الهائلة التي جاء بها الإسلام في تعريف الحياة البشرية ، فالمفهوم السائد في ذلك الوقت عبر عنه الهذلي باستغرابه أن يدفع دية لجنين لم تظهر عليه علامات الحياة المعروفة ، بينما يستنكر رسول الله ﷺ اعتراض الرجل على إنكار حق الحياة للجنين ، وحق الجنين في الحياة قيمة مطلقة تتحقق حتى ولو كان الجنين ناتجاً عن حمل حرام ، ففي حديث الغامدية عن بريدة أنها جاءت لرسول الله ﷺ قائلة :

يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني ، فقال لها عليه الصلاة والسلام « فاذهبي حتى تلدي » فلما ولدت قال : « اذهبي فأرضعيه حتى تطفميه » فلما فطمته أتنه بالصبي في يده كسرة خبز فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين وأمر الناس فرجموها ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت . (رواه مسلم في الحدود) .

٢ - حق الرضيع في الحياة :

أوجب الشرع إرضاع الطفل حتى لا تتعرض حياته للخطر ، ويجب على الأم إرضاعه بنفسها .

« والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » [البقرة : ٢٣٣] .

٣ - تفضيل صيانة الحياة على كافة الاعتبارات الشرعية :

فعندما تتهدد الحياة يعطى الشارع رخصة في إتيان المحرمات للضرورة أو ترك الفرائض والنوافل ، ومن ذلك إباحة أكل الميتة لمن أشرف على الهلاك إنقاذاً لنفسه حيث يقول تعالى :

« فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم » [المائدة : ٣] .

ومنها إباحة الإفطار في رمضان للمريض والحامل والمسافر حفظاً لحياتهم من أن يتهددها أي خطر . يقول تعالى :

« فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » [البقرة : ١٨٤] .

ولا يشترط أن يصل الضرر إلى حد الخطر حتى يكون مبرراً للتخفيف بل إن المشقة تستوجب التيسير تطبيقاً لقوله تعالى :

« وما جعل عليكم في الدين من حرج » [الحج : ٧٨] .

فقد رأى النبي ﷺ رجلاً يتهاذى بين ولديه يريد الحج فسأل عن شأنه فقيل يا رسول الله إنه أنذر أن يزور البيت ماشياً فقال ﷺ :

« كلا إن الله غني عن تعذيب هذا نفسه ، أحملوه » (البخاري : الحج) بل إن الصلاة وهي عماد الدين لا يجوز أن يكون أداؤها سبباً للإرهاق .

عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أنه ﷺ قال لمن يجهد نفسه في صلاة النوافل :

« ليصل أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر قعد » (البخارى : التهجد ، ابن ماجه : المقدمة) وعن عمران بن حصين أنه عليه السلام قال :

« صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا ، فإن لم تستطع فعلى جنبك فإن لم تستطع فمستلقيا ، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » (البخارى : أبو داود : الصلاة ، النسائي : صلاة الليل) .

ويندرج ذلك كله في القاعدة العامة فيما رواه عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ :

« إن لجسدك عليك حقا فقم ونم وأفطر وصم » (البخارى : الصوم ، النظام ، مسلم : الصوم ، النسائي : الصوم) .

المبحث الثانى : حماية مقومات الحياة البشرية :

من القواعد الفقهية المعروفة :

« ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » .

ولما كان الإسلام قد أقر لكل فرد حقه حماية حياته البشرية فإن ذلك يستوجب للفرد حقوقا فى توفير مقومات الحياة البشرية .

ومن هذه الحقوق ما يلى :

١ - حق الطعام الذى يحفظ الحياة ، لذا أعطى الشارع لمن خاف على نفسه الهلاك حقا فى مال المسلمين بما يقيم نفسه ، وجعل إنقاذه حقا على كل مسلم ، يقول ﷺ :

« أيما رجل ضاف قوما فأصبح محروما فإن نصره حق على كل مسلم حتى يأخذ قرى ليلته من زرعه وماله » (أبو داود : الأطعمة ، الدارمى ، الأطعمة) .

٢ - حق العلاج وقد استدلوا على ذلك من القوم الذين ساءت صحتهم بالمدينة حيث يروى أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ أرسلهم إلى مكان صحى فى هواء طلق خارجها بجانب مرعى إبل الصدقة فشربوا من ألبانها حتى صحت أجسامهم (البخارى : الزكاة ، مسلم : الزكاة) .

٣ - حقوق أخرى مادية ومعنوية تنعكس على الصحة

البدنية والنفسية ، ومنها : حق اللباس والسكن والزواج والتعلم والعمل ولكل منها أسانيده فى السنة النبوية الشريفة .

٤ - أقر الإسلام حق الكفالة فى حال المرض والعجز والشيخوخة وفقد العائل .
روى البخارى عنه ﷺ :

« من ترك مالا لورثته ، ومن ترك ضياعا (أى ورثة) أو كلا (أى ذرية ضعفاء) فأنا مولاه ، وفى رواية (فإلى الله ورسوله) (البخارى : الوصايا) .

وعن أبى الدرداء عويمر عن النبي ﷺ قال :

« أبغونى فى ضعفائكم ، إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم » (البخارى : الجهاد ، النسائي : الجهاد ، أبو داود : الجهاد ، الترمذى : الجهاد) .

المبحث الثالث : توفير الكرامة البشرية :

الكرامة البشرية منحة من الله تعالى للإنسان :

يقول تعالى :

﴿ ولقد كرّمنا بنى آدم ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

وهذه الكرامة قيمة مطلقة لكل البشر بصرف النظر عن دينهم ولونهم ، وسر تكريم الإنسان هو النفخة الإلهية الكريمة :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون ﴾ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ [الحجر : ٢٨ ، ٢٩] .

وهذه علة سيادته على الكائنات الأرضية .

وبهذا أيضا يتضح أصل الإنسان ، فلم يكن ملاكا ثم انحط درجة ، ولم يكن حيوانا ثم ارتقى بالتطور ، ولكن النفخة الربانية رفعت من كونه كائنا حيا كغيره من الأحياء إلى درجة الكرامة الإنسانية ، وأعطته مقومات الخلافة فى الأرض .

وقد شاءت إرادة الخالق جل وعلا أن يكون لمخلوقاته ترتيب فى أفضليتها ، فجعل الإنسان أفضلها على الأرض ، كما فضله على كثير ممن خلق .

ومن متطلبات التسليم لإرادة الله تعالى أن يؤمن الإنسان بالترتيب التفاضلى الذى أراه الله لمخلوقاته ، ولم يكن

استحقاق إبليس للطرد من رحمة الله بسبب إنكاره الألوهية ، ولكن لرفضه الإقرار بأفضلية آدم التي أرادها الله له .

مظاهر التكريم الإلهي للإنسان :

١ - استخلافه في الأرض ليعمرها ويستخرج خيراتها ، وقد هياه الله تعالى لهذه الخلافة بالعقل والعلم .
يقول تعالى :

﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [البقرة : ٣٠] .

٢ - خلق الإنسان في أحسن تقويم ، ويستطيع علم الحياة أن يكشف لنا عن إبداع الله في خلق الإنسان ، سواء في المظهر الخارجي الذي يجعله مؤهلاً لسيادة كل المخلوقات ، أو في وظائف أعضائه الداخلية البالغة الانتظام والدقة .

يقول تعالى :

﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ [التين : ٤] .

٣ - تسخير الكون لخدمته : فالإنسان هو السيد ولا يجوز لشيء مادي في العالم أن يستعبده .

يقول تعالى :

﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ﴾ [الجاثية : ١٣] .

٤ - ألغى الإسلام كل مظاهر الوساطة الكهنوتية بين الله تعالى والإنسان التي تكونت على مر الأجيال في مختلف الديانات . يقول تعالى :

﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾ [البقرة : ١٨٦]
والملاحظ في آيات الكتاب الكريم قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ﴾ [البقرة : ٢٢٠] أما في آية الصلة بين العبد وربّه فقد تولى سبحانه الرد مباشرة على عباده بقوله ﴿ إني قريب ﴾ دون أن يتولى رسوله نقل الإجابة على لسانه تأكيداً للصلة المباشرة بين العبد وربّه .

٥ - حرر الإسلام الإنسان من اعتقاد وراثته الخطيئة الأولى التي تعتبر حجر الزاوية في الفكر النصراني . يقول تعالى :
﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدي ﴿ طه : ١٢١ ، ١٢٢] .

﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [الأنعام : ١٦٤] .

وفي هذا التحرر ينطلق الإنسان في حياته بصحيفة بيضاء ، يستطيع أن يحافظ على صفاتها بالخير ، وهذا الشعور ينعكس بالطمأنينة على صحته النفسية ، فعمله هو الذي يرفعه وليس بحاجة إلى صكوك الغفران أو التكفير عن خطيئة غيره .

هذا التكريم الإلهي للبشر يستلزم منهم موقفاً واضحاً فيما بينهم تجاه الكرامة البشرية ، ومن عناصر ذلك الموقف :

(أ) حرمة الجسد البشري :

ليس من الإسلام أن يعذب أحد نفسه حتى ولو كان بحجة العبادة ، وليس له أن يعذب غيره .

روى الترمذي أن الرسول ﷺ خاطب الكعبة قائلاً :

« والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك » (الترمذي) .

وعن هشام بن حكيم عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا » (مسلم) .

(ب) حرمة النفس البشرية :

حرم الإسلام الإيذاء النفسي تماماً كما حرم الإيذاء البدني بغير وجه حق .

والإيذاء المعنوي قد يكون بكلمة أو إشارة أو حركة جارحة ، ويتجلى ذلك كله في الآية الكريمة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ [الحجرات : ١١] .

وقد وصف القرآن كل هذا الأذى المعنوي على أنه فسوق ، ويؤكد ذلك قوله ﷺ فيما رواه عبد الله :

« سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » [البخاري : الأدب] .
بل إن الحقيقة المؤلمة يجب إخفاؤها إذا كان في ذلك مصلحة مؤكدة للمسلم ، فالمريض الميثوس من شفائه لا يجوز مواجهته بالحقيقة المرة فيقضى بقية أيامه محطماً النفس ، فصلاية النفس دائماً تعود بالخير على صحة البدن ، لذلك يقول ﷺ :

« إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في أجله فإن ذلك لا يرد شيئاً ويطيّب نفسه » (الترمذي : الطب ، أبو داود : الجنائز) .

(ج) حماية حرمة الحياة الخاصة :

الإسلام يربى الفرد المسلم على الحياء .

« إن لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء » (ابن ماجه : الزهد ، الموطأ : حسن الأخلاق) فمن حق كل إنسان أن يعيش مستورا لا تكشف حرمانه وعورته ، ومن هنا كان المسكن الذى يستر المسلم من الحقوق الكفائية ، ولا يجوز لأحد أن يتجسس على عورات الناس .

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال :

« من كشف سترا فأدخل بصره فى البيت قبل أن يؤذن له فرأى عورة أهله فقد أتى حدا لا يحل له أن يأتيه . وإن مر الرجل على باب لا ستر له (غير مغلق) فنظر فلا خطيئة عليه إنما الخطيئة على أهل البيت » (البخارى : الأدب) .

وإذا كانت ضرورة العلاج تستدعى الكشف عن عورات الناس فإن الضرورة تقدر بقدرها بحيث لا يكشف إلا القدر الذى يستلزمه صالح المريض .

ويستتبع ذلك أنه إذا وضع المرضى فى غرف مشتركة فى المستشفيات فيجب أن يراعى كرامة المريض وستر عورته سواء من نفس الجنس أو من الجنس الآخر .

عن رسول الله ﷺ قال :

« من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا مؤودة من قبرها » (البخارى المناقب ، أبو داود : الأدب) .

(المدخل الإسلامى للطب - د . إبراهيم عبد الحميد الصياد . مجمع البحوث الإسلامية . الأزهر . سلسلة البحوث الإسلامية . السنة الثامنة عشرة ، الكتاب الرابع ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م / ٦١ - ٧٧) .

* حياة الحيوان الكبرى :

قال حاجى خليفه :

حياة الحيوان الكبرى : للشيخ كمال الدين محمد بن عيسى الدميرى الشافعى المتوفى سنة ٨٠٨ ثمان وثمانمائة وهو كتاب مشهور فى هذا الفن جامع بين الغث والسمين لأن المصنف فقيه فاضل محقق فى العلوم الدينية لكنه ليس من أهل هذا الفن كالجاحظ وإنما مقصده تصحيح الألفاظ وتفسير الأسماء المبهمة كما قال فى أول كتابه هذا كتاب لم يسألنى أحد تصنيفه وإنما دعانى إلى ذلك أنه وقع فى بعض

الدروس ذكر مالک الحزين والذبح المنحوس فحصل بذلك ما يشبه حرب البسوس فاستخرت الله سبحانه وتعالى فى وضع كتاب فى هذا الشأن ورتبته على حروف المعجم انتهى وذكر أنه جمعه من خمسمائة وستين كتابا ومائة وتسعة وتسعين ديوانا من دواوين شعراء العرب وجعله نسختين كبرى وصغرى فى كبراه زيادة التاريخ وتعبير الرؤيا وفرغ من مسودته فى شهر رجب سنة ٧٧٣ ثلاث وسبعين وسبعمائة أوله الحمد لله الذى شرف بوح (نوع) الإنسان إلخ . ولهذا الكتاب مختصرات منها مختصر الشيخ شمس الدين محمد بن أبى بكر بن الدمامينى المتوفى سنة ٨٢٨ ثمان وعشرين وثمانمائة أوله الحمد لله الذى أوجد بفضلته حياة الحيوان إلخ . ذكر فيه أن كتاب شيخه هذا كتاب حسن فى بابه جمع ما بين أحكام شرعية وأخبار نبوية ومواعظ نافعة وفوائد بارعة وأمثال سائرة وأبيات نادرة وخواص عجيبة وأسرار غريبة لكنه طول فى بعض أماكنه ووقع فى بعضه ما لا يليق بمحاسنه فاختر منه عينة وسماه عين الحياة مهديا إلى الأمير أحمد شاه بن مظفر شاه من ملوك الهند وفرغ فى شعبان سنة ٨٢٣ ثلاث وعشرين وثمانمائة . ومختصر عمر بن يونس بن عمر الحنفى أوله الحمد لله الذى يسر للإنسان منافع الحيوان إلخ . ذكر فيه أنه اقتصر من الحيوان على خواصه ومعناه اللغوى وأضاف إلى ذلك ما وجد فى خريدة العجائب ولم يخرج عن المعنى المقصود . ومختصر الشيخ تقى الدين محمد بن أحمد الفاسى المتوفى سنة ٨٣٢ اثنتين وثلاثين وثمانمائة . قال السخاوى فى حق الأصل وهو نفيس مع كثرة استطراده فيه من شىء إلى شىء وأتوهم أن فيها ما هو مدخول لما فيها من المناكير وقد جردها الفاسى وبنه (ونبه) على أشياء مهمة يحتاج الأصل إليها انتهى . ومختصر على النارى نزيل مكة المكرمة المتوفى سنة ١٠١٦ ست عشرة وألف سماء بهجة الإنسان فى مهجة الحيوان أوله الحمد لله الذى كرم نوع الإنسان إلخ . ذكر أنه ألفه بمكة سنة ١٠٠٣ ثلاث وألف . ومختصر الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة أوله الحمد لله خالق الحيوان إلخ . ذكر فيه أنه حذف من حشوه كثيرا وعرض منه أمرين أحدهما زيادة فائدة فى الحيوان الذى ذكره والثانى ذكر ما فات من الحيوان ملتقطا من كتب اللغة مميزة فى أولها بقلت وانتهى سماء ديوان

الحيوان والقسم الثانى مرتب على الحروف سماه ذيل الحيوان وفرغ منه فى ذى القعدة سنة ٩٠١ إحدى وتسعمائة . وترجمة حياة الحيوان بالفارسية للحكيم شاه محمد القزوينى ألفه للسلطان سليم خان القديم وزاد عليه أشياء وذيل حياة الحيوان للقاضى جمال الدين محمد بن على بن محمد الشيبى المكي المتوفى سنة ٨٣٧ سبع وثلاثين وثمانمائة سماه طيب الحياة . (كشف الظنون ١ / ٦٩٦ - ٦٩٧) .

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان . تأليف الشيخ كمال الدين الدميرى من علماء الأزهر الشريف من قرية دميرة بالصعيد وقد ذكر الكتاب وساق نبذاً منه الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين الفندى كدليل على اهتمام علماء الأزهر القديم بالعلم التجريبي والرياضيات والفلك والأحياء ونحوها . قال سيادته فى بحث نفيس له بعنوان « تراث المسلمين فى ميدان العلوم » :

ومن أشهر مؤلفاته « حياة الحيوان الكبرى » ، تحدث فيه (إلى جانب المجالات العلمية الخاصة بحياة الحيوان) عن الأدب واللغة شأنه فى ذلك شأن معظم كتاب وعلماء ذلك العصر .

ويعتبر كتاب الدميرى هذا مزيجاً من العلم ، والأدب . والتاريخ والفقه والحديث والقصص ، وقد ترجم إلى العديد من اللغات ، ويمكن اعتبار الكتاب كذلك بمثابة أول مرجع علمى فى علم الحيوان ، ظهر فى عصر لم تكن فيه علوم الحياة قد ظهرت .

وثمة ناحية أخرى هامة ، فحواها أن علماء ذلك الحين إنما كانوا ينظرون إلى العلم بمعناه الواسع الذى لا يقتصر على فرع بالذات بل كان العالم يشغل فى كل فروع المعرفة ويضمن كتابه أو كتبه حصيلة بحوثه ودراساته .

وقد رتب الدميرى الحيوانات التى كتب عنها ترتيباً أبجدياً على طريقة المعجم ، وتناول بالبحث ١٠٦٩ كائناً ، جعل لكل كائن اختاره صفات معينة مميزة ، تتضمن كل ما كان معروفاً آنئذ . ولقد توسع فى شرح صفات الحيوانات المشهورة ، وذلك بطبيعة الحال نظراً لتوفر ما يعرفه الناس عنها من معلومات .

ولم يقتصر الدميرى ، فى مجال الدراسات اللغوية ، على ذكر أسماء الحيوانات ، بل سرد أسماءها خلال مراحل نموها

المختلفة ، وكذلك ما يعرف من أسمائها فى مختلف بقاع بلاد العرب . فمثلاً البجع المعروف فى مصر يسمى فى بلاد العرب الحوصل ، والدجاجة عند أهل السودان هى الجداة .

وفيما يلى نبذات من كتاب الدميرى كما أوردها بالنص . قال فى سياق حديثه عن الأسد : « الأسد من السباع ، جمعه أسود ، والأنثى أسده وله أسماء كثيرة ... من أشهرها التاج والسبع والصعب ، والضرغام ، والضيغم والغضنفر والليث ... وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى . ومن كُناه أبو الأبطال ، وأبو الزعفران ، وأبو شبل ... وهو أشرف الحيوان المتوحش ، إذ منزلته منها منزلة الملك المهاب لقوته وشجاعته وشهامته ، لذلك يضرب به المثل فى القوة والنجدة والبسالة وشدة الإقدام ، ومن ثم قيل لحمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه «أسد الله» .

وهو أنواع كثيرة . قال أرسطو رأيت نوعاً منها يشبه وجه الإنسان وجلده شديد الحمرة ، وذنبه شبيه ذنب العقرب ، ولعل هذا هو الذى يقال له الورد . ومنه نوع على شكل البقر له قرون سود نحو شبر . وأما السبع المعروف فإن أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان يقولون إن الأنثى لا تضع إلا جرواً واحداً مضغة لحمية ليس له حس ولا حركة فتحرسه كذلك ثلاثة أيام ثم يأتى أبوه بعد ذلك فينفخ فيه المرة بعد المرة حتى تنفس وتتحرك وتنفرج أعضاؤه وتتشكل صورته ثم تأتى أمه فترضعه . ولا يفتح عينيه إلا بعد سبعة أيام من تخلقه . فإذا ما مضت عليه بعد ذلك ستة أشهر كلف الاكتساب بنفسه بالتعليم والتدريب .

قالوا وللأسد من الصبر على الجوع وقلة الحاجة إلى الماء ما ليس لغيره من السباع . ومن شرف نفسه أنه لا يأكل من فريسة غيره ، فإن شبع من فريسته تركها ولم يعد إليها . وإذا جاع ساءت أخلاقه . وإذا امتلأ من الطعام ارتاض ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب . وإذا أكل نهش من غير مضغ وريقه قليل جداً ولذلك يوصف بالبخر ، ويوصف بالشجاعة والجبن . فمن جبنه أنه يفزع من صوت الديك ، ويتحير عند رؤية النار . وهو شديد البطش ، ولا يدنو من المرأة الحائض ، وعلامة كبره سقوط أسنانه .

وكتب عن الأفعى يقول : « الأنثى من الحيات والذكر

والأرنب تنام مفتوحة العينين، فربما جاءها القناص فوجدها كذلك فيظنها مستيقظة.

والذى يحيض من الحيوان أربعة : المرأة، والضبع، والخفاش، والأرنب. ويقال أن الكلب أيضا كذلك. عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال فى الأرنب إنها تحيض.

يحل أكل الأرنب عند العلماء كافة. وحجتنا ما روى الجماعة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : ألفينا أرنبا بمر الظهران، فسعى القوم عليها، فأدركتها فأخذتها وأتيت بها أبا طلحة فذبحها، وبعث إلى النبى ﷺ بوركها وفخذها فقبله.

ومن أمثال العرب : أطعم أخاك من كلية الأرنب. أقطف من الأرنب، ويضربان للمواساة. قال الجاحظ : إذا شربت المرأة أنفحة الأرنب الذكر ولدت ذكرا وإذا شربت أنفحة الأنثى ولدت أنثى «تراث المسلمين فى ميدان العلوم» / ٢٥٩-٢٦٢.

ويسوق مؤلفو كتاب المنتخب من أدب العرب نصا من كتاب حياة الحيوان الكبرى للشيخ الدميرى كنموذج للنشر العلمى فى عصره، وهو كما يلى :

(الحمام) قال الجوهري هو عند العرب ذوات الأطواق، نحو الفواخت (جمع فاختة وهى الحمامة ذات الطوق).

والقمارى وساق حر والقطا والوراشين وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى ؛ لأن الهاء إنما دخلته على أنه واحد من جنس، لا للتأنيث؛ وعند العامة أنها الدواجن فقط، الواحدة حمامة. وقال حميد بن ثور الهلالي من أبيات :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة

دعت ساق حر برهة فترنما

والحمامة هنا القمرية، وقال الأصمعى فى قول النابغة :

واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت

إلى حمام شراع وارد الثمد

قالت : ألا ليثما هذا الحمام لنا

إلى حمامتنا أو نصفه فقد

فحسبوه فألفوه كما زعمت :

تسمي وتسعين لم ينقص ولم يزد

التمد : الماء القليل.

أفعوان بضم الهمزة والعين . قال الزبيدي الأفعى حية رقشاء دقيقة العنق، عريضة الرأس، وربما كانت ذات قرنين. وكنية الأفعوان أبو حيان وأبو يحيى لأنه يعيش ألف سنة، وهو الشجاع الأسود يواثب الإنسان، وهو شر الحيات. ومن عجيب أمرها ما يحكى أن أفعى منها نهشت غلاما فى رجله فانصدعت جبهته.

قال القزوينى : هى حية قصيرة السذب من أخبث الحيات. إذا فقت عينها تعود، ولا تغمض حدقتها البتة. تختفى فى التراب أربعة أشهر فى البرد ثم تخرج وقد أظلمت عينها تطلب شجر الرازيانج فتحك عينها به فيرجع إليها ضوءها.

وقال الزمخشري : يحكى أن الأفعى إذا أتى عليها ألف سنة عميت، وقد ألهمها الله تعالى أن مسح عينها بورق الرازيانج الرطب يرد إليها بصرها فربما كانت فى برية وبينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوى تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينها فترجع باصرة بإذن الله.

وإذا قطع ذنبها عاد كما كان. وإذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام وإذا ذبحت تبقى تتحرك ثلاثة أيام. وهى أعدى عدو للإنسان. وحكى أنها نهشت ناقة فى مشفرها ولها فصيل يرضعها فمات الفصيل فى الحال قبل موت أمه. وإذا مرضت أكلت ورق الزيتون فتشفى...

وقد قيل إن الأفعى صوتها من جلدها. ومن الأمثلة قالوا : أظلم من أفعى، وذلك أنها لا تحفر جحرا وإنما تأتى إلى جحر وقد احتفزه غيرها فتدخل فيه. قال الشاعر :

وأنت كالأفعى التى لا تحتفر

ثم تجيء مبادرا فتحتر

وقال عن الأرنب :

الأرنب واحدة الأرناب، وهو حيوان يشبه العناق، قصير اليدين، طويل الرجلين، عكس الزرافة. يطا الأرض على مؤخرة قوائمه، وهو اسم جنس على الذكر والأنثى. وذكر الأرنب يقال له (الحُزْز) بالخاء المعجمة المضمومة. ويقال للأنثى «عكرشة». والخرنق ولد الأرنب فهو خريق أولا ثم سخلة ثم أرنب...

هذه زرقاء اليمامة نظرت إلى قطا وارد في مضيق الجبل، فقالت: يا ليت هذا القطا لنا ومثل نصفه معه إلى قطا أهلنا، فيكمل لنا مائة قطاة؛ فاتبعت وعدت على الماء فإذا هي ست وستون، قال أبو عبيدة: رآته عن مسيرة ثلاثة أيام، وأرادت بالحمام القطا، فقالت ذلك، انتهى. وقال الأموي: الدواجن التي تستفرخ في البيوت تسمى حماما أيضا. وأنشد للعجاج:

إنى ورب البلد المحرم

والقاطنات البيت عند زمزم

* قواطنا مكة من ورق الحم *

يريد الحمام: وجمع الحمامة حمام وحمام وحمامات، وربما قالوا حمام للمفرد قال جرير العود:

وذكرني الصبا بعد التثائي

حمامة أيكـة تدعو حماما

وحكى أبو حاتم عن الأصمعي في كتاب الطير الكبير: أن اليمام هو الحمام البري، الواحدة يمامة؛ وهو ضروب. والفرق بين الحمام الذي عندنا واليمام أن أسفل ذنب الحمامة مما يلي ظهرها فيه بياض، وأسفل ذنب اليمامة لا بياض فيه، انتهى. ونقل النووي في التحرير عن الأصمعي: أن كل ذات طوق حمام. والمراد بالطوق الخمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة في طوقها. وكان الكسائي يقول: الحمام هو البري، واليمام الذي يألف البيوت؛ والصواب ما قاله الأصمعي، ونقل الأزهري عن الشافعي: كل ما عب وهدر وإن تفرقت أسماؤه فهو حمام، والعب بالعين المهملة شدة جرع الماء من غير تنفس، قال ابن سيده: يقال في الطائر: عب، ولا يقال: شرب، والهدير: ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له؛ قال الرافعي: والأشبه أن ما عب هدر، قال: فلوا اقتصروا في تفسير الحمام على العب لكفاهم؛ ويدل عليه أن الإمام الشافعي قال في عيون المسائل: وما عب من الماء عبا فهو حمام، وما شرب قطرة قطرة كالدجاج فليس بحمام (المنتخب من أدب العرب ٢ / ٤٧٠ - ٤٧٢).

توجد له عدة مخطوطات بأماكن مختلفة منها ما يأتي:

١ - معهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلي:

حياة الحيوان الكبرى:

تأليف كمال الدين محمد بن موسى الدميري الشافعي

المتوفى سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م (بروكلمان ١ / ١٣٨).

الموجود منه الجزء الأول.

أوله: الحمد لله الذي شرف نوع الإنسان بالأصغرين القلب واللسان ... وبعد، فهذا كتاب لم يسألني أحد تصنيفه، ولا كلفت القريحة تأليفه، إنما دعاني إلى ذلك أنه وقع في بعض الدروس ... ذكر مالك الحزين، والذبح المنحوس، فحصل ما يشبه في ذلك حرب البسوس ... فاستخرت الله تعالى وهو الكريم المنان في وضع كتاب في هذا الشأن ... ورتبته على حروف المعجم.

ويتهى هذا الجزء بنهاية حرف «السين» وبأوله قائمة في ست ورقات تجمع ما في الكتاب من أسماء الكتب والدواوين التي اعتمد عليها المؤلف ونقل منها، قام بجمعها الناسخ أثناء كتابته للنسخة.

— بقلم معتاد تم كتابة ٨٧٧ بخط محمد بن محمد بن محمد الشافعي الخطيب الرفاعي السامولي المقيم بالحجاز الشريف (وفيه كتب هذا الجزء) في ٣٠٠ ورقة تقريبا.

[متحف الأوقاف باستانبول T 2113]

(فهرس المخطوطات المصورة ج ٣ ق ٤ / ٣٧، ٣٨).

٢ - دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو مكتبة الأسد) (فهرس الأدب): وجاء بيان نسخه المختلفة كما يلي:

١ - النسخة الأولى: ١٢٣ ق ١٧ س ١٨,٥ × ١٣ سم الرقم ٣٩٣٠

٢ - النسخة الثانية: ٢٣٨ ق ٢٣ س ٢٧ × ١٨ سم الرقم ٣٢٨٣

٣ - النسخة الثالثة: ١٨٩ ق ٢٢ س ٢٧,٥ × ١٧,٥ سم الرقم ٣٢٨٢

٤ - النسخة الرابعة: ٣٨٨ ق ٢٣ س ٢٧,٥ × ١٧,٥ سم الرقم ٣٢٨٤

٥ - النسخة الخامسة: ٢٤٧ ق ٢٥ س ٢٦ × ١٧,٥ سم الرقم ٢٢٨٨

٦ - النسخة السادسة: ٤٥ ق ١٩ س ٢١ × ١٥ سم الرقم ٤٨١٩

٧ - النسخة السابعة: ٤٥ ق ٢٠ س ٢٠ × ١٤ سم الرقم ٤٣٠٠

٨ - النسخة الثامنة: ٥٣٧ ق ٢٧ س ٢٥ × ١٤ سم الرقم ٩٠٨٣

وهذه الأخيرة نسخة خزانة جيدة كتبت سنة ١٠٦١ هـ والناسخ هو محمد بن محمد الصروى بجامع العمري في مصر.

(فهرس الظاهرية . الأدب ١/١٩١ ، ١٩٢) .

٣ - دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) (فهرس العلوم والفنون المختلفة) وبيانه كما يلي ، وقد أدرج تحت عنوان : « حياة الحيوان » .

الرقم : ٩٠٨٣ .

مواضيع المخطوط .

تتضمن البحث في حياة الحيوانات والطيور بالتفصيل والتحدث عن تكاثرها ... وعن طباعها ... وعن صفاتها ... وعن فوائدها ... وعن أضرارها ... وعن خواصها ... وعن أنواع كل منها ... وعن صيدها ... وعن تحليل وتحريم أكلها ... والاستشهاد بالأحاديث النبوية وبأقوال بعض الصحابة وكبار العلماء والأدباء والفقهاء والشعراء ... والأمثال والحكم وبيان الخواص ويفسر التعبير في كثير من المناسبات ... « حتى أصبح يستفيد من هذا الكتاب العالم والأديب والفقيه ... » .

فاتحة المخطوط :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي شرف نوع الإنسان بالأصغرين القلب واللسان وفضله على سائر الحيوان بنعمتي النطق والبيان ... وبعد فهذا كتاب لم يسألني أحد تصنيفه ولا كلفت القريحة تأليفه وإنما دعاني إلى ذلك أنه وقع في بعض الدروس التي لا مخبأ فيها للعطر بعد عروس ... فاستخرت الله تعالى ... في وضع كتاب في هذا الشأن وسميته حياة الحيوان ... ورتبته على حروف المعجم ليسهل به من الأسما ما استعجم . باب الهمزة ...

خاتمة المخطوط :

... اليعسوب ... وهذا ما انتهى إليه الفرض مما يحصل في هذا الشأن الاكتفا وختم بملك النحل الذي استخرج الله تعالى من لعبه العسل والشمع وجعل أحدهما ضيا والآخر شفا وابتدا بملك الوحش الذي منه الشجاعة تقتفى وصلى الله على سيد المرسلين ... وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء والذي قبله يوم الثلاثاء المبارك تاسع شهر صفر الخير من شهور سنة إحدى وستين بعد الألف والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وسلم ..

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة قيمة وجيدة ، تشتمل على جزءي الكتاب وينتهي الجزء الأول بحرف الصاد المهملة ، ويبدأ الجزء الثاني بحرف الضاد المعجمة . وهذه النسخة كاملة ، تختلف عن النسخ التي فهرسها الدكتور حمارة برقم : ٣٢٨٢ و ٣٢٨٣ و ٣٢٨٤ و ١٢١ جاءت الصفحة الأولى من المخطوط مزخرفة ومجدولة بماء الذهب وأطرت بقية صفحات الكتاب بخط أسود ، ترك لها هامش بعرض : ٣ سم عليه بعض الشروح والتعليقات ، كتبت أسماء الفصول والأبواب والحروف الأبجدية ورؤوس الفقر والعبارات وكثير من الكلمات كتبت بالحبر الأحمر ، لها تعقيد منتظمة في آخر كل ورقة . عليها تملكات باسم علي بن السيد رشيد ... ابن السيد عثمان المشهور بابن قضيب البان سنة ١٣١٥ وباسم الدكتور أسعد الحكيم بالإرث من عمه المرحوم السيد علي الحكيم سنة ١٣٣٥ هـ ، وتملك باسم إبراهيم بن السيد عمر الحكيم سنة ١٢٤٨ ، وجاء ضمن مثلث في الصفحة الأخيرة علق هذا الجزء والذي قبله بيده ... محمد بن محمد الصروى بجامع الغمري ... وذلك برسم الكريم المقر العالي ... الحبيب النسيب محمد العزى المتفرق بديوان مصر ... وجاء بخط مغاير : تاريخ المصنف ... ما هذه صورته قال مؤلفه ... وكان الفراغ من مسودته في شهر رجب الحرام سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة جعل الله ذلك لوجهه الكريم ... ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ... تمت .

عدد أوراقها : ٥٣٧ بقياس : ٢٥ × ٢٤ ، سم السطور : ٢٧ سطرا .

كتب بخط نسخي جميل جدا وبحبر أسود وأحمر ، جلدها كرتون مغلف بجلد خمري عليه زخارف جميلة مذهبة وله لسان من جلد أحمر .

اسم الناسخ وتاريخ النسخ : محمد بن محمد الصروى بجامع الغمري سنة ١٠٦١ هـ

المصادر عن المؤلف والكتاب : كشف الطنون ١/٦٩٦ . بروكلمان ١٣٨/٢ ، والذيل ١٧٠/٢ ، ١٧١ ، معجم المؤلفين ١٢/٦٥ ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ١/٨٨٨ .

طبقات الكتاب .

طبع في بولاق سنة ١٢٧٥هـ و ١٢٤٨ و ١٢٩٢هـ . وفي
الآستانة سنة ١٢٧٢هـ وفي مصر سنة ١٣١٣هـ . وفي المطبعة
الأديبة سنة ١٣١٩هـ . وبهامشها عجائب المخلوقات
للقزويني .

قالت المؤلفة : الكتاب الذي عندي وبهامشه كتاب
عجائب المخلوقات للقزويني هو طبع دار إحياء التراث
العربي ، بيروت ، ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، بدون
تاريخ ويقع في جزئين اهـ .

وطبع في المطبعة الميمنية سنة ١٣٠٥هـ ، وفي مطبعة
شرف سنة ١٣٠٦هـ ، وفي مصر سنة ١٣٣٠هـ . وطبع في
بلاد فارس سنة ١٢٨٥هـ ، مع صور ورسوم جميع الحيوانات
وبعض الأدميين الوارد ذكرهم فيه ، وترجم كتاب الحيوان أكثره
لا كله إلى اللغة الإنكليزية بقلم « جياكار » وطبع في لندن سنة
١٩٠٦ و ١٩٠٨هـ .

أما النسخة الثانية وهي الجزء الثاني ، أدرجت في الفهرس
تحت عنوان « حياة الحيوان الكبرى » وجاء بيانه كما يلي :

الرقم : ٩٧٠٩ .

مواضيع المخطوط :

جاء في الصفحة وقبل فاتحة الكتاب : « ذكر العلوم
المجتمعة في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري : ١ -
تفسير - ٢ - حديث ، ٣ - فقه - ٤ - نحو - ٥ - صرف - ٦ -
معاني - ٧ - بيان - ٨ - تصوف - ٩ - تاريخ - ١٠ - طبقات -
١١ - تعبير - ١٢ - خواص - ١٣ - طب - ١٤ - هندسة - ١٥ -
فلك - ١٦ - رمل - ١٧ - هيئة - ١٨ - فرائض - ١٩ - أدعية - ٢٠ -
حساب - ٢١ - سيميا - ٢٢ - كيميا - ٢٣ - أوقاف - ٢٤ - لغة -
٢٥ - عروض - ٢٦ - أدب - ٢٧ - ألغاز - ٢٨ - أحجية - ٢٩ -
معنى - ٣٠ - شعر - ٣١ - إنشا - ٣٢ - أصول فقه - ٣٣ - منطق -
٣٤ - أصول حديث - ٣٥ - أمثال - ٣٦ - حِكْم - ٣٧ - بستنة -
٣٨ - نجوم - ٣٩ - روحاني - ٤٠ - رسم كتابة - ٤١ - خواص -
٤٢ - أدعية - ٤٣ - وعظ - ٤٤ - طلاس - ٤٥ - شعيرة - ٤٦ -
توحيد - ٤٧ - زائرجا - ٤٨ - سحر » وهذه هي مواضيع الكتاب
فاتحة المخطوط :

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم يا معين
الصابرين باب الشين المعجمة الشادن بكسر الدال المهملة

الظبي الذكر... الشارف المسنة من النوق... أم شبقونة...
طاير يكون من الحمر والغنم...
خاتمة المخطوط :

... باب الياء يأجوج ومأجوج يهمزان ولا يهمزان...
اليوصى... طاير بالعراق... اليعسوب اسم مشترك يقع على
طائر نحو الجرادة... وقيل للسيد يعسوب قومه... وكما
تجتمع النحل على يعسوبها... وأبتدأ بملك الوحش الذي منه
الشجاعة تقتفى وحسبنا الله وكفى وصلى الله... قال مؤلفه
فقير رحمة ربه كمال الدين الدميري رحمه الله كان الفراغ من
مسودته في شهر رجب الفرد سنة ثلاث وسبعين وسبعماية
جعل الله ذلك خالصا لوجهه الكريم... ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم تم كتاب حياة الحيوان الكبرى بحمد الله...
وكان الفراغ من كتابته نهار الأحد عاشر شهر شعبان المبارك
من شهور سنة خمسة عشر وألف على يد... محمد بن حسين
البعلي الشافعي... غفر الله له ولوالدين [ولوالديه] ولمن
كتب برسمه... ورضى الله عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلى
وعن أصحاب رسول الله أجمعين...

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة حسنة ، جاء في الصفحة الأولى من الورقتين اللتين
تسبقان فاتحة المخطوط وبخط كبير : « الجزء الثاني من
كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري... أول هذا الجزء وهو
الثاني من حياة الحيوان وبه تتم النسخة كتاب الشين مادة
شادن » عليه تملكات ، شطب بعضها وبقي منها : تملك
باسم محمد الأمين بن خليل بن عبد الرحيم ، وآخر باسم
عثمان بن مراد الحنفي في ربيع الأول سنة ١٢١٦ وآخر باسم
عبد إسماعيل القتال سنة ١١٠٠ .

كتبت أسماء الأبواب والفصول ورؤوس الفقر والعبارات
والكلمات الهامة بالحبر الأحمر ، كما وجدت نقط حمراء
كثيرة وخطوط حمراء تحت بعض الكلمات ، ترك لها هامش
بعرض : ٤ سم كتبت عليه بعض الشروح والتصويبات ، لها
تعقيبية منتظمة في آخر وأول كل ورقة ، كتبت بخط نسخي
وبحبر أسود وأحمر . جلد ها كرتون مغلف بجلد قديم عليه
زخارف وله لسان .

عدد أوراقها : ٣٣٢ بقياس : ٢١ × ١٥ سم وعدد
السطور ٢١ - ٢٥ سطرا .

اسم الناسخ وتاريخ النسخ :

محمد بن حسين البعلی الشافعی : نهار الأحد عاشر شعبان المبارك سنة : ١٠١٥ هـ .

المصادر عن المؤلف والكتاب :

كشف الظنون / ١ / ٦٩٦ .

بروكلمان : ١٣٨ / ٢ والذيل ١٧٠ / ٢ .

معجم المؤلفين : جزء ١٢ صفحة : ٦٥ / ٠

معجم المطبوعات العربية والمعربة : ج ١ / ص ٨٨٨ مطبوعات الكتاب :

طبع في مطبعة بولاق سنة : ١٢٧٥ هـ و ١٢٤٨ و ١٢٩٢ هـ ،

وفي الأستانة سنة : ١٢٧٢ هـ وفي مصر سنة ١٣١٣ هـ

وفي المطبعة الأدبية سنة : ١٣١٩ هـ ، وبهامشها عجائب

المخلوقات للقزويني ، وفي المطبعة الميمنية سنة : ١٣٠٥ هـ

وفي مطبعة شرف سنة ١٣٠٦ هـ وفي مصر سنة ١٣٣٩ هـ وطبع

في بلاد فارس سنة ١٢٨٥ هـ مع صور ورسوم جميع الحيوانات

وبعض الأدميين الوارد ذكرهم فيه ، وترجم كتاب الحيوان أكثره

لا كله إلى اللغة الإنكليزية بقلم « جياكار » وطبع في لندن سنة

١٩٠٦ و ١٩٠٨ هـ .

(فهرس الظاهرية . العلوم والفنون المختلفة / ٢٤٥ -

٢٥٢ ؛

٤ - خزانة القرويين بفاس ، وجاء بيانه كما يلي :

جزءان ضخمان بخط مشرقى واضح ورؤوس الكلام

مكتوبة بالأحمر بظهر الورقة الأولى من الجزء الأول وثيقة

تحسيس السلطان مولاي عبد الله جميع هذا الديوان على خزانة

القرويين عام ١١٥٦ .

أوله : الحمد لله الذي شرف نوع الإنسان بالأصغرين

القلب واللسان على سائر الحيوان ... قال في الكشف : فرغ

المؤلف من مسودته في شهر رجب سنة ٧٧٣ قال : وهو كتاب

مشهور بهذا الفن جامع بين الغث والسمين لأن المصنف فقيه

فاضل محقق في العلوم الدينية لكنه ليس من أهل هذا الفن

كالجاحظ وإنما مقصده تصحيح الألفاظ وتعبير الأسماء

المبهمة وجعله نسختين كبرى وصغرى في كبراه زيادة التاريخ

وتعبير الرؤيا . قال السخاوي في حق الكتاب المذكور وهو

نفيس مع كثرة استطراده فيه من شيء إلى شيء وأتوهم أن فيها

ما هو مدخول لما فيها من المناكير وقد جردها الشيخ تقى

الدين محمد بن أحمد الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢ ونبه على

أشياء مهمة يحتاج الأصل إليها اهـ ولهذا الكتاب مختصرات .

يبتدىء الجزء الأولي بدياجة الكتاب وينتهي بآخر حرف

الصاد وقع الفراغ من نسخه سنة ١٠٩٣ على يد كاتبه قاسم

ابن يونس بن رمضان المغربي القريناني بلدًا المالكي مذهبا .

أوراقه ٢٦٠ مسطرته ٣١ مقياسه ٢٩ / ٢٠ .

والثاني مثل الأول خطأ وقالب وهيئة يبتدىء بباب الضاد

المعجمة وينتهي بالكلام على اليعسوب من حرف الياء ، قال

المؤلف آخره : وكان الفراغ من مسودته في شهر رجب سنة

٧٧٣ ومن هذه النسخة المباركة في شعبان سنة خمس

وثمانمائة اهـ . قال ناسخه تم كتاب حياة الحيوان الكبرى في

ثامن شهر ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وألف على يد كاتبه

قاسم بن يونس ...

أوراقه ٢٢٧ مسطرته ٣١ مقياسه ٢٩ / ٢٠ .

وتوجد نسخة أخرى بالرقم التسلسلي ٥٥١ جاء بيانها كما

يلي :

جزء واحد ضخم بخط مشرقى صحيح جيد منقول من

أصول صحيحة وأسماء الحيوانات ورؤوس المسائل فيه

بالأحمر أول ورقة فيه من حرف الخاء وآخره حرف الياء ويوجد

قبل الورقة الأخيرة نقص نحو الورقة أو الورقتين .

قال ناسخه : وافق الفراغ من نسخة آخر اليوم الخامس

والعشرين بخمس بقين من شهر صفر سنة ٨٢٢ على يد فقير

رحمة ربه محمد بن محمد بن يوسف الشافعي المنزلي قال

كاتبه من نسخة كان في آخرها مكتوبا ما صورته : كتبت من

نسخة كتبت من خط المؤلف وفيها قال كاتبه فقير رحمة ربه

وكان الفراغ من مسودته في شهر رجب سنة ٧٧٣ جعلها الله

تعالى خالصا [خالصة] لوجهه ، وكان الفراغ من نسخة

المؤلف في شعبان سنة ٨٠٥ ، قال ذلك وكتبه محمد بن

موسى الدميري ...

أوراقه ٢١١ ، مسطرته ٢٥ مقياسه ٢٥ / ١٧

ونسخة أخرى بالرقم التسلسلي ٥٥٢ جاء بيانها كما يلي :

الجزء الثاني منه بخط مغربي واضح يبتدىء بباب الضاد

المعجمة، الضبان ... وبين الورقة الأولى والثانية بتر إلى عنقاء من حرف العين وآخره الكلام على اليعسوب وقع الفراغ من نسخه عام ١٠٦٦ كتبه الحسن بن علي كما بآخره، وبأوله شهادة استرعائية [استدعائية] بمعرفته من كتب الخزانة بتاريخ عام ١٢٤٧.

أوراقه ١٤٥ مسطرته ٢٩ مقياسه ٢٨ / ١٨.

(فهرس خزانة القرويين ٢/ ٦٠-٦٣).

٥ - دار الكتب القطرية، وقد أدرج تحت عنوان «حياة الحيوان»، وجاء بيانه كما يلي: انظر المعجم ص ٨٨٨ (المجلد الأول):

نسخة ناقصة من الأول، كتبت بخط لا بأس به، ويبدو أن الناسخ من تلامذة المؤلف. ١٦٦ ورقة ٢٤ × ١٥ سم، مسطرتها ٢٣ سطرًا (المنتخب ق ٣/ ١٠٩).

٦ - دار الكتب القومية (بمصر) ترجمته التركية وهي بعنوان «ترجمة حياة الحيوان» وجاء بيانها كما يلي:

تأليف كمال الدين أبي البقاء محمد بن مرسى بن عيسى ابن علي الدميري المصري الشافعي المتوفى سنة ٨٠٨ هـ. ترجمة عبدالحليم بن علي بن سليمان بن علي الرشيد المتخلص بحلمى القريمى. وفرغ من الترجمة في أواخر ربيع الثاني سنة ١١٣١ هـ.

وهو كتاب مشهور جامع بين الغث والسمين، جمعه المؤلف من خمسمائة وستين كتاب ومائة وتسعة وتسعين ديوانا من دواوين شعراء العرب وجعله نسختين كبرى وصغرى وفرغ من مسودته في شهر رجب سنة ٧٧٣ هـ.

أول الترجمة: حمد بيغابه وسياس بي نهاية أول يزدان جهان آفرينه أولسون كه ... إلخ.

- نسخة مخطوطة في مجلد، بأولها حلية، الورقة الأولى (ظهر) والثانية (وجه) مجدولة ومحلاة بالذهب والباقي بدون جداول، بقلم فارسي عادى، بدون تاريخ، في ٢٨٢ ورقة، مسطرتها ٢٣ سطرًا، في ١٥ × ٢٠,٥ سم.

(٣ تاريخ طبيعى تركى طلعت).

(فهرس المخطوطات التركية العثمانية ١/ ١٩٧، ١٩٨). (كشف

الظنون لحاجي خليفة ١/ ٦٩٦، ٦٩٧، وتراث المسلمين في ميدان

العلوم» - د. محمد جمال الدين الفندى. دراسات في الحضارة الإسلامية. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ م ٢/ ٢٥٩-٢٦٢، والمنتخب من أدب العرب - جمعه وشرحه طه حسين وزملاؤه ٢/ ٤٧٠-٤٧٢، وفهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ج ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعات - وضع فؤاد سيد. القاهرة ١٩٦٣ / ٣٧، ٣٨، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الأدب - وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٩١، ١٩٢، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. العلوم والفنون المختلفة عند العرب - وضع مصطفى سعيد الصباغ / ٢٤٥-٢٥١، وفهرس مخطوطات خزنة القرويين لمحمد العابد الفاسي ٢/ ٦٠-٦٣، والمنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣/ ١٠٩، وفهرس المخطوطات التركية العثمانية التي اقتنتها دار الكتب القومية منذ عام ١٨٧٠ حتى نهاية ١٩٨٠، ١/ ١٩٧، ١٩٨).

«حياة عبد الحميد الألوسى:

من مصنفات التراث الإسلامى فى التراجم والسير.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم: ١١٢٨٦.

لعبد الحميد بن عبد الله بن محمد الألوسى المتوفى سنة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م وهى ترجمة كتبها المؤلف عن نفسه وأشار فيها إلى آثاره ومشايخه.

نسخة جيدة كتبت سنة ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ م.

القياس ١٣ ص ١٣,٥ × ٢١,٥ سم ٢٠ س

المسك الأذفر / ٣١ معجم المؤلفين ٥/ ١٠٢ معجم المؤلفين العراقيين ٢/ ٢٣٤.

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى -

أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٦٢).

انظر مادة «الألوسيون» فى م ٥٧٣.

«الحياة فى شرح شروط الصلاة:

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم: ٨٠٨٤.

تأليف مصلح الدين مصطفى بن حمزة بن إبراهيم بن

ولى الدين الشهير بالاطه وى من علماء القرن الحادى عشر

كان حيا سنة ١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ م.

بدأها بذكر نسب النبي ﷺ وشيئا من سيرته ثم، كتب على صفحة الغلاف الحياة في شروط الصلاة لابن كمال باشا .

أوله : الحمد لله الذي خلق آدم بقدرته ، وأسجد له جميع ملائكته ، وأسكنه في جناته ...

وآخره : وفي الشريعة : إن غسل الرجلين بالماء البارد بعد الخروج من الحمام أمان من الصداع . انتهى كتاب الحياة شرح شروط الصلاة . ومخرج مسائل هذه الرسالة مأخوذة من الكتب المعتمدة التي ذكرت في أول الكتاب .

نسخة جيدة قديمة ، عليها وقفية محمد سعيد آل حمزة على المكتبة الظاهرية .

الخط نسخ معتاد . بعض الكلمات كتبت بالحمرة .

المراجع : معجم المؤلفين ١٢ / ٢٤٩ ، فهرس الخديوية ٣ / ٤٢ ، هدية العارفين ٢ / ٤٤١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى - وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٢٨٩ ، ٢٩٠) .

* حياة القلوب فيما يزول به علل الجهل والذنوب :

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم : ١٠٠٠٢ .

رسالة فى الوعظ والتصوف ضمنها أبواب .

١ - فى الإيمان والإسلام .

٢ - الورع والتقوى .

٣ - فى الصلاة .

٤ - فى الزكاة .

٥ - فى الصوم .

٦ - فى الحج .

٧ - فى الأضحية ...

المؤلف : لعله محمد بن الحسن بن على الأسنائى المصرى الشافعى المتوفى سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٣ م .

أولها : الحمد لله الذى هدانا إلى دين الإسلام والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد وآله الكرام وبعد : فهذه رسالة فى علم الدين جمعته ...

آخرها : قال عليه السلام « ما عمل ابن آدم من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إراقة الدم » وقال عليه السلام : « عظموا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم » .

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر . نسخة ثانية .

الرقم : ٨٠٧١ .

أولها : كالسابقة :

آخرها : ثم يقول يا ملك الموت من بقى من خلقى فيقول : إلهى أنت الباقي الذى لا يموت وجبريل وإسرافيل وميكائيل ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : تمتاز هذه النسخة عن الأولى بأن الباب السابع باب ذكر نداء الروح ولم يذكر الأضحية وهى نسخة مراجعة عليها تملكات منها تاريخه سنة ١١٣١هـ .

مصادر عن الكتاب : كشف الظنون ١ / ٦١٨ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٩ / ٢٠٤ .

طبعة الكتاب : طبع بهامش قوت القلوب اعتبارا من ص ٢٥٧ جزء أول المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٠هـ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٨٨ ، ٤٨٩) .

* حياة الحسين :

من مصنفات التراث الإسلامى فى التراجم والسير .

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم : ٢١٥٩٠ .

لباقر شريف القرشى النجفى .

نسخة جيدة كتبت بخط المؤلف .

القياس ٣٧٧ ص ٢١ × ١٥ سم ١٨ س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٦١) .

* حياة القلوب من موعظة المرغوب :

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف

مخطوط بدار الكتب الظاهرية (أو بمكتبة الأسد).

الرقم : ٥٣٩٤ .

كتاب في سبعة وتسعين بابا، الباب الأول في ثواب التعود من الشيطان الرجيم وحكايته، والسابع والتسعين في فضائل الأصحاب، وكل الأبواب في ثواب الأفعال الشرعية والتعبدية وفيه البعث والجنان وقصص بعض الأنبياء ...

المؤلف : عبد الباري بن طورخان بن طورمش السنيوي كان حيا سنة ٩٣٦هـ / ١٥٣٠م .

أوله : الحمد لله الذي هدانا بالقرآن المجيد، الذي نزل علينا من الحكيم الحميد، وفضلنا على سائر الأمم بأكرم أنبيائه بالتأييد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ...

آخره : وأما سعة رحمة الله تعالى قال الله تعالى في سورة النساء ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ ...

الخط نسخ معتاد دقيق، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر .

اسم النسخ : إبراهيم بن حمزة بن مسعود .

تاريخ النسخ : ذي الحجة سنة ١٢١٢ هـ .

ملاحظات : نسخة مراجعة ومصححة من قبل النسخ الورقة الأولى مذهبة وقد ذكر أنه استفرغ جهده في ذلك حيث إن النسخة التي نقل عنها فيها بعض التحريف .

- نسخة ثانية :

الرقم : ١٣٨١ تصوف ٦١ .

أولها : مخروم يتبدى بـ الباب السابع في ثواب الصلاة على النبي ﷺ وفيه خمس فصول ويأتي ذلك في ق ٣٨ من النسخة السابقة ...

آخرها : مخروم ينتهي بـ الباب الخامس والثمانين بـ : ونزع قميصه وربط يده وتله للجبين أي صرعه على شقه الأيمن، ويوافق النسخة السابقة في ق ٢٨٣ .

الخط نسخ واضح ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر ...

مصادر عن الكتاب : كشف الظنون ١ / ٦٩٨ بروكلمان الذيل ٢ / ٦٥٤ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٦٧ / ٥ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٩٠ ، ٤٩١) .

* حيث :

حيث : ظرف مكان . قال الأخفش : وترد للزمان مبنية على الضم تشبيها بالغايات ، فإن الإضافة إلى الجمل كلا إضافة، ولهذا قال الزجاج في قوله تعالى ﴿ من حيث لا ترونهم ﴾ [الأعراف : ٢٧] ما بعد حيث صلة لها وليست بمضافة إليه : يعنى أنها غير مضافة للجمله بعدها فصارت كالصلة لها : أى كالزيادة، وليست جزءا منها . وفهم الفارسي أنه أراد أنها موصولة فرد عليه . ومن العرب من يعربها، ومنهم من يبينها على الكسر بالتقاء الساكنين وعلى الفتح للتخفيف، ويحتملها قراء من قرأ ﴿ من حيث لا يعلمون ﴾ [القلم : ٤٤] بالكسر ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالاته ﴾ [الأنعام : ١٢٤] بالفتح ، والمشهور أنها لا تنصرف . وجوز قوم في الآية الأخيرة كونها مفعولا به على السعة . قال : ولا يكون ظرفا لأنه تعالى لا يكون في مكان أعلم منه في مكان ، ولأن المعنى : الله يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة لا شيئا في المكان، وعلى هذا فالناصب لها يعلم محذوفا مدلولاً عليه بأعلم لا به ، لأن أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به إلا إن أولته بعالم . وقال أبو حيان : الظاهر إقرارها على الظرفية المجازية وتضمنين أعلم معنى ما يتعدى إلى الظرف، فالتقدير : الله أنفذ علما حيث يجعل : أى هو نافذ العلم في هذا الموضع .

(الإتيان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٢١١ / ١) .

* حيدر آباد :

مملكة حيدر آباد تقع في إقليم الدكن لا تضاهيها إمارة بسعة المساحة وكثرة السكان والمزارع والمناجم من الذهب والفضة والألماس . وهي التي تسمى بالدولة الأصفية، تحكمها أسرة من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

تأسست على يد الأمير نظام الملك آصف جاه قمر الدين ابن غازي الدين ابن الخواجة عابد الصديقي الحنفي، الصدر الأعظم لمحمد شاه التيموري سلطان الهند، استقل بها

خمسة وعشرين سنة ، ومات سنة إحدى وستين ومائة وألف .

ثم قام مقامه ولده نواب نظام الدولة « ناصر جنك » ومدته سنتان مات سنة أربع وستين ومائة وألف ، ثم ولي المملكة أخوه « صلابت جنك » ومدته إحدى عشرة سنة فخلعه الوزراء سنة خمس وستين ومائة وألف ، ثم ولي أخوه نظام الملك نواب نظام على خان الأصف جاه الثاني ، واستقل بها أربعاً وأربعين سنة ، وكان ملكاً حازماً شهماً مقدماً ، مات سنة ثمانين عشرة ومائتين وألف ، ثم ولي ولده « سكندر جاه » وكان فاضلاً استقل بالملك ستاً وعشرين سنة ، مات سنة أربع وأربعين ومائتين وألف ، ثم ولده نواب ناصر الدولة واستقل بالملك ثمانين وعشرين سنة ، مات سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف ثم ولي ولده نواب أفضل الدولة وامتدت أيامه إلى انتى عشرة سنة ، مات سنة خمس وثمانين ومائتين وألف ثم ولي ولده مير محبوب على خان ، وكان ابن سبع سنين ، فصار الوصى على عرشه وزيره مختار الملك فدار نظام المملكة حتى ظلت آمنة مطمئنة ، ولما توفي الوزير المذكور سنة تسع وتسعين ومائتين وألف وصار الملك رجلاً أخذ بيده عنان السلطة بحكمة وهمة عالية ومهارة فائقة وخبرة تامة بشؤون بلاده . وفي سنة ١٣٣٨ هـ أصدر أمره بتنظيم الجمعية التشريعية وهي تتكون من تسعة أعضاء وأنشأ جامعة مستقلة سماها الجامعة العثمانية وأسس دار الترجمة عام ١٩١٧ م كما أسس دائرة المعارف العثمانية ومطبعتها الشهيرة التي طبعت آلاف الكتب باللغة العربية وغيرها بشتى الفنون والعلوم .

وكان يبعث الطلاب المتفوقين إلى الجامعات العربية على حسابه ، وكان قد اتسع نطاق كرمه من أقصى الهند إلى أقصاها ، والغيث كافة الإمارات على أثر التقسيم سنة ١٩٤٧ م إلا حيدر آباد فقد بقيت مستقلة حتى دخلتها الجيوش الهندية في شهر أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٨ م فانضمت إلى الجمهورية الهندية .

(ملوك وأمراء العرب في شبه القارة الهندية - يونس الشيخ إبراهيم السامرائي / ١٦٧ ، ١٦٨ عن نزعة الخواطر ٩ / ٢٩٧ - ٣٠١) .

* الحيدر آبادي (١٢٦٤-١٣٣٦ هـ):

من علماء العرب في شبه القارة الهندية . عربى من ذرية

عمر بن الخطاب ، وهو العلامة الشيخ أنوار الله بن شجاع الدين بن القاضي سراج الدين العمري الحنفى القندهارى الحيدر آبادي - أحد العلماء المشهورين .

ولد لأربع خلون من ربيع الآخر سنة ١٢٦٤ هـ بقندهار قرية من أعمال ناندير من أرض الدكن ، ولما شب حفظ القرآن الكريم وقرأ المختصرات على أساتذة بلاده ثم درس في بلدة حيدر آباد على العلامة الشيخ عبد الحليم الأنصارى اللكهنوى ثم لازم ابنه الشيخ عبد الحى اللكهنوى ودرس التفسير على الشيخ عبد الله اليمنى ، وقرأ كتب التصوف على والده وأجيز منه بالعلم والطريقة وبرع في كثير من العلوم والفنون ثم توظف في الحكومة واستقال بعد مدة قصيرة وذهب لأداء فريضة الحج سنة ١٢٩٤ هـ فلقى الشيخ الكبير الحاج إمداد الله نزيل مكة المكرمة فأخذ عنه الطريقة وأجازه .

واختير معلماً لصاحب الدكن سمو الأمير محبوب على خان النظام السادس ، سنة ١٢٩٥ هـ ولقب بخان بهادر سنة ١٣٠١ هـ وفي نفس السنة أدى فريضة الحج للمرة الثانية وفي سنة ١٣٠٥ هـ حج للمرة الثالثة وأقام بالمدينة ثلاث سنوات ورجع إلى حيدر آباد سنة ١٣٠٨ هـ ، وعين معلماً لولى العهد الأمير عثمان على خان ، ولما مات صاحب الدكن الأمير محبوب على سنة ١٣٢٩ هـ ، وتولى ولده حكم الدكن عينه لمنصب الصدارة والاحتساب وكان ذلك سنة ١٣٣٠ هـ وولاه وزارة الأوقاف سنة ١٣٣٢ هـ ، ولقبه « نواب فضيلت جنك » وفي ربيع الأول سنة ١٣٣٢ هـ عين معلماً لولى العهد وصنوه ، وصارت له الوجاهة والكلمة النافذة في الأمور الدينية والمسائل الشرعية وقام بإصلاحات كثيرة وانتفع به البلاد والعباد .

وكان أوحده زمانه في العلوم العقلية والنقلية وقد تصدر للتدريس والمطالعة والتأليف ، فأسس المدرسة النظامية بحيدر آباد سنة ١٢٩٣ هـ ، وأسس مجمعا علميا للتأليف والنشر سماه إشاعة العلوم . وله مصنفات كثيرة بالعربية والأردية ، منها إفادة الأفهام في مجلدين في السرد على القاديانية ، وكتاب العقل في الفلسفة القديمة والجديدة وحقيقة الفقه في مجلدين ، ومناقب أبى حنيفة ، وأنوار أحمدى في مولد النبى ﷺ ، ومقاصد الإسلام في أحد عشر جزءاً كلها في الأردية وله غير ذلك من المؤلفات .



(الوح ٦٧) : جزء من مصلى جامع الحيدر خانة الشتوي .

شيد جامع الحيدر خانة بطابوق وجص ويتصف بناؤه بمثانة وضخامة ظاهرة . ويزيد سمك جدران بيت الصلاة على المترين وقد بنيت بهذه الصورة لتحمل ثقل القبة الضخمة التي تغطي بلاطة المحراب ، وتفصل بين أساكيب المصلى وبلاطاته دعائم ضخمة ، الوسطية منها مربعة طول ضلعها ٢م أما الجانبية فمستطيلة أبعادها ٢,٥ × ٢,٥ مترا ، وتجلس قبة بلاطة المحراب على رقبة أسطوانية قطرها ١١ مترا ويرتفع رأس القبة عن مستوى أرض المصلى ١٨ مترا وهذه القبة هي أكبر قباب مساجد العراق السابقة وأجملها من حيث شكلها والتعليقات الزخرفية التي تزينها من الخارج والداخل . وهي بصلية الشكل وقد كسيت من الخارج بغطاء مع قراميد قاشانية ذات زخارف تتألف من فروع نباتية تلتف وتلتوى لتغطي كامل القبة وبلون أزرق نيلي وأصفر يرتقلى على أرضية بلون أزرق مخضر . ورقبة هذه القبة طويلة نسيجا إذا ما قورنت مع رقاب القباب السابقة وتدخلها ثمان نوافذ ذات عقود مدببة ومتبادلة مع ثمانى حنايا بنفس الطراز وزينت بداية رقبة القبة من الداخل بشريط مشغول بكتابات من آيات قرآنية يحدد النوافذ من الأسفل وينظره شريط آخر يعلو النوافذ يشغل أيضا بكتابات بخط جميل وزخرفت قمته من الداخل أيضا

مات في نهاية جمادى الآخرة سنة ١٣٣٦ هـ ودفن في المدرسة النظامية التي أسسها .

(علماء العرب في شبه القارة الهندية - يونس الشيخ إبراهيم السامرائي / ٧٣٤ ، ٧٣٥ عن سير العارفين / ٦٠ ، ونزهة الخواطر / ٨ - ٧٨ - ٨٠) .

« الحيدر خانة (جامع) » :

من جوامع العراق .

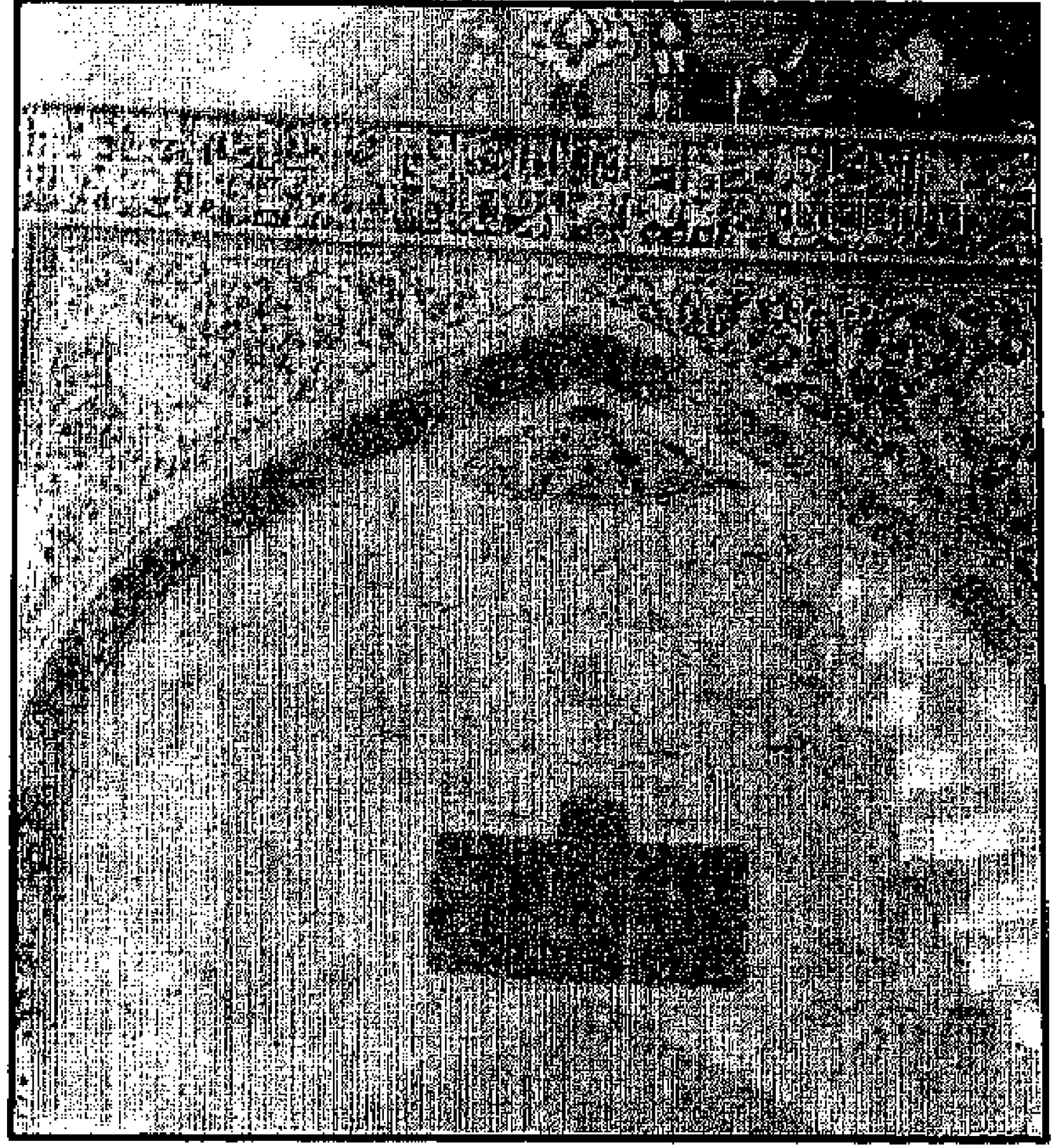
يطل هذا الجامع اليوم على شارع الرشيد ، من جهة اليسار في محلة الحيدر خانة ببغداد الشرقية . أمر بتشييده داود باشا ، وإلى بغداد ١٢٣٢ - ١٢٤١ هـ / ١٨١٦ - ١٨٢٥ م ، ولكن البناء تم عام ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦ م وسجل تاريخ البناء واسم من أمر به على لوحة مثبتة في هذا المسجد ، وهذا الجامع من أكمل جوامع العراق الأثرية وأجملها من حيث تخطيطه وعمارته وتحليته الزخرفية . وبناؤه متين وعمارته جيدة ولم يتعرض لأعمال التجديد والتعمير إلا في مجالات ضيقة جدا لم تؤثر قطعاً على جوهرياته .

وجامع الحيدر خانة أوسع جوامع بغداد الأثرية على ما هي عليه الآن فهو يشغل قطعة أرض شبه منحرفة أبعادها ٧٦ × ٦٩ ، ٥٠ مترا يسورها جدار ضخيم يشكل جدران الجامع الخارجية .

تخطيط هذا الجامع على طراز تخطيط جامع مجاهد الدين في الموصل وجامع المرادية في بغداد من حيث الأساس . فبيت الصلاة يشغل القسم الجنوبي الغربي من المسجد ويتألف من بيت صلاة شتوي وآخر صيفي . والمصلى الشتوي مستطيل الشكل أبعاده ٣٠ × ٢٧ مترا ويتألف من ثلاثة أساكيب وثلاث بلاطات ، ويتسم بسعة بلاطة المحراب فهي مربعة وتشغل نصف بيت الصلاة تقريبا ويمتاز أيضا بسعة الإسكوب الأوسط ومثل هذه الحالة غير مألوفة في بيوت صلاة الجوامع الأخرى من هذا الطراز . وعرض الإسكوب الأوسط يقارب عرض الإسكوبين الآخرين أما المصلى الصيفي فمستطيل الشكل أيضا يتكون من رواق واحد وينفتح على الصحن بثلاث فتحات أوسعها الفتحة الوسطى ويضم هذا الجامع بالإضافة إلى هذا المصلى المسقوف مصلى آخر مكشوف يشغل الصحن المجاور للمصلى المكشوف في الجهة الشمالية الغربية . وهو مربع الشكل تقريبا .

المحراب يقع منبر الجامع المعمول من الرخام المعرق والملحي بزخارف نباتية بارزة . أما المقصورة فقد عقدت بين دعامتي الإسكوب الوسط إلى شمالي المنبر . والمصلى موزر بألواح رخامية جميلة إلى ارتفاع معين . أما بقية الجدران والقباب فقد كسيت بالجص . ويوصل هذا المصلى بالمصلى الصيفي مدخل يتوسط الجدار الشمالي الشرقي ويقع على الخط المحوري للمحراب . وهذا الباب واسع نسبيا وتعلوه حنية نافذة يرتفع عقدها بارتفاع عقود رواق المصلى الصيفي التي تحمل قباب سقفه .

يتألف المصلى الصيفي من رواق واحد طوله ٢٧ مترا وعرضه ٥, ٥ أمتار ويطل على الصحن بثلاث بوائك بهيئة أووين أوسعها إيوان البائكة الوسطى الذى يبلغ ٥, ٥ مترا وأهم ما فى المصلى تكوين واجهته العمارى والتحليات الزخرفية التى تزينها ويتوسط الإيوان الرئيسى هذه الواجهة ويشكل المدخل الرئيسى إلى بيت الصلاة . وتكوين هذا المدخل العمارى لا يختلف كثيرا عن تكوين عدد من مداخل الجوامع والمساجد والخانات فى بغداد بالدرجة الأولى . فهو مستطيل الشكل يبرز قليلا عن مستوى وجه جدار الواجهة ويرتفع بشكل بارز فوق مستوى سطح المصلى . وبالإضافة إلى ذلك فقد وزعت الحنايا النافذة وغير النافذة على جانبيه بالتناظر وهى ذات عقود مدببة مثل عقودده . والشريط المستطيل الذى يحف به غير عريض وشغل الضلع الأعلى منه بكتابات بلون أصفر برتقالى على أرضية زرقاء نيلية . يوتر هذا الشريط عقد الإيوان الإمامى وهو عقد مدبب ، مستوى الوجه ومحفوظ من الجانبين بحزام مفتول ومشغول بقراميد قاشانية ذات زخارف نباتية دقيقة مشرفة الألوان . وزينت كتفا العقد أيضا بقراميد قاشانية ذات زخارف نباتية لا تقل جمالا وروعة عن حشوة العقد . وأجمل ما فى هذا الإيوان التركيبات المقرنصة التى تشغل حنية العقد الخارجى وقد جعلت من أحد عشر صنفا تبرز عن مستوى وجه الحنية بهيئة عناقيد دقيقة التركيب متناسقة المظهر . وينتهى الإيوان بعقد مدبب الشكل فى نهاية الإيوان إلى المصلى ويتناظر ارتفاعا مع عقد نافذة ضخمة تقع فوق باب مدخل المصلى الشتوى (لوح ٦٨) وتجاور الإيوان ، كما ذكرنا حنايا زينت أكتاف عقودها وحافة الجدار من الأعلى بتشكيلات زخرفية هندسية جميلة ناتجة



(لوح ٦٨) : إيوان مصل جامع الحيدر خانة الصيفي .

بشكل دائرى مشغول بزخارف نباتية جميلة وتجدر الإشارة هنا أيضا إلى أن رتبة القبة من الخارج قد غطيت بأجمل الزخارف النباتية المنقوشة على قراميد قاشانية ويطوق الرتبة فوق عقود النوافذ شريط كتابى جميل . تغطى بقية أجزاء المصلى الشتوى والصيفى قباب صغيرة مفلطحة عدا قبتين ترتفعان عن مستوى وجه سطح المصلى ٥, ٥ مترا وهما على طراز قبة بلاطة المحراب شكلا وزخرفة ولكنهما صغيرتان وتغطى كل منهما مربعتى الإسكوب الأوسط الجانبيتين .

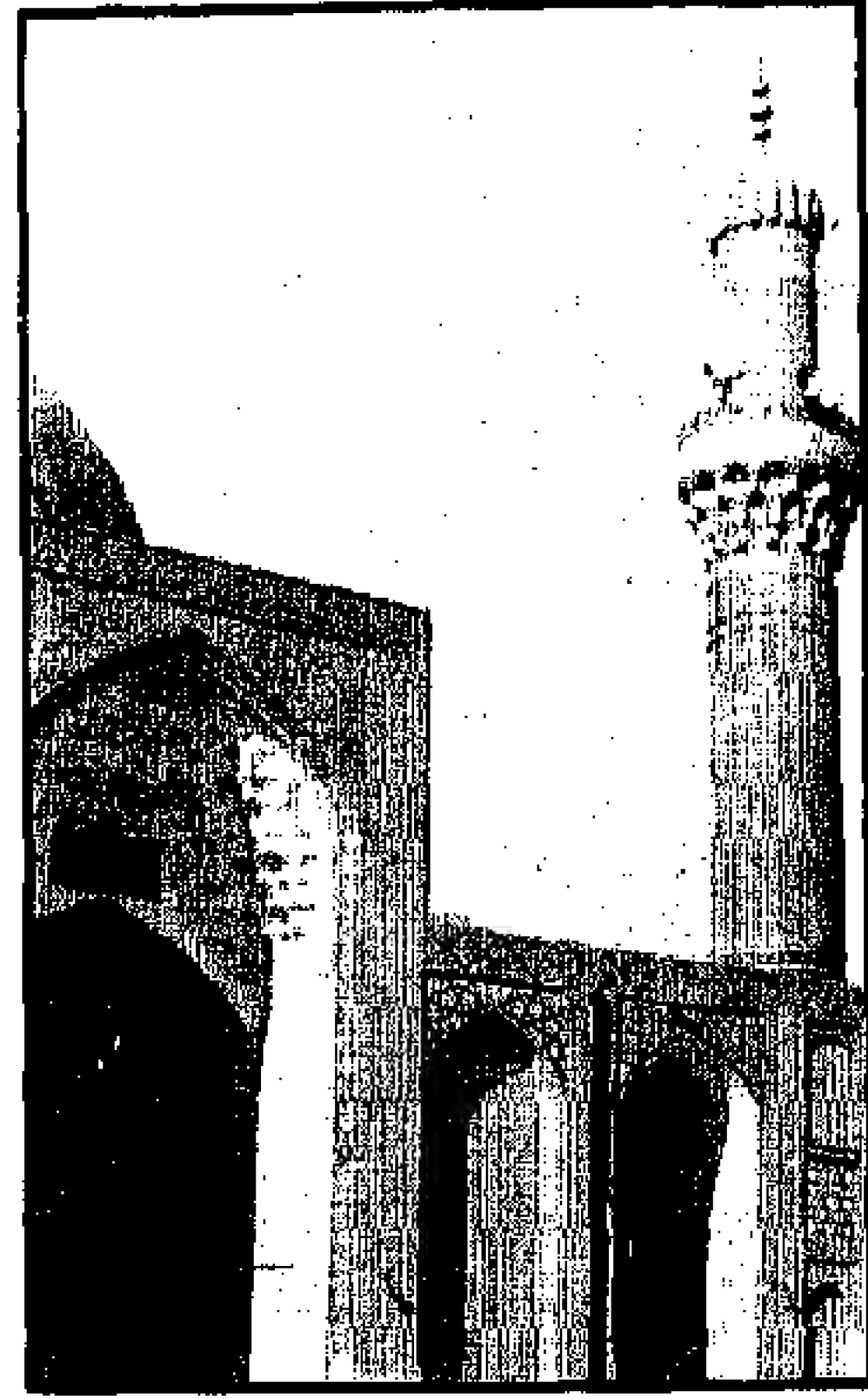
تتوزع على جدران بيت الصلاة الشتوى عدد من الحنايا والنوافذ ، ذات عقود مدببة مثل العقود التى ترفع قواعد القباب فى هذا المصلى . وتفنن المعمار فى إشغال القسم العلوى من هذه الحنايا غير النافذة بتشكيلات من مقرنصات جميلة ، لغرض الزينة ليس إلا (لوح ٦٧) .

تتوسط حنية المحراب جدار القبلة وهى ذات عقد مدبب وتجويفه مضلعة ذات خمسة وجوه . ويغور المحراب بمقدار ١, ٣٠ مترا وتبلغ سعة فتحته ١, ٥٠ مترا . وغطى بقراميد قاشانية ذات زخارف نباتية وكتابات جميلة وإلى يمين

ورقة المثذنة أسطوانية رشيقة فى مظهرها ويزيدها جمالا رأسها المضلع ذو الشكل المقرب والمدبب النهاية قليلا وتبرز قاعدة الرأس عن مستوى وجه الرقبة حيث تسندها رؤوس صف من مقرنصات مستوية ذوات حافات بارزة .

تتميز مثذنة جامع الحيدر خانة بكسوتها الزخرفية الفريدة بين مآذن الجوامع المار وصفها . فتشكيلاتها الزخرفية تجمع بين الأشكال الهندسية والعناصر النباتية والكتابات بخطوط متنوعة وهذا لم نجده فى أى من المآذن السابقة وهى بالإضافة إلى ذلك تجمع بين تقنيتين مختلفتين فى صناعة التحليات الزخرفية وهى التشكيلات الناتجة عن التفنن فى صف أرباع الطابوق المزجج والتكوينات المصممة على قراميد قاشانية . ولم تزين أى من المآذن السابقة بكتابات كثيرة تغطى البدن والرقبة مثل هذه المثذنة (لوح ٦٩) .

وزينت الأقسام الظاهرة من قاعدتها بمعينات ناتجة من التفنن فى صف أرباع الطابوق المزجج وعلى مستوى واحد مثل بقية تشكيلات المثذنة الزخرفية . وطُوق البدن من الأسفل بشريط ضيق مشغول بقراميد قاشانية ذات زخارف جميلة ومحفوف بحزامين مفتولين بارزين قليلا عن مستوى وجه البدن . ويعلو ذلك نطاق واسع يشغل معظم البدن تتكون تشكيلته الزخرفية من أشرطة مائلة تتحرك على البدن من اليسار إلى اليمين حددت بخطوط ناتجة من التفنن فى صف من أرباع طابوق مزجج بلون أزرق شدرى ومشغولة بكتابات كوفية تتألف من كلمات مرتبة فى أوضاع مختلفة وناتجة من التفنن فى صف أرباع طابوق مزجج وبلون أزرق نيلى . وتنحصر الكتابات بين حزامين من أنصاف معينات مسننة تشبه إلى حد كبير تلك التى تزين بدن مثذنة جامع الكواز فى البصرة ولكن النطاق المشغول بالكتابات فى هذه المثذنة يختلف إلى حد ما عن نطاق كتابات مثذنة جامع الكواز . ويتوج هذا النطاق شريط ضيق يناظر فى سعته وحوافه الشريط الأسفل . ويلى هذا الشريط شريط آخر أعرض منه ومشغول بكتابات كوفية جميلة جدا مصممة على قراميد قاشانية ذات لون أصفر برتقالي . أما الكتابات فجعلت بلون أزرق نيلى وشغلت حنايا المقرنصات بقراميد قاشانية جميلة . وغطت الحوض تشكيلة من زخارف معينة ناتجة من التفنن فى صف



(لوح ٦٩) : مأذنة جامع الحيدر خانة .

عن التفنن فى صف أرباع الطابوق المزجج ذى الألوان المختلفة .

ومثذنة جامع الحيدر خانة تشبه مأذنة جامع المرادية من حيث شكلها وموقعها وعناصرها المعمارية ولكنها تختلف عنها فى كسوتها الزخرفية فهى تحتل الركن الشمالى الشرقى من بيت الصلاة وتظهر وكأنها جزء منه . وهذه المأذنة رشيقة يبلغ ارتفاعها ٢٠ مترا . وقطر بدنها ١,٩٠ متر ويجلس بدنها الأسطوانى الشكل على قاعدة مربعة ترتفع ٨ أمتار عن مستوى سطح الأرض وتندمج فى ركن المصلى كما ذكرنا . ويخترق بدنها سلم حلزونى يكون الوصول إليه من سطح المسجد ويؤدى إلى حوض المأذنة . ويستند حوض هذه المأذنة على أربعة صفوف من المقرنصات تشبه فى تشكيلها مقرنصات حوض مأذنة جامع المرادية . فتشكيلة الصف الأول عبارة عن صف من حنايا ذوات عقود مدببة مستوية وذوات حافات بارزة فقط . وتبرز رؤوس مقرنصات الصف الثانى وبمستويين مختلفين وهى زوجية فى تكوينها أما مقرنصات الصف الثالث ففردية ولكن تتباين حناياها فى مستوى تقعرها . ومقرنصات الصف الأخير تتألف من وحدات ثلاثية تشغل حنية ذات عقد مقصوص تستند حافات الحوض عليها .

ويلتصق بجدران الجامع من الداخل عدد من الغرف والمرافق خصصت لإيواء الطلبة حيث ألحقت به مدرسة لعلوم الدين .

يعتبر جامع الحيدر خانة من أجمل مساجد العراق تخطيطاً وعمارة وزخرفة ، فهو يمثل استمرار طراز تخطيط جامع مجاهد الدين والمرادية ويكشف عن استمرار العناصر المعمارية التي نمت وازدهرت في القرون السابقة . وفيه أضخم قبة معروفة تتصف بشكلها البصلي الجميل ورقبتها الطويلة المحلاة بأروع الزخارف النباتية وتشتهر بكسوتها القاشانية ذات زخارف نباتية متقنة . كما يشتهر بمئذنته الوحيدة في كثرة الكتابات التي نقشت ويمتاز أيضاً بإيوان مدخل مصلاه الصفي المسقوف الذي يضاهي عدداً من مداخل المدارس والخانات والمساجد في الطراز العماري والتحليات الزخرفية . وفي جامع الحيدر خانة استعمل الخط لإشغال عشرات الأمتار من الأشرطة التي تطوق رقاب القباب وتحلى الهامات وتكسى الأبدان . ولم تستعمل الكتابات بهذه التقنية وهذه السعة في أي من الجوامع السابقة . ونجد في زينة هذا الجامع مئات الأمتار المربعة من الزخارف المصممة على قواميد قاشانية ليس لها ما يناظرها في الجوامع الأخرى . ويوازي ذلك أيضاً المساحات الكبيرة المشغولة بتشكيلات زخرفية ناتجة في التفنن في صف أرباع الطابوق المزجج وبطريقة منسجمة جداً مع التشكيلات الزخرفية في القراميد القاشانية . أما بناؤه فهو بدوره أضخم وأكثر إتقاناً من بناء أي من الجوامع القائمة في بغداد .

وتجدر الإشارة أخيراً إلى عدد من جوامع بغداد تعاصر جامع الحيدر خانة وتصغره عمراً . وأروع هذه الجوامع هو جامع الأحمدي الذي يقوم في محلة الميدان من بغداد الشرقية وهو يناظر جامع المرادية تخطيطاً وعمارة وزخرفة إلى حد بعيد ومن بينها أيضاً جامع الأصفية الذي يجاور المدرسة المستنصرية من الجهة الشمالية الغربية ويشتهر بمئذنته ذات الحوضين والشاهقة الارتفاع والمغطاة بأجمل القراميد القاشانية المزخرفة بأدق الزخارف كما يشتهر جامع الأصفية بقبته المتجاورتين اللتين تغطيان بيت الصلاة فيه وجامع النبي يونس في الموصل الذي يتميز بمئذنته الأسطوانية المشهورة

أرباع الطابوق المزجج . وكسيت الرقبة مثل البدن بأشرطة مائلة مشغولة بكتابات كوفية جميلة ويفصل هذه الكتابات عن مقرنصات الرأس شريط محلى بزخارف وغطيت المقرنصات والرأس بقراميد قاشانية ذات زخارف لطيفة .

يسور جامع الحيدر خانة جدار سميك مرتفع نسبياً ويمكن الدخول إلى الجامع عن طريق ثلاثة مداخل بهيئة أووين أو مجازات تتصف بتركيبها المعماري المتشابه وعقودها المدببة المنفرجة ومقرنصات الجميلة وقواميدها القاشانية التي تغطي أجزاء واسعة من عقودها ووجوهها . يتوسط أحد هذه المداخل الجدار الجنوبي الغربي منفحاً على شارع الرشيد وفاصلاً بين المصلى الشتوي المسقوف والمصلى الصفي المكشوف الذي يشغل الصحن الشمالي الغربي . ويقع المدخل الثاني في الركن الجنوبي الغربي مطلاً على شارع الرشيد أيضاً يؤدي إلى مجاز يفصل المصلى الشتوي عن الجدار الجنوبي الشرقي حيث يقود إلى الصحن الواسع الذي يشغل القسم الشرقي من المسجد . أما الباب الثالث فيخترق مجازه الجدار الشمالي الغربي ويؤدي مثل ذلك الذي يتوسط الجدار الغربي إلى المسجد الصفي المكشوف .

وتحلى جدران الجامع الخارجية هذه مجموعة من حنايا واسعة نسبياً ، ترتفع بارتفاع الجدار تقريباً وتشغل جداري المصلى الصفي من الجهة الجنوبية الغربية والشمالية الغربية من الداخل والخارج وقد زينت أكتاف عقودها وهامات جدرانها بتشكيلات زخرفية معنية ناتجة من التفنن في صف أرباع الطابوق وكانت هذه الحنايا المعقودة تشغل كل وجه الجدار الجنوبي الغربي ، جدار القبلة ، من الخارج ولكن وبسبب أهمية المنطقة التجارية فقد أضيفت إليها أبنية أدت إلى إخفائها وتشويه منظر واجهة هذا الجامع الفريد وقد قامت رئاسة ديوان الأوقاف بإعادة إكساء واجهات الدكاكين التي تتقدم الواجهة الأصلية بتشكيلة زخرفية أجرية ذات عناصر بارزة وتوجت ذلك بنطاق من كتابات بلون أصفر برتقالي على أرضية زرقاء داكنة وعملت حشوة الشريط هذه من قراميد قاشانية على طراز بعض كتابات الجامع وقد شوهت هذه الزخرفة التي لا تنسجم مع طراز تشكيلات الجامع الزخرفية وتقنياتها وألوانها شوهت واجهة الجامع ونأمل أن تزال الأبنية المضافة وتعاد الواجهة إلى أصلها .

والممتدة برشاقتها وحوضيها الجميلين ورأسها المديب (لوح ٧٢) وقد بنيت هذه المئذنة على طراز مآذن اسطنبول في جامع السلیمانية وغيره .

(العمارات العربية الإسلامية في العراق - د. عيسى سلمان وزميلاته ٢٥٢/١ - ٢٦٥).

* حيدر (زاوية الشيخ -):

من زوايا القدس الشريف أعاده الله ديار إسلام . يقول عنها الدكتور العسلي :

زاوية الشيخ حيدر: تقع هذه الزاوية في حارة الشرف بالقدس عند قنطرة تسمى قنطرة دار غنيم . وتدعى الزاوية أيضا مزار الشيخ حيدر وللزاوية باب يفتح شمالا ويؤدي إلى صحن مكشوف فيه قبر يقال إنه قبر الشيخ حيدر.

وقد شاهد فان برشم في موقع الزاوية لوحة كتب عليها ما يلي ، بالخط النسخي المملوكي وبأحرف كبيرة جميلة :

« بسملة ... إلا الله تولى عمارته الفقير إلى الله محمد الحـ (يد) رى غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين بتاريخ أربعة وتسعين (سبعين ؟) وستمائة » .

وهناك من يقول إن الشيخ حيدر هذا من ولد غانم ، شيوخ الخانقاه الصلاحية أو جدهم ، لكن إثبات ذلك غير متيسر . واللوح المشار إليها لا تدل على أن الشيخ محمد الحيدري المذكور أنشأ الزاوية أو أنه عمّرها فقط . ويذكر فان برشم ، نقلا عن مجير الدين قوله : إنه اطلع على مرسوم للسلطان قلاوون أنعم السلطان بموجبه برسم الزاوية ، بغرارتين من القمح شهريا إنعاما مستمرا . وتاريخ المرسوم سنة ٦٨٠ . وباختصار فإن كل ما يمكن قوله إن شخصا يدعى الشيخ حيدر . ينتمى أو لا ينتمى إلى عائلة غانم ، أسس في هذا المكان زاوية وطائفة تدعى طائفة الحيادة ، في تاريخ غير معروف ، ومن الممكن أن شخصا يدعى محمد من آل غانم انتسب إلى الشيخ حيدر وعمر الزاوية في القرن السابع وأنعم السلطان قلاوون سنة ٦٨٠ عليه وعلى الزاوية بغرارتين من القمح شهريا .

زاوية الشيخ حيدر اليوم خراب . وكانت عامرة سنة ١٢٠٥ وقد أشار مجير الدين إلى الزاوية بقوله : إن حارة الحيادة سميت بهذا الاسم نسبة إلى زاوية بها لطائفة الحيادة وإن الحارة والزاوية تقعان بجوار حارة الشرف من جهة الشمال (الأنس الجليل ٥٢/٢)

(معاهد العلم في بيت المقدس - د. كامل جميل العسلي / ٣٦٧) .
* حيدرة :

اسم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه . يقول صاحب « عمدة الطالب » في الكلام على نسبه : وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضى الله عنها ، وكان قد ولد وأبوه غائب فسمته فاطمة بنت أسد باسم أبيها ، فلما قدم أبو طالب سماه عليا . ومن هنا يسمى أمير المؤمنين « علي حيدر » لأن حيدرة من أسماء الأسد ، وقد ذكر ذلك في شعره يوم خيبر فقال رضى الله عنه

* أنا الذي سمتني أمي حيدره *

قالت المؤلفة : البيت بتمامه كما ورد في ديوان الإمام علي (ص ٥٣) هو :

أنا الذي سمتني أمي حيدره

ضرر عام آجام وليث قسوره

ويعلق سماحة الشيخ السيد محمد صادق آل بحر العلوم رحمه الله في هامش (٢) على القول بأن عليا رضى الله عنه وُلد وأبوه غائب بقوله : التاريخ الصحيح يوحى إلينا أنه كان بمكة حين الولادة .

(عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب للنسابة الشهير السيد جمال الدين أحمد بن علي الحسن المعروف بابن عتبة/ ٥٨ ، ٥٩ وهامش (٢) للمصحح ، وديوان الإمام علي - جمع وترتيب عبد العزيز الكرم . بدون تاريخ/ ٥٣).

* ابن حيدرة الرحبي (١٦٦٧هـ):

ذكره صاحب عقد الجمان في وفيات سنة ٦٦٧ وقال عنه :

الطبيب الماهر شرف الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن حيدرة الرحبي ، شيخ الأطباء بدمشق ، ومدرسة الدخاوية عن وصية واقفها له بذلك ، لتقدمه في هذه الصناعة على أقرانه وأهل زمانه .

ومن شعره :

يساق بنو الدنيا إلى الحنف عنوة

ولا يشعر الباقي بحالته من يمضي

كأنهم الأنعام في جهل بعضهم

بما تم من سفك الدماء على البعض

عبد الكريم بن بلدجي، وست الوزراء بنت أبي البدر، والرشد ابن أبي القاسم. سمع منه ابن رجب، وذكره في معجمه، وقال: ولي القضاء ببغداد، ودرس بالبشرية، والمستنصرية، وولي نقابة الطالبين، والعباسيين، ومشخة رباط الجنيد، وخطب بالجامع الأعظم بها. ورأس الخطباء على قلة ورع.

وقد ذكره ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب فقال: عماد الدين أبو الحسن محيي الدين بن شرف الدين يحيى بن المحيا العباسي البغدادي، النقيب الخطيب، من البيت الأثيل، والأصل الأصيل. وعماد الدين كريم الطرفين بين العباس وعلى لما توفي والده محيي الدين فوض إلى عماد الدين ما كان إليه من المشيخة، والنقابة، والخطابة. وهو شاب فاضل، عالم كامل. خطب بجامع الخليفة سنة ثلاث وسبعمائة (أي في السنة التي مات فيها والده محيي الدين) ورأيته بالسلطانية وله همة عالية، ونفس شريفة أبيّة فجرى على سنن أبيه بل زاد عليه في الفضائل، والمعاني والأخلاق. (تاريخ علماء المستنصرية - د. ناجي معروف ٩٦/١).

* الحيدة والاعتذار في رد من قال بخلق القرآن :

لأبي الحسن عبد العزيز بن مسلم المكي (كشف ٦٩٤/١).

* الحير الشرقي (قصر) :

من قصور الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك قصر الحير الشرقي. يصفه الدكتور بهنسي بقوله :

يقع الحير الشرقي على بعد ١٠٥ كيلو مترا شمال شرقي تدمر وعلى مسافة ستين كيلو مترا جنوب الرصافة. ولقد تحدث عنه كثير من الرحالة منذ القرن السابع عشر، وكان آخر من زاره ١٩٢٥ وكتب عنه البرت غبريل ٢٧٢ الذي استفاد منه كريزويل وأضاف عليه منذ عام ١٩٢٨، ثم تولى أوليف غرابار استكمال دراسته منذ ١٩٦٥.

يتألف الموقع من قصرين، قصر كبير مربع طول ضلعه ١٦٠ م تقريبا وآخر صغير مربع غير منتظم طول ضلعه ٧٠ م وسطيا، وهذان القصران مدعمان بأبراج نصف دائرية، برجان في كل ضلع إضافة لأبراج الزوايا الأربعة. وينفتح مدخل القصر الكبير من جهة الجنوب ببوابة كبيرة على طرفيها برجان نصف دائريان، وينتهي الدهليز بالفناء المحاط من جميع

له ترجمة في : الوافي ٢٢/٣٥١ رقم ٢٤٥، البداية والنهاية ١٣/٢٥٥، عيون الأنباء ٢/١٩٥، شذرات الذهب ٥/٣٢٧ وفيه توفي سنة ٦٦٨ هـ السلوك ١/٥٨٣.

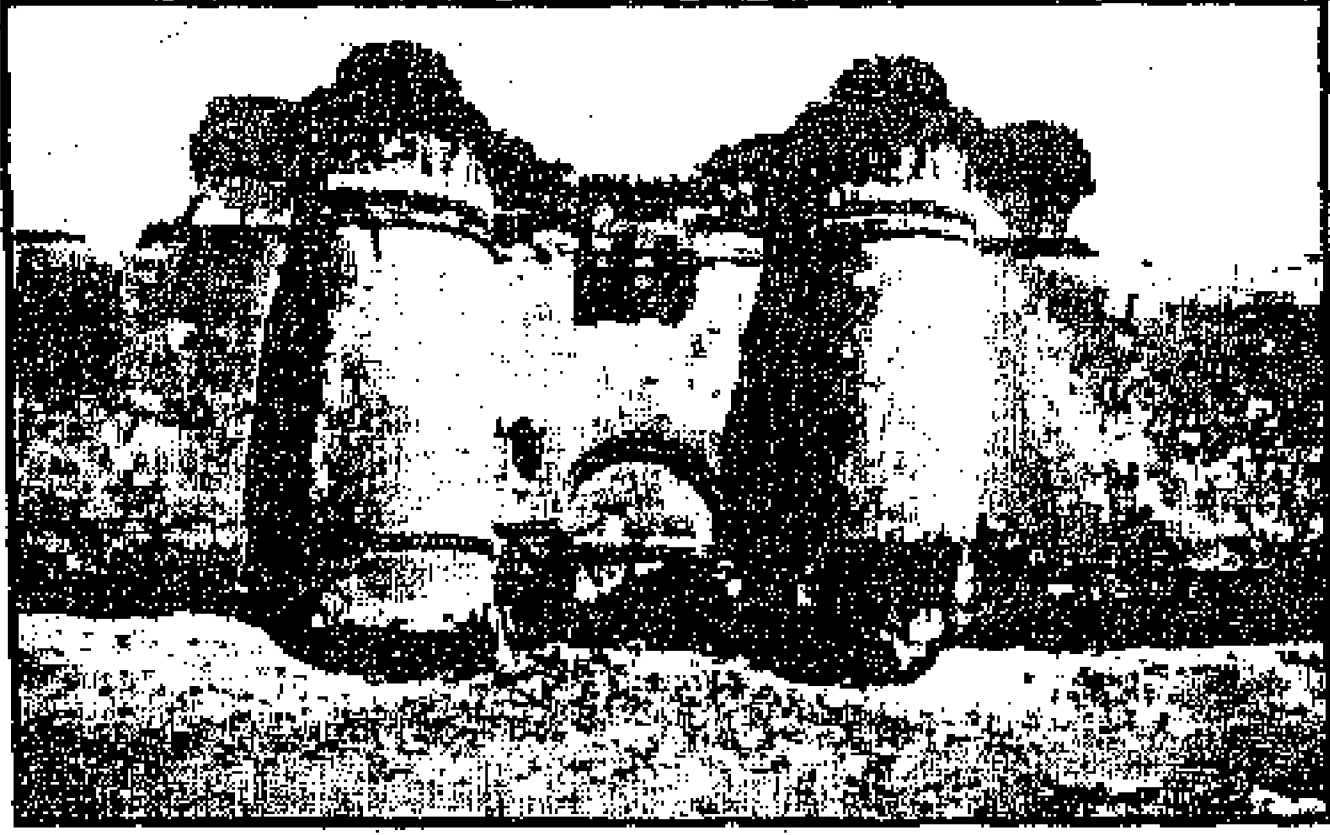
(عقد الجمان لبدر الدين العيني - حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ٥٢/٢، ٥٣).

* حيدرة العباسي (٧٦٧ هـ) :

من مدرسي الفقه الحنفي بالمدرسة المستنصرية ببغداد قال ابن حجر : (الدرر الكامنة ٢/٨١) حيدرة بن محمد بن يحيى بن هبة الله بن المحيا العباسي، محيي الدين، أبو الحسن بن أبي الفضائل الحنفي مدرس المستنصرية ببغداد. روى عن صالح بن عبد الله بن الصباغ عن أبي المؤيد محمد ابن محمود بن محمد الخوارزمي مسند أبي حنيفة من جمعه. سمع منه صاحبنا تاج الدين النعماني قاضي بغداد سنة ٧٦٥ هـ. وذكر أن شيخه هذا توفي ببغداد في جمادى الآخرة سنة ٧٦٧ هـ. وجاء في الدرر (١/٢٣١، ٢) أن جلال الدين الكازروني البلياني سمع من حيدرة بن محمد بن يحيى ابن المحيا العباسي. قال ابن حجر: وذكره ابن الجزري في مشيخة الجنيد التي خرجها له لما قدم عليهم شيراز وقال: إنه أجاز للجنيد من بغداد في صفر سنة ٧٩٥ هـ. ويظهر أنه من نسل الشيخ محيي الدين محمد بن المحيا العباسي الذي عين في سنة ٦٧٤ هـ خطيبا بجامع المدينة المعروف بجامع السلطان، كما كان قد عين لصلاة العيدين بالمدرسة المستنصرية. وكان الواقف قد شرط ألا يخطب بها إلا هاشمي عباسي. ولم يخطب بالعراق بعد الواقعة خطيب هاشمي سواه (الحوادث الجامعة / ٣٨٥).

وقال ابن حجر أيضا (الدرر الكامنة ٣/١٠٨) : علي بن محمد بن يحيى بن هبة الله العباسي الحنفي البغدادي. سمع صحيح مسلم على عبد الكريم بن بلدجي معيد الحنفية بالمستنصرية. وأحكام ابن تيمية على الرشيد بن أبي القاسم عنه. وولي قضاء بغداد، ونقابة الأشراف. ودرس، وخطب. ومات في شهر رجب سنة ٧٦٧ هـ.

وترجم له ابن شهبة (الورقة ١٧٩ من مخطوطة باريس) فقال : حيدر بن علي بن محمد ... الشريف عماد الدين أبو الحسن، القرشي، العباسي الحنفي، البغدادي. سمع من



قصر الحير الصغير في مدخل القناة الصغير



ب - قصر الحير الكبير - المسجد في الخلف

قصرين لهشام هناك . ويبقى وضع منطقة قصر الحير الشرقي مستقلا . ولقد قام غرابار خلال تنقيباته بالتأكيد على هوية القصر الصغير من أنه يرجع إلى العهد الأموي وإلى عهد هشام كما يبدو من الكتابة ، أما القصر الكبير فهو أموي ولكنه أعيد إنشاؤه في العهد العباسي وفي القرن العاشر، حيث أصبح عنصرا أساسيا في مدينة متكاملة فيها معاصر للزيوت وصناعات زجاجية وأحياء سكنية ومسجد، واكتشفت قناة تمتد ٥٧٠٠ مترا تنقل المياه إلى هذه المدينة يحتمل أنها موجودة منذ قبل الإسلام .

ولقد لعبت هذه المدينة دورا تجاريا هاما لموقعها وفعاليتها (الفن العربي الإسلامي / ١٤٠، ١٤٤، ١٤٧)

ويصف كريسويل أجزاء القصر فيصف الفناء الصغير والفناء الكبير مما نقله لك فيما يلي :

الفناء الصغير:

يتشكل هذا الفناء بواسطة سور سمكه ٢٣٠ مترا وعلى جوانبه أبراج نصف دائرية - واحد في كل زاوية واثنان في وسط كل جانب وبذلك يبلغ العدد الإجمالي ٢١ برجاً تبلغ

جوانبه بالغرف الواسعة ٦×١١ م تقريبا، وتبدو مقطوعة إلى قسمين الغرف الواقعة في الجهة الشرقية . والقصر مؤلف من طابقين، ولهذا القصر أربعة مداخل بما فيها المدخل الرئيسي عدا مدخلين إضافيين في الجدار الشرقي .

وأسوار القصرين مبنية من الحجر المنحوت والآجر ومدعمة بأبراج نصف دائرية، وبجوار هذين القصرين ثمة سور واسع بطول يزيد عن ستة كيلو مترات مدعم أيضا ببدنات وفي أحد أجزائه فتحات ذات أقواس عادية يمكن إغلاقها بأبواب من الخشب، وثمة قناة تنقل الماء من مكان بعيد جدا، وهذه الأرض التي يمكن تنظيم الري فيها لا بد أنها قد استعملت لزراعة بعض النباتات ولإقامة الفلاحين .

تعتبر منطقة قصر الحير الشرقي مدينة كانت معدة لسكنى حاشية الخليفة، وترجع هذه المدينة إلى عهد هشام ، يؤيد ذلك الكتابة التي عثر عليها جاك روسو في القصر وهذا نصها :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله ، أمر بصناعة هذه المدينة عبد الله هشام ، أمير المؤمنين وكان هذا من عمل أهل حمص على يد سليمان ابن عبيد) .

ولقد نقلت هذه اللوحة إلى حلب ثم فقدت ولم يعرف أثرها حتى الآن ولكنها نشرت في مقال غبريل كما كتب سوفاجيه عن هوية هذا القصر .

أما القصر الصغير فله مدخل وحيد من جهة الغرب نشاهد في داخله غرف ذات سقف معقودة، وتشير الجدران الخارجية بما فيها من بوابات إلى تقسيمات الجدران الداخلية الرئيسية .

ولم تقدم الحفريات دلائل كافية على وجود عناصر تزيينية واسعة ولا بد أن ذلك يرجع إلى استمرار استعمال هذه المدينة خلال عدة قرون من (٨-١٤) وخلالها تعرضت إلى تحويلات وإضافات واستعمالات مختلفة، أدت إلى ضياع الكثير من المعالم الزخرفية في أبنية هذه المدينة التي عرفت خلال القرون باسم (العرض) كما يرى غرابار.

ولقد اعتقد سوفاجيه استنادا إلى لوح روسو، أن هذا الموقع هو نفسه رصافة هشام التي ورد ذكرها على لسان المؤرخين العرب، ولكن حفريات الرصافة أبانت وجود

معينات ثم ثلاثة مداميك أخرى من الحجر وبعدها شريط أخير من أربعة أو خمسة مداميك من الآجر الذى تعلوه قبة من الآجر وكل برج - فى حال بقائه فوق ممر المتراس - له غرفة صغيرة فوقها قبة ما عدا البرج المجاور للمدخل من الجهة الشمالية الذى يبدو أن فيه درج حلزونى ولكن الدرجات كلها اختفت ولم يبق إلا أسطوانة فارغة .

الداخل :

إنه فى حالة من التلف الشديد ولكن لا يزال من الممكن أن نرى أن الطابق السفلى تألف من عدد من الحجرات ذات السقوف المقنطرة عمقها حوالى ١٢ مترا تقريبا وعرضها متفاوت وهى مبنية حول ساحة مركزية تمتلئ الآن بالأنقاض لأكثر من مترين . ومن المرجح أن رواقا داخليا امتد حول هذه الساحة كما فى قصر المنية . والسقوف المقنطرة مبنية كما يلى : يبدأ العقد بـ ١٠ - ١٣ مداما كما من الآجر الموضوع أفقيا فى مداميك بارزة قليلا متلائمة مع حنية العقد وفوق هذا حلقتان من الآجر المربع المسطح ووجوهها تشكل زاوية قائمة مع محور العقد . هاتان الحلقتان تغطيهما حلقة خارجية من الآجر القائم . ومن الممكن أن نرى أن الغرفتين الباقيتين بحالة جيدة فى الجزء الجنوبي كانتا مقسمتين إلى جزء خارجي وجزء داخلي بواسطة جدار حاجز ولذلك فإننى أستنتج أن بقية الغرف كانت من نفس الطراز .

فوق هذه الغرف المسقوفة بالقناطر هناك طابق آخر له غرف متوافقة مع الغرف السفلية . هذا الطابق العلوى الذى لا تزال بعض غرفه قائمة فى الركنين الشمالى الشرقى والجنوبى الشرقى لا بد أنه كان له سقف خشبى لأننا نستطيع أن نرى حفر العوارض الخشبية على طول جدران البناء على مسافة ١,٥ مترا تحت المتاريس .

الفناء الكبير :

يتشكل الفناء الكبير بواسطة سور سماكته ١,٢ و ٢ مترا تحيط به الأبراج التى يبلغ قطرها ٤ مترا وله مدخل فى وسط كل جانب . هناك برج فى كل زاوية وستة أبراج تتوسط كل جانب . تبلغ المسافة الفاصلة بينها ٢,٥ و ٢,٥ مترا من محور إلى آخر . وبالإضافة إلى ذلك هناك باب خلفى بعرض ١,٤٧ مترا إلى الجنوب من المدخل الشرقى . وإلى الجنوب

المسافة بين كل برجين ١,٨٥ - ٢,٠٥ مترا ما عدا البرجين على جانبي المدخل الوحيد (فى الجانب الغربى) اللذين يبعدان عن بعضهما ٦,٦٧ مترا فقط . يبلغ ارتفاع الجدار بما فى ذلك حاجز السقف الذى اختفى معظمه ١٢,٢٥ مترا تقريبا . والحجر الذى يتخذ لونا كهرمانيا جميلا هو من النوع الكلسى الناعم وقد بنى من مداميك يبلغ ارتفاعها ٣٥ سم .

والمدخل قطعة فنية جميلة التصميم . يبلغ عرض الفتحة ٢,٩٨ سم ارتفاعه يقدر بـ ٤,٢ مترا . أما عوارض المدخل العمودية فقد تأكلت لكن القوس الذى يشكل العارضة الأفقية لا يزال باقيا فى موضعه وفوق هذه العارضة قوس حمل نصف دائرى يمتلئ قلب مقصه بأحجار عادية . أما الاسبندلات فمملوءة بحنيات صغيرة فيها رؤوس أخدودية .

والأبراج فى قممها تظهر نظاما زخرفيا أخاذا أصيلا من الآجر والجص . تبدأ من الأدنى بالزخارف الموجية المستقيمة ويتلو ذلك مداما كان من الآجر ثم صف من الآجر الصغير بمساحة ١٠ سم تقريبا مرصوف على شكل معينات ثم مداما كما آخر من الآجر وفوق ذلك مباشرة المداما الأخير من الأحجار الذى يركز عليه عقد القناطر الزائفة الجذاب المؤلف من سلسلة من الألواح المستطيلة التى يقسمها زوجان من الأعمدة الصغيرة وذات الجذوع المؤلفة من سلسلة من الحلبة الشارية المتعرجة . ووجه القوس فى الأعلى مزين بنباتات الأكانتوس ولكن التطعيم فى الألواح تألف جدا . هذه الزخرفة ليست محفورة بل ناتئة ويبدو أنه تم استعمال أربعة زخارف . والكل يعلوه مداما من الآجر الموضوع بصورة يشكل فيها زخرفة على شكل أسنان الكلب وفوقه عدة مداميك من الآجر العمودى وفوقها القبة الآجرية التى تتوج البرج بعد الارتداد عن وجه الجدار .

والإفريز الرواقى يمتد بين الأبراج وفى الوسط - فوق المدخل - توجد كوتان سقاطتان ترتكزان على ثلاث كتائف بارزة .

والأبراج الباقية تعالج كالتالى : الشريط الأول من الآجر الذى يتألف من خمسة مداميك والذى يمتد بجانب السور ويمتد أيضا حول كل برج ثم تتلو ثلاثة مداميك من الحجر وبعدها شريط من الآجر المربع الصغير الموضوع على شكل

إتمام الفناء نفسه لأن هناك انفصلاً عمودياً كاملاً بين بنائه وبين العضائد الثلاث المتصلة به . ليس هنالك أى شك فى أن البناء مسجد وأن صف الأعمدة الممتد بمحاذاة الجدار الجنوبي هو الواجهة المطلقة على الصحن والفحص السريع يكفى ليرينا أن صفى الأعمدة الذى يحتوى كل منهما على ثلاثة أقواس تمتد من الشمال إلى الجنوب ما هى إلا الجناح العرضانى لأن العضائد تتخذ شكل T وأن صفى الأعمدة التي تقسم الحرم إلى ثلاثة أروقة لا بد وأنها انتهت مقابل وجهها الخارجى . والجدران الآجرية التي يبلغ ارتفاعها أكثر من ٤ أمتار والتي ترتفع فوق صفى الأعمدة هذه هى بالطبع جدران المنور كما فى المسجد الكبير بدمشق . أما بالنسبة للعضادة المنعزلة التي تقف على امتداد صف الأعمدة الشمالى فهي بالطبع تنمى له . وهى تتفق بالشكل والمقاسات مع العضادة C وهى منفصلة عن عضادة الجناح العرضانى بنفس المسافة تقريباً (٦١ , ٧ مترًا مقابل ٥٧ , ٧ مترًا) . وفى منتصف المسافة بين العضادة C والجناح العرضانى يوجد عمود متهدم مؤلف من أربع أسطوانات وفى نقطة D هنا عمود آخر نصف مطمور بالتراب .

وبتجديد الواجهة على هذه الصورة نحصل على قوس مركزى طول باعه ٨٠ , ٤ مترًا وإلى جانبيه ثلاث أقواس متوسطة طول باعها ٢٥ , ٣ مترًا . ولكن لماذا نجد العضادتين C و H على شكل L ؟ بالتأكيد لأنهما عضادتان زاوية الصحن اللتان يبدأ منهما الرواقان الجانبيان . ولو أعدنا الترتيب (عمود - عضادة - عمود - عضادة - عمود - عضادة) فى الجوانب لحصلنا على صحن مساحته ٢٨ م^٢ . والآن يصبح عمل البوابة A واضحًا : لا بد أن الغرض منها كان تأمين الاتصال المباشر بين المسجد وبين الفناء الخارجى تماما كما فى المنية .

وأقواس الحرم كانت بالتأكيد ترتكز على أعمدة لأن السير ايسر كوت فى عام ١٧٧١ م «رأى عددًا من الأقواس تحملها عضائد من الرخام الأبيض البراق . . . وقد تبعثت عضائد الرخام المكسورة فى المكان» .

ليس من الممكن القول كم كان الارتفاع الأصلى للجناح العرضانى : يمكن أن يكون أعلى من الارتفاع الحالى للجدران

أيضا هناك باب خلفى آخر سنرى وظيفته فيما بعد . هذا الفناء مبنى بحجارة أكبر ويتراوح ارتفاع المداميك بين ٥٠ وبين ٧٠ سم ولكنه فى حالة سيئة لأن جدراننا ستارية بكاملها قد تهدمت .

ولما كانت الأبراج كلها ممثلة فلا بد أن يتم الوصول إلى المتاريس بأدراج فى داخل السور الذى تهدمت بعض أجزائه والمتراس - بخلاف متراس الفناء الصغير - من الحجر . وقد بقى فى كثير من المواضع حتى ارتفاع مداميكه . يبلغ سمكه ٤١ سم ومدعم بسلسلة من الدعائم المتباعدة حوالي ١,٧٥ سم . والأسوار والأبراج ليست مزخرفة بأشرطة من الآجر ولكن قسم الأبراج مبنية بكاملها من الآجر من مستوى مدامك واحد تحت المتاريس وفى أعلى كل برج توجد غرفة صغيرة لها ثلاث نوافذ رمادية . ويرينا مخطط روسو الذى رسمه عام ١٨٠٨ م أن هذه الأبراج كانت وقتها متوجة بقباب . ولو افترضنا ارتفاع المتاريس ٥ , ٢ مترًا فيكون ارتفاع الجدران ٢٥ , ١٢ مترًا .

المداخل الأربعة متطابقة تقريبًا : يتألف كل منها من مدخل عرضه أقل من ٣ أمتار فوقه عارضة أفقية معشقة وفوقها قوس حمل مرفوع قليلًا ومدبب قليلًا وقلب مقصه ممثلىء بالحجارة المرتدة إلى خلف مقدار ٤ سم عن وجه القوس . وفوق كل مدخل كوتان سقاطتان فوق ثلاث كتائف وثلاث طبقات من الزخرفة . والكوتان السقاطتان فوق المدخل الشمالى أعرض من البقية وترتكزان فوق خمس كتائف معقدة والوسطى منها مزينة بوردة دائرية . ونعود إلى قلب مقص النوافذ فترى أنها مثغوبة بثقوب متباعدة بمقدار ٢٥ سم . اقترح غابرييل أن الغرض من هذه الثقوب هو إيجاد مقبض للمونة التي ألصقت فوقه زخارف القيشانى . وليس هناك أى مثال لمثل هذه الزخرفة القيشانية فى العمارة الإسلامية المبكرة فى مثل هذا التاريخ المبكر ويبدو من المرجح أن الزخرفة كانت جصية لأننا رأينا أن الزخرفة الجصية مستعملة على الأبراج على جانبي مدخل الفناء الصغير .

المسجد :

الداخل تقريبًا لا يحتوى على أية أبنية ما عدا بقايا البناء الوحيد فى الركن الجنوبي الشرقى الذى لا بد وأنه أنشئ بعد

من وثائق صحيحة ملموسة، تدلنا على فن العمارة المدنية الأموية الدمشقية. غير أن المكتشفين الأثريين تمكنوا من العثور في بادية الشام، على خرائب وأطلال ثلاثين قصرًا أمويًا قدمت لعلم الآثار معلومات ثمينة عن الفن المذكور.

ولا يخفى أن الخلفاء الأمويين احتفظوا بطباعهم العربية، وظلوا يحنون إلى الصحراء ويتشوقون إلى حياة التبدى. لهذا فإنهم كانوا يتركون دمشق عاصمتهم بين حين وآخر إلى البادية لينعموا بلذة الصيد، ويلتقوا اللغة الصحيحة عن ألسنة أصحابها، ويلتقوا بزعماء القبائل العربية، ويتعدوا عن نقشف المدينة، ويستسلموا إلى حياة الإنس والدعة.

وهذا ما دعاهم إلى إنشاء القصور المتقدمة في البادية وأكملها قصر الحير الغربي الذي يقع على طريق دمشق، بين القريتين وتدمر في وادٍ يخصبه السيل، وقناة من الماء تتصل بسد حريقة في « الفن العربي الإسلامي ص ١٣٢ : ضريقة » (على بعد ١٥ كيلو مترا)، ويعود عهد إنشائها وإنشاء السد إلى العصر الروماني. وقد بنى القصر هشام بن عبد الملك، وجعله مركز منطقة استثمار زراعية. وكان يوجد إلى جانبه خان وحمام، وشكله مربع تقريبًا (٧٠ م × ٧٠ م). وله أبراج نصف مستديرة في زواياه وجوانبه، ويحوى في داخله حول

الأجربة بمترا واحد ولكن البقايا الفعلية له - وهو ثاني أقدم مسجد جامع في سورية - كافية لتؤكد التأثير السائد لمسجد دمشق الكبير.

شكل الأقواس :

الأقواس الخمسة الباقية من الجناح العرضاني مرتفعة ومديبة قليلا والقوس الأوسط في الواجهة مدبب قليلا وليس مرتفعا.

التاريخ :

وجد روسو لوحة مكتوبة على العضادة H ونقلها إلى حلب حيث قام برسمها.

أنها تقول : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله ، أمر بصنعة هذه المدينة عبد الله هشام ، أمير المؤمنين ، وكان هذا من عمل أهل حمص على يد سليمان بن عبيد » سنة ١١٠ هـ - ٧٢٨ م .

(لوحة عن تاريخ بناء قصر الحير الشرقي نقلت إلى حلب ثم فقدت وقد قام قبل نقلها بنشر محتوياتها كلا من غرييل وسفاجيه).

المثمنة :

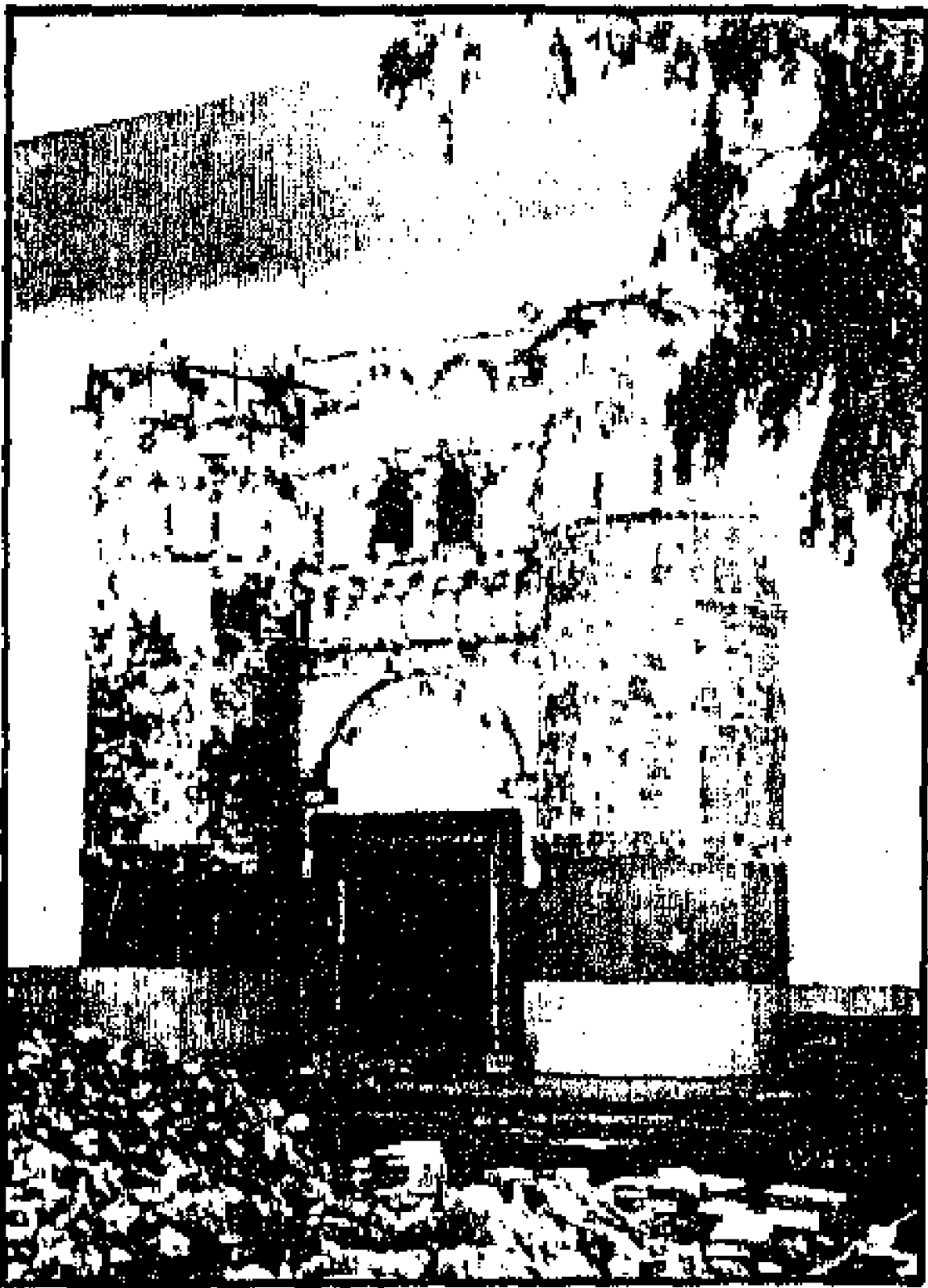
بين الفناء يوجد برج مربع بسيط يبلغ متوسط ضلعه ٢,٩٤ مترا وارتفاعه حوالي ١٠ أمتار ولكن قسمه الأعلى مفقود. المدخل إلى الدرج الحلزوني من الجهة الجنوبية. القمة الحالية بمستوى ما كان متراسا للفناء الصغير. ويمكن أن تكون أعلى مما هي عليه الآن بمقدار ٢ - ٣ أمتار وبالتالي أشرفت على كلا الفناءين. أعتقد أنها كانت مثمنة (الآثار الإسلامية الأولى / ١٥٦ - ١٦٤).

(الفن العربي الإسلامي في بداية تكوينه - د. عفيف بهنسي / ١٤٠، ١٤٤، ١٤٧، والآثار الإسلامية الأولى - ك. كريزويل - نقله إلى العربية عبد الهادي عبل، استخرج نصوصه وعلق عليه أحمد غسان سبانو / ١٥٦ - ١٦٤).

ملاحظة : « الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب كريزويل الآثار الإسلامية الأولى » ص ٢٧ .

* الحير الغربي (قصر -) :

يقول الدكتور سليم عادل عبد الحق والأستاذ خالد معاذ : لقد حرمنا العباسيون بتهديمهم قصور الأمويين في دمشق



اللوحة ١٧

اليهود، وسعفات النخل وغيرها وتشاهد المعينات، والمربعات، وصفوف السويريات الصغيرة التي تحيط بمحاريب حاملة جبهات، والوردات والألواح التي فيها بعض صور الأشخاص حول القوس المركزي المدور، وفي أقسام البرجين العلوية.

وكان داخل القصر مزيناً بمجموعات أخرى من الزخارف الجصية المنحوتة ومنها درابزين كانت موضوعة في أعلى الرواق الشرقي، وفيها عدة مشاهد وأشكال تحوى أشخاصاً وحيوانات مختلفة.

ومنها أيضاً أقواس ونوافذ كانت موضوعة فوق أبواب بعض القاعات الكبرى، ومنها قاعات الاستقبال في الجناح الشرقي. وقد اجتهد موظفو ومستخدمو مديرية الآثار العامة خلال أعوام طويلة حتى تمكنوا من إعادة تركيب نحو خمسين قطعة منها.

وقد لوحظ أن أبعادها مختلفة، وأن بعضها قطع فنية رائعة ذات جمال ساحر ويمثل اللوح (١٨) نافذتين منها، كانتا فوق بابين من أبواب القاعة (٧) من القصر كما يمثل لنا اللوح (١٩) نافذة ثالثة (وهي السفلى) كانت في نفس القاعة، ونافذة رابعة كانت في القاعة (٥٥) من القصر.

ويتبين منها غنى الزخارف الهندسية والنباتية التي ابتكرت في العصر الأموي. وقد ولد أسلوب الزخارف الأموية من جهود الفنانين وأبحاثهم، وتكاملت لغة الأشكال في الفن العربي، وتهيأت لأن تعبر عن كل ما يختلج في أفئدة الملهمين (مشاهد دمشق الأثرية/ ٢٨-٣٠).

ويقول الدكتور عفيف بهنسي:

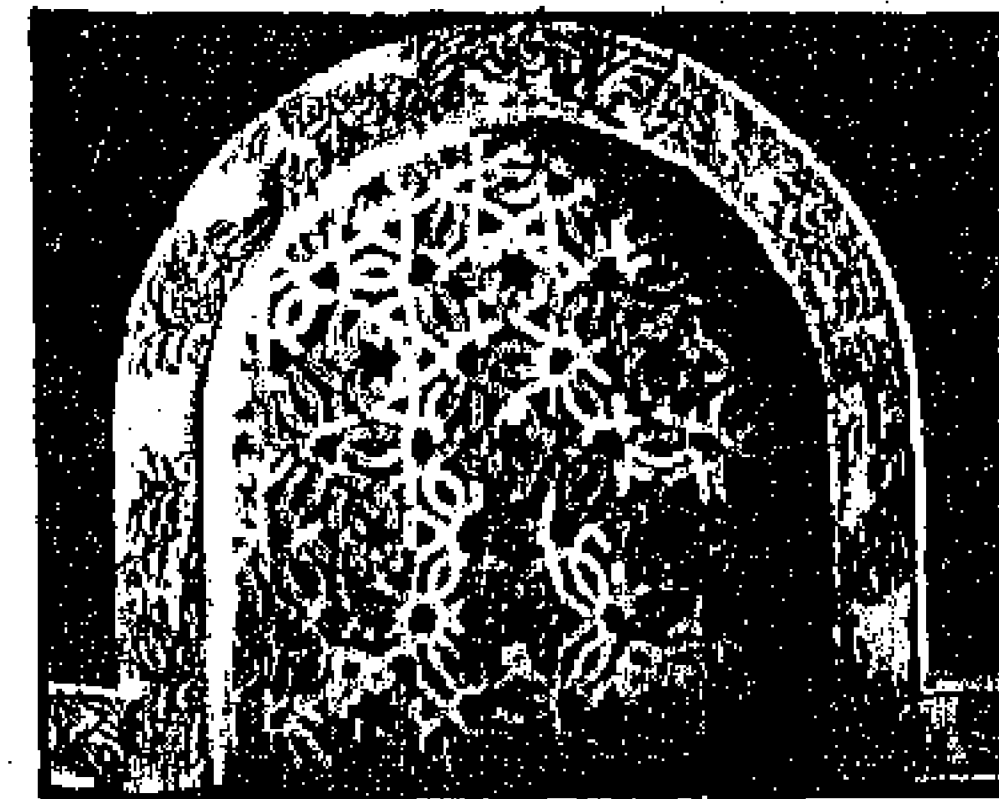
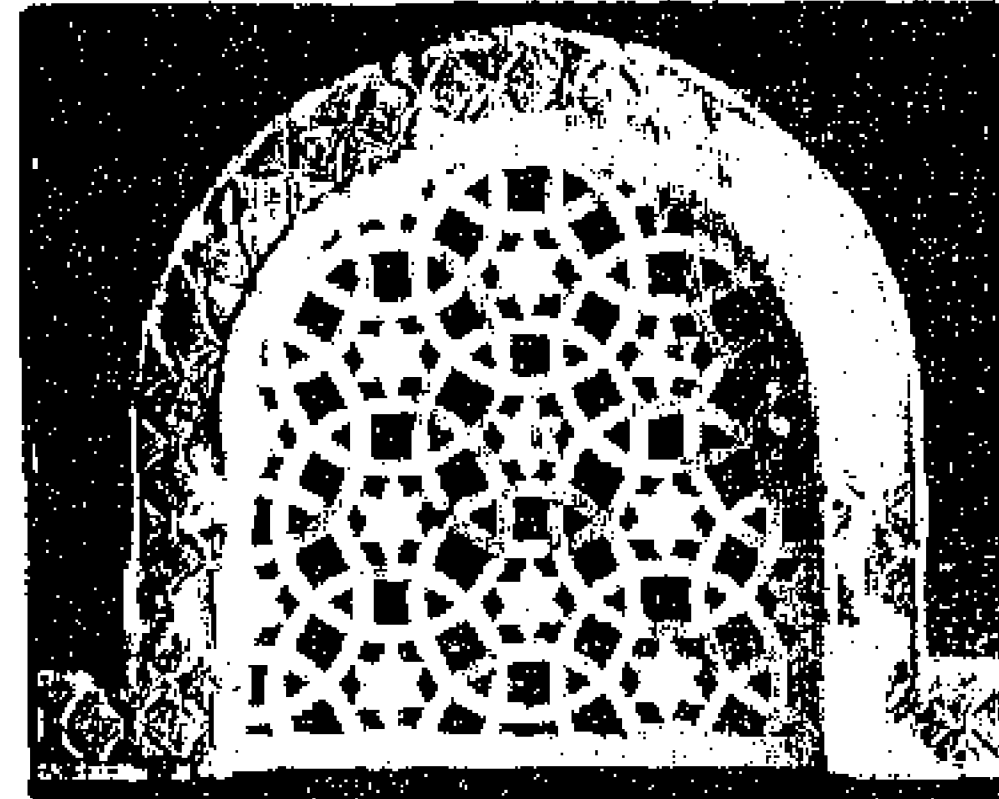
يذكر الطبري (تاريخ الرسل والملوك ٢٩٢/٨) أن هشاماً كان ينزل في الزيتونة في بادية الشام، فلما عمّر الرصافة انتقل إليها فكانت منزله إلى أن مات. كما يذكر ابن كثير أن الخلافة أتته وهو في الزيتونة في منزل له، فجاءه البريد بالعصا والخاتم، فسلم عليه بالخلافة، فركب من الرصافة حتى أتى دمشق.

ولقد تساءل الباحثون عن الزيتونة، هل هي قصر الحير الشرقي كما يرى سوفاجيه، استناداً إلى لوح عثر عليه روسو يعتبر هذا القصر مدينة أم أنها نفسها الرصافة. أم أنها قصر

باحة مربعة مكشوفة، ستة بيوت، في كل منها قاعة كبيرة مستطيلة متوسطة، وعلى جانبها عدة غرف صغيرة. وتستند هذه البيوت كلها على جدران القصر من الداخل. ويلاحظ أن هذا النموذج من البناء، يستوحى أصوله وقواعده من عناصر الأبنية السورية والساسانية المعروفة قبل هذا العصر. ويؤلف ابتكاراً أموياً سوف يبنى سكان الشرق دورهم على نمودجه خلال مدة طويلة.

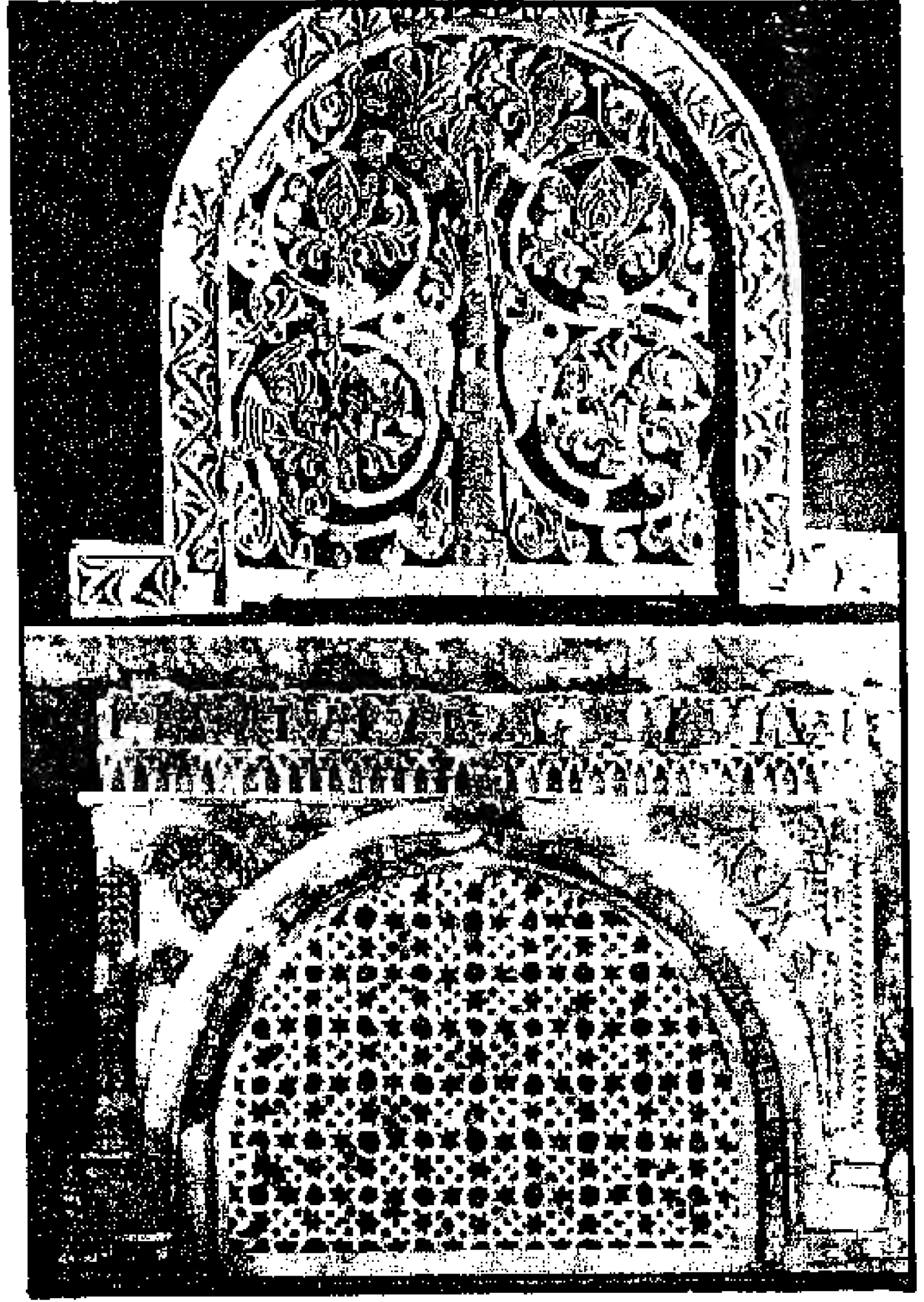
انتهى إلى عصرنا من تزيينات قصر الحير الغربي عدد كبير من مجموعات الزخارف الجصية التي جمعت من خرائبها، ونقلت إلى متحف دمشق، وأعيد إنشاؤها فيه فأصبحت مصدراً رئيسياً لمعرفة منشأ الفن العربي، وتطور حياة الأشكال في سورية خلال القرن الأول والثاني من الهجرة.

ويشاهد في اللوح الواجهة الخارجية لهذا القصر مع البرجين اللذين يحيطان بالباب الرئيسي وقد أعيد تركيبهما في جانب من جوانب المتحف. ويبلغ ارتفاعها نحو (١٦) متراً. وهي مزينة كلها من أسفل أسكفة الباب حتى مستنات البرجين، بطبقة منحوتة من الزخارف الجصية، المنظمة على عدة مناطق يعلو بعضها بعضاً. وتنقسم كل منطقة من هذه المناطق إلى مستطيلات مزينة بمواضع نباتية، كشوكات



اللوحة ١٨

وشكل قصر الحير الغربي مربع تقريبا طول ضلعه ٧٠ × ٧١ م وجداره الخارجى مدعم بأبراج مستديرة (ما عدا الزاوية الشمالية الغربية حيث البرج البيزنطى) الذى أعيد استعمله . وبأبراج نصف دائرية تدعم أواسط الجدران الثلاثة ، عدا الجدار الشرقى حيث تفتح بوابة يحيط بها من الطرفين برجين نصف دائريين مزخرفين ، وبناء هذا القصر من الحجر إلى ارتفاع مترين ثم من الطوب والآجر مع عوارض خشبية . وتتصل البوابة بواسطة دهليز بالفناء المحاط بأروقة محمولة على عمد قديمة ، ويوجد فى وسط الفناء حوض صغير ، وترتفع حول الفناء البيوت فى طابقين ، وترى قاعات القصر وحجراته مرتبة ضمن بيوت ستة مستقلة عن بعضها بيتان فى الجهة الشرقية ومثلها فى الجهة الغربية وواحد فى الجنوب وآخر فى الشمال ويحوى كل بيت من ٨ - ١٣ قاعة أو حجرة .



اللوحة ١٩٠

الحير الغربى أم هى قصر المفجر . ويرى شلومبرجيه أن الزيتونة هو اسم قصر الحير الغربى .

واستناداً إلى الصور الجوية التى كان الأب بواديار قد التقطها لبعض الأوبد المنتشرة فى بادية الشام قام العالم شلومبرجيه منذ عام ١٩٣٦ بالاهتمام فى الكشف عن مجموعة من الخرائب تبين أنها مؤلفة من منشآت قديمة ترجع إلى العهد الرومانى لم يبق منها إلا سد خريقة ، ومن أبنية بيزنطية لم يبق منها إلا البرج الملاصق لقصر قام باكتشافه وتبين له بالتأكد أنه قصر أموى ، بل هو قصر هشام الذى كان يطلق عليه اسم الزيتونة وهو الاسم الأصلى . أما اسم الحير ، فهى تسمية حديثة استعيرت من معنى السور الذى كان يحده ، ويعتقد شلومبرجيه أن مكان هذا القصر كان يوجد دير غسانى بناه الحارث بن جبلة وكان سد خريقة يغذى القصر بالماء عن طريق قناة تنتهى بخزان يبعد ١٦,٥ كم عن السد ، ثم يغذى ماء الخزان القصر والحمام والحديقة والطاحون والخان الذى يقع قرب البركة والجامع بالماء اللازم . ويقع الحمام شمالى القصر على بعد ثلاثين مترا من البرج البيزنطى وهو مقسوم إلى قسمين قسم بارد وقسم دافئ وقد فرشت أرض القسم الدافئ بالرخام كما طليت الجدران بطلاء ملون تقليدا للرخام .

ويستدل على تاريخ هذا القصر من كتابتين ، الأولى نقش على ساكف أحد أبواب الخان ، وهو محفوظ حاليا فى حديقة المتحف الوطنى بدمشق وعليه الكتابة التالية : (بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أمر بصنعة هذا العمل عبد الله هشام أمير المؤمنين أوجب أجره ، عمل على يد ثابت بن ثابت فى رجب ١٠٩ هـ) .

أما الكتابة الثانية فهى على جزء من حجر رخامى ٧٥ مم × ٦٥ مم ، تبين شلومبرجيه فيها بعد الترميم الكتابة التالية :

من هشام أمير المؤمنين إلى

الوليد أبى العباس

أحمد الله إليك

ويعتقد شلومبرجيه أن هذه الرسالة كانت موجهة إلى الحجاج بن يوسف وهذه الرقعة محفوظة فى جناح قصر الحير فى المتحف الوطنى بدمشق .

زخرفة قصر الحير:

كشفت أعمال التنقيب التي قام بها شلومبرجيه أن القصر كان مزينا بالفسيفساء الذي بقى منه بعض الألواح الصغيرة مع بعض النصوص التي عثر عليها مع الألواح قرب المدخل . كما أن بعض الجدران قد زينت بالخشب المنقوش ، عثر على قطع منها تحتفظ بعض الرسوم الملونة والمذهبة تمثل أزهارا وأشكالاً هندسية انحصرت وجودها في البناء الداخلي . أما جدران الغرف فلقد كانت مطلية برسوم ملونة بعضها زخرفي لا يمثل أشخاصا أو حيوانا ، وهي تزين غرف الطابق السفلي من البناء ، وهذه الزخارف على ثلاثة أنواع ، منها ما يمثل نصدا من الخطوط أو الشرائط الأفقية العريضة وقد استعمل فيها ثلاثة ألوان هي الأبيض والحديدى والخمرى ، والنوع الثانى هو عبارة عن تمشيح ملون يشبه الرخام ويصور عمداً متشابهة تقوم فى الزوايا مؤلفة من انتفاخات متكررة ، والشكل الثالث يمثل رسوما هندسية أو نباتية وواحد منها فقط يمثل حيوانا خرافيا ، تضاف إلى هذه الرسوم وعلى صف مواز دوائر تزيينية ممشحة .

وتتألف زخرفة قصر الحير الغربى من الزخارف الجصية فى واجهة القصر ومن الزخارف الجدارية المشابهة للمتشحيحات الرخامية ومن زخرفات الكوات ومن الصور الملونة الكبيرة . لقد أعيد إنشاء جزء من هذا القصر فى المتحف الوطنى بدمشق عام ١٩٥٠ بعد جهود استمرت أربعة عشر عاما ... ابتدأت أعمال ترميم قصر الحير عام ١٩٣٩ ثم تباطأت بسبب الحرب العالمية الثانية ثم انتهت عام ١٩٥٠ ، ولقد أعيد بناء البرجين بارتفاع ٤٥ ، ١٤ مترا ، كما شيد بيتان داخليان من بيوت القصر وأنشئ فى داخل الواجهة جناح مفتوح عرضت فيه بعض القطع الأثرية التابعة للقصر مع مجسمين ، وفى الطابق العلوى أقيمت بعض الحواجز الحافلة بالتماثيل النافرة ، وفى الداخل تركت قاعة كبيرة بدون تقسيم لكى تضم لوحى الفريسك الشهيرتين مع بعض القطع الأخرى .

وفى عام ١٩٧٤ قمنا بإنشاء فرع آخر فى متحف تدمر ، عرضنا فيه بعض القطع المتبقية من آثار قصر الحير وخاصة أجزاء من الرسوم الجدارية ومن المنحوتات والشبكيات (الفن العربى الإسلامى / ١٣٢ - ١٣٥ ، ١٤٠) .

(مشاهد دمشق الأثرية - د . سليم عادل عبد الحق والأستاذ خالد معاذ / ٢٨ - ٣٠ ، والفن العربى الإسلامى فى بداية تكوينه - د . عفيف بهنسى / ١٣٢ - ١٣٥ ، ١٤٠ ، انظر أيضا الآثار الإسلامية الأولى - ك . كريزويل - نقله إلى العربية عبد الهادى عبلة ، استخرج نصوصه وعلق عليه أحمد غسان سبانو / ١٦٤ - ١٧٠ ، حضارة الدولة فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الأموية - د . أحمد رمضان أحمد محمد / ١٢٦) .

ملاحظة : الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب « مشاهد دمشق الأثرية » .
* الحيرة :

الحيرة عاصمة لدولة عربية قبل الفتح الإسلامى وتقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات ، وابتنى على بن أبى طالب بجوارها مدينة الكوفة ، وتعرف اليوم باسمى نجف و مشهد وهى على بعد ٧٧ كم جنوب شرقى كربلاء (الفتح المبين / ٤١) .
قال عنها ياقوت :

الحيرة : بالكسر ثم السكون ، وراء : مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف زعموا أن بحر فارس كان يتصل به ، وبالحيرة الخورنق بقرب منها مما يلى الشرق على نحو ميل ، والسدير فى وسط البرية التى بينها وبين الشام ، كانت مسكن ملوك العرب فى الجاهلية من زمن نصر ثم من لخم النعمان وآبائه ، والنسبة إليها حارى على غير قياس كما نسبوا إلى النمر نمرى ...

وحيرى أيضا على القياس ، كل قد جاء عنهم ، ويقال لها الحيرة الروحاء ؛ قال عاصم بن عمرو :

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا
ورجلا ، فسوق أثباج الركاب
حضرننا فى نواحيها قصورا
مشرفة كأضراس الكلاب
وأما وصفهم إياها بالبياض فإنما أرادوا حسن العمارة ،

وقيل : سميت الحيرة لأن تَبَعًا الأكبر لما قصد خراسان خلف ضعفة جنده بذلك الموضع وقال لهم حيروا به أى أقيموا به ، وقال الزجاجى : كان أول من نزل بها مالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان

وخراب أمغيشيا وانتصار خالد عندهما، وفعاله فيهما، أيقن أنه غير متروك، وقدر أن خالدا سيركب إليه النهر، فتهاجرا لحربه، وقدم ابنه، وأمره أن يسد قناطر الفرات ليعوق بذلك سير السفن إليه؛ ثم خرج في إثره حتى عسكر خارجا من الحيرة.

ولما استقل (أى رحل) خالد من أمغيشيا، وحمل الرجل (الراجل ضد الفارس جمعه الرجل) في السفن، وسار شمالا إلى ناحية الحيرة جنحت السفن، وارتطمت بقاع النهر؛ فارتاع المسلمون لجنوحها، وأخذ الغضب من خالد مأخذه، ثم سأل عن علة ذلك، فقال الملاحون: إن أهل فارس فجروا الأنهار، فسلك الماء غير طريقه؛ فلن يأتينا الماء إلا بسد الأنهار.

فتعجل خالد فلقى ابن الأزاذبه على فم العتيق، وفجأه وجنده وهم آمنون في تلك الساعة، فاقتتلوا حتى هزموا، وقتل ابن الأزاذبه، وأعاد الماء يجري في النهر، فعادت السفن إلى المسير، وحملت إليه جيشه، فسار به إلى الخورنق والنجف. وكان الأزاذبه يقيم بمعسكره بين الغريين (بناء أن كانا معروفين بالكوفة) والقصر الأبيض، فبلغه موت أردشير، ثم علم بموت ابنه، وزحف خالد نحو الخورنق؛ فولى هاربا من غير قتال. ووصل خالد وأصحابه فلم يلقوا عسكرا؛ فأقاموا بين الغريين والقصر الأبيض وأهل الحيرة متحصنون.

فأدخل الخيل من عسكره، وأمر بكل قصر رجلا من قواده يحاصر أهله ويقاثلهم؛ فكان ضرار بن الأزور محاصرا القصر الأبيض، وفيه إيساس بن قبيصة الطائي، وكان ضرار بن الخطاب محاصرا قصر العدسين وفيه عدى بن عدى، وكان ضرار بن مقرن محاصرا قصر بنى مازن، وفيه ابن أكال، وكان المثنى محاصرا قصر ابن بقليلة، وفيه عمرو بن عبد المسيح، وعهد إليهم جميعا أن يبدؤوا بالدعاء، فإن أجابوا قبلوا منهم، وإن أبلؤا أجلوهم يوما، ثم قاتلوهم وقتلوهم.

فكان أول القواد الذين أنشبو القتال بعد تأجيلهم يوما هو ضرار بن الأزور وكان على قتال أهل القصر الأبيض؛ فأصبحوا وهم مشرفون؛ فدعاهم إلى إحدى ثلاث: الإسلام، أو الجزاء (جمع جزية)، أو المنابذة (تحيز كل من الفريقين للحرب) فاختاروا المنابذة، وتنادوا: عليكم بالحصا، فقال ضرار: تنحوا؛ لا ينالكم الرمي، حتى ننظر في الذي هتفوا به. فلم

ابن عمران بن الحاف بن قضاعة... وفي كتاب أحمد بن محمد الهمداني: إنما سميت الحيرة لأن تبعا لما أقبل بجيوشه فبلغ موضع الحيرة ضل دليله وتحير فسميت الحيرة. وينسب إلى الحيرة كعب بن عدى الحيرى، له صحبة، روى حديثه عمرو بن الحارث عن ناعم بن أجيل بن كعب بن عدى الحيرى. والحيرة. أيضا: محلة كبيرة مشهورة بنيسابور؛ ينسب إليها كثير من المحدثين، منهم: أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى صاحب حاجب بن أحمد وأبى العباس الأموى، قال أبو موسى محمد بن عمر الحافظ الأصبهاني: أما أبو بكر الحيرى فقد ذكر سبطه أبو البركات مسعود بن عبد الرحيم بن أبى بكر الحيرى أن أجداده كانوا من حيرة الكوفة وجاؤوا إلى نيسابور فاستوطنوها، قال: فعلى هنا يحتمل أن يكونوا توطنوا محلة بنيسابور فنسبت المحلة إليهم كما ينسب بالكوفة والبصرة كل محلة إلى قبيلة نزلوها، والله أعلم. والحيرة أيضا: قرية بأرض فارس فيما زعموا (معجم البلدان ٣٢٨/٢، ٣٢٩، ٣٣١).

(الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين لعميد بن محمد بن رزيق - تحقيق عبد المنعم عامر ود. محمد مرسى / ٤١ وهامش ٤، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١، انظر أيضا تطور علم التاريخ الإسلامى حتى نهاية العصور الوسطى - أ. د. أحمد رمضان أحمد / ١٠٧ - ١٠٩، والعمدة لابن رشي - حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد ٢ / ٢٢٩ - ٢٣١).

* الحيرة (موقعة -) (١٢ هـ) :

هى موقعة لخالد بن الوليد على أهل الحيرة فى ربيع الأول سنة ١٢. والحيرة موضع على ثلاثة أميال من الكوفة، على موضع يقال له النجف.

لما فرغ خالد من يوم أليس أنى أمغيشيا (كانت مصرا كالحيرة، وكانت أليس من ثغورها) فوجد أن أهلها قد جلوا عنها، وتفرقوا فى السواد (قرى العراق) فأمر بهدمها، وإزالة كل شئ كان فى حيرها، فأصاب منها ما لم يصب من غيرها، حتى بلغ سهم الفارس ألفا وخمسمائة، سوى النفل الذى نفعه أهل البلاء.

وكان الأزاذبه مرزبان (المرزبة رئاسة الفرس، وهو مرزبانهم) الحيرة فى ذلك الحين، فلما علم بأخبار أليس

سنة جزاء عن أيديهم في الدنيا رهبانهم وقسيسهم، إلا من كان منهم على غير ذي يد، حبسًا عن الدنيا، تاركًا لها؛ وعلى المنعة، فإن لم يمنعهم فلا شيء عليهم حتى يمنعهم، وإن غدروا بفعل أو قول فالذمة منهم بريئة.

وكتب في شهر ربيع الأول من سنة اثنتى عشرة . ولما استقر خالد في الحيرة خرج إليه صلوبا بن نسطونا صاحب قس الناطف، (موضع قريب من الكوفة) فصالحه على نانقيا (ناحية من نواحي الكوفة) وباروسما (من ناحية بغداد) وضمن له ما عليهما وعلى أرضيهما من شاطئ الفرات على عشرة آلاف؛ فكتب لهم خالد كتابا هذا نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه . إنني عاهدتكم على الجزية والمنعة، على عشرة آلاف دينار، القوي على قدر قوته، والمقل على قدر إقلاله في كل سنة، وإنك قد تقبت (أى صرت نقيًا وضمينًا) على قومك، وإن قومك قد رضوا بك، وقد قبلت ومن معي من المسلمين، ورضيت ورضى قومك، فلك الذمة والمنعة؛ فإن منعناكم فلنا الجزية، وإلا فلا حتى نمنعكم».

ولما رأى دهاقين البلاد ما تم لخالد من الظفر أتوه فصالحوه على ما بين الفلاليج إلى هرمزجرد، على ألفي ألفي درهم، وكتب لهم بذلك كتابًا .

(الدّهقان - بكسر الدال وضمها : زعيم فلاحى العجم ورئيس الإقليم وفلاليج السواد : قراها وهرمزجرد : ناحية من أطراف العراق) .

ولما تم لخالد فتح الحيرة صلى صلاة الفتح ثمانين ركعات، لا يسلم فيها، فلما أتمهن انفتل إلى أصحابه يقول : لقد قاتلت يوم مؤتة، فانقطع في يدي تسعة أسياف، وما لقيت قوما كمن لقيتهم من أهل فارس .

ثم أقام بالحيرة وجعلها مركز قيادته .

(أيام العرب في الإسلام - محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى / ١٨٨ - ١٩٢) .

* الحوض

قال الإمام الشريفي الخطيب :

الحوض لغة السيلان تقول العرب حاصنت الشجرة إذا

يلبث أن امتلأ القصر من رجال معلقى المخالى (مجمع مخلاة)؛ يرمون المسلمين بالحصى، فقال ضرار: أرشقوهم؛ فدنوا منهم فرشقوهم بالنبل، وصبح كل أمير أصحابه بمثل ذلك .

فافتحوا الدور والديرات وأكثروا القتل، فنادى القسيسون والرهبان: يا أهل القصور؛ ما يقتلنا غيركم! فنادى أهل القصور: يا معشر العرب؛ قد قبلنا واحدة من ثلاث، فكفوا عنا حتى تبلغونا خالدًا، فكفوا عنهم وأرسلوهم إلى خالد .

فخلا خالد بأهل كل قصر منهم دون الآخرين، وبدأ بأصحاب عدى وقال: ويحكم! ما أنتم! أعرب؟ فما تنقمون من العرب! أم عجم! فما تنقمون من العدل والإنصاف! فقال له عدى: بل عرب عاربة؛ وأخرى متعربة، فقال: لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا .

فقال له عدى: يدلك على ما تقول أنه ليس لنا لسان إلا العربية، فقال خالد: اختاروا واحدة من ثلاث: أن تدخلوا ديننا؛ فلكم ما لنا وعليكم ما علينا؛ أو الجزية، أو المناجزة والمناجزة (المبارزة) فقد أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة. فقال: بل نعطيك الجزية، فقال خالد: تبًا لكم! ويحكم! إن الكفر فلاة مضلة (صحراء يضل فيها الماشى) فأحمق العرب من سلكها، فلقية دليان؛ أحدهما عربى فتركة واستدل الأعجمى (أى طلب منه أن يدلّه) .

ولم يغير هذا الكلام من إصرار القوم على دينهم، فصالحوه على مائة ألف درهم وتسعين ألفًا، وتتابع أهل القصور على ذلك، وأهدوا له الهدايا، وبعث بالفتح والهدايا إلى أبى بكر، فأجاز أبو بكر المعاهدة، وقبل الهدايا واحتسبها من الجزاء وكتب إلى خالد: أن احسب لهم هديتهم من الجزاء، إلا أن تكون من الجزاء، وخذ بقية ما عليهم، فقوبها أصحابك .

ثم كتب خالد لأهل الحيرة هذا الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عديًا وعمراً ابني عدى، وعمرو بن عبد المسيح، وإياس بن قبيصة، وحيرى بن أكال، وهم نقباء (أى ضمناء ورؤساء) أهل الحيرة . ورضى بذلك أهل الحيرة، وأمروهم به . عاهدتهم على مائة ألف وتسعين ألف درهم، تقبل في كل

الحيض : الدم الخارج من قبل المرأة حال صحتها؛ من غير سبب الولادة ولا يخرج دم الحيض قبل بلوغ تسع سنين عند الأكثر، فإذا رأت الدم قبله يكون علة .
ويكون لون دم الحيض أسود، وأحمر، وأصفر، ومتوسطاً بين البياض والسود .
ولا حَدَّ لأقل مدته :
أما أكثرها فعند بعض عشرة أيام، وعند بعض خمسة عشر يوماً .

ولا حَدَّ لأكثر الطهر المتخلل بين الحيضتين، وأقله خمسة عشر يوماً (مختصر الأحكام الفقهية / ٣٧) .

قال الإمام النووي :

قال أهل اللغة يقال حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً فهي حائض بغير هاء لأن هذه صفة لا تكون للمذكر فلم يحتج إلى إلحاق الهاء فيه للفرق بخلاف مسلمة وقائمة وحكى الجوهري عن الفراء أنه يقال أيضاً حائضة بالهاء وأنشد :

* كحائضة يزني بها طاهر *

قال أهل اللغة عركت بفتح العين والراء تعرك عروكاً كقعدت تقعد قعوداً أي حاضت قال الهروي في الغريبين يقال حاضت المرأة وتحيضت ودرست وعركت وطمشت تحيض حيضاً ومحيضاً ومحاضاً إذا سال دمها في أوانه فإذا سال في غير أوقاته المعلومة فهي المستحاضة . قال أهل اللغة ويقال نساء حيض وحواض والحيزة بفتح الحاء للمرة الواحدة من الحيض و الحيضة بكسر الحاء اسم للحالة والهيشة وفي الحديث «خذى ثياب حيضتك» هذا بالكسر وفي الحديث الآخر «إذا أقبلت الحيضة» قال الخطابي المحدثون يقولونها بالفتح وهو خطأ والصواب الكسر لأن المراد الحالة ورد القاضي عياض وغيره قول الخطابي وقالوا الأظهر الفتح لأن المراد إذا أقبل الحيض وفي الحديث «تحيض في علم الله تعالى» أي التزمى أحكام الحيض وافعلى فعلهن وكل هذه الأحاديث صحيحة وفي الحديث الآخر «لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار» المراد بالحائض البالغة هنا كما في الحديث الآخر «غسل الجمعة واجب على كل محتلم» أي بالغ وليس للتقييد بالحائض هنا مفهوم يعمل عليه فيكون دليلاً على أن غير البالغة من المميزات تقبل صلاتها بغير خمار بل هذا من التقييد الخارج على سبب لكونه الغالب كما في قوله تعالى ﴿وربائبكم اللاتي في حجوركم﴾ [النساء: ٢٣] وقوله

سال صمغها وحاض الوادى إذا سال، وشرعاً دم جبلة أى تقتضيه الطباع السليمة، وهو الدم الخارج من أقصى رحم المرأة على سبيل الصحة، احترازاً عن الاستحاضة، من غير سبب الولادة، فى أوقات معلومة احترازاً عن النفاس . والأصل فى الحيض آية ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ [البقرة: ٢٢٢] أى الحيض، وخبر الصحيحين : هذا شئ كتبته الله على بنات آدم قال الجاحظ فى كتاب الحيوان : والذي يحيض من الحيوان أربعة : الأدميات، والأرنب، والضبع، والخفاش . وجمعها بعضهم فى قوله :

أرانب يحضن والنساء

ضبع وخفـاش لـهـاء دواء

وزاد عليه غيره أربعة أخر وهى الناقة والكلبة والوزغة والحجر أى الأنثى من الخيل . قال الإمام البجيرمى فى شرحه على الخطيب : وقد أشار إلى هذا بعض من نظمها من الطويل بقوله :

ثمانية فى جنسها الحيض يثبت

ولكن فى غير النساء لا يؤقت

نساء وخفـاش وضبع وأرنب

وناقصة مع وزغ وحجر وكلبة

وزاد بعضهم على ذلك بنات وردان والقردة، وزاد الإمام المناوى الحداة، وزاد غيره السمك اهـ .

قال الإمام الخطيب : وله عشرة أسماء : حيض وطمس بالمثلثة وضحك وإكبار وإعصار ودراس وعراك بالعين المهملة، وفراك بالفاء، وطمس بالسين المهملة، ونفاس اهـ ويقول الإمام البجيرمى فى حاشيته على الخطيب : قوله وله عشرة أسماء، أى على ما ذكر هنا وإلا فذكر بعضهم له خمسة عشر اسماً نظمها بعضهم بقوله :

للحيض عشر أسماء وخمستها

حيض محيض محاض طمٹ إكبار

طمس عسراك فسراك مع أذى ضحك

درس دراس نفاس قسرس إعصار

(فى البيت الأول : خمسة : للقاعدة النحوية والوزن)

قوله : وضحك، ومنه قوله تعالى ﴿وامراته قائمة

فضحككت﴾ [هود: ١٧] فسره بعضهم بحاضت (بجيرمى على

الخطيب ٢٩٩/١، ٣٠٠)

ومما قيل فى تعريف الحيض أيضاً :

ذات النقاء والحائض من ترى الدم فى أوانه والمستحاضة من ترى الدم على أثر الحيض على صفة لا يكون حيضاً وذات الفساد من يتدبىء بها دم لا يكون حيضاً هذا آخر كلام صاحب الحاوى .

وقد أشار كثير من أصحابنا أو أكثرهم إلى معنى ما قال وهو أن الاستحاضة الدم المتصل بدم الحيض فإن لم يتصل فدم فساد وصرح أبو عبد الله الزبيرى فى كتابه الكافى والقاضى حسين وصاحبه صاحب التتمة وصاحب العدة وغيرهم بخلاف هذا فقالوا دم الاستحاضة ضربان متصل بدم الحيض وغير متصل فالمتصل أن ترى البالغة الدم وتجاوز خمسة عشر وغير المتصل التى لها دون تسع سنين إذا رأت الدم والكبيرة إذا رأتها وانقطع لدون يوم وليلة وهذا الذى قاله هؤلاء صحيح ملبح موافق لما قدمته عن إمامى اللغة الأزهرى والهروى وقد استعمل فى المذهب والتنبيه الاستعاضة بهذا المعنى فقال فى المذهب فى فصل النفاس : فإن أدر الدم قبل الولادة خمسة أيام فمن أصحابنا من قال هو استحاضة وقال فى التنبيه وفى الدم الذى تراه الحامل قولان أحدهما أنه حيض والثانى أنه استحاضة والله تعالى أعلم . وذكر أصحابنا اختلاف العلماء فى المحيض المذكور فى القرآن العزيز قالوا مذهبنا أن الحيض والمحيض بمعنى الحيض كما قدمناه .

وقال بعض العلماء هو زمن الحيض وقد أوضحت هذا كله بأدلته فى شرح المذهب .

قال صاحب الحاوى : وللحيض خمسة أسماء آخر : الطمث ويقال امرأة طامث والعراك ويقال امرأة عارك ونسوة عوارك والضحك وامرأة ضاحك ونسوة ضواحك الإكبار والمرأة مكبر والإعصار والمرأة المعصر وأنشد فى كل هذا أبياتاً أوضحتها فى شرح المذهب . قال الجاحظ فى كتاب الحيوان : والذى يحيض من الحيوان أربع المرأة والأرنب والخفاش والضبع وروينا فى سنن الإمام البيهقى رحمه الله تعالى أنه قيل لعائشة رضى الله عنها ما تقولين فى العراك؟ قالت الحيض تعنون؟ قالوا نعم قالت سموه كما سماه الله عز وجل وثبت فى الصحيح أنه ﷺ قال فى الحيض «هذا شئ كتبته الله تعالى على بنات آدم» فظاهره أنه لم يزل فيهن وحكى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى رضى الله عنه فى صحيحه عن بعض العلماء أنه قال كان أول ما أرسل الحيض على بنى إسرائيل قال البخارى وحديث النبى ﷺ أكثر يعنى أنه عام فى جميع بنات آدم وحكى صاحب الحاوى وغيره عن

تعالى : ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ [الإسراء : ٣١] وقوله ﴿فإن خفتن ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ [البقرة : ٢٢٩] وقوله تعالى : ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتن أن يفتنكم الذين كفروا﴾ [النساء : ١٠١] وقوله تعالى ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً﴾ [النور : ٣٣] ومن زعم أن هذه الآية ليست مما نحن فيه فهو جاهل أو لم يفكر والله تعالى أعلم

قال أهل اللغة والحيضة بالكسر أيضاً أسم للخرقة التى تستنفر بها المرأة . قال الجوهري ومنه قول عائشة رضى الله تعالى عنها ليتنى كنت حيضة ملقاة . قال وكذلك المحيضة وجمعها محائض هذا ما يتعلق بتصريف الكلمة . وأما أصلها فقال الإمام أبو منصور الأزهرى فى كتابه شرح ألفاظ مختصر المزنى رحمهم الله تعالى : الحيض دم يرخيه رحم المرأة بعد بلوغها فى أوقات معتادة وأصله من حاض السيل وقاض إذا سال يسمى حيضاً لسيلان الدم فى الأوقات المعتادة . قال والاستحاضة أن يسيل الدم فى غير أوقاته المعتادة . قال ودم الحيض يخرج من قعر الرحم ويكون أسود محتدماً أى حاراً كأنه محترق وأما دم الاستحاضة فيسيل من العاذل وهو عرق فمه الذى يسيل منه فى أدنى الرحم دون قعره قال وذكر ذلك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هذا كلام الأزهرى وقوله العاذل هو بالعين المهملة وكسر الذال المعجمة وباللام وقال الهروى . قال ابن عرفة الحيض والمحيض اجتماع الدم إلى ذلك المكان وبه سمى الحوض لاجتماع الماء فيه ثم ذكر أن الحيض هو سيلان الدم فى أوقاته المعتادة فقد اتفق الهروى وشيخه الأزهرى على أن الاستحاضة عبارة عن جريان الدم فى غير أوقاته .

وقد اختلف أصحابنا فى حقيقة الاستحاضة فذهب جماعة إلى أن الاستحاضة لا تكون إلا دمًا متصلًا بالحيض ليس بحيض أن ترى الدم فى زمن الحيض ويجاوز خمسة عشر يومًا متصلًا فأما إذا رأت الدم قبل تسع سنين أو رأت بعد تسع دما غير متصل بالحيض فإن رأت دون أقل الحيض فليس هذا باستحاضة بل يسمى دم فساد وذهب جماعة من أصحابنا إلى أن الجميع يسمى استحاضة فممن قال بالأول صاحب الحاوى فقال الشافعى رضى الله عنه لورأت الدم قبل استكمال تسع سنين فهو دم فساد لا يقال له حيض ولا استحاضة لأن الاستحاضة لا تكون على أثر حيض ثم قال بعد هذا بأسطر النساء أضرب طاهر وحائض ومستحاضة وذات فساد فالطاهر

ابن عباس رضى الله عنهما فى سبب ابتداء الحيض أن الله عز وجل قال : يا آدم ما حملك على أكل الشجرة قال زينته لى حواء قال لى عاقبتها لا تحمل إلا كرها ولا تضع إلا كرها ودميتها والله تعالى أعلم . وأعلم أن باب الحيض من الأبواب العويصة وقد اعتنى أصحابنا رحمهم الله تعالى بإيضاحه فبينوه أحسن بيان وبسطوه أوضح بسط وقد جمع فيه إمام الحرمين نحو نصف مجلدة فى النهاية وجمع غيره نحوه ولم يكن فيه أعظم تصنيفاً من كتاب أبى الفرج الدارمى من أصحابنا العراقيين فى طبقة القاضى أبى الطيب الطبرى فجمع مجلدة ضخمة فى مسألة المستحاضة المتحيرة وحدها لم يخلط معها غيرها وقد جمعت أنا فيه شرح المذهب جملة مستكثرة نحو مجلدة مع أنى حرصت على ترك الإطالة ونسأل الله تعالى التوفيق اهـ .

قال الإمام ابن قدامة :

ويمنع عشرة أشياء : فعل الصلاة ، ووجوبها ، وفعل الصيام ، والطواف ، وقراءة القرآن ، ومس المصحف ، واللبث فى المسجد ، والوطء ... وسنة الطلاق ، والاعتداد بالأشهر . ويوجب الغسل والبلوغ والاعتداد به فإذا انقطع الدم أبيح فعل الصوم والطلاق ولم يبح سائرهما حتى تغتسل . وأقل الحيض يوم وليلة وأكثره خمسة عشر يوماً ، وأقل الطهر بين الحيضتين ثلاثة عشر يوماً ولا حد لأكثره ، وأقل سن تحيض له المرأة تسع سنين ، وأكثره ستون ، والمبتدأة إذا رأت الدم لوقت تحيض فى مثله جلست ، فإذا قطع لأقل من يوم وليلة فليس بحيض وإن جاوز ذلك ولم يعبر أكثر الحيض فهو حيض ، فإذا تكرر ثلاثة أشهر بمعنى واحد صار عادة ، وإن عبر ذلك فالزائد استحاضة .

وعليها أن تغتسل عند آخر الحيض ... وتتوضأ لوقت كل صلاة وتصلى ، وكذا حكم من به سلس البول وما فى معناه ، فإذا استمر بها الدم فى الشهر الآخر فإن كانت معتادة فحيضها أيام عاداتها ، وإن لم تكن معتادة وكان لها تمييز وهو أن يكون بعض دمها أسود ثخيناً وبعضه رقيقاً أحمر فحيضها زمن الأسود الثخين وإن كانت مبتدأة أو ناسية لعاداتها ولا تمييز لها فحيضها من كل شهر ستة أيام أو سبعة لأنه غالب عادة النساء ، والحامل لا تحيض إلا أن ترى الدم قبل ولادتها بيوم أو يومين فيكون دم نفاس (عمدة الفقه / ١١ ، ١٢) .

وقد ورد لفظ « المحيض » فى القرآن الكريم فى آيتين

كريمتين هما قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ، وقوله تعالى : ﴿ والسلائي يشسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر والسلائي لم يحضن ﴾ [الطلاق : ٤] ، وفى هذه الآية الأخيرة ورد لفظ « يحضن » .

أما الأحاديث النبوية الشريفة فقد ورد منها فى « تيسير الوصول » ثمانية وعشرون حديثاً نكتفى بنقل خمسة منها ، وهى كما يلي :

٢٤ - عن عبد الله بن سعد الأنصارى رضى الله عنه قال : « سألت النبى ﷺ عن مؤكلة الحائض فقال : واكلمها » أخرجه الترمذى .

٢٥ - وعن عائشة رضى الله عنها « أن امرأة قالت لها : أتجزى إحدانا صلاتها إذا طهرت ؟ فقالت : أحرورية أنت ؟ كنا نحيض مع النبى ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة » أخرجه الخمسة .

(الحرورية) جماعة من الخوارج نزلوا قرية تسمى حروراء ؛ وقولها أحرورية أنت ؟ تريد أنها خالفت السنة وخرجت عن الجماعة كخروج أولئك عن جماعة المسلمين .

٢٦ - وعن أم بسمة واسمها مسة الأردية قالت : « حججت فدخلت على أم سلمة رضى الله عنها . فقلت : يا أم المؤمنين إن سمرة بن جندب رضى الله عنه يأمر النساء أن يقضين صلاة المحيض . فقالت : لا يقضين كانت المرأة من نساء رسول الله ﷺ تقعد فى النفاس أربعين ليلة لا يأمر النبى ﷺ بقضاء صلاة النفاس » أخرجه أبو داود .

٢٧ - وعن عائشة رضى الله عنها . « أنها قالت : فى المرأة الحامل ترى الدم : أنها تدع الصلاة » . أخرجه مالك بلاغا .

٢٨ - وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : « لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن » أخرجه الترمذى (تيسير الوصول ٣ / ١٠٦) .

ويذكر الشيخ عثمان بن فودى البدع التى أحدثتها النساء فى الحيض والاستحاضة والنفاس فيقول :

وأما ما أحدثته النساء فى هذا الباب الذى هو باب الحيض والاستحاضة والنفاس من البدع الشيطانية . فمن ذلك : الصوم فى أيام الحيض . وهو بدعة محرمة إجماعاً .

وفي المدخل (المدخل لابن الحاج ٢ / ٦٤ فصل في صوم أيام الحيض) : من النساء من يصوم في الحيض وتقضيه بعده ، وفاعلة ذلك آثمة في صومها في الحيض ، مصادفة للحق في القضاء بعده ، ومنهن من يفطر في الحيض ولكن تجوع نفسها فتفطر على تمر ونحوها ، وتزعم أن في ذلك أجرا ، وهذا بدعة ، وهي آثمة في تدينها بذلك ، وحالها في حيضها في رمضان كحالها في غيره من الشهور . انتهى .

قلت : الصلاة في الحيض أيضا بدعة محرمة إجماعا كالصوم فيه .

ومن ذلك : عدم الصلاة في أيام الاستحاضة لمن كانت مستحاضة منهن ، وهو بدعة محرمة إجماعا ، وفي صحيح البخاري : قالت فاطمة ابنة أبي حبيش لرسول الله ﷺ : يا رسول الله إني لا أطهر ، أفأدع الصلاة ؟ فقال رسول الله ﷺ لا ، إنما ذلك عرق وليس بالحيضة ، فإذا أقبلت الحيضة فاتركي الصلاة . فإذا ذهب قدرها فاغسلي الدم عنك وصلي (الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحيض باب : الاستحاضة ١ / ٨٤ ط الشعب من ، رواية عائشة . وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحيض : باب المستحاضة وغسلها وصلاتها طبعة الحلبي ١ / ٢٦٢ رقم ٣٣٣ من رواية عائشة) .

ومن ذلك تعود المرأة بعد انقطاع دم حيضها بغير صلاة حتى تغسل ثوبها ، وهو بدعة محرمة إجماعا ، وفي المدخل : وليحذر من هذه البدعة المحرمة التي يفعلها بعض النساء ، وهي أن تقعد بعد ما انقطع الدم بغير صلاة حتى تغسل ثوبها وتفعل ما هو أعظم ، وهو أنها لا تصلي ولا تقضي ما فوته بعد انقطاع الدم وقبل اغتسالها . ولا يخفى ما في ترك الصلاة عمدا . انتهى .

ومن ذلك ما يزعم بعض النساء ، وهو أن النساء تبقى أربعين يوما بلا غسل ولا صلاة ولو انقطع عنها الدم ، وهو بدعة محرمة إجماعا ، نبه عليها صاحب المدخل ، لأن دم النفاس إذا انقطع ولو في يوم الولادة اغتسلت ، وإن دام بقيت شهرين .

انتهى بيان ما أحدثته النساء في باب الحيض والاستحاضة والنفاس من البدع الشيطانية ، على سبيل تنبيه العقلاء ، لا

على سبيل الإحصاء (إحياء السنة وإخماد البدعة / ١٠٥ ، ١٠٦) . وفي مجال الطب تعنى مصنفات التراث الإسلامي بكل ما يتعلق بالحيض من حيث علاقته بطبيعة المرأة ، ومن حيث التعامل معه أو « تديره » كما يقولون ، ومن حيث علاقته بالصحة والمرض ، ومن حيث إدارته أو منعه ، ومن حيث علاجه في الحالات المرضية كاحتباسه أو إفراطه ، كما تحدد أنواع الأدوية التي تتصل بهذا كله .

وبين أيدينا ثلاثة مصادر من مصنفات التراث الإسلامي في الطب هي :

١ - تسهيل المنافع لابن الأزرق (ص ١٤٧ - ١٤٩) .

٢ - تذكرة أولى الألباب للشيخ داود الأنطاكي وهذا أكثرها استفادة (ص ١٤٠ - ١٤٦) .

٣ - الرسالة الألواحية لابن سينا (ص ٨٣ - ٨٧) .

وسوف نكتفي هنا بذكر محتويات باب الحيض في كل منها ، ويمكنك الرجوع إلى أي منها إن شئت الاستزادة .

١ - تسهيل المنافع : أوقات الحيض ، الأدوية المدرة للطمث (الطمث هو دم الحيض) ، الأدوية القاطعة للطمث .

٢ - تذكرة أولى الألباب : وصفه ، الحالات المرضية ، العلامات ، العلاج ، الموانع .

٣ - الرسالة الألواحية :

اللوح الثامن والسبعون : في الأدوية التي تدر الحيض ، وتسقط الأجنة ، وتخرج المشيمة .

اللوح التاسع والسبعون : في الأدوية التي تقطع الحيض والنفث ودم البواسير .

أما عن النظم فبين أيدينا منه ما يلي :

١ - منظومة صفوة الزيد للإمام أحمد بن رسلان الشافعي . قال الناظم ، وقد ضمن أبياته الكلام على الحمل والنفاس أيضا :

إمكانه من بعد تسع والأقل

يوم وليلة وأكثر الأجل

خمس إلى عشرة والغالب

ست وإلا سبعسنة تقارب

أدنى النفس لحظظة ستوننا
أقصناه والغالب أربعوننا
إن عبر الأكثر واستدامنا
فمستحاضة حوت أقسامنا
لم ينحصر أكثر وقت الطهر
أما أقله فنصف شهر
ثم أقل الحمل ست أشهر
وأربع الأعوام أقصى الأكثر
وثلاث عام غايية التصور
وغالب الكامل تسع أشهر
بالحديث الصلاة مع تطوف
حرم وللبالغ حمل المصحف
ومعه ومع ذى الأربعة
للجنب اقتراء بعض آية
قصدا ولبت مسجد للمسلم
وبالمحيض والنفساس حرم
الست مع تمتع برؤية
والمس بين سيرة وركبة
إلى اغتسال أو بديل يمتنع
الصوم والطلاق حتى ينقطع
(قوله إمكانية من بعد تسع إلخ) أى أقل زمن تحيض فيه
المرأة بأن ترى الدم وقوله من بعد تسع أى تسع سنين قمرية
وقوله يوم وليلة أى مقدارهما وهما أربع وعشرون ساعة (قوله
بالحديث الصلاة) بالنصب على أنه مفعول مقدم لقوله حرم
والمراد بالحديث الحدث الأصغر وقوله ومسه أى بأعضاء
الوضوء وغيرها ولو كان فاقد الطهورين (قوله ومع ذى الأربعة)
أى المحرمة بالحديث الأصغر (قوله الست) أى الصلاة
والطواف وحمل المصحف ومسه وقراءة بعض آية واللبث
بالمسجد (متن الزيد / ٢٥ ، ٢٦) .

٢ - منظومة القرطبي فى العبادات على مذهب الإمام
مالك . قال الناظم رحمه الله :

للحيض عسدة من الليالى
خمس وعششر منتهى الكمالى
فإن يسزد شيء على التكملة
فذاك عرق حادث من علة
وغايية القلة فى الأيام
ثلاثة تجرى على السدوام
وإنما هذا فى الاستبراء
وعدة الزوجات والإبراء
(منظومة القرطبي / ٧) .

٣ - نظم رسالة ابن أبى زيد القيروانى . قال الناظم رحمه
الله :

وإن رأت قصصة أو جفافا
تطهرت مكانها إذا وافا
وإن رأت به بعد لحظظة فإن
عاود لفقتنه حتى يستكن
لخمسة أعشر أقل الطهر
فإن تمسدى تبقى نصف شهر
إن تك مبتدأة فى الظاهر
ثم هى مستحاضة كالطاهر
ثم إذا انقطع دم النفسا
صلت فإن دام لستين رسا
(الفتوح الربانى ١ / ٤٥ ، ٤٦) .

٤ - منظومة « السبل السوية لفقه السنن المروية » للشيخ
حافظ بن أحمد الحكيم . قال الناظم :

غالبه ست وسبع فادر
وما عداها مدة للطهر
ونادرا شذوذات العادة
تبنى على حيضتها المعتادة
وبسامتياز الدم حيث وصفه
كل النساء غالبها تعرفه
وبخروج القصصة البيضاء
فكل ذى علالة انقضاء

وكسيرة وصفرة لا تعتبر
بعد ظهور الطهر ذا نص الخبر
وغيره استحاضة تبين
أحكام طاهر لها تعينت
والسدم فلنفسه حين تطهر
ومن دم استحاضة تستنفر
ولتغسل للطهر ولتصل
ثم السوء واجب لكل
فريضة فإن رأت أن تغسل
لجمع وقتين فذلك قد نقل
وحائضها في مدة الحيض اعتزل
فسوطها يحرم على ما لم تغسل
بالأى والحديث والإجماع
وحل غيره من استمساع
والخلف في التكفير بالدينار
أو نصفه لناقلي الأخبار
فبعضهم ذا النص لم يصححوا
وآخرون صحة قد رجحوا
(« السبل السوية » ٩، ١٠).

وفي الحاوي للفتاوى للحافظ السيوطي مسائل ترد إليه
يطلب أصحابها فتواه ويصوغانها نظمًا، فيرد الإمام السيوطي
عليها نظمًا أيضًا. ومن ذلك ما ورد عن الحيض والنفاس
ومسائل أخرى، ونسوقها فيما يلي :
مسألة :

الحمد لله معبد مابدا
بعد فناء لم يكن ذاك سدى
ثم الصلاة والسلام الكامل
على النبي الهاشمي المفضل
وآله وصحبه وعترة
وكل من منى على محبته
جوابكم بما سادة أفادوا
طاب لهم وبالعلوم سادوا

في حائض بينهما مقيمه
ذو جسدة صحيحة سليمه
بعد انقطاع دمها المحرم
هل يستباح السوط بالتيمم
من غير عذر مع وجود الماء
بظنها الغالب للإيذاء
وبينها في خطبة الحمام
مطابقة السعي على الأقسام
ذو سعة لأجرة وغيرها
ولم تكن محجوبة في خدرها
فهل يبيع وطأها التيمم
من غير عذر أم بغسل تلزم
أم حكمها في ذاك حكم الجنب
والنفساء حكمها في المسند
وإن أباحت وطأها بالتيمم
ما قولكم في محرم يلبي
فهل له اللبس قبيل العذر
بغالب الظن بغير السوز
أم بعد أن يحصل عذر ظاهرا
يجوز لبس وغطاء ساتر
ولو طرأ عذر وزال عنه
هل يجب النزاع بغيره عنه
ولو تمادى لابسًا والعذر
قد زال هل يسقط عنه السوز
وإن بغير العذر لبس حلال
هل القيد يجزيه مما حملا
أم هو عاص آثم والجاني
فداه لم ينجمه من العصيان
وهل بهذا الفعل بغير حجه
أم غير مبرور كما قد وجهوا
وحائض والنفساء هل يقضيا
صومهما دون صلاة ألفيا

ومن تَزَكُّ أَمَّا ذَاكَ فَلْيَقْلَع
مَبْسَادًا وَلِيَقْضِ أَنْ لَمْ يَنْزِع
وَلَيْسَ يَنْجِيهِ الْفَسَادُ مِنْ وَزْرِ
كَفَنِ تَحْدِيدِهِ بِشَرْبِ خَمْرِهِ
لَوْ كَانَ يَنْجِيهِ الْفَسَادُ مِنْ وَزْرِ
لِسَرِيِّ الْعَدْرِ بِغَيْرِ الْعَدْرِ
وَلَا يَكُونُ حُجْسُهُ مَبْرُورًا
مَّا لَمْ يَتَبَّ يَكُنْ لَمَّ طَهْرًا
وَحَائِضٌ وَنَفْسًا فَلْيَقْضِيَا
الصُّومَ لَا الصَّلَاةَ فِيمَا رَوِيَا
وَلَيْسَ بَيْنَ تَيْنٍ مِنْ خِلَافٍ
فِيمَا ذَكَرْنَاهُ بِإِلَا خِلَافٍ
هَذَا جَوَابُ نَجْلِ الْأَسِيَّوْطِيِّ
مُعْتَصِمًا بِرَبِّهِ الْقَوِيِّ

(الحاوي للفتاوى ١/ ٢٥-٢٧) .

ومن الألفاظ الفقهية عن الحيض ما أورده الإمام ابن فرحون
في درة الخواص ، وهو كما يلي ، وقد احتفظنا بالأرقام
التسلسلية كما جاءت في النص :

٥٧- فإن قلت : النساء الحيض غير المستحاضة ثلاث :

حائض تصلى وتصوم .

وحائض لا تصلى ولا تصوم .

وحائض تصلى ولا تصوم ؟

قلت : التي تصلى وتصوم : هي التي ترى دفعة بالليل ثم
ينقطع عنها .

والتي لا تصلى ولا تصوم : هي التي يتماذى بها الدم .

والتي تصلى ولا تصوم : هي التي ترى دفعة بالنهار ثم
ينقطع .

٥٨- فإن قلت : شيء خارج من البدن يحكم أنه حيض
وليس بدم ؟

قلت : هو الكدرة والصفرة ليس بدم ويحكم لهما بحكم
الحيض .

(الكدرة بضم الكاف هو الدم الكدر الذي يشبه غسلة

أَمْ يَخْتَلِفُ حُكْمُهُمَا عِنْدَ قَضَا
صَلَاةٍ فَرَضَ عَنْ آدَاهَا أَعْرَضَا
وَضَحَ لَنَا الْجَوَابُ شَيْخُ السَّنَةِ
أَنْبَاكَ اللَّهُ الْكَرِيمُ الْجَنَّةُ
أَجْزَ جَوَابًا يَا جَلَالَ السَّادِينَ
لِعَبْدِكَ السَّائِلِ بِالتَّبْيِينِ
يَا مَنْ لَهْ نَظْمٌ عَلَى الْفَتَاوَى
يَشْهَقُ كُلُّ عَالَمٍ وَرَاوَى
لَا زَالَ نَادِيكَ السَّرْحِيبِ مُحْتَفِلِ
بِالْوَفْدِ عَنْ طُلَابِ خَيْرِ مُشْتَمِلِ
يَا شَيْخَ الْإِسْلَامِ وَيَا خَيْرَ النَّهْيِ
وَمَنْ لَهْ مَرْتَبَةٌ تَعْلُو السَّهْلَا
انْتَهَى
الجواب :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى امْتِنَانِ
يَعْجِزُ عَنْ إِحْصَاءِ بِنَالِ السَّانِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبَدًا
عَلَى النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ أَحْمَدًا
وَأَلِهِ الْأَوْلَى حَوُوا كُلَّ الشَّرَفِ
وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ وَالسَّلَفِ
إِنْ حَائِضٌ قَدْ أَقْلَعَتْ عَنْهَا الدَّمَا
وَوَجَدَتْ فَاقْدَةَ الْعَدْرِ مَا
أَوْ كَانَ فِي بِلَدَتِهَا حِمَامٌ
فَمَا إِلَى وَصَالِهَا مَرَامٌ
وَأَمَّا يَجُوزُ بِالتَّسْرَابِ
لِفَقْدِ هَذَيْنِ بِإِلَّا ارْتِيَابِ
وَمَحْضَرٍ قَبْلَ طُرُوءِ الْعَدْرِ
أَجْزَلَ لِنَهْ الْبَسِ بِغَيْرِ وَزْرِ
بِغَالِبِ الظَّنِّ وَلَا تَتَوَقَّفِ
عَلَى حَصُولِهِ فَهَذَا الْأَرَأَفِ
نَظْمُهُ مِنْ ظَنِّ مَنْ غَسَلَ بِمَنَّا
حَصُولِ سَقَمِ جُوزِ الْتِمَمَا

الكريم - د. عبد الحميد دياب ود. أحمد قرقوز / ٤٧، ٤٨، وأعلام
الموقعين عن رب العالمين للعلامة ابن قيم الجوزية ٣/ ١٩ - ٣٩.

انظر مادة «الاستحاضة» في م ٤ / ٢١٠ - ٢١٢.

* الحيض (كتاب):

كتاب الحيض : لأبي الفضل ... الكرمانى (ركن الدين)
« عبد الرحمن بن محمد » الحنفى (المتوفى سنة ٥٤٣ ثلاث
وأربعين وخمسمائة) ولأبي عبيد قاسم بن سلام النحوى
المتوفى سنة ... وللإمام ... الأزهرى (المتوفى ٣٧٠ سبعين
وثلاثمائة) وللقاضى عماد الدين المتوفى سنة ... وللإمام أبى
بكر محمد بن أبى سهل السرخسى (المتوفى ٥٤٤ أربع
وأربعين وخمسمائة) ولحسام الدين ... الشهيد المتوفى
سنة ... ولأبى عبد الله الزعفرانى وللقاضى أبى القاسم الحكيم
وله أيضا شرحه ذكره صاحب القنية .

(كشف الظنون ٢ / ١٤١٤) .

* الحيضان :

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى .
مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)
الرقم : ٨٢٨٤ .

تأليف : ؟

رسالة فى أحكام الحيضان والطرق والمياه جعلها المؤلف
فى عشرين بابا .

أولها : الحمد لله رب العالمين ... وبعد فقد سئلت عن
شخص له حائط حاره وقد بنى مائلا من أعلاه فخرج عن
الملاصقة .

آخرها : عين ماء أو بئر ماء بين رجلين وهو شرب لهما
فاحتاجت إلى تنقية أو عمارة فامتنع أحدهما من النفقة عليها
هذه المسألة على سبيل الاستقصاء ، وكتبناها فى شرح
التفقات للخصاف فلا نعيدها احترازا عن التطويل .

نسخة جيدة . ضمن مجموع فى أحكام الحيضان ،
صفحاتها مجدولة بالحمرة .

الخط نسخ جيد جميل ، بعض الكلمات مكتوبة
بالحمرة .

١٤ × ٢٨ سم

٣١ س

[٣٢ - ٥٢] ق

المحجم ، تترك به المرأة الصلاة وسائر العبادات لأنها حائض
حقيقة (الفواكه الدوانى : ١ / ١١٦) .

والصفرة : هى الدم الذى يشبه الصديد وتعلوه صفرة) .

٥٩ - فإن قلت : امرأة تصلى وتصوم وتمنع من دخول
المسجد كما تمنع الحائض ؟

قلت : الحائض إذا تجاوز دمها خمسة عشر يوما وقلنا
تستظهر بثلاثة أيام فهى فى تلك الأيام تؤمر بالصلاة والصوم
احتياطاً ، وتمنع من المسجد (درة الغواص ٩٩ ، ١٠٠) .

(البجيرمى على الخطيب حاشية الشيخ سليمان البجيرمى المسماة
بتحفة الحبيب على شرح الخطيب ١ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ومختصر الأحكام
الفقهية لعلى بن فريد الكشجنورى الهندى - تحقيق يوسف البدرى ،
مراجعة د. محمد أحمد عاشور / ٣٧ ، ٣٨ ، وتهذيب الأسماء واللغات
للإمام محبى الدين بن شرف النووى ٣ / ٧٦ - ٧٩ ، وعمدة الفقه لابن
قدامة - تخريج أبى عبد العزيز عبد الله بن سفر عبادة العبدلى الغامدى ،
ومحمد دغليب البراق العتبى / ١١ ، ١٢ ، وتيسير الوصول إلى علم
الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٣ / ١٠٦ ، وإحياء السنة وإخماد البدعة
للشيخ عثمان بن فودى - تحقيق وتعليق أحمد عبد الله باجور / ١٠٥ ،
١٠٦ ، ومتن الزيد فى الفقه للإمام أحمد بن رسلان الشافعى / ٢٥ ، ٢٦ ،
ومنظومة القرطبى فى العبادات على مذهب الإمام مالك - نظم الشيخ
يحيى القرطبى الدارى / ٧ ، والفتح الربانى شرح على نظم رسالة ابن أبى
زيد القيروانى - محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطى ١ / ٤٥ ، ٤٦ ،
ومجموع : « السبل السرى لفقه السنن المروية » - نظم حافظ بن أحمد
الحكمى / ٩ ، ١٠ ، والحاوى للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن
السيوطى ١ / ٢٥ - ٢٧ ، ودرة الغواص فى محاضرة الخواص (ألباز فقهية)
لابن فرحون المالكى - تقديم وتحقيق وتعليق محمد أبى الأجفان وعثمان
بطيخ / ٩٩ ، ١٠٠ ، انظر أيضا الفتاوى لابن تيمية ط دار الغد العربى م
٢٩٢ / ٢٩٣ ، وأحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام - فضيلة الشيخ
عطية صقر / ٦٣ - ٦٦ ، ومختصر صحيح البخارى : جمع النهاية فى
بدء الخبر وغاية لابن أبى جمرة الأزدى / ٢٢ ، وكشاف اصطلاحات الفنون
للتهانوى ١ / ٣٠٩ ، ٣١٠ ، وفقه السنة - الشيخ السيد سابق م ١ / ٧٨ -
٨٠ ، ومنهاج المسلم - أبو بكر جابر الجزائرى / ٢١٥ - ٢١٩ ، وتسهيل
المنافع لابن الأرق / ١٤٧ - ١٤٩ ، والرسالة الألواحية للشيخ الرئيس ابن
سينا - تحقيق وتعليق د. محمد سويسى / ٨٣ - ٨٧ ، وتذكرة أولى
الآباب للداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٤٠ - ١٤٦ ، ومع الطب فى القرآن

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى - وضع
محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٩٠ ، ٢٩١) .

* الحيطان (كتاب) :

كتاب الحيطان - للشيخ ... المرجى الثقفى الحنفى مات
سنة ... شرحه قاضى القضاء أبو عبد الله ... الدامغانى .
وللرشيد أيضا قال قد وجدت مسائل دعوى الحيطان والطرق
ومسيل الماء من أصعب المسائل فرأيت كتاب المرجى
وشرحه لكنه مفتقر إلى التهذيب والتنقيح فتممت ما هنالك .
وللحسام الشهيد شرح فيه كتاب المرجى أوله الحمد لله على
نعمه الظاهرة إلخ ذكر فيه أنه وجد مسائل دعوى الحيطان
والطرق ومسيل المياه من أصعب المسائل مراما وكان يتلجلج
فى صدره أن يجمع ما تفرق فى كتب أصحابنا من مسائلها
حتى وجد جمعا فيها للشيخ المرجى الثقفى بشرح قاضى
القضاة أبى عبد الله الدامغانى لكن رآه مفتقرا إلى التهذيب
والتنقيح وذكر التفاصيل فى مقدمته لتبويه تسهلا للأمر فيه
ورتبته على ثلاثة أبواب : الأول فى استحقاق الحائظ
بالجدوع ، الثانى للاتصال فى بناء الحائظ ، الثالث فى
الجرادى والبوادر .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ٢/ ١٤١٤) .

* الحيطان ومسيل الماء والطرق والأقنية (كتاب) .

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الفلاحة .
مخطوط بقسم التراث العربى بالكويت وجاء بيانه كما
يلى :

تأليف ابن اللبان ، أبو الحسين ، محمد بن عبد الله
الفرضى البصرى (ت ٤٠٢ هـ) .

ويبحث فى كيفية بناء السدود والقنوات ، وخاصة
بالجدوع أو بالخشب ، والوصول بينها إلا أن ما يتعلق بالماء
مباشرة الأبواب التالية :

الباب الخامس عشر : فى مسيل الماء والطريق .

الباب السادس عشر : فى الأقنية .

الباب التاسع عشر : فى النهر والبئر والسقى والزرع .

النسخ الموجودة منه :

(تركيا - اسطنبول - مكتبة كوبرلى زاده ، ٦٨٩ مجموع

(رقم ٥) .

أوله بعد البسملة والديباجة : « الحمد لله على نعمه
الظاهرة ؛ وأياديه الزاهرة ، حمدا يقرب مدى الإحصاء ويهدى
قوى الاستقصاء ، والصلاة على محمد المبعوث بالرسالة ،
المؤيد بالدلالة .

وبعد ،

فإنى وجدت مسائل دعوى الحيطان والطرق ومسيل الماء
من أصعب المسائل مراما وأعسرها التياما ، وكان يتلجلج فى
صدرى أن أجمع ما تفرق فى كتب أصحابنا رحمهم الله من
مسائلها - » .

آخره : « ... أو بشر ماء بين رجلين وهو شرب لهما ،
فاحتاجت إلى تنقية أو عمارة ، فامتنع أحدهما من النفقة
عليها .

هذه المسألة على سبيل الاستقصاء كتبناها فى شرح
النفقات للخصاف ، رحمه الله فلا نعيد لها هاهنا اخترازا من
التطويل والله أعلم تم كتاب الحيطان والله الحمد والمنة .

وكان نقلها بتوفيق الله من نسخة نقلت من نسخة الشيخ
الإمام الأجل العالم ، جمال الدين الحصىرى ، شيخ الإسلام
الذى بخطه ، أعاد الله على المسلمين منه بركاته يتلوه إن شاء
الله مسائل الشيوخ » .

الخط : نسخ جميل جدا ، بالممداد الأسود البنى والمداد
الأحمر .

الأوراق : ١٧ ق من (٢٠٣ - ٢١٩) .

الأسطر : ٢٣ س .

المقياس : ٢٩ × ١٨ ، ٥ سم .

النسخة : وهى بحالة جيدة ونظيفة وعليها تعليقات ،
ويلاحظ أنها منقولة عن نسخة الحصىرى .

(٢) تركيا - اسطنبول - المكتبة السلیمانية ، ١٠٦١ شهيد
على . ضمن مجموع .

أوله وآخره : كالنسخة السابقة .

الخط : نسخ جيد .

الأوراق : ١٦ ق . (٧٥ - ٩٠) .

المقياس : ٢٨ × ١٧ سم .

ويلاحظ أن النسخة منسوبة إلى حسام الدين عمر بن
عبد العزيز المتوفى سنة ٥٣٦ هـ .

(لسان العرب لابن منظور ٥٢/ ٤٦٩١، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي ٣/ ٧٩)
انظر مادة «الأذان» في م ٣/ ٤٦٩ - ٤٨٤، وصورة المؤذن ص ٤٨١.

* حيفا:

حيفا: مدينة تاريخية، احتلها اليهود في ٢١/٤/١٩٤٨م، وهي ثاني مدن فلسطين المحتلة من حيث السكان وأكبرها من حيث الحجم، قاعدة مقاطعة ومركز قضاء. تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، من شاطئ البحر إلى ارتفاع يزيد على ألف قدم. وهي مركز الصناعات الثقيلة في القسم المحتل من فلسطين، وفيها مصفاة للبترول.

قال ياقوت:

وحيفا: غير ممدود: حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا. ولم يزل في أيدي المسلمين إلى أن تغلب عليه كندفري الذي ملك بيت المقدس في سنة ٤٩٤، وبقي في أيديهم إلى أن فتحه صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ٥٧٣ وخربه، وفي تاريخ دمشق: إبراهيم بن محمد بن عبد الرزاق أبو طاهر الحافظ الحيفي من أهل قصر حيفة، سمع بأطرابلس أبا يوسف عبد السلام بن محمد بن يوسف القزويني وأبا الوفاء سعد بن علي بن محمد بن أحمد النسوي، وحدث بصور سنة ٤٨٦، سمع منه غيث بن علي وأبو الفضل أحمد بن الحسين ابن نبت الكامل، هكذا في كتابه قصر حيفه، بالهاء.

(من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي الرومي - اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان ١/ ٢٠٣، ٢٠٤ هامش ١ ومعجم البلدان ٢/ ٣٣٢)

وإذا شئت معلومات مفصلة عن مدينة حيفا، فارجع إلى هذين المصدرين:

- ١- حيفا. قصة مدينة - د. أحمد عبد الرحمن حمودة. سلسلة المدن الفلسطينية (٢١) / ٧-٨٤.
- ٢- «حيفا». مجلة تاريخ العرب والعالم - السنة العاشرة. العددان ١١٩، ١٢٠. محرم صفر ١٤٠٩ هـ - أيلول (سبتمبر) - تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٨ / ٦٨ - ٧٦.

* الحيل الساسانية (علم):

ذكره أبو الخير، صاحب مفتاح السعادة من فروع علم السحر وقال:

كما يلاحظ عليها أنها منقولة عن نسخة الحصري.

(فهرس مخطوطات الفلاحة - النبات - المياه والرى بقسم التراث العربي بالكويت - صنة د. محمد عيسى صالحية، وعبد الله فليح / ١٤٥، ١٤٦).

قالت المؤلفة: بداية هذا المخطوط هي نفسها التي أوردها صاحب كشف الظنون في المادة السابقة وعزا الكتاب إلى مؤلف آخر اسمه الحسام الشهيد.

* الحِجْلَة:

جاء في اللسان: الخليل: حيل الرجل إذا قال حي على الصلاة، قال: والعرب تفعل هذا وإذا كثر استعمالهم للكلمتين ضموا بعض حروف إحداهما إلى بعض حروف الأخرى، منه قولهم: لا تبرقلى علينا، والبرقلى: كلام لا يتبعه فعل، مأخوذ من البرق الذي لا مطر معه. قال أبو العباس: الحوقلة والبسملة والسبحلة والهيلة، قال: هذه الأربعة أحرف جاءت هكذا، قيل له: فالحمدلة؟ قال: ولا أنكره. (اللسان ٥٢/ ٤٦٩١)

وقال الإمام النووي في تهذيبه:

حيل: قوله في باب الأذان يقول بعد الحيلة هي بفتح الحاء وإسكان الياء وفتح العين قال الإمام أبو منصور الأزهري في أول كتابه تهذيب اللغة بعد أن فرغ من مقدمة الكتاب وشرع في الأبواب. قال الليث قال الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى العين والحاء لا يلتقيان في كلمة واحدة أصلية الحروف لقرب مخرجيهما إلا أن يؤلف فعل من جمع بين كلمتين مثل حي على فيقال منه حيل قال الأزهري وهو كما قال الخليل رحمه الله تعالى وأنشد غيره:

ألا رب طيف منك بسات معانقى

إلى أن دعى داعى الصلاة بحيملا

ومعنى حي على الصلاة أسرعوا إليها وهلموا إليها وأقبلوا ومثله في الحديث «إذا ذكر الصالحون فحي هلا بعمر» معناه أقبلوا على ذكره وقيل أسرعوا إلى ذكره. ومثل الحيلة عبارة عن حي على كذا قولهم الحمدلة والبسملة والهيلة والسبحلة إشارة إلى الحمد لله وبسم الله ولا إله إلا الله وسبحان الله ومثله قولهم ولا حول ولا قوة إلا بالله الحوقلة والحولقة. (تهذيب

٣/ ٧٩)

سنة ٣٣٠) وأبى حاتم القزويني وغير ذلك ذكروا فيه الحيل الدافعة للمغالبة وأقسامها من المحرمة والمكروهة والمباحة (كشف ١/٦٩٥).

وقد أطال المحافظ ابن القيم رحمه الله في كتاب «أعلام الموقعين عن رب العالمين» في إبطال الحيل التي أحدثها الفقهاء وأجاد (أبجد العلوم ج ٢ ق ١/٣١٠).

يقول الدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين عند الكلام على الهدف الثالث من أهداف ابن القيم وهو محاربة التلاعب بأحكام الدين :

رأى ابن القيم أنواعاً من التلاعب بأحكام الدين باسم الحيل التي تحل الحرام وتسقط الحق : فالربا يحتال عليه بحيل تبيحه في الظاهر، والحقوق يحتال على إسقاطها : فالمرأة إذا أرادت مفارقة زوجها احتالت على ذلك بالارتداد، فينفسخ نكاحها، ثم تعود إلى الإسلام، والرجل يسقط حق الفقراء في ماله بأن يهبه قبل تمام الحول .

وما كان ابن القيم ليرضى عن هذا التلاعب بالدين ، فقد حاربه بكل ما أوتي من قوة مبينا خطورته تارة وداخضاً حجج أربابه أخرى ، وموردا الأدلة الدالة على بطلانه ثالثاً .

ويجب أن نقف على حقيقة الحيل ، وعلى بدء ظهورها في التفكير الإسلامي ثم نشير إلى موقف العلماء منها كما نوضح المحرم منها والمباح ، ثم نورد الأدلة التي تمسك بها المحتالون والرد عليها إلى غير ذلك من الأبحاث الضرورية التي تكشف النقاب عن هذا الهدف الذي رمى إليه ابن القيم . ولا يتبادر إلى الذهن أن ابن القيم أول من حارب التلاعب بالدين ، بل سبقه غيره مثل ابن تيمية ومن سبقهما من العلماء الذين وقفوا من الحيل موقف الإنكار ولكن ابن القيم قد أولى هذا عناية خاصة جعلتني أعتبر هذا هدفاً من أهدافه التي وقف عليها جهده العلمي .

تعريف الحيلة :

هي نوع من التصرف يتحول به فاعله من حال إلى حال ، ثم صارت تستعمل عرفاً في سلوك الطرق الخفية التي توصل إلى الغرض المقصود بحيث لا يعرف ذلك إلا بذكاء وفطنة ، وهذا المعنى أخص من المعنى السابق . وأخص منه استعمالها في التوصل إلى الغرض الممنوع منه شرعاً ، أو

هو علم يعرف به طريق الاحتيال في جلب المنافع وتحصيل الأموال . والذي باشرها يتزيا في كل بلدة بزي يناسب تلك البلدة ، بأن يعتقد أهلها في أصحاب ذلك الزي ، فتارة يختارون زي الفقهاء ، وتارة يختارون زي الوعاظ ، وتارة يختارون زي الصوفية ، وتارة يختارون زي الأشراف ، إلى غير ذلك . ثم هم يحتالون في خداع العوام بأمور تعجز العقول عن ضبطها . منها : ما حكى واحد ، أنه رأى في جامع البصرة قرداً على مركب ، مثل ما يركبه أبناء الملوك ، وعليه ألبسة نفيسة نحو ملبوساتهم ، وهو يركب وينوح ، وحوله خدم يتبعونه ، ويكون ويقولون : يا أهل العافية ، اعتبروا بسيدنا هذا ، فإنه كان من أبناء الملوك ، عشق امرأة ساحرة ، وبلغ حاله بسحرها إلى أن مسخ إلى صورة القرد ، وطلبت منه مالا عظيماً لتخليصه من هذه الحالة ، والقرد في هذا الحال يبكي بأنين وحنين ، والعامّة يرقون عليه ويبكون ، وجمعوا لأجله شيئاً كثيراً من الأموال ثم فرشوا له في الجامع سجادة ، فصلى عليها ركعتين ، ثم صلى الجمعة مع الناس ، ثم ذهبوا بعد الفراغ من الجمعة بتلك الأموال العظيمة . وأمثال هذه الحيل كثيرة منهم . وكتاب «المختار في كشف الأستار» بالغ في كشف هذه الأسرار (مفتاح السعادة ١/٣٤٥) .

ويضيف صاحب كشف الظنون قوله : قلت : ذكرت هذه الحكاية في تاريخ أمير أخوند أيضاً (كشف ١/٦٩٥) .

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١/٣٤٥ ، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١/٦٩٤ ، ٦٩٥ ، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي - أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار ج ٢ ق ١/٣٠٩ ، ٣١٠) .

* الحيل الشرعية (علم) :

وهو باب من أبواب الفقه بل فن من فنونه كالفرائض وقد صنفوا فيه كتباً أشهرها كتاب «الحيل» للشيخ الإمام أبي بكر أحمد بن عمر المعروف بالخصاف الحنفي المتوفى سنة ٢٦١ إحدى وستين ومائتين وهو في مجلدين ذكره التميمي في طبقات الحنفية « وله شروح منها شرح شمس الأئمة الحلواني . شمس الأئمة السرخسي ، وشرح الإمام خواهر زاده ، ومنها كتاب محمد بن علي النخعي وابن سراقه (محيي الدين أبو بكر محمد بن محمد المتوفى سنة ٦٦٢) وأبى بكر الصيرفي (محمد بن محمد البغدادي الشافعي المتوفى بمصر

عقلا، أو عادة، وهذا غالب في الاستعمال، ويقال : فلان من أرباب الحيل، ولا تعاملوه فإنه متحيل (أعلام الموقعين ١٩١/٣، ١٩٢) هذا تعريف ابن القيم للحيل . وقد عرفها شيخه ابن تيمية بقوله : « الحيلة قصد سقوط الواجب أو حل الحرام بفعل لم يقصد به ما جعل ذلك الفعل له أو ما شرع، فهو يريد تغيير الأحكام الشرعية بأسباب لم يقصد بها ما جعلت تلك الأسباب له (إقامة الدليل على إبطال التحليل ص ١١ لابن تيمية) فنرى أن التعريف الذي ذكره ابن تيمية يتفق مع ما ذكره ابن القيم : وهو استعمالها في التوصل إلى الغرض الممنوع منه فسقوط الواجب وحل الحرام لا يختلف أحد في منعهما ...

متى ظهرت الحيل؟ وما موقف العلماء ؟

ظهر الإفتاء بالحيل في أواخر عصر صفار التابعين بعد المائة الأولى بسنين، ولم يؤثر عن الصحابة شيء من الحيل . ولما ظهر الإفتاء بها أنكرها العلماء كحماد بن زيد، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك . وقد ناصر الحيل، وقال بها فريق من العلماء، وظهرت كتب الحيل : منها كتاب الحيل لأبي بكر الخصاف، ولكن العلماء الذين عارضوا الحيل لم ينسوا يوما مخالفتها للدين، ولم يلقوا أسلحة الدفاع .

وظل الزمن يسير حتى جاء ابن تيمية، فلم يرضخ لهذا التلاعب بالدين، وقد حارب بشدة حيلة تحليل المرأة لزوجها، واعتبره حيلة باطلة وألف في ذلك كتابا سماه : إقامة الدليل على إبطال التحليل . أبطل فيه الحيل جميعها أولا، ثم أقام الدليل على بطلان التحليل بوجه خاص، ولما جاء ابن القيم نهج منهج أستاذه في محاربة هذا التلاعب بالأحكام الشرعية؛ إذ راعه ما شاهده من حيل تبطل مقصود الشارع ...

خطورة الحيل :

إن هذا التلاعب بالأحكام الشرعية باسم الحيل خطر على الدين، ولو لم يكن فيه إلا تنفيذ رغبة المتحيل، وإبطال رغبة الشارع ليكفيه ذلك ذما وقدحا فالأوامر شرعت لما فيها من مصلحة : كالزكاة شرعت للأخذ بيد الفقير، والمنهيات شرعت اجتنابها لما فيها من مفسدة : كالربا شرع اجتنابه لما فيه من وقوع المحتاجين في يند أرباب الأموال، وأخذ أموالهم

بالباطل . فالتحليل على إسقاط الأوامر كالزكاة وفعل المنهيات كالربا إبطال لمقصود الشارع، وتنفيذ لرغبة المتحيل . قال ابن القيم مستبعدا لإباحة الحيل : فكيف يبيع لهم الحيل على ما نهاهم عنه؟ وكيف يبيع لهم التحيل على إسقاط ما فرضه عليهم وعلى إضاعة الحقوق التي أحقها عليهم لقيام مصالح النوع الإنساني التي لا تتم إلا بما شرعه .

ومن خطورة الحيل مجانبتها للعقل ولما تقضى به الفطرة السليمة؛ فشريعة العقل تحكم باتحاد الحكم إذا اختلفت الألفاظ، واتفقت المعاني، وباختلاف الحكم إذا اتحدت الألفاظ واختلفت المعاني، والأعمال إذا اختلفت صورها، واتفقت مقاصدها كان حكمها واحدا أما إذا اتحدت صورها، واختلفت مقاصدها فإن الحكم يختلف قال ابن القيم : فالأمر المحتال به على المحرم صورته صورة الحلال وحقيقته، ومقصوده حقيقة الحرام، فلا يكون حلالا، ولا تترتب عليه أحكام الحلال، فيقع باطلا .

أنواع الحيل :

يرى ابن القيم أن الحيل المحرمة أنواع :

أولا : حيل محرمة مقصود بها محرم : كالتحليل على قتل النفس، وصورة هذه الحيلة أن يتظاهر محرم بصيد ما يحرم صيده في المحرم، وهدفه قتل إنسان فالحيلة حرام في نفسها لأن الصيد حرام على المحرم، وقصد بها محرم وهو قتل النفس المعصومة .

ثانيا : حيل مباحة في نفسها ولكن قصد بها محرم فتصير حراما : كالسفر لقطع الطريق وقتل النفس المعصومة .

ثالثا : حيل موضوعة للإفضاء إلى المشروع، ولكن يتخذها الشخص سبيلا إلى المحرم كالإقرار والبيع والنكاح والهبة ...

وبمقارنة ما ذكره ابن القيم بما ذكره شيخه نراه قد تأثر به كثيرا؛ فالأقسام متحدة وما ذكره ابن تيمية في النوع الخامس يمكن إدخاله في النوع الرابع الذي ذكره ابن القيم، وهو الطرق المحرمة في نفسها يقصد بها أخذ حق أو دفع باطل ونلاحظ أن الأمثلة التي ذكرها ابن القيم هي نفسها التي مثل بها ابن تيمية لإقامة شاهدي زور وجحد الوديعة وغير ذلك من الأمثلة قد أخذها ابن القيم عن شيخه وعلى هذا فسنلاحظ أن

الأدلة التي ذكرها ابن القيم على إبطال الحيل هي الأدلة التي أقامها شيخه مع تصرف يسير وإعمال فكره وظهور شخصيته في الأدلة العقلية التي رد بها الحيل وبيان خطورتها على الدين . ولا عجب في ذلك فابن تيمية قد عنى بهذا البحث ، وجد في إبطال الحيل عموما ، ليتوصل بذلك إلى إبطال التحليل خصوصا ، وقد ألف في هذا الغرض - كما ذكرت سابقا - كتابا سماه « إقامة الدليل على إبطال التحليل » (ابن قيم الجوزية / ١٢٠ - ١٢٦ ، ١٢٨) .

وفيما يلي ننقل لك بعضا مما أورده الإمام ابن القيم عن الحيل وأنواعها ، وإن كان هذا البعض كثيرا (من ص ٢٢٤ - ٢٨٦) ولكن لأن الموضوع يهم المسلمين فإن الإطالة هنا تكون إفادة ، ويمكن لمن يشاء الاستزادة أن يتابع الموضوع حتى ص ٥٠٢ .

قال ابن القيم رحمه الله :

من الأدلة على تحريم الحيل :

ومما يدل على تحريم الحيل قوله ﷺ : « صيد البر لكم حلال ، ما لم تصيدوه أو يصدكم » رواه أهل السنن .

ومما يدل على تحريمها ما رواه ابن مساجه في سننه عن يحيى بن أبي إسحاق قال : سألت أنس بن مالك : الرجل منا يقرض أخاه المال فيهدى إليه ، فقال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أقرض أحدكم قرضا فأهدى إليه أو حملة على الدابة فلا يركبها ولا يقبله إلا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك » رواه من حديث إسماعيل بن عياش عن عتبة بن حميد الضبي عن يحيى .

قال شيخنا رضي الله عنه (شيخه هو الإمام ابن تيمية رحمه الله) : وهذا يحيى بن يزيد الهنائي .

وعتبة بن حميد معروف بالرواية عن الهنائي ، قال أبو حاتم مع تشدده : هو صالح الحديث ، وقال أحمد : ليس بالقوي ، وإسماعيل بن عياش ثقة في حديثه عن الشاميين ، ورواه سعيد في سننه عن إسماعيل بن عياش ، لكن قال : عن يزيد بن أبي إسحاق الهنائي عن أنس عن النبي ﷺ .

وكذلك رواه البخاري في تاريخه عن يزيد بن أبي يحيى الهنائي عن أنس يرفعه : إذا أقرض أحدكم فلا يأخذ هدية .

قال شيخنا : وأظنه هو ذاك انقلب اسمه . وفي صحيح

البخاري عن أبي بردة بن أبي موسى قال : قدمت المدينة ، فلقيت عبد الله بن سلام ، فقال لي : إنك بأرض الربا فيها فاش ، فإذا كان لك على رجل حق فأهدى إليك حمل تبن أو حمل شعير أو حمل قت فلا تأخذه فإنه ربا .

وفي سنن سعيد هذا المعنى عن أبي بن كعب ، وجاء عن ابن مسعود أيضا ، وأتى رجل عبد الله بن عمر فقال : إني أقرضت رجلا بغير معرفة فأهدى إلى هدية جزلة ، فقال : رد إليه هديته ، أو احسبها له .

وقال سالم بن أبي الجعد : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : إني أقرضت رجلا يبيع السمك عشرين درهما ، فأهدى إلى سمكة قومتها بثلاثة عشر درهما ، فقال : خذ منه سبعة دراهم ، ذكرهما سعيد ، وذكر حرب عن ابن عباس : إذا أسلفت رجلا سلفا فلا تأخذ منه هدية ولا عارية ركوب دابة .

فنهى النبي ﷺ هو وأصحابه المقرض عن قبول هدية المقرض قبل الوفاء ، فإن المقصود بالهدية أن يؤخر الاقتضاء وإن كان لم يشترط ذلك ، سدا للريعة الربا ، فكيف تجوز الحيلة على الربا ؟ ومن لم يسد الذرائع ولم يراع المقاصد ولم يحرم الحيل يبيع ذلك كله ، وسنة رسول الله ﷺ - وهدي أصحابه أحق أن يتبع ، وقد تقدم تحريم السلف والبيع لأنه يتخذ حيلة إلى الربا .

دليل من الحديث والقرآن على تحريم الحيل :

ويدل على تحريم الحيل الحديث الصحيح ، وهو قوله ﷺ « لا يجمع بين متفسر ولا يفسر بين مجتمع خشية الصدقة » وهذا نص في تحريم الحيلة المفضية إلى إسقاط الزكاة ، أو تنقيصها بسبب الجمع والتفريق ، فإذا باع بعض النصاب قبل تمام الحول تحيلا على إسقاط الزكاة فقد فرق بين المجتمع ، فلا تسقط الزكاة عنه بالفرار منها .

ومما يدل على تحريمها قوله تعالى : ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ [المدثر : ٦] قال المفسرون من السلف ومن بعدهم : لا تعط عطاء تطلب أكثر منه ، وهو أن تهدي ليهدي إليك أكثر من هديتك .

وهذا كله يدل على أن صور العقود غير كافية في حلها وحصول أحكامها إلا إذا لم يقصد بها قصدا فاسدا ، وكل ما لو شرطه في العقد كان حراما فاسدا فقصده حرام فاسد ،

والمعتزلة والحلولية والاتحادية (انظر مادة «الحلول والاتحاد» في م ١٤٦ / ٤٩٦ - ١٠٥) وأضربهم، وإذا ثبت هذا عنهم فيما ذكرنا من الحيل فهو دليل على قولهم فيما هو أعظم منها .

وأما المقدمة الثانية : فكل من له معرفة بالآثار وأصول الفقه ومسائله ثم أنصف لم يشك أن تقرير هذا الإجماع منهم على تحريم الحيل وإبطالها ومنافاتها للدين أقوى من تقرير إجماعهم على العمل بالقياس وغير ذلك مما يدعى فيه إجماعهم، كدعوى إجماعهم على عدم وجوب غسل الجمعة، وعلى المنع من بيع أمهات الأولاد، وعلى الإلزام بالطلاق الثلاث بكلمة واحدة، وأمثال ذلك .

فإذا وزنت بين الإجماع وتلك الإجماعات ظهر لك التفاوت، وانضم إلى هذا أن التابعين موافقون لهم على ذلك، فإن الفقهاء السبعة وغيرهم من فقهاء المدينة الذين أخذوا عن زيد بن ثابت وغيره متفقون على إبطال الحيل، وكذلك أصحاب عبد الله بن مسعود من أهل الكوفة، وكذلك أصحاب فقهاء البصرة كأبيوب وأبي الشعشاء والحسن وابن سيرين، . وكذلك أصحاب ابن عباس .

وهذا في غاية القوة من الاستدلال، فإنه انضم إلى كثرة فتاويهم بالتحريم في أفراد هذا الأصل وانتشارها أن عصرهم انصرم، وبقع الإسلام متسعة، وقد دخل الناس في دين الله أفواجا، وقد اتسعت الدنيا على المسلمين أعظم اتساع وكثر من كان يتعدى الحدود، وكان مقتضى لوجود هذه الحيل موجودا فلم يحفظ عن رجل واحد منهم أنه أفتى بحيلة واحدة منها أو أمر بها أو دل عليها، بل المحفوظ عنهم النهي والزجر عنها .

فلو كانت هذه الحيل مما يسوغ فيها الاجتهاد لأفتى بجوازها رجل منهم، ولكانت مسألة نزاع كغيرها، بل أقوالهم وأعمالهم وأحوالهم متفقة على تحريمها والمنع منها، ومضى على أثرهم أئمة الحديث والسنة في الإنكار، قال الإمام أحمد في رواية موسى بن سعيد الدنداني : لا يجوز شيء من الحيل .

وقال في رواية الميموني، وقد سأله عن حلف على يمين ثم احتال لإبطالها، فقال : نحن لا نرى الحيلة، وقال في رواية بكر بن محمد : إذا حلف على شيء ثم احتال بحيلة

واشترطه إعلان وإظهار للفساد . وقصده ونيتته غش وخداع ومكر؛ فقد يكون أشد فسادا من الاشتراط ظاهرا من هذه الجهة، والاشتراط الظاهر أشد فسادا منه عن جهة إعلان المحرم وإظهاره .

إجماع الصحابة على تحريم الحيل

ومما يدل على التحريم أن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعوا على تحريم هذه الحيل وإبطالها، وإجماعهم حجة قاطعة، بل هي من أقوى الحجج وأكدها، ومن جعلهم بينه وبين الله فقد استوثق لدينه ببيان المقدمة الأولى أن عمر بن الخطاب خطب الناس على منبر رسول الله ﷺ وقال : « لا أوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما » وأقره سائر الصحابة على ذلك .

وأفتى عثمان وعلى وابن عباس وابن عمر أن المرأة لا تحل ببنكاح التحليل وقد تقدم عن غير واحد من أعيانهم كأبي وابن مسعود وعبد الله بن سلام وابن عمر وابن عباس أنهم نهوا المقرض عن قبول هدية المقرض، وجعلوا قبولها ربا .

وقد تقدم عن عائشة وابن عباس وأنس تحريم مسألة العينة، والتخليط فيها، وأفتى عمر وعثمان وعلى وأبي بن كعب وغيرهم من الصحابة أن المبتوتة في مرض الموت تراث، ووافقهم سائر المهاجرين والأنصار من أهل بدر وبيعة الرضوان ومن عداهم .

وهذه وقائع متعددة لأشخاص متعددة في أزمان متعددة، والعادة توجب اشتهاؤها وظهورها بينهم، لا سيما وهؤلاء أعيان المفتين من الصحابة الذين كانوا تضبط أقوالهم، وتنتهي إليهم فتاويهم، والناس عنق واحد إليهم متلقون لفتاويهم، ومع هذا فلم يحفظ عن أحد منهم الإنكار ولا إباحة التحليل مع تباعد الأوقات وزوال أسباب السكوت .

وإذا كان هذا قولهم في التحليل والعينة وهدية المقرض إلى المقرض فماذا يقولون في التحليل لإسقاط حقوق المسلمين، بل لإسقاط حقوق رب العالمين وإخراج الأبصار والأموال عن ملك أربابها، وتصحيح العقود الفاسدة والتلاعب بالدين؟ وقد صانهم الله تعالى أن يروا في وقتهم من يفعل ذلك أو يفتي به، كما صانهم عن رؤية الجهمية

فصار إليها فقد صار إلى ذلك الذى حلف عليه بعينه ، وقال : من احتال بحيلة فهو حائن ، وقال فى رواية صالح وأبى الحارث وقد ذكر له قول أصحاب الحيل فأنكره ، وقال فى رواية إسماعيل بن سعيد وقد سئل عمن احتال فى إبطال الشفعة ، فقال : لا يجوز شيء من الحيل فى إبطال حق امرئ مسلم .

وقال فى رواية أبى طالب وغيره فى الرجل يحلف وينوى غير ذلك : فاليمين على نية ما يحلفه عليه صاحبه إذا لم يكن مظلوماً ، فإذا كان مظلوماً حلف على نيته ، ولم يكن عليه من نية الذى حلفه شيء ، وقال فى رواية عبد الخالق بن منصور : من كان عنده كتاب الحيل فى بيته يفتى به فهو كافر بما أنزل الله على محمد ﷺ .

لم يجز أحد كل الحيل :

قلت : والذين ذكروا الحيل لم يقولوا إنها كلها جائزة ، وإنما أخبروا أن كذا حيلة وطريق إلى كذا ، ثم قد تكون الطريق محرمة ، وقد تكون مكروهة ، وقد يختلف فيها .

فإذا قالوا الحيلة فى فسخ المرأة النكاح أن ترد ثم تسلم ، والحيلة فى سقوط القصاص عمن قتل أم امرأته أن يقتل امرأته إذا كان لها ولد منه ، والحيلة فى سقوط الكفارة عمن أراد الوطء فى رمضان أن يتغدى ثم يطأ بعد الغداء . . .

والحيلة لمن أراد سقوط الحج عنه مع قدرته عليه أن يملك ماله لابنه أو زوجته عند خروج الركب فإذا بعد استرد ماله ، والحيلة لمن أراد حرمان وارثه ميراثه أن يقر بماله كله لغيره عند الموت .

والحيلة لمن أراد إبطال الزكاة وإسقاط فرضها عنه بالكلية أن يملك ماله عند الحول لابنه أو امرأته أو أجنبى ساعة من زمان ثم يسترده منه ، ويفعل هكذا كل عام ، فيبطل فرض الزكاة عنه أبداً .

والحيلة لمن أراد أن يملك مال غيره بغير رضاه أن يفسده عليه أو يغير صورته فيملكه ، فيذبح شاته ، ويشق قميصه ، ويطحن حبه ويخبزه ونحو ذلك ، والحيلة لمن أراد قتل غيره ولا يقتل به أن يضربه بدبوس أو مرزبة حديد ينشر دماغه فلا يجب عليه قصاص . . .

والحيلة لمن أراد أن يسقط عنه حد السرقة أن يدعى أن

المال له وأن له فيه شركة فيسقط عنه القطع بمجرد دعواه أو ينقب الدار ثم يدع غلامه أو ابنه أو شريكه يدخل ويخرج متاعه ، أو يدعه على ظهر دابة تخرج به ، ونحو ذلك .

والحيلة لمن أراد سقوط حد الزنا عنه بعد أن يشهد به عليه أربعة عدول غير متهمين أن يصدقهم فيسقط عنه الحد بمجرد تصديقهم ، والحيلة لمن أراد قطع يد غيره ولا يقطع بها أن يمسك هو وآخر السكين أو السيف ويقطعها معها ، والحيلة لمن أرادت التخلف عن زوجها فى السفر أن تقر لغيره بدين ، والحيلة لمن أراد الصيد فى الإحرام أن ينصب الشباك قبل أن يحرم ثم يأخذ ما وقع فيها حال إحرامه بعد أن يحل .

تكفير من يفتى بهذه الحيل :

فهذه الحيل وأمثالها لا يحل لمسلم أن يفتى بها فى دين الله تعالى ، ومن استحل الفتوى بهذه فهو الذى كفره الإمام أحمد وغيره من الأئمة ، حتى قالوا : إن من أفتى بهذه الحيل فقد قلب الإسلام ظهراً لبطن ، ونقض عرى الإسلام عروة عروة .

وقال بعض أهل الحيل : ما تقموا علينا من أنا عمدنا إلى أشياء كانت حراماً عليهم ، فاحتلنا فيها حتى صارت حلالاً . وقال آخر منهم : إننا نحتال للناس منذ كذا وكذا سنة فى تحليل ما حرم الله عليهم .

قال أحمد بن زهير بن مروان : كانت امرأة هاهنا بهرو ، أرادت أن تختلع من زوجها ، فأبى زوجها عليها ، فقبل لها : لو ارتددت عن الإسلام لبنت منه ، ففعلت ، فذكرت ذلك لعبد الله بن المبارك ، فقال : من وضع هذا الكتاب فهو كافر ، ومن سمع به ورضى به فهو كافر ، ومن حمله من كورة إلى كورة فهو كافر ، ومن كان عنده فرضى به فهو كافر .

وقال إسحاق بن راهويه عن شقيق بن عبد الملك : إن ابن المبارك قال فى قصة بنت أبى روح أمرت بالارتداد ، وذلك فى أيام أبى غسان ، فذكر شيئاً ، ثم قال ابن المبارك وهو مغضب : أحدثوا فى الإسلام ، ومن كان أمر بهذا فهو كافر ، ومن كان هذا الكتاب عنده أو فى بيته ليأمر به أو هو به ولم يأمر به فهو كافر ، ثم قال ابن المبارك : ما أرى الشيطان كان يحسن مثل هذا ، حتى جاء هؤلاء فأفادها منهم فأشاعها حيثئذ ، أو كان يحسنها ولم يجد من يمشيها فيهم حتى جاء هؤلاء .

وقال إسحاق الطالقاني : قيل يا أبا عبد الرحمن إن هذا الكتاب وضعه إبليس ، قال : إبليس من الأبالسة .

وقال النضر بن شميل : في كتاب الحيل ثلاثمائة وعشرون أو ثلاثون مسألة كلها كفر .

وقال أبو حاتم الرازي ، قال شريك ، يعني : ابن عبد الله قاضي الكوفة وذكر له كتاب الحيل ، فقال : «من يخادع الله يخدعه» .

وقال حفص بن غياث : ينبغي أن يكتب عليه كتاب الفجور ، قال إسماعيل بن حماد : قال القاسم بن معن يعني ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قاضي الكوفة : كتابكم هذا الذي كتبتموه في الحيل كتاب الفجور .

وقال حماد بن زيد : سمعت أيوب يقول : ويلهم ! من يخدعون؟ يعني أصحاب الحيل . . . لماذا حكم الأئمة بما سبق؟

وإنما قال هؤلاء الأئمة وأمثالهم هذا الكلام في هذه الحيل لأن فيها الاحتيال على تأخير صوم رمضان ، وإسقاط فرائض الله تعالى من الحج والزكاة وإسقاط حقوق المسلمين ، واستحلال ما حرم الله من الربا والزنا ، وأخذ أموال الناس وسفك دمائهم ، وفسخ العقود اللازمة والكذب وشهادة الزور وإباحة الكفر .

وهذه الحيل دائرة بين الكفر والفسوق ، ولا يجوز أن تنسب هذه الحيل إلى أحد من الأئمة ، ومن نسبها إلى أحد منهم فهو جاهل بأصولهم ومقاديرهم ومنزلتهم من الإسلام ، ولأن كان بعض هذه الحيل قد تنفذ على أصول إمام بحيث إذا فعلها المتحيل نفذ حكمها عنده ، ولكن هذا أمر غير الإذن فيه وإباحتها وتعليمها ، فإن إباحتها شيء ونفوذها إذا فعلت شيء ، ولا يلزم من كون الفقيه والمفتي لا يبطلها أن يبيحها ويأذن فيها ، وكثير من العقود يحرمها الفقيه ثم ينفذها ولا يبطلها ، ولكن الذي ندين الله به تحريرها وإبطالها وعدم تنفيذها ، ومقابلة أربابها بنقيض مقصودهم موافقة لشرع الله تعالى وحكمته وقدرته .

نسبتها إلى إمام قدح في إمامته :

والمقصود أن هذه الحيل لا تجوز أن تنسب إلى إمام ، فإن ذلك قدح في إمامته ، وذلك يتضمن القدح في الأمة حيث

اتّمت بمن لا يصلح للإمامة وفي ذلك نسبة لبعض الأئمة إلى تكفير أو تفسيق ، وهذا غير جائز ، ولو فرض أنه حكى عن واحد من الأئمة بعض هذه الحيل المجمع على تحريرها .

فإنما أن تكون الحكاية باطلة ، أو يكون الحاكي لم يضبط لفظه فاشتبه عليه فتواه بنفوذها بفتواه بإباحتها مع بعد ما بينهما ، ولو فرض وقوعها منه في وقت ما فلا بد أن يكون قد رجع عن ذلك ، وإن لم يحمل الأمر على ذلك لزم القدح في الإمام وفي جماعة المسلمين المؤمنين به ، وكلاهما غير جائز ، ولا خلاف بين الأئمة أنه لا يجوز الإذن في التكلم بكلمة الكفر لغرض من الأغراض ، إلا المكره إذا اطمأن قلبه بالإيمان .

ثم إن هذا على مذهب أبي حنيفة وأصحابه أشد ، فإنهم لا يأذنون في كلمات وأفعال دون ذلك بكثير ، ويقولون : إنها كفر ، حتى قالوا : لو قال الكافر لرجل : إنى أريد أن أسلم فقال له : اصبر ساعة ، فقد كفر ، فكيف بالأمر بإنشاء الكفر؟ وقالوا : لو قال : مسيحد أو صغر لفظ المصحف كفر .

الأئمة برآء مما نسب إليهم :

فعلمت أن هؤلاء المحتالين الذين يفتون بالحيل التي هي كفر أو حرام ليسوا مقتدين بمذهب أحد من الأئمة ، وأن الأئمة أعلم بالله ورسوله ودينه وأتقى له من أن يفتوا بهذه الحيل ، وقد قال أبو داود في مسائله : سمعت أحمد وذكر أصحاب الحيل : يحتالون لنقض سنن رسول الله ﷺ .

وقال في رواية أبي الحارث الصانع : هذه الحيل التي وضعوها عمدوا إلى السنن واحتالوا لنقضها ، والشيء الذي قيل لهم إنه حرام احتالوا فيه حتى أجلوه ، قالوا : الرهن لا يحل أن يستعمل ، ثم قالوا : يحتال له حتى يستعمل فكيف يحل بحيلة ما حرم الله ورسوله؟ وقال صلى الله عليه وسلم : لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فأذابوها فباعوها وأكلوا أثمانها (متفق عليه) ، أذابوها حتى أزالوا عنها اسم الشحم ، وقد لعن رسول الله ﷺ - المحلل والمجمل له .

وقال في رواية ابن ضالح : عجبت مما يقول أرباب الحيل في الحيل في الإيمان ، يبطلون الإيمان ، بالحيل وقد قال الله تعالى : ﴿ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها﴾ [النحل : ٩١] وقال : ﴿يوفون بالنذر﴾ [الإنسان : ٧] وكان ابن عيينة يشتد عليه أمر هذه الحيل .

الغذاء والدواء للأبدان وإنما ذلك بحقائقها لا بأسمائها وصورها .

الإشارة إلى الحكمة في تحريم ما حرم الله :

وبيان ذلك على وجه الإشارة أن الله سبحانه وتعالى حرم الربا والزنا وتوابعهما ووسائلهما؛ لما في ذلك من الفساد، وأباح البيع والنكاح وتوابعهما لأن ذلك مصلحة محضة، ولا بد أن يكون بين الحلال والحرام فرق في الحقيقة، وإلا لكان البيع مثل الربا والنكاح مثل الزنا .

ومعلوم أن الفرق في الصورة دون الحقيقة ملغى عند الله ورسوله وفي فطر عباده، فإن الاعتبار بالمقاصد والمعاني في الأقوال والأفعال؛ فإن الألفاظ إذا اختلفت ومعناها واحد كان حكمها واحداً، فإذا اتفقت الألفاظ واختلفت المعاني كان حكمها مختلفاً، وكذلك الأعمال إذا اختلفت صورها واتفقت مقاصدها .

وعلى هذه القاعدة يبنى الأمر والنهي والثواب والعقاب، ومن تأمل الشريعة علم بالاضطرار صحة هذا، فالأمر المحتال به على المحرم صورته صورة الحلال، وحقيقته ومقصوده حقيقة الحرام؛ فلا يكون حالاً، فلا يترتب عليه أحكام الحلال، فيقع باطلاً، والأمر المحتال عليه حقيقته حقيقة الأمر الحرام، وإن لم تكن صورته صورته، فيجب أن يكون حراماً لمشاركته للحرام في الحقيقة .

لا نعلق الأحكام إلا على المعاني :

ويا لله العجب! أين القياس والنظر في المعاني المؤثرة وغير المؤثرة فرق وجمعاً؟ والكلام في المناسبات ورعاية المصالح وتحقيق المناط وتنقيحه وتخريجه وإبطال قول من علق الأحكام بالأوصاف الطردية التي لا مناسبة بينها وبين الحكم، فكيف يعلقه بالأوصاف المناسبة لضد الحكم؟ وكيف يعلق الأحكام على مجرد الألفاظ والصور الظاهرة التي لا مناسبة بينها وبينها ويدع المعاني المناسبة المفضية لها التي ارتباطها بها كارتباط العلل العقلية بمعلولاتها؟

والعجب منه كيف ينكر مع ذلك على أهل الظاهر المتمسكين بظواهر كتاب ربهم وسنة نبيهم حيث لا يقوم دليل يخالف الظاهر ثم بظواهر أفعال المكلفين وأقوالهم حيث يعلم أن الباطن والقصد بخلاف ذلك؟

وقال في رواية الميموني وقد سأله : إنهم يقولون في رجل حلف على امرأته وهي على درجة إن صعدت أو نزلت طالق، قالوا تحمل حملاً، فقال : هلا هو الحنث بعينه، ليست هذه حيلة، هذا هو الحنث .

وقالوا : إذا حلف لا يطأ بساطاً يطأ بساطين، وإذا حلف لا يدخل داراً يحمل، فأقبل أبو عبد الله يعجب .

أدلة عقلية على تحريم الحيل :

فصل : ومما يدل على بطلان الحيل وتحريمها أن الله تعالى إنما أوجب الواجبات وحرم المحرمات لما تتضمن من مصالح عباده في معاشهم ومعادهم، فالشريعة لقلوبهم بمنزلة الغذاء الذي لا بد لهم منه والدواء الذي لا يندفع الداء إلا به، فإذا احتال العبد على تحليل ما حرم الله وإسقاط ما فرض الله وتعطيل ما شرع الله كان ساعياً في دين الله بالفساد من وجوه :

أحدها : إبطال ما في الأمر المحتال عليه من حكمة الشارع، ونقض حكمته فيه ومناقضته له .

والثاني : أن الأمر المحتال به ليس له عنده حقيقة، ولا هو مقصوده، وهو ظاهر المشروع، فالمشروع ليس مقصوداً له، والمقصود له : هو المحرم نفسه، وهذا ظاهر كل الظهور فيما يقصد الشارع، فإن المرابي مثلاً مقصوده الربا المحرم، وصورة البيع الجائر غير مقصودة له، وكذلك المتحيل على إسقاط الفرائض بتمليك ماله لمن لا يهبه درهم واحدًا حقيقة مقصوده إسقاط الفرض، وظاهر الهبة المشروعة غير مقصودة له .

الثالث : نسبته ذلك إلى الشارع الحكيم : وإلى شريعته التي هي غذاء القلوب ودواؤها وشفائها، ولو أن رجلاً تحيل حتى قلب الغذاء والدواء إلى ضده، فجعل الغذاء دواء، والدواء غذاء، إما بتغيير اسمه أو صورته مع بقاء حقيقته لأهلك الناس .

فمن عمد إلى الأدوية المسهلة فغير صورتها أو أسماءها وجعلها غذاء للناس، أو عمد إلى السموم القاتلة فغير أسماءها وصورتها وجعلها أدوية أو إلى الأغذية الصالحة فغير أسماءها وصورها؛ كان ساعياً بالفساد في الطبيعة، كما أن هذا ساع بالفساد في الشريعة؛ فإن الشريعة للقلوب بمنزلة

إسقاط ما فرضه عليهم وعلى إضاعة الحقوق التي أحقها عليهم لبعضهم بعضاً لقيام مصالح النوع الإنساني التي لا تتم إلا بما شرعه؟

فهذه الشريعة شرعها الذي علم ما في ضمنها . من المصالح والحكم والغايات المحموده وما في خلافها من ضد ذلك ، وهذا أمر ثابت لها لذاتها وبائن من أمر الرب تبارك وتعالى بها ونهيه عنها ، فالأمور به مصلحة وحسن في نفسه ، واكتسب بأمر الرب تعالى مصلحة وحسناً آخر ، فإزداد حسناً بالأمر ومحبة الرب وطلبه له إلى حسنه في نفسه .

وكذلك المنهى عنه مفسدة وقبيح في نفسه ، وإزداد بنهى الرب تعالى عنه وبغضه له وكراهيته له قبحاً إلى قبحه ، وما كان هكذا لم يجز أن ينقلب حسنه قبحاً بتغير الاسم والصورة مع بقاء الماهية والحقيقة .

ألا ترى أن الشارع صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله حرّم بيع الثمار قبل بدو صلاحها لما فيه من مفسدة التشاحن والتشاجر ، ولما يؤدي إليه - إن منع الله الثمرة - من أكل مال أخيه بغير حق ظلماً وعدواناً ، ومعلوم قطعاً أن هذه المفسدة لا تزول بالتحيل على البيع قبل بدو الصلاح ، فإن الحيلة لا تؤثر في زوال هذه المفسدة ، ولا في تخفيفها ، ولا في زوال ذرة منها ؛ فمفسدة هذا العقد أمر ثابت له لنفسه ، فالحيلة إن لم تزد فساداً لم تُزل فساداً .

وكذلك شرع الله تعالى الاستبراء لإزالة مفسدة اختلاط المياه وفساد الأنساب وسقى الإنسان بمائه زرع غيره ، وفي ذلك من المفاسد ما تُوجب العقول تحريمه لو لم تأت به شريعة ؛ ولهذا فطر الله الناس على استهجانه واستقباحه ، ويرون من أعظم الهجن أن يقوم هذا عن المرأة ويخلفه الآخر عليها ؛ ولهذا حرم نكاح الزانية وأوجب العِدَد والاستبراء ، ومن المعلوم قطعاً أن هذه المفسدة لا تزول بالحيلة على إسقاط الاستبراء ، ولا تخف ، وكذلك شرع الحج إلى بيته لأنه قوام للناس في معاشهم ومعادهم .

ولو عطل البيت الحرام عاماً واحداً عن الحج لما أهمل الناس ، ولعوجلوا بالعقوبة ، وتوعد من ملك الزاد والراحلة ولم يحج بالموت على غير الإسلام ، ومعلوم أن التحيل لإسقاطه لا يزيل مفسدة الترك ، ولو أن الناس كلهم تحيلوا لترك الحج والزكاة لبطلت فائدة هذين الفرضين العظيمين ، وارتفع من

ويعلم لو تأمل حق التأمل أن مقصود الشارع غير ذلك ، كما يقطع بأن مقصوده من إيجاب الزكاة سد خلة المساكين وذوى الحاجات وحصول المصالح التي أرادها بتخصيص هذه الأوصاف من حماية المسلمين والذب عن حوزة الإسلام ، فإذا أسقطها بالتحيل فقد خالف مقصود الشارع وحصل مقصود التحيل .

الواجب هو أن يحصل مقصود الله ورسوله :

والواجب الذي لا يجوز غيره أن يحصل مقصود الله ورسوله ويبطل مقاصد المتحيلين المخادعين ، وكذلك يعلم قطعاً أنه إنما حرم الربا لما فيه من الضرر بالمحاويج ، وأن مقصوده إزالة هذه المفسدة ؛ فإذا أبيع التحليل على ذلك كان سعيًا في إبطال مقصود الشارع وتحصيلاً لمقصود المرابي ، وهذه سبيل جميع الحيل المتوسل بها إلى تحليل الحرام وإسقاط الواجب .

وبهذه الطريق تبطل جميعاً ، ألا ترى أن التحيل لإسقاط الاستبراء مبطل لمقصود الشارع من حكمة الاستبراء ومصلحته ؛ فالمعين له على ذلك مفوت لمقصود الشارع محصل لمقصود التحليل ، وكذلك التحيل على إبطال حقوق المسلمين التي ملكهم إياها الشارع وجعلهم أحق بها من غيرهم إزالة لضررهم وتحصيلاً لمصالحهم .

عود إلى الأدلة العقلية على بطلان الحيل :

فلو أباح التحيل لإسقاطها لكان عدم إثباتها للمستحقين أولى وأقل ضرراً من أن يثبتها ويوصى بها ويبالغ في تحصيلها ثم يشرع التحيل لإبطالها وإسقاطها وهل ذلك إلا بمنزلة من بنى بناء مشيداً وبالعقود في إحكامه وإتقانه ، ثم عاد فنقضه ، وبمنزلة من أمر بإكرام رجل والمبالغة في بره والإحسان إليه وأداء حقوقه ، ثم أباح لمن أمره أن يتحيل بأنواع الحيل لإهانة وترك حقوقه ، ولهذا يسمى الكفار والمنافقون ومن في قلوبهم المرض الظن بالإسلام والشرع الذي بعث الله به رسوله حيث ظنوا أن هذه الحيل مما جاء به الرسول وعلموا مناقضتها للمصالح مناقضة ظاهرة ومنافاتها لحكمة الرب وعدله ورحمته وحمايته وصيانيته لعباده .

فإنه نهاهم عما نهاهم عنه حماية وصيانة ، فكيف يبيع لهم الحيل على ما حماهم عنه ؟ وكيف يبيع لهم التحيل على

الأرض حكمهما بالكلية، وقيل للناس : إن شئتم كلكم أن تتحيلوا لإسقاطهما فافعلوا، فليتصور العبد ما في إسقاطهما من الفساد المضاد لشرع الله وإحسانه وحكمته .

وكذلك الحدود جعلها الله تعالى زواجر للنفوس وعقوبة ونكالا وتطهيراً، فشرعها من أعظم مصالح العباد في المعاش والمعاد، بل لا تتم سياسة ملك من ملوك الأرض إلا بزواجر وعقوبات لأرباب الجرائم، ومعلوم ما في التحيل لإسقاطها من منافاة هذا الغرض وإبطاله وتسليط النفوس الشريرة على تلك الجنایات إذا علمت أن لها طريقاً إلى إبطال عقوباتها فيها، وأنها تسقط تلك العقوبات بأدنى التحيل .

فإنه لا فرق عندها البتة بين أن تعلم أنه لا عقوبة عليها فيها وبين أن تعلم أن لها عقوبة وأن لها إسقاطها بأدنى التحيل، ولهذا احتاج البلد الذي تظهر فيه هذه التحيل إلى سياسة وال أو أمير يأخذ يد الجناة ويكف شرهم عن الناس إذا لم يمكن أرباب التحيل أن يقوموا بذلك، وهذا بخلاف الأزمنة والأمكنة التي قام الناس فيها بحقائق ما بعث الله به رسوله ﷺ؛ فإنهم لم يحتاجوا معها إلى سياسة أمير ولا وال .

طرف مما كان عليه أهل المدينة :

كما كان أهل المدينة في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم، فإنهم كانوا يحدون بالرائحة وبالقيء وبالجل وبظهور المسروق عند السارق، ويقتلون في القسامة، ويعاقبون أهل التهم، ولا يقبلون الدعوى التي تكذبها العادة والعرف، ولا يرون التحيل في شيء من السدين ويعاقبون أربابها، ويحبسون في التهم حتى يتبين حال المتهم : فإن ظهرت براءته خلوا سبيله، وإن ظهر فجوره قرروه بالعقوبة اقتداء بسنة رسول الله ﷺ في عقوبة المتهمين وحبسهم؛ فإن رسول الله ﷺ - حبس في تهمة وعاقب في تهمة ...

ما في ضمن المحرمات من المفاصد يمنع أن يشرع إليها التحيل :

والمقصود أن ما في ضمن المحرمات من المفاصد والمأمورات من المصالح يمنع أن يشرع إليها التحيل بما يبيحها ويسقطها، وأن ذلك مناقضة ظاهرة، ألا ترى أنه بالغ في لعن المحلل للمفاصد الظاهرة والباطنة التي في التحليل التي يعجز البشر عن الإحاطة بتفاصيلها .

فالتحليل على صحة هذا النكاح بتقديم اشتراط التحليل عليه وإخلاء صلبه عنه إن لم يزد مفسدته لا يزيلها ولا يخففها، وليس تحريمه والمبالغة في لعن فاعله تعبدا لا يعقل معناه، بل هو معقول المعنى من محاسن الشريعة بل لا يمكن شريعة الإسلام ولا غيرها من شرائع الأنبياء أن تأتي بحيلة، فالتحليل على وقوعه وصحته إبطال لغرض الشارع وتصحيح لغرض المتحليل المخادع .

لم حرم الصيد في الإحرام؟

وكذلك الشارع حرم الصيد في الإحرام وتوعد بالانتقام على من عاد إليه بعد التحريم، لما فيه من المفسدة الموجبة لتحريمه وانتقام الرب من فاعله، ومعلوم قطعاً أن هذه المفسدة لا تزول بنصب الشباك له قبل الإحرام بلحظة، فإذا وقع فيها حال الإحرام أخذه بعد الحل بلحظة، فإباحته لمن فعل هذا إبطال لغرض الشارع الحكيم وتصحيح لغرض المخادع . .

حكمة تشريع حدود الجرائم :

وكذلك الشارع شرع حدود الجرائم التي تتفاضها الطباع أشد تقاض لما في إهمال عقوباتها من مفاصد الدنيا والآخرة، بحيث لا يمكن سياسة ملك مامن الملوك أن يخلو عن عقوباتها البتة، ولا يقوم ملكه بذلك، فالإذن في التحيل لإسقاطها بصورة العقد وغيره مع وجود تلك المفاصد بعينها أو أعظم منها نقض وإبطال لمقصود الشارع، وتصحيح لمقصود الجاني، وإغراء بالمفاصد، وتسليط للنفوس على الشر .

عود مرة أخرى إلى إبطال التحيل :

ويا الله العجب ! كيف يجتمع في الشريعة تحريم الزنا والمبالغة في المنع منه وقتل فاعله شر القتلات وأقبحها وأشنعها وأشهرها ثم يسقط بالتحيل عليه بأن يستأجرها لذلك أو لغيره ثم يقضى غرضه منها؟ وهل يعجز عن ذلك زان أبداً؟ وهل في طباع ولالة الأمر أن يقبلوا قول الزاني : أنا استأجرتها للزنا، أو استأجرتها لتطوى ثيابي ثم قضيت غرضي منها، فلا يحل لك أن تقيم على الحد؟ وهل ركب الله في فطر الناس سقوط الحد عن هذه الجريمة التي هي من أعظم الجرائم إفسادا للفرش والأنساب بمثل هذا؟!

ويا الله العجب ! كيف يسقط القطع عمن اعتاد سرقة أموال

الناس وكلما أمسك معه المال المسروق قال : هذا ملكي ، والدار التي دخلتها داري ، والرجل الذي دخلت داره عبيدي ؟ قال أرباب الحيل : فيسقط عنه الحد بدعوى ذلك ، فهل تأتي بهذا سياسة قط جائرة أو عادلة ، فضلا عن شريعة نبي من الأنبياء ، فضلا عن الشريعة التي هي أكمل شريعة طرقت العالم ؟

وكذلك الشارع أوجب الإنفاق على الأقارب ؛ لما في ذلك من قيام مصالحهم ومصالح المنفق ، ولما في تركهم من إضاعتهم ، فالتحليل لإسقاط الواجب بالتملك في الصورة مناقضة لغرض الشارع وتتميم لغرض الماكر المحتال وعود إلى نفس الفساد الذي قصد الشارع إعدامه بأقرب الطرق ، ولو تحيل هذا المخادع على إسقاط نفقة دوابه لهلكوا ، وكذلك ما فرضه الله تعالى للوارث من الميراث هو حق له جعله أولى من سائر الناس به ، فأباحه التحليل لإسقاطه بالإقرار بمثاله كله للأجنبي وإخراج الوارث مضادة لشرع الله ودينه ونقض لغرضه وإتمام لغرض المحتال ، وكذلك تعليم المرأة أن تقر بدين لأجنبي إذا أراد زوجها السفر بها .

أكثر الحيل لا تمشى على أصول الأئمة :

فصل : وأكثر هذه الحيل لا تمشى على أصول الأئمة ، بل تناقضها أعظم مناقضة .

عند الشافعي :

وبيانه : أن الشافعي رضى الله عنه يحرم مسألة مد عجوة ودرهم بمد ودرهم ويبالغ في تحريمها بكل طريق خوفا أن يتخذ حيلة على نوع ما من ربا الفضل ، فتحريمه للحيل الصريحة التي يتوصل بها إلى ربا النساء أولى من تحريم مد عجوة بكثير ؛ فإن التحليل بمد ودرهم من الطرفين على ربا الفضل أخف من التحليل بالعينة على ربا النساء ، وأين مفسدة هذه من مفسدة تلك ؟ وأين حقيقة الربا في هذه من حقيقته في تلك ؟ .

عند أبي حنيفة :

وأبو حنيفة يحرم مسألة العينة ، وتحريمه لها يوجب تحريمه للحيلة في مسألة مد عجوة يبيعه خمسة عشر درهما بعشرة في خرقة ، فالشافعي يبالغ في تحريم مسألة مد عجوة ويبيح العينة ، وأبو حنيفة يبالغ في تحريم العينة ويبيح مسائل

مد عجوة ، ويتوسع فيها ، وأصل كل من الإمامين رضى الله عنهما في أحد البابين يستلزم إبطال الحيلة في الباب الآخر ، وهذا من أقوى التخريج على أصولهم ونصوصهم ، وكثير من الأقوال المخرجة دون هذا .

الحيل تقتضى رفع التحريم :

فقد ظهر أن الحيل المحرمة في الدين تقتضى رفع التحريم مع قيام موجه ، ومقتضيه إسقاط الوجوب مع قيام سببه ، وذلك حرام من وجوه .

أحدها : استلزامها فعل المحرم وترك الواجب .

والثاني : ما يتضمن من المكر والخداع والتلبس .

والثالث : الإغراء بها والدلالة عليها وتعليمها من لا يحسنها .

والرابع : إضافتها إلى الشارع وأن أصول شرعه ودينه تقتضيها .

والخامس : أن صاحبها لا يتوب منها ولا يعدها ذنبا .

والسادس : إنه يخادع الله كما يخادع المخلوق .

والسابع : أنه يسلط أعداء الدين على القدح فيه وسوء الظن به وبمن شرعه .

والثامن : أنه يعمل فكره واجتهاده في نقض ما أبرمه الرسول وإبطال ما أوجبه وتحليل ما حرمه .

والتاسع : أنه إعانة ظاهرة على الإثم والعدوان ، وإنما اختلف الطريق فهذا يعين عليه بحيلة ظاهرها صحيح مشروع يتوصل بها إليه ، وذاك يعين عليه بطريقة المفضية إليه بنفسها ، فكيف كان هذا معينا على الإثم والعدوان ، والمتحليل المخادع يعين على البر والتقوى ؟

العاشر : أن هذا ظلم في حق الله وحق رسوله وحق دينه وحق نفسه وحق العبد المعين وحقق عموم المؤمنين ، فإنه يغرى به ويعلمه ويدل عليه ، والمتوصل إليه بطريق المعصية لا يظلم إلا نفسه . ومن تعلق به ظلمه من المعينين فإنه لا يزعم أن ذلك دين وشرع ولا يقتدى به الناس ، فأين فساد أحدهما من الآخر وضرره من ضرره ؟ وبالله التوفيق .

أدلة المجوزين للحيل :

فصل : قال أرباب الحيل : قد أكثرتم من ذم الحيل ، وأجلبتم بخيل الأدلة ورجلها ومهزولها ، فاستمعوا الآن تقريرها

واشتقاقها من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وأئمة الإسلام، وأنه لا يمكن أحد إنكارها.

أدلتهم من القرآن :

قال تعالى لنبيه أيوب : ﴿ وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث ﴾ [ص : ٤٤] فأذن لنبيه أيوب أن يتحلل من يمينه بالضرب بالضغث، وقد كان نذر أن يضربها ضربات معدودة، وهى فى المتعارف الظاهر إنما تكون متفرقة، فأرشده تعالى إلى الحيلة فى خروجه من اليمين، فنقيس عليه سائر الباب، ونسميه وجوه المخارج من المضائق، ولا نسميه بالحيل التى ينفر الناس من اسمها.

وأخبر تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام أنه جعل صواعه فى رحل أخيه يتوصل بذلك إلى أخذه من إخوته، ومدحه بذلك، وأخبر أنه برضاه وإذنه، كما قال : ﴿ كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل علم عليم ﴾ [يوسف : ٧٦] فأخبر أن هذا كيد لنبيه، وأنه بمشيئته، وإنه يرفع درجة عبده بلطف العلم ودقيقه الذى لا يهتدى إليه سواه، وأن ذلك من علمه وحكمته.

وقال تعالى : ﴿ ومكروا مكرا، ومكرنا مكرا، وهم لا يشعرون ﴾ [النمل : ٥] فأخبر تعالى أنه مكر بمن مكر بأنبيائه ورسله، وكثير من الحيل هذا شأنها، يمكر بها على الظالم والفاجر ومن يعسر تخليص الحق منه؛ فتكون وسيلة إلى نصر مظلوم وقهر ظالم ونصر حق وإبطال باطل.

والله تعالى قادر على أخذها بغير وجه المكر الحسن، ولكن جازاهم بجنس عملهم، وليعلم عباده أن المكر الذى يتوصل به إلى إظهار الحق، ويكون عقوبة للماكر ليس قبيحا.

وكذلك قوله : ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ [النساء : ١٤٢] وخداعه لهم أن يظهر لهم أمرا ويبطن لهم خلافة، فما تنكرون على أرباب الحيل الذين يظهرهم أمرا يتوصلون به إلى باطن غيره اقتداء بفعل الله تعالى؟ أدلتهم من السنة :

وقد روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد : « أن رسول الله ﷺ استعمل رجلا على خير، فجاءهم

بتمر جنيب، فقال : أكل تمر خير هكذا؟ قال : إنا لناخذ الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بالثلاث، فقال : لا تفعل، بع الجميع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيبا وقال فى الميراث مثل ذلك، فأرشده إلى الحيلة على التخلص من الربا بتوسط العقد الآخر، وهذا أصل فى جواز العينة.

وهل الحيل إلا معاريض فى الفعل على وزان المعاريض فى القول؟ وإذا كان فى المعاريض مندوحة عن الكذب ففى معاريض الفعل مندوحة عن المحرمات وتخلص من المضايق.

وقد لقي النبى ﷺ طائفة من المشركين وهو فى نفر من أصحابه، فقال المشركون : ممن أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ : « نحن من ماء فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا : أحياء اليمن كثير، فلعلهم منهم، وانصرفوا ».

وقد جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : احملنى، فقال « ما عندى إلا ولد ناقة » فقال : ما أصنع بولد الناقة؟ فقال النبى ﷺ عليه وسلم : « وهل يلد الإبل إلا النوق؟ » . أدلة من عمل السلف :

وكان بعض السلف إذا أراد ألا يطعم طعاما لرجل قال : أصبحت صائما، يريد أن أنه أصبح فيما سلف صائما قبل ذلك اليوم، وكان محمد بن سيرين إذا اقتضاه بعض غرمائه وليس عنده ما يعطيه قال : أعطيك فى أحد اليومين إن شاء الله، يريد بذلك يومى الدنيا والآخرة، وسأل رجل عن المروزي وهو فى دار أحمد بن حنبل، فكره الخروج إليه، فوضع أحمد أصبعه فى كفه، فقال : ليس المروزي ها هنا، وما يصنع المروزي ها هنا؟

وحضر سفیان الثوري مجلسا، فلما أراد النهوض منهوه، فحلف أنه يعود، ثم خرج وترك نعله كالناسى لها، فلما خرج عاد وأخذها وانصرف.

وقد كان لشريح فى هذا الباب فقه دقيق، كما أعجب رجلا فرسه وأراد أخذها منه، فقال له شريح : إنها إذا أربضت لم تقم حتى تقام، فقال الرجل : أف أف، وإنما أراد شريح أن الله هو الذى يقيمها، وباع من رجل ناقة، فقال له المشتري : كما تحمل؟ فقال : احمل على الحائط ما شئت فقال : كم تحلب؟ قال : احلب فى أى إناء شئت، فقال : كيف سيرها؟

أقدر على ذلك المكان، فكيف الحيلة؟ قال: والله ما أبصر إلا ما سدني غيري..

وذكر عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة قال: جعل حذيفة يحلف لعثمان بن عفان على أشياء بالله ما قالها، وقد سمعناه يقولها، فقلنا: يا أبا عبد الله سمعناك تحلف لعثمان على أشياء ما قلتها، وقد سمعناك قلتها، فقال: إني أشتري ديني بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله.

وذكر قيس بن الربيع عن الأعمش عن إبراهيم أن رجلاً قال له: إني أنال من رجل شيئاً فيبلغه عني، فكيف أعتذر إليه؟ فقال له إبراهيم: قل وإن الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء، وكان إبراهيم يقول لأصحابه إذا خرجوا من عنده وهو مستخف من الحجاج: إن سئلتهم عني فاحلفوا بالله لا تدرون أين أنا، ولا في أي موضع أنا، وأعتوا لا تدرون أين أنا من البيت، وفي أي موضع منه، وأنتم صادقون. وقال مجاهد عن ابن عباس: ما يسرني بمعارض الكلام حمر النعم.

الأدلة من الحديث:

وقد ثبت في الصحيح من حديث حميد بن عبد الرحمن ابن عوف عن أمه أم كلثوم بنت عقبة بن معيط - وكانت من المهاجرات الأول - أن رسول الله ﷺ: رخص في الكذب في ثلاث: في الرجل يصلح بين الناس، والرجل يكذب لامراته، والكذب في الحرب.

وقال معتمر بن سليمان التيمي عن أبيه: حدثني نعيم بن أبي هند عن سويد بن غفلة أن علياً - كرم الله وجهه - في الجنة لما قتل الزنادقة نظر في الأرض ثم رفع رأسه إلى السماء، ثم قال: صدق الله ورسوله، ثم قام فدخل بيته، فأكثر الناس في ذلك، فدخلت عليه فقلت: يا أمير المؤمنين أشيء عهد إليك رسول الله ﷺ أم شيء رأيته؟ فقال: هل عليّ من بأس أن أنظر إلى السماء؟ قلت: لا، قال: فهل عليّ من بأس أن أنظر إلى الأرض؟ قلت: لا، قال: فهل عليّ من بأس أن أقول صدق الله ورسوله؟ قلت: لا، قال: فإني رجل مكائد.

وقال حجاج بن منهال: ثنا أبو عوانة عن أبي مسكين قال: كنت عند إبراهيم وامراته تعاتبه في جاريته ويدها مروحة، فقال أشهدكم بأنها لها، فلما خرجنا قال: علام شهدتم؟ قلنا: أشهدتنا أنك جعلت الجارية لها، قال: أما رأيتموني أشير إلى المروحة؟

قال الريح، لا تلحق، فلما قبضها المشتري لم يجد شيئاً من ذلك، فجاء إليه وقال: ما وجدت شيئاً من ذلك، فقال: ما كذبتك.

أدلة أخرى لأصحاب الحيل:

قالوا: ومن المعلوم أن الشارع جعل العقود وسائل وطرقاً إلى إسقاط الحدود والمآثم، ولهذا لو وطىء الإنسان امرأة أجنبية من غير عقد ولا شبهة لزمه الحد، فإذا عقد عليها عقد النكاح ثم وطئها لم يلزمه الحد، وكان العقد حيلة على إسقاط الحد، بل قد جعل الله تعالى الأكل والشرب واللباس حيلة على دفع أذى الجوع والعطش والبرد، والاكتفاء حيلة على دفع الصائل من الحيوان وغيره، وعقد التبائع حيلة على حصول الانتفاع بملك الغير، وسائر العقود حيلة على التوصل إلى ما لا يباح إلا بها، وشرع الرهن حيلة على رجوع صاحب الدين في ماله من عين الرهن إذا أفلس الراهن أو تعذر الاستيفاء منه.

وقد روى سلمة بن صالح، عن يزيد الواسطي، عن عبد الكريم، عن عبد الله بن بريدة قال: سئل رسول الله ﷺ - عن أعظم آية في كتاب الله، فقال: لا أخرج من المسجد حتى أخبرك، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه، فلما أخرج إحدى رجله أخبره بالآية قبل أن يخرج رجله الأخرى.

كتاب الخصاف في الحيل:

وقد بنى الخصاف كتابه في الحيل على هذا الحديث، ووجه الاستدلال به أن من حلف أن لا يفعل شيئاً فأراد التخلص من الحنث بفعل بعضه لم يكن حائثاً، فإذا حلف لا يأكل هذا الرغيف ولا يأخذ هذا المتاع فليدع بعضه ويأخذ الباقي ولا يحنث، وهذا أصل في بابيه في التخلص من الأيمان.

عود إلى الاستدلال بعمل السلف في جواز الحيل:

وهذا السلف الطيب قد فتحوا لنا هذا الباب، ونهجوا لنا هذا الطريق، فروى قيس بن الربيع عن الأعمش عن إبراهيم في رجل أخذه رجل فقال: إن لي معك حقاً، فقال: لا، فقال: احلف لي بالمشي إلى بيت الله، فقال: يحلف له بالمشي إلى بيت الله، ويعني به مسجد حيه، وبهذا الإسناد أنه قال له رجل: إن فلانا أمرني أن آتي مكان كذا وكذا، وأنا لا

قولهم لا بأس بالحيل :

وقال محمد بن الحسين عن عمرو بن دينار عن الشعبي :
لا بأس بالحيل فيما يحل ويجوز، وإنما الحيل شيء يتخلص
به الرجل من الحرام، ويخرج به إلى الحلال، فما كان من
هذا ونحوه فلا بأس به، وإنما يكره من ذلك أن يحتال الرجل
في حق الرجل حتى يبطله، أو يحتال في باطل حتى يوهم أنه
حق، أو يحتال في شيء حتى يدخل فيه شبهة، وأما ما كان
على السبيل الذي قلنا فلا بأس بذلك .

استدلّاهم بالقرآن :

قالوا : وقد قال الله تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ [الطلاق : ٢] قال غير واحد من المفسرين : مخرجا
مما ضاق على الناس، ولا ريب أن هذه الحيل مخرجات مما
ضاقت على الناس، ألا ترى أن الحالف يضيق عليه إلزام ما
حلف عليه، فيكون له بالحيلة مخرج منه، وكذلك الرجل
تشتد به الضرورة إلى نفقة ولا يجد من يقرضه فيكون له من هذا
الضيق فرج بالعينة والتورق (صورة من بيع العينة) ونحوهما،
فلو لم يفعل ذلك لهلك ولهكت عياله، والله تعالى لا يشرع
ذلك، ولا يضيق عليه شرعه الذي وسع جميع خلقه؛ فقد دار
أمره بين ثلاثة لا بد له من واحد منها : إما إضاعة نفسه
وعياله، وإما الربا صريحا، وإما المخرج من هذا الضيق بهذه
الحيلة، فأوجدنا أمرا رابعا نصير إليه .

وكذلك الرجل يتزعج الشيطان فيقع به الطلاق فيضيق عليه
جدا مفارقة امرأته وأولاده وخراب بيته، فكيف ينكر في حكمة
الله ورحمته أن نتحيل له بحيلة تخرجه من هذا الإصر والغل؟
وهل الساعي في ذلك إلا مأجور غير مأزور كما قاله إمام
الظاهرية في وقته : أبو محمد بن حزم، وأبو ثور وبعض
أصحاب أبي حنيفة، وحملوا أحاديث التحريم على ما إذا
شرط في صلب العقد أنه نكاح تحليل؟
استدلّاهم بعمل السلف وقولهم :

قالوا وقد روى عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن محمد
ابن سيرين قال : أرسلت امرأة إلى رجل، فزوجته نفسها
ليحلها لزوجها، فأمره عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن
يقيم معها ولا يطلقها، وأوعده أن يعاقبه إن طلقها، فهذا أمير
المؤمنين قد صحح نكاحه، ولم يأمره باستثنائه وهو حجة في
صحة نكاح المحلل والنكاح بلا ولي .

وذكر عبد الرزاق عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه أنه
كان لا يرى بأسا بالتحليل، إذا لم يعلم أحد الزوجين، قال ابن
حزم : وهو قول سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد .

وصح عن عطاء فيمن نكح امرأة محسلا ثم رغب فيها
فأمسكها، فقال : لا بأس بذلك .

وقال الشعبي : لا بأس بالتحليل إذا لم يأمر به الزوج .

قال الليث بن سعد : إن تزوجها ثم فارقها لترجع إلى
زوجها ولم يعلم المطلق ولا هي بذلك وإنما كان ذلك إحسانا
منه فلا بأس أن ترجع إلى الأول فإن بين الثاني ذلك للأول بعد
دخوله بها لم يضره .

وقال الشافعي وأبو ثور : المحلل الذي يفسد نكاحه هو
الذي يعقد عليه في نفس عقد النكاح أنه إنما يتزوجها ليحلها
ثم يطلقها، فأما من لم يشترط ذلك في عقد النكاح فعقده
صحيح لا داخلة فيه، سواء شرط ذلك عليه قبل العقد أو لم
يشرط، نوى ذلك أو لم ينو، قال أبو ثور : وهو مأجور .

وروى بشر بن الوليد عن أبي يوسف وعن أبي مثل هذا
سواء . وروى أيضا محمد وأبو يوسف عن أبي حنيفة : إذا نوى
الثاني وهي تحليلها للأول لم تحل له بذلك .

وروى الحسن بن زياد عن زفر وأبي حنيفة : أنه إن اشترط
عليه في نفس العقد أنه إنما يتزوجها ليحلها للأول فإنه نكاح
صحيح، ويبطل الشرط، وله أن يقيم معها؛ فهذه ثلاث
روايات عن أبي حنيفة .

قالوا : وقد قال الله تعالى ﴿فلا تحل له من بعد حتى تنكح
زوجا غيره﴾ [البقرة : ٢٣٠] وهذا زوج، وقد عقد بمهر وولي
ورضاها وخلوها من الموانع الشرعية، وهو راغب في ردها إلى
الأول، فيدخل في حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال :
«لا نكاح إلا نكاح رغبة»، وهذا نكاح رغبة في تحليلها
للمسلم كما أمر الله تعالى بقوله : ﴿حتى تنكح زوجا
غيره﴾ ...

قالوا : وأما نكاح الدلسة فنعم هو باطل، ولكن ماهو نكاح
الدلسة؟ فلعلة أراد به أن تدلس له المرأة بغيرها، أو تدلس له
أنها انقضت عدتها ولم تنقض لتستعجل عودها إلى الأول .
لم يلعن كل محلل :

وأما لعنه للمحلل فلا ريب أنه ﷺ لم يرد كل محلل

ومحلل له ، فإن الولي محلل لما كان حراما قبل العقد ،
والحاكم المزوج محلل بهذا الاعتبار ، والبائع لأتمه محلل
للمشتري وطأها .

فإن قلنا : العام إذا خص صار مجملا ، بطل الاحتجاج
بالحديث ، وإن قلنا : هو حجة فيما عدا محل التخصيص ،
فذلك مشروط ببيان المراد منه ، ولنا ندري المحلل المراد من
هذا النص ، أهو الذي نوى التحليل أو شرطه قبل العقد أو
شرطه في صلب العقد؟ أو الذي أحل ما حرمه الله ورسوله؟
ووجدنا كل من تزوج مطلقة ثلاثا فإنه محلل ، ولو لم يشترط
التحليل ولم ينوه؟ فإن الحل حصل بوطئه وعقده؟ ومعلوم
قطعا أنه لم يدخل في النص .

فعلم أن النص إنما أراد به من أحل الحرام بفعله أو عقده ،
ونحن وكل مسلم لا نشك في أنه أهل للعنة الله ، وأما من قصد
الإحسان إلى أخيه المسلم ورغب في جمع شمله بزوجه ، ولم
شعته وشعث أولاده وعياله فهو محسن ، وما على المحسنين
من سبيل ، فضلا عن أن تلحقهم لعنة رسول الله ﷺ .

قواعد الفقه لا تحرم الحيل :

ثم قواعد الفقه وأدلتها لا تحرم مثل ذلك ؛ فإن هذه العقود
التي لم يشترط المحرم في صلبها عقودا صدرت من أهلها في
محلها مقرونة بشروطها ، فيجب الحكم بصحتها ؛ لأن السبب
هو الإيجاب والقبول وهما تامان ، وأهلية العاقد لا نزاع فيها ،
ومحلية العقد قابلة ، فلم يبق إلا القصد المقرون بالعقد ، ولا
تأثير له في بطلان الأسباب الظاهرة ، لوجوه .

أحدها : أن المحتمل مثلا إنما قصد الربح الذي وضعت
له التجارة ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فإذا حصل له الربح
حصل له مقصوده ، وقد سلك الطريق المفضية إليه في ظاهر
الشرع ، والمحلل غايته أنه قصد الطلاق ونواه إذا وطئ
المرأة ، وهو مما ملكه الشارع إياه ، فهو كما لو نوى المشتري
إخراج المبيع عن ملكه إذا اشتراه ، وسر ذلك أن السبب
مقتض لتأبد الملك ، والنية لا تغير موجب السبب حتى يقال ،
إن النية توجب تأقيت العقد ، وليست هي منافية لموجب
العقد ، فإن له أن يطلق .

ولو نوى بعقد الشراء إتلاف المبيع وإحراقه أو إغراقه لم
يقدر في صحة البيع ، فنية الطلاق أولى ، وأيضا فالقصد لا

يقدر في اقتضاء السبب لحكمه ؛ لأنه خارج عما يتم به
العقد ، ولهذا من اشترى عصيرا ومن نيته أن يتخذه خمرا ، أو
جارية ومن نيته أن يكرهها على البغاء أو يجعلها مغنية ، أو
سلاحا ومن نيته أن يقتل به معصوما ، فكل ذلك لا أثر له في
صحة البيع من جهة أنه منقطع عن السبب ، فلا يخرج السبب
عن اقتضاء حكمه .

الفرق بين القصد والإكراه والشرط المفارق :

وقد ظهر بهذا الفرق بين هذا القصد وبين الإكراه ، فإن
الرضا شرط في صحة العقد ، والإكراه ينافي الرضا ، وظهر
أيضا الفرق بينه وبين الشرط المقارن ، فإن الشرط المقارن
يقدر في مقصود العقد ، فغاية الأمر أن العاقد قصد محرما ،
لكن ذلك لا يمنع ثبوت الملك . كما لو تزوجها ليضار بها
امراة له أخرى ، ومما يؤيد ما ذكرنا أن النية إنما تعمل في اللفظ
المحتمل للمنوى وغيره ، مثل الكنايات ، ومثل أن يقول :
اشتريت كذا ، فإنه يحتمل أن يشتره لنفسه ولموكله ، فإذا نوى
أحدهما صح . فإذا كان السبب ظاهرا متعينا لمسيبه لم يكن
للنية الباطنة أثر في تغيير حكمه .

عن النية :

بوضحه أن النية لا تؤثر في اقتضاء الأسباب الحسية
والعقلية المستلزمة لمسيباتها ولا تؤثر النية في تغييرها ،
بوضحه أن النية إما أن تكون بمنزلة الشرط أو لا تكون ، فإن
كانت بمنزلة الشرط لزم أنه إذا نوى أن لا يبيع ما اشتراه ولا
يهبه ولا يتصرف فيه ، أو نوى أن يخرج عن ملكه ، أو نوى أن
لا يطلق الزوجة أو يبيت عندها كل ليلة أو لا يسافر عنها ،
بمنزلة أن يشترط ذلك في العقد ، وهو خلاف الإجماع ، وإن
لم تكن بمنزلة الشرط فلا تأثير له حينئذ .

لنا الظواهر والله السرائر :

وأيضا فنحن لنا ظواهر الأمور ، وإلى الله سرائرها وبواطنها ؛
ولهذا يقول الرسل لربهم تعالى يوم القيامة إذا سألهم : ﴿ ماذا
أجبتكم ﴾ ﴿ فيقولون لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب ﴾
[المائدة : ١٠٩] كان لنا ظواهرهم ، وأما ما انطوت عليه
ضمايرهم وقلوبهم فأنت العالم به .

زعمهم أنه ظهر عذرهم في الأخذ بالحيل :

قالوا : فقد ظهر عذرنا ، وقامت حاجتنا ، فتبين أننا لم نخرج

فيما أصلناه من اعتبار الظاهر، وعدم الالتفات إلى القصود في العقود، وإلغاء الشروط المتقدمة الخالي عنها العقد، والتحيل على التخلص من مضايق الأيمان وما حرمه الله ورسوله من الربا وغيره - عن كتاب ربنا وسنة نبينا وأقوال السلف الطيب.

زعمهم أن عند كل طائفة منكرا عليهم ما يجيز الحيل : ولنا بهذه الأصول رهن عند كل طائفة من الطوائف المنكرة علينا .

الحيل عند الشافعية :

قلنا عند الشافعية رهون كثيرة في عدة مواضع ، وقد سلموا لنا أن الشرط المتقدم على العقد ملغى ، وسلموا لنا أن القصود غير معتبرة في العقود ، وسلموا لنا جواز التحيل على إسقاط الشفعة ، وقالوا : يجوز التحيل على بيع المعدوم من الثمار فضلا عما لم يبد صلاحه بأن يؤجره الأرض ويساقه على الثمر من كل ألف جزء على جزء ، وهذا نفس الحيلة على بيع الثمار قبل وجودها ، فكيف تنكرون علينا التحيل على بيعها قبل بدو صلاحها وهل مسألة العينة إلا ملك باب الحيل ؟ وهم يطلون الشركة بالعروض ثم يقولون : الحيلة في جوازها أن يبيع كل منهما نصف عرضه لصاحبه ، فيصيران شريكين حيثئذ بالفعل ، ويقولون : لا يصح تعليق الوكالة بالشرط والحيلة على جوازها أن يوكله الآن ويعلق تصرفه بالشرط ، وقولهم في الحيل على عدم الحنث بالمسألة السريجية معروف ، وكل حيلة سواء محلل بالنسبة إليه ؛ فإن هذه المسألة حيلة على أن يحلف دائما بالطلاق ويحنث ولا يقع عليه الطلاق أبدا .

الحيل عند المالكية :

وأما المالكية فهم من أشد الناس إنكارا علينا للحيل ، وأصولهم تخالف أصولنا في ذلك ؛ إذ عندهم أن الشرط كالمقارن ، والشرط العرفي كاللفظي ، والقصود في العقود معتبرة ، والذرائع يجب سدها ، والتغريب الفعلي كالتغريب القولي ، وهذه الأصول تسد باب الحيل سدا محكما . ولكن قد علقنا لهم برهون نطالبهم بفكها أو بموافقتهم لنا على ما أنكروه علينا ، فجوزوا التحيل على إسقاط الشفعة ، وقالوا : لو تزوجها ومن نيته أن يقيم معها سنة صح النكاح ، ولم تعمل هذه النية في فساد .

الحيل عند الحنابلة :

وأما الحنابلة فبيننا وبينهم معترك النزاع في هذه المسائل ؛ فإنهم هم الذين شنوا علينا الغارات ، ورمونا بكل سلاح من الأثر والنظر ، ولم يراعوا لنا حرمة ، ولم يرقبوا فينا إلا ولا ذمة .

وقالوا : لو نصب شباكا للصيد قبل الإحرام ثم أخذ ما وقع فيها حال الإحرام بعد الحل جاز . وبالله العجب ! أى فرق بين هذه الحيلة وحيلة أصحاب السبت على الحيتان ؟ وقالوا : لو نوى الزوج الثاني أن يحلها للأول ولم يشترط ذلك جاز وحلت له ؛ لأنه لم يشترط ذلك في العقد ، وهذا تصريح بأن النية لا تؤثر في العقد .

وقالوا : لو تزوجها ومن نيته أن يقيم شهرا ثم يطلقها صح العقد ، ولم تكن نية التوقيت مؤثرة فيه ، وكلامهم في باب المخارج من الأيمان بأنواع الحيل معروف ، وعنا تلقوه ، ومنا أخذوه .

وقالوا : لو حلف أن لا يشتري منه ثوبا فاتهبه منه وشرط له العوض لا يحنث . وقالوا بجواز مسألة التورق وهي شقيقة مسألة العينة ؛ فأى فرق بين مصير السلعة إلى البائع وبين مصيرها إلى غيره ؟ ! بل قد يكون عودها إلى البائع أرفق بالمشتري وأقل كلفة عليه وأرفع لخسارته وتعبه .

فكيف تحرمون الضرر اليسير وتبيحون ما هو أعظم منه والحقيقة في الموضوعين واحدة وهي عشرة بخمسة عشر وبينهما حرية رجعت في إحدى الصورتين إلى مالكا وفي الثانية إلى غيره ؟

وقالوا : لو حلف بالطلاق لا يزوج عبده بأمته أبدا ثم أراد تزويجه بها ولا يحنث فإنه يبيع العبد والجارية من رجل ثم يزوجهما المشتري ثم يستردهما ، قال القاضي : وهذا غير ممتنع على أصلنا ؛ لأن عقد النكاح قد وجد في حال زوال ملكه عنهما ، ولا يتعلق باستدامة العقد بعد أن ملكهما ؛ لأن التزويج عبارة عن العقد وقد انقضى وإنما بقي حكمه فلم يحنث باستدامة حكمه .

وقالوا : لو كان له عليه مال وهو محتاج فأحب أن يدعه له من زكاته فالحيلة أن يتصدق عليه بذلك القدر ثم يقبضه منه ، ثم قالوا ، فإن كان له شريك فيه فخاف أن يخاصمه فيه فالحيلة أن يهب المطلوب للطالب مالا بقدر حصة الطالب

عليه بالقرض فتسليمه إلى رب المال مضاربة كتسليم مال له آخر.

وحيلة أخرى، وهى أن يقرض رب المال المضارب ما يريد دفعه إليه ثم يخرج من عنده درهما واحدا، فيشاركه على أن يعمل بالمالين جميعا على أن ما رزقه الله فهو بينهما نصفين، فإن عمل أحدهما بالمال بإذن صاحبه فربح كان الربح بينهما على ما شرطاه، وإن خسر كان الخسران على قدر المالين، على رب المال بقدر الدرهم وعلى المضارب بقدر رأس المال، وإنما جاز ذلك لأن المضارب والملزم نفسه الضمان بدخوله فى القرض.

وقالوا: لا تجوز المضاربة على العرض، فإن كان عنده عرض فأراد أن يضارب عليه فالحيلة فى جوازه أن يبيعه العرض ويقبض ثمنه فيدفعه إليه مضاربة ثم يشتري المضارب ذلك المتاع بالمال.

وقالوا: لو حلفته امرأته أن كل جارية يشتريها فهى حرة، فالحيلة فى جواز الشراء ولا تعتق أن يعنى بالجارية السفينة ولا تعتق، وإن لم تحضره هذه النية وقت اليمين فالحيلة أن يشتريها صاحبه ويهبه إياها ثم يهبه نظير الثمن.

وقالوا: لو حلفته أن كل امرأة يتزوجها عليها فهى طالق، وخاف من هذه اليمين عند من يصحح هذا التعليق فالحيلة أن ينوى كل امرأة أتزوجها على طلاقك: أى يكون طلاقك صداقها، أو كل امرأة أتزوجها على رقبتك: أى تكون رقبتك صداقها، فهى طالق، فلا يحث بالتزويج على غير هذه الصفة.

وقالوا: لو أراد أن يصرف دنائير بدراهم ولم يكن عند الصيرفى مبلغ الدراهم وأراد أن يصبر عليه بالباقي لم يجز، والحيلة فيه أن يأخذ ما عنده من الدراهم بقدر صرفه ثم يقرضه إياها فيصرف بها الباقي، فإن لم يعرف فعل ذلك مرارا حتى يستوفى صرفه، ويصير ما أقرضه دينا عليه، لا أنه عوض الصرف.

وقالوا: لو أراد أن يبيعه دراهم بدنانير إلى أجل لم يجز، والحيلة فى ذلك أن يشتري منه متاعا وينقده ثمنه ويقبض المتاع، ثم يشتري البائع منه ذلك المتاع بدنانير إلى أجل، والتأجيل جائز فى ثمن المتاع.

مما له عليه ويقبضه منه للطالب ثم يتصدق للطالب على المطلوب بما وهبه له ويحتسب بذلك من زكاته ثم يهب المطلوب ماله عليه من الدين ولا يضمن الطالب لشريكه شيئا؛ لأن هبة الدين لمن فى ذمته براءة وإذا أبرأ أحد الشريكين الغريم من نصيبه لم يضمن لشريكه شيئا، وإنما يضمن إذا حصل الدين فى ضمانه.

وقالوا (أى الحنابلة): لو أجره الأرض بأجرة معلومة وشرط عليه أن يؤدى خراجها لم يجز؛ لأن الخراج على المالك لا على المستأجر، والحيلة فى جوازه أن يؤجره إياها بمبلغ يكون زيادته بقدر الخراج ثم يأذن له أن يدفع فى خراجها ذلك القدر الزائد على أجرتها. قالوا: لأنه متى زاد مقدار الخراج على الأجرة حصل ذلك دينا على المستأجر، وقد أمره أن يدفعه إلى مستحق الخراج وهو جائز.

وقالوا: ونظير هذا أن يؤجره دابة ويشترط علفها على المستأجر لم يجز. والحيلة فى جوازه هكذا سواء، يزيد فى الأجرة ويؤكله أن يعلف الدابة بذلك القدر الزائد.

وقالوا: ولا يصح استئجار الشجرة للثمرة، والحيلة فى ذلك يؤجره الأرض ويساقبه على الثمرة من كل ألف جزء جزء مثلا.

وقالوا: لو وكله أن يشتري له جارية معينة بثمن معين دفعه إليه، فلما رآها أراد شراءها لنفسه، وخاف أن يحلفه أنه إنما اشتراها بمال الموكل له، وهو وكيله، فالوجه أن يعزل نفسه عن الوكالة، ثم يشتريها بثمن فى ذمته، ثم ينقد ما معه من الثمن، ويصير لموكله فى ذمته نظيره.

قالوا: وأما نحن فلا تأتى هذه الحيلة على أصولنا؛ لأن الوكيل لا يملك عزل نفسه إلا بحضرة موكله.

قالوا: وقد قالت الحنابلة أيضا: لو أراد إجارة أرض له فيها زرع لم يجز، والحيلة فى جوازه أن يبيعه الزرع ثم يؤجره الأرض، فإن أراد بعد ذلك أن يشتري منه الزرع جاز.

وقالوا: لو شرط رب المال على المضارب ضمان مال المضاربة لم يصح والحيلة فى صحته أن يقرضه المال فى ذمته ثم يقبضه المضارب منه، فإذا قبضه دفعه إلى مالكة الأول مضاربة ثم يدفعه رب المال إلى المضارب بضاعة. فإن توى (أى هلك) فهو من ضمان المضارب؛ لأنه قد صار مضمونا

وقالوا: لو مات رب المال بعد أن قبض المضارب المال انتقل إلى ورثته، فلو اشترى المضارب به بعد ذلك متاعاً ضمن؛ لأنه تصرف بعد بطلان الشركة. والحيلة في تخلص المضارب من ذلك أن يشهد رب المال أن حصته من المال الذي دفعه إليه مضاربة لولده، وأنه مقارض إلى هذا الشريك بجميع ما تركه، وأمره أن يشتري لولده ما أحب في حياته، وبعد وفاته، فيجوز ذلك؛ لأن المانع منه كونه متصرفاً في ملك الغير بغير وكالة ولا ولاية، فإذا أذن له في التصرف برىء من الضمان، وإن كانت هذه الحيلة إنما تتم إذا كان الورثة أولاداً صغاراً.

وقالوا: لو صالح عن المؤجل بيعه حالاً لم يصح، والحيلة في تصحيحه أن يفسخ العقد الذي وقع على المؤجل ويجعله بذلك القدر الحال.

وقالوا: لو لبس المتوضىء أحد الخفين قبل غسل الرجل الأخرى ثم غسل الأخرى، ولبس عليها لم يجز المسح؛ لأنه لم يلبس على كمال الطهارة، والحيلة في جواز المسح أن يخلع هذه الفردة الثانية ثم يلبسها.

قالوا: ولو أوصى لرجل بخدمة عبده أو بما في بطن أمته جاز، فلو أراد الورثة شراء خدمة العبد أو ما في بطن الأمة من الموصى له لم يجز، والحيلة في جوازه أن يصالحوه عن الموصى به على ما يبذلونه له فيجوز، وإن لم يجز البيع فإن الصلح يجوز فيه ما لا يجوز في البيع.

قالوا: ولا تجوز الشركة بالعروض، فإن كان لأحدهما عرض يساوي خمسة آلاف درهم وللآخر عرض يساوي ألفاً فأحب أن يشتركا في العرضين، فالحيلة أن يشتري صاحب العرض الذي قيمته خمسة آلاف من الآخر خمسة أسداس عرضه سدس عرضه هو؛ فيصير للذي يساوي عرضه ألفاً سدس جميع المال، وللآخر خمسة أسداسه؛ لأن جميع مالهما ستة آلاف، وقد حصل كل واحد من العرضين بهذه الشركة بينهما أسداساً، خمسة أسداسه لأحدهما وسدسه للآخر، فإذا هلك أحدهما هلك على الشركة.

قالوا: ولا تقبل شهادة الموكل لموكله فيما هو وكيله فيه، فلو لم يكن له شاهد غيره وخاف ضياع حقه فالحيلة أن يعز له حتى يشهد له ثم يوكله بعد ذلك إن أراد.

قالوا: ولو أعتق عبده في مرضه، وثلثه يحتمله، وخاف عليه من الورثة أن يجحدوا المال ويرثوا ثلثه، فالحيلة أن يدفع إليه مالا يشتري نفسه منه بحضرة شهود، ويشهدون أنه قد أقبضه المال، وصار العبد حراً.

قالوا: وكذلك الحيلة لو كان لأحد الورثة دين على الموروث، وليست له به بينة، فأراد بيعه العبد بدينه الذي له عليه فعل مثل ذلك سواء.

قالوا: ولو قال: أوصيت إلى فلان، وإن لم يقبل فإلى فلان، وخاف أن تبطل الوصية على مذهب من لا يرى جواز تعليق الولاية بالشرط، فالحيلة أن يقول «فلان وفلان وصيان، فإن لم يقبل أحدهما وقبل الآخر فالذي قبل هو الوصي» فيجوز على قول الجميع؛ لأنه لم يعلق الولاية بالشرط.

قالوا: ولو أراد ذمي أن يُسلم وعنده خمر كثير، فخاف أن يذهب عليه بالإسلام؛ فالحيلة أن يبادر ببيعها من ذمي آخر ثم يسلم، فإنه يملك تقاضيه بعد الإسلام، فإن بادر الآخر وأسلم لم يسقط عنه ذلك، وقد نص عليه الإمام أحمد في مجوسى باع مجوسياً خمراً ثم أسلم ما يأخذ الثمن، قد وجب له يوم باعه،

قال أرباب الحيل: فهذا رهن الفرق عندنا بأنهم قالوا بالحيل وأفتوا بها، فماذا تنكرون علينا بعد ذلك وتشنعون؟ ومثالنا ومثالهم في ذلك كقوم وجدوا كنزاً فأصاب كل منهم طائفة منه في يديه، فمستقل ومستكثر، ثم أقبل بعض الآخذين ينقم على بقيتهم، وما أخذه من الكنز في يديه، فليرم بما أخذ منه ثم لينكر على الباقيين.

جواب المبطلين للحيل عما سبق:

قال المبطلون للحيل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فسبحان الله الذي فرض الفرائض، وحرم المحارم، وأوجب الحقوق رعاية لمصالح العباد في المعاش والمعاد، وجعل شريعته الكاملة قيساً للناس وغذاء لحفظ حياتهم، ودواء لدفع أدوائهم، وظله الظليل الذي من استظل به أمن من الحرور، وحصنه الحصين الذي من دخله نجا من الشرور.

فتعالى شارع هذه الشريعة الفاتكة لكل شريعة أن يشرع فيها الحيل التي تسقط فرائضه، وتحل محارمه، وتبطل حقوق

عباده، ويفتح للناس أبواب الاحتيال وأنواع المكر والخداع، وأن يبيح التوصل بالأسباب المشروعة إلى الأمور المحرمة الممنوعة، وأن يجعلها مضغعة لأفواه المحتالين، وعرضة لأغراض المخادعين الذين يقولون ما لا يفعلون، ويظهرون خلاف ما يبتغون، ويرتكبون العيب الذي لا فائدة فيه سوى ضحكة الضاحكين وسخرية الساخرين، فيخادعون الله كما يخادعون الصبيان، ويتلاعبون بحدوده كتلاعب المُجَّان، فيحرمون الشيء ثم يستحلونه إياه بعينه بأدنى الحيل.

ويسلكون إليه نفسه طريقا توهم أن المراد غيره وقد علموا أنه هو المراد لا غيره، ويسقطون الحقوق التي وصى الله بحفظها وأدائها بأدنى شيء، ويفرقون بين متماثلين من كل وجه لاختلافهما في الصورة أو الاسم أو الطريق الموصول إليهما، ويستحلون بالحيل ما هو أعظم فسادا مما يحرمونه ويسقطون بها ما هو أعظم وجوبا مما يوجبونه.

كمال الشريعة الإلهية وعظمتها وأثرها: والحمد لله الذي نزه شريعته عن هذا التناقض والفساد، وجعلها كفيلة وافية بمصالح خلقه في المعاش والمعاد، وجعلها من أعظم آياته الدالة عليه، ونصبها طريقا مرشدا لمن سلكه إليه؛ فهو نوره المبين، وحصنه الحصين، وظله الظليل، وميزانه الذي لا يعول.

لقد تعرف بها إلى ألَبَّاء عباده غاية التعرف، وتحجب بها إليهم غاية التحجب، فأنسوا بها منه حكمته البالغة، وتمت بها عليهم منه نعمة السابغة.

ولا إله إلا الله الذي في شرعه أعظم آية تدل على تفرد به الإلهية وتوحيده بالربوبية، وأنه الموصوف بصفات الكمال، المستحق لعسوت الجلال، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وله المثل الأعلى، فلا يدخل السوء في أسمائه ولا النقص والعيب في صفاته، ولا العيب ولا الجور في أفعاله، بل هو منزّه في ذاته وأوصافه وأفعاله وأسمائه عما يضاد كماله بوجه من الوجوه. تبارك اسمه، وتعالى جده، وبهرت حكمته، وتمت نعمته، وقامت على عباده حجته.

والله أكبر كبيرا أن يكون في شرعه تناقض واختلاف، فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا، بل هي شريعة مؤتلفة النظام، متعادلة الأقسام، مبرأة من كل نقص،

مطهرة من كل دنس، مسلمة لا شية فيها، مؤسسة على العدل والحكمة، والمصلحة والرحمة، قواعدها ومبانيها، إذا حرمت فسادا حرمت ما هو أولى منه أو نظيره، وإذا رعت صلاحا رعت ما هو فوقه أو شبهه.

فهى صراطه المستقيم الذي لا أمت فيه ولا عوج، وملته الحنيفية السمحة التي لا ضيق فيها ولا حرج، بل هي حنيفية التوحيد سمحة العمل لم تأمر بشيء فيقول العقل لو نهت عنه لكان أوفق، ولم تنه عن شيء فيقول الحجة لو أباحت لكان أرفق، بل أمرت بكل صلاح، ونهت عن كل فساد، وأباحت كل طيب، وحرمت كل خبيث.

فأوامرها غذاء ودواء، ونواهيها حمية وصيانة، وظاهرها زينة لباطنها، وباطنها أجمل من ظاهرها، شعارها الصدق، وقوامها الحق، وميزانها العدل، وحكمها الفصل، لا حاجة بها ألَبَّة إلى أن تكمل بسياسة ملك، أو رأى، أو قياس فقيه، أو ذوق ذي رياضة، أو مقام ذي دين وصلاح، بل لهؤلاء كلهم أعظم الحاجة إليها، ومن وفق منهم للصواب فلاعتماده وتعويله عليها.

فقد أكملها الذي أتم نعمته علينا بشرعها قبل سياسات الملوك، وحيل المتحيلين، وأقيسة القياسيين، وطرائق الخلافيين، وأين كانت هذه الحيل والأقيسة والقواعد المتناقضة والطرائق القدد وقت نزول قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة: ٣] وأين كانت يوم قوله ﷺ: «لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»؟

ويوم قوله ﷺ: «ما تركت من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم عن النار إلا أعلمتكموه»؟

أين كانت عند قول أبي ذر: لقد توفي رسول الله - ﷺ - وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما، وعند قول القائل لسلمان: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، فقال: أجل؟ فأين علمهم الحيل والمخادعة والمكر وأرشدهم إليه ودلهم عليه؟

كلا والله! بل حذرهم أشد التحذير، وأوعدهم عليه أشد الوعيد، وجعله منافيا للإيمان، وأخبر عن لعنة لما ارتكبه،

أجوبة تفصيلية عن زعم أصحاب الحيل :

فصل : قالوا : ونحن نذكر ما تمسكتكم به في تقرير الحيل والعمل بها، ونبين ما فيه، متحررين للعدل والإنصاف، منزهين لشريعة الله وكتابه وسنة رسوله عن المكر والخداع والاحتيال المحرم، وتبين انقسام الحيل والطرق إلى ما هو كفر محض، وفسق ظاهر، ومكروه، وجائز، ومستحب، وواجب عقلا أو شرعا، ثم نذكر فصلا نبين فيه التعويض بالطرق الشرعية عن الحيل الباطلة، فنقول وبالله التوفيق وهو المستعان وعليه التكلان :

عن قصة أيوب :

أما قوله تعالى لنبيه أيوب عليه السلام : ﴿ وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث ﴾ [ص : ٤٤] فقال شيخنا : الجواب أن هذا ليس مما نحن فيه، فإن للفقهاء في موجب هذه اليمين في شرعنا قولين، يعني إذا حلف : ليضربن عبده أو امرأته ضربة، أحدهما : قول من يقول : موجبها الضرب مجموعا أو مفرقا، ثم منهم من يشترط مع الجمع الوصول إلى المضروب، فعلى هذا تكون هذه الفتيا موجب هذا اللفظ عند الإطلاق، وليس هذا بحيلة، إنما الحيلة أن يصرف اللفظ عن موطنه عند الإطلاق.

والقول الثاني : أن موجبة الضرب المعروف، وإذا كان هذا موجب في شرعنا لم يصح الاحتجاج علينا بما يخالف شرعنا من شرائع من قبلنا ؛ لأننا إن قلنا : ليس شرعا لنا مطلقا فظاهر، وإن قلنا : هو شرع لنا، فهو مشروط بعدم مخالفته لشرعنا، وقد انتفى الشرط.

وأیضا، فمن تأمل الآية علم أن هذه الفتيا خاصة بالحكم؛ فإنها لو كانت عامة الحكم في حق كل أحد لم يخف على نبي كريم موجب يمينه، ولم يكن في اقتصاصها علينا كبير عبرة، فإنما يقص ما خرج من نظائره لنعبر به ونستدل به على حكمة الله فيما قصه علينا.

أما ما كان هو مقتضى العادة والقياس فلا يقص، ويدل على الاختصاص قوله تعالى : ﴿ إنا وجدناه صابرا ﴾ [ص : ٤٤] وهذه الجملة خرجت مخرج التعليل كما في نظائرها، فعلم أن الله سبحانه وتعالى إنما أفتاه بهذا جزاء له على صبره، وتخفيفا عن امرأته، ورحمة بها، لا أن هذا موجب

وقال لأمرته : لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود، فتستحلوا محارم الله تعالى بأدنى الحيل، وأغلق أبواب المكر والاحتيال، وسد الذرائع، وفصل الحلال من الحرام، وبين الحدود، وقسم شريعته إلى حلال بين وحرام بين وبرزخ بينهما.

فأباح الأول، وحرم الثاني، وحض الأمة على اتقاء الثالث خشية الوقوع في الحرام، وقد أخبر الله تعالى عن عقوبة المحتالين على حل ما حرمه عليهم، وإسقاط ما فرضه عليهم في غير موضع من كتابه.

قال أبو بكر الأجرى، وقد ذكر بعض الحيل الربوية التي يفعلها الناس : لقد مسخ اليهود قردة بدون هذا، وصدق، والله لاكل حوت صيد يوم السبت أهون عند الله، وأقل جُرما من أكل الربا الذي حرمه الله بالحيل والمخادعة ! ولكن كما قال الحسن : عجل لأولئك عقوبة تلك الأكلة الوخيمة وأرجئت عقوبة هؤلاء.

وقال الإمام أبو يعقوب الجوزجاني : وهل أصاب الطائفة من بنى إسرائيل المسخ إلا باحتيالهم على أمر الله بأن حفروا الحفائر على الحيتان في يوم سبتهم، فمنعوها الانتشار يومها إلى الأحاد فأخذوها.

وكذلك السلسلة التي كانت تأخذ بعنق الظالم فاحتال لها صاحب الدرة إذ صيرها في قصبة، ثم دفع القصبة إلى خصمه وتقدم إلى السلسلة ليأخذها فرفعت.

وقال بعض الأئمة : في هذه القصة مزجرة عظيمة للمتعاطين الحيل على المناهي الشرعية ممن تلبس بعلم الفقه وليس بفقيه، إذ الفقيه من يخشى الله عز وجل في الربويات، واستعارة التيس الملعون لتحليل المطلقات، وغير ذلك من العظائم والمصائب الفاضحات، التي لو اعتمدها مخلوق مع مخلوق لكان في نهاية القبح، فكيف بمن يعلم السر وأخفى الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور؟

وقال : وإذا وزن اللبيب بين حيلة أصحاب السبت والحيل التي يتعاطاها أرباب الحيل في كثير من الأبواب ظهر له التفاوت ومراتب المفسدة التي بينها وبين هذه الحيل، فإذا عرف قدر الشرع وعظمة الشارع وحكمته وما اشتمل عليه شرعه من رعاية مصالح العباد تبين له حقيقة الحال، وقطع بأن الله تعالى يتنزه ويتعالى أن يشرع لعبادة نقض شرعه وحكمته بأنواع الخداع والاحتيال.

هذه اليمين، وأيضا فإن الله سبحانه وتعالى إنما أفتاه بهذه الفتيا لثلاثي يحنث، كما أخبر تعالى.

لم تكن كفارة اليمين مشروعة في أول الإسلام:

وهذا يدل على أن كفارة الأيمان لم تكن مشروعة بتلك الشريعة، بل ليس في اليمين إلا البر والحنث، كما هو ثابت في نذر التبرر في شريعتنا، وكما كان في أول الإسلام، قالت عائشة رضي الله عنها: لم يكن أبو بكر يحنث في يمين، حتى أنزل الله كفارة اليمين، فدل على أنها لم تكن مشروعة في أول الإسلام.

عود إلى قصة أيوب:

وإذا كان كذلك صار كأنه قد نذر ضربها، وهو نذر لا يجب الوفاء به، لما فيه من الضرر عليها، ولا يغني عنه كفارة يمين، لأن تكفير النذر فرع عن تكفير اليمين، فإذا لم تكن كفارة النذر إزاء مشروعة فكفارة اليمين أولى، وقد علم أن الواجب بالنذر يحتذى به حذو الواجب بالشرع.

وإذا كان الضرب الواجب بالشرع يجب تفريقه إذا كان المضروب صحيحا ويجوز جمعه إذا كان المضروب مريضا مأیوسا منه عند الكل أو مريضا على الإطلاق عند بعضهم، كما ثبتت بذلك السنة عن رسول الله ﷺ، جاز أن يقام الواجب بالنذر مقام ذلك عند العذر، وقد كانت امرأة أيوب عليه السلام ضعيفة عن احتمال مائة الضرب التي حلف أن يضربها إياها، وكانت كريمة على ربها، فخفف عنها برحمته الواجب باليمين بأن أفتاه بجمع الضربات بالضغث كما خفف عن المريض.

عن النذر في الإسلام:

ألا ترى أن السنة قد جاءت فيمن نذر الصدقة بجميع ماله أنه يجزيه الثلث، فأقام الثلث في النذر مقام الجميع رحمة بالناذر وتخفيفا عنه، كما أقيم مقامه في الوصية رحمة بالوارث ونظرا له.

وجاءت السنة فيمن نذرت الحج ماشية أن تركب وتهدي، إقامة لترك بعض الواجب بالنذر مقام ترك الواجب بالشرع في المناسبات عند العجز عنه كطواف الوداع عن الحائض.

وأفتى ابن عباس وغيره من نذر ذبح ابنه بشاة، إقامة لذبح الشاة مقام ذبح الابن، كما شرع ذلك للخليل.

أفتى أيضا من نذر أن يطوف على أربع بأن يطوف أسبوعين، إقامة لأحد الأسبوعين مقام طواف اليدين.

وأفتى أيضا هو وغيره من الصحابة - رضي الله عنهم - المريض الميئوس منه والشيخ الكبير الذي لا يستطيع الصوم بأن يقطرا ويطعما كل يوم مسكينا، إقامة للإطعام مقام الصيام.

وأفتى أيضا هو وغيره من الصحابة الحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما أن تظفرا وتطعما كل يوم مسكينا، إقامة للإطعام مقام الصيام، وهذا كثير جدا.

وغير مستنكر في واجبات الشريعة أن يخفف الله تعالى الشيء منها عند المشقة بفعل ما يشبهه من بعض الوجوه كما في الأبدال وغيرها، لكن مثل قصة أيوب لا يحتاج إليها في شرعنا؛ لأن الرجل لو حلف ليضربن أمته أو امرأته مائة ضربة أمكنه أن يكفر عن يمينه من غير احتياج إلى حيلة وتخفيف الضرب بجمعه، ولو نذر ذلك فهو نذر معصية فلا شيء عليه عند طائفة، وعند طائفة عليه يمين كفارة.

وأيضا فإن المطلق من كلام الأديمين محمول على ما فسر به المطلق من كلام الشارع خصوصا في الأيمان؛ فإن الرجوع فيها إلى عرف الخطاب شرعا أو عادة أولى من الرجوع إلى موجب اللفظ في أصل اللغة، والله سبحانه وتعالى قد قال: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ [النور: ٢] وقال: ﴿والذين يرمون المحصنات، ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ [النور: ٤].

وفهم الصحابة والتابعون، ومن بعدهم من ذلك أنه ضربات متعددة متفرقة لا مجموعة، إلا أن يكون المضروب معذورا عذرا لا يرجي زواله، فإنه يضرب ضربا مجموعا، وإن كان يرجي زواله فهل يؤخر إلى الزوال، أو يقام عليه مجموعا؟ فيه خلاف بين الفقهاء.

فكيف يقال: إن الحالف ليضربن موجبة يمينه هو الضرب المجموع مع صحة المضروب وقوته؟ فهذه الآية هي أقوى ما يعتمد عليه أرباب الحيل، وعليها بنوا حيلهم، وقد ظهر بحمد الله أنه لا متمسك لهم فيها ألبتة.

الكلام عن حيلة يوسف:

فصل: وأما إخباره سبحانه وتعالى عن يوسف عليه السلام

أنه جعل صواعه في رحل أخيه ليتوصل بذلك إلى أخذه وكيد إخوته ، فنقول لأرباب الحيل :

أولاً : هل تجوزون أنتم مثل هذا حتى يكون حجة لكم ؟ وإلا فكيف تحتجون بما لا تجوزون فعله ؟! فإن قلتم : فقد كان جائزاً في شريعته ، قلنا : وما ينفعكم إذا لم يكن جائزاً في شرعنا ؟

قال شيخنا رضى الله عنه : ومما قد يظن أنه من جنس الحيل التي بينا تحريمها وليس من جنسها قصة يوسف حين كاد الله له في أخذ أخيه كما قص ذلك تعالى في كتابه ، فإن فيه ضروبا من الحيل الحسنة (شيخنا : هو شيخنا الإسلام ابن تيمية في فتاويه من ص ٢٠٩ ج ٣ فتاوى . نشر دار الكتب الحديثية) قالت المؤلفة : طبعت دار الغد العربي «الفتاوى» الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨ .

جعل بضاعتهم في رحالهم :

أحدهما : قوله لفتيانہ : ﴿اجعلوا بضاعتهم في رحاله لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون﴾ [يوسف : ٦٢] فإنه تسبب بذلك إلى رجوعهم ، وقد ذكروا في ذلك معاني : منها أنه تخوف أن لا يكون عندهم ورق يرجعون بها ، ومنها أنه خشى أن يضر أخذ الثمن بهم ، ومنها أنه رأى لوما إذا أخذ الثمن منهم .

ومنها أنه أراهم كرمه في رد البضاعة ليكون أدعى لهم إلى العود ، ومنها أنه علم أن أمانتهم تحوجهم إلى العود ليردوها إليه ، فهذا المحتال به عمل صالح ، والمقصود رجوعهم ومجىء أخيه ، وذلك أمر فيه منفعة لهم ولأبيهم وله ، وهو مقصود صالح ، وإنما لم يعرفهم نفسه لأسباب آخر فيها أيضا منفعة لهم وله ولأبيهم ، وتمايم لما أراد الله بهم من الخير في البلاد .

جعله السقاية في رحل أخيه :

الضرب الثاني : أنه في المرة الثانية لما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ، وهذا القدر تضمن إيهام أن أخاه سارق ، وقد ذكروا أن هذا كان بمواطأة من أخيه ورضا منه بذلك ، والحق له في ذلك وقد دل على ذلك قوله تعالى : ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾ [يوسف : ٦٩] .

وفيه قولان ؛ أحدهما : أنه عرفه أنه يوسف ووطنه على عدم الابتئاس بالحيلة التي فعلها في أخذه منهم ، والثاني أنه لم يصرح له بأنه يوسف ، وإنما أراد : إني مكان أخيك المفقود ، فلا تبتئس بما يعاملك به إخوتك من الجفاء .

ومن قال هذا قال : إنه وضع السقاية في رحل أخيه والأخ لا يشعر ، ولكن هذا خلاف المفهوم من القرآن ، وخلاف ما عليه الأكثرون ، وفيه ترويع لمن لم يستوجب الترويع . وأما على القول الأول فقد قال كعب وغيره : لما قال له إني أنا أخوك ، قال : (بن يامين) فأنا لا أفارقك ، قال يوسف : فقد علمت اغتنام والدى بى ، فإذا حبستك ازداد غمه ، ولا يمكننى هذا إلا بعد أن أشهرك بأمر فظيع ، وأنسبك إلى ما لا يحتمل .

قال : لا أبالى فافعل ما بدا لك فإنى لا أفارقك ، قال : فإنى أؤس صواعى هذا في رحلك ، ثم أنادى عليك بالسرقة ، ليتيها لى ردك بعد تسريحك ، قال : فافعل ، وعلى هذا ، فهذا التصرف إنما كان بإذن الأخ ورضاه .

موقف عدى بن حاتم حين هم قومه بالردة .

ومثل هذا النوع ما ذكر أهل السير عن عدى بن حاتم أنه لما هم قومه بالردة بعد رسول الله ﷺ كفهم عن ذلك ، وأمرهم بالتربص ، وكان يأمر ابنه إذا رعى إبل الصدقة أن يبعد فإذا جاء خاصمه بين يدى قومه ، وهم بضربه ، فيقومون فيشفعون إليه فيه ، ويأمره كل ليلة أن يزداد بعدا .

فلما كان ذات ليلة أمره أن يبعد بها جدا ، وجعل ينتظره بعد ما دخل الليل وهو يلوم قومه على شفاعتهم فيه ومنعهم إياه من ضربه ، وهم يعتذرون عن ابنه ، ولا ينكرون إبطاءه ، حتى إذا انهار الليل ركب في طلبه فلحقه ، واستاق الإبل حتى قدم بها على أبى بكر رضى الله عنهما .

فكانت صدقات طيئ مما استعان بها أبو بكر في قتال أهل الردة . وكذلك في الحديث الصحيح أن عدياً قال لعمر رضى الله عنه (فى بعض الأمراء) : أما تعرفنى يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ، أعرفك ، أسلمت إذ كفروا ، ووفيت إذ غدروا ، وأقبلت إذ أدبروا ، وعرفت إذ أنكروا .

ومثل هذا قول الملكين لداود عليه السلام: ﴿خضمان بغى بعضنا على بعض﴾ إلى قوله: ﴿وعزنى فى الخطاب﴾ [ص: ٢٢، ٢٣] أى غلبنى فى الخطاب، ولكن تخريج هذا الكلام على المعاريض لا يكاد يتأتى، وإنما وجهه أنه كلام خرج على ضرب المثال؛ أى إذا كان كذلك فكيف الحكم بيننا.

ونظير هذا قول الملك للثلاثة الذين أراد الله أن يتليهم «مسكين وغريب وعابر سبيل، وقد تقطعت بى الجبال، ولا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك، فأسألك بالذى أعطاك هذا المال بعيرا أتبلغ به فى سفرى هذا» وهذا ليس بتعريض، وإنما هو تصريح على وجه ضرب المثال وإيهام أنى أنا صاحب هذه القضية، كما أوهم المكان داود أنهما صاحباً القصة ليتم الامتحان.

ولهذا قال نصر بن حاجب: سئل ابن عيينة عن الرجل يعتذر إلى أخيه من الشيء الذى قد فعله، ويحرف القول فيه ليرضيه، لم يأتهم فى ذلك؟ فقال: ألم تسمع قوله: ليس بكاذب من أصلح بين الناس يكذب فيه، فإذا أصلح بينه وبين أخيه المسلم خير من أن يصلح بين الناس بعضهم من بعض، وذلك إذا أراد به مرضاة الله، وكره أذى المؤمن، ويندم على ما كان منه، ويدفع شره عن نفسه، ولا يريد بالكذب اتخاذ المنزل عندهم ولا طمعا فى شيء يصيب منهم، لم يرخص فى ذلك، ورخص له إذا كره موجدتهم وخاف عداوتهم.

قال حذيفة: إني أشتري ديني بعضه ببعض مخافة أن أقدم على ما هو أعظم منه. قال سفيان: وقال الملكان: ﴿خضمان بغى بعضنا على بعض﴾ [ص: ٢٢] أراد معنى شيء، ولم يكونا خصمين، فلم يصيرا بذلك كاذبين، وقال إبراهيم: ﴿إني سقيم﴾ [الصافات: ٨٩]، وقال ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ [الأنبياء: ٦٣] وقال يوسف: ﴿إنكم لسارقون﴾ [يوسف: ٧٠] فبين سفيان أن هذا من المعاريض المباحة.

فصل: وقد احتج بعض الفقهاء بقصة يوسف على أنه جائز للإنسان التوصل إلى أخذ حقه من الغير بما يمكنه الوصول إليه بغير رضا من عليه الحق.

قال شيخنا رضى الله عنه: وهذه الحجة ضعيفة؛ فإن

ومثل هذا ما أذن فيه النبى ﷺ للوفد الذين أرادوا قتل كعب ابن الأشرف أن يقولوا، وأذن للحجاج بن علاط عام خير أن يقول وهذا كله من الاحتياال المباح؛ لكون صاحب الحق قد أذن فيه ورضى به، والأمر المحتال عليه طاعة لله، وأمر مباح. عود إلى قصة يوسف:

الضرب الثالث: أنه أذن مؤذن ﴿أيتها العير إنكم لسارقون﴾ قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون؟ قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير، وأنا به زعيم﴾ [٧٠-٧٢] إلى قوله: ﴿قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين﴾ قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين﴾ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله﴾ [يوسف: ٧٤-٧٦].

وقد ذكروا فى تسميتهم سارقين وجهين، أحدهما: أنه من باب المعاريض وأن يوسف نوى بذلك أنهم سرقوه من أبيه حيث غيبوه عنه بالحيلة التى احتالوا عليه، وخانوه فيه، والخائن يسمى سارقاً، وهو من الكلام المرموز، ولهذا يسمى خونة الدواوين: لصوصاً.

الثانى: أن المنادى هو الذى قال ذلك من غير أمر يوسف، قال القاضى أبو يعلى وغيره: أمر يوسف بعض أصحابه أن يجعل الصواع فى رحل أخيه، ثم قال بعض الموكلين وقد فقدوه ولم يدرك من أخذه: ﴿أيتها العير إنكم لسارقون﴾ على ظن منهم أنهم كذلك، من غير أمر يوسف لهم بذلك، أو لعل يوسف قد قال للمنادى: هؤلاء سرقوا، وعنى أنهم سرقوه من أبيه، والمنادى فهم سرقة الصواع فصدق يوسف فى قوله، وصدق المنادى.

وتأمل حذف المفعول فى قوله ﴿إنكم لسارقون﴾ ليصح أن يضمن سرقتهم ليوسف فيتم التعريض، ويكون الكلام صدقاً، وذكر المفعول فى قوله: ﴿نفقد صواع الملك﴾ وهو صادق فى ذلك، فصدق فى الجملتين معاً تعريضاً وتصريحاً، تأمل قول يوسف: ﴿معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده﴾ ولم يقل إلا من سرق، وهو أخصر لفظاً، تحريماً للصدق، فإن الأخ لم يكن سارقاً بوجه، وكان المتاع عنده حقاً؛ فالكلام من أحسن المعاريض وأصدقها.

وأكد كيدا ﴿[الطارق: ١٥، ١٦] وفي قوله تعالى: ﴿ومكروا مكرا ومكرنا مكرا﴾ [النمل: ٥٠] وفي قوله تعالى: ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقد قيل: إن تسمية ذلك مكرا وكيدا واستهزاء وخداعا من باب الاستعارة ومجاز المقابلة نحو: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ [الشورى: ٤٠] ونحو قوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ [البقرة: ١٩٤].

وقيل وهو أصوب: بل تسميته بذلك حقيقة على بابه، فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفى، وكذلك الكيد والمخادعة، ولكنه نوعان: قبيح، وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه، وحسن وهو إيصاله إلى مستحقه عقوبة له، فالأول مذموم والثاني: ممدوح، والرب تعالى إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلا منه وحكمة، وهو تعالى يأخذ الظالم والفاجر من حيث لا يحتسب لا كما يفعل الظلمة بعباده، وإنما السيئة فهي فيعلة مما يسوء، ولا ريب أن العقوبة تسوء صاحبها، فهي سيئة له حسنة من الحكم العدل.

ما كيد به ليوسف:

وإذا عرفت ذلك فيوسف الصديق كان قد كيد غير مرة: أولها أن إخوته كادوا به كيدا حيث احتالوا به في التفريق بينه وبين أبيه، ثم إن امرأة العزيز كادته بما أظهرت أنه راودها عن نفسها ثم أودع السجن، ثم إن النسوة كادوه حتى استعاذ بالله من كيد من فصره عنه، وقال له يعقوب: ﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا﴾ [يوسف: ٥] وقال الشاهد لامرأة العزيز: ﴿إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾ [يوسف: ٢٨] وقال تعالى في حق النسوة: ﴿فاستجاب له ربه فصره عنه كيدهن﴾ [يوسف: ٣٤]، وقال للرسول: ﴿ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة السلاتى قطعن أيديهن إن ربي يكيدهن عليهن﴾ [يوسف: ٥٠].

فكاد الله له أحسن كيد والطفه وأعدله، بأن جمع بينه وبين أخيه، وأخرجه من أيدي إخوته بغير اختيارهم كما أخرجوا يوسف من يد أبيه بغير اختياره، وكاد له عوض كيد المرأة بأن أخرجه من ضيق السجن إلى فضاء الملك، ومكنه في الأرض يتبوا منها حيث يشاء، وكاد له في تصديق النسوة اللاتى كذبته وراودنه حتى شهدن ببراءته وعفته، وكاد له في تكذيب امرأة

يوسف لم يكن يملك حبس أخيه عنده بغير رضاه، ولم يكن هذا الأخ ممن ظلم يوسف حتى يقال إنه قد اقتصر منه، وإنما سائر الإخوة هم الذين كانوا قد فعلوا ذلك، نعم تخلفه عنده كان يؤذيهم من أجل تأذى أبيهم، والميثاق الذى أخذه عليهم، وقد استثنى فى الميثاق بقوله: ﴿إلا أن يحاط بكم﴾ [يوسف: ٦٦].

وقد أحيط بهم، ولم يكن قصد يوسف باحتباس أخيه الانتقام من إخوته، فإنه كان أكرم من هذا، وكان فى ضمن ذلك من الإيذاء لأبيه أعظم مما فيه من إيذاء إخوته، وإنما هو أمر أمره الله به؛ ليلغ الكتاب أجله، ويتم البلاء الذى استحق به يعقوب ويوسف كمال الجزاء، وتبلغ حكمة الله التى قضاهما لهم نهايتها.

ولو كان يوسف قصد القصاص منهم بذلك فليس هذا موضع الخلاف بين العلماء، فإن الرجل له أن يعاقب بمثل ما عوقب به.

وإنما موضع الخلاف: هل يجوز له أن يسرق أو يخون من سرقه أو خانته مثل ما سرق منه أو خانته إياه؟ وقصة يوسف لم تكن من هذا الضرب. نعم، لو كان يوسف أخذ أخاه بغير أمره لكان لهذا المحتج شبهة، مع أنه لا دلالة فى ذلك على هذا التقدير أيضا، فإن مثل هذا لا يجوز فى شرعنا بالاتفاق، وهو أن يحبس رجل برىء ويعتقل للانتقام من غيره من غير أن يكون له جرم.

ولو قدر أن ذلك وقع من يوسف فلا بد أن يكون بوحي من الله ابتلاء منه لذلك المعتقل، كما ابتلى إبراهيم بذبح ابنه، فيكون المبيح له على هذا التقدير وحيا خاصا كالوحي الذى جاء إبراهيم بذبح ابنه، وتكون حكمته فى حق المبتلى امتحانه وابتلاؤه لينال درجة الصبر على حكم الله والرضا بقضائه، وتكون حاله فى هذا كحال أبيه يعقوب فى احتباس يوسف عنه.

وهذا معلوم من فقه القصة وسياقها، ومن حال يوسف؛ ولهذا قال تعالى ﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم﴾ [يوسف: ٧٦] فنسب الله تعالى هذا الكيد إلى نفسه كما نسب إلى نفسه فى قوله: ﴿إنهم يكيدون كيدا﴾

العزیز لنفسها واعترافها بأنها هي التي راودته وأنه من الصادقين ؛ فهذه عاقبة من صبر على كيد الكائد له بغيا وعدوانا .

كيد الله سبحانه :

فصل : وكيد الله تعالى لا يخرج عن نوعين ؛ أحدهما وهو الأغلب : أن يفعل سبحانه وتعالى فعلا خارجا عن قدرة العبد الذي كاد له ؛ فيكون الكيد قدرا محضا ليس هو من باب لا يسوغ ، كما كاد أعداء الرسل بانتقامه منهم بأنواع العقوبات ، وكذلك كانت قصة يوسف ؛ فإن يوسف أكثر ما أمكنه أن يفعل أن ألقى الصواع في رحل أخيه ، وأن أذن مؤذن بسرقتهم ، فلما أنكروا قال : ﴿فما جزاؤه إن كنتم كاذبين﴾ [يوسف : ٧٤] .

أي جزاء السارق أو جزاء السرقة ﴿قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه﴾ [يوسف : ٧٥] أي جزاؤه نفس السارق ، يستعبده المسروق منه إما مطلقا ، وإما مدة ، وهذه كانت شريعة آل يعقوب .

ثم في إعراب هذا الكلام وجهان ، أحدهما : أن قوله : ﴿جزاؤه من وجد في رحله﴾ جملة مستقلة قائمة من مبتدأ وخبر ، وقوله ﴿فهو جزاؤه﴾ جملة ثانية كذلك مؤكدة للأولى مقسرة لها ، والفرق بين الجملتين أن الأولى إخبار عن استحقاق المسروق لرقبة السارق ، والثانية إخبار أن هذا جزاؤه في شرعنا وحكمنا ، فالأولى إخبار عن المحكوم عليه ، والثانية إخبار عن الحكم ، وإن كانا متلازمين ، وإن أفادت الثانية معنى الحصر فإنه لا جزاء له غيره .

والقول الثاني : أن «جزاؤه» الأول مبتدأ وخبره الجملة الشرطية ، والمعنى جزاء السارق أن من وجد المسروق في رحله كان هو الجزاء ، كما تقول : جزاء السرقة من سرق قطعت يده ، وجزاء الأعمال من عمل حسنة فبعشر أو سيئة فبواحدة ، ونظائره .

قال شيخنا رضي الله عنه : وإنما احتمل الوجهين لأن الجزاء قد يراد به نفس الحكم باستحقاق العقوبة ، وقد يراد به نفس فعل العقوبة ، وقد يراد به نفس الألم الواصل إلى المعاقب .

والمقصود أن إلهام الله لهم هذا الكلام كيد كاده ليوسف خارج عن قدرته ، إذ قد كان يمكنهم أن يقولوا : لا جزاء عليه

حتى يثبت أنه هو الذي سرق ، فإن مجرد وجوده في رحله لا يوجب ثبوت السرقة ، وقد كان يوسف عليه السلام عادلا لا يمكنه أن يأخذهم بغير حجة ، وقد كان يمكنهم أن يقولوا : يفعل ما يفعل بالسارق في دينكم ، وقد كان في دين ملك مصر - كما قاله أهل التفسير - أن يضرب السارق ، ويغرم قيمة المسروق مرتين .

ولو قالوا ذلك لم يمكنه أن يلزمهم بما لا يلزم به غيرهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله﴾ [يوسف : ٧٦] .

أي ما كان يمكنه أخذه في دين ملك مصر ؛ إذ لم يكن في دينه طريق له إلى أخذه ، وعلى هذا فقوله ﴿إلا أن يشاء الله﴾ استثناء منقطع ، أي لكن إن شاء الله أخذه بطريق آخر ، أو يكون متصلا على بابه ، أي إلا أن يشاء الله ذلك ، فيهيء له سببا يؤخذ به دين الملك من الأسباب التي كان الرجل يعتقل بها .

فإذا كان المراد من الكيد فعلا من الله - بأن يسر لعبده المؤمن المظلوم المتوكل عليه أمورا يحصل بها مقصوده من الانتقام من الظالم - كان هذا خارجا عن الحيل الشرعية ، فإن كلامنا في الحيل التي يفعلها العبد ، لا فيما يفعل الله تعالى ، بل في قصة يوسف تنبيه على بطلان الحيل وأن من كاد كيدا محرما ، فإن الله يكيد ويعامله بنقيض قصده وبمثل عمله ، وهذه سنة الله في أرباب الحيل المحرمة أنه لا يبارك لهم فيما نالوه بهذه الحيل ، ويهيء لهم كيدا على يد من يشاء من خلقه يجزون به من جنس كيدهم وحيلهم .

عبر من قصة يوسف هذه :

وفيها تنبيه على أن المؤمن المتوكل على الله إذا كاده الخلق ، فإن الله يكيد له ويتنصر له بغير حول ولا قوة . وفيها دليل على أن وجود المسروق بيد السارق كاف في إقامة الحد عليه ، بل هو بمنزلة إقراره ، وهو أقوى من البينة ، وغاية البينة أن يستفاد منها ظن ، وأما وجود المسروق بيد السارق ، فيستفاد منه اليقين ، وبهذا جاءت السنة في وجوب الحد بالحيل والرائحة في الخمر كما اتفق عليه الصحابة ، والاحتجاج بقصة يوسف على هذا أحسن وأوضح من الاحتجاج بها على الحيل .

وفيها تنبيه على أن العلم الخفي الذي يتوصل به إلى

المقاصد الحسنة مما يرفع الله به درجات العبد؛ لقوله بعد ذلك: ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ [يوسف: ٧٦] قال زيد بن أسلم وغيره: بالعلم.

وقد أخبر تعالى عن رفعه درجات أهل العلم في ثلاثة مواضع من كتابه: أحدها قوله: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء﴾ [الأنعام: ٨٣] فأخبر أنه يرفع درجات من يشاء بعلم الحجة.

وقال في قصة يوسف: ﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء﴾ [يوسف: ٧٦] فأخبر أنه يرفع درجات من يشاء بالعلم الخفى الذى يتوصل به صاحبه إلى المقاصد المحمودة.

وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشروا فانشروا، يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة: ١١] فأخبر أنه يرفع درجات أهل العلم والإيمان.

النوع الثانى من كيد الله.

فصل: النوع الثانى من كيد له لعبده المؤمن: هو أن يلهمه - سبحانه وتعالى - أمرا مباحا أو مستحبا أو واجبا يوصله به إلى المقصود الحسن؛ فيكون على هذا إلهامه ليوسف أن يفعل ما فعل هو من كيدته تعالى أيضا، وقد دل على ذلك قوله: ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ [يوسف: ٧٦] فإن فيها تنبيها على أن العلم الدقيق الموصول إلى المقصود الشرعى صفة مدح، كما أن العلم الذى يخضم به المبطل صفة مدح.

وعلى هذا فيكون من الكيد ما هو مشروع، لكن لا يجوز أن يراد به الكيد الذى يستحل به المحرمات، أو تسقط به الواجبات، فإن هذا كيد الله، والله هو الذى يكيد الكائد، ومحال أن يشرع الله تعالى أن يكاد دينه، وأيضا فإن هذا الكيد لا يتم إلا بفعل يقصد به غير مقصوده الشرعى، ومحال أن يشرع الله لعبده أن يقصد بفعله ما لم يشرع الله ذلك الفعل له.

فهذا هو الجواب عن احتجاج المتحيلين بقصة يوسف عليه السلام، وقد تبين أنها من أعظم الحجج عليهم، وبالله التوفيق (أعلام الموقعين ٣/ ٢٢٤-٢٨٦)

يقول الدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين: ونلاحظ أن ابن القيم، فى إبطاله للحيل كان يستلهم روح

الشرعية، واقفا عن ما دعت إليه، غير متحيل ولا متجن على خصومه، بل هدفه الحق حيث سارت ركائبه.

ولا يتبادر إلى الذهن أن الحيل التى ذكرها ابن القيم، وأبطالها هى كل الحيل التى جادت بها قرائح المتحيلين. بل غيرها كثير، وقد اعترف ابن القيم بذلك فقال: «ولو تتبعناها حيلة حيلة لطال الكتاب، ولكن هذه أمثلة يحتذى عليها والله الموفق للصواب» (أعلام الموقعين).

ظهر لنا مما تقدم مدى اهتمام ابن القيم بإبطال الحيل لما راعه من تلاعب بأمور الدين باسم الحيل التى يترتب عليها قبل الأوضاع. ويتلخص بحثه هذا فيما يأتى:

أولا: يبين خطورة الحيل وما يترتب عليها من إبطال مقصود الشارع وتفنيد رغبة المتحيلين.

ثانيا: قسم الحيل، وفصلها تفصيلا أزال الغموض، وكشف الستار عن المباح منها والمحرم.

ثالثا: عرض الأدلة التى تمسك بها المتحيلون، وفندها.

رابعا: عرض الأدلة المبطله للحيل إجمالا. ثم أبطل تفصيلا (ابن قيم الجوزية ١٣٨، ١٣٩)

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٩٥، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القسوجى ج ٢ ق ١/ ١٣٠، وابن قيم الجوزية - د. عبد العظيم عبد السلام شرف الدين / ١٢٠، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٩، وأعلام الموقعين عن رب العالمين لابن الجوزى ٣/ ٢٢٤-٢٨٦. انظر أيضا الفتاوى لابن تيمية ط دار الغد العربى م ٣/ ٨٢-١٣٢، ١٤١-٢٥١، ١٥٥-١٦١)

انظر مادة «التعريض» فى م ٩/ ٥٧٨-٥٨٣

* الحيل (علم -):

علم الحيل هو ما كان يعرف عند الإغريق (بالميكانيكا) وهو علم قديم اهتمت به الشعوب السابقة مثل قدماء المصريين والصين والإغريق والرومان... لكن معظم هذه الشعوب كانت تستعمله للأغراض الدينية فى المعابد... أو فى ممارسة السحر والتسلية لدى الملوك.

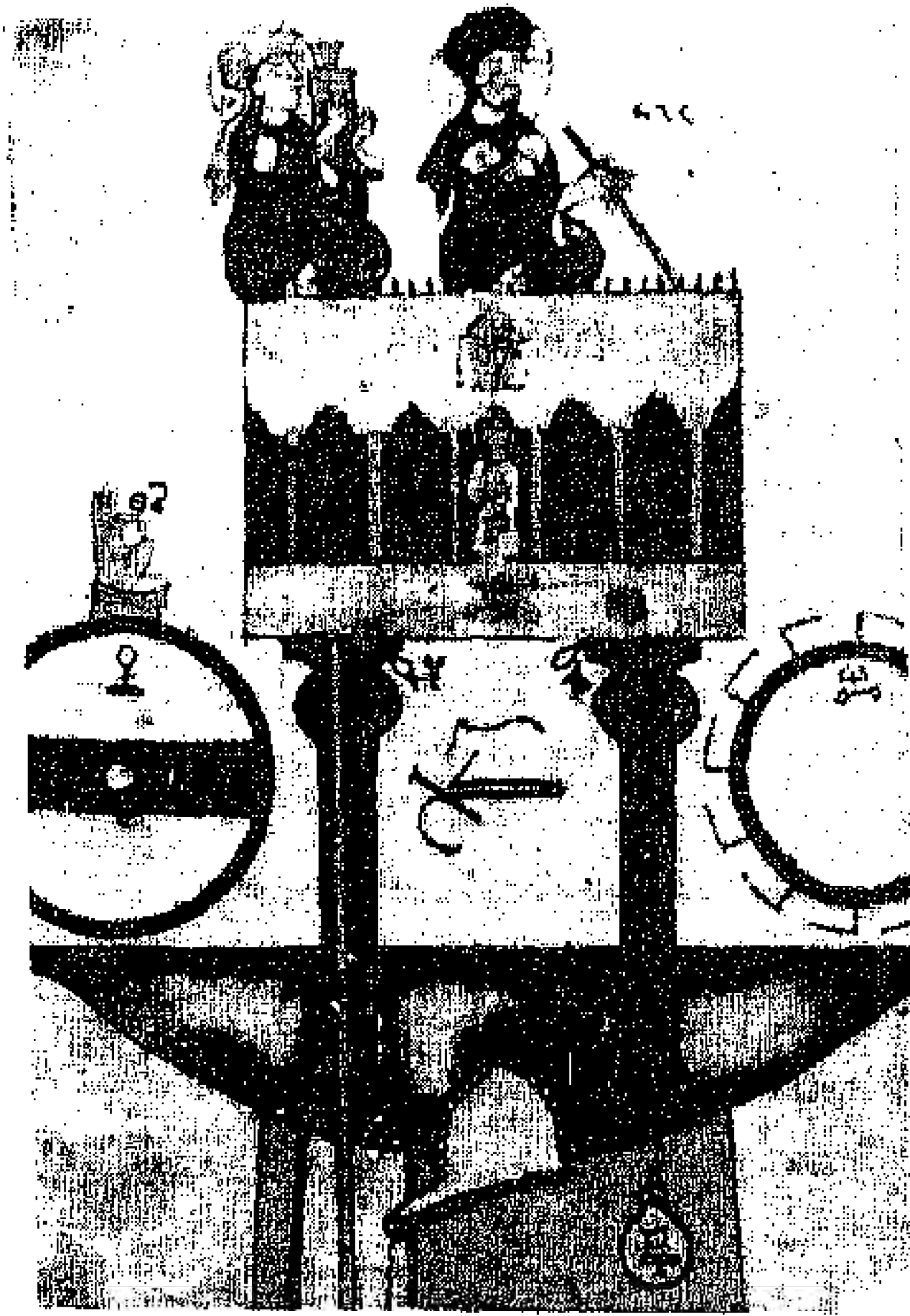
فكان الصينيون يستخدمون عرائس متحركة على المسرح الدينى لها مفاصل يتحكم فيها الممثل بواسطة خيوط غير مرئية. وقد صنع قدماء المصريين فى معابدهم تماثيل لها قك متحرك وتخرج صوت صفير عند هبوب الريح. وقد

علماء المسلمين وإنجازاتهم :

- من أشهر علماء المسلمين في علم الحيل أولاد موسى ابن شاكر وهم محمد (ت ٨٧٣ م) وأحمد والحسن . وقد ألفوا كتاب «الحيل النافعة» وكتاب القرطسون (وهو ميزان الذهب) وكتاب وصف «الآلة التي ترمز بنفسها صنعة بني موسى بن شاكر» ومن اختراعاتهم التي وصفها المؤرخون بكثير من الإعجاب آلة رصد فلكى ضخمة . تعمل في مرصدهم وتدار بقوة دفع مائية وهي تبين كل النجوم في السماء وتعكسها على مرآة كبيرة وإذا ظهر نجم رصد في الآلة وإذا اختفى نجم أو شهاب رصد في الحال وسجل .

- وقد اختراع أحمد بن موسى قنديلا آليا يشعل الضوء لنفسه وترتفع فيه الفتيلة تلقائيا ويصب الزيت بنفسه ولا يمكن للرياح إطفاءه (العلوم الإسلامية / ١٢ - ١٦ . انظر مادة « بنو موسى بن شاكر » في ٧ / ٥٣١ - ٥٣٦) .

وكان في دارهم ببغداد مرصد خاص بهم ، وكان أحمد متخصصا في علم الميكانيكا (أو التكنولوجيا) وألف كتابا في هذا العلم بعنوان «كتاب الحيل» وصفه ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) بأنه «كتاب عجيب نادر يشمل على كل



ساعة رقاقة فبرلا صغيرة متحركة لا تخرج
صوت موسيقى عند تمام كل ساعة

استفاد المصريون القدماء من هذا العلم في بناء معابدهم وتمثيلهم الضخمة أو نقلها .

أما الإغريق فكانوا أول من ألف الكتب في هذا العلم ووضع له القواعد العلمية . وقد صنعوا الآلات العلمية المتحركة التي تستعمل قوة دفع الماء أو الهواء من ذلك الآلات المصنوعة المسماة بالأرغن الموسيقى ومنها الساعات المائية .

المسلمون وعلم الحيل :

بدأ العرب هذا العلم بنقل كتب السابقين من أمثال إقليدس وأرشميدس وأرستطاليس وأبلينوس وهيرون الإسكندري ثم ظهر منهم العلماء والمهندسون المسلمون الذين تخصصوا في هذا المجال وطوروه ووضعوا له قواعد علمية جديدة وابتكروا تطبيقات رائدة للاستفادة منه . ويمكننا أن نلخص هدف المسلمين من هذا العلم في تسميته بأنه علم (الحيل النافعة) وقد ذكروا في مراجعهم أن الغاية منه (هي الحصول على الفعل الكبير من الجهد اليسير) .

ومعنى هذا الاصطلاح أن المسلمين أرادوا به منفعة الإنسان واستعمال الحيلة مكان القوة والعقل مكان العضلات والآلة بدل البدن وقد كان لتعاليم الإسلام وتوجيهاته فضل كبير في تطوير هذا العلم عند العرب - فقد كانت الشعوب السابقة تعتمد على العبيد وعلى نظام السخرة في قضاء أمورهم المعيشية والتي تحتاج إلى مجهود جثماني كبير فلما جاء الإسلام حرم السخرة وحرم إرهاب الخدم والعبيد وتحملهم فوق ما يطيقه الإنسان العادي . هذا إلى جانب تحريمه المشقة على الحيوان . . لذلك اتجه المسلمون إلى تطوير الآلات لتقوم بالأعمال الشاقة .

- وبعد أن كانت غاية السابقين من هذا العلم لا تتعدى استعماله في التأثير الديني والروحي على اتباع مذاهبهم مثل استعمال التماثيل المتحركة أو الناطقة بواسطة الكهان واستعمال الأرغن الموسيقى وغيره من الآلات المصنوعة في المعابد . فقد جاء الإسلام فنهى عن ذلك وجعل الصلة بين العبد وربه بدون وسائل وسيطة أو خداع حسي أو بصري .

لهذا كله فقد أصبح لعلم الحيل عند المسلمين هدف جديد هو التحايل على ضعف الإنسان . . والتيسير عليه باستعمال الآلة المتحركة .

وقد ترجم الكتاب إلى جميع اللغات الأوربية عدة مرات وكان قاعدة لعلم الميكانيكا الحديثة . والجزري هو أول من اخترع الإنسان الآلى المتحرك للخدمة فى المنزل . طلب منه الخليفة أن يصنع آلة تغنيه عن الخدم كلما رغب فى الوضوء للصلاة . . فصنع له آلة على هيئة غلام منتصب القامة وفى يده إبريق ماء وفى اليد الأخرى منشفة وعلى عمامته يقف طائر . فإذا حان وقت الصلاة يصفر الطائر ثم يتقدم الخادم نحو سيده ويصب الماء من الإبريق بمقدار معين فإذا انتهى من وضوئه يقدم له المنشفة ثم يعود إلى مكانه والعصفور يغرد .

- من أكثر الأمور التى حظيت باهتمام علماء المسلمين استعمال الروافع لرفع الأثقال الكبيرة بالجهد اليسير . وقد وضعوا لها قواعد وصنعوا أجهزة معقدة لرفع الأثقال الكبيرة أو جرها بالجهد اليسير .

- ومن أساطين هذا العلم فى الأندلس عباس بن فرناس (ت ٨٧٨م) وهو صاحب عدد كبير من الاختراعات الميكانيكية . . منها (الميقاة) . لمعرفة الأوقات وهى تسير بقوة دفع مائية . ومنها نموذج القبة السماوية التى توصل فيها إلى محاكاة البرق والرعد ثم صنع أول طائرة ذات جناحين متحركين وطار بها من فوق مئذنة مسجد قرطبة .

- ومن هؤلاء العلماء ابن يونس المصرى (ت ١٠٠٩) ويذكر عنه سارتون فى موسوعة تاريخ العلم أنه أول من اخترع الرقاص واكتشف قوانين جذبته وذلك قبل الإيطالى جاليليو (المتوفى سنة ١٦٢٤ م) بستة قرون (العلوم الإسلامية ٣/ ١٧، ١٨) .

وعن التطبيقات العملية لعلم الحيل يقول الدكتور أحمد شوقى الفنجري :

يتصور بعض الأوربيين أن العرب رغم ولعهم الشديد بالميكانيكا أو علم الحيل فإنهم لم يطبقوه فى أمور عملية نافعة كما طبقته أوربا فى الاختراعات العصرية الحديثة كالقطار والسيارة والطائرة ويتصور بعضهم أن التطبيق السائد عند العرب كان فى تسليحة الخلفاء وفى بلاط الحكام بصناعة الدمى المتحركة والمصوتة وهذا مخالف للواقع وينم عن قصور فى الدراسة والبحث لأن ما تركه المسلمون والذي لا



النظام الحركي الميكانيكي
الذي يصنع آلة تغنيه عن الخدم كلما رغب فى الوضوء للصلاة . . فصنع له آلة على هيئة غلام منتصب القامة وفى يده إبريق ماء وفى اليد الأخرى منشفة وعلى عمامته يقف طائر . فإذا حان وقت الصلاة يصفر الطائر ثم يتقدم الخادم نحو سيده ويصب الماء من الإبريق بمقدار معين فإذا انتهى من وضوئه يقدم له المنشفة ثم يعود إلى مكانه والعصفور يغرد .

INS 17 MSB1



INS 17 MSB1

غريبة» ويقول الأستاذ قدرى طوقان «إنه يحتوى على مائة تركيب ميكانيكى ، عشرون منها ذات قيمة علمية «برع العلماء والمسلمون تبعاً لاشتغالهم بعلم الميكانيكا فى صنع الآلات العديدة المتنوعة للأغراض العلمية وللحاجات العملية . وقد ذكر ابن النديم (ت ٣٨٠هـ) أسماء عدد من صناعات الآلات ومنهم امرأة المعروفة بالعجلية بنت العجل الأسطرابى فى بلاط سيف الدولة الحمدانى . فكان هؤلاء يقومون بصنع الآلات تحت إشراف علماء الهندسة والميكانيكا ، أو حسب طلبهم طبقاً للأوصاف التى يضعونها فى مؤلفاتهم . وأروع مؤلف فيه لإسماعيل بن الرزاز الجزري بعنوان : «كتاب فى معارف الحيل الهندسية» أو «الحيل الجسامع بين العلم والعمل» ، (العلوم الإسلامية ٣/ ١٨) .

وقد ذكر فيه المؤلف أسماء ووصف خمسين آلة ميكانيكية كالساعات المائية والنافورات وأخرى غريبة مع صورها بالألوان الجميلة ، وهو مخطوط فى استنبول ، وأشهر كتاب عند الغربيين (العلوم والفنون عند العرب/ ٢٨) ويسمى فى أوربا «الحيل الهندسية» وهو من أدق الكتب وصفًا وشرحًا وتفصيلًا . . وما زالت بضع نسخ أصلية من هذا الكتاب موجودة فى متاحف أوروبا حيث يعتزون بها كدرر أثرية ثمينة .

وإنشاء السدود الضخمة التي أقامها العهد العباسي والفاطمي والأندلسي مثل سد النهروان وسد الرستن وسد الفرات .

- ثم وسائل الري والفلاحة التي ابتكرها المسلمون مثل سور صلاح الدين الذي يجلب الماء من النيل إلى قمة جبل المقطم ووضعوا في النيل آلة متطورة ترفع الماء إلى ارتفاع عشرة أمتار لكي يتدفق من هذا الارتفاع إلى القلعة مباشرة .

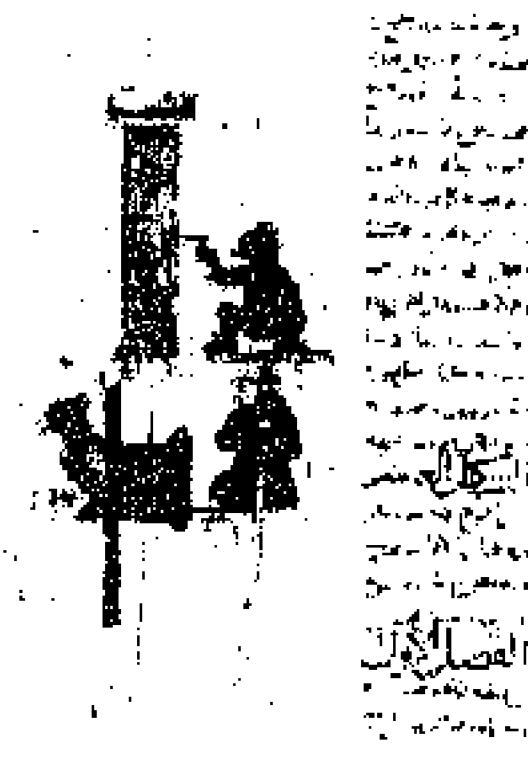
- وطواحين الماء والهواء ... واستعمالها في مصانع الورق ومصانع البارود وما فيها من تروس معشقة وعجلات ضخمة متداخلة .

- ثم هذا الاستغلال العبقري لنظرية الأنابيب المستطرفة في توصيل المياه في شبكة من المواسير إلى البيوت ، أو في بناء النوافير داخل القصور كما في نوافير الماء الراقصة في قصر الحمراء ، هذا علاوة على استغلالها في تحريك الدمي والأبواب .

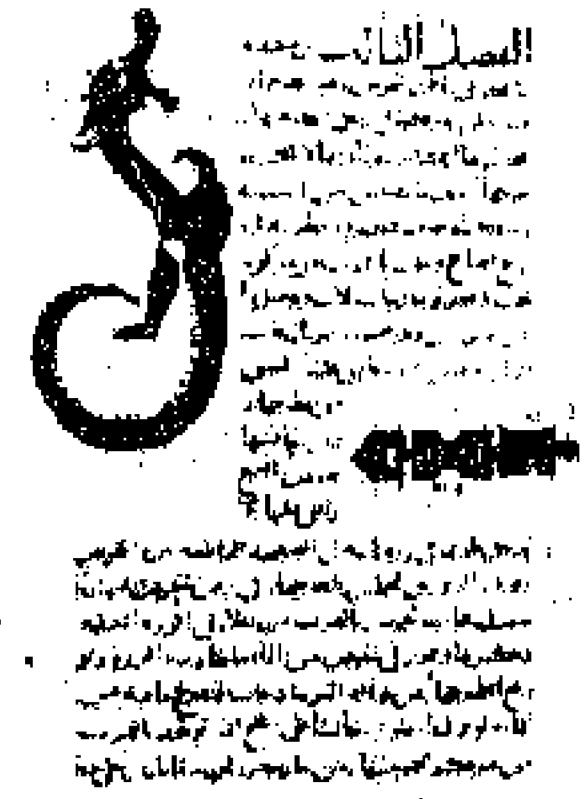
- والمدن الإسلامية أول مدن في التاريخ تستعمل شبكات المياه من المواسير المعدنية وذلك قبل أوروبا بعدة قرون وما زالت إحدى هذه الشبكات حتى اليوم الموجودة في مدينة (عنجر) شرقي لبنان وقد أقامها الأمويون في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان .

- وقد أبدع المسلمون في استغلال علم الحيل في صناعة السلاح . فطوروا المنجنيق والدبابات الخشبية وكانوا أول من صنع المدافع والبندقية .

وتحدثنا كتب التاريخ عن الكثير من الاختراعات العجيبة في قصور الخلفاء وأثرياء المسلمين : فمن ذلك أن أحد الخلفاء كان مصابا بالأرق فصنع له العلماء فراشا فوق بحيرة من الزئبق ليساعده على النوم . وجاء في وصف مقصورة جامع مراکش المصنوعة أيام الموحدين أنها كانت تتحرك جدرانها ومنبرها بمجرد أن تلمس رجل الخليفة الأزرار الموضوعة في المدخل الخاص عند دخوله المقصورة . وكانت هذه المقصورة تدار بحيل هندسية بحيث تنصب إذا استقر المنصور ووزراؤه بمصلاة وتختفي إذا ذهبوا . وقد تجلت مهارة المسلمين الميكانيكية في صناعة الساعات الكبيرة والصغيرة ويذكر ابن كثير (في البداية والنهاية ج ٩) أن أحد أبواب



LNS 17 MS (g)



LNS 17 MS (g)

تزال آثاره موجودة حتى وقتنا الحاضر يعتبر أبلغ شاهد على تطور هذا العلم وتطبيقاته المتعددة ويعتبر المعمار المجال الأوسع لتطبيق علم الميكانيكا في عصور الإسلام المختلفة .

وتكفي نظرة واحدة إلى آثار العمارة الإسلامية الموجودة حتى عصرنا الحاضر في شرق العالم وغربه وما فيها من تطبيقات عملية متطورة وما أنجزه علماء المسلمين من القباب والمآذن والسدود والقنوات ...

لقد برع المسلمون في تشييد القباب الضخمة ونجحوا في حساباتها المعقدة التي تقوم على ما يسمى في وقتنا الحاضر بطرق تحليل الإنشاءات القشرية (SHELLS) فهذه الإنشاءات المعقدة والمتطورة من القباب مثل قبة الصخرة في بيت المقدس وقباب مساجد الأستانة والقاهرة والأندلس والتي تختلف اختلافا جذريا عن القباب الرومانية ، كل هذا يدل على تمكنهم من هذا العلم الذي يقوم على الرياضيات المعقدة .

وإنشاء المآذن الطويلة والتي يعلو بعضها أكثر من ٧٠ مترا فوق سطح المسجد والتي تختلف اختلافا جذريا ومتطورا عن المنارات الرومانية .

وفي السنوات العشر الماضية اهتم أحد الأساتذة المصريين، وهو الدكتور جلال شوقي بدراسة هذا الموضوع في عدد من مؤلفاته مثل تراث العرب في الميكانيكا، (هذا الكتاب عندي. انظر ثبت المراجع لهذه المادة) «وعلم الميكانيكا عند العرب»، وأبرزت هذه الدراسات إسهام العرب في تطوير هذا العلم، وقلبت مفاهيمنا عن كثير من النظريات التي كانت تنسب إلى علماء الغرب، وهي في الحقيقة للعرب.

فلقد نادى العالم الطبيعي الرياضي الفلكي الكبير الحسن ابن الهيثم بوجود «الخلاء» عند بحثه في المكان قائلًا، وليس الخلاء بذى مادة، ولا فيه مدافعة، وإنما الخلاء هو أبعاد فقط متهيئة لقبول المواد «وبالتالي فحركة الأجسام في الخلاء لا تلتقي أية معوقات أو مخالفات، وهذه حقيقة أثبتها الأقمار الصناعية ومركبات الفضاء في عصرنا» (تراث العرب في الميكانيكا ٨٣/).

كما أنه قرر عند البحث عن الحركة والزمان أن الضوء له سرعة زمنية محدودة فإن كانت هذه السرعة فائقة للدرجة، يحسبها المرء غير متناهية. وهذه الحقائق عن الحركة في نطاق الزمن مهما كانت سرعتها، ومنها سرعة الضوء والتي ثبتت بالتجربة من حوالى منتصف القرن الماضى فقط، تعتبر سبقًا عظيمًا للحسن بن الهيثم حيث كان الرأى السائد قبله وبعده أن الضوء يتحرك لا فى زمان وهو محال (المرجع السابق/ ٤٣).

وقد درس ابن الهيثم حركة تصادم الأجسام دراسة علمية مستفيضة مؤيدة بالتجربة والتحليل فأمكنه التوصل إلى القواعد الأساسية التى تحكم هذه الحركة ووقف على معنى كمى للحركة سماه قوة الحركة والتي نسميها اليوم كمية الحركة، وقدم بذلك أول طريقة عرفها العالم بقياس صلادة الأجسام على أساس تباين مخالفة الأجسام للانفعال بالمصادمة (تراث العرب فى الميكانيكا/ ٥٦)

يقوم علم الحركة (الديناميكا) على قوانين ثلاثة وهي تنسب جميعًا فى العادة إلى نيوتن ولكن بحث قبله بعدة قرون علماء العرب: ابن سينا وابن ملكا، وفخر الدين الرازى، ونصير الطوسى من الفلاسفة العلماء فى هذه القوانين.

جامع دمشق كان يسمى باب الساعات « لأنه عمل فيه الساعات التى اخترعها فخر الدين الساعاتى وكان يعمل بها كل ساعة تمضى من النهار عليها عصفير من نحاس وحية من نحاس وغراب. فإذا تمت الساعة خرجت الحية فصرفت العصفير وصاح الغراب وسقطت حصاة فى الطست فيعلم الناس أنه قد ذهب من النهار ساعة » ويقول ابن جبير فى وصف هذه الساعة « أنها كان لها بالليل تدير آخر إذ تجهز بمصباح يدور به الماء خلف زجاجة داخل الجدار. فكلما انقضت ساعة عم الزجاجة ضوء المصباح ولاحت للأبصار دائرة محمرة » وكانت هذه الساعة فى غرفة كبيرة وهناك شخص يقيم بداخلها، مسئول عن صيانتها وإدارتها، مدرب على أعطالها الميكانيكية، فهى أشبه بمحطة من محطات توليد الطاقة فى عصرنا الحاضر (انظر صورة هذه الساعة فى مادة « الجامع الأموى بدمشق » فى م ١١ / ٤٦٧).

وفى سنة ٧٥٨ هـ. صنع المهندس أبو عنان الميرنى المغربى ساعة ضخمة من النحاس. وضعت فى الساحة العامة بسوق القصر بالمغرب ... وكانت فى كل ساعة تسقط صنجة كبيرة فوق طاس كبير ... فيحدث لها دوى كبير يسمعه أهل المدينة .

ويعتبر الجزرى أول مخترع لمضخة المكبس. كذلك قدم الجزرى فى كتابه خمس آلات مختلفة لرفع المياه من الأعماق بالجهد اليسير، وكل منها يمثل تطورا جديدا فى علم الميكانيكا وكان لها الفضل فى ابتكار مضخات سحب البترول من الأعماق وهذا قليل من كثير مما لا يتسع المقام لشرحه (العلوم الإسلامية ٣/ ١٨-٢٥).

وعن الجانب النظرى يقول الدكتور سيد رضوان على: ولعلم الميكانيكا غير هذا الجانب الهندسي الصناعى، أو الجانب العملى جانب علمى نظرى وهو ذو قيمة كبرى ليس فى مجال البحث العلمى فحسب بل فى الاختراعات الهامة، وهى ما تتعلق بمفهوم القوة وأنواعها، ومفهوم الحركة وقوانينها، وتصادم الأجسام وتساقطها، وطبيعة الزمان والمكان وغير ذلك من المباحث الدقيقة، ومنها قوة الجذب، وجاذبية الأرض، والحقيقة أن هذا العلم الهام فى عصرنا الحديث لم يدرس تاريخه عند العرب كما درست العلوم الأخرى التى تطرقنا إليها.

وقد أثبت الدكتور جلال شوقي بعد إجراء دراسة مقارنة أن القانون الأول في الحقيقة وضعه ابن سينا، بينما وضع القانون الثالث هبة الله بن ملكا البغدادي في صورة متكاملة، واشترك في شرح هذين القانونين للحركة كل من الفيلسوف المتكلم المفسر فخر الدين الرازي، والعالم الفلكي العبقري نصير الدين الطوسي، كما أنهم وقفوا على بعض المعاني الواردة في القانون الثاني للحركة وكادوا أن يتوصلوا إليه في صورته المتكاملة

وبناء على ذلك فلا يصح أن ينسب من هذه القوانين إلا قانوناً واحداً لنيوتن وأما القانونان الآخران فهما من مبتكرات علماء العرب، وأن للمجتمع العلمي أن يعترف بهذا الحق، كما يدعو - الدكتور جلال شوقي - لأصحابهما .

وأما ما يتعلق بالجاذبية الأرضية أو قوة الجذب، فقد عرفها العرب قبل نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧ م) بمئات السنين، وكانوا يسمون هذه القوة «القوة الطبيعية» أو «الميل الطبيعي»، وتناولها العرب بالدراسة منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، ولقد قال الإمام فخر الدين الرازي (المتوفى سنة ٦٠٦ هـ) في كتابه «المباحث الشرقية في علم الإلهيات والطبيعات» (ص ٥٧٨) «وانجذاب الجسم إلى مجاورة الأقرب أولى من انجذابه إلى مجاوره الأبعد» . . .

وهكذا فقد فهم العرب تمامًا أن لكل جسم قوة «طبيعية» فيه، وهي القوة التي نسميها اليوم قوة الثقالة، وهي القوة الناشئة عن جاذبية الأرض. فقال العرب بأن الجسم إذا ما أخرج من موضعه الطبيعي فإنه يسعى بقوته الطبيعية إلى استعادة ذلك الموضع وهو يسلك في ذلك أقرب الطرق ألا وهو الخط المستقيم .

ويتبين فهمهم لقوة الثقالة من الأقوال الكثيرة الواضحة التي وردت على ألسنة علمائهم وفلاسفتهم «أمثال ابن سينا ومؤلفي رسائل إخوان الصفا وابن ملكا البغدادي وفخر الدين الرازي». كما أنهم وضعوا اللبنة الأولى لدراسة حركة الأجسام في الهواء، وهي ما تعرف اليوم بعلم الديناميكا الهوائية، وذلك بقوله إن حركة السهم المقذوف إلى أعلى تجعل من الهواء وسطاً حاملاً له (العلوم والفنون عند العرب/ ٨٣ - ٨٦). ويلخص الدكتور يوسف فرحات إنجازات العلماء المسلمين في علم الحيل (الميكانيكا) بقوله :

- اهتم العرب بالروافع، وهي آلات بسيطة تمكنهم من رفع الأثقال أو جرها بواسطة قوى صغيرة بالنسبة إلى وزن هذه الأثقال، وأهم الروافع عندهم: المخل، الإسفين، واللولب. وفي مجال التطبيق العملي بقاعدة الروافع استطاع العرب أن يصنعوا القبان وموازين أخرى في غاية الدقة. والموازين الدقيقة استخدمت في سك العملة .

- عرف العرب الأنابيب الشعرية، وهي أنابيب ضيقة جداً لا تخضع لنواميس توازن السوائل في الأنابيب غير الشعرية .

- اخترع ابن يونس رقاص الساعة قبل غاليليو الذي نسب إليه هذا الإنجاز .

- اشتهر العرب بصنع الساعات المائية، واخترعوا أصنافاً من الآلات التسلية القائمة بحركات ذاتية، بفضل توازن السوائل (علماء العرب/ ٣١، ٣٢) .

قالت المؤلفة: انظر تلخيص هذا كله للدكتور جلال شوقي في كتابه «تراث العرب في الميكانيكا» ص ٥٤ - ٥٦، ١٠١ - ١٠٣

ونقدم لك فيما يلي نموذجاً مما أورده الخوارزمي عن الحيل في «مفتاح العلوم» حيث إنه أفرد للكلام عليها في الباب الثامن من المقالة الثانية فصلين، وتبع الكلام بشرح بعض المصطلحات التي استخدمها المؤلف .

وإليك ما جاء في كل منهما :

الفصل الأول : في الألفاظ التي يستعملها أهل الحيل في جر الأثقال بالقوة اليسيرة :

صناعة الحيل يسمى باليونانية منجانيقون وأحد أقسامها جر الأثقال بالقوة اليسيرة فمن الألفاظ التي يستعملها أصحاب هذه الصناعة : البرطيس وهو فلكة كبيرة يكون في داخلها محور تجر بها الأثقال وتفسيرها باليونانية المحيطة . المخل خشبة مدورة أو مثمنة تحرك بها الأجسام الثقيلة بأن يحفر تحت الشيء الذي يحتاج إلى تحريكه ويوضع فيه رأس المخل ثم يكبس الرأس الآخر فيستقل الجسم الثقيل : والبيرم أحد أصنافه ويقال البارم والمخل لفظة يونانية والبارم فارسية : أبو مخليون حجر يوضع تحت هذا المخل فيسهل به تحريك الثقل : الكثيرة الرفع آلة تسوى من عوارض وبكرات وقلوس تجر بها الأحمال الثقيلة : الإسفين شيء يعمل شبيهاً بالذي

تهيأ حركات عجيبة لذلك على أشكال مختلفة ومن هذا الباب صنعة الأواني العجيبة فمن آلات أصحاب الأواني السحارة هي التي تسميها العامة سارقة الماء أعني الأنبوية المعطوفة المعمولة من خارج أو غيره فيوضع أحد رأسها في الماء أو غيره من الرطوبات المائية ويمص الرأس الآخر إلى أن يصل الماء إليه وينصب منه فلا يزال يسيل إلى أن ينكشف رأسه الذي في الماء ولا يمكن ذلك إلا أن يكون الرأس الذي يمص أسفل من سطح الماء . فأما إذا كان أعلى منه فإنه لا ينصب منه .

السحارة المخنوقة التي تعمل في جام العدل وجام العدل إناء يعمل ويركب فيه أنبوية فوق أنبوية وتكون العليا مثقوبة وأسفل الإناء مثقوب [مثقوباً] فإن كان ما فيه من الشراب فيما دون رأس الأنبوية السفلى ثبت فيه ، وإذا علاه انصب الشراب من الثقب الذي في أسفل الإناء ولم يبق منه إلا مقدار ما يبقى من الأنبوبتين .

والسحارة أيضا الكوز المغربي السفلى المضيق الفم الذي يملأ ماء ثم يقبض على فيه فلا ينصب الماء من ثقب الغربال وتسمية العامة الغيم .

البشون هو البزال الذي يعمل من أنبوية تثقب ثقباً وتركب في الثقب أنبوية أخرى منتصبة تدار فيه للفتح والسد والأنبوية المركبة في الإناء تسمى الأنثى والأنبوية المركبة في ثقب الأنبوية تسمى الذكر وكذلك كل ما يكون على هذه الصفة من الأنابيب والبرايخ والقنوات وغيرها ... وكذلك في النمرادجات (كلمة فارسية معناها المفاصل) ونحوها وذكر البشون يسمى السهم أيضا : المي دزد معناه بالفارسية سارق الشراب وهو إناء يعمل فيملاً شراباً ثم ينكس فلا ينصب منه درهم فيوهم الشارب إنه قد استوفى ما فيه ويسمى جام الجور كما يسمى ضده جام العدل لأن ذلك إذا زيد فيه شيء فوق المقدار انصب ما فيه كله : المهندم لفظة فارسية معربة مشتقة من هندام بالفارسية وهو أن يلتصق الشيء بآخر فلا يمكن تحريكه من غير أن يلتصق أو يلحم بلحام : المطحون شبه بالمهندم إلا أنه أسلس بحيث يمكن تحريكه : وباب مطحون أن يكون فيه ذكر وأنثى ... وينطبق وينفتح فإذا انطبق كان مهندماً لا فرجة فيه وأكثر ما يكون صنوبري الشكل ويقال

يسميه النجارون فإنه يوضع ركنه الحاد تحت الأشياء الثقيلة ويدق دقا حتى يدخل تحته وأكثر ما يستعمل عند قلع الحجارة من الجبال . اللولب هو الشيء الملتوى الذي يدخل في آخر يلوى ليا إلى أن يدخل فيه وهو معروف يكون عند النجارين والمؤسسين : غالاغرا معصرة للزياتين : إسقاطولى خشبة مربعة تستعمل في هذه الآلات . ومن هذا الجنس آلات الحروب كالمجانيق والعرادات . ومن آلات المنجنيق الكرسي وصورته مثل صورة الشيء الذي يكون في المساجد يصعد عليه لتعليق القناديل : والخنزيرة من آلاته وهي شيء شبيه بالبكرة إلا أنه طولاني الشكل : والسهم خشبة طويلة مستوية كالجذع والإسطام حديدة تكون في طرف السهم حيث يعلق حجر الرمي .

الفصل الثاني : في حيل حركات وصنعة الأواني العجيبة ، وما يتصل بها من صنعة الآلات المتحركة بذاتها .

الحركات بالماء إنما تجذب بذاتها بأن توضع إجانة أو نحوها مثقوبة الأسفل فارغة فوق الماء (الإجانة إناء أو حوض) وتعلق بها خيوط كما تعلق بكفة الميزان وتشد بتلك الخيوط الأجسام التي يراد حركتها فكلما امتلأت الإجانة رسبت في الماء وجرت الخيوط وما يتعلق بها فيحدث لذلك حركة وقد تستوى هذه الحركات بفنون من الأشكال مختلفة بعضها ألطف من بعض ومرجعها إلى ما ذكرته وقد يكون جنس آخر وهو أن تعمل آلة من صفرا أو نحوه مجوفة لا متنفس لها ألبنة وتوضع في سطل أو نحوه ثم يصب في السطل ماء صلباً رقيقاً فكلما ازداد الماء طفت تلك الآلة ورفعت ما يتعلق بها من الأجسام فيحدث لذلك حركات أيضاً وتسمى هذه الآلة المجوفة الدبة .

فأما الحركات التي تحدث من غير الماء فإن منها ما يعمل بالرمل ومنها ما يعمل بالخردل والجاورس وذلك أنه تعمل آلة على هيئة البريخ طويلة ويثقب أسفلها ثقباً صغيراً ويكون رأسها مفتوحاً ثم تملأ رملاً أو خردلاً أو نحوها وتوضع فوقه قطعة رصاص ويشد الرصاص من خيط أو حبل ويعلق بالخيط ما يحتاج إلى تحريكه ثم يوضع في موضع منتصباً ليخرج الرمل أو غيره من الثقب التي [الذي] في أسفله فكلما تناقص الرمل تحرك الرصاص سفلاً وحرك ما هو متصل به وقد

انطحن الشيء فى الشيء إذا كان يتحرك فيه من غير فرجة بينهما .

باب المدفع و باب المستق يكونان فى النفاطات والزرافات ونحوها :

التخاتج جمع التختجة وهى الألواح معربة تختة : المليار والمنيار إناء كبير يسخن فيه الماء .

سرن الرحى الدوارة التى يضربها الماء فتدور .

بركار السرن أجنحته لغة فارسية معربة .

والقطارات آلات تعمل يقطر منها الماء أو غيره على قدر الحاجات فى أشكال مختلفة .

الحنانات آلات تعمل فتحن بصوت مثل صوت المعازف والمزامير والصفارات وغيره على قدر الحاجة .

النضاحات آلات المعازف والمزامير والصفارات وغيره على قدر الحاجة .

النضاحات آلات تعمل للنضح فى وجوه الناس على نحو ما يريد الصانع .

الفوارات هى التى تعمل فى الحياض والحمامات ونحوها يفور منها الماء فى أشكال مختلفة .

المقاط جبل دقيق يقتل من خيوط الغزل أو الكتان ونحوه . القلس هو الحبل الغليظ الذى يشد به السفن وغيرها .

الشاقول هو ثقل يشد فى طرف حبل يمدده سفلا يحتاج إليه النجارون والبنائون .

الكونيا للنجارين يقدرّون بها الزاوية القائمة .

وإليك معانى بعض المصطلحات والمفردات التى استعملها الخوارزمى :

بربخ : أنبوب .

بركار السرن : دولاب الماء أو أجنحة دولاب الماء .

بزال : بزل الشراب : أساله .

بُزال : موضع البزل . وهو الأنبوب الذى يخرج منه الماء .

جزعة : (جمع جزع) خرزة وتستخدم ككثب محدد السعة

من أجل خروج الماء بمقدار معين .

دبة : آلة من صفر أو نحوه مجوفة لا متنفس لها البتة

وتوضع فى سطل أو نحوه ثم يصب فى السطل ماء صلباً رقيقاً فكلما زاد الماء طفت تلك الآلة ورفعت ما يتعلق بها من الأجسام فيحدث لذلك حركات أيضاً وتسمى هذه الآلة المجوفة الدبة .

وتسمى حالياً العوامة أو الفواشة .

إسطام : مسعار ، وهو حديدة تحرك بها النار ويعنى هنا قضيب معدنى له طرف عريض (مفاتيح العلوم / ١٤١ - ١٤٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦) .

(العلوم الإسلامية - د. أحمد شوقى الفنجري ٣ / ١٢ - ١٦ ، ١٨ - ٢٥ ، والعلوم والفنون عند العرب - د. سيد رضوان على / ٨٢ - ٨٦ ، وعلماء العرب - إعداد وتحقيق د. يوسف فرحات / ٣١ ، ٣٢ ، ومفاتيح العلوم للخوارزمي / ١٤١ - ١٤٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ . انظر أيضاً تراث العرب فى الميكانيكا - د. جلال شوقى / ٧٣ - ٧٤ ، ٩٠ ، ١٠١ - ١٠٣ ، والعلوم عند المسلمين - إشراف حصة الصباح مؤسسة الكويت للتقدم العلمى / ٢٦ - ٢٩) .

ملاحظة : الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من المصادر التالية :

العلوم عند المسلمين - إشراف حصة الصباح / ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، وهى من مخطوط « كتاب فى معرفة الحيل الهندسية » للجزرى - د. أحمد شوقى الفنجري ٣ / ١٩ .

انظر أيضاً الصور المصاحبة لمادة الجزرى (بديع الزمان) فى م ١٢ / ١٦٦ - ١٦٨ .

* الحيل فى الحروب :

يفرد الهروى الباب الثالث والعشرين من تذكرته « فى الحيلة إذا حاصره عدوه والعمل فى ذلك » مما يدرج تحت العسكرية الإسلامية جاء فيه ما يلى :

وإذا قصده عدو لا طاقة له به ويعجز عن دفعه وملاقاته فليبادر بإصلاح جنده واستمالة قلوب أصحابه ومقدمى عسكره ورعيته بجميع ما يقدر عليه ويصل إليه مما ذكرناه وحررناه أولاً ويشاور أصحاب الآراء وأهل التجارب من خواصه وأرياب دولته . ولينظر على ما تنطوى عليه قلوبهم وتنطق به ألسنتهم فمن وجد فيه اعوجاجاً قوّمه أو زيغاً عدله أو خوراً شجعه وليتفقد السور والأبراج والمراعى والطاقات ومواضع الطلاقات ويعمر خرابها ويحكم أبوابها ويسلمها إلى الأمراء

الذين يعتمد عليهم ويركن إليهم وليستمل قلوب المعمارية والنقابين والجرحية والزرايين والمنجنيقية والرجال الجياد وإياه أن يهمل أمرهم وليهدم ما قرب من بلده من العمارة ولينقل حجارته إلى حصنه فإن الحجار أوفى الذخائر للعاجز والقادر وليقطع الأخشاب والجسورة وجميع ما ينتفع به العدو ويذخر في حصنه وليبادر بطم الآبار وخراب المصانع والصهاريج ويلقى فيها الجيف المسمومة والمياه القاتلة والزرايين المصعدة ويلقى في منزلة العدو الميثة والجيف كالجمال والخيل والبغال والكلاب والقاذورات وليجعلها على مهب الرياح فإن ذلك يؤدي إلى الرباء والمرض وتغير الهواء وإياه أن يهمل أمر خنادق البلاد فهي من أكابر المهمات والأمور العظام وليحذر خندقه ويوسع ويعمقه ويحكمه فهو أوفى الحصون للعاجز المحصور .

وليرسل المرجفين إلى عسكر عدوة ليزعجوا قلوب الجند بالأراجيف على بلادهم وخراب ضياعهم وموت أهاليهم وهلاك البطارقة وخلف الأساقفة وكثرة الأراجيف المزعجة والأحلام الردية فإن ذلك يوهن شوكتهم ويشوش همهم ويضعف قلوبهم ويرسل أمراء العسكر ويكاتب مقدميه بما تقتضيه أحوالهم وتميل إليه طباعهم لتختلف أقوالهم وتضل آراؤهم وليظهر المنعة والقوة والشدة وقلة الالتفات إلى ناحية العدو .

وليرسل الطلائع ولينفذ الجواسيس فإذا قرب العدو من بلده ولم يبق له غير مرحلة واحدة فليكن الكمناء وليجرد من عسكره ويتنخب من جيشه كل فارس مشهور وبطل مذكور وليبادر العسكر عند نزوله بحملة هائلة وصدمة منكورة بجميع من معه والكمين يتبعه وليكثروا من رمى النشاب وآلة النار وقسى الزيار فقل ما سلم جيش عند نزوله إذا حل به ذلك وإياه أن يقتحم هذا الأمر ويرتكب في هذا الحال ويترك الأبواب بغير حفضة والصور بغير رجال والبلد بغير زعيم فربما كان الأمر عليه فيقصد عدوه البلد ولا يجدونه مانعا بل يعتمد الحزم والنظر في العواقب والوقوف على قدم الخوف فالتجارب ليس لها غاية والعاقلة منها في زيادة .

فإن خاف عدو منه فقد تمكن منه وإن لم يخف فلا بد وأن يهوله ذلك وليبادر بحفظ الخندق وحراسة السور وإياه أن

يقطع جسورة الخندق إلا من أمر عظيم لا طاقة له به وليحذر أن يسد أبواب السر فإن ذلك يزيد العدو طمعا وليفرش الحسك حول المواضع القريبة المأخذ ولا يمكنهم من نصب منجنيق ولا تقدم برج ولا زحف كبش إن قدم على ذلك فقل ما تمكن المنجنيق من حصن إلا أخذه وليحذر النقب فإن نقب عليه فليبادر بخسفه وإحراق من فيه ولينتظر ليلة مظلمة وساعة مغنمة من ليالى السرار وليجرد من الخيل الطواسن الصعبة الانقياد التي لا ينتفع بها مهما قدر عليه ويخرجها من كل ناحية وليخرج معها الرجال ويجرد لها الأبطال ويشد في أذناها من جلود الجواميس اليابسة والأوعال المذخرة ويزجروها بالسياط ويوجعوها ضربا ويولموها عقوبة ويساعدوها بالضجيج العالى والأصوات الهائلة والصراخ المزعج إلى أن يلقوها في مخيم العدو فإذا شاهدوا العسكر قد اختبط وضج واختلط فلتحمل الفرسان وتبادر الشجعان من كل ناحية ومكان وليكثروا من آلة النار والنفط الطيار فإن له هية ترعب قلب الجبان وترهب فؤاد الإنسان . هذا والكمناء خلف التلال وذبول الجبال وليصدقوا في الحملة ولينصخوا في العملة فإنها مكيدة عظيمة وحيلة هائلة جسيمة لا يسلم منها عسكر ولا بد وأن يكسر ولا ينجو منها جيش إلا نادرا فإن كسر عدوه فقد نال مراده وبلغ أمله وإن يبلغ المقصود بعد بذل المجهود فلا بد وأن يوهن شوكة العدو ويضعف جيشه ويفسد حاله فإن القلب الضعيف تستغزه الحيل وإن صورة الشجاعة إذا تحركت ولم تظهر تولد الفزع فتقطع الجراءة ويشد الخوف قيل إن الإسكندر ذكر هذا .

فإن لم يزعجهم ما يرون من هذه المكيدة وتدير هذه الحيلة فليلزم حفظ الحصن وحراسة السور وترتيب الرماة وعمل الستائر وتفقد المجانيق . وليحذر أن ينفذ إلى عدوه رسولا إلا جوابا فإن ذلك يؤدي إلى تعظيم شأنه وقوة حصنه وقلة المبالاة بعدوه وليستعن عليه بأصحاب الأطراف وعساكر أعدائه ومجاورى بلاده وليحتضوا ولايته ويقصدوا ناحيته وأرى أن خدعه بالحيل وردعه بالمكر خير من الاستعانة بجند الغير وعساكره فإن الذى يستعين به على عدوه لا بد وأن يعلم منه الضعف والعجز فيدخله فيه الطمع فربما ضره في وقت آخر .

(التذكرة الهروية . فى الحيل الحربية لعل بن أبى بكر الهروى / ٢٦ -

انظر مادة « التذكرة الهروية فى الحيل الحربية » فى م ٩/١٩٤، ١٩٥.

* الحيل فى الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب :

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفنون الحربية .

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى :

تأليف محمد بن منكلى الناصرى نقيب الجيوش فى سلطنة الأشرف شعبان (٧٦٤ - ٧٧٨ هـ) (بروكلمان ١٣٦/٢) .

أولسه : الحمد لله السواسع ذى النعم والآلاء والأفضال والكرم ... وهذا كتاب الحيل فى الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ، من حكم ذى القرنين الإسكندر ابن فيلبس اليونانى ، وجد فى ديماس بالإسكندرية بين حجرين مطبقين ، أحدهما على الآخر مكتوبا باليونانية فترجم بالعربية . وهذا الكتاب فى جميع أسوابه يحتاج إليه فى أنواع الحرب من الحيل والمكر والخديعة ومخادعة العدو والاحتراس من مكره وعمل الآلات والسلاح ، وهو مبسوط أبوابا نوعتها منه على تسعة أنواع (٣٩ بابا) .

وآخره : تم كتاب الحيل فى الحروب بعون الله تعالى وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين وصلواته على خير خلقه محمد وآله وصحبه .

— نسخة بقلم نسخ جميل كتب فى أولها أنها : « ملك العبد الفقير ... الجنب العالى المولوى الكبير العلائى علاء الدين طيغنا العمري الساقى الملكى الناصرى ... وافق الفراغ من نسخه فى شهر جمادى الآخر سنة ٧٥٧ فى ١٣٥ ورقة ومسطرتها ١٩ سطرا وموضحة بالرسوم والأشكال ٢٦×١٨ سم [أحمد الثالث باستانبول / ٣٤٦٩] .

(فهرس المخطوطات المصورة ج ٤ / ١٣) .

وتوجد نسخه بقسم التراث العربى بالكويت وقد أدرجت فى فهرس مخطوطات الفلاحة تحت عنوان « كتاب الحيل والحروب وفتح المدائن والدروب » وجاء عن المخطوط ما يلى :

كتاب الحيل والحروب وفتح المدائن والدروب : محمد بن منكلى ، نحو ٧٧٨ هـ .

ومع أن الكتاب يبحث فى فنون الحرب ، وما يجب توفيره للجيش فى حالة محاصرته لحصن أو مدينة أو معسكر ، إلا أن المؤلف أفرد فصلا للدوايب رفع الماء وقعت فى ٢١ ورقة وأوضحها فى ١٧ شكلا للدوايب ، وكذا إصعاد الماء بالنار .

النسخ الموجودة منه :

(١) تركيا - استانبول - المكتبة السلمانية - أسعد افندى ١٨٨٤ .

أوله بعد البسملة والحمدلة :

« الحمد لله الواسع ، ذى النعم والآلاء والأفضال والكرم ، خالق البرايا ، وبارى النسم الذى أوجد الموجودات بحكمته من العدم ، وعلمنا منه بلطفه ما لم تكن نعلم وفضلنا بكرمه على سائر الأمم » .

آخره : « ... فيمشى عليه بالأقدام ثم بالخييل ، فيعبر عليه إلى ناحية العدو إن شاء الله تعالى » .

الناسخ : على بن خليل الاستادار .

النسخ : ٢٣ ذى الحجة سنة ٧٩١ هـ .

الخط : نسخ جميل .

الأوراق : ١٢٩ ق .

الأسطر : ١٧ س .

المقياس : ٢٥ × ١٧,٥ سم .

مكتوبة بالمداد الأسود ، أما العناوين والفواصل فكانت بالمداد الأحمر ، وفى الخطوط صور للدوايب فى الصفحات ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٥ .

(٢) (المغرب - الرباط ، الخزنة العامة (٤٣ . ج) .

أوله وآخره كما النسخة رقم (١) .

الخط : نسخ جميل .

النسخ : أواسط ذى الحجة سنة ٧٦٣ هـ .

الأوراق : ٢٨٥ ص .

الأسطر : ١٧ س .

المقياس : ١٨,٥ × ٢٦,٥ سم .

مكتوبة بالمداد الأسود ، والعناوين والأبواب بالمداد الأحمر ، والنسخة خزائية كتبت برسم المقر الأشرف العالى

المولوى السيفى يلغى الملكى المنصورى، ويلاحظ أن على النسخة فهرسة لأبوابها تخالف ما هو فى المخطوط .

كما ألحق بالنسخة ورقتان حول اللعب بالدبوس والصراع على الخيل عند ملاقاته الخصم فى أوقات الحرب ليستأ من أصل الكتاب .

(٣) المغرب - الرباط ، الخزانة الملكية رقم ٢٨٥ .

أوله : كالنسخة رقم ٢ .

آخره : « إما أن يكون الحائط الأوسط أقصر منهما والداخل أقصر من الخارج إلا أن أفضل هذه الوجوه الذى داخله أطول من خارجه ، والأوسط أطول من الخارج وأقصر من الداخل ، ولكل وجه ضرب من المنفعة سقناه فى محله ، والله تعالى أعلم » .

النسخ : القرن التاسع الهجرى .

الخط : نسخ جيد .

الأوراق : ١٥٠ ق .

الأسطر : ٢٤ س .

المقياس : ١٧ × ٢٦,٥ سم .

مكتوبة بالمداد الأسود، وبها أشكال حربية ملونة .

(٤) استانبول - المكتبة السلیمانیة - آيا صوفيا رقم

٢٨٧٥ .

أوله : كالنسخ السابقة .

آخره : « ... فى باب دفن الخنادق » .

... ثم تلاحق بالردم بالتراب حتى يعلو التراب على الماء، ويحمل المشى فيمشى عليه بالأقدام ثم بالحبل، فيعبر عليه إلى ناحية العدو، إن شاء الله تعالى .

تم كتاب الحيل فى الحروب .

وهو ذخيرة وجدت فى خزائن الاسكندر، وملك بها جميع القلاع والأقاليم ولا غنى للملوك عن هذا الكتاب، فإنه ملك به جميع أقاليم الأرض، والله هو الموفق » .

الناسخ : محمد بن أحمد بن محمد .

الخط : نسخ ممتاز .

النسخ : يوم الخميس، ١٦ شعبان سنة ٩١١ هـ .

الأوراق : ١٢٣ ق .

الأسطر : ١٩ س .

المقياس : ١٨ × ٣٠ سم .

مكتوبة بالمداد الأسود والأحمر، وهى خزائنية، أعدت لخزانة الملك الأشرف أبى الخير، قانصوه الغورى .

(٥) تركيا - استانبول، مكتبة الطوب قابى - أحمد الثالث

رقم ٣٤٦٩ .

أوله وآخره كما النسخ الأخرى .

الخط : نسخ جيد .

الأوراق : ١٣٥ ق .

الأسطر : ١٩ س .

المقياس : الحجم المتوسط .

(٦) هولندا - ليدن - مكتبة الجامعة رقم Or. ٤٩٩ .

أوله وآخره كالنسخ الأخرى .

الخط : نسخ جيد .

الأوراق : ١٣٥ ق .

الأسطر : ١٧ س .

المقياس : الحجم المتوسط .

(فهرس مخطوطات الفلاحة / ١٥١ - ١٥٣) .

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية .

المعارف العامة والفنون المتنوعة - تصنيف فؤاد سيد . القاهرة ١٣٨٤ هـ -

١٩٦٤ م، ج ٤ / ١٤ ، وفهرس مخطوطات الفلاحة - النبات - المياه والرى

بقسم التراث العربى بالكويت - صنعة د . محمد عيسى صالحية وعبد الله

فليح / ١٥١ - ١٥٣) .

* الحيل والحروب وفتح المدائن والدروب :

انظر : الحيل والحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب .

* الحيل فى رفع الأشياء الثقيلة :

انظر : رفع الأشياء الثقيلة .

* الحيل فى الفقه (كتاب -) :

من مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السلیمانیة

بالعراق فى الفقه الشافعى .

مؤلفه : محمود بن الحسن بن محمد بن يوسف بن

الحسن بن محمد الطبرى القزوينى الأنصارى الشافعى ... ،

٤١٤ هـ .

أوله : (قال الشيخ العلامة أبو حاتم محمود القزويني ... الحيل على ثلاثة أضرب محظور ومكروه ومباح ... إلخ) .

آخره : أصلها من اثنا عشر ويقول إلى سبعة عشر نصيبا لكل واحد منهم سهم لا مزية لبعضهن على بعض) .

ناسخه : مجهول نسخ سنة ٨٩١ هـ خطه عادي كتب الأبواب والفصول بحبر أحمر، ورقه ثخين .

و: ١٧ .

م: ١٦ × ١٣

س: ٢٧

ت/ مجاميع / ١٨٠ - ١٨١

مصادر الكتاب والمؤلف : معجم المؤلفين ١٢ / ١٥٨

وهدية العارفين ٦ / ٤٠٢ .

وذكر تاريخ وفاته سنة ٤٦٠ هـ وقيل سنة ٤٤٤ هـ .

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في السلمانية - إعداد

محمود أحمد محمد ، ١ / ٢٦٣ ، ٢٦٤) .

* الحيل (كتاب) :

من مصنفات التراث الإسلامي في علم الحيل (الميكانيكا) . انظر: الحيل (علم) والكتاب من تأليف بني موسى بن شاكر، وجاء عنه في مقدمة تحقيق الكتاب الذي نشرته جامعة حلب ما يلي :

كتاب الحيل في المراجع العربية والأجنبية :

رغم كثرة ما ألفه بنو موسى في العلوم الرياضية وهيئة الأفلاك وحركات النجوم إلا أن أهم ما كانوا يتميزون به بين المؤرخين هو كتاب الحيل . ولم يرد وصف أو ذكر لبني موسى إلا كان كتاب الحيل أبرز ما يوصفون به .

يقول القفطي عنهم «وأشهر ما ينسب إليهم الكتاب المعروف بحيل بني موسى» . ويقول ابن خلكان في ترجمته لمحمد بن موسى بن شاكر: «هو أحد الإخوة الثلاثة الذين ينسب إليهم حيل بني موسى وهم مشهورون بها» . ونجد نصوصا مماثلة لدى أبي الفداء واليا فعي وغيرهم .

وعن كتاب الحيل يقول ابن خلكان : «ولهم في الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة . ولقد وقفت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأمتعها وهو مجلد واحد» (ابن خلكان ٧٩) . وفي مكان آخر يقول القفطي «وكان بنوه

الثلاثة أبصر الناس بالهندسة وعلم الحيل ولهم في ذلك تواليف عجيبة تعرف بحيل بني موسى وهي شريفة الأغراض عظيمة الفائدة مشهورة عند الناس» .

وأدرج كتاب الحيل في فهرست ابن النديم ضمن أسماء الكتب المؤلفة في الحركات وفي ترجمة بني موسى وأدرج كذلك في ترجمة القفطي لموسى بن شاكر وقد نسب كل من ابن النديم والقفطي هذا الكتاب لأحمد بن موسى . وأجمعت المصادر على أن أحمد كان دون أخيه محمد في العلم إلا صناعة الحيل فإنه بذ فيها سائر الناس وفاق فيها القدماء المعروفين مثل إيرن (هيرون) وغيره . (القفطي / ٤٤٢) .

ويقول ابن خلدون : «... وقد أفرد بعض المؤلفين في هذا الفن كتابا في الحيل العلمية يتضمن من الصناعات الغريبة والحيل المستطرفة كل عجيبة وربما استغلق على الفهوم لصعوبة براهينه الهندسية وهو موجود بأيدي الناس ينسبونه إلى بني شاكر والله تعالى أعلم» (ابن خلدون / ٤٨٧)

أما الجزري وهو مهندس ألف كتابا مشهورا في صناعة الحيل فيقول في القسم الذي يتحدث فيه عن الفوارات «لم أسلك في ذلك مذهب بني موسى رحمهم الله والفضل لهم بالسبق إلى موضوعات المعاني» .

ثم ينتقد الجزري فوارات بني موسى التي يعتبرها غير موثوقة إذ أنه اعتبر الفترة الزمنية التي تنقضي بين تغير النافورة من شكل إلى آخر بأنها غير كافية وقصيرة جدا .

وفي العصر الحديث بدأ الاهتمام بكتاب الحيل في الغرب منذ نهاية القرن الماضي . ولكن الدراسات الجادة بدأت في مطلع هذا القرن عندما نشر كل من فيديمان وهاوسر مقالات حول هذا الكتاب . ونشر هذان الباحثان مشتركين مقالات حول أواني الشراب الكبيرة (الأشكال ٧٥ - ٨٧) ، وأوردا شرحا لكيفية عمل هذه الوسائل وأعادوا رسم الأشكال مع حروف لاتينية . ثم نشر هاوسر كتابا موسعا وأدرج فيه بقية أشكال كتاب الحيل دون أن يتقيد بالنص الحرفي لكتاب الحيل بل إنه اكتفى بشرح الجهاز متصرفا في النص . واستند هاوسر إلى ترجمة قام بها فيديمان وعلى المراجع التي قدمها فيديمان إليه . وكان للعمل المشترك لفيدمان وهاوسر ثم للعمل الذي أصدره هاوسر أهمية كبيرة في تعريف الباحثين بكتاب

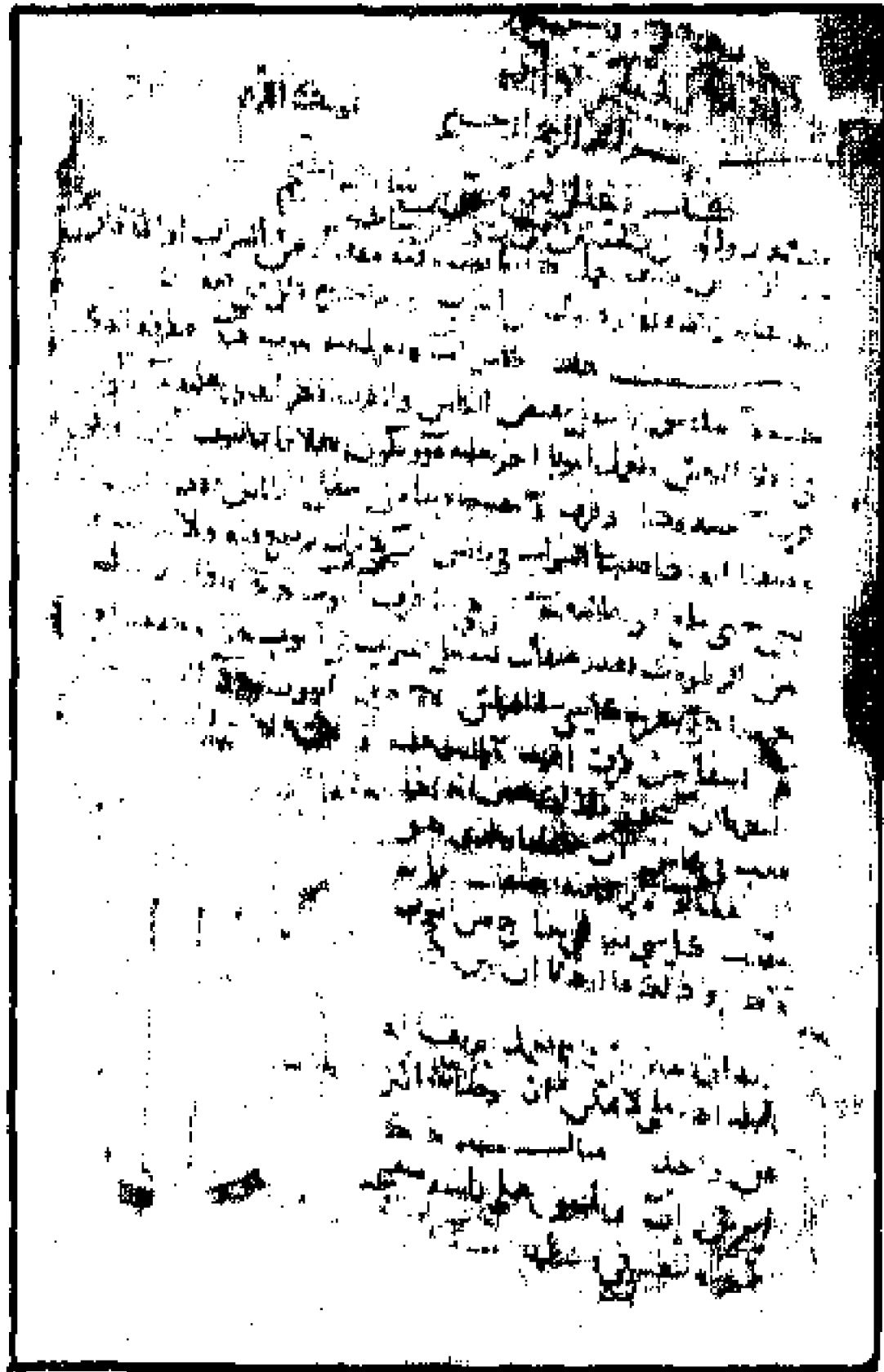
رسوما توضيحية في الحالات التي تتطلب مثل هذه الرسوم .
واتبع هيل أيضا أسلوبا حميدا عندما أورد في مقدمة الكتاب
فصلا شرح فيه عشرة مبادئ أساسية استخدمها بنو موسى في
تصاميمهم . وهذه المبادئ تكررت في كثير من أشكال بنو
موسى . وفي الشكل الواحد من أشكالهم قد يرد مبدأ أو
مبدءان أو أكثر . وبهذه الطريقة لم تعد هناك حاجة إلى أن
يكتر هيل من الشروحات أو أن يكرر هذه الشروحات ما دامت
هذه المبادئ تكرر في أكثر من شكل .

وإلى جانب ما أورد هيل عن حياة بنو موسى وأعمالهم
فقد أورد فصلا في المقدمة عن مخطوطات كتاب الحيل
وأعطى في هذا الفصل شرحا ووصفا مفصلا لكل من
المخطوطات الثلاث المعروفة . كما أنه أورد فصلا عن
المصادر السابقة له التي تناولت هذا الكتاب . كما أنه أورد
مقارنة تاريخية لكتاب الحيل مع ماسبقه وما تلاه من أعمال
مماثلة . ومما تميز به كتاب الحيل الذي أصدره هيل عن
كتاب الجزرى الصادر عنه أيضا ، أن كتاب الحيل يحتوى في
نهايته على معجم بالمصطلحات العربية وما يرادفها باللغة
الإنكليزية كما اشتمل على قائمة بالمراجع التي استند إليها
في إصدار هذا الكتاب .

لقد أصبح كتاب الحيل لبني موسى الآن كتابا معروفا جيدا

الحيل . ويستطيع كل من يعرف الألمانية أن يفهم بصورة
جيدة أشكال بنو موسى . ويحتوى كتاب هاوسر على
معلومات كثيرة عن المصادر العربية وعن حياة وأعمال بنو
موسى مع مراجعة عن الأعمال المماثلة لكتاب الحيل عند
المؤلفين العرب واليونان . ووصف هاوسر المخطوطات التي
كانت معروفة لديه . ويشتمل كتاب هاوسر على شرح
للأشكال (الأجهزة) مع رسوم معدلة لها وشروحات
وملاحظات عديدة . ويمكن القول عموما بأن عمل كل من
فيدمان وهاوسر من جهة وعمل هاوسر وحده من جهة أخرى
يؤديان الغرض المنشود : وهو تعريف مؤرخي العلوم
والمهندسين المهتمين بتاريخ مهتهم بهذا الكتاب الهام .
وهناك هنات وثغرات فيما قام به هذان الباحثان . ذلك أن
المعلومات الواردة عن المراجع غير كافية فمما لا يذكران رقم
الطبعة وتاريخها والمعلومات الكافية لتحديد لها . كما أن
الشروحات الفنية التي يقدمها هاوسر (مثل شرح المبادئ
الهيدروستاتيكية والميكانيكية) لا تكفى لتقريب الموضوع
إلى القارئ العادى . وهناك أمر هام أثر كثيرا على عمل
فيدمان وهاوسر ذلك هو أنهما لم يكونا على علم بوجود
المخطوطة طوبقاي أحمد الثالث ٣٤٧٤ وقد كان من نتيجة
ذلك أنهما لم يستطيعا التمييز بين أخطاء الناسخين وبين
الأخطاء الأصلية . وقد أثبتت المخطوطة أحمد الثالث ٣٤٧٤
بأن بنو موسى كانوا أكثر دقة مما توحى به المخطوطتان
الأخريان .

وكان العمل الأخير والهام الذى تناول كتاب الحيل لبني
موسى هو الترجمة الإنكليزية الكاملة التى صدرت عام
١٩٧٩ . فلقد قام هيل بترجمة كتاب الحيل كاملا ، وهو فى
ذلك يكمل ما كان قد بدأ به عندما أصدر الترجمة الكاملة
لكتاب الجزرى فى عام ١٩٧٤ . وكان كتاب هيل هو أول
كتاب يصدر مشتملا على كامل كتاب الحيل بأية لغة كانت
بما فى ذلك اللغة العربية . وقد كان لاكتشاف مخطوطة
أحمد الثالث أهمية كبيرة زادت من قيمة ترجمة هيل . وقد لجأ
هيل إلى التصوير الفوتوغرافى الأصلى للرسم المرافق لكل
شكل وإلى إعادة الرسم ثانية بصورة تخطيطية مشتملا على
الرموز بالحروف اللاتينية . وفى نهاية كل شكل أورد هيل
تعليقا حيثما كان ذلك التعليق ضروريا . وأضاف هيل أحيانا



الشكل الاول من المخطوطة (ف)

قام فيديمان وهاسر بأبحاثهما استخدمتا هاتين المخطوطتين .

ونظرا لأن مخطوطة الفاتيكان كانت حتى عهد قريب هي المخطوطة الرئيسية فقد اتخذ هاسر تسلسل أرقام الأشكال فيها أساسا في ترجمته . وتبنى هيل هذا الرقم بشكل أساسي في الكتاب الذي أصدره رغم أنه استخدم مخطوطة طوبقابي أساسا في ترجمة النص إلى الإنكليزية .

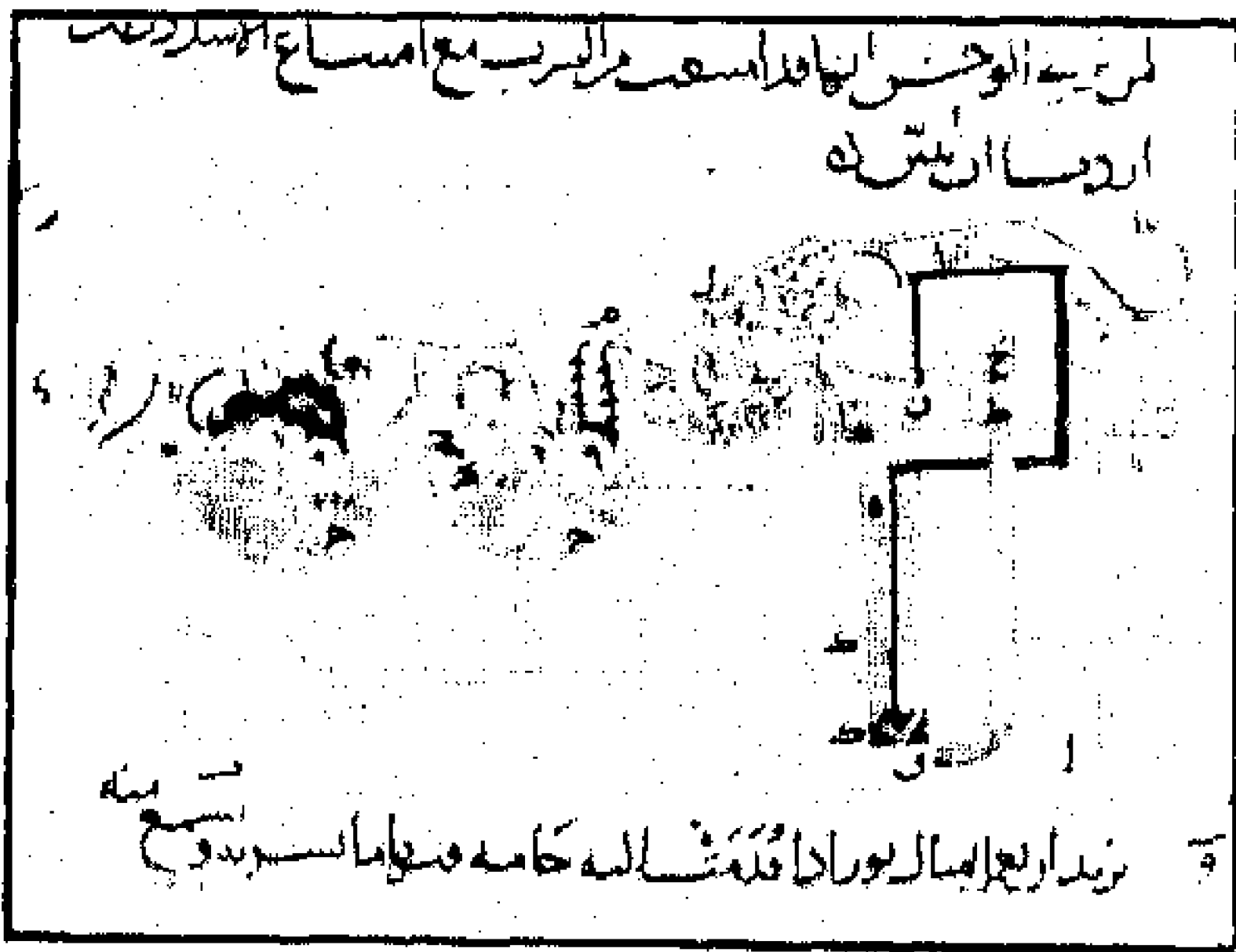
١ - مخطوطة طوبقابي أحمد الثالث ٣٤٧٤

هذه أفضل مخطوطات كتاب الحيل من حيث صحة النص ودقة الرسوم . وكانت كما أسلفنا غير معروفة للمحققين إلا منذ عهد قريب . . وربما كانت مخطوطة طوبقابي أحمد الثالث ٣٤٧٤ أقدم المخطوطات الثلاث . . وهناك نقص أحيانا في نسخة الفاتيكان نجده كاملا في نسخة طوبقابي ، كما أن العكس أيضا صحيح . .

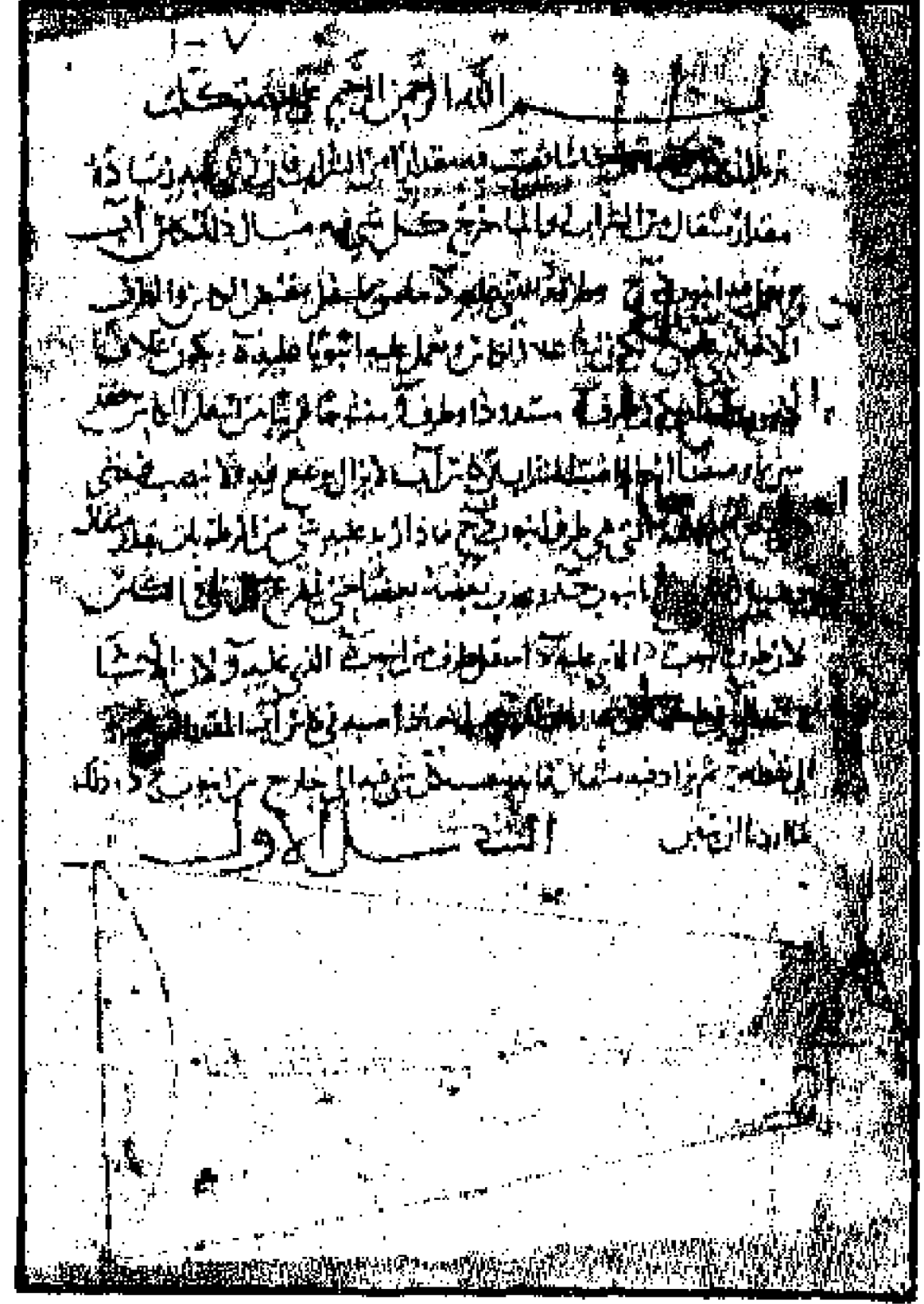
وهناك مخطوطتان جزئيتان هما :

أ - مخطوطة ليدن رقم أور ١٦٨ (Or. 168) .

ب - مخطوطة نيويورك - مجموعة سبنسر الهندية الإيرانية رقم ٢ (كتاب الحيل / ٣١ - ٣٦ ، ٤٦) .
قالت المؤلفة : توجد نسخ من هذه المخطوطات الخمس



الشكل الخامس من المخطوطة (ط)



الشكل الاول من المخطوطة (ب)

في العالم الغربي بفضل كتاب هيل الأخير ولم يعد هذا الكتاب مجرد اسم أسطوري يسمع به الناس ولا يعرفون محتواه .

مخطوطات كتاب الحيل :

رغم أهمية كتاب الحيل وشهرته إلا أن المخطوطات المتبقية منه قليلة جدا . وهناك الآن في العالم ثلاث مخطوطات رئيسية فقط من هذا الكتاب وهذه المخطوطات الرئيسية هي :

- ١ - مخطوطة طوبقابي سراي - أحمد الثالث ٣٤٧٤ .
- ٢ - مخطوطة مكتبة الفاتيكان - الفاتيكان رقم ٣١٧ .
- ٣ - مخطوطة موزعة بين مكتبة غوتا في ألمانيا الديموقراطية غوتا برتش رقم ١٣٤٩ - آ .

وبين مكتبة برلين في ألمانيا الغربية رقم ٥٥٦٢ .
والمخطوطة الأولى (طوبقابي أحمد الثالث ٣٤٧٤) لم تكتشف إلا مؤخرا . وقد ثبت أن هذه المخطوطة هي أفضل مخطوطات كتاب الحيل على الإطلاق . وكانت المخطوطتان الفاتيكان وغوتا - برلين معروفتين منذ القرن الماضي . وعندما

الأسطر: ١٨ س.

المقياس: الحجم المتوسط.

مكتوبة بالمداد الأسود، وبها بعض الرسوم والأشكال الهندسية.

(٢) إيطاليا - روما - الفاتيكان (مكتبة الفاتيكان رقم ٣١٧).

أوله: تتفق مع النسخ رقم «١».

آخره: «تم الكتاب بحمد الله القدير وحسن توفيقه، والحمد لله وحده».

الخط: نسخ جيد.

الأوراق: ٧٤ ق.

الأسطر: -

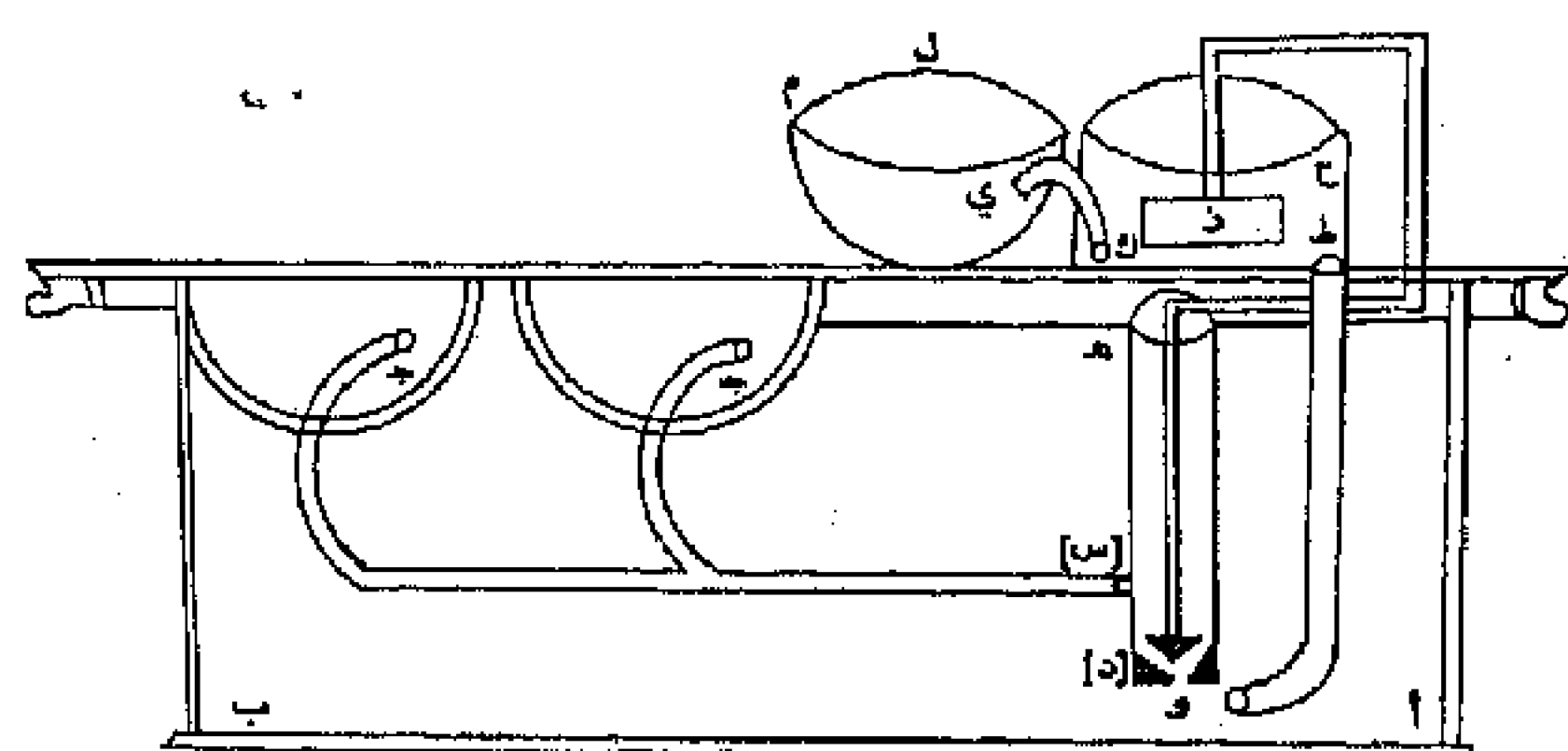
المقياس: -

وقد سجل أحمد الحسن ناشر المخطوط الملاحظات التالية على النسخة.

- الأشكال من ١ - ٥٥ كاملة بالتسلسل مع رسومها عدا شكل ١٣.

- الأشكال من ٥٦ - ٥٨ كاملة ولكنها بصورة مضطربة.

- الأشكال ٥٦ - ٩٠ كاملة.



الرسم هـ - أ
(عن المخطوط ط)

في قسم التراث العربي بالكويت وجاء بيان كل منها في
الفهرس كما يلي:

كتاب الحيل:

تصنيف بنى موسى بن شاكر

وهو يبحث في صناعة الأواني والآلات التي اعتمدت الماء
كمؤثر رئيسي لبدء أو إتمام حركة معينة ذاتية أو أوتوماتيكية،
وللكتاب أهمية بالغة في تطوير التقنية بما حواه من معلومات
وبما رسم فيه من أشكال بلغت المائة.

النسخ الموجودة منه:

(١) استانبول، مكتبة الطوب قايى - أحمد الثالث

٣٤٧٤.

أوله بعد البسملة:

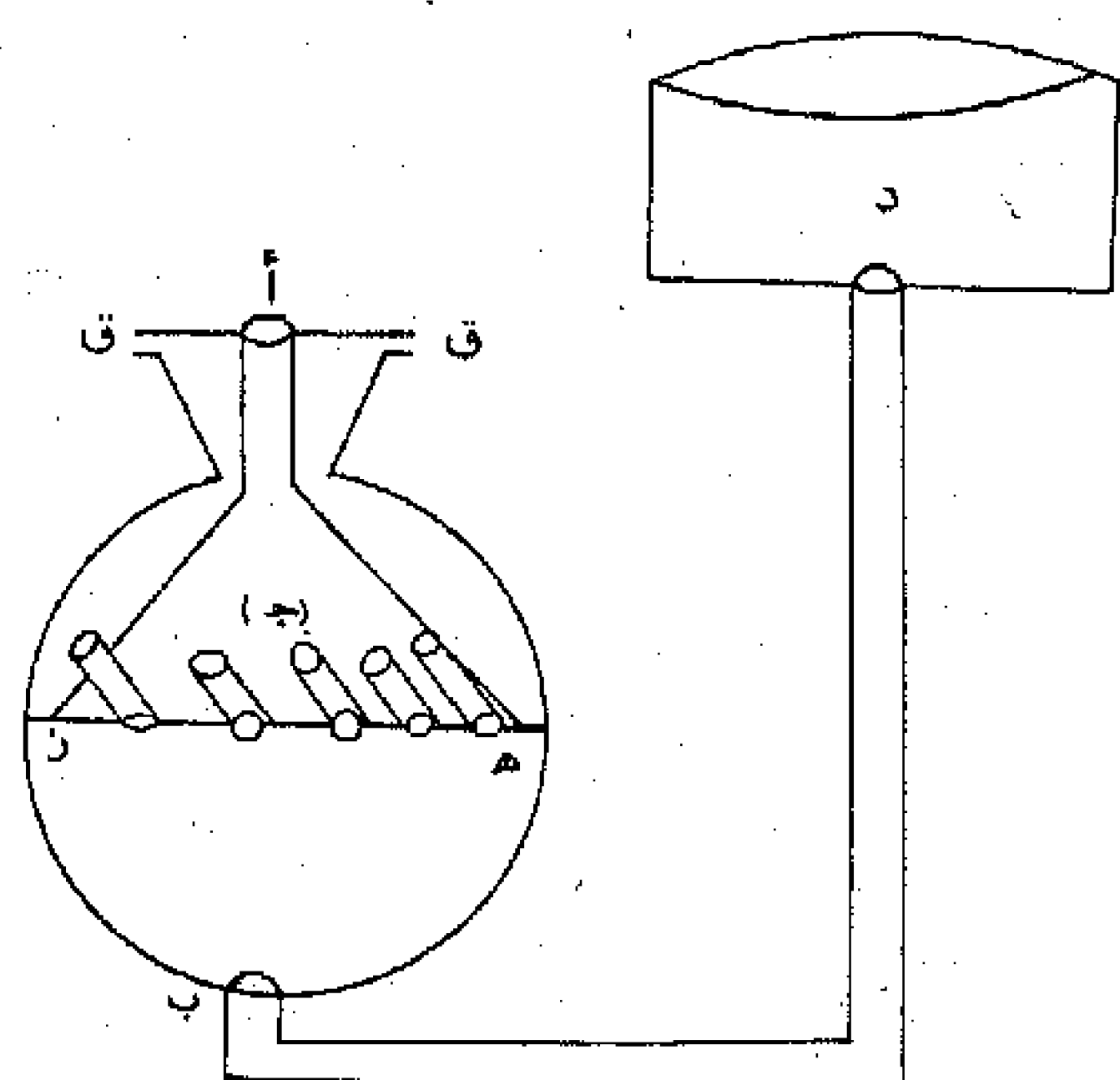
«كتاب الحيل لبنى موسى بن شاكر المنجم، قال: محمد
والحسن والحسين من بنى موسى بن شاكر، الشكل الأول،
نريد أن نبين كيف نعمل كأساً».

آخره: «... وتنطبق عليه، ثم تجذب السلسلة م ف
حتى تخرج الآلة وتبرز فتأخذ كل شيء فيها، وكل شيء علق
فيها، وذلك ما أردنا».

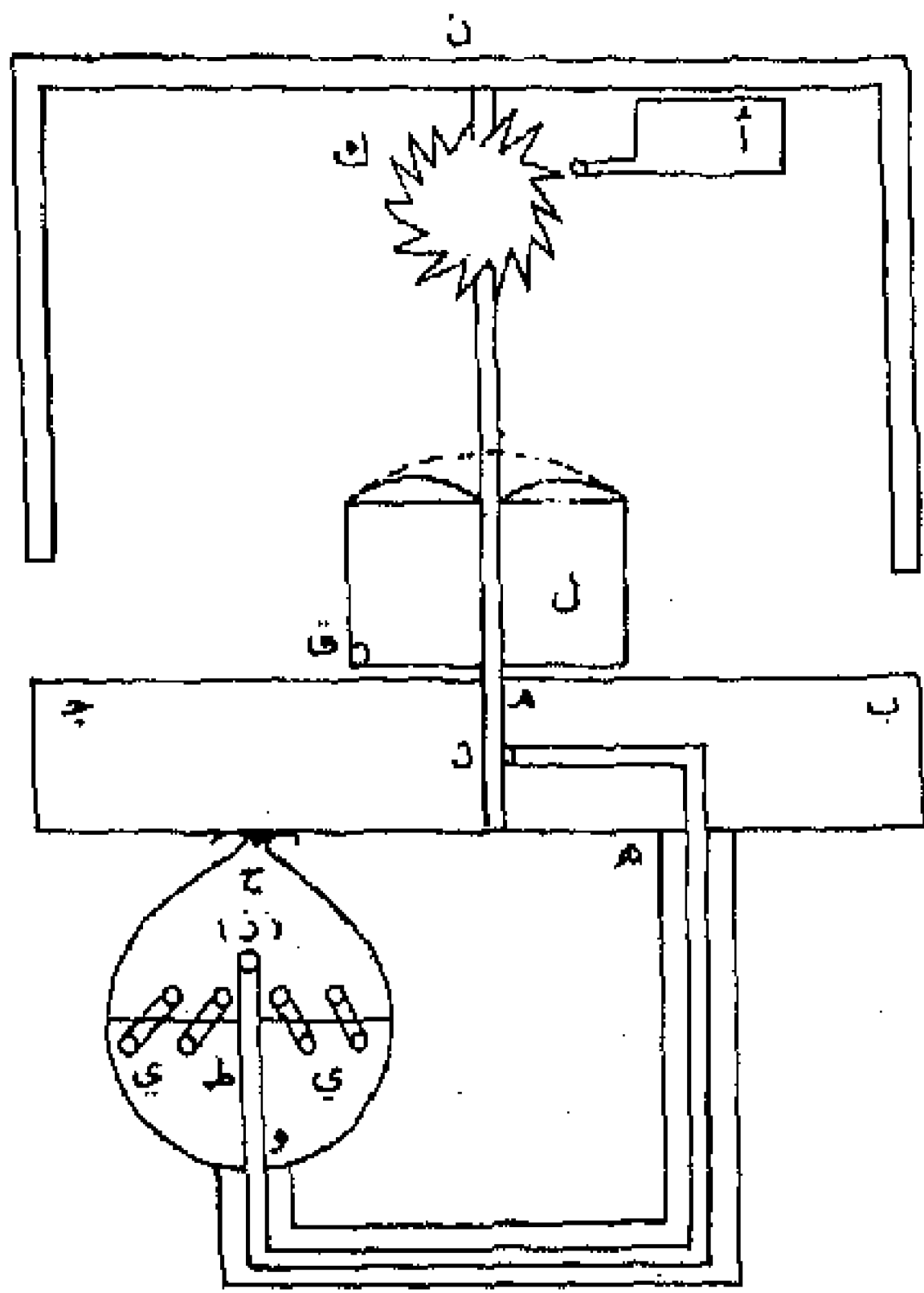
الخط: نسخ عادى

النسخ: القرن السابع أو الثامن الهجرى.

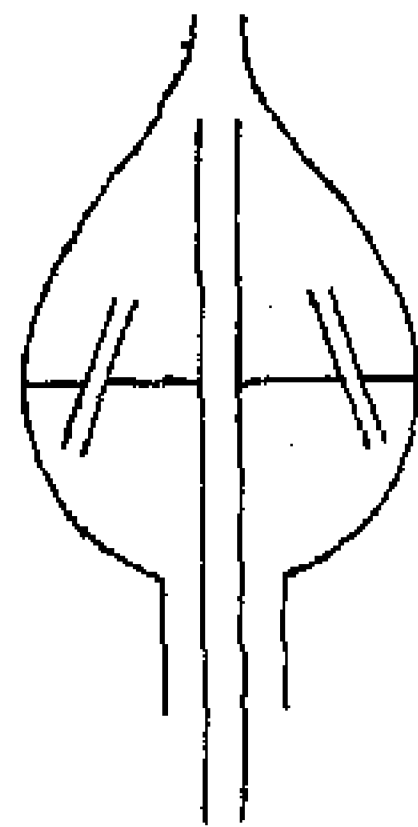
الأوراق: ٨٥.



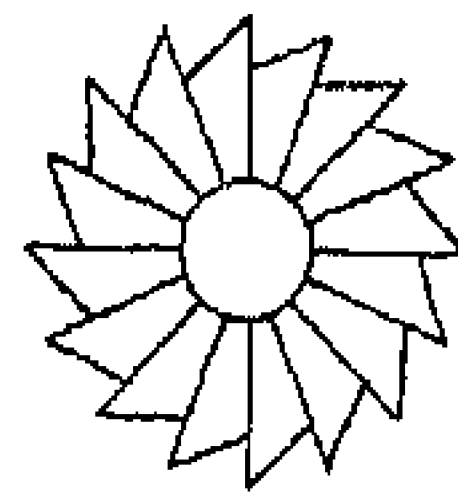
الرسم ٨٨
(المخطوط ط)



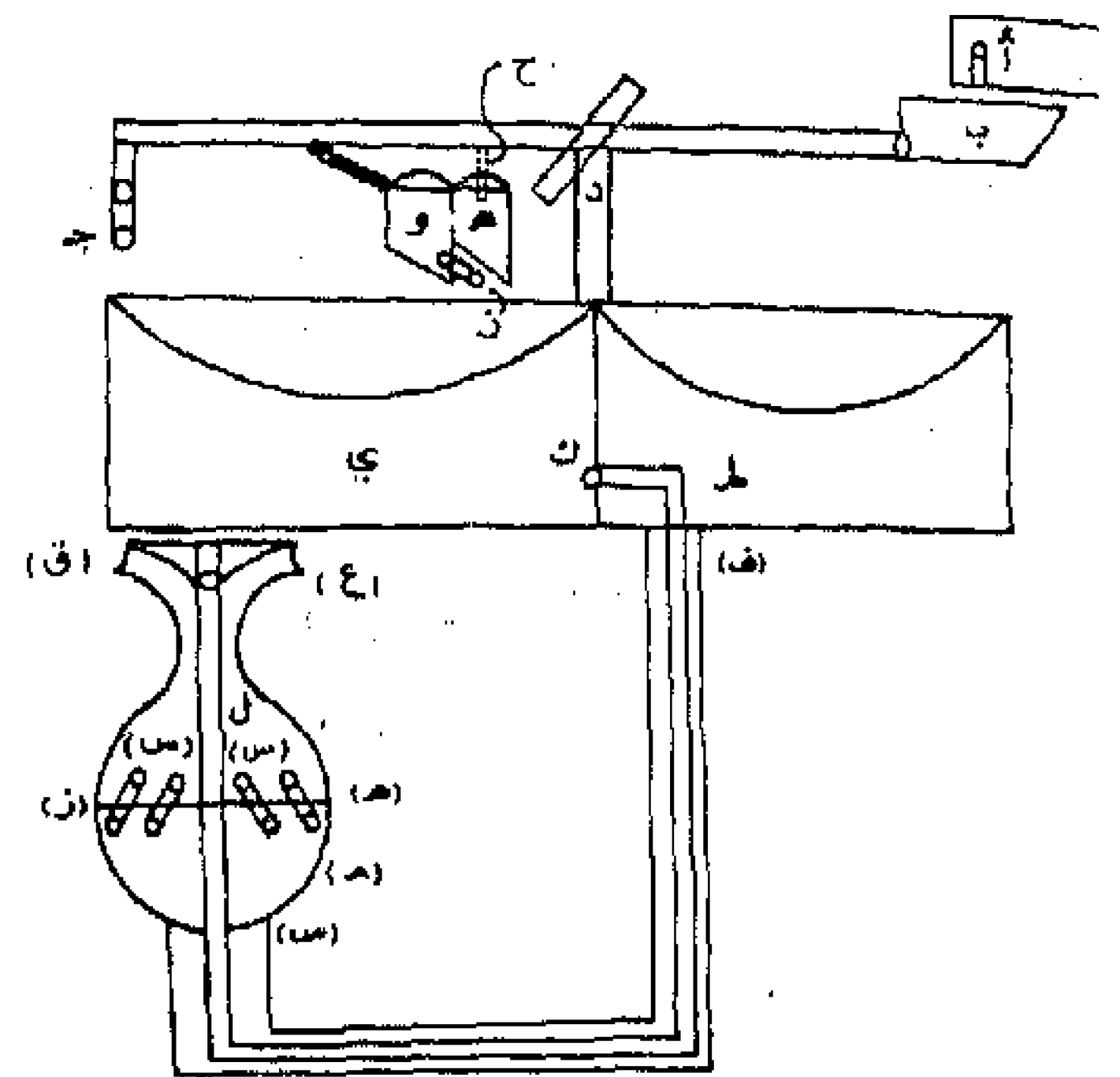
الرسم ٩ - أ
(عن المخطوطة ف)



الرسم - ٩٥ -



الرسم ٩٠ - ب



الرسم ٨٩
(عن المخطوطة ف مع إضافة الإتيان المنقطع)

١٠٠ - الشكل ٩١ غير موجود.

- الشكل ٩٢ موجود منه القسم الثانى فقط .

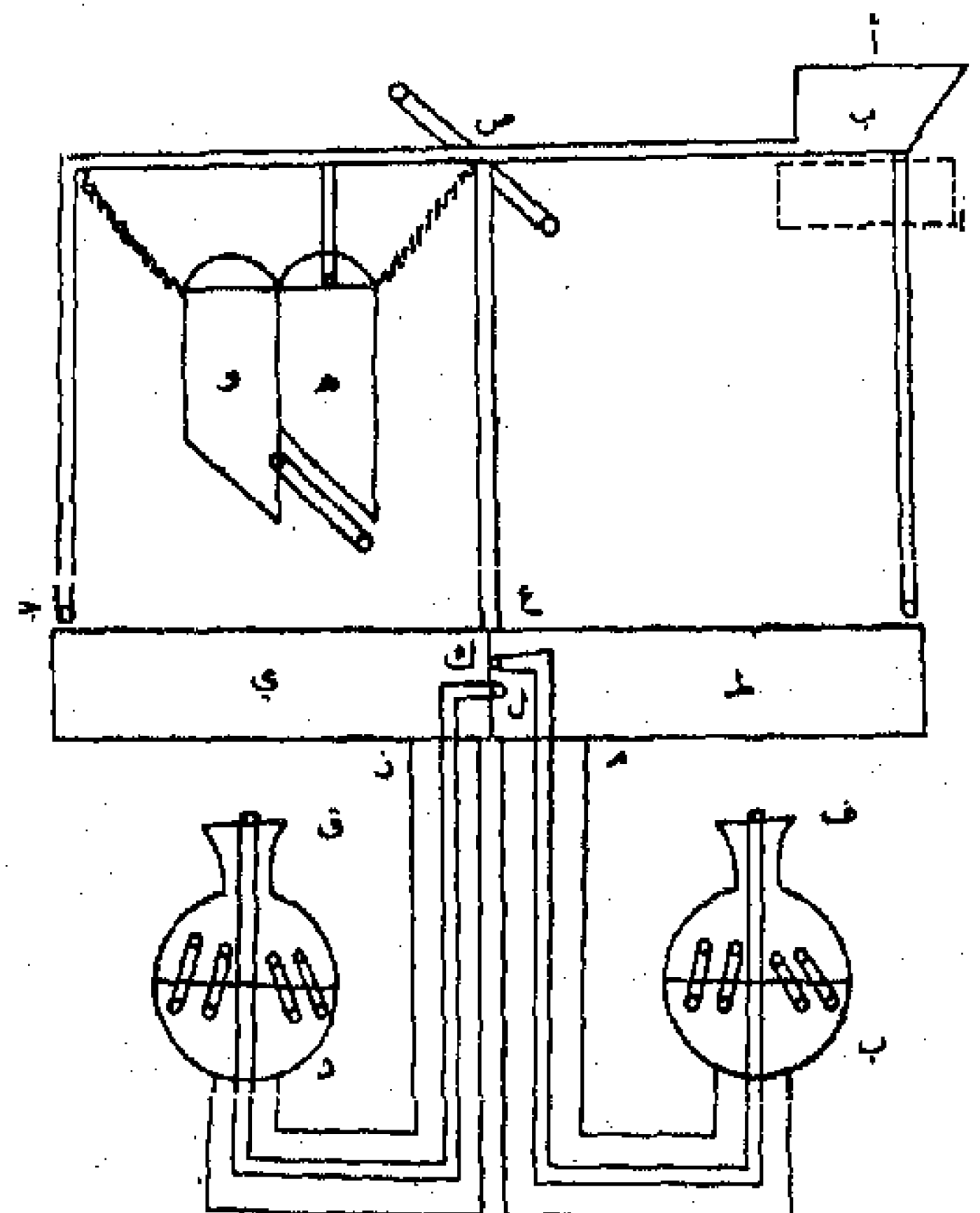
الشكل ٩٣ النص بدون الشكل .

١٠٠ - الأشكال ٩٤ - غير موجودة.

كما يلاحظ أنه وردت العبارة التالية عند بداية الشكل ٢٣

جاء فيها «هذا الكتاب الثاني من كتاب أبي الحسن، أحمد بن

موسى المنجم رحمه الله فى الحيل للعفريت أحمد بن حياء.



الرسم ٩١
(من المخطوطة ب)

(٣) ألمانيا الغربية - برلين - مكتبة برلين الأهلية رقم

.0072-MQ VT9

أوله: «كتاب الحيل لبني موسى بن شاكر المنجم، نريد أن نبين كيف نعمل كأساً نصب فيه مقداراً من الشراب».

آخره: «... حتى تخرج الآلة وتبرز، فيأخذ كل شيء فيها، وكل شيء علق فيها، وذلك ما أردنا أن نبين، تم كتاب الحيل».

الخط : نسخ کبیر واضح ،

النسخ: ١٥ جمادى الأولى سنة ٦٠٧ هـ.

الأوراق : ٧٥ ق .

الأسطر : ١٨ س .

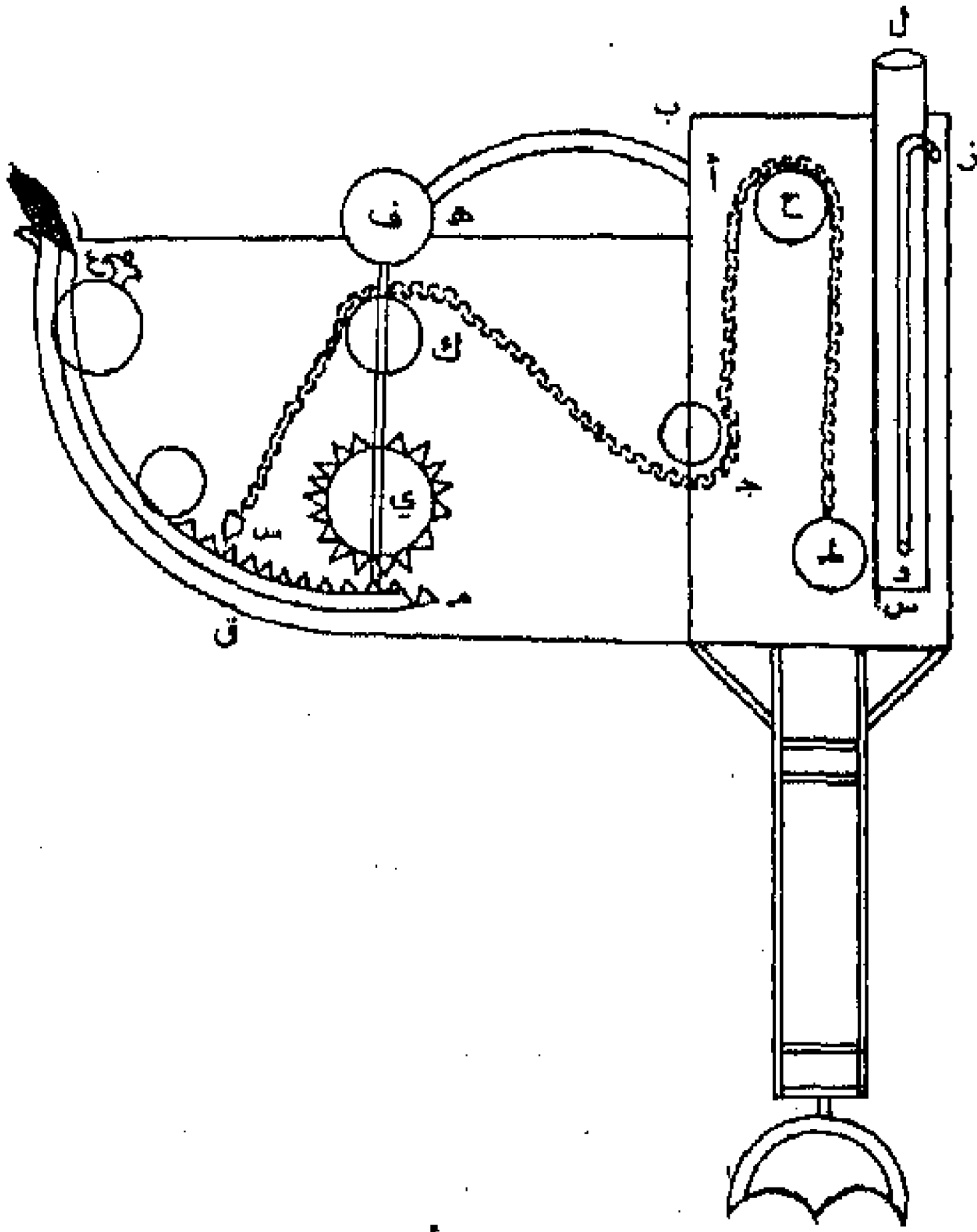
المقياس: ٢٦ × ١٨,٥ سم

مكتوبة بالمداد الأسود، والأشكال والحروف بالمداد الأحمر، وبالنسخة نقص في الأوراق من (١ - ١٠) ومن (١٢ - ١٩)، ويبدو أن النسخة روجعت كما يظهر من الحواشي.

(٤) ألمانيا الشرقية - مكتبة غوطا (a) رقم ١٣٤٩ A.

منقولة عن نسخة الفاتيكان رقم ٣١٧.

الخط : نسخ جيد .



الرسم ٩٧ - أ
(عن المخطوطة ب)

لم نطلع عليها، وتوفرت لدينا المعلومات التالية عنها:

فيها أشكال ما بين الأوراق ٧٥، ٩٧.

وتاريخ نسخها سنة ١٠٣٠ هـ / ١٦٢٠ م.

(٨) تركيا - استانبول - المكتبة السلمانية - أيا صوفيا رقم

٢٧٦٢.

أوله وآخره كالنسخة رقم (١).

الناسخ: ابن الهيثم.

التاريخ: سنة ٤١٥ هـ.

— هناك مختصر للكتاب صنعه أبو حاتم المظفر بن

إسماعيل الإسفزاری محفوظ في مكتبة مانشتير تحت رقم

(B. ٣٤٧).

هذا وقد نشر الكتاب بعناية معهد التراث العلمي العربي،

أحمد يوسف الحسن بالتعاون مع محمد علي خياطة

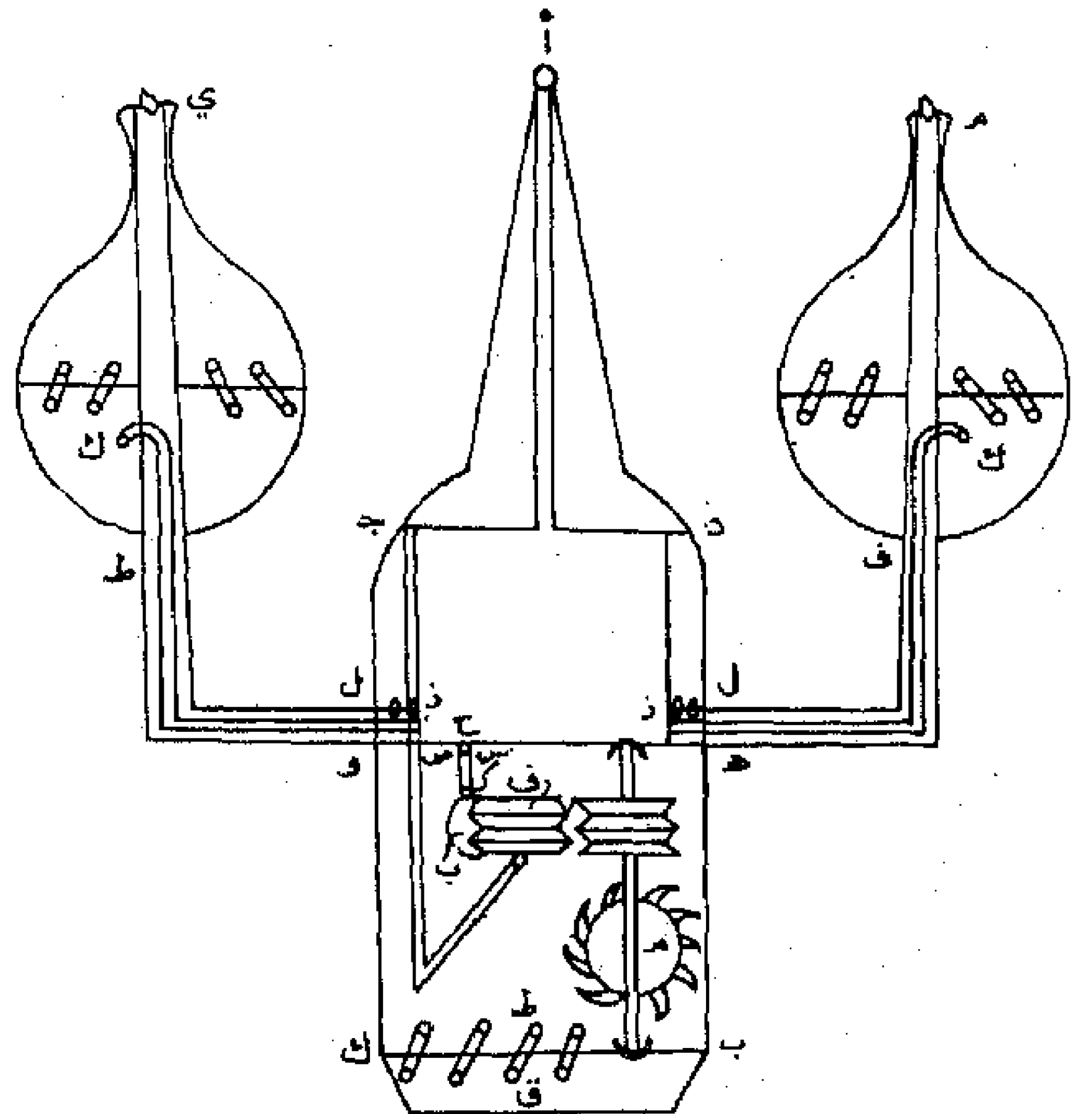
ومصطفى تعمري سنة ١٩٨١ م (فهرس مخطوطات الفلاحة /

١٤٧ - ١٥٠).

قالت المؤلفة: وهذه هي الطبعة التي عندي والتي نقلنا

منها ما أوردها في هذه المادة وفيما يلي جدول بأرقام الاشكال

التي أوردها هنا ووصفها:



الرسم ٩٣ - أ
(عن المخطوطة ب)

الناسخ: فيليب موراني.

النسخ: ١٩٨٢ م.

الأوراق: ٧٩ ق.

وتسجل عليها الملاحظات التي سجلت على نسخة

الفاتيكان.

(٥) ألمانيا الشرقية - مكتبة غوطا رقم ٦١٤.

لم نطلع عليها، اعتمدنا وصف أحمد الحسن لها.

عدد الأوراق: ٥٤ ق.

عدد الأسطر: ١٨ س.

المقياس: الحجم المتوسط.

(د) هولندا - ليدن - مكتبة الجامعة رقم ١٦٨ MS. Or.

لم نطلع عليها واعتمدنا وصف الحسن.

عدد الأوراق: ٨٦ ق.

وتحتوي ٦ أشكال ما بين الصفحات ٧٤ - ٧٧، وكذا في

الورقة ٨٦.

(٧) الولايات المتحدة الأمريكية - نيويورك - المكتبة العامة

Indo Persian Spenser - Collections MS. 2.

- رقم الشكل الوصف
- ٥ عمل تماثيل من الوحش يصب لها الماء في جامات يكون فيها فلا تشرب منه ومعها تمثال أسد فإذا صب للأسد الماء في جامه يشرب وتشرب الوحوش كلها من الماء الذي في جاماتها فمتى انقطع شرب الأسد لا يشرب الوحش فإن شرب الأسد ثانية شربت الوحوش معه وهكذا لا يزال.
- ٨٨ عمل فوارة فور الماء منها كهيئة السوسنة وإن أحببنا جعلنا الماء يفور منها كهيئة الترس.
- ٨٩ عمل فوارة مركبة في بعض المواضع يفور منها الماء مدة من الزمان كهيئة الترس ثم ينقطع ذلك ويفور مثل تلك المدة من الزمان كهيئة القناة ثم يعود أيضا يفور منها الماء على مثال شكل الترس وكذلك لا تزال دهرها تتبدل.
- ٩٠ عمل فوارة يفور منها الماء مرة على مثال شكل السوسنة ومرة مثل القناة ويكون علمها بالريح ما دامت تهب وتعمل أيضا بجريه الماء وتبدل.
- ٩١ عمل فوارتين مركبتين في رواق أو في بعض المواضع بالقرب من بعض الأنهار لا يزال إحدى الفوارتين يفور منها الماء كهيئة الترس ويفور الأخرى كهيئة القناة. فإذا مضت ساعة ابتدلتا فخرج من فوارة الترس مثل القناة وخرج من الذي كان يخرج مثل القناة مثل الترس. فإذا مضت ساعة أخرى عاد الأمر كما كان أولا وكذلك لا يزالان يتبدلان طوال الدهر.
- ٩٣ عمل فوارة تخرج ساعة قضيبا وساعة ترسا وحولها فوارتان صغيرتان أو كما شئنا وتكون الفوارة الكبيرة إذا فارت ترسا فارت الفوارتان اللتان حولها قضيبا وإذا فارت الفوارة الكبيرة قضيبا فارت الفوارتان اللتان حولها ترسا وكذلك لا يزال.
- ٩٧ عمل سراج يخرج الفتيلة لنفسه ويصب الزيت لنفسه وكل من يراه يظن أن النار لا تأكل من الزيت ولا من الفتيلة شيئا بته ويعرف هذا السراج بسراج الله.
- (كتاب الحيل تصنيف بنى موسى بن شاكر - تحقيق د. أحمد يوسف الحسن، بالتعاون مع محمد على خياطة، ومصطفى تعمري / ٣١ - ٣٦، ٤٦، ٧٧، ٨٧، ٨٨. وفهرس مخطوطات القلاحة. النبات - المياه - الري بقسم التراث العربى بالكويت - صبعة د. محمد عيسى صالحية، وعبد الله فيلح / ١٤٧ - ١٥٠).
- * الحيل لاستحلال محارم الله:
- انظر: الحيل الشرعية (علم -)
- * الحيل الهندسية (علم -):
- انظر الحيل (علم -).
- * الحيل والأمور العجيبة في عمل آلات الماء:
- من مصنفات التراث الإسلامى فى الصناعة وعلم الحيل .
- مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى :
- مجهول المؤلف .
- ناقص الأول، ويتبدئ الموجود بقوله : نريد أن نبين كيف نعمل إبريقاً له بابلية، إذا ملئ لا يمكن أن يتوضأ منه أكثر من واحد... إلخ .
- وناقص من آخره أيضا . وآخر ما فيه الكلام على عمل جرار الماء والشراب بطرق مختلفة، موضحة كلها بالشكل والرسوم الهندسية .
- نسخة كتبت فى القرن السابع أو الثامن الهجرى تقريبا بخط معتاد قديم فى ٨٥ ورقة ، ومسطرتها ١٨ سطرا .
- [أحمد الثالث باستانبول - ٣٤٧٤] .
- (فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية المعارف العامة والفنون المتنوعة - تصنيف فؤاد سيد . القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ج ٤ / ١٧٤) .
- ملاحظة : صورة المخطوط المصاحبة لهذه المادة أخذت من الكتاب العربى المخطوط - جمعها وعلق عليها د. صلاح الدين المنجد . لوح ١٠٦ ، وفيه رقم المخطوط فى مكتبة أحمد الثالث باستانبول هو ٣٤٣٤ .

كتبت هذه النسخة بخط النستعليق عليها حواش وتعليقات لعلها بخط المؤلف .

القياس ٤٣٤ ص ١٧, ٥ × ٢٦, ٥ سم ١٧ س
ذيل بروكلمان ٨٦٤ / ٢ .

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي -
أسامة ناصر النعشبدى / ٩٥) .

* الحين :

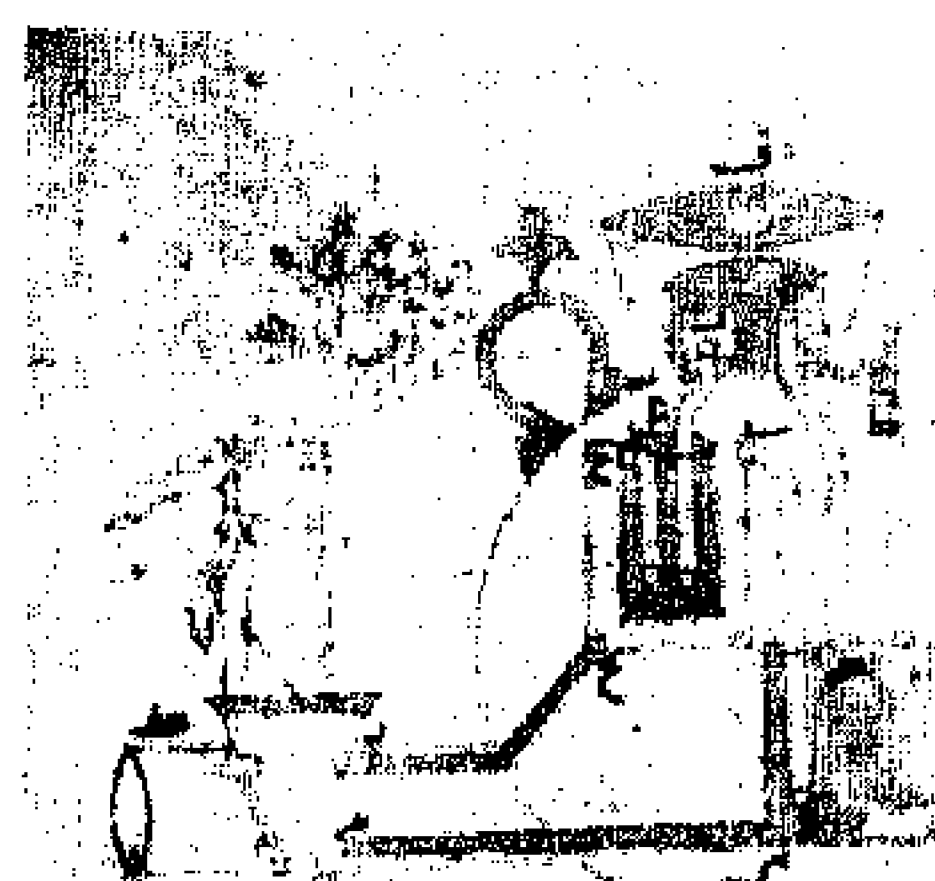
انظر يوسف الحين (مسجد -) .

* الحية :

مما يرد في مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان .
أوردها القزوينى صاحب « عجائب المخلوقات » (٦٠٥ -
٦٨٢ هـ) والدميرى صاحب « حياة الحيوان الكبرى » (٧٤٢ -
٨٠٨ هـ) .

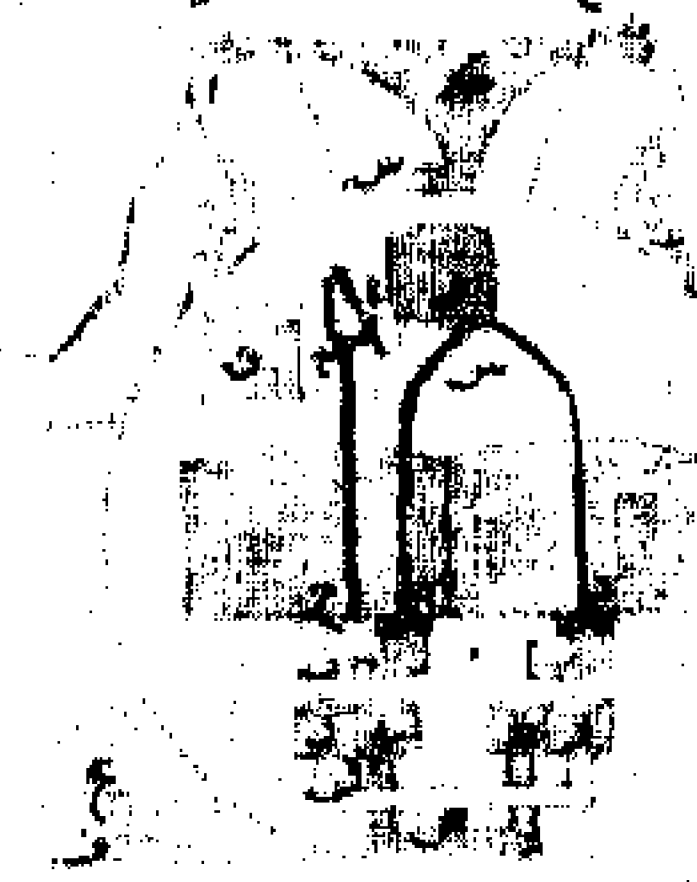
قال عنها القزوينى وقد أدرجها فى الهوام والحشرات :

الحية : من أعظم الحيوانات خلقة وأشدّها بأساً وأقلّها
عدداً وأطولها عمراً . قالوا : ليس من حيوانات البر شيء
أعظم من الثنين ولا شيء يقتل نهشه أسرع من الحية ولهذا أمر
النبي ﷺ بقتلها فى الحل والحرم ، وقال النبي ﷺ « من قتل
حية فله عشر حسنات » ولما حرمت الحية آلة الهرب أعطاها
الله تعالى سلاحاً تدفع عن نفسها فلأجل ذلك إذا سمع
الإنسان بوجودها فى بقعة هرب عنها ولا يقربها ولولا نابها
لاتخذها الناس حيلاً ولعبت بها الصبيان . وذكروا أن الحية
تولد من شعر الإنسان إذا وقع فى الماء وأثرت الشمس فيه
وأنها يكثر اختلاف أصنافها فى الكبر والصغر والتعرض
للإنسان والهرب منه ، فمنها ما لا يؤذى إلا إذا وطئها واطىء ،
ومنها ما لا يؤذى إلا إذا وطئ حماها ، ومنها ما لا يؤذى إلا
على بيضها وفرخها ، ومنها ما لا يؤذى إلا إذا آذاها الناس مرة ،
ومنها الأسود الذى يحفر ويكمن حتى يدرك الفرصة ، ومنها
الحفاف وهى دابة تشبه الحية ولها نفخ ورعيد وتقريب وهى
أشر هيئة من الأفعى والثعابين وإنها لا تضر ولا تنفع والحيات
تقتلها ، ومنها حية ويقال لها الملكية طولها شبر وأكثر وعلى
رأسها خطوط بيض تشبه التاج فإذا انسابت على الأرض
أحرق كل شيء مرت عليه ، وإن طار طائر فوقها يسقط عليها
وإذا بدت تنساب هرب من بين يديها جميع الدواب ، وإذا



من رمل من كسب لغيره لمارال وأطاع صدمها السراخج
والمارال صدمها الماوعى والبطوناسلجج من البرال
من يهده الحيلة محمد وهما واره وعطوطه وددى وددى وددى

« صفة من مرسع تحت حية حركه وادحر الطيرة فخرى
حويته الخرج مرسع كماله وادحر الطيرة فخرى



« صفة من مرسع تحت حية حركه وادحر الطيرة فخرى
حويته الخرج مرسع كماله وادحر الطيرة فخرى

سورة جرقين العمليات الكيميائية . فى كتاب « الحل والأمر العجيب » . مؤلف مجهول ،

من نسخة كتبت فى القرن السابع الهجرى (استانبول : أحمد الثالث ٣٤٣٤ - معهد المخطوطات)

* حيلة الواصفين :

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الطب .

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقي .

الرقم : ١١٤٧٨ .

لمحمد مهدي بن على أصغر بن نور محمد خان الهروى

المتوفى سنة ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م .

الأول « الحمد لله الذى نضر مزارع قلوب الحكماء ... » .

وهو كتاب فى الأسباب والعلامات والعلاجات فرغ منه

المؤلف سنة ١٢٣٠ هـ / ١٨١٤ م .

أن من أكل منها لا يرمد سنة ومن أكل فلسين لا يرمد سنتين وهكذا وإن علق على صاحبة الطلق وضعت في الحال: وجلدها يحرق ويكتحل برماده ينفع من السبل وتقاطر الماء في العين ويذهب الظلمة: وقال جالينوس: مرق الحية يقوى البصر، وبيض الحية يسحق في الهاون ويطلى به الممرض يزول (عجائب المخلوقات / ٢٩٢، ٢٩٣)

أما الدميري فيسط الكلام عليها بطريقته المميزة التي درج عليها في كتابه كله، وإليك بعضا مما جاء به . يقول رحمه الله :

الحية اسم يطلق على الذكر والأنثى فإن أردت التمييز قلت هذا حية ذكر، وهذا حية أنثى . قاله المبرد في الكامل وإنما دخلته الهاء لأنه واحد من جنس كبطة ودجاجة ... والنسبة إلى الحية حيوى والحيوت ذكر الحيات . أنشد الأصمعي :

ويأكل الحية والحيموت

ويخفق العجوز أو تموت
وذكر ابن خالويه لها مائتى اسم ونقل السهيلي عن المسعودي أن الله تعالى لما أهبط الحية إلى الأرض أنزلها بسجستان فهي أكثر أرض الله حياث ولولا العريد يأكلها ويفنى كثيرا منها لخلت من أهلها لكثرة الحيات وقال كعب الأحمار أهبط الله تعالى الحية بأصهبان وإبليس بجدة وحواء بعرفة وآدم بجبل سرنديب وهو بأرض الصين في بحر الهند عال يراه البحريون من مسافة أيام وفيه أثر قدم آدم عليه الصلاة والسلام مغموسة في الحجر ويرى على هذا الأثر كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بد له في كل يوم من مطر يغسل موضع قدم آدم عليه الصلاة والسلام .

ويقال إن الياقوت الأحمر يوجد على هذا الجبل فتحدره السيول والأمطار من ذروته إلى الحضيض ويوجد به الماس أيضا وبه يوجد العود كذا قاله القزويني قلت وهو قريب من جبل يقال له ساتيدما بكسر المشنة من فوق بعدها مشنة من تحت ودال مهملة وميم وألف وهو متصل من بحر الروم إلى بحر الهند ليس يأتي يوم من الدهر إلا ويسفك عليه دم فسمى «ساتيدما» لذلك وكان قيصر قد غزا كسرى وأتى بلاده فاحتال له حتى انصرف عنه فاتبعه كسرى في جنوده فأدركه بساتيدما فانهزم أصحاب قيصر مرعوبين من غير قتال فقتلهم كسرى

صفرت يموت من صفيها كل حيوان سمع ذلك بعد ما ينتفخ ويسيل منه الصديد وإن أكل من تلك الجيفة شيء من السباع يموت .

قال جالينوس : إنها حية شقراء على رأسها ثلاث قبازع مثل التاج وهي قليلة الظهور للناس .

وزعموا أن الحية تعيش ألف سنة وأكثر وكل سنة تسليخ جلدها وكلما انسليخ يظهر على قفاها نقطة ، فنقط قفاها عدد سنينها ، وإذا دخل بعضها في الحجر وبقي بعضها خارجا لا يمكن جذبها إلى خارج البتة حتى لو شد البقر في ذنبه ينقطع ولا تنجذب وتبيض ثلاثين بيضة على عدد أضلاعها فيجتمع عليها النمل والبق فيفسدها ولا يصلح منها إلا القليل ، وإن لدغتها العقرب ماتت إن لم تجد ملجأ تنام عليه وإن وجدت سلمت . وقالوا : من الحيات حية إذا ضربت بعصا مات الضارب .

ومن عجائب الحية أنها إذا علمت أنها مقتولة احترزت على رأسها وانطوت أشد الانطواء على الرأس وجعلت بدنها وقاية للرأس ولا تزال تفعل ذلك حتى تصيب الضربة رأسها . وذكروا أن في تربة الأهواز حية حمراء دقيقة إذا رأت الإنسان وثبت عليه كالطير ولسعته فيموت في الحال . وذكروا أيضا أن الحية عند انتصاف النهار واشتداد الحر وامتناع الحافى من الأرض والمنتعل يغور ذنبها في الرمل وتنصب كأنها عود مركز أو ثابت ، فإذا رأى الطائر عودا مركزا كره الوقوع إلى الأرض من شدة الحر ووقع على رأس الحية على أنها عود فتقبض عليه .

خواص أجزائها :

نابها : يقلع حال حياتها ويشد على صاحب حمى الربيع تزول عنه الحمى ، قال ابن سينا : يقوى القوة ويحفظ الحواس والشباب وينفع من الجذام وداء الثعلب ، وقال محمد بن زكريا : ذكر الأوائل أن المستسقى إذا أكل من لحم حية عتيقة لها مئون من السنين يبرأ وقال أبقراط : لحم الحية أمان من الأمراض الصعبة : شحمها : يذاب ويطلى به البواسير مع الملح ينفعه نفعا بينا وسلخها يطبخ بالخل ويتمضمض به ينفع من وجع السن وإذا أحرق في إناء نحاس وسحق نفع من أوجاع العين كلها ويسود العين الزرقاء ، وقد اشتهر بين الناس

ومن أنواعها الأزعر وهو غالب فيها ومنها وما هو أظن ذو
شعر ومنها ذوات القرون وأرسطو ينكر ذلك قال الراجز:

وذا قـرـنـين طـعـنـون الضـررس

تنهس لـــــــو تمكنت من نهس

تدير عينا كشهاب القبس

ومنها الشجاع ومنها العربد وهي حية عظيمة تأكل
الحيات كما تقدم ومنها الأصله وهو عظيم جدا له وجه كوجه
الإنسان ويقال إنه يصير كذلك إذا مرت عليه ألوف من السنين
ومن خاصية هذا أن يقتل بالنظر ومنها الصل وتسمى المكلفة
لأنها مكلفة الرأس وقيل الصل الأول وهذه المكلفة وهي
شديدة الفساد تحرق كل ما مرت عليه ولا ينبت حول جحرها
شيء من الزرع أصلا وإذا حاذى مسكنها طائر سقط ولا يمر
حيوان بقربها إلا هلك وتقتل بصغيرها على غلوة سهم ومن
وقع عليه بصرها ولو من بُعد مات ومن نهشته مات في الحال
وضربها فارس برمح فمات هو وفرسه وهي كثيرة ببلاد الترك
ومنها ذو الطفيتين والأبتر وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال
اقتلوهما فإنهما يلتصقان البصر ويسقطان الحبالى قال الزهرى
ونرى ذلك من سمها . ومنها الناظر متى وقع نظره على إنسان
مات الإنسان من ساعته ومنها نوع آخر إذا سمع الإنسان
صوته مات .

ومن أسماء الحية العيم والعين والصم والأزعر والأبتر
والناشر والاین والأرقم والأصله والجبان والشعبان والشجاع
والأزب والأفعى والإفعوان وهو الذكر من الأفاعى كما تقدم
والأرقش والأرقت والصل وذو الطفيتين والعربد قال ابن الأثير
ويقال للحية أبو البختري وأبو الربيع وأبو عثمان وأبو العاصى
وأبو مذعور وأبو وثاب وأبو يقظان وأم طبق وأم عافية وأم عثمان
وأم الفتح وأم محبوب وبنات طبق والحية الصماء وهي
الشديدة الشر قال عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه :

إذا تخـازرت ومـا بى من خـزر

ثم كسرت الطرف من غير حور

ألفيتنى ألبوى بعيد المستمر

أحمل ما حملت من خير وشر

كالحية الصماء فى أصل الشجر

قتل الكلاب ونجا قيصر ولم يدركه كذا حكاه البكرى فى
معجمه وذكره الجوهري نقلا عن سيويه كذلك أنشدوا على
ذلك :

لما رأته سائدا ما استعبرت

لله در الـيوم من لامهـا

والحية أنواع منها الرقشاء وهي التى فيها نقط سود وبيض
ويقال لها الرقطاء أيضا وهي من أخبث الأفاعى قال النابغة فى
وصف السليم .

فبت كائنى سـاـورتنى ضئيلة

من الرقش فى أنيابها السـم نـاقـع

تبادرها الرافسون من شر سمها

فتطلقه يوما ويوما تراجع

تسهد من ليل التمام سليمها

كحلى نساء فى يسديه قعاقع

وقال غيره

هم أيقظوا رقط الأفاعى ونهـوا

عقارب ليل نام عنها حـواتها

وهم نقلوا عنى الذى لم أفه به

ومـا آفة الأخبار إلا رواتها

وتزعم الأعراب أن الأفاعى صم وكذلك النعام قال على بن
نصر الجهضمى دخلت على المتوكل فإذا هو يمدح الرفق
فأكثر فقلت يا أمير المؤمنين أنشدنى الأصمعى :

لم أر مثل الـرفق فى لـينه

أخرج للعذراء من خدرها

من يستمن بـالـرفق فى أمره

يستخرج الحية من جحرها

فقال يا غلام الدواة والقرطاس فأتى بهما فكتبهما وأمر لى
بجائزة سنية وقال أبو بكر بن أبى داود كان المستعين بالله بعث
إلى نصر بن على يشخصه للقضاء فدعاه عبد الملك أمير
البصرة وأمره بذلك فقال أرجع فاستخير [فاستخرا] الله فرجع
إلى بيته فصلّى ركعتين وقال اللهم إن كان لى عندك خير
فاقبضنى إليك ونام فنبهوه فإذا هو ميت وذلك فى شهر ربيع
الآخر سنة خمسين ومائتين .

بصرها فتبصر فسبحان من قدر فهدى قدر عليها العمى
وهذاها إلى مايزيله عنها .

وليس شيء في الأرض مثل الحية إلا وجسم الحية أقوى
منها ولذلك إذا أدخلت صدرها في حجر أو صدع لم يستطع
أقوى الناس إخراجها منه وربما تقطعت ولا تخرج وليس لها
قوائم ولا أظفار تثبت بها وإنما قوى ظهرها هذه القوة لكثرة
أضلاعها فإن لها ثلاثين ضلعا وإذا مشت مشت على بطنها
فتتدافع أجزاؤها وتسعى بذلك الدفع الشديد والحيات في
أصل الطبع مائية وتعيش في البحر بعد إن كانت برية وفي البر
بعد إن كانت بحرية قال الجاحظ الحيات ثلاثة أنواع نوع منها
لا ينفع للسعة ترياق ولا غيره كالثعبان والأفعى والحية
الهندية ، ونوع منها ينفع في لسعته الدرياق وما كان سواهما
مما يقتل فإنما يقل بواسطة الفزع كما حكى أن شخصا نام
تحت شجرة فتدلت عليه حية فعضت رأسه فانتبه محمر الوجه
وحك رأسه وتلفت فلم ير أحدا فلم يرتب بشيء ووضع رأسه
ونام فلما كان بعد ذلك بمدة قال له بعض من رآها هل علمت
مم كان انتباهك تحت الشجرة قال لا والله ما علمت قال إنما
كان من حية تدلت عليك فعضت رأسك فلما قمت فزعاً
تقلصت ففزع فزعة فاضت فيها نفسه قال فهم يزعمون أن الفزع
هو الذي هيج السم وفتح مسام البدن حتى مشى السم فيه
انتهى .

فائدة . . في النصائح لابن ظفر أن خالد بن الوليد رضى
الله تعالى عنه لما تحصن منه أهل الحيرة بالقصر الأبيض وغيره
من حصونهم نزل بالنجف وأرسل إليهم أن ابعثوا إلى رجلا من
عقلائكم فأرسلوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان
ابن نفيلة الغساني وكان من المعمرين عمر أكثر من ثلثمائة
 وخمسين سنة فقاولة المقاوله المشهورة وكان في يد عبد
المسيح قارورة يقلبها فقال له خالد ما الذي في هذه القارورة
قال سم ساعة قال ما تصنع به قال إن وجدت عندك ما أحبه
لقومي وأهل بلدى حمدت الله وقبلته وإن لم أجد ذلك شربته
وقتل نفسي به ولم أرحع إلى قومي بما يسوؤهم فقال خالد
رضى الله عنه هاتها فناوله القارورة فأفرغها خالد في راحته وقال
بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله بسم الله رب الأرض
والسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا
في السماء وهو السميع العليم ثم شربه ويقال إنه شرب عليه

والصمة الذكر من الحيات وجمعه صمم وبه سمى والد
دريد بن الصمة وزعم أهل الكلام في طبائع الحيوان أن الحية
تعيش ألف سنة وهي في كل سنة تسليخ جلدها وتبيض ثلاثين
بيضة على عدد أضلاعها فيجتمع عليها النمل فيفسد غالب
بيضها ولا يصلح منه إلا القليل وإن لدغها العقرب ماتت ومن
أنواعها الحربش . وقد تقدم ذكره وشرها الأفاعى وسكنها
الرمال وبيض الحيات مستطيل وهو كدر اللون وأخضر وأسود
وأبيض وأرقط وفي بيضه نمش ولمع والسبب في اختلاف ذلك
لا يعرف وداخله شيء كالصديد وهو في جوفها منضد طولاً
على خط واحد وليس للحيات سفاذ يعرف وإنما هو التواء
بعضها على بعض ولسانها مشقوق فيظن بعض الناس أن لها
لسانين وتوصف بالنهم والشره لأنها تبتلع الفراخ من غير مضغ
كما يفعل الأسد ومن شأنها أنها إذا ابتلعت شيئاً له عظم أتت
شجرة أو نحوها فتلتوى عليها التواء شديداً حتى يتكسر ذلك
في جوفها ومن عاداتها أنها إذا نهشت انقلبت فيتوهم بعض
الناس أنها فعلت ذلك لتفرغ سمها وليس كذلك ومن شأنها
أنها إذا لم تجد طعاماً عاشت بالنسيم وتقتات به الزمن الطويل
وتبلغ الجهد من الجوع فلا تأكل إلا لحم الشيء الحى وهي
إذا كبرت صغر جسمها واقتنعت بالنسيم ولم تشته الطعام ومن
غريب أمرها أنها لا تريد الماء ولا ترده إلا أنها تضبط نفسها
عن الشرب إذا شمتها لما في طبعها من الشوق إليه فهي إذا
وجدت شربت منه حتى تسكر وربما كان السكر سبب
هلاكها .

والذكر لا يقيم بموضع واحد وإنما تقيم الأنثى على بيضها
حتى تخرج فراخها وتقوى على الكسب ثم تخرج هي سائرة
فإن وجدت حجراً انسابت فيه وعينها لا تدور في رأسها بل
كأنها مسمار مضروب في رأسها وكذلك عين الجراد وإذا
قلعت عادت وكذلك نابه إذا قلع عاد بعد ثلاثة أيام وكذلك
ذنبها إذا قطع نبت . ومن عجيب أمرها أنها تهرب من الرجل
الغريان وتفرح بالنار وتطلبها وتتعجب من أمرها وتحب اللبن
حباً شديداً وإذا ضربت بسوط مسه عرق الخيل ماتت وتذبح
فتبقى أياماً لا تموت وقد تقدم أنها إذا عميت أو خرجت من
تحت الأرض لا تبصر طلبت الرازيانج الأخضر فتحك به

ماء فضرب بذقنه على صدره وغشيه عرق ثم سرى عنه فانصرف عبد المسيح إلى قومه وكانوا نصارى نسطورية إلا أنهم عرب فقال لهم جئكم من عند رجل شرب سم ساعة فلم يضره فأعطوه ما سألكم وأخرجوه من أرضكم راضيا فهؤلاء قوم مصنوع لهم وسيكون لهم شأن عظيم فصالحوه على ثمانين ألف درهم فضة انتهى ...

وفى الإحياء من كتاب آداب السفر يستحب لمن أراد لبس الخف في حضر أو سفر أن ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من حية أو عقرب أو شوكة واستدل به بحديث أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه وفي فتاوى الإمام النووي إذا اصطاد الحواوي حية وحبسها معه على عادتهم فلسعته فمات هل يأثم فأجاب إن صادها ليرغب الناس في اعتماد معرفته وهو صادق في صنعته ويسلم منها في ظنه ولسعته فمات لم يأثم وإن انفلتت وأتلفت شيئا لم يضمن . وروى الإمام أحمد في الزهد أن حاويا معه حيات في خُرج نزل بقوم من أهل اليمن فخرج بالليل بعض الحيات فلسعت بعض أهل المنزل فقتلته فكتب بذلك عامل اليمن إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى قال لا شيء عليه لكن مره إذا نزل يقوم أن يخبرهم بما معه وفي كتاب الأربعين على مذهب المحققين من الصوفية للإمام الحافظ أبي مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان الأصبهاني بإسناده إلى عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه قال أخذ النبي ﷺ بعمامتي من ورائي وقال يا عمران إن الله يجب الإنفاق ويغض الإقتار فأنفق وأطعم ولا تعسر فيعسر عليك الطلب واعلم أن الله يحب البصير الناقد عند هجم الشبهات والعقل الكامل عند نزول البليات ويحب السماحة ولو على تمرات ويجب الشجاعة ولو على قتل حية .

الأمثال : قالوا فلان أسمع من حية وأعدى من حية وهو من العدو لأنها تسرع إلى جحرها إذا راعها شيء . روى البخارى ومسلم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» وفي صحيح مسلم عن ابن عمرو رضى الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال : «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها» أى مسجدى مكة والمدينة ومعنى يأرز ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض ومعناه أن

المؤمن إنما يسوقه إلى المدينة إيمانه ومحبه للنبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون المراد بذلك عصمة المدينة من الدجال والفتن فيكون الإسلام فيها موقرا، ويحتمل أن يكون المراد بذلك رجوع الناس إلى سنة رسول الله ﷺ ومنها ظهرت، ويحتمل أن يكون المراد بذلك أن الدين يؤخذ من علمائها وأئمتها وكذلك كان وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الميم فى لفظ المطية حديث الترمذى أن النبي ﷺ قال «يوشك أن يضرب الناس آباط المطى فى طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة» وقالوا أبغض من ريح السذاب إلى الحيات وقالوا الحية من الحية أى الأمر الكبير من الصغير وربما قالوا الحيات من الحية وهذا كقولهم العصا من العصية وقد جاء معنى المثليين فى كتاب الله تعالى قال الله تعالى ﴿ولا يلد إلا فاجرا كفارا﴾ كذا ذكره ابن الجوزى وغيره .

التعبير : الحية فى المنام تعبر بأشياء كثيرة فيه عدو ودولة وحية وسيل وولد وامرأة فمن نازع حية وهى تريد أن تنهسه فإنه ينازع عدوا له لقوله تعالى ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ [البقرة : ٣٦] و [الأعراف ٢٤] فإن رأى أنه أخذ حية ولم يخف منها وصرفها حيث يشاء فإنه ينال دولة ونصرة لأن موسى عليه الصلاة والسلام نال بها النصرة على فرعون ومن رأى أن حية خرجت من فمه وكان مريضا فإنه يموت لأنها حياته وقد خرجت من فمه ومن رأى حيات تمشى فى خلل الشجر أو الزرع فإنها سيول لأنهم شبهوا جريان الماء بالحيات هذا إذا كان جريها بلا تفخ ولا إحراق شيء ومن قتل حية على فراشه ماتت امرأته ومن رأى امرأته حاملا ووضعت حية أتاها ولد عاق ومن رأى حية ميتة فإنه عدو قد كفاه الله شره ومن عضته حية فورم موضع العضة نال مالا لأن السم مال والورم زيادة فيه ومن أكل لحم حية مطبوخا نال مال عدوه، ومن أكله نيا اغتاب عدوه، ومن رأى حية نزلت من مكان فإن ذلك موت رئيس ذلك المكان، ومن رأى حية ابتلعت فإنه ينال سلطانا، ومن رأى كأنه يتخطى الحيات ولا تنهسه فإنه يأمن أعداءه وإن كان مسجوناً خرج من سجنه ورؤية الحيات الكثيرة فى الطرق وهى تمنع الناس بنفخها ونهسها فإن ذلك ظلم من السلطان، ومن رأى كأن الحيات قد فقدن من مكان فإن الوباء والموت يكثُر فى ذلك المكان لأن الحيات هى الحياة ومن رأى كأن

لتختلف الحركات . هذا مذهب الخليل وسيبويه . وذهب أبو عثمان إلى أن الحيوان غير مُبدل الواو، وأن الواو فيه أصل، وإن لم يكن منه فعل ... قال أبو علي : هذا غير مرضى من أبي عثمان من قبل أنه لا يمتنع أن يكون في الكلام مصدر عينه واو وفاؤه ولامه صحيحان ، مثل قَوْظ وَصَوْغ وَقَوْل وَمَوْتُ وَأَشْبَاه ذلك ، فأما أن يوجد في الكلام كلمة عينها ياء ولامها واو فلا ، فحمله الحيوان على فوظ خطأ لأنه شبه ما لا يوجد في الكلام بما هو موجود مطرد . قال أبو علي : وكأنهم استجازوا قلب الياء واوا لغير علة ، وإن كانت الواو أثقل من الياء ليكون ذلك عوضا للسوار من كثرة دخول الياء وغلبتها عليها (اللسان ١٢ / ١٠٧٧، ١٠٧٨) .

وقال التهانوي :

الحيوان بثلاث فتحات متواليات في الأصل مصدر حيي والقياس حييان قلبت الياء الثانية واوا ثم سمي ما فيه حياة حيوانا كذا في الكشف ، وعرف بأنه جسم نام حساس متحرك بالإرادة فالجسم جنس والناسمى فصل يخرج الأجسام الغير النامية كالحجر ونحوه من المعادن ، والحساس يخرج الجسم النامي الذي لا حس له كالشجرة ونحوه من النبات والمتحرك بالإرادة مساوٍ للحساس فلا بد أن يكون أحدهما ذاتيا والآخر عرضيا لامتناع التركيب من أمور متساوية . ولما لم يعلم أن أيهما ذاتي ذكرنا معا هكذا ذكر المولوي عبد الحكيم في حاشية شرح المواقف في مقصد تقسيم أجزاء الماهية . وعرف أيضا بأنه مركب تام متحقق الحس والإرادة وقيد التحقق دفعا لما قيل من أن للنخلة إحساسا وعرف أيضا بأنه ما يختص بالنفس الحيوانية . وما سوى الإنسان من الحيوانات يسمى بالحيوان الأعجم وفي بعض الحواشي المعلقة على شرح الملخص من أن الحيوان ما له تنفس نسيمي ، ومنه ماله بدل التنفس النسيمي تنشق مائي فهو يقبل الماء ثم يسرده ولا يعيش بدون ذلك كالحيثان ، ومنه ما لا تنفس له ولا استنشاق من الحلازين (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤٠١) .

وفي فصل مستفيض عن أنواع الكائنات يقول القزويني عن الحيوان :

أما الحيوان ففي المرتبة الثالثة من الكائنات وأبعد المولدات عن الأمهات لأن المرتبة الأولى للمعادن وهي باقية

حية تكلمه فإنه ينال سرورا ومن رأى كأنه ملك حية ملساء وصرفها حيث شاء فإنه ينال غنى وسعادة والسود من الحيات أعداء لهم قوة فمن ملك حية سوداء نال ملكا وولاية ، والبيض أعداء ضعاف والثعبان يدل على العداوة في الأهل والأزواج والأولاد وربما كان جارا شريرا حسودا والتنين يدل على سلطان جائر مهاب أو نار محرقة والأصلة تدل على امرأة ذات نسل وأصل وعمر طويل ، والشجاع يدل على امرأة باذلة أو ولد جسور والأفاعي تدل على أقوام أغنياء لكثرة سمها والناشر على الهم أو على رجل محارب غيور . وحيات البيوت خسران وحيات البوادي قطاع الطريق وحيات الماء مال فمن شد وسطه بحية منها فإنه شده بهميان وحيات البطن أعداء من الأهل والأقارب فمن رمى حية فإنه يفارق شخصا من أقاربه خبيثا كان يواكله والله أعلم (حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٤٩ - ٢٥٢ ، ٢٥٧ - ٢٥٩) .

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، وحيات الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميري ١ / ٢٤٩ - ٢٥٢ ، ٢٥٧ - ٢٥٩)

* الحية (حجر) :

من أنواع الحجارة التي عددها القزويني في عجائبه فقال عنه :

حجر الحية : يقال له بالفارسية مهرة حار في حجم بندقة صغيرة توجد على رأس الحية بعضها لا كلها . وخاصيته أن العضو الملدوغ يجعل في اللبن أو في الماء الحار وهذا الحجر يلقي فيه فإنه يلتزق بموضع اللدغ ويستخرج منه السم ، وقال ابن سينا : إنه ينفع من نهش الحية تعليقا . وقال جالينوس : أخبرني بذلك رجل صدوق .

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ١٤٤)

* الحيوان :

جاء في اللسان : الحيوان اسم يقع على كل شيء حي ، وسمى الله عز وجل الآخرة حيوانا فقال : ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ [العنكبوت : ٦٤] . قال قتادة هي الحياة ... وكل ذي روح حيوان ، والجمع والواحد فيه سواء ... ابن سيده : والحيوان أيضا جنس الحي ، وأصله حييان ، فقلبت الياء التي هي لام الكلمة واوا ، استكراها لتوالي الياءين

من أراد أن يعرف معنى قوله تعالى ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ [النحل: ٨] فليوقد نارا في وسط حلقة بالليل ثم لينظر ما يغشى تلك النار من أنواع الحيوان فإنه يرى صورا عجيبة وأشكالا غريبة لم يكن يظن أن الله تعالى خلق شيئا منها في العالم على أن الذي يغشى تلك النار يختلف باختلاف المواضع من الغياض والجبال والبحار والصحارى فإن سكان كل بقعة تخالف سكان غيرها ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ [المدثر: ٣١] فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأوضح برهانه لا إله إلا هو سبحانه .

ثم يذكر القزويني بعض أنواع الحيوان وعجائبها وخواصها فيقسمها إلى سبع أنواع: النوع الأول يشمل حقيقة الإنسان، والنفس الناطقة، وتولد الإنسان، وتشريح أعضاء الإنسان، والقوى، وخواص الإنسان وفوائده أجزائه .

وأما النوع الثاني من الحيوان فيشمل الكلام عن الجن (إبليس أو الشيطان والتمشيطة) .

وأما النوع الثالث من الحيوان فهو الدواب، والنوع الرابع يشمل النعم، والنوع الخامس هو السباع وهنا يذكر القزويني أفراد عائلة السباع مرتبة على حروف المعجم .

أما النوع السادس من الحيوان فيشمل الطير، كما أن النوع السابع يشمل الهوام والحشرات التي يذكر القزويني بعضها مرتبة على حروف المعجم (عجائب المخلوقات / ١٩٩، ٢٠٠، ومخلص ص ٢٠٠-٣٠٦) .

ثم يعقد القزويني خاتمة يخصي فيها حيوانات عجيبة الأشكال، وحيوانات مركبة، وحيوانات عجيبة الصور فارجع إليها إن شئت في ص ٣٠٦-٣٠٨ .

وعن الحيوان يقول أيضا الشيخ كمال الدين الدميري :

(الحيوان) جنس الحي والحيوان الحياة والحيوان ماء في الجنة قاله ابن سيده والحيوان نهر في السماء الرابعة يدخله ملك كل يوم فيغمس فيه ثم يخرج فيتلفظ انتفاضة يخرج منه سبعون ألف قطرة يخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا يؤمرون أن يطوفوا بالبيت المعمور فيطوفون به ثم لا يعودون إليه أبدا ثم يقفون بين السماء والأرض يسبحون الله تعالى إلى يوم القيامة كذا رواه روح بن جناح مولى الوليد بن عبد الملك الذي روى عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ

على الجمادية لقربها من البسائط، والمرتبة الثانية للنبات فإنها متوسطة بين المعادن والحيوان بحصول النشو والنمو وفوات الحس والحركة، والمرتبة الثالثة للحيوان فإنه قد جمع بين النشو والنمو والحس والحركة وهذه قوى موجودة في جميع أفراد الحيوان حتى في الذباب والبعوض، وأما الحس فلأن الله تعالى لما قضى لكل حيوان أمدا معلوما وأبدان الحيوانات متعرضة لآفات المفسدة بها والمهلكة إياها فاقتضت الحكمة الإلهية لها القوة الحساسة لتشعر بواسطتها بالمنافى فتدفعه عن نفسها إذا أحست بألم فلولا هذه القوة لما أحس الحيوان بالجوع إلى أن يموت بغتة فجأة من عدم الغذاء ولكان إذا نام فأصاب يده أو رجله نار لم يكن يحس به حتى يتنبه من نومه، فإذا هو بلا يد ولا رجل . وأما الحركة فإن الحيوان لما كان محتاجا إلى الغذاء ولم يكن غذاؤه يكفيه في جميع الأوقات اقتضت الحكمة الإلهية آلات الحركة ليتحرك إلى الغذاء، ولولا القوة لاحتاج الحيوان إلى الغذاء ولم يقدر على المشي إليها فمات جوعا كشجرة لا تجد الماء حتى تجف، ولكان إذا أصابه آفة من حرق أو غرق بقي في مكانه حتى أدركه الغرق أو الحرق، ولما كانت الحيوانات بعضها عدو لبعض اقتضت الحكمة الإلهية لكل حيوان آلة يحفظ بها نفسه من عدوه .

فمنها ما يدفع العدو بالقوة والمقاومة كالفيل والأسد والجاموس .

ومنها ما يسلم من عدوه بالفرار فأعطى آلة الفرار كالظباء والأرانب والطيور .

ومنها ما يحفظ نفسه بسلاح كالقنفذ والشاهين والسلحفاة .

ومنها ما يحفظ نفسه بحصن كالفأر والحية والهوام، ومقتض الحكمة الإلهية أن الله تعالى خلق لكل حيوان من الأعضاء ما يتوقف عليه بقاء ذاته ونوعه، لا زائدا ولا ناقصا، ولذلك اختلفت أشكالها وأعضاؤها وتنوعت أنواعها بأنواع كثيرة .

روى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن الله تعالى خلق في الأرض ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة منها في البر» وقال بعض المفسرين :

الجلود وغيرها وهذا النهي للتحريم لأن النبي ﷺ لعن فاعله ولأنه تعذيب للحيوان وإتلاف لنفسه وتضييع لماليته وتقويت لذكاته إن كان مذكى ولمنفعة إن لم يكن مذكى .

(تتمة) في كتاب التنوير في إسقاط التدبير قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري وإنما خص الله تعالى الحيوان بالافتقار إلى التغذية دون غيره من الموجودات لأنه تعالى وهب للحيوان من صفاته ما لو تركه من غير فاقة لادعى الربوبية أو ادعى فيه ذلك فأراد الحق سبحانه وهو الحكيم الخبير أن يحوجه إلى مأكله ومشربه وملبسه وغير ذلك من أسباب الحاجة ليكون تكرار أسباب الحاجة منه سببا لخمود الدعوى منه أو فيه .

(الحكم) يصح السلم في الحيوان لأنه ثبت في الذمة ثمنا وصدقا وفي إبل الدية وصح أن النبي ﷺ استسلف بكرا ومنع أبو حنيفة رضي الله عنه ذلك لأن ابن مسعود رضي الله عنه كرهه ولأنه لا ينضبط بالصفة لنا ما روى أبو داود والحكم على شرط مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال «أمرني رسول الله ﷺ أن اشتري بعيرا بغيرين إلى أجل» وروى البيهقي عن علي رضي الله عنه أنه باع جملا له يدعى عصفورا بعشرين بعيرا إلى أجل واشترى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما راحلة بأربعة أبعرة يوفيقها صاحبها بالربذة رواه مالك في الموطأ وهو في البخاري بغير إسناد والربذة بالذال المعجمة موضع على ثلاث مراحل من المدينة وأما الحديث الذي رواه الحسن عن سمرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى عن بيع الحيوان بالحيوان فرواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي أنه حسن صحيح وسماع الحسن من سمرة الحسن هكذا قال علي بن المديني وغيره . والعمل على كل هذا عند أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم في منع بيع الحيوان بالحيوان نسيئة وهو قول سفيان الثوري وأهل الكوفة وبه قال أحمد وقد رخص بعض أهل العلم من الصحابة وغيرهم في بيع الحيوان بالحيوان نسيئة وهو قول الشافعي وإسحاق وقال الخطابي النهي في حديث سمرة محمول على ما إذا كان نسيئة من الطرفين فيكون من باب الكاليء بالكاليء بدليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المذكور وقال مالك إذا اختلفت أجناس الحيوان جاز بيع بعضه ببعض نسيئة وإن

قال «عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد» وحديثه هذا في كتابي الترمذي وابن ماجه . وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ [العنكبوت : ٦٤] أي ليس فيها إلا حياة دائمة مستمرة خالدة لا موت فيها فكأنها في ذاتها حياة والحيوان مصدر حي وقياسه حيوان فقلبوا الياء الثانية واوا كما قالوا حياة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حياة حيوانا وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة وهو ما في بناء فعلان من الحركات ومعنى الاضطراب كالنزوان وما أشبه ذلك والحياة حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على ذلك مبالغة في معنى الحياة . وقال ابن عطية الحيوان والحياة بمعنى واحد وهو عند الخليل وسيبويه مصدر كالهيمن ونحوه والمعنى لا موت فيها قاله مجاهد وهو حسن ويقال الأصل حيوان بياءين فأبدلت إحداهما واوا لاجتماع المثليين وقال الجاحظ : الحيوان على أربعة أقسام شيء يمشى وشيء يطير وشيء يعود وشيء ينساح في الأرض إلا أن كل شيء يطير يمشى وليس كل شيء يمشى يطير فأما النوع الذي يمشى فهو على ثلاثة أقسام : ناس ، وبهائم ، وسباع والطيور كله سبع وبهيمة وهمج والخشاش ما لطف جرمه وصغر جسمه وكان عديم السلاح . والهمج ليس من الطيور ولكنه يطير وهو فيما يطير كالحشرات فما يمشى والسبع من الطير ما أكل اللحم خالصا والبهيمة ما أكل الحب خالصا والمشتبك كالعصفور فإنه ليس بذئ مخلب ولا منسر، وهو يلتقط الحب ومع ذلك يصيد النمل ويصيد الجراد ويأكل اللحم ولا يزق فراخه كما يزق الحمام فهو مشترك الطبيعة وأشبه العصفير من المشترك كثيرة وليس كل ما طار بجناحين من الطير فقد يطير الجعلان والذباب والزنابير والجراد والنمل والفراش والبعوض والأرضة والنحل وغير ذلك ولا تسمى طيورا وكذلك الملائكة تطير ولها أجنحة وليست من الطير وكذلك جعفر بن أبي طالب ذو جناحين يطير بهما في الجنة وليس من الطير انتهى .

وفي الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال «لعن الله من مثل بالحيوان» وفي رواية لعن الله من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا وفي رواية نهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم قال العلماء تصبير البهائم هو أن تحبس وهي أحياء لتقتل بالرمي ونحوه وهو معنى قوله «لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا» أي يرمى إليه كالغرض من

وإلا افتقر واقتصر وربما دلت الجلود على ما يعمل منها فجلود الإبل تدل على الطبول ، وجلود الضأن على الكتابة ، والمعز على النطوع . وجلود البقر على الأوطئة والدلاء والسيول وجلود الخيل والبغال والحمير على الأوعية والأسقية ، وجلود الجاموس على الحصون وأما الأصواف والأوبار والأشعار فكل ذلك دال على الفوائد والأرزاق والملابس وأموال موروثه وغير موروثه أو مختصة . وأما القرون فتدل رؤيتها على الأعوام والسنين أو السلاح أو ما يتجمل به من الأموال والأولاد والعز والجاه .

وأما أنياب الفيل وعظمه فإن ذلك دال على تركه من هلك من الملوك والزعماء ، وأما أظلاف الحيوان فإنها تدل على الكد والسعى والاجتماع بين المرأة وزوجها والوالدة وولدها والظلف في الصورة هاء مشقوقة .

وأما الأخفاف فقوة سفر وربما دل الخف في استدارته على العدو أو السقم أو التمهيد للأمر والتوطئة الحسنة .

وأما الأذنان فإنها دالة على ما دل الحيوان عليه ومن يساعده في مصالحه ويذب عنه ما يخشاه .

وأما أصوات الحيوان فنذكرها هنا مفصلة فأما ثغاء الشاة فلطافة من امرأة وصديق أو بر من رجل كريم وأما ثغاء الجدى والكبش والحمل فسرور وخصب وأما صهيل الفرس فهو هبة من رجل شريف أو جندي شجاع ، وأما نهيق الحمار فسفه من رجل سفيه ، وأما سحيج البغل فصعوبة من رجل صعب المرام وأما خوار العجل والثور والبقر فوقع في فتنة ، وأما رغاء الإبل فسفر طويل في حج أو تجارة رابحة أو جهاد ، وأما زئير الأسد فخوف وهيبة لمن سمعه من ملك ظلوم وأما ضغاء الهرة فشهرة من خادم لص أو فاجر وأما نهيز الفأرة فضرب من رجل ثقاب أو فاسق أو سرقة ، وأما بعام الظبي ففائدة من امرأة حسناء ، وأما عواء الكلب فخجل من سعى في الظلم وأما عواء الذئب فجور من لص غشوم ، وأما صياح الثعلب فكيد من رجل كذاب أو امرأة كذابة وأما وعوعة ابن آوى فصراخ نساء أو ضجة المحبوسين اليائسين وأما صياح الخنزير فظفر بأعداء حمقى . وأما صوت الفهد فتهدد من رجل مذبذب طامع وظفر به من سمعه . وأما نقيق الضفدع فدخل في عمل رجل عالم أو رئيس أو سلطان وقيل إنه كلام قبيح وأما فحيح الحية فكلام

تشابهت لم يجز وقال في الإحياء تكرة التجارة في الحيوان لأن المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذي هو بصدده لا محالة وقيل بع الحيوان واشتر الموتان ويضمن سائر الحيوان إذا أتلّف بالقيمة لما في الصحيحين عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال « من أعتق شركاً له في عبد فإن كان معه ما يبلغ ثمن العبد قوّم عليه وأعطى شركاءه حصصهم وعتق عليه العبد وإلا فقد عتق منه ما عتق فأوجب القيمة في العبد بالإتلاف بالعتق ولأن إيجاب مثله من جهة الخلقة لا يمكن لاختلاف الجنس الواحد في القيمة فكانت القيمة أقرب إلى إيفاء حقه وتضمن أعضاء الحيوان بما نقص من قيمته . وأوجب أبو حنيفة في عين الإبل والبقر والخيول ربع القيمة وسيأتى إن شاء الله تعالى في باب الفاء في لفظ الفحل أثر يشهد لذلك من حديث عروة البارقي وأوجب مالك رحمه الله في قطع ذنب حمار ذى الهيئة وذنب بغلته تمام القيمة ويأخذ المتلف العين .

الخواص : الخصى من الحيوان أبرد من فحله وإذا كان سمينا كان لذيذا مرطبا ملينا للطبيعة بطيء الانحدار وما كان مهزولا فبالضد إلا أنه سريع الانحدار وأجوده حولي المعز ومنفعته سرعة الانهضام ومضرته أنه يرخى المعدة ودفع مضرته شرب مياه الفواكه القابضة وهو يولد دما معتدلا يوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة من الشبان ومن الأزمان زمان الربيع ويجب أن يُعلم أن أفضل لحوم الحيوان ما كان معتدلا في الهزال والسمن وأجود اللحوم لحم الضأن المتناهي الشباب والبقر التي لم تبلغ سن الشباب والخصى من المعز وأجوده على الإطلاق الضأن .

التعبير : من كلمه حيوان من الدواب أو الطير وفهم كلامه فإنه كما قال وربما دل على وقوع أمر منه يعجب الناس له وأن لم يفهم ما قاله فليحذر على مال يذهب منه لأن الحيوان مأكله وقد تكون هذه الرؤيا باطلة فلا ينبغي أن يفتش عنها وجلود سائر الحيوان ميراث وقيل الجلود بيوت لمن ملكها لقوله تعالى ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا﴾ [النحل : ٨٠] ، وربما دلت جلود الحيوان كالسمور والسنجاب والوشق والقاقم والفند والنمس والثعلب والأرنب والفهد للجلوس وأشباه ذلك على النعمة الطائلة والأموال والأرزاق وعلو الشأن لمن لبسها في المنام أو رآها عنده أو ملكها .

وإذا رأى الإنسان كأن جلدته سلع وكان مريضا فإنه يموت

الإيمان عن سراقه بن مالك بلفظ «فى الكبد الحارة أجر» وقال عنه : حديث صحيح . (الجامع الصغير ٢ / ٨٢) .

والمسلم يعتبر أغلب الحيوانات خلقا محترما فيرحمها لرحمة الله تعالى لها ويلتزم نحوها بالآداب التالية :

١ - إطعامها وسقيها إذا جاعت وعطشت لقول الرسول عليه أزكى السلام : «فى كل ذات كبد أجر» (انظر لفظ الحديث كما أوردناه آنفا) . وقوله : «من لا يرحم لا يُرحم» متفق عليه . وقوله : «ارحموا من فى الأرض يرحمكم فى السماء» .

٢ - رحمتها والإشفاق عليها لقول الرسول الكريم لما رآهم قد اتخذوا حيوانا - طيرا - غرضا (هدفا) يرمونه بسهامهم : «لعن الله من اتخذ شيئا فيه روح غرضا» (متفق عليه) . ولنهيه ﷺ عن صبر البهائم أى حبسها للقتل ولقوله : «من فجع هذه بولدها؟ ردوا عليها ولدها إليها» قاله لما رأى الحمرة - طائر - تحوم تطلب أفرانها التى أخذها الصحابة من عشاها (أبو داود بإسناد صحيح) .

٣ - إزاحتها عند ذبحها أو قتلها لقوله ﷺ : «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتل ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليرح أحدكم ذبيحته وليحد شفرته» (رواه مسلم) .

٤ - عدم تعذيبها بأى من أنواع العذاب سواء كان بتجويعها ، أو ضربها أو بتحميلها ما لا تطيق ، أو بالمثلة بها ، أو حرقها بالنار وذلك لقول الرسول ﷺ :

«دخلت امرأة النار فى هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار فلا هى أطمعتها وسقتها إذ حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض» (البخارى) .

وقد مر عليه الصلاة والسلام بقرية نمل - موضع نمل - وقد أحرقت فقال : «إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار» (أبو داود ، صحيح) - يعنى الله عز وجل .

٥ - إباحة قتل المؤذى منها كالكلب العقور والذئب والحية والعقرب والفأر وما إلى هذا لقول الرسول عليه أزكى السلام :

«خمس فواسق تقتلن فى الحل والحرم : «الحية والغراب الأبقع والفأرة والكلب العقور والحديا» (مسلم) . كما صح عنه كذلك قتل العقرب ولعنها .

من عدو كاتم للعداوة ثم يظفر به من سمعه ومن كلمته الحية بكلام لطيف فإنه عدو يخضع له ويتعجب الناس لذلك (حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٥٩ - ٢٦١)

وذكر الثعالبي ضروب الحيوان فى فصل من الباب السابع عشر من كتابه «فقه اللغة» فقال : «فصل فى تفصيل أجناسها وأوصافها وجمل منها عن الأئمة» .

الأنام ما ظهر على الأرض من جميع الخلق .

الثقلان : الجن والإنس . الجن حى من الجن . البشر : بنو آدم .

الدواب : يقع على كل ماشى على الأرض عامة وعلى الخيل والبغال والحمير خاصة .

النعم : أكثر ما يقع على الإبل .

الكراع : يقع على الخيل .

العوامل : يقع على الثيران .

الماشية : تقع على البقر .

الضائنة والماعزة الجوارح تقع على ذوات الصيد من السباع والطيور .

الضواري : تقع على ما عُلم منها .

الكحل : يقع على المعجم من البهائم والطيور (فقه اللغة / ٩٠) .

ومن توجيهات الإسلام بالرفق بالحيوان .

«عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

«بينما رجل يمشى ، فاشتد عليه العطش ، فنزل بئرا فشرب منها ، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال : لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى فملاً خفه ، ثم أمسك بفيه ، ثم رقى فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يا رسول الله : وإن لنا فى البهائم أجرا؟ قال : فى كل كبد رطبة أجر» . (أخرجه البخارى) التربة الإسلامية / ١٠٧ كبد رطبة : البهائم التى لا ضرر فيها

قالت المؤلفة : حديث «فى كل كبد رطبة أجر» أخرجه الإمام السيوطى فى الجامع الصغير من رواية البيهقى فى شعب

الشيخ محمود شلتوت الإمام الأكبر الأسبق فيقول رحمه الله :

اتفقت الرسالات السماوية على أن بعث الإنسان يوم القيامة حق، وأن محاسبته على أعماله في الدنيا حق، ولا خلاف فيه لأحد من المؤمنين . أما بعث الحيوانات من البهائم والطيور ومحاسبتها على ما ارتكبت في دنياها، فقد ذهب إليه جماعة من العلماء قرروا بعثها من قبورها يوم القيامة كالإنسان، وقرروا سؤالها عما فعلت كالإنسان، واستندوا في بعثها إلى مثل قوله تعالى في سورة التكوين: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوين: ٥] وقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] ويستندون في محاسبتها إلى ما فهموه من قوله ﷺ «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقبض للنساء الجماء من القرناء» الجماء التي لا قرن لها تدفع به عن نفسها اعتداء ذات القرن عليها . ويقول هؤلاء، إن الله بعد أن يحقق هذه العدالة العامة في خلقه على هذا النحو، يقول لها: موتي فتموت، وليس لها جنة ولا نار.

المحاسبة والمسئولية للإنسان المكلف :

وترى طائفة أخرى ذات نظر أعمق أن البحث خاص بالإنسان المكلف، وأن المحاسبة والمسئولية خاصان به، والآخرة دار جزاء، ولا محاسبة إلا حيث التكليف ولا تكليف لغير الثقلين: الإنس والجن . وإذن فلا محاسبة للحيوانات ولا بعث .

أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ فالحشر فيها ليس هو حشر الآخرة وإنما هو جمعها لاستيلاء الرعب عليها وقت الاضطراب العام وانحلال النواميس الكونية، وقد ذكر هذا الحشر في حوادث الاضطراب التي تحدث قبل البعث بديل ما قبلها . ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ * وإذا النجوم انكدرت * وإذا الجبال سيرت * وإذا العشار عطلت * [التكوين: ١-٤] . وما جاء بعدها ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سَجَرَتْ﴾ [التكوين: ٦] وكل هذه من حوادث الاضطراب العام الذي يقع قبل يوم القيامة .

أما البعث فقد ذكر بعد ذلك كله بقوله تعالى في السورة نفسها ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ * وإذا الموءودة سئلت * بأي

٦ - جواز رسم النعم في آذانها للمصلحة، إذ رؤى ﷺ يسم بيده الشريفة إبل الصدقة .

أما غير النعم وهي الإبل والغنم والبقر من سائر الحيوانات فلا يجوز رسمه لقوله ﷺ وقد رأى حمارا موسوما في وجهه :
«لعن الله من رسم هذا في وجهه» (مسلم)

٧ - معرفة حق الله فيها بأداء زكاتها إذا كانت مما يزكى .

٨ - عدم التشاغل بها عن طاعة الله أو اللهو بها عن ذكره لقوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ . [المنافقون : ٩] (منهاج المسلم / ١٢٠، ١٢١) .

٩ - تجنبها الأطعمة الفاسدة الرديئة التي تؤذيها فتمرض فتؤذي بلحومها، وتتضاءل منافعها وقد مر نبينا ﷺ ببعير لصق ظهره ببطنه فقال : «اتقوا الله في هذه البهائم المعجزة فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة» (أخرجه أو داود) (التربية الإسلامية / ١١٠) .

وقد سخر الله تعالى للإنسان مجموعة من الحيوانات رحمة به وتسهيلا لقيامه بدوره في الحياة، فمنها ما يقوم بتسهيل الاتصال، ومنها ما يحمل الأثقال، ومنها ما يشارك في الحروب، وفي الصيد، وفي الفروسية، وينفع بعضها في التغذية الصحية الضرورية، ويترجم بعضها - بجماله وجاذبيته - عظمة الخالق - وقد أجملت الآيات الكريمة أهم هذه المنافع في قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم﴾ [النحل : ٥-٧] .

وإذا تأملنا بعض الحيوانات؛ فإننا نكتشف حكما وأسارا، ونستمد عظام وعبرا ومن ذلك استشعار عظمة الله وجلاله من خلق الإبل، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية : ١٧] واستخلاص فضيلة السعي إلى الرزق، وبناء الأعشاش والحينين إلى الأوطان من الطير. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النحل : ٧٩] (التربية الإسلامية / ١٠٩) .

وثمة سائل يسأل: هل يحاسب الحيوان يوم القيامة، ومنه من له قسط معقول من الذكاء؟ ويجيب عن السؤال فضيلة

ذنب قتلت» إلى قوله «علمت نفس ما أحضرت» [التكوير: ١٤-٧].

أما الحشر في آية الأنعام، فهو يرجع إلى المكذبين لرسالة الرسول المذكورين قبل الآية وبعدها، أو أن معناه: الهلاك والموت، وهو عام لكل المخلوقات، ومن ذلك قول العرب في السنة المجذبة «حشرت الناس، يريدون: أهلكتهم».

هذا وقد قال الإمام الألوسي في تفسيره: وليس في الباب «يريد مسألة بعث الحيوانات» نص من كتاب أو سنة يعول عليه، يدل على حشر غير الثقلين من الوحوش والطير ثم قال «ومن القريب جدا أن يكون الحديث الذي ذكره كناية عن تمام العدل بدليل ما جاء في بعض الروايات من الاقتصاص من الحجر إذا وقع على الحجر».

ذكاء بعض الحيوانات لا إرادة معه:

هذا ما قاله العلماء في هذه المسألة ونحن مع أرباب الرأي الثاني، وهو أنه لا بعث ولا محاسبة إلا على من ثبت تكليفه لا لمن لا يفهم الشرائع والخطاب بخاصة نفسه وطبيعته. كيف وقد خلقها الله مسخرة للإنسان فيما تنفعه من أكل وحمل وحرث وسائر ما يحتاج منها؟. أما ما يرى من ذكاء بعض الحيوانات، فهو ذكاء لا إرادة معه ولا يعدو نواحي خاصة لا تتصل بفهم الخطاب ولا مقتضيات التكليف الإلهي. (الفتاوى / ٣٥، ٣٦).

(لسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٧٧، ١٠٧٨، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١ / ٤٠١، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقرنوبيني / ١٩٩، ٢٠٠ وملخص ٢٠٠-٣٠٦، وحياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميري ١ / ٢٥٩-٢٦١، وفقه اللغة وأسرار العربية لأبي منصور الثعالبي / ٩٠، والتربية الإسلامية، المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، الطبعة الثانية ١٩٩٣ / ١٠٧، ١٠٩، ١١١، والجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٢ / ٨٢، ومنهاج المسلم - أبو بكر جابر الجزائري / ١٢٠، ١٢١، والفتاوى للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأسبق، الشيخ محمود شلتوت / ٣٥، ٣٦).

«الحيوان (علم-):

يقول صاحب مفتاح السعادة:

هو علم باحث عن أحوال خواص أنواع الحيوانات وعجائبها ومنافعها ومضارها.

وموضوعه جنس الحيوان البري والبحري والماشي والزاحف والطائر وغير ذلك.

والغرض منه التداوي والانتفاع بالحيوانات، والاجتناب عن مضارها، والوقوف على عجائب أحوالها وغرائب أفعالها. مثلا في غرب الأندلس حيوان لو أكل الإنسان أعلاه أعطى بالخاصية علم النجوم، وإذا أكل وسطه أعطى علم النبات، وإذا أكل عجزه وهو ما يلي ذنبه أعطى علم المياه المغيبة في الأرض فيعرف إذا أتى أرضا لا ماء فيها على كم ذراع يكون الماء فيها.

وقد صنف فيها كمال الدين الدميري تصنيفا حسنا مطولا ومختصرا. وقد عرفته. ورأيت مختصرا مسمى «بخواص الحيوان» وهو كاف في هذا الباب، إلا أنني لم أعرف مصنفه اهـ (مفتاح السعادة ١ / ٣٠٨).

ويقول صاحب كشف الظنون بالإضافة إلى ما سبق: وفيه كتب قديمة وإسلامية منها كتاب الحيوان لديموقراطيس ذكر فيه طبائعه ومنافعه، وكتاب الحيوان لأرسطاطاليس تسع عشرة، مقالة نقله ابن البطريق من اليوناني إلى العربي؛ وقد يوجد سريانيا نقلًا قديمًا أجود من العربي، ولأرسطو أيضا كتاب في نعت الحيوان الغير الناطق وما فيه من المنافع والمضار.

وكتاب الحيوان لأبي عثمان عمسرو بن بحر الجاحظ البصري المتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين وهو كبير أوله: جنبك الله تعالى الشبهة وعصمك من الحيرة... إلخ. قال الصفدي: ومن وقف على كتابه هذا وغالب تصانيفه ورأى فيها الاستطرادات التي استطردها والانتقالات التي ينتقل إليها والجهالات التي يعترض بها في غضون كلامه بأدنى ملاسة علم ما يلزم الأديب وما يتعين عليه من مشاركة المعارف. أقول: ما ذكره الصفدي من إسناد الجهالات إليه صحيح واقع فيما يرجع إلى الأمور الطبيعية، فإن الجاحظ من شيوخ الفصاحة والبلاغة، لا من أهل هذا الفن ومختصر «حيوان» الجاحظ لأبي القاسم هبة الله ابن القاضي الرشيد جعفر المتوفى سنة ثمان وستمائة، واختصره الموفق البغدادي أيضا، وكتاب الحيوان لابن أبي الأشعث، ومختصره للموفق المذكور أيضا (كشف الظنون ١ / ٦٩٥، ٦٩٦، وأبعد العلوم حد ٢ ق ١ / ٣١١، ٣١٢).

يقول الدكتور عبد الحليم منتصر:

وقد عرض ابن سينا في أحد أجزاء كتابه الشفاء لدراسة

والنحل والنمل والعناكب وغيرها من مختلف أنواع الحيوان وعنى بصفة خاصة بالأوصاف الدقيقة للأعضاء فى الحيوانات مما يفيد الدارسين لعلم الشكل وسلوك الحيوان . أما الجاحظ فقد ألف سفرا ضخما فى علم الحيوان فى سبعة أجزاء، (أفردنا له مادة خاصة فانظره فى موضعه) .

وكذلك عالج الدميرى فى كتابه «حياة الحيوان الكبرى» (انظره فى موضعه) موضوع حياة الحيوان بالطريقة التى جرى عليها العلماء العرب من حيث ترتيب أسمائها حسب حروف الهجاء، مبتدئا بحرف الألف حيث يتكلم عن الأسد ذاكرا أسماءه باللغة العربية معقبا بوصف طباعه وهيتته ثم مؤيدا حديثه بما ورد من أحاديث شريفة أو أشعار ثم يذكر الإبل فالإنسان فالأخطب فالأخيل والأريد والأرنب والأنكليس والأوز وهكذا ويستطرد الدميرى أحيانا قائلا إن الحديث ذو شجون ويذكر ما يسميه فائدة أجنبية لعله يريد أنها بعيدة عن موضوع الكتاب ثم يستأنف حديثه عن الحيوان منتقلا إلى الحرف التالى من حروف الهجاء فيذكر البازى والبازل والباقة والبجعة والبرغوث والبط والبعوض والبعير والجمل والبغل والبقر والبشون واليوم وعلى هذا النحو . عالج الدميرى مئات من أنواع الحيوان ويختم الجزء الأول بانتهاء أسماء الحيوانات التى تبدأ بحرف الراء ثم يبدأ فى الجزء الثانى فى الحيوانات التى تبدأ بحرف الزاى وينتهى بحيوانات حرف الياء من يامور ويحموم ويراعة ويربوع ويعفور ويعسوف وغيرها .

ويلاحظ أن الدميرى كثيرا ما يستشهد بآراء من سبقوه من العلماء العرب من أمثال الجاحظ وابن سيده والقزوينى كما يستشهد بآراء أرسطو كما يعنى بذكر الشواهد الأدبية والأحكام الشرعية وغالبا ما يذكر بعض الفوائد الطبية .

ولما كانت طريقة التأليف معجمية موسوعية ، فقد جمعت بين الطائر والسمك والحشرات والزواحف فى فصل واحد ، كما جمعت بين مادة العلم الطبيعى من وصف للحيوان وسلوكه وموطنه وبين ما روى فيه من شعر وأدب ونوادر ، مما يجعل قراءته ميسرة محببة إلى جانب ما فيه من نفع علمى محقق . (فى العلوم والطبيعة / ٢٢١-٢٢٤)

ويقول الدكتور سيد رضوان على معددا مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان :

الحيوان فأورد نماذج رائعة لوصف أنواع مختلفة من الحيوان والطيور يقول من الحيوانات المائية لجمية وشطية ومنها طينية وصخرية والحيوانات المائية منها ذات ملاصق كأصناف الأصداف ومنها متبرثة أى متحررة الأجساد مثل السمك والضفادع والملاصقة منها ما تزال تلتصق ولا تبرح مثل أصناف من صدف الإسفنج ، وتكلم عن العظام والغضاريف والشرابين والأوردة والأغشية والرياضيات والحركة الإرادية والطبيعية وأسهب فى التشرريح المقارن بين الحيوانات المختلفة والطيور والأسماك ثم الأجهزة العضلية والهضمية والدورية والتناسلية والتنفسية وأن جولاته فى وصف أنواع الحيوان من طير وأسماك وزواحف وثدييات وبرمائيات لمما يذكر له بالتقدير ولا شك أن ابن سينا قد مارس التشرريح سواء فى ذلك تشرريح جسم الإنسان أو مختلف أنواع الحيوان وإلا لما استطاع أن يصف بدقة تنتزع التقدير والإعجاب هذه الأجهزة المختلفة ، بل يذكر تفاصيل لا تكاد نعرفها فى الوقت الحاضر إلا باستعمال العدسات والمجاهر فهو يتحدث عن الألياف الطولية فى جدار الأمعاء لتجرى الحركة الدودية فى الهضم ، وتلك العرضية التى تجرى الحركة العاصرة ثم الموربة التى توثق عمل الآخرين .

وكذلك عنى بعض العشايين مثل ابن البيطار وداود الأنطاكى بوصف كثير من أنواع الحيوان مما تستخلص منها عقاقير علاجية كما وصف البغدادى كثيرا من حيوانات مصر من سمك وطيور وسلحفاة وفرس النهر وكذلك فعل القزوينى فى كتابه عجائب المخلوقات حين قال : ثم لننظر إلى أصناف الحيوان وانقسامها إلى ما يطير وما يقوم وما يمشى ، وينقسم الماشى إلى ما يمشى على بطنه وما يمشى على رجليه وما يمشى على أربع وإلى أشكالها وأنواعها وتجميع غذائها وإدخالها القوت لوقت الشتاء وحذقها هندستها . وكيف صنعت النحل هذه المسدسات المتساوية الأوضاع التى عجز عن مثلها المهندس الحاذق مع الفرجار والمسطرة . لقد أورد القزوينى فى كتابه المذكور وصف مئات من مختلف أنواع الحيوان .

وذكر ابن سيده فى بعض أبواب الجزء السادس ما يختص بالخیل وصفاتها وأصواتها كما تكلم فى الجزءين السابع والثامن عن الإبل والغنم والماعز والسباع والكلاب والطيور

السجستاني، وكتاب الحشرات للكرنبائي الأنصاري، وكتاب الحيات، وكتاب العقارب، وكتاب البازي لأبي عبيدة معمر ابن المثنى، من علماء القرن الثاني للهجرة.

وجميع هذه الكتب بأقلام علماء اللغة والأدب أو المؤلفين ذوي الاطلاع الواسع والاهتمامات المتنوعة، ومعظمها مفقود أو غير مطبوع. وألف بعد أيام ابن النديم مؤلفات أخرى من هذا القبيل ولو أنها قليلة، ولكن معظمها مفقود أو غير مطبوع، فلا نستطيع أن نحكم عليها. ولكن بعض النماذج الباقية أو التي حوتها الموسوعات العلمية العامة من القرن الثالث والرابع الهجري، أو من كتاب الحيوان للجاحظ نتبين منها أن هذه الكتب والرسائل الكثيرة لم تؤلف للغرض العلمي الخالص، وغلب عليها صفة كتب اللغة ولكنها لم تكن تخلو من ملاحظات هامة حول طباع هذه الحيوانات والطيور والوحوش وصفاتها.

ثم من بينها كتب وإن كانت قليلة جدا يظهر من عناوينها أنها ألقت لغرض علمي أيضا مثل «كتاب الخيل وسبقها وأنسابها، وشياتها وغرتها وإضمارها» للتوزري (عبد الله بن محمد بن هارون)، «وكتاب النحل وأجناسه وعروسه» للأهوازي (محمد بن إسحاق).

ثم ثمة كتب توحى عناوينها بأنها ليست في اللغة مثل «كتاب صفات الغنم وأنواعها وعلاجها وأسنانها» للأخفش (ت سنة ٢١١ هـ) و «كتاب صفة الفرس» و «كتاب صفة النمل والبعوض» لعلي بن عبيدة الريحاني (ت سنة ٢١٩ هـ) وذكر ابن النديم أنه «كان له اختصاص بالمأمون، ويسلك في تصنيفاته وتأليفاته طريقة الحكمة» (أي الطريقة العلمية).

فمثل هذه الكتب ألقت لأغراض علمية خاصة في فترة مبكرة قبل ظهور كتاب الحيوان للجاحظ. ويؤيد رأينا حول محتويات هذه الكتب العلمية (طبائع الحيوان) قول الجاحظ:

«وقل معنى سمعناه من باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه في كتب الأطباء إلا ونحن قد وجدناه أو قريبا منه في أشعار العرب والأعراب».

والجاحظ نفسه يعطينا العلة في حسن معرفة الأعراب للحيوان بقوله المنطقي الحكيم: «وربما بل كثيرا ما يبتلون بالناب والمخلب. واللدغ واللسع والعص والأكل فخرجت بهم الحال إلى تعرف حال الجاني والجرح والقاتل».

اهتم العرب قبل الإسلام اهتماما بالغاً بالخيول والإبل، وهم فرسان الحرب وجوآب الصحراء، يعتمدون على الأول في معاركهم، وعلى الثاني في تنقلاتهم عبر الصحاري والبراري، وفي تجارتهم عبر البلاد من اليمن إلى الشام.

وكانت لهم معرفة دقيقة بأنساب الخيول وتربيتها وصفاتها وأمراضها، ومداواتها، وكذلك بالنسبة للإبل فكانوا على دراية عظيمة بكل ما يتعلق بتكوينها وطباعها ومنافعها. وأقدم مؤلفاتهم في الحيوان هي التي تتعلق بالخيول والإبل، وهي كثير جدا. فقد ذكر ابن النديم (ت ٢٨٠ هـ) في كتابه الفهرست أربعاً وعشرين كتاباً بعنوان «كتاب الخيل» لعدد من المؤلفين القدماء، وتسعة كتب باسم «خلق الفرس». ولعل أقدم هذه الكتب «كتاب الخيل» لأبي مالك عمرو بن كركرة وهو أعرابي كان يعلم في البادية، وكتاب «خلق الفرس» لأبي ثروان العكلى من الأعراب أيضا في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة. ومن مؤلفي هذه الكتب علماء مشهورون كأبي عبيدة بن المثنى (٢١٠ هـ) وقطرب (ت ٢٠٦ هـ) وابن الأعرابي (ت ٢٣١ هـ) والزجاج (ت ٣١١ هـ) وغيرهم من علماء القرن الثاني والثالث للهجرة.

وأما الإبل فقد ذكر عنها خمسة عشر كتاباً بأقلام المؤلفين المذكورين وغيرهم كالأصمعي وأحمد بن حاتم الباهلي، والنضر بن شميل، وأبو علي هاشم بن إبراهيم الكرنبائي الأنصاري وغيرهم من علماء هذه الفترة المبكرة.

وألف العرب في غيرهما من الحيوانات كالغنم والشاة وفي الحشرات، وفي الطيور، والوحوش والحيات والعقارب، وغير ذلك من أصناف الحيوانات وأنواع الجوارح من الطيور.

فمنها مثلا كتاب الطير لكل من النضر بن شميل، وأحمد ابن حاتم، وأبي حاتم السجستاني، وكتاب الشاة والغنم لكل من الأصمعي والأخفش والنضر بن شميل، وكتاب النحل للمدائني، وآخر بعنوان كتاب النحل والعسل لأبي حاتم السجستاني، وكتاب الجراد لأحمد بن حاتم، والمراعي والجراد للمدائني وكتاب البزاة والصيد للأمير أبي دلف القاسم ابن عيسى العجلي، وأربعة كتب عن البزاة للروم والفرس والترك والعرب، وكتاب البغال للجاحظ.

ثم كتب عامة بعنوان كتاب الوحش (أي السبع والذئب والثعالب وغيرها) لعدد من المؤلفين مثل سعد بن المبارك، والكرنبائي الأنصاري، وأبي زيد، والأصمعي، وأبي حاتم

المؤلفة في البيطرة وعلاج الدواب منها: «كتاب البيطرة» لابن أخى حرام (في الفهرست حزام بالزاي المعجمة) وألفه للخليفة العباسي المتوكل (ت ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) وكتاب آخر بنفس العنوان من تأليف الحصري كما ذكره ابن النديم. ويظهر أنهم استفادوا في هذا العلم بمعارف الفرس والرومان، بجانب ما جاء من علاج الدواب والأنعام في الكتب المؤلفة عنها، فقد ذكر ابن النديم بعض الكتب المترجمة من الفارسية واليونانية إلى اللغة العربية في البيطرة. (العلوم والفنون عند العرب / ٩٣-٩٨).

ومن أمثلة المصنفات في علم الحيوان مخطوط بعنوان «الإرشاد إلى أحكام الجراد» جاء بيانه في فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية كما يلي:

الرقم ٣٢٥٨

تأليف محمد بن أحمد الرخجي الحنبلي الشيباني (٧٠٣-٧٧٧ هـ / ١٣٠٤-١٣٧٥ م) (ظناً)

مواضيع المخطوط:

مقدمة - ضيافة الهدهد لسليمان - الوصية بتقوى الله والدعاء على الجراد وفي آخرها الجراد لغويا.

الأحاديث الواردة في الجراد - ما جاء في بيع الجراد (أحاديث) منافع الجراد - ماء السممر - ما ذكر أن للجراد أميرا - الجراد في الغوطة (مساجلة شعرية).

الجراد زمن عمر - ومما قيل في الجراد من الشعر - ومما قيل في الجراد من النثر.

فاتحة المخطوط:

الحمد لله البر الجواد، الذي خلق ورزق وأباد، وكرر فضله وجوده وأعاد، الهادي بهدايته إلى سبيل الرشاد، المتفضل بالخير الوافر والفضل المتكاثف على المقيم والمسافر من العباد ... وبعد فهذا تأليف لطيف حسن ظريف وسمته حين رسمته بالإرشاد إلى أحكام الجراد وما جاء في شأنه عن خير العباد من الصلاح والفساد وغير ذلك على ما ستره إن شاء الله برسم من ملك القلوب ... قاضي القضاة ملاذ العفاة، شيخ الإسلام ... مولانا محيي الدين محمد أفندي ... نجل ... أبي السعود ... جمع كاتبه ... محمد بن أحمد الرجحي الحنبلي الشيباني ... خاتمة المخطوط:

وملاحظة ابن النديم عن الريحاني ذات قيمة كبيرة إذ تؤكد على أنه كان هناك أناس كانوا يؤلفون في الحيوان على الطريقة العلمية، وقد أطلنا الكلام على هذه الكتب - التي يحسبها بعض الناس من كتب اللغة فقط والتي تحوى كثيرا من أشعار العرب والأعراب - لنؤكد على مدى اهتمام العرب بموضوع الحيوان، ومعرفتهم بطبائعها، وصفاتها في كثير من الأحيان والتي كانت نابغة من بيئتهم، ومبنية على المشاهدة والتجربة، وليس على كتاب أرسطو وغيره عن الحيوان.

واستفاد الجاحظ من هذا التراث اللغوي العلمي الكبير فألف أول موسوعة في هذا العلم بعنوان «كتاب الحيوان» في سبعة أجزاء (أدرجناه تحت عنوان «الحيوان (كتاب)» فانظره في موضعه).

والكتاب الثاني: المشهور الذي ضم معارف العرب عن الحيوانات هو «حياة الحيوان الكبرى» لكمال الدين الدميري (ت سنة ٨٠٨ هـ) وهو مثل كتاب الجاحظ في شموله وإحاطته، ويمتاز عليها بترتيبه على حروف الهجاء، فكأنه معجم للحيوانات البرية والبحرية، والطيور، والحشرات، وفيه ذكر الحيوانات الخرافية أيضا كالعنقاء والرخ وبنات الماء، ولكنه ليس في مستوى كتاب الحيوان للجاحظ من ناحية ذكر طبائع الحيوان وعاداتها، وقد جمع الدميري مواد كتابه من مصادر كثيرة جدا (أوردناه تحت عنوانه هذا فانظره في موضعه). ولكن فيه كثير من الاستطراد في موضوعات لغوية وفقهية وتاريخية وغير ذلك على طريقة الجاحظ فتضخم الكتاب، إذ هو في مجلدين كبيرين (طبع في القاهرة. مطبعة حجازي سنة ١٣٥٣ هـ). قالت المؤلفة: النسخة التي عندي طبعها دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي. بيروت. بدون تاريخ في مجلدين والكتب العلمية الخالصة عن الحيوان قليلة جدا عند العرب الأمر الذي جعل أكثرية الذين يكتبون في موضوع العلوم عند العرب يهملون هذا الجانب من علومهم، وهو ينتظر باحثا يستخلص من بطون الكتب القديمة المطبوعة والمخطوطة معارف العرب العلمية عن الحيوان ويقارنها بالمعارف الحديثة.

وبجانب عنايتهم بعلم الحيوان نشأ عند العرب علم البيطرة في فترة مبكرة نسبيا، فلدينا أسماء بعض الكتب

سبعة أجزاء وقد قسم الحيوان إلى ثلاثة أقسام: شىء يمشى، شىء يسبح، و شىء ينساح، والنوع الذى يمشى على أربعة أقسام ناس وبهائم وسباع وحشرات، ثم انتقل إلى حيوان الماء فيقول: ليس كل عائم سمكة وإن كان مناسباً للسمك فى كثير من معانيه. ويقول: ألا ترى فى الماء كلب الماء وعنز الماء وتخزير الماء وفيه الرق والسلحفاة وفيه الضفدع وفيه السرطان والتمساح والدخس والدلفين، ثم يقسم الحيوان إلى فصيح وأعجم فالفصيح هو الإنسان والأعجم هو الحيوان، ويقول من الحيوان الأعجم ما يرغو وينهق ويصهل ويسنح ويخور ويغم ويعوى وينبح ويزقو ويصفر ويهدر ويصوص، ويقوق وينعب ويزأر ويكش وينبح. ويخص الجاحظ بعض فصول كتابه بالحديث عن الكلاب وغيرها وعن تكوين البيضة من الفروج، ويتحدث عن بيض الطيور عامة وعدد مرات وضعه وحضنه، ثم باب للأسنان وأسماؤها، ويتحدث فى الجزء الثالث عن صنوف الحيوان وأسهب فى الحديث عن الحمام القمري وعن بناءة العش ورعاية الأبوين للصغار ويتكلم عن الهجن وعن أمراض الحمام وطرق علاجها ثم يتحدث عن الذباب والفراش والغربان والجعلان والخنافس والرخم والهدهد والخفاش والنمل ثم يتطرق إلى الحديث عن النوم فى الحيوان ويعود فى الجزء الرابع للحديث عن النمل والقرد والخنزير والحيات والأفاعى واليرابيع والجراد وسمك القرش. وقد سجل الجاحظ ملاحظات عجيبة فى سلوك الحيوان سجلها بدقة تنتزع التقدير والإعجاب كما أنه أجرى بعض التجارب على بعض أنواع الحيوان كما كان يسقى الحيوانات خمرا ويجرب أثرها عليها أو يضع الحيوانات تحت أوان زجاجية ليراقب سلوكها كما كان يقرر بطون الحيوانات ليعرف ما فى بطونها وإنه ليعتبر عالما فى الحيوان التجريبي وفى سلوك الحيوان فضلا عن علم الشكل وعلم التشريح المقارن («فى العلوم الطبيعية» / ٢٢٣) وقد بسط الدكتور عمر الدقاق الكلام فى كتاب الحيوان هذا فقال عنه:

يعد كتاب الحيوان للجاحظ فى طليعة كتب الأدب التى تزدان بها المكتبة العربية. وهو كتاب طريف فى موضوعه، وتتجلى أهميته فى أنه أول مصنف عربى جامع يتناول موضوع الحيوان على الرغم من أنه كان ثمة كتب أخرى قبيل حياة الجاحظ أو فى أثنائها تعرضت لشئون الحيوان، ولكنها كانت كتباً جزئية الطابع أشبه بالمعاجم الخاصة التى تُعنى

فالسعيد من بالآيات يعتبر ويتفكر بالممات لعل ذا المعصية أن ينزجر ويذكر يوم تخرج الخلائق من الأجداث كأنهم جراد منتشر ويتعظ بمن سلف من أهل القرى ... ما كان حديثا يفتري ويمثل قدومه بين يدي الملك القدير يوم ينادى المنادى فريق فى الجنة وفريق فى السعير وشاء الله أن يجعلنا ممن تاب وأتاب ... وأن يصرف بحوله وقوته عن أرزاق المسلمين هذا الجراد إنه هو الكريم الحليم الرؤوف الجواد بمنه وطوله وقوته وحوله أمين ... مؤلف هذه المقالة الفقير المذكور اسمه فى خطبة الرسالة غفر الله ذنوبه وستر فى الدارين عيوبه.

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه:

نسخة قيمة، كتبت بخط مؤلفها ويبدو أنها مسودة المؤلف لما فيها من شطب وضرب، كتبت بالخبر الأحمر بعض الكلمات، وأكثرها منقط بالأحمر، ترك لها هامش بعرض ٣ سم. عدد أوراقها: ١٨ بقياس ١٩ × ١٤ سم. و ١٧ سطرا. عليها تملك باسم عبد الله باشا. فيها أشعار لأبى العتاهية، ولها تعقيبة منتظمة فى آخر كل ورقة (فهرس الظاهرية / ٣٨٢-٣٨٤).

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاد ١ / ٣٠٨، وكشف الظنون لحاجي خليفة / ١، ٦٩٥، ٦٩٦، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى - أعده للطبع ووضع فهرسه عبد الجبار زكار ج ٢ ق ١ / ٣١١، ٣١٢، و «فى العلوم والطبيعة» - د. عبد الحليم متصر. أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية. اليونسكو / ٢٢١-٢٢٤، والعلوم والفنون عند العرب - د. سيد رضوان على / ٩٣-٩٨. انظر أيضا العلوم عند المسلمين. مؤسسة الكويت للتقدم العلمى / ٣٦، والتراث العلمى للحضارة الإسلامية - د. أحمد فؤاد باشا / ١٣٨، ١٣٩، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. العلوم والفنون المختلفة عند العرب - وضع مصطفى سعيد الصباغ / ٣٨٢، ٣٨٣)

انظر مادة «البيطرة (علم)» فى م ٨ / ١٨٦-٢٠٠

*الحيوان (كتاب):

كتاب الحيوان تأليف الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب المتوفى سنة ٢٥٥ هـ (انظر ترجمته فى م ١١ / ٤٢١-٤٣٠) يقول عنه الدكتور عبد الحليم متصر ملخصا محتوياته:

أما الجاحظ فقد ألف سفرا ضخما فى علم الحيوان فى

معتمدا على إبراز ما يعتمد عليه علماء هذا العصر. فقد يعمد إلى قطع أذنان بعض الضباب ليرى إلى ما تستطيعه من حركة دون سائر الجسم، أو يكسر بينض الحيات ليقف بنفسه على ما فيه، أو يسكر بعض البهائم بالخمير ويلاحظ ما تصدر عنه من تصرفات وأحوال وربما دحض ما يتناقل عن بعض الحيوان مما لا يقبله العقل فيرده بالحجة القوية والمنطق السديد على غرار ما كان منه تجاه قصة الحية ذات الرأسين.

وقد فطن الجاحظ إلى طابع كتابه الشامل من هذه الزاوية العلمية فقال في خطبة الحيوان: «وهذا كتاب تستوى فيه رغبة الأمم وتشابه فيه العرب والعجم. لأنه وإن كان عربيا أعرايا وإسلاميا جماعيا فقد أخذ من طرف الفلسفة وجمع معرفة السماع وعلم التجربة».

ولا يكاد يوجد حيوان في عصر الجاحظ وبيئته إلا ذكره، من الفيل والتمساح والنسر إلى النمل والعنكبوت والصواب، غير أنه لم يول السمك اهتمامه الكبير لأن العرب لم تحفل به كثيرا، ولأنه من جهة أخرى كان بعيدا عن بيئة الجاحظ ومتناول يده.

ويمكننا أن نرجع مادة الجاحظ الغزيرة في كتابه الحيوان إلى مصادر عديدة منها: القرآن والحديث، والشعر العربي الذي أكثر من روايته وبخاصة ما يتعلق بما نظمته البداة حول عالم الحيوان أنسيه ووحشيه، وكتاب الحيوان لأرسطو الذي كان قد نقله إلى العربية ابن البطريق في عصر الجاحظ، ثم علم الكلام الذي يتجلى فيه مذهب الجاحظ في الاعتزال ومنحاه في المناقشة والجدال والإثبات والنفي والجنوح إلى المناظرات في بعض الأحيان كالمناظرة بين صاحب الكلب وصاحب الديك وما يتصل من ذلك بالنزعة الشعوبية التي استفحلت في ذلك العصر. وأخيرا ما استمدده الجاحظ من خبرته الطويلة في الحياة وممارسته لظروفها وأحوالها مما اكتسبه بنفسه أو سمعه من الأعرا ب... إلخ. كل هذه العناصر تلاحمت وتعاقت وانصهرت في بوتقة شخصية الجاحظ البارزة وصيغت بأسلوبه المرسل الشائق.

غير أن الكتاب ضم موضوعات شتى قد لا تمت إلى عالم

بالتصنيف اللغوي للألفاظ المتعلقة بأوصاف الحيوانات وأعضائها وما إلى ذلك... من نحو ما ألفه أبو عبيدة والأصمعي والنضر بن شميل وأبو زيد الأنصاري وأبو حاتم السجستاني وابن الأعرابي وغيرهم ممن كتب في الإبل وفي الخيل وفي الغنم والشاء وفي الوحوش وفي الطير... فقد كان الجاحظ علما متفردا بين معاصريه وإماما فذا من أئمة البيان العربي لا يدانيه أحد في اتقاد ذهنه واتساع ثقافته. وقد جاء في الفهرست لابن النديم «أنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنا ما كان، حتى إنه كان يكتري دكاكين الوراقين».

ولم يكن هم الجاحظ في التأليف أن يقتصر على الجمع والرواية والحفظ، وإنما كان همه أن يبتكر وأن يقدم للناس الطريف من ألوان الثقافة والمعرفة. والكتاب أضخم كتب الجاحظ إطلاقا ولعله أجملها شأنا. ويعد دائرة معارف واسعة الأفق كما يعد صورة بارزة لثقافة العصر العباسي المتشعبة الأطراف، فقد حوى طائفة صالحة من المعارف الطبيعية والمسائل الفلسفية، كما تحدث في سياسة الأقوام والأفراد وتكلم في نزاع أهل الكلام وسائر الطوائف الدينية. وتحدث الجاحظ في هذا الكتاب أيضا في كثير من المسائل الجغرافية وفي خصائص كثير من البلدان، وفي تأثير البيئة في الحيوان والإنسان والشجر وتكلم على الطب وعلى الأمراض في الحيوان وفي الإنسان وذكر كثيرا من المفردات الطبية النباتية والحيوانية والمعدنية، وغير ذلك من الشئون والمعارف وفي خلال ذلك كله أورد الصفوة المختارة من الشعر العربي النادر ومن الأمثال السائرة والنوادر الطريفة.

فالكتاب ذو شقين، أدبي وعلمي وإن لم تكن الحدود بين العلم والأدب متميزة لدى الجاحظ في أكثر جوانب كتابه، إذ لم يكن العقل المستنير عند العرب وعند سائر الأمم في تلك العصور قد بلغ في الدقة والتميز مدى أبعد من ذلك لأن المعارف الإنسانية لم يستقل بعضها عن بعضها الآخر إلا في عهد متأخر. فالجاحظ كان يمزج العلم بالأدب في تلاحم شديد في بعض الأحيان كما هو شأنه في قصة قاضي البصرة التي ساقها في قالب أدبي شائق وأراد في الوقت نفسه أن يصور خاصية الإلحاح في الذباب. على حين نجده في مواضع أخرى من كتابه عالما باحثا يجنح للتجربة والمعاينة

على / ٩٦، ٩٧، ودراسات في المكتبة العربية وتدوين التراث - د.
محمود أحمد حسن المراهي / ١٢٥ - ١٣٣، والتراث العلمي للحضارة
الإسلامية - د. أحمد فؤاد باشا / ١٣٧ - ١٣٩.

* حيوان الماء:

مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في علم الحيوان.
ذكره القزويني في عجائبه فقال:

حيوان الماء على قسمين: منه ما ليس له رئة كأنواع
السماك فإنه لا يعيش إلا في الماء ومنه ما له رئة كالضفدع
فإنه يجمع بين الماء والهواء، فأما التي لا تعيش إلا في الماء
فلا حاجة لها إلى استنشاق الهواء لأن الباري تعالى لما خلقها
في الماء جعل حياتها منه وجعلها على طبيعة الماء وركب
أبدانها تركيباً بحيث يصل إليها برد الماء وروح الحرارة الغريزية
التي في بدنها وينوب عن استنشاق الهواء فلذلك تراها لا
صوت لها لفقد الرئة التي لا حاجة لها إليها. والحكمة الإلهية
اقتضت أن يكون لكل حيوان أعضاء كثيرة مختلفة وكل حيوان
يكون أنقص فهو أقل حاجة ثم اقتضت أن لكل حيوان أعضاء
مشاكلة لبدنه ومفاصل مناسبة لحركاته وجلوداً صالحة لوقايتها
فجعل أبدان حيوان الماء إما صدفية صلبة لا يعمل فيها
الشيء الحاد أو فلسوسية أو ماشاكلهما غطاء ووقاية من
العاهات العارضة: وجعل لبعضها أجنحة وأذناناً تسبح بها في
الماء كما يطير الطير في الهواء، وجعل بعضها آكلًا وبعضها
مأكولًا وجعل نسل المأكول أكثر لبقاء أشخاصها، فسبحانه ما
أعظم شأنه.

ثم يذكر القزويني بعض حيوان الماء وعجائبه وخواصه
على ترتيب حروف المعجم وهي كما يلي:

أرنب البحر، الإليس، إنسان الماء، بقرة الماء، البال،
التمساح، الجري، الجلكاء، الدلفين، الرعاد، الدامور،
السرطان، سرطان البحر، السقنقور، السلحفاة، السمك،
الشبوط، الشفنين، الصيرة، الضفدع، العلق، القطا، فرس
الماء، الفاطاس، القندر، قنفذ الماء، القوقى، كلب الماء،
الكوسج.

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ٩٧، ٩٨).

الحيوان بصلة، من مثل الكلام على الشعر وترجمته أو على
النار والضيف أو على حفظ السر أو على صدق الظن وجودة
الفراسة، وفي هذا ما ينافي وحدة الموضوع التي جعلها
المؤلف في عنوان كتابه، حتى إن الجاحظ نفسه يستطرد
داخل موضوعه نفسه فيتعد عنه كثيراً حتى يصعب على
القارئ تتبعه. والجاحظ نفسه الذي ألف كتابه هذا وهو مسن
ومصاب بمرض مزمن من النقرس والقالج اعتذر عن ظاهرة
الاستطرد في كتابه قال:

«وقد صادف هذا الكتاب منى حالات تمنع من بلوغ
الإرادة فيه، أول ذلك العلة الشديدة، والثانية قلة الأعوان،
والثالثة طول الكتاب».

على أن الجاحظ فيما يبدو لا يرى في هذه الطريق مأثماً
بدليل أنه يسعى بنفسه إلى هذا الاستطرد ويعتمد الخروج عن
موضوعه بغية إمتاع القارئ كما يقول، ولهذا نراه دائم التقدير
لملل القارئ وغلبة السامة عليه فيلتمس له ما ينشطه.

«وإن كنا قد أمللناك بالجد وبالاحتجاجات الصحيحة
لتكثر الخواطر وتشحد العقول فإننا سننشطك ببعض البطالات
وبذكر العلل الطريفة والاحتجاجات الغريبة».

ومن هنا يخيب أمل القارئ في أن يقف على بحث شامل
مستقص في هذا الكتاب لأن مؤلفه قلما كان يتقيد بموضوعه
ويستقر فيه على حال. وقد غدا هذا الاستطرد سنة غير
حميدة ابتدئها الجاحظ وسار عليها من أتوا بعده حتى كأنهم
لم يعودوا يستطيعون منها فكاًكا.

وقد طبع الحيوان في مصر بعناية عبد السلام هارون في
سبعة أجزاء سنة ١٩٣٨ وصنعت له فهرس قيمة تسر الانتفاع
منه.

(١) كان الحيوان قد طبع في مصر بمطبعة التقدم
والسعادة أي الساسي في ٧ أجزاء في نحو ثلث حجم
صفحات الطبعة الأخيرة وذلك خلال ١٩٠٥ - ١٩٠٧ (مصادر
التراث العربي / ٨٥ - ٨٩).

(في العلوم والطبيعة) - د. عبد الحليم منتصر. أثر العرب والإسلام
في النهضة الأوروبية اليونسكو / ٢٢٣، ومصادر التراث العربي - د. عمر
الدقاق / ٨٥ - ٨٩. انظر أيضاً العلوم والفنون عند العرب - د. سيد رضوان

* حيوانات رسول الله ﷺ:

قال الشيخ الشبلنجي رحمه الله:

وأما حيواناته ﷺ فكان له من الخيل سبعة أفراس وقيل أكثر منها السكب شبه بسكب الماء وانصبابه لشدة عدوه وهو أول فرس ملكه ﷺ وكان سرجه ﷺ دفتين من ليف وكان له من البغال ست منها بغلة شهباء يقال لها دلدل أهداها له مقوقس مصر وهي أول بغلة ركبت في الإسلام وعاشت حتى ذهبت أسنانها وكان يدق لها الشعير وعميت وقاتل عليها على رضى الله تعالى عنه الخوارج بعد أن ركبها عثمان وركبها بعده الحسن ثم الحسين ثم محمد ابن الحنفية وماتت بسهم رماها به رجل . وكان له ﷺ حماران يقال لأحدهما يعفور وللآخر عُفَيْر بضم العين المهملة على الصواب ، وكان له من الإبل ثلاث : ناقة يقال لها القصوى ، وناقة يقال لها الجدعاء ، وناقة يقال لها العضباء ، وهي التي كانت لا تُسبق فسُبقت فشق ذلك على المسلمين فقال عليه الصلاة والسلام «إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه» ويقال إن العضباء هذه لم تأكل ولم تشرب بعد وفاته ﷺ حتى ماتت وقيل إن التي لم تسبق فسُبقت هي القصوى وقيل الأسماء الثلاثة لواحدة وقيل القصوى واحدة والجدعاء والعضباء واحدة وكان له من الغنم مائة وسبعة أعز كانت ترعاها أم أيمن وكان له شاة يختص بشرب لبنها وأما البقر فلم ينقل أنه اقتنى شيئا منها واقتنى ﷺ الديك الأبيض وكان يبيت معه في البيت نقله بعضهم وكان له ﷺ شاة تسمى غوثة وقيل غيثة وعز تسمى اليمن كذا في أسد الغابة (نور الأبصار للشيخ الشبلنجي / ٨٨ ، ٨٩) انظر مادة «أفراس رسول الله ﷺ» في م ٥ / ٤٤٣ ، ٤٤٤

* الحيوطية (جامع -) (٨٨٥ هـ):

من المساجد المملوكية بدمشق، يقع شمال مشفى المجتهد، في منطقة تعرف اليوم به، وكانت تدعى من قبل «بستان الصاحب».

بناه الأمير «مكي بن حيوط»، أحد أمراء دمشق، وقد تكامل البناء سنة ٨٨٥ هـ، وألقيت فيه الخطبة الأولى يوم ١٢ جمادى الأولى.

وبعد تسع سنوات اكتمل بناء المنارة، وله اليوم جبهة غربية من الحجر المزخرف الأسود والأبيض وفيها الباب المؤدى إلى الحرم المقام على عدة أقواس، وللمسجد منارة مثمنة على قاعدة مربعة وتاج حسن، وقد حافظ المسجد على طراز بنائه القديم (خطط دمشق - أكرم حسن العلي / ٣٣٥).

* حيوة بن شريح (١٥٨٠ هـ)

ذكره الإمام السيوطي فيمن كان بمصر من الأئمة المجتهدين وقال عنه:

حيوة بن شريح بن صفوان التجيبي أبو زرة المصري (لأبي يعلى في مسنده). الفقيه الزاهد العابد، أحد الزهاد والعلماء السادة. عن يزيد بن أبي حبيب، وعنه الليث، سئل عنه أبو حاتم، فقال: هو أحب إلَيَّ من الليث بن سعد، ومن المفضل بن فضالة. وقال ابن المبارك: ما وصف لي أحد ورأيت دون صفته إلا حيوة بن شريح، فإن رؤيته كانت أكبر من صفته. عرض عليه قضاء مصر فأبى. مات سنة ثمان وخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ٣ / ٦٩).

(حسن المحاضرة للمحافظ السيوطي - بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ١ / ٣٠٠ وهامش ٣ للمحقق).

بسم الله الرحمن الرحيم

تم بحمد الله تعالى وعونه

حرف الخاء

ويليه بمشيئة الله تعالى

حرف الخاء

أعان الله على إتمامه

حرف الخاء

* الخاء:

الخاء من الأصوات الاحتكاكية (انظر مادة «الحاء» في م ١٢ / ٥٩٤). ويرتفع أقصى اللسان حال النطق بهذا الصوت: بحيث يكاد يلتصق بأقصى الحنك، وبحيث يكون هناك فراغ ضيق ليسع للهواء بالنفاذ مع حدوث احتكاك. ولا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به.

فالخاء صوت من أقصى الحنك، احتكاكي مهموس (علم الأصوات / ١٢١)

وللحاء خمس صفات: الهمس، الرخاوة، الاستعلاء، الانفتاح، الإصمات (ملخص أحكام التجويد / ١١٧)
وجاء في اللسان:

قال ابن كيسان: من الحروف المجهور والمهموس، والمهموس عشرة: الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والثاء والفاء، ومعنى المهموس أنه حرف لان في مخرجه دون المجهور، وجرى معه النفس، فكان دون المجهور في رفع الصوت. وقال الخليل بن أحمد: حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً، منها خمسة وعشرون صحاح لها أحياء ومدارج، فالحاء والغين في حيز واحد، والحاء من الحروف الحلقية.

خاء: الخاء: حرف هجاء، وهو حرف مهموس يكون أصلاً لا غير. وحكى سيويه: خبيت خاء؛ قال: ابن سيده: فإذا كان هذا من باب عيت، قال: وهذا عندي من صاحب العين صنعة لا عربية؛ وقد ذكر ذلك في علة الحاء. قال سيويه: الخاء وأخواتها من الثنائية كالهاء والباء والتاء والطاء، إذا تهجيت مقصورة، لأنها ليست بأسماء، وإنما جاءت في التهجي على الوقف، ويدل ذلك على ذلك أن القاف والذال والصاد موقوفة الأواخر، فلولا أنها على الوقف حركت أواخرهن، ونظير الوقف ههنا الحذف في الياء وأخواتها، وإذا أردت أن تلفظ بحروف المعجم قصرت وأسكنت، لأنك لست تريد أن تجعلها أسماء، ولكنك أردت أن تقطع حروف الاسم، فجاءت كأنها أصوات تصوت بها، إلا أنك تقف

عندها لأنها بمنزلة عه، وإذا أعربت لزمك أن تمدها، وذلك أنها على حرفين الشانئ منهما حرف لين، والتنوين يدرك الكلمة، فتحذف الألف لالتقاء الساكنين فيلزمك أن تقول: هذه حا يافتى، ورأيت حا حسنة، ونظرت إلى طا حسنة، فيبقى الاسم على حرف واحد، فإن ابتدأته وجب أن يكون متحركاً، وإن وقفت عليه وجب أن يكون ساكناً، فإن ابتدأته ووقفت عليه جميعاً وجب أن يكون ساكناً متحركاً في حال، وهذا ظاهر الاستحالة؛ فأما ما حكاه أحمد بن يحيى من قولهم: شربت ما بقصر ماء فحكاية شاذة لا نظير لها، ولا يسوغ قياس غيرها عليها.

وخاء بك: معناه اعجل. غيره: خاء بك علينا وخاى لغتان، أى اعجل، وليست التاء للتأنيث لأنه صوت مبنى على الكسر، ويستوى فيه الاثنان والجمع والمؤنث، فحاء بكما وخاى بكما وخاء بكما وخاى بكما؛ قال الكميت:

وذا ما شحطن الحساديين سمعتهنم

بخاى بك الحق يهتفون وحى هل والياء متحركة غير شديدة، والألف ساكنة، ويروى: بخاء بك؛ وقال ابن سلمة: معناه خبت، وهو دعاء منه عليه، تقول: بخائبك، أى بأمرك الذى خاب وخسر؛ قال الجوهري: وهذا خلاف قول أبي زيد كما ترى؛ وقيل القول الأول. قال الأزهري: قرأت في كتاب النوادر لابن هانئ خاى بك علينا، أى اعجل علينا، غير موصول؛ قال: أسمعنيه الإيادي لشمر عن أبي عبيد خاييك علينا، ووصل الياء بالياء في الكتاب: قال: والصواب ما كتب في كتاب ابن هانئ وخاى بك اعجلي، وخاى بكن اعجلن، كل ذلك بلفظ واحد إلا الكاف فإنك تشيها وتجمعها (لسان العرب ١٣ / ١٠٨٤).

ويتناول الإمام الصفاقسي صوت الخاء من حيث صحة نطقه في تلاوة القرآن الكريم، فيقول، مع ملاحظة أن مصنفات التراث تستخدم لفظ «حرف» بدلا من «صوت»: الخاء يخرج من المخرج الثالث من مخارج الحلق وهو

حرف مهموس رخو مستفل منفتح مصمت مفخم متوسط إلا أنه إلى الضعف أقرب لكثرة صفات الضعف فيه .

ويقع الخطأ فيها من أوجه الأول : ترقيقها وهو حرف مستعل لا بد من تفخيمه كسائر [كسائر] حروف الاستعلاء [الاستعلاء] في نحو طفق وظلم وقال وصلى وغلب وضراء وكثير من الناس يرققها باعتبار ما فيها من صفات الضعف وهو خطأ لا شك فيه فإذا أتى بعدها ألف نحو خالق والخاشعين والخاسرين فيكون تفخيمه أمكن لتفخيم الألف بعدها إذا الألف كما تقدم تابع ما قبله في التفخيم والترقيق فإن قلت هذا مخالف لقول الجعبري (أوردنا ترجمته في م ١٢ / ١٨٩ - ١٩١ فانظره في موضعه) .

وإياك واستصحباب تفخيم لفظها

إلى الألفات التاليات فتعشرا

ولقول تلميذه أبي بكر عبد الله بن الجندى [الجندى] تفخيم الألف بعد حروف الاستعلاء خطأ، وقول تلميذه أبي الخير محمد بن الجزرى فى تمهيد لما ذكر تفخيم الخاء واحذر إذا فخمته قبل الألف أن تفخم الألف معها فإنه خطأ لا يجوز وكثيرا ما يقع القراء فى مثل هذا ويظنون أنهم أتوا بالحروف مجودة وهؤلاء مصدرىون فى زماننا يقرئون الناس القراءات فالواجب أن تلفظ بهذه كما تلفظ بها إذا قلت ها يا وهو ظاهر قوله فى مقدمته (وحاذرن تفخيم لفظ الألف) قلت نعم لكن الصواب ما ذكرته ونص عليه غير واحد من المحققين كمكى وبه قرأت على جميع شيوخى المشاركة والمغاربة وقيد به إطلاق المقدمة غير واحد من شارحيها منهم ابن مصنفها (ابن الناظم، أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد الجزرى المتوفى سنة ٨٢٧) وقد نص عليه العلامة ابن الجزرى نفسه فى نشره وهو من أحسن ما ألف وقال إن من قال بترقيقها بعد الحروف المفخمة فهو شئ قد وهم فيه ولم يسبقه إليه أحد وقد رد عليه الأئمة [الأئمة] المحققون وقد ألف الإمام البارع المقرئ المجرود النحوى محمد بن أحمد بن نضحان [نضحان] الدمشقى فى ذلك تأليفا سماه «التذكرة والتبصرة لمن نسى تفخيم الألف وأنكره» واطلع عليه إمام المفسرين والقراء والنحويين أبو حيان فكتب عليه : طالعت فرأيت قد حاز إلى ضجة النقل كمال الدراية وبلغ فى حسنه الغاية . انتهى .

والتمهيد من أول تواليف ابن الجزرى رحمه الله تعالى ألفه فى سن الحداثة والبلوغ فالصواب ما فى النشر والتعويل عليه لا على ما فى التمهيد والله الموفق ، ومنها إبدالها إذا سكنت غينا فى نحو تخشى ويفعله كثير من الناس وهو لحن فاحش وخطأ ظاهر لا تحل القراءة به ، ومنها تشديدها فى مثل الأخ والدخان فليتحفظ منه (تنبيه الغافلين / ٥٥ - ٥٧) .

ويقول الإمام الفيروزابادى معددا وجوه ورود الخاء فى القرآن الكريم وفى لغة العرب ، بادئا بتعداد وجوه الكلمات المفتحة بالخاء وذلك فى الباب الثامن من بصائره :

وهى الخاء الخبت، الخبث، الخبر، الخبط، الخبل، الخبء، الختر، الختم، الخداع، الخدن، الخذل، الخرب، الخروج، الخرط، الخرق، الخزن، الخزى، الخسر، الخسف، الخسأ، الخشب، الخشوع، الخشية، الخصوص، الخصف، الخصم، الخضسر، الخضوع، الخط، الخطب، الخطف، الخطأ، الخفيف، الخفى، الخلل، الخلود، الخالص، الخلط، الخلع، الخلف، الخلق، الخلاء، الخمر، الخير، الخيط، الخيل، الخول، الخوف، الخلاء .

ثم يقول :

اعلم أن الخاء ورد فى القرآن وفى لغة العرب على وجوه عشر :

الأول : الخاء حرف من حروف التهجى . وهى من حروف الحلق من قرب العين فى أنحاء الحلق ، يمد ويقصر . وهو خائى وخاوى وخيوى وقد خييت خاء حسنا وحسنة ، ويذكر ويؤنث . ويجمع على أخياء وأخواء وخاءات .

الثانى : الخاء اسم للعدد الذى هو ستمائة .

الثالث : الخاء الكافية ، يقتضون على الخاء من الخليل والأخ ، قال :

هو خائى وإننى لأخوه

لست ممن يضيع حق الخليل

أى هو أخى .

الرابع : الخاء المكرر نحو خاء سخن وسخن .

الخامس : الخاء المدغمة فى مثل فخ وزخ فى قفاه .

السادس: خاء العجز والضرورة، فإن بعض الناس يجعل الخاء حاء.

السابع: خاء ملحق بنوع من الأصوات نحو بخ بخ ... وأخ.

الثامن: الخاء الأصلي في سخر وخسر ورسخ.

التاسع: الخاء المبدلة من الحاء نحو خمص الجرح وحمص إذا تورم.

العاشر: الخاء اللغوي (بصائر ٢ / ٥١٩، ٥٢٠).

قالت المؤلفة: وأما من حيث النظام الخطي للغة العربية فإن الخاء حرف يتميز بنقطة فوقه، ومن ثم فإنه يختلف في الدلالة الخطية عن الجيم التي تتميز بنقطة في وسطها، وعن الحاء الخالية من النقط. ومن ثم فإن النقطة من حيث عددها وموضعها تغير المعنى تبعاً لذلك، فهي على المستوى الخطي تسمى «جرافيمًا» أي وحدة خطية أساسية، وقد بسطنا الكلام في هذا كله في بحث لنا بعنوان «علم اللغة والنظام الخطي» في كتابنا بعنوان «دراسات في علم اللغة» ١٣٤ / ١٠٧ - ١٣٤.

(علم الأصوات - د. كمال محمد بشر / ١٢١، وملخص أحكام التجويد - د. شعبان محمد إسماعيل / ١٠٧، ولسان العرب لابن منظور ١٣ / ١٠٨٤، وتبيين الغافلين وإرشاد الجاهلين لأبي الحسن علي بن محمد النوري الصفاقسي - تقديم وتصحيح نخبة من العلماء / ٥٥ - ٥٧، وبصائر ذوي التمييز للإمام الفيروز آبادي - تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ٢ / ٥١٩، ٥٢٠).

* الخاتم:

في اصطلاحات الصوفية هو الذي قطع المسافات بأسرها، وبلغ نهاية الكمال، وبهذا المعنى يتعدد ويتكرر:

(اصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشاني - تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر / ١٥٩).

* خاتم رسول الله ﷺ:

ذكر ابن سعد في طبقاته خاتم رسول الله ﷺ وسلم الذهب، ثم ذكر خاتمه من الفضة، ثم خاتمه الملوى عليه فضة. وأتبع ذلك كله بذكر نقش خاتمه ﷺ ثم ما صار إليه الخاتم مما نقله لك فيما يلي، مع الاحتفاظ بالأسانيد. قال ابن سعد رحمه الله:

ذكر خاتم رسول الله ﷺ الذهب:

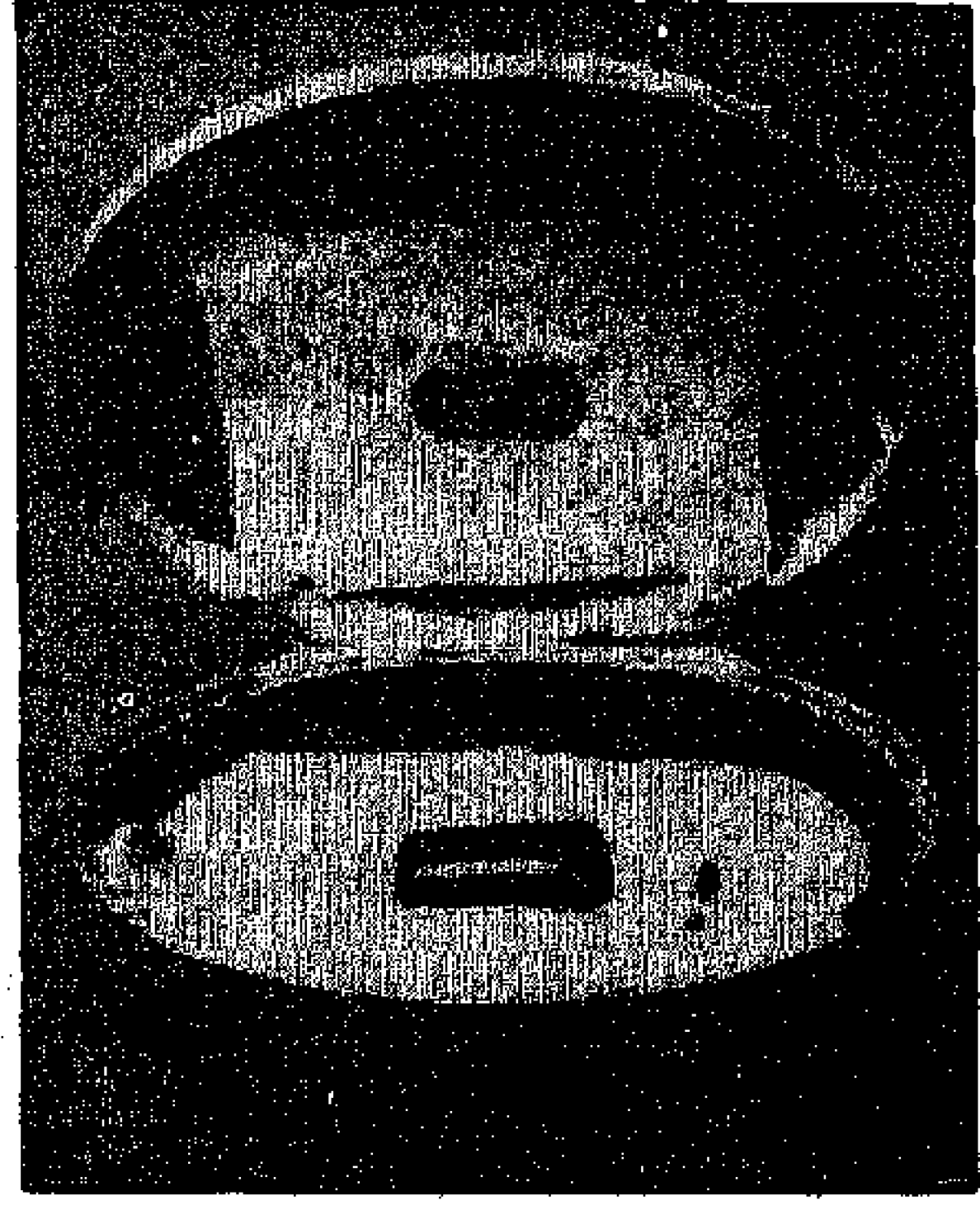
أخبرنا يزيد بن هارون والفضل بن دكين قالا: أخبرنا سفيان عن عبد الله بن دينار قال: سمعت ابن عمر، وأخبرنا عفان بن مسلم وعبد الله بن مسلمة بن قعنب قالا: حدثنا عبد العزيز بن مسلم، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، وأخبرنا خالد بن مخلد البجلي، حدثنا سليمان بن بلال عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر، وأخبرنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر، وأخبرنا هاشم بن القاسم، حدثنا ليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر، وأخبرنا عفان بن مسلم وخالد بن خدّاش قالا: حدثنا أبو عوانة، حدثنا أبو بشر عن نافع عن ابن عمر، وأخبرنا الضحاك بن مخلد الشيباني عن المغيرة بن زياد الموصلي، عن نافع، عن ابن عمر، وأخبرنا خالد بن مخلد البجلي، حدثنا عبد الله بن عمر العمري، عن نافع عن ابن عمر، وأخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا موسى بن عقبة، أخبرني نافع أنه سمع ابن عمر، وأخبرنا عبد الوهاب بن عطاء العجلي، حدثنا أسامة بن زيد عن نافع عن ابن عمر - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من ذهب، فكان يجعل فصه في بطن كفه إذا لبسه في يده اليمنى، فصنع الناس خواتيم من ذهب فجلس رسول الله ﷺ على المنبر فنزعه وقال: إني كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فصه من باطن كفي، فرمى به وقال: والله لا ألبسه أبداً. وبهذا النبي ﷺ، الخاتم، فبذ الناس خواتيمهم. أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن طاوس، وأخبرنا عمار بن الفضل، حدثنا حماد بن زيد عن أيوب قال: سمعت طاوساً يحدث أن النبي ﷺ اتخذ خاتماً من ذهب، فبينما هو يخطب الناس يوماً نظر إليه فقال: له نظرة ولكم أخرى. ثم خلعه فرمى به وقال: لا ألبسه أبداً.

أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أويس وخالد بن مخلد قالا: حدثنا سليمان بن بلال عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله ﷺ، كان يتختم في يساره بخاتم من ذهب، فخرج على الناس فطفقوا ينظرون إليه، فوضع يده اليمنى على خنصره اليسرى، ثم رجع إلى أهله فرمى به. أخبرنا حجاج بن محمد، حدثنا شعبة عن قتادة، عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه نهى عن خاتم الذهب.

حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: كان خاتم رسول الله ﷺ، من فضة، فضة منه. قال زهير: فسألت حميدا عن الفص: كيف هو؟ فأخبرني أنه لا يدري كيف هو. أخبرنا عبد الله بن وهب البصري وعثمان بن عمر قالا: أخبرنا يونس بن يزيد عن الزهري، حدثني أنس بن مالك قال: اتخذ رسول الله ﷺ، خاتما من ورق (الورق بكسر الراء والإسكان للتخفيف: الفضة الحاوي ٧٥ / ١) فضة حبشي، قال عثمان ابن عمر: ونقشه: محمد رسول الله. أخبرنا سليمان بن داود الهاشمي وموسى بن داود الضبي، قالا: حدثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب عن أنس أنه رأى في يد رسول الله ﷺ خاتما من ورق يوما واحدا، فصنع الناس خواتيم من ورق فلبسوها، فطرح النبي ﷺ خاتمه، فطرح الناس خواتيمهم. أخبرنا عبد الله بن نمير عن عبيد الله بن عمر، عن نافع عن ابن عمر قال: اتخذ رسول الله ﷺ، خاتما من ورق، فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر بعده، ثم كان في يد عمر بعده، ثم كان في يد عثمان حتى وقع في بئر أريس، نقشه: محمد رسول الله (انظر مادة «أريس» (بئر) في م ٤ / ٤٤).

أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا ابن عيينة عن أيوب بن موسى عن نافع عن ابن عمر قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتما من فضة نقش فيه: محمد رسول الله، فجعل فضة في بطن كفه. أخبرنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن جابر، عن محمد بن علي وعطاء قالا: كان خاتم رسول الله ﷺ من فضة، وكان نقشه: محمد رسول الله. أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا سفیان عن منصور عن إبراهيم قال: كان خاتم النبي ﷺ فضة وفيه: محمد رسول الله. أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أويس، حدثني جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله ﷺ طرح خاتمه الذهب، ثم تختم خاتما من ورق فجعله في يساره. أخبرنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن عيسى بن أبي عزة، عن عامر قال: كان خاتم النبي ﷺ، من فضة.

ذكر خاتم رسول الله ﷺ وسلم المملو عليه فضة. أخبرنا جرير بن عبد الحميد الرازي، عن مغيرة عن فرقد، عن إبراهيم قال: كان خاتم رسول الله ﷺ، حديدا ملويا عليه فضة. أخبرنا الفضل بن دكين وموسى بن داود قالا: حدثنا



ذكر خاتم رسول الله ﷺ الفضة:

أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري وعبد الوهاب بن عطاء العجلي قالا: حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس ابن مالك، وأخبرنا يزيد بن هارون وهاشم بن القاسم قالا: أخبرنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال: كتب رسول الله ﷺ إلى قيصر، أو إلى الروم، ولم يختمه، فقبل له: إن كتابك لا يقرأ إلا أن يكون مختوما، فاتخذ رسول الله ﷺ خاتما من فضة، فنقشه ونقش: محمد رسول الله. قال: فكأنني أنظر إلى بياضه في يد رسول الله ﷺ. أخبرنا يزيد بن هارون ومحمد بن عبد الله الأنصاري وعبد الوهاب بن عطاء العجلي قالوا: أخبرنا حميد الطويل، وأخبرنا عفان بن مسلم، حدثنا حماد ابن سلمة، حدثنا ثابت - زاد بعضهم على بعض - قال: سئل أنس بن مالك: هل اتخذ رسول الله ﷺ خاتما؟ فقال: نعم، آخر ليلة العشاء الآخرة إلى قريب من شطر الليل، فلما صلي أقبل علينا بوجهه فقال: إن الناس قد صلوا وناموا ولم تزالوا في صلاة ما انتظرتموها. قال: أنس: فكأنني أنظر الآن إلى ويبص خاتمه في يده، ورفع أنس يده اليسرى.

أخبرنا عمرو بن عاصم الكلابي، حدثنا همام عن أبان بن أبي عياش عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ، اصطنع خاتما كله من فضة وقال: لا يصنع أحد على صفته. أخبرنا أحمد ابن عبد الله بن يونس وموسى بن داود قالا: حدثنا زهير،

محمد بن راشد عن مكحول أن خاتم رسول الله ﷺ، كان من حديد ملوى عليه فضة، غير أن فضه باد. أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا إسحاق عن سعيد أن خالد بن سعيد أتى رسول الله ﷺ، وفي يده خاتم له، فقال له رسول الله ﷺ: ما هذا الخاتم؟ فقال: خاتم اتخذته، فقال: اطرحه إلى، فطرحه، فإذا خاتم من حديد ملوى عليه فضة، فقال: ما نقشه؟ فقال: محمد رسول الله، قال: فأخذه رسول الله ﷺ، فلبسه فهو الذي كان في يده. أخبرنا أحمد بن محمد الأزرقى المكي، حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد القرشى، عن جده قال: دخل عمرو بن سعيد بن العاص، حين قدم من الحبشة، على رسول الله ﷺ، فقال: ما هذا الخاتم في يدك يا عمرو؟ قال: هذه حلقة يارسول الله، قال: فما نقشها؟ قال: محمد رسول الله، قال: فأخذه رسول الله ﷺ فتختمه فكان في يده حتى قبض، ثم في يد أبي بكر حتى قبض، ثم في يد عمر حتى قبض، ثم لبسه عثمان، فبينما هو يحضر بثرا لأهل المدينة، يقال له بئر أريس، فبينما هو جالس على شفتها يأمر بحفرها سقط الخاتم في البئر، وكان عثمان يكثر إخراج خاتمه من يده وإدخاله، فالتمسوه فلم يقدرُوا عليه.

ذكر نقش خاتم رسول الله ﷺ

أخبرنا عبد الله بن إدريس الأودى، حدثنا هشام عن ابن سيرين قال: كان في خاتم رسول الله ﷺ بسم الله، محمد رسول الله. أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصارى، حدثني أبي، حدثني ثمامة، حدثنا أنس بن مالك قال: كان خاتم النبي ﷺ نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله: محمد في سطر، ورسول في سطر، والله في سطر. أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك قال: اصطنع رسول الله ﷺ خاتما، فقال: إنا قد اصطنعنا خاتما ونقشنا فيه نقشا فلا ينقش عليه أحد. أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصارى وعبد الوهاب بن عطاء العجلي قالوا: حدثنا ابن جريج، أخبرني الحسن بن مسلم، عن طاووس قال: قالت قريش للنبي ﷺ: إن الناس ههنا (كأنهم يريدون العجم) لا يعجرون عندهم كتابا إلا وعليه طابع، فكان هو الذي هاجه على أن اتخذ خاتمه، ونقش فيه: محمد رسول الله، وقال: لا ينقش أحد على نقش خاتمي. أخبرنا الضحاك بن مخلد أبو

عاصم الشيباني، عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، عن أنس قال: كان نقش خاتم رسول الله ﷺ، محمد رسول الله. أخبرنا شبابة بن سوار عن المبارك عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إني قد اتخذت خاتما فلا يتخلف عليه أحد. قال: وكان نقشه: محمد رسول الله. أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي عن الحجاج بن أبي عثمان قال: سئل الحسن عن الرجل يكون في خاتمه اسم من أسماء الله فيدخل به الخلاء، فقال: أو لم يكن في خاتم رسول الله ﷺ آية من كتاب الله؟ (يعني ﴿محمد رسول الله﴾ [الفتح: ٢٩]) أخبرنا جرير بن عبد الحميد الرازي عن منصور عن إبراهيم، وأخبرنا الفضل بن دكين، أخبرني شريك عن منصور، عن إبراهيم وسالم بن أبي الجعد، وأخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا سفيان بن سعيد عن منصور عن إبراهيم قالوا: كان نقش خاتم رسول الله ﷺ، محمد رسول الله. أخبرنا عارم بن الفضل، أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب، عن محمد قال: كان نقش خاتم النبي ﷺ محمد رسول الله. أخبرنا الفضل بن دكين، أخبرنا أبو خلوة قال قلت لأبي العالية: ما كان نقش خاتم رسول الله ﷺ؟ قال: صدق الله، ثم الحق الحق، بعده محمد رسول الله. أخبرنا خالد بن خدّاش، حدثنا عبد الله بن وهب، عن أسامة ابن زيد، أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان حدثه، أن معاذ بن جبل لما قدم من اليمن، حين بعثه رسول الله ﷺ إليها، قدم وفي يده خاتم من ورق نقشه: محمد رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: ما هذا الخاتم؟ قال: يارسول الله، إني كنت أكتب إلى الناس، فأفرق أن يزداد فيها وينقص منها، فاتخذت خاتما أختم به، قال: وما نقشه؟ قال: محمد رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: آمن كل شيء من معاذ حتى خاتمه: ثم أخذه رسول الله ﷺ، فتختمه:

ذكر ما صار إليه أمر خاتمه ﷺ

أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصارى، حدثنا أبي، حدثني ثمامة بن عبد الله، حدثنا أنس بن مالك قال: كان خاتم النبي ﷺ في يده حتى مات، وفي يد أبي بكر وعمر حتى ماتا، ثم كان في يد عثمان ست سنين، فلما كان في الست الباقية، كان معه على بئر أريس، وهو يحرك خاتم رسول الله ﷺ في يده، فوقع في البئر، فطلبناه مع عثمان ثلاثة أيام فلم

يده خاتم نحاس فقال: ما لي أرى عليك رائحة أهل النار؟ صحيح ومن رواه، وهل يؤخذ منه التحريم أو الكراهة؟

الجواب - أما الوزن فلم يتعرض له أصحابنا في كتب الفقه ولكن ورد في الحديث «ولا تتمه مثقالاً» قال الزركشي في الخادم لم يتعرض أصحابنا لقدر الخاتم ولعلمهم اكتشفوا بالعرف فما خرج عنه إسراف، وأما التختم بسائر المعادن ما عدا الذهب فغير حرام بلا خلاف لكن هل يكره وجهان: أحدهما نعم لحديث بريدة أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وعليه خاتم من شبه فقال: ما لي أجد منك ريح الأصنام فطرحة ثم جاء وعليه خاتم من حديد فقال: ما لي أرى عليك حلية أهل النار؟ فطرحة فقال: يا رسول الله من أي شيء أتخذه؟ قال: أتخذه من ورق ولا تتمه مثقالاً» أخرجه أبو داود والترمذي وفي سنده رجل متكلم فيه فضعفه النووي في شرح المذهب لأجله ولكن ابن حبان صححه فأخرجه في صحيحه وهذا هو الحديث المسئول عنه في السؤال، والوجه الثاني أنه لا يكره ورجحه النووي في الروضة وشرح المذهب قال لضعف الحديث الأول، ولما أخرجه أبو داود بإسناد جيد عن معيقب الصحابي قال كان خاتم النبي ﷺ من حديد ملوى عليه فضة، وأما التعدد فصرح به الدارمي من أصحابنا فقال يكره للرجل أن يلبس فوق خاتمين فضة فمقتضاه جواز الخاتمين بلا كراهة وارتضاه الأسنوي وقيد الخوارزمي في الكافي بأن لا يجمع بينهما في أصبع، وأما هل تختم النبي ﷺ بالفضة أو غيرها فسياًتي حديث أنه كان خاتمه من ورق وتقدم حديث معيقب أنه كان خاتمه من حديد، وأما تختمه بالذهب فقد كان قبل ذلك ثم نهى عنه وطرحه كما في الصحيح، وأما الفص فباح للرجال وغيرهم قال النووي في شرح المذهب: يجوز الخاتم بفص وبلا فص ويجعل الفص من باطن كفه أو ظاهرها وباطنها أفضل للأحاديث الصحيحة فيه انتهى، وأما فص خاتم النبي ﷺ ففي صحيح البخاري أن فسه كان منه، وفي صحيح مسلم عن أنس قال كان خاتم النبي ﷺ من ورق وكان فسه حبشياً فجمع بين الحديثين بالحمل على التعدد، وذكر في شرح قوله وكان فسه حبشياً أنه حاجر من بلاد الحبشة، وقيل جزع أو عقيق لأن ذلك قد يؤتى به من بلاد الحبشة، ورأيت في المفردات في الطب لابن البيطار أنه صنف من الزبرجد.

وأما هل تختم النبي ﷺ في اليمين أو اليسار؟ فقد تختم في كل منهما صح كل ذلك من فعله، قال النووي في شرح

نقدر عليه. أخبرنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل، عن جابر عن عدي بن عدي، عن علي بن حسين قال: كان خاتم رسول الله ﷺ مع أبي بكر وعمر، فلما أخذه عثمان سقط فهلك، فنقش على نقشه.

أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا سعيد بن عبد الرحمن، حدثنا محمد بن سيرين أن خاتم رسول الله ﷺ، سقط من يد عثمان فابتغى فلم يوجد.

أخبرنا الفضل بن دكين وإسحاق بن سليمان أبو يحيى الرازي قالاً: حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ كان يجعل فص خاتمه مما يلي بطن كفه. أخبرنا يزيد بن هارون، حدثنا حماد بن سلمة قال: رأيت ابن أبي رافع يختم في يمينه، وقال عبد الله بن جعفر: كان رسول الله ﷺ يختم في يمينه. فسألت عن ذلك فذكر أنه رأى عبد الله بن جعفر يختم في يمينه أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن أبي منصور، عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد، عن أبيه عن جده، وأخبرنا محمد بن عمر، حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن عبد الملك بن مسلم عن يعلى بن شداد أن النبي ﷺ، كان يلبس خاتمه في يساره. أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقى، حدثنا عطاء بن خالد، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة، عن سعيد بن المسيب قال: ما تختم رسول الله ﷺ حتى لقي الله، ولا أبو بكر حتى لقي الله، ولا عمر حتى لقي الله، ولا عثمان حتى لقي الله، ثم ذكر ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ (الطبقات الكبرى م ٩ - ١٦٠ / ١٦٦، والحاوي ١ / ٧٥).

ويورد الحافظ السيوطي في الحاوي فتوى عن الخاتم بعنوان «الجواب الخاتم عن سؤال الخاتم» جاء فيها بعد البسملة:

مسألة - التختم بالفضة هل له وزن معلوم لا تجوز الزيادة عليه وهل يجوز التختم بسائر المعادن كالنحاس والحديد وهل يجوز تعدد الخواتم من الفضة وهل تختم النبي ﷺ بالفضة أو غيرها؟ وهل تباح الفصوص في الخواتم للرجال وهل كان خاتم النبي ﷺ بفص وما كان فسه؟ وهل تختم في اليمين أو الشمال وهل كان فسه مما يلي ظاهر الكف أو باطنه؟ وهل الحديث الذي ورد «أن رجلاً دخلاً عليه ﷺ وفي

لقد ورد موضوع خواتيم النبي ﷺ في كتب السنة الصحيحة كصحيح البخاري ومسلم، وسنن أبي داود والنسائي والجامع الصحيح للترمذي، وبعض كتب التاريخ والسيرة النبوية - كفتوح البلدان للبلاذري، و«عين الأثر في فنون المغازي والسير» لابن سيد الناس، و«طبقات ابن سعد» وغيرها. ولعل أوسع من كتب فيه ابن سعد في الجزء الأول من طبقاته، ثم خير من بحث فيه من المتأخرين العلامة عبد الحي الكتاني المغربي في كتابه المشهور: «التراتب الإداري» (الجزء الأول)، وبعده العلامة المصري المرحوم أحمد تيمور باشا في كتابه «الآثار النبوية»، وقد عالج فيه القضية الثانية أيضا، أي صحة وجوده في تركيا.

انتهيت بعد دراسة الموضوع من جميع جوانبه إلى الآتي:
١ - يتأكد من الروايات الواردة في كتب السنة الصحيحة وطبقات ابن سعد أن الرسول ﷺ كان له أكثر من خاتم، وصرح بذلك ابن سيد الناس ثم الكتاني.

٢ - والخاتم الأول كان من فضة وفصه من فضة.
ففي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: «لما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الروم فقبل له إنهم لن يقرأوا كتابك إذا لم يكن مختوما، فاتخذ خانما من فضة، ونقشه (محمد رسول الله) فكأنما أنظر إلى بياضه في يده ﷺ...»
ومثل هذا الحديث باختلاف اللفظ في صحيح مسلم وغيره.
أما كيفية هذا النقش فكما ذكره الصحابي أنس رضي الله عنه (محمد) سطر و (رسول) سطر و (الله) سطر. من الأسفل إلى الأعلى. وكانت كتابته مقلوبة كما هو الأمر بالنسبة للخواتم في عصرنا.

وهذا الخاتم الذي ختم به على الرسائل الموجهة من قبل النبي ﷺ إلى عدد من ملوك زمانه، وقد عثر من هذه الرسائل على أربع: إلى المقوقس، وإلى النجاشي، وإلى المنذر بن ساوى، وإلى كسرى برويز: وقد أورد الدكتور محمد حميد الله صورها في كتابه: «مجموعة الوثائق السياسية» (طبعة الثالثة)، وفيها صورة هذا الخاتم، هكذا.

وهذا هو الخاتم الذي ذكره الإمام مسلم أيضا تحت عنوان: باب لبس النبي خاتما من ورق، نقشه محمد رسول الله، ولبس الخلفاء بعده. كما ذكره ابن سعد في فقرة منفصلة.

المهذب التختم في اليمين أو اليسار كلاهما صح فعله عن النبي ﷺ لكنه في اليمين أفضل لأنه زينة واليمين بها أولى، وقال الحافظ ابن حجر: ورد تختمه ﷺ في اليمين من حديث ابن عمر عند البخاري، وأنس عند مسلم، وابن عباس، وعبد الله بن جعفر عند الترمذي وجابر عنده في الشماثل، وعلى عند أبي داود والنسائي وعائشة عند البزار، وأبي أمامة عند الطبراني، وأبي هريرة عند الدارقطني في غرائب مالك فهولاء تسعة من الصحابة، وورد تختمه باليسار من حديث أنس عند مسلم، وابن عمر عند أبي داود، وأبي سعيد عند ابن سعد، ووردت رواية ضعيفة أنه تختم أولا في اليمين ثم حوله إلى اليسار أخرجه ابن عدي من حديث ابن عمر واعتمد عليها البغوي في شرح السنة فجمع بين الأحاديث المختلفة بأنه تختم أولا في يمينه ثم تختم في يساره وكان ذلك آخر الأمرين، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عن اختلاف الأحاديث في ذلك فقال لا يثبت هذا ولكن في يمينه أكثر، وأما هل كان فصه مما يلي باطن الكف أو ظاهره فقد ورد أيضا كلاهما من فعله ﷺ ولكن أحاديث الباطن أصح وأكثر فلذلك كان أفضل، والله أعلم (الحاوي ١/٧٥، ٧٦).

وللدكتور سيد رضوان علي، بحث بعنوان «خاتم الرسول ﷺ التي تحمل صورة نقشه العملة الذهبية التذكارية الصادرة من قبل الحكومة التركية» يجيب فيه على تساؤلين ونقله لك فيما يلي. قال سيادته، مع ملاحظة أننا أوردنا آنفا ما ورد في طبقات ابن سعد.

أثير خلاف لدى بعض الجهات حول نقش خاتم الرسول ﷺ، الذي تحمل العملة الذهبية التذكارية الصادرة من الحكومة التركية صورته، وذلك احتفاء بنهاية القرن الرابع عشر الهجري، وبداية القرن الخامس عشر الهجري. فهل نسبة هذا الخاتم إلى الرسول ﷺ صحيحة؟ وهل هناك أدلة تثبت وجود مثل هذا الخاتم حتى اليوم؟ وهذا ما سأحاول أن أجيب عليه.

صحة نسبة الخاتم ووجوده

والمشكلة في اعتقادي تنحصر في قضيتين رئيسيتين:

١ - صحة نسبة هذا الخاتم إلى الرسول ﷺ من عدمه.

ب - صحة وجوده عند الأتراك العثمانيين.

في طبقات ابن سعد، ولكن عنده (ملويا) بدل (ملونا) ويبدو هو الأصوب. وعقب الكتاني بعد هذا الحديث. (وهو محمول على التعدد).

أما كيفية نقش جملة «محمد رسول الله» على هذا الخاتم فلم يرد عنها شيء في الطبقات. وقد وردت في «التراتب الإدارية» (١/ ١٧٨) عبارة عن ابن كثير: «عن بعضهم أن كتابته كانت مستقيمة، وكانت تطبع كتابة مستقيمة».

وهذه الملحوظة من ابن كثير مهمة جدا تساعدنا في حل معضلة صورة الكتابة التي نراها مرسومة في العملة الذهبية التركية موضوع دراستنا، فالكتابة فيها مستقيمة، وليس في ثلاثة أسطر من الأسفل إلى الأعلى كما مر بالنسبة للخاتم الأول.

عدد اختتام الرسول

والنتيجة بعد هذا البحث أنه كان هناك للرسول ﷺ ما لا يقل عن ثلاثة اختتام إذا لم تكن أكثر كما يبدو من تفاصيل ابن سعد في الموضوع.

وأولها: ذلك الذي ختمت به بعض الرسائل التي ذكرناها. وثالثها: هذا الذي رسمت نقشها الحكومة التركية طبق الأصل، أي كتابة مستقيمة، وأما الثاني: فأنا أعتقد أنه كان للزينة، وليس للأعمال الرسمية، أي ختم الرسائل الموجهة إلى الملوك والأمراء، أو إلى عماله ﷺ في الجزيرة العربية.

والذي يدفعني إلى هذا الاعتقاد هو أن رسول الله ﷺ كان قد لبس خاتما من ذهب حين كان مباحا، ثم نبذه بعد تحريمه على الرجال حسب حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه في صحيح مسلم، وكان فيه فص. واستبدله بعد ذلك بخاتم من فضة فضة من عقيق، وقد أجمع جمهور علماء المسلمين لذلك بجواز التختم بخاتم الفضة، واعتبره البعض مستحبا.

وبالإضافة، فقد ورد في كتب التاريخ كما ورد في «التراتب الإدارية» نقل عن البخاري في تاريخه أن خاتمه ﷺ المصنوع من الحديد المملوء عليه فضة كان يحفظه الصحابي معيقب بن أبي فاطمة أحد كتبة النبي ﷺ.

كما ورد في «العقد الفريد» وغيره من كتب التاريخ أنه ﷺ كان يضع خاتمه عند حنظلة بن الربيع المعروف بحنظلة الكاتب «لأنه كان ينوب عن جميع كتاب النبي عليه السلام عند غياب أحدهم».

وقصته معروفة بأنه كان في يد رسول الله ﷺ، ثم في يد أبي بكر، ثم في يد عمر، ثم في يد عثمان لبضع سنوات إلى أن سقط من أصبعه في بئر أريس فاتخذ خاتما آخر على صورته ونقشه، وكان يسمى «خاتم الخلافة»، وورثه الخلفاء الأمويون ثم العباسيون، وكان يسمى «الخاتم الأكبر» كما جاء في بعض المصادر التاريخية، وكان بجانب ذلك الخاتم خواتيم أخرى لكل خليفة بدءا من سيدنا أبي بكر، وانتهاء إلى آخر خليفة عباسي، وعليها نقوش مختلفة من كلمات الحكمة أو الموعظة أو مجرد اسم الخليفة، حسبما ورد في بعض كتب التاريخ والأدب مفصلا.

وليس هذا الخاتم قد رسم على العملة الذهبية التركية التي هي موضوع دراستنا.

٣- أما الخاتم الثاني فهو ما ذكره الإمام مسلم في كتاب اللباس والزينة (في مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذرى بتحقيق الأستاذ محمد ناصر الألباني) تحت عنوان: «باب: في خاتم الورق فضة حبشي والتختم باليمين» (٢/ ١٢٦) ولفظ الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة في يمينه فيه فص حبشي، كان يجعل فضة مما يلي كفه.

وقد ورد ذكر هذا الخاتم في طبقات ابن سعد أيضا، وزاد فيه من كلام أحد رواه: «ونقشه محمد رسول الله» (ص ١٦٢، طبعة سحار، ليدن).

وقال صاحب «التراتب الإدارية» (عبد الحى الكتاني) في تفسير الفص الحبشي: «والحبشي حجر من جنز أو عقيق فإن معدنهما بالحشة واليمن، وقيل لونه حبشي أى أسود».

٤- والخاتم الثالث هو ما ذكره ابن سعد ١، ١٦٣ تحت عنوان: «ذكر خاتم رسول الله ﷺ المملوء عليه فضة»، وأورد تحت هذه الفقرة عددا من الأحاديث المرسلة والمرفوعة، وأوضحها عن مكحول: «إن خاتم رسول الله ﷺ كان من حديد مملوء عليه فضة غير أن فضة باد». وكان قد نقش عليه «محمد رسول الله» كنقش الاختتام السابقة. وقد ذكر العلامة عبد الحى الكتاني مثل هذا الحديث رواية عن أبي داود والنسائي (التراتب الإدارية) ج (١)، ص (١٧٩) ولفظه: «إن خاتمه كان من حديد ملونا (كذا) عليه فضة» وهو أيضا

معين من رمضان كل سنة في صحبة وزرائهم والقضاة والقواد من كبار رجال الدولة على احتفائهم بها .

ورأيت أنا شخصيا بعض هذه الآثار النبوية، كشجرة رأسه المباركة، وقبضة سيفه، وقضيب الخيزران وغيرها معروضة في توب كابى سراىء (المتحف) فى سنة ١٩٧٢ م. أما البردة الشريفة، واللواء النبوى، وسنه الشريف، والخاتم فقد بالغوا فى المحافظة عليها، فهى فى مقصورة داخل حجرة الآثار النبوية فى صناديق حديدية، ومغطاة بأفخر الأغشية، ولا يراها الزائر إلا من النافذة الكبيرة المفتوحة فى تلك الحجرة .

وأخيرا، فالأدلة التاريخية والقرائن تدل على صحة هذا الخاتم الذى طبعت الحكومة التركية صورته على العملة الذهبية التى أصدرتها احتفاء بذكرى بداية القرن الخامس عشر الهجرى («خاتم الرسول ﷺ / ١٦، ١٧»).

قالت المؤلفة: أسعدنا الحظ بزيارة «الأمانات المباركة» أو «الأمانات المقدسة» باستانبول أكثر من مرة فى الفترة ما بين ٣١ يولية إلى ٥ أغسطس ١٩٨٤، وقد نقلنا فى مادة «استانبول» وصفا لها مصحوبا بالصور، وذلك فى م ٤ / ١٩٠، ١٩١ فانظرها فى موضعها .

ويذكر الأستاذ يحيى سلوم العباسى الخطاط: الخاتم تحت عنوان «حكايات وطرائف خطية» فيقول: كان لرسول الله ﷺ خاتم من صنع وكتابة يعلى بن أمية رضى الله عنه كانت كتابته تقرأ على وجهه بصورة مستقيمة، وتختتم بصورة مستقيمة أيضا، وهذه معجزة له ﷺ لأن الخاتم يكتب عادة بصورة مقلوبة وعند الطبع تظهر الصورة بصورة صحيحة (الخط العربى / ١٢٢).

(طبقات ابن سعد. كتاب التحرير م ٩ ح ١ / ١٦٠ - ١٦٦، والحاوى للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى / ٧٥، ٧٦، و«خاتم الرسول ﷺ» - د. سيد رضوان على. الفبصل. العدد (١٦٥) السنة الرابعة عشرة. ربيع الأول ١٤١١ هـ - أكتوبر ١٩٩٠ م / ١٦، ١٧، والخط العربى: تاريخه وأنواعه - يحيى سلوم العباسى الخطاط / ١٢٢. انظر أيضا الآثار النبوية - أحمد تيمور باشا / ٢١، ٢٣، ٣٢، والمنهيات للحكيم الترمذى - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ٢٠٤ - ٢١١).

انظر مادة «الأختام الإسلامية» فى م ٣ / ٩٠ - ٩٩

وأعتقد أن حنظلة بن الربيع كان يحتفظ بالخاتم الأول، وخصوصا أن ابن عبد ربه ذكر الاثنين من حفظة خاتم النبى، ولا يصلح أن يناقض نفسه. أو يكون الصحابيان مسئولين عن خاتم واحد، إذ نلاحظ فى كتب التاريخ والسيرة، الدقة فى توزيع الأعمال على الجهاز الإدارى (الكتبة) للرسول ﷺ، كما ورد فى كتاب (الإدارة العربية) لمولوى عبد القادر الحسينى الهندى.

أما صحة وجود هذا الخاتم فى تركيا مع غيره من بعض الآثار النبوية كالبردة الشريفة وقضيب الخيزران، وقبضة السيف والعمامة وغيرها فقد بحث فيها بإسهاب المرحوم تيمور باشا فى كتابه (الآثار النبوية)، ومال إلى قبول ما ورد فى كتب المؤرخين الأتراك عن وجود هذه الآثار النبوية الشريفة، ومن بينها الخاتم، فى استانبول بتركيا.

قالت المؤلفة: أوردنا ما ذكره المرحوم أحمد تيمور باشا عن الخاتم وما جاء فيه من شعر فى مادة «الآثار النبوية» فى م ١٢٢ / ١٢٢ فانظره فى موضعه .

وتعرف هذه الآثار النبوية عند الأتراك «بالأمانات المباركة» وقد قدمها الشريف ندى بن بركات أمير مكة المكرمة إلى السلطان سليم الأول عند قدومه إلى القاهرة لزيارة السلطان فى ١٥١٨ م، حين فتح السلطان سليم مصر.

وقد ذكر ابن إياس المؤرخ المصرى المعاصر أن: «ابن الشريف بركات، أمير مكة قدم إلى السلطان «تقادم فاخرة» - أى هدايا فاخرة - وكانت هى تلك الآثار النبوية كما يرى أحمد تيمور باشا. وقد ثبت السلطان الشريف ندى على إمارة مكة بعد والده، تقديرا لهذه الهدايا التى لا تقدر بثمن، وبالفعل اعتبرها السلاطين الأتراك أعز ما يملكون، فكانوا يحتفظون بها فى حجرة خاصة بنيت بجانب مخدع السلطان، وبالغوا فى المحافظة عليها بحيث كان يتولى حراستها أربعون جنديا والسلطان بنفسه واحد منهم، فى حجرة خاصة بقصر توب كابى فى استانبول.

ولقد انتهى أحمد تيمور باشا إلى القول إن الثقات لم يقولوا شيئا فى نفى أو إثبات هذه الآثار، فلا يصح نفيها، والأغلب أنها صحيحة النسبة.

هذا، وقد كان السلاطين الأتراك يزورون هذه الآثار فى يوم

ملاحظة: الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب الخط العربي - يحيى سلوم العباسي الخطاط / ١٢٢

* خاتم الشيخ:

خاتم الشيخ: الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ خمس وخمسمائة وهو المشهور بوفق زحل من علم الحرف. وله شروح منها شرح شرف الدين أبي عبد الله ابن فخر الدين عثمان بن علي المعروف بابن بنت أبي سعد، أملى في مجلسين أحدهما في ثامن محرم سنة ٨٩٤ أربع وتسعين وثمانمائة وسماه مستوجبة المحامد في شرح خاتم أبي حامد. (كشف الظنون / ١ / ٦٩٨).

* خاتم النبوة:

في اصطلاحات الصوفية هو الذي ختم الله به النبوة ولا يكون إلا واحداً، وهو نبينا ﷺ (اصطلاحات الصوفية / ١٥٩) وقد أفرد الإمام السيوطي باباً في «ما جاء في خاتم النبوة». أي ما جاء من الأخبار في صفة خاتم النبوة: كلونه، ومقداره، وتعيين محله من جسده ﷺ وفي كونه من العلامات التي كان أهل الكتاب يعرفونها.

وننقل لك هذه الأحاديث وقد احتفظنا بأرقامها التي وردت في النص:

١ - «فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه فإذا هو مثل زر الحجلة».

(رواه البخاري بنحوه في الوضوء (باب استعمال فضل وضوء الناس). ٤٨ / ١. وفي المناقب (باب خاتم النبوة) ٢ / ٢٧٠ - ٢٧١ وفي كتاب المرضى (باب من ذهب بالصبي المريض ليدعى له) ٤ / ٧. وفي كتاب الدعوات (باب الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رؤوسهم) ٤ / ١٠٦. ومسلم بنحوه في كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة حديث ١١١ والترمذي في المناقب باب في خاتم النبوة وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ١٣ / ١١٩. والبيهقي بنحوه في الدلائل باب صفة خاتم النبوة ١ / ٢٥٩).

زر (بتقديم الزاي على الراء على المشهور. وقيل بالعكس) والحَجَلَة بفتحيتين. وقيل بسكون الجيم مع ضم الحاء (الحُجَلَة) وقيل: مع كسرهما.

وقد جزم المصنف في الجامع بأن المراد بالحجلة الطير المعروف، وأن المراد بزرها بيضها.

قال ابن الأثير: ويشهد له الحديث الآتي:

«مثل بيضة الحمامة».

(رواه مسلم في كتاب الفضائل عن جابر بن سمرة باب شبيهه ﷺ حديث ١٠٩ والترمذي في المناقب برواية أخرى لجابر. باب في خاتم النبوة وقال: حديث حسن صحيح ١٣ / ١٢٠، وأحمد في مسنده ٥ / ٩٠، ٩٨، ٩٥، ١٠٤، ١٠٧ بروايات مختلفة، والبيهقي في الدلائل. باب صفة خاتم النبوة ١ / ٢٦٢، ٢٦٣).

وجزم السهيلي بأن المراد بالحجلة الكلة التي تعلق على العريش، ويزين بها العروس كالباشخاناه.

والزر: واحد الأزرار.

(جاء في المعجم الوسيط: الحجلة: سائر كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس، وستر يضرب للعروس في جوف البيت، (الناموسية).

وهي أيضا طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين طيب اللحم. والجمهور على أن المراد بالحجلة بفتح الحاء والجيم بيت كالقبة له أزرار وعراو وقيل المراد بالحجلة الطائر المعروف وزرها بيضها).

٢ - «غدة حمراء».

بالدال المهملة، ورأيت من صحفه بالراء، وسألني عنه فقلت له:

إنما هو بالدال مثل بيضة الحمامة.

٣ - راد بن سعد «يشبه جسمه».

ووقع في رواية لابن حبان فن طريق سماك بن حرب.

٤ - «هذا كبيضة نعامة».

قال الحافظ ابن حجر: وقد تبين من رواية مسلم أنها غلط من بعض رواه.

٥ - «وعن ابن حبان من حديث ابن عمر «مثل البندقة من اللحم».

٦ - «وعن قاسم بن ثابت من حديث قره بن إياس: «مثل السلعة».

(السلعة ورم غليظ غير ملتزق باللحم يتحرك عند تحريكه، وله غلاف، ويقبل الزيادة، وزيادة تحدث في الجسد في العنق وغيره تكون قدر الحمصة أو أكبر).

٧- «كأن في ظهره بضعة ناشزة» (أي بارزة).

قال في النهاية: أي قطعة لحم مرتفعة عن الجسم.

٨- «مثل الجمع».

قال في النهاية: يريد مثل جمع الكف وهو أن تجمع الأصابع وتضمها.

٩- وفي رواية ابن سعد قال حماد: «جمع الكف» وجمع حامد كفه وضم أصابعه.

١٠- «حولها خيلان».

(هذا الحديث وما بعده من حديث عبد الله بن سرجس في مسلم).

هي جمع خال وهي الشامة في الجسد كأنها الثآليل جمع ثؤلول.

رأى العلامة ابن حجر:

قال في فتح الباري: هذه الألفاظ في صفته متقاربة.

وأما ما ورد من أنها كانت كأثر محجم، أو كالشامة السوداء، أو الخضراء، أو مكتوب عليها «محمد رسول الله» أو «سرفانت المنصور» ونحو ذلك فلم يثبت منها شيء. وقد أطنب الحافظ قطب الدين في استيعابها في شرح السير، وتبعه مغلطاي في الزهر الباسم، ولم يبين شيئا من حولها.

والحق ما ذكرته، ولا تغتر بما وقع منها في صحيح ابن حبان فإنه غفل حيث صحح ذلك.

رأى القرطبي:

قال القرطبي: اتفقت الأحاديث الثابتة على أن «خاتم النبوة» كان شيئا بارزا أحمر عند كتفه الأيسر، قدره إذا قل قدر «بيضة الحمامة» وإذا كبر «جمع اليد».

ووقع في حديث عبد الله بن سرجس عند مسلم أن خاتم النبوة كان بين كتفه عند ناغض كتفه اليسرى.

(رواه مسلم من حديث عبد الله بن سرجس في كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة وصفته حديث ٤٠١١٢ / ١٨٢٣، ١٨٢٤).

ويقول الإمام النووي معلقا:

وأما (ناغض كتفه) فبالنون والغين والضاد المعجمتين والغين مكسورة.

وقال الجهمسور: الناغض أعلى الكتف. وقيل هو العظم الرقيق الذي على طرفه.

وقيل: ما يظهر عند التحرك).

وفي حديث عباد بن عمرو عند الطبراني:

«كأنه ركب عنز على طرف كتفه اليسرى».

ولكن سنده ضعيف.

قال العلماء:

السر في ذلك أن القلب في تلك الجهة، ومنها يدخل الشيطان.

وقت وضعه:

وقد اختلف في وقت وضعه:

فقيل: ولد به. نقله ابن سيد الناس.

وقيل: حين ولد. نقله مغلطاي عن يحيى بن عائد.

وقيل: عند شق الملكين صدره وهو صغير في بني سعد.

ورد من حديث عتبة بن عبد السلمي عن أحمد والطبراني وجزم به القاضي عياض (انظر مسند أحمد حيث أورد حديثا مطولا ٤ / ١٨٤، ١٨٥).

قال الحافظ ابن حجر: وهو أثبت من القولين الأولين.

وفي حديث عائشة عند الطيالسي وابن أبي أسامة، وأبي نعيم في الدلائل: أن جبريل وميكائيل لما نزلا إليه عند المبعث هبط جبريل فلصقاني بحلاوة القفا ثم شق على قلبي فاستخرجه، ثم غسله في طست من ذهب، بماء زمزم، ثم أعاده مكانه، ثم لأمه ثم ألقاني وختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم في قلبي وقال: اقرأ. الحديث.

(انظر دلائل النبوة لأبي نعيم حيث أورده من حديث طويل حديث رقم ١٠٦٣ / ٢١٥ / ٢١٦. وحلاوة القفا: وسطه كما في المعجم الوسيط).

قلت:

وذكر الواقدي عن شيوخهم أنهم لما شكروا في موت

النبي ﷺ وضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفي
النبي ﷺ فقالت :

«قد توفي ، وقد رفع الخاتم من بين كتفيه» .

وفى مستدرك الحاكم عن وهب بن منبه قال : لم يبعث الله
نبيا إلا وقد كانت عليه شامة النبوة في يده اليمنى إلا أن يكون
نبينا ﷺ فإن شامة النبوة كانت بين كتفيه (زهر الشمائل / ٤٣ -
٤٧) .

وقد سأل سائل يقول : نشرت صورة لخاتم النبوة معها
حديث : من نظر إليه حفظه الله من الآفات وغيرها ويختم له
بالإيمان ، فهل هذا صحيح ؟

وأجاب عليه فضيلة الشيخ عطية صقر بقوله : خاتم النبوة
وردت به الأحاديث الصحيحة في البخاري ومسلم وغيرهما ،
وجاء في هذه الروايات أنه قطعة لحم ناتئة عليها شعرات بين
كتفي النبي ﷺ ، وأنه مثل بيضة الحمامة ، وأنه مثل زر
الحجلة وعليه خيلان كأنها الثآليل السود ...

وقد جاءت روايات أخرى في صفة هذا الخاتم ، منها
ما هو باطل مكذوب ، ومنها ما هو ضعيف لا يعول عليه ، ومن
ذلك ما رواه الترمذي الحكيم - وهو غير الترمذي صاحب
السنن - أنه مكتوب في باطنه ، أي ما يلي جسده الشريف -
«الله وحده لا شريك له» وفي ظاهره ، أي ما يقابل الجهة التي
خلفه «توجه حيث كنت فإنك منصور» وهو حديث باطل كما
قال ابن حجر في فتح الباري .

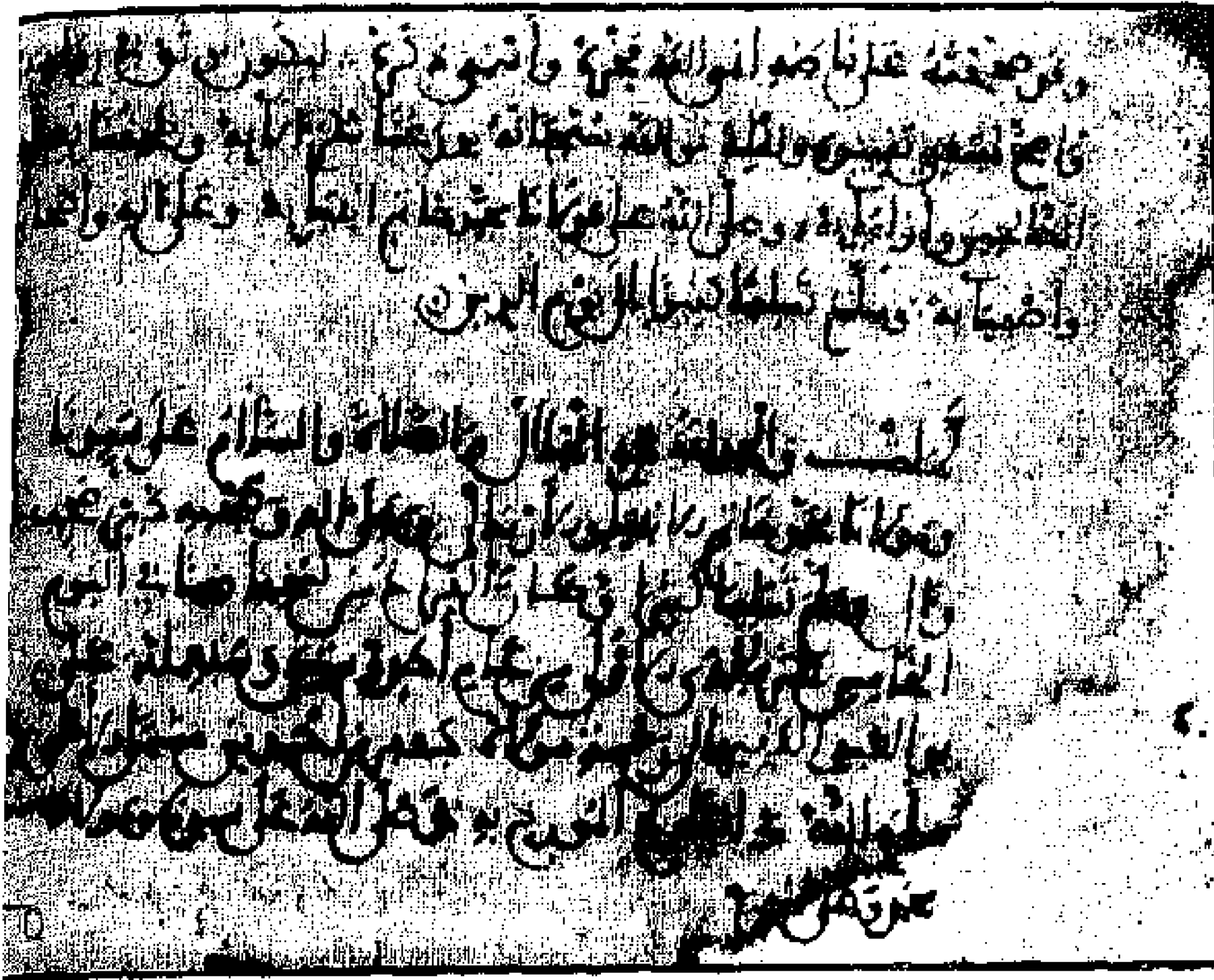
ومن هذا يعلم أن ما نشر من صورة هذا الخاتم غير
صحيح ، وأن ما يترتب على النظر إليه من آثار لا أصل له في
الدين (أحسن الكلام / ٢ / ٣٥) .

(اصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشاني -
تحقيق وتعليق د. كمال إبراهيم جعفر / ١٥٩ ، وزهر الخمائل على
الشمائل . أوصاف النبي ﷺ للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي - تحقيق
مصطفى عاشور / ٤٣ - ٤٧ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس في
ثانیا النص ، وأحسن الكلام في الفتاوى والأحكام - فضيلة الشيخ عطية
صقر / ٢ / ٣٥ . انظر أيضا دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي -
بتحقيق السيد أحمد صقر / ١ / ٢٠٩ - ٢١٨) .

* ابن خاتمة (بعد ٧٧٠ هـ / بعد ١٣٦٩ م) :

قال عنه الزركلي :

أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة ،



خاتمة كتاب «رائق التحلية في فائق التورية» لأحمد بن علي بن خاتمة الأندلسي المتوفى سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م.
من نسخة أندلسية كتبت في حياة المؤلف سنة ٧٦١ هـ / ١٣٦٠ م وعليها خطه .
(إسبانيا : إسكوريال ٤١٩ - معهد المخطوطات)

أبو جعفر الأنصاري الأندلسي : طيب مؤرخ من الأدباء
البلغاء . من أهل المرية بالأندلس . تصدر للإقراء فيها
بالجامع الأعظم . وزار غرناطة مرات . قال لسان الدين ابن
الخطيب : «وهو الآن بقيد الحياة وذلك ثاني عشر شعبان سنة
٧٧٠» وقال ابن الجزري : «توفي وله نيف وسبعون سنة» من
كتبه «مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية» في
تاريخها ، و «رائق التحلية في فائق التورية» أدب ، انظر صورة
المخطوط و «إلحاق العقل بالحس في الفرق بين اسم الجنس
وعلم الجنس» ، و «أبراد اللال» ، من إنشاد الضوال معجم
صغير لمفردات من اللغة وأسماء البلدان وغيرها ، مخطوط في
خزانة الرباط (١٢٤٨ جلاوي) والنسخة حديثة ، حبذا لو
يوجد أصلها ، و «ريحانة من أدواح ونسمة من أرواح» وهو
ديوان شعره ، مخطوط في خزانة الرباط ، (المجموع ٢٦٩
كتاني) و «تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد»
وضعه سنة ٧٤٧ هـ وقد ظهر في تلك السنة وباء في المرية
انتشر في كثير من البلدان سماه الإفرنج الطاعون الأسود ، ولم
أقف على نص يركن إليه في تاريخ وفاته . (الأعلام ١ / ١٧٦ وما
جاء من مصادر في هامش ١) .

ملاحظة : صورة المخطوط المصاحبة لهذه المادة أخذت

من «الكتاب العربي المخطوط» - جمعها وعلق عليها
د. صلاح الدين المنجد ، لوح ٥٢ .

* الخاتون:

لفظ تركي معناه السيدة دخل العالم الإسلامي عن طريق الأتراك. وقد استعمل في النقوش والمؤلفات بهذا المعنى: فجاء على صيغة الجمع: خاتونات أو خواتين للتعبير عن الحريم؛ وورد لفظ «خاتونات» في نقش بتاريخ سنة ٢٠٠ هـ على الكعبة خاص بالمأمون جاء فيه أن الفضل بن سهل قتل قائد الثغر وسبا أولاد جبغويه الخزليجي مع «خاتوناته» (الأزقي - تاريخ مكة ١/ ١٥٨). كما جاء في «السلوك» أن غازان اغتم لهزيمة التتار سنة ٧٠٢ هـ فخرج من منخريه دم كثير حتى أشفى على المسوت، واحتجب حتى عن «الخواتين» (المقريزي - سلوك / ٩٣٧).

واستعمل اللفظ أيضا كلقب على المرأة يتفرع عليه باقي الألقاب المؤنثة: ففي نص تأسيس بتاريخ سنة ٥٠٤ هـ في المدرسة الظاهرية بدمشق تقدم هذا اللقب بعض الألقاب المفردة والمركبة في نعت والدة الملك دقاق: «... الخاتون الأجلة السيدة صفوة الملك، عز نساء العالمين، والدة الملك دقاق بن تاج الدولة...» وكذلك ورد في نص إنشاء بتاريخ سنة ٦٢٨ هـ في المدرسة الشامية في دمشق أول سلسلة ألقاب أم حسام الدين بنت أيوب بن شادى «بسملة هذه المدرسة الخاتون الكبرى الأجلة، عصمت الملوك والسلطين، ست الشام، أم حسام الدين بنت أيوب بن شادى...».

وكان هذا اللقب في زمن القلقشندى يستعمل كأحد الألقاب المفردة المفرعة على الألقاب الأصول المؤنثة تأنيثا حقيقيا (القلقشندى - صبح الأعشى ٦ / ٧٨).

وكان اللفظ يرد أحيانا بجانب الاسم، وكان يقوم في هذه الحالة مقام لقب «السيدة» للإشارة إلى الجليلات من النساء خصوصا أميرات الأسر الحاكمة، وفي هذه الحالة كان اللقب يتبع الاسم، ومن أمثلة استعماله ما ورد في «السلوك» من أنه بعد أن مات ملكشاه ملك بعده ابنه محمود سنة ٤٨٥ هـ وكان عمره أربع سنين فقامت أمه «تركان خاتون» بتدبيره، وكذلك ذكر «ضيعة خاتون» بنت الملك العادل الأول وزوجة الملك الظاهر غازي سلطان حلب.

هذا وقد استعمل اللفظ في تكوين بعض الألقاب

المركبة: مثل «افتخار الخواتين». «وخاتون الدنيا والآخرة». (الألقاب الإسلامية / ٢٦٤-٢٦٦).

وقد ذكر ابن بطوطة في رحلته مقابلته لعدد من الخواتين ووصف حياتهن، وهي معلومات طريقة، فارجع إلى المصدر إن شئت (مذهب رحلة ابن بطوطة ١ / ٢٦٦-٢٧٥).

(الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٦٤-٢٦٦)، ومذهب رحلة ابن بطوطة - وقف على تهذيبه وضبط غريبه وأعلامه أحمد العوامري بك ومحمد أحمد جاد المولى بك / ٢٦٦-٢٧٥).

قالت المؤلفة: ورد ذكر الست خاتون بنت معين الدين أثر في مادة الجديد (جامع - بدمشق) في م ١٢ / ٧٦ فانظره في موضعه.

* خاتون الدنيا والآخرة:

خاتون الدنيا والآخرة: أطلق هذا اللقب على بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب في نص جنازتي بتاريخ سنة ٦٤٥ هـ في قيسارية. ويلائم لفظ الآخرة الاستعمال في نص جنازتي. (الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٦٦).

* الخاتونية (المدرسة - ببغداد ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م):

مدرسة أنشأتها السيدة عاتكة خاتون بنت السيد على الكبير القادري الكيلاني يتصل نسبها إلى الشيخ عماد الدين نصر قاضي القضاة ببغداد المتوفى سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م. ولدت السيدة عاتكة ببغداد سنة ١١٧١ هـ / ١٧٥٧ م وكانت من الصالحات العابدات كثيرة الخيرات والمبرات.

ومن أعمالها سنة ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م أنها جعلت دارها مدرسة علمية وسجلتها وقفا وسمتها «المدرسة الخاتونية» وحبست عليها وقفا كبيرة بموجب الوقفية المؤرخة سنة ١٢٣٤ هـ / ١٨١٨ م وجعلت الواقعة في هذه المدرسة خزانة كتب قيمة جمعتها من مالها الخاص، جمعت فيها كل نادر ونفيس مخطوط ومطبوع، وحررت على ظهر كل كتاب وقفية، وختمتها بختم «وقف عاتكة خاتون».

والمدرسة الخاتونية هذه كانت تقع مما يلي القبلة لجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، غير أنها اندثرت بعد وفاة واقفتها سنة ١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩ م عند غرق بغداد سنة ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م، أي بعد وفاة السيدة عاتكة بسنة واحدة، لكن السادة الكيلانيين نقباء الأشراف في بغداد استطاعوا انتشال



المدرسة الخاتونية من الداخل

والتي بنت الدار الكبرى التي تعرف اليوم باسم دار الأيتام الإسلامية.

تقع المدرسة الخاتونية بين باب الحديد وباب القطانين غربى الحرم وجنوبى المدرسة الأرغوتية مباشرة. وواقفتها هي أغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية. ووقفت عليها المزرعة المعروفة بظهر الجمل. وتاريخ الوقف هو ١٥ ربيع الأول سنة ٧٥٥ هـ. ثم أكملت عمارة المدرسة المذكورة ووقفت عليها المرحومة أصفهان شاه بنت الأمير قازان شاه. وتاريخ وقفها شهر جمادى الآخرة سنة ٧٨٢. وكان من أوقاف المدرسة فى القرن الحادى عشر أراضى قرية دير جرير بظاهر القدس. ويقول محمد كرد على: إن فى الدار قبر السيدة خاتون القازانية البغدادية واقفة المدرسة.

والواقع أن مبنى المدرسة كان مجمعا يضم ضريحا وقاعة للاجتماعات (مجمع) وإيوانيين وكلها فى طابق فى مستوى الحرم. وكانت هنالك فى الطابق الذى تحته غرف للسكن تحيط بصحن المدرسة التى كانت حدودها الجنوبية تطل على سوق القطانين.

ما تبقى من تلك الكتب والمحافضة عليها من التلف والضياء، وجعلها وقفا على المدرسة القادرية.

وما زالت خيرات السيدة عاتكة خاتون رحمها الله تعالى، تزود مكتبة المدرسة القادرية سنويا بمئات المجلدات من الكتب تقدم كهدية من وقف عاتكة خاتون إلى المكتبة القادرية العامة.

(مكتبة المدرسة القادرية العامة - نوري محمد صبرى المفتى، مطبعة المعارف. بغداد ١٩٨٢).

انظر: القادرية (مدرسة).

* الخاتونية (المدرسة - بيت المقدس) ٧٨٢-٧٥٥:

من مدارس القدس الشريف أعاده الله ديار إسلام. قال عنها الدكتور العسلى:

الخاتونية هي إحدى ثلاث مدارس وفتتها نساء فى بيت المقدس، والمدرستان الأخريان هما المدرسة العثمانية والمدرسة البارودية. وقد كان هناك مؤسسات وقفية أخرى غير المدارس بالطبع وفتتها محسنات من النساء الميسورات الحال من بنات الأمراء والسلاطين والحكام أو النساء الثريات الأخريات بوجه الإجمال، منهن خاصكى سلطان زوجة السلطان سليمان العثمانى التى ما تزال تكيثها قائمة فى القدس والسيدة طشنق المظفرية (المتوفاة سنة ٧٨٩ هـ)



المدرسة الخاتونية (٧٥٥ - ٧٨٢)

* الخاتونية البرانية (المدرسة - دمشق) ٥٢٦ هـ:

قال عنها النعيمي :

مسجد خاتون على الشرف القبلي عند مكان يسمى صنعاء الشام المطل على وادي الشقراء (صنعاء دمشق قرية على باب دمشق دون المزة مقابل مسجد خاتون ، خربت وهي اليوم مزرعة وبساتين) وهو مشهور بدمشق ، واقفته الست خاتون أم شمس الملوك أخت الملك دقاق قاله ابن شداد . وقال الحافظ في العبر في سنة سبع وخمسين وخمسمائة : المحترمة صفوة الملوك زمرد خاتون ابنة الأمير جاولي أخت دقاق لأمه وزوجة تاج الملوك بوري ، وأم ولديه شمس الملوك إسماعيل ومحمود ، سمعت الحديث من أبي الحسن على ابن قيس ، واستنسخت الكتب ، وحفظت القرآن الكريم ، وبنت المدرسة الخاتونية بصنعاء دمشق ، ثم تزوجها أتابك زنكي ، فبقيت معه تسع سنين ، فلما قتل حجت وجاورت بالمدينة المنورة ، فماتت ودفنت هناك بالبقيع ، وأما خاتون بنت أنر زوجة الملك نور الدين فتأخرت ، ولها مدرسة بدمشق وخانقاه معروفة على نهر بانياس انتهى . وقال ابن كثير في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة عقب ذكر خاتون عصمة الدين الآتية : فأما الخاتونية البرانية التي على القنوات بمحلة صنعاء دمشق ، ويعرف ذلك المكان الذي هي فيه بتل الثعالب ، فهي من إنشاء الست زمرد خاتون ابنة جاولي ، وهي أخت الملك دقاق لأمه ، وكانت زوجة زنكي والد نور الدين صاحب حلب ، وقد ماتت قبل هذا الحين كما تقدم انتهى . وقال صلاح الدين الصفدي : زمرد الخاتون بنت الأمير جاولي بن عبد الله الحجة صفوة الملوك أخت الملك دقاق وزوجة الملك بوري تاج الملوك وأم الملك إسماعيل شمس الملوك ومحمود ابني بوري ، سمعت الحديث ، واستنسخت الكتب ، وقرأت القرآن الكريم ، وبنت المسجد الكبير الذي في صنعاء ، ووقفت مدرسة للحنفية ، وهي من كبار مدارسهم وأجودها معلوما ، وكانت كبيرة القدر وافرة الحرمة ، خافت على ابنها شمس الملوك فدبرت الحيلة في تسليمه بحضرتها وأقامت أخاه شهاب الدين محمود ، وتزوجها الأتابك قسيم الملك زنكي والد نور الدين (لقبه «قسيم الدولة وهو آق سنقر البرقشي») ، وسارت إليه إلى حلب ، فلما مات عادت إلى

وكان هنالك باب يصل بين المدرسة وبين الحرم . ويستفاد من السجل ١٨٥ (ص ٣١٢ ، سنة ١٠٩٢) من سجلات المحكمة الشرعية في القدس أن قاضي القدس أجاز إجراء تصليحات في مبنى المدرسة بناء على طلب متولى الوقف في تلك السنة .

وممن درس في الخاتونية في القرن الحادي عشر الشيخ كمال الدين العسلي ثم ابنه الشيخ محمد كمال الدين . كما درس فيها وأعاد في أواخر القرن الثاني عشر السيد محمد السروري ومن بعده أولاده .

تعرف المدرسة اليوم باسم دار الخطيب إذ يسكنها جماعة منهم . وفي قاعة المجمع القديمة هناك اليوم عدة أضرحة لمسلمين بارزين توفوا في هذا القرن منهم الأمير محمد علي من أمراء الهند المسلمين ، الذي توفي سنة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م ودفن في القدس في الخامس من رمضان ، ومنهم الزعيم الفلسطيني موسى كاظم باشا الحسيني المتوفى سنة ١٩٣٣ ، والشهيد عبد القادر الحسيني بن موسى كاظم باشا ، الذي استشهد في معركة القسطل في ٩ نيسان ١٩٤٨ ، وأحمد حلمي عبد الباقي من زعماء فلسطين المتوفى في ٢٩ حزيران سنة ١٩٦٣ ، ومؤسس البنك العربي عبد الحميد شومان المتوفى في ٩ أيلول سنة ١٩٧٤ .

ويوجد في غرفة الضريح ذات القبة الملحقة بالمدرسة قبر قديم يفترض أنه قبر أوغول خاتون كما يوجد في الغرفة نفسها قبر الشريف الهاشمي عبد الحميد بن عون .

وتستعمل الغرف المحيطة بصحن المدرسة القديمة اليوم كمساكن . وقد أجريت في مبنى المدرسة تصليحات كثيرة في السنوات الأخيرة . وكان المبنى في أواخر العهد العثماني آيلا للخراب . وفي سنة ١٩١٩ - ١٩٢٠ انهارت قبة الضريح تماما ، غير أن القبة استبدلت فيما بعد بقبة من الاسمنت ، كما أن الجدران الحجرية عمرت جزئيا .

وكان ينزل في هذه المدرسة في العصور الوسطى ضيوف القدس البارزون .

(معاهد العلم في بيت المقدس - د . كامل جميل العسلي / ١٨٢ ،

١٨٤ ، ١٨٦ . انظر أيضا المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي

والمملوكي - د . عبد الجليل حسن عبد المهدي / ٢ ، ٦٠ ، ٦١) .

في فنون كثيرة، توفي رحمه الله تعالى لخمس بقين من ذي الحجة منها، وله اثنان وستون سنة، ودفن بالصوفية انتهى. (أفردنا له مادة خاصة بعنوان «الخبازي» فانظره في موضعه)

ثم ولي تدريسها في سنة ثمان وتسعين وستمئة شمس الدين بن الحريري قاضي القضاة، وهي في ذيل العبر في سنة خمس عشرة وسبعمائة قدم القاضي ملطية (شمس الدين محمد) بعد فتحها إلى دمشق، فأعطى تدريس الخاتونية البرانية وشيخ الصوفية انتهى. وقال تلميذه ابن كثير في تاريخه في السنة المذكورة: وفي يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة درس قاضي ملطية الشريف شمس الدين بالمدرسة الخاتونية البرانية عوضاً عن قاضي القضاة الحنفى البصروي (على بن أبي القاسم بن محمد) وحضر عنده الأعيان، وهو رجل له فضيلة وحسن خلق، كان قاضياً بملطية وخطيباً بها نحوًا من عشرين سنة انتهى. وقاضي القضاة المشار إليه هو صدر الدين أبو الحسن على ابن الشيخ صفى الدين أبي القاسم الحنفى البصروي، وفي يوم الجمعة التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ست قدم دمشق من القاهرة متولياً قضاء الحنفية عوضاً عن الأذرعى مع ما بيده من تدريس النورية والمقدمية، وخرج الناس لتلقيه وهنؤوه، وحكم بالنورية، وقرىء تقليده بالمقصورة الكندية في الزاوية الشرقية من جامع بني أمية، وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة سبع وعشرين وسبعمائة عن خمس وثمانين سنة. وقال ابن كثير في سنة تسع عشرة وسبعمائة في جمادى الآخرة: وفي هذا الشهر درس بالخاتونية البرانية القاضي بدر الدين أبو نيرة الحنفى وعمره خمس وعشرون سنة، عوضاً عن القاضي شمس الدين محمد قاضي ملطية لما توفي انتهى.

وقال الأسدى في شهر رمضان سنة ست عشرة وثمانمائة من ذيله على تاريخ شيخه: وفي يوم الجمعة ثامن عشره، بلغنى وفاة قاضي القضاة صدر الدين بن الأدمى (على بن محمد بن محمد الدمشقى، ٧٨٧ - ٨١٦) بالقاهرة، مات رحمه الله تعالى بالقولنج ولم ينقطع إلا يومين، وكان له بدمشق جهات كثيرة، وكانت خرجت قبل ذلك، فلما جاء الخبر بموته أخرج باقيها، فما كان بيده: تدريس الخاتونية

دمشق، ثم حجت على درب بغداد وجاورت إلى أن ماتت بالمدينة، ودفنت بالبقيع سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وإليها ينسب مسجد خاتون الذى هو مدرسة الأصحاب أى أصحاب أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه بأعلى الشرف القبلى وقد تقدم ذكره انتهى.

وقال شيخنا بدر الدين (محمد بن أبى بكر الأسدى) في كتابه الكواكب الدرية في السيرة النورية في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة: وفيها أخذ عماد الدين زنكى مدينة حمص، وتزوج بالست زمرد خاتون أم شمس الملوك إسماعيل، وهي التي تنسب إليها المدرسة الخاتونية البرانية بدمشق بأعلى الشرف القبلى انتهى. وقال ابن شداد: تاريخ وقفه سنة ست وعشرين وخمسمائة، وقف على الشيخ أبى الحسن على البلخى المشهور، وهو أول من ذكر بها الدرس، والذي علم من بعده فخر الدين القارى. وبعده ولده نجم الدين. وبعده القاضي شرف الدين عبد الوهاب الحورانى. ثم من بعده قاضي القضاة صدر الدين سليمان المشهور. ثم من بعده ابن أخيه عز الدين عبد العزيز. ثم من بعده فخر الدين موسى بن هلال بن موسى، وهو مستمر إلى سنة أربع وسبعين وستمئة.

وقال الذهبى في تاريخه العبر سنة إحدى وتسعين وستمئة: والخبازى الإمام العلامة جلال الدين أبو محمد عمر بن محمد بن عمر الحنفى الخجندى، كان فقيهاً، بارعاً، زاهداً ناسكاً، عابداً، عارفاً بالمذهب، صنف في الفقه والأصليين، ودرس بالعزية على الشرف الشمالى، ثم حج وجاور بمكة سنة، ثم رجع إلى دمشق، فدرس بالخاتونية التى على الشرف القبلى إلى أن توفي في آخر ذي الحجة عن اثنتين وستين سنة، ودفن بالصوفية رحمه الله تعالى انتهى. وقال تلميذه ابن كثير في سنة تسعين: وفي هذا الشهر درس الشيخ جلال الدين الخبازى بالخاتونية البرانية انتهى. وقال في سنة إحدى وتسعين المذكورة: جلال الدين الخبازى عمر ابن محمد بن عمر أبو محمد الخجندى وأحد مشايخ الحنفية الكبار، أصله من بلاد ما وراء النهر من بلد يقال لها خجندة، وهناك اشتغل، ودرس بخوارزم وأعاد ببغداد، ثم قدم دمشق فدرس بالعزية والخاتونية البرانية، وكان فاضلاً بارعاً، مصنفًا

الرائية، والقصاعين، والشبلية، وخزانة كتب الأشرفية بالجامع، ومبشرات، وأنظار كثيرة، وخلف ابنا صغيرا انتهى.

فائدتان الأولى: قال ابن كثير في تاريخه في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة: وفي يوم الجمعة ثاني ربيع الأول أقيمت الجمعة بالخاتونية البرانية، وخطب بها شمس الدين النجار المؤذن بالأموى، وترك خطابة جامع القابون انتهى. زاد البرزالي في تاريخه ومن خطبه نقلت: وخلع عليه خلعة الخطابة وقرر له معلوم على مال المصالح المبرورة، وانتفع بذلك أهل تلك الناحية، وولى مكانه خطابة القابون الإمام به ولد الشيخ عبد الوهاب التركمانى الحنفى انتهى.

الثانية: قال ابن كثير أيضا فيه في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة: وفيها توفيت الست خاتون والددة الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب، توفيت بدمشق فى ذى الحجة فى دارها المعروفة بدار العقيقى انتهى. وقول كاتبه: كأنها أم ست الشام أو زوجة أبيها، ولم أدر أين تُرَبَّتْها الآن، فإن دار العقيقى الآن هى المدرسة الظاهرية وشرقها دار البارزى؛ بل رأيت فى كلام بعضهم أن الأسدية تجاه العزيزية شرقى دار العقيقى، وهى الآن الدار المذكورة، فليحرر (الدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٥٠٢-٥٠٧).

يقول الأستاذ أكرم العلبي:

وقد أقيمت الجمعة الأولى فى هذه المدرسة فى ربيع الأول سنة ٧٣٤ هـ (ابن كثير ١٤/ ١٦٤، وابن عساكر ٢/ ٩١). وموقعها بلغة اليوم مكان مبنى الإذاعة تقريبا. وقد ذكر العلموى أن «سببها» كان أول من خرب هذه المدرسة، وأخذ رخامها، وضمها إلى مدرسته فى باب الجابية، ثم توالى الهرم عليها حتى لم يعد لها أثر.

أما تاريخ بنائها فهو فى حدود سنة ٥٢٦ هـ، لأن ابن عساكر ذكر أنها بنت المدرسة قبل قتل ابنها شمس الملوك سنة ٥٢٩ هـ، وذكر أيضا أن أبا الحسن البلخى بنيت له البلخية، ثم درّس بجامع الخاتون، أى المدرسة الخاتونية، وهذه المدرسة تكاد تكون معاصرة للبلخية والله أعلم.

(الدارس فى تاريخ المدارس للنعمى - تحقيق جعفر الحسنى ١/

٥٠٢-٥٠٧، وخطط دمشق - أكرم حسن العلبي / ١٨٥، ١٨٦).

* الخاتونية الجوانية (المدرسة - بدمشق) ٥٧٠ هـ:

قال عنها الدكتور صلاح الدين المنجد: من مدارس الحنفية، أنشأتها عصمة الدين خاتون، زوجة السلطان نور الدين، ثم السلطان صلاح الدين. لم يبق لها أثر اليوم. وأخبرنى أحد المعمرين أنه قرأ كتابة عتبتها قبل أن تزول. وأنها كانت مكان بنائية آل البكرى، فى طريق المارستان النورى، إلى غربه وفى هذا القول نظر (دور القرآن فى دمشق/ ٤٩).

وقد ذكرها النعمى فى «الدارس من المدارس» وترجم لمؤسستها الخاتون عصمة الدين وللشيوخ الذى قاموا بالتدريس بها مما ننقل بعضه فيما يلى. قال المؤلف: المدرسة الخاتونية الجوانية بمحلة حجر الذهب، أنشأتها خاتون بنت معين الدين أتر زوجة الشهيد نور الدين محمود بن زنكى تنسب إليها، وقفها سعد الدين أخوها عليها، ثم من بعدها على عقبها ونسلها، وماتت ولم تعقب، قاله عز الدين. وقال الذهبى فى العبر فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة: وعصمة الدين الخاتون بنت الأمير معين الدين أتر زوجة نور الدين ثم صلاح الدين واقفة المدرسة التى بدمشق للحنفية والخانقاه التى بظاهر دمشق، توفيت فى ذى الحجة، ودفنت بتربتها التى هى تجاه قبة جركس بالجبل انتهى. وقال فى مختصر تاريخ الإسلام فى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة: وفيها سار صاحب حلب نور الدين محمود بن زنكى، فاستفاد أرباحا من الفرنج، فخافته ورعبت منه، وتزوج بابنة نائب دمشق معين الدين أتر، وأرسلت إليه إلى حلب انتهى. وقال ابن كثير فى تاريخه فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة: وفى صفر منها تزوج السلطان صلاح الدين بالست خاتون عصمة الدين بنت معين الدين أتر، وكانت زوجة الملك نور الدين، فأقامت مدة فى القلعة محترمة مكربة معظمة، وولى تزويجها منه أخوها الأمير سعد الدين مسعود بن أتر، وحضر القاضى ابن أبى عضرون العقد ومعه جماعة من العدول، ويات السلطان عندها تلك الليلة والتى بعدها، ثم سافر إلى مصر بعد يومين من الدخول بها انتهى. وقال فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة: الست خاتون عصمة الدين بنت معين الدين نائب دمشق وأتابك عساكرها قبل نور الدين كما تقدم، وقد كانت زوجة نور الدين ثم خلف عليها من بعده صلاح الدين، وكانت من أحسن النساء وأعفهن وأكثرهن خدمة، وهى واقفة الخاتونية الجوانية بمحلة

حجر الذهب وخانقاه خاتون ظاهر باب النصر في أول الشرف القبلى على بانياس، ودفنت بتربتها في سفح قاسيون قريبا من قباب الجركسية، ولها أوقاف كثيرة غير ذلك انتهى. وقال الأسدي في تاريخه في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة: عصمة الدين خاتون بنت معين الدين أنر زوجة السلطان صلاح الدين، تزوجها سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وكانت قبله زوجة نور الدين محمود، وكانت من أعف النساء وأكرمهن وأحزمهن، ولها صدقات كثيرة وجر عظيم، بنت بدمشق مدرسة لأصحاب أبي حنيفة النعمان رضى الله تعالى عنه في محلة حجر ذهب، وبنت للصوفية خانقاه خارج باب النصر على بانياس، وبنت تربة بقاسيون على نهر يزيد مقابل تربة جركس، ووقفت على هذه الأماكن أوقافا كثيرة، وكانت وفاتها في شهر رجب كذا قال في المرأة. وقال الذهبي: توفيت رحمها الله تعالى في ذي القعدة ودفنت بتربتها، وبلغ السلطان وفاتها وهو مريض بحران، فتزايد مرضه وحزن عليها وتأسف، وكان يصدر عن رأيها، ومات بعدها أخوها سعد الدين مسعود في جمادى الآخرة من هذه السنة من جرح أصابه في حصار ميافارقين، وكان من أكبر الأمراء، زوجه السلطان أخته ربيعة خاتون، فلما توفى تزوجها مظفر الدين صاحب إربل، وفي زماننا وسعت تربتها وصارت جامعا وأقيمت فيه الجمعة وغيرها انتهى.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة في الروضتين في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة: قال العماد في هذه السنة توفيت الخاتون ذات العصمة بدمشق في ذي القعدة، وهي عصمة الدين بنت معين الدين أنر، وكانت في عصمة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله، فلما توفى وخلفه السلطان بالشام في حفظ البلاد ونصرة الإسلام تزوج بها في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وهي من أعف النساء وأعصمهن وأجلهن في الصيانة وأحزمهن، متمسكة من الدين بالعروة الوثقى، ولها أمر نافذ ومعروف وصدقات ورواتب للفقراء وإدارات وبنت للفقهاء والصوفية بدمشق مدرسة ورباطا. قلت: وكلاهما ينسبان إليها، فالمدرسة داخل دمشق بمحلة حجر الذهب قرب الحمام الشرقي، والرباط خارج باب النصر ركب على نهر بانياس في أول الشرف القبلى. وأما مسجد خاتون الذي في آخر الشرف القبلى من

الغرب، فهو منسوب إلى خاتون أخرى قديمة، وهي زمرد بنت جاولى أخت الملك دقاق لأمه والد نور الدين رحمهما الله تعالى، قال العماد: وذلك سوى وقوفها على معتقيها وعوارفها وأقاربها، وكان السلطان حيثئذ بحران في بحر المرض وبحرانه، وعنف الألم وعنفوانه، فما أخبرناه بوفاتها خوفا من تزايد علته وتوقد غلته، وهو يستدعى في كل يوم درجا ويكتب إليها كتابا طويلا، ويلقى على ضعفه من تعب الكتابة والفكر حملا ثقيلا، حتى سمع نعي ناصر الدين محمد بن شيركوه ابن عمه فنعت إليه الخاتون، وقد تعدت عنه إليهما المنون، وكانت وفاة نصر الدين بحمص في تاسع ذي الحجة فجأة من غير مرض، وأجرى السلطان أسد الدين شيركوه ولده على ما كان لوالده ومقابلته بأحسن عوائده. قلت: وقبر الخاتون المذكورة في التربة المنسوبة إليها بسفح جبل قاسيون قبلى المقبرة الشركسية... وقال شيخان في الكواكب الدرية في السيرة النورية: وقد كانت زوجته هذه أيضا من الصالحات الخيرات تكثر القيام، فنامت ذات ليلة عن وردها، فأصبحت وهي غضبي، فسألها نور الدين عن أمرها، فذكرت له نومها الذى فوت عليها وردها، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب طبلخانات في القلعة وقت السحر ليوقظ النائم بذلك الوقت لقيام الدين، ورتب للضارب جارية وجامكية انتهى. قال ابن الأثير: وكان لا يفعل فعلا إلا بنية حسنة انتهى. وقال ابن شداد: وانتقلت المدرسة في شهور سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة. وأول من ذكر بها الدرس حجة الإسلام والدين إلى أن توفى، ثم من بعده تولاهما فخر الدين الحواري إلى أن توفى. واستمر بها ولده إلى أن توفى. وبقيت على ولده تاج الدين محمد المذكور. وقد ناب عنه بها نجم الدين خليل بن على الحموي إلى أن توفى فجأة، ووليها بعده ولده شمس الدين على وانتزعت من يده في زمان الملك الصالح نجم الدين أيوب في جمادى سنة أربع وأربعين وستمائة. ووليها بعده القاضي عز الدين السنجاري إلى أن توفى في سادس عشرين شعبان سنة ست وأربعين وستمائة.

ووليها بعده ولدها كمال الدين عبد اللطيف في الشهر المذكور في السنة المذكورة، واستمر بها إلى حين استيلاء التتار على دمشق في صفر من سنة ثمان وخمسين وستمائة، فوليها في أيام التتار القاضي شمس الدين عبد الله بن محمد ابن عطاء الحنفى إلى حين عود الشام إلى يد المسلمين، فعاد كمال الدين عبد اللطيف المذكور وانتزعها من يده ووليها

سادس عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعين وستمائة،
ودفن بترتبه بالقرب منه، ومما أنشد لنفسه يقول:

شهود ودي تؤدي وهي صادقة
وحاكم الشوق بالأسجال قد حكما
هب أننى مبدع قد غاب شاهده

أليس قلبك يقضى بالسدى علما

وممن درس بها البرهان بن الموفق (٥١٠ - ٥٩٩). قال

الذهبي في العبر في سنة تسع وتسعين (بالتاء فيهما)

وخمسمائة: والعلامة أبو الموفق مسعود بن الموفق شجاع

الأموي الحنفي الدمشقي مدرس النورية والخاتونية وقاضى

العسكر، كان صدرا معظما مفتيا رئيسا في المذهب، وارتحل

إلى بخارى، وتفقه هناك، وعمر دهرًا، توفي رحمه الله تعالى

في جمادى الآخرة وله تسعون إلا سنة، وكان لا يغسل له

فرجية، يهبها ويلبس جديدة انتهى. وقال الأسدي في تاريخه

في هذه السنة: مسعود بن شجاع بن محمد الإمام برهان الدين

ابن الموفق القرشي الأموي الدمشقي الحنفي مدرس النورية

والخاتونية أيضا، إمام خبير بالمذهب، درس وأفتى واشتغل،

وكان ذا أخلاق شريفة وشمائل لطيفة، ولد بدمشق ورحل إلى

ما وراء النهر فتفقه على شيوخ بخارى، وسمع بها من الإمام

ظهير الدين الحسن بن علي المرغيناني وجماعة، وولى قضاء

العسكر لنور الدين، وحصل له جاه وافر، ودنيا واسعة، وكان

لا يغسل له فرجية، بل إذا اندعكت وهبها ولبس أخرى

جديدة، وطال زمانه، ولد في جمادى الآخرة سنة عشر

وخمسمائة، وتوفي في جمادى الآخرة أيضا، روى عنه

الشهاب القوصي في معجمه وابن خليل. قال بعضهم:

وجمع كتابا في الفقه انتهى. ودرّس بها الحسام الرومي (٦٣١ - ٦٩٩)

قال الصفدي في وافي في حرف الحاء: الحسن بن أحمد

ابن أبو شروان قاضى القضاة حسام الدين أبو الفضائل ابن

قاضى القضاة تاج الدين أبي المفاخر الرازي الحنفي الرومي،

ولد سنة إحدى وثلاثين بأق سزاي، وولى ملطية أكثر من

عشرين سنة، وخرج إلى الشام سنة خمس وسبعين وستمائة

بعد القاضى صدر الدين سليمان، وامتدت عليه أيامه إلى أن

تسلطن حسام الدين لاجين، فسار إليه سنة ست وتسعين

واستمر بها إلى حين توجه الخليفة إلى بغداد، فسار معه وقتل
بالفلوجة في سنة تسع وخمسين وستمائة، وكان ينوب عنه في
حال غيبته صدر الدين إبراهيم بن عقبة الحنفي، فلما صح
قتله وليها القاضى شمس الدين عبد الله بن محمد الحنفي
المتقدم ذكره إلى حين توفي وهو متولياها في خامس جمادى
سنة ثلاث وسبعين وستمائة، ودفن بسفح قاسيون بالتربة
المعظمية، وكان له من العمر ثمان وسبعون سنة، وكان رجلا
فاضلا.

ثم ولى بعده قاضى القضاة مجد الدين أبو المجد عبد
الرحمن ابن الصاحب كمال الدين أبي القاسم عمر ابن قاضى
القضاة نجم الدين أبي الحسن أحمد ابن قاضى القضاة جمال
الدين أبي الفضل هبة الله ابن قاضى القضاة مجد الدين أبي
غانم محمد ابن قاضى القضاة جمال الدين أبي الفضل هبة
الله ابن قاضى القضاة نجم الدين أبي الحسن أحمد بن أبي
جرادة (٦١٤ - ٦٧٧) الحنفي، وهو مستمر بها إلى سنة
خمس وسبعين وستمائة انتهى...

وأما ابن أبي جرادة فقال الشيخ نجم الدين الطرسوسي في
شرح منظومته: قاضى القضاة مجد الدين أبو محمد عبد
الرحمن ابن الصاحب الكبير كمال الدين بن عمر بن أحمد بن
هبة الله بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن
عبد الله بن محمد بن أبي جرادة، ميلاده بحلب سنة أربع
عشرة وستمائة، كان إماما جليلا فاضلا دينيا متعبدا متقيفا،
مواظبا على ورده من النوافل، ممدوجا رئيسا، لم يزل من أول
عمره عند الناس معظما، حتى قيل إنه في حياة والده كان
يرجح عليه مع جلالة والده، درس بحلب ودمشق ومصر:
فدرس بدمشق بالخاتونية العصمية، وهو أول من درس
بالمدرسة الظاهرية بالقاهرة، وحضر السلطان درسه وسمع
بحثه ومناظرته، وتأخر هو عن الناس حتى تكاملوا، فلما
حضر قام له السلطان وتلقاه، وولى الخطابة بالجامع
الحاكمى مدة بمصر، وكان له أوراد من العبارة لا يخل بشيء
منها، وفي يوم الأربعاء سلبخ ذى القعدة سنة ثلاث وسبعين
وستمائة قدم دمشق قاضى القضاة بها بعد القاضى شمس
الدين عبد الله واستتاب القاضى بدر الدين مدرس المعينية،
ومات بجوسقة ظاهر دمشق في الشرف القبلى يوم الثلاثاء

وستمائة، فأقبل عليه وولاه القضاء بالديار المصرية، وولى ابنه جلال الدين مكانه بدمشق، وبقي معظماً وافر الحرمة إلى أن قتل السلطان حسام الدين وهو عنده، فلما زالت دولة حسام الدين قدم دمشق على مناصبه وقضائه بدمشق، وعزل ولده، وكان مجمع الفضائل كثير المكارم، يتوود إلى الناس، له أدب وشعر وفيه خير ومروءة وحشمة، خرج إلى المصاف وشهد الغزاة، فكان ذلك آخر العهد به في سنة تسع وتسعين وستمائة. قال الشيخ شمس الدين: والأصح أنه لم يقتل بالغزو، وصح برونه مع المنهزمين بناحية الجرنين، وأنه أسر مع الفرنج وأدخل إلى قبرس وهو وجمال الدين المطروحي، وقبل إنه تعاطى الطب والعلاج، وإنه جلس يطب بقبرس، وهو في الأسر، ولكن لم يثبت ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقال في سنة إحدى وسبعمائة: استمرت الخاتونية الجوانية بيد القاضي جلال الدين بن حسام الدين بإذن نائب السلطنة انتهى (٦٥١ - ٧٤٥) وقال السيد شمس الدين رحمه الله تعالى في ذيله: ومات بدمشق العلامة قاضي القضاة جلال الدين أبو المقاهر أحمد بن قاضي القضاة حسام الدين الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنو شروان البرازي ثم الدمشقي الحنفي، عن ثلاث وتسعين سنة ونصف، حدث عن ابن البخاري وغيره، وناب في الحكم بدمشق عن والده، ثم ولى استقلالاً، ثم عرض له صمم فصرف بالقاضي شمس الدين الحريري، ودرس بالخاتونية والريحانية والقضاة، وإليه المنتهى في مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، توفي رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة خمس وأربعين وسبعمائة: ودفن بمدرسته التي أنشأها بدمشق المعروفة بالجلالية، وكانت سكنه رحمه الله انتهى (في ابن كثير: ودفن بالمدرسة التي أنشأها إلى جانب الزردكاش قريباً عن الخاتونية الجوانية).

وقال تقي الدين بن قاضي شهاب في ذيله في شهر ربيع الأول في سنة خمس وعشرين وثمانمائة: وفي يوم الأحد حادي عشره حضر ابن القاضي شهاب الدين بن العز بالمدرسة الخاتونية الجوانية، وحضر عنده القاضي الشافعي وبعض الفقهاء والترك، وكان يوماً مطيراً انتهى. ثم قال في

ثامن عشرين المحرم سنة ست وعشرين وثمانمائة وهو يوم دخل المحمل ما عبارته: وفي يوم دخول المحمل سأل قاضي القضاة شهاب الدين بن العز قاضي القضاة الشافعي أن يستيب ولده في القضاء فأجابه إلى ذلك، وهو شاب لم تطلع ذقنه بعد، ولكنه قد قرأ كتباً واشتغل، وباشر الخاتونية الجوانية وباشر القضاة، وكان يحضر معه نواب والده وغيرهم من الحنفية انتهى، ثم قال في محرم سنة أربعين: وفي يوم الجمعة ثاني عشر بلغني أن قاضي القضاة شمس الدين الصفدي رجع ومعه ولايته بالخاتونية الجوانية، ثم قاتل في ذلك غريمه، ووفقاً للنائب، ثم قيل إنهما بعد يصطلحان فلم يتفق ذلك، وأرسل كل منهما قاصده يسعى في ذلك انتهى. ثم قال في سنة إحدى وخمسين ما عبارته: وفي العشر الأخير أي من شهر رمضان، إلى أن قال: وفيه جاء مرسوم فيه أن القاضي حسام الدين بن العماد الحنفي أنهى أن الخاتونية والقضاة كانتا بيد القضاة، وهي معروفة عندهم وبهم، فجاء مرسوم أن يعقد لهما مجلس عند النائب بحضرة القضاة والعلماء، فإن كان كما أتاه فيسلمان إليه، وإن كانتا بيد القاضي شمس الدين الصفدي بطريق شرعي فتستمران بيده، فعقد له مجلس في رابع عشره وحضر الصفدي وأظهر بيده نزولاً من ابن العز بالقضاة، محكوماً له بالاستحقاق، وولاية الخاتونية عوضاً عن ابن العز بحكم وفاته، ومحضر مشوث على المصريين، على أن الوظيفة المذكورة لم تزل بيد بني العز في حال ولايتهم وعزلهم، ومال أكثر أهل المجلس مع الصفدي، وتكلم خصمه حسام الدين بكلام ساقط، ونسب أهل المجلس إلى التحامل عليه، وانقضى المجلس على المراجعة، واحتج الحسام بأشياء لا تجدي شيئاً، فأجيب عنها في المجلس انتهى (الدارس ١/ ٥٠٧-٥١٨).

يقول الأستاذ العلبي: وقد أوقف سعد الدين، أخو الخاتون عصمة الدين، أوقافاً كثيرة على المدرسة المذكورة، ومات قبلها بستة شهور ودفن شمالي جامع جراح في مسجد يقال له جامع الشيخ مسعود.

وذكر العلموي أن فخر الدين القدسي المالكي خربها وبني مكانها بيتاً، وصارت نسياً منسياً ثم انتزعها منه الكتخدا حسن باشا قهراً، ثم صارت المدرسة معملاً للقاشاني...

الزكاة إلى آخر الحج ولم يتم وسماه تحصين الخادم . (كشف الظنون / ١ / ٦٩٨).

* خادم النعل الشريف:

خادم النعل الشريف: رسالة للجلال السيوطي ذكرها في فهرس مؤلفاته من فن الحديث .

(كشف الظنون / ١ / ٦٩٨).

* ابن خارجه [٦٦هـ / ٦٨٦م]:

أسماء بن خارجه بن حصن بن حذيفة الفزاري؛ أحد الأجواد من الطبقة الأولى من التابعين من الكوفة، كان قد ساد الناس بمكارم الأخلاق .

حكى ابن عساكر قال: أتى الأخطل الشاعر إلى عبد الملك بن مروان في حمالات تحملها عن قومه، فأبى أن يعطيه شيئاً، فسألها بشر بن مروان أخا عبد الملك فقال كما قال عبد الملك، فأتى أسماء بن خارجه، فتحملها عنه جميعاً، فقال:

إذا مسات خارجه بن حصن

فلا مطرت على الأرض السماء

ولا رجع البشير بغنم جيش

ولا حملت على الطهر النساء

فيوم منك خير من رجـال

كثير حـولهم نعم وشـاء

فبـورك في بنيك وفي بنيهم

وإن كثرـوا، ونحن لك الفـداء

وبلغ الشعر عبد الملك فقال: عرض بنا الخبيث في شعره.

وحكى أبو اليقظان قال: دخل أسماء بن خارجه على عبد الملك بن مروان فقال له: بم سدت الناس؟ فقال: هو من غيري أحسن، فقال له: بلغني عنك خصال شريفة، وأنا أعزم عليك إلا ذكرت بعضها، فقال: أما إذ عزمت على فنعم، فقال عبد الملك: هذه أولها، فقال أسماء: ما سألتني أحد حاجة إلا ورأيت له الفضل على، ولا دعوت أحداً إلى طعام إلا ورأيت له المنه على، ولا جلس إلى رجل إلا ورأيت له الفضل على، ولا قصدني أحد في حاجة إلا وبالغت في

وهكذا أسرع الخراب إلى المدرسة منذ أوائل العصر العثماني، وبقي ضريح الواقعة بعيداً عن مدرستها، والملاحظ أن المدارس التي يدفن أصحابها فيها تبقى، أو يبقى جزء منها مدة طويلة لإحجام الناس عادة عن التعرض لقبور «الأولياء» كما يسمونهم، أي الواقفين، في حين يسرع الخراب إلى المدارس التي لا وجود «للأولياء» فيها.

ويقدر تاريخ بناء المدرسة بحدود سنة ٥٧٠ هـ، كما يفهم من العبارات الناقصة والغامضة التي وردت في النسخة المطبوعة من تاريخ ابن شداد (خطط دمشق / ١٨٧).

(دور القرآن في دمشق لعبد القادر بن محمد النعيمي - صححه وعلق عليه وذيله د. صلاح الدين المنجد / ٤٩، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي أيضاً - تحقيق جعفر الحسني / ١ / ٥٠٧ - ٥١٨، وخطط دمشق - أكرم حسن العلي / ١٨٧، وجاء في هامش ٢ به: انظر العبر / ٣ / ٨٣، وكرد على / ٦ / ٩٠ الذي جعل اسم والد الواقعة «سعد الدين اتسز، والقلاسي / ٤٥٠، والروضتين / ٢ / ٦٦، وابن كثير / ١٣ / ٣١٧).

* الخادم:

الخادم: بغير تاء يقع على الذكر والأنثى، تقول: هذا خادم الوزير، وهذه خادم زوجته.

قال الإمام علي كرم الله وجهه يوماً للسيدة فاطمة الزهراء: أسألي أباك خادماً تقيك (بالتاء) حرماً أنت فيه.

وفي حديث عبد الرحمن أنه طلق امرأته فمتعها بخادم سوداء (أي جارية).

وفي لسان العرب والمختار: الخادم واحد الخدم غلاماً كان أو جارية. وفي المصباح خدمه يخدمه خدمة فهو خادم غلام كان أو جارية والخادمة بالهاء في المؤنث قليل والجمع خدم وخدّام (الرسالة الرشادية - محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٣).

* خادم الرافعي والروضة في الفروع:

قال حاجي خليفة:

خادم الرافعي والروضة في الفروع لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي المتوفى سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة ذكر في بغية المستفيد أنه أربعة عشر مجلداً كل منه خمسة وعشرون كراسة ثم إنني رأيت المجلد الأول منها افتتح بقوله الحمد لله الذي أمدنا بإنعامه إلخ... وذكر أنه شرح فيه مشكلات الروضة وفتح مقفلات فتح العزيز وهو على أسلوب التوسط للأذرعى وأخذه جلال الدين السيوطي يختصر من

عنه سالم بن عبد الله والزهرى ويزيد بن عبد الله بن قسيط وأبو الزناد وآخرون وكان إماما بارعا في العلم وتفوقوا على توثيقه وجلالته وهو أحد فقهاء المدينة السبعة: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار، وفي السابع ثلاثة أقوال فقليل سالم بن عبد الله بن عمر، وقيل أبو سلمة بن عبد الرحمن، وقيل أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعلى هذا جمعهم الشاعر في بيت فقال شعر.

ألا كل من لا يقتلدى بأئمة فقس

مته ضيزى عن الحق خارجة

فخداهم عبيد الله عروة قاسم

سعيد أبو بكر سليمان خارجة

توفى بالمدينة سنة مائة وهو ابن سبعين سنة.

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووي / ١)

١٧٢. انظر أيضا الأعلام للزركلى ٢ / ٢٩٣، وفقهاء المدينة السبعة - عبد

المنعم عبد الرضاى الهاشمى. دار ابن كثير. دمشق - بيروت. بدون

تاريخ / ١٥١-١٦٦).

* الخارصينى:

أحد الفلزات التى أحصاها القزوينى، وقال عنه:

الخارصينى: تولده كتولد الأجساد المذكورة معدنه بأرض الصين ولونه أسود يضرب إلى الحمرة نصله شديد الضرب جدا، ويتخذ منه الكلاب يصاد بها الحوت الكبير لأنها إذا انتشبت بشيء لا ينفصل منه إلا بالشدة، ويتخذ منه المرأة ينظر فيها صاحب اللقوة فى بيت مظلم فإنه أنفع دواء لهذا المرض، ويتخذ منه منقاش يتتف به الشعر ويدهن موضعه مرارا بفعل ذلك فإن الشعر لا ينبت. (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات / ١٣٩)

* الخارق:

قال التهانوى:

الخارق فى عرف العلماء هو الأمر الذى يخرق بسبب ظهوره العادة وهو على الصحيح ينقسم باعتبار ظهوره إلى ستة أقسام لأن الخارق إما ظهر عن المسلم أو الكافر.

قضائها، ولا شتمت أحدا قط، لأنه إنما يشتمنى أحد رجلين: إما كريم فكانت منه هفوة فأنا أحق بعفوها، وإما لئيم فأصون عرضى منه، فقال له عبد الملك: حق لك أن تكون سيدا شريفا.

وقال الكلبي: خرج أسماء فى أيام الربيع إلى ظاهر الكوفة فنزل فى رياض معشبة، وهناك رجل من بنى عبس نازل، فلما رأى قباب أسماء وخيامه قوَّض خيامه ليرحل، فقال له أسماء: ما شأنك؟ فقال: لى كلب هو أحب إلى من ولدى، وأخاف أن يؤذيك فىقتله بعض غلمانكم، فقال له أسماء: أقم وأنا ضامن كلبك، ثم قال لغلمانه: إذا رأيتم كلبه قد ولغ فى قدورى وقصاعى فلا تهيجوه، وأقام على ذلك مدة، ثم ارتحل أسماء ونزل فى الروضة رجل من بنى أسد، وجاء الكلب على عادته فضربه الأسد فقتله، فجاء العبسى إلى أسماء فقال له: أنت قتلت كلبى، قال له: وكيف؟ قال: عودته عادة ذهب يرومها من غيرك فقتل، فأمر له بمائة ناقة دية الكلب.

ولم أراد أسماء أن يهدى ابنته إلى زوجها قال لها: يا بنية، كوني لزوجك أمة يكن لك عبدا، ولا تدنى منه فيملك، ولا تتباعدى عنه فيتغير عليك، وكونى له كما قلت لأملك:

خذى العفو منى تستديمى مودتى

ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

فإنى رأيت الحب فى الصدر والأذى

إذا اجتمع لم يلبث الحب يذهب

وأُسند أسماء عن على بن أبى طالب وابن مسعود، وتوفى فى سنة ست وستين وقيل: سنة اثنتين وثمانين، وهو ابن ثمانين سنة، رحمة الله عليه. (فوات الوفيات والذيل عليها لمحمد ابن شاكر الكتبي - تحقيق د. إحسان عباس / ١٦٨، ١٦٩. انظر أيضا الأعلام للزركلى ١ / ٣٠٥).

* خارجة بن زيد (٢٩-٩٩ هـ / ٦٥٠-٧١٧ م):

خارجة بن زيد: أحد الفقهاء السبعة المذكور فى المذهب فى مسألة خيار الأمة بالعتق هو أبو زيد خارجة بن زيد بن ثابت ابن الضحاك بن زيد بن لؤذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم ابن مالك بن النجار الأنصارى النجارى المدنى التابعى أدرك عثمان وسمع أباه زيدا وعمه يزيد وأم العلاء الأنصارية. روى

جاز ذلك لأن شكله وخلقته تدل على كذبه وظهور الخوارق على يده لا يفضى إلى التلبيس .

والثاني ادعاء النبوة وهذا على ضريين لأنه إما أن يكون المدعى صادقا أو كاذبا فإن كان صادقا وجب ظهور الخوارق على يده وهذا متفق عليه بين كل من أقر بصحة نبوة الأنبياء ، وإن كان كاذبا لم يجر ظهور الخوارق على يده . وبتقدير أن يظهر وجب حصول المعارضة .

وأما الثالث وهو ادعاء الولاية فالفائلون بكرامات الأولياء اختلفوا في أنه هل يجوز ادعاء الكرامة ثم إنها تحصل على وفق دعواه أم لا .

وأما الرابع وهو ادعاء السحر وطاعة الشياطين فعند أصحابنا يجوز ظهور الخوارق على يده وعند المعتزلة لا يجوز .

أما القسم الثاني وهو أن تظهر الخوارق على يد إنسان من غير شيء من الدعاوى فذلك الإنسان إما أن يكون صالحا مرضيا عند الله أو يكون خبيثا مذنباً . فالأول هو القول بكرامات الأولياء وقد اتفق أصحابنا على جوازه وأنكرتها المعتزلة إلا أبا الحسن البصري وصاحبه محمود الخوارزمي . وأما الثاني وهو أن تظهر الخوارق على يد بعض من كان مردودا عن طاعة الله تعالى فيجوز أيضا وهذا وهو المسمى بالاستدراج . ثم قال : اعلم أن من أراد شيئا فأعطاه الله تعالى مراده لم يدل ذلك على كونه وجيها عنده تعالى سواء كانت تلك العطية على وفق العادة أو على خلافها بل قد يكون ذلك إكراما للعبد وقد يكون استدراجا . ومعنى الاستدراج أن يعطيه الله كل ما أراد في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وجهله وعناده فيزداد كل يوم بُعدا من الله وذلك لم تقصر في العلوم العقلية أن تكرر الأفعال سبب لحصول الملكة الراسخة فإذا مال قلب العبد إلى الدنيا ثم أعطاه الله مراده فحينئذ يصل إلى المطلب ويزيد حصول اللذة والميل وزيادته توجب زيادة السعي ولا يزال تتقوى كل من هاتين الحالتين درجة فدرجة إلى أن تتكامل وتحصل غاية البعد فصاحب الاستدراج يستأنس بذلك ويظن أنه إنما وجد تلك الكرامة لأنه كان مستحقا لها فيحينئذ يستحق غيره وينكر عليه ويحصل له أمر من مكر الله وغفلة فإذا ظهر شيء من هذه الأحوال على صاحب الكرامة دل ذلك على أنها استدراج

والأول إما أن لا يكون مقرونا بكمال العرفان وهو المعونة أو يكون وحينئذ إما مقرون بدعوى النبوة وهو المعجزة أو لا وحينئذ لا يخلو إما أن يكون ظاهرا من النبي قبل دعواه وهو الإرهاص أو لا وهو الكرامة .

والثاني أعني الظاهر على يد الكافر إما أن يكون موافقا لدعواه وهو الاستدراج أو لا وهو الإهانة . ومنهم من ربح القسمة وأدخل الإرهاص في الكرامة فإن مرتبة الأنبياء لا تكون أدنى من مرتبة الأولياء ، وأدخل الاستدراج في الإهانة فإن معنى الاستدراج هو أن يقربه الشيطان إلى فساد على التدرج حتى يفعل سوء وافق ذلك غرض مرتكبه أو لم يوافق ، وعاقبة ذلك حسرة وندامة فقد آل الأمر إلى الإهانة . والسحر ليس من الخوارق لأن معنى ظهور الخوارق هو أن يظهر أمر لم يعهد ظهور مثله عن مثله وههنا ليس كذلك لأن كل من باشر الأسباب المختصة به ترتب ذلك بطريق جرى العادة . إلا ترى أن شفاء المرضى بالدعاء خارق وبالأدوية الطبية غير خارق ، وكذلك الطلسم والشعبذة وهذا هو الحق .

وقيل الحق إن السحر قد يكون من الخوارق فإنه ربما يحتاج إلى شرائط ليست مقدورة للبشر كالوقت والمكان ونحوهما . وفيه أنه لا يشترط في عدم كون الفعل من الخوارق أن يكون جميع شرائطه مقدورة بل يكفيه أن يكون بعد مباشرة الأسباب سواء كانت مقدورة أو لا . ولأنه يلزم كون حركة البطش أيضا من الخوارق لتوقفه على سلامة الأعصاب والعضلات وصحة البدن التي ليست مقدورة للبشر هكذا يستفاد من شرح العقائد النسفية في بيان كرامات الأولياء .

وقيل إطلاق الخوارق على السحر على سبيل المجاز . وقال الإمام الرازي في التفسير الكبير في سورة الكهف إذا ظهر فعل خارق للعادة على يد إنسان فذلك إما أن يكون مقرونا بالدعوى أو لا . أما القسم الأول فتلك الدعوى إما أن تكون دعوى الإلهية أو دعوى النبوة أو دعوى الولاية أو دعوى السحر وطاعة الشياطين فهذه أربعة .

الأول ادعاء الألوهية ويسمى هذا الخارق الذي يظهر من المتأله بالابتلاء كما في الشمائل المحمدية وجوز أصحابنا ظهور الخوارق على يده من غير معارضة كما نقل عن فرعون من ظهور الخوارق على يده وكما نقل ذلك عن الدجال وإنما

٢١٣ - ٢١٤، وابن الفوطى فى الملقبين «فخر الدين» من تلخيصه ٤ الترجمة ١٩٨٧، والذهبي فى المختصر المحتاج إليه ١ / ٢٢٦ - ٢٢٧.

(تاريخ الإسلام لشمس الدين الذهبي - حققه وعلق عليه د. بشار عواد معروف. ١٨ / ١٢١).

✽ الخازن (عبد الرحمن) (نحو ٥٥٠ هـ / نحو ١١٥٥ م):

من علماء المسلمين فى الرياضيات والفلك.

قال عنه الزركلى: عبد الرحمن الخازن، أو الخازنى، أبو الفتح، حكيم فلكى مهندس قال البيهقى: كان غلاماً رومياً لعلى الخازن المروزي، فنسب إليه. حصل علوم الهندسة والمعقولات، وصنف «ميزان الحكمة»، و «الزيج» المسمى بالمعتبر السنجرى، نسبة إلى سلطان سنجر. وكان متقشفاً بعث إليه السلطان سنجر ألف دينار فأخذ منها عشرة، ورد بقيتها وقال: يكفينى كل سنة ثلاثة دنانير، وليس معى فى الدار إلا سنور (الأعلام ٣ / ٣٠٥).

ويضيف البيهقى: وكان عبد الرحمن يأكل اللحم فى كل أسبوع ثلاث مرات، ويتغذى كل يوم بجردقين. وبعثت إليه زوجة الأمير لآحى آخور بك الكبير ألف دينار فردها أيضاً. وكان يلبس لباس الزهاد، ولا يأكل إلا طعام الأبرار، والحكيم الحسين السمرقندى من جملة تلاميذه.

وله كتاب فى ميزان الحكمة، وهذا الميزان منسوب إلى أرشيمدس. وعرض عليه طالع من استخراجى فكتب عليه: أما الحساب فقد حفظ أجزاءه بالموازن، وأما الأعمال فقد ألف بينها وبين المؤامرات، وأما الأحكام فقد جمع فيها بين المنقول والمسموع والمطبوع والله تعالى يطرف عنه عين الكمال (من المجاز: فقاً الله عنك عين الكمال). ومن سعادة هذا الطالع أن مستخرجه كامل فى تلك الصناعة متصف بها والسلام. (تاريخ حكماء الإسلام / ١٦٢، ١٦٣).

ويسيطر الأستاذ قدرى حافظ طوقان القول فى الخازن ويوفيه ما يستحقه من تقدير، ويصحح الأخطاء التى أحاطت باسمه مما نقله لك فيما يلى. قال رحمه الله:

لا أظن أن غالباً أصابه الإهمال «كالخازن»، ولا أظن أن الإجحاف الذى لحق بمآثره لحق بغيره من نوابغ العرب وعباقرتهم.

فلقد أدى ذلك الإهمال وهذا الإجحاف، إلى الخلط بينه

فإن صاحب الكرامة لا يستأنس بها بل يصير خوفه من الله أشد وحذره من قهره أقوى وإن كان بحسب الواقع كرامة له ولذلك قال المحققون: أكثر الانقطاع من حضرة الله تعالى إنما وقع فى مقام الكرامات فلا جرم ترى المحققين يخافون من الكرامات كما يخافون من أشد البلايا وهذا هو الفرق بين الكرامة والاستدراج.

اعلم أن للاستدراج أسماء كثيرة فى القرآن أحدها الاستدراج قال «سنستدرجهم من حيث لا يعلمون» [الأعراف: ١٨٢] وثانيها المكر «ومكروا ومكر الله» [آل عمران: ٥٤] وثالثها الكيد «إن كيدى متين» [الأعراف: ١٨٣] ورابعها الخداع «يخدعون الله وهو خادعهم» [النساء: ١٤٢] وخامسها الإملاء «إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً» [آل عمران: ١٧٨]. وسادسها الإهلاك «حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة» انتهى.

(كشف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٤٤٤، ٤٤٥).

✽ الخازن (٦٠٣ هـ):

ذكره الذهبي فى وفيات سنة ٦٠٣ هـ وقال عنه:

أحمد بن أبى المعمر يحيى بن أحمد بن عبيد الله بن هبة الله، أبو المعالى البغدادي الخازن.

سمع الكثير من نصر بن نصر العكبرى، وابن ناصر، وابن الراغونى، وأبى جعفر أحمد بن محمد العباسى، ومحمد بن عبيد الله الرطبي، وأقرانهم، من بعدهم، وكتب الكثير، فمما كتب: الصحيحان، ومسند أحمد، طبقات ابن سعد، وكتاب الأغاني.

وهو من بيت العدالة والرواية، وهو ابن عم الوزير عبيد الله ابن يونس.

قال ابن النجار: كتبت عنه، وكان صدوقاً، حسن الطريقة، عفيفاً، ديناً، متودداً.

وقال الديلمي: كان ثقة، سمعنا منه الكثير. وتوفى فى شعبان.

وروى عنه هو، والنجيب عبيد اللطيف. وأجاز للفخر على، وأحمد بن شيبان، وجماعة.

ترجم له ابن نقطة فى التقييد، الورقة ٤٧؛ وابن الديلمي فى تاريخه، الورقة ١٣٩ (باريس ٥٩٢١)، والمنذرى فى التكملة ٣ / ١٦٨ - ١٧١، وابن الساعى فى الجامع ٩ /

و «الخازن» من علماء النصف الأول من القرن الثاني عشر للميلاد، وهو «أبو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازني»، المعروف «بالخازن».

«نشأ في مرو»، أشهر مدن «خراسان» ودرس فيها، وعلى علمائها نبغ، ولمع في سماء البحث والابتكار.

اشتغل بالطبيعة، ولا سيما بحوث الميكانيكا، فبلغ الذروة، وأتى بما لم يأت به غيره من الذين سبقوه من علماء اليونان والعرب.

كما وفق في عمل زيج فلکی سماه «الزيج المعتبر السنجرى» نسبة إلى السلطان «سنجر»، وفيه حسب مواقع النجوم لعام ١١١٥-١١١٦ م.

وجمع أرصادا أخرى هي في غاية الدقة، بقيت مرجعا للفلكيين مدة طويلة. ومن الغريب أن قنصل روسيا في «تبريز»، في منتصف القرن الماضي، عثر صدفة على كتاب «ميزان الحكمة»، وقد كتب عنه عدة مقالات في إحدى المجلات الأميركية. ولعل العلماء الألمان أكثر العلماء اعتناء بآثار «الخازن»، فتجد في رسائل للأستاذ «ويدمان Wiedman»، فصولا مترجمة عن «ميزان الحكمة»، وقد استوفت بعض حقها من البحث والتعليق، كما نجد في رسائل غيره، مقتطفات من محتويات الكتاب المذكور، دللوا فيها على فضل «الخازن» في علم الطبيعة.

ولا بد لي في هذا المجال، من إبداء دهشتي لعدم نشر فصول هذا الكتاب النفيس في كتاب خاص، ولا أدري سببا لهذا. ولعل السؤال الآتي يتبادر إلى غيري أيضا، لماذا نشرت بعض محتويات الكتاب وأهملت الأخرى؟

ليس لي أن ألوم علماء أوروبا أو غيرهم في ذلك، فلقد قاموا بواجبهم نحو «الخازن» أكثر منا، وعرفوا فضله قبلنا، ولا أكون مبالغاً إذا قلت إنه لولا قنصل روسيا «N. Khanikoff»، وبعض المنصفين من المستشرقين والباحثين، لما عرفنا شيئا عن «الخازن»، ولما كان في الإمكان نشر هذه الترجمة.

وقد يكون الأستاذ مصطفى نظيف، أول عربي أشار إلى بعض محتويات كتاب «ميزان الحكمة» في كتاب: «علم الطبيعة تقدمه ورقه...»، ولكنه لا يذكر شيئا عن المؤلف، بل ولا يذكر أنه «الخازن» ويقول:

وبين علماء آخرين فنسبت آثاره إلى غيره، كما نسبت آثار غيره إليه. وقد وقع في هذا الخلط والخطأ بعض علماء الغرب، وكثير من علمائنا ومؤرخينا. قال «دراير» الأميركي:

إن «الخازن» هو «الحسن بن الهيثم»، وأن ما ينسب إلى من يسمى «بالخازن»، هو على الأرجح من نتاج «ابن الهيثم».

وكذلك وقع في الخطأ الأستاذ منصور حنا جرادة أستاذ الرياضيات العالية بجامعة «بيروت» الأميركية، في محاضراته عن مآثر العرب في الرياضيات والفلك، بين «الخازن» و «ابن الهيثم»، يتجلى ذلك في قوله:

«ومن أشهر المشتغلين بالفلك، والطبيعات في «الأندلس»، «أبو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازني الأندلسي»، الذي عاش في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد، وأوائل القرن الثاني عشر للميلاد. وألف مؤلفاته الشهيرة في النور وآلات الرصد. وأوضح مقدار الانكسار، وألف في الفجر والشفق، وعين ابتداء كل منهما وقت بلوغ الشمس ١٩ درجة تحت الأفق».

ونحن هنا أمام خطأين:

الأول: في اعتبار الخازن من «الأندلس» وهو في الحقيقة من «مرو»، من أعمال «خراسان».

والثاني: في أن المآثر التي أوردها الأستاذ ليست «للخازن»، بل هي من نتاج «ابن الهيثم».

وأكبر الظن أن ما وقع فيه الأساتذة والعلماء من أخطاء، يعود إلى الوضع الأفرنجي للاسمين، فأكثر الكتب الأفرنجية حين تكتب «الحسن بن الهيثم» تكتبه "AL - Hazin"، وحين تكتب الخازن تكتبه "AL- Khazin"، فظن كثيرون أن هذين الاسمين هما لشخص واحد، ولم يدققوا في حروفهما، مما أدى إلى التباس الأمر عليهم ووقعهم في الخلط والخطأ.

وسنحاول في هذه الترجمة أن نبين مآثر «الخازن» في علم الطبيعة "Physics"، وأثره في بعض بحوثها، جاعلين نصب أعيننا إنصاف عالم، هو من مفاخر الأمة العربية، ومن كبار عباقرتها، من الذين عملوا على إنماء شجرة المعرفة، وساهموا في خدمتها ورعايتها.

«والكتاب لا يعلم مؤلفه . .» ثم يردف هذا القول : إن «دراير» يرجح أنه من تأليف «الحسن بن الهيثم» .

وأظن أن ترجمتنا هذه : أول ترجمة تظهر في كتاب تبحث في «الخازن» ، وتزيح الستار عن آثاره وتفيه بعض حقه . والذي أرجوه أن تثير كتابتنا عن «الخازن» ، أساتذة كليات العلوم في مصر ، فيعملون على إنصاف «الخازن» ونشر مآثره بين المتعلمين والمثقفين ، فهم أولى الناس بذلك وأحق من غيرهم بالقيام بهذا العمل الجليل ، ولنا من حماسهم للتراث العربي والإسلامي ، ما يدفعنا إلى لفت أنظارهم إلى حياة «الخازن» البحالة المليئة بالإنتاج ، التي أحاطها الإهمال من كل جانب .

(هذا ما نشرناه في الطبعة الأولى من هذا الكتاب أبقيناه على نصه . وأخيرا توفق السيد فؤاد جميعان في الحصول على مخطوط «الميزان الحكمة للخازن» فنقله مع شيء من الشرح ، وظهر سنة ١٩٤٧ في كتاب تحت اسم «ميزان الحكمة» . وقد وضعنا (مقدمته) بناء على طلب السيد جميعان) .

وضع «الخازن» كتابا في الميكانيكا سماه «كتاب ميزان الحكمة» ، وهو الأول من نوعه بين الكتب القديمة العلمية القيمة ، وقد يكون هو الكتاب الوحيد المعروف ، الذي يحتوي على بحوث مبتكرة جلييلة لها أعظم الأثر في تقدم الإيدروستاتيكا .

وقد قال عنه الدكتور «سارطون» :

«إنه من أجل الكتب التي تبحث في هذه الموضوعات ، وأروع ما أنتجته القريحة في القرون الوسطى . .» .

والذي يطلع على بعض مواد هذا الكتاب ، تتجلى له عبقرية «الخازن» ، وبدائع ثمرات التفكير الإسلامي والعربي .

واعترف «بلتن» في أكاديمية العلوم الأمريكية بما لهذا الكتاب من الشأن ، في تاريخ الطبيعة وتقدم الفكر عند العرب .

لا يجهل طلاب الطبيعة : أن «توريشللي» بحث في وزن الهواء وكثافته والضغط الذي يحدثه ، وقد مر على بعضهم في تاريخ الطبيعة أن «توريشللي» المذكور لم يسبق في ذلك . وأنه أول من وجه النظر إلى مثل هذه الموضوعات ، وبحث فيها وأشار إلى منزلتها وشأنها .

والواقع غير هذا ؛ فلقد ثبت من كتاب «ميزان الحكمة» ، أن من بين المواد التي تناولها البحث مادة الهواء ووزنه . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل أشار إلى أن للهواء وزنا وقوة رافعة كالسوائل ، وإن وزن الجسم المغمور في الهواء ، ينقص عن وزنه الحقيقي ، وأن مقدار ما ينقصه من الوزن ، يتبع كثافة الهواء .

ويبين «الخازن» أيضا : أن قاعدة «أرخميدس» ، لا تسرى فقط على السوائل كما تسرى على الغازات . وأبدع في البحث مقدار ما يغمر من الأجسام الطافية في السوائل .

ولا شك في أن هذه البحوث ، هي من الأسس التي بنى عليها العلماء الأوروبيون - فيما بعد - بعض الاختراعات الهامة : كالبارومتر ، ومفرغات الهواء ، والمضخات المستعملة لرفع المياه .

ولسنا هنا نتقص من قدر «توريشللي» و «باسكال» و «بويل» ، وغيرهم من العلماء الذين تقدموا بعلم «الإيدروستاتيكا» خطى واسعة ؛ ولكن ما نريد إقباره هو : أن «الخازن» قد ساهم في وضع بعض مباحث علم الطبيعة ، وأن له فضلا في هذا كما لغيره من الذين أتوا بعده . وقد توسعوا في هذه الأسس ووضعوها في شكل يمكن معه استغلالها والاستفادة منها .

وبحث «الخازن» في الكثافة وكيفية إيجادها للأجسام الصلبة والسائلة ، واعتمد في ذلك على كتابات «البيروني» وتجارية فيها ؛ وعلى آلات متعددة ، وموازين مختلفة ، استعملها لهذا الغرض .

واختراع «الخازن» ميزانا لوزن الأجسام في الهواء والماء ، وكان لهذا الميزان خمس كفات تتحرك إحداها على ذراع مدرج .

ويقول «بلتن» : إن الخازن استعمل «الأيرومتر» ، لقياس الكثافات وتقدير حرارة السوائل .

ومن الغريب أن تجد : أن الكثافات لكثير من العناصر والمركبات التي أوردها في كتابه ، بلغت درجة عظيمة من الدقة لم يصلها علماء القرن الثامن عشر للميلاد .

وتقدم «الخازن» ببحوث الجاذبية بعض التقدم ، وأضاف إليها إضافات لم يعرفها الذين سبقوه .

العرب في صنع الموازين، لقياس كثافة الأجسام، وبوساطتها عرفوا الأحجار الكريمة، وميزوها عن أشباهها وملوناتها.

هذا ما استطعنا الوقوف عليه من مآثر «الخازن»، بعد الرجوع الى مصادر عديدة، ونرجو أن تكون هذه الترجمة حافزا لغيرنا للاعتناء بتراث هذا العالم العربي، الذي ترك ثروة علمية ثمينة للأجيال؛ كما نأمل أن تدفع بعض المنصفين من الباحثين والمؤرخين، إلى الاهتمام برفع الإجحاف الذي أصابه، والعمل على إزالة الغيوم المحيطة بنواح أخرى من ثمرات قريحته الخصبة المنتجة (تراث العرب العلمي / ٣٥٠-٣٥٥).

(الأعلام للزركلي ٣/ ٣٠٥، وتاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي - عنى بنشره وتحقيقه محمد كرد علي / ١٦٢، ١٦٣، وتراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك - قدرى حافظ طوقان / ٣٥٠-٣٥٥. أنظر أيضا «تراث المسلمين في ميدان العلوم» د. محمد جمال الدين الفندي. دراسات في الحضارة الإسلامية م ٢/ ٢٨٣، ٢٨٤، و«من عباقرة العلوم التطبيقية في الحضارة الإسلامية العربية» - د. محمود فيصل الرفاعي مجلة الفيصل. العدد (١٩٠) ربيع الثاني ١٤١٣ هـ - أكتوبر ١٩٩٢ م / ٤٩).

* الخازن (علي بن محمد) (٦٧٨-٧٤١ هـ / ١٢٨٠-١٣٤١ م):

علي بن محمد بن إبراهيم الشيعي علاء الدين المعروف بالخازن، عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. بغدادى الأصل، نسبته إلى «شبيحة» بالحاء المهملة من أعمال حلب. ولد ببغداد، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة السمساطية فيها (نفرد لها مادة خاصة إن شاء الله تعالى). وتوفى بحلب.

له تصانيف، منها لباب التأويل في معاني التنزيل في التفسير يعرف بتفسير الخازن (يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية ويأتى بيانه فيما بعد) و «عدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام» مخطوط في فروع الشافعية، و «مقبول المنقول» مخطوط، الجزء السابع منه، وهو في عشر مجلدات، في الحديث. (الأعلام ٥/ ٥).

وفيما يلي بيان مخطوط «لباب التأويل في معاني التنزيل» كما ورد في فهرس مخطوطات الظاهرية وهو كما علمت من زيارتي الأخيرة للدار بدمشق قد نقل مع باقى المخطوطات إلى مكتبة الأسد بدمشق:

ويتجلى من كتاب «ميزان الحكمة» أيضا: أن «الخازن» قال بقوة جاذبة على جميع جزئيات الأجسام، وأن هذه القوة هي: التى تبين صفة الأجسام، وهذه - كما لا يخفى - نظرية هامة ومفيدة فى التحليل الكيميائى، وهى مفتاح لعديد من خفايا الطبيعة.

وكذلك أوضح الخازن أن الأجسام تتجه فى سقوطها إلى الأرض، وقال: إن ذلك ناتج عن قوة تجذب هذه الأجسام فى اتجاه مركز الأرض.

ويرى أن اختلاف قوة الجذب يتبع المسافة بين الجسم الساقط وهذا المركز جاء فى كتاب «علم الطبيعة» - تقدمه ورقه - للأستاذ مصطفى نظيف: «... ومما يثير الدهشة؛ أن مؤلف كتاب «ميزان الحكمة» كان يعلم العلاقة الصحيحة بين السرعة التى يسقط بها الجسم نحو سطح الأرض، والبعد الذى يقطعه، والزمن الذى يستغرقه. وهى العلاقة التى تنص عليها القوانين والمعادلات، التى ينسب الكشف عنها إلى «غاليليو» فى القرن السابع عشر للميلاد ...»

وعلى الرغم من التحريات العديدة، لم أتمكن من العثور على المقتطفات التى تنص على العلاقة بين السرعة والبعد والزمن فى المصادر التى بين يدي، سواء العربية منها أو الإنكليزية، ولهذا: فمن الصعب أن أحكم على صحة ما جاء عن «الخازن» بشأن هذا العلاقة. وأظن أن العلاقة التى عرفها «الخازن» والتى وردت فى كتابه - وهى العلاقة بين السرعة التى يسقط بها الجسم نحو الأرض، والبعد الذى يقطعه، والزمن الذى يستغرقه - لم تكن صحيحة ودقيقة بالدرجة التى تنص عليها معادلات «غاليليو»، ولكنها قد تكون صحيحة إلى درجة، ودقيقة إلى حد.

وأجاد فى بحوث مراكز الأثقال، وفى شرح بعض الآلات البسيطة وكيفية الانتفاع بها؛ وقد أحاط بدقائق المبادئ التى عليها يقوم اتزان الميزان والقبان، واستقرار الاتزان، إحاطة مكنته من اختراع ميزان من نوع غريب لوزن الأجسام فى الهواء والماء كما مر بنا.

ومن كتاب «ميزان الحكمة»، يتبين كذلك: أن العرب فهموا فعل «الشرقة» وسببها. ووضع الماء فى أنابيب شعرية، لها فتحة واحدة. كما تتجلى الدقة التى وصل إليها على سر

لباب التنزيل في معاني التنزيل «تفسير الخازن»

النسخة الأولى - الجزء الأول

الرقم ٥٠٧ تفسير ١١١

المؤلف: علاء الدين أبو محمد علي بن محمد بن إبراهيم
الشيخ البغدادي الصوفي المعروف بالخازن والمتوفى سنة
٧٤١ هـ.

أوله: الحمد لله الذي خلق الأشياء فقدرها تقديرا، وصور
الأشياء فأحسنه تصويرا ومنحه العقل وجعله سميعا بصيرا،
وشرفه بما عرفه من العلم ونور قلبه تنويرا ... وبعد: فإن الله
جل ذكره ونفذ أمره أرسل رسوله محمد ﷺ بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله رحمة للعالمين وبشيرا للمؤمنين.

آخره: «وإنه لغفور» يعنى لذنوب أوليائه وأهل طاعته.
«رحيم» يعنى بجميع خلقه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه. تم
الجزء الأول من كتاب لباب التأويل في معاني التنزيل. أول
الجزء الثاني في تفسير سورة الأعراف وكان الفراغ من تعليقه
في يوم السبت المبارك رابع عشر صفر الخير من شهر عام
سنة ومائة وألف من هجرة من له التشريف عليه أفضل الصلاة
والسلام على يد فقير رحمة ربه ... عيسى بن موسى السفاري
بلدا المالكي مذهبا المصري وطنا.

أوصاف المخطوط: نسخة عادية من بداية القرن الثاني
عشر الهجري، كتبت بخط معتاد فيه أخطاء كثيرة. أسماء
السور وألفاظ القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر.

الورقة الأولى تالفة ومرممة، بعض الأوراق مصابة
بالرطوبة، على الورقة الأولى ترجمة للمؤلف منقولة من كتاب
دستور الإعلام بمعارف الأعلام، وقيد وقف الوزير سليمان
باشا على مدرسته، الغلاف من الجلد المزخرف. ومخلى
بالنقوش المذهبة وهو بحالة جيدة.

ق ٣٧٨ ٢٠ × ٢٩,٥ س ٣٣

النسخة الأولى - الجزء الثاني

الرقم ٥٠٨ تفسير ١٢٢

أوصاف المخطوط: جزء النسخة السابقة يبدأ بتفسير أول
سورة الأعراف وينتهي بتفسير آخر سورة الفرقان، وقد كتبه
عيسى بن موسى الشعاري المالكي في الثاني والعشرين من

شهر شوال سنة ألف ومائة وستة عشر [وست عشرة] من
الهجرة النبوية. كتب الجزء بخط معتاد فيه أخطاء نحوية
وإملائية، أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم مكتوبة
بالأحمر، أصيبت النسخة بالرطوبة، وانفطرت أوراقها، على
الورقة الأولى قيد وقف الوزير سليمان باشا للكتاب على طلبة
العلم في مدرسته. الغلاف من الجلد المزخرف.

ق ٤٤٠ ٢٠ × ٢٩,٥ س ٣٣

النسخة الأولى - الجزء الثالث

الرقم ٥٠٩ تفسير ١١٣

أوصاف المخطوط: الجزء الأخير من النسخة السابقة يبدأ
بتفسير أول سورة الشعراء وينتهي بتفسير آخر الكتاب، كتبه
بخط معتاد رديء فيه أخطاء إملائية ونحوية. كتبه عيسى بن
موسى الشعاري المالكي في ربيع الآخر سنة ١١١٨ هـ.

أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر.

الأوراق الأولى مصابة بالرطوبة دون أن تتأثر الكتابة.

على الورقة الأولى قيد وقف الوزير سليمان باشا على
طلبة العلم في مدرسته، الغلاف من الجلد المزخرف.

ق ٣٥٩ ٢٠ × ٢٩,٥ س ٣٣

النسخة الثانية - الجزء الأول

الرقم ٣٧٠

آخره: «وإنه لغفور» يعنى لذنوب أوليائه وأهل طاعته
«رحيم» يعنى لجميع خلقه. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.
تم الجزء الأول من كتاب لباب التأويل في معاني التنزيل يتلوه
إن شاء الله في أول الجزء الثاني أول سورة الأعراف ... تبدأ بأول
الكتاب وتنتهي بتفسير آخر سورة الأنعام.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثاني عشر
الهجري، كتبت بخط نسخي جيد. أسماء السور وألفاظ
القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر، أحيطت الكتابة بإطارات
مرسومة بالأحمر. خربت من أولها مقدار اثنتين وثلاثين ورقة،
وقد عوض النقص بخط مشابه للأصل. على الورقة الأولى
خاتم وقف المرحوم السيد عبد الله بن كمال الكزبري تاريخه
سنة ١٣٤٨ هـ. الغلاف من الجلد المزخرف بنقوش جميلة
ولكنه ممزق.

٤٠٢ ق ٢٠ × ٣٠ ٣٣ س

النسخة الثانية - الجزء الثاني

الرقم ٣٧٠١

أوله: تفسير سورة الأعراف: مكية روى ذلك عن ابن عباس، وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقتادة، وروى عن ابن عباس أيضا أنها مكية إلا خمس آيات.

آخره: ﴿هو مولاكم﴾ أى وليكم وناصركم وحافظكم، ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ أى الناصر لكم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه. تم الجزء الثاني ... ويليه الجزء الثالث وهو تفسير سورة قد أفلح المؤمنون، وهو آخر الأجزاء من تفسير الخازن.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثاني عشر الهجرى، تبدأ بسورة الأعراف وتنتهى بتفسير آخر سورة الحج، كتبت بخط نسخي جيد، أسماء السور وآيات القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر، أحيطت الكتابة بإطارات مرسومة بالأحمر. بدأ الحبر يحترق فى بعض الأوراق. على الورقة الأولى قيد تملك باسم وجيه المؤيد العظم بن أحمد بن نصوح باشا العظم زاده، ثم قيد وقف السيد عبد الله بن كمال الكزبرى تاريخه سنة ١٣٤٨ هـ. الغلاف من الجلد المزخرف.

٣٩٦ ق ٢٠ × ٣٠ ٣٣ س

النسخة الثانية - الجزء الثالث

الرقم ٣٧٠٢

أوله: تفسير سورة المؤمنين، وهى مكية، وهى مائة وثمانى عشرة آية وألف وثمانماية وأربعون كلمة، وأربعة آلاف وثمانماية وحرفان.

آخره: آخر كتاب لباب التأويل فى معانى التنزيل. تم بحمد الله وعونه فى يوم الجمعة المبارك ثمانى عشر جمادى الآخرة من شهور سنة ألف ومائة واثنين وعشرين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة ...

أوصاف المخطوط: الجزء الثالث من النسخة السابقة، كتبت بخط نسخي جيد، أسماء السور وآيات القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر، أحيطت الكتابة بإطارات مرسومة بالأحمر عدا

الصفحة الأولى والثانية فقد رسم إطاراهما بالذهب، على الورقة الأولى قيد تملك باسم وجيه بن أحمد المؤيد سنة ١٣١٧ وقيد آخر باسم عبد اللطيف بن عبد القادر، وقيد وقف باسم السيد عبد الله بن كمال الكزبرى تاريخه سنة ١٣٤٨ هـ. الغلاف من الجلد المزخرف (فهرس الظاهرية ٣ / ٣٨٠ - ٣٨٤). (الأعلام للزركلى ٥ / ٥، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم - التفسير - وضعه صلاح محمد الخيمى ٣ / ٣٨١ - ٣٨٤).

* الخازندار:

الخازن: كاتب يتولى خزن الغلات وصرفها وعليه سداد ما يعجز من عهده. وقد يضاف إليها اللفظ الفارسي «دار» فتكون «الخازندار»، وهو الذى يتولى أعمال خزنة السلطان أو الأمير أو غيرهما وفى عهده ما بها من أموال وغلل.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١١٣ عن صبح الأعشى للقلقشندي ٥ / ٤٦٢، ٤٦٣ وقوانين الدواوين لابن ممانى / ٣٠٦).

* الخازندار (جامع) ١٢٠٣:

قال عنه على باشا مبارك كما كان فى زمانه:

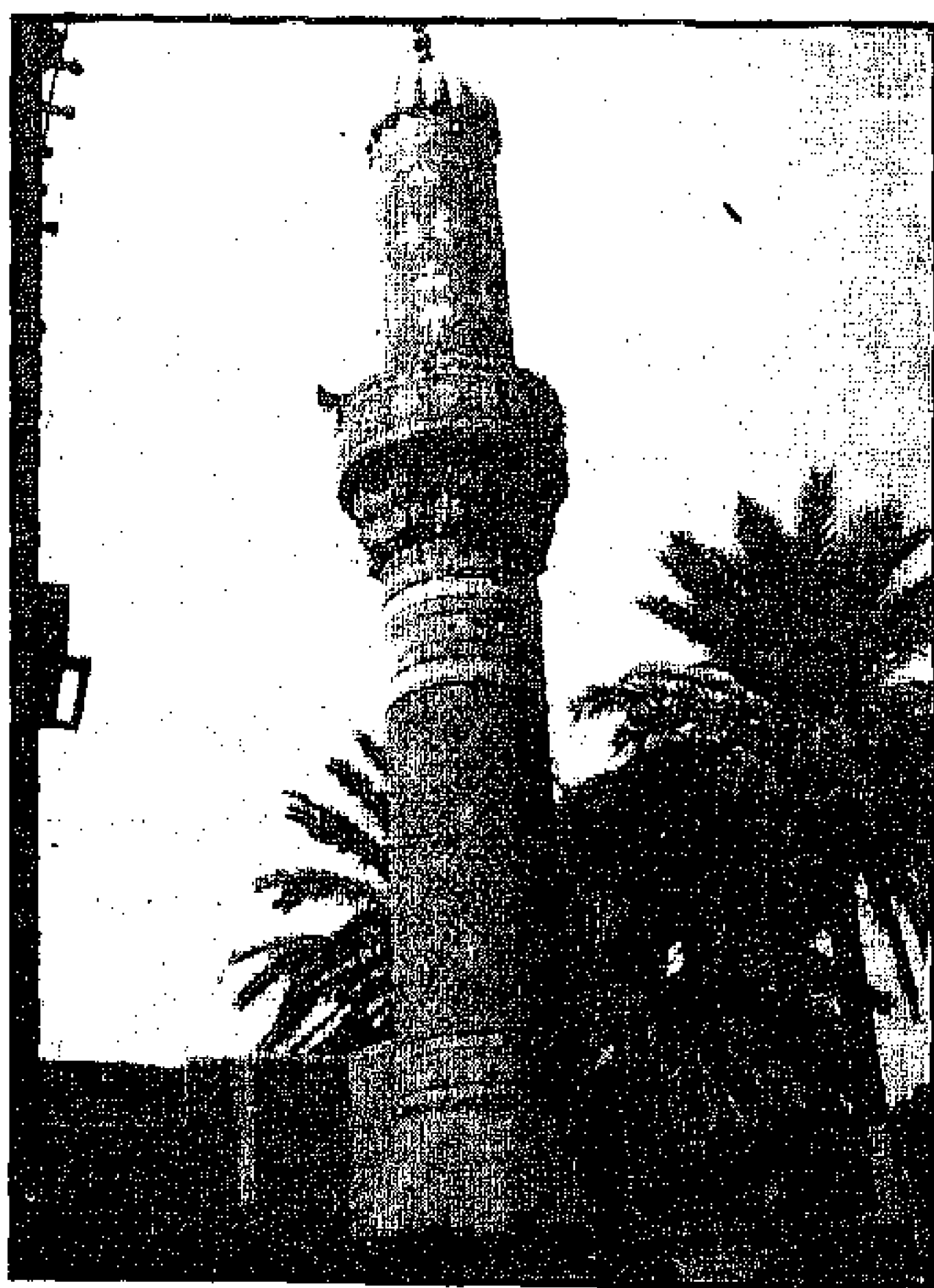
هذا الجامع فى شارع درب المزين بالموسكى. أنشأه محمد أغا الخازندار، ولما مات دفن به، وعلى تربة تركيبة من الرخام مكتوب عليها آية الكرسي، وتاريخ سنة ثلاث ومائتين وألف. وهو مقام الشعائر، والناظر عليه جلى سيد أحمد.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك - إعداد محمد مصطفى

إبراهيم / ٤ / ٢١١).

* الخاصكى (جامع):

من جوامع العراق. يقوم هذا الجامع اليوم فى محلة رأس القرية، وهى من محلات بغداد الشرقية القديمة المشهورة، وعلى درب ضيق يوصل بين شارع الرشيد وشارع المستنصر. أمر بتشيدته عام ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨ م محمد باشا الخاصكى فدعى باسمه. ولم تمض سنوات قليلة على إكمال بنائه حتى جدد بأمر الوزير أوزون الطويل إبراهيم باشا. ورسم بعد ذلك مرتين مرة عام ١٠٩٤ هـ / ١٦٨٢ م حيث جددت زخارفه. وجدد الجامع أيضا وكان ذلك بأمر محمد بك السلا مشور السلطاني، ومرة أخرى عام ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٢ م حيث عمر



(١٣٢) مئذنة جامع الخاصكي

جدرانه بالجص . ويتصل المصلى الشتوى مع بيت الصلاة الصيفى عن طريق ثلاثة أبواب يتوسط أحدها الجدار الشرقى ويقع على الخط المحورى للمحراب . أما المصلى الصيفى فيطل على الصحن بثلاث بوائك ناتجة من صف من أربعة أعمدة رخامية إسطوانية مثل أعمدة بيت الصلاة الشتوى ، تجلس على قواعد مربعة . وسقف بيت الصلاة لا تسنده عقود بل هو مستوى مثل سقف بيت الصلاة الشتوى وهو مجدد كما ذكرنا ، وهناك محراب يجاور الباب الوسط فى هذا المصلى ويوجد مثل هذا المحراب فى معظم المساجد من هذا الطراز . ويحتضن الصحن بيت الصلاة من الجهة الشمالية الغربية والشمالية الشرقية .

ومئذنة جامع الخاصكى رشيقة فى قوامها جميلة فى مظهرها ، تنصب فى الركن الجنوبى الشرقى من بيت الصلاة وتلتصق به من الخارج وهى متوسطة الطول يرتفع رأسها عن مستوى سطح الأرض ١٥ مترا فقط . ويجلس بدنها الأسطوانى الشكل على قاعدة مربعة طول ضلعها ٥, ٣ مترا والحقيقة أن البدن لا يجلس مباشرة على سطح القاعدة المربع بل هناك مرحلة انتقالية ، كما هو الأمر فى مئذنة جامع قمريه ، حيث حولت القاعدة المربعة إلى قاعدة دائرية عن طريق تحويل

الجامع حسب رواية وردت بشأن ذلك ، ويكشف بناء الجامع اليوم أن التجديدات قد شملت تغيير سقف بيت الصلاة بصورة عامة . ويحتمل جدا أن المئذنة قد أعيد تغطيتها بتشكيلات زخرفية ولكن لا نستطيع أن نحدد تاريخ هذه التغييرات حيث لم تذكر النصوص الخاصة بالتجديد أبعاد عملية التجديد هذه أو الأجزاء التى تم تجديدها . ومثل بقية مساجد بغداد أو العراق فإن التجديدات لم تغير القضايا الأساسية مثل التخطيط أو إعادة البناء بصورة تامة بل اقتصر على إعادة بناء ما قد تهدم أو إضافة أبنية جديدة فى صحن المسجد وإعادة إكساء الأجزاء التى تعرضت كسوتها إلى التخریب .

يشغل جامع الخاصكى قطعة من أرض مربعة الشكل طول ضلعها ٣٥ مترا . ويتألف من بيت للصلاة وصحن ومئذنة مثل أغلب الجوامع العراقية . وتخطيطه لا يختلف فى شىء عن بقية الجوامع المعاصرة إلا أن بشكل بيت صلاته الشتوى مربع طول ضلعه ١٥ مترا ويتألف من أسكوبين وثلاث بلاطات . أما المصلى الصيفى فمستطيل ويتكون من رواق أو أسكوب واحد يفتح على الحصن بثلاث فتحات أيضا . ونمط تخطيط هذا الجامع يشبه تخطيط جامع النورى فى الموصل . يحتل بيت الصلاة هذه الجزء الجنوبى الغربى من أرض المسجد وشيد البناء بالطابوق والجص وهو متين المظهر سميك الجدران خصوصا بيت الصلاة حيث يبلغ سمك جدرانه ٨٠ سنتيمترا . ويغطى المصلى سقف مستوي يستند إلى جسور بنائية تجلس على أربعة أعمدة أسطوانية رخامية تقسم المصلى إلى قسمين من الشمال إلى الجنوب ويلتصق أحدها فى الجدار الشمالى الغربى والآخر فى الجدار الجنوبى الشرقى . ويقسم خط الأعمدة هذا المصلى الشتوى إلى ثلاث بلاطات وأستكوبين ، كما ذكرنا ، ويبلغ عرض كل من البلاطات أربعة أمتار ، أما عرض كل من الأستكوبين فيبلغ ٤, ٣٠ أمتار .

يتوسط المحراب جدار القبلة فيه وهو مجوف ذو خمسة وجوه ويغور فى الجدار بمقدار متر واحد فقط وعقد حنيته مدبب ، وهو أصيل ويحتمل جدا أن وجوهه الخمسة تشير إلى الصلوات الخمس ونجد مثل هذا المحراب فى عدد من جوامع بغداد . وبيت الصلاة يكاد يخلو من الزخارف وغطيت

أرباع البدن تقريبا وقد حدد الشريط الأسفل بحافتين مفتولتين بارزتين وشغل بنقشة من زخارف هندسية جميلة . أما البدن فتتكون الوحدة الزخرفية الأساسية فيه من صلبان معقوفة متصلة الأذرع مع بعضها حددت حافاتهما بسلاسل من قطع طابوق مربعة مزججة ونثرت أشكال هندسية في مناطق معينة من هذه التشكيلة وبلون أبيض يتباين بإسراق مع لون حافات الأشكال الصليبية التي جعلت زرقاء نيلية . ويتوج تشكيلات البدن شريط عريض نسبيا إذا ما قورن مع الشريط الأسفل ولكنه مشغول أيضا بنفس التشكيلات التي تشغل الشريط الأول ومحفوف بحزامين مفتولين وبارزين أيضا . وشغلت أيضا حنايا المقرنصات بتشكيلات زخرفية مصنوعة من التفنن في صف الطابوق المزجج . وأجمل هذه التشكيلات تلك التي تزين الحوض حيث تداخلت الأشكال الهندسية وشغلت ذات الأشكال النجمية الثمانية منها بخط كوفى جميل فى أوضاع مختلفة وتغطى الرقبة نفس الوحدة الزخرفية التي تشغل نطاق البدن ولكن الصلبان المعقوفة نتجت عن خط حافة واحدة لا حافتين وبنفس تقنية نطاق البدن . كما شغلت الفراغات بين امتدادات أذرع هذه الصلبان بنقشة هندسية بلون مزجج أبيض تختلف عن تلك التي تزين نطاق البدن . ويتوج الرقبة شريط مشغول بكتابات بخط كوفى جميل . أما مقرنصات الرأس وأضلاعه فمغطاة أيضا بتحلية زخرفية ناتجة من التفنن فى صف الطابوق .

ومدخل هذا الجامع يقع فى الجدار الجنوبي الشرقي وبناءه مستطيل الشكل وواجهته مزينة بعقد مطول مفتول مؤطر بشريط مستطيل بارز قليلا عن مستوى وجه العقد ومزين بوحدات زخرفية هندسية . (العمارات العربية الإسلامية فى العراق - د. عيسى سلمان وزميلاته ١/ ٢٤٣ - ٢٤٨) .

* خاصكى سلطان (بیمارستان):

بیمارستان باستانبول، أنشئ سنة ١٥٣٩م (تاريخ بیمارستانات فى الإسلام - د. أحمد عيسى / ٢٧٨) .

* الخاطر:

من اصطلاحات الصوفية

وهو مايرد على القلب من الخطاب أو الوارد الذى لا تعمّل للعبد فيه وما كان خطابا فهو على أربعة أقسام: ربانى وهو أول الخواطر ويسميه سهل (هو سهل بن عبد الله

الشكل المربع إلى شكل مثنى ثم دائرى . ويخترق البدن سلم حلزونى يبدأ من سطح المسجد وينتهى بحوض المئذنة الذى يتصف ببروزه الواضح عن مستوى وجه البدن وجلسه على ثلاثة صفوف من المقرنصات الجميلة . ورقبة هذه المئذنة طويلة وغلظتها نسبيا إذا ما قورنت برقاب بعض مآذن بغداد السابقة . ويتوجها رأس مقبب مصلع مدبب قليلا تبرز حافة أضلاعه قليلا عن مستوى وجه جدار الرقبة حيث يسندها صف من المقرنصات مثل رأس مئذنة جامع المرادية . والحقيقة أن هذه المئذنة قريبة الشبه فى تكوينها المعماري وبعض عناصرها المعمارية من مئذنة جامع المرادية . ولكنها تختلف عنها فى تقنية التشكيلات الزخرفية التى تحليها (لرح ٦٣) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن مقرنصات هذه المئذنة جميلة فى تكوينها ولا تتشابه تماما مع أى من مقرنصات أحواض المآذن السابقة . فيتألف الصف الأول منها من سلسلة حنايا ذات وجوه مستوية ورؤوس بارزة جميعها إلى الأمام أيضا ولكن بمستويين مختلفين ومقرنصات الصف الثالث زوجية وفردية ، متبادلة مع مقرنصات الصف الثانى حيث تعلو المقرنصة الزوجية فى الصف الثانى مقرنصة فردية فى الصف الثالث . وتعلو المقرنصة الزوجية فى الصف الثانى مقرنصة فردية فى الصف الثالث . وتبرز رؤوسها جميعا إلى الأمام . وقد تمكن المعمار من إسناد الحوض البارز باستعمال ثلاثة صفوف من المقرنصات تبرز رؤوس جميعها تدريجيا إلى الأمام .

وأبرز ما يميز مئذنة جامع الخاصكى التشكيلات الزخرفية التى تغطى كامل البدن والحوض والمقرنصات والرقبة والرأس وجزء من وجوه المرحلة التحويلية التى تصل البدن بالقاعدة . وتتصف هذه التشكيلات بدقة تكوينها وإتقان تركيبها وتناسقها ، وقد عملت من التفنن فى صف الطابوق المزجج وغير المزجج ، وتنوع الأشكال فيها ما بين مضلعات وأشكال هندسية مختلفة وكتابات كوفية فى أوضاع مختلفة تشغل أشكالا هندسية . وجعلت التشكيلات هذه بمستوى واحد واستخدام أكثر من لون فى تزجيج الطابوق . وتتوزع هذه التشكيلات على البدن بهيئة أشربة ضيقة نسبيا تدور حول بداية البدن وتتوجه ويحصر بينها نطاق واسع يشغل ثلاثة

(تمام الحديث: «أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء أن قل لفلان العابد: أما زهدك في الدنيا فتعجلت راحة نفسك، وأما انقطاعك إلى فتعززت بي، فماذا عملت فيما لي عليك؟ قال: يا رب: وماذا لك علي؟ قال: هل عادت في عدوا؟ أو هل واليت في وليا. رواه أبو نعيم في الحلية، والخطيب في التاريخ، عن ابن مسعود انظر ضعيف الجامع الصغير). (المقصد الأسنى / ٨٢، ٨٣).

ويقول الإمام الفخر الرازي في تفسير اسمى الله تعالى الخافض الرافع:

قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ [المجادلة: ١١] والخفض والرفع معناهما معلوم. فإن كانا في الدين فهما الإضلال والإرشاد، إما في المعرفة أو في الطاعة، وإن كانا في الدنيا فهما إعلاء الدرجات وإسقاطها، ومنه قوله تعالى في صفة القيامة ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٢٣] أى خافضة للكفار في أسفل الدرجات، ورافعة للأبرار أعلى الدرجات.

واعلم أنا إن حملنا الرفع والخفض على هذا كانا من صفات الأفعال، ومنهم من فسرها بالذم والمدح، وعلى هذا المعنى يكونان من صفات الذات.

رأى المشايخ في هذين الاسمين: أما المشايخ فقالوا: خفض قوما لأنه ذكرهم في الأزل بالإهانة، ورفع آخرين لأنه ذكرهم بالإعانة.

أما حظ العبد: فهو أن يرفع جانب الروح، ويخفض جانب النفس، أو ينصر أولياء الله، وينازع أعداء الله (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٣٦، ٢٣٧).

وقد أورد الشيخ أحمد عبد الجواد كلا من الاسمين على حدة، فقال عن «الخافض جل جلاله»:

الخافض جل جلاله: هو اسم من أسماء الله الحسنى. وقد وردت في القرآن الكريم معاني لاسم الله «الخافض جل جلاله»:

وقال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] أى أنه يغفر ذنبا ويفرج كربا، ويرفع قوما ويضع آخرين.

ولذا أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بقوله الكريم:

التستري) السبب الأول ونقر الخاطر وهو لا يخطئ أبدا. وقد يعرف بالقوة والتسلط. وعدم الاندفاع بالدفع؛ وملكى وهو الباعث على مندوب أو مفروض وفي الجملة كل مافيه صلاح ويسمى إلهاما. ونفساني وهو مافيه حظ للنفس ويسمى هاجسا. وشيطاني وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق قال تعالى ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨] وقال ﷺ: «لمة الشيطان تكذيب بالحق وإيعاد بالشر» (أخرجه الترمذي والنسائي وابن حبان عن ابن مسعود وهو حديث صحيح الجامع الصغير، للسيوطي ٩٥ / ١) ويسمى وسواسا ويعبر بميزان الشر بما فيه قرينة فهو من الأولين وما فيه كراهة أو مخالفة شرع فهو من الآخرين.

ويشتهر في المباحات فما هو أقرب إلى مخالفة النفس فهو من الأولين وما هو أقرب إلى الهوى وموافقة النفس فهو من الآخرين. والصادق الصافي القلب الحاضر مع الحق سهل عليه الفرق بينهما بتيسير الله وتوفيقه.

(اصطلاحات الصوفية للشيخ كما الدين عبد الرزاق القاشاني - تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر - ١٥٨، ١٥٩).

* الخافض الرافع جل جلاله:

هما من أسماء الله الحسنى التي لا يطلق أحدهما عليه تعالى إلا مقترنا بما يقابله، وقد أوضحنا ذلك في مادة «أسماء الله الحسنى» في م ٤ / ٤٧٥ فانظره في موضعه.

يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: الخافض الرافع هو الذي يخفض الكفار بالإشقاء، ويرفع المؤمنين بالإسعاد... يرفع أولياءه بالتقريب، ويخفض أعداءه بالإبعاد. ومن يرفع مشاهدته عن المحسوسات والمتخيلات، وإرادته من ذميم الشهوات - فقد رفعه إلى أفق الملائكة المقربين. ومن قصر مشاهدته على المحسوسات، وهتمته على ما يشاركه فيه البهائم من الشهوات - فقد خفضه إلى أسفل السافلين. ولا يفعل ذلك إلا الله تعالى؛ فهو الخافض الرافع. [تنبيه]: حظ العبد من ذلك أن يرفع الحق، ويخفض

الباطل. وذلك بأن ينصر المحق، ويزجر المبطل. فيعادي أعداء الله ليخفضهم، ويوالي أولياء الله ليرفعهم. ولذلك قال تعالى لبعض أوليائه: «أما زهدك في الدنيا فقد استعملت به راحة، وأما ذكرك إياي فقد تشرفت بي. فهل واليت في وليا؟ وهل عادت في عدوا؟»

﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وكذلك نبه الله جل جلاله عباده إلى البر بالوالدين .
فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وقد ذكر الله سبحانه بقوله الكريم : ﴿إذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة﴾ [الواقعة: ١ - ٣].
تنبيهها لعباده بأنه إذا قامت القيامة فهي تحفض أقواما بدخولهم النار وترفع أقواما بدخولهم الجنة .

وحظ العبد من اسم ربه (الخافض جل جلاله) : قالوا من قرأه خمسمائة مرة قضيت حاجته وكفى ما أهمية ، ومن كرهه ألف مرة أمن من جميع الأعداء ، والله أعلم .

ثم قال عن « السرافع جل جلاله » وهو الاسم الرابع والعشرون من أسماء الله الحسنی .

الرافع جل جلاله : هو اسم من أسماء الله الحسنی التي وردت في حديث النبي ﷺ في كتابنا .

وقد ورد في القرآن الكريم ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ [غافر: ١٥].

ومعناه عظيم الصفات المستحق لدرجات المدح والثناء وليس لأحد من خلقه هذه الصفة وهو من الذي يرفع أوليائه ويعزهم وينصرهم .

ومن اسم «الرافع جل جلاله» اشتق الرفع .

قال الله تعالى : ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾ [البقرة: ٢٥٣]

قال الله تعالى : ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ [الشرح: ٤]
أي أنه جل جلاله رفع ذكر النبي ﷺ في الأرض وفي السماء .

وقال الله تعالى : ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ [مريم: ٥٧]
أي أن الله تعالى رفع نبيه «إدريس» عليه السلام بعد موته إلى السماء الرابعة أو ما فوقها .

وقال الله تعالى : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة: ١١].

وقال الله تعالى : ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش﴾ [الرعد: ٢]

وقال الله تعالى : ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾ [الزخرف: ٣٢].

وقد نبه الله عباده بقوله الكريم : تكريما لنبيه ﷺ :
﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ [الحجرات: ٢]

وقال الله تعالى : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠]

كما أنه سبحانه وتعالى وصف لنا الجنة بقوله الكريم :
﴿فيها سرر مرفوعة﴾ [الغاشية: ١٣]

﴿وفرش مرفوعة﴾ [الواقعة: ٣٤]

فسبحانه من إله عظيم ﴿كل يوم هو في شأن﴾ يرفع قوما ويخفض آخرين .

وحظ العبد من اسم ربه «الرافع جل جلاله» أن يدعو به الداعي لرفع شأنه وذكره وإعلاء قدره مع المقربين الشهود . وقالوا : من قرأه سبعين مرة أمن الظلمة والمتمردين .

ومن قاله أربعمائة وأربعين مرة في يوم الإثنين أو في ليلة الجمعة بعد المغرب أو بعد العشاء كانت له هبة بين الخلائق . والله أعلم (ولله الأسماء الحسنی / ٧٣ - ٧٦) .

(المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنی لأبي حامد الغزالي - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ٨٢ ، ٨٣ ، وشرح أسماء الله الحسنی ، وهو الكتاب المسمى «الرايع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات للإمام فخر الدين الرازي - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرؤوف سعد / ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ولله الأسماء الحسنی فادعوه بها - جمع وترتيب أحمد عبد الجواد ، قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود ، وشعبان على خليل عبد الرحمن ، ومحمد المهدي محمود على / ٧٣ - ٧٦) .

* الخافضة الرافعة (يوم -)

قال الإمام القرطبي في تذكرته : الخافضة الرافعة أي ترفع قوما في الجنة وتخفض آخرين في النار ، والخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة والعز والإهانة ،

* الخاقان:

تعريب لقب «قاغان» التركي الذي كان يطلق على ملوك من تسموا بالأتراك في القرنين السادس والسابع من الميلاد. وأصل اللقب «قان قان» أي «قان القان» أو «قان القانات».

وقد دخل هذا اللقب في الإسلام فأطلق على رؤساء الترك من المسلمين. ومن أقدم استعمالاته على النقود الإسلامية وروده على سكة من بخارى يغلب على الظن أنها من عصر الأمين أو المأمون؛ وربما أشار اللقب فيها إلى عاهل إحدى قبائل التغرغز فيما وراء النهر.

واستمر هذا اللقب يطلق على خانات تركستان، وينقش على نقودهم. ومن أمثلة ذلك وروده على سكة بتاريخ سنة ٤٠٤ هـ من بخارى تحمل اسم القادر بالله ويرمز اللقب فيها إلى شرف الدين توغان أو أحمد بن علي من خانات تركستان، وعلى قطعتين من العملة بتاريخ سنة ٤٠٥ هـ: إحداهما من بخارى كذلك، والأخرى من الصغد، وهي خاصة بأحمد بن علي؛ وعلى سكة بتاريخ سنة ٤٥٧ هـ من أوزكند خاصة بتنغج خان إبراهيم؛ وكذلك على سكة خاصة بأحمد الثاني ابن خسروخان (سنة ٤٧٢ - سنة ٤٨٨ هـ).

وقد انتقل هذا اللقب مع الأتراك الذين استأثروا بالسيادة في بعض نواحي العالم الإسلامي فأطلق على علاء الدولة أبي سعد مسعود في نص إنشاء من سنة ٥٠٨ هـ على برج مسعود في غزنة، وعلى أبي الفتح طغرل السلطاني في نص إنشاء بتاريخ سنة ٦٤٠ هـ في باري دركاه في بهار في الهند؛ كما ورد في نص إنشاء من سنة ٦٧٠ هـ في جوك مدرسة في سيواس في تركيا: «اللهم أيد وانصر عبدك وخليفتك السلطان الأعظم والخابقان المعظم، مولى ملوك العرب والعجم، ظل الله في العلم، أدام الله دولته وسلطنته إلى يوم القيامة».

وفي عصر ملوك المغول صار لقب «خاقان» أو «قان» يطلق على رئيس الأسرة المغولية صاحب السيادة العليا على كافة ولاية المغول في أنحاء العالم، بينما تلقب الولاة الفرعيون بلقب «خان» (انظر «الخان»). وقد أطلق هذا اللقب على مانجو أحد الخانات العظام في سكة من استراباد؛ ثم استعمل بعد ذلك للمغول في إيران، والتمورية كما تشير إلى ذلك نقودهم.

ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة توسعا ومجازا على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يمكن منه الفعل يقولون ليل قائم ونهار صائم وفي التنزيل ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ [سبأ: ٣٣] والخافض والرافع على الحقيقة إنما هو الله تعالى وحده، فرفع أولياءه في أعلى الدرجات وجعل أعداءه في أسفل الدرجات قال الله تعالى ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦] وقال ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه «نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس» قال ابن العربي وهذا حديث فيه تخليط في كتاب مسلم لم يتقنه راويه، ومعناه: أن جميع الخلق على بسيط من الأرض سواء إلا محمدا ﷺ وأمة فإنهم يرفعون جميعهم على شبه من الكوم ويخفض الناس عنه، وفي رواية: أكون أنا وأمتي يوم القيامة على تل فيكسوني ربي حلة خضراء، ثم يؤذن لي فذلك المقام المحمود.

أنواع الرفع

قلت: وهذا الرفع في المكان بحسب الزيادة في المكانة. قال ابن العربي: وهي أنواع فرفع محمدا ﷺ بالشفاعة في أول الخلق وبأنه أول من يدخل الجنة ويقرع بابها، ورفع العادلين بالحديث الصحيح «المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين»، ورفع القراء إلى حيث انتهت قراءتهم. «يقال: اقرأ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» وسيأتي ورفع الشهداء فقال في الحديث الصحيح «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله» الحديث، ورفع كافل اليتيم فقال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة» وأشار مالك بالسبابة والوسطى يريد في الجوار وقال ﷺ: «إن أهل الجنة ليشراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغائر في أفق السماء وأن أبا بكر وعمر منهم وأنعماء» ورفع عائشة على فاطمة رضي الله عنهما، فإن عائشة مع النبي ﷺ وفاطمة مع علي رضي الله عنهما.

(التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي - حققه وعلق عليه وضبطه الأستاذ حمدان جعفر - ط دار الفد العربي / ٢٦٧، ٢٦٨).

هذا وقد دخل هذا اللقب مصر في عصر المماليك : فأطلق كلقب فخري على السلطان الأشرف قايتباي في نقش بتاريخ سنة ٨٨٥ هـ في وكالة باب النصر، وفي آخر في وكالة السروجية وفي ثالث بصيغة النسبة : «الخاقاني» في نص بتاريخ سنة ٩٠١ هـ في ضريح الأمير يعقوب شاه (ست نصره). وإطلاق هذا اللقب على سلاطين المماليك يتصل بادعائهم أحقية السيادة على العالم الإسلامي عربي وعجمي؛ ومما له دلالة أن هذا اللقب في النصوص السابقة الخاصة بالسلطان قايتباي كان يلحق بلقب آخر يشير إلى السيادة على العرب والعجم والترك.

وكان يغلب وصف «الخاقان» بصفات أهمها: «الأعظم» و «العادل» و «المعظم». وكان يقال أيضا «خاقان البحرين» أو «الخاقان ابن الخاقان».

وقد أطلق لقب «الخاقان» كنعت فخري خاص على موسى بن سلم وهو جد الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وقد نعت بذلك لتقريبه الغلمان الترك . (الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٧١-٢٧٣).

* ابن خاقان:

انظر: الفتح بن خاقان

* الخاقاني (الجوسقي):

انظر مادة «الجوسقي الخاقاني» في م ١٢ / ٥١٨ - ٥٢٥

* خالد الأزهرى (٨٣٨-٩٠٥ هـ / ١٤٣٤-١٤٩٩ م):

الشيخ خالد بن عبد الله بن أبي بكر الجرجاوي الشهير بالأزهرى أحد مشاهير علماء النحو والإعراب في القرن التاسع الهجري درس اللغة العربية في رحاب الأزهر الشريف وحفظ عددا من المتون وبرع. في عدد من الفنون وكثر النفع بتصانيفه لإخلاصه ووضوحها:

ذلك هو الشيخ زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر ابن محمد بن أحمد الجرجاوي الأزهرى الشافعي وغلبت شهرته بالأزهرى إذا كان الانتساب إلى الأزهر في ذلك الزمان شرفا يغطي على النسب الخاص ليشخص، وحتى مؤلفاته العلمية في النحو سمي بعضها أو أضاف إليها كلمة الأزهرية تحقيقا لهذا الشرف (الكتاب التذكري بمناسبة احتفالات العيد الألفى للأزهر سنة ١٤٠٣ هـ - مارس سنة ١٩٨٣ م مقال الأزهر المعجزة الجامعة الرباط لسماحة الشيخ عبد الله كنون)

مكان مولده وأصل محتده:

ولد الشيخ زين الدين خالد بن عبد الله الأزهرى بمدينة جرجا من أعمال محافظة سوهاج بصعيد مصر سنة ٨٣٨ هجرية تقريبا ونشأ في كنف والديه وتحول وهو طفل مع أبويه إلى القاهرة فحفظ فيها القرآن الكريم وقرأ العمدة ومختصر أبي شجاع وعمل في شبابه بالوقادة في الأزهر حيث كان يشعل فوانيس الزيت في أروقة الأزهر في ذلك العصر واستمر على أداء هذا العمل حتى بلغ السادسة والثلاثين من عمره.

حادثة تعرض لها غيرت مجرى حياته إلى الوجهة العلمية:

ذلك أنه بينما كان يشعل إحدى القتائل بالأزهر سقطت فتيلة على كراس أحد طلبة العلم فهاج ذلك الطالب وشمته وعيره بالجهل وعندئذ ترك الشيخ زين الدين خالد بن عبد الله الأزهرى الوقادة واشتغل بطلب العلم وهو في تلك السن المتأخرة عن وقت التحصيل وجداً واجتهداً وبرع وصنف حتى صار من كبار علماء النحو والإعراب واللغة.

شيوخه الذين تتلمذ عليهم:

تتلمذ الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى على عدد من شيوخ الأزهر ودرس عليهم اللغة العربية ونال منهم الإجازة نذكر منهم.

١ - الشيخ السنهورى قرأ عليه كتب ابن الحاجب المصرى.

٢ - الشيخ الأمين الأقصراني قرأ عليه كتاب العضد وحاشيته.

٣ - الشيخ التقى الحصنى درس عليه علوم البديع والمعاني والصرف والمنطق والأصول والبيان.

٤ - الشيخ على بن المجدى درس عليه علمى الفرائض والحساب.

٥ - الشيخ يعيش المغربي نزيل سطحه قرأ عليه في العربية.

٦ - قرأ على الجوجرى وإبراهيم العجلونى والزين الإناسى والشيخ داود المالكى والشيخ عباس الأزهرى وغيرهم (من أعلام الأزهر / ٧٧-٧٩).

ولازم تغرى بردى القادري فقرره فى المسجد الذى بناه الدوادار نجان الخليلي ومشى حاله به وبغيره قليلا وتنزل فى سعيد السعداء (خانقاه نوردها فى موضعها إن شاء الله تعالى) وغيرها (الضوء اللامع ٣ / ١٧٢).

مؤلفاته العلمية :

بارك الله فى علم ودراسة الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى فألف عدة مؤلفات قيمة قاربت الخمسة عشر مؤلفا أشهرها الكتب الآتية :

١ - التصريح بمضمون التوضيح .

وهو شرح على كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك للعلامة ابن هشام وقد طبع هذا الكتاب بحاشية الشيخ ياسين العليمى فى مجلدين وأثنى الإمام ابن العماد الحنبلى على هذا الكتاب فقال عنه : «إنه لم يصنف مثله» (يأتى بيان مخطوطه فيما بعد)

٢ - الحواشى الأزهرية - وهو كتاب فى حل ألفاظ المقدمة الجزرية فى التجويد .

٣ - المقدمة الأزهرية فى علم العربية .

وقد طبع هذا الكتاب بحاشية العلامة أبى بكر الشنوانى ، كما شرحها الشيخ زين الدين منصور الطبلاوى فى كتاب العقود الجوهريّة فى حل ألفاظ الأزهرية .

٤ - الزبدة فى شرح البردة .

وهو رسالة فى شرح قصيدة البردة التى قام بتأليفها الإمام البوصيرى وقد شرحها شرحا مفصلا ثم اختصره .

٥ - موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب .

وهو شرح قواعد الإعراب لابن هشام .

٦ - شرح المقدمة الأجرومية فى كتابين .

وقد قام بتأليف ذلك الشرح بطلب من أستاذه الشيخ عباس الأزهرى وطبع الكتاب الأول بحاشية الشيخ أبى بكر الشنوانى ، وطبع الثانى بحاشية الشيخ أحمد بن سلامة القليوبى .

٧ - القول السامى على كلام ملا عبد الرحمن الجامى فى النحو .

٨ - تمرين الطلاب فى صناعة الإعراب وهو إعراب لألفية ابن مالك . (يأتى بيان مخطوطه فيما بعد) .

٩ - الألغاز النحوية .

وهو كتاب لطيف يحوى مسائل يعدها النحاة من الألغاز التى تحل بالذكاء .

١٠ - تفسير آية ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ [الواقعة :

[٧٥

وفاته :

توفى الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى ببركة الحاج خارج القاهرة بعد رجوعه من حج بيت الله الحرام ، وكان ذلك فى شهر المحرم سنة ٩٠٥ هجرية التى توافق سنة ١٤٩٩ ميلادية (من العلماء الرواد / ٧٧-٨١ ، و «من أعلام الأزهر / ٨٠٤-٨٠٦) .

أما عن المخطوطات فيوجد مخطوط «التصريح بمضمون التوضيح» فى خزانة القرويين بمدينة فاس وجاء بيانه كما يلى : سفر واحد ضخيم بخط مشرقى المتن فيه مكتوب بالأحمر مبتور من أوائله وأواخره الموجود الآن منه : من فصل المبتدأ والخبر إلى باب التصريف عند قول ابن هشام : وللخماسى المجرى أربعة ... وبآخره ثمان أوراق من باب النسب بخط مغربى غير متصلة بالأصل (فهرس القرويين ٢ / ٣٠)

أما مخطوط كتاب «تمرين الطلاب فى صناعة الإعراب» فتوجد نسخ منه فى الأماكن التالية :

١ - مكتبة الأوقاف العامة فى الموصل وجاء بيانه كما يلى :

الناسخ : ابن درويش محمد على الهدرانى سنة ١٠٦٦ .

ق - ٢٠ × ١٥

و - ٢٣٥ (فهرس مخطوطات الموصل ٨ / ٩١)

٢ - مكتبة لامبروزيانا بميلانو : أدرج فى الفهرس تحت الرقم التسلسلى ١٥٢ D372 وتحت عنوان «موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب» .

٦٠ ورقة تقريبا كتب سنة ١١٤٣ هـ .

ووردت هذه الملاحظة : طبع باسم تمرين الطلاب فى صناعة الإعراب (الفهرس / ٨٥ ، ٨٦) .

٣ - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . وجاء بيان المخطوط كما يلى :

رقم الحفظ : ٢٠٨ - ف . الف . ن . ح . ب . عنوان

أقيمت له سنة ١٢٤٢ هـ بعد وفاته، وكان ذلك بأمر من السلطان عبد المجيد. واشتمل بناؤها على قبة فوق ضريحه ثم مسجد وعدد من المقصورات للمريدين المتجربين ومطبخ وبركة ماء عظيمة.

(مجتمع مدينة دمشق - د. مدينة دمشق - د. يوسف جميل نعيمة / - ١٦٣).

* خالد بن سعيد بن العاص (١٤٠ هـ / ٦٣٥ م):

خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، صحابي من الولاة الغزاة قديم الإسلام أسلم ورسول الله ﷺ بيت الدعوة للدين سرا، فكان الثالث أو الرابع من الداخلين في الإسلام بعد البعثة، ولزم رسول الله ﷺ يصلي معه في نواحي مكة خاليا، فبلغ ذلك أبا أحبة، وهو أبوه (وكان من خصوم الإسلام الأشداء) فدعاه وكلمه في أن يدع ما هو عليه، فأبى، فضربه أبو أحبة بعضا كانت في يده حتى كسرهما على رأسه، ثم حبسه بمكة وضيق عليه وأجاعه وقطع عنه الماء ثلاثة أيام، وهو صابر.

ثم هاجر إلى الحبشة فأقام بضع عشرة سنة، وعاد سنة ٧ هـ، فغزا مع النبي ﷺ وحضر فتح مكة ثم وقعة تبوك. وكان يكتب للنبي ﷺ بمكة والمدينة. وهو الذي خط كتاب أهل الطائف لوفد ثقيف ومشى بالصلح بينهم وبين النبي ﷺ. ثم بعثه رسول الله ﷺ عاملا على اليمن، فأقام إلى أن استخلف أبو بكر فعزله عن اليمن ودعاه إليه، فجاءه، وخرج مجاهدا فشهد فتح أجنادين (قرب الرملة في فلسطين. انظر مادة «أجنادين (موقعة -)» في م ٢ / ٤٥٤ - ٤٥٧) سنة ١٣ هـ، ثم شهد وقعة مرج الصفر (قرب دمشق) فقتل فيها ولعمرو بن معدى كرب قصيدة يمدحه بها (الأعلام ٢ / ٢٩٦).

وقد أورده الإمام ابن حنبل فيمن أحصى من كتّاب رسول الله ﷺ، ومما قاله عنه أنه كان أول من كتب لرسول الله ﷺ، وقيل: أول من كتب «بسم الله الرحمن الرحيم» ... ثم قال:

وكان سبب إسلامه أنه رأى في المنام أنه وقف على شفير جهنم وكان أباه يدفعه فيها ورسول الله ﷺ أخذ بحقوقه لا يقع فيها؛ ففزع وقال: أحلف بالله أنها لرؤيا حق، فلقى أبا بكر فقال له ذلك، فقال له أبو بكر: أريد بك الخير، فلقى

المخطوطة: تمرين الطلاب في صناعة الإعراب. عنوان المخطوط الفرعي: تمرين الطلاب. اسم المؤلف: خالد بن عبد الله بن أبي بكر، الجرجاوي، الأزهرى، اسم الشهرة: خالد الأزهرى. تاريخ. وفاته: ٩٠٥ / ١٤٩٩ م القرن ١٠ هـ / ١٥ م.

بداية المخطوطة: يقول الفقير إلى عفو ربه... الحمد لله الذي رفع قدر من أعرب بالشهادتين ونصب الدليل على وجود ذاته. بسم جار ومجرور متعلق بمحذوف اتفاقا قدره البصريون.

نهاية المخطوطة: للمفعول في موضع نص للنبي وآله معطوف على محمد... جمع آخر نعت أول لآله والكرام جمع كريم نعت ثانى [ثان] لآله والبررة.

نوع الخط: نسخ واضح. تاريخ النسخ: القرن ١١ هـ / ١٧ م. عدد الأسطر: ٢٩ س.

ملاحظات عامة: النسخة ناقصة من آخرها كما أن الورقة الأولى أثرت عليها الإصابات وأضاعت جزءا من النص (فهرس المصورات الميكروفيلمية / ١٧١).

(من العلماء الرواد في رجايب الأزهر - المستشار محمد عزت الطهطاوى / ٧٧ - ٨١، و «من أعلام الأزهر في القرن التاسع الهجرى - للمؤلف نفسه. مجلة الأزهر. الجزء السابع، السنة الحادية والستون، رجب ١٤٠٩ هـ - فبراير ١٩٨٩ / ٨٠٤ - ٨٠٦، فهرس مخطوطات خزانة القرويين لمحمد الفاسى ٢ / ٣٠، والمدرسة الرضوانية في النحو. فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل - سالم عبد الرزاق أحمد / ٨، ٩، وفهرس المخطوطات العربية في الأمبروزيانا بميلانو، معهد المخطوطات العربية - وضعه د. صلاح الدين المنجد ج ٢ ق ١ القاهرة ١٩٦٠ / ٨٥، ٨٦، وفهرس المصورات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الرياض. العدد الثانى، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م / ١٧١. انظر أيضا الأعلام للزركلى ٢ / ٢٩٧، ونشأة النحو - الشيخ محمد طنطاوى / ٢٩٠، والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزى - حققه وضبط نصه د. جبرائيل سليمان جور / ١٨٨).

* خالد أبي بهاء الدين (تكية -):

من تكايا مدينة دمشق تكية خالد أبي بهاء ضياء الدين النقشبندى الدمشقى: وتقع في الصالحية في محلة الأكراد

كتب عددًا من سور القرآن الكريم على جدران المسجد النبوي بالمدينة. كتب مصحفًا خاصًا للخليفة عمر بن عبد العزيز فأقبل عمر يقلبه ويستحسنه واستكثر ثمنه فردّه إليه. وذكر أن ابن الهياج من أبرز المجودين في العصر الأموي بعد قطبة المحرر (نفائس الخط العربي - حسن قاسم حبش / ٢٧٤ عن الفهرست لابن النديم / ٩، ١٠، وتاريخ الخط العربي وآدابه / ٣٢٥).

* خالد بن الوليد (٢١٠هـ / ٦٤٢م):

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نزلنا مع رسول الله ﷺ منزلاً فجعل الناس يملكون؛ فيقول رسول الله ﷺ: من هذا يا أبا هريرة فأقول: فلان. فيقول: نعم عبد الله هذا؛ ويقول: من هذا؟ فأقول: فلان. فيقول: بئس عبد الله هذا. حتى مر خالد بن الوليد رضي الله عنه. فقال: من هذا؟ فقلت: خالد بن الوليد. قال: نعم عبد الله، هذا سيف من سيوف الله تعالى أخرجه الترمذي (تيسير الوصول ٢ / ٢٢٥).

خالد بن الوليد الصحابي رضي الله عنه مذكور في أطعمة المذهب والطلاق والسير وحد الخمر وصلاة الخوف من الوسيط وغيرها هو أبو سليمان وقيل أبو الوليد خالد بن الوليد ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي المخزومي سيف الله. أمه لبابة الصغرى بنت الحارث أخت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها ولبابة الكبرى امرأة العباس (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٧٢، ١٧٣).

وكان خالد أحد أشرف قريش في الجاهلية، وإليه كانت القبة والأعنة في الجاهلية.

فأما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش. وأما الأعنة فإنه كان يكون المقدم على خيول قريش في الحروب. ذكر ذلك الزبير.

واختلف في وقت إسلامه وهجرته، فقيل: هاجر خالد بعد الحديبية. وقيل: بل كان إسلامه بين الحديبية وخيبر. وقيل: بل كان إسلامه سنة خمس بعد فراغ رسول الله ﷺ من بني قريظة. وقيل: بل كان إسلامه سنة ثمان مع عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة (الاستيعاب ٢ / ٤٢٧) قال صاحب الرياض المستطابة: كان إسلامه بين الحديبية وخيبر وقبل غزوة مؤتة بشهرين، وكان الفتح فيها على يديه (الرياض المستطابة).

رسول الله ﷺ بأجساد (موضع بمكة مما يلي الصفا) فأسلم؛ فعلم والده بذلك فضربه بمقرعة كانت في يده حتى كسرها على رأسه... إلخ مما سبق ذكره.

قتل خالد بأجنادين يوم السبت سنة ثلاث عشرة قبل وفاة أبو بكر بأربع وعشرين ليلة. وقيل: بمرج الصفر سنة أربع عشرة في صدر خلافة عمر.

وكتب خالد بن سعيد كتاباً عن رسول الله ﷺ إلى بني عمرو ذي حمير يدعوهم إلى الإسلام - قاله ابن عبد البر والله أعلم (المصباح المضي ١ / ٩٠، ٩١).

وذكر البغوي قال: حدثنا يحيى بن عبد الحميد، قال: حدثنا إسحاق بن سعيد، عن أبيه عن خالد بن سعيد أنه أتى النبي ﷺ، وعليه خاتم من فضه مكتوب عليه «محمد رسول الله» قال: فأخذه مني فلبسه، وهو الذي كان في يده (انظر مادة «خاتم رسول الله ﷺ»).

وقال خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد: أخبرني أبي أن أعمامه: خالد، وأبانا وعمرا، بنى سعيد بن العاص رجعوا عن عمالتهم حين مات رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: ما لكم رجعتكم عن عمالتكم ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله ﷺ، ارجعوا إلى أعمالكم. فقالوا: نحن بنو أحيحة، لا نعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ أبداً. ثم مضوا إلى الشام فقتلوا جميعاً.

وكان خالد على اليمن، وأبان على البحرين، وعمرو على تيماء وخيبر وقرى عربية. ويقال: ما فتحت بالشام كورة إلا وجد فيها رجل من بني سعيد بن العاص ميتاً (الاستيعاب ٢ / ٤٢٢، ٤٢٣).

(الأعلام للزركلي ٢ / ٢٩٦، والمصباح المضي في كتاب النبي الأُمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي للشيخ الإمام أبي عبد الله محمد ابن علي بن أحمد بن حديد الأنصاري - صححه وعلق عليه الشيخ محمد عظيم الدين ١ / ٩٠، ٩١، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر - تحقيق علي محمد البجاوي ٢ / ٤٢٢، ٤٢٣، انظر أيضاً تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للحافظ المؤرخ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - عني بتحقيق النص وتحرير الحواشي حسام الدين القدسي ٣ / ٥٨، ٥٩).

* خالد بن الهياج:

أول من كتب المصاحف في الصدر الأول، ووصف بحسن الخط، وكان سعد نصبه لكتابة المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك، وخالد هذا قيل إنه هو الذي

عليه وآله وسلم . فصالحه الرسول على الجزية . وأرسله رسول الله ﷺ سنة عشر إلى بنى الحارث بن كعب بن مذحج فقدم معه رجال منهم ، فأسلموا ورجعوا إلى قومهم بنجران .

ثم إن لخالد الأثر العظيم في قتال أهل الردة وفتوح الشام والعراق . وذلك أن أبا بكر كان بعثه إلى العراق فافتتح الأبلّة ، وأغار على السواد وحاصر عين التمر ، وأرى الفرس ذلاً وهواناً . ثم إنه خرق البرية ولحق بجيوش المسلمين في الشام وفتوح خالد ومشاهدته وشجاعته معلومة بالاستفاضة . وكان في قلنسوته شعرات من شعر ناصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستفتح بها في حروبه فيفتح عليه . ولما حضرته الوفاة قال : لقد حضرت مائة زحف أو نحوها ، وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية ، وما أنا أموت على فراشي ؛ فلا نامت أعين الجبناء . وما من عمل أرجى عندي من لا إله إلا الله وأنا مترس بها من النار .

روى خالد في الصحيحين حديثين ، أحدهما متفق عليه ، والآخر للبخاري وهو موقوف ، وخارج عنه الأربعة خلا الترمذي . روى عنه ابن عباس ، وعلقمة ، وجبير بن نفير . وقد توفي بحمص سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر (الرياض المستطابة / ٦٢ ، ٦٣ وقبره مشهور على نحو ميل من حمص . تهذيب الأسماء / ١ / ١٧٤) وأوصى إلى عمر . ولما بلغ عمر أن نساء بنى المغيرة اجتمعن في دار يبيكين على خالد قال عمر : ما عليهن أن يبيكين أبا سليمان ما لم يكن نفع أو لقلقة (الرياض المستطابة / ٦٢ ، ٦٣) .

أراد رضى الله عنه بالنفع حتى التراب على رؤوسهن عند المصائب ، والقلقة أراد به النياحة . قال : ولم تبق امرأة من بنى المغيرة إلا وضعت لمتها على قبر خالد . يقول خلقت شعرها . ذكره ابن شبة في كتابه قاله ابن عبد البر في ترجمة أبي بن كعب - رضى الله عنهم (المصباح المفضى / ١ / ٩٣) كما ذكره في الاستيعاب / ٢ / ٤٣١ .

ولما حضرته الوفاة حبس فرسه وسلاحه في سبيل الله . وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «إن خالداً احتبس أذراعه وأعتده في سبيل الله» وفضائله كثيرة مشهورة رضى الله عنه (تهذيب / ١ / ١٧٤) .

وتأمر ولده «المهاجر» مع علي وعبد الرحمن مع معاوية ،

وكان من المشهورين بالشجاعة والشرف والرياسة ثبت في صحيح البخاري عنه قال لقد اندق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما ثبت في يدي إلا صفيحة يمانية . قال الزبير بن بكار وغيره كان خالد هو المقدم على خيول قريش في الجاهلية ولم يزل من حين أسلم يوليه رسول الله ﷺ أعنة الخيل فيكون في مقدمتها وشهد فتح مكة فأبلى فيها وبعثه رسول الله ﷺ إلى العزى فهدمها وكانت بيتاً عظيماً لمضر تبجله (تهذيب / ١ / ١٧٣) ولقريش وكنانة ولما هدمها جعل يقول :

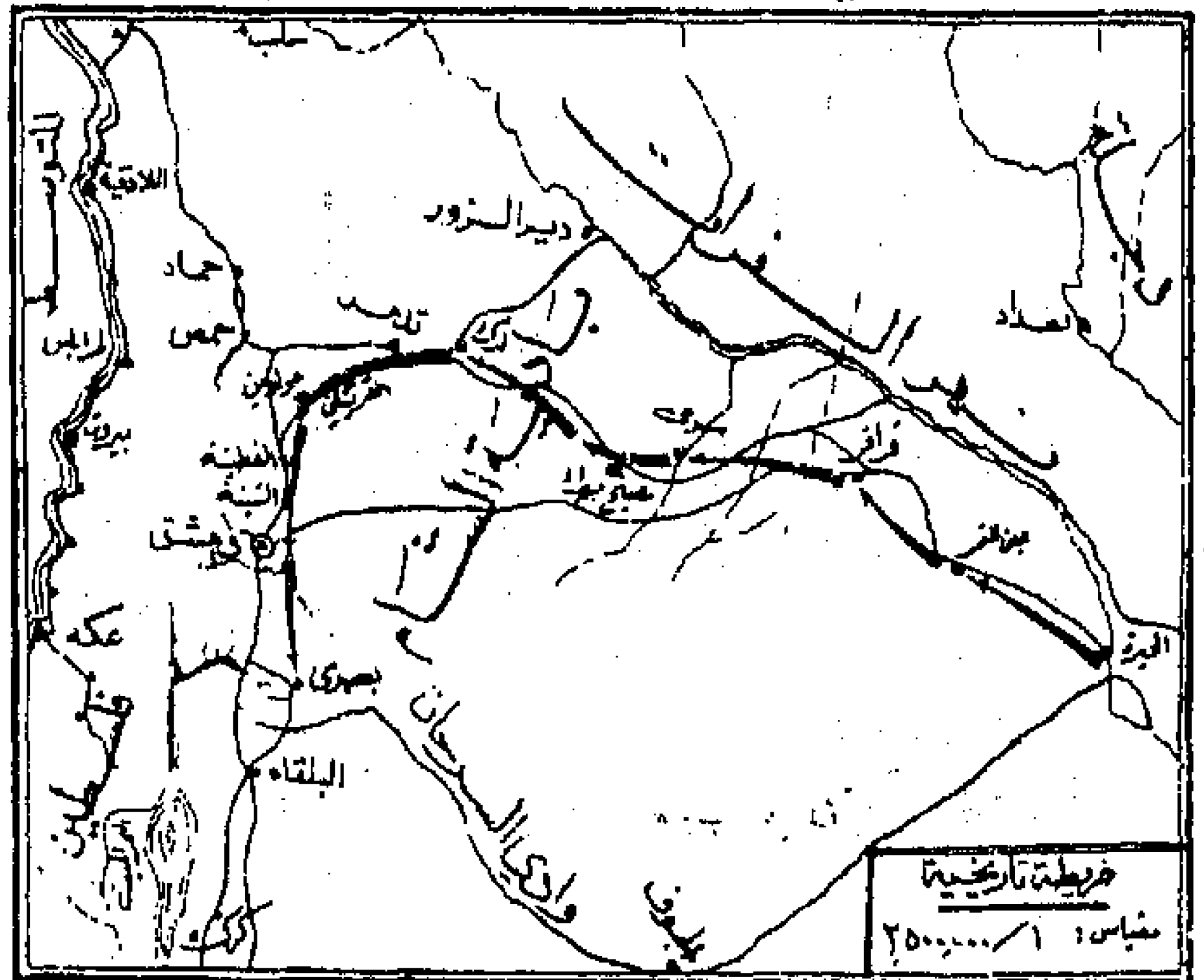
يَا عَزَّ كُفْرَانِكَ الْيَوْمَ لَا سُبْحَانَكَ

إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ

قال ابن عبد البر : لا يصح لخالد بن الوليد مشهد مع رسول الله ﷺ قبل الفتح (الاستيعاب / ٤ / ٤٢٨) والتهذيب / ١ / ١٧٣) أما صاحب الرياض المستطابة فيقول :

ولا يصح له مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مشهد قبل غزوة مؤتة . وكان على مقدمة خيل رسول الله عليه وآله وسلم في بنى سليم يوم حنين ، وجرح يومئذ ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطوف بين الرجال ويقول : «من يدلني على رجل خالد» حتى وقف عليه . فنفت في جرحه فبرأ خالد . وقد أرسله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى صاحب دومة الجندل ، فقتل أخاه وأسره وأحضره عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الطريق التي سلكها خالد في مسيره من العراق إلى الشام *



((معارك خالد بن الوليد - ياسين سويد))

٤ - الطريق الرابع : الحيرة - وادي حوران - الجوق - الزرقاء اليرموك - بصرى .

ولكل طريق من هذه الطرق الأربعة ميزة من محاسن ومحاذير .

الأول : خالي من قلاع الروم والفرس ومسالحهم فتصل إلى بصرى دون أى تعرض للعدو إلا إنه مفازة قاحلة طويلة ومن أخطر الطرق ، وسلوكها يعتبر مخاطرة .

الثاني : سهل الاجتياز كثير الماء والكلإ إلا أنه أطول من الطريق الأول ومعرض لمقاومة العدو وقلاعه ومسالحه لوقوعه على حدود إمبراطورية الفرس والروم .

الثالث : أقصر الطرق وأصلحها للمرور ولكنه محمى بكثير من المسالح والقرى المعادية ومن الصعب اجتيازه دون تعرض .

الرابع : أسلم الطرق ولكنه يحتاج إلى أيام طويلة ولا تؤمن المباشرة . اختار خالد بن الوليد وعلى ضوء دراسة هذه الطرق الطريق الأول رغم صعوبته في الوصول بأقل سرعة ممكنة إلى الشام وإنجاد الجيش الإسلامي هناك . عندما وصل إلى أرض السماوة قال خالد بن الوليد لأصحابه : «أيها الناس إن هذه الأرض لا تدخلونها إلا بالماء الكثير لأنها قليلة الماء ونحن في جيش عظيم والماء معكم قليل فكيف يكون الأمر؟ فقال رافع ابن عمير الطائي : أيها الأمير أشير عليك بما تصنع فقال يا رافع أرشدك الله بما نصنع وفقك الله مولانا جل وعلا للخير قال فأخذ رافع ثلاثين جملاً وعطشها سبعة أيام ثم أوردوها الماء فلما رويت حزم أفواهاها ثم ركبوا الحمير وجنّبوا الخيول فساروا فكانوا كلما نزلوا أخذوا عشرة من الإبل يشقون بطنها ويأخذون ما يجدون من الماء» (فتوح الشام للواقدي ١/ ٢٥) .

ابن الوليد يتدارس الموقف

وصل خالد بن الوليد إلى بصرى والجيش الإسلامية لا زالت متفرقة وتوفرت المعلومات لدى المسلمين عن تحرك قوات الروم من الشمال على محورين .

١ - المحور الأول : محور الساحل بقيادة تيدور أخو الملك ومهمته مشاغلة جيش المسلمين في فلسطين وقوة هذا الجيش تسعون ألفاً .

٢ - المحور الثاني : محور الجهد الرئيسي جيش أنطاكية -

وانقرض ولده ولم يبق منهم أحد وورث أيوب بن سلمة دورهم بالمدينة رضى الله عنهم أجمعين (الرياض المستطابة / ٦٤) .

وقد بهرت شجاعة خالد بن الوليد وانتصاراته الساحقة الشعراء المسلمين على مر العصور فصاغوها نظماً تحفظه الأجيال ، ومن روائع ما قيل فيه من شعر ما نظمه أمير الشعراء أحمد شوقي في أرجوزته التاريخية «دول العرب وعظماء الإسلام» . وقبل أن ننقلها لك نسوق مثالا لشجاعته ومهارته الحربية في معارك الشام من منظور العسكرية الحديثة ومن حيث اختياره طريق المفازة المعروفة بالسماوة ، ذلك الاختيار الذي كان عملاً عظيم الشأن في تاريخ الحروب ، وهو الذي أشار إليه شوقي في البيت رقم ٤٠ من أرجوزته .

يقول الرائد نهاد عباس شهاب الجبوري تحت عنوان «خالد بن الوليد في الشام» :

علم قادة المسلمين بأمر حركة الروم فكتبوا إلى الخليفة الصديق رضى الله عنه فأرسل الإمدادات وكتب في الوقت ذاته إلى خالد بن الوليد كتاباً يقول له فيه «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن أبي قحافة إلى خالد بن الوليد سلام عليك أما بعد فإنني أحمد الذي لا إله إلا هو وأصلى على نبيه محمد ﷺ وإنني قد وليتك على جيوش المسلمين وأمرتك بقتال الروم وأن تسارع في مرضاة الله عز وجل وقتال أعداء الله وكن ممن يجاهد في الله حق جهاده» (فتوح الشام للواقدي ١/ ٢٤) .

انصرف خالد بن الوليد لتنظيم قواته من أجل التحرك إلى الشام وانطلق بقوة خمسة آلاف فارس وكان أمام خالد أربع اختيارات في سلوك الطريق ليقطع المسافة بين الحيرة في العراق وبصرى في الشام بأقل ما يمكن من الوقت والمسافة بينهما لا تقل عن ستمائة ميل (٩٦٥ كم) والاختيارات الأربعة هي :

١ - الطريق الأول : عين التمر - قراقر - سوى - إراك - تدمر الغوطة - بصرى .

٢ - الطريق الثاني : الفلوجة - هيت - دير الزور - تدمر - حمص - القطيف - دمشق - بصرى .

٣ - الطريق الثالث : عين التمر - هيت - كبيسة - بئر اللوحة - أبي الشامات - الفجر - عذراء الغوطة - بصرى .

- ٩ - كـابن الـوليد موئل الأعلام
سيف الإله أسد الإسلام
- ١٠ - طلق جاهلية المعاصي
ودخل الإسلام وابن المعاص
- ١١ - كـلا العظيم فتى قـريش
صدر نـدى، ولـواء جيش
- ١٢ - تخير السمحة غيـر دار
ما خلفها من عجب الأقدار
- ١٣ - من نعم تـرى وعيش مـرغد
وشأن الـيوم وذكر في غـد
- ١٤ - سـبحان ربى منشئ السوابغ
مـرتجل المـواهب السوابغ
- ١٥ - هل خـالد إلا فتى من فـهر
لم يشتهر بـصولة وقهر
- ١٦ - منزلة فى غـالب عليه
وشيم تقطـر جـاهليـه
- ١٧ - زهو الصناديد بن الجـلاد
ونفخة بالقـوم والميـلاد
- ١٨ - نفس غـدتها الجاهلية الدما
وأرضعتها جـرأة ومقـدما
- ١٩ - ونهية كالجوهر الوقاد
لم تبد للصـائغ والنقـاد
- ٢٠ - فكان من عنايته السلام
بـه اكتسب أـدب الإسلام
- ٢١ - إذ كان فى دولته مجـال
فـيه جلت أسرارها الرـجال
- ٢٢ - أبـد للعقل الكيـس من وسط
وللشـعاع من مـدى ومنبسط

بعلبك - حمص - دمشق وهدفه عزل جيش عمرو بن العاص
ثم الاتجاه لتنفيذ عملية إحاطة لقوات المسلمين الأخرى
ووضعها بين المطرقة الجنوبية والسندان الشمالى .

بعد دراسة الموقف كان القرار على تجميع قوات
المسلمين بأسرع ما يمكن واستطاعت الفرق الإسلامية
التجمع فى الجولان باستثناء فرقة عمرو بن العاص فى
فلسطين وكان أمام خالد بن الوليد موقف صعب حيث
تمكنت جيوش الروم من تنظيم صفوفها وجيش عمرو بن
العاص بحاجة إلى قوة كبير لذلك ما كان أمامه إلا أن ينقذ هذا
الجيش مستفيدا من الإيقاع البطيء فى سرعة التحرك لخصمه
فقرر تصفية الجيش الجنوبى بقيادة تيدور «تدارق» وبذلك
دارت معركة طاحنة هى معركة أجنادين (العمليات التعرضية /
١٥١-١٥٣).

ويمكنك استكمال معلوماتك عن هذا الموضوع بالرجوع
إلى كل من مادتى «أجنادين (موقعة -)» فى م٢ / ٤٥٤ -
٤٥٧ ، و «بصرى» فى م٧ / ١٦٧ ، ١٦٨ . وإليك شعر أمير
الشعراء أحمد شوقى قال رحمه الله :

- ١ - من طبع السيف ومن جـلاه؟
هل يصنع الآيـسات إلا الله؟
- ٢ - إنس الحديد، بشر الفرنـد
ليس يصنع يمن أو هنـد
- ٣ - وكيف لا يصحبه المضـاء
وقينه المقـدار والقضـاء
- ٤ - قلـده من ربـه محمـد
يسلـسه بإذنـه ويغمـد
- ٥ - خلقت لا أعظم السيـوفـا
إلا الشريف العـالى العيـوفـا
- ٦ - المفتـدى بحـده من مظلـمه
والمهتـدى بنـوره فى المظلـمه
- ٧ - والنـاصر الحق على المقاتـل
والضارب الباطل فى المقاتـل
- ٨ - والرافع الدولـات ركنـا ركنـا
بالحق بـيان الخليل الركنـا

- ٢٣ - رب هببات ذهب هبباء
كما أتى بها التراب بباء
- ٢٤ - موقوف الآراء والبراييات
معلق الهممة بالغماسيات
- ٢٥ - إذا غزا عن النبي أو سفسر
اقتصرح النجح عليه والظفر
- ٢٦ - سماء سيف الله يوم مؤتته
معظمها في الآخرين شأنه
- ٢٧ - فما مضى في موطن أو همما
إلا وكان اسمها على مسمى
- ٢٨ - أليس كافي الإمام الشده
وقامع الفتنة يوم الرده؟
- ٢٩ - وقاتل الكذاب في المعارك
وكل أفكاك لله مشارك
- ٣٠ - أيامه مشهورة في فارس
مسطورة في صحف الفسارس
- ٣١ - خاض بها الوقائع الكبارا
وفتح الحيورة والأنبيارا
- ٣٢ - واحتاجت الشام إلى همام
أروع يحمى عسكر الإمام
- ٣٣ - يقحمها على جموع السروم
ويشنى بفتحها المروم
- ٣٤ - وهى تموج بجموع قيصر
وعالم من عرّب تنصيرا
- ٣٥ - قبائل قوادها موزع
دين هو الغالى وعرق ينزع
- ٣٦ - فلم تقع إلا عليه الخيرة
إن السرجانال أفضل النذيرة
- ٣٧ - فخف للغيثات فى ليوث
صحابية أهلية غيوث
- ٣٨ - خلى العراق وتولى الشام
نجما لأهوال السرى جشاما
- ٣٩ - يقطع غفلا ويجوب بسائرا
إن المغيث من أتاك طائرا
- ٤٠ - فكان فى السماوة الرئبالا
لا تذكر الألب وأنبالا
- ٤١ - تخفق فسوق رأسه العقاب
فى مهمته تنكسه العقاب
- ٤٢ - حتى حسوى الجيش القرى فصارا
بين ديار العرب النصارى
- ٤٣ - أحسراس تخم وحماة حد
وحاطة الأطراف من تعد
- ٤٤ - سل تدمرا والقريتين وأرك
هل ثبتوا لخالسد فى معترك
- ٤٥ - وسل بيه غسان كيف صبحوا
بالخيل جاءت من بعيد تضبح
- ٤٦ - هبت على الشام قبولا ريده
فاستروح الغوث أبو عبيده
- ٤٧ - أوفت على اليرموك تطفى من طرب
يا مأتم السروم ويا عرس العرب
- ٤٨ - أقبل سيف الله يمزجى خيليه
ويل هرقل منه ثم ويله
- ٤٩ - وأمر الجيش عليهم خالدا
وانظروا اليوم العظيم الخالدا
- ٥٠ - فعبىء الحزبان للطام
طام يعب لنزال طام
- ٥١ - تراءى على تضاوت الفئه
ذا متنا ألف وذا نصف المشه
- ٥٢ - ونشبت جائحة الدهور
عدوة القاهسر والمقهور

وفي خلال معمة معركة اليرموك هذه فوجيء المسلمون بأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بغزل خالد بن الوليد عن قيادة جيوش المسلمين . وقد أورد الواقدي كتاب الغزل كما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فإنني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلى على نبيه محمد (ﷺ) وبعد فقد وليتك أمور المسلمين فلا تستحي فإن الله لا يستحي من الحق ، وإنني أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه والذي استخرجك من الكفر إلى الإيمان ، ومن الضلال إلى الهدى ، وقد استعملتك على جند ما هنالك مع خالد فاقبض جنده واعزله عن إمارته ولا تنفذ المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ولا تنفذ سرية إلى جمع كثير ولا تقل إنى أرجو لكم النصر فإن النصر إنما يكون مع اليقين والثقة بالله ، وإياك والتغريز بإلقاء المسلمين إلى الهلكة ، وغض عن الدنيا عينيك واله عنها قلبك ، وإياك أن تهلك كما هلك من كان قبلك فقد رأيت مصارعهم وخبرت سرائرهم وإنما بينك وبين الآخرة ستر الخمار وقد تقدم فيها سلفك وأنت كأنك منتظر سفرا ورحيلا من دار قد مضت نضرتها وذهبت زهرتها فأحزم الناس فيها الراحل منها إلى غيرها ، ويكون زاده التقوى وراع المسلمين ما استطعت ، وأما الحنطة والشعير الذي وجدت بدمشق وكثرت في ذلك مشاجرتكم فهو للمسلمين ، وأما الذهب والفضة ففيهما الخمس والسهام ، وأما اختصامك أنت وخالد في الصلح أو القتال فأنت الوالى وصاحب الأمر ، وإن صلحك جرى على الحقيقة أنها للروم فسلم إليهم ذلك والسلام ورحمة الله وبركاته عليك وعلى جميع المسلمين ، وأما هديته ابنة الملك هرقل فهديتها إلى أبيها بعد أسرها تفريط (كان خالد بن الوليد قد أطلق سراح ابنة هرقل إلى أبيها بعد أن أرسل في طلبها يبعأ أو هدية) ، وقد كان يأخذ في فديتها مالا كثيرا يرجع به على الضعفاء من المسلمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» وطوى الكتاب وختمه بخاتمه ، ثم دعا بعامر بن أبي وقاص أخى سعد ودفع الكتاب إليه ، وقال له انطلق إلى دمشق وسلم كتابى هذا إلى أبي عبيدة وأمره أن يجمع الناس إليه واقراه أنت على الناس يا عامر وأخبره بموت أبي بكر الصديق رضى الله عنه ثم دعا عمر رضى الله عنه

٥٣ - فداهم السروم الرعيل المسلم

إن العتيق بسـالعتـساق أعلم

٥٤ - واخترق الهيجاء فرسان العجم

تحت سـروج الخيل أو فسوق اللجم

٥٥ - أما الرجال فاحتموا فى الخندق

ليلا فمساوا بالبلاء المحقق

٥٦ - يوم كبدر فى الفتوح منزله

أمسى هرقل بعده لاعزله

٥٧ - لما رأى سلطانـه تداعى

صاح الوداع سوريا الوداعا

وفيما يلى شرح ما يحتاج إلى شرح :

البيت ١٧ : الجلاء : القتال .

٢٩ : الكذاب هو مسيلمة وكان ادعى النبوة بعد موت رسول الله .

٤٠ : السماوة : مفازة مشهورة بين العراق والشام اختارها خالد بن الوليد فكان عملا عظيما له شأن فى تاريخ الحروب .

٤١ : العقاب فى الشطر الأول راية الرسول ، وفى الشطر الثانى الطائر المعروف .

٤٦ : أى هبت الأمداد هبوب الريح اللينة فوجد أبو عبيدة ريح الغوث والنجدة .

٥٢ : جائحة الدهور : أى نادرة الدهور ، وهى الحرب .

٥٣ : العتيق هو أبو بكر الصديق ، أى أنه أعلم باختيار الخيل .

٥٥ : الرُجـالى جمع راجل وهو فى الحرب خلاف الفارس (دول العرب وعظماء الإسلام / ٧٠-٧٢) .

٥٦-٥٧ : بعد انتصار خالد بن الوليد الساحق فى معركة «اليرموك» أنهت هذه المعركة الفاصلة تسلط الروم ، فقد غادر هرقل البلاد بعد أن عرف مصير نخبة جيوشه ، وكان يقول : سلام عليك يا سورية سلاما لا لقاء بعده (معجم المعارك الحربية / ٣٥٦) .

بشداد بن أوس فصافحه، وقال له: امض أنت وعامر إلى الشام فإذا قرأ أبو عبيدة الكتاب فأمر الناس يبايعونك لتكون بيعتك بيعتي (من كتاب فتح الشام / ٨٣، ٨٤).

وقد روى أنه استدعاه بعد عزله إلى المدينة فعاتبه خالد، فقال له عمر: ما عزلتك لريبة فيك ولكن افتن بك الناس، فخفت أن تفتن بالناس.

وعن عزل خالد بن الوليد يقول أحمد شوقي في الأرجوزة نفسها:

- ١ - والله ما أدري ولا تدري الزمر ما كان بين ابن الوليد وعمير
- ٢ - سيف الإله سلَّه النبي وهزه وليه الحبي
- ٣ - أغمد لا كلاً ولا مقصراً في حرب كسرى وقتال قيصر
- ٤ - توجعت لعزله العقاب وحل بالمبرأ العقاب
- ٥ - ضغينة لم تدع الإماماً حتى رمى في يدها الزمام
- ٦ - وزلة الكبير أكبر الزلل وإن أحيطت بالطلاء والعلل
- ٧ - خاف الإمام أن يكون فتنه سياسة عالية وفطنه
- ٨ - كم هاضت الممالك العظام مخافة أن يقطعوا النظام
- ٩ - وكم مرجى السبق مات بالكم قد وقف الناس له دون الأمد
- ١٠ - أعيد من مضلة الحق عمر مثل الإمام بالمرشد ائتمر
- ١١ - لعله أبصر وجهه منفعه أو خاف ضراً فرأى أن يدفعه
- ١٢ - في السيف لا تأمنه أن يتقلب كم غلب الحق بسيفه وكم غلب

١٣ - في طبعه الطيرة والشرور وربيه يسوماً به مغرور

١٤ - وكيف غدر ابن الوليد كيفاً الله أوفى وأبهر سيفاً

١٥ - عجبت ممن ملك الزمانا ودان بعد فارس الرومانا

١٦ - ومن قناه كل يوم في ظفر وخيليه من سفر إلى سفر

١٧ - تتكل الطير على بنوده وينزل النصارى على جنوده

١٨ - تهيب البحر وخاف حربه وحرم المجاهدين قربه

١٩ - ظل السولا يسطون الراحا فلا يلبي لهموا اقتراحا

٢٠ - كم حسنوا النفع وقبح الضرر خوفاً على جنوده من الفرر

٢١ - وقسال لم يأذن ولم يسلم لا أشتري السروم بنفس مسلم

٢٢ - كان الإمام وهو للعدل علم لم ينصف السروم وللبحر ظلم

٢٣ - كما جرنفع المسلمين السروم والبحر عزز أبداً مسروم

٢٤ - ينهض بالملك العظيم فاتحه لأنسه من الثرى مفاتحه

٢٥ - فيروز منه يبرأ النصارى ومثله إلى الجحيم صارا

٢٦ - لا دين للبساغي وإن تدبنا كفى بقتل النفس ظمناً بيننا

وفيما يلي شرح بعض الألفاظ التي تحتاج إلى شرح:

البيت ٤: العقاب: قيل الراية، وقيل العلم الضخم، وقيل الحرب، وكل يصلح أن يكون مراداً في ها المقام

٥ : الضغينة : المحفظة أو الحقد .

٢٠ : الغرر : الخطر (دول العرب وعظماء الإسلام / ٤٤ - ٤٦).

قال الإمام النووي : روى له عن رسول الله ﷺ ثمانية عشر حديثاً اتفق البخاري ومسلم على حديث . روى عنه ابن عباس وجابر والمقدام بن معدى كرب وأبو أمامة بن سهل الصحابيون رضي الله عنهم . وروى عنه من التابعين قيس بن أبو حازم وأبو وائل وغيرهما (تهذيب الأسماء واللغات / ١ / ١٧٣).

(تيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيباني / ٣ / ٢٥٥ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام يحيى الدين بن شرف النووي / ١ / ١٧٢ - ١٧٤ ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر - تحقيق على محمد البخاري / ٢ / ٤٢٨ ، ٤٣١ والرياض المستطابة للإمام يحيى ابن أبي بكر العامري اليمني / ٦٢ - ٦٤ ، والمصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وأعجمي / ١ / ٩٣ ، والعمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين - الرائد نهاد عباس شهاب الجبوري / ١٥١ - ١٥٣ ، ودول العرب وعظماء الإسلام - نظم أحمد شوقي / ٦٩ - ٧٢ ، ٤٤ - ٤٦ ، ومعجم المعارك الحربية - ماجد اللحام / ٣٥٦ ، ومن كتاب فتوح الشام لمحمد بن عمر الواقدي - اختار النصوص وقدم لها ماجد اللحام / ٨٣ ، ٨٤ . انظر أيضا الأعلام للزركلي / ٢ / ٣٠٠ ، وتاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للحافظ المؤرخ محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي - عني بتحقيق النص وتحرير الحواشي حسام الدين القدسي / ٣ / ٢٥٣ ، ٥٤).

انظر صورة مسجد خالد بن الوليد بحمص في مادة «حمص» في م ١٤ / ٥٨٦ .

ملاحظة : صورة الخريطة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب العمليات التعرضية والدفاعية الذي جاء بيانه في ثبوت المراجع .

* خالد بن يزيد (٩٠ هـ / ٧٠٨ م) :

قال عنه الزركلي : خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي ، أبو هشام حكيم قوئش وعالمها في عصره . اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم فأثقفها وألف فيها رسائل . اختلفوا في سنة وفاته ، إلى أن قال الذهبي : «وفيها - أي سنة ٩٠ - على الأصح» توفي خالد بن يزيد وكان موصوفاً بالعلم والدين والعقل» وشك ابن الأثير في بعض نواحي علمه ،

فقال : «يقال إنه أصاب علم الكيمياء ولا يصح ذلك لأحد» . وقال البيروني : كان خالد أول فلاسفة الإسلام . وفي سبائك الذهب ومعجم قبائل العرب أن الحمداني ذكر أقواماً في ناحية تندة وما حولها من بلاد الأشمونيين ، من الديار المصرية يسمون «بنى خالد» نسبة إلى خالد بن يزيد بن معاوية . وقال ابن النديم : كان خالد بن يزيد فاضلاً في نفسه له همة ومجبة للعلوم ، خطر بباله حب الصنعة (الكيمياء) فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مصر وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي . وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة . وقال الجاحظ : خالد بن يزيد خطيب شاعر ، وفصيح جامع ، جيد الرأي كثير الأدب ، وهو أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء توفي في دمشق ، ولسعيد الديوه جي رسالة في سيرته ، طبعت في دمشق سنة ١٩٥٣ (الأعلام / ٢ / ٣٠١ ، ٣٠٢) وقد أورد له الدكتور فاضل أحمد الطائي ترجمة مستفيضة في بحث له بعنوان «خالد بن يزيد وكيمياءه» وذلك في كتابه الموسوم بأعلام العرب في الكيمياء . وننقل لك فيما يلي مقتطفات مما جاء في بحثه هذا . يقول المؤلف :

لقد اجتمعت المصادر المتوفرة لدينا على أن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، رائد العرب والإسلام في الكيمياء ، وكان أول من أمر بترجمة التراث اليوناني إلى اللغة العربية ، إضافة إلى تعريب ما نقل من اليونانية إلى القبطية ويعتبر بحق الرائد الأول في نقل العلوم إلى اللغة العربية وبذلك وفر العلم لمن أراد ارتشافه من العرب والمسلمين الذين يحسنون اللغة العربية . وبعد أن قرأ العلم يامعان شغف بعلم الكيمياء بالدرجة الأولى ، وبالعلوم الأخرى بصورة عامة .

يذكر ابن النديم راوياً عن محمد بن إسحاق الذي عني بإخراج الكتب القديمة في الصنعة أن خالد بن يزيد بن معاوية كان خطيباً وشاعراً فصيحاً ، وحازماً ذارياً ، وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم ، وكتب الصنعة والكيمياء وكان جواداً ، ويقال إنه قيل لخالد لقد فعلت أكثر شغلك في طلب الصنعة فأجاب خالد ما أطلب بذلك إلا أن أغني أصحابي وإخواني ، إني طلبت الخلافة فأخترت دوني فلم أجد منها عوضاً إلا أن أبلغ آخر هذه الصنعة فلا أخوج أحداً عرفني يوماً أو عرفته إلى أن يقف بباب سلطان رغبة أو رهبة ، ويقال إنه نجح في عمل

ومقته للنزاع الذي حصل بين جده معاوية بن أبي سفيان وعلى ابن أبي طالب، واعتبر خالد الإمام علياً أولى من جده في الخلافة. ويذكر أن خالد بن يزيد أموى قرشى، حكيم قریش وعالمها في عصره، واشتغل في الكيمياء والطب والنجوم فأتقنها وألف فيها رسائل. ويقول الزركلى إن بنى أمية قد اتفقوا على بيعه خالد بعد موت أبيه يزيد سنة أربع وستين للهجرة (٦٤ هـ)، فبايعوه بالخلافة، فأقام خالد ثلاثة أشهر، وغلب عليه حب العلم. فجمع الناس وخطب فيهم قائلاً «إن جدى معاوية نازع الأمر من كان أولى به، ثم تقلده أبى ولقد كان غير خليق به، ولا أحب أن ألقى الله عز وجل بتبعاتكم، فشأنكم وأمركم، ولؤه من شئتم. فقالوا: ألا تعهد إلى أحد؟ فقال: لم أجد لكم مثل عمر بن الخطاب لأستخلفه ولا مثل أهل الشورى، فأنتم أولى بأمركم، ثم لزم منزله. ولم نجد في المصادر الأخرى ما يؤيد الزركلى في هذه الرواية، وبعد التثبت رأينا بأنه قد أخطأ في كتابه «الأعلام» الطبعة الثانية ونسب ما لمعاوية الثانى إلى خالد وصحح ذلك في كتابه في الطبعة الثالثة، هذا ولم أرفع الخطأ من البحث كى لا يقع فيه من يقرأ هذا البحث ... وذكر الجاحظ أن خالدًا توفي في دمشق ...

والحقيقة أن المصادر التى تناولت ذكر خالد ضئيلة إذا ما قورنت بمن هو أقل شأنًا منه، ويعود السبب حسبما أظن إلى بُعد الفترة الزمنية بين خالد وبين من دوّن تراجم أهل العلم والحكمة والأدب من العرب والمسلمين الذين تركوا آثارهم كلها أو بعضها باللغة العربية. ويكاد جميع من كتب عن سيرة خالد بن يزيد وعلمه وأدبه أن يكونوا متشابهين فيما دونوه، ولعل ياقوت الحموى قد جاء بذكر أوفى من غيره وسأدرج أكثر ما جاء في كتابه «معجم الأدباء» لا لاحتوائه على معلومات في الكيمياء حسب بل لغرض إظهار فضل رائد العلم عند العرب ليطلع عليه من يقرأ هذا البحث من غير المعنيين بالتاريخ والأدب، أن لخالد الفضل الأكبر في نقل العلم اليونانى عن اللغة اليونانية أو عن القبطية التى استقت علمها من العلم اليونانى نفسه، ولا يشير التاريخ إلى أحد عنى بالعلم ونقله من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية قبل خالد بن يزيد يقول الحموى عن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

الصناعة (الفهرست / ٤٩٧) أى أنه تمكن من تحويل المعادن البخسة إلى معادن ثمينة كالذهب والفضة، وأقول بأن هذا الخبر ينقصه العلم ولا صحة له مطلقاً. إلا أن خالدًا كتب عددا من الرسائل في الصناعة، ونظلم الشعر في هذا الباب وقد اطلعت على مخطوطة تضمنت شعرا لخالد في الصناعة وهى موجودة في المجموع العلمى العراقى وسأتطرق إلى ذكرها ثانية في هذا البحث نفسه، ويقول عنه ابن النديم بأن محمد بن إسحاق قد رأى من شعر خالد نحواً من خمسمائة ورقة في الصناعة، كما رأى من كتبه «كتاب الحشرات»، و «كتاب الصحيفة الكبرى» و «كتاب الصحيفة الصغرى» و «كتاب وصيته إلى ابنه في الصناعة».

ويذكر أبو الفرج الأصبهاني (الأغانى ط بلاق ١٦ / ٨٨) أن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كان من أكثر رجالات قریش سخاء، وعارضة وفصاحة، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره، وأسقط نفسه، وأم خالد بن يزيد أم هاشم بنت هاشم بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. ثم ينقل الأصبهاني عن كل من الطوسى وحرمى بأن الزبير قد روى عن عمه مصعب بأن خالد بن يزيد بن معاوية عالم وشاعر ...

وذكر الجاحظ (البيان والتبيين ط القاهرة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م ١ / ٣٢٨) في كتابه البيان والتبيين، بأن خالد بن يزيد بن معاوية، كان خطيباً، شاعراً فصيحاً، جيد الرأى، كثير الأدب، وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء.

وجاء في طبقات الأمم، لصاعد الأندلسى (ص ٦٣) «كان خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، بصيراً بالطب والكيمياء، وله في الكيمياء رسائل وأشعار بارعة دالة على معرفته وبراعته فيها».

ويبدو أن الزركلى قد جاء برواية عن خالد تختلف عما جاء به بعض الكتاب ولا سيما المستشرقين منهم، حيث أشاد بخلق وعلم خالد، وزهده في الخلافة وتبرمه بها وضجره منها

إن سـيرك الشـرف العـظيم مع الغنى
وتكون يوم أشد خوف وإثلا
يوم الحساب إذا النفوس تفاضلت
فى الوزن إذ غبط الأخف الأثـقلا
فاعمل لما بعد الممات ولا تكن
عن حظ نفسك فى حياتك غافلا
ومما نسب إلى خالد من التصانيف فى الكيمياء . البديع
فى فك الرمز المنيع ، وكتاب الفردوس ، ورسائل أخرى ، توفى
خالد بن يزيد سنة تسعين ، وقيل سنة خمس وثمانين ،
وشهده الوليد بن عبد الملك وقال : لتلق بنو أمية الأردية على
خالد فلن يتحسروا على مثله أبدا .

وجاء فى هدية العارفين (إسماعيل باشا البغدادي - هدية
العارفين ط أوفست استانبول ١٩٥٥ ط ٣ ، ج ١ - ٣٤٣) أن
خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان الأموي الأمير، توفى
سنة (٨٥) خمس وثمانين من الهجرة، له من كتب «السر
البديع فى رمز المنيع فى علم الكاف، وفردوس الحكمة فى
علم الكيمياء»، منظومة، وكتاب الحرات «وكتاب الرحمة
فى الكيمياء»، وكتاب «الصحيفة الصغير» وكتاب «الصحيفة
الكبير»، مقالتا مريانس الراهب فى الكيمياء، وكتاب «وصيته
إلى ابنه فى الصنعة» .

وجاء ذكر خالد فى وفيات سنة أربع وستين لابن الأثير
(٦٤ هـ) وذلك فى معرض حديثه عن يزيد بن معاوية : وكان
له من الولد معاوية ، وكنيته أبو عبد الرحمن وأبو ليلى ، وهو
الذى ولي بعده ، وخالد ويكنى أبا هاشم يقال إنه أصاب عمل
الكيمياء ، ولا يصح ذلك لأحد .

وقد خالف ابن الوردي (تاريخ ابن الوردي المطبعة الوهية
مصر ١٢٨٥ هـ ج ١ / ١٧٩) أغلب المؤرخين وأصحاب
التراجم فى وفاة خالد بن يزيد ، حيث ذكره فى وفيات سنة
اثنين وثمانين للهجرة ٨٢ هـ ما نصه «وفى خالد بن
يزيد بن معاوية من أسخياء بنى أمية وعقلائهم وفصحائهم»
ذكرت المصادر المتيسرة لدينا سنة وفاة خالد بن يزيد إما عام
خمس وثمانين للهجرة ، أو عام تسعين للهجرة ، وربما كانت
وفاته بين هذين التاريخين أى بين (٨٥ هـ) و (٩٠ هـ) ...

الأمير، أبو هاشم الأموي : كان من رجالات قريش المتميزين
بالفصاحة والسماحة وقوة العارضة ، علامة خيرا بالطب
والكيمياء ، وشاعرا قال الزبير بن مصعب : كان خالد ابن يزيد
ابن معاوية موصوفا بالعلم حكيم شاعرا وقال ابن أبى تمام :
كان خالد بن يزيد من الطبقة الثانية من تابعى أهل الشام ،
وقيل عنه : قد علم علم العرب والعجم . وروى خالد الحديث
عن أبيه وعن دحية بن خليفة الكلبي . رضى الله عنه . وروى
عنه الزهرى وغيره وأخرج البيهقي والخطيب البغدادي
والعسكرى والحافظ ابن عساكر عنه عدة أحاديث ، وكان من
صالحى القوم يصوم الجمعة والسبت والأحد وكان يقول :
كنت معنيا بالكتب ، وما أنا من العلماء ولا من الجهال . وكان
خالد جوادا ممدحا جاءه رجل فقال له : أنى قد قلت فىك
بيتين ولست أنشدكما إلا بحكمى - أى بما يطلب ويريد -
فقال له قل : فقال الرجل :

سألت النـدى والجـود حـبـرـان أنـعمـا؟

فقالا بلى عبـدان بين عبيـد

فقلت ومن مـولاكمـا فـتـطـاولا

على وقالـا خـالـد بن يـزيـد

فقال خالد للرجل : احكم ، فقال : مائة ألف درهم ، فأمر

له بها . وكان خالد شجاعا جريئا ...

ولما لزم خالد بيته بعد تركه الخلافة قيل له : كيف تركت
الناس ولزمت بيتك؟ قال : هل بقى إلا حاسد نعمة ، أو
شامت بنكبة .

ولخالد شعر نفيس ، أورد بعضا من أبياته ياقوت
الحموى - فى المرجع نفسه - ، وإليك مقتطفات منها :

أعجب إن كنت ذا نعمة

وأنتك بهـا شـرـيف مـهـيب؟

فكم ورد المـوت من نـاعـم

وحب الحـياة إليـه عـجـيب

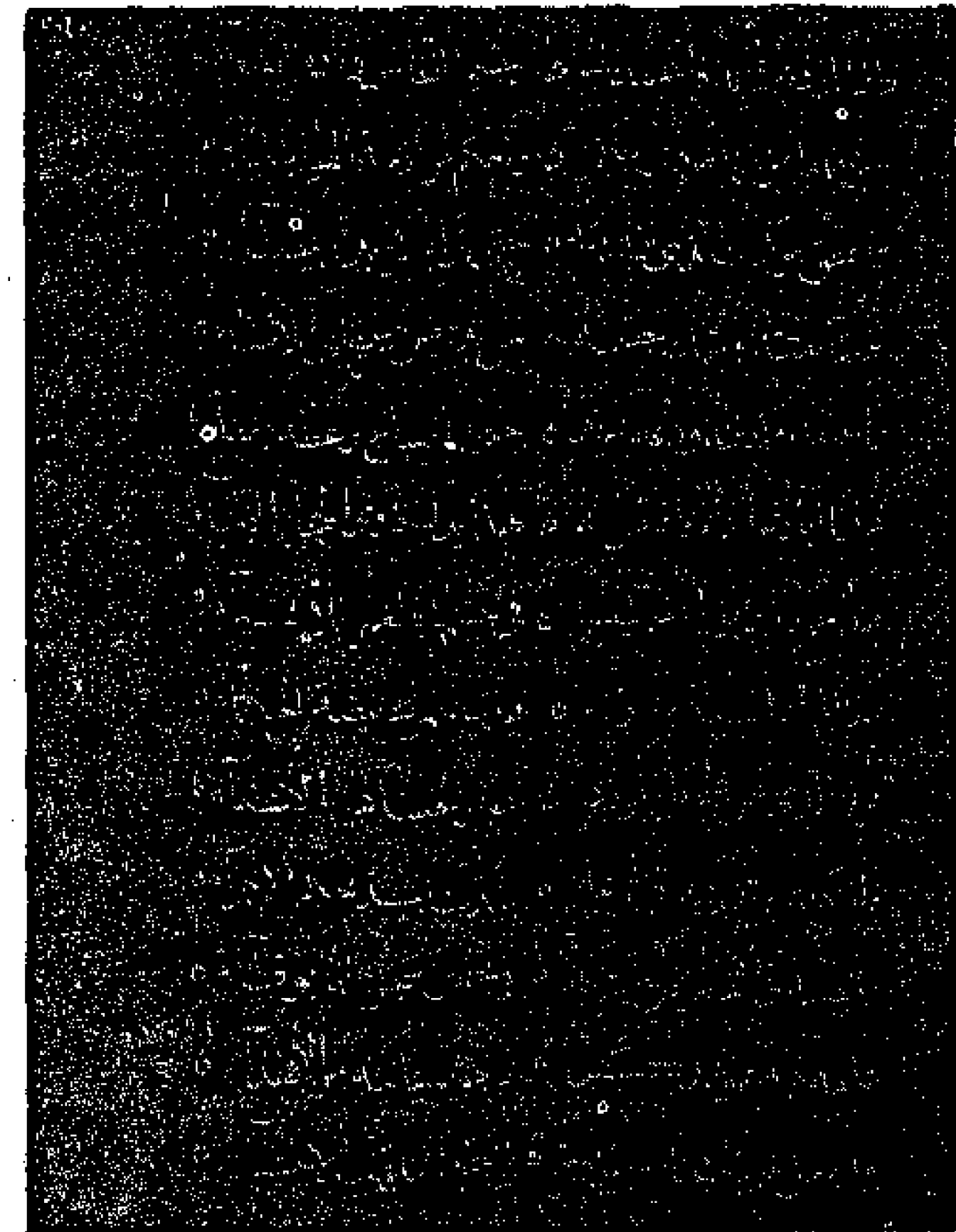
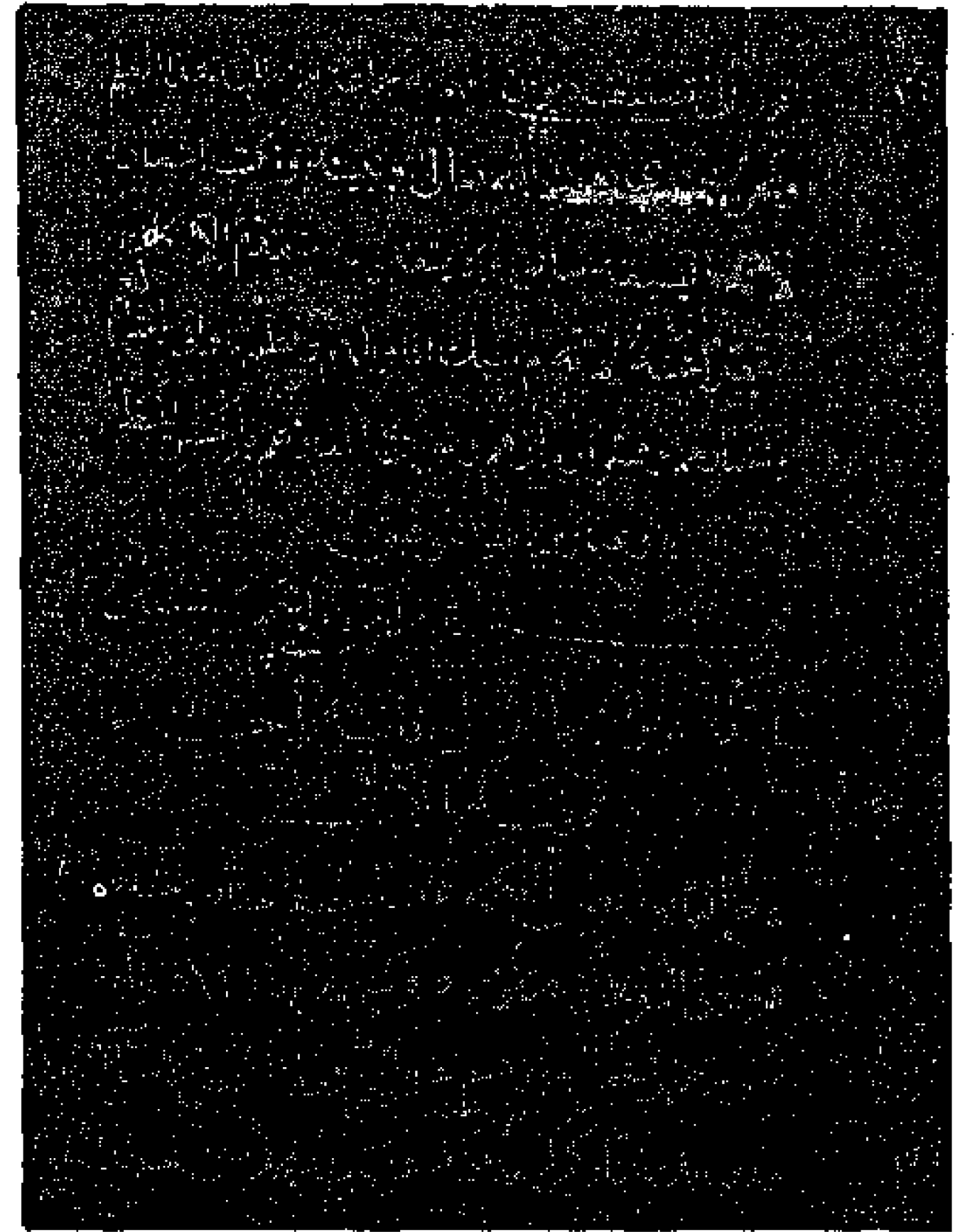
أجـاب المـنيـة لـمـا دعت

وكـرـهـا يـجـيب لـهـا من يـجـيب

ولخالد فى الحكمة قصيدة ، إليك بعض أبياتها :

ويوجد بعض شعر خالد في الكيمياء مخطوطا ومحفوظا في مكتبة استانبول ... وقد صور بعض هذه المخطوطات المجمع العلمي العراقي (أعلام العرب في الكيمياء / ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٢٤، ٢٥).

وفيما يلي صورتان للمخطوط وتبعهما بقراءة له :



وهذه هي قراءة المخطوط :

اعمد إلى تصنيف ديوان افهم به جماعة من طلبة هذا العلم ونحن نبتيء بعون الله تعالى ونبيه ونكتب أشعاره لأنه لم يسبقه سابق ولا يتقدمه متقدم إلا كان مقصرا عنه لأنه لم يسبق أقاويلهم ونظمها وأتى بأمثالهم وأخبارهم وفسر أرمازهم وشرح الغازهم بأحسن لفظ .

وعبارة بالله التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ابتداء ديوان خالد على قافية أبجد

قافية الألف

يا طالبا بوريطس الحكماء،

يا منطلقا حقا بغير خفاء،

هو زبيق الشرق الذي هتفوا به

في كتبهم من جملة الأشياء،

سموه زهرا في خفاء رموزهم

والجن شغلا أغمض الأسماء،

ودعوه بأن النار كيما يصدقوا

عن صبغته بخلا عن البعداء،

فإذا أردت مثاله فاعمد إلى

جسم النحاس وناره الصفراء

فامزجهما مزج امرء ذي حكمة

واحكم مزاجه الهوا بالماء،

واسحق مركبك الذي أزوجه

حتى تراه كزبد بيضاء

سحقا يفتته ويهتك جسمه

من بيده من صبح إلى المساء،

واجمعه وادفنه ودعه بمرقد

حتى الصبحاح وغطيه بغطاء،

هذا آبار نحاسهم فافطن له

هذا يدك ذوى الحجبا النجباء،

هذا خماس زوايق المغنيسيا

في جسمها بالغمر للأشياء

هذا المهاد لصنعه معروفة

هذي لعمرك بيضسة الحكماء،

هذا الذي أعمى على كل الوري

نفو من الحساد بالإعفاء،

فاسكنه مبتهجا به في قرعة

شدت بشد محكم الإجزاء،

وانصببه في القيم نصبة حاذق

في محصن سجن له بوفاء،

علقه فيه فهو عمد كلما

ترجس وصيائنه من الاهزاء،

واجعل - فديتك - ناره موزونة

في حرها لتلهب الأحشاء،

(أعلام العرب في الكيمياء / ٢٩، ٣٢، ٣٣)

(الأعلام للزركلي / ٢ / ٣٠٠، ٣٠١، وأعلام العرب في الكيمياء - د.

فاضل أحمد الطائي / ١٧، ١٨، ٢٠ - ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٩، ٣٢،

٣٣).

* الخالدي (١٠٣٤هـ / ١٦٢٥م):

أحمد بن محمد بن يوسف الخالدي، فقيه متأدب، من

أهل صفد (فلسطين) مولداً ووفاء. تعلم بمصر. له رحلة إلى

الحج» و «رحلة إلى القدس» نظماً، وكتاب في «العروض»

و«شرح ألفية ابن مالك» و «لبنان في عهد الأمير فخر الدين

المعنى الثاني» مطبوع، وصل فيه إلى سنة وفاته (١٠٣٤)

ونظمه حسن.

(الأعلام للزركلي / ١ / ٢٣٦، ٢٣٧).

قالت المؤلفة: له مخطوط بعنوان «الأنوار الجليلة في

تخميس الهمزية» من مخطوطات الأدب في المتحف العراقي

وجاء بيانه كما يلي:

الأنوار الجليلة في تخميس الهمزية

الرقم ١٨٤٤٦ / ٢

لشهاب الدين أحمد بن محمد بن يوسف الصفدي

المعروف بالخالدي المتوفى سنة ١٠٣٤هـ / ١٦٢٥ م.

الأول:

(كنت نورا وكان ثم عماء

وتبيها وليس طين ومساء

فاذا كان من علاك العلاء

كيف ترقى رقيك الأنبياء

يا سماء ما طاولتها سماء)

نسخة جيدة عليها حواش وشرح، كتبها محمد بن حاج

حسن دباغ ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢ م.

٩٠ ص ١٠×٢١ سم ٢٠ س

معجم المؤلفين ٢ / ١٦٩، الذريعة ٤ / ١٤، يروكلمان

(عربي) ١٥ / ١٠١، فهرس أوقاف الموصل ١ / ٢٤٩.

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي - أسامة ناصر النقشبدي

وظمياء محمد عباس / ٥٤)

* الخالدية (المكتبة):

من مكتبات القدس الشريف أعاده الله ديار إسلام. يقول

الدكتور كامل جميل العلي:

مكتبات الأسر المقدسية وغيرها من المكتبات الخاصة:

كان في القدس مكتبات خاصة بعائلات مقدسية قديمة

تجمعت مجموعاتها في القرون الماضية. ولعل كثيرا من كتبها

وصل إلى هذه المكتبات من مجموعات مكتبات الأقصى

القديمة أو مكتبات المدارس القديمة أو توارثتها الأسر

المقدسية عن أفرادها من العلماء. ومعظم هذه المكتبات

اندثر الآن، وأكثرها أضاعته الكوارث التي حلت بالمدينة أو

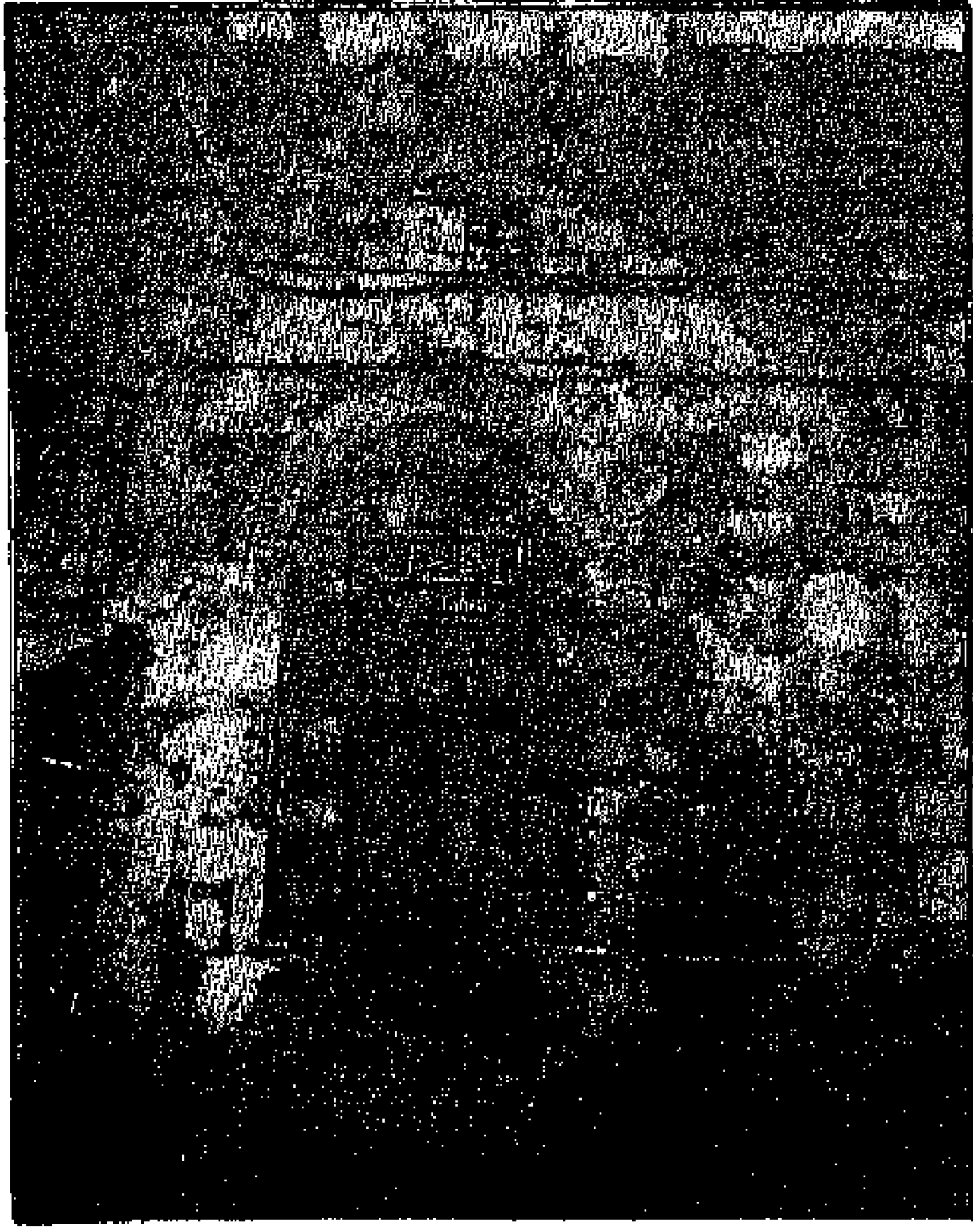
الجهل بقيمة الكتب، فضاعت بها كنوز لا تعوض، على

الوجه الذي سبقت الإشارة إليه. وأشهر المكتبات التي ما

زالت قائمة حتى اليوم هي:

المكتبة الخالدية:

تقع المكتبة الخالدية في مبنى أثري قديم هو تربة الأمير



المكتبة الخالدية

أن يكون باب السلسلة مركزا لتلك الخزنة العلمية التي فتحت أبوابها رسميا عام ١٩٠٠ (١٣١٧ هـ) لجمهور المطالعين . وجرى الاتفاق على أنه متى توفي أحد أفراد الأسرة تنقل كتبه إلى المكتبة الخالدية . وهكذا ضمت إليها كتب يوسف ضياء الدين باشا الخالدي نائب القدس في مجلس المبعوثين العثماني سنة ١٨٧٨ ، ومكتبة روجي بك الخالدي الرئيس الثاني لمجلس المبعوثين العثماني سنة ١٩٠٨ بالأستانة ، ونظيف بك الخالدي أحد مهندسي السكة الحديدية الحجازية ، وأحمد بدوي بك الخالدي وغيرهم (خزائن الكتب العربية في الخافقين / ١٢٤)

ويضيف دي طرازي قائلا (ص ١٤٣) :

«ما كادت المكتبة تظهر إلى الوجود حتى أقبل إلى القدس الشيخ العلامة طاهر الجزائري منفيا من دمشق بأمر من السلطة العثمانية ... وكان الشيخ طاهر من أكبر غلاة الكتب وصديقا حميما للحاج راغب مؤسس هذه المكتبة . فكلفه هذا أن يساعده في تبويبها وسعى في إنشاء أوقاف خاصة بها تضمن نجاح مستقبلها» .

وتولى إدارة المكتبة بعد الشيخ طاهر الجزائري الشيخ أمين

بركة خان بحي باب السلسلة عند ملتقى شارع باب السلسلة بعقبة أبو مدين التي تتجه إلى حارة المغاربة . والمبنى الآن هو وقف لآل الخالدي وستحدث عنه بالتفصيل بعد حديثنا عن المكتبة نفسها .

أسس هذه المكتبة الشيخ راغب الخالدي ، الذي كان من أعيان القدس ورئيسا لمحكمة الاستئناف الشرعية فيها . وهو والد العلامة أحمد سامح الخالدي والدكتور حسين الخالدي والدكتور حسن الخالدي . .

وقد أصدرت المكتبة عقب تأسيسها دليلا لقراءتها أسمته «برنامج المكتبة الخالدية العمومية» جاء فيه : (وفق الله تعالى جناب الفاضل الأديب الفطن الأريب صاحب المكرمة الحاج راغب أفندي الخالدي الديري المقدسي بمساعدة بعض وجهاء عائلته الكريمة وهما صاحب الفضيلة ياسين أفندي الخالدي وموسى شفيق أفندي الخالدي إلى تشييد غرفة رحبة على جادة باب السلسلة في القدس الشريف) . (برنامج المكتبة الخالدية العمومية ، ص ١ - مطبعة جورجى حبيب حنايا . القدس سنة ١٣١٨ نقلا عن المكتبات الإسلامية في القدس - بحث مقدم إلى المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام المنعقد بعمان ١٩٨٠ للدكتور أمين أبو ليل ، ص ٢) .

ومن شروط مؤسسيها كما جاء في هذا البرنامج «أن لا يخرج منها كتاب حرصا على المنفعة العامة» .

ونص البرنامج على أن تكون الدار «دار عمومية لمن يرغب في المطالعة من أى فرد كان ... وهى مفتوحة الأبواب لجميع الطلاب كل يوم من الصباح إلى المساء وعينوا لها محافظا أمينا» .

ويروى لنا فيليب دي طرازي قصة تأسيس هذه المكتبة فيقول : «خطر ببال الحاج راغب الخالدي أن ينشئ مكتبة عامة تظل وقفا يتفجع به طلاب العلم وكانت والدته خديجة بنت السيد موسى الخالدي قد أوصت بمبلغ من المال لأعمال البر فأقنعها ابنها الحاج راغب أن تؤسس بهذا المال معهدا يستوعب المكتبة المشار إليها .

وبعد المفاوضة في الأمر اتفق أركان الأسرة الخالدية على

«رونق الحفاظ بمعجم الألفاظ» للحافظ جمال الدين يوسف سبط شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر وعليه خط الحافظ زين الدين قاسم بن قطلوبغا (٨٧٩)، وهو المجلد الثاني ويرجح أنه بخط مؤلفه. «مثير الغرام بفضائل القدس والشام» لشهاب الدين بن سرور المقدسي (٧٦٥). وفي آخره حواش فيها أسماء بعض تواريف القدس. «اتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى» لكمال الدين محمد بن أبي شريف الشافعي (٩٠٦).

«شانا في السموم والترياق» لشانا الهندي. نقله من لغته الهندية إلى الفارسية منكة النهدي، نقل للمأمون على يد العباس بن سعيد الجوهري مولاه وهو في معرفة السموم والترياق، وهي نسخة مملوكية. «الوسيط» للسواحدي (٤٦٨)، الجزء الثالث منه. «عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير» لابن سيد الناس اليعمرى (٧٣٤). «أرجوزة محمد بن أحمد الباعوني» (٨٧١) في التاريخ وقعت في نحو ألف بيت من الهجرة إلى الملك برسباي. «تعاليق شهاب الدين أحمد بن الهائم» على الخصائص النبوية بخط المؤلف شهاب الدين أحمد الشهير بابن الهائم (٨١٥). «تقويم أصول الفقه وتحديد أدلة الشرع» للديبوسي (٤٣٠). «مجموعة رسائل لابن كمال باشا» (٩٤٠). «تأويل مشكل الأحاديث والرد على الملاحدة والمعطلة وأهل الأهواء المبتدعة» من إملاء أبي بكر محمد بن حسن فسورك (٤٠٦). «إيضاح الأشكال في من أبهم اسمه من النساء والرجال» أي رواية الحديث للحافظ محمد بن طاهر المقدسي (٥٠٧)، وهو ينسب إلى قيسارية بين حيفا ويافا على ساحل البحر. «كتاب الأربعين الأبدال التسايعات» للبخاري ومسلم للحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدمياطي (٧١٧). «ارتياح الأكباد بأرباح فقد الأولاد» للسخاوي. «كتاب قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام» لأحمد بن محمد بن عمر المقدسي الشهير بابن زوجة أبي عذبية (٨٥٦).

كتاب «التيان في إعراب القرآن» لأبي البقاء العكبري (٦١٦) «دمية القصر وعصرة أهل العصر» لأبي الحسن علي البخارزي. (٤٦٧) «ذيل يتيمة الدهر» للشعالبي.

الأنصاري (الدفن). وقد ظل مديرا للمكتبة زهاء نصف قرن وتوفي في أوائل الخمسينات. وكان يتقاضى على ذلك أجرا من ريع الوقف الذي وقفه الشيخ راغب الخالدي. وكان الشيخ راغب قد وقف على المكتبة نصف حمام العين. بيد أن غلة الوقف هذه الأيام زهيدة جدا ولا تكفي للإنفاق على المكتبة.

وبعد وفاة الشيخ أمين الأنصاري بقي مفتاحها في عهدة ابنه. . . وفي سنة ١٩٦٧ تولى أمر المكتبة السيد حيدر الخالدي بوصفه قائما بأعمال متولى أوقاف آل الخالدي في القدس.

مجموعة المكتبة:

نواة المكتبة كانت مجموعة المخطوطات التي توارثتها الأسرة الخالدية وكانت محفوظة في ديوان الأسرة بباب السلسلة. ثم ضمت إليها مكتبات أفراد الأسرة الذي توفوا واشتهروا بالعلم كما أسلفنا، فتجمع لذلك في المكتبة عدد كبير من المخطوطات والكتب النادرة والجرائد والمجلات وبلغات عديدة.

كتب محمد كرد علي سنة ١٩٢٨ عن مجموعة المكتبة يقول (خطط الشام ٦/ ١٤٣، ١٤٤): ومن نوادرها «أنموذج العلوم» للمولى شمس الدين محمد بن حمزة الفناري المتوفى سنة ٨٣٤ هـ ذكر فيه أصول مائة علم. «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» عليه خط مؤلفه تقي الدين بن عبد القادر المصري التميمي الداري المتوفى سنة ١٠١٠ هـ. «الشعور بالعمور» للصالح الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ في ذكر العلماء الذين أصيبوا بفقد إحدى أعينهم «منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر» وهو المعروف بالمديجات لعبد المنعم الجلياني (٦١٣).

«مختصر حياة الحيوان» لجلال الدين السيوطي (٩١١). «قهوة الإنشاء» لابن حجة الحموي (٨٣٨) وهو مجموع رسائله. «إختصار السيرة النبوية» لمحيي الدين بن عربي (٦٣٨)، رواية ولده أبي سعيد وولده أبي بكر أبي المعالي محمد وابنته فاطمة عنه. «نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلطين» لمرعي الحنبلي (١٠٣٣).

ومن الدواوين المخطوطة :	إن بعض هذه المخطوطات التي ذكرها كرد على ، بل كثيرا منها ، فقد ولم يعد موجودا في الخالدية ، مع بالغ الأسف .
ديوان ابن الفارض (٩٠٦)	على أنه ما زال في المكتبة عدد من المخطوطات القيمة منها على سبيل المثال :
وديوان الشاب الظريف (٦٩٨)	
وديوان امرئ القيس بن حجر الكندي (٩٤٩)	
وديوان حافظ الشيرازي (١١٣٩)	رقم المخطوطة في سجل المكتبة
ولو تتبعنا عدد مجلدات المكتبة من يوم إنشائها حتى اليوم لاتضح لنا الصورة التالية :	الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي (٣٧٣٩)
عندما أسست المكتبة الخالدية سنة ١٩٠٠ / ١٣١٧ كانت تضم ١٣١٨ كتابا وفي سنة ١٩٢٨ بلغ عدد مجلداتها نحو أربعة آلاف نحو ثلثها من المخطوطات وفي سنة ١٩٣٦ ازداد عدد كتبها ومخطوطاتها فبلغ سبعة آلاف مجلد ثلثها مخطوط . ومن تلك المخطوطات ما يبلغ عمره السبعة قرون .	سهام الإصابة في الدعوات المستجابة لجلال الدين السيوطي (٣٩١٣)
وفي سنة ١٩٤٥ ازداد عدد الكتب والمخطوطات فبلغ اثني عشر ألفا باللغة العربية ، واللغات الإنجليزية والفرنسية والفارسية والتركية .	أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب لجلال الدين السيوطي (٣٩٧١)
أما فهرس المكتبة الخالدية الذي بين أيدينا والذي تم إعداده سنة ١٩٧٣ فيشير إلى أن عدد الكتب والمخطوطات الحالية لا يتجاوز الستة آلاف . وهو بالتحديد ٥٩٨٠ كتابا ومخطوطا ، منها ٤٤١٢ باللغة العربية واللغتين التركية والفارسية و ١٥٦٨ كتابا باللغتين الإنجليزية والفرنسية .	الفتح القسي في الفتح القدسي عماد الدين الأصبهاني (٣٩٨)
وإذا افترضنا أن هذه الأرقام كلها صحيحة أو قريبة من الصحة لتبين لنا أن مجموعة المكتبة قد نقصت في الثلاثين سنة الماضية حوالي ٥٠ ٪ وهو رقم مخيف . ولا بد من اتخاذ الإجراءات العاجلة لحماية ما تبقى من موجودات هذه المكتبة .	حزب النصر عبد القادر الجيلاني (٣٠٢٠)
لقد قامت بعثة من معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية بتصوير مخطوطات المكتبة الخالدية في القدس في سنة ١٩٥٣ ولكننا علمنا أن نوعية الصور الموجودة في معهد المخطوطات ليست جيدة ، وأن بعض الأفلام قد تلفت فلا تُقرأ . وقد بدأت مكتبة الجامعة الأردنية بتصوير مجلدات الخالدية من جديد ، وبالفعل وصلتها بعض الصور وستوالى تصوير الباقي . على أن التصوير لا يمكن أن يكون بديلا عن	دايرة القطب الشاذلي عبد الوهاب الشعراني (٣٨٠٧)
	الجواهر والدرر عبد الوهاب الشعراني (٣٢٦)
	الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر عبد الوهاب الشعراني (٥٥٤)
	مقامات الحريري لأبي محمد القاسم بن علي الحريري (٣٧٢٣)
	مرآت المروءات لأبي منصور الثعالبي (٣٥٠٧)
	باعث النفوس إلى زيارة لأبي إسحاق إبراهيم القدس المحروس الفزاري (٣٣٢١)
	الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين لأبي حامد الغزالي (٢٩٤١)
	مشكاة الأنوار لأبي حامد الغزالي (٢٩٤٦)
	الفتاوى الخيرية خير الدين الرملي (٣٩)
	مقامات الزمخشري جار الله أبو القسم محمود ابن عمر الزمخشري (١٤٧١)
	مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني (١٥١٩)

الأمير الكبير بدر الدين محمد بك بن بركتخان . توفي مستهل ربيع الأول لثمان وسبعين وستمائة .

ويتألف مبنى التربة من صحن مفتوح تحيط به غرفة ذات قبة من الشرق ، وقاعة القراءة (المكتبة الخالدية) من الغرب . ويبلغ طول العقار من الشرق إلى الغرب ١٧,٥ متر وعرضه ٨ أمتار من الشمال إلى الجنوب . ويستدل من المحراب الكائن في جهة المكتبة القبليّة أن المكان كان يستعمل مسجداً . والواقع أن المبنى كان يدعى في السابق زاوية بركة خان كما كان يدعى تربة بركة خان ، من قبيل الاختلاط في التسميات ، أو الشبه بين التربة والزاوية . ومن الطبيعي أنه كان يضم ، كزاوية أو كتربة ، مسجداً للصلاة . وفي القرن الحادي عشر قرر القاضي الإخوة الثلاثة الشيخ صالح والشيخ علي والشيخ حسين أولاد الشيخ حسن بن علي القرقيشندي « في وظيفة النظر والبوابة في زاوية بركة خان الكائنة بالقدس الشريف يخط داود بالصف القبلي ، عوضاً عن والدهم بحكم وفاته .

من الذي أنشأ التربة ؟

يقول مجير الدين الحنبلي (الأنس الجليل ٢/ ٤٥) : « تربة الملك حسام الدين بركة خان مقابل المدرسة الطازية تاريخ عمارتها في سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة . وعمرت بعد موته » . ومن المعروف أن بركة خان توفي سنة ٦٤٤ . ويظهر أن مجير الدين استند إلى نقش على نافذة تربة بركة خان (يحيط به فرسان) هذا نصه :

« أنشأ هذا الشباك والقبة بتربة المرحوم الشهيد الملك حسام الدين بركة خان ، والقنطرة وعلوها والبوابة المباركة والمسقة والحوانيت وعلوهم وخمسة بيوت بدار الوقف الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد بن تمر (نمر) العلائي لطف الله به في مستهل ذي القعدة الحرام سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة » .

غير أن هذا النقش لا يفيد أن التربة كلها بنيت في تلك السنة . والأرجح أن العلائي المذكور بنى القسم الأعظم منها على كل حال . ويرى « فان برشم » أن منشئ التربة الأصلي هي ابنة بركة خان وزوجة الظاهر بيبرس في القرن السابع

بذل الجهد لصيانة المخطوطات والكتب الأصلية وحفظها من التلف .

مبنى المكتبة الخالدية :

تحتل المكتبة داراً أثرية بباب السلسلة ، مقابل الطازية ، هي تربة الأمير بركة خان وولديه ، وقد كان الأمير حسام الدين بركة خان قائد الخوارزمية الذين استدعاهم الملك نجم الدين أيوب لفتح القدس ، وقد استرد هؤلاء القدس من الصليبيين للمرة الأخيرة ، وقتلوا عدداً كبيراً من سكانها النصارى . وواصل حسام الدين المعارك مع الخوارزمية إلى أن قتل في معركة حمص فنقل رأسه إلى حلب وجسده إلى القدس (محرم سنة ٦٤٤) ودفن في تربته ، ثم دفن بعده ولداه بدر الدين محمد بك وحسام الدين كره بك . وفي صحن التربة اليوم ثلاثة قبور عليها شواهد مكتوب عليها أسماء الأمراء الخوارزمية الثلاثة المدفونين فيها على الوجه التالي :

شاهد القبر الأول :

« كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » هذا قبر الفقير إلى رحمة الله تعالى حسام الدين ملك الأمراء البركة خان . توفي في سنة أربع وأربعين وستمائة . غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين » .

شاهد القبر الثاني :

« بسم الله الرحمن الرحيم » « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب » سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » هذا قبر العبد الفقير الراجي رحمة الله وغفرانه حسام الدين كره بك بن بركتخان . نور الله ضريحه . توفي في ثالث ذي الحجة سنة إحدى وستين وستمائة هجرية غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين . وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

شاهد القبر الثالث :

« بسم الله الرحمن الرحيم » « يشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم » خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم » هذا قبر الفقير إلى الله الراجي رحمة وغفرانه

الهجرى ، وأن محمد بن أحمد العلائي أعاد تعمير التربة وزاد عليها . وهذا أمر مرجح . ولا بد من الإشارة في ختام حديثنا عن المكتبة الخالدية إلى أن السلطات الإسرائيلية تطمع في الاستيلاء على المكتبة . وقد ذكر لى السيد حيدر الخالدى قيم المكتبة الخالدية في الوقت الحاضر أن سلطات الاحتلال حاولت مصادرة الدار، وأنه اضطر لهذا السبب إلى مراجعة السلطات الإسرائيلية باعتبار أن الدار من أملاك وقف آل الخالدى ، فألغى أمر المصادرة . ولكن أحدا لا يدري ما يأتى به المستقبل إذا دامت الأوضاع فى القدس على ما هى عليه .

(معاهد العلم فى بيت المقدس - د . كامل جميل العسلى / ٣٧٩ -

٣٨٨) .

* الخالص في الكيمياء (كتاب .) :

كتاب الخالص في الكيمياء : للشيخ جابر بن حيان الطرسوسى وقيل الطوسى إمام علم الكيمياء المتوفى سنة ٢٦٠ ستين ومائتين وذكر فيه أسرار الصنعة .

(كشف الظنون ٢ / ١٤١٥) .

* خالصة :

خالصة فى اللغة خاصة . وقد استعمل هذا اللفظ فى تكوين بعض الألقاب المركبة مثل « خالصة أمير المؤمنين » ، و« خالصة الأنام » ، و« خالصة الدنيا والدين » . انظر كلا تحت عنوانه .

(الألقاب الإسلامية - د . حسن الباشا / ٢٧٣)

* خالصة أمير المؤمنين :

خالصة أمير المؤمنين : لقب قديم كان يعطى على «صفى أمير المؤمنين» وقد أطلق على أبى سلامة محمود بن نصر بن صلح فى نص إنشاء بتاريخ سنة ٤٦٥ هـ على القلعة بحلب . واعتبره ابن شيفى أواخر العصر الأيوبي ضمن الألقاب التى تطلق على كبراء الدولة من الكتاب . وأورده القلقشندي مع «الجناب الكريم» ضمن ألقاب الوزراء ومن فى معانهم .

(الألقاب الإسلامية - د . حسن باشا / ٢٠٠)

* خالصة الأنام :

خالصة الأنام : جعل شهاب الدين بن فضل الله العمرى فى كتابه «عرف التعريف» هذا اللقب أعلى ألقاب الصالحاء من هذا النوع ، وأورده مع «الحضرة الشريفة» التى جعلها أكبر رتبهم ، ومع «الجناب الشريف» و «الجناب الكريم» و «الجناب العالى» ، وجعل دونه «شريف الأنام» ، وأورده مع «المجلس العالى» ، ودونه «زين الأنام» وأورده «مع المجلس السامى» .

(الألقاب الإسلامية - د . حسن الباشا / ٢٧٣) .

* خالصة الحقائق :

انظر : خالصة الحقائق لما فيه من أساليب الدقائق .

* خالصة الحقائق لما فيه من أساليب الدقائق :

جاء فى الكشف : خالصة الحقائق لما فيه من أساليب الدقائق : لأبى القاسم عماد الدين محمود بن أحمد (الفاريابى) المتوفى سنة ٦٠٧ سيع وستمائة .

مجلد أوله : الحمد لله الذى برأ كل حى . . . إلخ . رتب على خمسين باباً وأورد فى كل منها طرفاً من الأخبار والآثار وكلمات الأكابر والحكم والأشعار وفرغ منه فى سنة ٥٩٧ سيع وتسعين وخمسمائة . واختصره على بن محمود بن محمد الرابض البدخشاني وسماه «أخلص الخالصة» لخصه على سبيل الإيجاز والاختصار .

أوله : الحمد لله الأحد القديم السلام . . . إلخ (كشف ١ / ٦٩٩) .

يوجد مخطوطه فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ١٣٧٣٤

لأبى القاسم عماد الدين محمود بن أحمد (الفاريابى) المتوفى سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م

الأول : (يقول العبد المذنب أبو القاسم . . . لما كانت السنة النبوية والسيره الرضية بين السالكين منهج المجاهدين والممسكين عروة . . .) .

وهو كتاب فى غرائب الأخبار، ونوادر الأشعار، والحكم

وقد أدرج تحت الاسم المختصر « خاتمة الحقائق » وجاء
بيانه كما يلي :

خاتمة الحقائق OP 2153

تأليف : أبي القاسم محمود بن أحمد بن أبي الحسن
الفارياي المتوفى سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م .

اسمه الكامل : « خاتمة الحقائق لما فيه من أساليب
الدقائق » وهو كتاب في غريب الأخبار، ونوادير الأمثال، وغرر
المقالات، ودرر الدلالات، ومقامات الزهاد .

قسمه مؤلفه إلى أبواب وفي كل باب أورد أولاً دلالات
أوياب الشريعة وإشارات أصحاب الحقيقة، ثم ثنى بالأخبار
والآثار والحكايات والحكم والنوادر والأشعار حسب ما
يقتضيه مقام الباب .

وجعله من خمسين باباً، أولها : باب العقل والعقلاء ،
وآخرها في المتفرقات، وختم كتابه بفهرس أسماء الكتب
التي استخرج منها حكمه ونوادره وشعره وسائر مادة كتابه .

أوله بعد البسملة : « الحمد لله الذي برأ كل حي ثم دعاه،
وذراً كل شيء ثم أفناه ... » .

آخره : « ... تمت كتابة هذا الكتاب بعون الملك الوهاب
على يد العبد العاصي ... حاجي بن شادي في يوم الثلاثاء من
غرة ربيع الثاني بمدرسة الملكية بقصبة سلومة ... سنة ست
وثلاثين وثمانمائة، اللهم اغفر لمصنفه ولكاتبه ولصاحبه » .

النسخة بحالة عادية وقع فيها خروم قليلة وكتبت بخط
تعليق مفيد بالشكل .

(٣٤٦) ق (٢٦ × ١٧,٥ سم) (١٩ × ١١,٥ سم)
مسطرتها (٢٣ س) الكشف ٤٥٩ / ١ بروكلمان ٣٧٩ / ١ ذيل
بروكلمان ٦٥٢ / ١ (فهرس المخطوطات العربية / ٢٣٨، ٢٣٩) .

ويوجد مخطوط ترجمته التركية في الدار القومية وجاء بيانه
كما يلي :

تأليف الإمام الفارياي (أبي القاسم عماد الدين محمود
ابن أحمد (الفارياي) المتوفى سنة ٦٠٧ هـ) ولم يعلم اسم
المترجم وقد ترجمها باسم مصطفى باشا .

والآثار واللطائف والنصائح الملتقطة من كتب الدين والأدب
والتاريخ، وقد أشار المؤلف إلى المصادر التي اعتمدها والتي
بلغت (٧٠) كتاباً ... فرغ منه المؤلف سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م
ورثه على خمسين باباً .

ذكر المؤلف في ديباجة الكتاب أن له كتاب «مصابيح
الجنان» وكتاب «خلاصة المقامات» .

نسخة نفيسة، ترقى إلى القرن الحادي عشر الهجري/
القرن السابع عشر الميلادي .

ناقصة صفحة واحدة من الأول .

٢٥٤ ص ١١,٥ × ٢٠ سم ٢٩ س
كشف ٦٩٩ / ١، معجم المؤلفين ١٢ / ١٤٥، الأعلام
١٦١ / ٧، ششن ٢ / ٢٧٩ .

(نسخة من الكتاب في مكتبة رشيد أفندي بتركيا برقم
١ / ٣٧٢) .

نسخة أخرى .

الرقم : ٣٦٦ .

أولها : (الحمد لله الذي برأ كل حي ثم دعاه، وذراً كل
شيء، ثم أفناه لا تتمثله الأبصار، ولا تتخيله الأفكار
والظنون ...) .

كتبها بخط النسخ مصطفى بن عبد اللطيف متولى حضرة
الإمام الأعظم سنة ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٥ م عن نسخة المؤلف .

٣٥٠ ص ١٦ × ٢٥ سم ٢٧ س

نسخة أخرى .

الرقم : ٢٨٣٤٨

كتبت سنة ١٠٦٤ هـ / ١٦٥٣ م، بخط النسخ الجيد،
مؤطرة الصفحات في أولها فهرس، مذهبة الأول، تملكها
محمد بن عبد الله بن محمد .

٥٦٦ ص ١٨,٥ × ٢٨ سم ٣١ س

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي / ١٥٥، ١٥٦) .

ويوجد مخطوط في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا ،

أول الترجمة : الحمد لله المتوحد بالعظمة والكبرياء ...

وبعد فهذا كتاب ترجمته من كتاب خالصة الحقائق للإمام الفارياي ... إلخ .

— نسخة مخطوطة في مجلد، بقلم نسخ عادي، تمت كتابتها سنة ١٠٩٦ هـ، في ٢١٥ ورقة، مسطرتها ١٣ سطرا، في ٥، ٢٠ × ١٤، ٥ سم .

(٤ أخلاق تركي طلعت)

(فهرس المخطوطات التركية العثمانية ١/١٩٨)

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١/٦٩٩، ومخطوطات الأدب في المتحف العراقي - أسامة ناصر النقشبندی وظمياء محمد عباس / ١٥٥، ١٥٦، وفهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا - وضعه د. عدنان درويش ٢/٢٣٨، ٢٣٩، وفهرس المخطوطات التركية العثمانية التي اقتنتها دار الكتب القومية منذ عام ١٨٧٠ حتى نهاية ١٩٨٠ م، ١/١٩٨) .

* خالصة الدنيا والدين:

خالصة الدنيا والدين : من الألقاب المضافة إلى « الدنيا والدين » وقد أطلق هذا اللقب على ابنة الملك فخر الدين في نص إنشاء من ح سنة ٦٢٥ هـ في برج الأسوار في بيسرت : «رسمت بعمارت هذا البرج الملك العالمت العادلة خالصة الدنيا والدين افتخار الخواتين ابنة الملك فخر الدين » .

(الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٧٣) .

* الخالصة في الطب:

من مصنفات التراث الإسلامي في علم الطب .

مخطوط في مكتبة المتحف العراقي .

الرقم : ٧٥٨٢ .

كتاب باللغة الفارسية في الأمراض والعلاجات الطبية لم يعلم اسم مؤلفه الذي رتبته في ٢٤ بابا .

الأول « الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وأصحابه أجمعين ... » .

نسخة جيدة كتبت لأجل رضا بك سنة ١٢٦٧ هـ / ١٨٥٠ م .

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي -

أسامة ناصر النقشبندی / ٩٨) .

* الخالق البارئ المصور جل جلاله :

الأسماء الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر من أسماء الله الحسنى . وقد أدرج حجة الإسلام الغزالي الأسماء الثلاثة معا فقال في تفسيرها : الخالق البارئ المصور :

قد يظن أن هذه الأسماء مترادفة، وأن الكل يرجع إلى الخلق والاختراع: ولا ينبغي أن يكون كذلك . بل كل ما يخرج من العدم إلى الوجود فيفتقر إلى التقدير أولا، وإلى الإيجاد على وفق التقدير ثانيا ، وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثا .

والله تعالى : خالق من حيث إنه مقدر... وبارئ من حيث إنه مخترع موجد... ومصور من حيث إنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب .

وهذا كالبناء مثلاً، فإنه يحتاج إلى مقدر يقدر ما لا بد منه من الخشب واللبن ومساحة الأرض وعدد الأبنية وطولها وعرضها . وهذا يتولاه المهندس فيرسمه ويصوره . ثم يحتاج إلى بناء يتولى الأعمال التي عندها يحدث حصول الأبنية . ثم يحتاج إلى مزين ينقش ظاهره، ويزين صورته... ويتولاه غير البناء .

هذه هي العادات في التقدير والبناء والتصوير، وليس كذلك في أفعال الله تعالى . بل هو المقدر والموجد والمزين . فهو الخالق البارئ المصور .

ومثاله الإنسان، وهو أحد مخلوقاته، وهو يحتاج في وجوده أولا أن يقدر ما منه وجوده وأنه جسم مخصوص . فلا بد من الجسم أولا حتى يخصص بالصفات، كما يحتاج البناء إلى الآلات حتى يبنى . ثم لا تصلح بنية الإنسان إلا في الماء والتراب جميعا، إذ التراب وحده يابس محض لا يتشنى ولا يتعطف في الحركات، والماء وحده رطب محض لا يتماسك ولا ينتصب . فلا بد وأن يمزج الرطب باليابس حتى يعتدل، ويعبر عنه بالطين . ثم لا بد من حرارة طابخة حتى يستحكم مزاج الماء بالتراب ولا ينفصل ؛ فلا يتخلق الإنسان من الطين

السبب في علو الكواكب وتسفل الأرض والماء، وسائر أنواع الترتيب في الأجزاء العظام من أجزاء العالم .

ولو ذهبنا نصف أجزاء العالم ونحصىها ، ثم نذكر الحكمة في تركيبها - لطلال . وكل من كان أوفر علما بهذا التفصيل كان أكثر إحاطة بمعنى اسم المصور .

وهذا الترتيب والتصوير موجود في كل جزء من أعضاء النملة ، بل الكلام يطول في شرح صورة العين التي هي أصغر عضو في الحيوان . ومن لم يعرف طبقات العين ، وعدد هيئاتها ، وشكلها ، ومقاديرها ، وألوانها ، ووجه الحكمة فيها - فلن يعرف صورتها ، ولم يعرف مصورها إلا بالاسم المجمل . وهكذا القول في كل صورة حيوان ونبات ، بل في كل جزء من كل حيوان ونبات .

تنبيه : حظ العبد من هذا الاسم أن يحصل في نفسه صورة الوجود كله على هيئاته وترتيبه حتى يحيط بهيئة العالم كله كأنه ينظر إليها .

ثم ينزل من الكل إلى التفصيل فيشرف على صورة الإنسان من حيث بدنه وأعضائه الجسمانية ، فيعلم أنواعها وعددها وتركيبها والحكمة في خلقها وترتيبها . ثم يشرف على صفاته المعنوية ومعانيه الشريفة التي بها إدراكاته وإراداته . وكذلك يعرف صورة الحيوانات ، وصورة النبات ظاهرا وباطنا بقدر ما في وسعه حتى يحصل نفس الجميع وصورته في قلبه .

وكل ذلك يرجع إلى معرفة صورة الجسمانيات وهي مختصرة بالإضافة إلى معرفة ترتيب الروحانيات . وفيه يدخل معرفة الملائكة ، ومعرفة مراتبهم ، وما وكل إلى كل واحد منهم من التصرف في السموات والكواكب ، ثم التصرف في القلوب البشرية بالهداية والإرشاد ، ثم التصرف في الحيوانات بالإلهامات الهادية لها إلى مظنة الحاجات .

فهذا حظ العبد من هذا الاسم ، وهو اكتساب الصورة العلمية المطابقة للصورة الوجودية ؛ فإن العلم صورة النفس مطابقة لصورة المعلوم .

وعلم الله بالصور سبب لوجودها في الأعيان والصور الموجودة في الأعيان سبب لحصول الصور العلمية في قلب الإنسان .

المحض ، بل من صلصال كالفخار . والفخار هو الطين المعمجون بالماء الذي عملت فيه النار حتى أحكمت مزاجه . ثم يحتاج إلى تقدير للماء والطين بمقدار مخصوص ؛ فإنه إن صغر مثلا لم يحصل منه الأفعال الإنسانية ، بل كان على قدر الذر والنمل ؛ فتسفيه الرياح ، ويهلكه أدنى شيء . ولا يحتاج إلى مثل الجبل من الطين ؛ فإن ذلك يزيد على قدر الحاجة . بل الكافي من غير زيادة ولا نقصان قدر معلوم يعلمه الله .

وكل ذلك يرجع إلى التقدير . فهو باعتبار تقدير هذه الأمور ، وباعتبار الإيجاد على وفق التقدير - خالق . وباعتبار مجرد الإيجاد والإخراج من العدم إلى الوجود - باري .

والإيجاد المجرد شيء ، والإيجاد على وفق التقدير شيء آخر . وهذا يحتاج إليه من يبعد رد الخلق إلى مجرد التقدير مع أن له في اللغة وجهها ؛ إذ العرب تسمى الخلق المجرب خالقا ؛ لتقديره بعض الفعل على بعض . ولذلك قال الشاعر :

ولأنت تفـررى مـسا خلقت

وبعض القـوم يخلق ثم لا يفـررى
فأما اسم المصور ؛ فهو له من حيث رتب صور الأشياء أحسن ترتيب ، وصورها أحسن تصوير .

وهذا من أوصاف الفعل ، فلا يعلم حقيقته إلا من يعلم صورة العالم على الجملة ثم على التفصيل ؛ فإن العالم كله في حكم شخص واحد مركب من أعضاء متعاونة على غرض مطلوب منه . وإنما أعضاؤه وأجزاؤه : السموات ، والكواكب ، والأرض ، وما بينهما من الماء والهواء وغيرهما .

وقد رتب أجزاؤه ترتيبا محكما ، لو غير ذلك الترتيب لبطل النظام . فمخصوص بجهة فوق وما ينبغي أن يعلو ، وبجهة السفلى وما ينبغي أن يسفل .

وكما أن البناء يضع الحجارة أسفل الحيطان والخشب فوقها لا بالاتفاق بل بالجملة والقصد لإرادة الإحكام . ولو قلب ذلك فوضع الحجارة فوق الحيطان والخشب أسفلها لانهدم البناء ولم تثبت صورته أصلا . وكذلك ينبغي أن نفهم

والصناعات، التي هي منبع الخيرات - صور وترتيبات يتعلمها الناس بعضهم من بعض، وترتقى لا محالة إلى أول مستنبط وواضع. فكان ذلك الواضع كالمخترع لتلك الصور والخالق المقدر لها، حتى يجوز إطلاق الاسم عليه مجازا.

ومن أسماء الله ما يكون نقلها إلى العبد مجازا، وهو الأكثر. ومنها ما يكون في حق العبد حقيقة، وفي حق الله تعالى مجازا: كالصبور، والشكور. ولا ينبغي أن تلاحظ المشاركة في الاسم وتذهل عن هذا التفاوت الذي ذكرناه (المقصد الأسنى / ٧٢-٧٥).

أما الإمام الفخر الرازي فيقسم بحثه إلى ثلاث مسائل: الأولى والثانية في تفسير اسمه تعالى «الخالق»، والثالثة في تفسير أسمائه الثلاثة: الخالق الباريء المصور.

يقول رحمه الله: القول في تفسير اسمه «الخالق»:

قال تعالى: ﴿هو الله الخالق﴾ [الحشر: ٢٤] وقال تعالى: ﴿خالق كل شيء فاعبدوه﴾ [الأنعام: ١٠٢] وقال تعالى: ﴿هل من خالق غير الله﴾ [فاطر: ٣] وقال تعالى: ﴿بلى وهو الخلاق العليم﴾ [يس: ٨١] وقال تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] وقال تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف: ٥٤] وفيه مسائل.

الأولى: في تفسير الخلق: اعلم أن الخلق جاء في اللغة بمعنى الإيجاد، والإبداع، والإخراج من العدم إلى الوجود، والدليل على أنه جاء بمعنى التقدير وجوه.

الأول: قوله: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] هذه الآية تقتضي كثرة الخالقين، وثبت بالدلائل العقلية والسمعية أنه لا موجد إلا الله تعالى، فوجب حمل الخلق في هذه الآية على التقدير.

الحجة الثانية قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [آل عمران: ٥٩] ومعلوم أن المراد من قوله «كن فيكون» هو الإيجاد والإبداع، وقوله «خلقه من تراب» مقدم عليه، والشئ المتقدم على الإيجاد ليس إلا التقدير، فثبت أن المراد بقوله «خلقه من تراب» هو أنه قدره منه، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ألا له

وبذلك يستفيد العبد بمعنى الاسم المصور من أسماء الله تعالى. ويصير أيضا باكتساب الصور في نفسه كأنه مصور. وإن كان ذلك على سبيل المجاز فإن تلك الصورة إنما تحدث فيه على التحقيق بخلق الله تعالى واختراعه، لا بفعل العبد ولكن يسعى في التعرض لفيضان رحمة الله تعالى عليه؛ فإن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم؛ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا».

(أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط عن محمد بن مسلمة. وقال السيوطي في الجامع الصغير: حديث ضعيف (١: ٣٦٧ - حديث رقم ٢٣٩٨) وقال الهيثمي: فيه من لم أعرفهم، ومن عرفتهم وثقوا (المجمع ١٠: ٢٣١) وللطبراني نحوه عن أنس بن مالك، وإسناد رجاله رجال الصحيح غير عيسى بن موسى بن إياس بن الكبير وهو ثقة).

أما الخالق والباريء، فلا مدخل للعبد أيضا في هذين الاسمين إلا بنوع من المجاز بعيد. ووجهه أن الخلق يرجعان إلى استعمال القدرة بموجب العلم، وقد خلق الله تعالى للعبد علما وقدرة، وله سبيل إلى تحصيل مقدوراته على وفق تقديره وعلمه.

والأمور الموجودة تنقسم إلى ما لا يرتبط حصولها بقدرة العباد أصلا: كالسماء، والكواكب، والأرض، والحيوان، والنبات، وغيرها. وإلى ما لا يرتبط حصولها إلا بقدرة العباد، وهي التي ترجع إلى أعمال العباد: كالصناعات، والسياسات، والعبادات، والمجاهدات.

فإذا بلغ العبد في مجاهدة نفسه بطريق الرياضة وفي سياستها وسياسة الخلق مبلغا ينفرد فيه باستنباط أمور لم يسبق إليها، ويقدر مع ذلك على فعلها والترغيب فيها - كان كالمخترع لما لم يكن له وجود من قبل؛ إذ يقال لواضع الشطرنج إنه الذي وضعه واخترعه؛ حيث وضع ما لم يسبق إليه. إلا أن وضع ما لا خير فيه لا يكون من صفات المدح. وكذلك في الرياضات والمجاهدات والسياسات

الخلق والأمر ﴿ فالخلق هو التقدير، والأمر هو قوله : ﴿ كن فيكون ﴾ .

الحجة الثالثة : أن الكذب في اللغة يسمى خلقا، قال تعالى : ﴿ وتخلقون إفكا ﴾ [العنكبوت : ١٧] . ﴿ إن هذا إلا خلق الأولين ﴾ [الشعراء : ١٣٧] . ﴿ إن هذا إلا اختلاق ﴾ [ص : ٧] والكذب إنما يسمى خلقا، لأن الكاذب يقدر في نفسه ذلك الكذب ويضمه فدل هذا على أن التقدير يسمى بالخلق .

الحجة الرابعة : قوله لعيسى عليه السلام ﴿ وإذ تخلق من الطين ﴾ [المائدة : ١١٠] والمراد التصوير . والتقدير .

الحجة الخامسة : قول الشاعر : [زهير والبيت من الكامل]

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ

ض القسوم يخلق ثم لا يفرى
وأیضا الإسكاف يسمى خالقا، لما أنه يقدر النعل بقالب مخصوص، قال :

ولا يسط بأيدي الخالقين ولا

أيدي الخالق ألا حبذا الأدم
ثبت بهذه الوجوه أن الخالق جاء في اللغة بمعنى التقدير، فلنبحث الآن عن التقدير أيضا ما هو، فنقول : التقدير عبارة عن تكوين الشيء على مقدار معين، ولا بد فيه من أمور ثلاثة .

أحدها : القدرة المؤثرة في وجود ذلك الشيء، ثم إن كانت القدرة بحيث لا يتوقف تأثيرها في المقدور على آلة، كما في حق الله سبحانه وتعالى كان التقدير هو نفس ذلك التحصيل والتكوين، وإن كان يتوقف على آلة مخصوصة كما في حق العبد، فإنه لا يمكنه تصوير الجسم المتباين وتشكيله إلا عند حركات الأصابع فها هنا سميت تلك الحركات القائمة بأصابعه تصويرا وتقديرا .

والثاني : الإرادة المخصصة لذلك الشيء بذلك المقدار المعين، دون ما هي أزيد منه وأنقص منه .

والثالث : العلم بذلك القدر الخاص، وذلك لأن إرادة الشيء مشروطة بالعلم به، ثم إن كان الفاعل عالما بكل المعلومات كان غنيا في حصول ذلك العلم عن الفكرة

والروية، كما في حق الله سبحانه وتعالى، وإن لم يكن كذلك لم يحصل له ذلك العلم بذلك المقدار الموافق للمصلحة إلا بالفكر والروية، فها هنا قد تسمى تلك الفكرة والروية تقديرا وتخليقا، ولكنه على سبيل المجاز، وذلك لأن التقدير عبارة عن إيقاع الشيء على قدر معين، وذلك لا يمكن إلا بعد العلم بأمرين . أحدهما : العلم بذلك القدر، والثاني : العلم بكون ذلك القدر الموافق للمصلحة . وهذان العلمان لا يمكن حصولهما إلا بعد الفكرة فكانت الفكرة شرطا لحصول هذا العلم في حق العبد، وهذا العلم شرط لكون المرید مريدا لإيقاعه على ذلك القدر، ولكون القادر موجدا له على ذلك القدر، فكانت الفكرة شرطا لشرط التقدير لا مطلقا، بل في حق العبد، فبهذا الطريق سميت الفكرة خلقا وتقديرا، هذا هو البحث عن حقيقة التقدير وماهيته . أما بيان أن لفظ الخلق جاء في اللغة بمعنى الإيجاد والإبداع، فيدل عليه وجوه الأول : قوله تعالى ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ [القمر : ٤٩] ولو كان الخلق هاهنا عبارة عن التقدير لصار معنى الآية إنا كل شيء قدرناه بقدر، فيكون تكريرا بلا فائدة .

الحجة الثانية قوله : ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾ [الفرقان : ٢] ولو كان الخلق عبارة عن التقدير لكان معنى الآية : وقدر كل شيء فقدره تقديرا .

الحجة الثالثة قوله تعالى : ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء ﴾ [فاطر : ٣] .

فإن قيل : لم لا يجوز أن يكون المراد نفى خالق غير الله يرزقكم من السماء، وهذا لا يقتضي نفى خالق غير الله ؟

قلنا : بتقدير أن يصح الإيجاد من غير الله لا يمتنع إثبات خالق غير الله يرزقنا من السماء، لأن الملائكة يصدق عليهم كونهم خالقين، ولا يمتنع عليهم أن يرزقوا غيرهم، ولذلك يقال رزق السلطان فلانا كذا إذا ملكه ومكنه من التصرف فيه، فثبت أن هذه الآية تقتضي نفى خالق غير الله، ولا يمكن حمل الخالق هاهنا على المقدر، لما بينا أن في المقدورين كثرة، فوجب أن يكون المراد منه الإيجاد والإبداع .

الحجة الرابعة : قوله تعالى ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] ولا يليق بلفظ الخلق هاهنا إلا الإيجاد :

الحجة الخامسة : قوله تعالى : ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا

خلق الذين من دونه ﴿لَقَمَان: ١٣﴾ ذكر هذا على سبيل الإنكار، وهذا صريح في أن كل من سوى الحق ليس بخالق، فثبت بهذه الدلائل أن الخلق جاء في اللغة بمعنى الإيجاد والإبداع.

المسألة الثانية: زعم أبو عبد الله البصري عن المعتزلة، أن إطلاق اسم الخالق على الله ليس على سبيل الحقيقة؛ لأن الخلق في اللغة عبارة عن الفكرة والروية، وهذا على الله محال، وكان إطلاق اسم الخالق على الله ليس على سبيل الحقيقة، وهذا ضعيف من وجهين.

الأول: أنا بينا أن لفظ الخلق كما ورد بمعنى التقدير، فقد ورد أيضا بمعنى الإيجاد والإبداع، وهذا المعنى ثابت في حق الله تعالى.

الثاني: سلمنا أن الخلق في اللغة عبارة عن التقدير فقط، لكننا بينا أن الفكرة ليست جزء ماهية التقدير؛ بل هي شرط التقدير في حق العبد لا مطلقا، فلا يلزم من انتفاء الفكرة انتفاء التقدير.

المسألة الثالثة: معنى الخالق البارئ المصور: اعلم أن قوله تعالى ﴿هو الله الخالق البارئ المصور﴾ [الحشر: ٢٤] إما أن يكون المراد هو المقدر. أو الموجد، فإن فسرنا الخالق هاهنا بالمقدر حسن انتظام هذه الأسماء الثلاثة على هذا الترتيب، وذلك لأن التقدير يرجع حاصله إلى العلم، فنقول من قدماء الفلاسفة من ظن أنه سبحانه وتعالى لا يعلم الأشياء، بل قالوا: إنه سبحانه آنية معلية، فلفظ الخالق يدل على كونه سبحانه وتعالى عالما بحقائق الأشياء، وبجهات مصالحها.

ومنهم من سلم كونه سبحانه وتعالى عالما بحقائق الأشياء، لكنه يقول الهيولي قديمة، والبارئ يتصرف في فلك الهيولي القديمة، فقوله البارئ رد على هؤلاء فإنه يدل على كونه تعالى موجد لها عن العدم المحض، ومبدع لها عن النفي الصرف.

(الهيولي في الفلسفة المادة الأولى، تنفعل وتحمل الصورة فتتولد الموجودات والجمع هيوليّات)

ومنهم من سلم كونه تعالى عالما بالأشياء، وسلم كونه موجدًا لهذه الذوات، إلا أنه يقول صور النبات والحيوان إنما تصدر عن الطبيعة، فالطبيعة هي التي تصور كل واحد من النبات والحيوان بصورته الخاصة، وخلقته المعينة، فقوله: «المصور» رد على هؤلاء، فالخالق يدل على كمال علمه، والبارئ يدل على كونه موجدًا للذوات لا عن المادة، والمصور يدل على أنه هو الذي صور هذه الأشياء ووضعها بكيفياتها، فمن عرف ربه بهذه الأسماء الثلاثة فقد عرف معبوده بصفات الإلهية، ونعوت الربوبية، فظهر بهذا أن هذا الترتيب في غاية الحسن والفائدة.

ومثاله: أنه سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق الإنسان عاقلا فاهما متحملا لأمانة الله تعالى، مخاطبا، مكلفا، فلا بد وأن يقدر تركيب ذاته بقدر مخصوص وصفات مخصوصة ويؤلف أعضائه على وجه مخصوص مطابق للمصلحة، والحكمة على ما يشتمل عليه كتب التشريع، ثم إذا حصل التقدير على هذا الوجه فلا بد من مادة عنها يتكون بدن الإنسان، وهي الأجسام، ولا بد من صورة بها يتكون بدن الإنسان، وهي الأمزجة والقوى والتركيبات، فهو تعالى «خالق» لأنه هو الذي قدر كل شيء في علمه بالمقدار النافع، الطابق للمصلحة، «و» «بارئ» لأنه أبداع تلك الأجسام، وأخرجها من العدم إلى الوجود، و«مصور» لأنه تعالى هو الذي أحدث المزاج والقوى والتراكيب في تلك الأجسام، فإذا عرفت وجه الكلام في هذه الصورة الواحدة، فاعرف مثله في جميع الأجسام العلوية، وهي الأفلاك والكواكب، وفي جميع الأجسام السفلية وهي العناصر، والمعادن والنبات، والحيوان، وخاصة الإنسان، وتأمل في كيفية تركيباتها، وتأليفاتها، حتى يقع في بحر لا ساحل له، وكل ذلك كالتفسير لكونه تعالى خالقا بارئا مصورا هذا كله إذا فسرنا الخالق بالمقدر.

أما إذا فسرناه بالموجد والمبدع فإنه يصعب تفسير البارئ: فنقول: ذكروا في تفسير البارئ وجوها.

الأول: أن البارئ هو الموجد والمبدع، يقال: برأ الله

إليك» [البقرة: ٢٦٠] أى أملهن؛ وفى حديث عكرمة «وحملة العرش كلهم صور» يريد جمع أصور، وهو مائل العين، فالصورة هى الشكل المائل إلى الأحوال المطابقة للمصلحة والمنفعة.

والثانى: أن الصورة مأخوذة من صار يصير، ومنه قولهم: إلى ماذا صار أمرك، ومادة الشيء هى الجزء الذى باعتباره يكون الشيء يمكن الحصول، وصورته هى الجزء الذى باعتباره يكون الشيء حاصلًا كائنًا لا محالة، فلا جرم كانت الصورة منتهى الأمر ومصيره.

إذا عرفت هذا فنقول: لا شك أن الأجسام متساوية فى ذاتها، ويرى كل جسم مختصا بصورة خاصة، وشكل خاص، والذوات المتماثلة إذا اختلفت فى الصفات كانت تلك الصفات جائزة لعدم الوجود، والجائز لا بد له من مرجح ومخصص فافتقرت الأجسام بأسرها فى صورها المخصصة، وأشكالها المخصصة إلى مخصص قادر، وهو الله سبحانه فثبت أنه سبحانه وتعالى هو المصور، ثم إنه سبحانه خص صورة الإنسان بمزيد العناية، كما قال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤] و [التغابن: ٣] وقال تعالى: ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ بِمِنْهَاجٍ مِنْ تَحْتِهَا مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ وَبَرٍ﴾ [البقرة: ١٣٨] وقال بعد أن شرح خلق الإنسان: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] هذا هو الكلام فى تفسير هذه الأسماء الثلاثة.

المسألة الرابعة: فى كلام المشايخ فى اسمه الخالق والبارئ والمصور: فى هذه الأسماء قالوا: الخالق هو الذى بدأ الخلق بلا مشير، وأوجدها بلا وزير، وقيل: الخالق الذى ليس لذاته تأليف، ولا عليه فى قوله تكليف، وقيل: الخالق الذى أظهر الموجودات بقدرته، وقدر كل واحد منها بمقدار معين بإرادته، وقيل: الخالق الذى خلق الخلق بلا سبب وعلة، وأنشأها من غير جلب نفع ولا دفع مضرة.

حكى عن جعفر بن سليمان أنه قال: مررت بعجوز مكفوفة تنوح على نفسها فقلت لها: ما معاشك؟ فقالت: دع هذه الفضول، بلغت هذا المبلغ فما أحوجنى إليك ولا إلى

الخلق يبرأهم، والبرية الخلق، فعيلة بمعنى مفعولة، وأصله الهمز إلا أنهم اصططلحوا على ترك الهمزة فيه قال أبو عبيده الهروى: العرب تترك الهمزة من خمسة أحرف: البرية وأصلها برأت، والروية وأصلها رأوت، فى هذا الأمر، والخابية وأصلها خبات والنسوة وأصلها نبات، والذرية وأصلها ذرات، فعلى هذا التقدير لا فرق بين الخالق والبارئ، وهما لفظان مترادفان وَرَدًا فى معنى واحد.

الوجه الثانى: أن أصل البرء القطع والفصل، قال الأخفش: يقال برت العود وبروته إذا قطعت ونحته، وبريت القلم بغير همز إذا قطعت وأصلحته، ويقال: برأت من المرض أبرأ برأ وبريت أيضا من المرض أبرأ، ويقال برأت من فلان ودعواه أبرأ براءة، وبرأ الرجل من شريكه، وبرأ الرجل من امرأته إذا فارقها، إذا عرفت هذا فنقول إنه تعالى خالق بمعنى أنه موجد للذوات والأعيان، وبارئ بمعنى أنه فصل بعض الأشخاص عن بعض، ومصور بمعنى أنه هو الذى يصور كل واحد من الأشخاص بصورته الخاصة، وعلى هذا الوجه ظهر الفرق بين هذه الأسماء الثلاثة.

الوجه الثالث: أن البارئ مشتق من البرى وهو التراب، هكذا قاله ابن دريد، والعرب تقول بفيه البرى أى التراب، فالخالق يدل على أنه تعالى أوجد الأشياء من العدم، والبارئ يدل على أنه تعالى ركب الإنسان من التراب، كما قال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥] ومصور من حيث إنه أعطاه الصورة المخصصة، كما قال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤] و [التغابن: ٣].

قال أبو سليمان الخطابى: ولللفظة البارئ اختصاص بالحيوان أزيد مما لسائر المخلوقات، فيقال برأ الله الإنسان، وبرأ النسم، ولا يقل برأ الله السماء والأرض، وكانت يمين على بن أبى طالب عليه السلام التى يحلف بها؛ والذى فلق الحبة، وبرأ النسمة، وهذا يؤيد قول ابن دريد، وأما المصور فهو مأخوذ من الصورة.

وفى اشتقاق لفظ الصورة قولان:

الأول: من الصور وهو الإمالة قال تعالى: ﴿فَصَرِّهْنِ

غيرك . ثم قالت أما سمعت قول الخليل عليه السلام : ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ * والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء : ٧٨ - ٨٠] .

أما البارئ فقالوا : من عرف أنه البارئ لم يكن للحوادث في قلبه أثر، ولا للشواهد على سره خطر، وقيل : من عرف أنه البارئ تبرأ عن حول نفسه وسطوته، ولا يمين على الحضرة بعبوديته وطاعته، وقيل من عرف أنه البارئ فنى عن مساكنة الأغيار، وسقط عن سره ملاحظة الآثار، وقيل : من عرف أنه البارئ تبرأ عن المحظور، والتجأ إلى الملك الغفور.

أما المصور فقالوا : إنه الذي سوى قامتك، وعدل خلقتك، قال تعالى : ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين : ٤]، وقيل : المصور من زين الظواهر عموماً، ونور السرائر خصوصاً، وقيل المصور الذي ميز العوام من البهائم بتسوية الخلق، وميز الخواص من العوام بتصفية الخلق.

واعلم أنه تعالى كما زين الظواهر بالصورة الحسنة، زين البواطن أيضاً بالسيرة الحسنة، وبهذا المعنى قال تعالى في تعظيم العلم : ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ [النساء : ١١٣]، وقال في تعظيم الخلق : ﴿وإنك لعلی خلق عظیم﴾ [القلم : ٤] فالمرء مشهور بخلقه، مستور بخلقه .

قال يحيى بن معاذ : إذا سكت فأنا من الناس واحد، وإذا نطقت فأنا في الناس واحد، ولهذا قيل : المرء مخبوء تحت لسانه .

وقال عليه الصلاة والسلام «ما واحد خير من ألف مثله إلا الإنسان» .

المسألة الخامسة : حظ العبد من هذه الأسماء الثلاثة قليل، أما الخالق فقد رجع حاصله إلى العلم، وأما البارئ فقد رجع حاصله إلى القدرة، فحظ العبد من الأول تكميل القوى النظرية بمعرفة الحقائق، ومن الثاني تكميل القوة العملية بمحاسن الأخلاق، وإليهما الإشارة بقول الخليل : ﴿رب هب لي حكماً﴾ [الشعراء : ٨٣] إشارة إلى تكميل القوى النظرية ﴿والحقني بالصالحين﴾ إشارة إلى تكميل القوة العملية، فإذا

صار هكذا فقد صار تاماً في ذاته تماماً يليق بالبشرية، فيجب بعده أن يشتغل بتكميل غيره، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿قل هذه سبيلي﴾ [يوسف : ١٠٨] وهذا هو حظ العبد من اسمه المصور، لأنه بإرشاده يصور الحق في عقول الخلق (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٠٢ - ٢١١).

وفي منظومته الموسومة بالفرائد في علم العقائد يسوق الشيخ معروف النودهى «فريدة في افتقار العالم إلى صانع هو الله تعالى عز وجل» وهذه أبياتها :

أشهد من صميم قلب جـازم
معتقد أن لا غنى للعالم
عن صانع أخرجه من العدم
إلى الوجود ذى بقاء وقدم
وواجب وجوده بالذات
متصف بقدام الصفات
حى عليم متكلم قدير
شاء مسريسد وسميع وبصير
وأن ذاك الصانع الإله
ليس لسه من خالق سواه
أبدعه بلا مثال سابق
وذاك عكس عمل الخلاق
من غير حاجة له إليه
أو موجب أوجب عليه
فكم دليل قاطع قد نطقا
بأنه هو الغنى مطلقا
بذاته العليا وأن البسارى
فاعل ما يشاء باختيار
لكن قديم علمه به سبق
من أجل هذا خلق الذى خلق
وليس من إبداع مصنوعات
من حوادث بعارض فى ذاته

لم يكتسب بصنععه من زين

ولم يـُـذد بفعلـه من شين

(الأعمال الكاملة ق ٥ / ٧٩ - ٨١)

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى -
دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ٧٢ - ٧٥، وشرح أسماء الله
الحسنى للإمام فخر الدين الرازى - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه
عبد الرؤوف سعد / ٢٠٢ - ٢١١، والأعمال الكاملة للشيخ معروف
النودى - دراسة وتحقيق السيد بابا على بن الشيخ عمر القرداغى وزميليه .
المجموعة الأصولية ق ٥ / ٧٩ - ٨١ . انظر أيضا ولله الأسماء الحسنى
فادعو بها - جمع وترتيب أحمد عبد الجواد . قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد
الحليم محمود، وشعبان على خليل عبد الرحمن ، ومحمد المهدي
محمود على / ٤٤ - ٥٣) .

* ابن خالویه (۲۷۰ھ / ۸۸۰م):

قال عنه القفطي :

هو أبو عبد الله الحسين بن محمد النحوي اللغوي، من أهل همدان، ودخل بغداد، وأدرك أجلة العلماء بها؛ مثل أبي بكر بن الأنباري وابن مجاهد وأبي عمر الزاهد وابن دريد، وقرأ على أبي سعيد السيرافي، وكان متصرا له على أبي علي الفارسي، وانتقل إلى الشام، وصحب سيف الدولة ابن حمدان، وأدب بعض أولاده. تصدر بحلب وميافارقين وحمص للإفادة والتصنيف، وعاش بعد سيف الدولة في صحبة ولده شريف وغيره من آل حمدان، ومات بحلب في سنة سبعين وثلاثمائة.

وله من التصانيف : كتاب «الاشتقاق» . كتاب «المُجمل»
 فى النحو. كتاب «اطرغش» . (يقال : اطرغش المريض
 اطرغشاشا ؛ إذا برىء ، واطرغش من مرضه ؛ إذا قام وتحرك
 ومشى ، ومُهر مطرغش : ضعيف تضطرب قوائمه ، واطرغش
 القوم ؛ إذا غيئوا وأخصبوا) . كتاب «القراءات» . كتاب «إعراب
 ثلاثين سورة من القرآن العزيز» (طبعته دار الكتب المصرية
 بمطبعتها سنة ١٣٦٠) . كتاب «المقصود والممدود» . كتاب
 «المذكر والمؤنث» . كتاب «الألقاب» (فى مرآة الجنان
 وكشف الظنون : «الألقاب») . كتاب «الأسد» . كتاب

«ليس». كتاب «تقنية ما يختلف لفظه واتفق معناه لليزيدى». كتاب «المبتدأ» فى النحو. كتاب «شرح المقصورة». كتاب «اشتقاق خالويه». كتاب «تذكرته»، وهو مجموع، ملكته بخطه (وذكر له اليافعى من المؤلفات كتاب «الآل»).

وذكره شيرويه في علماء همذان فقال : «الحسين بن محمد بن خالويه، أبو على الأديب . رفيق عبد الرحمن بن حمدان الجلاب بالشام . روى عن ابن دريد والصولي وغيرهما . روى عنه أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ، وقال : رأيته بيت المقدس ، وكان إماما ، أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام العلم والأدب ، وكان إليه الرحلة من الآفاق . سكن حلب ، وكان آل حمدان يكرمونه ، ومات بها - رحمه الله » .

وذكره اللحجى اليمنى فى كتاب «الأترجة» عند ذكره ابن الحائك اليمنى، ووصف شعر ابن الحائك، وقال: «ومن الشاهد على ذلك أن الحسين بن خالويه الإمام لما دخل اليمن ونزل ديارها، وأقام بها شرح ديوان ابن الحائك، وعنى به، وذكر غريبه وإعرايه».

قال القفطي: ولم أعلم أن ابن خالويه دخل اليمن إلا من كتاب «الأترجة» هذا، وهو كتاب غريب قليل الوجود، اشتمل على ذكر شعر اليمن في الجاهلية والإسلام، إلى قريب من زماننا هذا، وما رأيت به نسخة ولا من ذكره؛ إلا نسخة واحدة جاء في كتب الوالد، أحضرت بعد وفاته من أرض اليمن (إنياء الرواة / ١ - ٣٢٤ - ٣٢٦).

ولابن خالويه مع المتنبى مناظرات وكان كوفي النزعة،
 قصير الباع فى النحو، طويله فى اللغة، يشهد بذلك ما ساقه
 فى انتصاره لثعلب عند رده الاعتراضات العشرة التى فند بها
 الزجاج نصف كتابه «الفصيح». وقد ذكر السيوطى ردود ابن
 خالويه مبسوطه بعد ذكر اعتراضات الزجاج فى الأشباه
 والنظائر (الفن السابع) فى الجزء الرابع. وغير خاف أن للنزعة
 الكوفية فى نفس ابن خالويه أثرها فى الدفاع عن ثعلب (نشأة
 النحو/ ٢٠٠).

ترجمته في إشارة التعيين الورقة ١٦ - ١٧ ، وأعلام النبلاء

الصحاري والبراري، ليس التوكل بالجلوس إلى السواري على البواري، والانتظار لأكلة تأتلك من قبل الجراري (٢) ثم خرج فخرجت أطلبه وأسأل عنه فلم يعطني إنسان خبره وخرجت من الكوفة فدخلت قصر هبيرة.

نسخة قديمة بخط المؤلف عليها سماعات في سنة ٦٠٠ و ٦٦٢ و ٧٢٧ و ٩٠٠

٢٠ ق ٢٠ س ٢٠، ٥ × ١٥ سم
(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الأدب - وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس / ١ / ١٩٣، ١٩٤).

* الخان :

وهي وظيفة من وظائف كبار الأمراء بالهند، وفي نصوص أوردها القلقشندي « وبها الجمال قليلة لا تكون إلا للسلطان وأتباعه من الخانات والأمراء » و « وأن أعلى عسكره الخانات ثم الملوك ثم الأمراء، ثم الاسفهلارية ثم الجند » (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١١٥).

والخان : لقب تركي يطلق على شيوخ الأمراء في قبائل الترك منذ القرن الأول أو الثاني الهجري، ومعناه الرئيس؛ وربما قيل لهم أيضا « قان » أو « خاقان » (انظر «الخاقان») وقد أطلق هذا اللقب بعد ذلك على الولاة من المغول الذين كانوا يعترفون بتبعية ولو اسمية لسيد الأسرة الأعظم الذي أطلق عليه « الخاقان » أو « القاف » وقد ذكر ابن بطوطة في رحلته أن « خان » كان لقب السلطنة عند ملوك المغول في فارس والعراق.

وقد دخل هذا اللقب في العالم الإسلامي عن طريق خانات التركستان: فأطلق على الأمير نصر بن علي في سكة بتاريخ سنة ٣٩٠ هـ من بخاري، وفي أخرى من فرغانة بتاريخ سنة ٣٩٩ هـ؛ ثم أطلق على علاء الدين أبي الفتح محمد بن تكش خوارزم شاه في سكة بتاريخ سنة ٦١٠ هـ من سمرقند. ومن ثم انتقل إلى بعض أنحاء العالم الإسلامي مع الترك والتتار كعلم على السلطنة: فأطلق على أبي الفتح طغرل السلطاني في نص إنشاء بتاريخ سنة ٦٤٠ هـ في باري دركاء في بهار في الهند وعلى أبي المكارم « تاتارخان » في نص

٤ / ٥٤ - ٥٦، وبغية السوعة / ٢٣١، ٣٣٢، وتلخيص ابن مكتوم / ٦٢، وابن خلكان / ١ / ١٥٧، ١٥٨، وروضات الجنات / ٢٣٧، وشذرات الذهب / ٣ / ٧١، ٧٢، وطبقات الشافعية / ٢ / ٢١٢، ٢١٣، وطبقات ابن قاضي شهبة / ١ / ٣١٧ - ٣١٩، والفلاكة والمفلوكين / ١ / ١٠١، ١٠٢، والفهرست / ٨٤، وكشف الظنون / ١٢٣، ٦٠٢، ١٣٩٧، ١٤٥٤، ١٤٦١، ١٨٠٨، ومرآة الجنان / ٢ / ٣٩٤، والمزهر / ٢ / ٤٢١، ٤٤٦، ومسالك الأبصار ج ٤ مجلد ٢ / ٢٤٣، ٢٤٤، ومعجم الأدباء / ٩ / ٢٠٠، ٢٠٥، والنجوم الزاهرة / ٤ / ١٣٩، ونزهة الألباء / ٣٨٣ - ٣٨٥، وبيمة الدهر / ١ / ٨٨، ٨٩؛ وهو في جميع هذه الكتب، عدا تلخيص ابن مكتوم مذكور باسم «الحسين بن أحمد» (إنباه الرواة / ١ / ٣٢٤).

(إنباه الرواة للقفطي - بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم / ١ / ٣٢٤ - ٣٢٦، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس في ثنايا النص، ونشأة النحو - الشيخ محمد الطنطاوي / ٢٠٠)

* الخامس من الأحاديث والأخبار والحكايات:

من مصنفات التراث الإسلامي في الأدب مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٤٥٤١ جمع عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م

(ترجمته في بروكلمان الذيل ١ : ٦٠٥ والأعلام ٤ / ١٦٠ ومعجم المؤلفين ٥ / ٢٧٥ و ١٣ / ٣٩٨)

أوله : «أخبرنا أبو المعالي عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن صابر السلمي الدمشقي بها، أنا الشريف أبو القاسم علي بن إبراهيم بن العباس العلوي الحسيني، أنا أبو الحسين رشأ بن نظيف بن ما شاء الله المعدل، أنا أبو محمد الحسن بن إسماعيل الغساني ...

كتب رجل إلى بعض الزهاد: أنا أكرمك الله رجل من إخوانك قد أوثقتني ذنوبي وكثرت عيوبي فأخبرني كيف يقف ذو اللب علي ما ينفعه ...»

آخره : « ... فدخل ليدعوني فقال لي : يا مدعي التوكل في

إنشاء بتاريخ سنة ٦٦٥ هـ في ضريح شاه فضل الله في بهار في الهند (الألقاب الإسلامية / ٢٧٤).

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١١٥
عن صبح الأعشى للقلقشندي ٥/ ٨٢، ٩١، والألقاب الإسلامية -
د. حسن الباشا / ٢٧٤).

* خان الخليلي (أبواب الغوري) ٩١٧هـ / ١٥١١م. أثر ٥٣، ٥٤، ٥٥:

لما أسس جوهر الصقلي القاهرة وبنى القصر الشرقي الكبير أنشأ بجواره تربة تضم رفات الخلفاء الفاطميين أسلاف المعز وخلفائه وذرائعهم من بعده « سميت تربة الزعفران » وهذه التربة كانت تشغل المكان المعروف الآن « بخان الخليلي » نسبة إلى الأمير « جهاركس الخليلي » أمير أخور السلطان الظاهر برقوق (دليل موجز / ١٨٥) أى رئيس الإسطبلات وكانت من الوظائف الكبرى (أسماء ومسميات / ٣٧٤).

يقول المقرئ:

خان الخليلي : هذا الخان بخط الزراكشة العتيق كان موضعه تربة القصر التي فيها قبور الخلفاء الفاطميين المعروفة بتربة الزعفران . أنشأه الأمير جهاركس الخليلي أمير أخور الملك الظاهر برقوق وأخرج منها عظام الأموات في المزابل على الحمير وألقاها على تلال البرقية هوانا بها فإنه كان يلود به شمس الدين محمد بن أحمد القليجي وقال له إن هذه عظام الفاطميين وكانوا كفارا رفضة فاتفق للخليلى فى موته أمر فيه عبدة لأولى الألباب وهو أنه لما ورد الخبر بخروج الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب ومجىء الأمير منطاش نائب ملطية إليه ومسيرهما بالعساكر إلى دمشق أخرج الملك الظاهر برقوق خمسمائة من المماليك وتقدم لعدة من الأمراء بالمسير بهم فخرج الأمير الكبير أيتمش الناصرى والأمير جهاركس الخليلي هذا والأمير يونس الدوادار والأمير أحمد بن يلبغا الخاصكى والأمير نذكار الحاجب وساروا إلى دمشق فلقبهم الناصرى ظاهر دمشق فانكسر عسكر السلطان لمخامرة ابن يلبغا ونذكار وفر أيتمش إلى قلعة دمشق وقتل الخليلي فى يوم الإثنين حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وسبعمئة

وترك على الأرض عاريا وسوءته مكشوفة وقد انتفخ وكان طويلا عريضا إلى أن تمزق وبلى عقوبة من الله تعالى بما هتك من رمم الأئمة وأبنائهم .

ولقد كان عفا الله عنه عارفا خبيرا بأمر دنياه كثير الصدقة ووقف هذا الخان وغيره على عمل خبز يفرق بمكة على كل فقير منه فى اليوم رغيفان فعمل ذلك مدة سنين ثم لما عظمت الأسعار بمصر وتغيرت نقودها من سنة ست وثمانمئة صار يحمل إلى مكة مال ويفرق بها على الفقراء . (المواعظ والاعتبار ٩٤ / ٢)

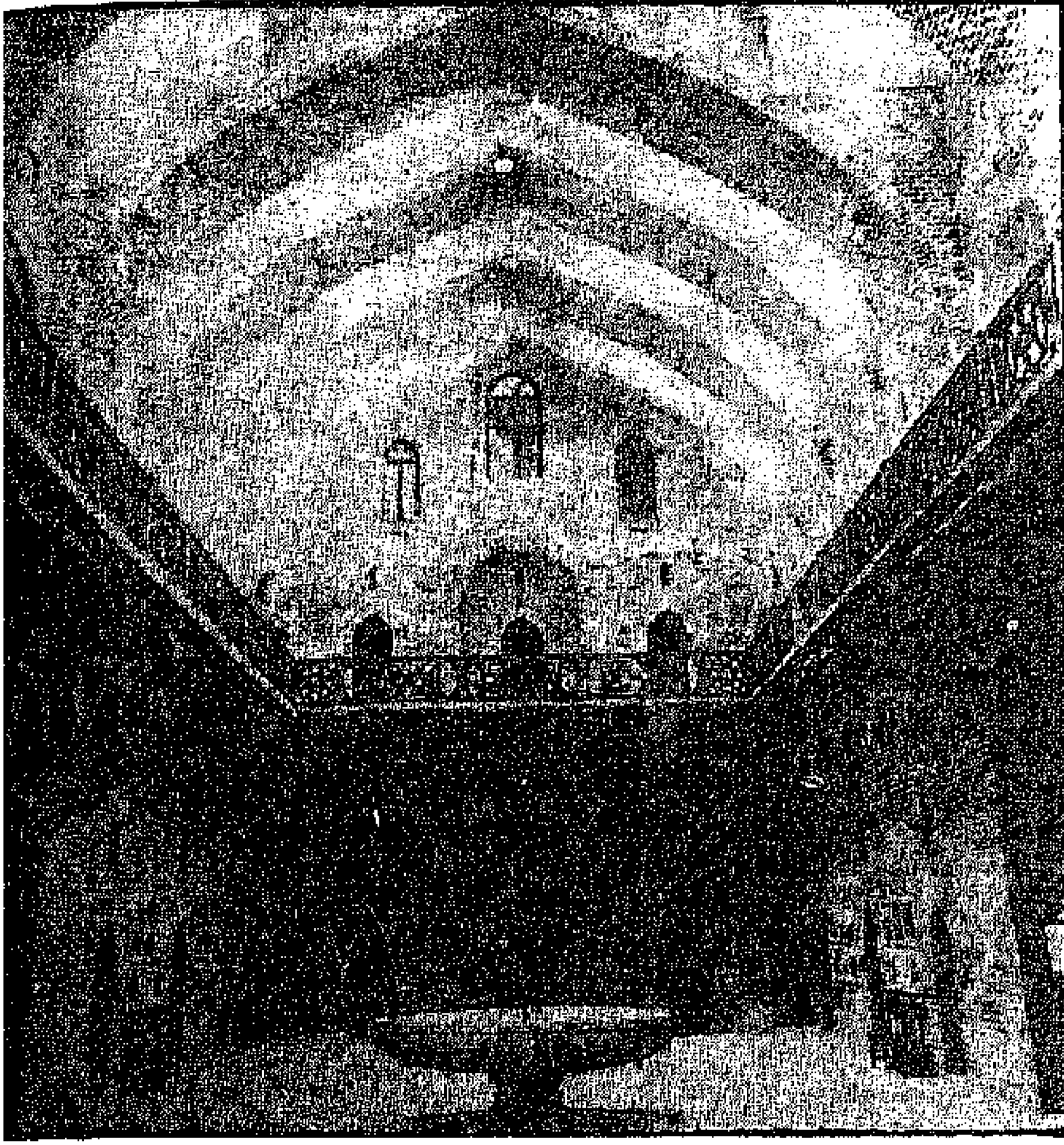
(دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة - محمود أحمد / ١٨٥،
وأسماء ومسميات من مصر القاهرة - محمد كمال السيد محمد / ٣٧٤،
والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقرئ / ٩٤ / ٢).



- خان الخليلي في القاهرة . نقلا عن هاي

* خان مرجان ١٣٥٩:

خان مرجان ببغداد شيده عام ١٣٥٩ أمين الدين مرجان حاكم بغداد فى عهد السلطان أويس الجلائرى : وذلك خلال عصر الإيلخانات بالعراق وقد اتخذ ظل الحكم العثمانى إدارة للجمارك . وبعد طول المبنى ومسقطه الصليبي الشكل أمرا



خان مرجان

قالت المؤلفة : يستخدم خان مرجان الآن مطعمًا سياحيًا، وقد قمنا بزيارته يوم السبت ١٤ جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م وتناولنا به الشاي، حيث كانت الزيارة في الصباح، وهو أثر مبهر حقًا.

(القيم الجمالية في العمارة الإسلامية - د. ثروت عكاشة / ٢٢٤، ومطعم خان مرجان. المؤسسة العامة للسياحة. المنشأة العامة لإدارة المرافق السياحية / ١).

* الخانات :

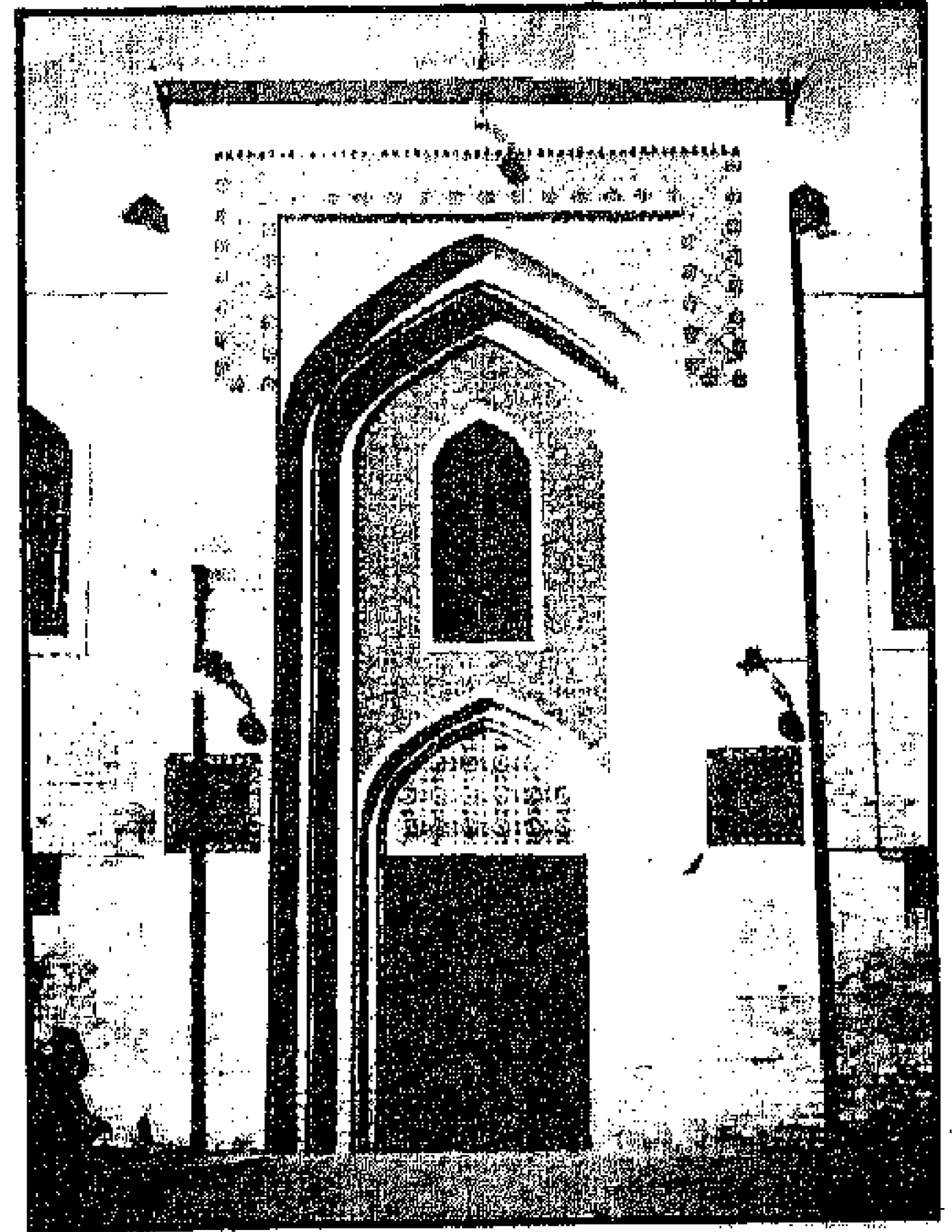
وتسمى الوكالات، وهي مخصصة لإقامة المسافرين وقوافل التجار، وكانت ذات مداخل ضخمة وصحن تربط فيه الدواب، وحواصل مفتوحة على الصحن لإيداع البضائع، والأدوار العليا للسكن وتفتح الحوانيت على الشارع (الفن الإسلامي / ١٢٤).

والخان : لفظة فارسية الأصل، أطلقت على مكان مبيت المسافرين وأول نص تقع عليه فيه يعود لعام ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م، محفوراً على الحجر يؤرخ تأسيس خان العقبة.

غير معهود في الخانات التي كانت تبني داخل المدن آنذاك على ما يشهد به استقراء أوصاف تلك المباني التي تركها لنا الكتاب والمؤرخين. فعلى الرغم من كثرة المادة الوصفية لهذا الطراز من الأبنية في وقفيات القرنين الثالث عشر والرابع عشر إلا أنه لم تبق لنا نماذج منها.

وقد أسس مرجان في الوقت نفسه مدرسة يحتلها الآن جامع مرجان ومستشفى، وأوقف الخان عليهما (جدد بناء هذه المدرسة مرارًا ولم يبق منها سوى باب ومئذنة) وينفرد هذا الخان بأسلوب تسقيفه بأقواس وعقود فيما بينها يبلغ ارتفاع سقف البهو ١٤ متراً، ويتألف من بهو مستطيل (٢٩,٧٢ متراً × ١٠,٧٠ أمتار) من حوله غرف للتجار في طابقين، ويبلغ ارتفاع سقف البهو أربعة عشر متراً، وقد اتخذ هذا البناء متحفاً للآثار العربية منذ عام ١٩٣٧ (القيم الجمالية / ٢٢٤).

ويحتوي الطابق الأول على ٢٢ غرفة، والثاني على ٢٣ غرفة، وفي أبواب الطابق الأرضي يؤدي البروز الأجرى وظيفته الجمالية المثلى... سلسلة من مشكاوات مقوسة تنحدر منها الزخارف المقرنصة تفصل ما بين الطابقين وتعد من أنفس آثار الزيارة في بناء الخان (مطعم خان مرجان / ١).



خان مرجان

يقول الدكتور عبد الرحيم غالب :

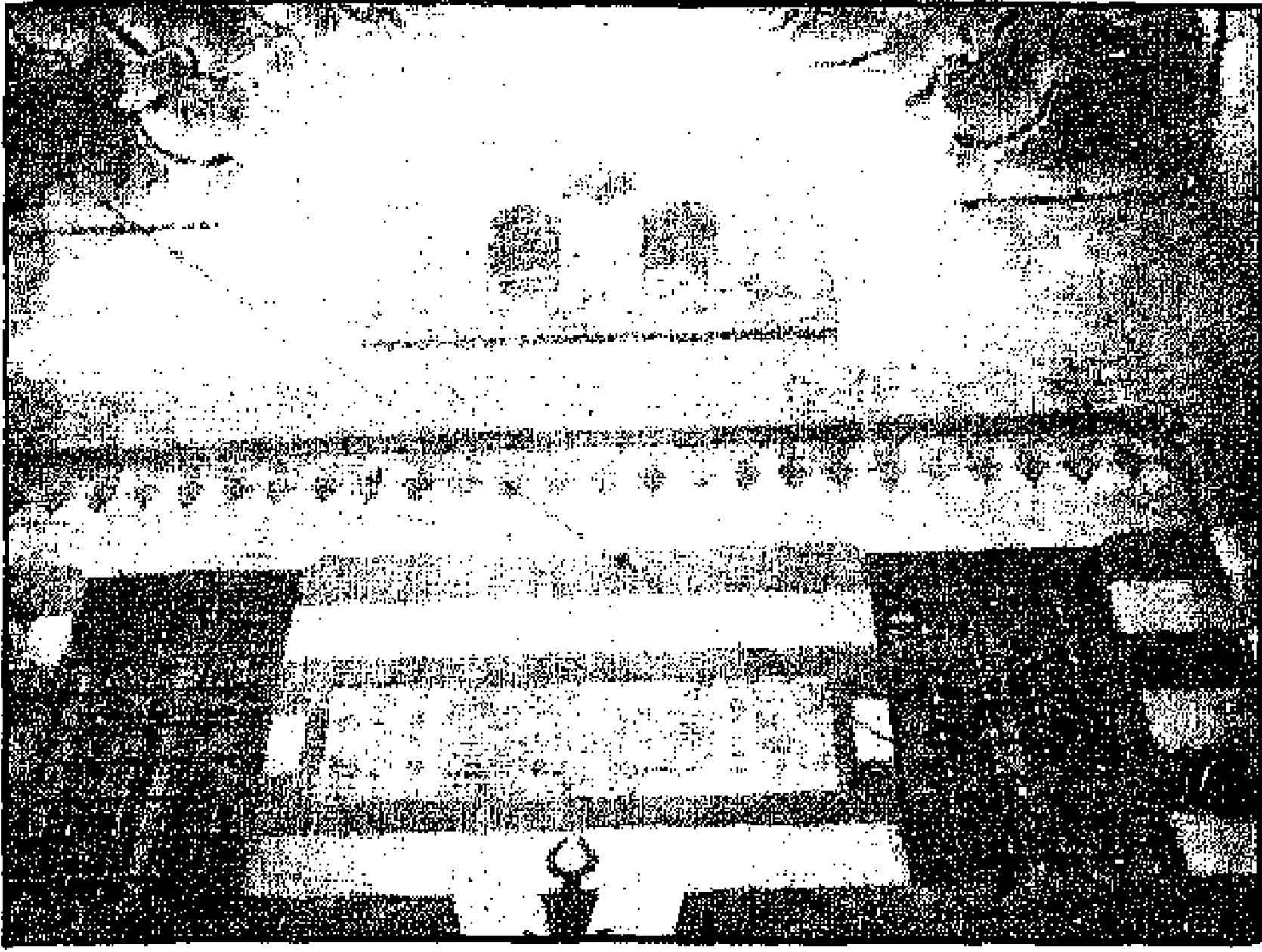
والخانات نوعان : الأول أقيم على طرق السفر، خارج المدن المتباعدة، والثاني داخلها .

النوع الأول : كان يبنى باديئ الأمر على منابع المياه ومجاري الأنهار، يبتعد الواحد عن الآخر مسيرة نهار، أي ما يقارب الثلاثين كيلو مترا كان الخان يقدم الخدمات للتجار والرحالة والمسافرين كافة، ويوفر لهم الراحة ويجنبهم مشقة السفر ليلا ومخاطره . وكان يضم مستودعات لحفظ البضائع واصطبلات مختلفة لإيواء العربات، وأنواع الحيوانات التي لا تتجانس في المزارب : فالخيول تأنف من روائح الإبل والبغال ولا تساكن الحمير . وكانت الاصطبلات مجهزة بلوازم لإصلاح المركبات ومعدات للعناية بالدواب ورعايتها . وإلى جانب تلك المرافق والخدمات ، هناك الحوض ، في وسط الصحن ومشرب البهائم ، والفرن ، والمصلى ، وكذلك الحمام . وقد استعملت في بناء الخانات مواد تغيرت مع المواقع ، فقد تكون من طين أو من قرميد مشوي أو نىء ، في العراق وإيران ومصر ، أو من حجارة كلسية أو بازلتية ، في الشام وتركيا . أما من حيث التصميم فكان مربع المسقط ، إجمالا ، وغالبا بطبقتين اثنتين ، تحتل أركانه أبراج للمراقبة والدفاع . وقد يحيط به سور خارجي مدعم وبوابة مصفحة ضخمة محكمة الإغلاق ليلا وكأنه حصن صغير وكانت غرف المسافرين موزعة بين الطبقتين أو في العليا فقط . وفي بعض الخانات المتواضعة كانت قاعة النوم مشتركة يرقد فيها المسافرون ، على منصات (دشكات) مرتفعة عن الأرض وكانوا عليها يجلسون ومن الملاحظ أن خانات السهول كانت أوسع من خانات الجبال . كما كانت خانات البلاد الباردة تخلو من الصحن المكشوف . ولقد أخذت الخانات إجمالا بعد انتشار الإسلام تصميمين رئيسيين : الأول إيراني بقاعات متطاولة موازية للصحن المركزي . ولكن هذا التصميم ما لبث أن أخذ شكل الأواوين . وقد احتلت البوابة في عمارته مركزا على جانب كبير من الأهمية . أما التصميم الثاني فهو بأربعة أضلاع وصحن مركزي تحيط به الأروقة ، قديم العهد ، ويعرف بالطراز البحر — متوسطي . ومع هذين الشكلين العامين كانت هناك

صفات تميزت بها الخانات السلجوقية الفخمة في إيران والأناضول ، والأيوبيه في سوريا ، والمملوكية في سوريا ومصر ، والإيلخانية والصفوية في إيران ، والعثمانية في آسيا الصغرى ، وخانات طرق الحج . وكان عددها في سوريا وإيران والأناضول في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، مئة وتسعة عشر . وقد قامت حول بعضها تجمعات سكنية أصبحت مدنا فيما بعد ، كجسر الشغور وخان العسل في سوريا وخان يونس في مصر وكثير غيرها . أما أقدم خان أقيم على طرق المسافرين في الإسلام فهو قصر الحير الشرقي من الطراز البحر أوسطي ، في بادية الشام على بعد خمسة وستين كيلو متر جنوبي تدمر على مفترق طرق يؤدي إلى «مبادين» على الفرات و «تدمر» و «حمص» و «الرصافة» ومنها إلى «حلب» باتجاه الغرب و «البصرة» و «بغداد» باتجاه آخر (موسوعة العمارة الإسلامية / ١٥٢ ، ١٥٣) .

وهذه هي خانات القوافل أو خانات الطرقات التي يقول عنها الدكتور ثروت عكاشة :

وشاع نوع هام من المباني في إيران وفي بلاد الأناضول منذ عهد السلاجقة ، هو خانات القوافل التي كان القصد منها إيواء التجار المسافرين وحراستهم في بعض الأحيان حينما يضطرون إلى المبيت في الطريق بين مدينتين ، وكانت هذه الخانات تدعى في إيران باسم «الرباط» ومن الثابت أن مباني مماثلة أقيمت على طول طريق نهر الفرات المتجه إلى الشرق في ظل الإمبراطورية الرومانية ، غير أن أقدم ما بقي منها حتى الآن هو «خان دايا خاتون» بآسيا الوسطى السوفيتية على مقربة من مرو . وعلى الرغم من أن الحفائر الجارية لم تكشف لنا بعد عن التخطيط الكامل للمبنى ، إلا أن المعلومات المتوفرة حتى الآن تقرر أن مسقطه كان صليبي الشكل ذا أربعة إيوانات تطل على فناء فسيح . وتتكون هذه الإيوانات من طابقين أو ثلاثة من الغرف تتوسطها عدة ممرات أو أروقة مواجهة للفناء كذلك . وأمام كل إيوان منها موقد ليطهو النزلاء طعامهم فوقه . ولم يكن هناك يد من أن تكون هذه المباني مزودة بالمرافق الضرورية ، كالحمامات والمسجد أو المصلى وحظائر عديدة لدواب الركوب بالقرب من مداخلها ، بل نجد

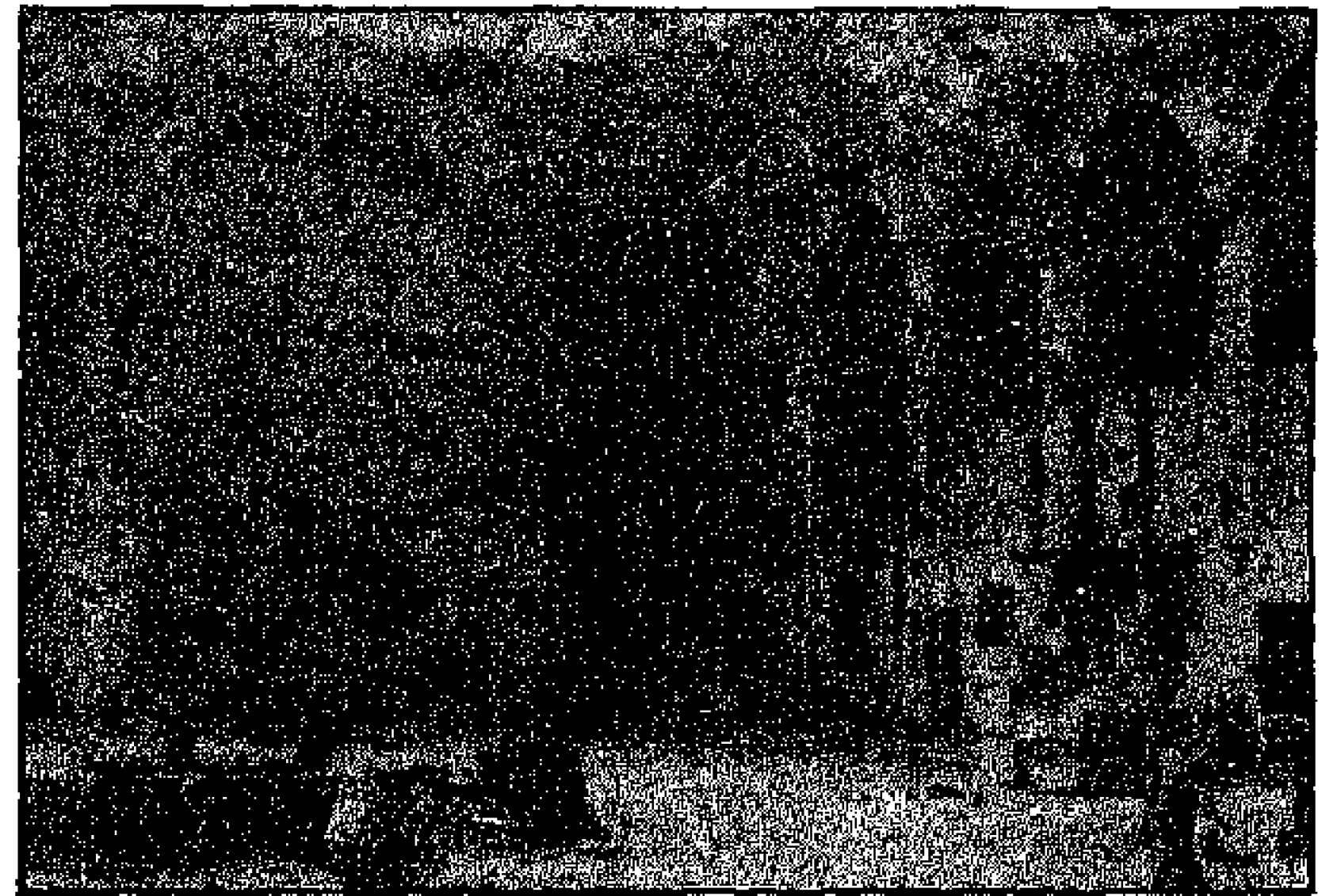


الشكل ١٣ : - مدخل خان الجمرك بحلب

مرصعا بالرخام . وتشهد الفخامة التي يلاحظها المشاهد على المبنى كله داخله وخارجه بسخاء منشئ الخانات ، وهو ما تؤكد كذا وثيقة وقف أحد الخانات المسجلة باسم الأمير السلجوقي قازاتاي في أنطاليا سنة ١٢٥١ ، وتنص على تقديم الطعام وتيسير المبيت للمسافرين بلا أجر، ومنحهم ما يحتاجون إليه من خدمات أخرى مثل إصلاح أحمديتهم والعناية بدوابهم ، بل وتقديم هدايا من السكر في أيام الأعياد . وكان بهذا الخان مستشفى وحمام ومسجد ، وعدد كبير من الموظفين في خدمة هذه المرافق ، كما كانت به هيئة دائمة من البنائين المكلفين بإصلاح المبنى وصيانته والسهر على خدمة المسافرين .

وتبدو الزخارف الأساسية في هذه الخانات « السراي » على وجه المدخل الرئيسي وواجهة باب الحظيرة المحاذي له ويطل على الفناء بناء من غرف ثلاث من ثلاثة اتجاهات . في حين تطل من الاتجاه الرابع قاعة ضخمة طويلة ذات بهو رئيسي مرتفع السقف وعدة قاعات صغيرة منخفضة السقف يتراوح عددها بين خمسة وتسعة ، وكلها محاذية للبهو الرئيسي نفسه . وكان هذا الجزء الرابع من خان القوافل هو البناء الرئيسي الهام فيها ، يبدأ البناءون بتشيدته ثم يتبعونه ببقية أجزاء البناء .

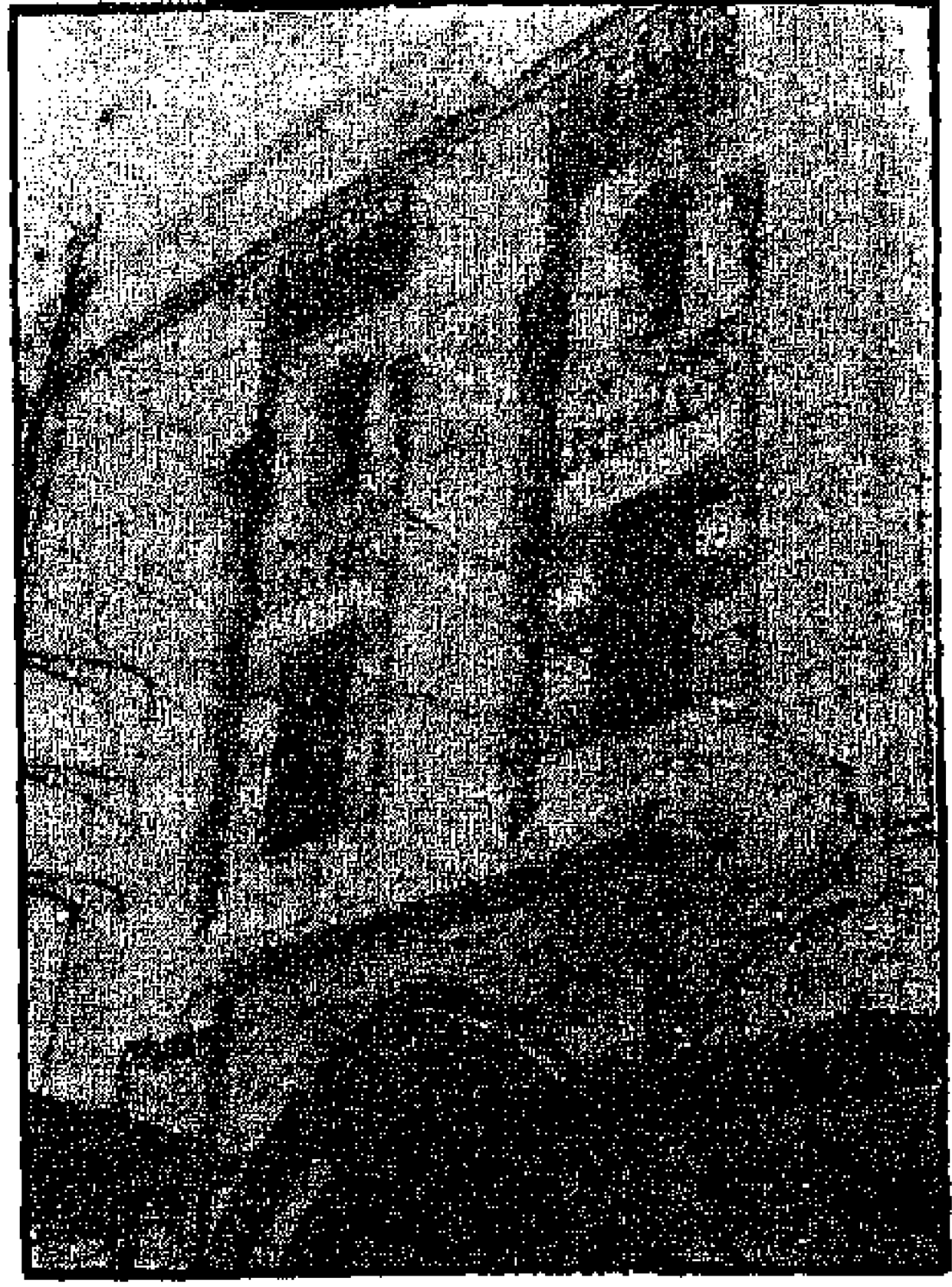
فيها أحيانا عيادات لعلاج المرضى والعناية بهم . وعلى الرغم من أننا نعرف من نماذج هذه المباني أمثلة رائعة من حيث المستوى الفني ومستوى الزخرفة ولا سيما في خراسان الإيرانية مما يرجع إلى عصر السلطان سنجر (١١١٦-١١٥٦) مثل «رياط شرف» وخان شاه سلطان حسين بأصفهان وخان القوافل بكاشان فإن أكبر قدر توفر لدينا من المعلومات حول هذه المباني هو ما يتعلق بخانات الأناضول التي ترجع إلى عصر السلاجقة ، ففيما بين سنتي ١٢٢٠ و ١٢٨٠ شيد أكثر من ستين خاناً من هذا النوع في رقعة ضيقة من أرض هذه المنطقة . وأقيمت تلك المباني بالحجر، وأسرف في تحصينها حتى بدت أشبه بالقلع وانتشرت هذه الخانات على طريق التجارة المتجه نحو الجنوب الشرقي من قونية يفصل بين كل منها نحو عشرين كيلو متراً . وأوضح نموذج لهذه المباني هو «خان سلطان» بقرب آق سراي الذي بناه السلطان علاء الدين كيقيباذ الأول في سنة ١٢٢٩ - ١٢٣٠ . ويتألف من صحن خارجي وبه حظيرة للدواب ، ومن حانوت حداد يعني بالركائب ، والراجح أن الصحن قد ضم كذلك بعض المتاجر، وثمة قاعة داخلية مسقوفة تقى المجتمعين زمهرير البرد . أما مدخل البوابتين الخارجية والداخلية فقد نقش نقشا بديعا



الشكل ٢٢ : - باحة خان قرت بك في حلب

المدينة بشكل أفضل لزوارها، كالحمام والمسجد والمطعم وشغل البيطار وغير ذلك من الضروريات والكماليات . وكما كانت الأولى تحتل المحطات الحساسة ومفارق الطرق ومجارى المياه ومراكز الحدود، احتلت الثانية مداخل المدن، خارج السور أو داخله أيام السلم وقلب الأسواق وجوار الحمام والمسجد .

خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين، كانت المخازن الكبرى تسمى « بالدار» يضاف إليها الصنف المتخصصة به، فيقال: دار الوكالة، للتجارة العامة، ودار القز ودار القطن ودار الخيل، والتي صار اسمها فيما بعد خان الخيل، وكلها كانت في بغداد. ثم أخذت الدار تسمية: الفندق. ومنذ القرن السابع للهجرة، الثالث عشر للميلاد، عرفت تلك الأماكن في الضواحي: بالخانات. ولاحقا في القرن الحادى عشر للهجرة، السابع عشر للميلاد، احتل اسم الخان وحده تدريجا، داخل المدن، مكانة دار الوكالة والفندق والقيسارية. أما وظيفة الخان في المدينة فكان استقبال التجار بشكل عام، من باعة الجملة، ومروجى البضائع، ومراسلى المستوردين والوسطاء وباعة المفرق. وتكسب في الصحن، البالات والصناديق المعدة للتصدير، والمستوردة للسوق المحلية. في هذا المكان يتم البيع والشراء، وكأن المكان لم يعد لإيواء المسافرين، بل استقبلهم ريثما يتمون تجارتهم. وكما كان لكل بضاعة دار صار لها خان يرتبط اسمه بها، إن لم يرتبط باسم مؤسسه أو مالكه. فهناك خان الحرير وخان الحبالين في دمشق، وخان الجوخ في اسطنبول، وخان الخياطين والصابون في طرابلس، وخان الزيت في حلب. وكان بعضها عظيم الاتساع كخان الجمرک في حلب والذي يعود تاريخه إلى عام ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م، فقد ضم اثنين وخمسين مخزنا، وسبعا وسبعين غرفة، وسوقين مبنين بالحجر المهندم، يصل إليهما الضوء من قبب عشر تعلوهما. وكان مجموع دكاكينه ثلاثمئة وأربعة وأربعين إلى جانبها سبيلان ومسجد ولهذا الخان «المجتمع» مدخل في غاية الفخامة، ويبقى هذا المحتوى متواضعا إذا ما قيس بخان



الشكل ٨: - خان الجمرک بحلب

وهناك فروق جوهرية بين الخانات والوكالات القائمة وسط المدن التي كانت تقدم خدماتها بأجر بوصفها أماكن ذات طابع تجارى خالص، وبين خانات القوافل المبنية في طرق الصحراء أو بين المدن بوصفها محاط لتوقف قوافل التجارة تقدم خدماتها بلا مقابل، غير أن الفروق بين هذين النوعين من المباني لا تقف عند هذا الحد بل تتجاوز إلى اختلافات كبيرة في تصميم البناء وفي زخرفته .

وثمة نوع أخير من المباني هو «اليام» المغولى الذى يجوز لنا أن نطلق عليه اسم «خان البريد» ويبدو أنه كان توفيقا بين نظام خانات القوافل وبين النظام البريدى الذى ساد بلاد الصين وكان على قدر كبير من الكفاءة. ومما يبعث على الأسف أن تلك المنشآت التى وصفها لنا القزوينى تفصيلا والتى شملت بلاد فارس كلها فى العصور الوسطى قد اندثرت جميعا ولم يبق منها أثر (القيم الجمالية / ٦٩-٧٢) .

يقول الدكتور عبد الرحيم غالب :

كانت هذه لمحطة عن خانات الطرقات أما خانات المدن فكانت تشترك معها ببعض ما تقدم من خدمات، وتضم من مرافق، وتختلف عنها فى أخرى، وتسقط ما يمكن أن تقدمه

الخليلى فى القاهرة الذى أعطى اللفظة مدلولاً جديداً يدل على تجمع الأسواق المتخصصة، وكان قد وقفه مؤسسه، جهاركس الخليلى على «عمل خبز يفرق بمكة على كل فقير منه فى اليوم رغيفان». وأهم الخانات فى تركيا قامت فى «بورصة» واسطنبول. وكان لـ «سنان» المهندس العثماني المشهور، دور فى إقامة اثنين على القرن الذهبى. وبالطبع لم تكن كل الخانات أنيقة البناء فخمة المظهر، وإلا لما عرفت عاصمة السلطنة فى القرن الحادى عشر للهجرة، السابع عشر للميلاد: خمسمئة وستة وخمسين خانا، كان أحد الأنيقة منها معداً لإقامة سفراء الدول العظمى.

تصميم خان المدينة بشكل عام لم يتغير على مر العصور. وأخذ تخطيط صحن مركزى مكشوف يتوسطه حوض. وتحيط بالصحن بوائك أقيمت الدكاكين تحتها، لتبقى أبوابها محمية من الحر صيفا والمطر شتاء.

ومن الناحية الإدارية، قد يكون الخان مؤسسة دينية مرتبطة بوقف يحول ريعه لصيانة مدرسة أو مسجد أو إطعام مسكين أو فقير. وربما وقف له كى يستقبل الحجاج والمحتاجين وأبناء السبيل، مجاناً. ومدير الخان يسمى: وكيل التجار، فهو المسئول عن تخزين بضائعهم ومولج بيعها والمكان



خان السبيل

خاضع لتفتيش مندوب المحتسب، ومراقبة السلطة. ويقوم بحراسته موظف مختص يقفل أبوابه ليلاً إذا كان خارج السور. لم يبق من كل تلك الخانات إلا عدد قليل فقد طابعه واقتصرت خدماته على استعمال مستودعاته ودكاكينه من قبل مستأجرين لا تجمعهم، إلا نادراً، تجارة مشتركة أو مهنة واحدة، وربما سكنت غرفه عائلات فقيرة. ولكن، بالرغم من كل ذلك، بقيت، فى خان الصابون وخان الخياطين فى طرابلس، بعض محلات تذكرنا بالسبب الأصلي للتسمية (موسوعة العمارة الإسلامية / ١٥٢، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧).

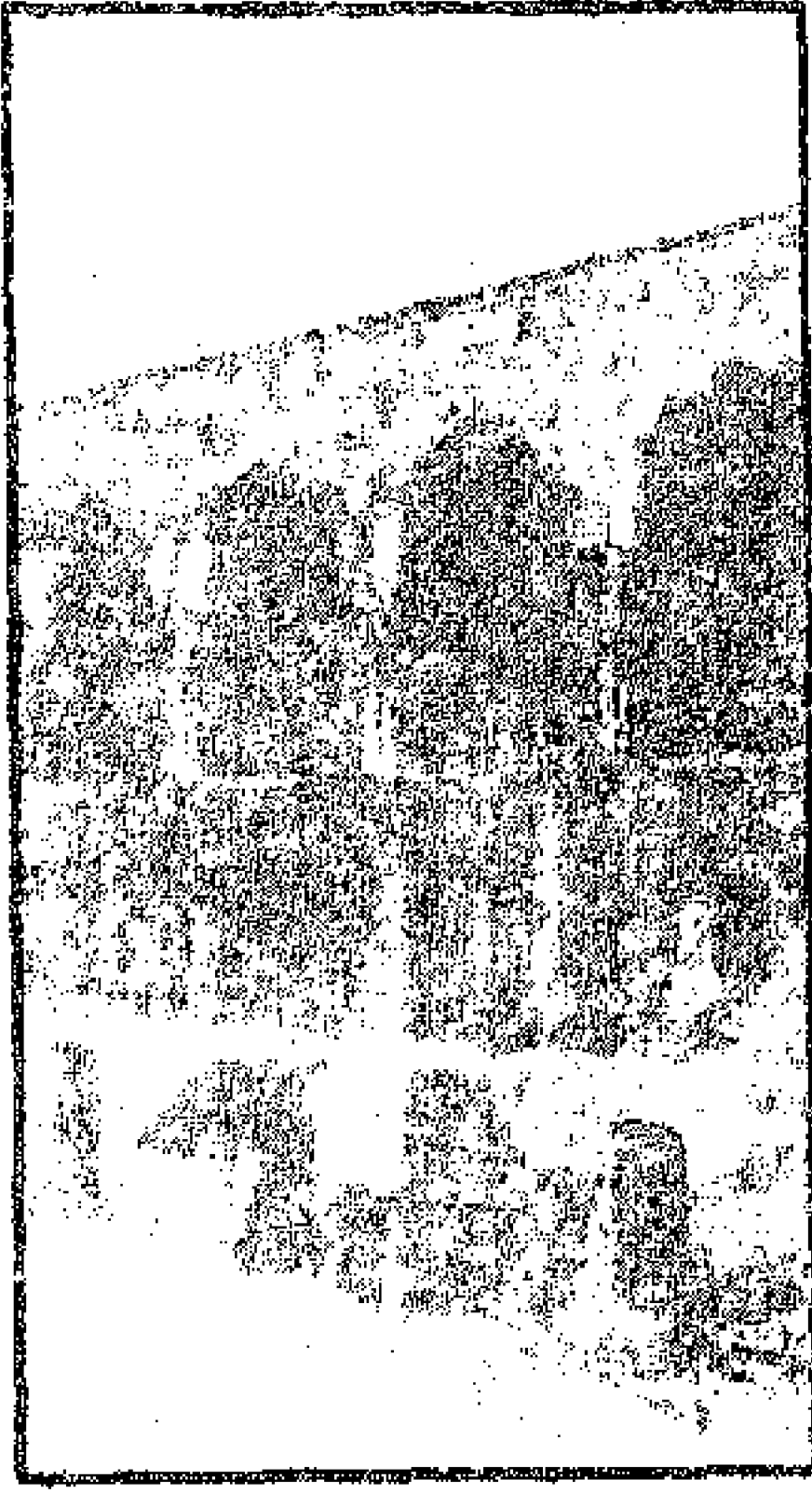
ويتابع الدكتور أندرية ريمون صاحب «العواصم العربية» نشأة الخانات وطرزها فى المدن العربية المختلفة بادئاً بالمغرب العربى، ثم ينتقل إلى القاهرة وحلب ودمشق فيقول:

المغرب العربى:

يطلق فى المغرب العربى على الخانات اسم فندق أو وكالة، وكانت خانات المغرب العربى بوجه عام مبان ذات أهمية متواضعة، ولا غرابة فى ذلك إذا علمنا أن بلدان المغرب لم يكن لها إلا شأن ثانوى فى تجارة حوض البحر المتوسط. ونحن لا نعرف إلا القليل عن الفندق فى الجزائر، إذ أنه اندثر مع بقية المباني الرئيسية فى وسط المدينة منذ الغزو الفرنسى.

ومع هذا يمكننا الافتراض بأن خانات الجزائر قريبة من خانات تونس فى شكلها المعماري وفى استعمالها (للتجارة ولنزول التجار) وعددها (حوالى عشرين ونيف) فخلافاً للجزائر احتفظت تونس بعدد كبير من الخانات الماثلة للعيان حتى يومنا هذا.

ولعل أبرز وأكمل خان (فندق) فى تونس الآن هو فندق ناسيون الذى بنى من أجل الجالية التجارية الفرنسية فى سنة ١٦٦٠م، وقد شيد وفق الطراز الشائع فى تونس أيام المراديين والحسينيين، وهذا البناء عملى التصميم ومجرد من كل تذويق وتنميق. إذ أنه يتألف من دهليز مغقود يفضى إلى ساحة مربعة مطوقة بأروقة محمولة على ١٦ عموداً وتقع خلفها مستودعات مسقوفة بالعقود. وفى الطابق العلوى تطل الحجر المخصصة لنزول التجار على ممشى طليق. وتبلغ



خان الوزير

مساحة البناء قرابة مائة متر ويضم في جنباته حوالي ٥٠ غرفة .
وقد أكمل البناء ببناء ثان مشابه للأول بقليل أو بكثير، وصار
الناسيون والقنصلية يشتركان في استعمال المبنىين .

جاء بناء فندق (خان) العطارين على نمط بناء الناسيون
ولكن بحجم أصغر (بناء مربع يبلغ طول ضلعه ٢٥ م) وهو في
قلب منطقة الأسواق أما خانات الموصل فيبدو أنها اعتمدت
هذا النمط من البناء لكن بحجم متواضع وبقيمة معمارية
قليلة ، وهذا ما يبدو ظاهريا على الأقل في الخانات التي ما
تزال قائمة في المدينة من أصل ٣٥ خانا كانت موجودة في
الفترة العثمانية ، وهي مكونة من ساحة مكشوفة ومخازن
واصطبلات في الطابق الأرضي وغرف في طابق علوي واحد أو
أكثر .

القاهرة :

كانت خانات العواصم التجارية الرئيسية في الإمبراطورية
العثمانية ، كالقاهرة وحلب ودمشق ، وربما بغداد أيضا ،
مختلفة كل الاختلاف في آفاقها المعمارية وفي مضامينها
الفنية . والعدد الذي أمكن التثبت منه في تلك المدن يقيم
الدليل البين على مدى هذه المغايرة ، فتمة ٦٠ خانا في
دمشق وحلب و ٣٦٠ وكالة (خان) في القاهرة ، حجم بعض
منها يتجاوز نصف هكتار ، وفخامة بنائها أسطع دليل على
عظمة الحركة التجارية التي ولدتها (العواصم العربية / ٥٦ ، ٥٧ ،
٥٩) .

قالت المؤلفة : نلاحظ أن الدكتور أندريه ريموند حين
يتكلم على خانات القاهرة يذكرها باسم وكالات باعتبار أن
كلمة «وكالة» استخدمت في مصر للدلالة على الخان أو
القيصرية ، فيذكر وكالة الغوري ، ووكالة ذي الفقار كتحدا ،
ووكالة بازرة ومن ثم فإننا لا نجد ذكرا للخانات في المخطط
التوقيفية لعلي باشا مبارك وإنما هي «الوكاتل» كما أوردها في
الجزءين الثاني والثالث . أما المقريري فلم يذكر من الوكالات
سوى اثنتين ، وذكر الباقي تحت اسم «خان» أو «فندق» ومن
ثم فإننا ندرج ما أورده الدكتور ريموند في مادة «الوكالات» في
حرف الواو إن شاء الله تعالى :

- وما ذكره المقريري في هذا الباب هو ما يأتي :
- ١ - خان سرور
 - ٢ - فندق بلال المغشي
 - ٣ - فندق الصالح
 - ٤ - خان السيل
 - ٥ - خان منكورش
 - ٦ - فندق ابن قريش
 - ٧ - وكالة قوصون
 - ٨ - فندق دار التفاح
 - ٩ - وكالة باب الجوانية
 - ١٠ - خان الخليلى
 - ١١ - فندق طرنطاي

وننقل ما قاله المقريري عنها فيما عدا خان الخليلى إذ
نفرد له مادة خاصة باعتبار أنه الأثر الوحيد المدرج في فهرس
الأثار الإسلامية بمدينة القاهرة تحت الأرقام ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥
ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، فقد ورد في هذا الفهرس اسم
خان يسمى خان الزراكشة أثر رقم ٣٥١ أنشئ في أول القرن
العاشر الهجري / أول القرن السادس عشر الميلادي ، وموقعه
على خريطة مصلحة المساحة ١٩٤٨ (٤٤ / ١٥٧) التي
عندى هو في المربع ٥ ح من الخريطة رقم ١ ، وبذلك يتحدد
لنا أن خان الزراكشة هذا هو الذي تشغله مكتبة صبيح وأولاده
الآن ، وقد زرت هذه الوكالة مرارا بسبب ترددي على المكتبة .
ونعود إلى المقريري فننقل ما أورده من الخانات والفنادق
السابقة الذكر :

خان مسرور: خان مسرور مكانان أحدهما كبير والآخر صغير فالكبير على يسرة من سلك من سوق باب الزهومة إلى الحريريين كان موضعه خزانة الدرق التي تقدم ذكرها في خزائن القصر والصغير على يمنة من سلك من سوق باب الزهومة إلى الجامع الأزهر كان ساحة يباع فيها الرقيق بعدما كان موضع المدرسة الكاملية هو سوق الرقيق .

قال ابن الطوير خزانة الدرق كانت في المكان الذي هو خان مسرور وهي برسم استعمالات الأساطيل من الكبورة الخرجية والخود الجلودية وغير ذلك . وقال ابن عبد الظاهر فندق مسرور (مسرور هذا من خدام القصر خدم الدولة المصرية واختص بالسلطان صلاح الدين رحمه الله وقدمه على حلقاته ولم يزل مقدما في كل وقت وله بر وإحسان ومعروف ويقصد في كل حسنة وأجر وبر وبطل الخدمة في الأيام الكاملية وانقطع إلى الله تعالى ولزم داره ثم بنى الفندق الصغير إلى جانبه وكان قبل بنائه ساحة يباع فيها الرقيق اشترى ثلثها من والدي رحمه الله والثلثين من ورثة ابن عترة وكان قد ملك الفندق الكبير لغلामه ريحان وحبسه عليه ثم من بعده على الأسرى والفقراء بالحرمين وهو مائة بيت إلا بيتا وبه مسجد تقام فيه الجماعة والجمع ولمسرور المذكور بر كثير بالشام وبمصر وكان قد وصى أن تعمل داره وهي بخط حارة



خان الوزير سنة ١٩٤٥

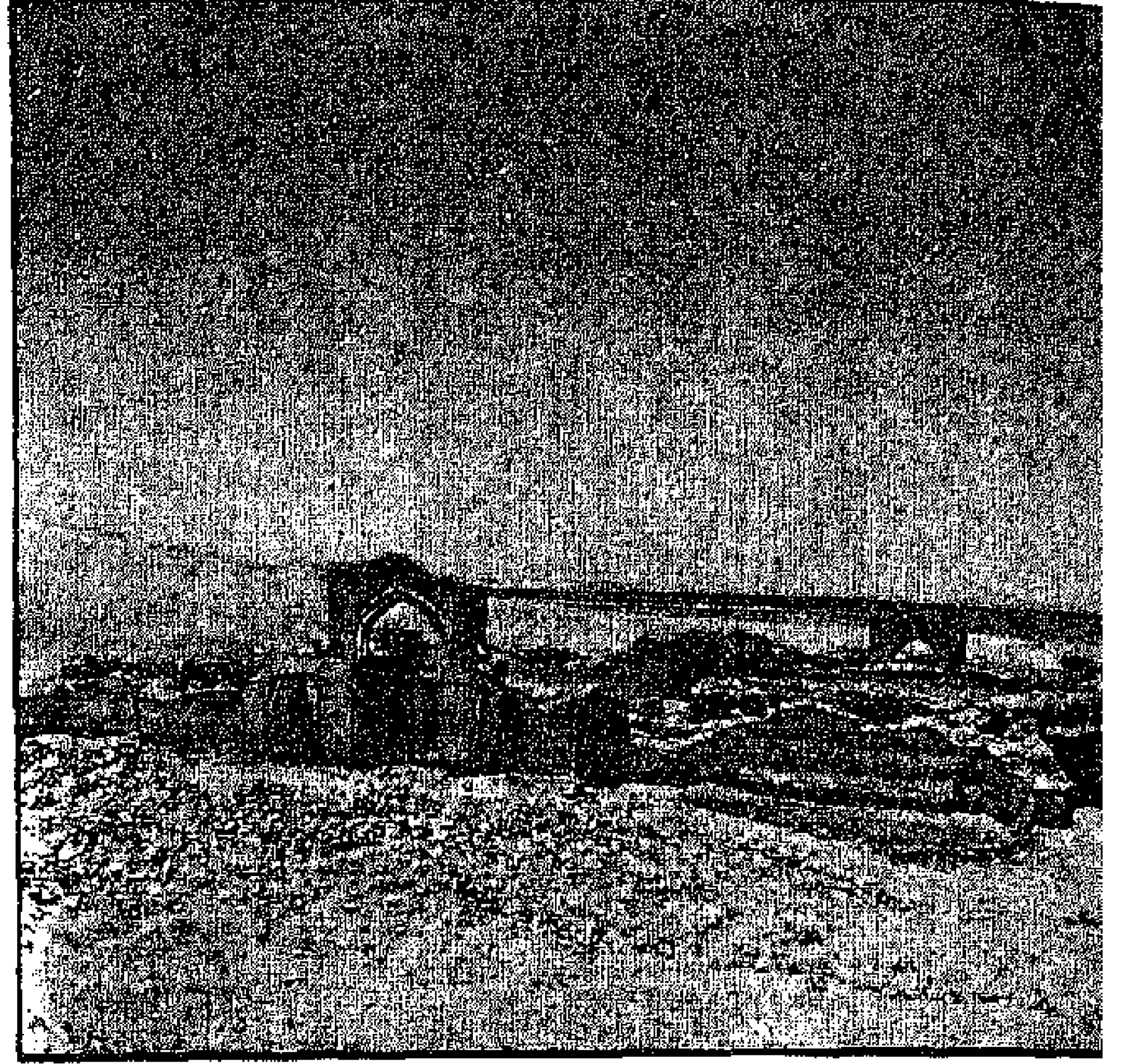
الأمراء مدرسة ويوقف الفندق الصغير عليها وكانت له ضيعة بالشام يبعث للأمير سيف الدين أبي الحسن القيمري بجملعة كبيرة وعمرت المدرسة المذكورة بعد وفاته انتهى) وقد أدركت فندق مسرور الكبير في غاية العمارة تنزله أعيان التجار الشاميين بتجاراتهم وكان فيه أيضا مودع الحكم الذي فيه أموال اليتامى والغياب وكان من أجل الخانات وأعظمها فلما كثرت المحن بخراب بلاد الشام منذ سنة تيمور لنك وتلاشت أحوال إقليم مصر قل التجار وبطل الحكم فقلت مهابة هذا الخان وزالت حرمة وتهدمت عدة أماكن منه وهو الآن بيد القضاة .

فندق بلال المغيثي : هذا الفندق فيما بين خط حمام خشبية وحارة العدوية أنشأه الأمير الطواشي أبو المناقب حسام الدين بلال المغيثي أحد خدام الملك المغيث صاحب الكرك كان حبشى الجنس حالسك السواد خدم عدة من الملوك واستقر لالا الملك الصالح على بن الملك المنصور قلاوون وكان معظما إلى الغاية يجلس فوق جميع أمراء الدولة وكان الملك المنصور قلاوون إذا رآه يقول رحم الله أستاذنا الملك الصالح نجم الدين أيوب أنا كنت أحمل شارموزة هذا الطواشي حسام الدين كلما دخل إلى السلطان الملك الصالح حتى يخرج من عنده فأقدمها له وكان كثير البر والصدقات وله أموال جزيلة ومدحه عدة من الشعراء وأجاز على المديح وتجاوز عمره ثمانين سنة فلما خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون لقتال التتر في سنة تسع وتسعين وستمئة سافر معه فمات بالسودة ودفن بها ثم نقل منها بعد وقعة شقحب إلى تربته بالقرافة فدفن هناك ومابرح هذا الفندق يودع فيه التجار وأرباب الأموال صناديق المال ولقد كنت أدخل فيه فإذا بدائره صناديق مصطفة ما بين صغير وكبير لا يفضل عنها من الفندق غير ساحة صغيرة بوسطه وتشتمل هذه الصناديق من الذهب والفضة على ما يجمل وصفه فلما أنشأ الأمير الطواشي زين الدين مقبل الزمام الفندق بالقرب منه وأنشأ الأمير قلمطاي الفندق بالزجاجين وأخذ الأمير يلبغا السالمي أموال الناس في واقعة تيمورلنك في سنة ثلاث وثمانمئة تلاشى أمر هذا الفندق وفيه إلى الآن بقية .

بعد ولدى وامتنع من لبسه فقَبِلَ الأمراء الأرض يسألون السلطان
فى لبس شاشه ويخضعون له فى السؤال ساعة حتى أجابهم
وغطى رأسه فلما أصبح خرجت جنازته من القلعة ومعها
الأمراء من غير حضور السلطان وصاروا بها إلى تربة أمه
المعروفة بتربة خاتون قريبا من المشهد النفيسى «فواروه
وانصرفوا فلما كان يوم السبت ثابته نزل السلطان من القلعة
وعليه البياض تحزنا على ولده وسار معه الأمراء بثياب الحزن
إلى قبر ابنه وأقيم العزاء لموته عدة أيام .

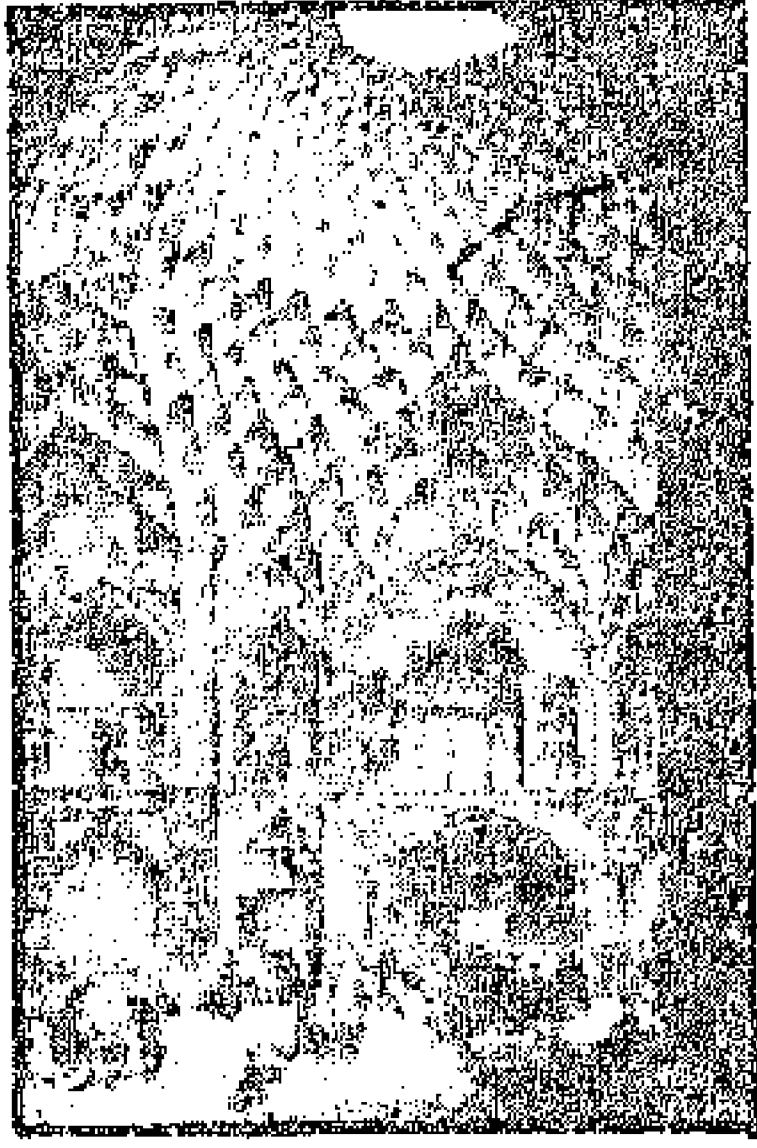
خان السبيل : هذا الخان خارج باب الفتوح قال ابن عبد
الظاهر خان السبيل بناء الأمير بهاء الدين أبو سعيد قراقوش
عبد الله الأسدى خادم أسد الدين شيركوه وعتيقه لأبناء السبيل
والمسافرين بغير أجرة وبه بئر ساقية وحوض . وقراقوش هذا
هو الذى بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما وبنى
قلعة الجبل وبنى القناطر التى بالجيزة على طريق الأهرام وعمر
بالمقس رباطا وأسره الفرنج فى عكا وهو واليها فافتكه
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بعشرة آلاف دينار
وتوفى مستهل رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة ودفن بسفح
الجبل المقطم من القرافة .

خان منكورش : هذا الخان بخط سوق الخيميين بالقرب
من الجامع الأزهر قال ابن عبد الظاهر خان منكورش بناء
الأمير ركن الدين منكورش زوج أم الأوحى بن العادل ثم انتقل
إلى ورثته ثم انتقل إلى الأمير صلاح الدين أحمد بن شعبان
الأربلى فوقفه ثم تحيل ولده فى إبطال وقفه فاشتره منه الملك
الصالح بعشرة آلاف دينار مصرية وجعله مرصداً لوالدة خليل
ثم انتقل عنها انتهى * قال مؤلفه ومنكورش هذا كان أحد
مماليك السلطان صلاح الدين بن أيوب وتقدم حتى صار أحد
الأمراء الصالحية وعرف بالشجاعة والنجدة وإصابة الرأى
وجودة الرمى وثبات الجأش فلما مات فى شوال سنة سبع
وسبعين وخمسمائة أخذ إقطاعه الأمير ياركوج الأسدى وهذا
الخان الآن يعرف بخان النشارين على يسرة من سلك من
الخراطين إلى الخيميين وهو وقف على جهات بر .
فندق ابن قريش : هذا الفندق قال ابن عبد الظاهر فندق



خان قراقوش «رباط شريف» ، فواروه ، بئر ساقية

فندق الصالح : هذا الفندق بجوار باب القوس الذى كان
أحد بابى زويلة فمن سلك اليوم من المسجد المعروف بسام
ابن نوح يريد باب زويلة صار هذا الفندق على يساره وأنشأه
هو وما يعلوه من الربع الملك الصالح علاء الدين على بن
السلطان الملك المنصور قلاوون وكان أبوه لما عزم على
المسير إلى محاربة التتر ببلاد الشام سلطنه وأركبه بشعار
السلطنة من قلعة الجبل فى شهر رجب سنة تسع وسبعين
وستمائة وشق به شارع القاهرة من باب النصر إلى أن عاد إلى
قلعة الجبل وأجلسه على مرتبته وجلس إلى جانبه فمرض
عقيب ذلك ومات ليلة الجمعة الرابع من شعبان فأظهر
السلطان لموته جزعا مفرطاً وحزنا زائداً وصرخ بأعلى صوته وا
ولداه ورمى كلوته عن رأسه إلى الأرض وبقي مكشوف الرأس
إلى أن دخل الأمراء إليه وهو مكشوف الرأس يصرخ وا ولداه
فعندما عاينوه كذلك ألقوا كلوتاتهم عن رؤسهم وبكوا ساعة ثم
أخذ الأمير طرنتاى النائب شاش السلطان من الأرض وناول
للأمير سنقر الأشقر فأخذه ومشى وهو مكشوف الرأس وباس
الأرض وناول الشاش للسلطان فدفعه وقال إيش أعمل بالملك



لوحة ٦١ ب خان قهافل بكاشان لوحة محفورة
عن كتاب «رحلة في فارس» ١٨٤٠ م

مخازن وشروط
أن لا يؤجر كل
مخزن إلا
بخمسة دراهم
من غير زيادة
على ذلك ولا
يخرج أحد من
مخزنه فصار
هذه المخازن
تتوارث لقلّة
أجرتها وكثرة
فوائدها وقد

أدركنا هذه الوكالة وإن رؤيتها من داخلها وخارجها لتدهش
لكثرة ما هنالك من أصناف البضائع وزدحام الناس وشدة
أصوات العتالين عند حل البضائع ونقلها لمن يتاعها ثم
تلاشى أمرها منذ خربت الشام في سنة ثلاث وثمانمائة على
يد تيمور لئلا وفيها إلى الآن بقية ويعلم هذه الوكالة ربيع
تشمّل على ثلثمائة وستين بيتاً أدركناها عامرة كلها ويحزّر أنها
تحتوي نحو أربعة آلاف نفس ما بين رجل وامرأة وصغير وكبير
فلما كانت هذه المأوى في سنة ست وثمانمائة خرب كثير من
هذه البيوت وكثير منها غامر أهل.

فندق دار التفاح: هذه الدار هي فندق تجاه باب زويلة يرد
إليه الفواكه على اختلاف أصنافها مما ينبت في بساتين
ضواحي القاهرة ومن التفاح والكمثرى والسفرجل الراصل من
البلاد الشامية إنما يباع في وكالة قوصون إذا قدم ومنها ينقل
إلى سائر أسواق القاهرة ومصر وينواحيهما وكان موضع دار
التفاح هذه في القديم من جملة حارة السودان التي عملت
بستاناً في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب. وأنشأ
هذه الدار الأمير طقوزدمر بعد سنة أربعين وسبعمائة ووقفها
على خاتمه بالقرفة وبظاهر هذه الدار عدة حوانيت تباع فيها
الفاكهة تذكر رؤيتها وشم عرفها الجنة لطيبها وحسن منظرها
وتأنق الباعة في تنزيدها واحتفافها بالرياحين والأزهار وما بين
الحوانيت مسقوف حتى لا يصل إلى الفواكه حر الشمس

ابن قريش استجده القاضي شرف الدين إبراهيم بن قريش
كاتب الإنشاء وانتقل إلى ورثته انتهى (إبراهيم بن عبد الرحمن
ابن علي بن عبد العزيز بن علي بن قريش) أبو إسحاق
القرشي المخزومي المصري الكاتب شرف الدين أحد الكتاب
المجيدين خطاً وإنشاء خدم في دولة الملك العادل أبي بكر
ابن أيوب وفي دولة ابنه الملك الكامل محمد بنديوان الإنشاء
وسمع الحديث بمكة ومصر وحدث وكانت ولادته بالقاهرة في
أول يوم من ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وقرأ
القرآن وحفظ كثيراً من كتاب المذهب في النسخ على مذهب
الإمام الشافعي وبيع في الأدب وكتب بخطه ما يزيد على
أربعمائة مجلد ومات في الخامس والعشرين من جمادى الأولى
سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

وكالة قوصون: هذه الوكالة في معنى الفنادق والخانات
ينزلها التجار ببضائع بلاد الشام من الزيت والشيرج والصابون
والدبس والفسق والجوز واللوز والخروب والسرب ونحو ذلك
وموضعها فيما بين الجامع الحاكمي ودار سعيد السعداء كانت
أخيراً داراً تعرف بدار تمويل البوعسائي فأخربها وما جاورها
الأمير قوصون وجعلها فندقاً كبيراً إلى الغاية وبدأه عدة



خان قهافل بكاشان

ولا يزال ذلك الموضع غمضا طوريا إلا أنه قد اختل منذ سنة ست وثمانمائة وفيه بقية ليست بذلك ولم تزل إلى أن هدم على الفندق وما بقاؤه من الحوائط في يوم السبت سادس عشر شعبان سنة إحدى وعشرين وثمانمائة وذلك أن الجامع المؤيدى جاءته شبايكه الغربية من جهة دار التفاح فعمل فيها كسبا صار يعمل في الأوقاف وحكم باستبدالها ودفع في ثمن نقضها ألف دينار إفريقية عنهما مبلغ ثلاثين ألف مؤيدى فصة ويتحصل من أجرتها إلى أن ابتدئ بهدمها في كل شهر سبعة آلاف درهم فأوسا عنها ألف مؤيدى فاستشع هذا الفعل ومات الملك المؤيد ولم تكمل عمارة الفندق .

(وكالة باب الجوانية) هذه الوكالة تجاه باب الجوانية من القاهرة فيما بين درب الرشيدى ووكالة قوصون كان موضعها عدة مساكن فابتدأ الأمير جمال الدين محمود بن على الاستادار بهدمها في يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وبنائها فندقا وربعا بأعلاه فلما كملت رسم الملك الظاهر برقوق أن تكون دار وكالة يرد إليها ما يصل إلى القاهرة وما يرد من صنف متجر الشام في البحر كالزيت والرب والدبس ويصير ما يرد في البر يدخل به على عادته إلى وكالة قوصون وجعلها وقفا على المدرسة الخانقاه التى أنشأها بخط بين القصرين فاستمر الأمر على ذلك إلى اليوم .

خان الخليلي : أفردنا له مادة خاصة فانظرها في موضعها .

فندق طرنطاي : هذا الفندق كان بخارج باب البحر ظاهر المقس وكان ينزل فيه تجار الزيت الواردون من الشام وكان فيه ستة عشر عمودا من رخام طول كل عمود ستة أذرع بذراع العمل في دور ذراعين ويعلسوه ربع كبير فلما كان في واقعه هدم الكنائس وحريق القاهرة ومصر في سنة إحدى وعشرين وسبعمائة قدم تاجر بعد العصر بزيت وزن في مكسه عشرين ألف درهم نقرة سوى أصناف آخر قيمتها مبلغ تسعين ألف درهم نقرة فلم يتهيا لها الفراغ من نقل الزيت إلى داخل هذا الفندق إلا بعد العشاء الآخرة فلما كان نصف الليل وقع الحريق بهذا الفندق في ليلة من شهر ربيع الآخر منها كما كان يقع في غير موضع من فعل النصارى فأصبح وقد احترق جميعه حتى الحجارة التى كان مبنيا بها وحتى الأعمدة

المذكورة وصارت كليهما جرسا واشترق علوه وأصبح الشاجر يستطوى الناس (المواظف والاعتبار ٢ / ٩٢-٩٤) .

بنداد :

خان مرجان : أفردنا له مادة خاصة فانظره في موضعه .

المدينة المنورة : يقول الدكتور صالح لمعى مصطفى : قل وجود الخانات في المدينة المنورة ، علما بأن أقدم ما عرفناه أقيم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . ولعل وجود عدد كبير من الأربطة يوضح لنا أنها قد استعملت كمكان لنزول القادمين للزيارات الدينية الطويلة ، أو أن عددا من الدور السكنية كانت تستعمل لاستقبال الزلاء والزوار (المدينة المنورة / ٢٤٦) .

دمشق :

عن خانات دمشق وطرزها المعمارية يقول الدكتور يوسف جميل نعيمة في دراسته التى حدها في الفترة ما بين ١١٨٦ إلى ١٢٥٦ هـ (١٧٧٢ - ١٨٤٠ م) :

ارتبط بناء الخانات في دمشق بظروفها الاقتصادية والسياسية في مختلف العهود . وما بنى منها في العهد العثماني كان قليلا إذا ما قورن بالعهود السابقة وأقله في فترة دراستنا وأهم الخانات العثمانية في دمشق لم يتجاوز عدد أصابع اليد .

خان الخياطين الذى بناه في سوق الخياطين السوالى العثمانى أحمد شمسى سنة ٩٦٠ هـ / ١٥٦٢ - ١٥٦٣ م ثم خان المرادية الذى بناه والى دمشق ما بين ١٠٠٢ و ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٣ - ١٥٩٥ م . ثم خان درويش باشا (٩٧٩ - ٩٨٢ هـ / ١٥٧١ - ١٥٧٤ م) وهو ما سمي بخان الحرير أو قيسارية الحرير وتم بناؤه في سنة ٩٨١ هـ / ١٥٧٤ م ثم خان سليمان باشا العظم الذى يقع في محلة القماحين ، وكان يسمى خان الحماصنة بناه سنة ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢ م ثم خان مصطفى باشا الذى بناه خارج باب الفرج بمحلة العقبية بالقرب من حمام المحتسب . ثم خان أسعد باشا العظم في سوق البزورية بدأ ببنائه سنة ١١٦٥ هـ / ١٧٥١ - ١٧٥٢ م . وتم بناؤه في سنة ١١٦٧ هـ / ١٧٥٣ م ويقول البديرى الحلاق : «اشترى أسعد باشا سوق الدق وما حوله من السكاكين ومراده أن يعمل بهم قيسارية ليس لها نظير في قيساريات الشام»

وتعرض سقفه للانهييار بعد بنائه بستة أعوام نتيجة للزلازل الذي ضرب دمشق في ربيع الأول والثاني سنة ١١٧٣ هـ - ١٧٥٩ - ١٧٦٠ م.

ولقد كان هذا الخان أفضل ما بنى من الخانات في دمشق على الإطلاق من حيث اتساعه وهندسته وزخرفته . وعندما زاره «لامارتين» في سنة ١٨٣٣ م / ١٢٤٩ هـ وصفه بأنه «أجمل خان في الشرق وقبته الفخمة تذكر بقبة بولس في روما فهي محمولة على عضائد من الغرانيت ... أما بابه فيعتبر قطعة من العمارة الإسلامية التي لا نظير لها في العالم من حيث الزخارف».

ولقد أدخل العثمانيون الفن الرومي في بناء الخانات . فأصبحت خاناتهم في دمشق مسقوفة بالقباب والعقود بدلا من الجملون الذي كان سائدا في بناء الخانات قبل عهدهم . وعنوا بزخرفة الخانات بالحليات المعمارية والحجارة الملونة (الأسود والأبيض بالتناوب) سواء في جدرانها أو أقواسها . وهذا الفن كان استمرارا للفن السلجوقي الممزوج بالفن المملوكي بالإضافة إلى الفن البيزنطي . وحل في بناء الخانات القوس الرومي محل القوس الفارسي الذي استخدم في بناء الخانات السابقة في دمشق . وتميز القوس الرومي الجديد برأسه المقعر قليلا نحو الخارج والجزء السفلي منه محدب . وازداد استخدام القوس نصف الدائري المجزوء أي الذي تقل فتحته عن نصف الدائرة، في الأبواب والشبابيك . أما الأعمدة فقد شاع فيها استعمال التيجان المقرنصة ورسمت في الزخرفة العروق النباتية والأزهار.

وأهم الخانات التي كانت تقع خارج دمشق : خان الشيخ عمر ظاهر دمشق بمحلة العاصية ثم خان سوق الخيل ثم خان المشعلجية بمحلة تحت القلعة غرب خان الباشا وخان المليحي ظاهر دمشق وخان الحنابلة في محلة العقية ثم خان الألاج في الشاغور البراني بالقرب من جامع الشنباشية وخان العكجية وقف بني البكري ظاهر دمشق وخان الوقف بمحلة الشويكة ظاهر دمشق .

أما ما كان منها باطن دمشق فهي :

خان الأقيم قرب حمام عيسى القاري وخان الوقف بمحلة النصاري بزقاق جعفر البراني وخان البترك الكائن بمحلة الخراب بزقاق الكنيسة المريمية . كان معدا للفتالة وخان الرواس في محلة باب توما وخان شيخ الحارة بمحلة باب توما وكان معدا لنسيج القطن وخان المصينة باطن دمشق بمحلة النصاري بزقاق التلة بالقرب من جامع التوبة وخان حيدر الكائن بزقاق المسبك الجواني بمحلة النصاري بالقرب من خان شيخ الحارة وخان قجماس باطن دمشق بالقرب من سوق الأروام وخان البرنجدك شرق جامع الدغمشية وخان الدهوار بمحلة الشيخ سيف الدين باطن دمشق كما ورد ذكر لبعض الخانات في السجلات إلا أنها لم تحدد أماكنها مثل : خان الحشاشة وخان بازارباشي ويبدو أن تلك الخانات لم تكن بأهمية الخانات الكبيرة والتي لعبت دورا في حركة تجارة دمشق الداخلية .

وقد فصل الدكتور نعيمة في هامش : (ص ١٨١ - ١٨٣) هذا الذي أجمله مما ذكرناه آنفا فقال :

ذكر يوسف عبد الهادي الخانات الدمشقية التي بقيت إلى عهده (القرن العاشر للهجرة) وما بنى في العهد العثماني أو ما قبله . في كتابه «الإعانات على معرفة الخانات» . كما يذكر نعمان القساطلي الذي : عاش في القرن التاسع عشر للميلاد ١٢٣٩ خانا في دمشق بين كبير وصغير للتجارة والصناعة والقهوة وإليواء الدواب والمكارية والفقراء داخل دمشق وخارجها في كتابه «الروضة الغناء في دمشق الفيحاء» وما بقي من هذه الخانات إلى فترة دراستنا نرصده من تلك المصادر وبعض المراجع الأخرى وهي على الشكل التالي : خان جقمق (وأحيانا سوق جقمق) وهو ما يزال قائما إلى يومنا هذا في سوق مدحت باشا ويقع في الصف الشمالي من هذا السوق وإلى الشرق من خان الزيت الدكة (التكة) . ثم خان الدكة (التكة) ما يزال موجودا إلى الآن ويعرف لدى العامة بخان الدكة ويقع في أول سوق مدحت باشا الآن . ويقول ابن عبد الهادي : بأنه كان يباع فيه الرقيق والجواري . ثم خان لالا مصطفى باشا ويقع ظاهر دمشق خارج باب الفرج بمحلة

خان الجوخية - أو خان الخياطين - وهو جزء من سوق الخياطين بناه في بداية العهد العثماني وإلى دمشق أحمد شمسى باشا في عام ٩٦٠ هـ / ١٥٥٢-١٥٥٣ م، كما هو مثبت بالكتابة المنقوشة على بابه، وخان الحرير عمره وإلى دمشق العثماني درويش باشا الذي حكم ما بين (٩٧٩ - ٩٨٢ هـ) وعرف باسم قاسارية درويش باشا. ولقد تم بناؤه كما هو مثبت نقشا على حجارة بابه في عام ٩٨١ هـ / ١٥٧٣ - ١٥٧٤ م.

وخان سليمان باشا ويقع في سوق مدحت باشا في أيامنا هذه في الجانب الجنوبي منه قريب من محلة الدقاقين. كان يطلق عليه قديما (خان الحماصنة) لنزول تجار حمص فيه، بناه سليمان باشا العظم الذي ولى على دمشق عام ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢ م.

وخان العامود، ويقع في سوق البزورية قبالة خان أسعد باشا العظم وهو قائم إلى وقتنا الحاضر، ولا توجد معلومات عنه قبل ذكره من قبل نعمان القساطلي، وهذا الخان صغير إذا ما قيس بالخانات الأخرى في دمشق.

وخان المرادية، ويقع عند باب البرسد، وله واجهة على سوق الحميدية في وقتنا الحاضر وواجهة أخرى على سوق الحرير، وهندسة هذا الخان حديثة العهد تعود إلى مطلع القرن العشرين، وربما تهدم في الزلازل التي ضربت دمشق في العهد العثماني، فأعيد ترميمه ولقد ورد ذكره في الكتاب (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) بأن الوالي قام ببنائه عام ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٣ م - ١٥٩٤ م.

وخان الجمرك ويقع جوار خان المرادية وبابه مفتوح على سوق القلبجية، وله هندسة خاصة فهو عبارة عن زاوية قائمة مسقوفة بست قباب وعلى جانبي الممر منه فتحت سلسلة من المخازن التجارية. ولا نعلم شيئا عن تاريخ بنائه. أما نعمان القساطلي فيذكره في كتابه «الروضة الغناء في دمشق الفيحاء» على أنه كان مركزا لجمرك دمشق حتى عام ١٨٦٤ م / ١٢٨٠ - ١٢٨١ هـ.

وخان قطينا ويقع بين خان الجمرك وخان المرادية، وبابه

العقبية بالقرب من حمام المحتسب. ثم خان القماحين، ويقع ظاهر مدينة دمشق بمحلة القماحين. وتعود ملكيته لآل النقطة. خصص لزرب الدواب. ثم خان بنى الناشف، ويقع بالقرب من جامع درويش باشا. إلا أن الوثائق الشرعية لم تحدد مكانه بدقة فيما إذا كان داخل أسوار دمشق أم خارجها. ثم الخان المعروف ببني رمضان ويقع في محلة الشيخ محيي الدين في الصالحية. ثم خان الخضيرية أو الخضيرى ويقع بباطن دمشق بمحلة القطانين بالقرب من سوق العلية وربما هو الخان الموجود اليوم بسوق القطن قريبا من المدرسة الخضيرية. ثم خان المسرجية ويعرف بخان الحورة. أما مكانه فلم تحدد سجلات محاكم دمشق الشرعية.

ثم خان سبياي ومكانه غير معروف وينسب إلى النائب سبياي الذي ولى على دمشق في آخر العهد المملوكي.

وخان في باطن دمشق بمحلة باب شرقي المعد لوضع الغلة ويقع قبلى الطريق الآخذ إلى باب شرقي. ورغم ورود ذكره في سجل المحكمة الشرعية إلا أن نسبته لم ترد فيه. وخان المغاربة في باب المصلى بزقاق الأربعين. وخان عبد العظيم بمحلة القيمرية باطن دمشق. وخان السيد منصور، وربما هو خان السيد الموجود اليوم قبالة الجامع المعلق خارج السور الشمالي.

وخان الجاموس أو الجواميس - ثم خان السلاح، وخان بسوق الحمام، كلها ورد ذكرها في الوثائق التاريخية. أما أماكن هذه الخانات في دمشق فلم تحدد تلك السجلات. ثم خان الدقاقين في محلة الدقاقين قبالة سوق البزورية من جهة الجنوب. وخان البهرامية.

وبالرغم من بقاء هذه الخانات إلى العهد العثماني، إلا أنها لم تكن في أهميتها كالخانات التي أنشئت في العهد العثماني والتي بقيت إلى وقتنا الحاضر في دمشق، وربما يعود ذلك لاهتمام جميع العهود التي مرت على دمشق منذ إنشائها وحتى وقتنا الحاضر، بالحفاظ عليها والاستمرار في استخدامها من قبل التجار والحرفيين، فقاموا بصيانتها وترميمها وأهم هذه الخانات هي:

الخانات العثمانية وزخرفتها . أما خان قورت بك (حوالي ١٥٤٠ م) فتشيدنا مساحته البالغة ٢٥٠٠ م^٢، ويفرض هيئته علينا بفخامة بوابته التي يتقدمها سوق صغير خاص بنزلاء الخان . وتعتبر البحرة التي تتوسط باحته والإيوان الضخم في صدره من العناصر المميزة للعمارة «السورية» .

تأسس خان الجمرک في حوالي ١٥٧٤ م وهو فريد في ضخامة حجمه (٥٢ حانوتا في الطابق الأرضي و ٧٧ غرفة في الطابق العلوي، يحتل مساحة ٦٤٠٠ م^٢) . أما زخارفه فتذكرنا بزخارف الخانات المملوكية . وهناك ربط محکم للخان والأسواق التي بنيت في نفس الفترة، في جملة أوقاف الباني محمد باشا .

يوفر خان الوزير، الذي تأسس في زمن متأخر (١٦٨٢ م) الدليل على استمرار الفن المملوكي، ويتحلى ذلك بوجه خاص في زخارف الواجهات الرئيسية والداخلية . وعلى هذا الأساس هيمن التراث السوري هيمنة ملموسة على التأثير القادم من اسطنبول (العواصم العربية / ٦٢، ٦٣) .

قالت المؤلفة : زينا خان الوزير في سوق الزرب يوم الإثنين ٩ صفر ١٤١٢ هـ / ١٩ أغسطس ١٩٩١ م ووجدنا لوحة رخامية عليها الكتابة التالية : بنى في عام ١٠٩٣ هـ / ١٠٨٢ م وهو مبنى مهيب .

وقد أحصى ابن الشحنة خانات حلب في زمانه على النحو التالي :

خان ابرك بسوق الهواء .

خان خيبر بك بالقرب من باب السر من دار العدل تجاه باب سوق الدهشة .

خان ازدمر بسوق الصابون .

خان السيد تجاه المدرسة الصلاحية .

خان القاضي تجاه المستشفى الجديد داخل باب

قنسرين .

خان الخراطين .

خان الشيباني المعروف بالفرنجة .

مفتوح على سوق القلبيجية، ولا نعلم شيئا عن تاريخ بنائه، إلا أن عبد القادر الريحاوي يعتقد أن بناءه تم قبل بناء خان الجمرک . ثم خان الزعفرجية في سوق القلبيجية إلى الجنوب من خان الجمرک، هندسته شبيهة بخان قطنا . ولا نعلم تاريخ بنائه . ثم خان الحرمين أسماه القسطل على «خان الجوارى» ويقع في سوق الحرير في الطرف الشرقي منه قبالة خان قطنا ويذكر «بورتير» الذي زاره في سنة ١٨٥٥ م أنه مخصص لبيع الجوارى والعبيد .

أما البديري الحلاق الذي عاش في منتصف القرن الثامن عشر فإنه يذكر هذا الخان على أنه في باب البريد . وأحد سجلات محاكم دمشق / لعام ١٠٤٠ هـ / ١٦٣٠ - ١٦٣١ م عين مكانه في سوق الجراكسة باطن دمشق ولعله جدد بعد القرن الثامن عشر واحتفظ باسمه .

وخان التتن : والتتن كلمة تركية تعني التبغ . ويبدو أنه خصص عند إنشائه لتجارة التبغ، ويقع إلى الجنوب من الجامع الأموي شرقي خان الحرير، وبابه مفتوح على سوق السلاح وهو من النموذج المسقوف صحنه بالقباب .

وخان الصدرانية : يقع بالقرب من قصر أسعد باشا العظيم في صدر سوق البزورية، وبابه مفتوح على هذا السوق، مسقوف بعقد وثلاث قباب وقد عثرنا على وصف هذا الخان في الوثائق التاريخية التابعة لمحاكم دمشق لعام ١١٧١ هـ / ١٧٥٧ م وربما هو خان معاوية الذي تصفه سجلات محاكم دمشق بأنه معد للفتالة وجاري في دائرة أسعد باشا العظم . ثم خان السفرجلاني، ويقع في سوق السلاح بين الصاغة المحروقة وخان الصدرانية وهو خان صغير من طابقين، له صحن مسقوف بثلاث قباب وحوله رواق . وخان المغارية ثم خان أسعد باشا العظم وهو أوسعها وأفخمها على الإطلاق . (مجتمع مدينة دمشق ١ / ١٨١ - ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧) .

حلب :

تفصح خانات حلب الفخمة عن قوة التراث المحلي، فخان الصابون (بناء قزدامور) وخان الأبرك المملوكيان يعتبران من الأمثلة البديعة على زيادة أثرت على ما يظهر في مخطط

- خان المرة بسوق الهواء .
- خان المجنى وقف الحرمين بسوق الهواء .
- خان الشعارين .
- خان لصيق باب المقام .
- خان الزيت بباب المقام لصيق الألفية .
- خان الجورة بقرب المقصف .
- خان البرادعية .
- خان السهيل . «خان» الحنة . «خان» الدكاشرة . «خان»
- الأكبحى بالقرب من الكلتاوى . «خان» الخسف يعرف الآن
- بخان الحرير داخل باب النصر .
- «خان» بيحسيتا .
- خان الزيت المعروف بخان خير بك بالقرب من
- المصاين .
- خان دار كوره .
- خان ابن السفاح بالقرب من دار كوره قد صار الآن حانوتا
- للقهوة سنة خمس عشرة وألف .
- خان الصابون داخل باب الجنان .
- خان فى دركاه باب قنشرين .
- أما ما هو خارج البلد ظاهر باب الجنان
- خان السمك على النهر .
- خان الحنة خراب .
- خان الفاخورة .
- خان الفحم بالقرب من الوراق .
- خان سويد بالقرب من الجسر . «وظاهر باب النصر» :
- خان خير بك نائب حلب .
- خان بردبك الحاجب .
- خان الخندق .
- خان العصيص .
- خان تجاه خان العصيص .
- خان بقرب بيت المرعى . «وظاهر باب القناة» «فخان»
- اللبن .
- خان الفحم (الدر المتخب / ٢٤٨ - ٢٥٠) .
- ويسوق خير الدين الأسدى (١٣١٩ - ١٣٩٠ هـ / ١٩٠٠ -
- ١٩٧١ م) عددا من الخانات فى مدينة حلب المعاصرة وهى
- كما يلى :
- خان استانبول : يقع فى السوق المسمى باسمه . كان مقرا
- للشرطة الفرنسية أيام الاحتلال . تحتله الآن
- ورش الموييليا .
- خان البنادقة : يقع قرب الجامع الكبير . كان يشغله تجار
- البنادقة وقنصلهم لأن الحاضر المهدم لم يعد
- يستطيع أن يستخدم مكان إقامة .
- خان الحبال : فى سوق الحبال . ترك الفرنسيون خان الجمر
- لإنكليز واستأجروا خان الحبال لسكنهم
- واستعمالهم الخاص ، وسكن قنصلهم فى
- مبنى مجاور . وكان يسمى خان الفرنسيين .
- خان الحرير : من أعمار المناطق التجارية فى حلب . كان
- الهنود ينزلون فيه بالحرير ، تقع هذه المحلة
- بين الجامع الكبير والسبع بحرات . وفيه خان
- الحرير تباع فيه الأقمشة وفيه أيضا مطابع
- لليهود .
- خان السبيل : وتسمى حارة الباشا . فيها خان وفيه سبيل ماؤه
- جمع ، ينزل هذا الخان القوافل .
- [تقع قرب ابن نصير ، وهى حارة معروفة بكثرة
- مساجدها ، رغم صغرها فيها ستة مساجد وعدة
- سبلان وخانات وحمام سوق الغزل ، وقد هدمت
- حديثا] انظر الصورة
- خان الشورى : فى الطرق الغربى من العقبة ، كان مقرا
- لجنود الفرنسيين وسجنا للوطنيين ، وقد هاجمه
- «الجتا» عدة مرات . والجتا هم الميليشيا
- الوطنية فى عهد الانتداب الفرنسى .
- خان طومان : من خانات السبل ، مشهور بكلايه التى تنج
- الناس ، يقولون «ما بتعوى عليه ولا كلاب خان
- طومان» موقعه على نهر قويق ظاهر البلد ،

رمنه وعمره أبشير مصطفى باشا وأجرى إليه الماء من عين المباركة. يعد ٣ أميال عن حلب. كان فيه ٤٠ محافظا يقودها آغا لرد غارات العربان ومنعهم من نهب محاصيل القرى.

خان العسل: قرية غربى حلب، دخلت حديثا الحدود الإدارية للمدينة خوفاً فيها على المسققات، فيها مداجن حديثة، وعندها تجرى مراسم استقبال ووداع الحججاج أو غيرهم من المسافرين، وكانت تعد أحد متنزهاة حلب. كان الخان كبيراً محصناً تأوى إليه القوافل، والآن مائل للخراب وقربه عين ماء عذبة.

خان الجمرك: فى سوق المدينة، وهو مجمع تجارى بناه عام ١٥٧٤ م إبراهيم خان زاده محمد باشا، مدخله ما بين سوق العفص وسوق الهواء ويضم خاناً فيه ٥٢ مخزناً و ٧٧ غرفة وسوقاً جميلاً من الحجر المنحوت بعشر قباب للإنارة يجمعان ٣٤٤ حائوتا ومنهلين ومسجداً ومدخلا فخماً متوجاً بقباب، كان مقراً للفرنسيين والإنكليز والهولنديين يقيمون فيه ويسكنون، ثم تركه الفرنسيون إلى خان الحبال، وغادره الهولنديون إلى خان احتفظ باسمهم مدة. وكان الخان يضم مقر القنصل وراهب الجالية ويسمى مقره بالدير تفخيماً. وقد أصبح خان الجمرك المركز الرئيسى للصرافة وبيع الأقمشة بالجملة. وفى عام ١٩٨١ منع الصرافون من مزاوله أعمالهم ودوهمت حوانيتهم فأصبحوا يعملون سرا متخفين ببيع الأقمشة (أحياء حلب وأسواقها / ١٨٥ - ١٩٠) انظر الصورة.

قالت المؤلفة: يضيف الدكتور أندريه ريموند قائلاً: وهو

فريد فى ضخامة حجمه (٥٢ حائوتا فى الطابق الأرضى و ٧٧ غرفة فى الطابق العلوى، تحتل مساحة ٦٤٠٠ م^٢). أما زخارفه فتذكرنا بزخارف الخانات المملوكية. وهناك ربط محكم للخان والأسواق التى بنيت فى نفس الفترة، فى جملة أوقاف البانى محمد باشا (العواصم العربية / ٦٣)

ويمضى خير الدين الأسدى فى تعداد خانات حلب فيقول:

خان النحاسين: فى المحمص. كان مقراً لقنصلية فينيسيا ثم للقنصلية البليجيكية:

خان الوزير: بناه أحد ولاية حلب عام ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م وهو مؤلف من غرب للتجارة فى طابقين، وأروقة ممتدة، وفى منتصف ساحته يقوم مسجد الخان بقبة عليه وقد ألغى وحول إلى محلات لتجارة الأقمشة، ويقع الخان شرقى الجامع الكبير، وقد هدم السرواق الشمالى منه بسبب فتح الجادة العريضة. وتفكر الحكومة بتحويله إلى فندق سياحى.

ومحلة خان الوزير ذات فعالية تجارية كبيرة، فيها جامع الصاحبى، وهو مدرسة أنشأها أحمد يعقوب الصاحب عام ٧٥٠ هـ ويعرف الآن بجامع الفستق. وكان فيه قيسارية تحوى غرفاً وأنوالاً يدوية، وتؤجر غرفها للمبيت أو العمل وثمة أماكن فيها للدواب، وكان الجمالة والمكارية ينامون فيها. وفيها المطبخ العجمى وقد رمم بعد اقتطاع جزء منه مع فتح الجادة، وكان متحفاً للتقاليد الشعبية وتفكر الحكومة بإحيائه وجعله مطعماً، وفيها قاعة الصقال، وفيها حمام الواسانى ويقال: الواسانو. قديم جداً خرب مع فتح الجادة. وينقل الغزى عن صاحب كنوز الذهب «فى الحمام جرن أسود يذكر أن الخليل عليه السلام اغتسل فيه» ولم يزل هذا الأمر مشهوراً حتى الآن، وهو حمام مبارك

لتقى الدين المقرئى ٢ / ٩٢ - ٩٤ ، والسدينة المنورة . تطورها العمرانى وتراتها المعمارى - صالح لمعى مصطفى / ٢٤٦ ، ومجتمع مدينة دمشق - د . يوسف جميل نعيمة / ١٨١ - ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، والدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب لابن الشحنة - تقديم عبد الله محمد الدرويش / ٢٤٨ - ٢٥٠ ، وأحياء حلب وأسواقها لخير الدين الأسدى - تحقيق عبد الفتاح رواس قلعة جى / ١٨٥ - ١٩٢ . انظر أيضا التراث الإسلامى المعمارى فى مصر - د . صالح لمعى مصطفى / ٥٦ - ٥٩ .

* الخانقاه:

انظر: الخوانق

* الخانقاه (جامع):

انظر: سعيد السعداء (خانقاه -)

* الخانقاه الصلاحية:

انظر: سعيد السعداء (خانقاه -)

* الخانقاوات:

انظر: الخوانق

* خاتم:

لفظ فارسى بمعنى سيده . ويعتقد «قان برشم» أن هذا اللقب لم يرد فى النقوش الإسلامية غير مرة واحدة .

(الألقاب الإسلامية - د . حسن الباشا / ٢٧٤)

* خاورنامه:

خاورنامه : فارسى منظوم لمحمد بن حسام الدين المتوفى سنة ٨٩٢ اثنتين وتسعين وثمانمائة بقهستان نظم فيه سيرة على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه .

(كشف الظنون / ١ / ٦٩٩)

* خاير بك (مدرسة):

انظر: خاير بك (مسجد -)

* خاير بك (مسجد) (٩٠٨هـ / ١٥٠٢) : أثر ٢٤٨:

يقع هذا المسجد بشارع باب الوزير إلى جوار مسجد آمدسنقر (إبراهيم أغا مستحفظان) أنشأه فى سنة ٩٠٨ هـ (١٥٠٢ - ٣ م) (فى الخطط التوفيقية / ٤ / ٢٢٨ سنة ٩٢٧) الأمير خاير بك أحد أمراء المماليك الجراكسة ، وصل فى عهد السلطان

يدخله الناس للتبرك بآثار الخليل عليه السلام ويحصل لهم الشفاء من أمراضهم وخصوصا النساء .

وفيه خان الكتان وقيسارية خان الكتان . وتجاه باب خان الوزير تقوم المدرسة الجردكية أنشأها عز الدين جرديك النورى سنة ٥٥١ هـ وهى لصق أصلان دده . وقد بنى حديثا فى هذه المحلة مقسم توزيع رئيسى للهاتف الآلى (أحياء حلب وأسواقها / ١٩٠ - ١٩٢) انظر الصور.

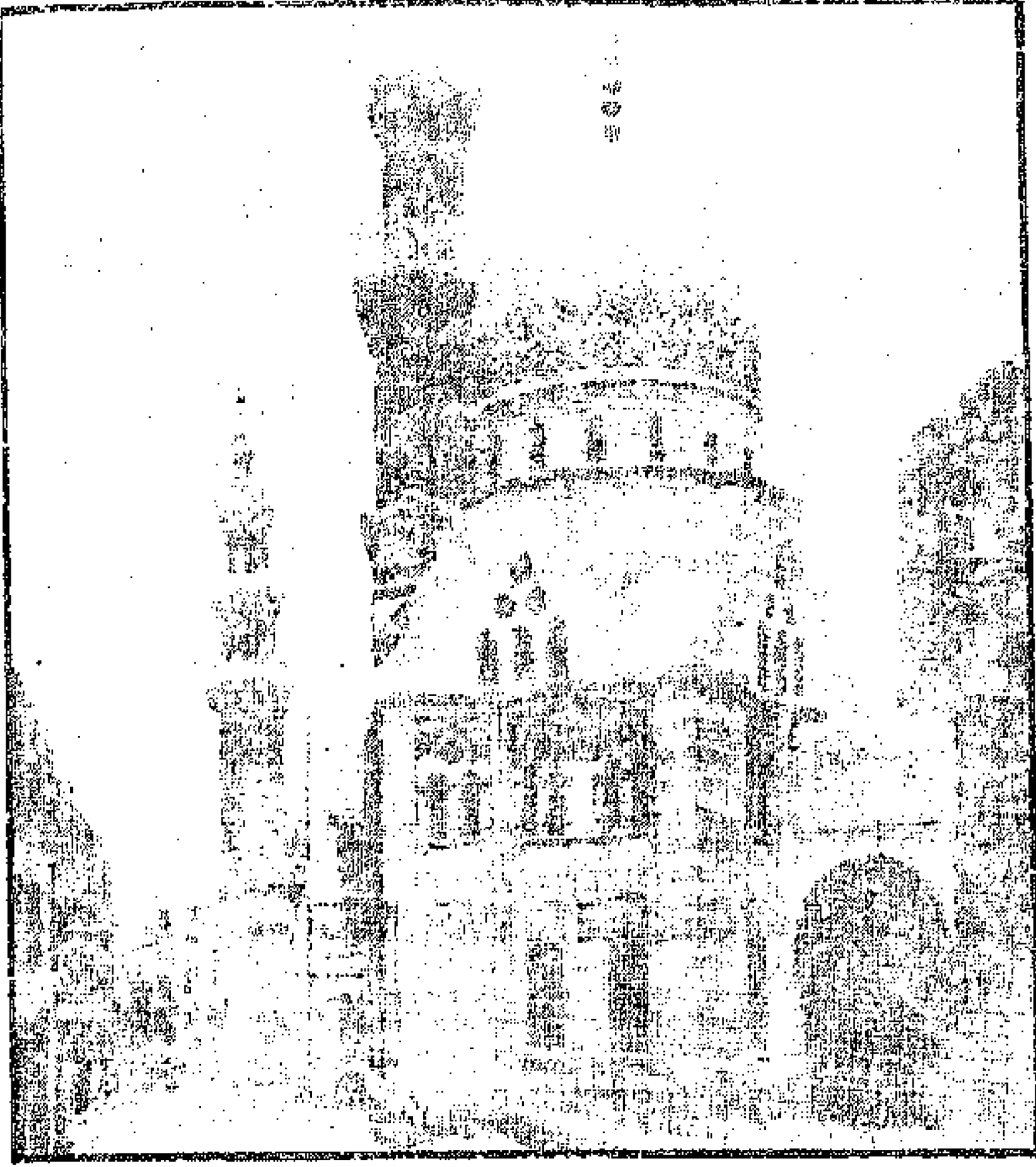
قالت المؤلفة : قمنا بزيارة خان الوزير يوم الإثنين ٩ صفر ١٤١٢ هـ / ١٩ أغسطس ١٩٩١ م ، وشاهدنا مدخل المدرسة الصحابية المعروفة الآن بجامع الفستق والمشار إليها آنفا ، ولم نستطع الدخول لأنه كان وقت إقامة الصلاة .

يقول الدكتور أندريه ريمون : يوفر خان الوزير ، الذى تأسس فى زمن متأخر (١٦٨٢ م) الدليل على استمرار الفن المملوكى ، ويتجلى ذلك بوجه خاص فى زخارف الواجهات الرئيسية والداخلية . وعلى هذا الأساس هيمن التراث السورى هيمنة ملموسة على التأثير القادم من استانبول .

كما يذكر خانا آخر هو خان «قورت بك» فيقول عنه أما خان قورت بك (حوالى ١٥٤٠ م) فتشدنا مساحته البالغة ٢٥٠٠ م^٢ ، ويفرض هيئته علينا بفخامة بوابته التى يتقدمها سوق صغير خاص بنزلاء الخان . وتعتبر البحرة التى تتوسط باحته والإيوان الضخم فى صرره من العناصر المميزة للعمارة «السورية» (العواصم العربية / ٦٣) انظر الصورة .

وهكذا فقد بسطنا الكلام على الخانات باعتبارها مؤسسات تجارية هى جزء من معالم حضارتنا ، وهى أنصع دليل على النشاط التجارى العظيم الذى كانت تتمتع به الدول الإسلامية .

(الفن الإسلامى - أبو صالح الألفى / ١٢٤ ، موسوعة العمارة الإسلامية - د . عبد الرحمن غالب / ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، والقيم الجمالية فى العمارة الإسلامية - د . ثروت عكاشة / ٧٩ - ٧٢ ، والعواصم العربية وعمرانها فى الفترة العثمانية - د . أندريه ريمون - تعريب قاسم طوير / ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٣ ، والمواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار



مسجد الأمير خاير بك

٩٠٨ هـ (١٥٠٢/٣ م)

ولكى يجمع المهندس الذى وضع تصميم المسجد والقبعة بين ضرورة مراعاة اتجاه القبلة وبين اتباع خط تنظيم الطريق أدخل المسافة الناتجة من انحراف الوجهة فى سمك حائطها وأنشأ بها صنفًا عقدًا بقبوات حجرية، وشغل الصفة المقابلة للمحراب بأن وضع بها دكة المبلغ.

وفى القبعة اثنتى بالشبايك لتكون عمودية على كل من حوائط المربع من الداخل ووجهاته، وتفنن فى تغطيتها بقبوات حجرية دقيقة الصنع (مساجد مصر ٢/ ١١٠، ١١١).

هذا وقد أدرجه على باشا مبارك فى الجوامع (الخطط ٤/ ٢٨٨، ٢٢٩) تحت اسم «خير بك» وقال عنه: جامع خير بك: هذا المسجد بالخرىكة جهة باب الوزير أنشأه الأمير خير بك ملك الأمراء فى سنة سبع وعشرين وتسعمائة، وهو من المساجد المشيدة، وأرضه مرتفعة نحو ثلاثة أمتار ومفروشة بالرخام الملون، وبه ضريح منشئه، ومن داخل المسجد بطحاء متسعة بها المطهرة وتوابعها، وبعض قبور، وشعائره مقامه من ريع أوقافه التابعة للديوان.

الغورى إلى مرتبة صاحب الحجاب (كبير الأمراء). وفى سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ - ٥ م) عينه الغورى نائباً عن حلب وظل فى هذه الوظيفة إلى سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) حيث غزا السلطان سليم الشام، وعندئذ ولاه الغورى قيادة مسيرة الجيش المملوكى، وعندما اشتد هجوم الجيش التركى خان خاير بك سيده وانسحب فأدى انسحابه إلى وقسوع الاضطراب فى صفوف الجند وهزيمة المماليك فى موقعة مرج دابق التى قتل فيها السلطان الغورى ولم يعثر له على أثر. وبعد ذلك أخذ فى تمهيد السبل لدخول الجيش العثمانى مصر بيدر بذور الفتنة فى الجيش المملوكى المرتد من الشام مما أدى إلى انهيار الدولة المملوكية والقبض على آخر ملوكهم طومان باى وقتله. وهكذا بدأ حكم العثمانيين لمصر، وكان خاير بك أول حاكم عليها من قبل الدولة العثمانية، فصار يتصرف فى شئونها تصرف المملوك، وكان عهده عهد قسوة وعنف، وساءت أحوال البلاد، وتوفى سنة ٩٢٨ هـ ويتكون المنظر الخارجى للمسجد من القبعة الجميلة المحلى سطحها بزخارف نباتية، والمنارة التى فقد قمتها فى وقت غير معروف، والمدخل المعقود الذى تغطيه طاقية مقرنصة الأركان، ثم السبل الواقع فى الطرف الشمالى من الوجهة، وكلها تكون مجموعة متناسقة امتازت بعدم بنائها على خط واحد مما زاد فى جمال تكوينها.

ويؤدى المدخل إلى دركاة معقود على يسار الداخل إليها باب يؤدى إلى ممر يتوصل منه إلى فضاء به سنان ومقابر مبشرة، وتطل عليه الوجهة الخلفية للمسجد ويتايا وجهة قصر الأمير الناق أحد أمراء المماليك البحرية، ويحده من الشرق سور البلد القديم، وإلى يسار الممر أنف الذكر باب السبل وإلى يمينه باب يؤدى إلى المسجد يتوصل إليه ببعض الدرجات.

وتخطيط المسجد عبارة عن حيز مربع أمام المحراب على جانبيه إيوانان يفصلهما عنه عقدان، وبنهاية الإيوان القبلى منهما بابان يؤدى أحدهما إلى القبعة والثانى إلى الغرفة الواقعة أسفل المنارة.

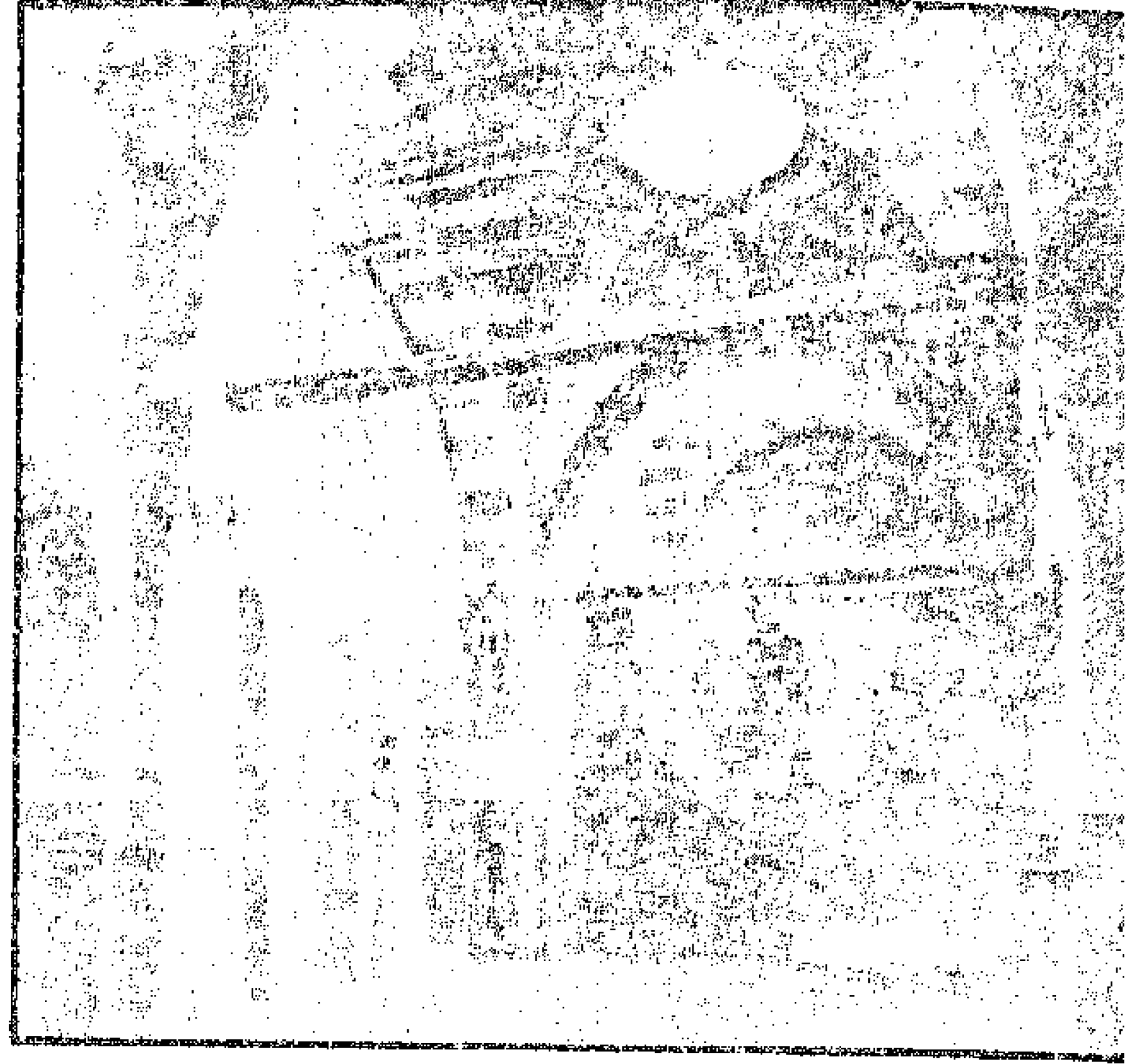
ويسترعى النظر فى هذا المسجد طريقه تسقيفه، فهو مغطى بقبوات مصلبة من الحجر.

لأصحابها، ورسم بإطلاق المحاييس من رجال ونساء فأطلقوا من كان بسجن الديلم والرحبة، ولم يتركوا بالسجن إلا القاتل والسارق، ولم ير الناس في أيامه أحسن من أيام مرضه، ولم يعرف الله عز وجل إلا وهو تحت الحمل، وكان مريضاً بفرج جحر فأعجز الأطباء، واستمر به المرض إلى أن مات. ودفن بجامعة المذكور انتهى. فسبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت (الخط التوفيقي ٤ / ٢٢٨، ٢٢٩).

وقد ذكره على مبارك باشا ثانية في المدارس تحت عنوان «مدرسة خير بك» وقال: هي بشارع الخربكية قرب باب الوزير على يمنة السالك من القلعة إلى السدب الأحمر، أنشأها الأمير خير بك ملك الأمراء في سنة سبع وعشرين وتسعمائة، وهي عامرة إلى الآن، وتعرف بجامع خير بك وقد ذكرناه في الجوامع ١هـ (الخط التوفيقي ٦ / ١٦).

(مسجد مصر. وزارة الأوقاف ٢ / ١١٠، ١١١، والخط التوفيقي الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٢٨، ٢٢٩ و ٦ / ١٦).

قالت المؤلفة: قمت بزيارة هذا المسجد مرتين كانت الثانية منهما يوم الأحد ٢٠ مايو ١٩٨٤، وقد قال لي خادم المسجد إن العامة جرفت اسم «خاير» بك إلى «خاين» بك بإبدال الراء نونا لأنه - كما سبق القول - خان سلطانه الغوري وباعه للسلطان سليم في موقعة مرج دابق. وقد توجهت بعد زيارتي المسجد إلى الحوش الذي أشار إليه على مبارك بلفظ «بطحاء» وشاهدت وراء سور القاهرة القديم، كما أن بالحوش حواصل، وفي نهايته إلى اليمين باب يؤدي إلى قصر ألين آق الحسامي (٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م، أثر ٢٤٩) الذي ترى بقايا وجهته، ولم يبق منه إلا أطلال وقد صحتني خادم المسجد في محاولتي مشاهدة القصر الذي يقع بابه بجوار باب المسجد، وهو مهدم تماما، وكذلك القاعة، وهي مهدمة، ويصعد إليها على أكوام من الحجارة والرمال مما جعلني أحجم عن الصعود إليها. وأمام القاعة أبواب تؤدي إلى غرف لعلها كانت اصطبلات أو حواصل، وكلها يسكنها أناس في كل غرفة. وسور القاهرة القديم يقع وراء القصر مباشرة، وأمام القصر سبيل ومدفن عمر أغا والمنازل المجاورة (أثر ٢٤٠).



مسجد الأمير خير بك

٩٠٨ هـ (١٥٠٢/٢٣)

ثم ترجم له فقال: وخير بك هذا كما في ابن إياس: هو ملك الأمراء خير بك أول من تقرر باشا بمصر بموعد سبق له من السلطان سليم، وذلك في سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة، واستمر نائبا عايتها إلى أن مات سنة ثمان وعشرين وتسعمائة، فكانت مدة نيابته بمصر نحو خمس سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما، وكان جبارا عنيدا سفاكا للدماء، قتل ما لا يحصى من الخلائق... إلخ. وهكذا يعدد ابن إياس مساوئه، ثم يقول: أصله من مماليك الأشرف قايتباي. وكان جرکسی الجنس، وكان اسمه بلساي الجرکسی، وكان يدعى أيضا خير بك بلباي. وفي مرض موته أعتق جميع جواريه ومماليكه، ثم إنه دفع للقاضي بركات بن موسى المحتسب ألف دينار فضة، ورسم بعشرة آلاف أردب قمح من الشون، ورسم للمحتسب أن يفرقها على مجاورى الأزهر، وعلى المزارات، والزوايا. ثم أمر بإخراج مراسم للقاضي شرف الدين بن عوض بأن يفرج عن أصحاب الرزق الأحياسية التي كان قد أدخلها إلى ديوان السلطان. وكانت نحو ألف وثمانمائة رزقة... فأفرج عنها

* الخفاف العايم من لومة اللام:

من مصنفات التراث الإسلام فى التصوف مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٦٣٧٩ .

- رسالة فى شرائط الخلوة وحفظ الوقت وعدم تضييعه إلا فى الطاعات والقربة .

المؤلف : نجم الدين ؟

أولها : الحمد لله تواضع كل شىء لعظمته ، والحمد لله الذى استسلم كل شىء لقدرته والحمد لله الذى خضع كل شىء لملكه ...

آخرها : وكان راع من رعاة الغنم يرعى فاستقاه إنسان فقال ليس عندنا ماء فاشترى منه لبنا فحلبه فى إناء فشرب العطشان وفضلت فضلة فقال أما تشرب قال : لا إني صائم ...

الخط : نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم النسخ : سعيد الحبش بجامعة العفيف بدمشق

تاريخ النسخ : الأحد ١٢ شوال سنة ١٢٦٧ هـ

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد

رياض المالح ١ / ٤٩٤) .

* خباب بن الأرت (٢٧٠هـ / ٦٥٧م) :

قال عنه الإمام النووى : خباب بن الأرت بالناء المثناة فوق المشددة الصحابى رضى الله عنه تكرر ، هو أبو عبد الله . وقيل أبو محمد . وقيل أبو يحيى خباب بن الأرت بن جندلة بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهو عربى لحقه سباء فى الجاهلية فبيع بمكة وقيل هو حليف بنى زهرة وقيل هو مولى أم أنمار بنت سباع الخزاعية وهى من حلفاء بنى زهرة بن كلاب بن مرة فهو تميمى النسب خزاعى الولاء زهرى الحلف وكان خباب من السابقين إلى الإسلام وممن تعذب فى الله تعالى وكان سادس ستة فى الإسلام . قال مجاهد أول من أظهر إسلامه من الصحابة أبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وسمية أم عمار فكان أبو بكر رضى الله عنه يمنع عنه قومه وأما الآخرون فكانوا يعذبونهم . وقال الشعبى

إن خبابا صبر ولم يعط الكفار ما سألوه فجعلوا يلزقون ظهره بالرضف حتى ذهب لحم ظهره قال وسأله عمر رضى الله عنه عما لقى من المشركين فقال يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري فنظر فقال ما رأيت كاليوم ظهر رجل قال خباب : لقد أوقدت نار وسحبت عليها فما أطفأها إلا ودك ظهري . وشهد مع رسول الله ﷺ بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ روى له عن رسول الله ﷺ اثنان وثلاثون حديثا اتفق البخارى ومسلم على ثلاثة وانفرد البخارى بحديثين ومسلم بحديث . روى عنه ابنه عبد الله وقيس بن أبى حازم وأبو نوفل ومسروق وأبو ميسرة والشعبى وآخرون ومرض خباب مرضا شديدا طويلا توفى منه بالكوفة سنة سبع وثلاثين فى خلافة على رضى الله عنه وقبره أول قبر دفن بظاهر الكوفة وكان أوصى بذلك وكان الناس إنما يدفنون على أبواب بيوتهم ثم دفنوا بظاهر الكوفة حين أوصى خباب بذلك ولما رأى على كرم الله وجهه قبره قال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلى فى جسمه ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا . وكان عمره ثلاثا وسبعين سنة وقال بعضهم توفى سنة تسع عشرة وغلطوه .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ /

١٧٤ ، ١٧٥ - انظر أيضا الأعلام للزركلى ٢ / ٣٠١) .

* ابن الخباز (٦٣٩٠هـ / ١٢٤١م) :

أحمد بن الحسين بن أحمد الإربلى الموصلى ، أبو عبد الله شمس الدين ابن الخباز ، نحوى ضرير . له تصانيف منها «الغرة المخفية فى شرح الدرة الألفية» مخطوط ، وهو شرح لألفية ابن معطى ، و«توجيه الجمع» مخطوط شرح لكتاب اللمع لابن جنى ، فى الأزهر وانظر شستر بتى (٥٠٩٣) وله شعر (الأعلام ١ / ١١٧) .

عرف بابن الخباز البلدى ، شارح ألفية ابن معطى ، وسكن الموصل ونشأ بها ، واشتغل وجلس مكان شيخه يقرئ النحو ، واللغة ، والعروض ، والقوافى ، والفرائض ، والحساب ، وتزاحم الناس عليه ، ولم ير فى زمانه أسرع حفظا منه ، وكان كثير العتب على الزمان ، مستحضرا لجمال من الأشعار والنوادر ، توفى سنة تسع وثلاثين وستمائة .

وكان من جملة محفوظه : الإيضاح ، والتكملة ، والمفصل ، ومجمل اللغة لابن فارس ، ومن شعره في ذم أهل الزمان :

أعراضهم لم تنزل مسودة فإذا
قدحت فيهم أصاب القسح حرّاقا
بلوثهم وطعمت السم في غسل
وما وجدت سوى الهجران درياقا
له ترجمه في : البلغة / ٩ ، وبغية الوعاة ١ / ٣٠٤ ،
وشذرات الذهب ٥ / ٢٠٢ ، وطبقات ابن قاضي شعبة
١ / ١٩٤ ، ونكت الهميان / ٩٦ ، ومعجم المؤلفين
١ / ٢٠٠ ، والنجوم الزاهرة ٦ / ٣٤٢ (إشارة التعيين / ٢٩) .

(الأعلام للزركلي ١ / ١١٧ ، وإشارة التعيين في تراجم النحاة
واللغويين لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني - تحقيق د. عبد المجيد
دياب / ٢٩ . انظر أيضا نشأة النحو - الشيخ محمد الطنطاوي / ٢١٠
وفيه وفاته سنة ٦٣٧هـ) .

* الخَبَازِي :

مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في علم طب
الأعشاب ، وعلم التغذية . ذكره المظفر الرسولي نقلا عن
مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية
والأغذية » .

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله
الإنسان » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسي .

خبازي « ع - منه بستاني يقال له الملوكية ، ومنه برى
معروف ، ومنه برى كالخطمي . والخبازي البستاني ، وهو
الذي يسميه أهل الشام الملوكية ، يصلح للأكل أكثر مما
يصلح البرى ، وهو رديء للمعدة ، ملين للبطن ، ويدر
البول ، وخاصة قضبانه ، نافعة للأمعاء والمثانة ، وورقه إذا
مضع نيئا وتضمده به مع شيء من الملح ، نقى نواصير العين ،
وأثبت فيها اللحم ، وإذا تضمده به كان صالحا للسهل الزنايبير

والنخل . والخبازي : بارد رطب في الأولى ، وخاصة البستاني
منه ، رديء للمعدة الرطبة ، نافع للمثانة ، وبزره أنفع ، وهو
نافع صالح لخشونة الصدر والرئة والمثانة ، وإن طبخت
بدهن ، وضمدها بها الأورام الحادثة في المثانة والكلى نفع ،
وإن ضممت بها الأورام الحارة سكنها ، وينفع غذاء من
السعال اليابس ، الحادث عن خشونة الصدر ، وبزرها إذا
أضيف إلى أدوية الحقن أزال ضرر الأدوية الحارة . « ج »
الخبازي نوع من الملوخية ، وهي الملوكية ، وقيل : الملوخية
هي البستاني ، والخبازي هي البرى . ومن الخبازي نوع يقال له
ملوخيا الشجر ، وهو الخطمي ، وقيل إن البقلة اليهودية أحد
أصناف الخبازي ، والبرى أطف وأيس ، وهو بارد رطب في
الدرجة الأولى ، وقيل إنه معتدل في الحر والبرد ، والخبازي
ينفع من النملة والحمرة ، وورق البردى مع الزيتون ينفع من
حرق النار ، وكذلك طيخه نطولا ، ويمضغ للقلع ، ويلين
الصدر ، ويغزر اللبن ، ويسكن السعال عن حرارة ويس ،
ويفتح السدد في الكبد ، وزهره نافع لقروح الكلى والمثانة
شربا وضمادا . وربما أفرط وأسهل دما « ف » خشيشة معروفة ،
يقال لها الملوكية ، مختارها البرى الطرى ، وهي باردة رطبة في
الأولى ، ينفع من خشونة الصدر ، وبزره من قروح المثانة .
الشربة : بقدر الحاجة (المعتمد ١ / ١١٥ ، ١١٦) .

كما أدرجه الشيخ داود الأنطاكي فقال عنه :

خبازي : ويقال خييزا اسم لكل نبت يدور مع الشمس
حيث دارت ويطلق في العرف الشائع على نبت برى مستدير
الورق وسط أوراقه كشيء مجوف دقيق سبط له زهر إلى
الصفرة وبزر إلى السواد مفرطح وربما ارتفع هذا النبات كثيرا
ورأيت منه شجرة تقارب التوت وأما النوع الشبيه بالقصب وبين
كل قصبتين زهر يستدير وينفتح كالورد فهو الخطمي وأما
البستاني من الخبازي فهو الملوخيا ويقال الملوخيا وهو نبت
سبط الأوراق من وجه خشن من الآخر الذي يلي الأرض مسيخ
الطعم مائي يطول نحو ذراع بزهر أصفر يخلف غلفا كالودود
إلى خضرة محشوة بزرا أسود شديد المرارة وسائر هذا النوع
كثير اللعابية والزوجات وتدرك الملوخيا بأيار (مايو) وتستمر

(الطب العربي / ١٣٩) .

كما أفرد لها الإمام السيوطي مقامة من مقاماته فقال عنها :
وما أدراك ما الخبازي بارد رطب في الأولى ، رديء للمعدة
الرطبة فضولا ، مغزر للبن نفع ، يفتح لسدد الكبد وينفع
للقلاع ، وينفع من السعال اليابس بالاعتذاء ، ومن أوجاع
المثانة وما بها من أذى ، ويدر البول ويلين طبعا ويصالح
خشونة الصدر والرئة ، ويزره في ذلك أشد نفعاً .

وقضباناه نافع للمثانة والأمعاء ، وورقه إذا مضغ نيئاً وضمد به العين نقى البواسير وأثبت فيها اللحم وأزال الغين ، وإذا ضمد به للسهل التحل والزناير نفع ، وإذا دق وخلط بزبد أو تمسح به لم يضره منها ما لسع وإذا ضمد به مع البول أبرأ الرطبة من قروح الرأس ، وإذا طبخ ودق وخلط به زيت ووضع على الجمرة وحرق النار أذهب عنها البأس ، وإذا وضع وحده على الأورام سكنها ، أو الدماميل فجرها وأخرج ما فيها من الأدناس ، وإذا جلس النساء على طبيخه سكن صلابة الرحم والمقعدة ، وإذا أضيف بزرها إلى أدوية الجفن أزال ضرر الأدوية الحادة وبرده ، وإذا طبخ ورقه بأصوله نفع من لسعة الرتيلا والأدوية القتالة ، وينبغي أن يشرب ويتقيأ دائماً فإنه يبرأ ذلك لا محالة .

وقد قلت فيها شعرا :

مخبریات از بیانات نهی و امر

تحکمی قبضہ باب زیرِ جلد

كثيرة النفع طبيا

مَقَامُهُ فِيهِ أَمِيرٌ

نَفْسٌ وَفِي الطَّبِ حَقٌّ

عاسی لجیسن وعسج

وجاء في الهامش ما يلي :

(١) خيازة برية :

(خبيز في الشام، جنس زهر من فصيلة الخبازيات).

مكان النبتة : حواشي الطرق ، السياج .

أوصافها : عشبة يبلغ ارتفاعها نحو متر، أوراقها مستديرة

إلى أواخر الصيف وأما الخبازى فلا تدرك إلا بآكتوبر وتستمر طول الشتاء والكل بارد فى الثانية رطب فى الثالثة يلين ويطفىء الصفراء واللهيب والأخلاط المحترقة وتنفع من الحكة والجرب وقروح الأمعاء وخشونة القصبة وحرقة البول والسدد وأوجاع الطحال واليرقان إلا أنه ردىء للمعدة الضعيفة والأمزجة الباردة والملوخية تعطش للطفها وتهيج الحرارة وينبغى أن لا يبادر إلى أخذ الماء فوقها وبزر الخبازى شديد اللعابية ينفع من أورام الحلق والخشونات وبزر الملوخيا يسهل الأخلاط الغليظة والبلغم اللزج ويفتح السدد وينفع عرق النسا وكلها بسائر أجزائها واقعة فى الحقن والفتائل وماؤها بالسكر يخلص من الأخلاط المحترقة جميعا وإذا مضغت حللت الأورام وسكنت لسع العقرب وهى ترخى وتولد الرياح والنفخ وتصلحها الحوامض للمحرورين ونحو الفلافلى والكمونى فى المبرودين والشربة من مائها إلى خمسين درهما وأجود ما طبخت الخبازى بلحم الطيور (تذكرة أولى الأبواب ١/١٣٥،

وقال القزويني : الخبازي حشيشة معروفة ينضم ورقها بالليل ويفتح بالنهار ، ورقها إذا طلى به الجرب والحكة والقمل أزالها ويسكن لسع الزنايير ضمادا خصوصا مع الزيت ؛ وإذا مضغ الملح وجعل على النواصير نفعها ، بزرها يشربه المسموم ويتقيا مرة بعد أخرى يدفع عنه غائلة السم .
وينفع من نهش الرتيلا (عجائب المخلوقات / ١٨٥ ، ١٨٦) .

وقد ذكرها الطبيب المغربي ، ابن شقرون في البقول البرية
 في منظومته المعروفة بالأرجوزة الشقرونية ، وقال إن خصائصها
 هي خصائص « البامية » فقال عن « البامية » :

لجنة قسود ما تهيج السودا

لا تقربنہا ما استطعت أبیہا

لاكنه _____ تطفئى لهيب المعطش

ممن أجل ذا تعجب أهل الحبش

وأعقب ذلك بقوله عن الخبازي :

وقس عليها بقصة الخبازي

حقیقۃ فی الطبع لا مجازا

مغنيًا (الرقم ٤٤٣ س) كتبت سنة ٧٨٣، و «شرح الهداية» مخطوط (الأعلام ٦٣/٥).

قال صاحب مفتاح السعادة : ومن شروح «المغني» «شرح منصور القاني»، وهو أبو محمد منصور بن أحمد بن يزيد الخوارزمي القاني. شرح «المغني» للخبازي شرحًا مفيدًا في الغاية في بابه... ومن شروحه «شرح سراج الهندي» وهو أبو حفص عمر بن إسحاق بن أحمد الغزنوي، سراج الدين الهندي قاضي الحنفية بالقاهرة (مفتاح السعادة ١٦٨/٢، ١٦٩).

(الأعلام للزركلي ٦٣/٥ ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١٦٨/٢، ١٦٩).

* خبايا الزوايا:

خبايا الزوايا في الفروع : لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي المتوفى سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة. أوله : الحمد لله الذي لم تزل نعمته تتجدد... إلخ ذكر فيه ما ذكره الرافعي في النووي [والنووي] في غير مظهرها من الأبواب فرد كل شكل إلى شكله وكل فرع إلى أصله واستدرك عليه الشريف عز الدين حمزة بن أحمد الحسيني الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ٨٧٤ أربع وسبعين وثمانمائة وسماه بقايا الخبايا. ولبدر الدين أبي السعادات محمد بن محمد البلقيني المتوفى سنة ٨٩٠ تسعين وثمانمائة حاشية عليه. (كشف الظنون لحاجي خليفة ٦٩٩/١).

* خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا:

من مصنفات التراث الإسلامي في علم الأدب. مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم : ٧١٠٩.

للخفاجي : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، المصري المتوفى سنة ١٠٦٩هـ / ١٦٥٩م (ترجمته في بروكلمان الذيل ٣٩٦/٢، والأعلام ٢٢٧/١، ومعجم المؤلفين ١٣٨/٢).

مجنحة ومسنة وساقها الطويلة مكسوة بشعيرات دقيقة، وكذلك الساق وفروعها. وهي تزهر بين حزيران وأيلول (يونية وسبتمبر) أزهارًا بخمس أوراق مجوفة عند الرأس، لونها أحمر فاتح ومخططة بمخطوط قاتمة، ساقها طويلة ومكسوة بشعيرات دقيقة.

الجزء الطبّي منها : الورق مع الساق، والأزهار بدون الساق.

المواد الفعالة فيها : مواد هلامية وقليل من المواد الدابغة والمقشعة وفي الأوراق مواد قابضة.

أ- من الخارج : تستعمل لبخ العشب الغضة والمهروسة لمعالجة القروح ويستعمل مغليها للمضمضة والغرغرة في التهاب اللوزتين والفم.

ب- من الداخل : يشرب مغليها لمعالجة النزلات الصدرية (سعال مصحوب بقشع) والنزلات المعوية (إسهال) ولمعالجة التهاب الحلق واللوزتين.

ويعمل المغلي كالمعتاد ونسبة ملعقة كبيرة من العشب المجففة لكل فنجان من الماء، ويشرب منه ساخنًا (٣-٢) فناجين في اليوم. (مقامات السيوطي / ٣٣، ٣٤).

(المعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١١٥، ١١٦، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١ / ١٣٥، ١٣٦، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقرظيني / ١٨٥، ١٨٦، والطب العربي في القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية للطبيب عبد القادر بن شقرون - تحقيق وتعليق د. بدر التازي، تعريب وتقديم د. عبد الهادي التازي / ١٣٩، ومقامات السيوطي للإمام جلال الدين السيوطي - تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري، ومحمد السعيد بسيوني زغلول / ٣٣، ٣٤ وهامش التحقيق).

* الخبازي (٦٢٩-٦٩١هـ / ١٢٣٢-١٢٩٢م) :

عمر بن محمد بن عمر الخبازي الخجندى، أبو محمد، جلال الدين، فقيه حنفى، من أهل دمشق. جاور بمكة سنة وعاد إليها. له «المغني» مخطوط في أصول الفقه قال الزركلي : اقتنيت منه نسخة كتبت سنة ٦٩٢ ومنه ثانية في

ذكر فيه أدباء عصره من شيوخه وشيوخ أبيه، كصاحب الذخيرة وقلائد العقيان واليتيمة والدمية وعقود الجمال. رقبه على خمسة أقسام وخاتمة :

- القسم الأول : فى رجال الشام .

- القسم الثانى : فى رجال الحجاز .

- والقسم الثالث : فى رجال مصر .

- والقسم الرابع : فى رجال المغرب .

- والقسم الخامس : فى رجال الروم .

- والخاتمة : فى نظم المؤلف ونثره .

أوله : « حمدا لك اللهم يطوق جيد البلاغة نظم عقوده ، وينسج بنان البيان على منوال البراعة رقيق بروده ، وشكرا تدفقت موارده ومصادره وغرقت فى سواحله من كل وارد فكر خواطره ... » .

آخره : « ... »

فلا تضيقه بهم قد نزل

ومنا لغير الله فيه من محل

فاشرح به بالنور اللطيف القدسى

وصير البسط أنيس ...

تم نسخ كتاب خبايا الزوايا ... سنة ثلاث وثمانين وألف على يد الفقير رجب بن محمد نزيل دمشق ... » .

كتبت النسخة بخط نسخ مستعجل .

٢٢٧ ق ٢١ س ٢٠ × ١٤ سم

(فهرس الظاهرية ١ / ١٩٤ ، ١٩٥) .

كما يوجد مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى ، وقد أدرج فى قسم التاريخ :

ينقص من أوله سطورا من المقدمة .

وآخره : « هذا آخر ما تيسر تحريره من نسخة الأصل وقد بقى فيها بعض تراجم لم يتيسر نقلها وضمها لأخواتها لضيق الوقت وقد ألحق المؤلف بعض تراجم الأفاضل الحلبيين بعد نسخ هذه التراجم لم أقف عليها ، وسوف إذا من الله تعالى

بالاجتماع به مرة ثانية نستوعب جميع ما فى الأصل . والله المسئول فى تيسير ذلك فإنه القادر عليه والمرجع فى الأمور كلها إليه ، وقد أنهيتها نسخا فى مجالس آخرها الليلة التى تسفر عن غرة يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر شعبان المبارك سنة أربعة وخمسين وألف » .

نسخة كتبت بخط نسخى فى ١٠٨ ورقات ، ومسطرتها ٢١ سطرا . وبعدها ترجمة وافية للخفاجى حوت الكثير من شعره . وتقع هذه الترجمة فى ٢٥ ورقة .

[مكتبة العباسية - البصرة ١٠] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة / ١٥٧) .

قال صاحب كشف الظنون : وهو تأليف لطيف يدل على مهارة مؤلفه فى الأدب (كشف ١ / ٧٠٠) .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب - وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١ / ١٩٤ ، ١٩٥ ، وفهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ ج ٢ ق ٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م / ١٥٧ ، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧٠٠) .

* الخبث :

درجه المظفر الرسولى نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية » .

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم الثقلىسى .

خبث - « ع » كل خبث فهو داء يجفف تجفيفا شديدا ، إلا أن خبث الحديد أشد تجفيفا ، وإن سحق مع الخل الثقيف جدا ، ثم طبخ صار دواء يجفف القيق الجارى من الأذن زمانا طويلا ، حتى يعجب منه من لا يجربه . وهو يحلل الأورام الحارة ، وينفع من خشونة الجفن ، ويقوى المعدة ... ويقطع نزف الحيض ، وهو غاية فيه ...

فالأولى موضوعة لإفادة الحدوث في زمن مخصوص مع الاختصار وقد تفيد الاستمرار التجددى بالقرائن إذا كان الفعل مضارعاً كقول طريف .

أو كـلـمـا و ردت عـكـسـا ظ قـبـيـلـة

بعثوا إلى عريفهم يتوسم
والثانية موضوعة لمجرد ثبوت المسند للمسند إليه نحو الشمس مضيئة وقد تفيد الاستمرار بالقرائن إذا لم يكن في خبرها فعل نحو العلم نافع .

والأصل في الخبر أن يلقي لإفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة كما في قولنا حضر الأمير، أو لإفادة أن المتكلم عالم به نحو أنت حضرت أمس، ويسمى الحكم فائدة الخبر وكون المتكلم عالماً به لازم الفائدة .
وقد يلقي الخبر لأغراض أخرى :

- ١ - كالاسترحام في قول موسى عليه السلام ﴿ رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ﴾ [القصص : ٢٤] .
 - ٢ - وإظهار الضعف في قول زكريا عليه السلام ﴿ رب إني وهن العظم مني ﴾ [مريم : ٤] .
 - ٣ - وإظهار التحسر في قول امرأة عمران ﴿ رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت ﴾ [آل عمران : ٣٦] .
- أضرب الخبر

حيث كان قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر الحاجة حذراً من اللغو فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم ألقى إليه الخبر مجرداً عن التأكيد نحو أخوك قادم، وإن كان متردداً فيه طالباً لمعرفته حسن توكيده نحو إن أخاك قادم، وإن كان منكراً له وجب توكيده بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر حسب درجة الإنكار نحو إن أخاك قادم، أو إنه لقادم، أو والله إنه لقادم .

فالخبر بالنسبة لخلوه من التوكيد واشتماله عليه ثلاثة أضرب كما رأيت ويسمى الضرب الأول ابتدائياً والثاني طلبياً والثالث إنكارياً .

ويكون التوكيد بأن وأن ولام الابتداء وأحرف التنبيه والقسم

وإذا خالط أدوية المعدة والكبد والطحال والأعضاء الداخلة، المحتاجة إلى التجفيف والقبض، فيجب أن يلفظ قبل ذلك بسحقه مع الخل، وتجفيفه في الشمس ...

وخبث الحديد، قوته شبيهة بقوة زنجار الحديد، إلا أنه أضعف، وخبث النحاس قوته شبيهة بقوة النحاس المحرق، ويغسل كما يغسل النحاس المحرق . وخبث الرصاص أشد قبضاً . « ج » خبث الحديد أقوى الخبث تجفيفاً، وهو حار يابس في الدرجة الثالثة، وهو يجفف الرطوبات، ويحلل الأورام الحارة والسداحس، ويمنع الحبل، ويقطع النزف حمولاً بصوفة، وينفع من اللبن المنعقد في الثدي إذا شرب، وقدر ما يؤخذ منه دائق، ويعرض لمن شربه ما يعرض لمن سقى برادة الحديد، وعلاجه كعلاجه . خبث الفضة قابض جداً، وفيه قبض وتجفيف، ينفع من الجرب والسعفة، ويدمل القروح، ويمنع النزف وخبث الرصاص قوته مثل قوة الرصاص المحرق . وهو بارد يابس، ينفع من قروح العين « ف » خبث الفضة والحديد والنحاس والرصاص مسخنة كلها مجففة، أجودها الحديد الفولاذي الصافي . الشربة : نصف درهم (المعتمد ١/١١٦، ١١٧) .

وقال عنه داود الأنطاكي :

خبث هو الأوساخ الخارجة من المعادن وقت سبكها وطبعها كمعادنها؛ وبالجملة كلها جيدة للقروح إلا أن خبث الحديد أحسنها في ذلك بالنسبة إلى ما في البواطن يقوى المعدة ... مع صفرة البيض إلى دائق وإن طبخ بزيت ثم عقد بعسل صفى الصوت وأصلح الحلق عن تجربة وخبث الفضة أعظمها للعين والذهب للأعراق الخبيثة وسنستوفي منافعها في معادنها (التذكرة ١/١٣٦) .

(المعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/١١٦، ١١٧، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١/١٣٦) .

* الخبر:

الخبر من أقسام علم المعاني، وهو إما أن يكون جملة فعلية أو اسمية .

ونونى التوكيد والحروف الزائدة والتكرير وقد وأما الشرطية (قواعد اللغة العربية / ١٠٨، ١٠٩) .

وجاء فى التعريفات للجرجاني : الخبر لفظ مجرد من العوامل اللفظية مسند إلى ما تقدمه لفظاً نحو زيد قائم ، أو تقديرًا نحو قائم زيد؟ وقيل الخبر ما يصح السكوت عليه والخبر هو الكلام المحتمل للصدق والكذب .

خبر كان وأخواتها : هو المسند بعد دخول كان وأخواتها .
خبر إن وأخواتها : هو المسند بعد دخول إن وأخواتها .
خبر لا التى لنفى الجنس : هو المسند بعد دخول لا هذه .
خبر ما ولا المشبهتين بليس : هو المسند بعد دخولهما (التعريفات / ١٣٠) .

(قواعد اللغة العربية - حنفى بك ناصف وزملائه / ١٠٨ ، ١٠٩ ،
والتعريفات للشريف الجرجاني - تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة /
١٣٠) .

* الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال:

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال :
رسالة لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى
سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة أولها الحمد لله الذى فاوت
بين خلقه فى المراتب إلخ (كشف / ١ / ٧٠٠)

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة
الأسد) وجاء بيانه كما يلى تحت العنوان المختصر «الخبر
الدال على وجود القطب والأوتاد :

الرقم ٥٢٦٨

— رسالة فى جواب عن سؤال بعض الناس وأن بعضهم
ينكرون على السادة الصوفية بأن منهم أبدالاً ونقباء ونجباء
وأوتاداً فتصدى لذلك المؤلف بهذه الرسالة مدعماً ذلك
بالأحاديث والأخبار والقرائن وكان تأليفها فى يوم السبت ثامن
محرم سنة ٨٨٣ هـ .

المؤلف : أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر
السيوطى الشافعى المتوفى سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م .

أولها : الحمد لله الذى فاوت بين خلقه فى المراتب وجعل
فى كل قرن سابقين ، بهم يحيى ويميت وينزل الغمام
السالك ...

آخرها : وجود شخص فى مكانين فى وقت واحد لأن ذلك

إثبات تعدد الصور الروحانية لا الجسمانية وقد قررت نظير
ذلك فى الروح بعد الموت فى باب مقر الأرواح ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

تاريخ النسخ : ١٤ ذى القعدة سنة ١١١٢ هـ

نسخة ثانية .

الرقم ١١٢٤٢

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخى جميل : الحبر : أسود وبعض كلماته
بالأحمر .

ملاحظات : نسخة مراجعة .

نسخة ثالثة .

الرقم ٥٤٨٥

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ١٢٨ / ٥ ، الضوء
اللامع ٦٥ / ٤ ، النور السافر / ٥٤ ، الكواكب السائرة
٢٦٦ / ١ .

طبعة الكتاب : طبع ضمن كتاب الحاوى للفتاوى
٢ / ٤٥٥ على نفقة مكتبة القدسى بمصر ، ثم صور حديثاً .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى من كتاب الحاوى
للفتاوى طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٢ هـ —
١٩٨٢ م ، وتقع فى جزئين ، وتقع الرسالة فى الجزء الثانى
ص ٢٤١ — ٢٥٥ .

بعض نسخ الكتاب : الأحمدية بحلب ١٨٣١ / ٨
مجاميع ، ويحتفظ الأستاذ محمد رياض المالح واطع فهرس
الظاهرية بنسخة مخطوطة منه (فهرس الظاهرية ١ / ٤٩٤ — ٤٩٦) .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧٠٠ ، وفهرس مخطوطات دار
الكتب الظاهرية . التصوف — وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٩٤ — ٤٩٦)

* الخبر الصحيح عن عشائر المنتفق (تاريخ المنتفق):

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ

مخطوط بالمجمع العلمى العراقى وجاء بيانه كما يلى :

المؤلف : وضعه بالتركية : سليمان فائق بك (ت : ١٣١٤
هـ / ١٨٩٦ م) نقله إلى اللغة العربية : محمد خلوصى
الناصرى .

أوله : «الخبر الصحيح عن عشائر المنتفق :

مساكن المنتفق: أن رواد الأخبار ونقله الآثار، قد انفقوا على الأخبار الآتية عن أحوال عشائر المنتفق:

فمساكن هذه العشائر الجغرافية كائنة في الجانب الغربي من مدينة البصرة ...».

آخره: «... تمت كتابة هذه الرسالة منقولة من نسخة معربة من الأصلية التركية، وكان تمامها يوم الثلاثاء من شهر رجب الفرد لاثنى عشر يوما خلت منه لسنة ستة وثلاثين وثلثمائة وألف».

يلى ذلك فهرس بالموضوعات.

نسخ مصورة بالفتستات عن نسخة خطية في خزانة كتب الدراسات العليا بكلية الآداب من جامعة بغداد.

بخط مشق معتاد

٦٣ ص، ١٩ س

(٢٥ / تاريخ)

أشرف على نشره السيد عبد الرزاق الحسني، وصدره بمقدمة (ص ٣-٥) مطبعة المعارف - بغداد ١٩٦١، ٩٠ صفحة.

توجد منه نسخة خطية في مكتبة المتحف العراقي ببغداد (برقم ١١٢٢)، وانظر بشأن نسخه الخطية مقدمة الناشر (مخطوطات المجمع العلمي العراقي - ميخائيل عواد ١٢، ٢٥٥).

* خبر عروة وعفراء:

من مخطوطات الأدب في المتحف العراقي

الرقم ٣٠١٩٧ / ٢

لم يعلم المؤلف.

الأول: (ذكروا والله أعلم وأحكم ... من أحاديث الأمم أنه كان في قديم الزمان، وسالف الدهر، ... قبيلة من قبائل العرب يقال لها بنو عروة ...) وهو في أخبار عروة بن خزام وعفراء، تسبقه رسالة أخرى في خبر هند وبشر بن سعد الأزدي، والأشعار المنسوبة لهما.

نسخة جيدة، كتبها عبد الرحيم بن إسماعيل المولوي سنة ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م في بغداد في آخرها قصيدة لحسن فهمي شيخ الإسلام.

٥٣ ص.

٢٢ × ١٥ سم.

١٩ س.

١٣٤ ق

٣٤ س

٢٨ × ٢١ سم

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي أسامة ناصر النقشبندی وظمياء محمد عباس / ١٥٦)

* الخبر عن البشر:

الخبر عن البشر: للشيخ تقي الدين أحمد بن علي المقرئ المؤرخ المتوفى سنة ٨٤٥ خمس وأربعين وثمانمائة وهو كبير في أربع مجلدات ذكر فيه القبائل وأنساب النبي ﷺ وعمل له مقدمة في مجلد.

(كشف الظنون ١ / ٧٠٠)

* الخبر في عجائب البشر:

من مصنفات التراث الإسلامي في الأدب

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق ((أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٥٩٧٥

لمحمد الثواتي (?)

أوله: «الحمد لله الذي تنزه عن الجور وتكبر عن الظلم وعدل في أحكامه وأحسن إلى عباده ... أما بعد فهذا كتاب فيه تسلية للنفس عندما يصيبها الملل في بعض الأحوال وتنشيط واستراحة للقلب ليكون ذلك أعون لها على القراءة ...».

آخره: «... ثم قالت لجواريتها: اخرجنه عني، فأخرج ومضى مسرعا إلى الوليد فقال له الوليد: ماذا كنت فيه يا أبا محمد؟ قال والله ما سكنت أم البنين حتى كان بطن الأرض أحب إلي من ظهرها فضحك ثم قال: إنها ابنة عبد العزيز.

وعجائب الدنيا والمخلوقات لا تحصى. وليكن هذا آخر ما قصدنا ونحن نستغفر الله تعالى من اشتغالنا بما لا يعنى والله المسئول أن يغفر لنا ...

وكان الفراغ منه ضحوة الأحد السابع والعشرين من شهر شوال عام الأربعة والعشرين بعد الألف على يد كاتبه ... محمد العربي بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن محمد ابن الحاج ...».

النسخة مفروطة خطها مغربي

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الأدب - وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١ / ١٩٦، ١٩٧).

* الخبر (فى علم الحديث):

الخبر: - ابن حجر: الخبر عند علماء الفن مرادف للحديث؛ فيطلقان على المرفوع وعلى الموقوف والمقطوع.

- «الحديث» ما جاء عن النبي (ﷺ) و «الخبر» ما جاء عن غيره، ومن ثم قيل لمن يشتغل بالسنة محدث، وبالتواريخ ونحوها (أخباري).

- قيل بين «الحديث» و «الخبر» عموم وخصوص مطلق؛ فكل حديث خبر لا عكس. وقيل لا يطلق الحديث على غير المرفوع إلا بشرط التقيد.

- الخبر فى اصطلاح فقهاء خراسان هو المرفوع (معجم مصطلحات توثيق الحديث / ٣٣).

وقد أورد العلامة ابن النفيس فى كتابه «المختصر» فصلا فى تعديد أقسام الخبر، وفصلا فى الخبر المتواتر، وهذا الفصل الأخير لا يعد تكرارا لما سبق أن أوردناه فى مادة «التواتر» (انظرها فى م ١٠ / ٥٩٣، ٥٩٤) إذ أن ما جاء بها كان قاصرا على التواتر فى القراءات. قال ابن النفيس رحمه الله عن أقسام الخبر:

إن الخبر إذا اعتبر بذاته فقط، كان لا محالة محتملا للصدق والكذب. وأما إذا اعتبر مع أمر آخر ينضاف إليه، فقد يصير معلوم الصدق، وقد يصير معلوم الكذب، وقد يظن به الصدق، وقد يظن به الكذب.

أما الخبر المعلوم الصدق؛ فقد يكون كذلك، للمعلم بصدق المخبر، وقد يكون لغير ذلك. والمخبر المعلوم الصدق هو الله تعالى ونبيه (ﷺ)، ومجموع المسلمين، والإمام المعصوم على قول من يقول به (هم الشيعة)؛ وكذلك من أخبر أحد هؤلاء بصدقه.

وكذلك إذا قال واحد من المسلمين بحضرة النبي (ﷺ) - قولاً دينياً يفند شرعاً عاماً، وكان وقت العمل به حاضراً، وسمعه النبي (ﷺ) - ولم ينكر منه شيئاً، ولا ظهر منه ما يُشعر بالإنكار فإننا حينئذ نجزم بصدق ذلك القائل.

وكذلك الخبر الذى تحتف به قرائن كثيرة تدل على صدقه، كما إذا أخبر ولد المريض بموت والده، وهو مشقوق الجيب، مرسل الشعر، والحويل يسمع من دارة، والنعش موضوع على بابها، فإنها حينئذ نجزم بصدق ذلك الخبر.

وكذلك الخبر المتواتر، ولذلك نجزم بوجود خراسان، وإن كنا لم نشاهدها، وذلك لأجل تواتر الخبر بوجودها.

وأما الخبر الذى يجزم بصدقه، لا لأجل الجزم بصدق المخبر؛ فقد يكون كذلك لموافقة الخبر المعلوم الصدق. كما لو أخبر واحد بما يوافق خبر الله، أو خبر رسوله، أو بما اتفق المسلمون عليه، وكذلك إذا أخبر بما يلزم ذلك، كما لو قال قائل: بعض الميتة حرام. فإن هذا لازم لقوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ [المائدة: ٣].

وقد يكون كذلك لأجل الجزم بمطابقة ما أخبر به للواقع، والعلم بذلك قد يكون بديهياً، كما لو قال قائل: الاثنان نصف الأربعة والكل أعظم من الجزء. وقد يكون غير بديهى، كما لو قال قائل: إن لنا صانعاً، وإن العالم محدث.

وأما الخبر المعلوم الكذب، فقد يكون كذلك لأجل العلم بصدق خبر آخر ينافيه، إما يضاده أو يناقضه، كما لو أخبر واحد بما يناهى قول الله، أو قول رسوله (ﷺ) أو قول مجموع المسلمين. وقد يكون كذلك، لأجل العلم بمخالفة ما أخبر به الواقع. والعلم بذلك قد يكون نظرياً كالأنباء التى يوردها المبتدعون، نصاً فى التشبيه؛ فإن هذه نجزم بأنها لم ترد كذلك، لجزمنا بأن التشبيه محال. وقد يكون بديهياً، كما لو قال أحد: إن البعض أعظم من الكل! وقد يكون الخبر معلوم الكذب لأجل احتفاف القرائن به - الدالة على كذبه - كما لو قال واحد إنه نبي، ولم يأت بمعجز، فإننا حينئذ نجزم بكذبه. هذا قبل بعثة نبينا (ﷺ) - وأما بعد ذلك، فإننا نكذبه ولو أتى بما يظن به أنه معجز، لعلمنا أن رسول الله (ﷺ) خاتم النبيين.

وكذلك لو أخبر واحد بنزول مطر كثير فى بقعة، فوجدناها عقب ذلك جافة، فإننا حينئذ نجزم بكذبه. وكذلك لو أخبرنا بمهم، نعلم أنه لو كان صادقاً لاشتهر الإخبار به، فلما يخبر

به سوى واحد، فإننا حينئذ نجزم بكذبه . . كما لو قال قائل : إن النبي ﷺ نسخ صلاة الجمعة ! فإن هذا نجزم بكذبه، لأن هذا النسخ مهم عظيم فى الدين، فمحال أن يتفرد بنقله واحد، وكذلك لو قال قائل : إن الملك أمر الجند بهدم السور مثلا، وبعد مدة لم ينقل ذلك غيره، ولم يظهر له أثر، فإننا حينئذ نجزم بكذبه .

وقد يكون الخبر مقطوعا بكذبه لغير ذلك، كما لو قال قائل : إن جميع كلامى كذب ! فإننا حينئذ نجزم بكذبه، لأن هذا لو كان صادقا، لزم أن يكون كاذبا لأنه من جملة كلامه . وأما المظنون الصدق، فكما إذا أخبر العدل الثقة، عن وجود شيء وجوده أكثرى وأما الخبر المظنون الكذب، فكما إذا قال واحد : إن كذا كان كذا بحضور هؤلاء الجماعة فكذبوه فى الحال . وكذلك إذا أخبر المعتاد الكذب عن وجود شيء نادر الوجود جدا، أو تفرد بخبر تتوفر الدواعى على نقله .

ثم ينتقل ابن النفيس إلى الكلام على الخبر المقطوع بصدقه فيتناوله فى فصلين : الأول منهما فى تحقيق الكلام فى الخبر المتواتر يقول فيه :

التواتر فى اللغة هو التسابع، وهو ورود شيء بعد آخر . . . وأما فى الاصطلاح الواقع بين العلماء، فإن الخبر المتواتر هو : خبر أقوام بلغوا فى الكثرة إلى حد يمنع العقل من توافقه فى ذلك على الكذب، فلهذا هو يفيد القطع . وقالت السمنية والبراهمة : إنه يفيد الظن الغالب دون العلم . وقيل : إنه يفيد العلم فى الموجودات - كوجود خراسان - وأما الأمور الماضية كوجود الشافعى - رضى الله عنه - فى زمانه، فإنما يفيد الظن . وقال الكعبى وأبو الحسن البصرى : إنه يفيد العلم، ولكن ذلك العلم ثابت بالنظر .

والحق، وهو رأى الجمهور، أنه يفيد العلم مطلقا . وأن ذلك العلم ضرورى، ولذلك فإننا لسنا نشك ولا نرتاب بوجود أصبهان وأمرؤ القيس الشاعر، وإن كنا لم نشاهد ذلك، بل إنما استفدنا العلم به من كثرة المخبرين عنه، حتى علمنا أن مثل هؤلاء لا يمكن توافقه على الكذب، ولولا أن هذا العلم ضرورى، لتوقف حصوله على النظر، فكان إنما يحصل لأهل النظر والاستدلال، وليس كذلك .

وإنما يكون الخبر متواترا، حتى يفيد العلم بشروط :

أحدها : أن يكون السامع له من أهل العلم؛ إذ يستحيل حصول العلم فى غير متأهل له، فلذلك لا يكون مجنوناً ولا غافلاً، ولا مفرط السكر، ولا طفلاً غير مميز .

وثانيها : أن يكون السامع ليس عنده علم ضرورى بثبوت المخبر عنه، وإلا لم يكن مستفيدا للعلم بذلك من الخبر، وقال الشريف المرتضى :

«يشترط أن لا يكون عند السامع شبهة، تشككه فى صدق الخبر» . فلذلك عند الشيعة : إنما لم نجزم نحن (يقصد أهل السنة) بصحة النص الوارد فى إمامة على رضى الله عنه لأجل ما عندنا من الشبهة المانعة لنا عن ذلك . . وهذا فاسد، فإن الشبهة لا تقوى على دفع العلوم الضرورية .

وثالثها : أن يكون المخبر عنه ممكناً؛ فلو أخبر أهل العالم أن الاثنين فرد، لم يلتفت إلى ذلك .

ورابعها : أن يكون المخبرون جازمين بما أخبروا به، فلو كانوا ظانين ذلك؛ لم يكن ذلك مفيداً لقطع السامع .

وخامسها : أن يكون إخبارهم عن مشاهدة، أو عن مشاهدين؛ فلو أخبر أهل العالم بأن العالم محدث لم يكن لإخبارهم أثر فى إفادة علم أو ظن بذلك .

وسادسها : أن تكون مشاهدة المشاهدين للمخبر عنه، حقيقة وصحيحة، فلا تكون على سبيل غلط الحس؛ فلذلك لا نلتفت إلى إخبار النصارى بصلب المسيح - عليه السلام - فإن ذلك شبه لهم .

وسابعها : أن يكونوا بصفة يوثق معها بقولهم، فلو أخبروا متلاعنين أو مكرهين على ذلك الخبر، لم تلتفت إلى ذلك .

وثامنها : أن يبلغ المخبرون فى الكثرة إلى حد يمنع العقل توافقه على الكذب . واختلف الناس فى هذه الكثرة، فقيل : أقلها خمسة، إذ مادون ذلك بيينة شرعية، إنما تفيد الظن، وتعمل تركية الشهود . وقال القاضى أبو بكر : إنى أقطع أن الأربعة لا تكفى، وأتردد فى الخمسة، وقيل : بل أقل ذلك عشرة بعدد النقباء، إذا الغرض منهم حصول العلم بقولهم . وقيل : أقل ذلك عشرون، لقوله تعالى : ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ

عشرون ﴿ [الأنفال : ٦٥] وقيل أربعون ؛ لأن ذلك أقل عدد
ينعقد به للجمعة . وقيل : سبعون ، لأن موسى عليه السلام
اختار هذا العدد من قومه . وقيل : لا بد من كثرة لا يحصرها
عدد ، ولا يحوى المخبرين بلد .

(جاء في هامش المحقق التعليق التالي على ما ذكره ابن
النفيس عن عدد النقباء :

النقباء : كلمة قرآنية ؛ والمفروض أن عددهم اثنا عشر نقيباً
وليس كما يرد هنا . انظر قوله تعالى : ﴿وبعثنا منهم اثني
عشر نقيباً﴾ فالنقيب هنا : الأمين والكفيل . وكان النبي - ﷺ -
قد جعل ليلة العقبة اثني عشر نقيباً كلهم من الأنصار يعلمون
قومهم الإسلام (لسان العرب ٣ / ٦٩٩) .

والنقباء : لفظة صوفية تشير إلى جماعة معينة من الأولياء
(راجع المعنى الصوفي لهذا اللفظ في : تعريفات الجرجاني
ص ٢٦٦ ، اصطلاحات القاشاني ص ٩٦) ولهم أيضاً في
التصوف ، العدد ١٢ ، وهو عدد النقباء في القرآن الكريم)

وأما الحق ، فهو أن هذه الكثرة لا تنضبط بعدد
مخصوص ، إذ تختلف الحال في ذلك باختلاف الوقائع
وأحوال المخبرين والسامعين ؛ فإخبار القضاة والأمراء عن
ركوب السلطان ، ليس كإخبار الرعاع بمروق بلدة في صحراء
خراسان ؛ فلذلك : حصول القطع بصدق الخبر دليل على
تحقق الكثرة المشروطة ، لا عكس ذلك .

وتاسعها : أن تستوى الأطراف والوسائط جميعها في أن
كل واحد منها يفيد القطع بكثرة المخبرين . والعلم بذلك
عسير ؛ فلذلك يعتمد على حصول المشروط ، وهو العلم
اليقين فمهما تحقق ذلك جزم بأن شروط هذا الخبر تحققت ؛
وإن لم تكن عالمة بحال واسطة من طبقات الرواة ونحو
ذلك .

ولو تحققت الأشياء التي نعتقد أنها هي الشروط ، ولم
يحصل لنا العلم بصدق الخبر ، نعلم قطعاً أنه قد فات بعض
الشروط المعسرة في نفس الأمر ، فإن هذه الشروط مهما
تكاملت لزمها بالضرورة حصول العلم بصدق الخبر .

وقال القاضي : إنه مهما حصل هذا العلم لشخص فلا بد

من حصوله لجميع الأشخاص ؛ لتحقيق الموجب للعلم عند
كل واحد منهم . . وهذا لا يصح ! إذ لا بد مع المخبرين من
قرائن تدل على صدقهم واستحالة اتفاقهم على الكذب .
وهذه القرائن يختلف ظهورها للأشخاص ، وقد يتحقق التواتر
عن شيء لم يصرح بالخبر عنه ، وإنما لزم لعدة إخبارات ، لو
كانت عن شيء واحد ، لصح فيه التواتر . وهذا كالأخبار الدالة
على شجاعة علي رضي الله عنه وكالدالة على سخاوة حاتم ؛
وذلك بأن يروى واحد أن حاتماً وهب مائة من الإبل ، ويروى
آخر أنه أعتق جماعة من العبيد ، ويروى آخر أنه تصدق بمال
جزيل ونحو ذلك . فتدل هذه الأخبار جميعها بالالتزام على
سخاوته . . ويسمى هذا التواتر ، تواتراً بالمعنى .

وعاشرها : قد شرط بعضهم في خبر التواتر ، اختلاف
أنساب المخبرين وأديانهم ومساكنهم وشرط بعضهم عدالة
المخبرين ، وشرط الروافض أن يكون منهم الإمام المعصوم . .
والكال باطل ! فإننا نجزم بوجود بغداد ، وإن كنا لم نعتبر في
المخبرين بها شيئاً من ذلك .

ثم ينتقل ابن النفيس إلى الفصل الثاني وهو في تحقيق
الكلام في بقية الأخبار المفيدة للعلم ، وقد جاء فيه ما يلي :
أما خبر الله - عز وجل فجميع من تعرّف بالصانع وبكلامه
لا يشك في استحالة الكذب عليه ، والعلم بذلك قريب من
أن يكون أولياً .

وأما خبر رسول الله - ﷺ - فلو لم يكن الكذب عليه
محالاً ، لم يكن لبعثته فائدة ؛ وذلك لأن فائدة الرسول - عليه
السلام - تعريفنا بالله تعالى ، وبالمعاد إليه ، وبنعيم الآخرة
وعذاب جهنم ، ونحو ذلك . وإنما يتم ذلك بأن يكون كلامه
صادقاً ، فلو جاز أن يكذب ، لجاز أن يكون ما يخبر به من
ذلك كله كاذباً ، وذلك ينافي الرسالة .

وأما خبر مجموع المسلمين ، فقد علمنا وجوب صدقه من
قول الله تعالى ، وقول رسوله على ما بيناه في كتبنا الأصولية .
وأما الخبر الذي يسمعه النبي - ﷺ - فلا ينكره ، فقد قال
بعضهم : إن ذلك الخبر يجزم بصدق مطلقاً . . والحق ؛ أن
هذا الخبر قد يكون عن أمر ديني ، وقد يكون عن أمر دنيوي .
فإذا كان عن أمر ديني ، فإنما نجزم بصدق شروطه ؛

أحدها : أن يكون وقت العمل بذلك الأمر قد حضر، فإنه لو لم يكن كذلك، لجاز أن يكون ترك النبى - ﷺ - الإنكار؛ لأنه يجوز له تأخير البيان إلى وقت الحاجة .

وثانيها : أن لا يكون النبى - ﷺ - قد تقدم فبين حكم تلك الواقعة، فإنه لا يجب عليه تكرير بيان كل وقت، فلعله حينئذ إنما ترك الإنكار لاعتماده على ما قدمه من البيان .

وثالثها : أن يكون ما أخبر به مما لا يمكن أن يشرع، فلو قال قائل : إن الله تعالى قد أوجب على الناس الطيران أو ترك التنفس، لجاز أن يكون سكوت النبى - ﷺ - عن الإنكار لعلمه أن مثل هذا القول مما لا يصغى إليه .

وإذا كان هذا الخبر عن أمر دنيوى، فقد قيل : إنه يجزم بصدقه إذا علم أن النبى ﷺ عالم بالواقعة؛ وكذلك إذا قال المخبر : « وهذا النبى ﷺ يعلم صحة ما أقوله . . » وهذا ضعيف، فإن النبى ﷺ ليس يلزمه تبين الأمور الدنيوية ولا يلزمه الإنكار على الكاذب إذا لم يحلف .

وأما الخبر الذى تحتف به القرائن، فقد منع جماعة من الأولين إفادته للعلم؛ لأجل تغليب بعض القرائن . . وهذا لا يصح، فإن من قطعت يده بسكين حاد، وهو يستغيث ويتغير لونه، فأخبر أحد بأنه متألم؛ لا يشك أحد فى صدق ذلك الخبر. لكن هذه القرائن مما لا ينضبط .

وإذ أخبر رسول الله ﷺ جميعها صادقة، فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، فمن شافهه رسول الله ﷺ بأمر، كان ذلك الأمر معلوم الصدق قطعاً، وكذلك من نقل إليه كلامه على وجه يفيد القطع، كالخبر المتواتر؛ ونحوه .

وأما الأخبار التى بأيدينا الآن، فإنما نتبع فيها غالب الظن، لا العلم المحقق، خلافاً لقوم وقال قوم : إن جميع ما اتفق عليه مسلم والبخارى، فهو مقطوع به، لأن العلماء اتفقوا على صحة هذين الكتابين . . والحق أنه ليس كذلك! إذ الاتفاق إنما وقع على جواز العمل بما فيهما، وذلك لا ينافى أن يكون ما فيهما مظنوناً بصحته، فإن الله تعالى لم يكلفنا الوقوف عند العلم، ولذلك يجب الحكم بموجب البينة؛ وإن كانت إنما أفادت الظن، فتصح الصلاة فى الثوب الذى لم يغسل فى

الحال، مع جواز تنجسه، وما ذاك إلا لأننا نظن طهارته، وأمثال ذلك فى الشرعيات كثير. (المختصر فى علم أصول الحديث ١١٥/٩٩).

ومن المفيد أن ننقل هنا ما أورده الجرجاني عن الخبر فى تعريفاته، قال رحمه الله :

الخبر على ثلاثة أقسام : خبر متواتر، وخبر مشهور، وخبر واحد .

أما الخبر المتواتر فهو كلام يسمعه من رسول الله ﷺ جماعة، ومنها جماعة أخرى إلى أن ينتهى إلى المتمسك .

وأما الخبر المشهور، فهو كلام يسمعه من رسول الله ﷺ واحد، ويسمعه من الواحد جماعة، ومن تلك الجماعة أيضاً جماعة إلى أن ينتهى إلى المتمسك .

وأما خبر الواحد (انظر مادة «الآحاد» فى م ١/ ١٧٣ - ١٨١) فهو كلام يسمعه من رسول الله ﷺ واحد، ويسمعه من ذلك الواحد واحد آخر، ومن الواحد الآخر آخر إلى أن ينتهى إلى المتمسك .

والفرق هو أن جاحد الخبر المتواتر يكون كافراً بالاتفاق، وجاحد الخبر المشهور مختلف فيه والأصح أنه يكفر، وجاحد خبر الواحد لا يكون كافراً بالاتفاق .

والخبر نوعان . . مرسل ومسند، فالمرسل منه ما أرسله الراوى إرسالاً من غير إسناد إلى راو آخر، وهو حجة عندنا (أى فى المذهب الحنفى) كالمسند، خلافاً للشافعى فى إرسال الصحابى وسعيد بن المسيب (أحد فقهاء المدينة السبعة ونورده فى موضعه إن شاء الله تعالى)، والمسند ما أسنده الراوى إلى راو آخر إلى أن يصل إلى النبى ﷺ .

ثم السند أنواع : متواتر، ومشهور، وآحاد . فالمتواتر منه ما نقله قوم عن قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب فيه، وهو الخبر المتصل إلى رسول الله ﷺ، وحكمه يوجب العلم والعمل قطعاً حتى يكفر جاحده، فالمشهور منه هو ما كان من الآحاد فى العصر الأول، ثم اشتهر فى العصر الثانى حتى رواه جماعة لا يتصور تواطؤهم على الكذب، وتلقته العلماء بالقبول، وهو أحد قسمى التواتر، وحكمه يوجب طمأنينة

القلب لا علم يقين حتى يضل جاحده ولا يكفر وهو الصحيح، وخبر الأحاد: هو ما نقله واحد عن واحد، وهو الذي لم يدخل في حد الاشتهار، وحكمه يوجب العمل دون العلم، ولهذا لا يكون حجة في المسائل الاعتقادية.

وخبر الكاذب: هو ما تقاصر عن التواتر (التعريفات / ١٣٠، ١٣١)

(معجم مصطلحات توثيق الحديث - د. علي زوين / ٣٣، والمختصر في علم أصول الحديث لابن النفيس - دراسة وتحقيق د. يوسف زيدان / ٩٩ - ١٥٥، والتعريفات للشريف الجرجاني - تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٠، ١٣١)

انظر مادة «الأحاد» في م ١ / ١٧٣ - ١٨١، ومادة «التواتر» في م ١٠ / ٥٩٣ - ٥٩٤، ومادة «الحديث (علم -)» في م ١٣ / ٢٤٦ - ٢٦٠.

* خبر قس بن ساعدة الإيادي:

خبر قس بن ساعدة الإيادي: لأبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي المتوفى سنة ٣٤٧ سبع وأربعين وثلاثمائة (كشف الظنون / ١ / ٧٠٠)

* خبر قس بن ساعدة وغير ذلك:

من مصنفات التراث الإسلامي في الأدب مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٣٧٥٤ مجاميع ١٧.

رواية أبي محمد الحسن بن محمد بن الحسن الخلال الحافظ عن شيوخه المتوفى سنة ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ م (ترجمته في الأعلام ٢ / ٢١٣ ومعجم المؤلفين ٣ / ٢٨٠).

أوله: «أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد الخلال قراءة عليه في رجب سنة [] وثلاثين وأربع مائة قال: حدثنا عمر بن أحمد بن [] إملاء، ثنا محمد بن محمد بن سليمان الباغندي، نا عثمان بن أبي شيبة، نا جرير عن الأعمش عن ...»

آخره ناقص ينتهي بقوله «... أما بعد فقد بلغني كتابك يذكر أن الناس سألوا أن تقسم بينهم مغانمهم وما أفاء الله

عليهم فإذا جاءك كتابي هذا فانظر ما أجلب الناس عليك إلى العسكر من كراع أو مال».

نسخة قديمة عليها سماعات

(٣٦-٣٢) ق ٥ ١٧ سم ١٣ × ١٨,٥ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - الأدب - وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١ / ١٩٧، ١٩٨)

* خبر كان وأخواتها:

قال ابن الحاجب:

هو المسند بعد دخولها، مثل: كان زيد قائما، وأمره كأمر خبر المبتدأ، ويتقدم على اسمها معرفة، وقد يحذف عامله في مثل: «الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخير، وإن شرا فشر»، ويجوز في مثلها أربعة أوجه، ويجب الحذف في مثل: أما أنت منطلقا انطلقت: أي لأن كنت (الكافية / ٣٩٦)

وجاء في منظومة الدرة اليتيمة للشيخ ابن نبهان:

* وما أتى لنحو كان من خبر *

أي لكان ونحوها من خبر. ويشرح هذا الشطر الأول من البيت الشيخ محمد علي بن حسين المالكي فيقول:

أما خبر كان وأخواتها فأنواعه ثلاثة. أحدها مفرد وهو ما ليس جملة ولا شبيها بها وهو قسمان: جامد ومشتق.

وثانيها جملة وهي نوعان فعلية واسمية. ويشترط في الجملة الواقعة هنا خبرا ما اشترط فيها إذا وقعت خبر المبتدأ بلا فرق.

وثالثها شبه الجملة وهو نوعان أيضا ظرف وجار ومجرور والظرف زماني ومكاني وشرطه كشرطه المتقدم إذا وقع خبرا للمبتدأ.

وحكم خبر كان وأخواتها وجوب نصبه وعدم جواز حذفه وإن له بملاحظته مع الاسم والفعل الناقص ستة أحوال: أحدها وجوب التأخر عن الاسم وذلك في محلين: الأول إذا التبس مع الاسم نحو كان صاحبي عدوى فلا يجوز تقديم عدوى على أنه خبر لأن لا يعلم ذلك لعدم ظهور الإعراب، والثاني إذا كان الخبر محصورا فيه نحو «وما كان صلاتهم

عند البيت إلا مكاء وتصدية» [الأنفال: ٣٥] أى تصفيرا بالفاء وتصفيقا.

وثانيها وجوب توسطه بين الفعل والاسم وذلك إذا دخلت أن المصدرية على الفعل واتصل الاسم بضمير عائد لبعض الخبر نحو يعجبني أن يكون في الدار صاحبها فيمتنع تأخير في الدار لمكان الضمير ويمتنع تقديمه على الفعل لثلا يفصل بين أن وصلتها وعلى أن لأن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول.

وثالثها وجوب تقديمه على الفعل وذلك إذا كان اسم استفهام نحو أين كان زيد أو اسم شرط نحو أينما كان زيد أجلس.

ورابعها وجوب تأخيرها أو توسطه وذلك إذا ولى الفعل حرف استفهام كهل كان زيد قائما فيمتنع تقديمه على هل لأن لها الصدر وعلى كان لثلا يفصل بينهما.

وخامسها وجوب توسطه أو تقدمه وذلك في محلين: الأول أن يتصل الاسم بضمير يعود لبعض الخبر نحو كان في الدار صاحبها وكان غلام هند بعلمها بنصب غلام، والثاني أن يكون الاسم محصورا فيه نحو ما كان قائما إلا زيد لجواز تقديم الخبر على كان لا على ما لأن لها الصدر.

وسادسها جواز الثلاثة التقدم والتأخر والتوسط وذلك إذا فقد ما يقتضى وجوب أى واحد منها نحو كان زيد قائما وكان غلام هند مبغضها بنصب مبغض فيجوز تقديمه لتقدم مرجع الضمير رتبة وإن تأخر لفظا وأنه يمتنع تقديمه حيث كان خبر الغلام على ما المصدرية المتصلة بها اتفاق لامتناع تقديم معمول الصلة على الموصول وأنه يمتنع عند غير الكوفيين تقديمه على ما النافية حيث كان فعله الناقص منقيا بها ولو كان النفي شرطا في عمله خلافا لابن كيسان والنحاس في إجازتهما نحو قائما ما زال زيد نظرا لكون نفي زال وأخواتها إيجابا فكأنه لم يكن نفي وأنه يمتنع أن يلي معموله عامله حيث كان معموله غير ظرف ولا جار ومجرور كما في نحو كان زيد آكل اطعامك ولهذا المثال أربعة ألفاظ ولكل لفظ منها ست صور فجملة صورته أربع وعشرون الممتنع منها ثلاث لما

فيها من الفصل بين العامل والمعمول بمعمول غيره وهو ممتنع وإن كان ذلك الغير معمولاً لذلك العامل والجائز ما بقى (فرائد النحو الوسيمة / ٨٣، ٨٤)

(الكافية لابن الحاجب المطبوع في كتاب مجموع مهمات المتون ط مصطفى الباي الحلبي / ٣٩٦، وفرائد النحو الوسيمة شرح الدرة اليتيمة للشيخ محمد على بن حسين المالكي، وبهامشه «الدرة اليتيمة» لناظم عقدها الشيخ سعيد بن سعد بن نبهان الحضرمي. ط مصطفى الباي الحلبي. ربيع الثاني سنة ١٣٤٦ هـ / ٨٣، ٨٤).

انظر: الخبر (في علم الحديث).

* خبر ما ولا المشبهتين بليس:

هو المستند بعد دخولهما، وهى لغة أهل الحجاز، وإذا زيدت إن مع ما أو انتقض النفي بإلا، أو تقدم الخبر بطل العمل، وإذا عطف عليه بموجب فالرفع.

(الكافية لابن الحاجب المطبوع في «مجموع مهمات المتون» / ٣٩٧-٣٩٨).

* الخبر المعرب عن الأمر المغرب الحال بالأندلس وثمر المغرب:

سماء بروكلمان (١ / ٥٠٩) «القصص المغرب عن الخبر المعرب عما وقع بالأندلس وثمر المغرب» من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، وجاء بيانه كما يلى:

لمحمد أبى راس بن أحمد بن عبد القادر الناصرى، المتوفى ١٢٣٨ هـ.

وهو كتاب فى ذكر ما جرى للمسلمين مع الكفار فى العدو والأندلس أولا: «حمدا للفاعل فى خلقه ما يريد، وبالنصر والخذلان فريد».

وأخره: «ومعنى لبي: أجاب. ومعنى: «لم يئس»: لم يقتد بمن قبله». نسخة كتبت بخط حديث ١٣٠٠ هـ. وهى فى ١٤٢ ورقة، ومسطرتها ٢٤ سطرا [نسخة فى حيازة السيد حسن القادري] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ ج ٢ ق ٤، القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م / ١٥٨).

انظر: الخبر (فى علم الحديث)

* الخبر والإنشاء:

كل كلام فهو إما خبر أو إنشاء والخبر ما يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب كسافر محمد، وعلى مقيم. والإنشاء ما لا يصح أن يقال لقائله ذلك كسافر يامحمد، وأقم يا على والمراد بصدق الخبر مطابقتها للواقع وبكذبه عدم مطابقتها له فجملة على مقيم إن كانت النسبة المفهومة منها مطابقة لما فى الخارج فصدق وإلا فكذب. ولكل جملة ركنان محكوم عليه ومحكوم به ويسمى الأول مسندا إليه كالفاعل ونائبه والمبتدأ الذى له خبر، ويسمى الثانى مسندا كالفعل والمبتدأ المكتفى بمرفوعه، وما زاد على ذلك غير المضاف إليه والصلة فهو قيد.

(قواعد اللغة العربية - حنفى بك ناصف وزملائه / ١٠٧).

* الخبر والإنشاء (علم):

أدرجه الحافظ السيوطى تحت النوع السابع والخمسين من أنواع علوم القرآن الكريم وقال عنه:

اعلم أن الحدائق من النحاة وغيرهم وأهل البيان قاطبة على انحصار الكلام فيهما وأنه ليس له قسم ثالث. وادعى قوم أن أقسام الكلام عشرة: نداء، مسألة، وأمر، وتشفع، وتعجب، وقسم، وشرط، ووضع، وشك، واستفهام. وقيل تسعة بإسقاط الاستفهام لدخوله فى المسألة. وقيل سبعة بإسقاط الشك لأنه من قسم الخبر. وقال الأخفش: هى ستة: خبر، واستخبار، وأمر، ونهى، ونداء، وتمن. وقال بعضهم خمسة: خبر، وأمر، وتصريح، وطلب، ونداء. وقال قوم: أربعة: خبر، واستخبار، وطلب، ونداء. وقال كثيرون: ثلاثة: خبر، وطلب، وإنشاء. قالوا لأن الكلام إما أن يحتمل التصديق والتكذيب أو لا.

الأول الخبر.

والثانى إن اقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء، وإن لم يقترن بل تأخر عنه فهو الطلب. والمحققون على دخول الطلب فى الإنشاء وأن معنى اضرب مثلاً وهو طلب الضرب مقترن بلفظه، وأما الضرب الذى يوجد بعد ذلك فهو متعلق الطلب

لا نفسه. وقد اختلف الناس فى حد الخبر فقيل: لا يحد لعسره، وقيل لأنه ضرورى لأن الإنسان يفرق بين الإنشاء والخبر ضرورة، ورجحه الإمام فى المحصول والأكثر على حده فقال القاضى أبو بكر والمعتزلة: الخبر الكلام الذى يدخله الصدق والكذب، فأورد عليه خبر الله تعالى فإنه لا يكون إلا صدقاً. فأجاب القاضى بأنه يصح دخوله لغة. وقيل الذى يدخله التصديق والتكذيب وهو سالم من الإيراد المذكور. وقال أبو الحسن البصرى: كلام يفيد بنفسه نسبة فأورد عليه «قم» فإنه يدخل فى الحد لأن القيام منسوب والطلب منسوب. وقيل الكلام المفيد بنفسه إضافة أمر من الأمور إلى أمر من الأمور نفياً أو إثباتاً. وقيل القول المقتضى بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفى أو الإثبات. وقال بعض المتأخرين: الإنشاء ما يحصل مدلوله فى الخارج بالكلام والخبر خلافه. وقال بعض من جعل الأقسام ثلاثة: الكلام إن أفاد بالوضع طلباً فلا يخلو إما أن يكون بطلب ذكر الماهية أو تحصيلها أو الكف عنها، والأول الاستفهام، والثانى الأمر، والثالث النهى وإن لم يفد طلباً بالوضع، فإن لم يحتمل الصدق والكذب سمى تنبيها وإنشاء لأنك نهيت به عن مقصودك وأنشأته: أى ابتكرته من غير أن يكون موجوداً فى الخارج سواء أفاد طلباً باللازم كالتمنى والترجى والنداء والقسم أم لا كانت طالق وإن احتملها من حيث هو فهو خبر.

فصل: القصد بالخبر إفادة المخاطب، وقد يرد بمعنى الأمر نحو ﴿والوالدات يرضعن﴾ والمطلقات يترصدن ﴿وبمعنى النهى نحو ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ وبمعنى الدعاء نحو ﴿وإياك نستعين﴾ أى أعنا، ومنه ﴿تبت يدا أبا لهب وتب﴾ فإنه دعاء عليه، وكذا ﴿قاتلهم الله﴾ غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ﴿وجعل منه قوم﴾ حصرت صدورهم ﴿قالوا هو دعاء عليهم بضيق صدورهم عن قتال أحد. ونازع ابن العربى فى قولهم إن الخبر يرد بمعنى الأمر أو النهى. قال فى قوله تعالى ﴿فلا رفث﴾ وليس نفياً بوجود الرفث بل نفى لمشروعيته، فإن الرفث يوجد من بعض الناس، وأخبار الله تعالى لا يجوز أن تقع بخلاف مخبره وإنما يرجع النفى إلى

العرب إنما تكلموا بكلامهم وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون ، فكأنه قيل لهم ﴿ ويل للمطففين ﴾ أى هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم لأن هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشرور والهلكة ، فقيل هؤلاء ممن دخل فى الهلكة .

فرع : من أقسام الخبر الوعد والوعيد نحو ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق ﴾ ﴿ وسيعلم الذين ظلموا ﴾ وفى كلام ابن قتيبة ما يوهم أنه إنشاء .

فرع : من أقسام الخبر النفى ، بل هو شطر الكلام كله والفرق بينه وبين الجحد أن النافي إن كان صادقا سمي كلامه نفيا ولا يسمى جحدا ، وإن كان كاذبا سمي جحدا ونفيا أيضا ، فكل جحد نفى وليس كل نفى جحدا وذكره أبو جعفر النحاس وابن السجري وغيرهما . مثال النفى ﴿ ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ﴾ ومثال الجحد نفى فرعون وقومه آيات موسى ، قال تعالى ﴿ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ﴾ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ﴿ [النمل : ١٣ ، ١٤] وأدوات النفى « لا ولا » وليس وما وإن ولم ولما » ونورد هنا فائدة قال الحويى : أصل أدوات النفى « لا وما » لأن النفى إما فى الماضى وإما فى المستقبل ، والاستقبال أكثر من الماضى أبدا « ولا » أخف من « ما » فوضعوا الأخف للأكثر ، ثم إن النفى فى الماضى إما أن يكون نفيا واحدا مستمرا أو نفيا فيه أحكام متعددة ، وكذلك النفى فى المستقبل ، فصار النفى على أربعة أقسام واختاروا له أربع كلمات « ما ولم ولن ولا » وأما « إن ولما » فليسا بأصلين ، فما ولا فى الماضى والمستقبل متقابلان ، ولم كأنه مأخوذ من ولا وما ، لأن لم نفى للاستقبال لفظا والمضى معنى ، فأخذ السلام من لا التى هى نفى المستقبل والميم من ما التى هى لنفى الماضى : وجمع بينهما إشارة إلى أن فى « لم » إشارة إلى المستقبل والماضى ، وقدم السلام على الميم إشارة إلى أن « لا » هى أصل النفى ، ولهذا ينفى بها فى أثناء الكلام فيقال : لم يفعل زيد ولا عمرو . وأما « لما » فتركيب بعد تركيب كأنه قال : لم وما لتوكيد معنى النفى فى الماضى وتفيد الاستقبال أيضا ولهذا تفيد « لما » الاستمرار .

تنبيهات : الأول : زعم بعضهم أن شرط صحة النفى عن

وجوده مشروعا إلى وجوده محسوسا كقوله ﴿ والمطلقات يتربصن ﴾ ومعناه مشروعا لا محسوسا فإننا نجد مطلقات لا يتربصن فعاد النفى إلى الحكم الشرعى لا إلى الوجود الحسى ، وكذا ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ أى لا يمسه أحد منهم شرعا ، فإن وجد المس فعلى خلاف حكم الشرع . وقال : وهذه الدفينة التى فأت العلماء فقالوا : إن الخبر يكون بمعنى النهى ، وما وجد ذلك قط ولا يصح أن يوجد فإنهما مختلفان حقيقة ويتباينان وضعا انتهى .

فرع : من أقسامه على الأصح التعجب . قال ابن فارس : وهو تفضيل شيء على أضراب . وقال ابن الصائغ : استعظام صفة خرج بها المتعجب منه عن نظائره . وقال الزمخشري : معنى التعجب تعظيم الأمر فى قلوب السامعين ، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله . وقال الرماني : المطلوب فى التعجب الإيهام ، لأن من شأن الناس أن يتعجبوا مما لا يعرف سببه ، فكلما استبهم السبب كان التعجب أحسن . قال : وأصل التعجب إنما هو للمعنى الخفى سببه ، والصيغة الدالة عليه تسمى تعجبا مجازا . قال : ومن أجل الإيهام لم تعمل نعم إلا فى الجنس من أجل التفخيم ليقع التفسير على نحو التفخيم بالإضمار قبل الذكر ، ثم قد وضعوا للتعجب صيغا من لفظه وهى ما أفعل وأفعل به ، وصيغا من غير لفظه نحو « كَبُرَ » كقوله ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾ ﴿ كبر مقتا عند الله ﴾ .

قاعدة : قال المحققون : إذا ورد التعجب من الله صرف إلى المخاطب كقوله تعالى ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ أى هؤلاء يجب أن يتعجب منهم ، وإنما لا يوصف تعالى بالتعجب لأنه استعظام يصحبه الجهل وهو تعالى منزه عن ذلك ولهذا تعبر جماعة بالتعجب بدله : أى أنه تعجب من الله للمخاطبين ، ونظير هذا مجيء الدعاء والترجى منه تعالى إنما هو بالنظر إلى ما تفهمه العرب : أى هؤلاء مما يجب أن يقال لهم عندكم هذا ، ولذلك قال سيوريه فى قوله تعالى ﴿ لعله يتذكر أو يخشى ﴾ المعنى : اذهب على رجائكما وطمعكما ، وفى قوله تعالى ﴿ ويل للمطففين ﴾ ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ لا تقل هذا دعاء لأن الكلام بذلك قبيح ، ولكن

الرابع : قالوا المجاز يصح نفيه بخلاف الحقيقة ، وأشكل على ذلك ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ فإن المنفى فيه الحقيقة . وأجيب بأن المراد بالرمى هنا المترتب عليه وهو وصوله إلى الكفار ، فالوارد عليه النفي هنا مجاز لا حقيقة ، والتقدير : وما رميت خلقا إذ رميت كسبا ، أو ما رميت انتهاء إذ رميت ابتداء .

الخامس : نفي الاستطاعة قد يراد به نفي القدرة والإمكان ، وقد يراد نفي الامتناع ، وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة من الأول ﴿ فلا يستطيعون توصية ﴾ ﴿ فلا يستطيعون ردها ﴾ ، ﴿ فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ﴾ ومن الثاني هل يستطيع ربك ﴾ على القراءتين : أى هل يفعل ، أو هل تجيبنا إلى أن تسأل فقد علموا أنه قادر على الإنزال وأن عيسى قادر على السؤال . ومن الثالث ﴿ إنك لن تستطيع معي صبرا ﴾ .

قاعدة : نفي العام يدل على نفي الخاص ، وثبوته لا يدل على ثبوته ، وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام ، ونفيه لا يدل على نفيه ، ولا شك أن زيادة المفهوم من اللفظ توجب الالتئاذ به ، فلذلك كان نفي العام أحسن من نفي الخاص ، وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام ، فالأول كقوله تعالى : ﴿ فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ﴾ لم يقل بضوئهم بعد قوله أضاءت ، لأن النور أعم من الضوء ، إذ يقال على القليل والكثير ، وإنما يقال الضوء على النور الكثير ولذلك قال ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ﴾ ففى الضوء دلالة على النور فهو أخص منه ، فعدمه يوجب عدم الضوء بخلاف العكس ، والقصد إزالة النور عنهم أصلا ولذا قال عقبه ﴿ وتركهم فى ظلمات ﴾ ومنه ﴿ ليس بى ضلالة ﴾ ولم يقل ضلال ، كما قالوا ﴿ إنا لنراك فى ضلال ﴾ لأنها أعم منه فكان أبلغ فى نفي الضلال ، وعبر عن هذا بأن نفي الواحد يلزم منه نفي الجنس البتة ، وبأن نفي الأدنى يلزم منه نفي الأعلى . والثانى كقوله تعالى ﴿ وجنة عرضها السموات والأرض ﴾ ولم يقل طولهن لأن العرض أخص ، إذ كل ما له عرض فله طول ولا ينعكس ، ونظير هذه القاعدة أن نفي المبالغة فى الفعل لا يستلزم نفي أصل الفعل ، وقد أشكل على هذا آيتان : قوله

الشيء صحة اتصاف المنفى عنه بذلك الشيء وهو مردود بقوله تعالى ﴿ وما ربك بغافل عما يعملون ﴾ ، ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ ونظائره ، والصواب أن انتفاء الشيء عن الشيء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلا ، وقد يكون لكونه لا يقع منه مع إمكانه .

الثانى : نفي الذات الموصوفة قد يكون نفيا للصفة دون الذات ، وقد يكون نفيا للذات أيضا . من الأول ﴿ وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام ﴾ أى بل هم جسد يأكلونه . ومن الثانى ﴿ لا يستلون الناس الخافا ﴾ أى لا سؤال لهم أصلا فلا يحصل منهم الخاف ، ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ أى لا شفيع لهم أصلا ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ أى لا شافعين لهم تنفعهم شفاعتهم بدليل ﴿ فما لنا من شافعين ﴾ ويسمى هذا النوع عند أهل البديع نفي الشيء بإيجابه . وعبارة ابن رشيق فى تفسيره : أن يكون الكلام ظاهره إيجاب الشيء وباطنه نفيه بأن ينفى ما هو من سببه كوصفه وهو المنفى فى الباطن . وعبارة غيره : أن ينفى الشيء مقيدا والمراد نفيه مطلقا مبالغة فى النفي وتأكيده ، ومنه ﴿ ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به ﴾ فإن إله مع الله لا يكون إلا عن غير برهان ﴿ ويقتلون النبيين بغير حق ﴾ فإن قتلهم لا يكون إلا بغير حق ﴿ رفع السموات بغير عمد ترونها ﴾ فإنها لا عمد لهن أصلا .

الثالث : قد يرد به نفي الشيء رأسا لعدم كمال وصفه وانتفاء ثمرته كقوله تعالى فى صفة أهل النار ﴿ لا يموت فيها ولا يحيا ﴾ فنفي عنه الموت لأنه ليس بموت صريح ، ونفي عنه الحياة لأنها ليست بحياة طيبة . ولا نافعة ﴿ وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾ فإن المعتزلة احتجوا بها على نفي الرؤية ، فإن النظر فى قوله تعالى ﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ لا يستلزم الإبصار . ورد بأن المعنى أنها تنظر إليها بإقبالها عليه وليست تبصر شيئا ﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ﴾ [البقرة : ١٠٢] فإنه وصفهم أولا بالعلم على سبيل التوكيد القسمى ثم نفاه أخرا عنهم لعدم جريهم على موجب العلم ، قاله السكاكى .

تعالى ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ وقوله ﴿وما كان ربك نسيا﴾ وأجيب عن الآية الأولى بأجوبة . أحدها : إن ظلما وإن كان للكثرة لكنه جيء به في مقابلة العبيد الذي هو جمع كثرة ، ويرشحه أنه تعالى قال ﴿علام الغيوب﴾ فقابل صيغة فعال الجمع ، وقال في آية أخرى ﴿عالم الغيب﴾ فقال : بل صيغة فاعل الدالة على أصل الفعل بالواحد .

الثاني : أنه نفى الظلم الكثير لينتفى القليل ضرورة ، لأن الذي يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم ، فإذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فلا يترك القليل أولى .

الثالث : أنه على النسبة : أي بذي ظلم ، حكاه ابن مالك عن المحققين .

الرابع : أنه أتى بمعنى فاعل لا كثرة فيه .

الخامس : أن أقل القليل لو ورد منه تعالى لكان كثيرا كما يقال : زلة العالم كبيرة .

السادس : أنه أراد ليس بظالم ليس بظالم ، تأكيداً للنفي فعبّر عن ذلك بليس بظالم .

السابع : أنه ورد جواباً لمن قال ظلام ، والتكرار إذا ورد جواباً لكلام خاص لم يكن له مفهوم .

الثامن : أن صيغة المبالغة وغيرها في صفات الله سواء في الإثبات ، فجرى النفي على ذلك .

التاسع : أنه قصد التعريض بأن ثم ظلاماً للعبيد من ولاية الجور . ويجاب عن الثانية بهذه الأجوبة وبعاشر وهو مناسبة رؤوس الآي .

فائدة : قال صاحب الياقوتة : قال ثعلب والمبرد : العرب إذا جاءت بين الكلامين بجحدين كان الكلام إخباراً نحو ﴿وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام﴾ والمعنى : إنما جعلناهم جسداً يأكلون الطعام . وإذا كان الجحد في أول الكلام كان جحداً حقيقياً نحو : ما زيد بخارج . وإذا كان في أول الكلام جحداً كان أحدهما زائداً ، وعليه ﴿فيما إن مكناكم فيه﴾ في أحد الأقوال .

فصل : من أقسام الإنشاء الاستفهام : وهو طلب الفهم ،

وهو بمعنى الاستخبار . وقيل الاستخبار ما سبق أولاً ولم يفهم حق الفهم ، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً ، حكاه ابن فارس في فقه اللغة وأدواته «الهمزة وهل وما ومن وأي وكم وكيف وأين وأنى ومتى وأيان» قال ابن مالك في المصباح : وما عدا الهمزة نائب عنها ، ولكونه طلب ارتسام صورة ما في الخارج في الذهن لزم أن لا يكون حقيقة إلا إذا صدر من شاك مصدق بإمكان الإعلام ، فإن غير الشاك إذا استفهم يلزم منه تحصيل الحاصل ، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت عنه فائدة الاستفهام . قال بعض الأئمة : وما جاء في القرآن على لفظ الاستفهام فإنما يقع في خطاب الله على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حصل . وقد تستعمل صيغة الاستفهام في غيره مجازاً ، وألف في ذلك العلامة شمس الدين بن الصائغ كتاباً سماه روض الأفهام في أقسام الاستفهام قال فيه : قد توسعت العرب فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعان أو أشربته تلك المعاني ، ولا يختص التجوز في ذلك بالهمزة خلافاً للصغار . الأول : الإنكار ، والمعنى فيه على النفي ، وما بعده منفي ولذلك تصحبه إلا كقوله ﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ ﴿وهل يجازى إلا الكفور﴾ وعطف عليه المنفي في قوله ﴿فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين﴾ أي لا يهدي . ومنه ، ﴿أنؤمن لك واتبك الأزدلون﴾ ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ أي لا نؤمن ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ ، ﴿الكم الذكر وله الأنثى﴾ أي لا يكون هذا ﴿أشهدوا خلقهم﴾ أي ما شهدوا ذلك ، وكثيراً ما يصحبه التكذيب وهو في الماضي بمعنى لم يكن ، وفي المستقبل بمعنى لا يكون نحو ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾ — الآية : أي لم يفعل ذلك ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾ أي لا يكون هذا إلزام .

الثاني : التوبيخ ، وجعله بعضهم من قبيل الإنكار ، إلا أن الأول إنكار إبطال وهذا إنكار توبيخ ، والمعنى على أن ما بعده واقع جدير بأن ينفي ، فالنفي هنا غير قصدي والإثبات قصدي عكس ما تقدم ، ويعبر عن ذلك بالتقريع أيضاً نحو ﴿أفعضيت أمري﴾ ، ﴿أتعبدون ما ننحتون﴾ ، ﴿أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين﴾ وأكثر ما يقع التوبيخ في أمر ثابت

عنك لم أذنت لهم ﴿ ولم يتأدب الزمخشري بأدب الله في هذه الآية على عادته في سوء الأدب .

السادس : التذكير ، وفيه نوع اختصار كقوله تعالى ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان ﴾ ﴿ ألم أقل لكم أنني أعلم غيب السموات والأرض ﴾ ﴿ هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه ﴾ .

السابع : الافتخار نحو ﴿ أليس لي ملك مصر ﴾ .

الثامن : التفتيح نحو ﴿ مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ﴾ .

التاسع : التهويل والتخويف نحو ﴿ الحاقة ﴾ ﴿ ما القارعة ﴾ .

العاشر : عكسه وهو التسهيل والتخفيف نحو ﴿ وماذا عليهم لو آمنوا ﴾ .

الحادي عشر : التهديد والوعيد نحو ﴿ ألم نهلك الأولين ﴾ .

الثاني عشر : التكثير نحو ﴿ وكم من قرية أهلكناها ﴾ .

الثالث عشر : التسوية ؛ وهو الاستفهام الداخِل على جملة يصح حلول المصدر محلها نحو ﴿ سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم ﴾ .

الرابع عشر : الأمر نحو ﴿ أسلمتم ﴾ ﴿ أي أسلموا ﴾ فهل أنتم منتهون ﴿ أي انتهوا ﴾ أتصبرون ﴿ أي اصبروا .

الخامس عشر : التنبيه ، وهو من أقسام الأمر نحو ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ﴾ ﴿ أي انظر ﴾ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ﴿ ذكره صاحب الكشاف عن سيبويه ، ولذلك رفع الفعل في جوابه وجعل منه قوله ﴿ فأين تذهبون ﴾ للتنبيه على الضلال ، وكذا ، ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ .

السادس عشر : الترغيب نحو ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ﴾ ﴿ هل أدلكم على تجارة تنجيكم ﴾ .

السابع عشر : النهي نحو ﴿ أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ﴾ ﴿ بدليل ﴾ فلا تخشوا الناس واخشون ﴿ ما غرك بربك الكريم ﴾ ﴿ أي لا تغتر .

ووبخ على فعله كما ذكر ، ويقع على ترك فعل كان ينبغي أن يقع كقوله تعالى ﴿ أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴾ ، ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ .

الثالثا : التقرير ، وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده . قال ابن جني : ولا يستعمل ذلك بهل كما يستعمل بغيرها من أدوات الاستفهام . وقال الكندي : ذهب كثير من العلماء في قوله ﴿ هل يسمعونكم إذ تدعون ﴾ أو ينفعونكم ﴿ الشعراء : ٧٢ ، ٧٣ ﴾ إلى أن هل تشارك الهمزة في معنى التقرير أو التوبيخ إلا أنني رأيت أبا على أتى ذلك ، وهو معذور فإن ذلك من قبيل الإنكار . ونقل أبو حيان عن سيبويه أن استفهام التقرير لا يكون بهل ، إنما يستعمل فيه الهمزة . ثم نقل عن بعضهم أن هل تأتي تقريرا كما في قوله تعالى ﴿ هل في ذلك قسم لذي حجر ﴾ والكلام من التقرير موجب ، ولذلك يعطف عليه صريح الموجب ويعطف على صريح الموجب . فالأول كقوله تعالى ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ ووضعنا عنك وزرك ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى ﴾ ووجدك ﴿ ألم يجعل كيدهم في تضليل ﴾ وأرسل ﴿ والثاني نحو ﴾ أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما ﴿ على ما قرره الجرجاني من جعلها مثل ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾ وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار ، والإنكار نفى وقد دخل على النفي ، ونفى النفي إثبات ، ومن أمثله ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ ﴿ أليست بربكم ﴾ وجعل منه الزمخشري ﴿ ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ .

الرابع : التعجب أو التعجيب نحو ﴿ كيف تكفرون بالله ﴾ ﴿ ما لي لا أرى الهدى ﴾ وقد اجتمع هذا القسم وسابقه في قوله تعالى ﴿ أتأمرون الناس بالبر ﴾ قال الزمخشري : الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم ، ويحتمل التعجب والاستفهام الحقيقي ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم ﴾ .

الخامس : العتاب كقوله تعالى ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ قال ابن مسعود : ما كان بين إسلامهم وبين أن عوتبوا بهذه الآية إلا أربع سنين . أخرجه الحاكم . ومن أطفه ما عاتب الله به خير خلقه بقوله ﴿ عفا الله

والثاني والثلاثون : الإخبار نحو ﴿ أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا ﴾ ﴿ هل أتى على الإنسان ﴾ .

تنبيهان . الأول : هل يقال إن معنى الاستفهام فى هذه الأشياء موجود وانضم إليه معنى آخر أو تجرد عن الاستفهام بالكلية ؟ قال فى عروس الأفراس : محل نظر . قال : والذى يظهر الأول . وقال : ويساعده قول التنوخى فى الأقصى القريب إن لعل تكون للاستفهام مع بقاء الترجى ، قال : ومما يرجحه أن الاستبطاء فى قولك كم أدعوك معناه : أن الدعاء وصل إلى حد لا أعلم عدده فأنا أطلب أن أعلم عدده ، والعادة تقضى بأن الشخص إنما يستفهم عن عدد ما صدر منه إذا كثر فلم يعمل به ، وفى طلب فهم عدده ما يشعر بالاستبطاء . وأما التعجب فالاستفهام معه مستمر ، فمن تعجب من شىء فهو بلسان الحال سائل عن سببه فكأنه يقول : أى شىء عرض لى فى حال عدم رؤية الهدى ؟ وقد صرح فى الكشف ببقاء الاستفهام فى هذه الآية . وأما التنبيه على الضلال فالاستفهام فيه حقيقى ، لأن معنى أين تذهب : أخبرنى إلى أى مكان تذهب ؟ فإنى لا أعرف ذلك ، وغاية الضلال لا يشعر إلى أين تنتهى ، وأما التقرير فإن قلنا المراد به الحكم بثبوته فهو خبر بأن المذكور عقيب الأداة واقع ، أو طلب إقرار المخاطب به مع كون السائل يعلم فهو استفهام يقرر المخاطب : أى يطلب منه أن يكون مقراً به . وفى كلام أهل الفن ما يقتضى الاحتمالين ، والثانى أظهر . وفى الإيضاح تصريح به ، ولا بدع فى صدور الاستفهام ممن يعلم المستفهم عنه لأنه طلب الفهم ، أما طلب فهم المستفهم أو وقوع فهم لمن لم يفهم كائننا من كان ، وبهذا تنحل إشكالات كثيرة فى مواقع الاستفهام ، ويظهر بالتأمل بقاء معنى الاستفهام مع كل أمر من الأمور المذكورة انتهى ملخصاً .

الثانى : القاعدة أن المنكر يجب أن يلى الهمزة ، وأشكل عليها قوله تعالى ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين ﴾ فإن الذى يليها هنا الإصفاء بالبنين وليس هو المنكر إنما المنكر قولهم - إنه اتخذ من الملائكة إناثاً - وأجيب بأن لفظ الإصفاء مشعر بزعم أن البنات لغيرهم ، أو بأن المراد مجموع الجملتين ، وينحل

الثامن عشر : الدعاء ، وهو كالنهي إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى نحو ﴿ أنهلكنا بما فعل السفهاء ﴾ أى لا تهلكنا .

التاسع عشر : الاسترشاد نحو ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ .

العشرون : التمنى نحو ﴿ فهل لنا من شفعاء ﴾ .

الحادى والعشرون : الاستبطاء نحو ﴿ متى نصر الله ﴾ .

الثانى والعشرون : العرض ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ .

الثالث والعشرون : التحضيض نحو ﴿ ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم ﴾ .

الرابع والعشرون : التجاهل نحو ﴿ أنزل عليه الذكر من بيننا ﴾ .

الخامس والعشرون : التعظيم نحو ﴿ من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ .

السادس والعشرون : التحقير نحو ﴿ أهذا الذى يذكر آلهتكم ﴾ ﴿ أهذا الذى بعث الله رسولا ﴾ ويحتمله وما قبله قراءة من فرعون .

السابع والعشرون : الاكتفاء نحو ﴿ أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ .

الثامن والعشرون : الاستبعاد نحو ﴿ أنى لهم الذكرى ﴾ .

التاسع والعشرون : الإيناس نحو ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ﴾ .

الثلاثون : التهكم والاستهزاء نحو ﴿ أصلواتك نامرك ﴾ ، ﴿ ألا نأكلون ﴾ ما لكم لا تنطقون ﴾ [الصافات : ٩١ ، ٩٢] .

الحادى والثلاثون : التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله كقوله تعالى ﴿ أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقل من فى النار ﴾ [الزمر : ١٩] قال الموفق عبد اللطيف البغدادى : أى من حق عليه كلمة العذاب فإنك لا تنقله ، فمن للشرط والفاء جواب الشرط والهمزة فى أفأنت دخلت معادة لطول الكلام . وهذا نوع من أنواعها . وقال الزمخشري : الهمزة الثانية هى الأولى ، كررت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد .

منهما كلام واحد . والتقدير : أجمع بين الإصفاء بالبينين واتخاذ البنات ، وأشكل منه قوله تعالى ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ ووجه الإشكال أنه لا جائز أن يكون المنكر أمر الناس بالبر فقط ، كما تقتضيه القاعدة المذكورة ، لأن أمر البر ليس مما ينكر ولا نسيان النفس فقط لأنه يصير ذكر أمر الناس بالبر لا مدخل له ، ولا مجموع الأمرين لأنه يلزم أن تكون العبادة جزء المنكر ، ولا نسيان النفس بشرط الأمر لأن النسيان منكر مطلقاً ، ولا يكون نسيان النفس حال الأمر أشد منه حال عدم الأمر ، لأن المعصية لا ترداد بشاعتها بانضمامها إلى الطاعة ، لأن جمهور العلماء على أن الأمر بالبر واجب ، وإن كان الإنسان ناسياً لنفسه وأمره لغيره بالبر كيف يضاعف بمعصية نسيان ولا يأتي الخير بالشر؟ قال في عروس الأفراح : ويجب أن فعل المعصية مع النهي عنها أفحش ، لأنها تجعل حال الإنسان كالمتناقض ، ويجعل القول كالمخالف للفعل ، ولذلك كانت المعصية مع العلم أفحش منها مع الجهل . قال : ولكن الجواب على أن الطاعة الصرفة كيف تضاعف المعصية المقارنة لها من جنسها فيه دقة .

فصل : من أقسام الإنشاء الأمر ، وهو طلب فعل غير كف ، وصيغته أفعل ولتفعل ، وهي حقيقة في الإيجاب نحو ﴿ أقيموا الصلاة ﴾ ﴿ فليصلوا معك ﴾ وترد مجازاً لمعان آخر : منها النذب نحو ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ﴾ والإباحة نحو ﴿ فكاتبوهم ﴾ نص الشافعي على أن الأمر فيه للإباحة . ومنه ﴿ وإذا حللتم فاصطادوا ﴾ والدعاء من السافل للعالي نحو ﴿ رب اغفر لي ﴾ والتهديد نحو ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ إذ ليس المراد الأمر بكل عمل شاءوا . والإهانة نحو ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ والتسخير : أي التذليل نحو ﴿ كونوا قردة ﴾ عبر به عن نقلهم من حالة إلى حالة إذ لا لهم فهو أخص من الإهانة . والتعجيز نحو ﴿ فائتوا بسورة من مثله ﴾ إذ ليس المراد طلب ذلك منهم بل إظهار عجزهم . والامتنان نحو ﴿ كلوا من ثمره إذا أثمر ﴾ والعجب نحو ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴾ والتسوية نحو ﴿ فاصبروا أو لا تصبروا ﴾ والإرشاد نحو ﴿ وأشهدوا إذا تباعتم ﴾ والاحتقار نحو ﴿ ألقوا ما أنتم ملقون ﴾ والإنذار نحو ﴿ قل تمتعوا ﴾

والإكرام نحو ﴿ ادخلوها بسلام ﴾ والتكوين وهو أعم من التسخير نحو ﴿ كن فيكون ﴾ والإنعام : أي تذكير النعمة نحو ﴿ كلوا مما رزقكم الله ﴾ والتكذيب نحو ﴿ قل فائتوا بالتوراة فاتلوها ﴾ ﴿ قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا ﴾ والمشورة نحو ﴿ فانظر ماذا ترى ﴾ والاعتبار نحو ﴿ انظروا إلى ثمره ﴾ والتعجب نحو ﴿ أسمع بهم وأبصر ﴾ ذكره السكاكي في استعمال الإنشاء بمعنى الخبر .

فصل : ومن أقسامه النهي وهو طلب الكف على فعل ، وصيغته لا تفعل وهي حقيقة في التحريم ، وترد مجازاً لمعان منها الكراهة نحو ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً ﴾ والدعاء نحو ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا ﴾ والإرشاد نحو ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ والتسوية نحو ﴿ اصبروا أو لا تصبروا ﴾ والاحتقار والتقليل نحو ﴿ ولا تمدن عينيك ﴾ الآية : أي فهو قليل حقير . وبيان العقاب نحو ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء ﴾ أي عقاب الجهاد الحياة لا الموت . واليأس نحو ﴿ لا تعتذروا ﴾ والإهانة نحو ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ .

فصل : ومن أقسامه التمني : وهو طلب حصول شيء على سبيل المحبة ، ولا يشترط إن مكان التمني بخلاف المترجى ، لكن نوزع في تسمية تمنى الحال طلباً بأن ما لا يتوقع كيف يطلب . قال في عروس الأفراح : فالأحسن ما ذكره الإمام وأتباعه من أن التمني والترجى والنداء والقسم ليس فيه طلب بل هو تنبيه ، ولا بدع في تسميته إنشاء اهـ . وقد بالغ قوم فجعلوا التمني من قسم الخبر ، وأن معناه النفي ، والزمخشري ممن جزم بخلافه . ثم استشكل دخول التكذيب في جوابه في قوله ﴿ يا ليتنا نرد ولا نكذب ﴾ إلى قوله ﴿ وإنهم لكاذبون ﴾ [الأنعام : ٢٧ ، ٢٨] وأجاب بتضمنه معنى العدة فتعلق به التكذيب . وقال غيره : التمني لا يصح فيه الكذب ، وإنما الكذب في التمني الذي يترجح عند صاحبه وقوعه فهو إذن وارد على ذلك الاعتقاد الذي هو ظن ، وهو خبر صحيح قال : وليس المعنى في قوله تعالى ﴿ وإنهم لكاذبون ﴾ أن ما تمنوا ليس بواقع ، لأنه ورد في معرض الذم لهم وليس في ذلك التمني ذم ، بل التكذيب ورد على إخبارهم عن أنفسهم أنهم لا يكذبون وأنهم يؤمنون . وحرف

على إقبال المدعو نحو ﴿يا موسى أقبل﴾ ومنها: كون الخطاب المتلو معتنى به نحو ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾ ومنها: قصد تعظيم شأن المدعو نحو ﴿يارب﴾ وقد قال تعالى ﴿إني قريب﴾ ومنها: قصد انحطاطه كقول فرعون ﴿وإني لأظنك ياموسى مسحورا﴾.

فائدة: قال الزمخشري وغيره: كثر في القرآن النداء بيا أيها دون غيره، لأن فيه أوجها من التأكيد وأسبابا من المبالغة منها ما في يا من التأكيد والتنبية وما في ها من التنبية وما في التدرج من الإيهام في أى إلى التوضيح والمقام يناسب المبالغة والتأكيد، لأن كل ما نادى له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعدته ووعيده ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية وغير ذلك مما أنطق الله به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعانٍ، واجب عليهم أن يتقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وببصائرهم إليها وهم غافلون، فافتضى الحال أن ينادوا بالأكاد الأبلغ.

فصل: ومن أقسامه القسم نقل القرافي الإجماع على أنه إنشاء، وفائدته تأكيد الجملة الخبرية وتحقيقها عند السامع، وسيأتي بسط الكلام فيه في النوع السابع والستين.

فصل ومن أقسامه الشرط (الإتيان ٩٧ / ٢ - ١٠٧)

ويذكر الزمخشري من روعة النظم القرآني وقوع الإنشاء موقع الخبر، ووقوع الخبر موقع الإنشاء أما عن وقوع الإنشاء موقع الخبر فمنه قوله تعالى: ﴿قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم﴾ [التوبة: ٥٣]

يقول الزمخشري: أنفقوا أمر في معنى الخبر، كقوله تعالى: ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا﴾ [مريم: ٧٥] ومعناه: لن يتقبل منكم، أنفقتم طوعا أو كرها، ونحوه قوله تعالى: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ [التوبة: ٨٠] أي لن يغفر الله لهم، استغفرت لهم، أم لم تستغفر لهم، وقوله:

* أسئنى بنا أو أحسنى لأمومة
لدينا ولا مقلية إن تقلت *
أى لا ولا نلومك أسأت إلينا أم أحسنت.

ويجوز نحو هذا إذ دل الكلام عليه، كما جاز عكسه في قولك: رحم الله زيدا وغفروا النكتة فيه أن «كثيرا» كأنه يقول لعزة:

التمنى الموضوع له ليست نحو ﴿ياليتنا نرد﴾، ﴿ياليت قومي يعلمون﴾، ﴿ياليتني كنت معهم فأفوز﴾ وقد يتمنى بهل حيث يعلم فقد نحو ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ وبلو نحو ﴿فلو أن لنا كرة فكنون﴾ ولذا نصب الفعل في جوابها، وقد يتمنى بلعل في البعيد فتعطى حكم ليت في نصب الجواب نحو ﴿لعلى أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطلع﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

فصل: ومن أقسامه الترجى نقل القرافي في الفروق الإجماع على أنه إنشاء، وفرق بينه وبين التمنى بأنه في الممكن والتمنى فيه وفي المستحيل، وبأن الترجى في القريب والتمنى في البعيد، وبأن الترجى في المتوقع والتمنى في غيره، وبأن التمنى في المشوق للنفس والترجى في غيره. وسمعت شيخنا العلامة الكافيحي يقول: الفرق بين التمنى وبين العرض هو الفرق بينه وبين الترجى، وحرف الترجى لعل وعسى، وقد ترد مجازا لتوقع محذور ويسمى الإشفاق نحو ﴿لعل الساعة قريب﴾

فصل: ومن أقسامه النداء وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف نائب مناب أدعو، ويصحب في الأكثر الأمر والنهى والغالب تقدمه نحو ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾، ﴿يا عباد فاتقون﴾، ﴿يا أيها المزمل * قم الليل﴾، ﴿يا قوم استغفروا ربكم﴾، ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا﴾ وقد يتأخر نحو ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون﴾ وقد يصحب الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر نحو ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له﴾، ﴿يا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها﴾ وقد لا يعقبها نحو ﴿يا عباد لا خوف عليكم اليوم﴾ ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾، ﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي﴾ وقد تصحبه ما الاستفهامية نحو ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر﴾، ﴿يا أيها النبي لم تحرم﴾ ﴿يا قوم مالى أدعوكم﴾ وقد ترد صورة النداء لغيره مجازا كالإغراء والتحذير وقد اجتمعا في قوله تعالى ﴿ناقة الله وسقياها﴾ والاختصاص كقوله تعالى ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ والتنبية كقوله ﴿ألا يسجدوا﴾ والتعجب كقوله ﴿يا حسرة على العباد﴾ والتحسر كقوله ﴿ياليتني كنت ترابا﴾.

قاعدة: أصل النداء بيا أن تكون للبعد حقيقة أو حكما، وقد ينادى بها القريب لنكت. منها إظهار الحرص في وقوعه

الخبر ثقة بالاستجابة، كأنما وجدت الرحمة، فهو يخبر عنها ...

ومن وضع الخبر موضع الإنشاء أيضا ما في قوله تعالى: ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله ﴿[الصف: ١٠، ١١].

يقول الزمخشري: تؤمنون ... استئناف، كأنهم قالوا: كيف نعمل؟ فقال: تؤمنون، وهو خبر في معنى الأمر، ولهذا أجيب بقوله: يغفر لكم، وتدل عليه قراءة ابن مسعود: آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا ...

وجيء به على لفظ الخبر للإيذان بوجوب الامتثال، وكأنه امتثل، فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين.

ومنه قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا﴾ [البقرة: ٨٣]

يقول الزمخشري: في ﴿لا تعبدون﴾ إخبار في معنى النهي، كما تقول: تذهب إلى فلان، تقول له كذا - تريد الأمر.

والنهي لأنه كأنه سورع إلي الامتثال والانتها، فهو يخبر عنه. وتنصره قراءة عبد الله وأبي «لا تعبدوا» (النظم القرآني / ١٣٢-١٣٤)

(الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩٧ / ٢ - ١٠٦، والنظم القرآني في كشف الزمخشري - د. درويش الجندی / ١٣٢ - ١٣٤. انظر أيضا مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢٥ / ٤٤٦-٤٥٤)

* خبرة الفقهاء:

خبرة الفقهاء: مختصر لأشرف الدين أحمد بن أسد الفرغاني الحنفي وهي بكسر الخاء المعجمة كالاختيار بمعنى الامتحان أوله: الحمد لله رب العالمين ... إلخ ذكر فيه أن الملك فخر الدين أرسلان أقبل على الفقهاء وأن بعض أكابر الدولة سألوه أن يترجم له كتابا جمعه الفقيه أبو يوسف يعقوب ابن يوسف بن طلحة في أيام إبراهيم بن ناصر الدين سبكتكين بالفارسية فجعله عربيا وسماه بستان الأسئلة وهو مشتمل على مسائل وكانت عادة الملوك تجربة العلماء بالمسائل اختبارا عن علمهم. وهي على ثلاثة أضرب: الأول أن تكون المسألة

امتحني لطف محلك عندي، وقوة محبتي لك، وعامليني بالإساءة والإحسان، وانظري: هل يتفاوت حالي معك، مسيئة كنت أو محسنة؟

وفي معناه قول القائل:

أخوك الذي إن قمت بالسيف عامدا

لتضرب به لم يستغشك في السوء وكذلك المعنى: أنفقوا، وانظروا: هل يتقبل منكم؟ واستغفر لهم أو لا تستغفر لهم، وانظر: هل ترى اختلاف بين حال الاستغفار وتركه ...؟

ومن وضع الإنشاء موضع الخبر أيضا قوله تعالى: ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا﴾: أي مد له الرحمن مدا، يعني وأمهله، وأملى له في العمر. فأخرج على لفظ إيذانا بوجوب ذلك، وأنه مفعول لامحالة، كالمأمور به الممثل، لتقطع معاذير الضلالة، ويقال له يوم القيامة: ﴿أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر﴾؟ أو كقوله تعالى: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثما﴾

ومن وضع الإنشاء موضع الخبر كذلك ما في قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾ [البقرة: ٢٤٣]

يقول الزمخشري: معنى قوله: فقال لهم الله موتوا: أماتهم. وإنما جيء على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيتته. وتلك ميتة خارجة عن العادة، كأنهم أمروا بشيء، فامثلوه من غير إباء ولا توقف، كقوله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة، وأن الموت إذا لم يكن منه بد، ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون في سبيل الله.

وأما عن وقوع الخبر موقع الإنشاء فمنه قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ [البقرة: ٢٢٨]

يقول الزمخشري: يتربص: خبر في معنى الأمر. وأصل الكلام: ولتربص المطلقات. وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، فكانهن امتثلن الأمر بالتربص، فهو يخبر عنه موجودا.

ونحو قولهم في الدعاء: رحمك الله: أخرج في صورة

مشملة على وجوه وتفصيل والثاني : أن تكون مسألتيان متشابهتان ظاهراً وبينهما فرق في الحكم والمعنى ، والثالث مسائل تبعد عن الفهم وتحتاج في استخراجها إلى زيادة تأمل .
(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٧٠٠).

* الخبز:

جاء في اللسان : الخبزة : الطلعة ، وهي عجينة يوضع في الملة حتى ينضج ، والملة : الرماد والتراب الذي أوقد فيه النار . والخبز : الذي يؤكل . والخبز : بالفتح : المصدر ، خبزه يخبزه خبزاً واختبزه : عمله . والخباز : الذي مهنته ذلك ، وحرفته الخبازة . والاختباز : اتخاذ الخبز (حكاه سيويه) .

التهذيب : اختبز فلان إذا عالج دقيقاً بعجنه ثم خبزه في ملة ، أو تنور . وخبز القوم يخبزهم خبزاً : أطعمهم (اللسان ١٢ / ١٠٩٢).

قالت المؤلفة : من أنواع الخبز التي تدور أسماؤها في المراجع : الحوارى : وهو الخبز المصنوع من الدقيق النقى ، وخبز الملة وهو ما يخبز في التراب الحار والرماد (المعجم الوجيز / ١٧٧ ، ١٩٦) والخشكار ، ويأتى شرحه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وأورد المظفر الرسولى الخبز في المعتمد نقلاً عن مصدرين رمز إليهما بالحرفين التاليين :

ع : عبد الله البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية»

ج : ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان .

قال المظفر الرسولى :

خبز - «ع» الضماد المتخذ من خبز الحنطة نفسها ، فهو يجذب ويحلل . والخبز المتخذ من سميذ الحنطة التي وصفنا أكثر من غذاء الخشكار . وأما الخبز المعمول من دقيق الحنطة ، فإنه أخف وأسرع نفوذاً ، والخبز اليابس العتيق يعقل البطن المسهل إن كان وحده ، أو خلط بأشياء أخرى . والخبز اللين إذا بل بماء وملح وتضمده به أبراً من القوابى الزمنة ، والكثير النخالة سريع الخروج من البطن ، وبالمضد القليل

النخالة يبطىء ويكثر غذاؤه . والخبز الخشكار يلين البطن ، والحوارى يعقله ، والمختمر يلين ، والفطير يعقل ، والرغيف الكبير أحب من الصغير وأكثر غذاءً ، والخبز الحار يسخن ويجفف ، والبارد لا يفعل ذلك ، والخبز الذى من الحنطة الحديثة يُسَمِّن ، وأحمد أوقات أكله فى آخر اليوم الذى يخبز فيه ، ومن غد ذلك اليوم ، وقبل أن يصلب ويجف . وخبز الملة أيسر الخبز ، وأبطأ هضمًا ، والخبز الحار فيه حرارة عرضية وبخارية تُعطش وتُشبع دفعةً ، والخبز البارد لا يفعل ذلك «ج» ينبغى أن يكون الخبز نقيًا مملوحًا ، قد أحكم تخميره ، جيد النضج فى التنور . والخبز الذى يكون من الحنطة فغذاؤه بحسب الحنطة المتخذ منها ، إن كان من حنطة كثيفة فغذاؤه أكثر مما يتخذ من حنطة رخوة ، والخبز الرقيق يعقل البطن أكثر من الثخين ، والثخين يغذو أكثر من الرقيق .

والخبز المغسول : وهو أن يؤخذ لباب الخبز اليابس فينقع فى الماء الحار ، ثم يصب عنه ، ويجدد عليه الماء حتى تذهب قوة الخمير ، ويبلغ غاية انتفاخه ، وهو مبرد قليل الغذاء ، طاف على المعدة ، صالح للمحرورين ، ولا يولد سدداً ولا يسخن . والخبز السميذ أغذى من غيره من الأخباز ، والخبز الحوارى متوسط بين السميذ والخشكار ، والخبز الفطير غليظ يعقل البطن ، وينفع أصحاب الكد ، والأبدان المتخلخلة ، لكثرة غذائه ، ولأصحاب المعدة القوية الحرارة ، وهو بطنى الهضم ، ويولد الرياح والنفخ والحصى والسدد ، وقد يقع من مداومه فى أمراض خطيرة لا يكاد يخلص منها . والخبز الخشكار أجوده القليل النخالة ، وهو حار سريع النفوذ ، يضمده به الأورام الحارة ، ويبل بماء ويطلق على القوابى ، وهو يلين الطبع ، وينفع أصحاب القولنج ، وهو قليل الغذاء ، أردأ من جميع الأخباز المتخذة من الحنطة ، ويولد جرباً وحكة ، ويصلحه الأدم الدهنية .

وجاء فى هامش (١) ما يلى عن السميذ :

الخبز المعمول من الحنطة من ذلك السميذ أكثر غذاءً ، وأبطأ نزولاً ، منفعتة لأصحاب الأبدان الصحيحة ، ولأهل

خزف لا يقرب النار فإذا نضج رفع حتى يبرد وإن أكل من الغد كان أجود والبرازقي المعروف بالبرازق يقرب من الجسد وهو فارسي معناه الممزوج بحراقة الريش ويستعمل غالبا في أحوال مخصوصة وما كان بنخالته جيد لضعف المعدة والمشايخ وأصحاب الراحة ومن لم يرتض ومن طال مرضه وعكسه الحواري وهو المحكم النخل الشديد البياض ومنه الكعك المعمول بمصر في العيد يولد السدد ويضعف المعدة ويجلب التخم، والخشكار هو الذي عمل بلا غسل ولا نخل يولد السدد ويحرق الأخلاط ويدرن البدن والمغسول قليل السدد جيد معتدل الغذاء وكلما نضج الخبز وبعد عن الرماد ورق كان أجود.

وأما اختلافه باختلاف ما يخبز عليه فظاهر لأن المخبوز على الحديد حار في الثانية يابس في الثالثة ومثله المحروق كالقسطماط وهذه تقطع البلغم والماء والخام وتمنع الاستسقاء في مبادئه لكنها تهزل وتولد السدد المؤدية إلى القولنج وتصلح بالأدهان والحلو والمخبوز على الحصى إن أكل جميعه ففي غاية العدل والجودة والصحة وما يلي الحصى منه كالكعك والقراقيش والجهة الأخرى تسمن جدا وتمنع العفونات والأخلاط الفجة وتروق الدم وتعده لذهاب ماؤها وبقاء نفعها والمعروف بالبيسانى الرقيق إن كان فطيرا فجعل الأطباء يلحقه بالسموم وأحكامها وإن كان خميرا فمن أحسن أنواع الخبز لحفظ الصحة وما يصنع في البادية ويسمى الملة والقرص وهو أن يمد غليظا ويوضع في الرماد فينضج بعضه ويفج الآخر وتختلف أجزاؤه وهذا ردىء جدا يولد الأخلاط الفاسدة ولا يقدر عليه إلا أصحاب الكد والرياضة وأردأ منه الخبز الغليظ المستدير المعروف بالماوى في غالب البلاد ومنه ما تفعله الترك ويقطع طولاً لاختلاف أجزائه في الاستواء والمعمول بالسمن واللبن إن انهضم فجيد وإلا فردىء والغالب عليه إفساد البدن وتوليد التخم وخبز الشعير جيد صيفا مبرد قاطع للعطش قاعم الأخلاط الصفراوية، وخبز الذرة والدخن يذهب الشحم من البدن ويحرقان الأخلاط ويولدان السوداء والحكة وقد تمزج الحبوب بحسب الحاجات والفصول والزمان ومزج المصطكى مع الخبز يقوى المعدة

التعب والرياضة. ضرره: يولد الرياح الغليظة، . والسدد في الكبد والطحال، ويضر بأصحاب أوجاع المفاصل، والشيوخ الذين قد ضعف هضمهم. دفع ضرره: ألا يكثّر الشبع منه، ولا يؤكل معه شيء من الفواكه الرطبة كالإجاص والمشمش والبطيخ. ولا يؤكل معه لبن ولا سمك، وأن يكثّر ملحه وخميرته، ويجعل إدامه المطجّجات، وما عمل بالتوابل الحارة، والله اعلم.

كما جاء في هامش (٢) ما يلي عن الخبز الخشكار والخبز الفطير:

الخبز الخشكار: هو الحثيث، أقلّ غذاء، يولد دما مائلا إلى السواد، منفعة: سرعة انحداره عن المعدة. مضرته: إدمان أكله يسرع الهرم، ويولد الحكة والجرب. دفع ضرره: أن يؤكل بالأطعمة الدسمة والزيت والألبان الحلوة، ولا يؤتد عليه بحامض أصلا. والله أعلم.

والخبز الفطير: هو القمط، أقلّ أنواع الخبز غذاء، وأعسر انهضاما، منفعة لأصحاب الكد والتعب الشديد. مضرته: يولد السدد في الكلى والحصى، وأوجاع المفاصل والقولنج والرياح. دفع ضرره: أن يؤكل بالأوراق الدسمة، وأن يؤخذ بعده الزنجبيل المربى ١. هـ (المعتمد ١/ ١٧١ - ١١٩).

قال صاحب قاموس الأطباء: الخشار والخشارة بضمهما: الردىء من كل شيء، والخشكار: الدقيق الذى لم يتزعزعه ولا نخالته ولم أر من ذكر بهذا اللفظ من أئمة اللغة وإنما ذكره الأطباء (قاموس الأطباء ١/ ١٦٣).

وقال عن الخبز داود الأنطاكي: الخبز هو في الغالب قوام الأبدان وعين ما أحكمته الصناعة من الحبوب المقيمة ولكنه مختلف باعتبار العوارض من الطحن والنخل والغسل والخبز ومقابلة النار وما يخبز عليه إلى غير ذلك وأجود الحبوب للخبز الحنطة فالشعير فالحمص فالأرز وما عدا ذلك ردىء جدا لا يعمل إلا في المجاعات الشديدة كالدخن والفول والجاورس وخبز الحنطة حافظ للصحة مسمن مقو للأرواح مولد للدم الجيد وأجود ما عمل لذلك مغسولا غير مستقصى في نخله بالغ في التخمير إذا وضع في الماء لم يفسد والراسب قليل الخمير ردىء جدا فإذا خمر رقق وخبز على

ويمنع الخفقان ويصلح الكبد والكلى وبالمحلب يخرج الرياح الغليظة والسدد والشونيز مثله والأنيسون يصلح الكبد والكرفس القلب والطحال؛ وبالجمللة فالقانون في عمله ما تقدم وينبغي أن لا يؤكل كثيرا إلا مع اللحم والمرق والدهن والحلو وأن يقلل مع غير ذلك وأن يبادر إلى شرب الماء فوق اليابس منه كالكمك والعكس في الطري وأن يقلل منه من به ضعف الكبد والمعدة ويأخذ ما يفتح السدد (تذكرة أولى الألباب ١/ ١٣٦، ١٣٧).

وقد أورده ابن رشد في كلياته تحت عنوان «القول في أشخاص الأغذية» فقال :

أجمع الأطباء أنه أم الأغذية النباتية للناس الطبيعيين وهم في الأكثر سكان الاقليم الخامس، والرابع هو البر، لكن إذا دخلته الصنعة، وهو يستعمل على وجوه إما خبزا وذلك إما فطيرا، وإما مختمرا، ويستعمل عصيدا ويستعمل هريسا، ويستعمل دقيقه حسوا، ويستعمل حبه مقلوا، وربما جرش بعد القلى والإنقاع، ويسمى سويقا، وقد يستعمل مطبوخا من غير تجريش، والحب الذي يتخذ منه هذه المطاعم أصناف فأفضله الرزين المتكاثف الجرم، وأفضل الأشياء المصنوعة منه هو الخبز، إذا اتخذ دقيقه من القمح الذي بهذه الصفة، وكان دقيقه لا متقصى القشر، وهو المسمى درمكا، ولا كثير القشر وهو المسمى خشكارا، والذي بهذه الصفة هو المسمى عندنا مدهونا، وذلك أن هذا الخبز يوجد قد انحط عن غلط الدرمل وبطء هضمه، إن كان الدرمل أغذى، وقد ارتفع عن تيس خشكارا، وانقلابه إلى طبيعة السوداء وذلك إن القشر من كل نبات أرضى بارد يابس، وإن كان هذا الخبز يوجد أسرع خروجا عن الأعضاء لا أسرع انهضاما للجلاء الذي في قشره، ثم عجن بعد بملح معتدل، وماء كثير، حتى يعود في صفة اسفنج البحر في التخلخل، ثم يخمر تخميرا معتدلا، ثم يطبخ في التنور.

وأما الخبز الفطير فغليظ لنج، كما أن الزائد التخمير مستحيل إلى أخلاط عفونية لمكان الحرارة الغريبة التي فيه، ويتلو الخبز في الجودة الحسا المتخذ من فتاته، إلا أنه

لموضع الماء الذي فيه يميل إلى البرودة والرطوبة، وفتات الخبز إذا سلق بالماء الحار مرات تولد عنه غذاء في غاية الخفة، وسرعة الهضم، وهو أنخص شيء بالمرضى الذين أمراضهم حادة، وسويق القمح أيضا نعم الغذاء إذا شرب بالماء الكثير برد، وذلك أن الإنقاع والقلى يخلخل جوهره ويلطفه، وإذا عجن بالعسل كان غذاء مسخنا كثير التغذية، وأما العصائد والهريسة فكلها غليظة لزجة مسددة، والقمح المطبوخ بالماء أكثر من ذلك بكثير حتى أنه أبطأ الأشياء انهضاما، كذلك الحريرة المتخذة من الدقيق أيضا غليظة، وأما المتخذة من الخمير نفسه ففي غاية اللطافة، وهي مبردة لموضع الحمضة لكن لا آمن أن تكون مستحيلة، ولذلك قد ينبغي أن تتجنب في الأمراض العفونية.

أما الخبز المتخذ من الشعير على الصفة التي تتخذ من خبز القمح فهو تال لخبز القمح في الجودة ولكنه مائل إلى البرودة وسويق الشعير أكثر شيء سرعة في الاستحالة، وهو مبرد وبخاصة إذا شرب بالماء، وبرده كأنه في الدرجة الأولى، وأما ماء الشعير فهو في الأدوية أدخل منه في الأغذية، وهو من الجهد في الأمراض الحادة اليابسة بحيث لا يخفى على أحد ممن نظر في هذه الصناعة أدنى نظر أنه مبرد، مرطب، معتدل، ذو جلاء، حسن الكيموس، ليس بمنفخ، ولا بطيء الانحدار، وهذه خصال معروفة في البارد الرطب، شهدت التجربة له بهذا، وصنعت أن ينقع الحب صحيحا في الماء، يوضع للجزء الواحد منه عشرون جزءا من ماء، مقدار أربع ساعات ويطبخ حتى يحمر الماء، فإن بهذه الحيلة أمكن أن لا يكون منفخا، وتجريشه خطأ، فإنه لا يقبل الإنقاع، لأن الحبوب إنما تجذب الماء بالقوة الجاذبة التي فيها، والقوة الجاذبة إنما تكون موجودة في الحب مادام الحب يزرع فينبت، وهو إذا جرش وزرع لم ينبت، وهذا قد نبه عليه أبو مروان بن زهر، في كتابه الملقب بالتيسير، وذكر غلط الأطباء في تجريشهم إياه.

وأما الأخباز المتخذة من سائر الحبوب فقوتها قوة تلك الحبوب (الكليات / ٢٤٧-٢٤٩)

وجاء عن الخبز في الطب النبوي للحافظ الذهبي ما يلي :
قال الله تعالى :

﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرْقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الكهف : ١٩]

قال الأطباء : أفضله التنوري النضيج النقي ، ومزاجه حار ، فيه بيس ، ولا ينبغي أن يؤكل حتى يبرد ، فإن الحار منه معطش . وأحمد أوقات أكله يوم خبزه ، واليابس والفطير يعقلان البطن ويتلوه الغربي ، وما عدا ذلك فردئ ، ومهما قلت نخالته أبطأ هضمه لكنه أكثر تغذية ، واللبن منه أغذى وأهضم ، والمتخذ فتيتاً نفاخ بطن ، والهضم ، وخبز القطائف يولد خلطاً غليظاً ، والمعمول باللبن مسدد كثير الغذاء بطن ، الاتحادار ، وخبز الشعير مبرد منفخ ، وخبز الحمص بطن ، الهضم فينبغي أن يكثر ملحه .

ويروى عن عائشة مرفوعاً :

«أكرموا الخبز فإن الله سخر له السموات والأرض» .

وإذا كان في دقيق الخبز تراب ولد لآكله الحصى في المثانة والكلبي (الطب النبوي / ٨٤ - ٨٥)

أما عن الطب النبوي لابن القيم فقد ورد فيه عن الخبز ما يلي :

ثبت في الصحيح ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة ، يتكفؤها الجبار بيده نزلًا لأهل الجنة» .

وروى أبو داود في سننه - من حديث ابن عباس رضي الله عنهما - قال : «كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ الثريد من الخبز ، والثريد من الحيس» .

وروى أبو دواد في سننه أيضاً - من حديث ابن عمر رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «وددت أن عندى خبزة بيضاء ، من برة سمراء : ملبقة بسمن ولبن . فقام رجل من القوم ، فاتخذها فجاء به . فقال : في أي شيء كان هذا السمن ؟ فقال : في عكة ضب . فقال : ارفعه» .

وذكر البيهقي - من حديث عائشة رضي الله عنها ، ترفعه - : «أكرموا الخبز . ومن كرامته : أن لا ينتظر به الأدم» . والموقوف أشبه . فلا يثبت رفعه ، ولا رفع ما قبله .

وأما حديث النهي عن قطع الخبز بالسكين ، فباطل : لا أصل له عن رسول الله ﷺ ، وإنما المروى : النهي عن قطع اللحم بالسكين . ولا يصح أيضاً . قال مهنا : «سألت أحمد عن حديث أبي معشر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ : لا تقطعوا اللحم بالسكين ؛ فإن ذلك من فعل الأعاجم . فقال : ليس بصحيح ، ولا يعرف هذا ؛ وحديث عمرو بن أمية خلاف هذا ، وحديث المغيرة» . يعنى بحديث عمرو بن أمية : «كان النبي ﷺ يحتز من لحم الشاة» . وبحديث المغيرة : «أنه لما أضافه : أمر بجنب فشوى ، ثم أخذ الشفرة فجعل يحز» .

وأحمد أنواع الخبز : أجودها اختماراً ، وعجناً . ثم خبز التنور أجود أصنافه ، وبعده خبز الفرن . ثم خبز الملة في المرتبة الثالثة ، وأجوده : ما اتخذ من الحنطة الحديثة - .

وأكثر أنواعه تغذية : خبز السميد ، وهو أبطؤها هضمًا لقلة نخالته . ويتلوه خبز الحواري ، ثم الخشكار .

وأحمد أوقات أكله : في آخر اليوم الذي خبز فيه . واللبن منه أكثر تلييناً وغذاءً وترطيباً ، وأسرع انحداراً . واليابس بخلافه .

ومزاج الخبز من البر حار في وسط الدرجة الثانية ، وقريب من الاعتدال في الرطوبة واليبوسة . والبيس يغلب على ما جففته النار منه ، والرطوبة على ضده .

وفي خبز الحنطة خاصية ، وهو : أنه يُسَمَّن سريعاً . وخبز القطائف يولد خلطاً غليظاً ، والفتيت نفاخ بطن ، والهضم . والمعمول باللبن مسدد ، كثير الغذاء ، بطن ، الانحدار .

وخبز الشعير بارد يابس في الأولى . وهو أقل غذاء من خبز الحنطة (الطب النبوي / ٢٣٤ - ٢٣٥) .

ويفصل أبو بكر الرازي مضار أنواع الخبز المختلفة ، فيبدأ ببيان دفع المضار المتولدة من الخبز السميد والحواري فيقول :

إن الخبز مع اعتياد الطبيعة له وورودها عليه دائماً ، وجرى العادة بالاعتداء منه ، له مضار ينبغي أن تميز وتفصل .

فمن الخبز السميذ والحوارى والخشكار على مرتبته فى ذلك من قلة النخالة وكثرتها، والفطير والمختمر والكثير الملح والبورق، والعديم لذلك، وخبز التنور، وخبز الفرن، وخبز الملة، وخبز الطابق .

فمن مضار الخبز السميذ والحوارى أنه أعسر خروجاً من البطن من الخشكار، وأنه أكثر نفخاً وتوليداً للرياح، ويولد السدد فى الكبد والحصى فى الكلى فى المستعدين لذلك . ولذلك ينبغى أن يميل عنه إلى الخشكار من تعثره الرياح الغليظة ويس البطن والسدد فى الكبد والغلظ فى الطحال والحصى فى المثانة المستعدة لذلك ويسرع إليه الامتلاء وتصيبه أوجاع المفاصل ويعثره التحجر فيها .

ومما يدفع به هذه المضار أن يكثُر فيه من الخمير والبورق، ويتعهد الأكل له السكنجين البزورى ويأخذ بزر البطيخ وبزر الكرفس مع السكر الطبرزد متى أحس بثقل تحت الأضلاع من الجانب الأيمن . فأما متى أحس بثقل فى البطن والقطن وعسر فى خروج البول أو قلة فيه فليأخذ من هذا الدواء أياماً قبل الطعام بثلاث ساعات .

سفوف قوى : وصفته أن يؤخذ من بزر البطيخ المنقى وزن عشرة دراهم ، ومن حب القلت واللوز المر والدوقو من كل واحد وزن درهمين ، فيستف منه وزن ثلاثة دراهم ويشرب عليها ماء حاراً قد أغلى فيه برشاوشان إلى أن يفقد ذلك العارض .

ويكثر من أحس بهذا العارض من البطيخ فى إبانة، ويتحسى أيضاً من ماء الباقلى . فإن هذا التدبير يمنع من أن يتولد وأن يتم تولد الحصى فى كلاه والتحجر فى مفاصله .

فأما من يعثره غلبة الرياح الغليظة فليجتنب أكل الفواكه الرطبة قبله وعليه ، ولا سيما الحامضة ... ويأخذ قدر جوزة من الجوارشن الكمونى ، ويؤمر أن يكثُر فى طيخه من الأفاويه ، ويصيب فى بقله من السذاب والصعتر ومن الثوم ، ولا سيما فى الأوقات والبلدان الباردة .

ويكون أكثر أكله لهذا الخبز بالاسفيداجات وأوراق المطجنات، ويحذر أكله مع الماست والرائب والكشكية

والمضيرة والمصلية والحصرمية والبوارد المعمولة بماء الحصرم والرمان ، ونحو ذلك من الحوامض والقوابض ، ويقل شرب ماء الثلج ، ويصرف شرابه ويقلله ويقويه . وإن اضطر إلى أكله يوماً ببعض ما وصفت من الأوراق الغليظة القابضة والباردة، تناول الكمونى أو الفلافلى ، أو صرف الشراب وتجوع من بعده وتعرق فى الحمام من غد .

ويؤمر أن يكثُر فى هذه الأوراق من الثوم ، وخاصة فى الكشكية والمضيرة ، فإن الثوم أكسر الأغذية للرياح ، وله مع ذلك أن لا يعطش كإعطاش الأفاويه الحارة ، فبهذا التدبير يمكن أن يسلم من يعثره القولنج وأوجاع الجنب وتزممها بالرياح الغليظة من مضرة إدمان الخبز السميذ والحوارى .

وأما من يعسر خروج النجو منه ويعثره يس فى البطن دائماً فليقدم من طعامه ما عمل بالمرى ، ويأخذ زيتونات من زيتون الماء ، ويتعل بالفانيد السجزي ، ويتحسى قبل الطعام أوراق الاسفيداجات ، وخاصة من ماء الكرنب والاسفاناخ والسلق ولتكن مالحة قليلاً ، ويستعمل أيضاً قبل طعامه إما فى الصيف أو فى أوقات حمى بدنه أكل الإجاص منقوعاً فى جلاب .

قالت المؤلفة : يطلق اسم الإجاص فى بعض البلدان على الكمثرى وفى بعضها الآخر على البرقوق أو الخوخ وقد أفردنا له مادة خاصة فى م ٤٠٣/٢ ، ٤٠٤ فانظرها فى موضعها . ويصف الرازى بعد ذلك كيفية نقع الإجاص فى الجلاب ،

ثم ينتقل إلى الكلام على دفع مضار الخبز الخشكار فيقول : إن هذا الخبز يتولد منه دم مائل إلى السوداء ، ويكون ذلك منه بمقدار رداءته وقلة نقائه ، فإنه كلما كان أقل نقاء وأميل إلى السواد كان الدم الذى يتولد منه أقل مقداراً فى نفسه وأغلظ وأميل إلى السوداء ، فيتولد عن إدمانه الأمراض السوداوية ، ويسرع بالهرم ، ويضعف عليه البدن ، ويقل الدم ، ويكون منه الحكمة والجرب والبواسير ونحو ذلك .

وإن أكل من الخبز الخشكار بمقدار ما يتولد منه من الدم المقدار الذى يحتاج إليه البدن ، احتاج أن يكون كميته أكثر من كمية الخبز الحواري كثيراً ، فيثقل لذلك فى المعدة ويربو

الخبز الحواري، فلذلك ينبغي أن يجتنب، فإن اضطر إليه دفع ما يتولد عنه من هذه المضار بما ذكرنا عند ذكرنا ما يدفع به المضار المتولدة من الخبز الحواري .

إلا أنه ينبغي أن تسد من تلك العلاجات وتقوى بحسب فضل قوة الخبز الفطير على المختمر وتوليد هذه المضار .

وأضر ما يكون بمن لا يتعب . فأما من يتعب ويكد نفسه كذا شديداً فكثيراً ما يسلم منه .

فأما الخبز المختمر فيسلم من هذه الخلل، إلا أنه أقل وأضعف إغذاء، فمن كان شديداً الكد، وكان متخلخل البدن، ضعف على إدمانه .

ومما يدفع به ذلك التأدم عليه بالآدام المغلظة واللزجة، كالحوم الحملان والعجاجيل والهرايس والعصائد، وترك التعب أو تقليله، وكذلك ترك الحَمَام والتعرق والأغذية الحريفة والمملطة، كالتوابل الحارة والبقول الحريفة، والملح والمرى والكواميخ، والشراب العتيق جداً .

فأما الحلو الغليظ منه فنافع في هذه الوجوه منه . وأما الكثير الملح منه والبورق قليل الغذاء، سريع الخروج، وبالعكس .

وقد بان كيف يدفع الضرر المتولد من إدمانها بما تقدم من كلامنا، والله أعلم .

خبز التنور والفرن :

قالت المؤلفة : التنور : الكانون يخبز فيه . والكانون : الموقد يطبخ عليه (الأصل والبيان / ٧ ، والمعجم الوجيز / ٥٤٣) .

وأما خبز التنور فأصلح من خبز الفرن في سرعة الهضم والخروج ، وقلة تولد النفخ والسدد والغلظ واللزجات . لكن خبز الفرن أوفق منه في كثرة الإغذاء، ولذلك هو أصلح لمن يكد ويتعب ويحتاج إلى غذاء متين قوى .

خبز الملة :

وأما خبز الملة فأغلظ فجاجة ونهرة، وأقل نضجاً من خبز الفرن، وأعسر خروجاً، وأكثر غذاء إذا انهضم . وليس يخفى ما مضاده، وبما تدفع، على من فهم ما تقدم من كلامنا .

وينتفخ، ولا سيما إذا شرب عليه الماء . ويتولد من ذلك فنون من النفخ .

وإن قصر عن هذا المقدار لم يتولد عنه من الدم قدر الوفاء بحاجة البدن، ويقل عليه الدم، ويصلب، وتذهب نضارته وحسن لونه ورطوبته .

والذى يدفع المضار منه أن يتأدم عليه بالأدهان والحلاوات ، والألبان ، ويدمن ذلك . ويحذر التأدم عليه بالملوحات والحرافات والكواميخ ونحوها ، فإن ذلك يزيد في شرته وقلة إغذائه وسرعة خروجه من البطن قبل استيفاء ما فيه من الغذاء، ويزيد في رداءة الدم المتولد منه حتى تتولد منه الأمراض التي ذكرنا، ويسرع أيضاً بالهرم والذبول، ولا سيما إن قل شرب الماء عليه، وإن كان البلد مع ذلك يابساً أو حاراً، أو كان مهنة الأكل متعبة .

فلذلك ينبغي أن يدفع هذه المضار منه باللبن الحليب، والسمن ، وسائر الأدهان التي لا كيفية لها حارة كدهن السمسم ونحوه .

فأما الزيت فغير موافق وبعقيد العنب والسكر والتمر . فأما العسل فإنه أيضاً غير موافق ، لأنه يسرع بإخراجه ، إلا أن يقع مع دسم كثير ومع لبوب دسمة تكسر منه وتسكنه .

وكذلك عقيد العنب والكمثرى أوفق الحلاوات في هذا الموضع . والزبد والسمن أوفق الدسومات .

واللبن الحليب الذى لا حموضة فيه بته أوفق ما يثرد فيه ، ثم الاسفيداجات الدسمة .

فأما كل طيبخ من حامض أو مالح أو حريف فردى في هذا الوجه ، لأن هذا الخبز قليل الغذاء سريع الخروج، فالحلاوات تزيد في إغذائه، والدسومات تزيد أيضاً ، وتمنع قشفه ويبسه وجلاءه وجرده للمعدة والأمعاء بكثرة نخالته وسرعة خروجه منها .

الخبز الفطير .

وأما الخبز الفطير فردى في توليد الرياح وإبطاء الخروج، فهو لذلك يضر لمن يعتريه القولنج جداً .

وهو أيضاً أسرع في توليد السدد والحصى من المختمر من

خبز الطابق :

وأما خبز الطابق فأخف من خبز التنور، ولا سيما متى رقق، فهو لذلك أعسر خروجاً، وليس بأكثر غذاء من خبز التنور.

وتبين مما ذكرنا أن أحوال صنوف الخبز في منافعها ومضارها تختلف بحسب الأبدان وأحوالها ومهنها وبلدانها، إلا أن الأبدان القوية الهضم، أو الكثيرة التخلخل، أو الكثيرة التعب، تحتاج إلى الأكثر والأغلظ غذاء والأبطأ نزولاً وتحليلاً. وأما الأبدان المستحصفة والمخصبة والعديمة للتعب فتحتاج إلى الألفظ غذاء والأسرع خروجاً وتحلاً.

أوفق صنوف الخبز :

أوفق صنوف الخبز في أكثر الأحوال الحوارى المعتدل الملح والبورق والتخمير المختبز في التنور المعتدل في غلظه ورقته، لأن هذا خبز معتدل في كثرة الإغذاء وقلته وسرعة خروج سفله وبطئه، والأبدان المعتدلة والقريبة من الاعتدال أكثر من التي في الإفراط. وكذلك الحال في المهن والبلدان، فإن الناس المعتدلي التعب أكثر من المفرطي التعب والبطالين. وكذلك ساكنو البلدان المعتدلة والقريبة من الاعتدال أكثر من ساكني الواغلة في الشمال والجنوب ...

اختلاف الحنطة في الخبز :

وفيما ذكرنا من أمر الخبز المعمول من الحنطة كفاية على أن الحنطة تختلف فيختلف الخبز بحسب اختلافها. فيكون المتخذ من الحنطة الحمراء الرزينة العذبة واللزجة لزجاً علكاً، ويكون أكثر غذاء، وأبطأ انحداراً، وأحوج إلى تكثير الملح والتخمير والبورق. والأولى أن يتعهد آكلوه أنفسهم بالرياضة والحركة، وبما يفتح السدد ويمنع من تولد الحصى.

في الخبز من البيضاء :

والمتخذ من الخبز من الحنطة البيضاء الهشة الخفيفة المسفنة أقل حاجة إلى ذلك. وجملة منفعة الحنطة أنها تغذو البدن وتولد دماً يتولد منه اللحم وجوهر جميع الأعضاء، فيكون خلفاً مما تحلل.

جملة منفعة الحنطة ومضارها.

وجملة مضار الحنطة ما قد ذكرنا، ويدفع بما قد وصفنا.

والحنطة أوفق حبة عمل منها الخبز، وأشدّها ملاءمة لبدن الإنسان المعتدل. وإذا كانت نيئة فربما تولد منها حب القرع، ويدفع ذلك بأن يتحسى بعقبه المرى النبطى والخل الثقيف.

وإدمان أكل المقلو منها يعقل البطن، فلذلك ينبغي أن يتلاحق بما يسهله إسهالاً معتدلاً، كالفانيد السجزي، والتين العلك، وما أشبه ذلك.

وأما الحنطة المطبوخة والفريك فينفخان جدّاً، ولذلك ينبغي أن يؤخذ بعدهما جوارشن الملوكي والفلافلى، ويحذر شرب الماء الكثير عليهما، فإن ذلك يورث القولنج النفخى (منافع الأغذية ودفع مضارها / ٢٠-٣٥).

وقد أوزده صاحب الأرجوزة الشقرونية في الأطعمة المركبة، مما ننقله لك فيما يلى، مع ملاحظة أننا اختفظنا بأرقام الآيات كما وردت في النص. قال الناظم :

١٠٣ - الخبز حافظ لصحة البدن

مسمن مـولـد دما حسن

١٠٤ - أفضله ما عمه الخمير

وشـره المحـروق والفطير

١٠٥ - فاختر من الخبز كثير العرك

حتى يُـرى عجـينه كـالـعـلك

١٠٦ - من خالص الحنطة جيد العمل

يسرى من الصحة غاية الأمل

١٠٧ - أما الذى يصنع من شعير

فيطفى اللهيب من محـرور

١٠٨ - وخبز غير القمح والشعير

جم السقام عـادم التـديـر

١٠٩ - لا تقرينه واحذر شروره

إلا إذا دعت لـه الضـرور

(الطب العربى / ٨٧).

قالت المؤلفة : نحن نعلم أن الشعر ديوان العرب، كانوا

يسجلون فيه ماأكلهم ومشربهم وملبسهم ومساكنهم وطريقة حياتهم وطبائعهم وعاداتهم وتقاليدهم ... إلخ ومن ثم فإننا نجد الخبز وأنواعه يدور في أشعارهم، ونسوق هنا أمثلة منه من مجموعتي التي كنت أعدها لتكون أساسا لبحثي في هذا المجال.

فقد جاء ذكر الخبز «النقي» - ولعله الحوارى الذى سبق الكلام عنه - باعتباره طعام الأثرياء، ومن ثم كان إطعام الناس إياه مدعاة للفخر، فنسمع الشاعر يقول:

يُطْعِمُ النَّاسَ إِذَا أَمْحَلُوا
مَنْ نَقَى فُسُوقَهُ أَدُمُّهُ

والخبز مع اللحم مع الكثير من السمن فى الطعام شىء محبب، فيقول الشاعر:

مَنْ سَفَلَ الْيَوْمَ لَنَا فَقَدْ عَكَبَ
خُبْزًا وَلَحْمًا فَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ حَبٌّ

فالسغبلة أن يثرد اللحم مع الشحم فيكثر دسمه. كذلك فإن وجود الخبز واللحم يدل على الثراء، وهو أمر يُتباهى به، كقول الشاعر:

الْخُبْزُ وَاللَّحْمُ لَهُمْ رَاهِنٌ
وَقَهْوَةٌ رَاوَوْقُهُ سَاكِبٌ

وعلى العكس من ذلك، فإن العُشْم، والجمع عسوم، وهى كسر الخبز اليابس القاحل، هو طعام المحرومين، ومن ثم فهو ليس من طعام أهل الجنة، كما قال أمية بن أبى الصلت فى صفة أهل الجنة:

وَلَا يَتَنَازَعُونَ عَنْ بَنَانٍ شُرْكٍ
وَلَا أَقْسَوَاتُ أَهْلِهِمُ الْعُسُومُ

(لسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٩٢، والمعجم الوجيز، ط وزارة التربية والتعليم ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م / ١٧٧، ١٩٦، ٥٩١، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١١٧ - ١١٩، وقاموس الأطباء وناموس الألبا لمدين بن عبد الرحمن القوصونى المصرى ١ / ١٦٣، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٣٦، ١٣٧، والكليات فى الطب لابن رشد - تحقيق وتعليق د. سعيد شيان، ود. عمار الطالبي ٢٤٧ - ٢٤٩، والطب النبوى للحافظ أبى

عبد الله محمد بن أحمد الذهبى - قدم له وخرج آياته الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى / ٨٤، ٨٥، والطب النبوى للإمام ابن قيم الجوزية - كتب المقدمة وراجع الأصل وأشرف على التعليقات عبد الغنى عبد الخالق، وضع التعليقات الطبية د. عادل الأزهرى، وخرج الأحاديث محمود فريج العقدة / ٢٣٤، ٢٣٥، ومنافع الأغذية ودفع مضارها لأبى بكر محمد ابن زكريا الرازى - راجعه وقدم له د. عاصم عبتانى / ٢٠ - ٣٥، والطب العربى فى القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية - تحقيق وتعليق د. بدر التازى، تعريب وتقديم د. عبد الهارى التازى / ٨٧).

* خبز رسول الله ﷺ:

جاء فى زهر الخمائل للإمام السيوطى:

١ - «كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاوياً هو وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير».

طاوياً: أى خالى البطن جائعاً.

الحديث حسن صحيح عن ابن عباس

٢ - «أكل رسول الله ﷺ النقي يعنى «الحوارى». النقي هو الخبز الحوارى. والحوارى: هو الذى نخل مرة بعد مرة. والمقصود به الدقيق الأبيض. وكما جاء فى المعجم الوسيط هو «لباب الدقيق» أخرجه المؤلف فى الزهد. رواه أبو حازم عن سهل بن سعد أنه قيل له: وهو حديث حسن صحيح.

٣ - «ما أكل النبى على خوان، ولا فى سكرجة ولا خبز له مرقق».

سكَّرَجَه (بضم السين والكاف والراء المشددة) إناء صغير يؤكل فيه الشىء من الأدم. وهى فارسية، أكثر ما يوضع فيها الكوامخ ونحوها. ولا خبز له مرقق: قال فى النهاية: هو الأرغفة الواسعة الرقيقة

(زهر الخمائل على الشمائل للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى - تحقيق مصطفى عاشور / ٨٩، ٩٠ وهوامش المحقق).

* الخبزة (مسجد):

من المساجد الأولى فى الإسلام، ويقع هذا المسجد فى الطائف عند شجر سدر (بوج) محاذية للخبزة ومن ثم أطلق عليه أهل المنطقة الآن اسم مسجد الخبزة. ويذكر أن النبى ﷺ جلس تحتها حين أتاه عداس بطبق العنب. ويعلق

زحاف مزدوج . وهو سقوط الثاني والرابع الساكنين ، كسقوط السين والفاء من مستفعلن مُتَعَلَّنْ (ب ب ب -) فهو خبن وطئ . وأصل الخَبْلُ فساد الأعضاء نحو ذهاب اليد والرجل .

فالخبل في مستفعلن يُشَبَّه بذهاب أحد الأعضاء ، فكأنَّ السَّاكن يد السبب ، فإذا حذف الساكنان صار الجزء كأنه قطعت يده فبقى مضطربا . ويقع الخبل في البسيط والرجز والسريع والمنسرح ولا يجوز الخبل في مستفعلن الواقعة بعد مفعولات في المنسرح لأن قبله حركة الوند المفروق فيجتمع خمس حركات على نسق ، ولا يجرى الخبل في المقتضب .

ومن أمثلة الخبل في البسيط :

وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ لَقِيَهُمْ رَجُلٌ
فَأَخَذُوا مَالَهُ وَضَرَبُوا عُنُقَهُ
مُتَعَلَّنْ فَعَلْنُ مُتَعَلَّنْ فَعَلْنُ
مُتَعَلَّنْ فَعَلْنُ مُتَعَلَّنْ فَعَلْنُ
ومن الرجز :

وَنَقَلَ مَنَعَ خَيٌّْ رَطَلَبْ
وَطَلَبْ مَنَعَ خَيٌّْ رَطَلَبْ
ويجوز أن ينقل مُتَعَلَّنْ إلى «فَعَلْنُ» . ويسمى الجزء الذي يصيبه هذا الزحاف «مَخْبُولًا» .

(معجم مصطلحات العروض والقافية - د . محمد علي الشوابكة و د . أنور سويلم . دار البشير . عمان . الأردن ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م / ٩٨ ، ٩٩ انظر أيضا التعريفات للشريف الجرجاني - تحقيق وتعليق د . عبد الرحمن عميرة / ١٣١)

* الخَبْنُ :

في علم العروض والقافية الخَبْنُ :

خَبْنُ الثَّوْبِ إِذَا رَفَعَهُ إِلَى صَدْرِهِ . وهو إسقاط الثاني الساكن ، وفي العين «المخبون من أجزاء الشعر ما قبض من حروف مشوه مما يجوز في الزحاف فيلزم قبضه كقولك في «فاعلن» «فعلن» في القافية ، أو في النصف فيلزم ذلك القبض ، وذلك الشعر مخبون والجزء مخبون» ويجرى الخبن في كل فاعلن في المديد إلا في الواقع ضربا وعروضا

العجمي على تاريخ المرجاني فيقول «وفيه نظر ، فقد تقدم عن أهل السيرة أن النبي ﷺ عمد إلى ظل حبله من عنب فاتاه عداس بالطبق ، لكنه يحتمل أنه جلس في ظلها ثم تحول إلى السدرة المذكورة .

ويضيف العجمي على ذلك فيقول : وخبر السدرة هذا إن صح دليل على أن البستان الذي عندها هو حائط ابن ربيعة الذي دخله ﷺ . على أن هذه السدرة لم أجد (أي العجمي) من يعلمها ، ولعلها السدرة الموجودة بالمشاة عند العين ، فقد قيل إنها من عهده ﷺ وأن المسجد الذي عندها هو الذي جلس فيه النبي ﷺ حين أتاه عداس .

ويقع المسجد الآن سنة (١٣٩٨ هـ) في بساتين في وج عند أقدام (أم خبز) وهو مربع الشكل تقريبا يبلغ طول ضلعه (١٢) مترا . ويحيط بالمسجد من جهتين فقط صحن مكشوف الجهة الشرقية والجنوبية ويبلغ عرضه ثلاثة أمتار . ومكان الصلاة مربع الشكل كذلك يبلغ طول ضلعه تسعة أمتار . ويوجد المحراب في الضلع الشمالي للمسجد ويبرز عن سمت الحائط الخارجي بمقدار متر تقريبا .

وهو مسجد جنامع إذ يحتوى على منبر على يمين المحراب ، كما يحتوى على مثذنة تقع في الركن الجنوبي الشرقي للجامع على يمين المدخل الرئيسى للجامع . وتتكون المثذنة من ثلاث طبقات الأولى مربعة والثانية مثمنة والثالثة مستديرة تنتهى بطاقيّة ، فهي بذلك تشبه طراز المآذن التي بنيت في مصر واليمن في القرن السابع الهجرى ، وليس من المستبعد أن يكون الجامع قد أعيد بناؤه في العصر الأيوبي أو أوائل العصر المملوكي .

ويقع المدخل الرئيسى للجامع في الضلع الجنوبي قريبا من الركن الشرقي للجامع ، ويعلوه عقد ذو ثلاثة فصوص . ويعلوه عتبة كتابة محصورة في (بحر عريض) زالت الآن .

(مساجد في السيرة النبوية ، د . سعاد ماهر الهيئة المصرية العامة

للكتاب . ١٩٨٧ / ٢١ ، ٢٢) .

* الخَبْلُ :

في علم العروض والقافية ، الخَبْلُ :

(في العروض الثانية والضرب الثاني)، وفي كل فاعلاتن في المديد إلا في الضرب الأول، كما يجوز خبن فاعلات في المديد. ويجرى في البسيط خبن مستفعلين ومستفعلان وفي كل فاعلن ومستفعلين فيه. وفي كل مستفعلين ومستفعل في الرجز. وكل فاعلاتن وفاعلن وفاعلان وفاعلاتان في الرمل، وفي كل مستفعلين ومفعولات في المنسرح، وكل فاعلاتن ومس تفع لن في الخفيف وكل مستفعلين وفاع لاتن في المجتث.

(معجم مصطلحات العروض والقافية - د. محمد علي الشوابكة، و د. أنور سويلم / ٩٩، ١٠٠).

* خبيب بن عدي:

انظر: الرجيع (يوم -)

* الخبير جل جلاله:

الاسم الثاني والثلاثون من أسماء الله الحسنى. قال في تفسيره حجة الإسلام الغزالي:

هو الذي لا تعرب عنه الأخبار الباطنة؛ ولا يجرى في الملك والملكوت شيء، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن، ولا يضطرب نفس ولا يطمئن - إلا ويكون عنده خبره.

وهو بمعنى العليم، لكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمى خبرة، وسمى صاحبها خبيراً.

[تنبيه]: حظ العبد من ذلك أن يكون خبيراً بما يجرى في عالمه. . . وعالمه: قلبه، وبدنه. والخفايا التي يتصف القلب بها من: الغش، والخيانة، والتطواف حول العاجلة، وإضمار الشر، وإظهار الخير، والتجميل بإظهار الإخلاص مع الإفلاس عنه - لا يعرفها إلا ذو خبرة بالغة، قد خبر نفسه ومارسها، وعرف مكرها وتلييسها وخدعها، فحاذرها وتشمّر لمعاداتها، وأخذ الحذر منها. فذلك من العبيد جدير بأن يسمى خبيراً. (المقصد الأسنى / ٩٣، ٩٤).

وقال الإمام الفخر الرازي:

قال تعالى ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ [الملك: ١٤] وقال: ﴿والله بما تعملون خبير﴾ [البقرة: ٢٢٤] وقال ﴿فاسأل به خبيراً﴾ [الفرقان: ٥٩] وله تفسيران.

الأول: هو العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته،

وهو المراد بقوله ﴿فاسأل به خبيراً﴾ يقال: فلان خبير بهذا الأمر وله به خبرة، وهو أخبر به من فلان، أي أعلم، إلا أن الخبير في صفة المخلوقين إنما يستعمل في العلم الذي يتوصل إليه بالاختبار والامتحان، والله منزّه عنه.

والثاني: ما ذكره الشيخ عبد الملك الطبري، وهو: أن الخبير بمعنى المخبر، فهو فعيل بمعنى مفعول، وهو كثير في كلام العرب، كالسميع بمعنى المسمع والبديع بمعنى المبدع، فيكون الخبير هو المخبر، وهو عبارة عن كلامه.

أما حظ العبد منه فهو: أن يكون شديد البحث والفحص عن محاسن الأخلاق ومقاييسها، وعن أن ما معه من الصفات والأخلاق من أي القسمين، وأن لا يغتر في هذا الباب بأنواع تلييس إبليس.

قول المشايخ في هذا الاسم: وأما المشايخ فقالوا: من عرف أنه خبير كان بزمام التقوى مشدوداً، وعن طريق المنى مصدوداً، قال علي بن الحسين من أراد عزاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، وغنى بلا فقر؛ فليخرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة، قال تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة﴾ [النحل: ٦١] (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٤٨، ٢٤٩).

الخبير جل و جلاله معناه: لا تعرب عنه الأخبار ظاهرها وباطنها، لا في السموات ولا في الأرض، وهو معكم أينما كنتم لا تخفى عليه خافية.

وقال الله جل جلاله: ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾ [الرعد: ١٠].

وقال الله تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير﴾ [الأنعام: ٧٣].

وقال الله سبحانه: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ [الملك: ١٤].

وقال الله سبحانه: ﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنباك هذا قال نبأني العليم الخبير﴾ [التحريم: ٣].

ومن صفات الخبير أن يكون سميعاً بصيراً عالمًا بكل شيء.

وإنك إذا تدبرت قول الله تعالى :

﴿والله بما تعملون خبير﴾ [البقرة: ٢٣٤]

﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ [النور: ٣٠]

﴿إنه خبير بما تفعلون﴾ [النمل: ٨٨]

﴿إنه بعباده خبير بصير﴾ [الشورى: ٢٨]

علمت أن الله خبير بكل شيء لا تخفى عليه منكم خافية.

وحظ العبد من اسم ربه (الخبير جل جلاله): أن يكون خبيراً في عوالم نفسه، في قلبه وفي نفسه فيزدجر عما نهى الله عنه لأنه سوف يسأل عما قال أو فعل.

وقالوا: من ذكره سبعة أيام أتنه روحانية من عند (الخبير: جل جلاله) فتخبره بكل خبر يريد. والله أعلم.

وقد ورد اسم الخبير (جل جلاله) في القرآن الكريم ست مرات: في الأنعام مرتين، وفي سبأ مرة، وفي الملك مرتين، وفي التحريم مرة، مقترباً ثلاث مرات باسمه الحكيم، ومرتين باسمه اللطيف، ومرة باسمه العليم. (ولله الأسماء الحسنى ٩٠/٩١)

(المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ٩٣، ٩٤، وشرح أسماء الله الحسنى للإمام فخر الدين الرازي - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرؤوف سعد / ٢٤٨، ٢٤٩، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها - جمع وترتيب أحمد عبد الجواد. قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود وشعبان على خليل عبد الرحمن، ومحمد المهدي محمود على / ٩٠، ٩١)

* الخبيص:

الخبيص: الحواء المخبوصة، والخبيصة أخص منه (اللسان ١٢/ ١٠٩٣) نوع من الحلوى يعمل من دقيق الحنطة مع دهن اللوز والشيرج، وبعد انطباخ الدقيق في الدهن يجعل عليه شيء من السكر أو العسل. قال الإمام

ابن الجوزي: أصلح للدماغ من الفالوذج، لكنه يضر الكبد الخليطة. دفع ضرره بالخيار الغض (مختصر لقط المنافع / ٦٧، ٦٨).

وقال الإمام أبو بكر الرازي: أقل لزوجة من الفالوذج، وأجود للمعدة. وإذا كانت خبيصة جيدة نضيجه لم يكن لها كثير وخامة ووقوف في المعدة. ويصلح إسخانها للمحرورين بلقم من الخيار بالخل من بعدها والرمان الحامض (منافع الأغذية / ٢٣٨)

(لسان العرب ١٢/ ١٠٩٣) ومختصر لقط المنافع للإمام أبي الفرج ابن الجوزي - تحقيق أحمد يوسف الدقاق / ٦٧، ٦٨ وهامش ٣ للمحقق، ومنافع الأغذية ودفع مضارها لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي - راجعه وقدم له د. عاصم عيتاني / ٢٣٨).

* الخبيص: (نحو ١٠٥٠ هـ / نحو ١٦٤٠ م):

عبيد الله بن فضل الله، فخر الدين الخبيص، متكلم منطقي له كتب، منها «التذهيب في شرح التهذيب» في المنطق، و «التجريد الشافي» منطق أيضاً، و «شرح منظومة اليافعي في التوحيد» مخطوط بدار الكتب.

(الأعلام للزركلي ٤/ ١٩٦)

قالت المؤلفة: عندي كتاب للخبيص بعنوان شرح الخبيص على متن تهذيب المنطق للعلامة الشيخ عبيد الله ابن فضل الخبيص على تهذيب المنطق والكلام للسعد التفتازاني. ط مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده. الطبعة الرابعة ١٣٨٦ هـ - ٩٦٦١.

* الختم:

ختم: الختم والطبع يقال على وجهين مصدر ختمت وطبعت وهو تأثير الشيء كنقش الخاتم والطابع والثاني الأثر الحاصل عن النقش ويتجاوز بذلك تارة في الاستيثاق من الشيء والمنع منه اعتباراً بما يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب نحو: «ختم الله على قلوبهم» [البقرة: ٧] «وختم على سمعه وقلبه» [الجاثية: ٢٣] وتارة في تحصيل أثر عن شيء اعتباراً بالنقش الحاصل، وتارة يعتبر منه بلوغ الآخر ومنه قيل ختمت القرآن أي انتهيت إلى آخره فقوله:

متبعاً في زماننا هذا، مع ملاحظة أن ابن الخوجة يذكر في ختام كتابه أنه فرغ من تأليفه سنة ١٣٥٨ .

وهذا التقليد الذي يصفه الشيخ محمد بن الخوجة هو ختم الأحاديث النبوية في تونس في شهر رمضان . ويبدأ بمقدمة عن العناية بالأحاديث النبوية ثم ينتقل إلى الكلام على الختم، مما نقله لك فيما يلي . قال الشيخ محمد بن الخوجة رحمه الله : مع ملاحظة تخفيف الهمزة في ألفاظ مثل «الأئمة» إذ يكتبونها في المغرب العربي «الأئمة» :

اعلم أن العناية بالأحاديث النبوية قديمة في الإسلام، لأنها تعلم المخلوق كيفية معاملته لخالقه، واعتقاده الحق في ذاته وصفاته تعالى، وكتبه، ورسله، وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام وسيرهم الحميدة، وقصصهم، كما تعلم مصالح الدنيا، وكيفية معاشرته الخلق على الوجه الحسن، وكيفية تعامل الناس بين بعضهم على الوجه الأجمل، وعلم الحديث تتعلق به علوم، منها، تفسيره، ومنها علم المصطلح، وهو علم يعرف به قوة سنده الذي به وصل إلينا، وتراجم الرجال الناقلين له، كما يعلم به الأحاديث الموضوعة التي تسبب لصاحب الشريعة ولم يقلها ﷺ، وقد برع في هذا العلم كثير من أقطاب الملة، وانتهت صحة الرواية فيه إلى الرواة الستة أصحاب المسانيد المعروفة بكافة بلاد الإسلام، وهو: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ (٨٦٩) (يوافق وفاته لفظ «نور» بحساب الجُمَّل)، والإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١ (٨٧٤) والإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني المتوفى سنة ٢٧٣ (٨٨٦) والإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ (٨٨٨) والإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩ (٨٩٢) والإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ (٩١٥) فهؤلاء الأئمة اتفق أهل الحديث على صحة كتبهم، كما أجمعوا على أن صحيح الإمام البخاري هو أفضلها على المذهب المختار، وأنه أول كتاب بعد القرآن كلام الله القديم، وأول كتاب صنف في الحديث كتاب ابن جريج، وقيل موطأ مالك بن أنس إمام دار الهجرة.

«ختم الله على قلوبهم» وقوله تعالى : «قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم» [الأنعام : ٤٦] إشارة إلى ما أجرى الله به العادة أن الإنسان إذا تنهى في اعتقاد باطل أو ارتكاب محظور ولا يكون منه تلفت بوجه إلى الحق يورثه ذلك هيئة تمرنه على استحسان المعاصي وكأنما يختم بذلك على قلبه وعلى ذلك : «أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم» [النحل : ١٠٨] وعلى هذا النحو استعارة الإغفال في قوله عز وجل «ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا» [الكهف : ٢٨] واستعارة الكن في قوله تعالى : «وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه» [الأنعام : ٢٥] و [الإسراء : ٤٦] واستعارة القساوة في قوله تعالى : «وجعلنا قلوبهم قاسية» [المائدة : ١٣] قال الجبائي يجعل الله ختما على قلوب الكفار ليكون دلالة للملائكة على كفرهم فلا يدعون لهم، وليس ذلك بشيء فإن هذه الكتابة إن كانت محسوسة فمن حقها أن يدركها أصحاب الشريح، وإن كانت معقولة غير محسوسة فالملائكة باطلاعهم على اعتقاداتهم مستغنية عن الاستدلال . وقال بعضهم : ختمه شهادته تعالى عليه أنه لا يؤمن، وقوله تعالى : «اليوم نختم على أفواههم» [يس : ٦٥] أي نمنعهم من الكلام «وخاتم النبيين» [الأحزاب : ٤٠] لأنه ختم النبوة أي تممها بمجيئه . وقوله عز وجل : «خاتمهم مسك» [المطففين : ٢٦] قيل ما يختم به أي يطبع، وإنما معناه منقطعه، وخاتمة شربه : أي سؤره في الطيب مسك، وقول من قال يختم بالمسك أي يطبع فليس بشيء لأن الشراب يجب أن يطيب في نفسه فأما ختمه بالطيب فليس مما يفيد ولا ينفعه طيب خاتمته ما لم يطب في نفسه .

(المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني - تحقيق وضبط

محمد سيد كيلاني / ١٤٢، ١٤٣)

• ختم الأحاديث النبوية :

يتحدث الشيخ محمد بن الخوجة عن تقليد جليل كان متبعاً في تونس .

قالت المؤلفة : أقول «كان» متبعاً بالفعل الماضي لأنه ليس لدى من المراجع ما يثبت أن هذا التقليد الجليل لا يزال

واعلم أن اختتام الحديث التي تقع بتونس كل عام في أيام معلومة من شهر رمضان، مستمدة من صحيح الإمام البخاري، إلا ما شذ منها كما ستري خبره. ولما كان الحديث هو الركن الثاني الذي أقيم عليه هيكل الشريعة الإسلامية بعد الركن الأول الذي هو كتاب الله تعالى، وجه إليه العلماء شرقاً وغرباً كامل عنايتهم تلاوة وفهما وتفهيماً، قاصدين بذلك تدعيم أصول الدين، وتوثيق عرى حبله المتين، حتى ينتفع الخاصة بفهم أسرارهم، ويتمن العامة ببركة أنوارهم، وعلى هذه القاعدة درج أئمة السلف، واقتدى بهم علماء الخلف، فكانوا السابقين اللاحقين للكرع من مناهل رياضهم، والارتواء من سلسيل حياضهم، وهي سنة متبعة بكافة الأقطار، بين أهل الأعصار، وكما أنها لم تزل بفضل الله قائمة بهذه الديار، كذلك كان شأنها بغيرها من الأمصار، فقد نقل الشيخ محمد يريم الثاني حديث ختم للحافظ ابن كثير صاحب كتاب البداية والنهاية في التاريخ، قام به في دمشق الشام سنة ٧٦٥ (١٣٥٥) وعلى هذا المنوال جرى عمل علماء تونس منذ قرون، يشهد بذلك اعتناء أهل البر والمعروف منذ عهود بعيدة بتأسيس الأوقاف الخيرية الجارية أرباعها لهذا الزمان بعنوان رواية الحديث في كثير من الجوامع والمساجد والمدارس التونسية، وكان لم يزل لأهل تونس عظيم اعتناء بشأن ختم الحديث، فقد نقل المؤرخ ابن أبي دينار: أن لأهل تونس اهتماماً عظيماً بمجالس الاختتام واحتفالاً كبيراً بها، حتى إنهم يشتغلون بها عن كل ما سواها. قال: ويغلقون حوانيتهم، وينادي المنادي فيهم ألا إن الختم لجامع البخاري غدا صباحاً أو عشية في موضع كذا، فيفزع الناس، ويتسارعون شيوخاً وكهولاً، ذكوراً وإناثاً، وربما دام الختم عندهم من طلوع الشمس إلى قرب الزوال. اهـ. قلت: ولم تكن رواية الحديث عندهم خاصة بشهر رمضان، بل كان منها ما يبتدئ في كل عام من شهر رجب، ومنها ما يكون في سائر أيام العام، بشرط انتهاء الرواية في يوم معلوم من شهر رمضان، اصطلاحوا على تسميته بيوم الختم، وربما كان من شروط الواقفين رواية الصحيح كله في مدة الحول أو في الأشهر الثلاثة، رجب، وشعبان، ورمضان، قال المؤرخ حسين

خوجة في كتاب بشائر أهل الإيمان: إن القاضي الشيخ حمودة الريكلي، من فقهاء دولة علي باشا، كان يروي الحديث على دور العام بزاوية سيدي معاوية، وقد عرفنا من شيوخ الجيل الماضي من كان قائماً بمثل ذلك على الوجه الأتم، كالمرحوم أبي النخبة الشيخ مصطفى البارودي الإمام الأول بجامع باردو، فكان يقوم برواية الصحيح كله في مسجد الطراز كل عام، إلى أن أدركه أجله في سنة ١٣٢٢ (١٩٠٤) وكان بعض أهل العلم يتولى رواية الحديث بطريقة دورية في سائر أيام الجمععات مدى العام كله، ومن هذا القبيل كان صنيع العلامة الشيخ سالم بوحاجب، كبير أهل الشورى المالكية، أثناء مباشرته للإمامة والخطبة والرواية بجامع سيحان الله، وكتب في ذلك شرحاً جامعاً لجملته من أبواب صحيح الإمام البخاري، سمعت ذلك من بعض الشيوخ بمناسبة حديث دار في مجلسه عن الشرح الذي كتبه الشيخ الشنقيطي على الصحيح المشار إليه.

هذا وقد رأيت بكناش لبعض الأفاضل، أن أول ختم للحديث بتونس أسسه أحد سلاطين بني أبي حفص بجامع أبي محمد خارج باب السويقة، ويظهر من كلام المؤرخين أن رواية الحديث بتونس، كانوا كثيرين في الدولة المرادية، ولكن الاختتام كانت بالرواية المجردة، وشذ منها ما كان دراية. قال في المؤنس: ولم يكن بالديار التونسية من يوم حل بها العسكر العثماني من تعاطى الرواية والدراية إلا الشيخ العالم العلم الرباني أبو عبد الله محمد تاج العارفين العثماني (يتصل نسبه بالخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه) سقى الله ثراه من صوب الرحمة والرضوان، وكان مجلسه بالجامع الأعظم من أجل المجالس، وتحضره الأجلاء من أهل العلم، وتسدور بينهم المباحث الجميلة في العلوم الجليلة، ولا يخلو مجلسه من فوائده في الثلاثة أشهر: رجب، وشعبان، ورمضان، إلى يوم الختم، وهو اليوم السادس والعشرون من رمضان اهـ.

ثم قال: وتلاه ولده العلم الشهير، والعالم التحرير، الشيخ أبو بكر، فسار بسيرة والده، وقام بعلم الحديث الشريف أحسن قيام، وشهد له بالدراية علماء الإسلام، فكان في هذا

الفن نسيج وحده، وحصل له سر أبيه وبركة جده، إلى أن سار إلى رحمة ربه في سنة ١٠٩٣ (١٦٨٢) فتغيرت تلك القاعدة وصارت رواية لا غير اهـ. قلت: وهكذا استرسل الأمر من حصر أختام الحديث في الرواية المجردة بنية التبرك وحسب في كامل القرن الثاني عشر، ودام العمل كذلك إلى أواخر دولة المرحوم الباي حمودة باشا الحسيني. ففي سنة ١٢٢٦ (١٨١١) تصدى العلامة قاضي الجماعة لعهدده أبو العباس الشيخ أحمد بن الخوجة الأول لإحياء الأختام دراية على معنى الجمع بين فضيلتي الجهة التعبدية، والغاية العلمية العملية الكفيلة بسعادة الدارين، فكان ختمه رحمه الله في باب التهجد من صحيح البخاري مبدأ لفائس التحقيقات، وبدائع التحريرات، نسج على منواله من بعده علماء الديار التونسية جيلا بعد جيل.

قالت المؤلفة: جاء في هامش التحقيق التعليق التالي:

كان هذا الختم هو أول أختام الحديث دراية بتونس في الدولة الحسينية قرضه رئيس علماء زمانه الشيخ محمد بن قاسم المحجوب الملقب بمالك الصغير بأبيات نقلها هنا عن أحد الكناشات الخوجية إتماما للفائدة ونصها:

لله هذا الذي قد راق وابتهججا

ومنهج الحق والتحقيق قد نهججا

محكم النسيج لا يخشى معسار ضصة

لأنه بيد الإتقان قد نسججا

نزهت فكسرى في أفنان ما عسرت

يد السلكاء به مستنشقا أرجا

لم لا وواضعه فرد السزمان ومن

يعتدله منصب الأحكام قد لهججا

قاضي القضاة وفخر العصر منصبه

من التقدم معروف لكل حججا

أوضحت فيه أبا العباس مجتهدا

وجه التهجد حتى قام مبتهججا

لا أغمد الله سيفها أنت مصلته

من العلوم وفي صدر الحسود شججا

ولا برحت كذا في كل قابلية

تقلد الختم من أنظراركم حججا

يقول ابن الخوجة رحمه الله:

وكان لملوك تونس في الماضي كما في الحاضر عناية

بأختام الحديث، يحضرونها مع وزرائهم، وأهل بلاطهم في

مواكب حافلة لم يزالوا محافظين عليها إلى هذا الزمان، وفي

هذا العصر وسع مولانا المؤيد بالله ولي النعم سيدنا أحمد

باشا باي الثاني خلد الله ملكه في برنامج مواكبه المتعلقة

بأختام الحديث في شهر رمضان، حيث قرر حضوره بالذات

في ثمانية من تلك الأختام، زيادة على ختم جامع بالمرسى.

وتلك الأختام الثمانية هي: ختم جامع أبي محمد، وختم

جامع حرمل، وختم جامع الحلق، وختم جامع حمودة باشا،

وختم جامع صاحب الطابع، وختم جامع يوسف داي، وختم

جامع الزيتونة، وختم جامع سبحة الله. وجميع الأختام بوجه

عام تنعقد في تونس هذا الزمان بعد صلاة العصر، وكانت في

القديم تنعقد في الصباح وفي المساء على حد سواء وبعضها

يبلغ مجلسه لدرجة الازدحام كأختام الشيخ أحمد بن الخوجة

الثاني، وأختام الشيخ سالم بو حاجب رحمهما الله. قال في

المجلة الزيتونية: وربما وقع اختيار بعض أهل العلم من

رجال هذه الدروس، يغنى الأختام، على بعض النوازل

الحادثة، فيتناولها بحثا وتحقيقا ويبين ما يراه فيها على قواعد

العلم. ومن هؤلاء العلامة الطائر الصيت، ومثال التحقيق

وسعة النظر، الشيخ أحمد بن الخوجة، شيخ الإسلام المتوفى

في ذي الحجة ١٣١٣ (١٨٩٥) فقد كان تناول مسألة العمل

بخبر البرق (التلغراف) في الصوم في مجلس ختمه بجامع

محمد باي المرادي سنة ١٢٨٠ (١٨٦٣) لورود خبر الصوم

ببرقية في هذا الشهر، وجاء في الموضوع بتحقيق بديع اهـ.

ثم قال: وكان العلامة الواسع الاطلاع، الشيخ محمد النجار،

المفتي المالكي، المتوفى في رمضان عام ١٣٣١ (١٩١٢)

يتناول في مجالس أختامه مسائل الوسيلة، والاجتهاد،

والكسب، وغيرها، مما صار موضوع أخذ ورد بين الكاتبين

منذ أربعين عاما اهـ.

الختم قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم. ونص الدعاء بعد مقدمة جامعة في الإبتهاال والتوجه إليه تعالى بحرمة رسول الله ﷺ. ثم يقول رحمه الله:

هذا ويلتحق بأختام الحديث الشريف بحاضرة تونس ختم جامع باردو دار الإمارة وختم جامع جبل المنار وختم جامع المرسى. فالختمان الأولان سنهما المرحوم المولى حسين بن على مؤسس جامعيهما. وأما ختم جامع المرسى الذى هو من مآثر الدولة الحفصية فإنه من حسنات المقدس المولى على باى الثالث، والد سيدنا ومولانا الملك الموجود، متع الله ببقائه الوجود. ولم نقف بالتاريخ على وجود ختم للحديث بجامع حلق الوادى الذى كان دار ملك فى القرن الماضى، ينزل بها الأمير فى زمن المصيف، والسبب فى ذلك والله أعلم، هو أن جامع حلق الوادى بناه المشير أحمد باى فى سنة ١٢٦٩ (١٨٥٢) مع قصر الإمارة القريب منه، وتم بناء هذا القصر فى سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣) وسكنه الباي أثناء مرضه. إلا أن المنية عاجلته، فختم به أنفاسه فى رمضان سنة ١٢٧١ (١٨٥٤) هذا وقد كان المشير محمد الصادق باى من أكثر الملوك الحسينيين عناية بختم الحديث الشريف. قال فى المجلة الزيتونية. كان تعجبه المباحثات العلمية والأخذ والرد فيها. وكان من المسارعين فى البحث بها يومئذ من أهل العلم العلامة شيخ الإسلام أبو العباس أحمد كريم رحمه الله. ولشدة عناية هذا الأمير بحضور مجالس الأختام، كان يجمع أحيانا فى المساء الواحد بين الختمين اهـ. قلت إن المشير محمد الصادق باى كان شديد المحافظة على التقاليد والسنن المتبعة فى بيت الملك. من ذلك كان يقيم بيته مجلسا لقراءة دعاء عاشوراء، يقوم بتلاوته الشيخ باش كاتب وزير القلم، واتفق لهذا الوزير فى بعض السنين حصول انحراف بمزاجه منعه عن إتمام ذلك، فاستتاب الشيخ الوالد للقيام مقامه، فقرأ الدعاء بين يديه بالقصر السعيد بينما كان سموه مكشوف الرأس، باسطا أكف الضراعة لملك الملوك جل جلاله. هكذا سمعت من والدى رحمه الله. وأما المشير محمد باى فلم يؤثر عنه إلا الحضور بختم الجامع الأعظم. وكان ابن عمه المشير الأول أحمد باى لا يتخلف عن أختام معلومة،

وقد ذكرنا فيما تقدم، أن أغلب الأختام بتونس تقع من الجامع الصحيح للإمام البخارى، وقل أن تكون من صحيح الإمام مسلم. وممن كان يختم منه العلامة أبو الفلاح الشيخ صالح النيفر، كبير أهل الشورى المالكية، وكان العلامة أبو النجاة الشيخ سالم بو حاجب يختم من موطأ إمام دار الهجرة مالك بن أنس، وهو أول من كتب على أبوابه فى مجالس الأختام. واتفق لبعض الشيوخ الختم من كتاب الشفاء للقاضى عياض. ومن ذلك الأختام التى كان يقوم بها أبو العباس الشيخ أحمد جمال الدين، بجامع المرسى، بحضور أمير عصره المولى على باى الثالث رحمه الله. هذا ولو تصدى أحد لجمع أختام علماء تونس، لتكوّن لديه عدة مجلدات فى مسائل شتى من الكتاب والسنة، صالحة لكل زمان ومكان. وقد كنت سعت لجمع أختام الحديث الواقعة فى سنة ١٣٢٠ وطبعتها فجاءت فى سفر جليل استغرق أكثر من ٢٦٠ صفحة فى القالب النصفى أهديت منها نسخا لأصحاب هاتيك الأختام ول بعض الذوات الكرام، بنية استنهاض همم أهل العلم للنسج على ذلك المنوال والتمادى على ذلك المشروع ويلوح أنهم اكتفوا اكتفاء القنوع بما هو مطبوع.

هذا وقد جرت العادة بتونس أن صاحب الرواية يقوم فى آخر الختم بتلاوة دعاء للمولى الأمير ولعامة المسلمين يقرأه على رؤوس الأشهاد، والحاضرون يؤمنون على دعائه. وهى سنة قديمة درج عليها السلف قبل الخلف. لكن هذه الأدعية كانت فى الزمن الماضى خالصة لله تعالى، مجردة عن التلميح لأعراض الدنيا، خالية عن التلويح، لغايات فى النفس. ولننقل لك على سبيل الذكرى التى تنفع نموذجا من أدعية بعض من سلف من الشيوخ من أئمة القرن الماضى. فمن ذلك دعاء ختم به الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الرياحى ختمه بجامع الزيتونة ليلة ٢٧ رمضان سنة ١٢٦٠ (١٨٤٤) بحضور أمير العصر.

وهنا يورد الشيخ ابن الخوجة نص الدعاء المشار إليه، ويعقبه بنص دعاء آخر ختم به جده أبو عبد الله الشيخ محمد ابن الخوجة بجامع محمد باى المرادى فى ٢٢ رمضان من سنة ١٢٦٠ المذكورة بحضور الأمير المشير، وكان موضوع

وإليك الآن برنامج جميع أختام الحديث التي تقام بتونس في هذا الزمان، وهي التي عليها أوقاف جارية للرواية من صنع أهل الخير. ومنه تفهم أن الجوامع والمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة التي لا يقام بها ختم الحديث، ليس عليها أوقاف خاصة لرواية الصحيح، أو كان لها ذلك في الزمن الماضي وتناولها التلاشي والاضمحلال. والأيام التي نذكرها لبيان انعقاد تلك الأختام بعضها موافق لما عينه الواقفون وبعضها تناوله التغيير كما سبقت الإشارة لذلك في الأبواب المتقدمة. وإنما هي في الجملة كلها موافقة لمواعيد الأختام المصطلح عليها في هذا الزمان.

محل الختم	تاريخ انعقاد الختم	تنبيهات
جامع أبي محمد	يوم ٨ من رمضان	يحضره المولى الأمير
جامع حرم	يوم ١١ منه	يحضره المولى الأمير
جامع الحلق	يوم ١٤ منه	يحضره المولى الأمير
مسجد سيدي بو حديد	مثله	
ضريح سيدي معاوية	مثله	
المدرسة الجديدة	يوم ١٦ منه	
جامع حمودة باشا	يوم ١٧ منه	يحضره المولى الأمير
جامع السبخاء	مثله	
تربة الباي	مثله	
مسجد الطراز	يوم ١٨ منه	
المدرسة المرادية	مثله	
المدرسة المنتصرية	يوم ١٩ منه	
جامع صاحب الطابع	يوم ٢٠ منه	يحضره المولى الأمير
مدرسة بئر الحجار	مثله	
جامع سيدي محرز	يوم ٢٢ منه	
ضريح سيدي منصور	مثله	
المدرسة المرجانية	مثله	
جامع يوسف داي	يوم ٢٣ منه	يحضره المولى الأمير
الجامع الجديد	يوم ٢٣ منه	

منها ختم جامع الزيتونة وختم الشيخ الجدي بجامع سيدي محرز وختم الشيخ محمد بن سلامة وختم الشيخ محمد بيرم الرابع بالمدرسة العنقية. وكان والده المولى مصطفى باي يحضر بضعة أختام، منها ختم قاضي الجماعة الشيخ محمد البحري بن عبد الستار وختم المفتي الشيخ محمد بن سلامة وختم جامع الزيتونة، واتقف له حضور ختم المدرسة الباشية، خلافا لجميع من تقدمه من آل بيته، لأنها من مآثر الباشا على باي الأول خصيم جدهم المقدس المبرور الباي حسين بن علي تركي. واعتمادا على هذه السابقة جاز لابنه المشير أحمد باي زيارة ضريح علي باي المذكور، فيما حكاها عنه الشيخ أحمد بن أبي الضيف في تاريخه.

ومن مشاهير أختام العصر الحسيني في القرن الماضي ختما الفحلين النيرين بهجتي الأوان، اللذين اتفق على فضلها القلم واللسان، الشيخ محمد بن عاشور والشيخ الطاهر بن عاشور. وكذلك أختام العلامة القدوة الشيخ أحمد ابن حسين القمار، والعلامة الفهامة الشيخ محمد بن حمزة الشاهد، والعلامة الدراكة الشيخ محمد النيفر. وهذه الأختام لم تزل مشهورة في نوادي أهل العلم يرجع إليها أهل التحقيق والفهم.

وفي الأزمنة المتأخرة كان المولى محمد الهادي باي كثير الاهتمام بأختام الحديث، حتى إنه قام بحضور مجالسها كلها في عام ١٣٢٠ (١٩٠٢) وكان ابن عمه المولى محمد الناصر باي يحضر ختم المفتي الشيخ محمد النجار بجامع حرم وختم شيخ الإسلام الشيخ محمد بن الخوجة بجامع صاحب الطابع، وختم جامع الزيتونة، ثم صار يحضر في ٢٦ رمضان ختم الشيخ أحمد بيرم بجامع يوسف داي مع ختم جامع الزيتونة وتخلف عن الجميع في سنة ١٣٤٠ (١٩٢١) قبيل وفاته. وكان ابن عمه المولى محمد الحبيب باي يحضر في مبادئ مدته سبعة أختام، ثم اقتصر في آخر مدته على حضور ختم جامع يوسف داي من الجوامع الخفية وختم جامع الزيتونة من الجوامع المالكية. وأما ولي النعم سيدنا ومولانا أحمد باشا باي الثاني فخلد الله ملكه، فقد ذكرنا عنايته بمجالس الحديث فيما تقدم من الكلام وهو مسك الختام.

* ختم الأولياء:

كتاب ختم الأولياء: للشيخ أبي عبد الله محمد بن علي
الحكيم الترمذي المتوفى سنة ٢٥٥ خمس وخمسين ومائتين.
(كشف الظنون ٢ / ١٤١٥).

* ختم القرآن:

عن ختم القرآن يقول الإمام النووي:

كان السلف رضي الله عنهم لهم عادات مختلفة في قدر ما
يختمون فيه، فروى ابن أبي داود عن بعض السلف رضي الله
عنهم أنهم كانوا يختمون في كل شهرين ختمة واحدة، وعن
بعضهم في كل شهر ختمة، وعن بعضهم في كل عشر ليال
ختمة، وعن بعضهم في كل ثمان ليال، وعن الأكثرين في كل
سبع ليال، وعن بعضهم في كل ست، وعن بعضهم في كل
خمس، وعن بعضهم في كل أربع، وعن كثيرين في كل
ثلاث، وعن بعضهم في كل ليلتين، وختم بعضهم في كل يوم
وليلة ختمة، ومنهم من كان يختم في كل يوم وليلة ختمتين،
ومنهم من كان يختم ثلاثا، وختم بعضهم ثمان ختمات أربعا
بالليل وأربعا بالنهار، فمن الذين كانوا يختمون ختمة في الليل
واليوم عثمان بن عفان رضي الله عنه وتميم الداري وسعيد بن
جبير ومجاهد والشافعي وآخرون، ومن الذين كانوا يختمون
ثلاث ختمات سليم بن عمر رضي الله عنه قاضي مصر في
خلافة معاوية رضي الله عنه. وروى أبو بكر بن أبي داود أنه
كان يختم في الليل أربع ختمات. وروى أبو عمر الكندي في
كتابه في قضاة مصر أنه كان يختم في الليلة أربع ختمات.
قال الشيخ الصالح أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه:
سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول: كان ابن الكاتب
رضي الله عنه يختم بالنهار أربع ختمات وبالليل أربع
ختمات، وهذا أكثر ما بلغنا من اليوم والليلة. وروى السيد
الجليل أحمد الدورقي بإسناده عن منصور بن زاذان من عباد
التابعين رضي الله عنه أنه كان يختم القرآن فيما بين الظهر
والعصر، ويختمه أيضا فيما بين المغرب والعشاء في رمضان
ختمتين، وكانوا يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي ربع
الليل. وروى أبو داود بإسناده الصحيح أن مجاهدا كان

جامع باب الجزيرة البراني	يوم ٢٣ منه	
مدرسة حوانيت عاشور	مثله	
جامع القصر	يوم ٢٤ منه	
مدرسة النخلة	مثله	
المدرسة الباشية	يوم ٢٥ منه	
المدرسة العنقية	مثله	
المدرسة السليمانية	مثله	
جامع الزيتونة	يوم ٢٦ رمضان	يحضر المولى الأمير
جامع باب البحر	يوم ٢٧ منه	
جامع القصبة	مثله	
جامع الهواء	يوم ٢٨ منه	
جامع سبحان الله	يوم ٢٩ منه	يحضر المولى الأمير
زاوية سيدي أحمد بن عروس	مثله	
جامع المرسى	مثله	يحضر المولى الأمير
جامع باردو	مثله	
جامع جبل المنار	مثله	

تلك جملة الأختام التي لا يتخلف انعقادها في هذا العهد
بتونس وأحوالها، لها أوقاف جارية لرواية الحديث بالجوامع
والمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة التي ينتظم بها سلك
تلك الأختام، وواسطة عقدها كعبة العلم جامع الزيتونة عمرة
الله بدوام ذكره.

(تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد لمحمد بن الخوجة -
تحقيق وتقديم الجيلاني بن الحاج يحيى وحماى الساحلى / ٣٣٧ -
٣٤٩).

* ختم الأنبياء:

ختم الأنبياء: للشيخ أبي عبد الله محمد بن علي
المعروف بالحكيم الترمذي المتوفى سنة ٢٥٥ خمس
وخمسين ومائتين وهو مختصر أوله الحمد لله رب العالمين
إلخ.
(كشف الظنون ١ / ٧١٠)

يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء . وعن منصور قال :
كان على الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من
رمضان . وعن إبراهيم بن سعد قال : كان أبي يحتبى فما يحل
حبوته حتى يختم القرآن .

وأما الذي يختم في ركعة فلا يحصون لكثرتهم ، فمن
المتقدمين عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير
رضى الله عنهم ختمة في كل ركعة في الكعبة .

وأما الذين ختموا في الأسبوع مرة فكثيرون نقل عن عثمان
ابن عفان رضى الله عنه وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت
وأبي بن كعب رضى الله عنهم وعن جماعة من التابعين كعبد
الرحمن بن يزيد وعلقمة وإبراهيم رحمهم الله ، والاختيار أن
ذلك يختلف باختلاف الأشخاص ، فمن كان يظهر له بدقيق
الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر ما يحصل له كمال
فهم ما يقرؤه ، وكذا من كان مشغولا بنشر العلم أو غيره من
مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا
يحصل بسببه إخلال بما هو مرصده له ، وإن لم يكن من هؤلاء
المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل
والهزيمة ، وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة ،
ويدل عليه الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « لا يفقه من قرأ القرآن
في أقل من ثلاث » رواه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم .
قال الترمذي حديث حسن صحيح والله أعلم .

وأما وقت الابتداء والختم لمن يختم في الأسبوع ، فقد
روى أبو داود أن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان يفتح
القرآن ليلة الجمعة ويختمه ليلة الخميس . وقال الإمام أبو
حامد الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء : الأفضل أن يختم
ختمة بالليل وأخرى بالنهار ، ويجعل ختمة النهار يوم الإثنين
في ركعتي الفجر أو بعدهما ، ويجعل ختمة الليل ليلة الجمعة
في ركعتي المغرب أو بعدهما ليستقبل أول النهار وآخره .
وروى ابن أبي داود عن عمر بن مرة التابعي : قال : كانوا
يجبون أن يختم القرآن من أول الليل أو من أول النهار ، وعن
طلحة بن مصرف التابعي الجليل قال : من ختم القرآن أية

ساعة كانت من النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي ، وأية
ساعة كانت من الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح . وعن
مجاهد مثله . وروى الدارمي في مسنده بإسناده عن سعد بن
أبي وقاص رضى الله عنه قال : « إذا وافق ختم القرآن أول الليل
صلت عليه الملائكة حتى يُصبح ، وإذا وافق ختمه آخر الليل
صلت عليه الملائكة حتى يمسي » . قال الدارمي : هذا حسن
من سعد ، وعن حبيب بن أبي ثابت التابعي : أنه كان يختم
قبل الركوع . قال ابن أبي داود : وكذا قال أحمد بن حنبل رحمه
الله تعالى :

ثم يعقد الإمام النووي فصلا في آداب الختم وما يتعلق به
جاء فيه ما يلي :

فيه مسائل : الأولى في وقته : قد تقدم أن الختم للقارئ
وحده يستحب أن يكون في ركعتي سنة الفجر وركعتي سنة
المغرب ، وفي ركعتي الفجر أفضل ، وأنه يستحب أن يختم
ختمة في أول النهار في دور ، ويختم ختمة أخرى في آخر
النهار في دور آخر ، وأما من يختم في غير الصلاة والجماعة
الذين يختمون مجتمعين ، فيستحب أن تكون ختمتهم أول
النهار أو في أول الليل ، وأول النهار أفضل عند بعض العلماء .

المسألة الثانية : يستحب صيام يوم الختم إلا أن يصادف
يوما نهى الشرع عن صيامه ، وقد روى ابن أبي داود بإسناده
الصحيح : أن طلحة بن مطرف وحبيب بن أبي ثابت والمسيب
ابن رافع التابعين الكوفيين رضى الله عنهم أجمعين كانوا
يصبحون في اليوم الذي يختمون فيه القرآن صياما .

المسألة الثالثة : يستحب حضور مجلس ختم القرآن
استحبابا متأكدا ، فقد ثبت في الصحيحين « أن رسول الله ﷺ
أمر الحيض بالخروج يوم العيد ليشهدن الخير ودعوة
المسلمين » وروى الدارمي وابن أبي داود بإسنادهما عن ابن
عباس رضى الله عنهما أنه كان يجعل رجلا يراقب رجلا يقرأ
القرآن . فإذا أراد أن يختم أعلم ابن عباس فيشهد ذلك ، وروى
ابن أبي داود بإسنادين صحيحين عن قتادة التابعي الجليل
صاحب أنس رضى الله عنه . قال : كان أنس بن مالك رضى
الله عنه إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا ، وروى بأسانيد

الصحيحة عن الحكم بن عيينة التابعي الجليل . قال : أرسل إلى مجاهد وعتبة بن لبابة فقالا إنا أرسلنا إليك لأننا أردنا أن نختم القرآن ، والدعاء يستجاب عند ختم القرآن . وفي بعض الروايات الصحيحة وأنه كان يقال : إن الرحمة تنزل عند خاتمة القرآن . وروى بإسناده الصحيح عن مجاهد قال : كانوا يجتمعون عند ختم القرآن يقولون تنزل الرحمة .

المسألة الرابعة : الدعاء مستحب عقب الختم استحباباً متأكداً لما ذكرناه في المسألة التي قبلها . وروى الدارمي بإسناده عن حميد الأعرج قال : من قرأ القرآن ثم دعا أمن على دعائه أربعة آلاف ملك ، وينبغي أن يلح في الدعاء ، وأن يدعو بالأمور المهمة ، وأن يكثّر في ذلك في صلاح المسلمين وصلاح سلطانهم وسائر ولاية أمورهم ، وقد روى الحاكم أبو عبد الله النيسابوري بإسناده أن عبد الله بن المبارك رضى الله عنه كان إذا ختم القرآن كان أكثر دعائه للمسلمين والمؤمنين والمؤمنات ، وقد قال نحو ذلك غيره فيختار الداعي الدعوات الجامعة كقوله : اللهم أصلح قلوبنا ، وأزل عيوبنا وتولنا بالحسنى ، وزينا بالتقوى ، واجمع لنا خير الآخرة والأولى ، وارزقنا طاعتك ما أبقينا . اللهم يسرنا لليسرى ، وجنبنا العسرى ؛ وأعذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وأعذنا من عذاب النار وعذاب القبر ، وفتنة المحيا والممات ، وفتنة المسيح الدجال اللهم انا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، اللهم انا نستودعك أدياننا وأبداننا وخواتيم أعمالنا وأنفسنا وأهلينا وأحبابنا وسائر المسلمين وجميع ما أنعمت علينا وعليهم من أمور الآخرة والدنيا . اللهم انا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ، واجمع بيننا وبين أحبائنا في دار كرامتك بفضلِكَ ورحمتك . اللهم أصلح ولاية المسلمين ، ووفقهم للعدل في رعاياهم والإحسان إليهم والشفقة عليهم والرفق بهم والاعتناء بمصالحهم ، وحبهم إلى الرعية ، وحب الرعية إليهم ، ووفقهم لصراطك المستقيم ، والعمل بوظائف دينك القويم ، اللهم الطف بعبدك سلطاننا ، ووفقه لمصالح الدنيا والآخرة ، وحبه إلى رعيته ، وحب الرعية إليه ، ويقول باقى الدعوات المذكورة في جملة الولاية ويزيد ، اللهم ارحم نفسه وبلاده ، وصن أتباعه وأجناده ، وانصره على

أعداء الدين وسائر المخالفين ، ووفقه لإزالة المنكرات وإظهار المحاسن وأنواع الخيرات ، وزد الإسلام ، بسببه ظهوراً ، وأعزه ورعيته إعزاًزاً باهراً ، اللهم أصلح أحوال المسلمين وأرخص أسعارهم ، وأمنهم في أوطانهم ، واقض ديونهم ، وعاف مرضاهم ، وانصر جيوشهم ، وسلم غيايهم ، وفك أسراهم ، واشف صدورهم ، وأذهب غيظ قلوبهم ، وألف بينهم ، واجعل في قلوبهم الإيمان والحكمة ، وثبتهم على ملة رسولك ﷺ ، وأوزعهم أن يوفوا بعهدك الذى عاهدتهم عليه ، وانصرهم على عدوك وعدوهم ، إله الحق ، واجعلنا منهم . اللهم اجعلهم آمريين بالمعروف فاعلين به ، ناهين عن المنكر مجتنبين له ، محافظين على حدودك ، قائمين على طاعتك متناصفين متناصحين . اللهم صنهم في أقوالهم وأفعالهم ، وبارك لهم في جميع أحوالهم ، ويفتح دعاءه ويختمه بقوله : الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

المسألة الخامسة : يستحب إذا فرغ من الختم أن يشرع في أخرى عقيب الختم فقد استحبه السلف ، واحتجوا فيه بحديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « خير الأعمال الحل والرحلة . قيل وما هما ؟ . قال : افتتاح القرآن وختمه » (التيان / ٣٨-٤٢ ، ١١٣-١١٨)

قالت المؤلفة : لخص الإمام السياطى في الإتيان هذا الذى أوردناه للإمام النووى ، وتجد هذا الملخص فى مادة « آداب تلاوة القرآن الكريم » فى م ١ / ٢٣٥ ، ٢٤٤ .

وعن التكبير عند ختم القرآن فى قراءة ابن كثير يقول الإمام الدانى صاحب التيسير :

اعلم أيديك الله أن البرى روى عن ابن كثير بإسناده أنه كان يكبر من آخر والضحى مع فواغه من كل سورة إلى آخر « قل أعوذ برب الناس » ويصل التكبير بآخر السورة وإن شاء القارئ قطع عليه وابتدأ بالتسمية موصولة بأول السورة التى بعدها وإن

فإن كان آخرها ساكناً كسره للساكنين نحو [الضحى: ١١] ﴿فحدث﴾ الله أكبر، [والشرح: ٨] ﴿فارغب﴾ الله أكبر، وإن كان منوناً كسره أيضاً كذلك وسواء كان الحرف المنون مفتوحاً أو مضموماً أو مكسوراً نحو كما في [النصر: ٣] ﴿توابع﴾ الله أكبر، و [العاديات: ١١] ﴿الخير﴾ الله أكبر، و [المسد: ٥] ﴿من مسد﴾ الله أكبر، وشبهه، وإن كان آخر السورة مفتوحاً فتحه، وإن كان مكسوراً كسره، وإن كان مضموماً ضمه نحو قوله في [الفلق: ٥] ﴿إذا حسد﴾ الله أكبر وفي [الناس: ٦] ﴿الناس﴾ الله أكبر، وفي [الكوثر: ٣] ﴿الأبتر﴾ الله أكبر، وشبهه، وإن كان آخر السورة هاء كناية موصولة بواو حذف صلتها للساكنين نحو [البينة: ٨] ﴿ربه﴾ الله أكبر، و [الزلزلة: ٨] ﴿شرايره﴾ الله أكبر، وأسقطت ألف الوصل التي في أول اسم الله عز وجل في جميع ذلك استغناء عنها فاعلم ذلك موافقاً لطريق الحق ومنهاج الصواب وبالله التوفيق. اهـ (التيسير / ٢٢٦-٢٢٨).

وقد ذكر الإمام الشاطبي التكمير عن ختم القرآن فقال في منظومته الشهيرة الموسومة بحرز الأمانى (الشاطبية)، وقد احتفظنا بأرقام الآيات كما وردت في النص:

١١٢١ - روى القلب ذكر الله فاستسق مقبلاً

ولا تعد روض الذاكرين فتمحلاً

١١٢٢ - وأثر عن الآثار مشرة عذبه

وما مثله للعباد حصلاً ومثلاً

١١٢٣ - ولا عمل أنجى له من عذابه

غداة الجزاء من ذكره متقبلاً

١١٢٤ - ومن شغل القراءان عنه لسانه

ينل خير أجر الذاكرين مكمللاً

١٢٢٥ - وما أفضل الأعمال إلا افتتاحه

مع الختم حلاً وارتحالاً موصلاً

١٢٢٦ - وفيه عن المكين تكبيرهم مع الـ

خواتيم قرب الختم يروى مسلسلاً

١١٢٧ - إذا كبروا في آخر الناس أرفوا

مع الحمد حتى المفلحون توسلاً

شاء وصل التكبير بالتسمية ووصل التسمية بأول السورة. ولا يجوز القطع على التسمية إذا وصلت بالتكبير. وقد كان بعض أهل الأداء يقطع على أواخر السور ثم يبتدئ بالتكبير موصولاً بالتسمية، وكذلك روى النقاش عن أبي ربيعة عن البرزى، وبذلك قرأت على الفارسي عنه، والأحاديث الواردة عن المكيين بالتكبير دالة على ما ابتدئنا به لأن فيها «مع» وهي تدل على الصحبة والاجتماع، فإذا كبر في آخر سورة الناس قرأ فاتحة الكتاب وخمس آيات من أول سورة البقرة على عدد الكوفيين إلى قوله ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ ثم دعا بدعاء الختمة وهذا يسمى الحال المرتحل وفي جميع ما قدمناه أحاديث مشهورة يرويها العلماء يؤيد بعضها بعضاً تدل على صحة ما فعله ابن كثير ولها موضع غير هذا قد ذكرناها فيه.

واختلف أهل الأداء في لفظ التكبير فكان بعضهم يقول «الله أكبر» لا غير، ودليلهم على صحة ذلك جميع الأحاديث الواردة بذلك من غير زيادة كما حدثنا أبو الفتح شيخنا قال حدثنا أبو الحسن المقرئ قال حدثنا أحمد بن سلم قال حدثنا الحسن بن مخلد قال حدثنا البرزى قال قرأت على عكرمة بن سليمان قال قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين فلما بلغت والضحى قال كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة فإني قرأت على عبد الله بن كثير فأمرني بذلك وأخبرني ابن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أنه قرأ على عبد الله بن عباس فأمره بذلك، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك، وأخبره أبي أنه قرأ على رسول الله ﷺ فأمره بذلك. وكان آخرون يقولون «لا إله إلا الله والله أكبر، فيهللون قبل التكبير واستدلوا على صحة ذلك بما حدثناه فارس بن أحمد المقرئ قال حدثنا عبد الباقي بن الحسن قال حدثنا أحمد بن سلم الخثلي وأحمد بن صالح قال حدثنا الحسن بن الحباب قال سألت البرزى عن التكبير كيف هو فقال لي: «لا إله إلا الله والله أكبر، قال أبو عمرو وابن الحباب هذا من الإتيان والضبط وصدق اللهجة بمكان لا يجهله أحد من علماء هذه الصنعة وبهذا قرأت على أبي الفتح وقرأت على غيره بما تقدم.

فصل: وأعلم أن القارئ إذا وصل إلى التكبير بآخر السورة

١١٢٨ - وقال به البرزى من آخر الضحى

وبعض له من آخر الليل وصلا

١١٢٩ - فإن شئت فاقطع دونه أو عليه أو

صل الكل دون القطع معه مبسلا

١١٣٠ - وما قبله من ساكن أو منون

فللساكنين اكسره فى الوصل مرسلا

١١٣١ - وأدرج على إعرابه ما سواههما

ولا تصلن هاء الضمير لتوصلا

١١٣٢ - وقل لفظه الله أكبر وقبله

لأحمد زاد ابن الحبيب فهيللا

١١٣٣ - وقيل بهذا عن أبى الفتح فارس

وعن قبيل بعض بتكبيره نلا

(متن حرز الأمانى / ١٩٥-١٩٧)

ونوافيك بشرح الإمام أبى شامة صاحب «إبراز المعانى»
لهذه الآيات، وهو شرح ملئ بالفوائد اللغوية والحديثية إذ
يسوق الشارح الحديث النبوى تلو الحديث لتوضيح ما يقول،
مما جعلنا نؤثره على غيره من الشروح. انظر هذه الشروح فى
مادة «حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع» فى م
١٣ / ٣٦٠-٣٦٢

قال الإمام أبو شامة فى باب التكبير:

إنما آخر ذكر هذا الباب لأن حكمه متعلق بالسور الأخيرة،
ومن المصنفين من لم يذكره أصلا كابن مجاهد وقدم النظم
قبل بيان حكمه عند القراء آياتا فى فضل الذكر مطلقا من
تكبير وغيره فقال:

روى القلب ذكر الله فاستسق مقبلا

ولا تعد روض الذاكرين فتمحلا

هذا البيت مقفى مثل أول القصيدة وأول سورة الرعد
والأنبياء وغيرها وهو حسن كما نبهنا عليه فى شرح الذى فى
أول الرعد، وروى القلب ربه يقال روى الماء يروى على وزن
رضى يرضى ويقال فى مصدره أيضا ربا وربيا بفتح الراء
وكسرها نص عليه الجوهري ولما جعل ذكر الله تعالى ربا

للقلب أمر بالازدياد من الرى فاتبع ذلك اللفظ المجاز ما
يناسبه فقال فاستسق أى اطلب السقى مقبلا على ذلك أى
أكثر من الذكر والتمس محله ومواضعه ولا تعد أى ولا تتجاوز
رياضه والروض جمع روضة فتمحلا أى فتصادف محلا فلا
يحصل رى ولا شرب وأشار بذلك وما يأتى بعده إلى أحاديث
كثيرة جاءت عن النبى ﷺ فى فضل ذكر الله تعالى والحث
عليه، وهى مفرقة فى الصحيحين وغيرهما.

وقد جمع جعفر الغريانى الحافظ فيه مصنفنا حسنا، وما
أحسن ما قال بلال بن سعيد وهو من تابعى أهل الشام:
«الذكر ذكران: ذكر الله باللسان حسن جميل، وذكر الله عندما
أحل وحرم أفضل، وكيف لا يكون ذكر الله تعالى روى
للقلب، وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ:

يقول الله تعالى «أنا عند ظن عبدي بى وأنا معه حين
يذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى
ملا ذكرته فى ملا خير منه» أخرجه البخارى ومسلم فى
صحيحيهما.

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه
كان يقول:

«إن لكل شىء صقالة وإن صقالة القلوب ذكر الله تعالى»
أخرجه الحافظ البيهقى فى كتاب الدعوات، وأما تعبيره عن
مجالس الذكر بالروض فلما جاء فى حديث جابر بن عبد الله
قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال:

«يا أيها الناس إن الله تعالى سرايا من الملائكة تقف وتحل
على مجالس الذكر فارتعوا فى رياض الجنة، قلنا أين رياض
الجنة يا رسول الله؟ قال: مجالس الذكر، فاغدوا وروحوا فى
ذكر الله، واذكروه بأنفسكم. من كان يحب أن يعلم كيف
منزله من الله عز وجل فليتنظر منزلة الله عنده، فإن الله تبارك
وتعالى ينزل العبد حيث أنزله من نفسه» أخرجه البيهقى فى
كتاب الدعوات وشعب الإيمان.

وأخرجه الغريانى وأخرج أيضا فى معناه أحاديث كثيرة منها
عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ «من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر من ذكر الله عز وجل».

١١٢٢ — وأثر عن الآثار مثرأة عذبه

وما مثله للعبد حصنا وموئلا

أثر من الإيثار أى قدم مثرأة عذب الذكر على كل شيء والمثرأة قولهم هذا مثرأة للمال أى مكثرة له أى قدم مكتسب عذبه ومكثرتة ولمثرأة أيضا مصدر ثرى المكان يثرى ثرى ومثرأة إذا كثر نداءه قبله أى قدم ندى عذبه على كل شيء وذلك مما يستعار للوصلة والذكر وصلة بين العبد وبين ربه عز وجل ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «بلوا أرحامكم ولو بالسلام» أى صلوا، وتقول العرب بينى وبين فلان مثرى أى وصلة لم تنقطع، وهو مثل كأنه قال لم يبيس ما بينى وبينه ومنه قول جرير:

فلا توبسوا بينى وبينكم الثرى

فإن الثرى بينى وبينكم مثرى

وقوله عن الآثار أى أخذنا بذلك الإيثار عن الآثار والأخبار الواردة عن النبى عليه الصلاة والسلام أى مستمدا أدلة الإيثار من الآثار نحو ما فى صحيح مسلم عن الأغر أبى مسلم أنه شهد على أبى هريرة وأبى سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ:

قال: «ما جلس قوم يذكرون الله إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فى من عنده» وفى جامع الترمذى عن عبد الله بن بشر أن رجلا قال يا رسول الله:

«إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرنى بشيء أتشبث به قال: لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى» قال هذا حديث حسن غريب، وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن لله ملائكة سيارة فضلاء يلتصقون مجالس الذكر، فإذا أتوا على قوم يذكرون الله تعالى جلسوا فأظلوهم بأجنحتهم ما بينهم وبين السماء الدنيا فإذا قاموا عرجوا إلى ربهم فيقول تبارك وتعالى وهو أعلم: من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عبادك يسبحونك ويحمدونك ويهللونك ويكبرونك ويستجبرونك من عذابك ويسألونك جنتك فيقول الله تعالى،

وهل رأوا جنتى ونارى فيقولون لا فيقول فكيف لو رأوها فقد أجرتهم مما استجاروا وأعطيتهم ما سألوا فيقال إن فيهم رجلا مر بهم فقعده معهم فيقول وله فقد غفرت إنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم» وعن الحارث الأشعري أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الله تعالى أوحى إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن ويأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن: أن لا يشركوا بالله شيئا، وإذا قمتم إلى الصلاة، فلا تلتفتوا، وأمركم بالصيام والصدقة وضرب لكل واحدة مثلا، ثم قال: وأمركم بذكر الله تعالى كثيرا، ومثل ذلك كمثل رجل طلب العدو سراعا من أثره حتى أتى حصنا حصينا، فأحرز نفسه فيه، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله عز وجل».

وعن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ:

«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها من درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم: قالوا وما ذاك يا رسول الله قال: ذكر الله عز وجل» أخرجه البيهقى فى كتاب الدعوات، وفى ذلك تفسير قوله وما مثله للعبد حصنا وموئلا. أى وما للعبد مثل الذكر نافعا له هذه المنفعة المشار إليها فى الحديث، ونصب حصنا وموئلا على التمييز أى ما للعبد حصن وموئل مثل الذكر ويجوز نصبهما على الحال أى مشبها حصنا وموئلا هنا اسم مكان موضعا يؤول إليه، أى يرجع ويأوى فيه، وكل ذلك استعارات حسنة، وقد سبق فى أول القصيدة تفسير الموئل بالمرجع، وهو بهذا المعنى فكل ما تستند إليه فهو موئل لك ولا يجوز نصب حصنا على أنه خبر ما النافية على لغة أهل الحجاز لاختلاف المعنى حيثذا لأنه كان يفيد ضد المقصود من هذا الكلام.

ولا عمل أنجى لسه من عذابه

غداة الجزاء من ذكره متقبلا

أى للعبد والهاء فى عذابه وذكره الله تعالى وغداة الجزاء يعنى يوم القيامة - لأن النجاة المعتبرة هى المطلوبة ذلك اليوم فنصب غداة على الظرف وقصر الجزاء ضرورة ومتقبلا حال من الذكر فإنه إن لم يكن متقبلا لم يفد الذكر شيئا وضمن هذا البيت حديثا روى مرفوعا وموقوفا.

أما المرفوع فعن ابن عمر في الحديث الذي سبق في أوله :
«صقالة القلوب ذكر الله تعالى» قال بعد ذلك «وما شيء
أنجى من عذاب الله من ذكر الله تعالى ، قالوا : ولا الجهاد في
سبيل الله ؟ قال ولا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع» وأما الموقوف
ففي آخر الحديث الذي سبق أوله « ألا أنبئكم بخير
أعمالكم» .

قال :

وقال معاذ بن جبل «ما عمل آدمي من عمل أنجى له من
عذاب الله تعالى من ذكر الله تعالى» أخرجهما البيهقي من
كتاب الشعب والدعوات الكبير وأخرجه الفريابي في كتابه عن
معاذ ، وزاد ، قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل قال : لا
ولو ضرب بسيفه ، زاد في رواية «حتى ينقطع» ثلاثا قال الله
تعالى - ولذكر الله أكبر - والله أعلم :

١١٢٤ - ومن شغل القرآن عنه لسانه

ينل خير أجر الذاكرين مكملًا

جعل الشيخ رحمه الله تفسير هذا البيت الحديث الذي
أخرجه الترمذي عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ يقول
الرب عز وجل :

«من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتي أعطيته أفضل ما
أعطى السائلين ، وفصل كلام الله تعالى على سائر الكلام
كفضل الله على خلقه» قال هذا حديث حسن غريب وقد ذكر
طريق هذا الحديث وتكلم عليه الحافظ المقرئ أبو العلا
الهمداني في أول كتابه في الوقف والابتداء ، وقال «من شغله
قراءة القرآن» وفي آخره أفضل ثواب السائلين وفي رواية «من
شغله القرآن في أن يتعلمه أو يعلمه عن دعائي ومسألتي»
وذكره أبو بكر بن الأنباري في أول كتاب الوقف أيضا وأخرجه
البيهقي أيضا وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى
يقول «من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى
السائلين» .

قال البيهقي وكذا رواه البخاري في التاريخ :

قلت : فبان من مجموع هذه الروايات أن الاشتغال بالذكر

يقوم مقام الدعاء وأن قراءة القرآن من جملة الاشتغال بالذكر ،
بل هو أفضل وإليه أشار الناظم بقوله خير أجر الذاكرين
ومكملا حال إما من خير وإما من أجر ، وقد نص الإمام
الشافعي رضي الله عنه على ذلك فقال أستحب أن يقرأ القرآن
يعنى في الطواف لأنه موضع ذكر ، والقرآن من أعظم الذكر
والهاء في قوله عنه يجوز أن تعود على الذكر يعنى ومع ما ذكرنا
من فضيلة الذكر فمن اشتغل عنه بالقرآن فهو أفضل ويجوز
أن تعود على من ، أى من كف لسانه عنه أى أذاه لأن أكثر
كلام الإنسان عليه لا له فإذا اشتغل بالقرآن أو الذكر انكف
عما يتوقع منه الضرر فصح معنى عنه بهذا التفسير .

وفي الحديث عن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت قال
رسول الله ﷺ :

«كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن
منكر وذكر الله ، وفي الكتاب المذكور للحافظ أبي العلا عن
أبي هريرة مرفوعا «أعبد الناس أكثرهم تلاوة للقرآن» وفيه عن
أنس مرفوعا «أفضل العبادة قراءة القرآن وتلاوة القرآن أحب
إلي» قال أبو يحيى الحماني سألت سفيان الثوري عن الرجل
يقرأ القرآن أحب إليك أم يغزو قال يقرأ فإن النبي ﷺ قال :
«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»

قلت هذا حديث صحيح أخرجه البخاري وقد جمع
الحافظ أبو العلا طريقه في أول كتاب الوقف المذكور قال عبد
الله بن أحمد بن حنبل سمعت أبي يقول : رأيت رب العزة في
المنام فقلت يا رب ما أفضل ما يتقرب به المقربون إليك ؟
فقال كلامي يا أحمد فقلت يا رب بفهم أو بغير فهم فقال بفهم
وبغير فهم .

قلت فكل هذا مما يوضح لنا أن تلاوة القرآن من أعظم
الذكر كما قال الشافعي رضي الله عنه لأنه يجمع الذكر باللسان
وملاحظة القلب أنه يتلو كلام الله عز وجل ويؤجر عليه بكل
حرف عشر حسنات على ما ثبت في أحاديث أخر .

١١٢٥ - وما أفضل الأعمال إلا افتتاحه

مع الختم حلا وارتحالا موصلا

أى افتتاح القرآن مع ختمه أى حالة ختمه للقرآن يشترع في

المفتتح أيضا في الجهاد، وهو أن يغزو ويعقب، وكذلك الحال المرتحل يريد أنه يصل ذلك بهذا.

قلت: هذا هو الظاهر من تفسير هذا اللفظ لوجهين:

أحدهما حمل اللفظ على حقيقته، فيكون التفسير الأول الذي ذكره ابن قتيبة في الحديث من كلام بعض الرواة، وهو مفصول من الحديث، ولهذا لم يكن في كتاب الترمذي إلا قوله الحال المرتحل من غير تفسير، وكان السائل عن التفسير بعض الرواة لبعض، فأجابه المسئول بما وقع له وتقدير الحديث عمل الحال المرتحل، وحذف المضاف للدلالة السؤال عليه.

الوجه الثاني أن المحفوظ في الأحاديث الصحيحة غير ذلك، فإنه سئل النبي ﷺ عن أفضل الأعمال فقال: إيمان بالله، ثم جهاد في سبيله، ثم حج مبرور.

وفي حديث آخر «الصلاة لوقتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله».

وقال لأبي أمامة: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له» وفي حديث آخر: «واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة».

وإذا فسر الحال المرتحل بمتابعة الغزو وافق قوله ثم جهاد في سبيله، أي أنه من أفضل الأعمال كظواهر لذلك يعبر عن الشيء لأنه الأفضل، أي هو من جملة الأفضل، أي المجموع في الطبقة العليا التي لا طبقة أعلى منها، وهذا المعنى قد قرناه في مواضع من كتبنا.

١١٢٦ — وفيه عن المكين تكبيرهم مع الـ

خواتم قرب الختم يروى مسلسل

أي وفي القرآن أو في ذلك العمل الذي عبر عنه بالحل والارتحال، وهو وصل آخر كل ختمة بأول أخرى على ما سيأتي بيانه في عرف القراء، وقوله «عن المكين» جمع مك حذفها ضرورة عند العلم بها تخفيفا، وقد قرأ في الشواذ - هو الذي بعث في الأمين - كأنه جمع أم، قال الزمخشري في تفسيره: وقرئ في الأمين بحذف ياء النسب قلت ومثل قول عقبة الأسدي:

أوله فقوله موصلا حال من الضمير في افتتاحه العائد على القرآن أي في حال وصل أوله بآخره وقوله حالا وارتحالا من باب المصدر المؤكد لنفسه لأن الحل والارتحال المراد بهما افتتاحه مع الختم فهو نحو له على ألف درهم عرفا وأشار بذلك إلى حديث روى من وجوه عن صالح عن قتادة عن زرارة ابن أبي أوفى عن ابن عباس قال: «قال رجل يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل قال الحال المرتحل» أخرجه أبو عيسى الترمذي في أبواب القراءة في أواخر كتابه. فقال: حدثنا نصر بن علي الجهضمي قال حدثنا الهيثم بن الربيع حدثني صالح المري فذكره، ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه عن ابن عباس إلا من هذا الوجه: حدثنا محمد بن بشار حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا صالح المري عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن النبي ﷺ ولم يذكر فيه عن ابن عباس قال: وهذا عندي أصح، يعني أنه من حديث زرارة، وليس له صحة إلا من حديث ابن عباس وكيف ما كان الأمر فمدار الحديث على صالح المري، وهو وإن كان عبدا صالحا فهو ضعيف عند أهل الحديث، قال البخاري في تاريخه: هو منكر الحديث وقال النسائي: صالح المري متروك الحديث.

ثم على تقدير صحته فقد اختلف في تفسيره فقليل المراد به ما ذكره الفراء على ما يأتي بيانه، وقيل بل هو إشارة إلى تتابع الغزو وترك الإعراض عنه، فلا يزال في حل وارتحال وهذا ظاهر اللفظ إذ هو حقيقة في ذلك وعلى ما أوله به الفراء يكون مجازا وقد رووا التفسير فيه مدرجا في الحديث ولعله من بعض رواته.

قال أبو محمد بن قتيبة في آخر غريب الحديث، له في ترجمة أحاديث لا تعرف أصحابها: جاء في الحديث «أي الأعمال أفضل؟ قال: الحال المرتحل؟ قيل ما الحال المرتحل: قال الخاتم والمفتتح».

قال ابن قتيبة: الحال هو الخاتم للقرآن، شبه برجل سافر فسار حتى إذا بلغ المنزل حل به، كذلك تالي القرآن يتلوه حتى إذا بلغ آخره وقف عنده، والمرتحل المفتتح للقرآن شبه برجل أراد سفرا فافتتحه بالمسير، قال: وقد يكون الخاتم

* وأنت امرؤ في الأشعرين مقاتل *

وقول لقيط الإيادي :

* زيد الفنا حين لا في الحارثين معا *

كأنهما جمع أشعر وحارث، وإنما هما جمع أشعري

وحارثي :

وقد ذكرت هذين البيتين في ترجمة عامر بن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري وترجمة المهلب بن أبي صفرة في مختصرى لتاريخ دمشق؛ وقوله : تكبيرهم أى تكبير المكيين أى وفي القرآن تكبير المكيين مع الخواتم جمع خاتمة، يعنى خواتم السور إذا قرب ختم القرآن في قراءة للقارىء، على ماسيين في موضعه، قال مكى في التبصرة : والتكبير سنة كانت بمكة ولا يعتبر في التكبير قراء مكة ابن كثير ولا غيره، كانوا لا يتركون التكبير في كل القراءات من خاتمة والضحي قال : ولكن عادة القراء الأخذ بالتكبير لابن كثير في رواية البزى خاصة ؛ ومن المصنفين من حكى التكبير لجميع القراء في جميع سورة القرآن، ذكره أبو القاسم الهذلى في كتابه «الكامل» وذكره أيضا الحافظ أبو العلاء، وقوله يروى مسلسلا أى يروى التكبير رواية مسلسلة على ما هو المسلسل في اصطلاح المحدثين : أنبأنا القاضي أبو القاسم الأنصارى أنبأنا عبد الله الفراوى أنبأنا أبو بكر البيهقي سماعا وإجازة أنبأنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو يحيى محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ الإمام بمكة في المسجد الحرام أنبأنا أبو عبد الله محمد بن علي بن زيد الصائغ أنبأنا أحمد بن القاسم عن أبي بزة قال : سمعت عكرمة بن سليمان يقول : قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين فلما بلغت والضحي قال لى : كبر عند خاتمة كل سورة، وإنى قرأت على عبد الله بن كثير فلما بلغت والضحي قال : كبر حتى تختم، وأخبره عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد وأمره بذلك، وأخبره مجاهد أن ابن عباس أمره بذلك، وأخبره ابن عباس أن أبي بن كعب أمره بذلك، وأخبره أبي بن كعب أن النبي ﷺ أمره بذلك، قال الحاكم في كتابه «المستدرک على الصحيحين» هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

قلت وأنبأنا به أعلى من هذا : أبو اليمن الكندى أنبأنا أبو

عبد الله الحسين بن علي بن أحمد بن عبد الله سبط أبي منصور الخياط أنبأنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن عبد الله ابن النفور أنبأنا أبو طاهر المخلص أنبأنا يحيى بن محمد بن صاعد أنبأنا البزى فذكره .

قال الحافظ أبو العلاء الهمداني : لم يرفع التكبير أحد من القراء إلا البزى، فإن الروايات قد تطارقت عنه برفعه إلى النبي ﷺ، ومدار الجميع على رواية البزى كما ذكرناه، ثم أسند عن البزى قال : دخلت على الشافعى رضى الله عنه إبراهيم بن محمد، وكنت قد وقفت عن هذا الحديث يعنى حديث التكبير، فقال له بعض من عنده إن أبا الحسن لا يحدثنا بهذا الحديث، فقال لى يا أبا الحسن : والله لئن تركته لتركت سنة نبيك قال : وجاءنى رجل من أهل بغداد ومعه رجل عباسى، وسألنى عن هذا الحديث فأبيت أن أحدثه إياه، فقال : والله لقد سمعناه من أحمد بن حنبل عن أبي بكر الأعمش عنك، فلو كان منكرا ما رواه، وكان يجتنب المنكرات، ثم أسند الحافظ أبو العلاء الروايات الموقوفة فأسند عن حنظلة بن أبي سفيان قال : قرأت على عكرمة بن خالد المخزومي فلما بلغت والضحي قال لى : هيا .

قلت : وما تريد بهيها؟ قال : كبر فإن رأيت مشايخنا ممن قرأ على ابن عباس، فأمرهم ابن عباس أن يكبروا إذا بلغوا والضحي، وأسند عن إبراهيم بن يحيى بن أبي حية التميمي قال : قرأت على حميد الأعرج، فلم بلغت والضحي قال لى : كبر إذا ختمت كل سورة، حتى تختم، فإنى قرأت على مجاهد فأمرنى بذلك، وقال : قرأت على ابن عباس رضى الله عنه، فأمرنى بذلك . وفى رواية أنبأنا حميد الأعرج قال : قرأت على مجاهد القرآن فلما بلغت - ألم نشرح لك صدرك - قال لى : كبر إذا فرغت من السورة، فلم أزل أكبر حتى ختمت القرآن، ثم قال مجاهد : قرأت على ابن عباس فلما بلغت هذا الموضع أمرنى بالتكبير، فلم أزل أكبر حتى ختمت، وقال أيضا : حدثنى حميد الأعرج عن مجاهد قال ختمت على ابن عباس تسع عشرة ختمة فكلها يأمرنى فيها أن أكبر من سورة ألم نشرح ثم أسند الحافظ أبو العلاء عن شبل بن عباد قال

غير مكة أن لا يأخذوا بها إلا فى رواية البزى وحدها:

١١٢٧ - إذا كبروا فى آخر الناس أرفقوا

مع الحمد حتى المفلحون توسلا

الضمير فى كبروا للمكيين، بين فى هذا البيت آخر مواضع التكبير وكان قد أجمل ذلك فى قوله مع الخواتم قرب الختم وفى البيت الآتى يبين أول ذلك ومفعولا أرفقوا محذوفان أى أرفقوا التكبير مع قراءة سورة الحمد قراءة أول سورة البقرة حتى يصلوا إلى قوله ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وهذا يعبر عنه بعض المصنفين بأنه أربع آيات ويعبر عنه آخرون بأنه خمس آيات ووجه ذلك الاختلاف فى لفظ ﴿آلَمْ﴾ فعدها الكوفى آية ولم يعدها غيره وحكى الناظم لفظ القرآن بقوله حتى المفلحون وتوسلا مفعول من أجله أى تقربا إلى الله تعالى بطاعته وذكره ولا تكبير بين الحمد والبقرة قال مكى يكبر فى أول كل سورة من - ألم نشرح - إلى أول الحمد ثم يقرأ الحمد فإذا تم لم يكبر وابتدأ بالبقرة من غير تكبير فقرأ منها خمس آيات قال وروى أن أهل مكة كانوا يكبرون فى آخر كل ختمة من خاتمة والضحية لكل القراء لابن كثير وغيره سنة نقلوها عن شيوخهم لكن الذى عليه العمل عند القراء أن يكبروا فى قراءة البزى عن ابن كثير خاصة وبذلك قرأت قال وحجته فى التكبير أنها رواية نقلها عن شيوخه من أهل مكة فى الختم يجعلون ذلك زيادة فى تعظيم الله عز وجل مع التلاوة لكتابه والتبرك بختمه وتزييله والتنزيه له من السوء لقوله ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ ﴿وَلْتَكْبِرُوا لِلَّهِ﴾ ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال وحجته فى الابتداء فى آخر ختمه بخمس آيات من البقرة أنه اعتمد فى ذلك على حديث صحيح مروي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه سئل أى الأعمال أفضل فقال الحال المرتحل يعنى الذى ارتحل من ختمة أتمها ويحل فى ختمة أخرى أى يفرغ من ختمة ويبتدئ بأخرى وعلى ذلك أدرك أهل بلدة مكة قلت قد سبق الكلام على هذا الخبر وبيان ضعفه فلا يغتر بقول مكى إنه صحيح وأحسن من عبارته عبارة أبى الحسن بن غلبون قال فإذا قرأ قل أعوذ برب الناس كبر ثم قرأ فاتحة الكتاب وخمسا من سورة

رأيت محمد بن عبد الله بن محيصة وعبد الله بن كثير الدارى إذا بلغا ألم نشرح كبرا حتى يخما ويقولان رأينا مجاهدا فعل ذلك وذكر مجاهد أن ابن عباس كان يأمره بذلك ثم أسند عن قتيل حديث النبال حدثنا عبد المجيد عن ابن جريج عن مجاهد أنه كان يكبر من أول والضحية إلى الحمد قال ابن جريج وأرى أن يفعله الرجل إماما كان أو غير إمام قال: أبو يحيى بن أبى ميسرة ما رفعه أحد إلى النبي ﷺ غير ابن أبى بزة ولو كان أحد رفعه غيره لكان الواجب اتباعه إذا كان أمرا من النبي ﷺ قال الحافظ أبو العلا فأما الرواية والإجماع فى ذلك فعن عبد الله بن عباس ومجاهد، وقد روى عن على رضى الله عنه أنه كان يقول إذا قرأت القرآن فبلغت بين المفصل فاحمد الله وكبر بين كل سورتين وفى رواية فتابع بين المفصل فى السور القصار واحمد الله وكبر بين كل سورتين ثم ذكر الحافظ أبو العلا عن البزى بإسناده أن الأصل فى التكبير أن النبي ﷺ انقطع عنه الوحي وقد اختلف فى سبب ذلك وفى قدر مدة انقطاعه فقال المشركون قلى محمدا ربه فنزلت سورة والضحية فقال النبي ﷺ الله أكبر، وأمر النبي ﷺ أن يكبر إذا بلغ والضحية مع خاتمة كل سورة حتى يختم قال أبو الحسن بن غلبون فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر حتى ختم شكرا لله تعالى لما كذب المشركون فيما زعموه وقال الشيخ فى شرحه قال رسول الله ﷺ الله أكبر تصديقا لما أنا عليه وتكديبا للكفار وذكر عن أبى عمرو الدانى بسنده إلى البزى قال قال لى محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه إن تركت التكبير فقد تركت سنة من سنن رسول الله ﷺ وقال وزوى بعض علمائنا عن الحسن بن محمد بن عبد الله بن يزيد القرشى قال صليت بالناس خلف المقام بالمسجد الحرام فى التراويح فى شهر رمضان، فلما كان ليلة الختمة كبرت من خاتمة والضحية إلى آخر القرآن فى الصلاة فلما سلمت التفت وإذا أنا بأبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه قد صلى ورائى فلما بصرنى قال لى أحسنت أصبت السنة قال أبو الطيب عبد المنعم بن غلبون وهذه سنة مأثورة عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين وهى سنة بمكة لا يتركونها ألينة ولا يعتبرون رواية البزى ولا غيره قال ومن عادة القراء فى

البقرة لأنه يقال إن النبي ﷺ سمي من فعل ذلك الحال المرتحل كما حدثني أبي رحمه الله وساق الحديث عن صالح المزني عن قتادة عن زرارة عن ابن عباس أن رجلاً قام إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله فقال الحال المرتحل فقال يا رسول الله وما الحال المرتحل؟ قال فتح القرآن وختمه صاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره ومن آخره إلى أوله كلما حل ارتحل قال فقيس إنه عليه الصلاة والسلام يعني بذلك أنه يختم القرآن ثم يقرأ فاتحة الكتاب وشيئاً من البقرة في وقت واحد قلت أصل الحديث ضعيف كما سبق ثم زاد بعضهم فيه التفسير غير منسوب إلى النبي عليه الصلاة والسلام فحملناه على أن بعض رواة المذكورين في سنده فسره على ما وقع له في معناه.

وهذا الحديث قد بين فيه أن المفسر له هو النبي ﷺ وهو زيادة غير معروفة فقد روى الأهوازي هذا التفسير بعينه ولم يقل في الحديث يا رسول الله ثم ولو صح هذا الحديث والتفسير لكان معناه الحث على الإكثار من قراءة القرآن والمواظبة عليه فكلما فرغ من ختمة شرع في أخرى، أي إنه لا يضرب عن القراءة بعد ختمة يفرغ منها بل تكون قراءة القرآن دأبه وديدنه وفي رواية أخرى أخرجه الأهوازي في كتاب الإيضاح الحال المرتحل الذي إذا ختم القرآن رجع فيه ثم هذا الفعل من التكبير وقراءة الحمد إلى المفلحون مروى عن ابن كثير نفسه مأخوذة به عن طريق البزري وقيل على ما سنوضحه قال أبو الطيب ابن غلبون ولم يفعل هذا قبل ولا غيره من القراء أعني التكبير، وهذه الزيادة من أول سورة البقرة في قراءة الختمة سوى البزري وحده قال أبو الفتح فارس بن أحمد ولا نقول إن هذا سنة ولا أنه لا بد لمن ختم أن يفعله فمن فعله فحسن جميل ومن ترك فلا حرج قال صاحب التيسير وهذا يسمى الحال المرتحل وفي جميع ما قدمناه أحاديث مشهورة يرويها العلماء يؤيد بعضها بعضها تدل على صحة ما فعله ابن كثير. قلت لم يثبت شيء من ذلك وأكثر ما في الأمر أن ابن كثير كان يقبله والحديث المسند في ذلك هو في بيان سند قراءة ابن كثير أي أخذ ابن كثير عن درياس عن ابن عباس عن أبي عن النبي ﷺ وفيه قرأ النبي عليه الصلاة والسلام على أبي فالسند

المذكور إنما هو لبيان لك ثم قرأ في آخر الحديث وأنه كان إذا قرأ قل أعوذ برب الناس افتتح من الحمد ثم قرأ البقرة إلى ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ ثم دعا بدعاء الختم ثم قال يعني بذلك ابن كثير والله أعلم. وقد قال أبو طالب صاحب أحمد ابن حنبل سألت أحمد إذا قرأ قل أعوذ برب الناس يقرأ من البقرة شيئاً قال لا يقرأ فلم يستحب أن يصل ختمه بقراءة شيء ولعله لم يثبت فيه عنده أثر صحيح يصير إليه ذكره شيخنا أبو محمد بن قدامة في كتابه المغني وذكر أبو الحسن بن غلبون وغيره رواية عن الأعمش عن إبراهيم قال كانوا يستحبون إذا ختموا القرآن أن يقرأوا من أوله آيات. قلت ولكل من المذهبين وجه ظاهر.

١١٢٨ — وقال به البزري من آخر الضحى

وبعض له من آخر الليل وصلاً

اتبع في ذلك ما في كتاب التيسير من نسبة ذلك إلى البزري وحده على ما حكاه أبو الطيب بن غلبون وابنه أبو الحسن ولا يختص ذلك بالبزري عند جماعة من مصنفى كتب القراءات بل هو مروى عن قبل كما هو مروى عن البزري لكن شهرته عن البزري أكثر وعنه انتشرت الآثار في ذلك على ما سبق بيانه وقوله به أي بالتكبير بين بهذا البيت أول مواضع التكبير التي أجملها في قوله قرب الختم فأكثر أهل الأداء على أنه من آخر والضحى وهو الصحيح لأن الآثار في ذلك ألفاظها كما سبق مصرحة في بعض الروايات بأنم تشرح وذلك آخر والضحى وفي بعضها إطلاق لفظ والضحى وهو يحتمل الأول والآخر فيحمل هذا المطلق على ذلك التقييد ويتعين الآخر لذلك قال أبو الحسن بن غلبون: اعلم أن القراء أجمعوا على ترك التكبير من سورة والضحى إلا البزري وحده فإنه روى عن ابن كثير أنه يكبر من خاتمة والضحى إلى آخر القرآن ثم روى عن أبي الحسن اللغوي أجازة قال أخبرنا ابن مجاهد حدثنا عبد الله ابن سليمان حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا عبد الحميد حدثنا سفيان حدثنا إبراهيم بن أبي حية أنبأنا حميد عن مجاهد قال ختمت على ابن عباس بضعا وعشرين ختمة كلها يأمرني أن أكبر من ألم نشرح وبه عن سفيان قال رأيت حميد الأعرج يقرأ

الابتداء بالتكبير وبين وصل آخر السورة بالتكبير، قال
والفصل أولى .

قلت لما ذكرته وينبئ على ذلك أن يختار فصل التكبير
أيضا من التسمية على المذهب الأصح وهو أن البسملة في
أوائل السور من القرآن على ما قررنا في كتاب البسملة ووجه
ذلك ما ذكره صاحب الروضة من أن التكبير منفصل من القرآن
لا يخلط به ولا يكون وصل التكبير بالبسملة أولى إلا على رأى
من لا يراها من القرآن في أوائل السور فيكون حكمها وحكم
التكبير واحدا كلاهما ذكر الله تعالى مأمور به فاتصاله أولى من
قطعه، الوجه الثاني أنه يصل التكبير بآخر السورة ويقف عليه
ثم يتدأ بالبسملة وهذا معنى قوله أو عليه يعنى أو تقطع على
التكبير ومأخذ هذا الوجه أن التكبير إنما شرع في أواخر السور
فهو من توابع السورة الماضية لأن النبي ﷺ إنما كبر لما تليت
عليه سورة والضحي فرأى صاحب هذا الوجه أن وصله بآخر
السورة والقطع عليه أولى لتبين الغرض بذلك وهذا لا يتجه إلا
تعريفا على القول بأن أول مواضع التكبير آخر الضحي فإن قلنا
هو مشروع من أولها فهو للسورة الآتية فيتجه القول الأول،
واختار صاحب التيسير هذا الوجه وبدأ به فيه وهو وصل
التكبير بآخر السورة لكنه خير بين الوقوف عليه ووصله
بالبسملة، قال والأحاديث الواردة عن المكيين بالتكبير دالة
عليه لأن فيها مع وهي تدل عن الصحبة والاجتماع وقال في
غير التيسير على ما نقله الشيخ في شرحه: الحذاق من أهل
الأداء يستحبون في مذهب البزى أن يوصل التكبير بآخر السورة
من غير قطع ولا سكت على آخرها دونه ويقطع عليه ثم يقرأ
بعد ذلك بسم الله الرحمن الرحيم موصلا بالسورة الثانية إلى
آخر القرآن ومنع مكي من هذا الوجه فقال في التبصرة ولا يجوز
أن تقف على التكبير دون أن تصل بالبسملة وقال في الكشف
ليس لك أن تصل التكبير بآخر السورة وتقف عليه، الوجه
الثالث أن يوصل التكبير بآخر السورة وبالبسملة وهذا هو
المراد من قوله أوصل الكل واختار هذا الوجه أبو الطيب بن
غلبون وابنه أبو الحسن ومكي مع تجويز غيره قال أبو الطيب
وهو المشهور من هذه الوجوه وبه قرأت وبه أخذ، وقال ابنه
أبو الحسن واعلم أن القارئ إذا أراد التكبير فإنه يكبر مع فراغه
من آخر السورة من غير قطع ولا سكت في وصله ولكنه يصل

والناس حوله فإذا بلغ والضحي كبر إذا ختم كل سورة حتى
يختم ولم يذكر صاحب التيسير الكبير إلا من آخر والضحي
فقول الناظم «وبعض له» أى للبزى وصل التكبير من آخر سورة
والليل يعنى من أول والضحي فهذا الوجه من زيادة هذه
القصيدة وهو قول صاحب الروضة قال روى البزى التكبير من
أول سورة والضحي إلى خاتمة الناس ولفظه الله أكبر تابعه
الزبني عن قبل في لفظ التكبير وخالفه في الابتداء به فكبر
من أول سورة ألم نشرح قال ولم يختلفوا أنه منقطع مع خاتمة
الناس . وحكى ابن الفحام وجها عن السوسى أنه يكبر من أول
ألم نشرح إلى خاتمة الناس والله أعلم وقال الحافظ أبو العلا
كبر البزى وابن فليح وابن مجاهد وابن الصلت عن قبل من
فاتحة والضحي وفواتح ما بعدها من السور إلى سورة الناس
وكبر الباقيون من فاتحة ألم نشرح إلى سورة الناس قال وأجمعوا
على ترك التكبير بين خاتمة الناس وبين الفاتحة إلا ما رواه
فلان عن قبل زاد بعضهم قراءة أربع آيات من أول البقرة .

قلت : وهكذا حكى الهذلي أن التكبير إلى أول قل أعوذ
برب الناس وقال بعضهم إلى خاتمها فقول الناظم إذا كبروا في
آخر الناس اتبع فيه قول صاحب التيسير وهو يوهم أنه متفق
عليه عند كل من يردف ذلك بقراءة الفاتحة وشيء من أول
البقرة، بل فيه الاختلاف كما ترى .

١١٢٩ — فإن شئت فاقطع دونه أو عليه أو

صل الكل دون القطع معه مبسلا

ذكر في هذا البيت حكم التكبير في اتصاله بالسورة
الماضية أو بالبسملة التي من السورة الآتية فنقل ثلاثة أوجه
كلها متجهة وهي مذكورة في التيسير وغيره أحدها أنه يقطع
آخر السورة من التكبير أى لا يصل التكبير بآخر السورة، فهذا
معنى قوله فاقطع دونه أى دون التكبير وهذا اختيار صاحب
الروضة والحافظ أبي العلاء، وهو الذى اختاره لما فيه من
الفصل بين القرآن وغيره وقال صاحب الروضة اتفق أصحاب
ابن كثير على أن التكبير منفصل من القرآن لا يخلط به وقال
أبو العلاء الحافظ أجمعوا غير المطوعى والفحام على الوقف
في آخر كل سورة ثم الابتداء بالتكبير متصلا بالتسمية فأما
المطوعى والفحام فإنهما خيرا بين الوقف على آخر السورة ثم

آخر السور بالتكبير ثم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وهو الأشهر الجيد إذ لم يذكر في شيء من الحديث فصل ولا سكت، بل ذكر في حديث ابن عباس مع، وهي تدل على الصحبة والاجتماع.

قلت: ولا ضرورة إلى هذه المضايقة فالمعية حاصلة وإن قطع آخر السورة بوقفه يسيرة فلا يراد بالمعية في مثل ذلك إلا الاتصال المعروف في القراءة كما أن وقوف القارئ على مواضع الوقف من أواخر الآي وغيرها لا يخرج ذلك عن اتصال قراءته بعضها ببعض، فإذا ليس الأولى إلا الوجه الأول، وهو فصل السورة من التكبير لما ذكرناه، وفصل التكبير من البسملة مبنى أيضا على ما ذكرناه من الخلاف في البسملة قال صاحب التيسير ولا يجوز القطع على التسمية إذا وصلت بالتكبير وهذا صحيح وقد مضى شرح ذلك في آخر باب البسملة وهو قوله ومهما وصلها مع أواخر سورة فلا تقفن فلا فرق بين وصلها بآخر السورة أو بالتكبير أما إذا لم تصلها بالتكبير بل وقفت عليه فإنه يجوز لك أن تقف على البسملة أيضا كما إذا وقفت على آخر سورة.

وقد وقع لي في التكبير ثلاث احتمالات عليها تخرج هذا الوجه كلها، أحدها أن التكبير من توابع السورة الماضية فعلى هذا وصله بها أولى الثاني أنه من مقدمات السورة الآتية فعلى هذا قطعه من الأولى ووصله بالثانية أولى والثالث أنه ذكر مشروع بين كل سورتين من هذه السور فعلى هذا يجوز وصله بهما وقطعه عنهما فمن كبر من أول والضحي لحظ الوجه الثاني، ومن كبر من آخرها لحظ الأول وعلى هذا يبين الخلاف في انتهاء التكبير إلى أول الناس أو آخرها.

فإن قلت: فما وجه من كبر من أول الضحي وكبر آخر الناس؟

قلت: كأنه أعطى لسورة الناس حكم ما قبلها من السور إذ كل سورة منها بين التكبيرتين وليس التكبير في آخر الناس لأجل أول الفاتحة لأن الختمة قد انقضت ولو كان للفاتحة لشرع التكبير بين الفاتحة والبقرة ولم يفعله هؤلاء لأن التكبير للختمة لا لافتتاح أول القرآن والله أعلم.

وقوله معه مبسلا أي مبسلا مع التكبير فنصب مبسلا على الحال من فاعل صل الكل:

وما قبله من ساكن أو منون

فللساكنين اكسره في الوصل مرسلا

المذكور في هذا البيت مفرع على قولنا إن التكبير يوصل بآخر السورة وهو معنى قوله في الوصل ومعنى مرسلا مطلقا أي الحكم في الكسر مطلقا في النوعين أما إذا قلنا لا يوصل وهو الوجه المختار كما سبق فلا حاجة إلى ما في هذا البيت والذي بعده، فإن الكسر يتبدى بفتح همزته وكذا إن قلنا إن التهليل يشرع قبل التكبير ووصلناه بآخر السورة فلا يتغير أمر مما يتعلق بأواخر السور لأن أول التهليل حرف متحرك وأول التكبير همز وصل قبل ساكن، فهمة الوصل تسقط في الدرج فيبقى الساكن فينظر في أواخر السور وهي على أربعة أقسام إما آخره متحرك أو هاء ضمير وهذان القسمان يأتي ذكرهما في البيت الآتي وذكر في هذا البيت قسمين ما آخره ساكن وما آخره تنوين فالذي آخره ساكن الضحي ألم نشرح اقرأ والذي آخره تنوين العاديات القارعة الهمزة الفيل قريش النصر تبت الإخلاص، فحكم هذين القسمين كسر ما قبل التكبير لالتقاء الساكنين، وهذان القسمان كقسم واحد لاتحاد حكمهما ولأن سكون التنوين كسكون غيره وإنما أراد أن ينص على ساكن مرسوم حرفا في الخط وساكن يثبت لفظا لا خطا وهو التنوين ونزل تغيير أواخر هذه السورة لأجل ساكن أول التكبير منزلة تغييره إذا وصل آخر سورة بأول أخرى على قراءة حمزة فإن تنوين آخر والعاديات يكسر وكذا ورش إذا وصل ويفتح آخر الضحي ويكسر آخر اقرأ بإلقاء حركة همزة ما بعدهما عليهما والله أعلم.

وأدرج على إعرابه ما سواه

ولا تصلن هاء الضمير لتوصلا

يعني ماسوى الساكن والمنون وهو المحرز أنزله على إعرابه أي وصله على حركته سواء كانت فتحة كآخر التين والماعون والفلق أو كسرة كآخر القدر والتكاثر والعصر والكافرين والناس أو ضمة كآخر الكوثر ولم يكن والزلزلة ولكن هاتان السورتان آخرهما هاء الضمير فلا يصلها لأجل الساكن بعدهما على ما تمهد في شرح قوله ولم يصلوها

مضمّر قبل ساكن فإذا لم تصلها وصلت ولم تقطع لأن ذلك يدل على علمك وفضلك وإن وصلتها قطعت لدلالة ذلك على الجهل فما أحلى ما وافقه ولا تصلن لتوصلا والنون في ولا تصلن للتأكيد قوله وأدرج من قولهم أدرجت الكتاب أى طويته وأدرجت الدلو إدراجا إذا متحتها وفتح من باب نفع يقال متحت الدلو إذا استخرجتها يرفق فكأن القارئ إذا قرأ كلمة وتعداها إلى غيرها قد أدرجها وطواها وقوله على إعرابه أى على حركة إعرابه وفي حركات أواخر السور المذكورة ما هو حركة إعراب كآخر القدر والتكاثر والعصر والماعون والكوثر والناس وبقائها حركة بناء كالتين ولم يكن والزلزلة والكافرين والفلق فلم يرد بقوله إعرابه إلا مجرد الحركة، وكان يغنيه عن ذلك أن يقول وأدرج على تحريكه ما سواهما.

١١٣٢ — وقُلْ لفظه الله أكبر وقبله

لأحمد زاد ابن الحبيب فهيا لا أى لفظ التكبير وسكن الراء من أكبر حكاية للفظ المكبر لأنه واقف عليه فهذا هو المختار فى لفظة التكبير قال ابن غلبون والتكبير اليوم بمكة الله أكبر لا غير كما ذكرنا فى الأحاديث التى تقدمت وهو مشهور فى رواية البزى وحده وقال مكى الذى قرأت وهو المأخوذ به فى الأمصار الله أكبر لا غير وقوله وقبله يعنى قبل التكبير لأحمد يعنى البزى زاد ابن الحبيب وهو أبو على الحسن بن الحبيب بن مخلد الدقاق قرأ على البزى وروى عنه التهليل قبل التكبير وقوله فهيللا أى فقال لا إله إلا الله والأصل أن يقال فهيللا وإنما الياء بدل من أحد حرفى التضعيف نحو قولهم تظنيت يقال قد أكثرت من الهيلة أبدلت الياء من عين الكلمة لتكرير اللامات حكى أبو عمرو الدانى فى كتاب التيسير عن الحسن بن الحبيب قال سألت البزى عن التكبير كيف هو فقال لى لا إله إلا الله والله أكبر قال الدانى وابن الحبيب هذا من الإتقان والضبط وصدق اللهجة بمكان لا يجهله أحد من علماء هذه الصنعة وبهذا قرأت على أبى الفتح وقرأت على غيره بما تقدم وحكى عن ابن الحبيب أيضا أبو طاهر بن أبى هاشم، ذكره الحافظ أبو العلاء فقال: لا إله إلا الله والله أكبر بسم الله الرحمن الرحيم:

١١٣٣ — وقيل بهذا عن أبى الفتح فارس

وعن قبل بعض بتكبيره

أى بما نقله ابن الحبيب وهو معنى قول الدانى وبهذا قرأت على أبى الفتح وقال فى غير التيسير حدثنا أبو الفتح شيخنا حدثنا عبد الباقي بن الحسن حدثنا أحمد بن صالح عن ابن الحبيب عنهم يعنى بالتهليل قال أبو عمرو وبذلك قرأت على فارس أعنى بالتهليل والتكبير وأبو الفتح هذا هو فارس بن أحمد بن موسى بن عمران الضرير الحمصى سكن مصر قال الدانى فى تاريخ القراء أخذ القراءة عرضا وسماعا عن غير واحد من أصحاب ابن مجاهد وابن شنبوذ وغيرهم ثم قال لم يلق مثله فى حفظه وتضبطه وحسن تأديته وفهمه بعلم صناعته واتساع روايته مع ظهور نسكه وفضله وصدق لهجته وسمعته يقول ولدت يحمص سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة وتوفى رحمه الله بمصر فى ما بلغنى سنة إحدى وأربع مائة وقد ذكره أبو عمرو الدانى أيضا فى أرجوزته التى نظمها فى علم القراءة فقال:

ممن أخذت عنهم ففارس

وهو الضرير الحاذق الممارس

أضبط من لقيت للحرور

وللصحيح السائر المعروف

وجميع ما ذكرناه مأخوذ به فى رواية البزى وأما قبل فلم يذكر له صاحب التيسير تكبيرا وقال فى غيره وقد قرأت أيضا لقنبل بالتكبير وحده من غير طريق ابن مجاهد قال وبغير تكبير أخذ فى مذهبه فقول الشاطبى.

* وعن قبل بعض بتكبيره *

من زيادات هذه القصيدة على ما فى التيسير والهاء فى تكبيره عائدة على البزى أى وبعض الشيوخ تلا عن قبل بمثل تكبير البزى ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على قبل أو على بعض ولكن قوة المعنى على ما ذكرناه أولا وقد حكى صاحب الروضة التهليل أيضا عن قبل فقال وروى قبل فى غير رواية الزينى عنه التهليل والتكبير من أول سورة ألم نشرح إلى خاتمة الناس ولفظه لا إله إلا الله والله أكبر وكذلك حكى الحافظ أبو العلاء التهليل والتكبير للبزى ولقنبل وحكى الهذلى صاحب الكامل رواية عن قبل فى تقديم التسمية على التكبير وهذا مما يقوى أن التكبير للسورة الآتية لا للسابقة وإن كان وجهها بعيدا والله أعلم (إبراز المعانى / ٧٣٠ - ٧٤٢)

قلما يخلو كتاب من حديث الختم في القرآن وكيفية ذلك، وما ورد فيه من أخبار...

وقد تقصى آثاره واستوعب مسائله أبو القاسم بن علي السبتي - في كتاب له سماه (التحفة)، ينقل عنه السفاقي في (غيث النفع) كثيراً؛ وأورد له عدة صيغ في دعاء الختم، منها:

(... اللهم إني أسألك إخبارات المختبين، وإخلاص الموقنين؛ ومرافقة الأبرار، واستحقاق حقيقة الإيمان؛ اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علماً تنفعنا به؛ اللهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك؛ والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم؛ والفوز بالجنة، والنجاة من النار، برحمتك يا أرحم الراحمين.

ورود على أحمد بن المبارك السجلماسي - سؤال في حكم قراءة سورة الإخلاص ثلاث مرات عند ختم القرآن: هل له أصل في السنة أم لا؟

فأجاب عن ذلك بجواب مطول (القراء والقراءات بالمغرب / ٦٨).

ومن فتاوى الإمام الشاطبي فتوى بشأن مسألة تتصل بالبدع وجاء نص المسألة كما يلي:

تعيين الختم ليلة معينة من العشر الأواخر من رمضان والدعاء بعده وقراءة القرآن كله في تلك الليلة، وزيادة الوعد على سائر الأيام، هل كان ذلك في فعل السلف؟

فأجاب الإمام الشاطبي رحمه الله قائلا:

إن ختم القرآن في رمضان ليس بمطلوب في الشرع قال في المدونة: وليس ختم القرآن سنة لقيام رمضان (هذا المعنى في المدونة ١/ ٢٢٣، وفي الحوادث والبدع / ٢٥٨).

وقال ربيعة ويعرف بريعة الرأي من شيوخ الإمام مالك: ولو أمهم رجل بسورة حتى ينقضي الشهر لأجزأ قال: والأمر في رمضان الصلاة وليس بالقصص بالدعاء.

قال الطرطوشي: فتأملوا - رحمكم الله - فقد نهى مالك أن يقص أحد في رمضان بالدعاء. وحكى أن الأمر المعمول به إنما هو الصلاة من غير قصص ولا دعاء.

ذلك كان ما أورده الإمام الشاطبي في الشاطبية عن ختم القرآن. أما ما أورده الإمام ابن الجزري في طيبة النشر فهي هذه الأبيات يختتم بها منظومته. قال الناظم:

وسنة التكييـــــر عند الختم
صحت عن المكيـــــن أهل العلم
في كل حال ولـــــدى الصلاة

سلسل عن أثمـــــة ثقتـــــات
من أول انشـــــراح أو من الضحى

من آخر أو أول قـــــد صححـــــا
للناس هكـــــذا وقيل إن تـــــرد

هليل وبعض بـــــعد الله حمـــــد
والكل للـــــزى رووا وقبـــــلا

من دون حمـــــد ولـــــوس نقـــــلا
تكييـــــره من انشـــــراح وروى

عن كلهم أول كل يستـــــوى
وامنع على الـــــرحيم وقفـــــا إن تصل

كـــــلا وغير ذا أجزـــــما يحتمل
ثم اقـــــرا الحمـــــد وخمس البقـــــرة

إن شئت حـــــالاً وارتحـــــالاً ذكره
وإدع وأنت مـــــوقن الإجابـــــه

دعـــــوة من يختتم مستجـــــابـــــه
وليعتنى بأدب الـــــدعـــــاء

ولتـــــرفع الأيـــــدى إلى السمـــــاء
وليمسح الـــــوجه بها والحمـــــد

مع الصـــــلاة قبلـــــه وبعد
(طيبة النشر / ١١٨، ١١٩)

وقد شرحها الشيخ محمد الصادق قمحاوي في كتابه «الكوكب الدرر» ص ٥٩٣ - ٦٠١ فارجع إليه إن شئت. انظر ثبت المراجع

يقول الدكتور سعيد إعراب عن الختم في القرآن:

وسئل مالك عن الذى يقرأ القرآن ثم يختمه ويدعو؟ فقال : ما سمعت أنه يُدعى عند ختم القرآن ، وما هو من عمل الناس .

وأما تعيين ليلة الختم وقراءة القرآن كله والدعاء ، فقد تضمن حكمه ما ذكر آنفاً إلا زيادة الإيقاد ، فإن ذلك أيضاً لم يكن بعمل من تقدم ، فإن تعظيم الليلة أو الشهر بإيقاد النيران فيه تعظيم للنار ، مع زيادة السرف واجتماع الغوغاء وظهور المنكرات باجتماع الرجال والنساء وغير ذلك مما لا يحل .

يقول الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحاج الفاسى : « لا يزداد فى ليلة الختم شيء زائد على ما فعل فى أول الشهر لأنه لم يكن من فعل من مضى ، بخلاف ما أحدثه بعض الناس اليوم من زيادة وقود القناديل الكثيرة الخارجة عن الحد المشروع ، لما فيه من إضاعة المال والسرف والخيلاء . سيما إذا انضاف إلى ذلك ما يفعله بعضهم من وقود الشمع وما يركز فيه ، فإن كان فيه شيء من الفضة أو الذهب فاستعماله محرم لعدم الضرورة إليه ، وإن كان بغيرهما فهو إضاعة مال وسرف وخیلاء » (المدخل ٢ / ٣١١) (فتاوى الإمام الشاطبى / ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨) .

ويعد الشيخ عثمان بن فودى من البدع اجتماع الناس لختم القرآن فى ليلة سبع وعشرين من رمضان فيقول رحمه الله : وهو بدعة محرمة إجماعاً على ما يعتاده الناس فى ذلك فى هذا الزمان من اختلاط الرجال والنساء والتطريب المتفاحش فى القراءة والمنازعة فيها على وجه المباهاة ، وأما إن خلا اجتماعهم عن كل هذه المنكرات فهو بدعة مكروهة أو جائزة .

وفى شرح المفيدة : فليحذر مما يفعله بعضهم فى ليلة سبع وعشرين ، وهو أن يصلى بداره والنساء خلفه : المحارم وغيرهن ، ويسرع حتى يقطع كلمات القرآن ومتى ختم لج النساء خلفه بالزغاريد ، ويتنافس مع جاره الذى يفعل كفعله ليختم القرآن قبله ويسبقه ثم لا يراعى إلا الختم ، ومهما ختم بتلك السرعة والقلق الذى لا يحضر معه فكر زغردت النساء وذهب .

وهذا الفعل - والعياذ بالله - حرام من وجوه كثيرة : انظر كيف حرم نفسه من الأجر العظيم الذى تلتبس ليلة القدر لأجله ، التى هى خير من ألف شهر ، وجعل فى موضع ذلك الخير العظيم الذنوب والآثام ، ونعوذ بالله من الجهل المهلك لصاحبه .

ولو نام هذا الجاهل تلك الليلة لكان أسلم وأحسن له من هذه المحرمات ، ولو وفقه الله ، لصلى منفرداً بوقار وخشوع ، وإن عطلت المساجد فيها ، ويعلم النساء اللاتى أضلهن بضلاله وحرمنهن بحرمانه ، فيقول لهن : تصلى كل واحدة بالحمد والسورة فى الليلة المذكورة فإن ذلك يكفى .

وفى المدخل : وينبغى له أن يجتنب ما أحدثوه من البدع فى قواعدهم للختم فيقولون فلان يختم فى ليلة كذا ، وفلان فى ليلة كذا ، ويعرض ذلك بعضهم على بعض فيكون ذلك بينهم بالنوبة حتى صار ذلك كأنه ولائم تعمل وشعائر تظهر فلا يزالون كذلك غالباً من انتصاف شهر رمضان إلى آخر الشهر ، فليحذر من ذلك فى نفسه وينهى غيره عنها ، إذ أنه لم يكن من فعل من مضى - أعنى مواعدهم فى الختم فى شهر رمضان .

وأما إن كان إنسان يريد أن يختم لنفسه فى أى وقت كان من السنة فيجمع أهله لتعمهم الرحمة ، لأن الرحمة تنزل عند ختم القرآن الكريم - فذلك جائز . اهـ (المدخل / ٣٠٦) .

فإن قلت : هل يسدعى بعد ختم القرآن جهراً والناس يسمعون ، أو لا ؟ قلت : قال الشيخ الجليل أبو الوليد أبو بكر المشهور بالطرطوشى رحمه الله : فالجواب أن يقال : إن كان ذلك على وجه السلامة من اللغظ ، ولم يكن إلا الرجال أو الرجال والنساء متفردين بعضهم عن بعض يسمعون الدعاء ، فهذه البدعة التى كره مالك رحمة الله .

وأما إن كان على الوجه الذى يجرى فى هذا الزمان من اختلاط الرجال والنساء وأمثال ذلك من الفسوق واللغظ فما هو من عمل الناس .

وفى المدخل (ص ٢٩٩) : قال مالك : لا بأس أن يجتمع القوم فى القراءة عند من يقرئهم أو يفتح على كل واحد منهم

فيما يقرأ، قال: ويكره الدعاء بعد فراغهم، ثم قال بعد كلام: فإذا تقرر هذا من مذهب الإمام رحمه الله تعالى فاعلم أن الكراهة المذكورة محمولة على الجهر ورفع الصوت في جماعة، وأما الدعاء في السر فهو جائز أو مندوب بحسب الحال، وعلى هذا درج السلف والخلف رضى الله عنهم.

ومن ذلك: إحضار أواني الماء في المسجد حين الختم، وهو بدعة مكروهة.

وفي المدخل (ص ٣٠٤) وينبغي له أن يجتنب في نفسه وينهى غيره مما أحدثه بعضهم من إحضارهم الكيزان وغيرها من أواني الماء في المسجد حين الختم، فإذا ختم القارئ شربوا من ذلك الماء ويرجعون به إلى بيوتهم فيسقونه لأهلهم ومن شاءوا على سبيل التبرك، وهذه بدعة لم تنقل عن أحد من السلف رضى الله عنهم وهذا السدى لا يختص بليلة الختم، بل هو عام في كل ليلة فعلوا ذلك فيها. اهـ مدخل (إحياء السنة وإخماد البدعة / ١٩٩ - ٢٠١).

(التيان في آداب حملة القرآن لأبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي / ٣٨ - ٤٢، ١١٣ - ١١٨، والتيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني - عن تصحيحه أو تويريزل / ٢٢٦ - ٢٢٨، ومتن حرز الأمانى ووجه التهاني للشاطبي ط مصطفى البابي الحلبي / ١٩٥ - ١٩٧، وإبراز المعاني من حرز الأمانى في القراءات السبع للإمام الشاطبي، للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة / ٧٣٠ - ٧٤٢، وطية النشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزري ط مصطفى البابي الحلبي / ١١٨، ١١٩، والقراء والقراءات بالمغرب - سعيد إعراب / ٦٨، وفتاوى الإمام الشاطبي لأبي إسحق إبراهيم بن موسى الأندلسي - حققها وقدم لها محمد أبو الأحناف / ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس في ثانيا النص، وإحياء السنة وإخماد البدعة للشيخ عثمان بن فودي - تحقيق وتعليق أحمد عبد الله باجور. انظر أيضا الكوكب الدرر في شرح طيبة ابن الجزري. مختصر شرح الطيبة للنويزي - محمد الصادق قمحاوي / ٥٩٣ - ٦٠١، وسراج القارئ المبتدى وتذكارات المقرئ المنتهى للإمام ابن القاصح العذري / ٤٠٣ - ٤٠٥، وهداية المستفيد في أحكام التجويد - الشيخ محمد محمود المشهور بأبي ريمة - صححه وراجعاه وضبطه أحمد محمد شاكر / ٣٤، ٣٥).

* الختمات والتهاليل:

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التصوف
مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)
الرقم ١٠٣٩٤
- رسالة فى الذكر والختمات لعلها من جمع بعض تلامذة المؤلف.

المؤلف: مصطفى بن محمد الكردي؟

أولها: الحمد لله الذى جعل سيف الحق ظاهرا مشهورا
وقلده أئمة أعلاما ... وبعد فيقول سيدى وأستاذى ...
مصطفى بن محمد الكردي ... هذه تحريرات جلية واضحة
ونقول لما أغلق من باب عمل الختمات والتهاليل ...
آخرها: فحينئذ ينفذ الحاكم له الوصية ولكن أضر
الموصى لهم بنقص حقهم بسبب الرشوة وأضر الحاكم بأخذ
تلك الرشوة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ...

الخط نسخ دقيق معتاد، الحبر: أسود.

اسم النسخ: حسن بن إبراهيم البيطار.

تاريخ النسخ: سنة ١٢٣٧ هـ.

ملاحظات: نسخة حسنة.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، التصوف - وضع محمد

رياض المالح / ١، ٤٩٦، ٤٩٧).

* الختمة:

انظر: ختم القرآن

* الختنية (الزاوية):

انظر: الختنية (المدرسة -)

* الختنية (المدرسة) ٥٨٧:

من مدارس القدس الشريف أعاده الله ديار إسلام. وتقع
جنوب الأقصى. قال عنها الدكتور العسلى:

الختنية مدرسة وزاوية، ويمكن أن تندرج تحت المدارس
أو الزوايا، تماما مثل الزاوية النصرية، للشبه القائم بين
المدارس والزوايا. وقد أثرتا ذكرها مع المدارس لما كان لها
من أهمية بين سائر الزوايا في ميدان التدريس.

تحقيق اسم المدرسة :

سماها مجير الدين في الأنس الجليل (٢/ ٣٤) الزاوية الختنية ، وكذلك سماها عارف العارف وكثيرون ممن أخذوا عن مجير الدين . غير أن الاسم الصحيح للمدرسة إنما هو الختنية نسبة إلى الشيخ الختني الذي كان شيخا لهذه الزاوية في القرن الثامن . وقد أشار العمرى إلى هذه الزاوية عند زيارته للمسجد الأقصى سنة ٧٤٣ فقال : « قال صاحب تاج الدين : هذا المسجد (ويقصد اصطبل سليمان) بناؤه أعجب وأتقن من المسجد الذي أعلاه . وله من داخل الخانقاه الصلاحية (يعنى المجاورة لمقصورة الخطابة وبها الآن شيخ يعرف بالختني ، وبه تعرف الآن) سلمان » . ويضيف العمرى في الصفحة التالية : « قلت ولقد دخلت إلى بعض هذه الأماكن . ورأيت من عجائب الأبنية ما يملأ العين . وكان دخولي إليها من الزاوية المعروفة بسكن الختني ، ثم أفضت منها إلى الكروم وظاهر المسجد » (أخذ العمرى معظم وصفه للمسجد الأقصى عن صاحب أحمد بن أمين الدين في كتابه «سلسلة العسجد في صفة الأقصى والمسجد» .

ويؤكد هذه التسمية - الختنية - سجلات المحكمة الشرعية بالقدس التي أوردته كذلك ، كما تؤكد سجلات الأراضي المحفوظة برئاسة الوزراء في استانبول . وهذا يقطع بأن الاسم الصحيح للمدرسة هو الختنية ، لا الختنية . وورد اسم الختنية كذلك في الكواكب السائرة ، وفي «المعاهد المصرية في بيت المقدس» للخالدي وفي «بلادنا فلسطين» للدباغ . كما أن مجير الدين نفسه يسميها الختنية في مواضع أخرى من كتابه .

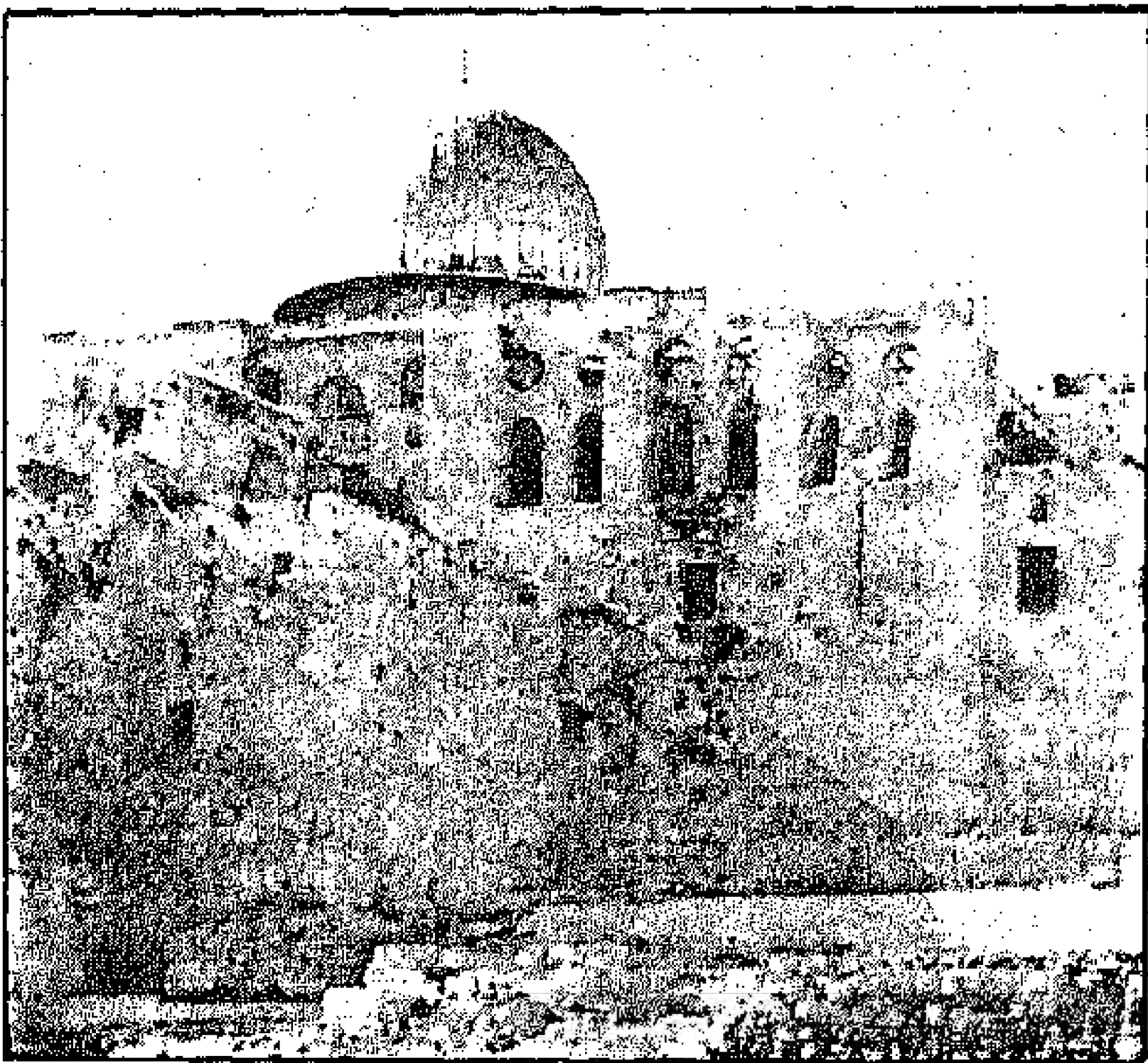
وقف هذه المدرسة / الزاوية السلطان صلاح الدين الأيوبي على رجل من أهل الصلاح هو الشيخ العابد المجاهد جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد الشاشي المجاور في بيت المقدس ثم من بعده على من يحذو حذوه . وتاريخ الوقف ١٨ ربيع الأول سنة ٥٨٧ . ومما كان موقوفا على المدرسة في القرن العاشر دار بخط باب القطانين .

تقع الزاوية خارج السور الجنوبي للمسجد الأقصى خلف منبر نور الدين بالضبط . ولها باب بجوار المنبر . وبنائها قديم

من زمن الروم ، كما يقول مجير الدين . وقد طرأت عليه تغييرات وإضافات كثيرة ، كان من بينهما غرف مستجدة وأخيرا دورة مياه . وقد تبين أن المدرسة احتفظت ببعض بقاياها من عقود وشبابيك حتى الآن ، ويعتقد الأستاذ حسن عبد الوهاب ، العالم الأثري ، أن المدرسة الختنية بنيت فوق باب قديم من أبواب الحرم ، وهو الباب المعروف باسم باب النبي . ولذلك فإن المدرسة حجت هذا الباب وشوخته لأنها قائمة في وجهه .

ممن زار الختنية في القرن الثامن الرحالة المغربي الكبير محمد بن بطوطة . فقد ذكر ابن بطوطة الشيخ الختني في زيارته الثانية للقدس سنة ٧٤٩ وسمى زاويته زاوية المسجد الأقصى ، وهو يقول في ذلك «وجدت من كنت أعهده من جميع الأشياخ بالقدس قد انتقلوا إلى جوار الله تعالى رحمهم الله ، فلم يبق منهم إلا القليل مثل المحدث العالم الإمام صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلاني ومثل الصالح شرف الدين الختني شيخ زاوية المسجد الأقصى (هو الختني والأمر لا يعدو أن يكون تصحيفا من النساخ) .

تولى مشيخة الختنية ، إلى جانب الشياخين الشاشي والختني ، المشار إليهما أعلاه ، كثير من الشيوخ الأعلام منهم



المدرسة الختنية جنوب الأقصى

شيخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن حسن... بن علي بن أرسلان الرملي الشافعي (٧٧٥ - ٨٤٤). وقد قدم القدس من الرملة وانقطع بالزاوية الختنية وتوفي بها ودفن بماميل. والشيخ أرسلان يرجع بنسبه إلى قبيلة كنانة. وكان له جامع بمدينة الرملة وولى تدريس الخاصكية بها مدة طويلة، كما أنه عمر برجا على شاطئ يافا. وقد كان من كبار الأئمة وأخذ عنه كثير من العلماء. وله كتب في الفقه والنحو والتفسير وعلم القراءات والحديث. وجمع طبقات الفقهاء الشافعية (الأنس الجليل ٢ / ١٧٤، ١٧٥).

ومن شيوخها أيضا شيخ الإسلام برهان الدين أبو إسحاق ابن زين الدين الأنصاري الخليلي الشافعي. درس الفقه في الزاوية الختنية. وعرض عليه مجير الدين الحنبلي قطعة من كتاب المقنع سنة ٨٧٣. وبقي مقيما في الزاوية حتى سنة ٨٧٩، حين طلب إلى القاهرة وتوفي في الخليل سنة ٨٩٣. وتلاه في المشيخة بعد رحيله إلى القاهرة ابنه: شهاب الدين أبو العباس أحمد. وقد ولد سنة ٨٤٦ وكان ما يزال في المشيخة سنة ٩٠٠. وقد نسخ الشيخ أحمد مخطوطة «الفتح القسي في الفتح القدسي» للعماد الأصفهاني بمنزله في الختنية سنة ٨٧٤ (وهذا المخطوط محفوظ الآن في مجموعة جازيت بمكتبة جامعة برنستون الأمريكية تحت رقم ٥٨٧).

وممن تولى مشيخة الختنية في أوائل القرن الثاني عشر الشيخ أحمد العلمي وكان يسكن في المدرسة.

كان بناء الزاوية في المدة الأخيرة يستعمل سكنا لموظفي المسجد الأقصى وتشير التقارير إلى أن مبنى الختنية بات معرضا للانهدام من جراء الحفريات التي قامت بها السلطات الإسرائيلية تحت السور الجنوبي للحرم، مما يهدد السور كله وقد امتدت الحفريات إلى أسفل المدرسة التي حفر تحتها نفق طويل.

(معاهد العلم في بيت المقدس - د. كامل جميل العسلي / ١٠١ -

١٠٣).

«الخجندی:

قال السمعاني:

الخجندی: بضم الخاء وفتح الجيم وسكون النون وفي

آخرها الدال، هذه النسبة إلى خجند، وهي بلدة كبيرة كثيرة الخير على طرف سيعون من بلاد المشرق ويقال لها بزيادة التاء خجندة أيضا، فتحت سنة ثلاث ومائة في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان، خرج منها جماعة من أهل العلم في كل فن، منهم أبو عمران موسى بن عبد الله المؤدب الخجندی، كان أديبا فاضلا صاحب حكم وأمثال، حدث عن أبي النضر بن أحمد بن الحكم البزاز السمرقندی بكتاب التفسير للكلبي، ذكره أبو سعد الإدريسي في كتاب تاريخ سمرقند وقال: أبو عمران المؤدب الخجندی، كنت في مكتبه بسمرقند، وكان حكيما - كتب عنه من حكمته شيء غير قليل، ودون عنه كتب كثيرة، لم أسمع يذكروا من حكمه ولم أعلقها عنه فلما مات سمعت جملة من حكمه من محمد بن عبد الكريم بن علي الطبري، أظنه مات بها - يعني بسمرقند - قبل الستين والثلاثمائة.

وأبو زكريا يحيى بن المفضل الوراق الخجندی، كان من كبار الناس، ممن جمع الآثار وجمع وخرج الكثير ورحل، وصنف كتابا في الصحابة وجوّد، يروى عن هارون بن سعيد القرشي وسعيد بن هاشم الكاغدي وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي وغيرهم، (وفي الرحلة) من قتيبة بن سعيد وصالح بن مسمار الكشميهني وعبد الله بن سلام وعبد الله بن أبي عرابة الشاشيان، روى عنه محمد بن حمدويه الشاشي وأبو سلمة أحمد بن حامد السمرقندی.

وأبو حفص عمر بن هارون بن طالب الخجندی، شيخ صالح، مليح الشبهة، حسن السيرة، من مشايخ الصوفية، من أهل خجند سكن حلب بالشام، سمع ببغشور القاضي أبا سعيد محمد بن علي بن أبي صالح الدباس، وببغداد أبا سعد عبد الجليل بن محمد بن الحسن الساوي. وبمكة أبا محمد عبد الملك (بن الحسن) بن بتة الأنصاري، وغيرهم، ولم يكن له أصل بما سمع - على ما جرت به عادة الصوفية - رأيته أولا ببغداد، ثم بحلب في سنة خمس وثلاثين، وكتبت عنه أبياتا من الشعر.

وأبو عبد الله سلمان بن إسرائيل بن جابر بن قطن بن حبيب بن أبي حبيب الخجندی سمع عبد بن حميد الكشي وفتح بن عمرو الوراق وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي

وأبو الفضل أحمد بن يعقوب بن عفير بن الجنيّد بن موسى التميمي الخجندی، ذكره الحاکم أبو عبد الله الحافظ في التاريخ وقال: أبو الفضل الخجندی، شيخ هرم كبير السن، كان يذكر أنه جاور بمكة حرسها الله سنة سبع وخمسين ومائتين، وسمع حديث ابن أبي مسرة وعلى بن عبد العزيز وأن كتبه ذهبت فسألناه الحديث في المسجد الجامع، فأملی علينا من حفظه وذكر حديث: «الحياء والإيمان في قرن واحد» بروايته عن أبي سعيد بن عليّ البصري عن خراش عن أنس رضي الله عنه، ثم قال حدثنا بهذا الحديث في شوال سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وذكر أن عنده عن يوسف القاضي وأقرانه.

(الأنساب للسمعاني ٢ / ٣٢٧، ٣٢٨: انظر أيضا اللباب لابن الأثير ١ / ٤٩٥).

إبراهيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد - ثلاث
محمد بن - الخجندی، بضم الخاء وفتح الجیم، ثم المدني،
برهان الدين، أبو محمد، ابن العلامة جلال الدين أبو الطاهر
أحد الأفاضل الأعيان، الذين سار يذكرهم الركبان.

ولد سنة تسع وسبعين وسبعمائة. وسمع ابن صديق،
والمراغي، وأجاز له التتوخي، وابن الذهبى. ودرس، وصنف

كذا عده الحافظ جلال الدين السيوطي في «أعيان الأعيان».

وحيث غير مرة .

وبرع في العربية، وتعانى الأدب، وجمع لنفسه «ديوانا»، وأنشأ عدة رسائل، بحيث انفرد في بلده بذلك.

وكان يترسل مع سميّه البرهان الباعوني، وكان يكتب
الخط الجيد. وقد درّس، وحذّث بالبخاري، وغيره.

وقرأ عليه ولده، وسمع منه الطلبة، ولقيه البقاعي، فكتب عنه وزعم أن جيد شعره قليل، ينتقل من بحر إلى بحر، ومن لجة إلى قفر. قال: وهو بالعربية غير واف، وكثير منه سفساف، وربما انتقل من الحضيض إلى السها، كأنه ليس له.

قال السخاوي : إنما هو في مدح الناس ، وإذا قال في الغرام أجاد وذكر أنه رأى له في بعض الاستدعاءات مكتوباً قوله :

أَجَزْتُ لَهُمْ أَبْقَاهُمْ اللَّهُ كَلِمًا
رَوَيْتُ عَنِ الْأَشْيَاحِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
وَمَالِي مِنْ نَشْرٍ وَنَظْمٍ بِشَرْطِهِ
عَلَى رَأْيٍ مَنْ يَرَوِي الْحَدِيثَ وَمَنْ يَقْصِرُ
وَأَسْأَلُ إِحْسَانًا مِنَ الْقِسْمِ دَعْوَةً
تَحْقِيقَ لِي الْأَمْوَالِ وَالْأَمْنِ فِي الْحَشْرِ

ثم قال: وكان فاضلاً، بارعاً، ناضجاً، ناثراً، بليغاً، كياساً، حسن المجالسة، محباً للفائدة، لطيف المحاضرة، كثير النوادر والملح، ذا كرم زائد، وآداب وغرائب.

ومات في ثاني رجب، من التاريخ المذكور، ودفن من يومه بالبقيع، بعد الصلاة عليه بالروضة. رحمه الله تعالى.

وأورد من شعره المقرئ في «عقوده» (يعني «درر العقود الفريدة») قوله:

كُنْ جَوَابِي إِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي
لَا تَرُدَّنَّ لِلْجَوَابِ كِتَابِي
أَعْنِي مِنْ نَعَمٍ وَسَوْفَ وَلِي شُغْرِي
وَكُنْ خَيْرَ مَنْ دُعِيَ فَأَجَابِي

(الطبقات السنية في تراجم الحنفية لتقى الدين الغزي - تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ١/ ٢٠٣ - ٢٠٥. انظر أيضاً الأعلام للزركلي ١/ ٢٩)

* الخجندی (إبراهيم بن محمد) (٨٥٢-٨٩٨ هـ):

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابن العلامة جلال الدين أحمد بن محمد بن محمد بن محمد، البرهان، أبو إسحاق الخجندی، المدني. ولد يوم الجمعة، عاشر جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة بطيبة، ونشأ بها، فحفظ القرآن الكريم و«الكنز»، وأخذ في الفقه ببلده عن أخيه الشهاب أحمد، والفخر عثمان الطرابلسي، وفي العربية، وعلم الكلام عن الشهاب ابن يونس المغربي، وكذا أخذ في «شرح العقائد» عن السيد السمهودي، وسمع على أبيه، وأبي الفرج المراغي، وقرأ بمكة في منى على النجم بن فهد «الثلاثيات»، ودخل القاهرة مراراً، أولها في سنة أربع وسبعين، وسمع بها على الشاوي (في الضوء اللامع «النشأوي») والديمي، وأجاز له جماعة، وأخذ بها عن الزين قاسم، والعضد السيرامي الفقه (في الضوء اللامع «والعضد السيرامي»)، وغيره، وعن النظام الفقه والأصول، والعربية، وعن الجوجري العربية، وكذا قرأ فيها على الزيني زكريا شرحه لشذور الذهب، ولازم الأمين الأقصري في فنون عديدة.

قال السخاوي: وأكثر أيضاً من ملازمتي رواية ودراية، ثم كان ممن لازماني حين إقامتي بطيبة، وقرأ على جميع «ألفية العراقي»، بحثاً وحمل عني كثيراً من «شرحها» للنظام سماعاً، وقراءة، وغير ذلك من تآلفي ومروياتي، وأذنت له على الوجه الذي أثبتته في ترجمته، من «تاريخ المدينة». وقد ولي إمامة الحنفية بالمدينة الشريفة بعد أخيه. إلى أن قال: ونعم الرجل فضلاً، وعقلاً، وتسواضعاً، وسكوناً، وأصلاً. انتهى.

ومات في سنة ثمان وتسعين وثمانمائة. رحمه الله تعالى.
(الطبقات السنية في تراجم الحنفية لتقى الدين الغزي تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ١/ ٢٥١، ٢٥٢.
انظر أيضاً الضوء اللامع لشمس الدين السخاوي ١/ ١١٩، ١٢٠).

* الخجندی (حامد) (٢٩٠ هـ / ١٠٠٠ م):

أبو محمود حامد بن الخضر من علماء الرياضيات المسلمين قال عنه قدرى حافظ طوقان رحمه الله:
جاء في كتاب «آثار باقية»: أن «أبا محمود» لم يعرف إلا من كتاب «المبادئ والغايات في علم الميقات»، لأبي الحسن علي المراكشي، من تعريف الآلة المسماة «سدس التحري»، التي استعملها صاحب الترجمة.
ويذكر بركلمان نقلاً عن سوتر: أنه توفي سنة ٣٩٠ هـ - ١٠٠٠ م.

و «الخجندی» من الرياضيين الذين ظهوروا في القرن الرابع للهجرة (حوالي سنة ١٠٠٠ م)، ومن كبار علماء الهيئة. وهو أيضاً من الذين قالوا: بأن مجموع مكعبين لا يكون مكعباً، وقد برهن عليها، ولكن برهانه غير تام.
ويقول «كاجوري»: إن برهانه لم يعثر عليه، وقد يكون غير صحيح (تاريخ الرياضيات / ١٠٦).

واشتغل بالمثلثات الكروية. جاء في «كتاب شكل القطاع لتصير الدين الطوسي» ما يلي: وقد لقب أبو محمود الخجندی «هذا الشكل بقانون الهيئة»، وسبب تسمية هذا

الشكل بذلك، هو كثرة استعماله في علم الهيئة. «وقد حسب دائرة البروج ٢١ ٣٢ ٢٣ ربع أحد أضلاعه مقسوم ثوانى...».

(يعني بهذا الشكل مايلي: «... نسبة جيوب الأضلاع (في المثلثات الحاد الزوايا والمنفرج الزاوية) بعضها إلى بعض، كنسبة جيوب الزوايا المؤثرة بتلك الأضلاع بعضها إلى بعض...»)

وللخجندی «كتاب الآلة الشاملة في الفلك».

«رسالة في تصحيح الميل وعرض البلد».

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك - قدرى حافظ طوقان/ ٢٧٣).

* الخجندی (محمد) (٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م):

محمد بن عبد اللطيف بن محمد المهلبى الأزدي الأصفهاني، أبو بكر صدر الدين الخجندی الشافعي، صدر العراق في زمانه علما ومهابة. كان السلاطين يصدرون عن رأيه. ورد بغداد وتولى تدريس النظامية ووعظ بها وبجامع القصر. وكان أشبه بالوزراء منه بالعلماء، يمشى أو يجلس للدرس والسيوف حوله مشهورة. خرج من بغداد إلى أصبهان فنزل بقرية بين همذان والكرخ فنام وهو في عافية وأصبح ميتا، فحمل إلى أصبهان ودفن بسيلان. من تصنيفه «التلويح» مخطوط في النجف، اختصر به قانون ابن سينا وزاد فيه فوائد.

(الأعلام للزركلى ٦ / ٢١٧)

قالت المؤلفة: له أيضا كتاب «تشریح الأبدان» وقد أفردنا له مادة خاصة تحت عنوانه في م ٩ / ٣٨١ - ٣٨٣ مع صورة للمخطوط ص ٣٨٢ فانظرها في موضعها.

* الخدّاباذى:

قال السمعاني:

الخدّاباذى: بضم الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة والباء المنقوطة بواحدة بين الألفين وفي آخرها الدال، هذه النسبة إلى خدّاباذ وهي قرية من قرى بخارا على خمسة فراسخ منها على طرف البرية، وهي من أمهات القرى، خرج منها

جماعة من العلماء، منهم أبو إسحاق إبراهيم بن حمزة بن بنكى ابن محمد بن على الخدّاباذى، كان إماما فاضلا صالحا ورعا عاملا بعلمه، خرج إلى الحجاز في حدود سنة خمسمائة وركب البادية من طريق البصرة وقطع عليهم الطريق وحصلوا بمكة وجاور هو وابنه أبو المكارم حمزة بن إبراهيم وخرج إلى المدينة وتوفي بها في سنة إحدى وخمسمائة؛ وانصرف ابنه أبو المكارم حمزة بن إبراهيم الخدّاباذى إلى خراسان، وخرج إلى ما وراء النهر ورجع إلى خراسان وتفقّه على شيخنا الإمام إبراهيم بن أحمد المروروذى، وكان حسن السيرة متعبدا دائم التلاوة، سمع ببخارى أبا القاسم على بن أحمد بن إسماعيل الكلّاباذى وأبا بكر محمد بن الحسن بن حفصويه السوسقاني وأبا على طاهر ابن أحمد الإسماعيلي، وبمرو أبا الفضل محمد بن أحمد بن حفص الماهياني وأبا يعقوب يوسف بن أيوب الهمذاني، وبمكة أبا محمد عبد الملك بن بتة الأنصاري وغيرهم، سمعت منه أحاديث يسيرة ببخارى، وكانت ولادته في سنة ست وثمانين وأربعمائة ببخارى.

(الأنساب للسمعاني ٢ / ٣٢٩. انظر أيضا الباب لابن الأثير ١ /

٤٩٥).

* أبو خدّاش الشرعبي:

قال عنه ابن عبد البر:

أبو خدّاش الشرعبي حبان بن زيد، شامي. لا تصح له صحبة، ذكره بعضهم في الصحابة لحديث رواه عن ابن محيريز، عن أبي خدّاش السلمى. رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: غزوت مع النبي ﷺ فسمعتة يقول: الناس شركاء في أسفارهم في ثلاث: الماء، والكلأ، والنار. هذا الحديث رواه معاذ بن معاذ العنبري، ويزيد بن هارون، وثور بن يزيد، عن حريز بن عثمان، عن أبي خدّاش. وسماه بعضهم حبان ابن زيد الشرعبي، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال: غزوت مع النبي ﷺ غزوات فسمعتة يقول: المسلمون شركاء في ثلاث: في الماء، والكلأ، والنار. وهذا هو الصحيح قول من قال: أبو خدّاش، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، لا

قول من قال: عن أبي خدش رجل من أصحاب ﷺ. وقد روى أبو خدش هذا عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

وقال أبو حفص عمرو بن علي الفلاس: سألت يحيى بن سعيد عن حديث ثور بن يزيد، عن حريز (في أسد الغابة: جرير)، عن أبي خدش، فقال: قال لي معاذ: سمعته من حريز فاسأله عنه، فلم أدعه حتى حدثني به، فقال: حدثنا ثور بن يزيد، عن حريز بن عثمان، عن أبي خدش، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال: غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات أو ثلاث غزوات، فسمعتة يقول: المسلمون شركاء في ثلاث: في الماء، والكلاء، والنار.

قال أبو حفص: وسألت عنه معاذ - يعني ابن معاذ العنبري - فحدثني به، قال: حدثني حريز بن عثمان، قال: حدثنا حبان بن زيد الشرعبي، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال: غزوت. قال أبو حفص: ثم قدم علينا يزيد بن هارون، فحدثنا به. قال: حدثنا حبان بن زيد الشرعبي. وهذا الحديث أخبرناه خلف بن القاسم، قال: حدثنا ابن أبي العقب. قال: أخبرنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن رجاء الزبيدي، عن ثور بن يزيد، عن حريز بن عثمان، عن أبي خدش، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: المسلمون شركاء في ثلاث: في الماء، والكلاء، والنار.

(الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر - تحقيق علي محمد البجاوي ٤ / ١٦٣٤، ١٦٣٥).

* الخدامي:

قال السمعاني:

الخدامي: بكسر الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة، وهذه النسبة إلى جده خدام، والمشهور بهذه النسبة بيت كبير سرخس، منهم أبو نصر زهير بن الحسن بن علي بن محمد ابن يحيى بن خدام بن غالب الخدامي السرخسي، كان فقيها فاضلا، يروي عن أبي طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص وغيره، روى عنه جماعة، ووفاته في سنة نيف وخمسين

وأربعمائة. وحفيده أبو نصر زهير بن علي بن زهير الخدامي، حدث بكتاب «تحفة العالم وفرحة المتعلم» للسيد أبي المعالي محمد بن زيد البغدادي عن مصنفه، قرأت عليه جميعه بميمنة وكان يسكنها، وتوفي سنة نيف وثلاثين وخمسمائة. وجماعة إلى الساعة سرخس يتسبون بهذه النسبة، ويبخاري أبو الحسن علي بن محمد بن الحسين بن خدام الخدامي، ينسب إلى جده، وسمعت أنه من هذا البيت أيضا، حدث عن جده لأمه أبي علي الحسين بن الخضر النسفي وأبي الفضل الكاغذي وغيرهما وتوفي (في) سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة، وروى لي عنه صاعد بن مسلم الخيزراني بسارية وأبو جعفر الخلمي ببلخ وأبو المعالي بن أبي اليسر القاضي بمرور وأبو عابت البزدوي بسمرقند وأبو العباس السقناني ببخارى - في جماعة كثيرة سواهم. وبهذه النسبة أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الفقيه من سكة خدام - كذا قال ابن ماكولا، وسكة خدام بنيسابور بمحلة باب عزرة، وهو يعرف بالخدامي من أعيان فقهاء أهل الرأي أبو بشر الخدامي أخوه، سمع بالعراق والشام وخراسان الكثير عن أحمد بن نصر اللباد وأبي بكر بن ياسين وأبي يحيى البزاز وموسى بن هارون وعمر بن سنان المنبجي وغيرهم، روى عنه أبو أحمد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن شبيب بن هارون الشعبي، وأبو إسحاق الخدامي من أجلة فقهاء أصحاب الرأي ومن أزهدهم، ومات في شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

قالت المؤلفة: له ترجمة في الطبقات السنية في تراجم الحنفية لتقي الدين الغزي ١ / ٢٥٥، ٢٥٦، والأعلام للزركلي ١ / ٦٠.

(الأنساب للسمعاني ٢ / ٢٢٩، ٢٣٠ واللباب لابن الأثير ١ / ٤٩٥، ٤٩٦).

* الخدر:

مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في الطب. الخدر من أمراض الرأس عند صاحب النزهة المبهجة. قال عنه:

الخدر نقصان حس الأعضاء أو بعضها لسدة تحبس الروح غير تام وكأنها مبادئ السكتة وقد يكون لالتواء عضو أو انضغاط عصب أو خطأ في نحو فصد وقطع يصيب العصب وأسبابه أسباب السكتة لكن إذا كانت ضعيفة وعلامات كل معلومة. (العلاج) ما كان منه عن إيذاء عصب فلا علاج له وإلا لازم على أكل الزنجبيل والشبث واستعمال الفلفل الأسود بالزيت مطلقا وما ذكر في الرعشة وترياق الذهب مجرب وكذا شرب مرارة البقر مع وزنها شريح اهـ.

(النزلة المبهجة في تشخيص الأذهان وتعديل الأمزجة لداود بن عمر الأنطاكي. بهامش تذكرة أولى الألباب للمؤلف نفسه ١٢٥ / ٢، ١٢٦).

* خدم رسول الله ﷺ:

قال الإمام النووي عن خدم رسول الله ﷺ:

منهم أنس بن مالك وهند وأسماء ابنا حارثة الأسلميان. وربيعة بن كعب الأسلمي وكان عبد الله بن مسعود صاحب نعليه إذا قام ألبسه إياهما وإذا جلس حطهما وجعلهما في ذراعيه حتى يقوم. وكان عقبة بن عامر الجهني صاحب بغلته ﷺ يقود به في الأسفار. وبلال المؤذن، وسعد مولى أبي بكر الصديق، وذو مخمر ويقال مخبر بالباء الموحدة ابن أخي النجاشي ويقال ابن أخته، وبكير بن سراح الليثي ويقال بكير، وأبو ذر الغفاري، والأسلع بن شريك بن عوف الأعرجي، ومهاجر مولى أم سلمة، وأبو السجع رضي الله عنهم (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٢٩ ونور الأبصار ٨٥).

وقد صاغها نظما الحافظ العراقي في ألفيته في باب ذكر خدامه من الرجال والنساء مما تنقله لك فيما يلي مشفوعا بشرح الإمام عبد الرزاق المناوي:

فأنس ألزمهم للخدمة

أسماء هند ولدا حارثة

كلدا بلال عقبة بن عامر

سعد فتى الصديق مع ذي مخمر

ربيعة مع ابن مسعود أبسو

ذر بكير وليث نسبوا

ابن شريك أسلع فأربس

كلدا ابن مسالك والاسم الأسود

وابن أخيه الجدرجان جزر

لسه بخدام النبي ذكر

وسابق وسالم قد ذكرا

وقيل سلمى واعدد المهاجرا

قيس بن سعد أيمن ثعلبة

كلدا نعيم بن ربيعة

كلدا أبو السمح أبو الحمراء

أبو عبيد ومن النساء

الشرح: فأول خدامه أنس بن مالك الأنصاري وكان ألزمهم لخدمته وأسماء، وهند ابنا حارثة الأسلميان.

وبلال بن رباح المؤذن، وعقبة بن عامر الجهني كان صاحب بغلته يقود به في الأسفار.

وسعد مولى أبي بكر الصديق؛ وذو مخمر ابن أخي النجاشي أو ابن أخته؛ وربيعة بن كعب الأسلمي، وعبد الله ابن مسعود وكان صاحب نعله ووسادته، وأبو ذر الغفاري، وبكير بن شريح الليثي ويقال بكير، وأسلع بن شريك كان صاحب راحلته؛ وأريد قيل هو ابن حمير وقيل غيره، والأسود ابن مالك الأسدي، وابن أخيه الجدرجان بن مالك وقيل إنما هو أخوه، وجزر بن الجدرجان ذكره ابن منده في خدام النبي عليه السلام، وسالم على ما ذكره ابن عبد البر؛ وقيل لا يصح سابق في الصحابة وذكر بعضهم أن من خدامه سلمى وقيل هو سالم المذكور وقيل هو أبو سلمى وقيل أبو سلام، ومهاجر مولى أبي سلمى، وقيس بن سعد بن عبادة كان من المصطفى بمنزلة صاحب الشرطة من السلطان، وأيمن ابن أم أيمن، وثعلبة بن عبد الرحمن الأنصاري، ونعيم بن ربيعة بن كعب،

وأبو السَّمْح قَيْل واسمه إِيَاد، وأبو الحَمْرَاء هَلَال بن الجُرْث أو هَلَال بن ظَفَر، وأبو عُبَيْد قاله ابن عبد البر قَيْل خَادِمه وقِيل مَوْلَاه ولم أَقِف على اسمِه، وقول الناظم من النساء يَأْتِي شرحه .

مَارِيَّة اثْنَتَان مع رَزِينِه

وَأُمِّة الله لَهُـذِه ابْنُهـ

صَفِيَّة وَخَوْلَة وَخَضِرَة

سَلْمَى وَأُم أَيْمَن بـرَكـهـ

وَأُم عَبَّاس كَذَا مِيْمُونِهـ

وفى المـوالى ذكـرت ذى الخمسـهـ

الشرح : وخدامه من النساء مارية، وهما اثنتان مارية جدة المثنى بن صالح لها حديث فى الكوفيين رواه أبو بكر بن عياش عن المثنى بن صالح عن جدته مارية قالت صافحت رسول الله ﷺ لم أر كفاً ألين من كفه ﷺ، ومارية أم الرباب، لها حديث فى البصريين ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب ثم قال : لا أدرى أهى الأولى قبلها أم لا ؟ وذكرهما ابن عبد البر وغيره وقيل هما واحدة . ورزينة لها حديث فى عاشوراء عند أهل البصرة وبنتها أمة الله، وصفية روت عنها أمة الله حديث فى الكسوف ذكره ابن عبد البر، وخولة، وحضرة، وسلمى، وأم أيمن واسمها بركة وهى حاضنته، وأم عياش، ميمونة، بعين مهملة ثم تحتية ثم شين معجمة كما اقتصر عليه فى التبصير والنور . زاد الشامى : وقيل بـمـوحـدة ومهملة كما فى شرح المواهب .

وقد ذكرت هذه الخمسة فى مواليه ﷺ (العجالة السنية /

٢٥٧، ٢٥٨)

وقد ورد ذكر خدام رسول الله ﷺ فى منظومة سيرة سيد ولد

آدم . قال الناظم السيد عبد الحميد الخطيب :

وكذلك كان لكل من حول الرسـو

ل المصطفى نوع من الخـدمـات

فلأخذ إذن منه للزوار كان

(رباح) مع (أنس) لـسـدى الخـلـصـات

وكذلك (أنسة) كذلك (ومالك

والأشعـرى) فى نـسـادر الأوقـات

و (ربيعة) قد كان يلزم بابـهـ

لقضاء ما يحتاج من طلبات

ولـه يـرافق حـاضـرا ومـسـافـرا

فى كـافـة الغـدوات والـروحـات

و (بريرة) خصت لتقديم السوا

ك إـلـيـه عـند الصـحـو من غـفـلات

وكذلك (كركوكة) على أثقاله

إن ما أراد السير للرحلات

ويـقـود راحـلة النبى بكل إخـمـ

لاص بحال الحرب فى الحـومـات

وهو الذى قد قيل عنه بأنه

فى (خيبر) قد غل من شـمـلات

وكذلك (كثوم بن هـدم وابن عـو

ف أسلع) خـدمـالـه النـاقـات

وكذلك (عقبة بن عامر) كان يخـمـ

دم مالـه أهـدى من البـغـلات

ويـقـود بـغـلـتـه ويمشى تحـتـهـ

ولـه يـؤدـى واجب الخـدمـات

وكذلك سائق بـدنه هم (خالد

حسان ناجية) بلا ريبات

وكذلك فى رعى اللقـاح (عـرـيـبـ

مع ذر الغـفـارى) فى ربى الفـلـوات

(سيرة سيد ولد آدم / ٩٢، ٩٣) .

(تهذيب اللغات والأسماء للإمام محبى الدين بن شرف النووى / ١

٢٩، ونور الأبصار للشيخ الشبلنجي ط دار الغد العربي / ٨٥ والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للزيني العراقي، للإمام الشيخ عبد الرزاق المناوي - قام بتصحيحه والتعليق عليه فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري / ٢٥٧، ٢٥٨، وسيرة سيد ولد آدم محمد ﷺ - نظم السيد عبد الحميد الخطيب / ٩٢، ٩٣.

* خدم مسجد رسول الله ﷺ:

ذكرهم السيد عبد الحميد في منظومته المستفيضة فقال:
وكذلك كان يضيء مسجده (سرا
ج أبو البراد) بساعة الظلمات
مولى تميم من دعا طه له
بالنور في الدنيا وفي الميقات
وكذلك كانت أم محجن تنقل الأ
قذار في بعض من الأوقات
من مسجد المختار حتى أنه
قد خصها في القبر بالصلوات
(سيرة سيد ولد آدم محمد ﷺ - نظم السيد عبد الحميد الخطيب /
٩٥).

* خديجة أم المؤمنين (٢٨-٣ ق هـ / ٥٥٦-٦٢٠):

خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم من بنى عامر بن لؤى تزوج رسول الله ﷺ خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة وهي أم أولاده كلهم رضي الله عنهم إلا إبراهيم رضي الله عنه فإنه من مارية القبطية ولم يتزوج رسول الله ﷺ قبل خديجة غيرها ولا تزوج في حياتها غيرها وبقيت معه ﷺ أربعاً وعشرين سنة وأشهرًا ثم توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل بخمس وقيل بأربع والصحيح الأول وكانت وفاتها بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام روى البخاري في صحيحه في باب مناقب خديجة رضي الله عنها عن عروة عن عائشة قالت تزوجني رسول الله ﷺ بعد خديجة بثلاث سنين. وروى البخاري أيضا في باب مناقب عائشة عن عروة قال توفيت خديجة قبل مخرج رسول الله ﷺ إلى

المدينة بثلاث سنين فلبث سنتين أو قريبا من ذلك فنكح عائشة وهي بنت ست وبنى بها وهي بنت تسع سنين: وذكر الزهري وخلائق من العلماء أنها أول من أسلم وأمن بالنبي عليه السلام. ونقل الثعلبي الإجماع عليه وقيل أبو بكر وقيل غير ذلك.

ولخديجة مناقب كثيرة في الصحيح معروفة منها عن علي رضي الله عنه عن النبي عليه السلام قال «خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة» رواه البخاري ومسلم في صحيحهما. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أتى جبريل النبي عليه السلام فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام طعام أو شراب فإذا هي أتتك فأقرأ عليها السلام من ربى ومنى وبشرها ببیت فی الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» رواه البخاري. وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت «كان النبي ﷺ يكثر ذكر خديجة» وفي مسند أبي يعلى الموصلي بإسناد حسن عن ابن عباس قال «قال رسول الله ﷺ أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون. وفي تاريخ دمشق عن ابن عباس وعائشة أن كنية خديجة أم هند كنيبت بولدها من أبي هالة. وروينا في تاريخ دمشق أن خديجة كانت تسمى في الجاهلية الطاهرة قالوا وكانت قبل النبي ﷺ زوجة لعتيق بن عائد المخزومي فمات عنها وله منها ولد ثم تزوجها أبو هالة مالك وقيل هند بن زرة وقيل تزوجها أبو هالة قبل عتيق ثم تزوجها رسول الله ﷺ ولها يومئذ خمس وأربعون سنة وقيل ثمان وعشرون وقيل أربعون وفي تاريخ دمشق أنها توفيت في رمضان سنة عشر من النبوة وهي بنت خمس وستين سنة ودفنت بالحجون ونزل النبي ﷺ في حفرتها وذلك بعد خروج بنى هاشم من الشعب بيسير.

(تهذيب الأسماء واللغات / ٤، ٣٤١، ٣٤٢)

لقد قضى رسول الله ﷺ معها زهرة شبابه فلم يتزوج عليها، ولا أحب أحدا مثل حبه لها، وظل طول عمره يذكرها، ويكرم أصدقاءها ومعارفها، وزارته مرة عجوز في بيت عائشة فأكرم مشاها وبسط لها رداءه فأجلسها عليه فلما انصرفت سأله

عائشة عنها لتعلم سبب إكرامه لها فأخبرها أنها كانت تزور خديجة، وقد صح عن عائشة أنها غارت منها وهي لم ترها حتى تجرأت مرة عليه عند ذكرها فقالت له: هل كانت إلا عجوزا أبدلك الله خيرا منها؟ - تعنى نفسها وكانت تدل بجداثة سنّها وجمالها وكونه ﷺ لم يتزوج بكرا غيرها وبكونها بنت صديقه الأكبر أبى بكر رضى الله عنه وعنّها - قالت فغضب وقال « لا والله ما أبدلنى الله خيرا منها: آمنت بى إذ كفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء» قالت: فقلت فى نفسى لا أذكرها بعدها بسيئة أبدا رواه ابن عبد البر والدولابى.

وروى الشيخان عنها أنها قالت: ما غرت على أحد من نساء النبى ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها قط ولكن كان النبى ﷺ يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق خديجة (أى صديقاتها من النساء) وربما قلت له لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول «إنها كانت وكانت، وكان لى منها ولد» زاد فى رواية: قالت وتزوجنى بعدها بثلاث سنين، وفى صحيح مسلم عنها: كان إذا ذبح الشاة قال «أرسلوها إلى أصدقاء خديجة» فذكرت له يوما فقال «إنى لأحب حبيبها» وكانت خديجة أعقل العقائل، وفضلّى الفواضل، وكانوا يلقبونها من عهد الجاهلية بالطاهرة وهى أول من آمن بالنبى ﷺ (نداء للجنس اللطيف / ٥٦، ٥٧)

وعن إسلام السيدة خديجة رضى الله عنها يقول الإمام محب الدين الطبرى:

عن الزهيرى قال كانت خديجة رضى الله عنها أول من آمنت برسول الله ﷺ من النساء والرجال خرجة الدولابى أيضا. وعن أبى رافع رضى الله عنه قال ﷺ يوم الاثنين وصلت خديجة آخر يوم الاثنين. وعن ابن عباس رضى الله عنهما مثله. قال ابن اسحاق كانت خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله ورسوله وصدق بمحمد ﷺ فيما جاء به وأزرنه على أمره ذكر كله أبو عمر، وعن الحكم بن عتيبة قال خديجة أول من صدق وعلى أول من صلى إلى القبلة خرجة الحافظ السلفى وعن ابن

عباس رضى الله عنهما قال بعث الله عز وجل محمدا على رأس خمس وستين من بنيان الكعبة فكان أول شىء أراه الله تعالى من النبوة الرؤيا فى المنام فشق ذلك عليه والحق ثقيل والإنسان ضعيف فذكر ذلك رسول الله ﷺ لزوجته خديجة بنت خويلد فعصمها الله عن التكذيب فقالت أبشر فإن الله لا يصنع بك إلا خيرا. قال ابن عباس رضى الله عنه ثم استعلن أى ظهر له جبريل وهو بأعلى مكة من قبل حر (جبل بمكة) فوضع يده على رأسه وفؤاده وبين كتفيه وقال له لا تخف وأجلسه معه على مجلس كريم جميل معجب. وكان ﷺ يقول أجلسنى على بساط كهية الدرنوك (ستر له حمل) فيه من الياقوت واللؤلؤ وبشره برسالة الله حتى اطمأن النبى الله ﷺ ثم قال له اقرأ قال كيف اقرأ قال: «اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم» [العلق: ١ - ٣] فقبل الرسول رسالات ربه واتبع الذى جاء به جبريل من عند رب العرش العظيم فلما قضى الله الذى أمر به أنصرف رسول الله ﷺ منقلبا إلى أهله لا يأتى على حجر ولا شجر إلا وسلم عليه سلام عليك يا رسول الله ورجع إلى بيته وهو موقن قد فاز فوزا عظيما فلما دخل على خديجة رضى الله عنها قال يا خديجة رأيت ماكنت أراه فى المنام وأحدثك به أستعلن وأنه جبريل عليه السلام أرسله ربه وأخبرها بالذى رأى وسمع فقالت أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيرا وأنا أقبل الذى أتاك من الله تعالى فإنه حق وأبشر فإنك رسول الله حقا.

وعن سعيد بن عبد العزيز قال ماجأنا أبو حنيفة رضى الله عنه بشىء أعجب إلينا من هذا قال إن أول من آمن من النساء خديجة رضى الله عنها وأول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأول من أسلم من الغلمان على رضى الله عنه.

ثم يقول عن تسكينها النبى ﷺ وتثبيتته حين مجيء الوحي:

عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ قالت كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة فى النوم كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبيب إليه الخلاء

(السمط الثمين / ١٥-١٧، ١٩)

يقول الزيني العراقي في ألفيته عن وفاة أبي طالب وخديجة بنت خويلد في عام واحد:

بعد خسر وجههم بثلاثي عام
وثلاثي شهر و يوم طامي
سيق أبو طالب للحمام
ثم ثلاث ثلاثة الأيام
موت خديجة الرضى فلم يهن
على الرسول فقد زين وحزن
(العجالة السنية / ٦٠)

ويقول السيد عبد الحميد الخطيب في منظومته المستفيضة عند الكلام على نساء رسول الله ﷺ:

ونسأؤه كثر وأولاهن من
بالنفس واسته وبالثروات
قبل الرسالة وهي أول من به
قد آمنت وفدت به بالمهجرات
أعنى (خديجة) من لها قد أرسل المو
لى السلام فسال العزرات
وفى لها وقدر نباهها
واختصها بالحب والنظرات
إذ لم يفكر في الزواج بغيرها
حتى زوت في الترب بعد ممات
مع أنه قد كان في شرخ الشبا
ب وكان ثمة وافر القنات
وغدت محبتها تعجش بقلبه
فتغار منها أصفر الزوجات
(سيرة سيد ولد آدم / ٣٨)

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي / ٢
٣٤١، ٣٤٢، ونداء للجنس اللطيف - السيد محمد رشيد رضا / ٥٦،
٥٧، والسمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين للإمام محب الدين

فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالي أولات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزود لمثلها ففجأه الحق وهي في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ فقال ما أن بقارئ. قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ حتى بلغ ﴿ما لم يعلم﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة رضى الله عنها فقال زملوني زملوني حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة مالي فأخبرها الخبر وقال قد خشيت على نفسي فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصديق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة أخی أبيها وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة أى ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة بن نوفل يا ابن أخی ماذا ترى وأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذى أنزل على موسى ياليتنى فيها جذعا (أى ياليتنى أكون عند ظهور نبوته) ياليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك قال أو مخرجى هم؟ قال ورقة لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي قال محمد بن إسحاق كان رسول الله ﷺ لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بخديجة رضى الله عنها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقته وتهون عليه أمر الناس حتى ماتت رضى الله عنها. وعن عبد الرحمن بن زيد قال: قال آدم عليه السلام إني لسيد البشر يوم القيامة إلا رجلا من ذريتي نيا من الأنبياء يقال له أحمد فضل على بائنتين زوجته عاونته فكانت له عوناً وكانت زوجتي على عوناً وأعانته الله على شيطانه فأسلم وكفر شيطاني خرجة الدولاى.

أحمد بن عبد الله الطبري / ١٥-١٧، ١٩، والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للزين العراقي، للإمام الشيخ عبد الرزاق المناوي - قام بتصحيفه والتعليق عليه فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري / ٦٠، وسيرة سيد ولد آدم محمد ﷺ - نظم السيد عبد الحميد الخطيب / ٣٨.

انظر أيضا الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني م ٤ - ٦٠ / ٨، والأعلام للزركلي ٢ / ٣٠٢، ونور الأبصار للشيخ الشبلنجي ط دار الغد العربي / ٧٥، و«مناقب السيدة خديجة أولى أمهات المؤمنين» - الأستاذ عبد المنعم محمد عمر. مجلة الأزهر. الجزء الأول، السنة الخامسة والستون، المحرم ١٤١٣ هـ - يولية ١٩٩٢ م / ٤٧-٥١.

* خديجة (مدرسة الست):

ذكرها علي مبارك في المدارس فقال:

هي سوق الزلط على يمنة المار على جامع الزاهد إلى باب البحر. أنشأتها الست خديجة بنت درهم ونصف في سنة ست وعشرين وتسعمائة، وهي عامرة إلى اليوم، وتعرف بجامع شهاب الدين وقد ذكرناه في الجوامع.

(الخطط التوفيقية الجديدة ٦ / ١٥)

ونحن نذكرها تحت عنوان «شهاب الدين (جامع -)» إن شاء الله تعالى.

* الخديجة (مدرسة الست):

قال السمعاني:

الخُدَيْمَنَكْنِي: بضم الخاء المنقوطة وكسر الدال المهملة وفتح الميم وسكون النون وفتح الكاف وفي آخرها نون أخرى، هذه النسبة إلى خديمكن، وهي إحدى قرى كرمينية، على فرسخين منها، تختص بأصحاب الحديث، وبها الجامع والمنبر، رأيت رجلا صالحا من هذه القرية دخل على سمرقند مسلما وقال لي أنا من قرية تتعلق بأصحابكم، وذكر لي حال هذه القرية، والمشهور بالانتساب إليها جماعة، منهم الخطيب أبو نصر أحمد بن أبي بكر محمد يعرف بنيارك بن أبي عبيد أحمد بن عروة بن أحمد بن إبراهيم الخديمكني، ذكره عبد العزيز بن محمد النخشي الحافظ في معجم شيوخه وقال: سمع أبا أحمد أحمد بن محمد بن أحمد بن محفوظ

الورقودي عن الفريسي صحيح البخاري، وسمع أباه، سمعنا منه بخديمكن، وانتخبت عليه شيئا من سماعه من أبيه من كتاب الرقاق لمحمد بن إسماعيل، رأيت عنده كتب جده عن أصحاب البخاري، ثم دخلت كرمينية في شهر رمضان سنة تسع وأربعين وأربعمائة وإذا هو يقرأ عليه الصحيح للبخاري بسماعه عن الورقودي في سنة ثمان أو ست أو سبع وسبعين، وكنت لم أعلم قديما أن عنده الورقودي. وأبو عمر سليم بن مجاهد بن يعش الخديمكني، جالس محمد بن إسماعيل البخاري، يروي عن صالح بن محمد بن مرزوق البصري ومحمد بن عمران بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وسويد بن سعيد الحدثاني وغيرهم، روى عنه ابنه صهيب بن سليم الخديمكني أبو حسان وغيره. وحفيده أبو سعيد يحيى بن معن بن سلم بن مجاهد الخديمكني، يروي عن محمد بن نصر المروزي ونصر بن سيار السمرقندي وغيرهما، حدث بخشوفن سغد، روى عنه أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن محمد البجلي. وأبو هشام عروة بن أحمد بن إبراهيم ابن علي الخديمكني الكرميني، يروي عن محمد بن الضوء ومحمد بن نصر المروزي، روى عنه ابنه أبو عبيد أحمد بن عروة، وتوفي في المحرم سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي / ٢)

٣٣٢، ٣٣٣. انظر أيضا اللباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد

الواحد، ١ / ٤٩٨.

* الخدلان والتخلية:

من الأغراض البلاغية التي ذكرها الزمخشري لأسلوب الأمر الخدلان والتخلية.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨] وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنْ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٥].

يقول الزمخشري (الكشاف / ٣٨٩) بصدد تفسيره للآية الأولى: وقوله ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ من باب الخدلان والتخلية، كأنه قيل له: إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة

قوله عليه الصلاة والسلام «الخراج بالضمان» (مسند أبي داود، كتاب البيوع / ٧١، الترمذي: بيوع / ٥٣ - ٦٥ النسائي: بيوع / ١٥، ابن ماجه: تجارات / ٤٣) قالوا: هو غلة العبد يشتريه الرجل فيستغله زمانا، ثم يعثر منه على عيب دلّسه البائع (أي كتمه وأخفاه) ولم يطلعه عليه، فله رد العبد على البائع والرجوع عليه بجميع الثمن. والغلة التي استغلها المشتري من العبد طيبة له، لأنه كان في ضمانه ولو هلك هلك من ماله، وكان عمر رضى الله عنه، أمر بمسح السواد ودفعه إلى الفلاحين الذين كانوا فيه على غلة كل سنة، ولذلك سمى خراجا، ثم بعد ذلك قيل للبلاد التي فتحت صلحا ووظف ما صولحوا عليه على أرضهم، خراجية، لأن تلك الوظيفة أشبهت الخراج الذي لزم الفلاحين، وهو الغلة، لأن جملة معنى الخراج الغلة، وفي الحديث «أن أبا طيبة لم حجم النبي ﷺ، أمر له بصاعين من طعام وكلم أهله، فوضعوا عنه من خراجه أى من غلته» (معجم البلدان ١ / ٤٠، ومن كتاب معجم البلدان ١ / ١٣٦، ١٣٧).

قال ياقوت: السواد يراد به رستاق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، سمى بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار (معجم البلدان ٣ / ٢٧٢) ونفرد له مادة خاصة في حرف السين إن شاء الله تعالى.

وقد أفرد الإمام الماوردي الباب الثالث عشر من «الأحكام السلطانية لوضع الجزية والخراج، وبين الأوجه التي يفترقان فيها فقال:

وأما الأوجه التي يفترقان فيها: فأحدها أن الجزية نص وأن الخراج اجتهاد والثاني أن أقل الجزية مقدر بالشرع وأكثرها مقدر بالاجتهاد، والخراج أقله وأكثره مقدر بالاجتهاد. والثالث أن الجزية تؤخذ مع بقاء الكفر وتسقط بحدوث الإسلام، والخراج يؤخذ مع الكفر والإسلام. فأما الجزية فهي موضوعة على الرؤوس واسمها مشتق من الجزاء، إما جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغارا، وإما جزاء على أماننا لهم لأخذها منهم رفقا. والأصل فيها قوله تعالى:

فمن حقت إلاتؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه - مبالغة في خذلانه وتخليته وشأنه، لأن لا مبالغة في الخذلان أشد من أن يبعث على عكس ما أمر به، ونظيره في المعنى قوله: ﴿متاع قليل ثم مأواهم جهنم﴾ [آل عمران: ١٩٧].

ومن الأمر لهذا الغرض أيضا قوله تعالى: ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ [الزمر: ١٥].

يقول الزمخشري: المراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية (الزمخشري ٤ / ٣٩٢).

(النظم القرآني في كشف الزمخشري - د. درويش الجندی / ٦٩)

*الخرابي:

قال السمعاني:

الخرابي: بفتح الخاء المعجمة والراء وفي آخرها الباء المنقوطة بواحدة، هذه النسبة إلى موضع ببغداد يعرف بخراب المعتصم، والمشهور بالانتساب إليه بكر محمد بن الفرج المقرئ الخرابي البغدادي، حدث عن محمد بن الفرج الرقيقى ومحمد بن إسحاق المسيبي، حدث عنه ابن مجاهد وأبو الحسين المنادي قاله ابن ماكولا.

(الأنساب للسمعاني ٢ / ٣٣٥ واللباب لابن الأثير، ١ / ٤٩٩).

*الخراج:

الخراج لفظة عرفت منذ الأيام الأولى للإسلام وتعنى الضريبة السنوية المفروضة على الأراضي التي تزرع حبوبا ونخيلا وفاكهة، يدفعها المزارع للمقطع صاحب الأرض الإقطاعية ليؤديها بدوره إلى خزانة الدولة بعد استقطاع مختلف المصروفات (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١١٦)

قال ياقوت:

وأما الخراج: فإن الخَرَجَ بمعنى واحد، وهو أن يؤدي العبد إليك خراجه أى غلته. والرعية تؤدي الخراج إلى الولاة، وأصله من قوله تعالى ﴿أم تسألهم خراجا﴾ [المؤمنون: ٧٢] وقرئ خراجا (قراءة حمزة والكسائي، كتاب السبعة / ٤٤٧)، معناه أم تسألهم أجرا على ما جئت به، فأجر ربك وثوابه خير. وأما الخراج الذي وظفه عمر بن الخطاب. رضى الله عنه، على السواد، فأراضى الفقىء، فإن معناه الغلة ومنه

﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ [التوبة: ٢٩]

وبعد الكلام على الجزية يتكلم الإمام الماوردي على الخراج فيقول:

وأما الخراج، فهو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها وفيه من نص الكتاب بينة خالفت نص الجزية فلذلك كان موقوفا على اجتهاد الأئمة قال الله تعالى: ﴿أم تسألهم خرجا فخرجا ربك خير﴾ [المؤمنون: ٧٢].

وفي قولهم أم تسألهم خرجا وجهان: أحدهما أجرا، والثاني نفعا. وفي قوله ﴿فخرجا ربك خير﴾ وجهان: أحدهما فوز ربك في الدنيا خير منه وهذا قول الكلبي. والثاني فأجر ربك في الآخرة خير منه، وهذا قول الكلبي أيضا. وقوله فأجر ربك في الآخرة خير منه، وهذا قول الحسن أيضا. قال أبو عمرو بن العلاء: والفرق بين الخرج والخراج أن الخرج من الرقاب والخراج من الأرض. والخراج في لغة العرب اسم للكرء والغلة ومنه قول النبي ﷺ: «الخراج بالضمان».

وأرض الخراج تتميز عن أرض العشر في الملك والحكم. والأرضون كلها تنقسم أربعة أقسام: أحدها ما استأنف المسلمون إحياءه فهو أرض عشر لا يجوز أن يوضع عليها خراج، والكلام فيها يذكر في إحياء الموات من كتابنا هذا قالت المؤلفة: أوردنا مادة «إحياء الموات» في م ٣ / ١٨ - ٢٢ فانظرها في موضعها. والقسم الثاني ما أسلم عليه أربابه فهم أحق به، فتكون على مذهب الشافعي رحمه الله أرض عشر ولا يجوز أن يوضع عليها خراج. وقال أبو حنيفة الإمام مخير بين أن يجعلها خراجا أو عشرا، فإن جعلها خراجا لم يجر أن تنقل إلى العشر، وإن جعلها عشرا جاز أن تنقل إلى الخراج. والقسم الثالث ما ملك من المشركين عشوة وقهرا، فيكون على مذهب الشافعي رحمه الله غنيمية تقسم بين الغانمين وتكون أرض عشر لا يجوز أن يوضع عليها خراج، وجعلها مالك وفقا على المسلمين بخراج يوضع عليها. وقال أبو حنيفة يكون الإمام مخيرا بين الأمرين. والقسم الرابع

ما صولح عليه المشركون من أرضهم فهي الأرض المخصصة بوضع الخراج عليها وهي على ضربين.

أحدهما ما خلا عنه أهله حصلت للمسلمين بغير قتال فتصير وقفا على مصالح المسلمين ويضرب عليها الخراج ويكون أجرة تقرر على الأبد وإن لم يقدر بمدة لما فيها من عموم المصلحة ولا يتغير بإسلام ولا ذمة، ولا يجوز بيع رقابها اعتبارا لحكم الوقوف.

والضرب الثاني ما أقام فيه أهله وصولحوا على إقراره في أيديهم بخراج يضرب عليهم فهذا على ضربين:

أحدهما أن ينزلوا عن ملكها لنا عند صلحنا فتصير هذه الأرض وقفا على المسلمين كالذي انجلي عنه أهله، ويكون الخراج المضروب عليهم أجرة لا تسقط بإسلامهم ولا يجوز لهم بيع رقابهم، ويكونون أحق ما أقاموا على صلحهم ولا تنتزع من أيديهم سواء أقاموا على شركهم أم أسلموا كما لا تنتزع الأرض المستأجرة من يد مستأجرها، ولا يسقط عنهم بهذا الخراج جزية رقابهم إن صاروا أهل ذمة مستوطنين وإن لم ينتقلوا إلى الذمة وأقاموا على حكم العهد لم يجر أن يقرروا فيها سنة وجاز إقرارهم فيها دونها بغير جزية.

والضرب الثاني أن يستبقوها على أملاكهم ولا ينزلوا عن رقابها ويصالحوا عنها بخراج يوضع عليها، فهذا الخراج جزية تؤخذ منهم ما أقاموا على شركهم وتسقط عنهم بإسلامهم ويجوز أن لا يؤخذ منهم جزية رقابهم، ويجوز لهم بيع هذه الأرض على من شاءوا منهم أو من المسلمين أو من أهل الذمة، فإن تباعوها فيما بينهم كانت على حكمها في الخراج وإن بيعت على مسلم سقط عنه خراجها: وإن بيعت على ذمي احتل أن لا يسقط عنه خراجها لبقاء كفره، واحتل أن يسقط عنه خراجها بخروجه بالذمة عن عقدة من صولح عليها، ثم ينظر في هذا الخراج الموضوع عليها فإن وضع على مسائح الجربان بأن يؤخذ من كل جريب قدر من ورق أوجب، فإن سقط عن بعضها بإسلام أهله كان ما بقي على حكمه ولا يضم إليه خراج ماسقط بالإسلام، وإن كان الخراج الموضوع عليها صلحا على مال مقدر لم يسقط على مساحة

العجربان، فمذهب الشافعي أنه يحط عنهم من مال الصلح ما سقط منه بإسلام أهله وقال أبو حنيفة يكون مال الصلح باقيا بكماله ولا يسقط عن هذا المسلم ما خصه بإسلامه. فأما قدر الخراج المضروب فيعتبر بما تحتمله الأرض، فإن عمر رضى الله عنه حين وضع الخراج على سواد العراق في بعض نواحيه على كل جريب قفيزا ودرهما وجرى في ذلك على ما استوفقه من رأى كسرى بن قباد، فإنه أول من مسح السواد ووضع الخراج وحدد الحدود ووضع الدواوين. وراعى ما تحتمله الأرض من غير حيف بمالك ولا إجحاف بزراع وأخذ من كل جريب قفيزا ودرهما وكان القفيز وزنه ثمانية أرطال ثمنه ثلاثة دراهم بوزن المثقال، لانتشار ذلك بما ظهر في جاهلية العرب قال زهير بن أبى سلمى (من الطويل):

فتغلل لكم مالا تغل لأهله

قرى بالعراق من قفيز ودرهم
(الجريب: مكيال قدر أربعة أقفزة. المعجم الوجيز / ٩٨).

وضرب عمر رضى الله عنه على ناحية أخرى غيرها غير هذا القدر، فاستعمل عثمان بن حنيف عليه وأمره بالمساحة ووضع ما تحتمله الأرض من خراجها، فمسح ووضع كل جريب من الكرم والشجر الملتف عشرة دراهم، ومن النخل ثمانية دراهم ومن قصب السكر ستة دراهم. ومن الرطبة خمسة دراهم، ومن البر أربعة دراهم، ومن الشعير درهمين وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأمضاه وعمل في نواحي الشام على غير هذا فعلم أنه راعى في كل أرض ما تحتمله. وكذلك يجب أن يكون واضح الخراج بعده يراعى في كل أرض ما تحتمله، فإنها تختلف من ثلاثة أوجه يؤثر كل منها في زيادة الخراج ونقصانه: أحدها يختص بالأرض من جودة يزكو بها زرعها أو رداءة يقل بها ريعها. الثانى ما يختص بالزراع مع اختلاف أنواعه من الحبوب والثمار، فمنها ما يكثر ثمنه، ومنها ما يقل ثمنه، فيكون الخراج بنحسبه، والثالث ما يختص بالسقى والشرب، لأن ما التزم المؤنة في سقيه النواضح والدوالي لا يحتمل من الخراج ما يحتمله سقى السيوح والأمطار.

وشرب الزرع والأشجار ينقسم أربعة أقسام: أحدها ما

سقاء الآدميون بغير آلة كالسيوح من العيون والأنهار يساق إليها فيسبح عليها عند الحاجة ويمنع منها عند الاستغناء وهذا أوفر المياه منفعة وأقلها كلفة. والقسم الثانى ما سقاء الآدميون بآلة من نواضح ودواليب أو دوالي وهذا أكثر المياه مؤنة وأشقها عملا. والقسم الثالث ما سقته السماء بمطر أو ثلج أو طل ويسمى العدى. والقسم الرابع ما سقته الأرض بنداوتها وما استكمن من الماء في قرارها فيشرب زرعها وشجرها بعرقه ويسمى البعل. فأما الغيل وهو ما شرب بالقناة فإن ساح فهو القسم الأول: وإن لم يسح فهو من القسم الثانى. وأما الكطائم فهو ما شرب من الآبار، فإن نضح منها بالغروب فهو من القسم الثانى، وإن استخرج من القناة فهو غيل يلحق بالقسم الأول. وإذا استقر ما ذكرنا فلا بد لواضع الخراج من اعتبار ما وصفناه من الأوجه الثلاثة، من اختلاف الأرض واختلاف الزروع واختلاف السقى ليعلم قدر ما تحمله الأرض من خراجها فيقصد العدل فيها فيما بين أهلها وبين الفئء من غير زيادة تجحف بأهل الخراج ولا نقصان يضر بأهل الفئء نظرا للفريقين، ومن الناس من اعتبر شرطا رابعا وهو قربها من البلدان والأسواق وبعدها لزيادة أثمانها ونقصانها، وهذا إنما يعتبر فيما يكون خراجه ورقا ولا يعتبر فيما يكون خراجه حبا وتلك الشروط الثلاثة تعتبر في الحب والورق وإذا كان الخراج معتبرا بما وصفنا فكذاك ما يختلف قدره وجزا أن يكون خراج كل ناحية مخالفا لخراج غيرها، ولا يستقصى في وضع الخراج غاية ما يحتمله، وليجعل فيه لأرباب الأرض بقية يجبرون بها النواثب والجوائح.

حكى أن الحجاج كتب إلى عبد الملك بن مروان يستأذنه فى أخذ الفضل من أموال السواد فمنعه من ذلك وكتب إليه: لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك وابق لهم لحوما يعقدون بها شحوما.

فإذا تقرر الخراج بما احتملته الأرض من الوجوه التى قدمناها راعى فيها أصلح الأمور من ثلاثة أوجه: أحدها أن يضعه على مسائح الأرض. والثانى أن يضعه على مسائح الزرع. والثالث أن يجعلها مقاسمة، فإن وضعه على مسائح الأرض كان معتبرا بالنسبة الهلالية وإن وضعه على مسائح

تُراح في عام وتُزرع في عام آخر روى حالها في ابتداء وضع الخراج عليها واعتبر أصلح الأمور لأرباب الضياع وأهل الفىء في خصلة من ثلاث: إما أن يجعل خراجها على الشطر من خراج ما يزرع كل عام فيؤخذ من المزروع والمتروك. وإما أن يسمح كل جريبين منها بجريب فيكون أحدهما للمزروع والآخر للمتروك وإما أن يضعه بكماله على مساحة المزروع والمتروك ويستوفى من أربابه الشطر من زراعة أرضهم.

وإذا كان خراج الزروع والثمار مختلفا باختلاف الأنواع فزرع أو غرس ما لم ينص عليه اعتبر خراجه بأقرب المنصوصات به شيها ونفعا.

وإذا زرعت أرض الخراج بما يوجب العشر لم يسقط عشر الزرع بخراج الأرض وجمع فيها بين الحقين على مذهب الشافعي رحمه الله. وقال أبو حنيفة «لا أجمع بينهما واقتصر على أخذ الخراج وإسقاط العشر» ولا يجوز أن تنقل أرض الخراج إلى العشر ولا أرض العشر إلى الخراج، وجوزه أبو حنيفة. وإذا سقى بماء الخراج أرض عشر كان المأخوذ منها عشرا. وإذا سقى بماء العشر أرض خراج كان المأخوذ منها خراجا اعتبارا بالأرض دون الماء. وقال أبو حنيفة «يعتبر حكم الماء فيؤخذ بماء الخراج من أرض العشر الخراج ويؤخذ بماء العشر من أرض الخراج اعتبارا بالماء دون الأرض واعتبار الأرض أولى من اعتبار الماء لأن الخراج مأخوذ عن الأرض والعشر مأخوذ عن الزرع» وليس على الماء خراج ولا عشر فلم يعتبر في واحد منهما وعلى هذا الاختلاف منع أبو حنيفة صاحب الخراج أن يسقى بماء العشر ومنع صاحب العشر أن يسقى بماء الخراج، ولم يمنع الشافعي رحمه الله واحدا منهما أن يسقى بأي المائين شاء.

وإن بنى في أرض الخراج أبنية من دور أو حوانيت كان خراج الأرض مستحقا لأن لرب الأرض أن ينتفع بها كيف شاء، وأسقطه أبو حنيفة إلا أن تزرع أو تغرس والذي أراه أن مالا يستغنى عن بنيانه من مقامه في أرض الخراج لزراعتها عفو يسقط عنه خراجه، لأنه لا يستقر إلا بمسكن يستوطنه. وما جاوز قدر الحاجة مأخوذ بخراجه.

الزرع كان معتبرا بالسنة الشمسية، وإن جعله مقاسمة كان معتبرا بكمال الزرع وتصفيته، فإذا استقر على أخذها مقدرا بالشروط المعتبرة فيه صار ذلك مؤبدا لا يجوز أن يزداد فيه ولا ينقص منه ما كانت الأرضون على أحوالها في سقيها ومصالحها. فإن تغير سقيها ومصالحها إلى الزيادة أو النقصان فذلك ضربان: أحدهما أن يكون حدوث الزيادة والنقصان بسبب من جهتهم كزيادة حدثت بشق أنهار أو استنباط مياه أو نقصان حدث لتقصير في عمارته، أو عدل عن حقوق ومصلحة، فيكون الخراج عليهم بحاله لا يزداد عليهم فيه لزيادة عمارتهم فيه ولا ينقص منه لنقصانها، ويأخذون العمارة لثلاثي استديم خرابها فتعطل: والضرب الثاني أن يكون حدوث ذلك من غير جهتهم، فيكون النقصان لشق انشق أو نهر تعطل، فإن كان سده وعمله ممكنا وجب على الإمام أن يعمل من بيت المال من سهم المصالح، والخراج ساقط عنهم ما لم يعمل، وإن لم يكن عمله فخراج تلك الأرض ساقط عن أهلها إذا عدم الانتفاع بها، فإن أمكن الانتفاع بها في غير الزراعة كمصائد أو مراعي جاز أن يستأنف وضع خراج عليها بحسب ما يحتمله الصيد المرعى وليست كالأرض الموات التي لا يجوز أن يوضع على مصائد مراعيتها خراج، لأن هذه الأرض مملوكة وأرض الموات مباحة.

أما الزيادة التي أحدثها الله تعالى كأنهار حضرها السيل وصارت الأرض بها سائحة بعد أن كانت تسقى بآلة، فإن كان هذا عارضا لا يوثق بدوامه لم يجز أن يزداد في الخراج وأن وثق بدوام راعى الإمام فيه المصلحة لأرباب الضياع وأهل الفىء وعمل في الزيادة أو المتاركة بما يكون عدلا بين الفريقين.

وخراج الأرض إذا أمكن زرعها مأخوذ منها وإن لم تزرع. وقال مالك لا خراج عليها سواء تركها مختارا أو معذورا. وقال أبو حنيفة يؤخذ منها إن كان مختارا ويسقط عنها إن كان معذورا. وإذا كان خراج ما أخل بزرعه يختلف باختلاف الزروع أخذ منه فيما أخل بزرعه عن أقل ما يزرع فيها لأنه لو اقتصر على زرع لم يعارض فيه.

وإذا كانت أرض الخراج لا يمكن زرعها في كل عام حتى

العشر على أهل الأرض . وقال مالك : أجور العشر على صاحب الأرض وأجور الخراج على الوسط .

فصل : والخراج حق معلوم على مساحة معلومة فاعتبر في العلم بها ثلاثة مقادير تنفى الجهالة عنها : أحدها مقدار الجريب الذراع الممسوح به والثاني مقدار الدرهم المأخوذ به . والثالث مقدار الكيل المستوفى به .

فإما الجريب فهو عشر قصبات فى عشر قصبات ، والقفيز عشر قصبات فى قصبة والعشير قصبة والقصبة ستة أذرع فيكون الجريب ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مكسرة ، والقفيز ثلاثمائة وستون ذراعا مكسرة وهو عشر الجريب ، والعشير ستة وثلاثون ذراعا وهو عشر القفيز وأما الذراع فالأذرع سبع أقصرها القاضية ثم اليوسفية ثم السوداء ثم الهاشمية الصغرى وهى البلالية ثم الهاشمية الكبرى وهى الزيادة ثم العمرية ثم الميزانية .

فأما القاضية وتسمى ذراع الدور فهى أقل من ذراع السوداء بأصبع وثلثي أصبع ، وأول من وضعها ابن أبى ليلى القاضى وبها يتعامل أهل كلواذى .

وأما اليوسفية وهى التى تدرع بها القضاة الدور بمدينة السلام فهى أقل من السوداء بثلثي أصبع وأول من وضعها أبو يوسف القاضى .

وأما الذراع السوداء فهى أطول من ذراع الدور بأصبع وثلثي أصبع ، وأول من وضعها الرشيد رحمه الله تعالى قدرها بذراع خدام أسود كان على رأسه وهى التى يتعامل بها الناس فى ذراع البز والتجارة والأبنية وقياس نيل مصر .

وأما الذراع الهاشمية الصغرى وهى البلالية فهى أطول من الذراع السوداء بأصبعين وثلثي أصبع ، وأول من أحدثها بلال ابن أبى بردة وذكر أنها ذراع جده أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه وهى أنقص من الزيادة بثلاثة أرباع عشر وبها يتعامل الناس بالبصرة والكوفة .

وأما الهاشمية الكبرى وهى ذراع الملك وأول من نقلها إلى الهاشمية المنصور رحمه الله تعالى فهى أطول من الذراع السوداء بخمس أصابع وثلثي أصبع فتكون ذراعا وثمان وعشرا

وإذا أجرت أرض الخراج أو أعيرت فخارجها على المالك دون المستأجر والمستعير وقال أبو حنيفة خراجها فى الإجارة على المالك وفى العارية على المستعير .

وإذا اختلف العامل ورب الأرض فى حكمها فادعى العامل أنها أرض خراج وادعى ربها أنها أرض عشر وقولهما ممكن فالقول قول المالك دون العامل ، فإن اتهم أحلف استظهارا ويجوز أن يعمل فى مثل هذا الاختلاف على شواهد الدواوين السلطانية إذا علم صحتها ووثق بكتابها وقلما يشكل ذلك إلا فى الحدود . وإذا ادعى رب الأرض دفع الخراج لم يقبل منه قوله . ولو ادعى دفع العشر قبل قوله ، ويجوز أن يعمل فى دفع الخراج على الدواوين السلطانية إذا عرف صحتها اعتبارا بالعرف المعتقد فيها ومن أعسر بخراجه أنظر به إلى يساره وقال أبو حنيفة يجب بإيساره ويسقط بالإعسار وإذا مطل بالخراج مع إيسار حبس به إلا أن يوجد له مال فيباع عليه فى خراجه كالمديون . فإن لم يوجد له غير أرض الخراج فإن كان السلطان يرى جواز بيعها باع منها عليه بقدر خراجها ، وإن كان لا يرى ذلك أجراها عليه واستوفى الخراج من مستأجرها ، فإن زادت الأجرة كانت له زيادتها ، وإن نقصت كان عليه نقصانها . وإذا عجز رب الأرض عن عمارتها قيل له إما أن توجرها أو ترفع يدك عنها لتدفع إلى من يقوم بعمارتها ولم يترك على خرابها وإن دفع خراجها لثلاث تصير بالخراب مواتا .

وعامل الخراج يعتبر فى صحة ولايته الحرية والأمانة والكفاية ، ثم يختلف حاله باختلاف ولايته فإن تولى وضع الخراج اعتبر فيه أن يكون فقيها من أهل الاجتهاد وإن ولى جباية الخراج صحت ولايته وإن لم يكن فقيها مجتهدا . ورزق عامل الخراج فى مال الخراج ، كما أن رزق عامل الصدقة من سهم العاملين وكذلك أجور المساح . وأما أجرة القسام فقد اختلف الفقهاء فيها ، فذهب الشافعى رحمه الله إلى أجور قسام العشر والخراج معا فى حق الذى استوفاه السلطان منهما . وقال أبو حنيفة : أجور من يقسم غلة العشر وغلة الخراج وسط من أصل الكيل .

وقال سفيان الثورى : أجور الخراج على السلطان وأجور

بالسوداء، وتنقص عنها الهاشمية الصغرى بثلاث أرباع عشر، وسميت زيادية لأن زيادا مسح بها أرض السواد وهى التى يذرع بها أهل الأهواز.

وأما الذراع العمريّة فهى ذراع عمر بن الخطاب رضى الله عنه التى مسح بها أرض السواد وقال موسى بن طلحة: رأيت ذراع عمر بن الخطاب رضى الله عنه التى مسح بها أرض السواد وهى ذراع وقبضة وإبهام قائمة. قال الحكم بن عيينة إن عمر رضى الله عنه عمد إلى أطولها ذراعا وأقصرها وأوسطها فجمع منها ثلاثة وأخذ الثلث منها وزاد عليه قبضة وإبهاما قائمة ثم ختم فى طرفيه بالرصاص وبعث بذلك إلى حذيفة وعثمان بن حنيف حتى مسح بها السواد وكان أول من مسح بها بعده عمر بن هبيرة.

أما الذراع الميزانية فتكون بالذراع السوداء ذراعين وثلاثى ذراع وثلاثى أصبع وأول من وضعها المأمون رضى الله عنه، وهى التى يتعامل الناس فيها فى ذراع البرائد والمساكن والأسواق وكراء الأنهار والحقائر.

وأما الدرهم فيحتاج فيه إلى معرفة وزنه ونقده، فأما وزنه فقد استقر الأمر فى الإسلام على أن وزن الدرهم ستة دنانير ووزن كل عشر دراهم سبعة مثاقيل.

واختلف فى سبب استقراره على هذا الوزن، فذكر قوم أن الدراهم كانت فى أيام الفرس مضروبة على ثلاثة أوزان منها درهم على وزن الميثقال عشرون قيراطا ودرهم وزنه اثنا عشر قيراطا ودرهم وزنه عشرة قيراط فلما احتيج فى الإسلام إلى تقديره فى الزكاة أخذ الوسط من جميع الأوزان الثلاثة وهو اثنان وأربعون قيراطا فكان أربعة عشر قيراطا من قراريط الميثقال فلما ضربت الدراهم الإسلامية على الوسط من هذه الأوزان الثلاثة قيل فى عشرينها وزن سبعة مثاقيل، لأنها كذلك. وذكر آخرون أن السبب فى ذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما رأى اختلاف الدراهم وأن منها البغلى وهو ثمانية دنانير، ومنها الطبرى وهو أربعة دنانير، ومنها المغربى وهو ثلاثة دنانير، ومنها اليمنى وهو دنانير قال انظروا الأغلب مما يتعامل به الناس من أعلاها وأدناها فكان الدرهم البغلى والدرهم الطبرى فجمع بينهما فكان اثني عشر دنانير فأخذ

نصفها فكان ستة دنانير فجعل الدرهم الإسلامى فى ستة دنانير إذا زدت عليه ثلاثة أسباعه كان مثقالا ومتى نقصت من الميثقال ثلاثة أعشارها كان درهما فكان عشرة دراهم سبعة مثاقيل وكل عشرة مثاقيل أربعة عشر درهما وسبعان فأما النقص فمن خالص الفضة وليس لمغشوشه مدخل فى حكمه وقد كان الفرس عند فساد أموالهم فسدت نقودهم فجاء الإسلام ونقودهم من العين والورق غير خالصة إلا أنها كانت تقوم فى المعاملات مقام الخالصة وكان غشها عفوا لعدم تأثيره بينهم إلى أن ضربت الدراهم الإسلامية فتميز المغشوش من الخالص، واختلف فى أول من ضربها فى الإسلام، فقال سعيد بن المسيب إن أول من ضرب الدراهم المنقوشة عبد الملك بن مروان وكانت الدنانير ترد رومية والدراهم ترد كسروية وحميرية (نسبة إلى الحميريين فى اليمن) قليلة. قال أبو الزناد فأمر عبد الملك بن مروان الحجاج أن يضرب الدراهم بالعراق فضربها سنة أربع وسبعين. وقال المدائنى بل ضربها الحجاج فى آخر سنة خمس وسبعين ثم أمر بضربها فى النواحي سنة ست وسبعين، وقيل إن الحجاج خلصها تخلصا لم يستقصه وكتب عليها. ﴿الله أحد﴾ الله الصمد.

وسميت مكروهة. واختلف فى تسميتها بذلك، فقال قوم لأن الفقهاء كرهوها لما عليها من القرآن وقد يحملها الجنب والمحدث. وقال الآخرون لأن الأعاجم كرهوا نقصانها فسميت مكروهة ثم ولى بعد الحجاج عمر بن هبيرة فى أيام يزيد بن عبد الملك فضربها أجود مما كانت ثم ولى بعده خالد بن عبد الله القسرى فشد فى تجويدها، وضرب بعده يوسف بن عمر فأفرط فى التشديد فيها والتجويد فكانت الهيسرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بنى أمية، وكان المنصور رضى الله عنه لا يأخذ فى الخراج من نقودهم غيرها.

وحكى يحيى بن النعمان الغفارى عن أبيه أن أول من ضرب الدراهم مصعب بن الزبير عن أمر أخيه عبد الله بن الزبير سنة سبعين على ضرب الأكاسرة وعليها بركة فى جانب والله فى الجانب الآخر ثم غيرها الحجاج بعد سنة وكتب عليها بسم الله فى جانب والحجاج فى جانب. وإذا خلص العين والورق من غش كان هو المعبر فى النقود المستحقة والمطبوع

منها بالسكة السلطانية الموثوق بسلامة طبعه المأمون من تبديله وتليسه هو المستحق دون نقار الفضة وسبائك الذهب، لأنه لا يوثق بهما إلا بالسك والتصفية والمطبوع موثوق به ولذلك كان هو الثابت في الذمم فيما يطلق من أثمان البيعات وقيم المتلفات، ولو كانت المطبوعة مختلفة القيمة مع اتفاقها في الجودة فطالب عامل الخراج بأعلامها قيمة نُظِر، فإن كان من ضرب سلطان الوقت أُجيب إليه لأن في العدول عن ضربه مباينة له في الطاعة وإن كان من ضرب غيره نظر، فإن كان هو المأخوذ في خراج من تقدمه أُجيب إليه استصحابا لما تقدم، وإن لم يكن مأخوذا فيما تقدم كانت المطالبة به غبنا وحيفا.

وأما مكشور الدراهم والدنانير فلا يلزم أخذه لالتباسه وجواز اختلاطه ولذلك نقصت قيمتها عن المضروب الصحيح. واختلاف الفقهاء في كراهية كسرها، فذهب مالك وأكثر فقهاء المدينة إلى أنه مكروه لأنه من جملة الفساد في الأرض وينكر على فاعله. وروى عن النبي ﷺ أنه نهى عن كسر سكة المسلمين الجارية بينهم.

والسكة هي الحديدية التي يطبع عليها الدراهم لذلك سميت الدراهم المضروبة سكة، وقد كان ينكر ذلك ولاية بنى أمية حتى أسرفوا فيه، فحكى أن مروان بن الحكم أخذ رجلا قطع درهما من دراهم فارس فقطع يده وهذا عدوان محض وليس له في التأويل مساغ.

وحكى الواقدي أن أبيان بن عثمان كان على المدينة فعاقب من قطع الدراهم وضربه ثلاثين سوطا وطاف به. قال الواقدي وهذا عندنا فيمن قطعها ودس فيها المفرغة والزبوف، فإن كان الأمر على ما قاله الواقدي فما فعله أبيان بن عثمان ليس بعدوان لأنه ما خرج به عن حد التعزير والتعزير على التدليس مستحق. وأما فعل مروان فظلم وعدوان. وذهب أبو حنيفة وفقهاء العراق إلى أن كسرها غير مكروه. وقد حكى صالح بن جعفر عن أبي بن كعب في قتله تعالى: ﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا نِشَاءً﴾ [هود: ٨٧] قال كسر الدراهم. ومذهب الشافعي رحمه الله أنه قال إن كسرها لحاجة لم يكره

له وإن كسرها لغير حاجة كره له لأنه إدخال النقص على المال من غير حاجة سفه. وقال أحمد بن حنبل: إن كان عليها اسم الله عز وجل كره كسرها وإن لم يكن عليها اسمه لم يكره، وأما الخبر المروى في النهي عن كسر السكة فكان محمد بن عبد الله الأنصاري قاضي البصرة يحمله على النهي عن كسرها ليتخذ منها أواني أو خزف. وحمله آخرون على النهي عن أخذ أطرافها قرضا بالمقاريض لأنهم كانوا في صدر الإسلام يتعاملون بها عددا فصار أخذ أطرافها بخسا وتطفيفا. وأما الكيل فإن كان مقاسمة فبأي قفيز كيل تعدلت فيه القسمة وإن كان خراجا مقدرا، فقد حكى القاسم أن القفيز الذي وضعه عثمان بن حنيف على أرض السواد فأَمْضاه عمر عنه كان مكيلا لهم يعرف بالشابرقان. وقال يحيى بن آدم وهو المختوم الحجاجي. وقيل وزنه ثلاثون رطلا، فإن استؤنف وضع الخراج كيلا مقدرا على مبتدئه روعى فيه من المكايل ما استقر مع أهلها من مشهور القفران بتلك الناحية (الأحكام السلطانية / ١٢٧-١٣٥).

وعن أحكام أراضي الخراج يقول البلاذري:

قال بشر بن غياث، قال أبو يوسف: إنيما أرض أخذت عنوة مثل السواد والشام وغيرهما، فإن قسمها الإمام بين من غلب عليها، فهي أرض عشر وأهلها رقيق، وإن لم يقسمها الإمام وردّها للمسلمين عامة كما فعل عمر بالسواد، فعلى رقاب أهلها الجزية وعلى الأرض الخراج، وليسوا برقيق، وهو قول أبي حنيفة. وحكى الواقدي عن سفیان الثوري مثل ذلك، وقال الواقدي: قال مالك بن أنس وابن أبي ذئب إذا أسلم كافر من أهل العنوة أقرت أرضه في يده يعمرها ويؤدى الخراج عنها، ولا اختلاف في ذلك، وقال مالك وابن أبي ذئب وسفیان الثوري وابن أبي ليلى عن الرجل، يسلم من أهل العنوة الخراج في الأرض، والزكاة من الزرع بعد الخراج وهو قول الأوزاعي.

وقال أبو حنيفة وأصحابه، لا يجتمع الخراج والزكاة على رجل، وقال مالك وابن أبي ذئب وسفیان وأبو حنيفة إذا زرع الرجل أرضه الخراجية مرات في السنة، لم يؤخذ منه إلا خراج

واحد، وقال ابن أبي ليلى يؤخذ منه الخراج كلما أدركت له غلة، وهو قول ابن أبي سبرة وأبي شمر، وقال أبو الزناد ومالك وأبو حنيفة وسفيان ويعقوب وابن أبي ليلى وابن أبي سبرة وزفر ومحمد بن الحسن وبشر بن غياث إذا عطل رجل أرضه، قيل له ازرعها وأدّ خراجها، وإلا فادفعها إلى غيرك يزرعها، فأما أرض العشر فإنه لا يقال له فيها شيء إن زرع أخذت منه الصدقة وإن أبي فهو أعلم.

وقالوا: إذا عطل رجل أرضه سنتين ثم عمرها، أدى خراجا واحدا، وقال أبو شمر يؤدي الخراج للسنتين، قال أبو حنيفة وسفيان ومالك وابن أبي ذئب وأبو عمر والأوزاعي، إذا أصابت الغلات آفة أو غرق، سقط الخراج عن صاحبها، وإذا كانت أرض من أراضي الخراج لعبد أو مكاتب أو امرأة، فإن أبا حنيفة قال عليها الخراج فقط، وقال سفيان وابن أبي ذئب ومالك، عليها الخراج، وفيما بقي من الغلة العشر.

وقال أبو حنيفة والثوري في أرض الخراج، بنى مسلم أو ذمى فيها بناء من حوانيت أو غيرها، أنه لا شيء عليه، فإن جعلها بستانا ألزم الخراج، وقال مالك وابن أبي ذئب نرى إلزامه الخراج، لأن انتفاعه بالبناء كانتفاعه بالزراعة، فأما أرض العشر فهو أعلم ما اتخذ فيها، وقال أبو يوسف في أرض موات من أرض العنوة يحييها المسلم أنها له، وهى أرض خراج إن كانت تشرب من ماء الخراج، فإن استنبط لها عينا أو سقاها من ماء السماء، فهي أرض عشر، وقال بشر هي أرض عشر شربت من ماء الخراج أو غيره، وقال أبو حنيفة والثوري وأصحابهما، ومالك وابن أبي ذئب والليث بن سعد، في أرض الخراج التي لا تنسب إلى أحد، يقعد المسلمون فيها فيتبايعون ويجعلونها سوقا، إنه لا خراج عليهم فيها، وقال أبو يوسف: إذا كانت في البلاد سنة أعجمية قديمة لم يغيرها الإسلام ولم يطلها، فشكاها قوم إلى الإمام لما ينالهم من مضرتها، فليس له أن يغيرها، وقال مالك والشافعي يغيرها وإن قدمت لأن عليه نفى كل سنة جائزة سنّها أحد من المسلمين فضلا عما سن أهل الكفر (فتوح البلدان / ٦٢٧ - ٦٢٩).

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى /

١١٦، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٤٠ / ٢، ومن كتاب معجم

البلدان لياقوت الحموى الرومى - اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نيهان ١ / ١٣٦ - ١٣٧، ومعجم البلدان ٣ / ٢٧٢، والأحكام السلطانية والولايات الدينية لعلی بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى ١٢٤، ١٢٧ - ١٣٥، وفتوح البلدان للبلاذرى - حققه وشرحه وعلق على حواشيه وأعد فهرسه وقدم له عبد الله أنيس الطباع / ٦٢٧ - ٦٢٩. انظر أيضا فقه السنة - الشيخ السيد سابق م ٣ - ١١ / ٢٧١، وأعلام الموقعين عن رب العالمين للعلامة شمس الدين أبي بكر بن قيم الجوزية - تحقيق الشيخ عبد الرحمن الوكيل ١ / ٥١٦ - ٥١٨، ومنهاج المسلم - أبو بكر الجزائري / ٣٦٠)

* الخراج (كتاب -):

قال حاجى خليفة عن الكتب المؤلفة بهذا العنوان:

كتاب الخراج - للإمام أبى يوسف يعقوب بن إبراهيم الحنفى المتوفى سنة ١٨٢ اثنتين وثمانين ومائة ولأبى العباس أحمد بن محمد الكاتب المتوفى سنة ٢٧٠ سبعين ومائتين ولأبى الفرج قدامة بن جعفر ولنصر بن موسى الرازى الحنفى ولحسن بن زياد (كشف ٢ / ١٤١٥)

أما عن كتاب القاضى أبى يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفى الذى وضعه للرشد فيقول عنه الأستاذ الدكتور على أوزاك بأنه يتميز عن كتب الخراج الأخرى بخصائص عددها كما يلي:

أولا: أنه يشمل توصيات إصلاحية للخليفة.

ثانيا: يتناول كثيرا من المشاكل الإدارية والمالية والسياسية والاجتماعية ويدأوى كل هذه المشاكل بما يناسبها من الأحكام الشرعية والاجتهادات العقلية.

ثالثا: أنه سلك طريقا جديدا ذا أهمية بالغة هو أنه حينما أراد أن يبنى حكما جديدا حاول أن يحصل على عمل حكمه من سيدنا رسول الله ﷺ أو من سيدنا عمر رضى الله عنه. وطبق هذه القاعدة فى كل مشكلة واجهها، فإن لم يحصل على شيء من السنة أو من تطبيقات عمر، اعتمد على آراء أبى حنيفة وابن أبى ليلى. ثم يجتهد رأيه. من أجل ذلك كان كتاب الخراج لأبى يوسف منبعاً عظيماً ومصدراً غزيراً فى إنشاء الدولة: إدارياً ومالياً.

ثم يقول سيادته :

وفى إمكاننا الآن أن نقول إن منهج أبى يوسف واحد من المناهج التى تصلح فى الجوانب الشرعية والإدارية والمالية فى زماننا هذا، فإنه منهج ناجح فى إدارة شئون الدولة الإسلامية. تلك الدولة التى من حقها أن تكون مثالا للناس أجمع كما حصل فى التاريخ، ويتخلص المسلمون من هذه النظم الغريبة المخالفة للإسلام فى أكثر موادها.

العمل على كتاب الخراج :

لا شك فى أن كتاب الخراج حاز قبولا عند العلماء منذ تأليفه، ولقد أدى الأستاذ إحسان عباس خدمة عظيمة بإخراجه لهذا الكتاب، لأنه حققه وعلق عليه وذكر المخطوطات الموجودة منه فى مكتبات استانبول. وأضاف للكتاب مقدمة قيمة جدا مع فهرس مفيدة. وهذا العمل فى (خراج أبى يوسف) يسهل فهم الكتاب وفهم ما يقصده مؤلفه وفقه الله.

ونحن نضيف إلى ما عمله الأستاذ إحسان عباس ما يأتى :
إن كتاب الخراج ترجم إلى اللغة التركية ثلاث مرات فى أيام الدولة العثمانية.

الأولى : ترجمة لكتاب الخراج . لا يعلم مترجمها . وهى مخطوطة موجودة فى مكتبة جامعة استانبول تحت رقم ٣٢٧١.

الثانية : ترجمة كتاب الخراج لأبى يوسف . أعدها (رودوسلى زاده محمد أفندى) سنة ١١١٣ هـ . وهى مخطوطة موجودة فى مكتبة أسعد أفندى تحت رقم ٥٧١ - ٥٧٢.

الثالثة : ترجمة كتاب الخراج لأبى يوسف . للأستاذ محمد عطاء الله . وهذه الترجمة جيدة جدا . وكان (حسين جميل باشا) وإلى حلب قد طلب من محمد عطاء الله ترجمة الكتاب ثم قدم هذه الترجمة إلى السلطان عبد الحميد الثانى من آل عثمان . وهى مخطوطة موجودة فى مكتبة جامعة استانبول تحت رقم ٤٦٥٢.

وثمة ترجمة رابعة للكتاب وهى مطبوعة قد ترجمتها سنة

١٩٧٣ م . حينما كنت باحثا فى كلية الاقتصاد بجامعة استانبول . ونشرت هذه الترجمة فى كلية الاقتصاد ١٩٧٣ ولقيت اهتماما وأعيد طبعها مرات ، وقد أضفت مقدمة للترجمة كتبت فيها حياة أبى يوسف ومنهجه فى كتابه باللغة التركية .

وقد ترجم كتاب الخراج لأبى يوسف إلى اللغة الفرنسية أيضا وطبع سنة ١٩٢١ ترجمه E. Fagnan دكتور الإلهيات بجامعة مرمر، استانبول - تركيا («كتاب : الخراج» / ١٧٧ ، ١٧٨) قالت المؤلفة : يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى :

الخراج

الرقم ٨٢٠٠

تأليف أبى يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى المتوفى سنة ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م ألفه بأمر أمير المؤمنين هرون الرشيد وبعث به إليه .

أوله : أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام له الإعزاز فى تمام من النعمة ، ودوام من الكرامة ...

آخره : أثابك الله على مصيبتك ثواب من أصيب بمثلها من أهل دينك وبارك لنا فى الموت ، وجعله خير غائب نتظره ، عليك بالصبر فيما نزل بك من المصائب .
نسخة جيدة مصححة .

الخط نسخ معتاد بعض الكلمات بالحمرة كتب سنة ١٢٨٦ هـ .

نسخة ثانية

الرقم ٨٢٦٣

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها .

نسخة جيدة ، جميع صفحاتها مجدولة بالحمرة .

الخط نسخ جيد . بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة . كتبه رسلان بن عبد القادر العطار سنة ١٢٩٦ هـ .
نسخة ثالثة .

الرقم : ٩٠٨٠

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها .

نسخة جيدة وقديمة .

المخط نسخ معتاد، بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة .

المراجع : معجم المؤلفين ١٣ / ٢٤٠ ، حسن التقاضى فى سيرة الإمام أبى يوسف تأليف الشيخ محمد زاهد الكوثرى فهرس الخديوية ٣ / ١٠٢ .

مخطوطات الموصل لداود جلى ٣٧ و ٦٢ ، الكشف ٢٣٤ ، فهرس المتحف البريطانى الملحق ١ / ١٧٨

طبعت الكتاب : ١ - فى مطبعة بولاق سنة ١٣٠٢ . الجامع الصغير الإمام محمد بن الحسن الشيبانى .

٢ - ترجمه إلى الفرنسية فانيان وطبع فى باريس سنة ١٢١١ .

٣ - طبع فى القاهرة فى المطبعة السلفية سنة ١٩٢٧ م .

٤ - طبع فى القاهرة فى المطبعة السلفية سنة ١٩٣٢ م . (نهرس الظاهرة ١ / ٢٩١ - ٢٩٣)

وقد أورد كتاب المنتخب فقرة من كتاب الخراج لأبى يوسف كنموذج للنشر العلمى نقلها لك فيما يلى :
قال فى كتاب «الخراج» :

وأنا أرى أن تبعث قوما من أهل الصلاح والعفاف ممن يوثق بدينه وأمانته يسألون عن سيرة العمل وما عملوا به فى البلاد، وكيف جبوا الخراج على ما أمروا به، وعلى ما وظف على أهل الخراج واستقر؛ فإذا ثبت ذلك عندك وصح، أخذوا بما استفضلوا من ذلك أشد الأخذ حتى يؤدوه بعد العقوبة الموجبة والنكال، حتى لا يتعدوا ما أمروا به، وما عهد إليهم فيه، فإن كل ما عمل به والى الخراج من الظلم والعسف فإنما يحمل على أنه قد أمر به، وقد أمر بغيره، وإن أحللت بواحد منهم العقوبة الموجبة انتهى غيره واتقى وخاف، وإن لم تفعل هذا بهم تعدوا على أهل الخراج واجتروا على ظلمهم وتعسفهم وأخذهم بما لا يجب عليهم، وإذا صح عندك من العامل والوالى تعد بظلم وعسف وخيانة لك فى رعيتك واحتجان شىء من الفىء، أو خبث طعمته أو سوء سيرته فحرام عليك استعماله والاستعانة به، وأن تقلده شيئا من أمور رعيتك أو تشركه فى شىء من أمرك، بل عاقبه على ذلك

عقوبة تردع غيره من أن يتعرض لمثل ما تعرض له . وإياك ودعوة المظلوم فإن دعوته مجابة (المنتخب ٢ / ٢٩٦، ٢٩٧) .

أما كتاب «الخراج وصناعة الكتابة» لأبى الفرج قدامة بن جعفر فيقول عنه الأستاذ عباس هانى الجراخ فى بحث له :

و «الخراج وصناعة الكتابة» يقسم إلى ثمانى منازل، إلا أنه للأسف الشديد أن المنازل الأربع الأولى مفقودة، ولم يعثر عليها كاملة الآن . أما موضوعاتها، وما طرحه قدامة فيها، فنحن نتفق مع الدكتور بدوى طبانة فى قوله : «وأما المنزلان الأولى والثانية فليس لدينا أى دليل على ما عالج فيها، وإن كنا نظن أنه ذكر فيهما فن الكتابة ومنزلتها بين فنون الأدب، وذكر فيهما بعض النابهين من الكتّاب فى دواوين الدولة، منذ أن أنشأت تلك الدواوين .

أما المنزلتان الثالثة والرابعة . فقد تحدث فى الثالثة عن البلاغة ووجه تعلمها، أما الرابعة فهى خاصة بديوان الإنشاء، والدليل على ذلك ما قاله أبو الفرج «قد ذكرنا فى المنزلة الثالثة من أمر البلاغة ووجه تعلمها، وتعريف الوجوه المحموده فيها، والوجوه المذمومة منها وما إذا كان الكاتب واقفا على ما يحتاج إليه، وبيننا فى المنزلة الرابعة عند ذكر مجلس الإنشاء وجوها من المكاتبات فى الأمور الخراجية يتتبع بها ويكون فيها تبصير لمن يروم المكاتبة فى معناها» .

أما المنازل الأربع الأخيرة التى وصلتنا فقد ذكر فى الخامسة بعض المعلومات التاريخية عن الفتوح الإسلامية زمن الرسول الأعظم ﷺ، وفى العصور التالية، وقد كانت المنازل «السادسة والسابعة والثامنة . وألوان المعرفة التى بسطها قدامة فى هذه المنازل ينبوع الذى استقى منه العلامة ابن خلدون فى مقدمة تاريخه الذى أجمع العلماء على أنها من الأسس العظيمة لدراسة علم الاجتماع، الذى استقل واحتل منزلته بين العلوم فى العصر الحديث، فإن كلام ابن خلدون فى المقدمة الثانية عن قسط العمران من الأرض، والإشارة إلى بعض ما فيه من الأشجار والأقاليم، وتقسيمها إلى المناطق السبع كل ذلك مذكور فى المنزلة السادسة بتفصيل كاف» .

٥ - طبعة بتحقيق عيسى ميخائيل سابا - المطبعة البوليسية - حريصا - ١٩٥٨ م .

٦ - طبعة بتحقيق د . محمد عبد المنعم خفاجي - دار الكتب العلمية - بيروت - (د . ت) .

إضافة إلى مصورات أخرى لهذه الطبعات ونشرات أخرى للمحقق نفسه ، إذ أصدر كمال مصطفى طبعة ثانية لتحقيقه عام ١٩٦٣ م ، وثالثة عام ١٩٧٩ م ، وهى أجود الطبعات (مجلة الفیصل / ١٠٣ ، ١٠٤)

قالت المؤلفة : ذكر الدكتور عبد الحميد الشلقاني نسخة مصورة إعداد المطبعة السلفية بمصر .

وننقل لك فيما يلى - كما وعدنا - نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبى الفرج قدامة بن جعفر مأخوذة من النبد الملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة طبعه ليدن سنة ١٨٨٩ م كما سبق أن أشرنا وهذه النبذة هى الباب الحادى عشر بعنوان رد فى ديوان البريد والسكك والطرق إلى نواحى المشرق والمغرب :

قال أبو الفرج : يحتاج فى البريد إلى ديوان يكون مفردا به ويكون الكتب المنفذة من جميع النواحى مقصودا بها صاحبه ليكون هو المنفذ لكل شىء منها إلى الموضع المرسوم بالنفوذ إليه ويتولى عرض كتب أصحاب البريد والأخبار فى جميع النواحى على الخليفة أو عمل جوامع لها ويكون إليه النظر فى أمر الفروانقيين والموقعين والمرتبين فى السكك وتنجز أرزاقهم وتقليد أصحاب الخرائط فى سائر الأمصار والذي يحتاج إليه فى صاحب هذا الديوان هو أن يكون ثقة إما فى نفسه أو عند الخليفة القائم بالأمر فى وقته ، لأن هذا الديوان ليس فيه من العمل ما يحتاج معه إلى الكافى المتصفح وإنما يحتاج إلى الثقة المتحفظ . والرسوم التى يحتاج إليها من أمر الديوان هو ما يقارب الرسوم التى بينها فى غيره مما يضبط به أعماله وأحواله . فأما غير ذلك من أمر الطرق ومواضع السكك والمسالك إلى جميع النواحى فإننا لم نذكره ولا غنى بصاحب هذا الديوان أن يكون معه ما لا يحتاج فى الرجوع فيه إلى غيره وما إن سأل عنه الخليفة وقت الحاجة إلى شخوصه

وكان قدامة قد عرض كتابه هذا على الوزير على بن عيسى ، سنة ست وعشرين وثلاث مائة فأعجب به كثيرا ، وخصوصا المنزلة الثالثة منه المخصصة للبلاغة والبلغاء .

وبعد هذا يمكننا أن نؤكد أن كتاب «الخراج وصناعة الكتابة» مقسم إلى قسمين كبيرين :

الأول : هى المنازل الأربع الأولى المفقودة الخاصة بالأدب وتشمل الشعر والبلاغة والكتاب والإنشاء .

أما القسم الثانى : فيتضمن علم الاجتماع بما فيه من التاريخ والخراج وسياسة الملوك والوزراء . وعلى هذا فإن (الخراج) فى هذا الكتاب ذو نسبة قليلة فيه ، قياسا إلى الموضوعات الأخرى فيه !!

الكتاب مطبوعا

طبع المستشرق دى غويه فى ليدن عام ١٨٨٩ م ، عدة فصول من كتاب «الخراج وصناعة الكتابة» ، وأسمى جمعه هذا : «نبد من كتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر» ملحق بكتاب «المسالك والممالك لابن خرداذبة (ت ٣٠٠ هـ) .

قالت المؤلفة : هذه النسخة هى التى عندى وننقل لك منها نبذة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ثم طبعت المنازل الأربعة الأخيرة من الكتاب فى بغداد بتحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدى عام ١٩٨١ م . وقد أحصينا طبعات الكتاب فكانت كما يلى :

١ - طبعة ضمن كتاب (الشهاب فى الشيب والشباب) للشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) - ط - الجوائب - ١٣٠٢ هـ .

٢ - طبعة بتحقيق الأستاذ كمال مصطفى عام ١٣٦٧ هـ ، ١٩٤٨ م .

٣ - طبعة بتحقيق الأستاذ محمد عيسى منون - القاهرة ١٩٣٤ م - ١٣٥٥ هـ .

٤ - طبعة المستشرق س . ا . بونيباكر - مطبعة بريل - ليدن - ١٩٥٦ م .

وإنقاذ جيش يهيمه أمره وغير ذلك مما تدعو الضرورة إلى علم الطرق بسببه وجد عتيذا عنده ومضبوطا قبله ولم يحتج إلى تكلف عمله والمسألة عنه فينبغي أن نكون الآن نأخذ في ذكر ذلك وتعديده بأسماء المواضع وذكر عدد الأميال والفراسخ وغيره من وصف حال المنزل في مائه وخشونته وسهولته أو عمارته أو ما سوى ذلك من حاله . ونبدأ بالطريق المأخوذ فيه من مدينة السلام إلى مكة وهو المنسك الأعظم وبيت الله الأقدم ونأخذ بعد البلوغ إليه بذكر ما بعده من الطريق إلى اليمن ثم في سائر الجهات المقاربة له وتسميته إن شاء الله .

فمن مدينة السلام إلى جسر كوثر على نهر الملك سبعة فراسخ، ومن جسر كوثر إلى قصر أبي عبيدة خمسة فراسخ، ومن قصر ابن هبيرة إلى سوق أسد سبعة فراسخ، ومن سوق أسد إلى ساهي خمسة فراسخ، ومن ساهي إلى مدينة الكوفة خمسة فراسخ، ومن الكوفة إلى القادسية خمسة عشر ميلا، ومن القادسية إلى العذيب ستة أميال . العذيب كانت مسلحة بين العرب وفارس في حد البرية وبها حائطان متصلان من القادسية إلى العذيب ومن الجانبين كليهما نخل، وإذا خرج منه الخارج دخل المفازة ومن العذيب إلى المغيثة وفيها برك أربعة عشر ميلا ومن المغيثة إلى القرعاء وهي منزل وفيه آبار اثنان وثلاثون ميلا، ومن القرعاء إلى واقصة وفيها برك وآبار أربعة وعشرون ميلا، ومن واقصة إلى العقبة وفيها آبار ومنزل تسعة وعشرون ميلا، ومن العقبة إلى القاع أربعة وعشرون ميلا، ومن القاع إلى زباله وهي عامرة كثيرة الأهل أربعة وعشرون ميلا، ومن زباله إلى الشقوق وفيها برك ثمانية عشر ميلا، ومن الشقوق إلى قبر العبادي وفيها برك تسعة وعشرون ميلا، ومن قبر العبادي إلى الثعلبية تسعة وعشرون ميلا، ومن الثعلبية إلى الخزيمية وبها ضيق في الماء ثلاثة وثلاثون ميلا، والخزيمية مدينة عليها سور وبها منبر وحمام وبرك وسميت الخزيمية لأن خزيمة صيّر فيها سواني وكانت تسمى زرود ورمّلها أحمر ومن الخزيمية إلى الأجفر أربعة وعشرون ميلا، ومن الأجفر إلى قيد وهي منزل العامل وفيها قناة وزروع ومنبر ستة وثلاثون ميلا، ومن قيد إلى توز وفيها برك وآبار وحصن بناء أبو دلف ثلاثة وثلاثون ميلا، ومن توز إلى سميراء وفيها برك

سنة عشر ميلا، ومن سميراء إلى الحاجر وفيها برك وآبار ثلاثة وعشرون ميلا، ومن الحاجر إلى معدن النقرة وفيها آبار وبرك سبعة وعشرون ميلا، ومن النقرة إلى مغيثة الماوان سبعة وعشرون ميلا ومن مغيثة إلى الرينة وماؤها كثير وفيها منبر أربعة وعشرون ميلا، ومن الرينة إلى معدن بنى سليم وفيها آبار وبرك تسعة عشر ميلا، ومن معدن بنى سليم إلى العمق ستة وعشرون ميلا، ومن العمق إلى أفاعية وهي قليلة الماء اثنان وثلاثون ميلا، ومن أفاعية إلى المسلح وهي كثيرة الماء أربعة وثلاثون ميلا، ومن المسلح إلى الغمرة وهي كثيرة الماء ومنها يعدل إلى اليمن ثمانية عشر ميلا، ومن الغمرة إلى ذات عرق وهي كثيرة الماء ومنها يقع الإحرام ستة وعشرون ميلا، فإن رجعنا إلى النقرة إلى العسيلة وهي ضيقة الماء ستة وأربعون ميلا، ومن العسيلة إلى بطن النخل وهي كثيرة الماء والنخل ستة وثلاثون ميلا، ومن بطن النخل إلى الطرف اثنان وعشرون ميلا، ومن الطرف إلى المدينة خمسة وثلاثون ميلا .

وأما الطريق من المدينة إلى مكة فمن المدينة إلى الشجرة وفيها آبار وبرك وليست بمنزل ولكنها منها يقع الإحرام ستة أميال، ومن الشجرة إلى ملل وبها آبار اثنا عشر ميلا، ومن ملل إلى السيالة وبها ماء وتباع بها الشواهين والصقور تسعة عشر ميلا، ومن السيالة إلى الرويثة وبها إحساء أربعة وثلاثون ميلا، ومن الرويثة إلى السقيا وبها شجر وماء جار ستة وثلاثون ميلا، ومن السقيا إلى الأبواء وفيها آبار ومزارع تسعة وعشرون ميلا، ومن الأبواء إلى الجحفة وبها آبار وهي فريضة البحر سبعة وعشرون ميلا، ومن الجحفة إلى قديد وبها آبار لماء السيل ستة وعشرون ميلا، ومن قديد إلى عسفان وبها آبار أربعة وعشرون ميلا، ومن عسفان إلى بطن مر وبها نخل وزرع وبركة يجري فيها الماء ستة عشر ميلا، وبطن مر قرية عظيمة كثيرة الأهل والمنازل وعلى أربعة أميال منها قبر ميمونة زوجة النبي ﷺ، وعلى ستة أميال من ذلك مسجد عائشة، ثم إلى مكة ستة أميال ومنها يحرم أهل مكة وهو حد الحرم فمن بطن مر إلى مكة ستة عشر ميلا، ومن مكة طريق الطائف ثلاث مراحل من مكة إلى بئر ابن المرتفع ومن بئر ابن المرتفع إلى قرن المنازل قرية منها يحرم أهل اليمن يعدل منها إلى الطائف

يمنة، ومن يخرج من مكة يريد الطائف، يأتي عرفات ثم يجوز منها إلى بطن نعمان جبلا يقال له نعمان السحاب لأن السحاب أبدا عليه ثم يصعد منه عقبة فإذا استوى عليها الصاعد أشرف على الطائف ثم ينحدر ويصعد أيضا عقبة خفيفة تسمى تنعيم الطائف، ومن الغمرة تعدل إلى اليمن فمن الغمرة إلى الجدد اثنا عشر ميلا، وهو موضع البريد ومنقسم القوافل وليس فيه إلا بئر واحد ونخل وزرع يستقى لها بالإبل وهي موضع «يسر» مولى عثمان بن عفان، ومن الجدد إلى الفتق، ومن الفتق إلى تربة، وهي قرية عظيمة بها عيون جارية وزروع وهي قرية «خالصة» مولاة المهدي، ومن تربة إلى صفر وهي منزل فيه داران لصاحب البريد في الصحراء وفيه ماء عذب من بثرين، ومن صفر إلى كرا منزل فيه نخل وعين عذبة وليس إلا منزل صاحب البريد ومنزل القوافل وهي في بطن واد كثير النخل. ومن كرا إلى رنية منزل في صحراء ونخل كبير وعين عظيمة عذبة والعمران حولها على دعوة، ومن رنية إلى تباله قرية عظيمة كثيرة الأهل مضرية لقيس وفيها منبر وعيون وآبار، ومن تباله إلى بيشة قرية عظيمة كثيرة الأهل في بطن الوادي ظاهرة الماء من عيون وآبار مضرية قيسية، ومن بيشة إلى جسداء منزل أعراب من قيس ومن جسداء إلى بنات حرم قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع والماء من عين وبئر عذبة. ومن بنات حرم إلى يميم منزل في صحراء فيه بئر واحدة عذبة وليس به أهل، وحوله أعراب من خثعم، وبينها وبين جرش نحو أربعة عشر ميلا ومنه إلى كثة قرية عظيمة ومنازل وقصور وآبار في صحراء بينها وبين جرش ثمانية أميال. ومن كثة إلى الشجة موضع البريد وفيه بئر ماء ينزله [تنزله] القوافل وهو في بلاد زبيد وحوله أعرابهم ومن الشجة إلى شروم راح وهي قرية عظيمة في صحراء فيها عيون كثيرة الكروم فيها فخذ من همدان يقال لهم جنب ومن شروم راح إلى المهجرة وهي قرية عظيمة جبلية كثيرة العيون والأهل وفيما بينها وبين شروم راح شجرة تسمى طلحة الملك وهذه الشجرة حد ما بين اليمن والحجاز، وهي شجرة تشبه شجر الغراب إلا أنها أعظم وكان النبي ﷺ حجز بها بين اليمن ومكة ومن المهجرة إلى عرفة منزل في جبل فيه أعراب من خولان والماء

فيه بما قل وربما كثر وهي أول عمل اليمن، وهي إلى عمل صعدة. ومن عرفة إلى صعدة وهي قرية عظيمة فيها منبر ومسجد وتجار كثير وبها يعمل دباغ اليمن من الأدم والنعال وأكثر تجارهم من أهل البصرة، وطريق منها للبصريين يرجع إلى الركية ثم إلى صعدة ولصعدة مخاليف وهي كثيرة القرى. ومن صعدة إلى الأعمشية منزل في جبل ليس فيه أهل وماؤهم من عين صغيرة تحت شجرة وحوله حتى من همدان. ومن الأعمشية إلى خيوان قرية عظيمة فيها جامع ومنبر وأهل كثير وفيها كروما توصف بكبر العناقيد جبلية والماء من السماء وأهلها من بكيل ومن خيوان إلى أثافت وهي قرية عظيمة فيها منبر وأهلها جشميون وسوقها يقوم يوم الجمعة وفيها زروع وكرم وماء الشرب من بركة. ومن أثافت إلى ريدة قرية عظيمة فيها منبر وهي كثيرة الأهل والكروم والزروع والعيون والكلا في بطن واد وعملها فيه مخاليف. ومن ريدة إلى صنعاء قصبة اليمن وهذا الطريق هو الذي عليه الأميال وهو طريق العوامل والعمال وإن رحل من يريد مكة إلى بئر الحذا منزل ليس فيه إلا بئر واحدة، ومن بئر الحذا إلى قرية عظيمة عامرة وهي التي يحرم منها أهل اليمن وماؤها واد جرار وهي قرشية تسمى قرن، ثم من قرن صعدا قصد الطريق.

وقد كتبنا الطريق من الكوفة إلى مكة. فأما من البصرة إلى مكة فمن البصرة إلى الحفير ثم إلى ماوية، ثم إلى ذات العشر ثم إلى الينسوعة، ثم إلى السمينسة، ثم إلى النجاج ثم إلى العوسجة، ثم إلى القريتين، ثم إلى رامة. ومن النجاج طريق إلى النقرة، ومن رامة إلى أمرة، ثم إلى ضرية ثم إلى جديلة، ثم إلى فلجة، ثم إلى الدفينة، ثم إلى قبا، ثم إلى مران، ثم إلى وجرة، ثم إلى أوطاس، ثم إلى ذات عرق ثم إلى بستان ابن عامر ثم إلى مكة.

فأما من مصر إلى مكة فمنازلها على التوالي على ما نصفه الفسطاط، الجب، البويب، بيدمه، منزل ابن مرو، عجرود، الرابية، الكرسي، الحسن منزل أيلة، شرف البعل، مدين الإغراء، منزل الكلابية، شغب، بدا السرحتين البيضاء وادي القرى، الرحيبة، ذو المروة السويدياء، خشب المدينة، فأما من أخذ على طريق الساحل فإذا صار إلى شرف البعل صار

آخرها زاي معجمة ، هذه النسبة إلى خرز الأشياء من الجلود كالقرب والسطاح والسيور وغيرها ، المشهور بهذه النسبة مقاتل بن دوال روز الخراز وهو مقاتل بن حيان .

ومنهم أبو يزيد خالد بن حيان الخراز الرقي وهو جبر أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان المقرئ الذي كان بمصر .

ومنهم الشيخ العارف أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز الصوفي ، يقال له قمر الصوفية ، له تصانيف في علم القوم ومجاهدات ورياضات ، وقال الجنيد : لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد الخراز لهلكنا . قال علي بن عمر الدينوري قلت لإبراهيم بن شيان راوي الحكاية عن الجنيد : وأيش كان حاله ؟ فقال : أقام كذا وكذا سنة يخرز ما فاتته الحق بين الخرزتين . قيل إنه مات سنة سبع وأربعين ومائتين ، أو سنة سبع وسبعين ومائتين وقيل إنه مات سنة ست وثمانين ومائتين . ومنهم محمد بن خالد الخراز الرازي ، وأبو مالك عبيد الله بن الأحنس البصري الخراز مولى الأزدي ، قيده أبو الوليد بن الفرضي يروي عن ابن أبي مليكة ، روى عنه يحيى القطان . وأبو يزيد خالد بن حيان الخراز الرقي ، من أهل الرقة ، سمع جعفر بن برقان وقرات بن سلمان وسليمان بن عبد الله بن الزبرقان وبدر بن راشد وكلثوم بن جوشن وغيرهم ، روى عنه عبد الله بن محمد النفيلي ومحمد بن عبد الله بن نمير ومحمد بن عبد الله بن عمار الموصلي ، وروى عنه من أهل بغداد أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والحسن بن عرفة ، وكان بعض الناس يحمّدونه ويوثقونه ، وبعضهم يضعفونه ، وقيل إنه مات سنة إحدى وتسعين ومائة .

وأبو جعفر محمد بن إسحاق بن أسد الخراز يعرف بزرقي ، وهو هروي الأصل ، حدث عن محمد بن معاوية النيسابوري وداود بن رشيد الخوارزمي وعبد الله بن عبد الوهاب البرجمي ، روى عنه محمد بن مخلد الدوري وأبو مزاحم الخاقاني وأحمد بن عثمان بن يحيى الأدمي ، قال الخطيب : وما علمت من حاله إلا خيرا ؛ قال : وتوفي في شوال سنة أربع وثمانين ومائتين .

وأبو العباس محمد بن أحمد بن عباد الخراز من أهل

إلى الصلا ثم إلى النيك ثم إلى طبة ثم إلى عونيد ثم إلى الوجه ثم إلى منحوس ثم إلى البحرة ثم إلى الإحساء ثم إلى ينبع ثم إلى مستولان ثم إلى الجار ومن الجار إلى المدينة مسيرة يومين . فأما من دمشق إلى مكة فالمنازل منها إلى ذات المنازل ثم سرع ثم تبوك ثم الحدة ثم الأقوع ثم الجنينة ثم الحجر ثم وادي القرى ثم المدينة .

وأما الطريق من اليمامة إلى مكة فمنها إلى العرض وإلى حديقة وإلى السيح وإلى الثنية العقاء وإلى سقياء وإلى السد وإلى مرارة وإلى سويقة ، وإلى القريتين من طريق البصرة ، ومن اليمامة طريق آخر إلى مانص باحة الزلف منزل مصاه أهل الجون معاوية من طريق البصرة (المسالك والممالك / ١٨٤ - ١٩٧) .

هذا وقد ذكر الدكتور عبد الحميد الشلقاني من كتب الخراج كتاب ليحيى بن آدم بن سليمان القرشي المتوفى سنة ٢٠٣ هـ - طبع ليدن سنة ١٨٩٦ م (الأعراب الرواة / ٣٣١)

(كشف الظنون لحاجي خليفة ٢ / ١٤١٥ ، وكتاب الخراج لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم - أ. د. علي أوزاك . مجلة الأزهر . الجزء الثاني ، السنة الحادية والستون صفر ١٤٠٦ هـ - سبتمبر - أكتوبر ١٩٨٨ م / ١٧٧ ، ١٧٨ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفي - وضعه محمد مطيع الحافظ ١ / ٢٩١ - ٢٩٣ ، والمنتخب من أدب العرب - طه حسين وزملائه ٢ / ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، و«نصوص مفقودة من كتاب الخراج لقدامة بن جعفر» - عباس هاني الجراح . مجلة الفيصل : العدد (١٦٩) رجب ١٤١١ هـ - يناير - فبراير ١٩٩١ . السنة الخامسة عشرة / ١٠٣ ، ١٠٤ ، ونبد من كتاب الخراج وصناعة الكتابة لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي المطبوع في كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة / ١٨٤ - ١٩١ ، والأعراب الرواة - د. عبد الحميد الشلقاني / ٣٣١)

* الخراج وصناعة الكتابة (كتاب) :

انظر : الخراج (كتاب -)

* الخراز :

قال السمعاني :

الخراز : بفتح الخاء المنقوطة والراء المهملة المشددة وفي

بغداد، سمع أبا هشام الرفاعي والحسن بن عرفة العبدى وغيرهما، وحدث بمكة، روى عنه أبو بكر محمد بن إبراهيم ابن المقرئ الأصبهاني وذكر أنه سمع منه بمكة.

وأبو محمد عبد الله بن عون الهلالي الخراز، من أهل بغداد، سمع مالك بن أنس وشريك بن عبد الله وعبد الرحمن ابن عبد الله العمري وإبراهيم بن سعد وإسماعيل بن عياش وعبد بن سليمان وخلف بن خليفة؛ روى عنه الحارث بن أبي أسامة وعباس بن محمد الدوري وموسى بن هارون وأبو بكر ابن أبي الدنيا وأبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي وأبو يعلى الموصلي، وكان ثقة، وسئل أحمد بن حنبل عنه فقال: ما به بأس، أعرفه قديما، وجعل يقول فيه خيرا؛ وقال صالح بن محمد جزرة الحافظ: عبد الله بن عون الخراز ثقة مأمون، وكان يقال إنه من الأبدال؛ وكان أبو القاسم البغوي يقول ثنا عبد الله بن عون الخراز وكان من خيار عباد الله ومات في شهر رمضان سنة ثنتين وثلاثين ومائتين.

وعبد الرحمن بن خالد الخراز من أهل أصبهان، سمع من النعمان بن عبد السلام، لا نعلم أنه حدث إلا ما ذكر عنه ابنه موسى بن عبد الرحمن وجودا في كتابه.

وأحمد بن الحارث الخراز، يروى عن أبي الحسن المدائني تصانيف.

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٣٥٥ واللباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ١٥ / ٤٩٩)

* الخراز (٧١٨ هـ / ١٣١٨ م):

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الشريشي الشهير بالخرّاز أصله من شريش مدينة بالعدوة الأندلسية وكانت سكناه بمدينة فاس إلى أن توفي به بعد سنة ٧١١ هـ ودفن بمكان يعرف الآن بباب الحمراء وكان إماما في مقراً نافع مقدما فيه كما كان إماما في الضبط عارفا بعلومه وأصوله قرأ على أئمة أجلة في فنون القراءات والضبط والعربية وغيرها وعمدته في ذلك هو الشيخ المحقق أبو عبد الله بن القصاب - وله رحمه الله تأليف أجلاها مورد الظمان وله نظم آخر قبله سماه عمدة البيان وفيه يقول:

سميته بممثلة البيسان

في رسم ما قد خط في القرآن
وفيه يقول عند الكلام على وجوب اتباع مرسوم القرآن:

فواجب على ذوى الأذهان

أن يتبعوا المرسوم في القرآن

ويقتدوا بما رآه نظرا

إذ جعلوه للأبام وزرا

وكيف لا يجب الاقتداء

لما أتى نصا به الشفاء

إلى عياض أنسه من غيرا

حرفا من القرآن عمدا كفرا

زيادة أو نقصا أو إن أبدا

شيئا من الرسم الذي تأصلا

وقد ذيل كتاب العمدة بنظم فن الضبط المتصل اليوم بمورد الظمان - وله تأليف آخر في الرسم كمورد الظمان منشور غير منظوم وله شرح على منظمة ابن بري المسماة بالدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع وله شرح على الحصرية في القراءات وقيل إن له شرحا على العقيلة للإمام الشاطبي وعلى الجملة فهو ممن فتح عليه في التأليف وسهل عليه فيه النظم والنثر وكان يعلم الصبيان بمدينة فاس - ولم يعرف على وجه التحديد سنة ولادته ولا وفاته غير أنه أدرك آخر القرن السابع وأول الثامن رحمه الله رحمة واسعة ونفعنا به (لطائف البيان ١ / ٤).

ترجم له الدكتور سعيد إعراب فقال في حديثه عن فن رسم القرآن وضبطه؛ وقد بسط الكلام على منظومة «مورد الظمان إليها أنفا:

أما الجانب الآخر - وهو فن الرسم والضبط - فقد ألف فيه كثيرون، سواء منهم القدامى أو المحدثون؛ ومن الذين اختصوه بالتأليف من أئمة هذا العصر، وبرعوا فيه براعة شديدة، وفاقوا من سواهم: أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الأموي الشريشي المعروف

بالخرّاز، ينتهي نسبه إلى أموي الأندلس؛ وأصله من شريش - عمل أشبيلية على مقربة من وادي لكّة - حيث كانت المعركة الفاصلة بين قوى الإسلام والنصرانية على يد طارق بن زياد البطل المغربي الشهير.

وقد سقطت شريش في يد الأسبان (٦٦١ هـ - ١٢٦٤ م)، وحاول أبو يوسف المريني استرجاعها - ولكن بدون جدوى؛ فهاجر أكثر أهلها إلى المغرب، واستوطنوا عدة جهات منه؛ وكان سكنى أبي عبد الله الشريشي بفاس، ولعله انتقل إليها - وهو صغير؛ فاشتغل أولاً بحرفة الخرازة، ولذا يلقب بالخرّاز؛ ثم أقبل على طلب العلم، وتلمذ لكثير من مشيخة فاس؛ وكان عمده في علوم القرآن - أبو عبد الله بن القصاب، ولقى ابن أجروم فأخذ عنه.

وكان أبو عبد الله الخراز إماماً في مقراً نافع، مقدماً فيه غير منازع؛ بارعاً في الرسم والضبط، عارفاً بعلمه وأصوله، قال فيه ابن الجزري: إمام كامل، ومقرئ متأخر؛ كرس حياته لتعليم كتاب الله العزيز، وتخرج على يديه كثير؛ ومن أبرز تلاميذه: أبو محمد بن آجطا الصنهاجي المعروف بالشارح، لأنه أول من شرح مورد الظمآن - على ما سنذكره بعد. توفي أبو عبد الله الخراز بفاس الجديد - سنة ثمان عشرة وسبعمائة (٧١٨ هـ)، ودفن بالجيارين (باب الحمراء)؛ وكان قبره معروفاً. أبو الحسن التروالي: وكان الأستاذ أبو إسحاق يريه للناس، ثم انظمت معالمه، وخفيت آثاره - والأمر لله.

خلف الإمام الخراز عدة مؤلفات في حرف نافع - قراءة ورسمًا، منها:

- عمدة البيان في رسم القرآن (رجز).
- تأليف آخر له في الرسم منشور، قال ابن آجطا: رأيتُه وطاقته.
- شرح الحصرية.
- شرح العقيلة.
- شرح الدرر اللوامع.
- رجز في الضبط، جعله أولاً ذيلًا لعمدة البيان.
- ونسب له بعضهم كتاب (اختلاف القراء في الوقف).

- «مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن»، ألحق به رجزه في الضبط الأنف الذكر؛ ولا بد لنا من وقفة مع كتابه هذا «مورد الظمآن» فشهرة الخراز ترجع إلى هذا الكتاب أكثر من غيره؛ وقد جمع فيه زيادة ما ألف في فن الرسم والضبط وزيادات أغفلها المتقدمون، أو اختلف فيها المتأخرون.

ويرى ابن خلدون أن الإمام الخراز لما كان آخر مدرسة بالمغرب في هذا الفن، فقد هجر الناس كتب الأقدمين واقتصروا عليه، وذاعت شهرته في الآفاق.

قال في هذا الصدد: «... وانتهت بالمغرب - يعني دراسة هذا الفن - إلى أبي عمرو الداني، فكتب فيها كتباً، من أشهرها: كتاب المقنع وأخذ به الناس وعولوا عليه؛ ونظمه الشاطبي في قصيدته الرائية المشهورة، وولع الناس بحفظها؛ ثم كثر الخلاف في الرسم في كلمات وحروف أخرى ذكرها أبو داود سليمان بن نجاح من موالى ابن مجاهد - في كتبه، ثم نقل بعده خلاف آخر، فنظم الخراز من المتأخرين بالمغرب أرجوزة زاد فيها على المقنع خلافاً كثيراً، وعزاه لناقليه؛ واشتهرت بالمغرب واقتصروا الناس على حفظها، وهجروا بها كتب أبي داود، وأبي عمرو، والشاطبي - في الرسم...».

وأرجوزة مورد الظمآن تقع في أربعمئة وأربعة وخمسين بيتاً، ثم ألحق بها رجزاً له في الضبط - وهو في مائة وأربعة وخمسين بيتاً؛ فيكون مجموع أبيات المورد والذيل: (٦٠٨) - ثمانية وستمئة بيت، ووجد في نسخة المؤلف ما صورته:

يقول ناظمه: «لما انتهى نظم هذا الرجز، بل أربعمئة وسبعة وثلاثين بيتاً؛ ثم انتسخ وانتشر، ورواه بذلك أناس شتى؛ ثم عثرت فيه على مواضع كنت وهمت فيها فأصلحتها، فبلغ أربعة وخمسين بيتاً مع أربعمئة، فصار الآن نيفاً على ما سبق منه سبعة عشر بيتاً؛ فمن قيد من هذه النسخة، فليثبت هذا بآخرها، ليوقف على صحتها، والله تعالى ولي التوفيق بمنه».

وقد ضمنه مقدمة وعشرة أبواب، وتحت كل باب فصول. تحدث أبو عبد الله الخراز في مقدمة «مورد الظمآن».

- أولا عن بعض مبادئ هذا الفن ، فذكر أن واضع الرسم
القرآنى ، هم الصحابة الكرام ، وأن اتباعه أمر محتم :
وبعد فاعلم أن أصل الرسم
ثبت عن ذوى النهى والعلم
جمعه فى الصحف الصديق
كما أشار عمر الفاروق
وبعد جرده الإمام
فى مصحف ليقتضى الأنعام
ولا يكون بعده اضطراب
وكان فيما قد رأى صواب
فينبغي لأجل ذا أن نقتضى
مرسوم ما أصله فى المصحف
وجاء آثار فى الاقتداء
بصحبه الفر ذوى العلاء
وقد اقتبس منه أبو عبد الله الخراز نحو اثنتى عشرة مسألة ،
اشتهر أمرها فى عهده ؛ ورواه المرادى عن شيخه ابن لب
القيسى ، عن أبى عبد الله المغامى - تلميذ الإمام الدانى .
هذا وأضاف الخراز بعض أحكام إلى الغازى بن قيس
القرطبى وغيره .
ثالثا - مصطلحات ضمنها كتابه المورد - اختصارا
للطريق ، وتقريبا للغرض المقصود :
وفى الذى كرر منه اكتفى
بذكر ما جا أولا من أحرف
منوعا يكون أو متحدا
وغيره ذا جئت به مقيدا
وكل ما قد ذكره أذكر
من اتفقا أو خلاف أثروا
والحكم مطلقا به إليهم
أشير فى أحكام ما قد رسموا
وكل ما جاء بلفظ عنهما
فابن نجاح مع دان رسما

وأذكر التى بهن انفرادا
لدى العقيلة على ما وردا
وكل ما لسواحد نسبت
فغيره سكت - إن سكت
وإن أتى بعكسه ذكرته
على الذى من نصه وجدته
إلى آخر ما أورده فى المقدمة من مصطلحات وإشارات .
خصص المؤلف الأبواب الثلاثة - لحذف حروف العلة :
الألف ، والواو ، والياء ؛ والحذف أنواع : إشارة ، واختصار
واقتصار - وهو أوسع باب استغرق نحو ثلثى الكتاب .
وتحدث فى الباب الرابع عن حذف إحدى اللامين
المتصلتين نحو اليل والذى والتى ، وما إلى ذلك . وتكلم فى
الباب الخامس عن الهمز وكيفية تصويره وأقسامه وأنواعه ،
وضمنه أربعة فصول :
أ - فى الهمزة المبتدأة .
ب - فى المتحركة المسبوقة بساكن .
ج - فى الساكنة المتوسطة والمتطرفة .
د - فى المتحركة المتوسطة .
وذكر فى الباب السادس الأحرف الزوائد فى المصاحف
من واو أو ياء أو ألف .
وبين فى الباب السابع أحكام الإبدال ، وهو إما إبدال واو
من ألف ، أو ياء منها كذلك .
وتحدث فى الباب الثامن عن الفصل ، وذكر الحروف
المقطوعة - وهى أحد عشر حرفا - ضمنها ستة فصول وأوضح
فى الباب التاسع أحكام الوصل ، وبين الكلمات الموصولة
وهو يحتوى على أربعة فصول .
وتكلم فى الباب العاشر - وهو آخر أبواب الكتاب - عن
رسم هاء التأنيث تاء إذا أضيفت إلى ظاهر ، وجعل الكلام فيها
ينحصر فى أربعة فصول ؛ ويمكن القول بأن المصاحف
العثمانية التى رسمت هاء التأنيث تاء تارة وهاء أخرى - أرادت
أن تجمع بين لغتين مشهورتين عند العرب ، استعملتهما فى
كلامها ، ونطقت بهما فى أشعارها .

ويذكر المؤلف في نهاية الأرجوزة - أن نظمه لها، أو على الأصح تحريره إياها - كان سنة (٧١١ هـ).

قـــد انتهى والحمد لله على

ما من من إتمامه وأكماله

في صفر سنة إحدى عشرة

من بعد سبعمائة للهجرة

وأشرت سابقا - إلى أن المؤلف ألحق بـرجزه «مورد

الظمان» - رجزا آخر له في الضبط، ليكون - كما قال - جامعا مفيدا:

هـذا تمام نظم رسم الخط

وهأنذا أتبعه بالضبط

حتى يكون جامعاً مفيداً

على الذي ألفيته معهوداً

ثم يقول الدكتور سعيد اعراب يذكر شروح منظومة «مورد الظمان» ويترجم لشارحيها:

ولنذكر بعض الذي كتبوا عن مورد الظمان، أو اختصوا رجزه في «الضبط» - بالشرح والتعليق؛ وقد ذكرت آنفا أن المؤلف كرس حياته لتعليم كتاب الله، وتدريس علومه؛ ومن تلاميذه الذين لازموه طويلا، وأخذوا عنه جل مؤلفاته، وكان من السباقين إلى شرح أرجوزته: «مورد الظمان»، بل يعتبر أول شارح لنا.

* هو أبو محمد عبد الله بن عمر الصنهاجي المعروف بن آجطا، ولعله من صنهاجة أعمال صفرو؛ تعلم بفاس، وبها توفي سنة (٧٥٠ هـ) وضريحه بالباب الحمراء، وهو الآن غير معروف.

جلس أبو محمد آجطا على كرسي الإقراء بفاس، وتلمذ له كثير؛ من بينهم: أبو عبد الله محمد بن آجروم المعروف بمنديل، وأبو الحسن علي بن يخلف المديوني الشهير بابن جزو، من شيوخ السراج، ذكره في فهرسته.

ويحمل شرحه هذا عنوان (البيان في شرح مورد الظمان)، وهو شرح مطول، يقع في نحو ٢٠٠ صفحة من

القطع الكبير؛ وصدره بخطبة مسجوعة طويلة يقول فيها: (... ولما رأيته محسنا، في نظمه متقنا ... واعتنى الناس بحفظه في البلدان، وتردد ذكره بين الشيوخ والولدان؛ أردت أن أشرحه، وأذكر مشكله وموضحه؛ وكنت ابتدأت هذا الشرح في حياة ناظمه؛ وكانت لي في ذلك عزيمة ونية، وانتهيت به إلى الأسماء الأعجمية؛ يعني قوله في باب الحذف:

والأعجمية كنعـو لقمـان

ونعـو إسحـاق ونعـو عمران

ثم عزفت نيتي، وانحلت عزمي لأعذار أوجبت ذلك؛ منها الاشتغال بتعليم الصبيان، لاستغراقهم جميع الزمان؛ وتغير الأحوال، ومكابدة العيال؛ وأمور كثيرة حالت بيني وبين إتمامه ...

ثم يذكر أنه في سنة (٧٤٤ هـ) قدم عليه بعض طلبة تلمسان وسألوه إقراء هذا الرجز، وألحوا عليه في الطلب؛ فلبى رغبتهم، وكان ذلك من دواعي إتمام هذا الشرح، «... فأخذت في إتمامه على المنهاج الذي بدأته أولا كما ذكرت؛ على أنني أيضا لم أر أحدا من أهل عصرنا تعرض لشرحه، والاعتناء به؛ إذ كان ناظمه - رحمه الله - قد أجازني فيه، وسمعت منه وقرأته عليه قراءة تفقه وبحث ...»

وقد عاد ابن آجطا إلى الأصول التي اعتمدها الخرّاز، وأورد نصوصها، وقارن بينها؛ وناقش المؤلف في استنباطاته منها، وربما شافهه في بعض ذلك؛ فتراه مثلا يقول في مسألة نسب أبو عبد الله الخرّاز الحكم فيها إلى أبي داود في تنزيله: «... وقد طالعت نسخا من التنزيل، فلم أجد أبا داود ذكر ذلك؛ ففاوضت الناظم في هذا مدة سكناه بالبلد الجديد، فواعدني البحث عليه، فلم أره بعد ذلك رحمه الله ...».

ورجع ابن آجطا كذلك إلى عشرات المصادر في هذا الفن، ونخلها وعرف كيف يستفيد منها؛ وعلى الجملة، فهو في غاية التحرير والإتقان، وكل الشروح عالية عليه؛ وقد كتب أبو عبد الله القصار - إلى تلميذه أبي العباس الشريف العلمي يقول: «... وأعجبنى إقراؤك الخرّاز، واعتمد على ابن آجطا، فإن نقله صحيح، وكثير من شروح الخرّاز فيه تحريف ...».

وهناك نسخ مختصرة من هذا الشرح تحمل نفس العنوان: (التبيان) - منسوبة إلى المؤلف، ولعل ذلك مما قيده بعض تلاميذه أيام إقرائه لهم.

المجاصي - وهو أبو عبد الله محمد بن شعيب بن عبد الواحد بن الحجاج المجاصي اليصليتي، ذكره تعلم برباط تازة على أبي الحسن بن برى، وهناك أخذ عنه كتابه «الدرر اللوامع».

ويذكر المجاصي من شيوخه بتازة - أبا عبد الله المالقي نزير تازة، وأبا عبد الله محمد بن الحسن بن أحمد بن أبي بكر التسولي اللتي.

وأخذ بفاس عن أبي الحسن علي بن سليمان القرطبي مقرئ فاس، وأبي العباس بن عبد الرحمن بن تميم المجاصي الشهير بالمكناسي، وأبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن محمد بن بادي الغابري، وسواهم.

وأورد سنده المتصل في مقراً نافع إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يمكن لي إيراد لطلوه، على ما فيه من فوائد جلي.

وكان المجاصي معلم الصبيان - بجامع ابن أصناج بمدينة تازة، وتلمذ له الكثير من أبناء هذا البلد وغيره؛ ويذكر السراج في فهرسته - أن من تلاميذه - أبا عبد الله بن آجروم المعروف بالمنديل، قرأ عليه فاتحة الكتاب بالقراءات السبع، وبعض الشاطبية، وبعض الدرر اللوامع؛ وناولوه شرحه عليه... توفي أبو عبد الله المجاصي أواسط القرن الثامن الهجري، وخلف مؤلفات في علوم القرآن، منها:

- شرحه على مورد الظمان، وعندي نسخة فيها بتر كبير لم أستطع أن أستفيد منها كثيرا، ذكر أنه فرغ منه ٧٤٣ هـ.

- شرح ضبط الخراز.

- شرح الدرر اللوامع وقفت عليه أخيرا وهو شرح موسع ذكر أنه كتبه سنة ٧٢٣ هـ، وهو مهم جدا.

- منظومة في غريب القرآن، جاء في مقدمتها:

وبعد حمد السواضع المجيب

فلنبتدي في القبول في التفسير

مختصرا موجزا في اللفظ

لراغب في درسه والحفظ

عن السدي قد صح عندي فيه

من كتب الإيضاح والتنبيه

وتختلف نسخها اختلافا بينا، ولعل المؤلف زاد فيها ونقص، فرواها الناس كذلك.

ومن أهم الشروح: «تنبيه العطشان، على مورد الظمان» - لأبي علي الحسين بن علي بن طلحة الرجرجي الشوشاوي (ت ٩٠٠ هـ) دفين أولاد برحيل بقبيلة المنابهة.

له مؤلفات، منها: «حلية الأعيان، على عمدة البيان»، وشرحه «تنبيه العطشان» من أوسع شروح مورد الظمان، اعتمد فيه كثيرا على ابن آجطا (الشارح)، وناقشه في بعض آرائه؛ وقد انتقد الخراز في مواضع من هذا الكتاب، وأغلبها مسبوق بها؛ وأورد في باب الحذف فقط - اثني عشر اعتراضا، أجاب عن جلها وقال في الباقي: إنها اعتراضات لازمة.

وطريقته: أن يورد في كل موضوع عدة أسئلة ثم يجيب عنها واحدا واحدا، وينتهي من كل بيت بإعراب ما يحتاج إلى إعرابه في إيضاح المعنى.

وله إصلاحات وتكميلات لبعض الأبيات، ووجد في بعض النسخ أنه فرغ من عام (٨٤٢ هـ) (كذا)؟

«فتح المنان، المروى بمورد الظمان» - لأبي محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري، هاجر أسلافه من الأندلس إلى عدوة المغرب، واستوطنوا مدينة فاس، وبها ولد في حدود ٩٩٠ هـ، ونشأ على كريم الأخلاق، وتربى في بيت يغمره الفضل والصلاح.

حفظ القرآن وجوده على أبي العباس اللمطي، وأخذ القراءات السبع عن أبي العباس الكفيف، ثم عن أبي عبد الله الشريف المريني التلمساني؛ وتلمذ للشيخ القاصار، وأبي القاسم بن القاضي، وأبي عبد الله بن الجنان، وسواهم.

كان رحمه الله عالما متبحرا في علوم القرآن، شاركا في سائر الفنون؛ ناسكا، ورعا زاهدا؛ مشابرا على التعليم، كثير الإنصاف في مباحثاته، انفرد في عصره بعلم الرسم؛ وتخرج

أخذ عن أبي محمد عبد القادر الفاسي، وولده أبي عبد الله (محمد)، وأخذ علوم القرآن عن أبي زيد بن القاضي. كان عالماً بالحديث والسير، والفقه والتصوف، والنحو والبيان، والتفسير واللغة، خيراً ديناً فاضلاً، لا يرى إلا مدرسا أو كاتباً، أو ناسخاً، أو باحثاً.

انتقل في أخريات حياته إلى سلا، ونزل بزاوية أبي العباس حجي، ودرس بها البخاري، والشافعي، والشمائل توفي عام ١١١٩ هـ.

له مؤلفات في القراءة والرسم، منها: هذا الشرح الذي أبان فيه عن اطلاع واسع، وفهم دقيق لمسائل هذا الفن؛ وقد استقى كثيراً من مكتبة شيخه ابن القاضي، وله تذييل على الخراز فيما أغفله من مسائل الرسم، واستدرك كثيراً على إعلان ابن عاشر - ونظم ذلك في رجز.

وهناك شروح أخرى مختصرة نجمل الكلام عنها فيما يلي:

«الدرر الحسان، في اختصار التبيان» - لأبي عبد الله محمد بن خليفة بن صالح الصنهاجي، كتب جله في رحلاته إلى أفريقية سنة ٨٣٦ هـ.

طرر لأبي الحسن التروالي المعروف بالزهروني، وهي مهمة جداً؛ جمعها بعض تلاميذه وزاد عليها زيادات، وأسماها «مجموع البيان، في شرح مورد الظمان».

تعليق: لأبي عبد الله شقرون الوهراني (ت ٩٢٩ هـ).

غريلة مورد الظمان - لسعيد بن سعيد الكرامي الجزولي، من أهل القرن التاسع.

شرح في نحو مائة صفحة من القطع الصغير، لأبي العباس أحمد بن عبد الله بن يعقوب الجزولي، كتبه سنة (١٠٨٥ هـ).

تقييد على مورد الظمان لمحمد بن مجبر.

- (الخلاف والتشهير والاستحسان، فيما أغفله مورد الظمان)، لأبي زيد بن القاضي (ت ١٠٨٢ هـ)، وذيله برجز يقول فيه:

على يديه كثير، منهم: الشيخ ميارة، والحافظ المقرئ أبو زيد بن القاضي؛ - رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وهناك نظم أرجوزته: «المرشد المعين»، وكان ينكر على الناس قراءة القرآن في جنازتهم، ويرى أن اصطناع الحزابين في ذلك من البدع التي تجب محاربتها.

وعلى الجملة، فقد كان مثال العالم العامل، اعتكف وجهاد، ونصح العباد، توفي سنة ١٠٤٠ هـ؛ وخلف آثاراً علمية قيمة، منها:

- «المرشد المعين، على الضروري من علوم الدين»، شرح مختصر خليل - لم يكمله، عمل الربع المجيب «رجز في التوقيت»، تعليق على كبرى السنوسى.

- «الإعلان، بتكميل مورد الظمان» - في رسم غير نافع من بقية السبعة، وله عليه شرح.

وشرحه «فتح المنان» يدل على تبحر في علوم القرآن، وتضلع شامل في فنون اللسان؛ ووضع أبو زيد المنجرة حواشيه (القراء والقراءات / ٣٤-٤٧).

قالت المؤلفة: يوجد مخطوط «فتح المنان» هذا في خزانة القرويين وجاء بيانه كما يلي:

أول النظم المشروح: الحمد لله العظيم المنن. ومرسل الرسل بأهدى سنن.

جزء متوسط بخط مغربي كتب فيه المتن بالأحمر في كاغد متين أصابه خرق السوس ضمن مجموع من ١ / ب إلى ١٣٩ / ١.

من تحبب عمة السلطان سيدي محمد عام ١٣٥٣.

كتبه عبد الرحمن بن إبراهيم اجرف به عرف عام ١٠٨٠.

أوراقه ١٣٩ / ٣٢ / ٣٠ / ٢١ (فهرس خزانة القرويين ٥٢٦/٢).

- ولأبي إسحاق الدرعي تذييل على مورد الظمان.

«منهاج رسم القرآن، في شرح مورد الظمان» - لأبي الفضل مسعود بن محمد بن مجموع السجلماسي، أخذ تعليمه الأولى ببلده سجلماسة، ثم ارتحل إلى فاس، وبها أنهى دراسته.

وهناك ما حذف في التنزيل

وليس في المـورد خـذف تفصيلي

— ومن إحدث الشروح: «دليل الحيران، على مورد الظمان» — لأبي إسحاق إبراهيم المارغني، (ت ١٣٤١ هـ).
— وله شرح على إعلان ابن عاشر سماه «تنبيه الخلان، على الإعلان بتكميل مورد الظمان» —.

— طبع كل من الشرحين بتونس (القراء والقراءات / ٣٤ - ٤١، ٤٣ - ٤٩).

(لطائف البيان في رسم القرآن شرح مورد الظمان - الشيخ أحمد محمد أبي زيتحار ٤/١، والقراء والقراءات بالمغرب - د. سعيد اعراب / ٣٤ - ٤١، ٤٩ - ٤٣، وفهرس مخطوطات خزانة القرويين لمحمد العابد الفاسي ٢/ ٥٢٦. انظر أيضا الأعلام للزركلي ٧/ ٣٣).

انظر: رسم القرآن، ضبط القرآن.

* الخرّاز (أبو سعيد):

أدرجه الإمام أبو عبد الرحمن السلمي في الطبقة الثانية للصوفية وقال عنه:

أبو سعيد أحمد بن عيسى الخرّاز، وهو من أهل بغداد.

صحب ذا النون المصري، وأبا عبد الله النجاشي، وأبا عبيد البصري، وصحب أيضا سريا السقطي، وبشر بن الحارث، وغيرهم.

وهو من أئمة القوم وجلة مشايخهم، قيل إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء. ومات سنة تسع وسبعين ومائتين (في الأعلام ١/ ١٩١ وفاته سنة ٢٨٦ هـ).

ومن كلامه:

— إن الله تعالى عجل لأرواح أوليائه التلذذ بذكره، والوصول إلى قرب، وعجل لأبدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم، وأجزل نصيبهم من كل كائن... فعيش أبدانهم عيش الجنائين، وعيش أرواحهم عيش الربانيين. لهم لسانان:

لسان في الباطن، يعرفهم صنع الصانع في المصنوع، ولسان في الظاهر يعلمهم علم المخلوقين، فلسان الظاهر يكلم أجسامهم، ولسان الباطن يناجي أرواحهم.

— وسئل عن الأنس، ما هو؟ فقال: استبشار القلوب بقرب الله تعالى، وسرورها به، وهدوؤها في سكونها إليه، وأمنها معه من حيث الروعات، وإعفاؤه لها من كل ما دونه أن يشير إليه، حتى يكون هو المشير، لأنها ناعمة به ولا تحمل جفاء غيره.

— وكان نائما فانتبه وقال: اكتبوا ما وقع لي في هذا النوم.

إن الله تعالى جعل العلم دليلا عليه ليعرف وجعل الحكمة رحمة منه عليهم ليؤلف، فالعلم دليل إلى الله، والمعرفة دالة على الله، فبالعلم تنال المعلومات، وبالمعرفة تنال المعرفات، والعلم بالتعلم، والمعرفة بالتعرف، فالمعرفة تقع بتعريف الحق، والعلم يدرك بتعريف الخلق، ثم تجرى الفوائد بعد ذلك.

— مثل النفس مثل ماء واقف ظاهر صاف، فإن حركته ظهر ما تحته من الحماة، وكذلك النفس تظهر عند المحن والفاقة والمخالفة، ومن لم يعرف ما في نفسه كيف يعرف ربه؟

— وقال في معنى قول النبي ﷺ: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها»: وأعجبا ممن لم ير محسنا غير الله كيف لا يميل بكليته إليه!

— كل باطن يخالف ظاهرا فهو باطل.

— إذا كانت العين واحدة فمن أي حال تلونت عليك فاجر فيها، فإن التغيير من جهتك، لأن عين الحق لا تتقلب.

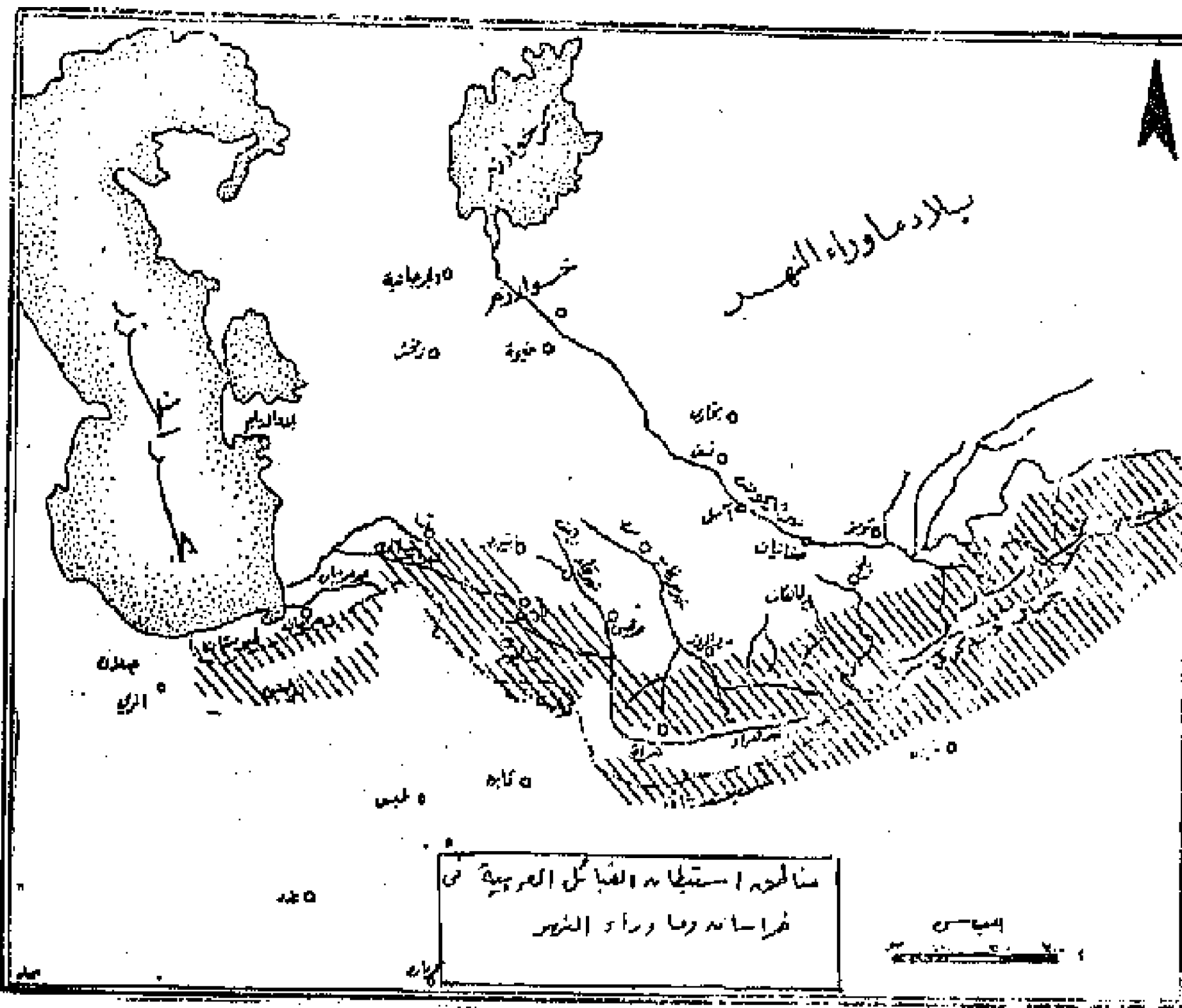
— للعارفين خزائن أو دعوها علومها غريبة وأنباء عجيبة، يتكلمون فيها بلسان الأبدية، ويخبرون عنها بعبارة الأزلية.

— لولا أن الله عز وجل أدخل موسى عليه السلام في كتفه لأصابه مثل ما أصاب الجبل.

(طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي - يسره ورتبه أحمد الشرباصي / ٥٣، ٥٤. انظر أيضا الموسوعة الصوفية - د. عبد المنعم الحفني / ١٣٧ - ١٤٠، وتاريخ متصوفة بغداد - جميل إبراهيم حبيب / ٣٦ - ٣٨، والرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري / ٣٨، والأعلام للزركلي ١/ ١٩١ وفيه وفاته سنة ٨٦ هـ / ٨٩٩ م).

* خراسان:

بلاد قديمة في آسيا بين نهر اموداريا شمالا وشرقا وجبال هندوكوش جنوبا، ومناطق فارس غربا امتدت أحيانا إلى بلاد



صغد، ما وراء النهر، إلى سجستان جنوباً. تتقاسمها اليوم إيران الشرقية الشمالية (اشتهر منها نيسابور) وأفغانستان الشمالية (اشتهر منها هراة وبلخ) ومقاطعة تركمانيا السوفيتية (اشتهر منها مرو) غزاها الضحاك سنة ٦٥٦. وحشد فيها أبو مسلم الخراساني ودعاة العباسيين سنة ٧٤٨ الجيوش التي قضت على الخلافة الأموية في الشرق. وكلمة خراسان مركبة من «خور» أي شمس، و «اسان» أي مشرق (المنجد / ١٧٤).

قال عنها ابن عبد ربه :

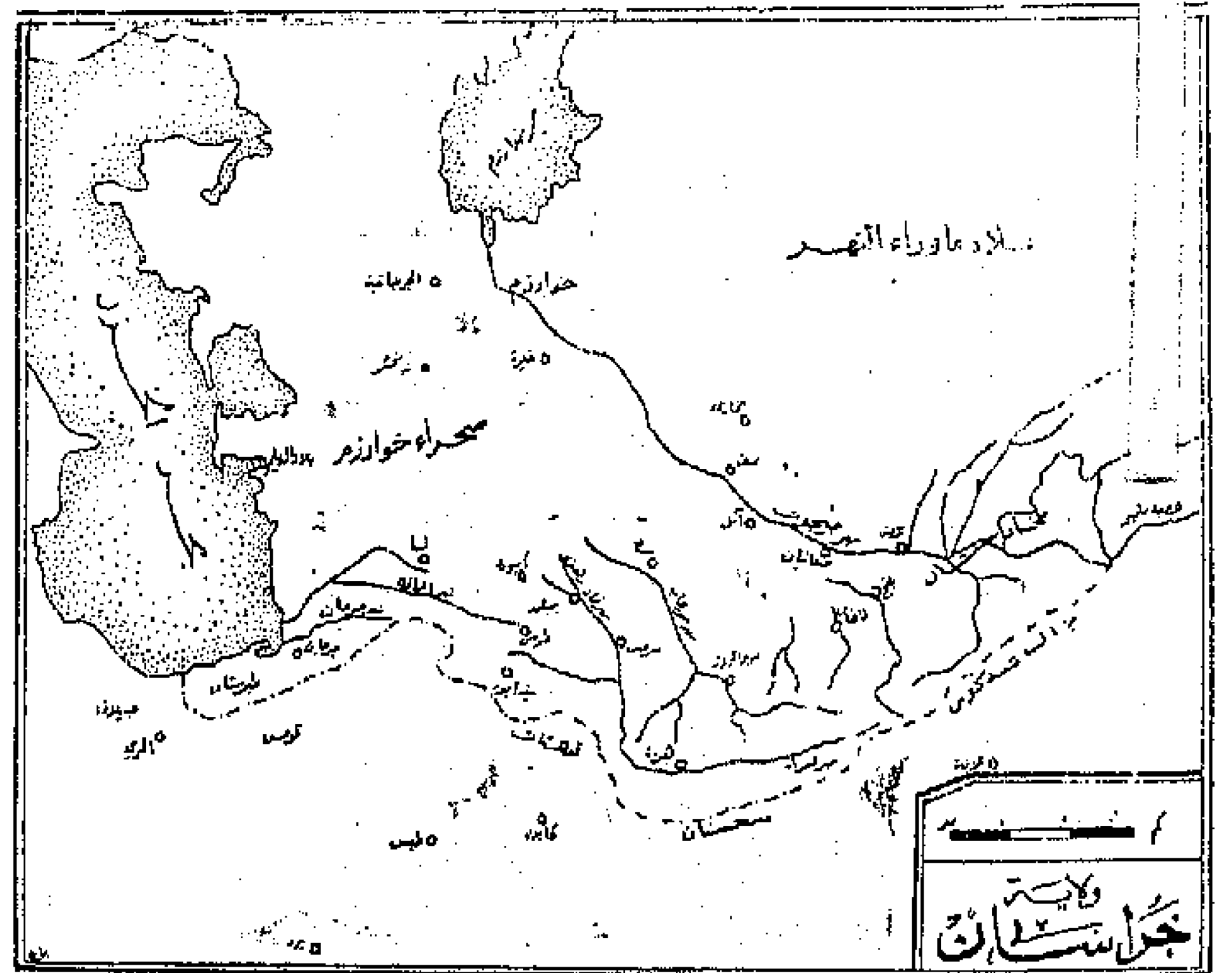
أول مدنها الري، وهي آخر الجبال من خراسان، وإليها ينسب من الرجال الرازي؛ ومن خراسان مرو، وهي دار خلافة المأمون، ومنها خرج أبو مسلم صاحب الدعوة، ومن ينسب إليها من الرجال، يقال له مروزي، ومن الثياب مروى؛ ومدينة يقال لها قومس، وإليها تنسب الطبقات القومسية؛ ومدينة يقال لها سابور، بها ملك بنى طاهر؛ ومدينة يقال لها هراة، إليها ينسب الهروي من الرجال والمتاع؛ ومدينة يقال لها بلخ، وإليها ينسب البلخي، وبها معادن البجادي العتيق، وهو جنس من الفصوص تسميه العامة البزادي؛ ومدينة يقال لها خوارزم، وإليها ينسب الخوارزمي، وهي على شط البحر المحيط؛ وبلخ على شط النهر العظيم، الذي يقال له جيحون بخراسان، ثم جرجان، وهي مدينة عظيمة على شط

البحر المحيط، وإليها ينسب الوشي الجرجاني والمتاع؛ ثم قوهي، وهي مدينة عظيمة إليها ينسب القوهي من الثياب؛ ثم كابل، وهي مدينة يؤتى منها بالهليلج الكابلي؛ ثم سمرقند، وهي مدينة عظيمة، إليها ينسب السمرقندي من الثياب، وبين بغداد وبينها مسيرة ستة أشهر، وهي مما يلي كرمان، وهي على بطائح السند. وبلاد السند من آخر خراسان، ما بين المغرب والمشرق من جهة القبلة؛ وآخر مدن خراسان مدينة يقال لها تبت، وهي من أرض الترك وبها مجمع المسك؛ ومدينة يقال لها فرغانة، وأهلها جنس من العجم يقال لهم الصغد، وهم الذين يقطعون آذانهم من الحزن إذا مات لهم كبير.

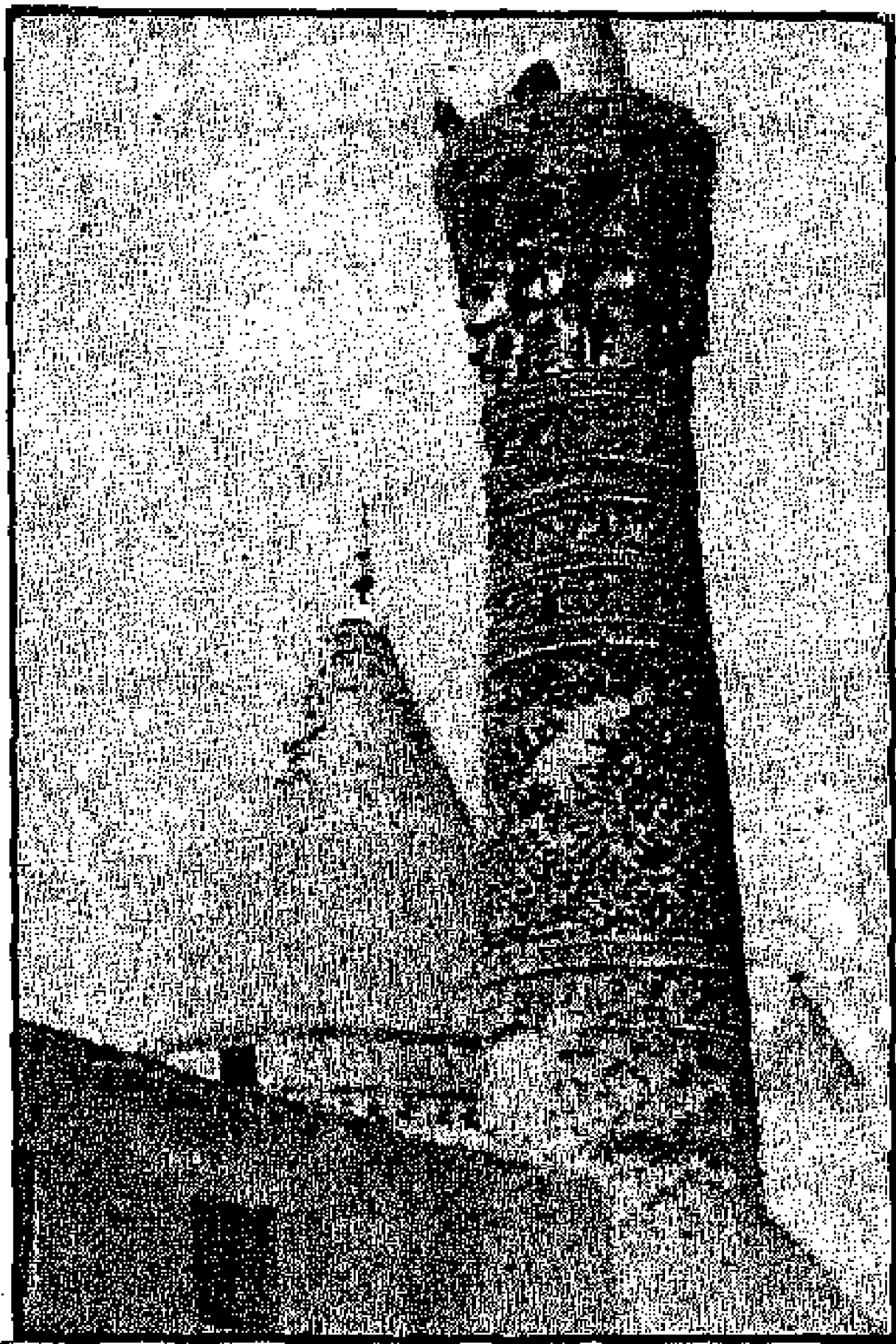
ومن المدن التي في صدر خراسان على الجبال، مدينة يقال لها قرميسين، ثم الدينور، وإليها ينسب الدينوري؛ ومدينة همذان، مدينة عظيمة؛ وطبرستان، مدينة عظيمة، فيها تعمل الأكسية الطبرية؛ ثم قم، وهي مدينة عظيمة، منها يؤتى بالزعفران؛ ثم أصبهان، وهي مدينة عظيمة؛ ثم طوس، وهي من ثغور الجبال (العقد الفريد ٧/ ٢٨٦، ٢٨٧).

وخراسان أحد جانبي المشرق وفقاً لتقسيم المقدسي الذي يقول عن جانب خراسان :

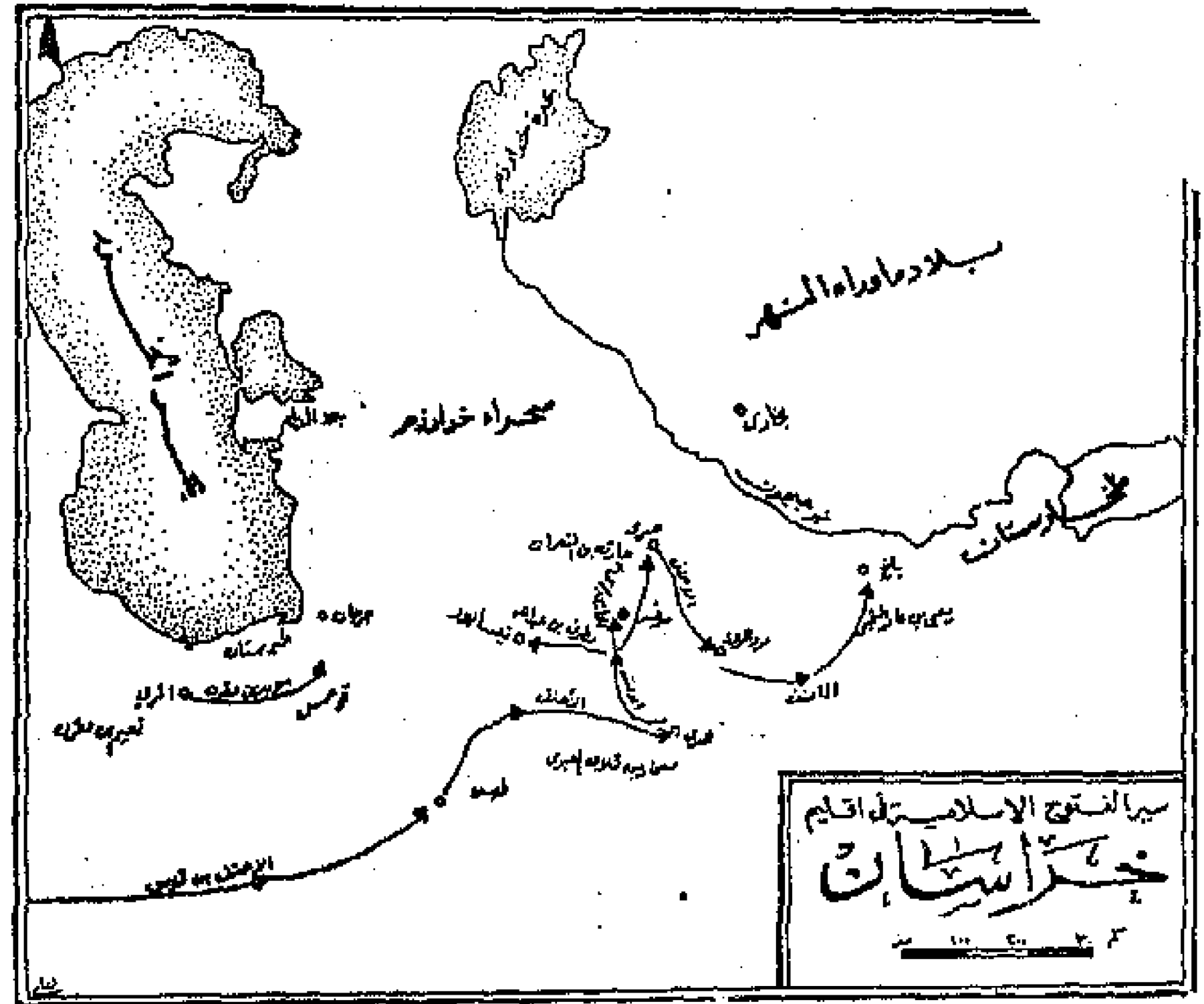
اعلم أن لهذا الإقليم فضائل تنسب إلى هذا الجانب،



هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهي كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها ويعد ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحا، ونذكر ما يعرف من ذلك في مواضعها، وذلك في سنة ٣١ في أيام عثمان، رضى الله عنه، بإمرة عبد الله بن عامر بن كريز؛ وقد اختلف في تسميتها بذلك فقال دغفل النسابة: خرج خراسان وهبط ابنا عالم بن سام بن نوح، عليهما السلام، لما تبلبلت الألسن ببابل فتزل كل واحد منهما في البلد المنسوب إليه، يريد أن هبط نزل في البلد المعروف بالهياطلة، وهو ما وراء نهر جيحون، ونزل خراسان في هذه البلاد التي ذكرناها دون النهر فسميت كل بقعة بالذي نزلها، وقيل: خر اسم للشمس بالفارسية الدرية وأسان كأنه أصل الشيء ومكانه، وقيل: معناه كل سهلا لأن معنى خر كل وأسان سهل، والله أعلم؛ وأما النسبة إليها ففيها لغات، في كتاب العين: الخرسى منسوب إلى خراسان، ومثله الخراسي والخراساني ويجمع على الخراسين بتخفيف ياء النسبة كقولك الأشعرين؛ وأنشد:



صورة ٥٧ - إيران - خراسان: بستان: مشهد معروف باسم بلخ.
(حوالي ٧٠٠ - ١٣ / ١٣٠٠ - ٢١٣).



ويشركه في أكثرها جانب هبط، إلا أن هذا لما كان أقدم في الاختطاط والفتح في الإسلام وأقرب إلى أقاليم العرب. خص بالذكر وعرف عند النسبة.

يحكي عن ابن قتيبة (تأني ترجمته في موضعها إن شاء الله تعالى) أنه قال: خراسان أهل الدعوة وأنصار الدولة. لما أتى الله بالإسلام كانوا فيه أحسن الأمم رغبة، وأشدهم إليه مسارعة منا، من الله عليهم، أسلموا طوعا، ودخلوا فيه أفواجا، وصالحوا عن بلادهم صلحا، فخف خراجهم، وقلّت نوائبهم، ولم يجب عليهم سبى، ولم يسفك فيما بينهم دم، مع قدرتهم على القتال، وكثرة العدد وشدة البأس...

وقد جعلنا خراسان تسع كور وثمانى نواح، ورتبناهن في هذا الفصل على المقادير وعند الوصف على التخوم. فأولها من قبل جيحون بلخ وفي المقادير نيسابور. وأما النواحي فأجلها قدرا بوشنج ثم باذغيس ثم غرجستان ثم مرو الروذ ثم طخارستان ثم باميان ثم كنج رستاق ثم أسفزار. وقد جعلنا طوس وأختيها خرائن لنيسابور، وجعلنا سرخس من المنفردات عن الكور لأنها تشكل (أحسن التقاسيم / ٢٣٤، ٢٣٥).

وقد بسط ياقوت الكلام على خراسان فقال عنها:

خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزاوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان، وكرمان، وليس ذلك منها إنما

لا تكبر من من بعدها خراسيا

ويقال: هم خُرَّسان كما يقال سودان وبيضان؛ ومنه قول
بشار في البيت:

من خُرَّسان لا تُعاب

يعنى بناته، وقال البلاذري: خراسان أربعة أرباع، فالربع الأول إيران شهر وهي نيسابور وقهستان والطبسان وهراة وبوشنج وباذغيس وطوس واسمها طابران، والربع الثاني مرو الشاهجان وسرخس ونسا وأبيورد ومرو الروذ والطالقان وخوارزم وآمل وهما على نهر جيحون، والربع الثالث، وهو غربي النهر وبينه وبين النهر ثمانية فراسخ، الفارياب والجوزجان وطخارستان العليا وخست واندراية والياميان وبغلان ووالج، وهي مدينة مزاحم بن بسطام، ورستاق بيل وبذخشان، وهو مدخل الناس إلى تُبَّت، ومن اندراية مدخل الناس إلى كابل، والترمذ، وهو في شرقي بلخ، والصغانيان وطخارستان السفلى وخلم وسمنجان، والربع الرابع ما وراء النهر بخارى والشاش والطرايند والصغد، وهوكس، ونسف والروستان وأشروسنة وسنام، قلعة المقنع، وفرغانة وسمرقند، قال المؤلف: فالصحيح في تحديد خراسان ما ذهبنا إليه أولا وإنما ذكر البلاذري هذا لأن جميع ما ذكره من البلاد كان مضموما إلى والي خراسان وكان اسم خراسان يجمعها، فأما ما وراء النهر فهي بلاد الهياطلة ولاية برأسها وكذلك سجستان ولاية برأسها ذات نخيل، لا عمل بينها وبين خراسان؛ وقد روى عن شريك بن عبد الله أنه قال: خراسان كنانة الله إذا غضب على قوم رماهم بهم، وفي حديث آخر: ما خرجت من خراسان راية في جاهلية وإسلام فردت حتى تبلغ منتهاها؛ وقال ابن قتيبة: أهل خراسان أهل الدعوة وأنصار الدولة ولم يزالوا في أكثر ملك العجم لقاحا لا يؤدون إلى أحد إتاوة ولا خراجا، وكانت ملوك العجم قبل ملوك الطوائف تنزل بلخ حتى نزلوا بابل ثم نزل أردشير بن بابك فارس فصارت دار ملكهم وصار بخراسان ملوك الهياطلة، وهم الذي قتلوا فيروز بن يزدجرد بن بهرام ملك فارس، وكان غزاهم فكادوه بمكيذة في طريقه حتى سلك سيلا معطشة يعنى مهلكة، ثم خرجوا إليه فأسروه وأكثر أصحابه معه، فسألهم أن يمينوا عليه وعلى من أسر معه من

أصحابه وأعطاهم موثقا من الله وعهدا مؤكدا لا يغزوهم أبدا ولا يجوز حدودهم، ونصب حجرا بينه وبينهم صيره الحد الذي حلف عليه وأشهد الله عز وجل على ذلك ومن حضره من أهله وخاصة أساورته، فمينوا عليه وأطلقوه ومن أراد ممن أسر معه، فلما عاد إلى مملكته دخلته الأنفة والحمية مما أصابه وعاد لغزوههم ناكثا لأيمانه غادرا بدمته وجعل الحجر الذي كان نصبه وجعله الحد الذي حلف أنه لا يجوزته محمولا أمامه في مسيره يتأول به أنه لا يتقدمه ولا يجوزته، فلما صار إلى بلدهم ناشدوه الله وأذكروه به فأبى إلا لجاجا ونكثا فواقعوه وقتلوه وحُماته وكُماته واستباحوا أكثرهم فلم يفلت منهم إلا الشريد، وهم قتلوا كسرى بن قباد، ثم أتى الإسلام فكانوا فيه أحسن الأمم رغبة وأشدهم إليه مسارعة متًا من الله عليهم وتفضلا لهم فأسلموا طوعا ودخلوا فيه سلما وصالحوا عن بلادهم صلحا، فخف خراجهم وقلَّت نوائبهم ولم يجر عليهم سباء ولم تسفك فيما بينهم دماء، وبقوا على ذلك طول أيام بني أمية إلى أن أساءوا السيرة واشتغلوا باللذات عن الواجبات، فانبعث عليهم جنود من أهل خراسان مع أبي مسلم الخراساني ونزع عن قلوبهم الرحمة وباعد عنهم الرأفة حتى أزالوا ملكهم عن آخرهم رأيا وأحنكهم سنا وأطولهم باعا فسلموه إلى بني العباس، وأنفذ عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، الأحنف بن قيس في سنة ١٨ فدخلها وتملك مدنها فبدأ بالطبسين ثم هراة ومرو الشاهجان ونيسابور في مدة يسيرة، وهرب منه يزدجرد بن شهريار ملك الفرس إلى خاقان ملك الترك بما وراء النهر، فقال رباعي بن عامر في ذلك:

ونحن وردنا، من هراة، مناهلا

رواء من المروين، إن كنت جاهلا

وبلخ ونيسابور قد سقيت بنا،

وطوس ومرو قد أزرنا القنابلا

أنخنا عليها، كورة بعد كورة،

نفضهم حتى احتسبنا المناهلا

فلله عينا من رأى مثلنا معا،

غداة أزرنا الخيل تركا وكابلا

وبقى المسلمون على ذلك إلى أن مات عمر، رضى الله عنه، وولى عثمان، فلما كان لستين من ولايته ثرا بنو كنازا، وهم أخوال كسرى، بنيسابور وألجؤوا عبد الرحمن بن سمرة وعماله إلى مرو الروذ وثنى أهل مرو الشاهجان وثلاث نيزك التركي فاستولى على بلخ وألجأ من بها من المسلمين إلى مرو الروذ وعليها عبد الرحمن بن سمرة، فكتب ابن سمرة إلى عثمان بخلع أهل خراسان؛ فقال أسيد بن المششم المرى:

ألا أبلغا عثمان عنى رسالة،

فقد لقيت عنا خراسان بالقدر
فأذك، هداك الله، حربا مقيمة

بمروى خراسان العريضة فى الدهر
ولا تفترز عنا، فإن عدونا

لآل كنازاء الممدين بالجر
فأرسل إلى ابن عامر عبد الله بن بشر فى جند أهل البصرة، فخرج ابن عامر فى الجنود حتى تولج خراسان من جهة يزد والطبيين وبث الجنود فى كورها وساروا نحو هراة فافتتح البلاد فى مدة يسيرة وأعاد عمال المسلمين عليها؛ وقال أسيد ابن المششم بعد استرداد خراسان:

ألا أبلغا عثمان عنى رسالة،
لقد لقيت منا خراسان ناطحا

رميناهم بالخيل من كل جانب،
فسولوا سراعا واستقادوا النوائح

غداة رأوا خيل العرب مغيرة،
تقرب منهم أسيدهم الكوالحا
تنادوا إلينا واستجاروا بعهدينا،

وعادوا كلابا فى الديار نوابحا
وكان محمد بن على بن عبد الله بن العباس قال لدعائه حين أراد توجيههم إلى الأمصار: أما الكوفة وسوادها فهناك شيعه على وولده والبصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف، وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج، ومسلمون أخلاقهم كأخلاق النصارى، وأما الشام فليس يعرفون

إلا آل أبى سفيان، وطاعة بنى مروان عداوة راسخة وجهل متراكم، وأما مكة والمدينة فغلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بأهل خراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تنقسمها الأهواء ولم تنوزعها النحل ولم يقدم عليهم فساد، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة؛ فلما بلغ الله إرادته من بنى أمية وبنى العباس أقام أهل خراسان مع خلفائهم على أحسن حال وهم أشد طاعة وأكثر تعظيما للسلطان وهو أحمد سيرة فى رعيته يتزين عندهم بالجميل ويستتر منهم بالقبيح إلى أن كان ما كان من قضاء الله ورأى الخلفاء الراشدين فى الاستبدال بهم وتصيير التدبير لغيرهم فاختلفت الدولة وكان من أمرها ما هو مشهور من قبل الخلفاء فى زمن المتوكل وهلم جرا ما جرى من أمر الديلم والسلجوقية وغير ذلك؛ وقال قحطبة بن شبيب لأهل خراسان: قال لى محمد بن على بن عبد الله أبى الله أن تكون شيعتنا إلا أهل خراسان لا ننصر إلا بهم ولا ينصرون إلا بنا، إنه يخرج من خراسان سبعون ألف سيف مشهور، قلوبهم كزبر الحديد، أسماؤهم الكنى وأنسابهم القرى، يطيلون شعورهم كالغيلان، جعابهم تضرب كعابهم، يطرون ملك بنى أمية طيا ويزفون الملك إلينا زفا؛ وأنشد لعصابة الجرجاني:

المدار داران: إيسوان وغمدان،

والملك ملكان: ساسان وقحطان

والناس فارس والإقليم بسابل والـ

إسلام مكة والدينا خراسان

والجانبان العندان، اللذا خشنا

منها، بخارى وبلغ الشاه داران

قد ميز الناس أفواجا ورتبهم

فمرزبان وبطريق ودهقان

وقال العباس بن الأحنف:

قال خراسان أدنى ما يراد بكم

ثم القفول، فهنا جئنا خراسانا

ما أقدر الله أن يبدني على شحط

سكان دجلة من سكان سيحانا

عين الزمان أصابتنا، فلا نظرت،

وعذبت بفنون الهجر ألوانا

وقال مالك بن الريب بعدما ذكرناه في ابر شهر:

لعمري لئن غالت خراسان هامتى،

لقد كنت عن بابى خراسان نائيا

ألا ليت شعري! هل أبيتن ليلة

بجنب الغضا أزجى القلاص النواجيا؟

فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه،

وليت الغضا ماشى الركاب لياليا

ألم تدرنى بعث الضلالة بالهدى،

وأصبحت فى جيش ابن عفان غازيا؟

وما بعد هذه الأبيات فى الطبسين قال عكرمة وقد خرج من

خراسان: الحمد لله الذى أخرجنا منها ليطوى خراسان طى

الأديم حتى يقوم الحمار الذى كان فيها بخمسة دراهم

بخمسين بل بخمسمائة.

وروى عن النبى ﷺ، أنه قال: إن الدجال يخرج من

المشرق من أرض يقال لها خراسان يتبعه قوم كأن وجوههم

المجان المطرقة؛ وقد طعن قوم فى أهل خراسان وزعموا أنهم

بخلاء، وهو بهت لهم ومن أين لغيرهم مثل البرامكة

والقحاطبة والطاهرية والسامانية وعلى بن هشام وغيرهم ممن

لا نظير لهم فى جميع الأمم، وقد نذكر عنهم شيئا مما ادعى

عليهم والرد فى ترجمة مرو الشاهجان إن شاء الله - فأما العلم

فهم فرسانه وساداته وأعيانه، ومن أين لغيرهم مثل محمد بن

إسماعيل البخارى ومثل مسلم بن الحجاج القشيرى وأبى

عيسى الترمذى وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل وأبى

حامد الغزالى والجوينى إمام الحرمين والحاكم أبى عبد الله

النيسابورى وغيرهم من أهل الحديث والفقه، ومثل الأزهرى

والجوهرى وعبد الله بن المبارك، وكان يعد من أجواد الزهاد

والأدباء، والفارابى صاحب ديوان الأدب والهروى وعبد القاهر

الجرجاني وأبى القاسم الزمخشري، هؤلاء من أهل الأدب والنظم والنثر الذين يفوت حصرهم ويعجز البليغ عن عددهم.

وممن ينسب إلى خراسان عطاء الخراسانى، وهو عطاء

ابن أبى مسلم، واسم أبى مسلم ميسرة، ويقال عبد الله بن

أيوب أبو ذؤيب، ويقال أبو عثمان، ويقال أبو محمد،

ويقال أبو صالح من أهل سمرقند، ويقال من أهل بلخ مولى

المهلب بن أبى صفرة الأزدي، سكن الشام، وروى عن ابن

عمر وابن عباس وعبد الله بن مسعود وكعب بن عجرة ومعاذ بن

جبل مرسل، وروى عن أنس وسعيد بن المسيب وسعيد بن

جبير وأبى مسلم الخولانى وعكرمة مولى ابن عباس وأبى

إدريس الخولانى ونافع مولى ابن عمر وعروة بن الزبير وسعيد

العقبى ونعيم بن سلامة الفلسطينى وعطاء بن أبى رباح وأبى

نصرة المنذر بن مالك العبدى وجماعة يطول ذكرهم، وروى

عنه ابنه عثمان والضحاك بن مزاحم الهلالى وعبد الرحمن بن

يزيد بن جابر والأوزاعى ومالك بن أنس ومعمرو وشعبة وحماد

ابن سلمة وسفيان الثورى والرضين وكثير غير هؤلاء، وقال ابنه

عثمان: ولد أبى سنة خمسين من التاريخ، قال عبد الرحمن

ابن زيد بن أسلم: لما مات العبادلة: عبد الله بن عباس وعبد

الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص [وعبد الله بن عمر]

صار الفقه فى جميع البلدان إلى الموالى، فصار فقيه أهل

مكة عطاء بن أبى رباح وفقيه أهل اليمن طاوس وفقيه أهل

اليمامة يحيى بن أبى كثير وفقيه أهل البصرة الحسن البصرى

وفقيه أهل الكوفة النخعى وفقيه أهل الشام مكحول وفقيه أهل

خراسان عطاء الخراسانى إلا المدينة فإن الله تعالى خصها

بقرشي، فكان فقيه أهل المدينة غير مدافع سعيد بن

المسيب، وقال أحمد ابن حنبل: عطاء الخراسانى ثقة، وقال

يعقوب بن شيبة: عطاء الخراسانى مشهور، له فضل وعلم،

معروف بالفتوى والجهاد، روى عنه مالك بن أنس، وكان

مالك ممن يتتقى الرجال، وابن جريج وحماد بن سلمة

والمشيخة، وهو ثقة ثبت (معجم البلدان ٣٥٠ - ٣٥٤)

ويذكر الدكتور خالد جاسم الجنابى خراسان من ناحية

تنظيمات الجيش العربى الإسلامى فى العصر الأموى فيقول:

البصرة، فقد خلط بين أفراد القبائل في السكن خوفا من تعصبهم.

وفي ولاية أسد بن عبد الله القسري الثانية على خراسان سنة ١١٨ هـ / ٧٣٦ م وكان في بلخ ألفان وخمسمائة من مقاتلة أهل الشام إلى جانب المقاتلة الآخرين من قبائل العراق. وخرسان وكان هؤلاء الشاميون موضع اعتماد الوالي لموقفهم المؤيد للأمويين.

وفي بلاد أرمينية اتخذ القائد الأموي مسلمة بن عبد الملك مدينة باب الأبواب قاعدة عسكرية فقام بترميمها وأعاد بناء صهريج الماء وأنشأ فيها مخازن للطعام والشعير وخزانة للسلح وأسكن فيها قوة كبيرة تقدر بأربعة وعشرين ألفا من مقاتلة أهل الشام. وتبعاً لنظام الأجناد السائد في بلاد الشام فقد أمر مسلمة بمدينة الباب فقسمت أربعة أرباع جعل ربعاً لأهل دمشق وربعاً لأهل حمص وربعاً لأهل فلسطين وربعاً لسائر أهل الشام والجزيرة (تنظيمات الجيش العربي الإسلامي / ٣١-٣٣).

ويعدد الشيخ أبو حاتم محمد بن حبان البستي الصحابة والتابعين وأتباع التابعين الذين استوطنوا خراسان، بادئا بنبذة عن خراسان يقول فيها:

أما خراسان فهو اسم يقع على بلدان العجم جملة وإن كان كل ناحية منها لها اسم منفصل تعرف به لأن كل بلد الغالب على أهله الرطانة فهو داخل في جملة خراسان كما أن كل بلد الغالب على أهله العربية فهو داخل في جملة بلدان العرب، فكما لا يخرج تباين اللغات بين القبائل وبلدان العرب بعضها عن الاسم الواقع عليها كذلك لا يخرج سائر اللغات في الفارسية من أهل البلدان التي يسكنها العجم عن الاسم المشتمل عليها وإن كانت خراسان ما بين الجبال إلى النهر في الحقيقة كما أن حقيقة ديار العرب وسط الإقليم الأول والثاني.

ثم يحصى الإمام ابن حبان أسماء الصحابة الذين سكنوا خراسان وماتوا بها بعد أن استوطنوها مما ننقل لك بعضه فيما يلي، وقد احتفظنا بالأرقام التسلسلية لتراجمهم التي وردت في النص:

ولما كانت خراسان قاعدة متقدمة للقوات العربية الإسلامية في المشرق، فقد أراد الأمويون أن يجعلوها مركزاً لانطلاق الفتوح إلى المناطق المتاخمة لها، ففي سنة ٥١ هـ / ٦٧٠ م نقل زياد بن أبيه خمسين ألفاً من المقاتلة العرب مع عيالاتهم من البصرة والكوفة وأسكنهم في خراسان، فأصبحت خراسان دار هجرة أخرى للعرب، وبما أنها تابعة من الناحية الإدارية إلى البصرة فقد اتبع فيها نظام الأخماس كما كان الأمر متبعاً في البصرة، وتألفت هذه الأخماس من خمس قبائل هي بكر بن وائل، تميم، أهل العالية، الأزدي، وعبد القيس، وقد أشار الطبري إلى أعداد المقاتلين من هذه القبائل في حدود سنة ٩٦ هـ / ٧١٤ م فيبين أنه كان بخراسان من قبائل البصرة تسعة آلاف من أهل العالية وسبعة آلاف من بكر بن وائل وعشرة آلاف من تميم وأربعة آلاف من عبد القيس وعشرة آلاف من الأزدي ومن أهل الكوفة سبعة آلاف. (تاريخ الطبري ٦ / ٥١٢).

وضمنت خراسان أيضاً قوات عربية من أهل الشام ساهمت في أحداثها وكانت موضع اعتماد القواد والولاة الأمويين ويبدو أن أهل الشام كانوا يشكلون في خراسان وحدة قائمة بذاتها إلا أنهم ينقسمون إلى أقسام كالتالي في الشام منهم من أهل فلسطين وحمص وقنسرين ودمشق. (تاريخ الطبري ٧ / ١٢٢).

وبعد فتح بلاد ما وراء النهر اتخذ العرب مدينة سمرقند قاعدة مهمة للحركات العسكرية منذ عهد قتيبة بن مسلم. وكانت عناصر القوات العربية في نواحي سمرقند تضم أعداداً من قبائل طي وبنى نهشل وغطفان وبنى شيان.

واستوطن المقاتلة العرب مدينة بلخ التي فتحت في ولاية عبد الله بن عامر، وبقيت قاعدة ثابتة للقوات العربية التي كانت تقوم بفتح أقاليم ما وراء النهر، وقد سكن العرب في بداية فتحهم لبلخ في منطقة البروقان وهي تبعد فرسخين عن بلخ التي كانت في ذلك الوقت خراباً إلى أن نقل أسد بن عبد الله القسري في سنة ١٠٧ هـ كان من المقاتلة العرب إلى بلخ وبنى لهم مساكن على قدر مساكنهم ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكناً ولم يتبع في إسكانهم نظام الأخماس المتبع في

١- الصحابة .

٤١٤ - بريدة بن الحصيبي بن عبد الله الأسلمي ، من المهاجرين الأولين ممن هاجر إلى النبي ﷺ قبل قدومه المدينة ولحق به ، فلما أراد النبي ﷺ دخول المدينة قال بريدة : لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء ، ثم حمل عمامته وشدها في رمح ومشى بين يدي النبي ﷺ يوم قدومه المدينة ، كنيته أبو سهل وقد قيل أبو ساسان ، انتقل إلى البصرة وأقام بها زمنا ، ثم خرج إلى سجستان فبقي بها مدة ، ثم خرج منها إلى مرو فاستوطنها في إمارة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان إلى أن مات ، وبها عقبه وقبره بمرو مشهور يعرف .

٤١٥ - الحكيم بن عمرو بن مجذع الغفاري ، له صحبة ، خرج إلى خراسان غازيا ، وله قصة طويلة ليس غرض الكتاب يحتملها حتى أمر معاوية بقيده فقيده بمرو فبقي في قيده حتى مات سنة خمسين في ولاية معاوية ، وأوصى أن يدفن بقيده ليخاضم أبا عبد الرحمن في القيامة فدفن بقيده بمرو وقبره بجانب بريدة الأسلمي .

٤١٦ - قريط بن أبي رمة ، كان ممن هاجر مع أبيه إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ لأبي رمة : ابنك هذا ؟ قال : نعم ، قال : أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه ، ثم خرج أبو رمة بابنه قريط إلى البحرين مع العلاء بن الحضرمي في حياة رسول الله ﷺ فأقام بها إلى أن خرج غازيا في أيام عمر ، وقريط هو الذي فتح الأبله ، ثم غزا خراسان مع الأحنف بن قيس ونزل مرو واستوطنها إلى أن مات وبها عقبه .

٤١٧ - قثم بن العباس بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله ﷺ ، له صحبة ، خرج مع سعيد بن عثمان بن عفان في ولاية معاوية بن أبي سفيان غازيا إلى خراسان ، وقد ذكرناه في صحابة أهل المدينة .

٤١٨ - قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي أبو القاسم ، خدم النبي ﷺ عشر سنين من وقت قدومه المدينة إلى أن قبضه الله إلى جنته ، وكان على مقدمة علي بن أبي طالب يوم صفين ، فلما ولي معاوية أغضى عنه سنين ثم طلبه سنة ثمان وخمسين فهرب منه وسكن تفليس منجحرا غير أن ينتشر فلما

علم النجحاره سكت عنه فلم يزل في بيته منجحرا إلى أن مات بها سنة خمس وثمانين في ولاية عبد الملك بن مروان ...
٢- التابعون :

من مشاهير التابعين الذين ذكرهم ابن جبان :
٩٨٣ - عبد الله بن بريدة بن الحصيبي الأسلمي ، كان مولده لثلاث سنين مضين من خلافة عمر بن الخطاب ، كان هو وسليمان توأمين ، ولي يزيد بن المهلب عبد الله القضاء بمرو ، ومات بها سنة خمس عشرة ومائة وقبره بجاورسة قرية من قرى مرو .

٩٨٤ - الربيع بن زياد ، كان عامل معاوية بن أبي سفيان على خراسان ، سمع أبي بن كعب وغيره من الصحابة .

٩٨٥ - علباء بن أحمر اليشكري ، ممن صحب أبا زيد الأنصاري واسمه عمرو بن أخطب وهو جده ، سكن مرو وبها مات .

٩٨٦ - سليمان بن بريدة الأسلمي ، مات بمرو سنة خمس ومائة وقبره بغير قرية من قرى مرو .

٩٨٧ - الربيع بن أنس بن زياد البكري ، سكن مرو ، سمع أنس بن مالك وكان راوية لأبي العالية ، وكل ما في أخباره من المناكير إنما هي من جهة أبي جعفر الرازي .

٩٨٨ - همام بن خناس العبدي ، وقد قيل العدوي ، من أهل البصرة ، سكن مرو ، كان ممن صحب عبد الله بن عمر ابن الخطاب وسمع منه .

٩٨٩ - عطاء بن السائب الكناني الليثي ، من أهل المدينة ، مسح على بن أبي طالب رأسه وقال : بارك الله عليك وعلى ذريتك من بعدك ، سكن مرو وولد له بها ابن فسماه محمدا ولمحمد ابن يقال له السائب وللسائب ابن يقال له عطاء عدادهم كلهم في أهل مرو .

٩٩٠ - يحيى بن يعمر ، من بني عوف بن بكر ، كنيته أبو سليمان وقد قيل أبو سعيد ، من أهل البصرة ، سكن مرو وولد قتيبة بن مسلم القضاء بها ، وكان من فصحاء أهل زمانه وأكثرهم علما باللغة مع الفضل والورع .

٩٩١ - يحيى بن عقيل الحذاء ، من أهل البصرة ، سكن

مرو، سمع ابن أبي أوفى يقول: كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر ويقل اللغو ويطول الصلاة ويقصر الخطبة ولا يأنف أن يمشى معه المسكين والأرملة فيقضى له حاجته، وأكثر رواية يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر وأقرانه.

٩٩٢ - الزبير بن عدى الهمداني أبو عدى، مولده بالكوفة، سكن الري. سمع أنس بن مالك وكان من العباد والمتقين من الزهاد، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة، وكل ما فى أخباره من المناكير فهى من جهة بشر بن الحسين الأصبهاني.

٣- أتباع التابعين:

أما مشاهير أتباع التابعين بخراسان الذين سكنوها من الثقات والأئمة فى الروايات فهم كما أحصاهم الشيخ الإمام أبو حاتم:

١٥٦٢ - الضحاک بن مزاحم الهلالي أبو القاسم، وقد قيل أبو محمد، مولده ببلخ، وكان يقيم بمرو مدة ويبلغ زمانا وربما أقام ببخارا وبسمرقند حينا، وهم إخوة ثلاثة مسلم ومحمد والضحاک، فأما الضحاک فإن أمه كانت حاملا به ستين وولد له يسنان اثنتان، وكان ممن عني بعلم القرآن عناية شديدة مع لزوم الورع، وكان معلم كتاب يعلم الصبيان فلا يأخذ منهم شيئا إنما يحتسب فى تعليمهم، مات سنة خمس ومائة، لم يسمع من ابن عباس ولا من أحد من الصحابة شيئا، ورواية أبي إسحاق السبيعي عن الضحاک قال قلت لابن عباس وهم فيه شريك كيف يقول لابن عباس ولم يره، وإنما لقي سعيد بن جبیر بالرى فأخذ عنه التفسير.

١٥٦٣ - أصبغ بن علقمة بن على بن علقمة بن شريك الحنظلي اليربوعي أبو المقدام، من أهل مرو، من خيار مشايخهم، ممن جالس سعيد بن المسيب وعكرمة.

١٥٦٤ - عبد الله بن المبارك، مولى بنى حنظلة، من أهل مرو، أبو عبد الرحمن، كان مولده سنة ثمانى عشرة ومائة، وكان أحد الأئمة فقها وورعا وعلميا وفضلا وشجاعة ونجدة، ممن رحل وجمع وصنف وحديث وحفظ وذاكر ولزم الورع الخفى والصلابة فى الدين والعبادة الدائمة مع حسن العشرة

١٥٦٥ - إبراهيم بن ميمون الصائغ أبو إسحاق، من أهل

مرو، من الأمرين بالمعروف والمواظبين على الورع الموصوف مع الفقه فى الدين والعبادة الدائمة، قتله أبو مسلم سنة إحدى وثلاثين ومائة.

١٥٦٦ - مقاتل بن حيان النبطى أبو بسطام، مولى لبكر بن وائل، لا يصح له عن صحابى لقي إنما تلك أخبار مدلسة، كان يسكن مرو مدة وبلغ زمانا وله بمرو خطة، وكان ممن عني بعلم القرآن وواظب على الورع فى السر والإعلان، وهم إخوة أربعة مقاتل والحسن ويزيد ومصعب بنو حيان، ومات مقاتل بكابل، كان قد هرب من أبي مسلم إليها.

١٥٦٧ - يعقوب بن القعقاع بن الأعلم الأزدي أبو الحسن، من أهل البصرة، قدم مرو فولاه أبو مسلم القضاء بها فاستوطنها.

١٥٦٨ - عبد الله بن كيسان أبو مجاهد، من أهل مرو، من أصحاب عكرمة، بها مات.

١٥٦٩ - بشير الكوسج أبو نصر، من أهل مرو، لا يصح لقيه ابن عمر وقد رأى عكرمة والحسن وجماعة من التابعين.

١٥٧٠ - جبلة بن أبى رواد العتكي، مولى عتيك، أخو عبد العزيز بن أبى رواد، كنيته أبو مروان، من أهل مرو، قتله أبو مسلم بنيسابور سنة إحدى وثلاثين ومائة.

١٥٧١ - حسين بن واقد، مولى عبد الله بن عامر بن كرز القرشى، كنيته أبو على. كان على قضاء مرو، وكان إذا قام من مجلس الحكم اشترى اللحم لعياله وعلقه من إصبعه وحمله إلى أهله، مات بمرو سنة تسع وخمسين ومائة.

١٥٧٢ - سليمان بن عامر بن عمير الكندي البرزى، من أهل مرو، وهو الذى قال: سمعت الربيع بن أنس يقول من استطاع منكم أن يكون له فى مدينة مرو دار فيها بئر طحانة فليفعل.

١٥٧٣ - عبد المؤمن بن خالد الحنفي أبو خالد، من

١٥٨٤ - عبد الكبير بن دينار الصائغ، من أهل مرو. أبو عبد الرحيم، من أصحاب أبي إسحاق السبيعي، مات سنة سبع وتسعين ومائة.

١٥٨٥ - النضر بن محمد المروزي، من جلة أهل مرو، ممن كان يتفقه على مذهب الكوفيين، مات بمرو يوم النحر سنة ثلاث وثمانين ومائة.

١٥٨٦ - الفضل بن موسى السيناني، مولى بني قطيعة، كنيته أبو عبد الله، من جلة أهل مرو ومتقني المحدثين بها، كان مولده سنة خمس عشرة ومائة، ومات سنة إحدى أو اثنتين وتسعين ومائة.

١٥٨٧ - خُلَيْد بن حسان الهجري العصري، من أهل البصرة، من أصحاب الحسن، كنيته أبو حسان، سكن بخارا وبها حدث.

١٥٨٨ - كثير بن زياد السلمى البرساني الأزدي أبو سهل، من أهل البصرة، من أصحاب الحسن، دخل خراسان فكان يقيم ببلخ مدة وبسمرقند زمنا وربما حدث ببخارا، ومات بما وراء النهر.

١٨٥٩ - منصور بن النعمان الشكري الربيعي أبو حفص، من أهل البصرة، سكن مرو مدة ثم تحول إلى بخارا وسكنها، ممن صحب أبا مجلز وعكرمة وذويهما من التابعين.

١٥٩٠ - خالد بن زياد بن جزء، سكن ترمذ وكان على القضاء بها، يروى عن نافع وقتادة أحاديث مستقيمة، ومات بترمذ وهو ابن مائة سنة وستة أشهر ولسى ابنه عبد العزيز بن خالد قضاء ترمذ بعده.

١٥٩١ - النضر بن زرارة الذهلي أبو الحسن، من أهل الكوفة، سكن بلخ، هو ابن أخت سماك بن الوليد الحنفي، ممن صحب إسماعيل بن أبي خالد وذويه مستقيم الأمر في الحديث.

١٥٩٢ - الوسيم بن جميل بن طريف الثقفي، مولى حجاج بن يوسف، عم قتيبة بن سعيد، كنيته أبو محمد، من ساكني بلخ، مات سنة ستة وثمانين ومائة، وكان متعبدا فاضلا، وكان ابن المبارك يتمنى لقيه لما يذكر من فضله.

١٥٩٣ - خالد بن أبي نوف، من أهل سجستان، دخل خراسان وأقام بها مدة، فكتب عنه أهلها وأهل العراق معا عن خالد بن أبي نوف عن عطاء بن أبي رباح قال: أدركت مائتين

أهل مرو، ومن أصحاب عبد الله بن بريدة، كان متقنا ثبتا.

١٥٧٤ - أبو المنازل عثمان بن عبيد الله، كان على قضاء خراسان، سكن مرو، وروى عنه جلة أهل الكوفة مثل الشيباني والحجاج بن أرطاة وذويهما.

١٥٧٥ - عثمان بن جبلة بن أبي رواد، والد عبد العزيز بن عثمان. من خيار أهل مرو.

١٥٧٦ - أبو عثمان الأنصاري عمر بن سالم، أصله من المدينة، انتقل إلى خراسان وسكن مرو وكان على القضاء بها، من أصحاب القاسم بن محمد، روى عنه المروزي وأهل العراق.

١٥٧٧ - عَزْرَة بن ثابت بن أبي زيد الأنصاري، من أهل مرو، وهم أخوة ثلاثة عزرة وعلي ومحمد. أما عزرة وعلي فمتميقنان ومأمونان، وأما محمد فقد تبرأنا من عهده في «كتاب المجروحين».

١٥٧٨ - محمد بن زيد العبدي. من أهل البصرة، سكن مرو وكان على القضاء بها، من أصحاب سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، وروى عنه المصريون والمروزي.

١٥٧٩ - محمد بن يسار، الذي يقال له الخراساني، أصله من البصرة. سكن مرو، كانت كنيته أبو العيوق (?) ثم يكنى بعبد الله. وهم إخوة ثلاثة محمد، وسلمة، وعبد الله.

١٥٨٠ - الفضل بن عطية المروزي، مولى بني عبس، ممن صحب عطاء وسالم بن عبد الله وذويهما، وهو والد محمد بن الفضل.

١٥٨٣ - أبو حمزة السكري محمد بن ميمون، من أهل مرو، من جلة المحدثين بها، مات سنة سبع أو ثمان وستين ومائة.

١٥٨٢ - أبو غانم يونس بن نافع، من أهل مرو، مات سنة تسع وخمسين ومائة، وكان يهتم في الأحايين.

١٥٨٣ - صخر بن عبد الله بن بريدة الأسلمي، صحب أبا جعفر محمد بن علي وعكرمة، عداؤه في أهل مرو وروى عنه أهلها.

من أصحاب رسول الله ﷺ في هذا المسجد يعني مسجد الحرام إذا قال الإمام ولا الضالين رفعوا أصواتهم بآمين .

١٥٩٤ - أبو حريز عبد الله بن الحسين ، من أهل البصرة ، ولي القضاء بسجستان . وبها مات ، كتب عنه البصريون الفضيل بن سليمان وأقرانه وأهل زرنج .

١٥٩٥ - عيسى بن يزيد الأزرق أبو معاذ ، من أهل مرو ، ولي القضاء بسرخس وكان من العباد ، وبها مات ، وكان ابن المبارك يزور قبره إذا دخل سرخس .

١٥٩٦ - عمرو بن مصعب ، أخو خارجة بن مصعب ، أول مولود بسرخس في الإسلام ، من الثقات المأمونين ، وأخوه خارجة فيه نظر ، وكان أبوهما مصعب من أصحاب علي بن أبي طالب .

١٥٩٧ - جَوَّاب بن عبيد الله التيمي الأعور ، من أهل الكوفة ، سكن جرجان روى عنه أهلها والشياني ومسعر وذووهما من أهل العراق .

١٥٩٨ - كرز بن وبر الحارثي ، من أهل الكوفة ، سكن جرجان ، من المتجردين للعبادة والمتقشفين في الزهادة .

١٥٩٩ - أبو طيبة عيسى بن سليمان بن دينار الدارمي ، من أهل جرجان ، مات سنة ثلاث وخمسين ومائة ، وكان يهيم في الأحيان .

١٦٠٠ - عمرو بن أبي قيس الرازي ، من جلة أهل الري ومتقنيهم .

١٦٠١ - غنيسة بن الأزهر الشيباني أبو يحيى ، من أهل جرجان ، وكان قاضيا عليهم ، يهيم كثيرا .

١٦٠٢ - إبراهيم بن طهمان أبو عمرو ، من أهل نيسابور ، وكان أبوه ... (مشاهير علماء الأمصار / ٥٩ - ٦١ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٩٤ - ١٩٩) .

(المنجد / ١٧٤ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه - بتحقيق محمد سعيد الغريان / ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للقدسي المعروف بالبشاري - وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د . محمد مخزوم / ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي / ٢ / ٣٥٠ - ٣٥٤ ، وتنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي - د . خالد جاسم

الجنابي / ٣١ - ٣٣ ، ومشاهير علماء الأمصار للشيخ الإمام أبي حاتم محمد بن حبان البستي / ٥٩ - ٦١ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٩٤ - ١٩٩ . انظر أيضا دراسات في تاريخ خراسان في العصر الأموي - د . راضي عبد الله عبد الحليم ، الأندلس للإعلام والنشر . مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي ١٩٨٧ ، وفتوح البلدان للبلاذري - حققه وشرحه وعلق حواشيه وأعد فهارسه وقدم له عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع

ملاحظة : الخرائط المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب دراسات في تاريخ خراسان المبين في ثبوت المراجع . أما صورة المشهد فقد أخذت من كتاب «القباب في العمارة الإسلامية» للدكتور صالح لمعى مصطفى .

* الخراساني :

قال السمعاني :

الخراساني : بضم الخاء المعجمة وفتح الراء والسين المهملتين وفي آخرها النون ، هذه النسبة إلى خراسان وهي بلاد كبيرة ، فأهل العراق يظنون أن من الرى إلى مطلع الشمس خراسان ، وبعضهم يقولون : إذا جاوزت حد سواد العراق وهو جبل حلوان فهو أول حد خراسان إلى مطلع الشمس ؛ وهو اسم مركب بالعجمية ومعناه بالعربية موضع طلوع الشمس لأن خور بالعجمية الدارية اسم الشمس وأسان موضع الشيء ومكانه ؛ وسمعت القاضي أبا بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري يقول إن خراسان أصل هذه الكلمة خورآسان - يعني كل بالرفاهية ، والصحيح هو الأول ، والعلماء في كل فن منها بحيث لا يدخل تحت الحصر ، وقد صنف التواريخ في ذلك غير أن جماعة عرفوا بالانتساب إليها ، فمنهم أبو الحسن مقاتل بن سليمان الخراساني مولى للأزد ، أصله من بلخ ، وانتقل إلى البصرة ، وبها مات بعد قدوم الهاشمية ، وكان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم ؛ وكان مُشَبِّهًا يُشَبِّهُ الرب بالمخلوقين ، وكان يكذب مع ذلك في الحديث ؛ وكان أبو يوسف القاضي يقول قال أبو حنيفة رحمه الله : يا أبا يوسف ! احذر صنفين من خراسان : الجهمية والمقاتلية .

وأبو أيوب - وقيل أبو مسعود - عطاء بن أبي مسلم الخراساني ، واسم أبيه عبد الله ، وقيل ميسرة ، يروى عن

سعيد بن المسيب والزهرى، روى عنه مالك ومعمّر، أصله من بلخ، مولى المهلب بن أبي صفرة، عداؤه فى البصريين، وإنما قيل له الخراساني لأنه دخل خراسان فأقام بها مدة طويلة ثم رجع إلى العراق فنسب إلى خراسان لطول مكثه بها، وكان مولده سنة خمسين، ومات سنة خمس وثلاثين ومائة بأريحا فحمل ودفن ببيت المقدس، وكان من خيار عباد الله غير أنه كان ردىء الحفظ كثير الوهم يخطئ ولا يعلم فحمل عنه فلما كثر ذلك فى روايته بطل الاحتجاج به.

وأصرم بن حوشب الهمداني، الخراساني، يروى عن زياد ابن سعد وغيره، روى عنه الحسن بن أبي الربيع، كان يضع الحديث على الثقات، والدارمي يقول قلت ليحيى بن معين وأصرم بن حوشب: تعرفه؟ فقال: كذاب خبيث.

وأبو أيوب سليمان بن بشار الخراساني، شيخ كان يدور بالشام ومصر، يروى عن الثقات مثل ابن عينة وغيره ما لم يحدثوا به، ويضع على الأثبات ما لا يحصى كثرة، ليس يعرفه كل إنسان من أصحاب الحديث لا يحل الاحتجاج به بحال، روى عنه أبو عبد الله النقال بالرملة.

والشاه بن شيرباميان الخراساني، قال أبو حاتم بن حبان: حدث ببغداد، يروى عن قتيبة بن سعيد يضع الحديث، لا يحل ذكره فى الكتب، وإنما ذكرته وإن لم يشتهر عند أصحابنا ذكره ليعرف فيجانب حديثه؛ روى عنه أبو حاتم محمد بن حبان البستي.

وأبو شيخ عبد الله بن مروان الخراساني يروى عن ابن أبي ذئب، روى عنه سليمان بن عبد الرحمن، يلزق المتنون الصحاح التى لا تعرف لها إلا طريق واحد بطريق آخر يشبهه على من الحديث صناعته، لا يحل الاحتجاج به.

وأبو عبد الله نهشل بن سعيد بن وردان الخراساني من أهل نيسابور، كان أصله من البصرة، يروى عن داود بن أبي هند والضحاك بن مزاحم، روى عنه محمد بن معاوية النيسابوري كان ممن يروى عن الثقات ما ليس من أحاديثهم، لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة العجب، كان إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يرميه بالكذب.

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٣٣٧، ٣٣٨. انظر أيضا اللباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٤٩٩، ٥٠٠).

* الخراساني (١٠١٠-١١٠١ هـ):

أول شيوخ الأزهر الشريف الإمام الأكبر محمد بن عبد الله الخراساني ولد ببليدة (أبو خراش) من أعمال شبراخيت بمحافظة البحيرة سنة ١٠١٠ هـ تلقى تعليمه على يد نخبة من العلماء ودرس علوم الدين واللغة والمنطق وكانوا يهتمون فى الأزهر بدراسة (علوم التفسير والحديث والفقه واللغة والفلسفة والمنطق) واستوعب معارف عصره وتخرج على يديه علماء كثيرون جاوزوا المائة من أعلام عصره ومن تلاميذه (الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومي) وقد تولى مشيخة الأزهر بعد ذلك وكان بمثابة معيد للشيخ الخراساني يلخص ما قاله الشيخ ويوضح ما غمض (كما هو دور المعيد بالنسبة للأستاذ فى الجامعة الآن).

وكان جم الحياء متواضعا يذهب إلى السوق ويشترى حاجياته ويحملها بنفسه وتمسك بالسنة وكان لا يتخلف عن صلاة الجماعة بالجامع الأزهر ووفد عليه الطلاب من كل قطر وذاعت شهرته ووصفه الجبرتي بأنه «الإمام العلامة والحبر الفهامة شيخ الإسلام والمسلمين وارث علم سيد المرسلين» وكانت النذور تأتيه من كل الجهات فلا يحتفظ بشيء بل يتركها لمعارفه يتصرفون فيها وكانت له كرامات اشتهرت فى عصره وظل فى كفاحه العلمى حتى جاوز التسعين ولحق بربه فى ٢٧ من ذى الحجة سنة ١١٠١ هـ.

مؤلفاته

كان رحمه الله واسع الثقافة وخاصة فيما يتعلق بعلوم التفسير والفقه على مذهب الإمام مالك ... ويمكن إجمال مصنفاة فيما يلي:

- ١ - رسالة فى البسملة فى نحو أربعين كراسا.
- ٢ - الشرح الكبير لمختصر خليل فى ثمانية مجلدات.
- ٣ - منتهى الرغبة فى حل ألفاظ النخبة (وهو شرح لكتاب نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني).
- ٤ - الفرائد السنية فى حل الفاظ السنوسية.

٥ - الأنوار القدسية في الفوائد الخراشية (وهو شرح للعقيدة السنوسية).

٦ - حاشية على شرح الشيخ على إيساغوجي في (المنطق) وهو كتاب شهير.

٧ - إجازة أجاز بها تلميذه الشيخ على الشيرازي (ليستحق بها ما يشبه العالمية).

(شيخ الأهر ولمحات عن نظامه المعاصر / ١٤).

* الخراط:

قال السمعاني:

الخراط: بفتح الخاء وتشديد الراء وفي آخرها الطاء المهملة، هو الذي يخرط الخشب ويعمل منه الأشياء المخروطة، والمشهور بالنسبة إليه أبو صخر حميد بن زياد الخراط، وهو حميد بن أبي المخارق القتيبي، من أهل المدينة، مولى بني هاشم، يروى عن نافع ومحمد بن كعب وابن قسيط وعمار الذهني؛ وروى عنه المفضل بن فضالة وحاتم بن إسماعيل وابن لهيعة وصفوان بن عيسى وحيوة بن شريح وابن وهب، وقال أحمد بن حنبل: أبو صخر ليس به بأس؛ وقال يحيى بن معين: هو ضعيف.

وأبو يوسف يعقوب بن معبد بن صالح بن عبد الله الخراط، ولد بيمجك ونشأ بالبصرة، وروى عن أبي نعيم ومكي بن إبراهيم ومسدد بن مسرهد وابن أخى جويرية وحجاج بن منهال ومطرف بن عبد الله وعبيد الله بن موسى وقبيصة وغيرهم، وكان ثقة، روى عنه أبو عبد الله محمد بن حمدان وأبو حفص أحمد بن حاتم بن حماد، وتوفي سنة إحدى وستين ومائتين.

وأبو على الحسن بن علان الخراط، من أهل بغداد، أُملى في الكرخ حديثاً منكراً من حفظه عن محمد بن عبد الملك الدقيقي ولا يدرى الحمل فيه عليه أو الراوى عنه أبو القاسم ابن التلاح؟

ومن المتأخرين الإمام أبو الحسن على بن عثمان الخراط من أهل سمرقند، كان إماماً فاضلاً ورعاً يأكل من كد يده وكسبه وكان يعمل الخشبة التي تصلح للحلاجين التي يقال

لها مشته، وكان لا يعمل أحد من الخراطين هذه الخشبة بسمرقند إلا هذا الإمام، وكان إذا طلب من الخراطين أن يعملوها امتنعوا وقالوا: الإمام يعملها - كرامة له. سمع الحديث من أبي الحسن على بن أحمد بن الربيع السنكباتي وغيره، وأُملى، وحضر الأئمة مجالس إملائه، وكتبت عن قريب من عشرين نفساً من أصحابه بسمرقند...

(الأنساب للسمعاني ٢ / ٣٣٨، ٣٣٩. انظر أيضاً الباب ١ /

٥٠٠).

* ابن الخراط (٥١٠-٥٨٢ هـ):

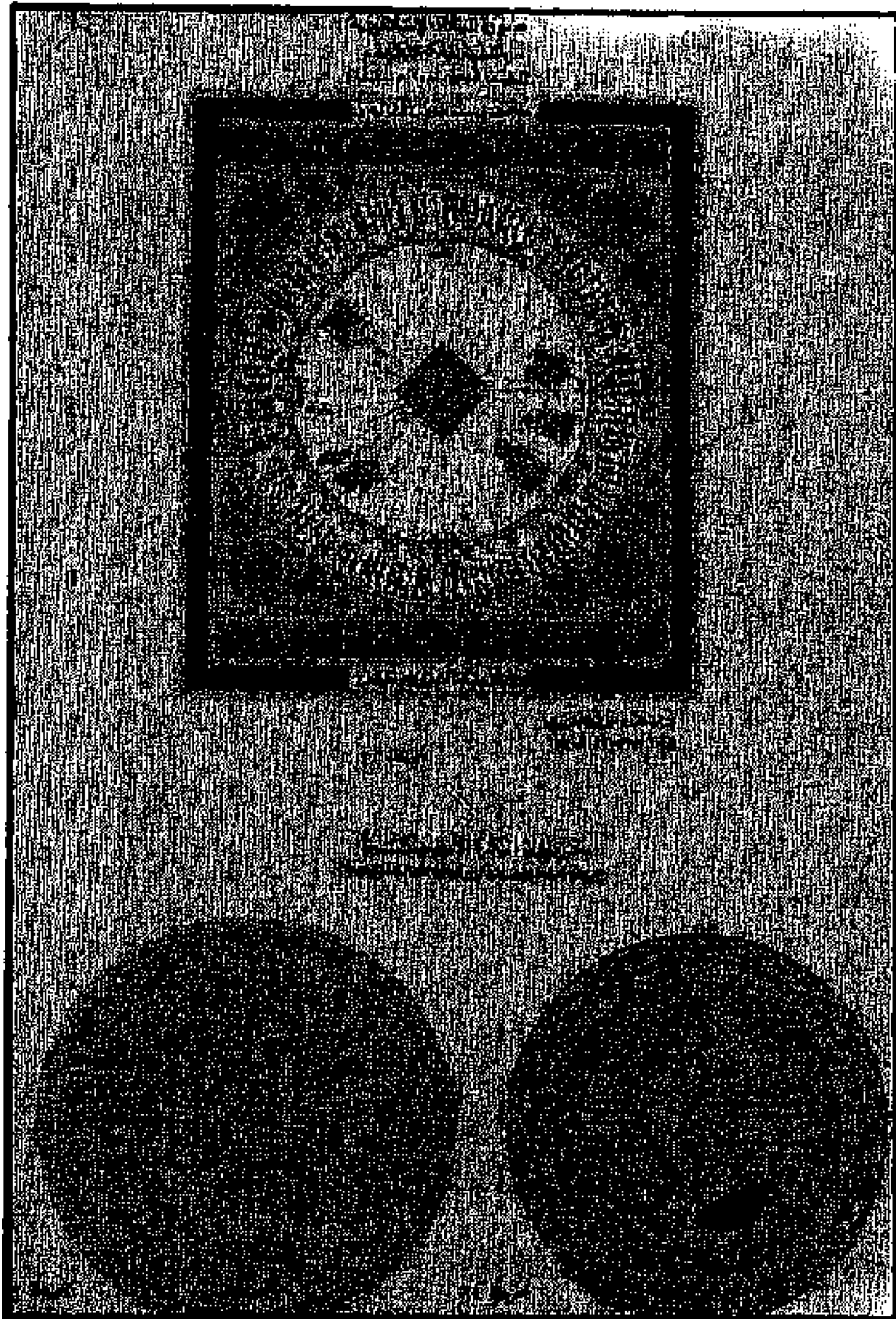
قال عنه ابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسطنطيني: وفي هذه السنة (يعنى سنة ٥٨٢) توفي الشيخ الفقيه الخطيب القاضي المحدث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الأشبيلي المشهور بابن الخراط ببجاية، وله الأحكام في الحديث، والعاقبة في الوعظ والتذكير، وغير ذلك. هـ.

وهو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين الأزدي الأشبيلي، المعروف بابن الخراط. من كبار علماء الأندلس. كان فقيهاً حافظاً عالماً بالحديث وعلمه ورجاله، موصوفاً بالخير والصلاح، والزهد والورع، والتقلل من الدنيا، مشاركاً في الأدب وقول الشعر. ولد سنة ٥١٠ هـ وروى عن شريح بن محمد وأبي الحكم بن بركان وغيرهما، وأجاز له ابن عساكر. رحل إلى بجاية بعد سنة ٥٥٠ فبث بها علمه وصنف التصانيف، وولى الخطبة والصلاة بها. توفي بعد محنة نالته من قبل الولاية، وكانت وفاته في أواخر ربيع الثاني سنة ٥٨٢ هـ. قال الغبريني: «وكان تاريخ وفاته مكتوباً في رخامة عند قبره». له «الأحكام الشرعية الكبرى» ٦ مجلدات و«الأحكام الصغرى» و«الأحكام الوسطى» و«الجامع الكبير» نحو عشرين مجلداً، و«الزهد» و«العاقبة وذكر الموت» و«الواعي» وهو نحو ٢٥ سفراً و«الجمع بين الصحيحين» وغير ذلك (كتاب الوفيات / ٢٩٣، ٢٩٤).

وجاء في هامش ١ في تهذيب الأسماء واللغات في ترجمة ابن الخراط فائدة نقلها فيما يلي: له تصانيف كثيرة غير ما ذكر في الحديث والغريب والعلل والأنساب والنظم الحسن

عالية من الصحة . ومن المؤلفات التي تناولت الملاحة واتصفت بالاختصاص وبالبراعة العملية مؤلف أحمد بن ماجد السعدي النجدي (٩ هـ / ١٥ م) الذي تناول وصف شواطئ ومبراسى وجزر بحر العرب والمحيط الهندي . وكذلك مؤلفات أمير البحر العثماني بيري رئيس بن حاجي جقر (القرن ١٠ هـ / القرن ١٦ م) خاصة مؤلفه الذي تضمن خرائط ووصفا وشرحا لموانئ سواحل البحر الأبيض المتوسط . . (كما هو مبين في الصورة) (العلوم عند المسلمين / ٣٨) سيأتى الكلام على «بيري ريس» فيما بعد إن شاء الله تعالى :

وترك الجغرافيون والفلكيون العرب مجموعة كبيرة من الخرائط تربو على ثلثمائة وأربعين خارطة ، تصور العالم الإسلامى والمسيحى وبلاد الزنج والهنود والصينيين . وواصل العرب النهوض بفن رسم الخرائط ، فكانت الخريطة فى المدارس العربية وسيلة معروفة من وسائل الإيضاح فى دروس الجغرافية .



فى الزهد وغيره منها كتابه الأوسط فى الأحكام المنتقى من حديث النبى ﷺ ، وهو الملقب أيضا بأحكام الأحاديث الكبرى ، مجلدات ، ومختصره الأحكام الصغرى فى الصحيح ، والكتاب الجامع الكبير فى نحو عشرين مجلدا جمع فيه ما وقع إليه من حديث النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلا الواهى والمترك ، وكتاب جمع فيه ما وقع إليه من الأحاديث المعتلة وبين عللها فى نحو ست مجلدات ، وكتاب المستصفى من حديث المصطفى ﷺ ، وكتاب التهجد وقيام الليل ، وكتاب التوبة ، وكتاب العاقبة وذكر الموت ، وكتاب تلقين الوليد ، وكتاب فى الرقائق أدخلها فى تأليفه ، وكتاب اختصر فيه كتاب اقتباس الأنوار فى معرفة أنساب الصحابة ورواة الآثار تأليف محمد الرشتاكي ، وكتاب شرح فيه ما ورد فى القرآن والحديث من غريب اللغة ضاهى به كتاب غريبى القرآن والحديث لأبى عبيدة الهروى وهو كتاب كبير . ١ . هـ والله أعلم (تهذيب الأسماء واللغات / ١ / ٢٩٢) .

له ترجمة فى فوات الوفيات ١ / ٥١٨ وفيه وفاته سنة ٥٨١ هـ ، ومثله فى شذرات الذهب ٤ / ٢٧١ ، وعنوان الدراية بتحقيق عادل نويهض / ٤١ — ٤٤ ، وعصر المرابطين والموحدين ٢ / ١٥٠ والتكملة / ٦٤٧ (كتاب الوفيات / ٢٩٤) .

(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسطنطينى - تحقيق عادل نويهض / ٢٩٣ ، ٢٩٤ وهامش ٣ للمحقق ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محبى الدين بن شرف النووى ١ / ٢٩٢ وهامش ١) انظر مادة «تجريد كتب الأحاديث» فى م ٨ / ٥١٧ .

* الخرائط:

جاء اهتمام العرب قبل الإسلام بالجغرافيا نتيجة ترحالهم وتنقلهم لكنه كان مقتصرًا على معرفة الطرق والمعالم . ومع اتساع رقعة العالم الإسلامى بعد الفتوحات ازداد هذا الاهتمام فقام الخوارزمى (٣ هـ / ٩ م) بتأليف كتاب عن صورة الأرض استخرجه من كتاب بطليموس وضمنه عددا من الخرائط . وتركز اتجاه المؤلفين فى هذا الحقل على الجغرافية الوصفية والإنسانية . غير أن مؤلف الإدريسى (ق ١٢ هـ / ١٢ م) كان من أشهرها ، لاتسامه بالشمولية ولدقة خرائطه التى بلغت درجة

غيرها من خرائط الجغرافيين العرب، فقد كانت أغزر مادة فيما يتصل بوصف البلاد الأوربية.

وكان الإدريسي رسام خرائط ممتاز، فقد ابتكر طريقة لمساقط خرائط السماء والأرض وقبة سماوية وكرة أرضية من الفضة بين عليها أقاليمه المناخية السبعة وكذلك صنع خريطة للعالم على شكل طبق من الفضة وقد أتم ذلك كله في بلاط روجر ملك صقلية (التاريخ والجغرافية / ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧).

وخريطة الإدريسي تبين لنا تطور العلوم الإسلامية عن عصر المسعودي. فالخريطة فقد رسمت على أساس أن الأرض كروية. وجاءت خطوط العرض على شكل أقواس. وظهرت جزر المحيط الهندي واتصاله بالمحيط الهادي حول إفريقيا، وظهرت جزر المحيط الهادي والأطلسي. وهناك تفاصيل جديدة عن كل من أفريقيا وآسيا وأوروبا حتى بحر الشمال. وكذلك تفاصيل لنهر النيل إلى مصبه والبحيرات الثلاثة (العلوم الإسلامية ٢ / ٧٥).

يقول الأستاذ الدكتور حسين مؤنس: وخرائط الإدريسي خرائط حقيقية تعطي الناظر إليها فكرة واضحة وصحيحة عن المواضيع التي تصورها. ونحن نرى خرائط الإدريسي اليوم في صورها التي رسمها النساخون الذين كتبوا نسخ «نزهة المشتاق» الموجودة بين أيدينا، والنساخ ليس رساما أو صانع خرائط، ومن ثم فإننا ينبغي ألا نتصور قط أن هذه هي خرائط الإدريسي التي رسمها بنفسه، فإذا ذكرنا ذلك تصورنا أن خرائط الإدريسي كانت أدق وأضبط لأنها من عمل جغرافي خرائطي موهوب، وهنا يزداد تقديرنا لعمل الإدريسي كله نصا وخرائط، ويزداد تقديرنا لمدرسة المسالكين المسلمين الذين يعتبر الإدريسي القمة التي وصلت إليها أعمالهم «مكان المسلمين في التاريخ العام لعلم الجغرافية ٢٢ / ٢٣٩»

يقول الأستاذ عمر رضا كحالة:

وذهب العرب مذهب الإغريق في تقسيم العالم إلى خمس مناطق حرارية وهي المنطقة الحارة بين المدارين والمنطقتان المعتدلتان وتقعان بين منطقتي الحرارة والبرودة في نصف الكرة.

وأحسن نموذج من الخرائط التي وضعها الجغرافيون العرب خارطة الشريف الإدريسي ففي هذه الخارطة تقسيم لخط نصف النهار وخط الاستواء وضبط درجات أطوال البلدان وعروضها، وقد صنع كرة من الفضة ضخمة الحجم، تمثل الأرض بما عليها، وهو ما نعرفه اليوم بالخارطة المجسمة وقد رسم فيها جميع أقاليم وأقطار المعمورة المعروفة في ذلك الزمن رسما غائرا مشروحا بالاستيفاء، وقال إنها تضمنت صور الأقاليم لبلادها وأقطارها وسيفها وريفها وخليجاتها ومجاري مياهها ومواقع أنهارها وعامرها وغامرها والطرق والاميال والمسافات والمشاهد، ثم وضع الكتاب المفصل في وصف كرتة الفضية هذه رتبته على الأقاليم السبعة وأورد فيه أوصاف البلاد والممالك ومسافاتهما وسماه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. وجعل الإدريسي لكتابه ٦٩ رسما نقلها عن كرتة المذكورة فوسعها وأضاف إليها أسماء جديدة لكثير من المدن والمواضع الأخرى. وظلت خرائط الإدريسي مقبولة ومعتمدة عليها عدة قرون.

وظل البحارة الأوربيون والجغرافيون يتناولونها حتى القرن السادس عشر الميلادي، وقد امتازت خرائط الإدريسي على



الخريطة «نزهة المشتاق» للإدريسي



أول خريطة مرسومة للناس عن أمريكا من صنع « بيري ريس »

وشرح المسعودي حركتى المد والجزر، وناقش موضع نشأة البحار وامتدادها وملوحتها، كما حلل دورة التعرية النهرية، ولم يغفل الإشارة إلى التبخر والتكاثف والإشعاع وغير ذلك من موضوعات الجغرافية الطبيعية (التاريخ والجغرافية / ٢٢٥-٢٢٧).

وخريطة المسعودي فى كتابه صورة الأرض تبين لنا الهوة الكبيرة بين حضارة الإسلام وحضارة أوروبا فى نفس المرحلة « القرن العاشر الميلادى » الخريطة فى مخطوطات من الورق الأصفر وهى ملونة وتشمل على معلومات عن آسيا وإفريقيا وأوروبا أدق مما جاء فى خرائط هيروdot وأكثرت تفصيلاً. وقد أورد مع نفس المخطوطة خرائط مفصلة لحوض البحر الأبيض ولحوض النيل ومنبعه وبحيراته. كما أن هناك تفصيلاً أكثر عن شرق آسيا (العلوم الإسلامية ٢ / ٧٥).

ويلاحظ أن الجغرافيين العرب قد اعتادوا رسم الخرائط بحيث جعلوا الشمال بدل الجنوب والشرق مكان الغرب، إلا أن ذلك لا يضيع من اتجاه الحدود الحقيقية للبلاد (التاريخ والجغرافية / ٢٢٥).

وعن ذلك يقول الدكتور محمد محمود محمدين: وقد

كان محمد بن موسى الخوارزمي من أسبق من عرف أن أهمية الخريطة كوسيلة لتوضيح المعلومات الجغرافية، فقد أضاف مجموعة من الخرائط إلى كتابه صورة الأرض.

ووضع البلخي أول أطلس عربى ألحقه بكتابه صور الأقاليم الذى لم يصل إلينا نصه الأسمى. ويشتمل هذا الأطلس فى تسلسل منتظم خرائط للعالم وللجزيرة العربية ولبحر فارس والمحيط الهندى، والمغرب ومصر والشام وبحر الروم والبحر المتوسط، ونحو اثنتى عشرة خريطة أخرى للجهات الوسطى والشرقية من العالم الإسلامى.

ولم يبق فى المكتبة الجغرافية من مصورات مدرسة البلخي إلا مصور العالم فى كتابى القزوينى وابن الوردى، كما تظهر هذه المصورات بشكل أقل وضوحاً فى مصورات العالم المستديرة الواردة فى كتاب الإدريسي.

ثم يقول الأستاذ عمر رضا كحالة:

ورسم المقدسى خرائط مستقلة، لكل قسم من الأقسام الأربعة عشر التى قسم إليها العالم الإسلامى، واستخدم فى تلك الخرائط طرق لتمثيل الظواهرات الجغرافية المختلفة، حتى يمكن للجسم أن يفهمها فهماً صحيحاً، فرسم الطرق المعروفة بالحمرة والرمال الذهبية بالصفرة والبحار المالحة بالخضرة والأنهار بالزرقة والجبال المشهورة بالغبرة.

ويظهر أن المسعودي قد درس بتعمق المؤلفات الجغرافية التى كانت موجودة فى عصره، ومن ثم كان فى استطاعته أن يشير إلى مراجع كثيرة لم تصل إلينا، وقد دعم دراساته برحلاته الطويلة التى وصل فيها إلى بحر الصين وإلى سواحل إفريقيا الشرقية.

ومع أن المسعودي من أصحاب الجغرافية الوصفية إلا أن كتاباته لم تخل من شرح وتفسير لكثير من ظواهرات الجغرافية الطبيعية، فهو يعتقد بكروية الأرض وبالعلاقات الغازية المحيط بها، ويصف الرياح الموسمية فى المحيط الهندى والبحر العربى، ويذكر المواقيت الصالحة للملاحة فى تلك المياه معتمدة على الرياح الموسمية، ويستطرد فيذكر أن البحارة المسلمين فى استطاعتهم بعلامات خاصة اكتسبوها بالمران أن يعينوا هبوب الرياح وطبيعتها.

ويذكر المستشرق (كراتشوفسكى) فى كتابه (تاريخ الأدب الجغرافى العربى) تعليلا لهذه الخريطة إنها ولا بد وأن يكون الرئيس قد بناها على أساس خرائط كولمبو التى ربما تكون سقطت فى يده عندما انتصر الأسطول التركى على أسطول البندقية سنة ١٤٩٩ م وأسر بعض سفنه . . إلا أن هذا رأى يلقى معارضة من كثير من الباحثين لأن الخريطة فيها تفصيل لأماكن لم يعرفها كولمبوس ولم يكن استكشافها ولكن هؤلاء الباحثين لم يقدموا تعليلا بديلا يكشف سر هذه الخريطة الغامضة . .

وهناك تفسير آخر لهذا الخريطة : أن الرئيس قد نقلها عن أبى عبد الله الذى كان آخر حكام العرب فى الأندلس وعندما هزمته إيزابيلا أبقتة فى خدمتها ثم أمرته بقيادة حملة بحرية إلى أمريكا لاعتقال كولمبوس وإرجاعه إلى أسبانيا مقيدا بالسلاسل وبذلك يكون أبو عبد الله العربى أول من وصل إلى أمريكا بعد كولمبوس مباشرة ولا بد أنه قد عاد من هناك بخرائطه الخاصة . وغير بعيد أن يكون الرئيس قد ذهب إلى أمريكا بنفسه مع أبى عبد الله والمعروف أنهما كانا صديقين وأن السلطان التركى كان قد أرسل الرئيس لمعاونة أبى عبد الله فى حربه ضد إيزابيلا سنة ١٤٩٠ م قبل سقوط عرشه .

(العلوم الإسلامية ٢ / ٦١ ، ٦٢)

(العلوم عند المسلمين - إشراف حصه الصباح . مؤسسة الكويت للتقدم العلمى / ٣٨ ، والتاريخ والجغرافية فى العصور الإسلامية - عمر رضا كحالة / ٢٢٤ - ٢٢٧ ، والعلوم الإسلامية - د. أحمد شوقى الفنجري ٢ / ٦١ ، ٦٢ ، ٧٥ ، والتراث الجغرافى الإسلامى - تصنيف د. محمد محمود محمد / ٢٣٤ ، ٢٣٦) .

ملاحظة : صور الخرائط المصاحبة لهذه المادة أخذت من المصادر الواردة فى ثبت المراجع أعلاه . أما صورة خرائط الأرض فقد أخذت من أطلس تاريخ الإسلام للدكتور حسين مؤنس .

* الخرائط :

قال السمعاني :

الخرائط : بفتح الخاء المعجمة والراء والياء آخر الحروف

حار الباحثون فى تعليل ذلك ، ويرى مؤلف هذا الكتاب (يعنى نفسه) أن لوضع الجنوب فى أعلى الخريطة مغزى دينيا . ذلك أن جميع العواصم الإسلامية كانت شمالى مكة (المدينة - الكوفة - دمشق - بغداد - القاهرة) ويعنى ذلك أن الخليفة ، كان يتجه فى صلاته صوب الجنوب صوب الكعبة . لذلك كان لا بد أن يوضع الاتجاه الجنوبى فى أعلى الخريطة لأن الاتجاه الجنوبى يعنى الاتجاه صوب القبلة وهى أشرف بقعة يتجه إليها المسلمون . كما وأن وضع الجنوب أعلى الخريطة مخالفة لغير المسلمين (التراث الجغرافى الإسلامى / ٢٣٤ ، ٢٣٦) .

أما عن الخرائط البحرية فيقول الدكتور أحمد شوقى الفنجري إن أول خريطة لأمريكا كانت إسلامية ويوضح ذلك بقوله :

فالخريطة الأولى اكتشفت سنة ١٩٥٢ فى مكتبة الأسكوريال بمدريد . . وهى من صنع الجغرافى الإسلامى ابن الزيات المتوفى ١١٩٨ م وفيها رسم لمنطقة بحر الظلمات (أى المحيط الأطلسى) ويشمل رسم الجزر المأهولة وهى أمريكا وقد اكتشف الخريطة وحققها الدكتور (خوان فريط) الأستاذ بجامعة برشلونة .

أما الخريطة الثانية فهى تلك التى رسمها الجغرافى التركى «بيرى ريس» الذى سبق ذكره ويقول عنها : الخريطة الثانية اكتشفها المستشرق الألمانى عندما عثر عليها فى مكتبة (توب كابي سراى) باستنبول ونشرها على العالم سنة ١٩٢٩ م بعد تحقيق علمى دولى استمر عدة سنوات . . فقد أذهلت هذه الخريطة العالم كله وحيرت العلماء . الخريطة من تأليف جغرافى تركى مسلم هو (بيرى ريس) واسمه الكامل (محبى الدين بن محمد الرئيس) المتوفى سنة ١٥١٣ م وكان أحد قادة البحرية فى الأسطول التركى الذى كان سيد البحار . وهى فى الواقع أكثر من خريطة مفردة .

والخريطة تبين المحيط الأطلسى : فى الشرق يرى اسبانيا والساحل الإفريقى وفى الغرب القارة الأمريكية بسواحلها وجزرها وموانئها وحيواناتها وسكانها الهنود الحمر الذين يرسمهم عراة وهم يرعون الغنم .

قلنا لهم وقنا
كل له مقنا
ففاعيل ففاعلاتن
ففاعيل ففاعلاتن
ومن أمثله من الهزج:
لـو كـان أبـو مـوسـى
أمـير مـسـا رـضـيـناه
ففاعيل مفاعيلن

مفاعيلن مفاعيلن
(معجم مصطلحات العروض والقافية - د. محمد علي الشوايكة، و
د. أنور أبو سويلم / ١٠٠).

* الخرباني:

قال السمعاني:

الخرباني بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح الباء
الموحدة وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى خربان، وهو اسم
جد أبي عبد الله أحمد بن إسحاق بن خربان البصري
الخرباني، أصله من نهاوند، وكان فقيها مبرزا فاضلا، من
أهل البصرة، سمع محمد بن أحمد بن عمرو الزبقي وأبا بكر
محمد بن بكر بن داسة التمار وأحمد بن الحسين المعروف
بشعبة الحافظ والقاضي أبا محمد الحسن بن عبد الرحمن بن
خلاد الرامهرمزي ونحوهم، روى عنه أبو بكر البرقاني وأبو
الحسن علي بن محمد القالي وأبو الحسن علي بن محمد بن
نصر اللبان الدينوري وغيرهم، ودرس فقه الشافعي على
القاضي أبو حامد المروزي، وكانت وفاته بالبصرة في حدود
سنة عشر وأربعمائة.

وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن خربان الصفار
الخرباني، من أهل بغداد، حدث عن الهيثم بن سهل
التستري وأيوب بن سليمان الصغددي، روى عنه أبو زرعة
أحمد بن الحسين بن علي الرازي وعبد الله بن أحمد بن طالب
البغداددي ساكن مصر.

والسري بن سهل بن خربان الجنديسابوري الخرباني،
يحدث عن عبد الله بن رشيد بنسخة مجاعة بن الزبير وغير
ذلك، روى عنه جماعة منهم عبد الصمد بن علي المكرمي
وأبو عبد الله الأبلق محمد بن علي بن إسماعيل وعبد الباقي
ابن القانع.

بعد الألف وفي آخرها الطاء المهملة... واشتهر بهذه النسبة
أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي من أهل سر من رأى، كان
حسن التصانيف إخباريا جمع الملح والنوادر، وكان مكثرا
منها، سمع إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد وعباد بن الوليد
الغبري وحماد بن الحسن بن عنبسة والحسن بن عرفة وعمر
ابن شبة وطاهر بن خالد بن نزار وعباس بن عبد الله الترقفي
وغيرهم، روى عنه أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن علي
الكندي وأبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان السلمى
وغيرهما، ذكره الحافظ أبو بكر بن ثابت الخطيب في تاريخ
بغداد وقال: أبو بكر الخرائطي كان حسن الأخبار مليح
التصانيف، سكن الشام، وحدث بها، فحصل حديثه عند
أهلها، ومن مصنفاته كتاب اعتلال القلوب، كان عليّ وعبد
الملك ابنا بشران يرويان عن أبي العباس أحمد بن إبراهيم
الكندي سمعاه منه بمكة عن الخرائطي. قلت له كتاب
«هواتف الجان» كان يروي بدمشق عاليا في أيامنا ولم ألحق
الشيخ الذي حدث به، وهو أبو الحسن علي بن المسلم بن
الشهرزوري، قال عبد العزيز الكنانى: قدم الخرائطي دمشق
في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، ومات بعد ذلك
بعسقلان. وقال أبو سليمان بن زبر: سنة سبع وعشرين -
يعنى وثلاثمائة - فيها توفي أبو بكر الخرائطي في شهر ربيع
الأول.

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي / ٢)

٣٣٩. انظر أيضا الباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد،
١ / ٥٠١، ٥٠١).

* الخرب:

في علم العروض والقافية الخرب هو دخول الخرم والكف
معا على أول جزء من الهزج والمضارع: ففاعيلن تصبح في
الكف ففاعيل ثم تخرم فتصبح التفعيلة فاعيل (- ب)
وسمى بذلك لذهاب أوله وآخره، فكان الخراب لحقه
لذلك.

ويقول السكاكي: «خرم ففاعيلن وهو مكفوف يسمى
أخر» وهذا تحريف لأخر. ويرى ابن رشيق أن من زحافات
الهزج الخرب وهو تصحيف. ويسمى الجزء الذي يجرى فيه
ذلك «الأخر». وقد يدخل الخرب الجزء الأول من الصدر،
والجزء الأول من العجز، كقوله من المضارع:

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البواردي / ٢ / ٣٣٩، ٣٤٠. انظر أيضا الباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥٠١).

* الخربق:

خربق: بالكسر نقل الصاغاني عن الكسائي هو البطيخ وقال: عربي صحيح أو أصله فارسي قال أبو حنيفة [الدينوري] وقد جرى في كلامهم وجاء ذكره في حديث أنس رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ يجمع بين الرطب والخربق.

(معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي - جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطي / ٤٩).

* الخربق:

مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في علم النبات وفي علم طب الأعشاب. جاء في اللسان: الخربق نبت كالسَّم يُغشى على آكله ولا يقتله (اللسان ١٢ / ١١٢٣) قال عنه القزويني:

الخربق: نبت ورقه كورق الدلب وساقه قصير وشكله كشكل العناقيد. قال صاحب الفلاحة: إذا غرست في البستان قضبان الخربق مات ما فيها من البراغيث، وإذا زرعتها مع أي بذر كتان لا يقربها الطير، وإذا دخلت البيت به هربت الهرام منه ولا يبقى فيه بق ولا برغوث ولا ذباب ونحوها، وإن جعلته في العجين وتركته للفأرة إذا أكلته ماتت، وإن دقته مع الكبريت ونثرته في حجر النمل هربت، وإذا طليت اللحم بالخربق ووضعتة للسباع اصطيدت بالسهولة، وهو سم قاتل للإنسان والسباع (عجائب المخلوقات / ١٨٦).

وقال عنه داود الأنطاكي:

الخربق: منه أبيض يوجد بالجبال والأماكن المرتفعة ساقه أجوف نحو أربعة أصابع له زهر أحمر إذا بلغ تقشر وصار متأكلا سريع التفتت يدرك بأيب له رؤوس كثيرة عن أصل كالبصلة حار يابس في الثالثة يخرج الأخلاط الباردة والزوجات ويسكن وجع الأسنان شربا وغرغرة وينفع الفالج واللقوة ويدر ويسقط ويفتح السدد ويفتت الحصى وأكل بزره يقتل الدجاج وهو يقتل الكلاب والخنازير والفأر وأجود ما

استعمل أن ينقع في الماء يوما ويشرب أو يصفى ويعقد بسكر أو غسل وأسود مثله لكن ورقه أصفر وأشد حمرة وزهره إلى البياض يخلف عناقيد حب كالقرطم وحرارة هذه وبيسه في الرابعة وهو سريع النفع من المالبخوليا والصرع والجنون وإخراج الباردین وأمراضهما ويسهل الصفراء حتى قيل إنه أجود من السقمونيا وأما قلعه الجرب والبرص والنمش والحكة فإنه مجرب لا مربة فيه ويكتحل به فيمنع البياض والظلمة والماء ويجعل في الأذن فيفتح السدد ويقوى السمع ويمنع الهوام من موضع يجعل فيه فإن طبخ ورش كان أبلغ وهو عظيم النفع قيل إن الحكماء كانت تقلعه وهم تحت ستارة بخشوع وصلاة تعظيما له ويأكلون يوم قلعه نحو الثوم والسذاب تحفظا من رائحة تخرج منه تثقل البدن وتسدر وهو يخرج ما في البطن وحيا ويسكن كل ضربان مطلقا ويصدع ويكرب ويفعل أفعالا سمية وتصلحه الكثير والعناب وشربته إلى نصف درهم وبدله اللازورد (التذكرة ١ / ١٣٨).

وقال عنه ابن سينا:

هو نبات له ورق أخضر شبيه بورق الدلب، إلا أنه أصغر منه، وفيه خشونة، وله ساق خشن، وزهر أبيض. فيه لون فرفير، يشبه في هيئة الورد، وفي العنقود ثمر يشبه القرطم. له عروق دقاق سود، مخرجها من أصل واحد، كأنه رأس بصلة، وإنما يستعمل من الخربق أصله، وعروقه.

وينبت في المواضع الخشنة، والكهوف، والتلول، وأماكن صلبة، يابسة. ومن الناس من يطرحه في الماء ويرشه في البيوت وذلك لأنهم يظنون أنه طهور. ولذلك إذا أرادوا قلعه من الأرض، قاموا في قوة يحفرون حوله، ويصلون للمعبود، ويقلعونه وهم يصلون، ويحذرون في وقت احتفاره أن تمر بهم عقرب، لأنه من مذهبهم، أنه يتخوف على قلعه الموت إن رأى العقارب الخربق محفورا عنه، فينبغي لمن يحفر عنه أن يسرع الحفر، لأنه يعرض من رائحته ثقل في الرأس. وينبغي أن يحتالوا قبل ذلك بأكل الثوم، وشرب الشراب، دفعا لمضرة ذلك. ويعملون به مثل ما يعمل بالخربق الأبيض، ويسقونه مثل ما يسقى. أجوده المتوسط من العتيق والحديث، والسمين والمهزول، الرمادي اللون، السريع الانكسار، الغير

الخربق الأبيض هو نبات له ورق مثل لسان الحمل، أو السلق البري. منه أسود يضرب إلى الحمرة قليلا، وإذا ابتدأ جفافه ينقشر. وعروقه كثيرة، دقاق، مخرجها من رأس واحد مستطيل، شبيه ببصلة، وينبت في أماكن جبلية، وينبغي أن يقطع في زمان حصاد الحنطة. وأجوده ما كان منبسطة السطح انبساطا معتدلا، وكان أبيض، حين التفتت، كثير اللحم، ولا يكون حاد الأطراف، شبيه بالأذخر، (نبات) وإذا فتت ظهر منه شيء شبيه بالغبار. ونسج العنكبوت في الرقة ولا يلذع اللسان لذعا شديدا على المكان، ويجلب اللعاب، فإن هذا الصنف منه رديء. وقد وصف الأولون الذين كانوا من الحذاقين، قوته، ومنافعه، على ما يحق وينبغي.

والقول في وصفه طويل، لأنه أوفق في صناعة الطب من سائر الأدوية. وبعض الناس قد يسقون منه قليلا مع السويق، ومن كان ضعيف الجسم، إذا أخذه على هذه الصفة، لم يضر شيئا.

ومن الخربق نبات له ورق طوال، وزهر أبيض، وأصل دقيق. لا ينتفع به، وبزر شبيه بالسهم مر الطعم وله منافع كثيرة. المختار من الخربق المنبسط السطح باعتدال، الأبيض، السريع التفتت، الكثير العجم، (البزر) الرقيق لا يلذع اللسان في الحال لذعا شديدا، ولكنه يجلب اللعاب. وأما الشديد اللذع في الحال فخائق. الخربق الأبيض أشد مرارة، والأسود أشد حرارة، وإذا أكلته الفأرة ماتت. ويعمل ذلك ويطعم الفأر منه في سويق وعسل. وإذا طبخ مع اللحم هدأه وأضعفه. ويجب أن يعد شارب به أشياء يداوى بها، ما يكاد ينفعه من الشنج، مثل: مرقة الدجاج، وشراب الزوفا، والفيجن، والعديس. وأدهان عطرية، كدهن السعد، والسوسن. ويجب أن يكون عند شاربه خل حاد الرائحة، وتفاح، وسفرجل، وخبز حار، ودواء معطس، وأشياء كثيرة غير ذلك إذا شم سحيقه يهيج العطاس. يحد البصر. الخربق الأبيض، يقى بقوة، وفيه خطر. لأنه يخنق، وهو يقتل الناس إذا أفرطوا في استعماله، وهو سم الكلاب والخنازير (القانون في الطب / ٣١٢-٣١٥)

الثخين، الذي في جوفه مثل نسيج العنكبوت، الحار الطعم، الحاذي اللسان، والجيد مما يستعمل منه أن تؤخذ العيدان الصغار التي عند أصله، ويبل بقليل من الماء، ويقشر، وتؤخذ تلك القشور، وتجفف في الظل، ويستعمل مسحوقا منخولا، ويجب على الطبيب النظر في إعطاء الدواء منه، فيصرف فيه بحسب السن، والعادة، والزمان، والوقت الحاضر، والسبب الموجب لذلك. هو محلل، ملطف، قوى الجلاء، حتى إنه يأكل اللحم الميت. وإذا نبت عند أصل الكرمة صار قوة شرابه مسهلة، ومن خواص الخربق إن يحيل البدن عن مزاجه ويفيده مزاجا شديدا، شبابيا. وكثير ممن يتناول الخربق الأبيض للقيء، فلم يقيئه ولم يسهله، لكنه فعل فعلا باقيا، وأسهل... وموافقته بنيسان (إبريل)، وفي تشرين. إلا أنه يجب أن يتقدمه قبل ثلاثة أيام بالحمية عن المطاعم والمشارب الغليظة، وأن يتقيا بعد العشاء مرتين، ثم يتناول. يطلى على الريق بالخل، وكذلك على الوضع. يطلى على الجرب، والقوابي بالخل، والتقشر، طلاء. وينفع من صلابة الناصور الصلب، يتخذ منه كالعقاب، ويدخل في الناصور، ويترك أياما، فإنه إذا أخرج منه قلعة محرقة، ينفع من الفالج، وأوجاع المفاصل، والاستفراغ به دواء لها، قوى. إذا طبخ بالخل، وقطر في الأذن، سكن الدوى، وإذا تمضمض بذلك الخل، سكن وجع الأسنان، وإذا قطر طبيخه في أذن الضعيف السمع قواه. وينفع من الوسواس والمالينخوليا، والصرع، والشقيقة، وأمراض الرأس جملة. يقوى البصر إذا وقع في الأكحال ينفع من السوداء، وعلته، ويسهل إسهالا من جميع البدن من غير إكراه، ويخرج الصغرة، والبلغم، ويخرج كل فضل يخالط الدم، حتى من أقصى البدن، ومن الجلد. وقد يسقى بأن ينقع بشراب حلو. أو سكنجبين، ويترك فيه مدة، ثم يطبخ ذلك الشراب بعدس، أو بماء الشعير، أو بالدجاجة، ويتحسا مرقة، وقد يطبخ في العسل. وهو نافع جدا للأورام في الأمعاء. والمثانة، ويدر الطمث، والبول.

وبعد ذلك أفرد ابن سينا مادة خاصة للخربق الأبيض فقال

عنه:

يحدث معه تشنجا، وهو يقىء بقوة، وهو خطر، فإنه ربما خنق، ولا ينبغي أن يشرب والمعدة خالية، ويداوى من سقى منه بمراق الدجاج، والأرايح الطيبة.

«ف» يشبه التبريد البحري، أجوده الأبيض السريع التفتت، وهو حار يابس فى الثالثة، يقىء البلغم والأخلاق الباردة الرديئة. الشربة منه: خمسة قرايط. بدله: قال ابن الجزار: وزنه تربد، ونصف وزنه غاريقون، وأربعة أمثاله زبيب منزوع العجم. والله أعلم.

ثم قال عن الخربق الأسود:

الخربق الأسود: نبات له ورق أخضر، يشبه ورق الدلب إلا أنه أصفر، وزهره أبيض، فيه شئ من لون الفرير، وثمره يشبه حب القرطم، وله عروق دقاق سود، مخرجها من أصل واحد، كأنه رأس بصلة، وإنما يستعمل من الخربق الأسود هذه العروق. وأجوده ما كان غير ضامر، جوفه دقيق، وهو حريف يحذو اللسان، والحريفان الأبيض والأسود حاران يابسان فى الدرجة الثالثة، وفى الطعم الأسود أشد حرافة، والأبيض أشد مرارة. والخربق الأسود إذا أخذ منه مقدار درهمين، أو مقدار ثلاثة أو ثلوسات وشرب وحده أو مخلوطا بسقمونيا أو بملح، أسهل بلغما ومرة، وقد يطبخ بالعدس والأوراق، ويستعمل للإسهال، وينفع من الصرع، والماليخوليا، والجنون، ووجع المفاصل، والفالج العارض مع استرخاء. وإذا احتملته المرأة أدر الطمث، وقتل الجنين، ويدخل إلى ثقب التواصير، ويترك ثلاثة أيام فينقيها، ويدخل فى الأذان الثقيلة السمع، ويترك يومين أو ثلاثة أيام فينتفع به، وإذا تضمد به وحده أو مع الخل أبرأ البهق والقوب والجرب المتقرح، ويسهل المرة الصفراء الغليظة جدا، أكثر مما يستفرغها بالسقمونيا، وربما أسهل السوداء، ويجب أن يعطى من أصوله مثقال واحد، خاصة فى ماء العسل على رأى القدماء؛ وأما المحدثون فيعطون منه نصف مثقال، والذي يجود أخلاطه الفوتنج والصعتر وسائر الأدوية اللطيفة الحارة النافعة للمعدة، ومن أخذه فليأتدب قبله، ويمتنع من الأغذية الغير الموافقة، وهو مع الترمس بماء عذب يذهب الكلف والنمش.

كذلك أفرد المظفر الرسولى فى المعتمد مادة خاصة لكل من نوعى الخربق: الأبيض والأسود مما نقله لك فيما يلى، وقد ذكر مصادره فرمز لها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان»

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

ز: الزهراوى.

قال:

الخربق الأبيض:

«ع» هو نبات له ورق شبيه بورق لسان الحمل، أو ورق السلق البرى، إلا أنه أقصر وأميل إلى السواد، وزهره أحمر اللون، وله ساق نحو من أربع أصابع، مضمومة جوفاء، تتقشر إذا ابتدأت تجف، وعروق كثيرة دقاق، مخرجها من رأس واحد صغير مستطيل كالبصلة، وإذا شرب الخربق الأبيض نقى المعدة، وأخرج منها أشياء مختلفة، وإذا احتملته المرأة أدر الطمث، وقتل الجنين. وقد يخلط فى الشياقات الجالية لغشاوة البصر، وهو يهيج العطاس، وإذا خلط بالسويق وعجن بالعسل، قتل الفأر، وخاصيته إسهال الفصول اللزجة المخاطية، وربما أورث شاربته تشنجا، ويقتل الإفراط منه الناس، وهو سم للكلاب والخنازير، ورجيع شاربته يقتل الدجاج والسمانى التى ترتعيه والأجود أن يتقع منه خمسة مثاقيل فى تسع أواق من ماء المطر ثلاثة أيام، ثم يطبخ حتى يبقى الثلث، ثم يصفى ويشرب. وأجود منه أن يؤخذ منه رطل فيقطع، وينقع فى قسطين من ماء المطر ثلاثة أيام، ثم يطبخ حتى يبقى الثلث، ثم يصفى ويطح على الماء عسل فائق مصفى، قدر رطلين، ويرفع على النار حتى يصير له قوام الأشربة، وتنزع رغوته، وتؤخذ منه ملعقة كبيرة، كما هو أو مع ماء حار، وهذا سليم مأمون.

«ج» حار يابس فى وسط الدرجة الثالثة، وهو يجلب اللعاب، ويقىء البلغم، ويخاف من شربه مسحوقا أن

وكشفت الحفريات عن قصر وجامع وحمامات وفناء أمامي ذي أعمدة وبركة مزدانة بالزخارف .
ولقد كانت هذه المنشآت محاطة بسور واسع يمتد حوالي كيلو مترين باتجاه نهر الأردن لعل الخليفة كان يمارس هوايته في الصيد ضمن نطاقه . ولقد جرت المياه إليه من ينابيع ليست بعيدة واستمر المكان مأهولا زمنا حتى دمر بتأثير زلزال عام ٧٤٧ م وبقي المكان مهجورا منذ ذلك الوقت، ويعرف باسم قصر المفجر أو خربة المفجر.

وبناء القصر هو الرئيسي في هذه المجموعة ثم أضيف إليه الجامع والحمامات . ويشبه مخطط القصر مخطط القلاع الرومانية فهو على هيئة مربع طول ضلعه ٦٤,٥ متر أما الضلع الشرقي فهو ٦١,٢٥ متر في أركانه الأربعة أبراج مدعمة وأمام مدخله الذي يقع في الجدار الشرقي يوجد فسحة أمامية معمدة يمتد حتى الحدود الشمالية للحمامات، والمدخل الرئيسي لهذا الفناء يقع في الجنوب يحيط به برجان . ولقد تركت معظم مساحة الفناء عارية وفي وسطها تقع البركة ذات الزخارف وهي من المنشآت الهامة إذ أنها بناء غريب يتألف من بركة مربعة عمقها متر تقريبا تعلوها قبة عظيمة ذات ثمانية أضلاع فوق أربعة أقواس ضخمة، وهي مزدانة بأجمل الزخارف . وكان بناء القصر مؤلفا من طابقين لهما شرفات في الأعلى أو رواق سفلي يحيط بجوانب هذا الفناء؛ أما البوابة

«ج» هو ملطف محلل، يأكل اللحم الميت، وإذا نبت عند أصل كرم، صارت قوة شرابه مسهلة، ويحيل البدن عن مزاجه، ويفيده مزاجا جديدا، ويوافق الرجال الأقوياء، ولا يصلح للنساء الضعيفات، ولمن بدنه رخو، وهو نافع من الوسواس، والشقيقة المزمنة، والماليخوليا؛ وينفع من السوداء، ويسهل من جميع البدن، وربما خنق، ووزن درهمين منه يحدث تشنجا . وبدله : نصف وزنه مازريون، وثلاثا وزنه غاريقون .

وقال «ز» بدله : أصل الأنجرة، يابس، وقال آخر: مثل وزنه شيطرج، وإن شئت مثل وزنه غاريقون، وأربع وزنات وثلاث زبيب منزوع العجم . وذكر في القانسون بدله : مثله كُنْدُس، والله أعلم .

«ف» نبات خشبي الشكل، أسود اللون، يسهل السوداء والصفراء المحترقة . الشربة منه : دانقان . وهو ينفع من البهق الأسود والكلف والجذام، وكل برص سوداوي . والشربة منه : من نصف درهم إلى نصف مثقال، مع مطبوخ الأفيمون والغاريقون والأسطوخودوس .

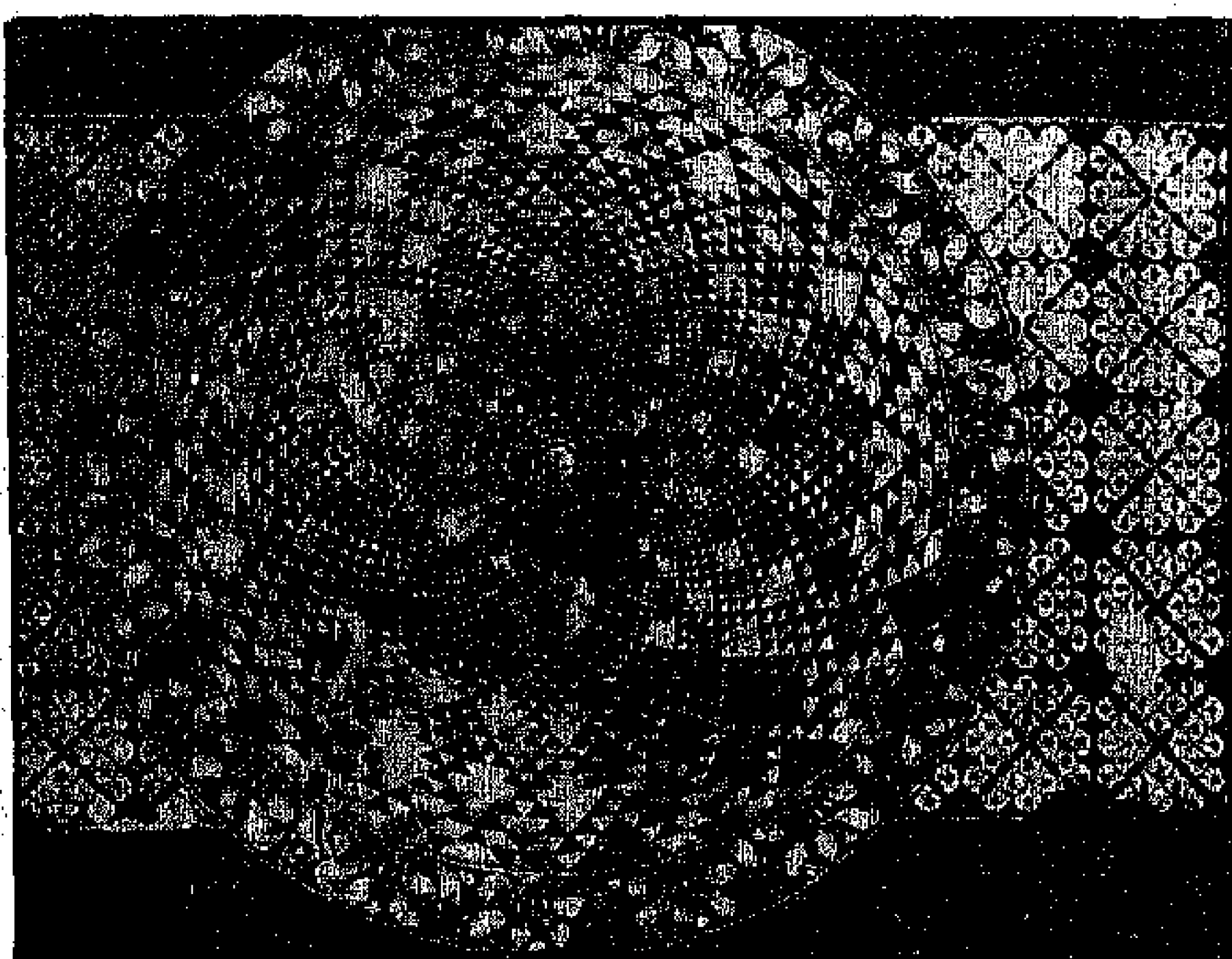
(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ١٨٦، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكي / ١ / ١٣٨، والقانون في الطب لابن سينا - شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور . قدم له د . خليل أبو خليل، تعليق أ . د . أحمد شوكت الشطي / ٣١٢ - ٣١٥، والمعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي - صححه وفهرسه مصطفى السقا / ١٢٢ - ١٢٤).

* خربة المفجر:

من القصور الأموية، وهي من العمائر المدنية التي يعنى بها علم العمارة الإسلامية، وصفه وصفا تفصيليا الدكتور عفيف بهنسي، مما ننقله لك فيما يلي:

يقع قصر المفجر على مقربة من أريحا، كان قد شيده هشام بن عبد الملك لكي يكون استراحة ملكية تمتاز بوفرة الزخرفة .

ولقد قام بالكشف عنه كل من العالمين هاملتون وبرامكي في الفترة بين ١٩٣٥ - ١٩٤٨ م . ولقد تأكد تاريخه الأموي نتيجة العثور على رسالتين كتبتا على قطع من الرخام وهما موجهتان إلى هشام أمير المؤمنين .



زخرفة فسيفسائية في قصر المفجر

فكانت ضمن برج كبير تعلوه أقواس متقنة تزدان واجهتها الأمامية بصف من المخاريب .

ويتهى الدهليز بالفناء الداخلى للقصر والمحاط بالغرف فى طابقين ، وتشكل الغرف فى الجهة الغربية مجموعة متكاملة وتعتبر المقر الملكى بينما تبدو غرف الجهة الجنوبية مستقلة عن بعضها واسعة ، أحدها كان بمثابة مسجد .

ويقع الجامع فى الجهة الشرقية بين القصر والحمامات ، ولم يبق مسقوف سوى الصدر الجنوبى المعقود الذى يضم المحراب .

وتتألف الحمامات من رحة أمامية ومدخل مسقوف وقاعة ضخمة طول كل ضلع من أضلاعها ٣٠م ، ويحمل سقفها على ست عشرة قاعدة ضخمة هى أعمدة متداخلة تحمل أقواسا فوقها أقواس محففة ، وفى الجدران تجاويف خمسة مغطاة بقباب عالية . وقد فرش أرض الحمام بالفسيفساء بتشكيلات خارقة .

وعدا هذه القاعة الضخمة يوجد من الناحية الشمالية غرف للحمامات الساخنة وأخرى للحمامات الباردة وغرفة بخار . وفى الزاوية الشمالية الغربية غرفة خاصة للاستراحة ، وهى الغرفة التى تحفل أرضيتها بأروع الفسيفساء .

وتتألف هذه الغرفة من قسمين ، قسم مربع وعلى جانبيه



مشبكات هندسية ونباتية



المفجر : لوحة فسيفساء - شجرة تفاح

دكتان مستطيلتان ، وقسم مجوف ترتفع أرضيته من مستوى القسم الأمامى بشكل حنية مرتفعة .

الرسوم فى قصر المفجر

واكتشف العالمان هاملتون وبرامكى فى قصر المفجر ما يقرب من مائتين وخمسين قطعة مصورة وعلى عدد كبير من الفسيفساء التى بقيت بحالة جيدة ، ولقد نقلت أكثر القطع التصويرية إلى المتحف الفلسطينى بالقدس ولقد وجدت الصور فى الجزء الرئيسى من القصر وفى الحمام الكبير التابع للقصر . وهى جميعها تقريبا مؤلفة من صيغ هندسية غنية التنوع ، كثيفة .

ويمتاز قصر المفجر بزخارفه الفسيفسائية الهامة جدا فإذا استعيض عن هذه الألواح بصور ملونة فى قصر الحير الغربى ، فهى هنا فسيفساء حقيقية مؤلفة من مكعبات حجرية ملونة تشكل صوراً تشبيهية أو زخرفية رائعة التصميم والتنفيذ .

ومن أهم هذه الألواح الفسيفسائية قطعة كبيرة تفرش قاعة الاستراحة بالحمام الكبير وتزين القسم المجوف المرتفع الذى يقع فى نهاية القاعة . ويتصل بهذه الصورة الكبيرة عدد من

بعيد ميسم الطريقة الفنية عند الأمويين الذين كان عليهم دائما أن يقيموا النماذج الأولى للعمارة والفن الإسلامى .

النحت فى المفجر

وأروع ما فى هذه الغرفة هو سقفها المقبب المغطى بالنحت الجصى ، ثم القبة التى تعلو القسم المربع وهى قبة عالية فيها رسوم على هيئة جياذ طائرة وفوقها إفريز مؤلف من صور نافرة مدهونة تمثل طيور الحجل . وفى عنق القبة نوافذ ذات زجاج معشق ملون . وتزدان القبة بمنحوتات بديعة مؤلفة من ست أوراق منها ست رؤوس لرجال ونسوة ملونة وراء أغصان الكرم . وأكثر هذه الشواهد النحتية الجصية نقل إلى المتحف الفلسطينى فى القدس مع منحوتات حجرية من أهمها تماثيل لرجال ونساء كاملة أو نصفية كان بعضها موجودا فى المدخل المسقوف بقبة تعتمد على دعائم الأقواس الجانبية ، وعلى دعائم هذه الأقواس كانت تقوم تماثيل لأشخاص ذكور يحملون رباطا من أوراق الخرشوف فوق صف من الخراف الجاثمة مع امتداد الدائرة ، ويتألف عنق القبة من اثنى عشر تجويفا محرابيا يقف فى كل منها تمثال لذكر أو أنثى متتاليين ، هذه التماثيل مدهونة بألوان جذابة . وتضم واجهة المدخل محرابين عثر فى أحدهما على تمثال يعتقد أنه للخليفة هشام وذلك بمقارنته مع تمثال فى قصر الجير الغربى . ولكن هذا التمثال ملون ويحمل سيفاً ويقف على أسدين جاثمين .

(الفن العربى الإسلامى فى بداية تكوينه - د. عفيف بهنسى / ١٤٨ -

١٥٥).

* خربة المنية:

تقع خربة المنية عند بحيرة الناصرة فى فلسطين ، ولقد ذكر القزوينى فى معجمه (١٤٥ - ٢٢) أن منية هشام تقع عند منطقة الينابيع السبع . ولقد أطلق فيما بعد على بحيرة الناصرة اسم بحيرة المنية ، والمنية كلمة ذات أصل يونانى التى تفيد معنى منزل (فيللا) ويرجع هذا القصر إلى عهد قبل الإسلام ولعله رمم ووسع فى عهد الوليد (٧٠٥ - ٧١٥) فلقد عثر على لوح من المرمر كتب عليه بسم الله الرحمن الرحيم . ما أمر عبد الله الوليد أمير المؤمنين ... على يدى عبد الله بن .

الصور مما يجعل هذه الغرفة المترفة شديدة الزينة رائعة الجمال ، فأرض القسم المربع مفروشة بالفسيفساء أيضا ، ولكن برسوم هندسية ملونة بنفس الشكل الذى استعملت به على الدكة المجوفة المرتفعة المحيطة بها ، ويظن هاملتون أن قطعة الفسيفساء هذه تمثل بساطا لأن فيها أهدابا تشبه حاشية أنواع معينة من الأبطية .

ومع ذلك فإن هذه الزخارف الهندسية تعتبر من أروع الآثار الإسلامية فى الفن بل تجعلها نماذج من تأثير الفن الإسلامى على الفن الحديث التجريدى والبصرى . فلقد رصفت ضمن تشكيلات منسجمة كل تشكيل مختلف عن الآخر ، وهذه القطعة هى أضخم قطعة فسيفسائية عرفت حتى ذلك الوقت ، وهى مازال بحالة جيدة كاملة حتى اليوم .

أما الصورة الأساسية التى تزين أرضية الحنية فى غرفة الاستقبال هذه فهى صورة تشبيهية رائعة التكوين مؤلفة من شجرة تفاح أو نارنج مع نباتات إضافية على طرفى الشجرة حيث تختلط هذه النباتات من اليمين بصورة أسد يتقض على غزال هلع ، بينما يبدو فى الجهة اليسرى غزالان هادئان ينعمان بقضم بعض أوراق هذه النباتات ، وتمتاز الشجرة بواقعيتهما إذا روعى فيها اختلاف مقاييس الفروع والأغصان الطبيعى كما روعى التكوين الهندسى ، فلقد ظهرت الأوراق فى الوسط صفراء شاحبة يعقبها أوراق خضراء ثم أوراق زرقاء مخضوضرة قائمة ، ومقابل هذه الألوان تبدو الثمار بلون أحمر ساطع . ولقد التفت فروع الشجر وأغصانها بشكل واقعى صرف .

وتعتبر هذه الفسيفساء هى الوحيدة ذات التصوير التشبيهى ولأنها وضعت على منصة مرتفعة مخصصة للخليفة على ما يبدو ، فإنها ذات قيمة خاصة أو وظيفة خاصة كما يرى «ايتنهاوزن» (إذ أنها توضح حسب رأيه قوة الخلافة التى لا تقاوم فلقد نجح الفنان بالتأكيد على الانسجام الرمزي بين الشجرة والعالم وهو أمر مألوف حتى ذلك الوقت) .

والشئ الهام فى هذه اللوحة هو الأسلوب الانتقائى الذى جمع عناصره من مختلف الفنون القديمة والسائدة كالفن الرومانى والساسانى والبيزنطى . وهذا الأسلوب يبقى إلى حد

يقال له الجامع الأفخر، وقيل له - زمن على مبارك - جامع الفاكهيين (ويعرف الآن بجامع الفكهاني)، وهو من المساجد الفاطمية عمره الخليفة الظافر بنصر الله ووقف حوائته على سدته ومن يقرأ فيه وذلك في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وموضعه قبل ذلك كان زريبة، وتم بناؤه في الحادى عشر من شوال من السنة المذكورة، وبوسط صحنه صهريج، ويصعد له بساللم وتحت حوانيت.

والسبيل يشغل الركن الشمالى للجامع، وذو شباكين لتسييل أحدهما يطل على شارع المعز لدين الله، يغشيه مصبغات نحاسية ويعلوه عتب وعقد عاتق ونفيس به بلاطات خزفية (قاشانى). كما يعلو العقد العاتق لوحة تأسيسية من ثلاثة أسطر مضمونها:

«أنشأ هذا السبيل . . أحمد كتحدا مستحفظان سابقا الخربوطلى . . فى شهر رمضان سنة ١١٤٨ هـ».

ويستفاد من النص أن أحمد كتحدا الخربوطلى قام ببناء السبيل فى ركن الجامع أثناء تجديده له فى عام ١١٤٨ هـ، أما الشباك الثانى فيطل على حارة حوش قدم، وهو يماثل الشباك الأول، يجاور هذا الشباك مدخل السبيل والكتاب.

والسبيل عباره عن حجرة تسبيل مربعة تقريبا، يعلوها حجرة الكتاب والتي تأخذ نفس الهيئة إلا أنها مجددة حاليا لاستعمالها عيادة صحية لأهالى الحي.

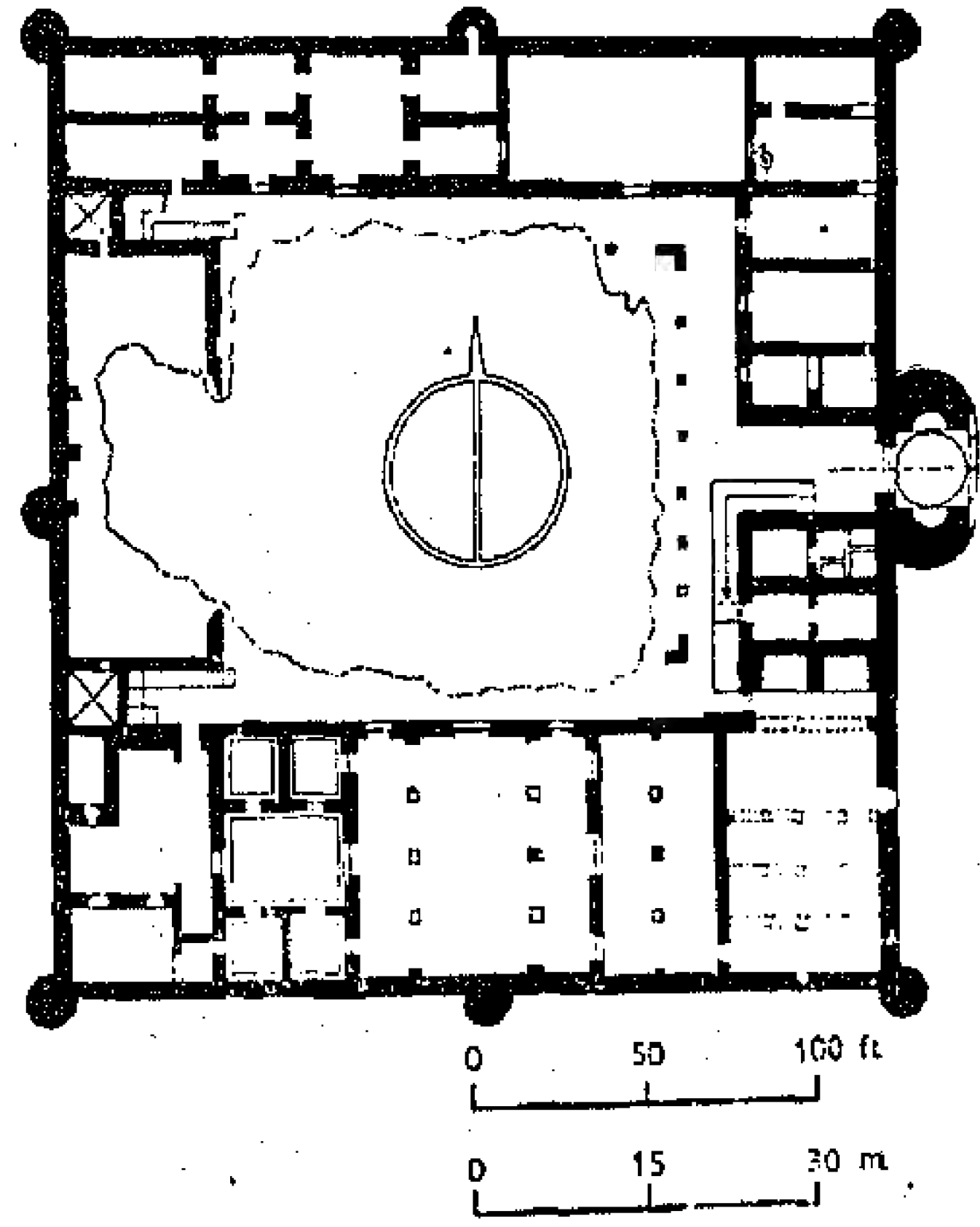
(الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة - د. محمد حامد الحسنى/

٢١٤).

* الخرتنكى:

قال السمعاني:

الخرتنكى: بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح التاء المنقوطة باثنتين من فوقها وسكون النون وفى آخرها الكاف، هذه النسبة خرتنك، وهى من قرى سمرقند على ثلاثة فراسخ منها، وبها كان موت الإمام أبى محمد بن إسماعيل البخارى رحمه الله، خرجت إليها أربع مرات للزيارة، والمشهور إليها أبو منصور غالب بن جبريل الخرتنكى، نزل عليه محمد بن إسماعيل بخرتنك، ومات فى داره، وهو تولى أسباب دفنه،



مخطط قمر المنية - عن كريزويل

كما عثر على دينار مضروب عام ٩٨ هـ.

ولقد أجرى التنقيب فيها ماذير ثم شنايدر ثم رينارد خلال ١٩٣٦ - ١٩٣٨ م. وعندما احتل الإسرائيليون الموقع لم يسمح للمنقبين بمتابعة أعمالهم فى المنطقة. ولقد ذكره كريزويل بإيجاز ويتألف القصر من بناء مساحته ٦٧ × ٧٣ مترا تقوم فى زواياه أبراج مستديرة وله فى الوسط من الناحية الشرقية باب ضخم يحيط به برجان من الجانبين، ويمتاز هذا الباب الذى يبلغ عرضه ١٦,٥ م بقبته المربعة التى يقوم فى كل من جانبيها نصف برج، وكانت القبة مفتوحة من الأعلى وحولها طنف إكليلى مزخرف بغزارة والأقسام غير المنحوتة من القبة بالفسيفساء بلون أخضر وأزرق وأحمر وذهبي وفضي. وينتهى دهليز المدخل بالفناء المحاط بغرف مفتوحة على بعضها وفى الجهة الجنوبية أقيم الجامع (١٩,٤٢ × ١٣,١ م) ذى المحراب المتجه نحو الجنوب. ولقد أنشئ هذا الجامع متأخرا قبل تهديم القصر ولعله لم يكن قد اكتمل بناؤه بعد. (الفن العربى الإسلامى فى بداية تكوينه - د. عفيف بهنسى / ١١٣، ١١٤).

* الخربوطلى (سبيل أحمد كتحدا) (١١٤٨ هـ / ١٧٣٥ م) أثر ١٠٩:

جامع الفكهاني هو المعروف قديما بجامع الظافر، وكان

ويقال إنه كان من أهل العلم، حكى عنه حكايات في مناقب البخاري، ومات بعده بقليل، وأوصى أن يدفن بجنبه، وكانت وفاة البخاري ليلة الفطر من سنة ست وخمسين ومائتين.

(الأنساب للسمعاني تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٣٤٠، ٣٤١. انظر أيضا الباب لابن الأثير، ١ / ٥٠١، ٥٠٢).

* الخرجاني:

قال السمعي:

الخرجاني: يفتح الخاء المنقوطة بنقطة وسكون الراء المهملة وفتح الجيم، وكسر النون، هذه النسبة إلى خرجان، وهي محلة كبيرة بأصبهان، اجتزت بها غير مرة. وأهل أصبهان يقولون لها خورجان إلى الساعة، وقال أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي الحافظ: خرجان قرية من قرى أصبهان. والمشهور بالانتساب إليها أبو حامد علي بن أحمد بن محمد بن الحسين الأصبهاني، يروي عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن فراس المكي وأبي أحمد محمد بن محمد بن مكي الخرجاني، يروي عنه أبو بكر محمد بن إدريس الخرجاني وأبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب علي سبيل الإجازة وأبو القاسم عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن منده الحافظ وغيرهم.

وأقدم منه أبو محمد عبد الله بن إسحاق بن يوسف الخرجاني، من أهل أصبهان، يروي عن أبيه، روى عنه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني.

وأبو العباس زياد بن محمد بن زياد الهيثم الخرجاني الأصبهاني من أهل أصبهان، يروي عن الحسن بن محمد الداركي ومحمد بن حمزة بن عمارة وجماعة، وتوفي بأصبهان فيما يظن حمزة بن يوسف سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة.

وشيخنا أبو بكر محمد بن أبي نصر شجاع بن محمد بن إبراهيم اللفتواني الحافظ، كان يسكن محلة خرجان فيقال له الخرجاني، سمع أبا منصور بن شكرويه القاضي وسليمان بن إبراهيم الحافظ وأبا الحسين أحمد بن عبد الرحمن الذكراني وجماعة سواهم، كتبت عنه الكثير وكان حافظا ورعا كثير الخير والعبادة، وكانت ولادته ... وستين وأربعمائة وتوفي سنة ... وثلاثين وخمسمائة بأصبهان.

وأبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين بن كوشيد الخرجاني المعافري، من أهل أصبهان، له رحلة وفيه لين، حدث عن عبد الله بن أحمد بن موسى الجواليقي عبدان وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ومحمد بن يحيى بن زهير التستري وغيرهم، روى عنه أبو بكر بن مردويه الحافظ.

وأبو عبد الله أحمد بن الحسين بن محمود الخرجاني، هو ابن أبي علي الخرجاني المذكر، يروي عن ابن أخي أبي زرعة الحافظ وأبي الأسود وغيرهما.

وأبو سعيد جبير بن هارون بن عبد الله الخرجاني المعدل، قال أبو بكر بن مردويه الحافظ: هو من محلة خرجان، روى عن علي بن محمد الطنافسي ومحمد بن حميد، روى عنه عبد الله بن محمد الأصبهاني، ومات سنة خمس وثلاثمائة.

وضرار بن أحمد بن ضرار الخرجاني، يروي عن أحمد بن يونس الضبي. روى عنه أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني؛ وفي مسجد جامع أصبهان موضع يعرف بضراراباذ، هو بناها.

وأبو محمد طاهر بن إبراهيم بن يزيد الوراق الضبي الخرجاني، يروي عن أبي حاتم محمد بن إدريس، الرازي، روى عنه محمد بن أحمد بن إبراهيم.

وأبو جعفر محمد بن يحيى بن يزيد بن مالك الضبي الخرجاني مولى بني ضبة، ثقة، سمع محمد بن أبان البلخي المستملي، روى عنه محمد بن أحمد بن إبراهيم، وتوفي سنة إحدى وتسعين ومائتين.

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٣٤١، ٣٤٢. انظر أيضا الباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥٠٢).

* الخرجاني:

قال السمعي:

الخرجاني: يفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وكسر الجيم وسكون الراء الأخرى وكسر الدال المهملة، هذه النسبة إلى خرجد، وهي بلدة من بلاد فوشنج هراة، سمعت أبا نصر عبد الرحمن بن محمد الخرجاني يقول غير مرة: ذكر صاحب

شيبان بن منيع الخرجوشي الشيرازي، من أهل شيراز، يروي عن أبي بكر محمد بن يحيى الفارسي، روى عنه ابنه أبو الحسين الخرجوشي، ولم يحدث عنه غير ابنه. هكذا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الفارسي الشيرازي الحافظ في تاريخ فارس.

وابنه أبو الحسين عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن جعفر ابن أحمد بن خرجوش المعدل الشيرازي الخرجوشي، رحل إلى العراق، وسمع أبا الحسن علي بن عبد الله بن مبشر السواسطي وأبا عبد الله محمد بن مخلد العطار وجماعة، وتوفي في السادس عشر من شعبان سنة تسعين وثلاثمائة، وكان ثقة نبيلاً.

وحافله أبو الفرج محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن جعفر بن أحمد بن خرجوش المعروف بالخرجوشي، سكن بغداد وكان ديناً ثقة صدوقاً، سمع أبا عبد الله بن خفيف الشيرازي وأبا العباس الحسن بن سعيد المطوعي وإسحاق بن أحمد القاييني وغيرهم، روى عنه أبو بكر الخطيب الحافظ البغدادي وأبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، وأثنى عليه الخطيب قال: كان فاضلاً صالحاً ديناً ثقة، كتبنا عنه بانتقاء أبي الفتح بن أبي الفوارس. مات ببغداد في آخر ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة.

وأما أبو سعد عبد الملك بن أبي عثمان محمد بن إبراهيم الواعظ الخرجوشي من أهل نيسابور، فكان إماماً زاهداً فاضلاً عالماً، له البر وأعمال الخير والقيام بمصالح الناس وإيصال النفع إليهم، سمع ببلده أبا عمرو بن نجيد السلمى وجماعة كثيرة سواه، ورحل إلى العراق والحجاز وديار مصر، وأدرك الشيوخ، وصنف التصانيف المفيدة، وذكره أبو الفضل محمد ابن طاهر المقدسي فقال: أبو سعد الخرجوشي، ويقال بالكاف بالفارسية، منسوب إلى قرية بخراسان. هكذا قال المقدسي، وأما قبر أبي سعد هذا ففي خانقاهه بسكة خركوش ولا أدري أبو سعد هذا نسب إلى هذه السكة أو السكة نسبت إلى أبي سعد، وتوفي في جمادى الأولى سنة سبع وأربعمائة.

(الأنساب للسمعاني ٢ / ٣٤٣، ٣٤٤. انظر أيضاً اللباب لابن الأثير، ١ / ٥٠٣).

كتاب المسالك والممالك فيه: مدائن فوشنج أربع: خرجرد، وفلجرد، وفوشينج - وذكر أخرى نسبتها. والمشهور بالنسبة إليها شيخنا الإمام أبو سعد إسماعيل بن أبي القاسم عبد الواحد بن إسماعيل الخرجردى نزيل هراة، وكان من العلماء العاملين بعلمه. كثير العبادة، غزير الفضل، سمع أبا صالح المؤذن وأبا عمرو اللخمي وأبا بكر بن خلف الشيرازي وأبا القاسم الواحدى وغيرهم، سمعت منه أجزاء بمرور، وسكن هراة، وتوفي بها في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة.

وابن عمته الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن بشار الخرجردى مثل ابن خاله في الزهد والعلم ولزوم البيت، تفقه على الفقيه الشاشي بهراة، وعلى جدى الإمام وعبد الرحمن السرخسى بمرور، وبرع في الفقه، ولزم منزله بنيسابور في مدرسة البيهقي، يروي عن جماعة كثيرة من هذه الطبقة الحديث. سمعت منه بنيسابور في النوبتين جميعاً في توجهي وانصرافي من العراق، ومات في شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة. وأما قرابتهما فهو صاحبنا أبو نصر عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الخطيب الخرجردى، كان فقيهاً، تفقه على إسماعيل الخرجردى، وسمع الكثير بنيسابور، وكان كثير المحفوظ صالحاً مواظباً على الجماعات، كنت قد استأنس في المدرسة التميمية بمرور واحترق في وقعة الغز بمرور في المنارة بأسفل الماحجان في رجب سنة ثمان وأربعين وخمسمائة والله يرحمه.

(الأنساب للسمعاني ٢ / ٣٤٢، ٣٤٣ - انظر أيضاً اللباب لابن الأثير، ١ / ٥٠٢).

* الخُرْجَةُ:

انظر: الموشح.

* الخُرْجُوشِي:

قال سمعاني:

الخُرْجُوشِي: بفتح الخاء وسكون الراء وضم الجيم وفي آخرها الشين المعجمة، هذه النسبة إلى خرجوش، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه وهو أبو ... محمد بن عبيد الله بن جعفر بن أحمد بن خرجوش بن عطية بن معن بن بكر بن

* ابن خرداداذبه (نحو ٢٠٥ - نحو ٢٨٠ هـ / نحو ٨٢٠ - نحو ٨٩٢ م):

عبيد الله بن أحمد بن خرداداذبه، أبو القاسم، مؤرخ جغرافى، فارسى الأصل. من أهل بغداد. كان جده خرداداذبه مجوسيا أسلم على يد البرامكة... واتصل عبيد الله بالمعتمد العباسى فولاه البريد والخبر بنواحي الجبل وجعله من ندمائه (الأعلام ٤/ ١٩٠) إقليم الجبال جنوب غرب بحر قزوين كتابات مضئئة / (٢١) وهو ميديا القديمة أو أذربيجان وكردستان الحالية، ثم شغل وظيفة رئيس هذه المصلحة فى بغداد وفى سر من رأى. غير أن مكانة أسرته جعلته مقربا من الخليفة المعتمد (ولد وتوفى) بسامراء ومن ندمائه أصحاب النفوذ. وفى الوقت نفسه سمحت له مكانته والمناصب التى شغلها بأن يحصل على الوثائق التى استمد منها المواد اللازمة لمؤلفاته البالغ عددها عشرة، والتى لا نعرف منها سوى أسمائها، ومن المقتطفات المثبتة لدى المؤلفين المتأخرين أو الإشارات إليها فى المراجع المختلفة (أعلام الجغرافيين العرب / ١٠٦).

من مصنفاته «الممالك والممالك» و «جمهرة أنساب الفرس» و «اللهو والملاهى» طبعت مختارات منه، و «الشراب» و «الندماء والجلساء» و «أدب السماع» (الأعلام ٤/ ١٩٠) وجميع هذه المؤلفات تقريرا تدور فى فلك الأدب الخفيف والحياة المرحية، وقد نثر فى بعضها على بعض الاتجاهات الشعبية كما فى كتابه «جمهرة أنساب الفرس» وبعضها يرمى إلى إمتاع عليّة القوم مثل «كتاب الشراب» و «كتاب الطيخ» وقد كشف النقاب مؤخرا عن مخطوطة واحدة عنوانها «الملاهى والأسمار» وذلك ضمن مجموعة أحد الهواة. وله فضلا عن ذلك مصنف فى «التاريخ» يعالج تاريخ العرب قبل الإسلام، كما يذكر المسعودى، كما تحتوى قائمة مؤلفاته على «كتاب الأنواء» كما هو مألوف لدى أدباء عصره.

لكن ما يهمنا هو كتابه الجغرافى الذى أسماه «الممالك والممالك»، الذى بدأ بتأليفه حوالى عام ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م، وتابع العمل فيه إلى أن أدركته المنية فى تاريخ أعقب عام

٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م، المحتمل أن وضع هذا الكتاب جاء استجابة لطلب أحد العباسيين (أعلام الجغرافيين العرب / ١٠٦).

ويعتبر هذا الكتاب من المؤلفات المبكرة جدا فى الجغرافية العربية الوصفية، وقد اقتبس منه الجغرافيون اللاحقون على نطاق واسع. وقد عنى الكتاب عناية خاصة بوصف طرق المواصلات بين الأقطار والمدن الإسلامية، واشتمل على معلومات عن المدن وعن الإنتاج الزراعى والخراج فى الممالك الإسلامية، كذلك اشتمل على بعض المعلومات الفلكية السطحية وعلى شىء من الغرائب والطرف عن البلدان القصية كالصين وتركستان والهند (كتابات مضئئة / ٢١).

يقول الدكتور عبد الرحمن حميدة:

وقد أصبح عنوان كتابه هذا شائعا جدا من بعده وينقسم إلى سبعة أقسام متفاوتة جدا فى طولها. فالقسم الأول يشتمل على نظريات كوزموغرافية مستمدة على الأرجح من بطليموس، (الكوزموغرافيا: علم الحركات الفلكية للأرض والكون) بينما يضم القسم الثانى عرْفية nomenclature جغرافية لإقليم بغداد، باعتباره مركز العالم حينذاك.

أما فى الجزء الثالث والرابع والخامس والسادس فيعطينا المؤلف، بالتسالى، معلومات إضافية عن مسالك الشرق (فارس، الهند، والصين) والغرب (بلاد الشام، مصر، المغرب، شمالى ما بين النهرين، وبيزنطة) والشمال (أرمينيا ومنطقة بحر الخزر) وجزيرة العرب. ونجد أخيرا فى الجزء السابع معلومات عامة عن أقسام العالم وغرائب، ويترأى لنا أن شطرا من هذا الجزء، على الأقل، ليس من إنتاج جهده الشخصى. وقد ضمن ابن خرداداذبه كتابه إحصاء جباية الإمبراطورية العباسية، وطول المسافات بين البلاد، وقبلة أهل كل بلد، وفوائد تاريخية كثيرة.

وعند تحقيقه ونشره عام ١٨٨٩ على يد المستشرق دى خويه ألحق به قطعة من كتاب «الخراج وصناعة الكتابة» لقدامى ابن جعفر البغدادى.

(الأعلام للزركلي ٤ / ١٩٠، وكتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي - د. شاكر خصبك / ٢١، وأعلام الجغرافيين العرب - د. عبد الرحمن حميدة ١٠٦، ١٠٧، والتاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية - عمر رضا كحالة / ٢٢٨، والمسالك والممالك لابن خرداذبه / ٣، ٤).

«الخردل»:

مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في علم النبات وعلم طب الأعشاب وهو بقلة معروفة. أورده المظفر الرسولي نقلا عن مصادر أربعة رمز لها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسي.

ز: الزهراوى.

قال الخَرْدَلُ : «ع» أن يختار منه ما لم يكن مُفْرَط اليُس، ولا قَحْلا، ولا شديد الحمرة، وليكن كبير الحبة، وإذا دق كان داخله أصفر وفيه نداوة، فما كان على هذه الصفة فإنه جيد مستحكم. وللخردل قوة تسخين وتلطيف، وتجذب وتقطع البلغم إذا مضغ، وإذا دق وقرب من المنخرين حرك العطاس، وأنبه المصروعين والنساء اللاتى يعرض لهن الاختناق من وجع الأرحام، وإذا تضمد به نفع من النقرس، وقد يحلق الرأس ويضمده للمرض الذى يقال له ليشعس، وإذا خلط بالتبن، ووضع على الجلد إلى أن يحمر، وافق عرق النساء والطحال. وبالجمله فإنه موافق لكل وجع مزمن إذا أريد جذبه من عمق البدن إلى ظاهره، وهو يسخن ويجفف فى الدرجة الرابعة، ويحلل الرطوبات من الرأس والمعدة وسائر البدن، وينفع من وجع الكبد والطحال، ومن الريح والرطوبة، ويحلل البلغم، يجفف اللسان الثقيل من البلغم، وإذا سحق ووضع على مقدم الدماغ من المبرودين سخنه، ونفع من النزلات المتواليه، وإذا طليت به الأعضاء الباردة القليلة الحس سخنها وقوى حركتها، وإذا أكل مع الطعام هضمه وسخن المعدة.

ويبدو أسلوب ابن خرداذبه جافا جدا عندما يتكلم عن العرفية، مثلما يظهر عديم اللون فى المقاطع الوصفية. ونميل للظن بأن المؤلف لم يهتم بتحسين أسلوبه، لأنه لم ينظر لكتابه كمصنف أدبى بل كوجيز معد لجمهور معين (أعلام الجغرافيين العرب / ١٠٦، ١٠٧).

ولم يتبع ابن خرداذبه نظاما دقيقا فى تأليفه، وربما بدا لنا هذا، لأن كتابه لم يصلنا إلا مختصرا (التاريخ والجغرافية / ٢٢٨). وننقل لك فيما يلى نصا من كتاب «المسالك والممالك» وهو عن الأرض فى الكون وأبعادها. يقول ابن خرداذبه وقد أشار إلى نفسه بأبى القاسم:

قال أبو القاسم: صفة الأرض أنها مدوّرة كتدوير الكرة موضوعة فى جوف الفلك كالمحّة فى جوف البيضة. والنسيم حول الأرض وهو جاذب لها من جميع جوانبها إلى الفلك وبنية الخلق على الأرض لأن النسيم جاذب لما فى أبدانهم من الخفة والأرض جاذبة لما فى أبدانهم من الثقل لأن الأرض بمنزلة الحجر الذى يجتذب الحديد. والأرض مقسومة بنصفين بينهما خط الاستواء وهو من المشرق إلى المغرب وهذا طول الأرض، وهو أكبر خط فى كرة الأرض كما أن منطقة البروج أكبر خط فى الفلك. وعرض الأرض من القطب الجنوبى الذى يدور حوله سهيل إلى القطب الشمالى الذى يدور حوله بنات نعش. فاستدارة الأرض فى موضع خط الاستواء ثلاث مئة وستون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع أربع وعشرون إصبعاً والإصبع ست حبات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ. وبين خط الاستواء وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة اصطرابية واستدارتها عرضاً مثل ذلك، إلا أن العمارة فى الأرض بعد خط الاستواء أربع وعشرون درجة، ثم الباقي قد غمره البحر الكبير. فنحن على الربع الشمالى من الأرض، والربع الجنوبى خراب لشدة الحر فيه والنصف الذى تحتنا لا ساكن فيه. وكل ربع من الشمالى والجنوبى سبعة أقاليم، وذكر بطليموس فى كتابه أن مدن الأرض على عهده كانت أربعة آلاف ومئتين مدينة (المسالك والممالك / ٣، ٤).

«ج» الخردل البري يسمى حرشاء، وأجوده البستاني الكبار الحديث الأحمر، وهو حار في الدرجة الرابعة، ومن خواصه إذا ألقى في عصير العنب منه، أن يغلى ويبقى على حاله، وهو يقطع البلغم، ويهرب من دخانه الهوام، وهو ينقى الوجه، والبري منه ينفع من داء الثعلب، ويحلل الأورام المزمنة والخنزير، ويطلق به الجرب والقوباء، ويفتح سدد المصفاء ويستعمل في حل الغشاوة، وينفع من اختناق الرحم، ويذيب الطحال... وينفع من الحميات العتيقة، وقدر ما يؤخذ منه درهم. والخردل الأبيض أجوده المائل إلى الصفرة، ويدر الحيض، وقدر ما يؤخذ منه درهم.

«ف» بزر معروف أبيض وأصفر، جيده الأصفر الكبار الرزين. وهو حار يابس في الرابعة، ينفع من الأمراض الباردة، والأخلاق البلغمية، ويقوى البدن... ويحد البصر، وينفع من الأمراض الباردة، بالخدر، وإذا أدمن المجذوم استعماله نفعه وأبراه.

«ز» بدله: وزنه بزر: الشلجم، وبزر الحرف، والخردل الأبيض وزنه أشج (المعتمد ١ / ١٢٠، ١٢١).

وأورده الأنطاكي في تذكرته فقال عنه: الخردل هو اللسان وأصوله بمصر تسمى الكبر وهو من تحريفهم لما سيأتى أن الكبر هو القبارى؛ والخردل نوعان: نبات يسمى البري ومستنبت هو البستاني وكل منهما إما أبيض يسمى سفندا سفيدا وأحمر يسمى الحرش وكله خشن الأوراق مربع الساق أصفر الزهر يخرج كثيرا مع البرسيم فيدرك بياضة وهاتور حريف حاد إذا أطلق يراد بزره وهو حار يابس في الرابعة أو البري فيها وغيره في الثالثة أو الأبيض في الثانية نافع لكل مرض بارد كالفالج والنقرس واللقوة والخدر والكزاز والحميات الباردة بماء الورد شربا وضمادا ويحلل الورم ويجذب ما في الأغوار فلذلك تسمن به الأعضاء الضعيفة ويحمر الألوان ويجذب الدم إذا مزج بالزفت ولصق ويطبخ ويغرغر به فيسكن أوجاع الفم والأسنان ويحلل ثقل اللسان ويمنع النزلات ضمادا ويسخن الأعضاء الباردة ويسكن النافض ويحلل الرياح الغليظة واليرقان والسدد وصلابات الكبد والطحال ويفتت

الحصى ويدر الفضلات ويهضم هضمًا لايفعله غيره. ومن خواص أهل مصر: أكله مع الشواء في عيد الأضحى وإذا اكتحل به جلا الظلمة والبياض والكمته خصوصا ما اعتصر من بزره طريا وجفف أو أغلى بالزيت وقطر في الأذن فتح الصمم وأزال الدوى وأخرج الديدان ويطبخ مع السذاب فيسكن ضربان المفاصل والرعشة ضمادا ونطولا ودهنا... ويفتح سدد المصفاء سعوطا ويزيل الاختناق شربا والتخم بدليل أنه إذا طرح في عصير لم يغل وبالعسل يزيل السعال المزمن والربو وأوجاع الصدر والبلغم الغليظ ودخانه يطرد الهوام وهو معطش مكرب يولد الحرارة ويصلحه الخل واللوز والملح الهندي وأن يأكله المحرور باللبن وأن يؤخذ مع الأطعمة الغليظة كالهريسق للمصروع بالسلق (التذكرة ١ / ١٣٧، ١٣٨).

وقال عنه القزويني: بزره يبقى في عصير العنب يمنعه أن يغلى ويبقى على حاله. قال محمد بن زكريا الرازي: إن جعلت الخردل في كوى الحيات قتلها (عجائب المخلوقات / ١٨٦) قال ابن سينا: يقتل دخانه الهوام وينقى الوجه ويزيل النكهة وأثر الدم الميت. والبري منه ينفع من حمى الربيع، ومن داء الثعلب والقوباء ضمادا وكذلك وجع المفاصل وعرق النساء. عصارته قطورا لوجع الأذن، وإن شرب على الريق ذكى الفهم. يستعمل في إكحال الغشاوة والخشونة. إن دق وشرب بماء العسل أذهب الخشونة المزمنة في قصبه الرئة. يزيل الطحال ويعطشها. ينفع من اختناق الرحم... نافع من الحميات الدائرة والعتيقة (القانون في الطب / ٣١٦).

وقال عنه محمد بن عيسى بن كنان الصالحى: هو الصناب، وعليه قول الشاعر:

تكلفنى معيشة آل زبد

فمن لى بالصلالق والصناب
الصلالق: الخبز الرقيق، والصناب: الخردل، بزره إذا دُق وزرَّ في الخل منعه من الدودر (المواكب الإسلامية ٢ / ٢٤٦)
(المعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٢٠، ١٢١، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١ / ١٣٧، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني

هذا: كان نظارا قوى الخجة، جاء إلى بغداد هو والقاضي أبو بكر الباقلائي في صحبة عضد الدولة من شيراز، وأخذ عنه فقهاء بغداد من أهل الظاهر.

عينه عضد الدولة قاضيا على الجانب الشرقي من بغداد، وكان فاضلا، حسن النظر، جيد الكلام. ذكره الذهبي في «العبر» وقال في لقبه «الجزري». له كتاب «مسائل الخلاف» (مرجع العلوم الإسلامية / ٤٧٦).

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي / ٢ / ٣٤٤، ٣٤٥، واللباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، / ١ / ٥٠٤، ومرجع العلوم الإسلامية - د. محمد الزحيلي / ٤٧٦ عن طبقات الفقهاء / ١٧٨، والفهرست لابن النديم / ٣٠٧، وتاريخ بغداد / ١٠ / ٤٦٦، والعبر / ٣ / ٥٠).

* خرشة بن الحارث:

قال عنه شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني: خرشة بفتححات ابن الحارث أو ابن الحر المحاربي. روى أحمد والبخاري والطبراني وآخرون من طريق أبي كثير المحاربي سمعت خرشة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ستكون بعدى فتنة...» الحديث. ووقع في رواية الطبراني «خرشة المحاربي» وفي رواية أحمد «خرشة بن الحر» وفي رواية الآخرين «خرشة بن الحارث» وهو الراجح. وقال ابن سعد: خرشة بن الحارث الأزدي له صحبة. نزل حمص، له حديث واحد، ثم أورد هذا. وقال أبو حاتم: خرشة شامي له صحبة، روى عنه أبو كثير المحاربي، وتعقبه ابن عبد البر وزعم أن الصواب أنه هو خرشة بن الحر... ولم يصب في ذلك. والحق أنهما اثنان، وقد خرق بينهما البخاري فذكر خرشة بن الحر في التابعين وذكر هذا في الصحابة، وكذلك صنع ابن حبان. وذكر الحاكم أبو أحمد في ترجمة أبو كثير قول من قال عن أبي كثير عن خرشة بن الحر ووهاه، وصوب أنه خرشة بن الحارث (الإصابة / ١ / ١٠٨).

قال ابن السكن: له صحبة، نزل مصر. وذكره ابن سعد فيمن نزل مصر من الصحابة وذكره ابن الربيع، وقال: لأهل مصر عنه حديث واحد. وقال في التجريد: له وفادة، وشهد

/ ١٨٦، والقانون في الطب لابن سينا - شرحه ورتبه الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو خليل، تحقيق أ. د. أحمد شوكت الشطي / ٣١٦، والمواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية لمحمد بن عيسى بن كنان الصالحى الدمشقي - تحقيق ودراسة د. حكمت إسماعيل، مراجعة محمد المصري وزارة الثقافة. إحياء التراث العربي (٩٣) منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية. دمشق ١٩٩٣ / ٢٤٦).

* الخرزة:

الخرزة: نبات وفي بعض الأصول حمضة من النجيل يرتفع قدر الذراع خيطانا من أصل واحد لا ورق له لكنه منظوم من أعلاه إلى أسفله حبا مدورا أخضر في غير علاقة كأنه خرز منظوم في سلك، نقله أبو حنيفة [الدينوري] في كتاب النبات عن بعض أعراب عمان قال وهي تقتل الإبل ومنابتها منابت الحمض.

(معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي - جمع وتعليق محمود مصطفى الديماطي / ٥٠).

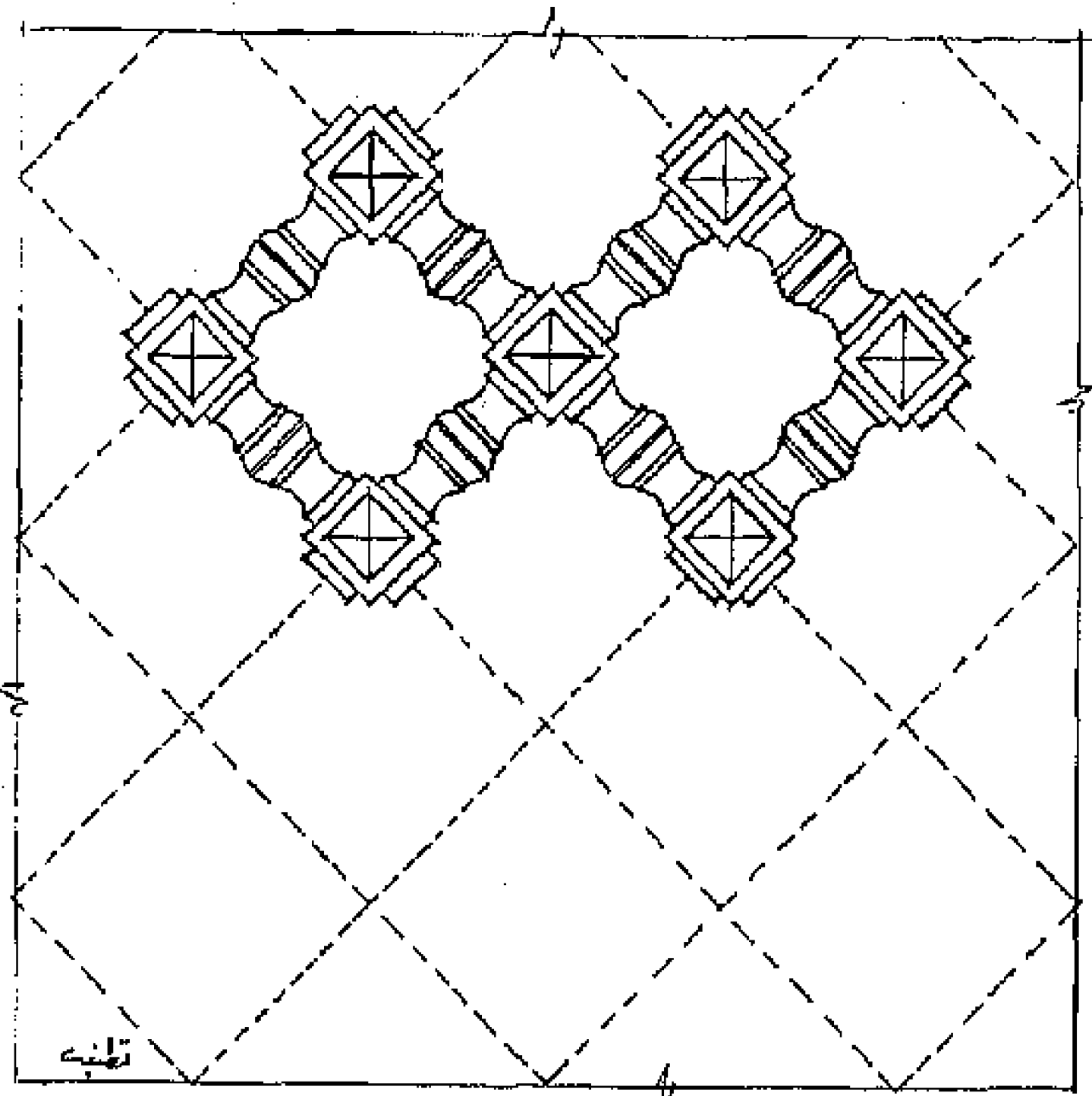
* الخرزي:

قال السمعي:

الخرزي: بفتح الخاء المعجمة والراء وبعدها الزاي، هذه النسبة إلى الخرز وبيعها، وهم جماعة، منهم أبو الحسن أحمد بن نصر بن محمد الزهيري الخرزي البغدادي، من أهل بغداد، نزيل نيسابور في المدينة الداخلة. ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ وقال أبو الحسن الخرزي البغدادي نزيل نيسابور في المدينة الداخلة، سمعته غير مرة يذكر سماعه من أبي عبد الله بن مخلد وأبي عبد الله المحاملي، وتوفي بنيسابور في شهر رمضان من سنة ثمانين وثلاثمائة، ودفن في مقبرة الحيرة.

وأبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الخرزي من أهل بغداد، ولي القضاء بالجانب الشرقي بها، وكان فاضلا فقيه النفس حسن النظر جيد الكلام، ينتحل مذهب داود بن علي الظاهري، وكان أبو بكر الخوارزمي يقول ما رأيت الخرزي كلم خصما له وناظره قط فانقطع، ومات في جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة (الأنساب / ٢ / ٣٤٤، ٣٤٥).

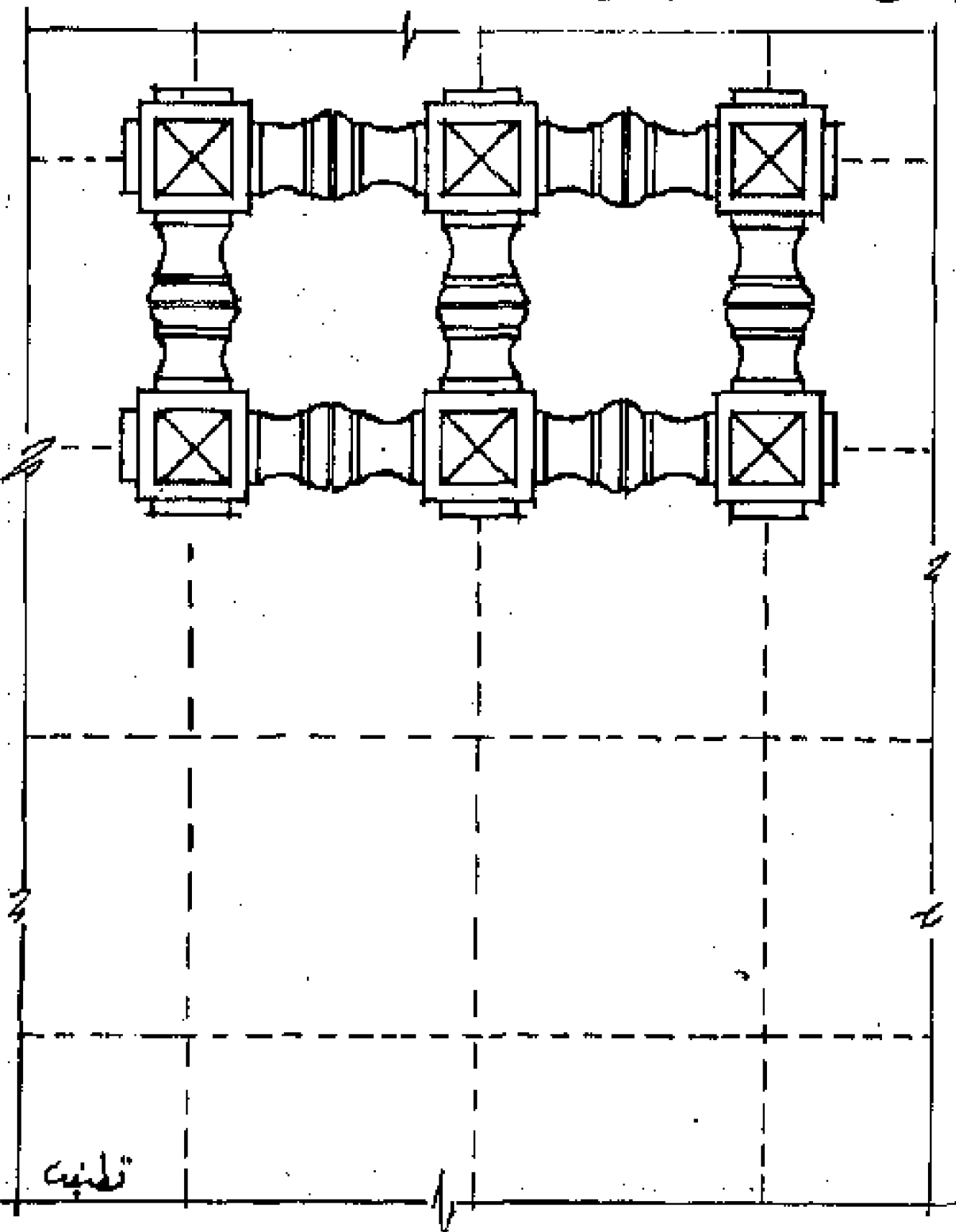
ويضيف الدكتور الزحيلي قوله عن عبد العزيز بن أحمد



٢ - خرط صهرجي مائل
١ - دمياطي

إن الخرط فيه من الإبداع ما تعجز عن تنفيذه الآلات الحديثة كالتطعيم بالصدف والعاج في كل قطعة خرط .

وقد استعمل جميع أنواع الخرط في المشرييات البارزة بالواجهات وفي القواطيع الداخلية سواء كانت ثابتة أو متحركة مثل (البارافان) كما استعمل في الديكورات الداخلية في العمارة الحديثة وكذلك في نوافذ المساجد والقصور من الخارج وفي المنابر وكراسي السورة [المصحف] .



١ - خرط صهرجي

فتح مصر. وقال الحسيني في رجال السند، خرشة بن الحارث أبو الحارث المرادي، نزل مصر. له صحبة ورواية عند ابن أبي حبيب (المحدثون في مصر والأزهر / ٣١، ٣٢).

(الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني / ١٠٨، والمحدثون في مصر والأزهر - أ. د. الحسيني هاشم، وأ. د. أحمد عمر هاشم / ٣١، ٣٢).

* الخرشوف:

ذكره الطيب المغربي عبد القادر بن شقرون في أرجوزته المعروفة بالشقرونية، فقال يعدد منافعه ومضاره، مع ملاحظة أننا احتفظنا بأرقام الآيات كما وردت في النص:

٤٠٨ - الخرشف الغضُّ على أنواعه

يفضى لنفع بين فـراعـه

٤٠٩ - في طبعه الحر من اللطافه

مع الطعام خـله لا مخافه

٤١٠ - يخرج أخلاطا وريحاً فاسده

وفيه لأدران خير فائده

٤١١ - ينقى الصنان ويطيب البدن

ويذهب الخلط الـردى والعفن

(الطب العربي في القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية -

تحقيق وتعليق د. بدر التازي. تعريب وتقديم د. عبد الهادي التازي /

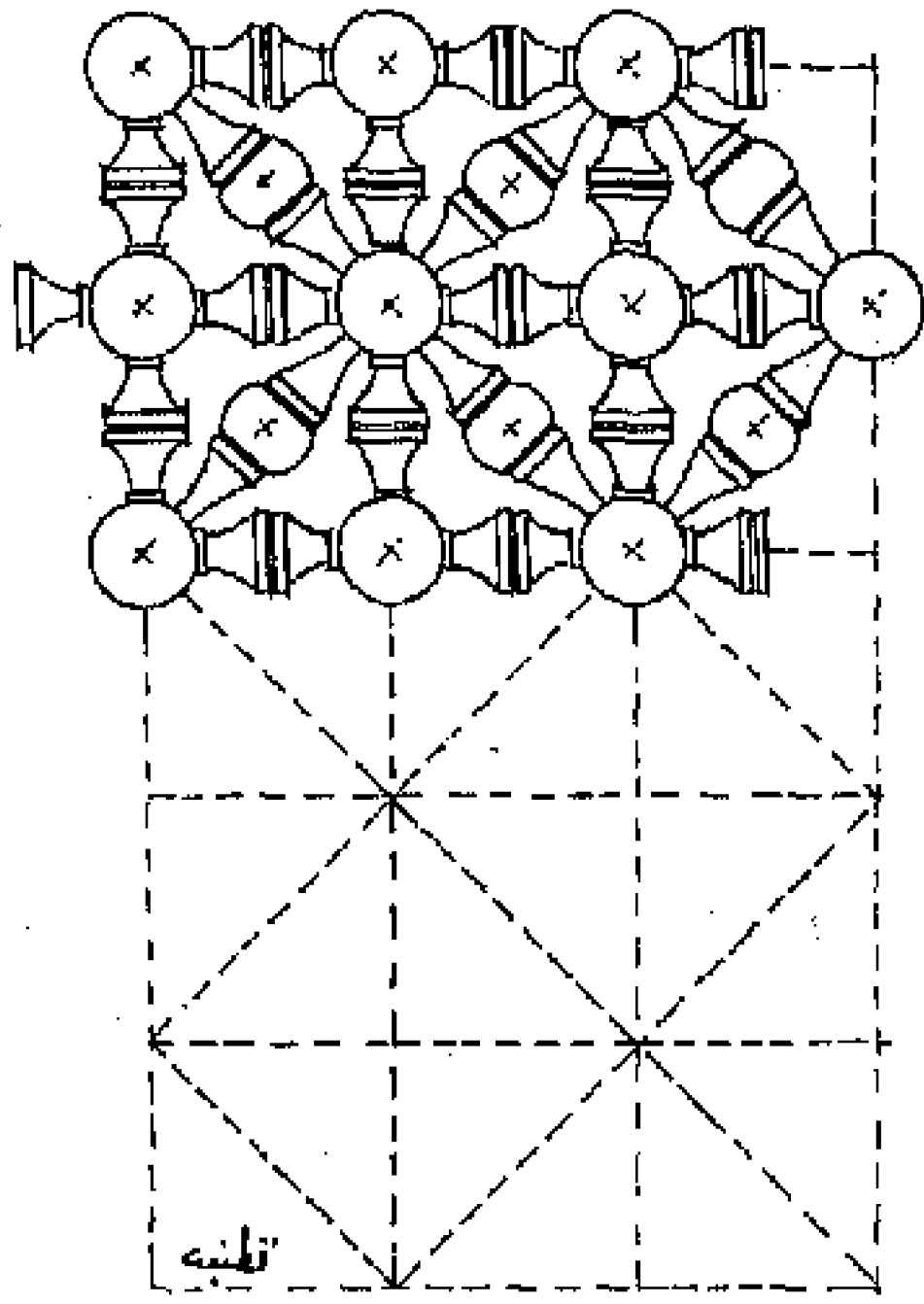
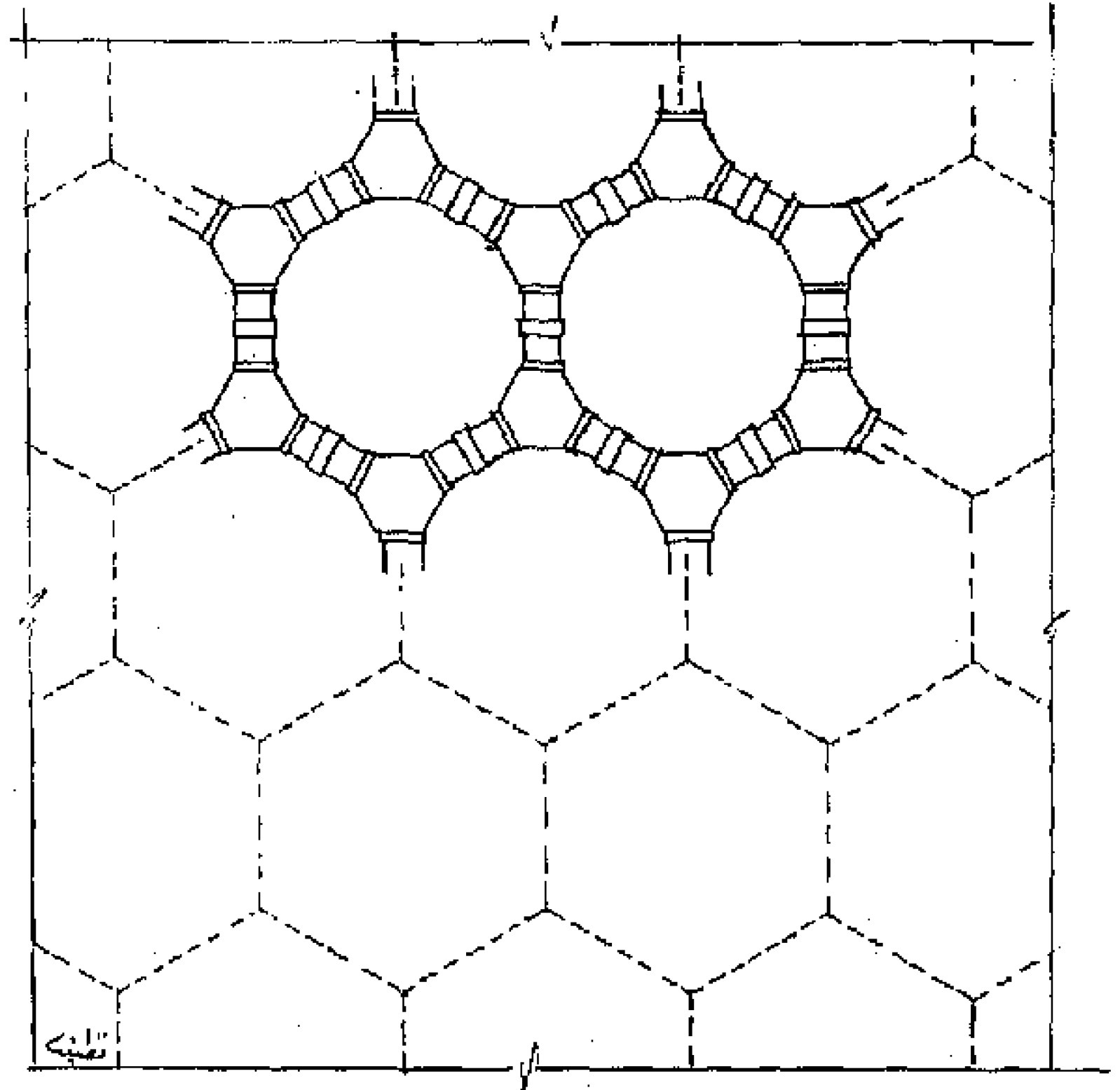
(١٣٧).

* الخرط:

قال عنه المهندس المستشار عبد السلام أحمد نظيف .

نشأ فن الخرط في مصر مهد الحضارة من قديم الزمن - هذا الفن له متخصصون في تصنيعه وتوارثوه أباً عن جد ولم يبق منهم الآن إلا نفر قليل وفي سن لا تسمح لهم بمزاولة هذه الحرفة، ولإحياء هذا الفن يجب تدريب الأجيال ورعايتهم الرعاية الكاملة التي تمكنهم من الاستمرار في إنتاج هذا العمل اليدوي الدقيق خاصة وأنه يجد إقبالا كثيرا وتقديرا عظيما من معظم شعوب العالم التي تقدر العمل الفني اليدوي وقد قامت بعض المخارط الآلية في دول عديدة بإنتاج هذا الخرط بطريقة أوتوماتيكية .

٢- خرط مفوق



٣- خرط ميموني

وصقلها فخرجت منها أشكالاً جميلة أسطوانية ومكعبة ومثمثة ومخروطية ومتقاطعة مع بعضها كما أضيف إلى هذه الأشكال الأسطوانية تخليق حلقات في هذه الاستدارة إما حلقات بارزة أو مجوفة فجاء الخرط غاية في الجمال والإبداع وللخرط أنواع خمسة وهي الخرط الصهريجي، الخرط الصهريجي المائل، الخرط الميموني، الخرط المفوق، البرامق الخشبية.

ثم يورد المهندس المستشار نظيف نماذج من هذه الأنواع الخمسة، وهي كما يلي موضحة بالصور:

نموذج (١) (الخرط الصهريجي)

هو اصطلاح في العمارة الإسلامية، وهذا النوع عبارة عن قطع من المكعبات الخشبية متصلة بقطع خشبية أسطوانية الشكل وتركب في اتجاهات رأسية وأفقية بطريقة التعشيق.

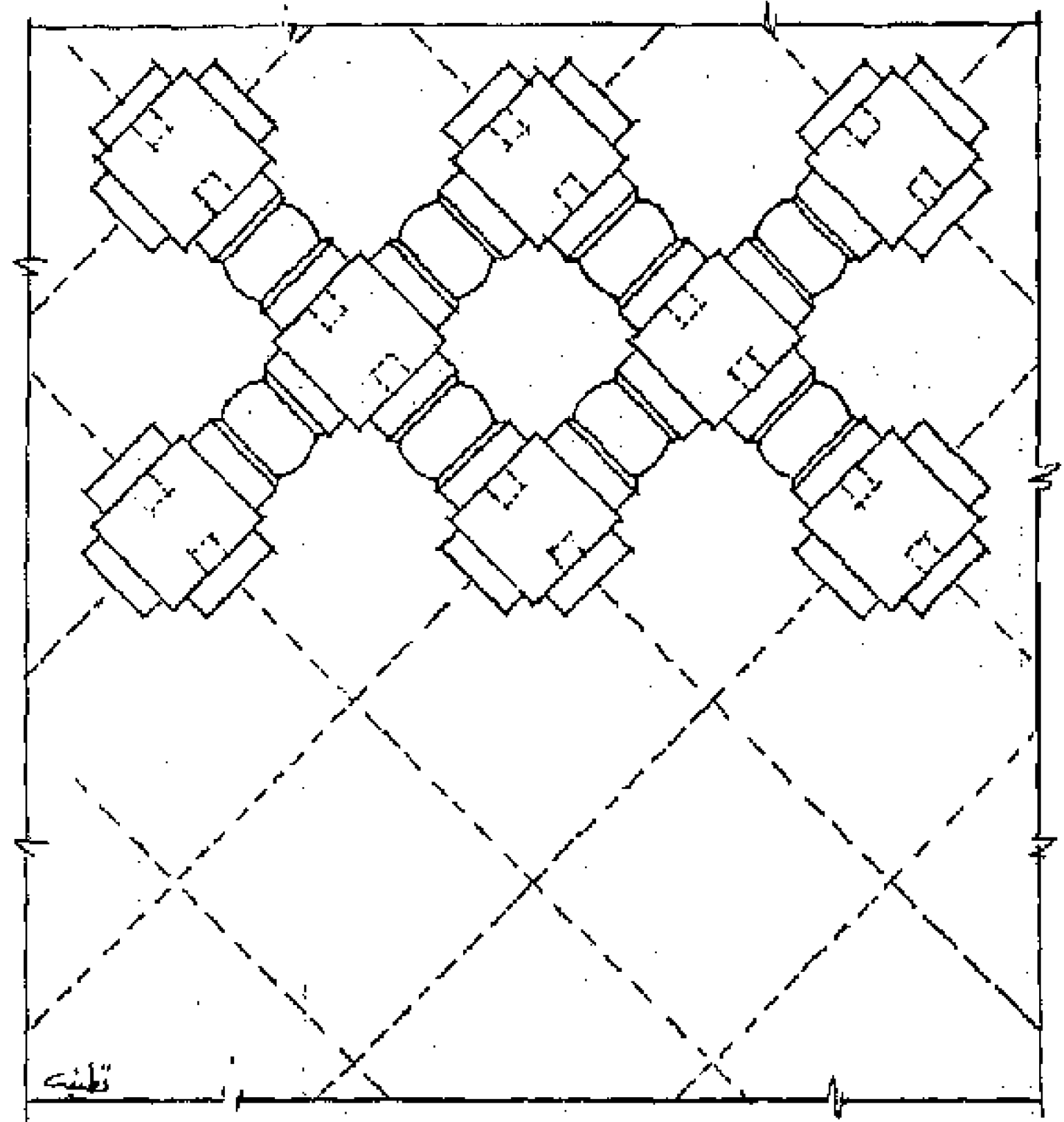
نموذج (٢) (الخرط الصهريجي المائل)

هو نفس الخرط السابق ولكن وضعه يكون مائلاً على زاوية مقدارها ٤٥ درجة كما يسمى أحياناً هذا النوع من الخرط بالدمياطي.

نموذج (٣) (الخرط الصهريجي المائل) «دمياطي»

مثال آخر من الخرط الصهريجي المائل ويلاحظ هنا أن المكعبات التي بينها الخرط الدائري الجزء الأوسط من هذه المكعبات هرمية الشكل.

ازدهر الخرط في عصر المماليك وخاصة صناعة المشربيات، وهي أجزاء متشابكة من وحدات خشبية متشابهة في الشكل والحجم ولذلك أطلق عليها قديماً «شبيكات» وهذه الأجزاء الخشبية عبارة عن قطع طولية ذات أسماك معينة سميت بالمصبعات وتركب مع بعضها بطريقة أفقية ورأسية بطريقة التعشيق. ومع تقدم العرب في العمارة الإسلامية وفنونها أدخلوا عليها الأساليب الفنية من تهذيب هذه القطع



٤- نوع آخر من الخرط الصهريجي

بالمساجد في النوافذ العليا من الخارج وفي المنابر وكراسي
السورة [المصحف] وفي البرافانات، والخرط هذا من الدقة
في التنفيذ وجمال نسبه مما حدى بالغربيين إلى استعماله في
مساكنهم من الداخل كقواطيع تجميلية وكذلك استعمل في
الأبواب المنخفضة الارتفاع في القاعات التي تتسم بهذا
الطراز.

(دراسات في العمارة الإسلامية - إعداد ووضع المهندس الاستشاري
عبد السلام أحمد نظيف / ٢٥٦-٢٦٩).

* الخرططي:

قال السمعاني:

الخرططي: بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح الطاء
المهملة الأولى وكسر الأخرى، هذه النسبة إلى خرطط، وهي
إحدى قرى مرو، قريبة من شاوان في الرمل، على ستة فراسخ
منها، ويقول الناس لها: خرطة، ومنها حبيب بن أبي حبيب
الخرططي، من أهل مرو، يروى عن أبي حمزة محمد بن
ميمون السكري وإبراهيم بن ميمون الصائغ وعبد الله بن
المبارك، روى عنه أهل مرو، وكان يضع الحديث على
الثقات، لا يحل [كتابة] حديثه ولا الرواية عنه إلا على سبيل
القدح فيه. هكذا ذكره أبو حاتم بن حبان البستي.

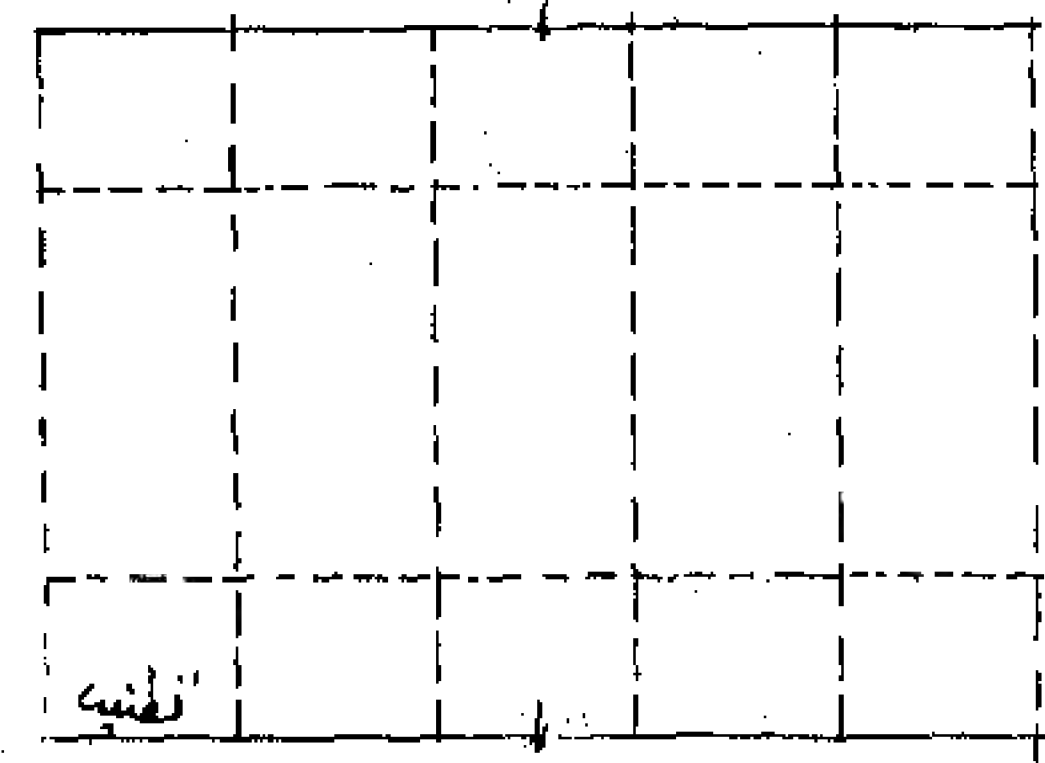
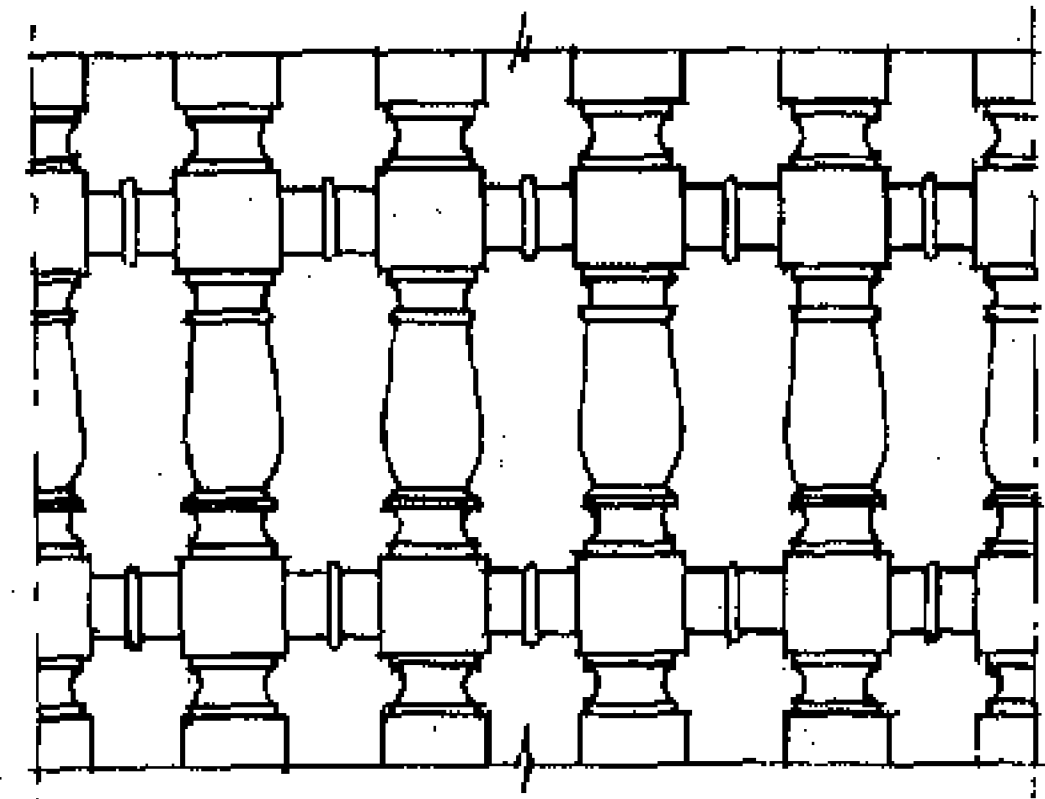
ومحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن بشر الخرططي،
يروى عن أبي عبد الرحمن محمد بن إبراهيم الكرايسي، روى
عن محمد بن عيسى بن موسى السرخسي وغيره.
والقاسم بن جعفر الخرططي، سمع علي بن خشرم هكذا
ذكره أبو زرعة السنجي.

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ /
٣٤٦. انظر أيضا الباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١
٥٠١ /

* الخرعوني:

قال السمعاني:

الخرعوني: بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وضم العين
المهملة وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى خرعون، وهي قرية
من قرى سمرقند من ناحية أبعر، ومن هذه القرية الأخوان



هـ- خرط برامق رأسية

نموذج (٣) (الخرط الميموني)

هي قطع خشبية مخروطية الشكل مركزها كرة خشبية تأخذ
هذه القطع ثمانية اتجاهات بادئة من المركز الذي هو الكرة
الخشبية وبمعنى أوضح أربعة خطوط متقاطعة ومتعامدة
تعطي هذه الاتجاهات الثمانية.

نموذج (٤) (الخرط المفوق)

عبارة عن وحدة هندسية مكررة تعطي تماما شكل خلية
النحل ومحاورها توضح أن الخططين الرأسيين مع تقابلها
للأربعة خطوط المائلة على درجة ٣٠ من الجهتين تعطي
شكل وحدة الخلية.

نموذج (٥) (البرامق الخشبية)

هي وحدات خرط طولية ورأسية بأطوال متساوية وتثبت
بخطوط من الخرط الأفقية المتوازية في المكعب العلوي
والمكعب السفلي لوحدة البرامق.

جميع أشكال الخرط التي لا تخرج عن هذه الأنواع
استعملها العرب في المشربيات البارزة في الواجهات وفي
القواطيع الداخلية التي تفصل بين جزء وآخر وتعبر عنصرا هاما
في الطراز واستعملت أيضا كديكورات داخلية في العمارات
الحديثة حيث إنها مكملية للشكل المعماري، واستعملت

الخرفع خشوه زغب مثل القطن يحشى به ويقال هو القطن المندوف نقله الأزهرى وهو قول أبى عمرو الخرفع كزبرج كما زعم بعض الرواة وقال أبو مسحل القطن يقال له الخرفع بالكسر ومما يستدرك عليه الخرفع بكسر الخاء وضم الفاء لغة فى الخرفع . والخرفع كقنفذ وزبرج نقله صاحب اللسان عن ابن جنى .

(معجم أسماء الثبات الواردة فى تاج العروس للزبيدي - جمع وتحقيق محمود مصطفى الديب / ٥٠) .

الخرقاني:

قال السمعاني:

الخرقاني: بفتح الخاء المعجمة والراء والقاف المفتوحات وفى آخرها النون، هذه النسبة إلى خرقان، وهى قرية فى جبال بسطام كبيرة كثيرة الخير على طريق أستراباذ إن شاء الله، منها شيخ عصره وفريد وقته أبو الحسن على بن أحمد الخرقاني، له الكرامات الظاهرة والأحوال السنية، كان قد راض نفسه وأجهدهما، وكان ابتداء أمره أنه كان خربنده جا يكرى الحمار ويحمل الأثقال عليه، وكان يقول وجدت الله فى صحبة حمار يعنى كنت خربنده جا لما فتح لى هذا الأمر وسلك لى فى هذا الطريق . قصده السلطان محمود وجرت بينه وبينه حكايات عجيبة، وهو أنه لما أراد أن يدخل عليه مسجده قدم بعض أقربائه ليتقدم إلى الشيخ وهل يعرف الشيخ أنه محمود أم لا؟ فلما رآه الشيخ أبو الحسن نادى: يا محمود! قدم من قدمه الله - قال بالعجمية أنراكه خدای فرايش كرده است بكويدت كه فرايش آيد . ثم جلس محمود بين يديه ووعظه ونصحه، وكان على باب المسجد غلام هندی ينظر إلى الشيخ فقال الشيخ له: تقدم يا غلام! فتقدم، فقال: يا محمود؟ تعرف هذا الغلام؟ فقال: لا؛ ثم قال: كم يكون فى عسكريك مثل هذا الأسود؟ قال: لعل يبلغ عددهم عشرة آلاف؛ فقال: ليس فيهم من الله تعالى نظر إلى قلبه إلا هذا، فقام محمود وعانقه وقال: آخ بينى وبينه، ثم قدم إليه صررا من الدنانير فما قبلها، فقال محمود: فرقها على أصحابك؛ فقال: ما لشكرا يستكاني دادة ايم وتو اين بلشكر خويش ده - يعنى أرزاق عسكرينا

أبو عبد الله محمد بن حامد بن حميد الخرعوني، يروى عن على بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي وأبى رجاء قتيبة بن سعيد البغلاني والجارود بن معاذ الترمذى وسويد بن نصر الطوساني وغيرهم، روى عنه أعين بن جعفر بن الأشعث - وحافده إسماعيل بن عمرو بن محمد بن حامد بن الخرعوني، تكلموا فيه وفى رواياته، ومات سنة إحدى وثلاثمائة .

وأخوه أحمد بن حامد الخرعوني، سمع مع أخيه محمد كتاب التفسير لأبى الحسين على بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي السمرقندي، وكان أبو عبد الله محمد يقول سمعت الكتاب - يعنى التفسير - والمشافهات مع أخى أحمد بن حامد من على بن إسحاق سنة مائتين وثلاث وثلاثين، وأربع وثلاثين، وخمس وثلاثين، فارتفع لنا فى ثلاث سنين، وتوفى على بن إسحاق سنة مائتين وسبع وثلاثين، وجهنا والدنا إلى سمرقند والوالدة معنا، كانت تغزل الصوف وتنفق علينا .

وأبو عمران موسى بن الحارث الخرعوني، ذكره أبو العباس المستغفرى فى تاريخ نسف، وقال: دخل نسف مرارا فى صغره وكبره، وكان يختلف معى فى كتاب الأدب إلى أبى على المؤدب، وكان يتعلم منى الأدب، رحل إلى بلخ، وسمع من أبى نصر بن أبى شداد وغيره، يروى عنه اليوم أبو بكر محمد ابن عبد الله النجار خطيب سمرقند، شاب .

(الأنساب للسمعاني ٢ / ٣٤٦، ٣٤٧ . انظر أيضا الباب لابن الأثير ٥٠٦ / ١) .

الخرفع:

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم النبات . خُرْفَعٌ: كقنفذ قال الليث هو القطن الفاسد فى براعيه وهى الأكمة قبل أن تتفتق وقال غيره هو القطن عامة وقال أبو عمرو الخرفع ما يكون فى جراء العشر وهو حراق الإعراب وقال ابن جزلة هو ثمر العشر وله جلدة رقيقة إذا انشقت عنه ظهر منه مثل القطن وقال الدينورى الخرفع جنى العشر قال وقال أبو زياد: يخرج للعشر نفاخ كأنه شقاشق الجمال التى تهدر فيها ويخرج فى جوف ذلك النفاخ حراق لم يقتدح الناس فى أجود منه ويحشونه المخاد والوسائد وقال أبو نصر ثمر العشر

وأصحابنا أعدت لهم ووصلت إليهم، فأعد أنت هذا لعسكرك. مات الشيخ أبو الحسن الخرقاني في يوم الثلاثاء وهو يوم عاشوراء من سنة خمس وعشرين وأربعمائة وكان له يوم وفاته ثلاث وسبعون سنة.

(الأنساب للسمعاني ٢ / ٣٤٧، ٣٤٨. انظر أيضا الباب لابن

الأثير، ١ / ٥٠٦).

* الخرقاني:

قال السمعي:

الخرقاني: بفتح الخاء المعجمة والراء الساكنة والقاف المفتوحة بعدها الألف ثم النون، هذه النسبة إلى خرقان، وهي من قرى سمرقند، وبها رباط معروف يقال له رباط خرقان، منها القاضي أحمد بن الحسين بن يوسف الخرقاني يعرف بمناه اندرجيه، كان واعظا، سمع الحديث من السيد أبي الحسن محمد بن محمد بن زيد الحسيني العلوي، روى عنه عمر بن محمد النسفي إن شاء الله، وتوفي بالفارياب من نواحي جوزجانان في أواخر شهر رمضان سنة تسع وتسعين وأربعمائة.

وبكر بن عبد الله بن عبد الرحيم الخرقاني أحد الأئمة، ذكره عمر النسفي في كتاب القند وقال: توفي في عصر يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذي القعدة سنة خمس وعشرين وخمسمائة ودفن بمقبرة جاكرديزة، قال: وأنا صليت عليه ولى منه أحاديث.

والحسين بن أبي شهاب بن أحمد بن حمزة بن الحسين ابن القاسم بن حمزة بن الحسن بن علي بن عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب العلوي الخرقاني، أبوه أبو شهاب أخو السيد أبي شجاع، يروي عن الخطيب أبي القاسم محمود بن أحمد الزهري، روى عنه أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحافظ، وتوفي بسمرقند في رجب سنة أربع وعشرين وخمسمائة وهو ابن ست وسبعين سنة ودفن قبالة جامع سمرقند.

وأبو علي الحسين بن يوسف بن أبي يعقوب الخرقاني الإمام الخطيب كان فقيها فاضلا وكان يدرس بسمرقند في

مدرسة رأس سكة عمور، يروي عن الإمام الخطيب أبي القاسم محمود بن أحمد الزهري الخرقاني، سمع منه عمر بن محمد النسفي، وتوفي بسمرقند يوم السبت الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسمائة، ودفن بجاكرديزة، وكانت ولادته في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة.

وأبو بكر محمد بن جبريل بن يحيى بن جبريل بن صالح ابن يوسف الخرقاني الخطيب، يروي عن أبي القاسم محمود ابن أحمد الزهري الخرقاني الخطيب، روى عنه عمر بن محمد النسفي، وتوفي في ذي القعدة سنة اثنين وعشرين وخمسمائة، ودفن بجاكرديزة، وكانت ولادته سنة اثنين وخمسين وأربعمائة.

وأبو محمد مسعود بن محمود بن أحمد الخرقاني الزهري، كان عالما فاضلا، وكان خطيب خرقان بعد أبيه، وأراد قاضي القضاة أحمد بن سليمان في زمن أحمد خان أن يكون نائبه في القضاء بخرقان فأبى فقصده فهرب إلى كاشغر ومات بها وقد اكتهل.

(الأنساب للسمعاني ٢ / ٣٤٨، ٣٤٩. انظر أيضا الباب لابن

الأثير، ١ / ٥٠٦).

* الخرقة الصوفية:

من المسائل التي لها صلة وثيقة بالصوفية هي لباس الخرقة الصوفية، وهذه الخرقة من أركان الطريق الأربعة التي يقول عنها الدكتور توفيق الطويل: قالوا إن العصر العثماني قد أقبل وللطريق في مصر أركان أربعة لا يستقيم غيرها، ولا يتولى المشيخة واحد من أهلها إلا إذا توفرت فيه خصائص هذه الأركان - التي تهيأت لأرباب الطريق قبل العصر العثماني في عرف الداعين إليها - وهذه الأركان هي: تلقين الذكر، إدخال الخلوة، إرخاء العدة، وهي الزيادة المدلاة من العمامة - ولباس الخرقة: وهي عريقة وجبة ورداء، أو طافية من القطن، أو هي الأثر قميصا أو رداء أو جبة أو عمامة !! (التصوف في مصر / ٦٩، ٧٠).

وقد ألف الإمام السيوطي رسالة ردا على ابن تيمية، ويروي التاريخ أن السيوطي ألبس الشعراني خرقة الصوفية. وقد قال

الكوفة إلا بعد قتل عثمان فكيف يستنكر سماعه منه وهو كل يوم يجتمع به في المسجد خمس مرات من حين ميز إلى أن بلغ أربع عشرة سنة.

وزيادة على ذلك أن عليا كان يزور أمهات المؤمنين ومنهن أم سلمة والحسن في بيتها هو وأمه.

الوجه الثالث - أنه ورد الحسن ما يدل على سماعه منه أورد المزي في التهذيب من طريق أبي نعيم قال: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن العباس عن يونس بن عبيد قال: سألت الحسن قلت يا أبا سعيد! إنك تقول: قال رسول الله ﷺ وإنك لم تدركه؟

قال يا ابن أخي: لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك ولولا منزلتك مني ما أخبرتك إني في زمان كما ترى - وكان في عمل الحجاج - كل شيء سمعتني أقول قال رسول الله ﷺ فهو عن علي بن أبي طالب غير أنني في زمان لا أستطيع أن أذكر عليا.

ثم أورد السيوطي أحاديث وردت في السنن الصحيحة فيها رواية الحسن عن علي. من ذلك ما رواه الترمذي والنسائي والحاكم وصححه عن الحسن عن علي قال «سمعت رسول الله ﷺ يقول: رفع القلم عن ثلاثة عن الصغير حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المصاب حتى يكشف عنه».

وقال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي عند الكلام على هذا الحديث: قال علي بن المديني: الحسن رأى علياً بالمدينة وهو غلام. وقال أبو زرعة: كان الحسن البصري يوم بويح لعلي ابن أربع عشرة سنة، رأى علياً بالمدينة ثم خرج إلى الكوفة والبصرة ولم يلقه الحسن بعد ذلك. وقال الحسن: رأيت الزبير يبايع علياً. انتهى. ثم قال السيوطي: قلت وفي هذا القدر كفاية. ويحمل قول النافى على ما بعد خروج علي من المدينة.

ولم يكتف الجلال السيوطي بذلك، بل تناول الموضوع في كتابه «تأييد الحقيقة العلية وتشديد الطريقة الشاذلية»: قال الشيخ الإمام الحافظ تقى الدين بن الصلاح إمام

ابن الربيع الشيباني الزبيدي في كتابه «تميز الطيب والخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث»:

«لبس الخرقة الصوفية وكون الحسن البصري لبسها من علي قال ابن دحية وابن الصلاح: إنه باطل، ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه، ولا أمر أحداً من أصحابه بفعل ذلك، وكل ما يروى في ذلك صريحا فباطل».

ثم قال: إن من الكذب المفترى قول من قال إن عليا ألبس الخرقة الحسن البصري، فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعاً فضلاً عن أن يلبسه الخرقة.

وهنا يأتي رأي السيوطي الدال على تحمسه للصوفية والدفاع عنهم. قال في رسالة له بعنوان «أتحاف الفرقة برفو الخرقة».

مسألة - أنكر جماعة من الحفاظ سماع الحسن البصري من علي بن أبي طالب، وتمسك بهذا بعض المتأخرين فخدش به في طريق لبس الخرقة وأثبتته جماعة وهو الراجح عندي لوجوه. وقد رجحه أيضاً الحافظ ضياء الدين المقدسي في المختارة، فإنه قال: الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي وقيل لم يسمع منه، وتبعه على هذه العبارة الحافظ ابن حجر في أطراف المختارة.

الوجه الأول - أن العلماء ذكروا في الأصول في وجوه الترجيح أن المثبت مقدم على النافى لأن معه زيادة علم.

الثاني - أن الحسن ولد لستين بقيتا من خلافة عمر باتفاق وكانت أمه خيرة مولاة أم سلمة رضى الله عنها، فكانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة يباركون عليه وأخرجته إلى عمر فدعا له «اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس» ذكره الحافظ جمال الدين المزي في التهذيب وأخرجه العسكري في كتاب المواعظ بسننه.

ثم قال: ومن المعلوم أنه من حين بلغ سبع سنين أمر بالصلاة فكان يحضر الجماعة ويصلى خلف عثمان إلى أن قتل عثمان وعلى إذا ذاك بالمدينة، فإنه لم يخرج منها إلى

ومن تركنا أضعاف من ذكرنا غير أن هذا لذوى الألباب ... فهو لما يؤمل من فضله أهل وهو بكل شئ عليم .

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر
مصادر عن الرسالة: الكشف ١/ ٦٢ وجاء اسمها: ارتفاع
الرتبة باللباس والصحبة .

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٨/ ٢٩٩، شذرات
الذهب ٥/ ٣٩٧ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد
رياض المالح ١/ ٤٩٧، ٤٩٨) .

انظر: رسالة في لباس الخرقة، رسالة في الخرقة
القادرية، رسالة في لباس الخرقة الشريفة لأهل الطريقة،
سلسلة النسبة المتواترة بين المريدين في لباس الخرقة وأخذ
العهد والتلقين، سند لباس الخرقة والتلقين والصحبة، نسب
الخرقة .

* الخرقي:

قال السمعاني:

الخرقي: بفتح الخاء المعجمة والراء وفي آخرها القاف،
هذه النسبة إلى خرق، وهي قرية على ثلاثة فراسخ من مرو،
بها سوق قائمة وجامع كبير حسن، والمشهور بالنسبة إليها أبو
قابوس محمد بن موسى الخرقي، يروى عن المقرئ وغيره، لا
بأس به .

وعبد الرحمن بن بشير الخرقي يعرف بمردانه، يروى عن
حدير وغيره، وكان فاضلاً، روى عنه أحمد بن سيار الإمام،
أثنى عليه أبو زرعة السنجي، وقال: عبد الرحمن بن بشير
الرجل الصالح يعرف بمردانه، من قرية خرق، سمع جريراً
وابن عينة .

وأبو مذعور محمد بن عبيد الله الخرقي المروزي، حدث
عن إسحاق بن منصور وعلي بن حجر وعلي بن خشرم
 وغيرهم .

وإسحاق بن الليث الجدي الخرقي سكن قرية خرق،
حدث عنه ابنه .

والحسن بن رشيد الخرقي، من القدماء، يروى عن

الشافعية والمحدثين في عصره: لباس الخرقة من القرب، وقد
استخرج لها بعض المشايخ أصلاً من سنة النبي ﷺ، وهو
حديث أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص أن رسول الله
ﷺ أتى بكسوة فيها خميصة فقال: من ترون أحق بهذه؟
فسكت القوم. فقال: اتنوني بأمر خالد فأنتي بها فألبسها إياها
ثم قال: أبلى وأخلقى مرتين. رواه البخاري .

قال ابن الصلاح ولي في لباس الخرقة إسناد عال جداً، وقد
أخذها الحسن البصري من علي بن أبي طالب، وهو أخذها
من النبي ﷺ. قال ابن الصلاح: وليس بقادح فيما أوردناه
كون لباس الخرقة ليس متصلاً إلى منتهاه على شرط أصحاب
الأحاديث في الأسانيد، فإن المراد ما تحصل البركة والفائدة
باتصالها بجماعة من السادة الصالحين (صفحات من تاريخ
مصر / ٢٨-٣٢) .

(التصوف في مصر إبان العصر العثماني - د. توفيق الطويل . تاريخ
المصريين (٢١) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨ / ٧٠، وصفحات
من تاريخ مصر في عصر السيوطي - عبد الوهاب حمودة / ٢٨-٣٢. انظر
أيضاً «إتحاف الفرقة برفو الخرقة» للحفظ جلال الدين عبد الرحمن
السيوطي المطبوع في الحاوي للفتاوى ٢/ ١٠٢-١٠٤) .

* الخرقة ونسبها:

من مصنفات التراث الإسلامي في التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)
الرقم: ٧١٥٩ .

- رسالة في لباس الخرقة الصوفية ومن لقي المؤلف من
المشايخ والأولياء وبعض تراجمهم .

المؤلف: أبو بكر محمد بن أبي العباس أحمد التوزري
القسطلاني المتوفى سنة ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م .

أولها: الحمد لله الذي نشر ألوية العارفين لطى نزعات
الخطرات النفسانية، وستر ظاهرها الموقنين بما كشف
لظواهرها من طرقات اللحظات ... أما بعد فقد سأل بعض
السادة الأعيان من خلص الإخوان ... أن أعين من ألبسنى
الخرقة ...

آخرها: ورأيت الشيخ أبا السعود الواسطي وانتفعت به

عنه نسخة جويرية بن أسماء ونسخة ورقاء، روى لنا عنه الأديب أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك الخلال، ولم يحدثنا عنه سواء، ومات سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة، وكان أميًا.

وأبو العباس أحمد بن بن محمد بن أحمد بن محمد الخرقى، من أهل أصبهان، حدث عن أبي علي الحسن بن عمر بن يونس الحافظ الأصبهاني، سمعت منه بأصبهان، وقرأت عليه الأربعين التي جمعها أبو عبد الرحمن السلمي بروايته عن ابن يونس عنه.

وأبو القاسم عبد العزيز بن جعفر بن محمد بن عبد الحميد الخرقى، المعروف بابن حمدي، من أهل بغداد سمع القاسم بن زكريا المطرز ومحمد بن طاهر بن أبي الدميك وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي وعلي بن إسحاق ابن زاطيا والهيثم بن خلف الدوري وعمر بن الحسن الحلبي وبشر بن أنس الموصلي وشعيب بن محمد الدارع وأحمد بن خالد البرقي وعبد الله بن يزيد الدقيقي ومحمد بن الحسن الخواتيمي ومحمد بن هارون الحضرمي، روى عنه أبو الحسن الدارقطني وأبو بكر أحمد بن محمد البرقاني ومحمد بن الفرج البزاز وعلي بن أحمد بن عبد السلام المقرئ وأبو الحسن العتيقي وأبو القاسم التنوخي وأبو محمد الجوهرى فى آخرين، وكان ثقة أميناً وتوفى فى جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة.

وأبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقى، من أهل بغداد، صاحب الكتاب المختصر فى الفقه على مذهب أحمد بن حنبل، وكان فقيهاً صالحاً شديداً الورع، قال القاضى أبو يعلى بن الفراء: كانت له مصنفات كثيرة وتخريجات على المذهب لم تظهر لأنه خرج عن مدينة السلام لما ظهر سب الصحابة وأودع كتبه، قال فحكى لى عن أبى الحسن التميمى أنه قال: كانت كتبه مودعة فى درب سليمان، واحترقت الدار التى كانت فيها، واحترقت الكتب أيضاً، ولم تكن قد انتشرت لبعده عن البلد، ومات الخرقى بدمشق سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (الأنساب ٢ / ٣٤٩، ٣٥٠).

وكتابه «المختصر» فى الفقه يعرف بمختصر الخرقى، وهو

عبد الله بن جريج، روى عنه جماعة ذكره أبو زرعة السنجى.

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن قطن الخرقى، كان عالماً بالعربية ومسائل مالك، من قرية خرق - هكذا ذكره أبو زرعة السنجى.

وجماعة كثيرة من أهل هذه القرية سمعت منهم وهم أبو بكر محمد بن أحمد بن أبى بشر الخرقى، فقيه فاضل متكلم يعرف الأصول، أقام بنيسابور مدة، سمع أبا بكر أحمد بن على بن خلف الشيرازى وأبا الحسن على بن أحمد بن محمد المدينى، سمعت منه بقرية خرق، وتوفى سنة نيف وثلاثين وخمسمائة.

وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن ثابت الخرقى قاضى خرق، من أولاد العلماء، سمع أباه وجدى الإمام أبا المظفر السمعانى، كتبت عنه بقريته، وتوفى فى حدود سنة أربعين وخمسمائة.

(الأنساب للسمعانى - تحقيق وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٤٩، انظر أيضاً الباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ٥١٧ / ١).

* الخرقى:

قال السمعانى:

الخرقى: بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء وفى آخرها القاف، هذه النسبة إلى «بيع الثياب والخرق» منهم جماعة ببغداد وأصبهان، وأبو علي الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقى الحنبلى، والد عمر بن الحسين صاحب المختصر الفقيه على مذهب أحمد بن حنبل، حدث عن أبى عمر الدوري المقرئ وعمرو بن على البصرى والمنذر بن الوليد الجارودى ومحمد بن مرداس الأنصارى وغيرهم، روى عنه أبو بكر الشافعى وأبو على بن الصواف وعبد العزيز بن جعفر الحنبلى.

وأبو طاهر عمر بن عمر بن محمد بن على بن عمر بن يوسف بن محمد بن عمرو بن زاده الدلال الخرقى، من أهل أصبهان، سمع أبا بكر محمد بن إبراهيم بن المقرئ، وروى

أهم متن فى الفقه الحنبلى، شرحه كثيرون وأشهرها شرح ابن قدامة فى «المغنى» وتخرج على الخرقى جماعة من شيوخ المذهب (مرجع العلوم الإسلامية / ٤٤٢) وشرحه أيضا الشيخ الإمام أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد الفراء الحنبلى.

قال صاحب كشف الظنون: والناس يتبركون بقراءته فى أيام الوباء (كشف الظنون ٢ / ١٤١٥، ١٤١٦)

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي / ٣٤٩، ٣٥٠، ومرجع العلوم الإسلامية - د. محمد الزحيلي / ٤٤٢ وكشف الظنون لحاجى خليفة ٢ / ١٤١٥، ١٤١٦. انظر أيضا الباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥٠٧).

«الخرقوشى:

قال السمعانى:

الخرقوشى: بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وضم الكاف وفى آخرها الشين، هذه النسبة إلى خرکوش وهى سكة نيسابور كبيرة، كان بها جماعة من المشاهير مثل أبى سعد عبد الملك بن أبى عثمان محمد بن إبراهيم الخرکوشى الزاهد السواعظ أحد المشهورين بأعمال البر والخير، وكان عالما زاهدا فاضلا، رحل إلى العراق والحجاز وديار مصر، وأدرك العلماء والشيوخ، وصنف التصانيف المفيدة، سمع القاضى أبى محمد يحيى بن منصور بن عبد الملك وأبا عمرو إسماعيل ابن نجيد السلمى وأبا على حامد بن محمد بن عبد الله الرفاء وأبا سهل بشر بن أحمد الإسفرايينى وعلى بن بندار الصوفى وأبا أحمد محمد بن محمد بن الحسين الشيبانى وأقرانهم، روى عنه أبو محمد الحسن بن محمد الخلال والحاكم أبو عبد الله الحافظ وأبو القاسم الأزهرى وعبد العزيز بن على الأزجى وأبو القاسم التنوخى وجماعة سواهم آخرهم أبو بكر أحمد بن على بن خلف الشيرازى، تفقه فى حدائث السن وتزهد وجالس الزهاد المجردين إلى أن جعله الله خلفا لجماعة من تقدمه من العباد المجتهدين والزهاد القانعين، وتفقه للشافعى على أبى الحسن الماسرجسى، وسمع بالعراق بعد السبعين والثلاثمائة، ثم خرج إلى الحجاز وجاور حرم الله

وأمنه مكة صحب بها العباد الصالحين، وسمع الحديث من أهلها والواردين، وانصرف إلى نيسابور ولزم منزله وبذل النفس والمال للمستورين من الغرباء والفقراء المنقطعين بهم وبنى دارا للمرضى بعد أن خربت الدور القديمة لهم بنيسابور، وقام جماعة من أصحابه المستورين بتمريضهم وحمل مياههم إلى الأطباء وشراء الأدوية، وصنف فى علوم الشريعة ودلائل النبوة وفى سير العباد والزهاد، كتب نسخها جماعة من أهل الحديث وسمعوها منه، وصارت تلك المصنفات فى بلاد المسلمين تاريخا لنيسابور وعلمائها الماضين منهم والباقيين. وكانت وفاته فى سنة ست وأربعمائة بنيسابور، وزرت قبره غير مرة.

وأبو الفتح عبد الله على بن سهل بن العباس الخرکوشى من أهل هذه السكة شيخ صائن عفيف، مليح الشببة، ثقة صدوق، سمع أبا القاسم إسماعيل بن زاهر النوقانى وأبا عمرو عثمان بن محمد بن عبد الله المحمى وأبا بكر أحمد بن على ابن خلف الشيرازى وأبا الفضل محمد بن عبيد الله الصرام وغيرهم، كتبت عنه بنيسابور فى النوبة الأولى، ورحلت بابنى إلى نيسابور فى الكرة الثالثة وأكثر عنه، وقرأت عليه أكثر التاريخ ليعقوب بن سفيان الفسوى، وكانت ولادته فى شعبان سنة ست وستين وأربعمائة ووفاته فى شوال سنة أربع وأربعين وخمسمائة بنيسابور.

(الأنساب للسمعاني ٢ / ٣٥٠، ٣٥١. انظر أيضا الباب لابن الأثير، ١ / ٥٠٧، ٥٠٨).

«الخرم:

فى علم العروض والقافية: هو حذف الميم من مفاعيلن ليبقى فاعلين فينقل إلى مفعولن، ويسمى أنخرم (التعريفات / ١٣٢).

وأصل الخرم فى اللغة ذهاب بعض الشيء، ومنه الخرم فى الأنف «والأنخرم من الشعر» عند الخليل «ما كان فى صدره وتد مجموع الحركتين فخرم أحدهما وطرح، كقوله:

إِنَّ أَمْرًا قَدْ عَاشَ تَسْعِينَ حَجَّةً

إلى مثلها يَرْجُو الْخُلُودَ لِحَسَاہِ

قال الخليل: تمامه: وَإِنَّ أَمْرًا

فَالْخَرَمُ هُوَ حَذْفُ أَوَّلِ مُتَحَرِّكٍ مِنَ الْوَتْدِ الْمَجْمُوعِ فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ، يَكُونُ فِي فِعُولِنِ وَمُفَاعِلِنِ وَمُفَاعِلَتِنِ. وَإِذَا كَانَ الْجُزْءُ أَوَّلَهُ سَبَبٌ وَزَوْحَفٌ فَصَارَ أَوَّلُهُ وَتَدًا، فَإِنْ بَعْضُهُمْ يَجِيزُ فِيهِ الْخَرَمَ تَشْبِيهًا بِمَا أَوَّلُهُ وَتَدٌ أَوَّلٌ. وَبَعْضُهُمْ لَا يَجِيزُ الْخَرَمَ فِيهِ لِأَنَّ الْأَصْلَ أَنَّ أَوَّلَهُ كَانَ سَبَبًا. وَمَنْ يَجِيزُ الْخَرَمَ فِي فِعُولِنِ فِي الْجُزْءِ الَّذِي يَقَعُ فِي أَوَّلِ النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ يَشْبِهُهُ بِالْجُزْءِ الَّذِي يَقَعُ فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ، كَقَوْلِهِ:

وَعَيْنٌ لَهَا حَاذِرَةٌ بِدُرَّةٍ

شُقَّتْ مَسَاقِيهَهَا مِنْ أَخَرٍ

وَمِنْ أَمْثَلَةِ حَدُوثِهِ فِي أَوَّلِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنَ النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ قَوْلُ الْأَعَشَى:

مَوْتُوا كَرَامًا بِأَسْيَافِكُمْ

فَالْمَوْتُ يَجْشُمُهُ مِنْ جِشْمٍ

وَقَدْ يَقَعُ الْخَرَمُ فِي الطَّوِيلِ وَالْمُتَقَارِبِ وَالْهَزَجِ وَالْوَافِرِ وَالْمُضَارِعِ وَالْكَامِلِ، وَمِنْ أَمْثَلَتِهِ فِي الْكَامِلِ:

غَيْرَ أَنْ كَثُرَ الْأَسْوَدُ وَأَهْلَكَتْ

صَرَفَ الْمَنُونِ أَكْبَابَ الْأَقْوَامِ

فَاعْلَنَ.

أَصْلُهَا مُتَفَاعِلَنَ فَحُذِفَ حَرْفَانِ. وَهَذَا جَاءَ الْخَرَمَ بَعْدَ الْوَقْصِ وَالْأَخْرَمَ لِقَبِّ لِكُلِّ مَا أَصَابَهُ الْخَرَمُ. وَإِنْ اخْتَصَّ أَحْيَانًا بِأَوَّلِ الْهَزَجِ، وَيُقَابِلُهُ فِي الْوَافِرِ الْأَقْصَمُ، وَإِنْ اجْتَمَعَ مَعَ الْخَرَمِ زَحَافٌ تَغْيِيرُ الْمَصْطَلَحِ كَالْأَثْلَمِ، وَالْأَخْرَبِ، وَالْأَثْرَمِ، وَالْأَعْقَصُ... إلخ. (معجم مصطلحات العروض والقافية / ١٠١، ١٠٢).

قال صاحب العمدة:

وقد يأتون بالخرم كثيرا - وهو ذهاب أول حركة من وتد الجزء الأول من البيت - وأكثر ما يقع في البيت الأول، وقد يقع قليلا في أول عجز البيت، ولا يكون أبدا إلا في وتد، وقد أنكره الخليل لقلته فلم يجزه، وأجازته الناس، أنشده الجوهري:

قَدِمْتُ رَجُلًا فَإِنْ لَمْ تَزْع

قَدِمْتُ الْآخَرَى فَنَلْتُ الْقَرَارَ

وَأَنشَدَ أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّكْرِيُّ لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ:

لَقَدْ أَنْكَرْتَنِي بِعَلْبِكَ وَأَهْلِهِ

وَابْنُ جَرِيحٍ كَانَ فِي حِمَصٍ أَنْكَرَا

هكذا روايته، ورواه غيره * ولأبن جريح * بغير خرم. فإذا

اجتمع الخرم والقبض على الجزء فذلك هو الثرم، وهو قبيح.

وهذان عيان تذكلك التسمية فيهما على قبجهم؛ لأن الخرم

في الأنف، والثرم في الفم، إنما كانت العرب تأتي به لأن

أحدهم يتكلم بالكلام على أنه غير شعر، ثم يرى فيه رأيا

فيصرفه إلى جهة الشعر؛ فمن ههنا احتمل لهم وقبح على

غيرهم. ألا ترى أن بعض كتاب عبد الله بن طاهر عاب ذلك

على أبي تمام في قوله:

* هُنَّ عَوَادِي يَوْسُفَ وَصَوَاحِبِهِ *

على أنه أولى الناس بمذاهب العرب (العمدة / ١ / ١٤٠،

١٤١).

(التعريفات للشريف الجرجاني - تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن

عميرة / ١٣٢، ومعجم مصطلحات العروض والقافية - د. محمد علي

الشوايكة، و د. أنور أبو سويلم / ١٠١، ١٠٢، والعمدة في محاسن

الشعر ونقده لابن رشيق - حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين

عبد الحميد / ١ / ١٤٠، ١٤١).

* الْخَرَمُ:

وهو عند المغاربة السوسن الأزرق. قال ابن وحشية: هو

نبات ينبت في البساتين، ذو أوراق قليلة العرض يحمل زهرا

متفرق الورق، لونه بنفسجي، بل هو أحسن من البنفسج،

وهو كثير بأرض الفرس، وهم يعظمونه ويتبركون به لأن شمه

والنظر إليه يحدث سرورا في النفس ويفرحها ويزيل غمها

المعترض لها بلا سبب، وإذا أمسك إنسان ورقة في كفه،

حبب إلى كل من ينظر إليه، ولم يذكر أحد كيفية إفلاحه لكونه

مما ينبت لنفسه زمن الربيع والله أعلم.

الوصف والتشبيه:

قال بعض الأندلسيين (الخفيف)

بَزْ ثُوبِ الْبَهَاءِ وَالْأَلَاءِ

زَهْرُ الْفُرُوسِ خَرَمُ الصَّحَرَاءِ

والخروب والخرنوب شجر ينبت في جبال الشام له حب كحب الينبوت يسميه صبيان أهل العراق القثاء الشامى وهو يابس أسود (معجم النباتات / ٥١).

قال عنه داود الأنطاكي:

خرنوب: وقد تحذف النون، نوعان شامى يسمى القريط وهو شجر أعظم من شجر الجوز جبلى لا يوجد إلا في البلاد الزائد عرضها على الميل وينمو في الجبال الشامخة ورقه مستدير إلى الغليظ وزهره إلى الذهبية وحمله قرون نحو شبر وأقل، وقد حشى حبا مفرطحا يوزن به الذهب، وأجوده الغليظ الشحم الصادق الحلاوة الرقيق القشر الذى لم يجاوز سنة وغيره ردىء ويقطف ببابه (أكتوبر) وهو بارد في الأولى يابس في الثانية فإذا اشتدت حلاوته ونضج صار حارا في الأولى يخصب البدن ويولد خلطا جيدا إذا نهضم وينفع من الفتق إذا أكل بيزره ويدبر البول بالدبس وتذلك به الثآليل فيقطعها وقبل بلوغه يرؤب اللبن إذا طرح فيه فيصير للذيذا يقارب القريشة ويفتح الشهوة ويسمن بالتجربة ويزيل السعال المزمن ويعصر منه دبس يسمى الرب تستعمله أهل مصر في إسهال الخلط المحترق وغلبة الحر لبرد فيه بالنسبة إلى باقى الحلاوات، وكثيرا ما يشربونه باللبن فيصلح لكنه يولد الرياح الغليظة المزمنة وهو جيد لأوجاع الصدر مقو للمعدة ويزر الخرنوب إذا دق وطبخ وضمم به حلل الأورام ومنع بروز المقعدة وقطع النزف ونوع نبطى ويقال برى ويسمى البطريون وهو شوك بين أوراق دقيقة ينبت بالقطن والبطيخ كثيرا يطول نحو ذراع بفروع زاهية وحمله كالكلية الصغيرة ولا يختص بزمان لكن في الأغلب يدرك بآب (أغسطس)...

وهذا بارد يابس في الثانية عفص قابض يرض وينقع وتبل فيه الثياب المصبوغة فيقطعها عن نفص الصبغ مجرب ويسهل بالعصر كالسفرجل ويقطع الدم حيث كان ويحبس الإسهال المزمن ويثبت الأسنان وقشره يقلعها بلا حديد ويسقط الثآليل وإذا عجن مع الحناء وخضب به الشعر طوله وشده وحسنه وإن لوزم منع الشيب وإن خضب به البدن منع الإعياء وقوى الأعضاء وماؤه مع ماء الآس ينقى الأجساد ويثبت

عاف لون البياض ثوب أخيه
وتبلى في حللة زرقاء
لو حواها الطاووس أصبح
لاشك منها يملك طير الهواء
عزة في طباعه وعلو
قد أنسافا به على العلياء
يريد بأخيه السوسن الأبيض.

(مفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى - تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، ود. إحسان صدقى العمد / ٢٧٣).

* الخرنوب (أو الخروب):

الخرنوب هو الخروب، وقد ورد بالاسمين في معجم النباتات كما يلى:

خروب: كتور نبت معروف والخرنوب بالضم على الأفصح وقد تفتح هذه الأخيرة وأحدثه خرنوبة وخرنوبة، أبدلوا النون من إحدى الراعين كراهية التضعيف وقال أبو حنيفة [الدينورى] هو شجر برى وشامى بربه يسمى الينبوتة شوك أى ذو شوك وهو الذى يستوقد به يرتفع قدر الذراع ذو أفنان وحمل أجم خفيف كالفتح هكذا فى النسخ والصحيح النفاخ بضم النون وتشديد الفاء وآخره خاء معجمة لكنه بشع لا يؤكل إلا فى الجهد وفيه حب صلب زلال وشاميه وهو النوع الثانى حلو يؤكل وله حب كحب الينبوت إلا أنه أكبر ذو حمل كالخيار شبر إلا أنه عريض وله رب وسويق. وفى التهذيب الخرنوبة والخروبة شجر الينبوت وقيل الينبوت الخشخاش قال وبلغنا فى حديث سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام أنه كان ينبت فى مصلاه كل يوم شجرة فيسألها ما أنت فتقول شجرة كذا أنبت فى أرض كذا أنا دواء من داء كذا فيؤمر بها فتقطع ثم تصبر ويكتب على الصرة اسمها ودواؤها حتى إذا كان فى آخر ذلك نبت الينبوتة فقال لها ما أنت فقالت أنا الخروبة وسكتت فقال سليمان الآن أعلم أن الله قد أذن فى خراب هذا المسجد وذهاب هذا الملك فلم يلبث أن مات كذا فى لسان العرب.

بالعربية، وخرنوب مصري، وخرنوب قبطي، هو خرنوب شجر السنط، ومن هذا الخرنوب يعتصر الأفاقيا بالديار المصرية في حين غضاضته، ويقال لعصيره: رب القرظ.

«ج» الخرنوب الشامي: المجفف منه أصلح من الرطب، وهو قابض بارد يابس، يسه في الدرجة الثانية، وقيل إنه حار في الدرجة الأولى، وهو يعقل البطن مع جلاوته ولا يلذع، والرطب يطلق، واليابس ينفع من الخلفة، والفج إذا دلكت به الشاليل أذهبها. والخرنوب النبطي يقال له خروب، بغير نون، وهو خروب الشوك ويسمى قضم قریش وهو بارد قوى القبض، يابس في الدرجة الثالثة، يذهب الشاليل إذا دلكت به دلكا شديدا، والمضمضة بطيخه تقوى الأسنان والجلوس في طبيخه يقوى السفلى، وهو نافع من سيلان الدم المفرط أكلا واحتمالا، وينفع من المغص والإسهال، وخلطه رديء القتل، خاصة إذا أكل رطبا.

«ف» هو ثلاثة أصناف: نبطي، وشامي، وبري. أجودها الشامي المجفف، بارد يابس في الثانية، يعقل الطبع. والنبطي ينفع من بروز الرحم والبواسير. والشربة: خمسة دراهم (المعتمد ١ / ١١٩، ١٢٠).

وقد أورده تحت اسم «خروب» الطبيب المغربي عبد القادر بن شقرون في أرجوزته المعروفة بالشقرونية في بيتين نسوقهما هنا مع الاحتفاظ بالأرقام التي وردت في النص. قال الناظم:

٣٣٥ — والحسرتم اليبس في الخروب

وهو عسير الهضم ذو خطوب

٣٦٣ — يصير خلطا جيدا إذا نهضم

ويعقل البطن إذا حل السقم

(الطب العربي / ١٢٥)

(معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي - جمع وتحقيق محمود مصطفى الديماطي / ٥١، وتذكرة أولى الألباب للداود بن عمر الأنطاكي / ١ / ١٣٧، والمعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي - صححه وفهرسه مصطفى السقا / ١ / ١١٩، ١٢٠).

الصاعد وهو يؤكل في المجاعة خبزا كذا في الفلاحة والخرنوب بأسره رديء للمعدة بطيئ الغذاء يولد السوداء ويصلحه الحلو (التذكرة / ١٣٧).

وأورده المظفر الرسولي نقلا عن مصادر ثلاثة رمز لها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسي.

خرنوب - «ع» هو الخرنوب الشامي، وقوته قوة مجففة، في ثمرته شيء من الحلاوة، وهي ما دامت غضة بإطلاق البطن أحسرى، وإذا جففت حبست البطن من طريق أن رطوبتها تنحل، وهو يولد دما رديئا وفيه خشبية، وهو عسر الانهضام، ولا ينحدر ولا يخرج عن البطن سريعا وإن ذلك الشاليل بالخرنوب الفج دلكا شديدا أذهبها البتة، والخرنوب الشامي ثلاثة أنواع، وهو حار في الدرجة الأولى، يابس في آخر الثانية، وهو حار حابس للبطن، قاطع لدم الطمث إذا جرى في غير وقته، وهو رديء للصدر والرئة، مقو للمعدة، وأفضل أنواعه الصندلاني، فهو ألين من النوعين الآخرين، وأقوى حلاوة من جميعها، وأكثرها خشبية، وهو المأكول، والنوع الآخر يقاربه في حلاوته، غير أنه أحسن جسما وأقوى، وهو شديد القبض، ظاهر اليبس، ومنه يتخذ في الشام رب الخرنوب. ومن أعجب ما فيه من قوة القبض: أنه إذا أكل على الريق حبس البطن، بالذي فيه من قوة القبض، وإذا طحن ونقع في الماء واعتصر، واتخذ من مائه الرب المسمى برب الخرنوب، كان مطلقا للبطن، مائلا إلى البرودة والرطوبة، محركا للمرار الأصفر، بسرعة استحالتة إلى جوهرها إذا أفاها في المعدة. وأما الخرنوب البري فإنه نحيف القرون دقيقها ضئيل لا حلاوة له ولا طعم، وليس ينتفع بثمرته بشيء، وإنما ترتعيه المعز. والخرنوب الهندي هو الخيار شبر، والخرنوب النبطي هو خرنوب الشوك، وخرنوب المعزى، وهو الينبوت

والطب العربى فى القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية - تحقيق
د. بدر التازى، تعريب وتقديم د. عبد الهادى التازى / ١٢٥. انظر أيضا
القانون فى الطب لابن سينا - شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د.
خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطى / ٣١٩).

* الخروب:

انظر: الخرنوب

* الخروب الهندى:

انظر الخيار شنب

* الخروبى (٥٢٢هـ):

أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد بن عبد الله الأنصارى
الأندلسى السوادى آشى، أبو العباس - وقيل أبو عبد الله -
الخروبى، من أهل وادى آش، قال ابن الزبير: كان فقيها
جليلا، نحويا لغويا أديبا. روى عن أبى الوليد بن رشد، وأبى
القاسم بن الحصار المقرئ، وأبى عبد الله بن أبى العافية،
وأبى عبد الله المازرى (بغية الوعاة ١ / ٢٨٢، وطبقات المفسرين
للداودى ١ / ٨٥).

وعن أبى بحر سفيان بن العاصى، وأبى بكر بن غالب بن
عطية، وأبى الحسين شريح، وأبى على الصدفى،
وأبى الحسن بن الباذش، وابن خيرة، وعبد الحق بن غالب بن
عطية، وأجازة المازرى.

وروى عنه أبو الخطاب بن واجب، وعبد المنعم بن
الفرس، وأبو ذر الخشنى وأبو عبد الله الأندلسى وجماعة
أجلاء فضلاء.

وكان فقيها عارفا متقنا للقراءات وأصول الفقه وعلم
الكلام، حسن القيام على تفسير القرآن العظيم. محدثا راوية
مكثرا، حسن المشاركة فى كثير من فنون العلم، يغلب عليه
حفظ اللغة والآداب، مقدما فى كل ما يتحله، موفور الحظ
من علم العربية، يقرض يسيرا من الشعر، واستقصى ببلده
فشكر.

توفى سنة اثنين وعشرين وخمسماية (طبقات المفسرين
للداودى ١ / ٨٥، ٨٦).

(بغية الوعاة للمحافظ جلال الدين السيوطى - تحقيق محمد أبى
الفضل إبراهيم ١ / ٣٨٢، وطبقات المفسرين للداودى - بتحقيق على
محمد عمر ١ / ٨٥، ٨٦. انظر أيضا طبقات المفسرين للسيوطى -
بتحقيق على محمد عمر / ٣٣).

* الخروبية (مدرسة):

عدد على مبارك نقلا عن المقرئى ثلاث مدارس بهذا
الاسم جاء بيانها كما يلى:

المدرسة الخروبية

قال المقرئى: هذه المدرسة بظاهر مدينة مصر تجاه
المقياس بخط كرسى الجسر. أنشأها كبير الخرازية بدر
الدين محمد بن محمد بن على الخروبى - بفتح الخاء
المعجمة وتشديد الراء المهملة وضمهما، ثم واو ساكنة بعدها
ياء موحدة ثم ياء آخر الحروف - التاجر فى مطابخ السكر وفى
غيرها بعد سنة خمسين وسبعماية، وأنشأ أيضا ربيع بن خط
دار النحاس من مصر على شاطئ النيل، وربيع بن مقابل
المقياس بالقرب من مدرسته، ومات بدر الدين هذا سنة
اثنين وستين وسبعماية انتهى.

وهذه المدرسة: هى المعروفة الآن بجامع القبوة بمصر
القديمة.

المدرسة الخروبية

قال المقرئى: هذه المدرسة بخط الشون قبلى دار
النحاس من ظاهر مدينة مصر. أنشأها عز الدين محمد بن
صلاح الدين أحمد بن محمد بن على الخروبى، وهى أكبر
من مدرسة عمه بدر الدين إلا أنه مات سنة ست وسبعين
وسبعماية قبل استيفاء ما أراد أن يجعل فيها فليس لها مدرس
ولا طلبة، ومولده سنة ست عشرة وسبعماية، ونشأ فى دنيا
عريضة رحمه الله تعالى انتهى.

أقول: والسدى يغلب على الظن أن الباقى من هذه
المدرسة هو الضريح المعروف اليوم بضريح سيدى شاهين
المغربى، الكائن على يسرة السالك فى طريق مصر القديمة
بقرب بيت الست البارودية من الجهة القبلىة، وهذا الضريح
داخل مزار صغير وعليه قبة مرتفعة، ومغروس أمامه من الجهة

الغربية بعض أشجار، وهناك بئر ماء معينة بناؤها قديم.

المدرسة الخروبية

قال المقرئ: هذه المدرسة على شاطئ النيل من مدينة مصر. أنشأها تاج الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن علي الخروبي لما أنشأ بيتا كبيرا مقابل أخيه عز الدين قبلية على شاطئ النيل، وجعل فيه هذه المدرسة، وهي ألطف من مدرسة أخيه، ويجوارها مكتب وسبيل، ووقف عليها أوقافا وجعل بها مدرسا حديث فقط، ومات بمكة في آخر المحرم سنة خمسة وثمانين وسبع مائة انتهى.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلی باشا مبارك ٦ / ١٥، ١٦).

* الخروج:

في علم العروض والقافية:

الخروج بثلاثة أحرف وهي الألف والواو والياء يتبعن هاء الضمير إذا كانت وصلا. وإنما سمي خروجا لبروزه وتجاوزه للوصل التابع للروي. ومن أمثلة الخروج: الألف كقوله:

رَحَلَتْ سُمَيَّةٌ غَدْوَةً أَجْمَالِهَا

فاللام روى والهاء وصل والألف خروج.

والياء كقوله:

تَجَرَّدَ الْمَجْنُونُ مِنْ كَسَائِهِ (كسائه)

فالهمزة روى، والهاء وصل، والياء خروج.

والواو في قوله:

وَبَلَدٌ عَامِيَّةٌ أَعْمَاؤُهُ (أعماءه)

فالهمزة روى، والهاء وصل، والواو خروج.

(معجم مصطلحات العروض والقافية - د. محمد علي الشوابكة،

ود. أنور أبو سويلم / ١٠٢، ١٠٣).

* الخروج عن الأموال والتجرد منها:

بسط القول فيه الإمام ابن الجوزي، وهو يشير إلى نفسه بعبارة «قال المصنف» ونقله لك فيما يلي، وقد ورد تحت عنوان «ذكر تلبس إبليس على الصوفية في الخروج عن الأموال والتجرد منها»:

كان إبليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم في الزهد

فيريههم عيب المال ويخوفهم من شره فيتجردون من الأموال ويجلسون على بساط الفقر وكانت مقاصدهم صالحة وأفعالهم في ذلك خطأ لقلة العلم، فأما الآن فقد كفى إبليس هذه المؤونة فإن أحدهم إذا كان له مال أنفقه تبذيرا وضياعا والحديث بإسناد عن محمد بن الحسن السليمي قال: سمعت أبا نصر الطوسي قال: سمعت جماعة من مشايخ الري يقولون: ورث أبو عبد الله المقرئ من أبيه من خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن ذلك كله وأنفقه على الفقراء.

وقد روى مثل هذا عن جماعة كثيرة وهذا الفعل لا ألوم صاحبه إذا كان يرجع إلى كفاية قد ادخرها لنفسه أو إن كانت له صناعة يستغنى بها عن الناس أو كان المال عن شبهة فتصدق به. فأما إذا خرج المال الحلال كله ثم احتاج إلى ما في أيدي الناس وأفقر عياله فهو إما أن يتعرض لمن الإخوان أو لصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم والشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهى عنه، ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة عليهم وإنما العجب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حثوا على هذا وأمروا به مع مصادمته للعقل والشرع. وقد ذكر الحارث المحاسبي في هذا كلاما طويلا وشيده أبو حامد الغزالي ونصره، والحارث عندي أعذر من أبي حامد لأن أبا حامد كان أفقه غير أن دخوله في التصرف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه. فمن كلام الحارث المحاسبي في هذا أنه قال: أيها المفتون متى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه، فقد أزريت بمحمد ﷺ والمرسلين وزعمت أن محمدا ﷺ لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم وزعمت أن الله لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم وما ينفعك الاحتجاج بمال الصحابة. ود ابن عوف في القيامة أن لم يؤت من الدنيا إلا قوتا. قال: ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن بن عوف قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك قال كعب: سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وأنفق طيبا، فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحي بعير

فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب : إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر فأقبل أبو ذر يقتصر الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان ، فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبي ذر . فقال له أبو ذر : هيه ابن اليهودية تزعم أنه لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله ﷺ يوما فقال الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا ، ثم قال : يا أبا ذر وأنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل فرسول الله ﷺ يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال بقولك ، فلم يرد عليه حرفا حتى خرج .

قال الحارث المحاسبى : فهذا عبد الرحمن مع فضله يوقف في عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف فيمنع من السعى إلى الجنة مع فقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبوا . وقد كان الصحابة رضى الله عنهم إذا لم يكن عندهم شيء فرحوا وأنت تدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله وقلة البقين بضمانه وكفى به إثما . وعساك تجمع المال لتعيم الدنيا وزهرتها ولذاتها وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال من أسف على دنيا فاتته قرب من النار مسيرة سنة . وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله عز وجل . ويحك هل تجد في دهرك من الحلال كما وجدت الصحابة وأين الحلال فتجمعه ، ويحك إنى لك ناصح أرى لك أنك تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لأعمال البر فقد سئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر فقال تركه أبر منه . وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب دنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه والآخر جانبها ولم يطلبها ولم يبذلها فأيهما أفضل فقال : بعيد والله ما بينهما الذى جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها .

قال المصنف : فهذا كله كلام الحارث المحاسبى ذكره أبو حامد وشيذه وقواه يحدث ثعلبة فإنه أعطى المال فمنع الزكاة قال أبو حامد : فمن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى

الخيرات . إذ أقل ما فيه اشتغالهم بإصلاحه عن ذكر الله عز وجل فينبغى للمريد أن يخرج من ماله حتى لا يبقى له إلا قدر ضرورته فما بقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو محجوب عن الله عز وجل ، قال المصنف : وهذا كله بخلاف الشرع والعقل وسوء فهم للمراد بالمال .

فصل في رد هذا الكلام : أما شرف المال فإن الله عز وجل عظم قدره وأمر بحفظه إذ جعله قواما للأدنى الشريف فهو شريف ، فقال تعالى ﴿ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما﴾ [النساء : ٥] ونهى عز وجل أن يسلم المال إلى غير رشيد فقال ﴿فإن أنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾ [النساء : ٦] وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن إضاعة المال وقال لسعد : «لأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس» وقال : «مانعنى مال كمال أبى بكر . والحديث بإسناد مرفوع عن عمرو بن العاص ، قال : «وبعث إلى رسول الله ﷺ فقال : خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم اثنى ، فأتيته فقال : إنى أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك ، وأرغب لك من المال رغبة صالحة ، فقلت يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكنى أسلمت رغبة في الإسلام ، فقال ياعمرو نعم المال الصالح للرجل الصالح» . والحديث بإسناد عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ دعا له بكل خير ، وكان آخر دعائه أن قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له ، وإسناد عن الرحمن بن كعب بن مالك أن عبيد الله بن كعب بن مالك قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديث توبته ، قال : فقلت يا رسول الله أن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ فقال : أمسك بعض مالك فهو خير لك .

قال المصنف : فهذه الأحاديث مخرجة في الصحاح وهى على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن إكثار المال حجاب وعقوبة وأن حبسه ينافى التسوكل ، ولا ينكر أنه يخاف من فتنته وأن خلقا كثيرا اجتنبوه لخوف ذلك وأن جمعه من وجهه يعز سلامة القلب من الافتتان به ويبعد إشغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة ولهذا خيف فتنته . فأما كسب المال فإن من اقتصر على كسب البلغة من حلها فذلك آمن لا بد منه . وأما

من قصد جمعه ، والاستكثار منه الحلال نظرنا في مقصوده ، فإن قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود ، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث زمانه وزمانهم وقصد التوسعة على الإخوان وإغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات ، وقد كان نيات خلق كثير من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين في جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرضوا عليه وسألوا زيادته ، وبإسناد عن عمر أن رسول الله ﷺ أقطع الزبير حضر (الحضر بضم المعجمة عدو الفرس) فرسه بأرض يقال لها ثرثر ، فأجرى فرسه حتى قام ، ثم رمى سوطه فقال : أعطوه حيث بلغ السوط وكان سعد بن عباد يدعو فيقول : اللهم وسّع على .

وأبلغ من هذا أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما قال له بنوه : «ونزداد كيل بعير» مال إلى هذا وأرسل ابنه بنيامين معهم . وأن شعبيا طمع في زيادة ما يناله فقال «فإن أتممت عشرا فمن عندك» وأن أيوب عليه السلام لما عوفى نشر عليه رجل جرادا من ذهب (هو الكثير) فأخذ يحثو في ثوبه يستكثر منه فقليل له أما شبت فقال : يارب من يشبع من فضلك وهذا أمر مركوز في الطباع فإذا قصد به الخير كان خيرا محضا .

وأما كلام المحاسبي فخطأ يدل على الجهل بالعلم وقوله : إن الله عز وجل نهى عباده عن جمع المال وأن رسول الله ﷺ نهى أمته عن جمع المال . فهذا محال إنما النهى عن سوء القصد بالجمع أو عن جمعه من غير ما ذكره من حديث كعب وأبي ذر فمحال من وضع الجهال وخفاء صحته عنه الحق بالقوم . وقد روى بعض هذا وإن كان طريقه لا يثبت ، وبإسناد عن مالك بن عبد الله الزيادي عن أبي ذر أنه جاء يستأذن على عثمان فأذن له ويده عصاه ، فقال عثمان : يا كعب إن عبد الرحمن توفي وترك مالا فما ترى فيه؟ فقال : إن كان يصل فيه حق الله تعالى فلا بأس به ، فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما أحب لو أن لى هذا الجبل ذهباً أنفقته ويتقبل منى . أذر خلفي ست أواق ، أنشدك الله يا عثمان أسمعته هذا؟ ثلاث مرات قال نعم .

قال المصنف : وهذا الحديث لا يثبت وابن لهيعة مطعون فيه ، قال يحيى لا يحتج بحديثه ، والصحيح في التاريخ أن أبا ذر توفي سنة خمس وعشرين وعبد الرحمن توفي سنة اثنتين وثلاثين ، فقد عاش بعد أبي ذر سبع سنين ، ثم لفظ ما ذكره من حديثهم يدل على أن حديثهم موضوع ، ثم كيف تقول الصحابة رضى الله عنهم ، إنا نخاف على عبد الرحمن ، أو ليس الإجماع منعقدا على إباحة جمع المال من حله ، فما وجه الخوف مع الإباحة ، أو يأذن الشرع في شيء ثم يعاقب عليه ، هذا قلة فهم وفقه ثم تعلقه بعبد الرحمن وحده دليل على أنه لم يسر سير الصحابة ، فإنه قد خلف طلحة ثلاثمائة بهار في كل بهار ثلاثة قناطير ، والبهار الحمل ، وكان مال الزبير خمسين ألف ألف ومائتي ألف ، وخلف ابن مسعود رضى الله عنه تسعين ألفا ، وأكثر الصحابة كسبوا الأموال وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد .

وأما قوله : أن عبد الرحمن يحبوا يوم القيامة ، فهذا دليل على أنه لا يعرف الحديث ، أو كان هذا مناما وليس في اليقظة أعوذ بالله من أن يحب عبد الرحمن في القيامة ، أفترى من يسبق إذا حبا عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة ، ومن أهل بدر المغفور لهم ومن أصحاب الشورى ، ثم الحديث يرويه عمارة بن ذازان ، وقال البخاري : وربما اضطرب حديثه ، وقال أحمد : يروى عن أنس أحاديث مناكير ، وقال أبو حاتم الرازي : لا يحتج به ، وقال الدارقطني : ضعيف ؛ أخبرنا ابن الحصين مرفوعا إلى عمارة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال : بينما عائشة رضى الله عنها في بيتها سمعت صوتا في المدينة ، فقالت : ما هذا؟ فقالوا غير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شيء ، قال وكانت سبعمائة بعير فارتجت المدينة من الصوت ؛ فقالت عائشة رضى الله عنها : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال إن استطعت لأدخلنها قائما ، فجعلها بأقتابها وأحمالها في سبيل الله عز وجل .

وقوله : ترك المال الحلال أفضل من جمعه ، ليس كذلك بل متى صح القصد فجمعه أفضل بلا خلاف عند

العلماء . والحديث الذى ذكره عن رسول الله ﷺ من أسف على دنيا فاتته إلخ محال : ما قاله رسول الله ﷺ قط ، وقوله : هل تجد فى دهرك حلالة ، فيقال له : وما الذى أصاب الحلال والنبي ﷺ يقول : «الحلال بين والحرام بين» . أترى يريد بالحلال وجود حبة مذ خرجت من المعدن ما تقلبت فى شبهة ، هذا يبعد وما طولبنا به . بل لو باع المسلم يهوديا كان الثمن حلالة بلا شك . هذا مذهب الفقهاء وأعجب لسكوت أبى حامد بل لنصرته ما حكى وكيف يقول إن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات ، ولو ادعى الإجماع على خلاف هذا لصح ، ولكن تصوفه غير فتواه ، وعن المروزي قال سمعت رجلا يقول لأبى عبد الله إني فى كفاية فقال : الزم السوق تصل به الرحم وتعود المرضى .

وقوله ينبغى للمريد أن يخرج من ماله ، وقد بينا أنه إن كان حراما أو فيه شبهة أو أن يقنع هو باليسير أو بالكسب جاز له أن يخرج منه . وإلا فلا وجه لذلك ، . وأما ثعلبة فما ضره المال إنما ضره البخل بالواجب .

وأما الأنبياء فقد كان لإبراهيم عليه الصلاة والسلام زرع ومال ولشعيب ولغيره وكان سعيد بن المسيب رضى الله عنه يقول لا خير فيمن لا يطلب المال يقضى به دينه ويصون به عرضه ويصل به رحمه فإن مات تركه ميراثا لمن بعده وخلف ابن المسيب أربعمائة دينار وقد ذكرنا ما خلفت الصحابة ، وقد خلف سفيان الثوري رضى الله عنه مائتين وكان يقول : المال فى هذا الزمان سلاح وما زال السلف يمدحون المال ويجمعونه للنوائب وإعانة الفقراء . وإنما تجافاه قوم منهم إثارا للتشاغل بالعبادات وجمع الهمم فقتنعوا باليسير ولو قال هذا القائل إن التقلل منه أولى قرب الأمر .

فصل : وأعلم أن الفقر مرض فمن ابتلى به فصبر أثيب على صبره ، ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام لمكان صبرهم على البلاء ، والمال نعمة ولكنه زاحم به مرتبة الإثم .

والنعمة تحتاج إلى شكر ، والغنى وإن تعب وخاطر كالمفتى والمجاهد ، والفقر كالمعتزل فى زاوية . وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمى فى كتاب سنن الصوفية باب كراهية أن

يخلف الفقير شيئا ، فذكر حديث الذى مات من أهل الصفة وخلف دينارين فقال رسوله الله ﷺ : كيتان .

قال المصنف : وهذا احتجاج من لا يفهم الحال فإن ذلك الفقير كان يزاحم الفقراء فى أخذ الصدقة وحبس مامعه فلذلك قال . كيتان ، ولو كان المكروه نفس ترك المال لما قال رسول الله ﷺ لسعد : إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ، ولما كان أحد من الصحابة يخلف شيئا . وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : حث رسول الله ﷺ على الصدقة فجئت بنصف مالى ، فقال رسول الله ﷺ : وما ألقيت لأهلك ؟ فقلت مثله ، فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ قال ابن جرير الطبرى وفى هذا الحديث دليل على بطلان ما يقوله جهلة المتصوفة أن ليس للإنسان ادخار شيء فى يومه لغده ، وإن فعل ذلك قد أساء الظن بربه ولم يتوكل عليه حق توكله . قال ابن جرير ، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام «اتخذوا الغنم فإنها بركة» فيه دلالة على فساد قول من زعم من المتصوفة أنه لا يصح لعبد التوكل على ربه إلا بأشياء لا يصح لا شيء عنده من عين ولا عرض ويمسى كذلك ، ألا ترى كيف ادخر رسول الله ﷺ لأزواجه قوت سنة .

فصل : وقد خرج أقوام من أموالهم الطيبة ثم عادوا يتعرضون للأوساخ ويطلبون وهذا لأن حاجة الإنسان لا تنقطع ، والعاقل يعد للمستقبل وهؤلاء مثلهم فى إخراج المال عند بداية تزهدهم مثل من روى فى طريق مكة فبدد الماء الذى معه . والحديث بإسناد عن جابر بن عبد الله قال قدم أبو الحصين السلمى بذهب من معدنهم فقضى ديننا كان عليه وفضل معه مثل بيضة الحمامة ، فأتى بها رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ضع هذه حيث أراك الله أو حيث رأيت ، قال فجاءه عن يمينه فأعرض عنه ثم جاءه عن يساره فأعرض عنه ثم جاءه من بين يديه فنكس رسول الله ﷺ رأسه . فلما أكثر عليه أخذها من يديه فحذفه بها لو أصابته لعقرته ، ثم أقبل على رسول الله ﷺ . فقال «يعمد أحدكم إلى ماله فيتصدق به ثم يقعد فيتكفف الناس ، وإنما الصدقة عن ظهر غنى وأبدأ بمن تعول» وقد رواه أبو داود فى سننه من حديث محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله ، قال كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل

بمثل البيضة من ذهب فقال: يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها فأعرض عنه رسول الله ﷺ. ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله ﷺ فحذفه بها فلو أصابته لأقصعته أو لعقرته. فقال رسول الله ﷺ: «يأتى أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس. خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى». وفي رواية أخرى: «خذ عنا مالك لا حاجة لنا به» وروى أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخل رجل المسجد فأمر رسول الله ﷺ أن يطرحوا ثيابا فطرحوا. فأمر له منها بثوبين ثم حث على الصدقة. فجاء فطرح أحد الثوبين فصاح به: خذ ثوبك.

قال المصنف: ونقلت من خط أبي السوفاء بن عقيل، قال: قال ابن شاذان دخل جماعة من الصوفية على الشبلي، فأنفذ إلى بعض المياسير يسأله مالا يتفقه عليهم، فرد الرسول يا أبا بكر، أنت تعرف الحق فهلا طلبت منه، فقال للرسول: ارجع إليه وقل له الدنيا سفلة أطلبها من سفلة مثلك وأطلب الحق من الحق. فبعث إليه بمائة دينار. قال ابن عقيل: إن كان أنفذ إليه المائة دينار للافتهاء من هذا الكلام القبيح وأمثاله. فقد أكل الشبلي الخبيث من الرزق وأطعم أضيافه منه.

فصل: وقد كان لبعضهم بضاعة فأنفقها. وقال: ما أريد أن تكون ثقتي إلا بالله وهذا قلة فهم لأنهم يظنون أن التوكل قطع الأسباب وإخراج الأموال.

أخبرنا القزاز قال أخبرنا الخطيب قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال أنبأنا جعفر الخلدي في كتابه قال سمعت الجنيد يقول دقت على أبي يعقوب الزيات بابيه في جماعة من أصحابنا. فقال: ما كان لكم شغل في الله عز وجل يشغلكم عن المعجىء إليّ، فقلت له: إذا كان مجيئنا إليك من شغلنا به فلم تنقطع عنه فسأله عن مسألة في التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجابني. فأعطى التوكل حقه ثم قال: استحييت من الله أن أجيبك وعندي شيء.

قال المصنف: لو فهم هؤلاء معنى التوكل وأنه ثقة القلب

بالله عز وجل لا إخراج صور المال ما قال هؤلاء هذا الكلام. ولكن قل فهمهم وقد كان سادات الصحابة والتابعين يتجرون ويجمعون الأموال وما قال مثل هذا أحد منهم. وقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال حين أمر بترك الكسب لأجل شغله بالخلافة فمن أين أطعم عيالي؟ وهذا القول منكر عند الصوفية يخرجون قائله من التوكل، وكذلك ينكرون على من قال هذا الطعام يضرني. وقد روي في ذلك حكاية عن أبي طالب الرازي قال: حضرت مع أصحابنا في موضع فقدموا اللبن وقال لي كُسل فقلت لا آكله فإنه يضرني فلما كان بعد أربعين سنة صليت يوما خلف المقام ودعوت الله عز وجل وقلت: اللهم إنك تعلم أني ما أشركت بك طرفة عين، فسمعت هاتفا يهتف بي ويقول: ولا يوم اللبن؟

قال المصنف: وهذه الحكاية الله أعلم بصحتها. وأعلم أن من يقول هذا يضرني لا يريد أن ذلك يفعل الضرر بنفسه وإنما يريد أنه سبب الضرر كما قال الخليل صلوات الله وسلامه عليه: «رب إنهن أضللن كثيرا من الناس» [إبراهيم: ٣٦] وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال «مانفعي مال كمال أبي بكر» وقوله: ما نفعني مقابل لقول القائل: ما ضرني: وصح عنه أنه قال: ما زالت أكلة خبير تعادني فهذا أوان قطع أبهرى (الأبهر عرق في الظهر، فإذا انقطع لم تبق معه حياة: وتعادني بالبدال المشددة تأتي مرة بعد المرة).

قالت المؤلفة: هذا الحديث أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير بلفظ «ما زالت أكلة خبير تعادني كل عام حتى كان هذا أوان قطع أبهرى» من رواية ابن السني، وأبي نعيم في الطب، عن أبي هريرة وقال عنه: حديث حسن.

وقد ثبت أنه لا رتبة أولى من رتبة النبوة وقد نسب النفع إلى المال والضرر إلى المطعم فالتحاشى عن سلوك طريقه ﷺ تعاط على الشريعة فلا يلتفت إلى هذيان من هذى في مثل هذا.

فصل: قال المصنف: وقد بينا أنه كان أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهدا فيها. وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير إلا أنهم غلطوا في هذا الفعل كما ذكرناه من مخالفتهم بذلك الشرع والعقل. فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدنيا

وجمع المال من أى وجه كان إيثارا للراحة وحبا للشهوات . فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل ويجلس فى الرباط أو المسجد ويعتمد على صدقات الناس وقلبه معلل بطرق الباب . ومعلوم أن الصدقة لا تحل لغنى ولا لذى مرة (المرّة بكسر الميم : القوة) سوى ولا يبالون من بعث إليهم فربما بعث الظالم والماكس فلم يردوه . وقد وضعوا فى ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك بالفتوح ومنها أن رزقنا لا بد أن يصل إلينا ، ومنها أنه من الله فلا يرد عليه ولا نشكر سواه ، وهذا كله خلاف الشريعة وجهل بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه . فإن النبى ﷺ قال : الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وقد قاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه من أكل الشبهة . وكان الصالحون لا يقبلون عطاء ظالم ولا ممن فى ماله شبهة وكثير من السلف لم يقبل صلة الإخوان عفافا وتنزها وعن أبى بكر المروزي قال ذكرت لأبى عبد الله رجلا من المحدثين فقال رحمه الله أى رجل كان لولا خلة واحدة . ثم سكت ثم قال : ليس كل الخلال يكملها الرجل فقلت له أليس كان صاحب سنة؟ فقال : لعمري لقد كتبت عنه ولكن خلة واحدة كان لا يبالى ممن أخذ ... إلخ .

(نقد العلم والعلماء أو تليس إبليس للإمام ابن الجوزى / ١٧٠ - ١٧٩ ، والجامع الصغير للحافظ جلال الدين السيوطى ٢ / ١٥٢) .

* الخروج عن مقتضى الظاهر :

من أقسام علم المعانى ، بسط القول فيه الإمام السيوطى فى منظومته على تلخيص مفتاح العلوم وأورده تحت عنوان «مسألة» بعد أن انتهى من الكلام على الحذف والذكر والتقديم والتأخير فقال :

[قد يخرج الكلام عما ذكرنا
من ذلك المضممر عما أظهرنا
كنعم عبدا وضمير الشأن
ليثبت التالى به فى الأذهان
وعكسه إشارة للاعتنا
بكونه مميزا إذ ضمنا

حكما بديعا وادعاء الشهرة
أو الندا على كمال الفطنة
لسامع والضمير والتهكم
بسه كمثل ما إذا كان عمى
وغيرهما زيادة التمكين قد
مثله بقوله الله الصمد
أو ليقوى داعى المأمور
أو يدخل السروع على الضمير
أو المهابة والاستعطاف
قلت كذا الوصلة للأوصاف
وعظم الأمر وتنبيهه على
علته وعود معناه على
جميع ما تقدم فى هذا الباب من الحذف والذكر وما بعدهما هو مقتضى الظاهر وقد يخرج الكلام على خلافه لنكتة فمن ذلك وضع المضممر موضع الظاهر كنعم عبدا مكان نعم العبد إذ المقام يقتضى الإظهار لعدم تقدم المسند إليه فأضمر معادا إلى متعقل فى الذهن والتزم تفسيره بنكرة ليعلم جنس المتعقل وكذا ضمير الشأن والقصة نحو «هو الله أحد» و «إن هى إلا حياتنا الدنيا» والسر فى ذلك فى الموضعين قصد أن يتمكن فى ذهن السامع ما يتلو الضمير: أى يجيء بعده لأنه بالضمير يتبها له ويتشوق فيتمكن بعد وروده فضل تمكن لأن المحصول بعد الطلب أعز من المنساق بلا تعب ومنه عكسه وهو وضع الظاهر موضع المضممر فإن كان الظاهر اسم إشارة ففائدته كمال العناية بتمييزه لتضمنه حكما بديعا كقول ابن الراوندى :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا السدى ترك الأوهام حائرة
وصير العالم النحرير زنديقا
فإن أصله هو: أى ما تقدم من إعفاء مذاهب العاقل ورزق الجاهل فعدل إلى الإشارة لكمال العناية بتمييزه ليرى

السامعين أن هذا المعنى المتميز هو الذى له الحكم العجيب وهو جعل الأوهام حائرة والعالم التحرير زنديقا . وقد يكون لادعاء شهرته وأنه كامل الظهور فلا يخفى ومنه من غير باب المسند إليه قوله :

تعاليت كى أشجى ومابك علة

تريدين قتلى قد ظفرت بذلك والأصل به أو للنداء على كمال فطنة السامع بأن الأشياء عنده كالمجسوسة فيشار له أو ضد ذلك : أى النداء على كمال بلاذته بأنه لا يدرك غير المحسوس أو التهكم والاستهزاء بالسامع بأن يكون أعمى أولا مشار إليه موجود أصلا فيشار إليه موضع الإضمار تهكما به وإن كان غير إشارة فله نكت : منها زيادة التمكين عند السامع نحو ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد﴾ أى الذى يصمد إليه ويقصد فى الحوائج لم يقل هو الصمد لزيادة التمكين .

ومنها تقوية داعى المأمور وإدخال الروح : أى الفزع أو المهابة : أى الإجلال على قلب السامع كقول الخليفة أمير المؤمنين يأمرك بكذا مكان أنا أمرك ومنها الاستعطاف كقوله :

إلهى عبيدك العاصى أتاك

مقرا بالذنوب وقد دعاك فإن تغفرت فأنت لئذاك أهل وإن تطرد فمن يرجى سواك الأصل أنا أتيتك فعدل عنه لما فى لفظ عبدك من التخضع واستحقاق الرحمة وتروى الشفقة .

ومنها وهو وما بعده من زيادتى أن يقصد التوصل بالظاهر إلى الموصف نحو : ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى﴾ [الأعراف : ١٥٨] بعد قوله إني رسول الله .

ومنها تعظيم الأمر نحو : ﴿أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير * قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ [العنكبوت : ١٩ ، ٢٠] إلخ .

ومنها التنبيه على العلية أى كونه علة للحكم المنسوب إليه كقوله تعالى ﴿فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم

فأنزلنا على الذين ظلموا﴾ [البقرة : ٥٩] ثم نهت من زيادتى على أن وضع الظاهر موضع المضمرة إذا كان بمعنى الأول لا بلفظه أحسن كقوله تعالى ﴿الحمد لله الذى خلق السموات والأرض﴾ ثم قال تعالى ﴿ثم الذين كفروا يربهم يعدلون﴾ [الأنعام : ١] :

[وقال فى المفتاح كل ما ذكر

ليس بمختص بهذا الذى قد بل غيبة وأخواها قد نقل

كل لآخر التفاسات مستقل ورد فالأشهر أنسه أخص

لأنسه التعمير عن معنى ينص من الثلاث بعد ذكر بسواه

منها ليرفل الكلام فى حلاه لأن نقل القول فى المهيأ

أنشط للإصغاء فى السامع وقد يخص كل موضع نكت

كمثل ما أم الكتاب قد حوت فالعبد إذ يحمد من يحق له

ثم يجىء بالسسمى المجله فكاهما محرك الإقبال

لمالك الأمور فى المال فيوجب الإقبال والخطابا

بنهاية الخضوع والتطابا للعون فى كل مهم يقصد

وقس عليه كل ما قد ورد ولم يكن فى جملة كميا فى

عروس الأفراح وفى الكشف [قال السكاكى : هذا المذكور من نقل الكلام عن الحكاية

إلى الغيبة ليس مختصا بالمسند إليه ولا بهذا القدر بل كل من الغيبة والخطاب والتكلم ينقل إلى آخر فى المسند إليه وغيره

ويسمى الالتفات والمشهور أن الالتفات التعبير عن معنى بواحد من الثلاثة بعد التعبير عنه بغيره منها وهذا أخص من قول السكاكي لأن قول الخليفة أمير المؤمنين يأمر بكذا التفات على رأيه لأنه منقول عن أنا لا على الثاني لعدم تقدم خلافه . ثم أقسام الالتفات ستة كما عرفت : الأول من التكلم إلى الخطاب نحو ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون﴾ [يس : ٢٢] والأصل وإليه أرجع . الثاني منه إلى الغيبة نحو : ﴿إنا أعطيناك الكونثر﴾ فصل لربك وانحر الثالث من الخطاب إلى التكلم نحو :

طحا بك قلب في الحسان طروب

بعيد الشباب عصر حان مشيب

تكلفني ليلي وقد شط وليها

وعادت عواد بيننا وخطوب

فالتفت في قوله تكلفني من قوله بك . الرابع منه إلى الغيبة نحو : ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾ [يونس : ٢٢] والأصل بكم . الخامس من الغيبة إلى الخطاب نحو : ﴿مالك يوم الدين﴾ إياك نعبد السادس منها إلى التكلم نحو : ﴿الله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه﴾ [فاطر : ٩] ثم النكتة في الالتفات أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن وأشهى للقلب وألذ للسمع وأكثر إصغاء لما فيه من التنقل لما جبلت عليه النفوس من الضجر وربما اختص كل موقع منه بلطائف ونكت كالفاتحة فإن العبد إذا ذكر الله تعالى وحمده ثم ذكر صفاته التي كل صفة منها تبعث على شدة الإقبال وآخرها مالك يوم الدين المفيد أنه تعالى مالك الأمر كله في يوم الجزاء فحينئذ يوجب الإقبال عليه والخطاب بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات ثم نهت من زيادتي على أن الالتفات لا يكون في جملة بل في جملتين صرح به الزمخشري في الكشف وابن السبكي في شرحه المسمى عروس الأفراس قال ولا يلزم عليه أن يكون في نحو أنت صديقي الالتفات وليس كذلك :

[ومن خلاف المقتضى إن جابوا

مخاطبا بغير ما ترقبا

بحملا على خلاف قصده

لأنه أولى به من ضده

أو سائلا بغير ما قد سأل

لأنه الأولى أو المهم له

من خلاف المقتضى بالفتح أى مقتضى الظاهر مجاوبة المخاطب بغير ما يترقب وسماه عبد القاهر المغالطة والسكاكي الأسلوب الحكيم وذلك بحمل كلامه على خلاف قصده تنبيها على أنه أولى بالقصد كقول القبعري وقد قال له الحجاج متوعدا «أحملنك على الأدهم» مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب أراد الحجاج أن يقيد فتلغاه القبعري بغير ما ترقبه من فهمه التواعد بالطف وجه مشيرا إلى أن من كان مثله في السلطنة والسعة إنما يناسبه أن يوجد بأن يحمل على الأدهم والأشهب من الخيل لا أن يقيد فقال له الحجاج : إنه حديد فقال : «لأن يكون حديدا خيرا من أن يكون بليدا» (انظر البيت السادس من أبيات الأخضرى التالية) ومنه إجابة السائل بغير ما يتطلب تنبيها على أنه الأولى أو الأهم قالوا كقوله تعالى : ﴿يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ [البقرة : ١٨٩] .

سألوا عن الهلال لم يبدو دقيقا ثم يتزايد حتى يستوى ثم ينقص حتى يعود كما بدأ فأى فائدة تحت ذلك ؟ فأجيبوا ببيان حكمة ذلك وهي أنه معرفة المواقيت والحلول والأجال وجاز بعضهم في العبارة حتى تعدى إلى أن قال لأنهم ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة (جاء وفي شرح الجواهر المكنون / ٦٩ أن القائل هو «السعد») وهذه قلة أدب منه وجهل بمقدار الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقد كانوا أدق نظرا وأدكى فطنة من ألوف من أضرابه فظن أنه وأمثاله يسهل عليهم إدراك ذلك ويصعب على مثل أولئك . أما شعر من السائل عن ذلك هو معاذ بن جبل أعلم الأمة بالحلال والحرام بشهادة النبي ﷺ وهل ذلك بأدق من دقائق الفقه والفرائض التي اشتهر عنهم بعضها بالتوقيف وبعضها بالاستنباط مما لم يصل المذكور ولا غيره من أهل هذه الفنون إلى فهم عشر معشارها ثم هل اعتقد أن علم الهيئة مما يعتبر أو يلتفت إليه ؟

كلا بل هو هذيان بقول لا دليل عليه وليس إلى التوصل إلى تصحيحه من سبيل وقد قالوا زعمنا منهم إن الأرض كرة لاسطح فنزل القرآن بأنها سطح قال تعالى ﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾ [الغاشية: ٢٠] وقالوا لا تكسف الشمس إلا في الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين للمقابلة التي يزعمونها قابلهم الله عليها فكسفت يوم موت إبراهيم ابن النبي ﷺ كما في الصحيحين وكان عشر ربيع الأول كما رواه الزبير بن بكار وكسفت يوم قتل الحسين رضي الله عنه كما هو مشهور في التواريخ وغيرها وكان يوم عاشوراء وقد روى ما يقتضى أنهم لم يسئلوا عن سبب زيادة الهلال ونقصانه بل عن سبب خلقه فروى أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية قالوا بلغنا أنهم قالوا يارسول الله لم خلقت الأهلّة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يسئلونك عن الأهلّة﴾ الآية وإنما أطنبت في هذا المقام تنفيرا للناس عن هذا الكلام الشنيع وخوف أن يتلقفه من لم يرسخ في قلبه تقوى فيتداولوه على ألسنتهم ومن لم يتأدب مع الصحابة وسلف الأمة ويترك شغب أهل الفلسفة لم يلتفت إليه كائنا من كان:

لومنه ماض عن مضارع وضع

لكونه محققا نحو فزع

قلت ولإشراف أو إبراز كما

في معرض الحاصل غير ذلكا

ومنه قلب كعرضت الإيلا

على الحيضاض ثم هل ذا قبلا

ثالثها الأصح إن لم يقتضى

معنى لطيفا لا ولا فـارتضى

كمهمه مقبرة أرجاؤه

كان لـون أرضه سمـاؤه

من خلاف المقتضى وضع الماضي موضع المستقبل

تنبيهها على تحقق وقوعه نحو: ﴿ويوم ينفخ في الصور ففرع من

في السموات ومن في الأرض﴾ [النمل: ٨٧] والآية الأخرى

﴿فصعق﴾ [الزمر: ٦٨] ﴿ونادى أصحاب

الأعراف﴾ [الأعراف: ٤٨] وهو كثير. وإما للإشراف أى

مشارفة وقوعه أى مقاربتة نحو: ﴿وليخش الذى لو تركوا﴾

[النساء: ٩] الآية أى لو شارقوا أن يتركوا ومثله الطيبى بنحو قولك: مت، أو لإبراز غير الحاصل فى معرض الحاصل لقوة الأسباب الظاهرة كقول المشتري اشتريت حال انعقاد أسبابه ذكره الطيبى وليس منه التعبير بلفظ اسم الفاعل والمفعول عن المضارع نحو: ﴿وإن الدين لواقع﴾ [الذاريات: ٦] ﴿ذلك يوم مجموع له الناس﴾ [هود: ١٠٣] خلافا لصاحب التلخيص لأنهما صالحان للمستقبل حقيقة.

ومنه القلب وهو تقديم المؤخر وعكسه كعرضت الإبل على الحوض والأصل عرضت الحوض على الإبل وأدخلت القلنسوة فى رأسى والأصل أدخلت رأسى فيها. واختلف فى قبوله على أقوال قيل والتزم قائله وهو السكاكى أنه يورث الكلام ملاحاة ورده غيره مطلقا لأنه عكس المطلوب ونقيض المقصود وهذان القولان مطويان فى النظم والحق كما قال صاحب التلخيص أنه إن تضمن معنى لطيفا قبل وإلا فلا فمن الأول قوله تعالى: ﴿ويوم يُعرض الذين كفروا على النار﴾ [الأحقاف: ٢٠] وهو من باب عرضت الإبل على الحوض والنكتة الإشارة إلى أنهم مقهورون ومجبورون فكأنهم لا اختيار لهم والنار متصرفة فيهم وهم كالمتاع الذى يتصرف فيه من يعرض عليه وكقول الشاعر:

* ومهمه مغبرة أرجاؤه *

البيت والمهمه المفارقة والمغبرة المملوءة غبارا والأرجاء النواحي جمع رجا بالقصر والأصل كأن لون سمائه لغبرتها أرضه أى كلونها والنكتة فيها المبالغة فى وصف لون السماء بالغبرة حتى صار بحيث يشبه الأرض فى ذلك مع أن الأرض أصل فيه ونظيره فى القرآن ﴿إنما البيع مثل الربا﴾ [البقرة: ٢٧٥] والأصل إنما الربا مثل البيع فقلب مبالغة إلا أن هذا من باب قلب التشبيه وهو متفق عليه إنما الخلاف فى غيره ومن المردود قوله:

فلما أن جرى سمن عليها

كما طينت بالفدن السباعا

يصف ناقتة بالسمن والفدن القصر والسياع الطين بالسين

المهملة والأصل كما طينت بالسيح الفدن وليس فى هذا

القلب اعتبار لطيف.

ومنـه ذكـر جمع أو مثـنى

أو مفردا عن آخر قصد عنا

والانتقال من خطاب بعض ذى

إلى خطاب آخر نوع شذى

هذان البيتان من زيادتي وفيهما مسألتان مهمتان لهما شبه بالالتفات وليستا منه . الأولى التعبير بواحد من المفرد والمثنى والمجموع عن آخر منها وهو من أنواع المجاز بخلاف الالتفات والمسألة الآتية فإنهما حقيقتان مثال المفرد عن المثنى قول الأعشى :

فرجى الخير وانتظري إيابى

إذا ما القارظ العنزى أبى

وإنما هما القارظان لأن المثل حتى يثوب القارظان . ومنه فى غير المسند إليه « والله ورسوله أحق أن يرضوه » [التوبة : ٦٢] أى يرضوهما ومثال المفرد عن الجمع .

وذبيان قد زلت بأقدامها النعل

أى النعال وقال تعالى « والملائكة بعد ذلك ظهير » [التحریم : ٤] « إن الإنسان خلق هلوعا » [المعارج : ١٩] أى الأناسى بدليل « إلا المصلين » ومثال المثنى عن المفرد « ألقيا فى جهنم » [ق : ٢٤] أى ألقى « قفانك » أى قف وعن الجمع ليك وحنانك وقوله تعالى « ثم ارجع البصر كرتين » [الملك : ٤] إذ المراد التكثير لا مرتان . ومثال الجمع عن المفرد « رب ارجعون » [المؤمنون : ٩٩] أى ارجعنى . وشابت مفارقه وليس له غير مفرق . وعن المثنى « فقد صغت قلوبكما » [التحریم : ٤] والأصل قلوبكما . الثانية الانتقال من خطاب واحد من الثلاثة إلى آخر منها . مثاله من خطاب الواحد إلى الاثنين « لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء » [يونس : ٧٨] وإلى الجمع : « يا أيها النبى إذا طلقتم النساء » [الطلاق : ١] ومثاله من الاثنين إلى الواحد : « فمن ربكما يا موسى » [طه : ٤٩] وإلى الجمع : « أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة » [يونس : ٨٧] ومثاله من الجمع إلى الواحد : « وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين » [يونس : ٨٧] وإلى الاثنين « يامعشر الجن

والإنس » إلى قوله : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » [الرحمن : ٣٣ ، ٣٤] والنكتة فى هذه المسئلة كالنكتة فى الالتفات .

(شرح عقود الجمان / ٢٦ - ٣١)

وقد وردت الآيات التالية عن الخروج عن مقتضى الظاهر فى منظومة الشيخ عبد الرحمن الأخضرى الموسومة بالجواهر المكنون . وقد شرحها الشيخ أحمد الدمهورى شرحا يقارب شرح السيوطى السابق وروده أنفا ، ومن ثم فإننا نستغنى عنه تجنباً للتكرار . قال الأخضرى .

١ - وخرجوا عن مقتضى الظواهر

كوضع مضمرة مكان الظاهر

٢ - لنكتة كبعث أو كمال

تميز أو سخرية إجهال

(فى حلية اللب المصون / ٦٨ : أو إجهال)

٣ - أو عكس أو دعوى الظهور والمدد

لنكتة التمكين كالله الصمد

٤ - وقصد الاستعطاف والإرهاب

نحو الأمير واقف بالباب

٥ - ومن خلاف المقتضى صرف المراد

ذى نطق أو سؤال لغير ما أراد

٦ - لكونه أولى به وأجدرا

كقصصة الحججـاج والقبعثـرا

٧ - والالتفات وهو الانتقال من

بعض الأساليب إلى بعض قمن

٨ - والوجه الاستجلاب بالخطاب

ونكتة تخص بعض البـباب

٩ - وصيغة الماضى لآت أوردوا

وقلبوا لنكتة وأنشدوا

١٠ - ومهمه مغبرة أرجاؤه

كأن لسون أرضه سمـاؤه

(متن الجواهر المكنون / ٧ ، ٨) .

والخروج عن مقتضى الظاهر لغرض بلاغى من عوامل روعة النظم القرآنى عند الزمخشري، ومن صورته

١ - وضع الظاهر موضع المضمّر، وبالعكس :

ويكثر وضع الظاهر موضع المضمّر فى القرآن الكريم فى مقام ذكر الكفار والظالمين ومجترحي السيئات إظهاراً للغضب عليهم، والتنويه بدمهم، وتهجين أحوالهم.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق﴾ [الفرقان : ٧]، ﴿وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾ [الفرقان : ٨].

يقول الزمخشري : أراد بالظالمين إياهم بأعيانهم، ووضع الظاهر موضع المضمّر، ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا.

ومنه قوله تعالى : ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ [ص : ٤].

يقول الزمخشري : لم يقل : وقالوا - إظهاراً للغضب عليهم، ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون فى الكفر، المنهمكون فى الغنى، الذين قال فيهم : ﴿أولئك هم الكافرون حقا﴾ [النساء : ١٥١].

وقوله تعالى : ﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين﴾ [مريم : ٣٨].

يقول الزمخشري : أوقع الظاهر «أعنى الظالمين» موقع المضمّر إشعاراً بأن لا ظلم أشد من ظلمهم، حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم.

وقوله تعالى : ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا﴾ [سبا : ٣٣] أى فى أعناقهم، فجاء التصريح للتنويه بدمهم، والدلالة على ما استحقوا به الأغلال.

وقوله تعالى : ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾ [القصص : ٨٤].

يقول الزمخشري : وضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير، لأن فى إسناد عمل السيئات إليهم مكرراً أفضل تهجين لحالهم، وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين.

وقوله تعالى : ﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾ [البقرة : ٩٨]

يقول الزمخشري : أراد عدواً لهم . فجاء بالظاهر ليبدل على أن الله إنما عاداهم لكفرهم، وأن عداوة الملائكة كفر. وإذا كانت عداوة الأنبياء كفراً فما بال الملائكة وهم أشرف؟ [كذا].

وقوله تعالى : ﴿فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء﴾ [البقرة : ٥٩]

يقول الزمخشري : وفى تكرير : الذين ظلموا : زيادة تقييح فى أمرهم، وإيدان بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم. وقد جاء فى سورة الأعراف : ﴿فأرسلنا عليهم﴾ على الإضمار.

وقوله تعالى : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ [المائدة : ٧٣].

يقول الزمخشري : لم يقل : ليمسنهم، لأن فى إقامة الظاهر مقام المضمّر فائدة، وهى تكرير الشهادة عليهم بالكفر فى قوله : ﴿لقد كفر الذين قالوا﴾.

وقوله تعالى : ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت تراباً﴾ [النبأ : ٤].

يقول الزمخشري : والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم.

وضع المضمّر موضع الظاهر : منه قوله تعالى : ﴿قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ [البقرة : ٩٧].

يقول الزمخشري : الضمير فى نزله للقرآن . ونحو هذا الإضمار - أعنى إضمار ما لم يسبق ذكره - فخامة لشأن صاحبه، حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه، ويكتفى عن اسمه الضريح بذكر شىء من صفاته.

وقوله تعالى : ﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ [العنكبوت : ٢٠].

يقول الزمخشري : كان القياس أن يقال : كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة، ولكن الكلام معهم كان واقعا فى الإعادة، وفيها كانت تصطك الركب . فلما قررهم فى

الإبداء، بأنه من الله احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء، فكأنه قال: ثم ذاك الذى أنشأ النشأة الأولى هو الذى ينشئ النشأة الآخرة، فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى أظهر المسمى وأوقعه مبتدأ.

٢- الالتفات

أفردنا مادة للالتفات فى م ٥ / ٥٩٤ - ٦٠٠ فانظرها فى موضعها.

٣- وضع المضارع موضع الماضى، بقصد حكاية الحال الماضية واستحضار صورتها - للدلالة على أهميتها. أو غرابتها.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾ [فاطر: ٩].

يقول الزمخشري: جاء «فتثير» على المضارعة دون ما قبله وما بعده، ليحكى الحال التى تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية. وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب، وغير ذلك.

قال تأبط شرا:

بأنى قد لقيت الغول تهوى

بسهم كالصحيفة صححان

فأضربها بلا دهمش فخرت

صريعاً للبين وللجيران

لأنه قصد أن يصور لقومه الحالة التى تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول، كأنه يبصرهم إياها، ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على كل حول، وثباته عند كل شدة...

ومنه قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [آل عمران: ٥٩]

يقول الزمخشري: فيكون: حكاية حال ماضية.

وقول تعالى: ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾ [البقرة: ٨٧].

ويقول الزمخشري: لم يقل: وفريقا قتلتم: لإرادة استحضار الحال الماضية، لأن الأمر فطيع، فأريد استحضاره فى النفوس، وتصويره فى القلوب.

وقوله تعالى: ﴿وقد كفروا به من قبل ويقتفون بالغيب من مكان بعيد﴾ [سبا: ٥٣]

يقول الزمخشري: ويقتفون: معطوف على: كفروا: على حكاية الحال الماضية يعنى: وكانوا يتكلمون بالغيب؛ ويأتون به من مكان بعيد، وهو قولهم فى رسول الله (ﷺ): شاعر ساحر كذاب. وهذا تكلم بالغيب، والأمر الخفى، لأنهم لم يشهدوا منه سحرا، ولا شعرا، ولا كذبا. وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله، لأن أبعد شىء مما جاء به الشعر والسحر، وأبعد شىء من عادته التى عرفت بينهم وجُربت - الكذب والزور.

ومنه قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة﴾ [الحج: ٦٣].

يقول الزمخشري: لم يقل: فأصبحت، بل جاء بلفظ المضارع لنكتة، وهى إفادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان، كما تقول: أنعم على فلان عام كذا، فأروح وأغدو شاكر له. ولو قلت: فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع وقد يكون وضع المضارع موضع الماضى للدلالة على الرغبة فى استمرار الفعل أو الدلالة على التعود عليه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتكم﴾ [الحجرات: ٧].

يقول الزمخشري: قال ﴿يطيعكم﴾ دون «أطاعكم» للدلالة على أنه كان فى إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه، وأنه كلما عَنَّ لهم رأى فى أمر كان معمولا عليه، بدليل قوله: ﴿فى كثير من الأمر﴾، كقولك: فلان يقرى الضيف ويحمى الحريم - تريد: مما اعتاده.

ومنه قوله تعالى: ﴿كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك﴾ [الشورى: ٢]

يقول الزمخشري: لم يقل: أوحى إليك، ولكن على لفظ المضارع، ليدل على أن إيجاد مثله من عادته.

٤ - وضع الماضي موضع المضارع لغرض بلاغى هو تنزيل المتوقع الذى لا بد من وقوعه منزلة الواقع :

ومنه قوله تعالى : ﴿ قال قد وقع عليكم من ربكم رجس ... ﴾ [الأعراف : ٧١] .

يقول الزمخشري : أى حق عليكم ووجب ، أو قد نزل عليكم . جعل المتوقع الذى لا بد من نزوله بمنزلة الواقع . ونحوه قولك لمن طلب إليك بعض المطالب : قد كان ذلك . وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور ، وهو طفل ، فجاء بيكى ، فقال له : يا بنى مالك ؟ قال : لسعنى طوير ، كأنه ملتف فى بردى حبرة ، فضمه إلى صدره ، وقال له : يا بنى ، قد قلت الشعر .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض ﴾ [النمل : ٨٧] .

يقول الزمخشري : قيل « ففزع » دون « ينفخ » لنكتة هى الإشعار بتحقيق الفزع وثبوته ، وأنه كائن لا محالة ، واقع على أهل السموات والأرض ، لأن الفعل الماضى يدل على وجود الفعل ، وكونه مقطوعا به . والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ [الفتح : ١] .

يقول الزمخشري : هو فتح مكة ، وجيء به على لفظ الماضى على عادة رب العزة سبحانه فى أخباره ، لأنها فى تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة ، وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى .

وقوله تعالى : ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ﴾ [هود : ٩٨] .

يقول الزمخشري : هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ؟ ولم جىء بلفظ الماضى ويجيب : لأن الماضى يدل على أمر موجود مقطوع به ، فكأنه قيل : يقدمهم ، فيوردهم النار لا محالة .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ [التوبة : ٨٤] .

يقول الزمخشري : مات صفة ، وإنما قيل مات وماتوا -

بلفظ الماضى ، والمعنى على الاستقبال - على تقدير الكون والوجود ، لأنه كائن موجود لا محالة .

٥ - الرجوع من المثنى إلى الواحد :

ومنه قوله تعالى : ﴿ قال فمن ربكما يا موسى ﴾ [طه : ٤٩] .

يقول الزمخشري : مخاطب الاثنين ، ووجه النداء إلى أحدهما ، وهو موسى ، لأنه الأصل فى النبوة ، وهرون وزيره وتابعه .

ويقول فى أفراد الجنة فى قوله تعالى : ﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ﴾ [الكهف : ٣٥] بعد تثنيتهما فى قوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً ﴾ :

أفرد الجنة بعد التثنية على معنى : ودخل ما هو جنته ، ما له جنة غيرها ، يعنى أنه لا نصيب له فى الجنة التى وعد المؤمنين ، فما ملكه فى الدنيا هو جنته لا غير - ولم يقصد الجنتين ، ولا واحدة منهما .

٦ - الرجوع من الواحد إلى الجمع :

ومنه قوله تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ مبيين إليه واتقوه ﴾ [الروم : ٣٠] ، [٣١] .

يقول الزمخشري : خطوب رسول الله (ﷺ) وخطاب الرسول خطاب لأمته ، مع ما فيه من التعظيم للإمام ، ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص .

٧ - الرجوع من المثنى إلى الجمع ثم من الجمع إلى الواحد :

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا ، واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ﴾ [يونس : ٨٧] .

يقول الزمخشري : خطوب موسى وهرون عليهما السلام أن يتبوأ لقومهما بيوتا ، ويختاراهما للعبادة ، وذلك مما يفرض على الأنبياء ، ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها ، لأن ذلك واجب على الجمهور ، ثم

نخص موسى عليه السلام بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها.

٨- وقوع الإنشاء موقع الخبر.

٩- وقوع الخبر موقع الإنشاء.

أوردناهما في مادة الخبر والإنشاء (علم -) فانظر كلا منهما في موضعه .

١٠- التغليب (أوردنا مادة بهذا العنوان في م ١٠ / ٦٦ -

٧١ فارجع إليها في موضعها) :

ومنه تغليب الكثرة على القلة كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: ٣٤].

يقول الزمخشري : «إلا إبليس» استثناء متصل ، لأنه كان جنيا واحدا بين أظهر الألف من الملائكة مغمورا بهم ، فغلبوا عليه في قوله ﴿فَسَجَدُوا﴾ ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم ...

وتغليب الخطاب على الغيبة كما في قوله تعالى ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥].

يقول الزمخشري : فإن قلت : «تجهلون» صفة لقوم ، والموصوف لفظه لفظ الغائب ، فهلا طابقت الصفة الموصوف ، فقرأ بالياء دون التاء ، وكذلك : بل أنتم قوم تفتنون؟

ويجيب : اجتمعت الغيبة والمخاطبة ، فغلبت المخاطبة ، لأنها أقوى وأرسخ أصلا من الغيبة .

وتغليب الموجد على ما لم يوجد ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٤].

يقول الزمخشري : قوله : ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ إن عني به القرآن بأسره والشرعة عن آخرها - فلم يكن ذلك منزلا وقت إيمانهم ، فكيف قيل : أنزل : بلفظ الماضي ؟

وإن أريد المقدار الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم ، فهو إيمان ببعض المنزل ، واشتمال الإيمان على الجميع : سالفه ومتروقه - واجب .

ويجيب : المراد المنزل كله ، وإنما عبر عنه بلفظ الماضي - وإن كان بعضه مرتقبا - تغليبا للموجود على ما لم يوجد ، كما يغلب المتكلم على المخاطب ، والمخاطب على الغائب ، فيقال : أنا وأنت فعلنا ، وأنت وزيد تفعلان . ولأنه إذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأنه كله قد نزل ، وانتهى نزوله . ويدل عليه قوله تعالى : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ [الأحقاف: ٣٠] ولم يسمعوا جميع الكتاب ، ولا كان كله منزلا ، ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا .

ونظيره قوله : كل ما خطب به فلان فهو فصيح ، وما تكلم بشيء إلا وهو نادر . ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب ، دون الآتي ، لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتية بماضيه .

ويتكلم الزمخشري ثانية على الخروج عن مقتضى الظاهر في مجال تعداد عوامل روعة النظم القرآني خارج دائرة الجملة فيقول :

الخروج عن مقتضى الظاهر في ترتيب عناصر الموضوع الواحد لغرض بلاغي :

ويبدو ذلك في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْهَبُوا بِقُوَّةٍ قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَا هَؤُلَاءِ قَالُوا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي [البقرة: ٦٧ ، ٦٨] ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مَخْرُجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريك آياته لعلكم تعقلون [البقرة: ٧٢ ، ٧٣]

يقول الزمخشري : فإن قلت : فما للقصة لم تقص على ترتيبها ، وكان حقها أن يقدم ذكر القتل ، والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها ، وأن يقال : وإذ قتلتم أنفسا ، فادارأتم فيها ، فقلنا اذبحوا بقوة ، واضربوه ببعضها ؟ ويجيب : كل ما قص من قصص بني إسرائيل إنما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات ، وتقريعا لهم عليها ، ولما جدد فيهم من الآيات العظام . وهاتان قصتان ، كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقرير ، وإن كانتا متصلتين متحدتين : فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء ، وترك المسارعة إلى الامتثال ، وما يتبع ذلك ، والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة ، وما يتبعه من الآية

عباس عن النبي ﷺ «خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولا يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة إذا صبروا وصدقوا» (أبو داود ١ / ٤٠٦ والترمذي ٧ / ٤٥) وعنه ﷺ أنه قال: (الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب) (أبو داود ١ / ٤٠٧ والترمذي ٧ / ١٧٠) وعنه ﷺ «إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم» (الجامع الصغير ١ / ٢٤ ومسند أبي داود ١ / ٤٠٧).

(مستند الأجناد / ٧٩، ٨٠)

وعن الخروج للغزو ومشروعية الدعوة قبل القتال يقول الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي في منظومته الموسومة بالسبل السوية:

ثم الخروج في الخميس يستحب
وأول النهي لبعث أحب
والحلف في ابتداءه في الحرم
كذلك أيضاً في الشهر الحرام
فالبعض قال النهي عنه محكم
وفرقة بنسخه قد حكموا
وجاز لا امرأة أن تغزو
يسقين أو يصلح للجرحى الدوا
ولا استعانة بمشرك لنا
حيث امتناع كان من نبينا
ويشروع التشيع للفرقة في
خروجهم ثم بخير فالحلف
وإن أراد غزوة يسري
بغيرها من أجل كتم السر
وصح في النص جواز الكذب
في الحرب للفتك بأهل الحرب
والحرب خدعة وأن يستطلعنا
الأخبار مع بعث العيون شرعا
والسرايا والجيوش رتب
واتخذ السرايات ذا فعل النبي

العظيمة، وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتل، لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة، ولذهب الغرض من تشية التقرير.

ولقد روعيت نكتة بعدما استؤنف الثانية استئناف قصة برأسها: أن وصلت بالأولى دلالة على اتحادهما - بضمير البقرة، لا باسمها الصريح في قوله «اضربوه ببعضها» حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقرير وتشية بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها؛ وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة.

(النظم القرآني / ١١٩-١٣١، ٢١٩، ٢٢٠).

(شرح عقود الجمان للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي / ٢٦-٣١، ومتن الجوهر المكنون في الثلاثة فنون لعبد الرحمن الأخرى / ٧، ٨، والنظم القرآني في كشف الزمخشري - د. درويش الجندى / ١١٩-١٣١، ٢١٩، ٢٢٠. انظر أيضا شرح الجوهر المكنون - الشيخ أحمد الدمنهوري / ٦٧-٧٣، والبرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ٢ / ٤٨٢-٥٠٢).

* الخروج في سبيل الله تعالى:

في ابتداء الخروج في سبيل الله تعالى والتخلي عن الانفراد في السفر يقول صاحب مستند الأجناد:

عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج يوم الخميس إلى غزوة تبوك، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس (البخاري ٤ / ٦ وأبو داود - ٤٠٦) وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ كان يعقد الألوية يوم الخميس، ويبعث السرايا يوم الخميس، ويسافر يوم الخميس (البخاري ٤ / ٦ وعيون الأخبار ١ / ١٢٢) وعن الزهري أن النبي ﷺ كان يخرج يوم الخميس، ويرجع يوم السبت، وعن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم بارك لأمتي في بكورها» (أبو داود ١ / ٤٠٦) وفي رواية: كان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم من أول النهار (المعجم الصغير للطبراني ١ / ٣٠) وعنه ﷺ «عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل» (أبو داود ١ / ٤٠٢، ومجمع الزوائد ٥ / ٢٥٧). والدلجة: سير الليل وعن النبي ﷺ «لو علم من الوحدة ما أعلم ما سار راكب بالليل وحده» (البخاري ٤ / ١٧، والترمذي ٧ / ١٦٩ ... ١٧٠) وعن ابن

والذكر في المسير منه أكثر

سبح هبوطا وصعودا كبر

وللعبد ابدا دعاء أولا

إلى الهندي من قبل أن تقا

وذمة الأمير في الحصار

يذل وليحذر ذمام الباري

كذلك جائز نزولهم على

حكم أمريء منا لنص نقلا

(مجموع / ٥٦، ٥٧).

(مستند الأجياد في آلات الجهاد لابن حجة الحموي - تحقيق وشرح

أسامة ناصر النقشبندی / ٧٩، ٨٠، ومجموع : «السبل السوية لفقه السنن

المروية» - نظم حافظ بن أحمد الحكيم / ٥٦، ٥٧).

* الخروج من بلد وقع فيها الوباء:

عنه الإمام النووي بلفظ «كراهة الخروج من بلد وقع فيها

الوباء فرارا منه، وكراهة القدوم عليه» وقال: قال الله تعالى:

﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾

[النساء: ٧٨] وقال تعالى ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾

[البقرة: ١٩٥] وروى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما

أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا

كان بسرخ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه

فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام قال ابن عباس فقال لي عمر

ادع لي المهاجرين الأولين فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن

الوباء قد وقع بالشام فاختلّفوا فقال بعضهم خرجت لأمر ولا

نرى أن ترجع عنه وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب

رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء فقال ارتفعوا

عني ثم قال ادع لي الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلخوا

سبيل المهاجرين واختلفوا كماختلفهم فقال ارتفعوا عني ثم

قال ادع لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح

فدعوتهم فلم يختلف عليه منهم رجلان فقالوا نرى أن ترجع

بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنأدى عمر رضي الله عنه

في الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه فقال أبو عبيدة

بن الجراح رضي الله عنه أفرار من قدر الله فقال عمر رضي الله

عنه لو غيرك قالها يا أبا عبيدة وكان عمر يكره خلافه: نعم نفر

من قدر الله إلى قدر الله أرايت لو كان لك إبل فهبطت وأدبها له

عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت

الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله

قال فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكان متغيبا في

بعض حاجته فقال إن عندي من هذا علما سمعت رسول الله

ﷺ يقول «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض

وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه» فحمد الله تعالى عمر رضي الله

عنه وانصرف. (العدوة جانب الوادي) وروى الشيخان عن

أسامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «إذا سمعتم الطاعون

بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا

منها»

(مختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف النووي -

اختصره ورقبه الشيخ النبهاني / ٨٩-٩١)

* الخروج (يوم -):

من أسماء يوم القيامة. قال تعالى ﴿يوم يخرجون من

الأجداث سراعا﴾ فأوله الخروج من القبور وآخره خروج

المؤمنين من النار ثم لا خروج ولا دخول.

(التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي - حققه وعلق عليه

وضبطه الأستاذ حمدان جعفر / ٢٥٩).

* الخروع:

خروع: كدرهم نبت مغروف لا يرعى قال الجوهري ولم

يجيء على هذا الوزن إلا حرفان خروع وعتود وهو اسم واد.

قلت وزيد زود اسم جبل وعتود اسم واد وليس بتصحيح

عتود. قيل سمي الخروع لرخاوته وهي شجرة تحمل حبا كأنه

بيض العصافير يسمى السمسسم الهندي مشتق من الخرع

(معجم أسماء النباتات / ٥١).

قال عنه داود الأنطاكي: الخروع نبات يعظم قرب المياه

ويطول أكثر من ذراعين وأصله قصب فارغ وورقه أملس

عريض وحبه كالقراد مرقش كثير الدهن يدرك بتموز وآب

(يوليه وأغسطس) يقيم أكثر من سنة وهو حار في الثالثة يابس

فيها أو في الثانية أو رطب في الأولى يحلل الرياح والأخلاق

المليينات لكل صلاية شربا وضامدا، ووجهه جيد للقولنج والفالج، وخاصة الترقيق والتلطيف، وورقه الغض إذا تضمد به مطبوخا ونيثا نفع من النقرس البارد ووجع المفاصل، وكذلك إن ركب على ورقه دهن نفع من ذلك، ووجهه نافع من اللقوة ووجع المفاصل، إذا أسهل به، ويورث البدن صحة، وهو يسهل البلغم إسهالا ضعيفا. ويجب أن يقشر ويعطى منه إحدى عشرة حبة إلى سبع عشرة حبة، وورق الخروع إذا سحق في خل ثقيف حتى يحمى وتضمدت به الأورام الكائنة في الحلق، المسماة نغانغ، ويعاود ذلك أسبوعا ثلاث مرات بالليل، وثلاثا بالنهار، حله وأذهبه، مجرب.

«ج» أجوده البحرى. وهو حار يابس فى الدرجة الثانية، وقيل رطب يحدر الحيض. وقدر ما يؤخذ منه إلى مثقال، وهو ينفع الصلابة، ويلين العصب، وخاصة البلغم، وينفع من القولنج والفالج واللقوة، وشربته لذلك إلى عشر حبات مقشورة.

«ف» مثله. والشربة إلى خمسة عشر حبة.

ثم يقول عن دهن الخروع:

دهن الخروع — «ج» هو أشبه شىء بالزيت العتيق. ولذا يستعمل بدله، وهو أكثر تحليلا من الزيت الحديث والطف، هو أحد من الزيت الساذج، وهو يصلح للجرب، والقروح الرطبة التى تكون فى الرأس، وللأورام الحارة فى المقعدة، ولانضمام فم الرحم، ولانقلابه، ولآثار السحج إذا اندملت، ولوجع الأذن، وإذا خلط ببعض المراهم قوى فعلها، وإذا شرب أخرج الدود الذى فى البطن وأسهل، ويقوى العصب من اللزوجات وصنعتة: يؤخذ من حب الخروع المستحکم على شجره، ويشمس، فإذا تشقق قشره وتساقط عنه، فاجمع ما فى داخله، ودقه فى هاون دقا ناعما، ثم اطرحه فى قدر مرصصة برصاص قلعى فيها ماء، واغله، فإذا خرج دهنه، فانزل القدر عن النار، وخذ الدهن بصوفة، واخزنه؛ وإن كان كبيرا وأمكن عصره بلولب فاعصره.

«ج» وله فى المنهاج (هو منهاج البيان تأليف ابن جزلة) صفة غير هذه، لمن يريد مفعول بالأفاويه والعقاقير. وهو

الباردة وإذا طبخ فى زيت حتى يتهرى أزال الصداع والفالج واللقوة والنقرس وعرق النسا دهنًا وسعوطا وإذا أكل أخرج البلغم والأخلاط اللزجة برفق وأدر الحيض وأخرج المشيمة ودهنه يلين كل صلب حتى المعادن اليابسة عن تجربة خصوصا مع ماء الفجل ويغسل به مع الخردل أوساخ الجسد فينقيه. وفيه خواص كثيرة؛ وهو يكرب ويسقط الشهوة ويصلحه أن يقشر ويستعمل مع الكثيرا وشربته إلى عشر حبات وضعفها مسكر وخمسون تقتل ودهنه بماء الكراث يقلع البواسير شربا ودهنا وإذا غلى مع سلخ الحية والخردل ودهن به داء الثعلب والقوابى والحزاز والكلف أبرأها (التذكرة ١ / ١٣٨)

وقد أورد المظفر الرسولى، كما أفرد مادة بعنوان «دهن الخروع»، وذكر مصادره التى رمز إليها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية»

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان»

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال:

خروع — «ع» شجرة تكون فى مقدار شجرة التين صغيرة، ولها ورق شبيه بورق الدلب، وثمره خشنة إذا قشرت كانت شبيهة بالقراد، ومنها يعتصر دهن الخروع، وهذا الدهن لا يستعمل فى الطعام بل فى السرج، وفى أخلاط بعض المراهم، وحب الخروع يسهل، وفيه مع هذا شىء يجلو وكذلك الحال فى ورقه، إلا أن الورق أضعف حرا، ودهنه أحد والطف من الزيت الساذج، فهو يحلل أكثر منه، وإذا دق حب الخروع وتضمد به نفع الثآليل والكلف، وورقه إذا دق وخلط بسويق سكن الأورام البلغمية، والأورام الحارة العارضة للعين، وإذا تضمد به وحده أو مع الخل، سكن أورام الشدى الوارمة فى النفاس والحمرة، وهو مسخن فى الدرجة الثالثة، محلل ملين للعصب، مسهل للبطن، منق للعرق، نافع من الخام والإبردة، وكذلك دهنه، وهو أبلغ

حار يابس في الدرجة الثانية، ومنافعه كما ذكرها عبد الله (هو عبد الله بن البيطار). وبدله: دهن الفجل، أو دهن بزر الكتان.

«ف» حار رطب في الأولى، يخرج البلغم وحب القرع، وينقى الأعصاب، ويستعمل بقدر الكفاية (المعتمد ١ / ١٢١، ١٢٢، ١٦٩).

وقال عنه القزويني:

الخروج: إذا جف حبه في أكمامه تصدعت عنه وتحذف به الغصن وربما وقعت على أكثر من قاب رمح حبه ينفع من القولنج والفالج واللقوة وقدر ما يؤكل منه عشر حبات مقشورة: وذكر بليناس في كتاب الخواص: أن دهن الخروج إذا مسحت به رأس السديك لا يصيح البتة (عجائب المخلوقات / ١٦٦).

(معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي - جمع وتحقيق محمود مصطفى الدماطي / ٥١، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكي / ١ / ١٣٨، والمعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي - صححه وفهرسه مصطفى السقا / ١ / ١٢١، ١٢٢، ١٦٩، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ١٦٦. انظر أيضا القانون في الطب لابن سينا - شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو إبراهيم، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطي / ٣٢٦).

* ابن خروف (٥٢٤-٦١٠ هـ):

هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحضرمي الإشبيلي، ولد في إشبيلية، وأخذ عن ابن طاهر ولد سنة ٥٢٤ هـ، برز في العربية، ومن مصنفاته النحوية شرح كتاب سيبويه أهداه إلى صاحب المغرب فمنحه ألف دينار، وشرح الجمل للزجاجي. ومع طول باع المترجم في النحو، وذبح صيته في التدقيق، وغزارة مؤلفاته، كان في خلقه شراسة، فلا عجب أن يندفع إلى منازلة السهيلي في المسائل المنوه عنها في ترجمته، وأن يعدو على ابن مضاء في مناقضته لكتابه المذكور في ترجمته.

ومما هو جدير بالملاحظة أن ابن خروف النحوي غير ابن خروف الشاعر المشهور، وإن اتفقا اسما وكنية ولقباً وأباً، فقد اختلفا جدا ونسبا ووطناً ووفاة ومدفناً، فإن ابن خروف الشاعر

هو أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف القيسي القرطبي، وهو الذي أرسل قصيدة للقاضي في حلب يوسف بهاء الدين المعروف بابن شداد يستجديه فرد خروف، وتوفي متردياً في جب بحلب سنة ٦٠٤ هـ. ولعل الاشتباه بين النحوي والشاعر هو الذي تسرب منه الخطأ في نسبة شعر للنحوي، ولم يتنبه لهذا أحد ممن ترجم النحوي قبل ابن خلكان وبعده، فإنه وحده الذي حقق هذا الفرق في وفيات الأعيان ترجمة القاضي يوسف المذكور، وهذا التحقيق من ابن خلكان جدير بالتقدير والاعتبار، توفي ابن خروف النحوي بأشبيلية سنة ٦١٠ هـ (نشأة النحو / ٢٣٢، ٢٣٣).

قال الرعيني: «له تواليف، منها كتابه الكبير الذي سماه «تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب» أودعه طرر بن طاهر وبسطها وأضاف إليها شرح الأبيات، ومنها «شرحه» لكتاب الجمل، ومفردات السبع، والمقنع في الفرائض، ومجموعات كثيرة في «الرد على الناس، كرده على السهيلي، وعلى ابن الطراوة، وعلى جماعة من معاصريه، وله رد على برهان أبي العالي». وقد خلط بعض المؤرخين بينه وبين ابن خروف الشاعر علي بن محمد بن يوسف القرطبي المتوفى سنة ٦٠٤ هـ.

له ترجمة في: «التكملة» لابن الأبار الترجمة ١٤٨٤، و «وفيات الأعيان» ٣ / ٢٣، و «برنامج شيوخ الرعيني» / ٨١، و «بغية الوعاة» ٢ / ٢٠٣ ت ١٧٩٣، و «الأعلام» ٥ / ١٥١ (كتاب الوفيات / ٣٠٤، ٣٠٥).

(نشأة النحو - الشيخ محمد الطنطاوي / ٢٣٢، ٢٣٣، وكتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسطنطيني - تحقيق عادل نويهض / ٣٠٤، ٣٠٥، وهامش ٢ للمحقق).

* خريدة الأمثال:

خريدة الأمثال: «لأبي الحسن علي بن المبارك المعروف بابن الزاهد المتوفى سنة ٥٩٤. (كشف الظنون / ١ / ٧٠١).

* الخريدة البهية في العقائد التوحيدية:

من المنظومات التعليمية في علم التوحيد للإمام العارف بالله أبي البركات الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الخلوتي المشهور بالدردير المولود

سنة ١١٢٧ هـ والمتوفى سنة ١٢٠١ هـ (فهرس مخطوطات
المكتبة الأزهرية / ١٨٨)

وننقل لك فيما يلى هذه المنظومة النفيسة بتمامها
يبدأ الإمام الدردير رحمه الله منظومته بهذه المقدمة :
يقول راجى رحمة القدير
أى أحمد المشهور بالدردير
الحمد لله العلى الواحد
العالم الفرد الغنى الماجد
وأفضل الصلوة والتسليم
على النبى المصطفى الكريم
وآله وصحبه الأطهار
لا سيما رفيقه فى النار
وهذه عقيدة سنية
سميتها الخريدة البهية
لطيفة صغيرة فى الحجم
لكنها كبيرة فى العلم
يكفيك علما إن تُرد أن تكتفى
لأنها بزيادة الفن تفى
والله أرجو فى قبول العمل
والنفع منها ثم غفر الزلل
ثم يتكلم على القسم الأول من أقسام علم التوحيد وهو
الإلهيات (انظر «الإلهيات (علم -)» فى م ١٦ / ٢١) فيذكر
أقسام الحكم العقلى وهى الوجوب والاستحالة والجواز ثم
يتكلم على العالم . قال رحمه الله :
أقسام حكم العقل لامحالة
هى الوجوب ثم الاستحالة
ثم الجواز ثم الأقسام
فأفهم منحت لسلسلة الأفهام
فالسواجب العقلى ما لم يقبل
الانتفاء فى ذاته فابتهل

والمستحيل كل ما لم يقبل
فى ذاته الثبوت ضد الأول
وكل أمر قابل للانتفاء
وللثبوت جائز بلا خفا
ثم اعلم أن هذا العالم
أى ما سوى الله العلى العالم
من غير شك حادث مفتقر
لأنه قام به التغير
حدوثه وجوده بعد العدم
وضده هو المسمى بالقدم
ثم يتحدث عن الوجود، وهو الصفة النفسية لله تعالى
فيقول :
فاعلم أن الموصف بالوجود
من واجبات الواحد المعبود
إذ ظاهر بأن كل أثر
يهدى إلى مؤثر فاعتبر
وذى تسمى صفته نفسية
ثم تليها خمسة سلبية
ويعدد بعد ذلك الصفات السلبية الخمس لله تعالى،
وهى : القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس
والوحدانية فيقول :
وهى القدم بالذات فاعلم والبقا
قيامه بنفسه نلت التقى
مخالف للتغير وحدانيه
فى الذات أو صفاته العلية
ثم يتحدث عن التأثير فيقول :
والفعل فى التأثير ليس إلا
للواحد القهار جل وعلا
ومن يقل بالطبع أو بالعلم
فذاك كفر عند أهل الملئ

واجزم بأن سمعه والبصيرة
تعلقا بكل موجود يرى
وكلها قديمة بالذات
لأنها ليست بغير الذات
ثم الكلام ليس بالحسروف
وليس بالتسريب كالمألوف
ثم يبين الإمام أحمد الدردير رحمه الله أن أضداد صفات
المعنى هذه وهي العجز، والكراهية بمعنى القهر وعدم
الاختيار والجهل والموت والصمم والعمى واليكم . مستحيلة
عليه تعالى . يدل على استحالتها على الله تعالى أنه قد وجب
اتصافه بصفات المعاني فتستحيل عليه أضدادها . يقول
الناظم رحمه الله :

ويستحيل ضد ما تقديما
من الصفات الشائعات فاعلما
لأنه لو لم يكن موصوفا
بها لكان بالسوى معروفا
وكل من قام به سواها
فهو الذي في الفقر قد تناهى
والسواحد المعبود لا يفتقر
لغيره جل الغنى المقترن
ثم يتكلم على الجائز في حقه تعالى فيقول :

وجسائر في حقه الإيجاد
والترك والإشقاء والإسماد
ومن يقل فعل الصلاح وجبا
على الإله قد أساء الأدبا
وبعد ذلك يتكلم على رؤية الله تعالى وأنها حق فيقول :

واجزم أخى برؤية الإله
في جنسة الخلد بلا تناهى
إذ الوقوع جائز بالعقل
وقد أتى فيـه دليل النقل

ومن يقل بالقوة المودعة
فذلك بدعى فلا تلتفت
لو لم يكن متصفا بها لزوم
حدوثه وهو محال فاستقم
لأنه يفضى إلى التسلسل
والبدور وهو المستحيل المنجلى
فهو الجليل والجميل والسولى
والظاهر القدوس والسرب العلى
منزه عن الحلول والجهه
والانصاف والانفصال والسفه
(يلاحظ أن اللفظ الأخير فى البيت الأخير ورد «الصفة»
بالصاد فى متن الخريدة البهية ، و «السفه» فى شرح الخريدة)
ثم يتكلم الناظم على صفات المعاني السبع وهي : القدرة
والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام فيقول :

ثم المعاني سبعة للسرائى
أى علمه المحيط بالأشياء
حياته وقدرته إرادته
وكل شىء كائن أرادته
وإن يكن بضده قد أمرا
فالقصد غير الأمر فاطرح المرا
فقد علمت أربعاً أقساما
فى الكائنات فاحفظ المقام
كلامه والسمع والأبصار
فهو الإله الفاعل المختار
وواجب تعليق ذى الصفات
حنما دواما ما عدا الحياة
فالعلم جزما والكلام السامى
تعلقا بسائر الأقسام
وقدرته إرادة تعلقا
بالممكنات كلها أخوا التقى

ثم ينتقل الناظم إلى القسم الثانى من أقسام علم التوحيد وهو النبوات فيعدد مايجب للرسول والمستحيل عليهم ، والجائز فى حقهم فيقول :

وصف جميع الرسل بالآمانه
والصدق والتبليغ والفظان
ويستحيل ضدها عليهم
وجائز كالأكل فى حقهم
إرسالهم تفضل ورحمه

للعالمين جل مولى النعمه
وبعد ذلك ينتقل الناظم إلى القسم الثالث من أقسام علم التوحيد وهو السمعيات ، وهى الأمور التى لا تؤخذ إلا بالسمع من الصادق ، ولا يستقل العقل بإدراكها ، وطريق ثبوتها الكتاب والسنة ، فيقول رحمه الله :

ويلزم الإيمان بالحساب
والحشر والعقاب والثواب
والنشر والصراط والميزان
والحوض والنييران والجنان
والجن والأملاك ثم الأنبياء
والحور والسولدان ثم الأولياء
وكل ما جاء من البشير

من كل حكم صار كالضرورى
ثم يختتم الإمام أحمد الدردير رحمه الله خريدته ببيان كيف أن كلمة الإسلام تتضمن جميع الأحكام التى جاءت فى أقسام التوحيد الثلاثة : الإلهيات ، والنبوات ، والسمعيات فيقول متحدثا عن «السير» إلى الله تعالى ، وعن أصول الطريق المستقيم العشرة وهى : التوبة ، وشكر النعم ، والصبر ، والرضا ، واتباع شيخ عارف قد سلك طريق أهل الله على يد شيخ كذلك ، والجوع ، والعزلة عن الناس ، والصمت ، والسهر ، والتفكير ، والذكر :

وينطوى فى كلمه الإسلام
ما قد مضى من سائر الأحكام
فأكثرن من ذكرها بالأدب
نرقى بهذا الذكر أعلى الرتب

وغلب الخوف على السرجاء
وسر لمولاك بلا تناء
وجدد التوبة للأوزار
لا تأسن من رحمة الغفار
وكن على آلائه شكورا
وكن على بلائه صبورا
وكل أمر بالقضاء والقدر
وكل مقدر فمما عنه مفر
فكن لله مسلما كى تسلم
واتبع سبيل الناسكين العلم
وخلص القلب من الأغيار
بالجد والقيام فى الأسفار
والفكر والذكر على الدوام
مجتنباً لسائر الآثام
مراقباً الله فى الأحوال
لترتقى مع عالم الكمالات
وقل بـ بـ رب لا تقطعنى
عنك بقاطع ولا تحرمنى
من سرك الأبهى المزيل للعمى
واختتم بخير يسارحيم الرحما
والحمد لله على الإتمام
وأفضل الصلوة والسلام
على النبى الهاشمى الخاتم
وآله وصحبه الأكرام
(متن الخريدة البهية / ١ - ٥).

يوجد مخطوطه بالمكتبة الأزهرية برقم [١١٨] ٢٢١٢

(متن الخريدة البهية فى العقائد التوحيدية لأبى البركات سيدى أحمد الدردير. ط مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده / ١ - ٥ والخريدة البهية المطبوع فى مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبي / ٢٣ - ٢٦ ، وفهرس مخطوطات المكتبة الأزهرية / ١٨٨).



مسطرتها ١٩ سطرا، في ٢٠ × ١٥ سم. (٩٨) - م تاريخ تركي).

١٢٦٩ - نسخة أخرى:

ناقصة الأول وأول الموجود منها: بلكل كه بورسالة ...
مجموعه شريفدر.

- مخطوطه في مجلد، الصفحة الأولى مجدلة بالمداد الأحمر، بقلم نسخ معتاد تمت كتابتها في ١٨ رمضان سنة ١٠٣٠ هـ في قلعة عاد الجواز، بخط محمد بن أحمد العاد الجوازي، في ٢٢١ ورقة، مسطرتها ١٧ سطرا، في ١٨,٥ × ١٢,٥ سم.

ناقصة بعض الأوراق من الوسط.

ذكر الخطاط في آخر النسخة إحصاء عن المصاحف والكتب التي نسخها والرحلة التي قام بها واستغرقت أربع سنين وثلاثة أشهر.

(١٣ معارف عامة تركي طلعت)

١٢٧٠ - نسخة أخرى أولها كالسابقة مخطوطة في مجلد مجدولة بالمداد الأحمر بقلم عادي تمت كتابتها يوم الاثنين ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٢١٣ هـ، بخط محمد ابن الحاج محمد بن محمد، في ٣٤٥ ص، مسطرتها ٢٣ سطرا، في ٢٩,٥ × ٢٠,٥ سم.

* خريدة العجائب وفريدة الغرائب:

قال حاجي خليفة وقد حمل على الكتاب ومصنفه:

خريدة العجائب وفريدة الغرائب: لزين الدين عمر بن المظفر بن السوردي المتوفى سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة وهو مجلد نصف أوله [النصف الأول منه] في ذكر الأقاليم والبلدان والباقي في بعض أحوال المعدن والنبات والحيوان لكنه أورد في أوله دائرة مشتملة على صور الأقاليم والبحار زعما منه أنه كذلك في نفس الأمر وهو الضلال البعيد عن الحق المطابق للواقع فإن الرجل ليس من أهل فن جغرافيا وتصويره لا يقاس على سائر النقوش والتصاویر ومع ذلك أورد فيه أخبارا واهية وأمورا مستحيلة كما هو دأب أهل العربية والأدباء الغافلين عن العلوم العقلية ثم إن هذا الكتاب متداول بين أصحاب العقول القاصرة كأمثاله أوله الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب ... إلخ ولعل المصنف أشار إلى أن هذا التأليف وأمثاله من الذنوب، وترجمته بالتركية لرجل من الأروام نقله بالتماس من عثمان بن إسكندر باشا.

(كشف ١/ ٧٠١).

قالت المؤلفة: الترجمة التركية التي أشار إليها حاجي خليفة أعلاه يوجد مخطوطها بدار الكتب القومية وقد أدرج في الفهرس تحت عنوان «الجريدة الجديدة» وجاء بيانه كما يلي، وقد احتفظنا بأرقام النسخ كما وردت في الفهرس:

١٢٦٨ - الجريدة الجديدة:

وهو ترجمة خريدة العجائب وفريدة الغرائب.

تأليف زين الدين عمر بن المظفر بن السوردي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ.

ترجمة محمود الخطيب من علماء القرن العاشر الهجري

شرع فيها سنة ٩٧٠ هـ، بإشارة والتماس بعض إخوانه وقدمها إلى عثمان باشا بن إسكندر باشا. أولها: الحمد لله غافر الذنب، قابل التوب ... أما بعد قد أشار إلى العبد الفقير ... بلكل كه بورسالة لطيفة ومجموعة شريفة ... إلخ. نسخته مخطوطة في مجلد، بقلم فارسي، تمت كتابتها في ٢٠ جمادى الآخرة سنة ٩٨٦ هـ بخط محمد، في ... ورقة،

قالت المؤلفة: النسخة التي عندي طبع مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون. الطبعة الأخيرة. بدون تاريخ وتقع في ٢٨٠ صفحة من القطع الصغير.

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٧٠١، وفهرس المخطوطات التركية العثمانية التي اقتنتها دار الكتب القومية منذ عام ١٨٧٠ حتى نهاية عام ١٩٨٠ م، ١ / ٣٢٦، ٣٢٧، ومجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة في المغرب. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١ / ٧٣).

ملاحظة: الصورة المصاحبة لهذه المادة تبين الدائرة التي بأول كتاب خريدة العجائب والمشتملة على صور الأقاليم كما سبق ذكر ذلك في مخطوط الخزانة العامة بالرباط المبين أعلاه، وتقع في نسختي صفحة ٤.

* الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية:

من مصنفات التراث الإسلام في الأدب
مخطوط في المتحف العراقي

الرقم ٣١٣٨٥ / ٢

لأبي الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني
الآلوسي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ ١٨٥٤ م.

الأول: (يا علي أنت المخصوص بالحمد سرا وجهرا،
والمقصود عليه بديع المدح نظما ونثرا ...)

وهي شرح على القصيدة العينية لعبد الباقي العمري
المتوفى سنة ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١ م، فرغ منها الشارح سنة
١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م.

نسخة جيدة، كتبت سنة ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٧ م.

٢٢٠ ص. ١٥ × ٢٠ سم. ١٧ س.

معجم المؤلفين ١٢ / ١٧٥ معجم ٤، الأعلام ٧ / ١٧٦
طبعت على الحجر.

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي - أسامة ناصر النشبدى
وظبياء محمد عباس / ١٥٦، ١٥٧).

* خريدة الفوائد وجريدة الفرائد:

خريدة الفوائد وجريدة الفرائد: لمحمد بن أحمد
الدمشقي خطيب العادلية بحلب وهو مختصر أوله: الحمد لله
محمود الفعال ... إلخ ذكر فيه أنه ألفه لمحمود باشا ورتب
على أربعة أبواب الأول في نصيحة الحكام، والثاني فيما

بها ثلاث صور بالألوان: صورة للأرض، صورة مقياس
النيل، دائرة بها صورة الكعبة الشريفة.

(١٥٩ البلدان التيمورية)

١٢٧١ - نسخة أخرى أولها كالسابقة مخطوطة في مجلد،

بقلم تعليق، بدون تاريخ، في ١٥٤ ورقة، مسطرتها ٢١
سطرا، في ١٩ × ١٣ سم.

بعض أوراقها ناقصة من آخرها.

(٤٢٩٢ س)

(فهرس المخطوطات التركية العثمانية ١ / ٣٢٦، ٣٢٧)

ويوجد مخطوط خريدة العجائب في الخزانة العامة
بالرباط وجاء بيانه كما يلي:

٥٨٠ د - خريدة العجائب وفريدة الغرائب - تأليف أبي
حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر المعروف بابن
الوردى الشافعي، المولود بمعرة النعمان سنة ٦٨٩، والمتوفى
سنة ٧٤٩ هـ.

١٠٨٨ د - نسخة أخرى منه -

بها ورقات ١٣٣، مسطرتها ٢٠، مقياسها ٢٧٠ / ١٨٠.

فرغ منها عام ١٢٩٠، خطوط مغربية مختلفة.

أوله: قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله،
الحمد لله غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب، عالم
الغيب، كاشف الريب، مذل الصعاب.

ذكر فيه الأقاليم والبلدان، وما فيها من العادات والنبات
والحيوانات. بأوله دائرة مشتملة على صور الأقاليم.

به ورقات ١٨٠، مسطرتها ٢١، مقياسه ٣١٠ / ٢٠٠.

وكان الفراغ من كتابته يوم الأحد في سلخ شهر شعبان
المعظم سنة ١١١٣، على يد إسماعيل بن محمد، خط
مشرقي جيد.

تكلم عنه بروكلمان في ملحقه ج ٢ ص ١٦٣، وسركيس
في معجمه ص ٢٨٤.

طبع موسوما بذكر البلدان والأقطار من خريدة العجائب،
باعثاء هيلاندر (A. Hylander) ومعه ترجمة لاتينية في لوند
(أسوج) سنة ١٢٨٤، كما طبعت الخمسة أقسام الأولى منه
في جزئين ضمن ترجمة لاتينية بعناية ترينبورغ.

وذلك في أويسلا ١٨٣٥ - ١٨٣٩ م (مجموعة مختارة ق
١ / ٧٣).

يتعلق باسمه من علم الحرف، والثالث فيما يناسبه من الأوفاق والخواتيم والأدعية، والرابع فيما يلزمه من تعظيم العلم والعلماء.

(كشف الظنون ١ / ٧٠١).

✽ خريدة القصر وجريدة أهل العصر:

قال حاجي خليفة:

خريدة القصر وجريدة أهل العصر: مجلدات لعماد الدين (الوزير العلامة) أبي عبد الله محمد بن محمد الكاتب الأصبهاني المتوفى سنة ٥٥٧ هـ سيع وخمسين وخمسمائة (٥٩٧) أوله: الحمد لله مودع أرواح المعاني أشباح الألفاظ... إلخ ذكر أنه جعله ذيلًا على كتاب زينة الدهر للخطير وهو ذيل دمية القصر للباخرزي وهو ذيل يتيمة الدهر للثعالبي وهو ذيل البارح لهارون المنجم وذكر أنه أيضا أورد الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة ٥٩٢ اثنتين وتسعين وخمسمائة من أهل العراق والشام ومصر والجزيرة والمغرب وهو في نحو عشر مجلدات... ومختصره المسمى بعود الشباب ويسميه الشهاب بطرد الذباب في مجلد لمولانا علي بن محمد المعروف برضاى الرومى المتوفى قاضيا بمصر سنة ١٠٣٩ تسع وثلاثين وألف أوله: الحمد لله الذى حمده عنوان كل جريدة (كشف ١ / ٧٠٢).

توجد صورة من مخطوطه بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانها كما يلي:

لعماد الدين الكاتب الأصفهاني أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ.

(بروكلمان ١ / ٣١٥ وملحق ١ / ٥٤٨ سماه بروكلمان القصص المغرب عن الخبر المغرب عما وقع بالأندلس وثغور المغرب جزء من قسم الشام، ويشتمل أيضا على القسم الرابع فى ذكر محاسن فضلاء مصر وبلاد المغرب.

يبدأ بترجمة الأديب أبى الفضل يحيى بن سلامة الحصكفى.

وينتهى أثناء ترجمة الصالح طلائع بن رزيك.

نسخة كتبت بخط نسخى جيد مشكول، فى القرن الثامن، وهى فى ٢١٤ ورقة، ومسطرتها ١٧ سطرا.

[مكتبة جامع الباشا بالموصل ٢٠] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة ج ٢ ق ٤ / ١٥٨، ١٥٩)

كما توجد قطعة من مخطوط فى دار الكتب القطرية. نسخة بخط لا بأس به، ١٣٣ ورقة، ١٨ × ٢٨ سم، مسطرتها ٢٢ سطرا (مخطوطات دار الكتب القطرية ق ٣ / ١٠١)

طبعت الكتاب لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥١، تحقيق أحمد أمين وشوقى ضيف وإحسان عباس (الأعراب الرواة / ٣٣١).

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٧٠٢، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ ج ٢ ق ٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م / ١٥٨، ١٥٩، والمنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣ / ١٠١، والأعراب الرواة - د. عبد الحميد الشلقاني / ٣٣١).

✽ الخريدة والدرّة الفريدة فيما ورد عن الحفاظ من مثلث الألفاظ:

(ورد عنوانها أيضا «الخريدة والدرّة النضيدة» وكذلك «مثلثات» فى اللغة).

المؤلف: إبراهيم بن محمد سعيد بن مبارك فته، المكي (ت ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م).

قاض فاضل، من أهل مكة. ولى القضاء بمكة سنة ١٢٨٣ هـ، واستمر إلى أن توفى. صنف جملة كتب. أخباره فى: «الأعلام» ١ / ٦٧، وقد رجع بشأنه إلى «نظم الدرر» مخطوط، «معجم المؤلفين» ١ / ٩٥.

أولها: «البسمة...»

حمداً لبارئ النسم

وذى البقاء والقبلى

وقال: «وهذه أرجوزة (فى ٢٣ بيتا)، من درة منظومة فى جمعها، شبيهة مثلثات قطرب».

قال «عبد الملك بن مروان»، لـ «أيمن بن خريم الأسدي»: إن أباك كانت له ضُحبة ولعمَّك، فخذ هذا المال وأنطلق فقاتل «أبن الزبير». فأبى، وقال:

[وافر]

ولستُ بقاتلٍ رجلاً يُصلّي
على سلطانٍ آخر من قُرَيش
لله سلطانٌ عليه وعلى ورزى
معادُ الله من سَفْهٍ وطيش
أأقتلُ مؤمناً وأعيش حياً
ولستُ بنافعٍ ما عشتُ عيشي
(المعارف لابن قتيبة - حققه وقدم له د. ثروت عكاشة / ٣٤٠).

* الخز:

جاء في اللسان: الخز: معروف من الثياب مشتق منه، عربى صحيح، وهو من الجواهر الموصوف بها؛ حكى سيويه: مررتُ بسُرْجٍ خَزٍّ صفته... والجمع خزوز. ومنه قول بعضهم: فإذا أعرابى يرفُلُ في الخزوز، ويأثقه خَزَز. وفي حديث علي كرم الله وجهه: نهى عن ركوب الخز والجلوس عليه. قال ابن الأثير: الخز: المعروف أولاً ثياب تُسج من صوف وإبريسم (انظر هذه المادة في م ١٧٨، ١٧٩) وهي مباحة. قال: وقد لبسها الصحابة والتابعون، فيكون النهي عنها لأجل التشبه بالعجم وزى المترفين. قال: وإن أُريد بالخز النوع الآخر، وهو المعروف الآن، فهو حرام، لأنه كله معمول من الإبريسم. قال: وعليه يُحمل الحديث الآخر: «قوم يستحلون الخز والحري» (اللسان ١٢ / ١١٤٩).

وقد أدرج داود الأنطاكي في تذكرته مادة بعنوان «خز» فقال: ليس هو الحرير كما ذكر بعضهم بل هو دابة بحرية ذات قوائم أربع في حجم السنانير لونها إلى الخضرة، يعمل من جلدها ملابس نفيسة تتداولها ملوك الصين، حارة يابسة في الثانية، تنفع من النقرس والفالج وضعف المعدة والأمراض البلغمية، ووبرها يلحم الجراح ويقطع الدم وضغماً، ويسد الفتوق أكلاً، ولبسها يبرئ الجذام والحكة (التذكرة ١ / ١٣٩).

آخرها: «تمت هذه المثلثات والحمد لله والصلوات على سيد الكائنات، يوم الجمعة يوم السابع عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٢٨».

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة ضمن مجموع [الرقم ٧ - ١٣٧١٦ مجاميع] في مكتبة الأوقاف العامة - ببغداد («فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد» ٣: ٢٢٢-٢٢٣، تسلسل ٥١٤٥).

وهي بخط التعليق «فارسي» ١٧ ق، ٢٣ س.

(٢٠ / لغة)

(مخطوطات المجمع العلمي العراقي - ميخائيل عواد، ١ / ١٥٢، ١٥٣).

* الخريف:

قال القزويني عن هذا الفصل من فصول السنة:

وأما الخريف فهو وقت نزول الشمس في أول الميزان فعند ذلك استواء الليل والنهار مرة أخرى ثم ابتداء الليل بالزيادة، والربيع زمان استواء الأشجار وربو النبات وظهور الأشجار، فبالخريف ذبول النبات وتغير الأشجار وسقوط أوراقها، فحينئذ برد الماء وهبت الشمال وتغير الزمان ونقصت المياه وجفت الأنهار وغارت العيون ويشت أنواع النباتات، وماتت الهوام وانحجرت الحشرات وانصرف الطير والوحش لطلب البلدان الدفيئة، وادخر الناس قوت الشتاء ودخلوا البيت ولبسوا الجلود الغليظة من الثياب وتغير الهواء وصارت الدنيا كهلة تولت عنها أيام الشباب، ولا تزال كذلك إلى أن تبلغ الشمس آخر القوس، وقد انتهى الخريف وأقبل الشتاء.

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ٦٣، ٦٤).

* خُرَيْم بن قَاتِك الأسدي:

هو من «بنى أسد». صاحب النبي ﷺ - فرؤى عنه... وابنه: أيمن بن خُرَيْم، الشاعر.

وكان أبرص. وكان مع «بنى مروان» يُسامرهم ويؤاكلهم.

حدثني سهل بن محمد، قال حدثنا الأصمعي، قال:

حدثنا زكريا الحبطي، عن أبيه، قال:

(لسان العرب لابن منظور ١١٤٩٨٢، وتذكره أولى الأبواب لداود بن عمر الأنطاكي ١/ ١٣٩).

* خزاعة:

أفرد التقى الفاسي الباب الحادي والثلاثين للكلام على خبر خزاعة ولاية مكة في الجاهلية ونسبهم ومدة ولايتهم لمكة ننقل بعضها مما جاء فيه فيما يلي:

ذكر نسبهم:

أما نسبهم فاختلف فيه قليل: إنهم من عدنان، ومن ولد قمعة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. واسم قمعة عمير ورجح ذلك ابن حزم في الجمهرة، واحتج له بأحاديث تقوم بها الحجة، وقيل: من ولد الصلت بن النضر ابن كنانة، ذكر هذا القول ابن قتيبة فيما نقله عنه القطب الحلبي. ونص كلامه: قال ابن قتيبة: وأما النضر بن مالك، فهو أبو مالك، والصلت. وأما الصلت فصار إلى اليمن ويقول قوم: إنه أبو خزاعة. ورجعت قريش إلى مالك بن النضر فهو أبوها كلها. اهـ. وليس كل خزاعة على هذه المقالة من ولد الصلت وإنما بعضهم من ولده لأن ابن إسحاق قال في السيرة: والذين يعزون إلى الصلت بن النضر ابن خزاعة فبنو مليح بن عمرو، رهط كثير عزة. وأنشد ابن إسحاق في ذلك شعرا، وقيل: إنهم من قحطان. والقول الأول نسب لنسب مضر لأن ابن إسحاق قال في سيرته: وأما قمعة فيزعم نسب مضر أن خزاعة من ولد عمرو بن يحيى بن قمعة بن إلياس. اهـ. ونقل ابن عبد البر عن ابن إسحاق قال: وخزاعة بن ربيعة حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث، وخندف أمنا وإنما سميت خزاعة لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر، حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام، فنزلوا بمر الظهران (هو وادي فاطمة كما يسميه الحجازيون اليوم) فأقاموا بها اهـ.

وما ذكر أن خزاعة من قحطان، أبو عبيدة، معمر بن المثنى، لأنه قال فيما نقله عنه الزبير بن بكار: فلما لم تتناه جرحهم عن بغيتهم وتفوق أولاد عمرو بن عامر من اليمن، فانخزع بنو حارثة بن عمرو بن عامر، فأوطنوا تمة. وسميق

خزاعة خزاعة كعب، وفتح وسعد وعوف وعدى بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، وأسلم وملكبان ابن قصي ابن حارثة بن عمرو بن عامر اهـ. وقال ابن الكلبي: عمرو بن لُحَي هو أبو خزاعة كلها منه تفرقت وذكر أن لُحَيّا هو ربيعة ابن حارثة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن، بن الأزد، بن الغوث بن نبت، بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقال ابن الكلبي: قوله عمرو بن ربيعة يعني عمرو بن لُحَي كعبا بطن وملحا بطن. وعديا بطن، وعوفا وسعدا وكل من ولد ربيعة بن حارثة فهم خزاعة. وإنما قيل لهم خزاعة: لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر تخلفوا عنهم وفارقوهم، وكذلك يقال أيضا: لبنى أقصى بن حارثة لأنهم تخزعوا من ولد مازن بن الأزد في إقبالهم من اليمن. ثم تفرقوا في البلدان وفي خزاعة بطون كثيرة.

وقال محمد بن عبدة بن سليمان النساب: اختلفت خزاعة على أربعة شعوب، فالشعب الأول ربيعة بن حارثة بن عمرو ابن عامر، الأسن بن ربيعة، وهم بنو جفنة. ويقال جفينة الذين بالشام من غسان، والشعب الثاني: أسلم بن أقصى. والشعب الثالث: ملكبان. والشعب الرابع مالك بن قصي بن حارثة بن عمرو بن عامر. وقال: وإنما قيل لهم خزاعة لأنها تخزعت عن عظم الأزد والانخزع الثعاعس والتخلف، فأقامت بمر الظهران؛ بجنابت الحرم وولوا حجابة البيت دهرا، وما نقلناه عن أبي عبيدة وابن الكلبي نقله عنهما ابن عبد البر في كتاب له في الأنساب وقد ظهر بذلك وفيما ذكرناه عن أبي عبيدة وابن هشام أن خزاعة على القول بأنهم من قحطان من ولد حارثة بن عمرو بن عامر وذلك يرد ما ذكره السهيلي في الروض الأنف، لأنه ذكر في غير موضع من كتابه هذا ما يقتضي أن خزاعة من ولد حارثة بن ثعلبة بن عامر، لأنه قال: وأسلم إخوة خزاعة، وهم بنو حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر، ذكر ذلك لما تكلم على الحديث الذي احتج به على أن قحطان من عدنان. وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «ارموا يابني إسماعيل، فإن أباكم كان راميا» حين

حزم: ليس هذا مخالفا لما قبله إذ قد ينسب الولد إلى جده نسبه إضافية، كما قال النبي ﷺ: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» وحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ورأيت عمرو بن لحي بن قمععة بن خندف أبا بني كعب هؤلاء يجر قصبه في النار»، وحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت على النار، فرأيت فيها عمرو بن لحي بن قمععة بن خندف يجر قصبه في النار. وهو أول من غير دين إبراهيم عليه السلام وأشبه من رأيت به أكثم بن أبي الجون فقال أكثم: أضرني شبهه يا رسول الله؟ قال: لا، لأنه كافر وأنت مسلم» وحديث سلمة بن الأكوع، قال: خرج رسول الله ﷺ على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق. فقال: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا». وهذه الأحاديث كلها في الصحيحين. وأخرج ابن حزم منها الأول والثاني والخامس من صحيح البخاري، وأخرج الثالث من صحيح مسلم بسنده، وأخرج الرابع من طريق الدارقطني عن المحاملي، وقال ابن حزم: وأما الحديث الأول، والثالث، والرابع، ففي غاية الصحة والثبات. وأما الثاني ففيه ما فيه ولكن في الأحاديث حجة قاطعة، وكفاية. ولا يجوز تعدى القول بما فيها، فخزاعة من ولد قمععة بن مضر بلا شك وليس لأحد مع هذا الكلام وأسلم أخو خزاعة بلا شك عند أحد من النسابين. وقال: فولد قمععة بن إلياس عامر بن قمععة، وولد عامر بن قمععة قصي ربيعة، وهو لحي بن عامر ابن قمععة، وولد لحي بن عامر بن قمععة عامر بن لحي، وولد عامر بن لحي عمرو بن عامر بن لحي. وهو عمرو بن لحي نسب إلى جده. وهو أول من غير دين إبراهيم وإسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان، وولد عمرو بن عامر بن لحي كعبا بطن، وسليحا بطن. وعوفا بطن. أمهم أسدية. وعديا بطن أمه أيضا أسدية، وسعد أمه خارجة. اهـ. وإذا تقرر أن خزاعة من مضر فلا يظهر تسميتها لخزاعة معنى، وإذا كانوا من قحطان فذلك لانخزاعهم عن قومهم بمكة. والانخزاع هو المفارقة، وفي ذلك يقول عسوف بن أيوب الأنصاري الخزرجي:

قال ذلك لقوم من أسلم بن أفصى وأهم النبي ﷺ يرمون. وقاله السهيلي أيضا: لما تكلم على حديث عمرو بن لحي، وقد تقدم في نسب خزاعة وأسلم أنهما ابنا حارثة بن ثعلبة اهـ. وقد وافق السهيلي على ما ذكره في خزاعة صاحب الاكتفا الحافظ أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعي، وقد ذكر ابن حزم في الجمهرة (هو جمهرة أنساب العرب) ما يخالف ما ذكره السهيلي في ثعلبة لأنه قال: لما ذكر أولاد عمرو بن عامر، وثعلبة الصيصاء بن عمرو من ولده الأوس والخزرج اهـ. وابن حزم أقعد من السهيلي بالأنساب لأنه ممن يعول عليه فيها، كيف وفي كلام غيره من أئمة النسب ما يقتضي أن جد خزاعة على القول بأنهم من قحطان حارثة بن عمرو لا ثعلبة بن عمرو، وذكر السهيلي وجهها في الجمع بين قول من قال: إن خزاعة من مضر وبين قول من قال: إنهم من قحطان لأنه قال: وقول النبي ﷺ ارموا يا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميا» وهو معارض بحديث أكثم بن أبي الجون في الظاهر إلا أن بعض أهل النسب ذكر أن عمرو بن لحي كان حارثة قد خلف على أمه بعد أن تأيمت من قمععة ولحي صغير، ولحي هو ربيعة فتبناه حارثة وانتسب إليه فيكون النسب صحيحا بالوجهين جميعا إلى حارثة بالتبني وإلى قمععة بالولادة، وكذلك أسلم بن أفصى بن حارثة فإنه أخو خزاعة، والقول فيه كالقول في خزاعة، وقيل في أسلم بن أفصى بن حارثة أنه من بني أبي حارثة بن عامر أو من بني حارثة اهـ. وهذا الجمع يتجه أنه كان الممتزج لأم لحي حارثة بن عمرو بن عامر. لا حارثة بن ثعلبة بن عمرو لما سبق في ذلك.

وقد بين ابن حزم نسب خزاعة على القول بأنهم من مضر وبين الحجة على ذلك فنذكر ما ذكره لما في ذلك من الفائدة. فأما ما احتج به ابن حزم على أن خزاعة من مضر فهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «رأيت عمرو بن عامر بن لحي، يجر قصبه في النار». وكان أول من سيب السوائب، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «عمرو بن لحي بن قمععة بن خندف أبو خزاعة» قال ابن

فَلَمَّا هَبَّطْنَا بَطْنَ مُرْتَخَزَعَتْ

خَزَاعَةُ مَنَا فِي حُلُولِ كِرَاكِر
حَمَتْ كُلَّ وَادٍ مِنْ تَهَامَةٍ وَاحْتَمَتْ

بَصْمُ الْقَنَّا وَالْمَرْهَفَاتِ الْبَوَاتِر
هكذا ذكر ابن هشام في السيرة هذين البيتين لعوف بن
أيوب الأنصاري، وقال: هذان البيتان له في قصيدة،
وأشدهما الأزرقى لحسان بن ثابت الأنصاري، وذلك في خبر
طويل رواه عن أبي صالح ذكر فيه خبر جرهم وخزاعة، وفيه
قال حسان بن ثابت الأنصاري يذكر انخراع خزاعة بمكة
ومسير الأوس والخزرج إلى المدينة، وغسان إلى الشام:

فَلَمَّا هَبَّطْنَا بَطْنَ مُرْتَخَزَعَتْ

خَزَاعَةُ مَنَا فِي حُلُولِ كِرَاكِر
حَمَّوْا كُلَّ وَادٍ فِي تَهَامَةٍ وَاحْتَمَوْا

بَصْمُ الْقَنَّا وَالْمَرْهَفَاتِ الْبَوَاتِر
فَكَانَ لَهَا الْمَرْبَاعُ فِي كُلِّ غَارَةٍ
يَنْجِدُ وَفِي كُلِّ النَّجَاجِ الْغَوَابِر
وَنَحْنُ ظَلَلْنَا فِي اجْتِهَادٍ وَهَجَرَةٍ

وَأَنْصَارُنَا جُنْدُ النَّبِيِّ الْمُهَاجِرِ
وذكر بقيتها وهي تسعة أبيات تتضمن مدح الأنصار
وغسان.

ذكر سبب ولاية خزاعة لمكة في الجاهلية

قد سبق في أخبار جرهم ابتداء ولاية خزاعة لمكة؛
واختلاف ما ذكره ابن إسحاق والكلبي في سبب ولايتهم لمكة
فأغنى ذلك عن إعادته ونذكر ههنا غير ما سبق مما يقتضي
ذلك. قال الفاكهي، بعد أن روي في هذا المعنى أخبارا:
قال ابن أبي سلمة، وابن إسحاق في حديثهما: فلم يزل الأمر
بجرهم، وغبشان وبكر حتى اقتتلوا فغلبتهم بكر وغبشان
وظهروا عليهم، ووطئوهم، ونفوههم من مكة إلى ما حولها،
وولوا عليهم البيت وما كانوا يلون بمكة من الحكم وغيره اهـ.
وذكر الزبير وغيره من أهل الأخبار ما يقتضي أن سبب ولاية

خزاعة للبيت غير ما ذكره ابن إسحاق، وذلك أن امرأة من
خزاعة يقال لها قدامة كانت متزوجة في بني إباد بن نزار نظرت
إلى بني إباد لما دفنوا الحجر الأسود حين خرجوا إلى العراق
بعد أن تعذر عليهم حملها فإنهم لم يحملوه على شيء إلا
عجز. ففقدت مضر الركن. فعظم ذلك في نفوسها، ورأت
المرأة الخزاعية عظم مشقة ذلك. فأمرت قومها أن يأخذوا
على مضر أن يولوهم حجابة البيت وتدلهم المرأة على الركن
ففعلوا ذلك، ووافقتهم عليه مضر، ودلتهم المرأة على الحجر
الأسود، فابتحنوه من تحت الشجرة وأعيد إلى مكانه ووليت
خزاعة بعد ذلك. ولم يبرح في أيديهم حتى قدم قصي؛ هذا
معنى ما ذكره الزبير والكلبي في هذا الخبر وقد سبق قريبا،
وبان بذلك أن سبب ولاية خزاعة للبيت غير ما ذكره ابن
إسحاق. والله أعلم بالصواب.

ذكر مدة ولاية خزاعة لمكة في الجاهلية

قال الأزرقى فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: قال: حدثني
جدى، قال: حدثنا سعد بن سالم. عن عثمان بن ساج عن
ابن جريج، وعن أبي إسحاق يزيد أحدهما على الآخر. قال:
قامت خزاعة على ما كانت عليه من ولاية البيت، والحكم
بمكة ثلاثمائة سنة، وكان بعض التبابعة قد سار إليه وأراد
هدمه وتخريبه، فقامت دونه خزاعة فقاتلت عليه أشد القتال
حتى رجع، ثم آخر كذلك. وقال الأزرقى أيضا فيما رويناه عنه
بالسند المتقدم: حدثني جدى، قال: حدثنا سعيد بن سالم
عن عثمان بن ساج عن الكلبي عن أبي صالح فذكر خبرا
طويلا في خبر جرهم وخزاعة، قال فيه: فكان عمرو بن لحي
على البيت وولده من بعده خمسمائة سنة، حتى كان آخرهم
جليل ابن حبشية ابن سلول بن كعب فزوج إليه قصي ابنته من
ابنه جليل وكانوا هم حجابة وخزانه والقوام به وولاية الحكم
بمكة وهو عامر ولم يخرب فيه خراب ولم تبني خزاعة فيه شيئا
بعد جرهم ولم يسرق منه شيء علمناه ولا سمعنا به، وترادفوا
على تعظيمه والذب عنه، وقال في ذلك عمرو بن الحارث بن
عمرو الغبشاني:

فزعمو أن عمرو بن لحي أخرج ذلك الجرهمي من مكة
فنزل بإضام من أعراض مدينة النبي ﷺ فقال الجرهمي وتشوق
إلى مكة :

ألا ليت شعري هل أبين ليلى

وأهلي معا بالمأزمين حلول

وهل أرين العيس تنفخ في الثرى

لهي بمنى والمأزمين زميل

منازل كنا أهلها لم يحل بنا

زمان بها فيها أراه يحول

مضى أولونا قانعين بشأنهم

جميعا وغالتنا بمكة غول

(العيس : الإبل . الزميل : صوت الإبل في حداثها) وقيل :

إن أول ملوك مكة من خزاعة ، لحي : وهو ربيعة بن حارثة بن
عمرو بن عامر والد عمرو بن لحي السابق ذكره ، وهذا القول
ذكره الأزرقى لأنه روى بسنده خبرا طويلا في خروج جرهم من
مكة . وولاية خزاعة لهم بعدهم ، وفيه بعد أن ذكر تفرق أولاد
عمرو بن عامر في البلاد : وانخرعت خزاعة بمكة فأقام بها
ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحي فولى أمر مكة
وحجابه البيت انتهى . وقيل : إن أول ملوك خزاعة بمكة عمرو
ابن الحارث الغبشاني ، ويدل لهذا القول ما ذكره الزبير بن
بكار عن أبي عبيدة ، لأن في الخبر الذي ذكره في إخراج
خزاعة لجرهم من مكة بعد قوله : وولى البيت عمرو بن ربيعة
ابن حارثة بن عمرو بن عامر . وقال أبو قصي : بل وليه عمرو
ابن الحارث بن عمرو أحد بني غبشان بن سليم بن بني ملكان
ابن قصي وولى البيت وهو الذي يقول :

ونحن ولينا البيت من بعد جرهم

لنعمره من كل باغ وملحد

وقال أيضا :

واد حرام طيره ووحشه

ونحن ولاتيه فلا نغشه

ويرى :

نحن وليناه فلا نغشه

وزاد غير أبي عبيدة :

وابن مضاض قائم يهشه

ونقل الفاكهي ما يقتضي : أن عمرو بن الحارث أول من
ولى البيت لأنه قال : قال الواقدي (صاحب كتاب فتوح الشام
ت نحو ٢١٦ هـ) : وحدثني حرام بن هشام عن أبيه قال : أول
من وليه من غبشان من خزاعة ، وكان الذي وليه منهم عمرو
ابن الحارث بن لؤي بن ملكان بن قصي ، نصب هبل صنما
بمكة . فقال الحارث بن مضاض وهو يعظ عمرا :

يا عمرو لا تفجر بمكة

إنها بلد حرام

فتحصل من هذه الأخبار ثلاثة أقوال في أول من ولي مكة
من خزاعة هل هو عمرو بن لحي كما ذكر أبو عبيدة
والفاكهي ؟ أو أبوه لحي كما ذكر الأزرقى ؟ أو ابن الحارث
الغبشاني ، كما ذكر أبو عبيدة وابن الكلبي ؟ والله أعلم .

وتحصل من هذا فيمن نصب هبل قولان : أحدهما أنه
عمرو بن لحي ، وهو القول المشهور . والآخر عمرو بن
الحارث الغبشاني كما نقل الواقدي عن ابن الكلبي .

ورأيت في «المورد العذب الهني» في شرح سيرة عبد
الغنى «للحافظ قطب الدين الحلبي في ذلك قولاً ثالثاً ، لأنه
قال : لما ذكر خزيمة جد النبي ﷺ : وخزيمة هو الذي نصب
هبل على الكعبة وكان يقال : هبل خزيمة هكذا ذكر ابن الأثير
اهـ .

وذكر ابن إسحاق ما يقتضي أن غبشان من خزاعة انفردت
بالكعبة دون بكر بن عبد مناة بن كنانة لأنه قال بعد أن ذكر
إخراج بني بكر وغبشان لجرهم من مكة : ثم إن غبشان من
خزاعة وليت البيت دون بني بكر بن عبد مناة ، وكان الذي يليه
منهم عمرو بن الحرث الغبشاني ، وقريش إذ ذاك حلول
وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة ، فوليت خزاعة
البيت يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى كان آخرهم حليل ابن
حبشية ابن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي اهـ .

وذكر الفاكهي عن ابن إسحاق ما يقتضي أن بني بكر لم

قال : فوليت خزاعة البيت زمانا طويلا ، وهم أخرجوا أسافا ونائلة من الكعبة فوضعوهما على زمزم (انظر مادة «أساف ونائلة» في م ٤ / ١٤١ ، ١٤٢) وذكر الفاكهي خبرا يقتضى بأن قيس بن غيلان أرادوا إخراج خزاعة من مكة فلم يتم لهم أمر لأنه قال بعد أن ذكر شيئا عن الواقدي : فلما مات عمرو بن لحي ولى البيت من بعده كعب بن عمرو فاجتمعت قيس على عامر بن الظرب العدواني ، فسار بهم إلى مكة ليخرج خزاعة ، فقاتلتهم خزاعة فانهزمت قيس ووليت خزاعة البيت لا ينازعهم أحد . اهـ . واستفدنا من هذا الخبر ولاية كعب بن عمرو بن لحي للبيت بعد أبيه عمرو .

وذكر الفاكهي لبعض عدوان شعرا نال فيه من خزاعة لأن بعض خزاعة قال شعرا تعرض فيه لعدوان فيما يظهر والله أعلم . ونص ما ذكره الفاكهي وقال حليل :

نحن بنو عمرو ولالة المشعر
نذب بالمعروف أهل المنكر
حسا ولسنا بهذا المحصر
وقال : وأجابه نصر بن الأحت العدواني :

إن الخنساء منكم وقبول المنكر
جئناكمو بالسرحف في المسنور
بكل ماض في اللقاء مسعر
وذكر الفاكهي : عن حليل ابن حبشية هذا شعرا آخر ، لأنه قال : وقال حليل ابن حبشية :

واد حرام طيره ووحشه
وابن مضاض قسائم يهشه
وقد سبق فيما ذكره الفاكهي عن ابن إسحاق أن عمرو بن الحرث الغبشاني هو الذي يقول :

نحن وليناه فلم نغشاه
وابن مضاض قسائم يهشه
ولعل حليلا قال ذلك استشهادا فيتنفى التعارض والله أعلم . وحليل هذا آخر من ولى البيت وأمر مكة من خزاعة

تل مع غبشان البيت ، وإنما كانت بكر عضدا لغبشان ، وأفاد في ذلك غير ما سبق فافتضى ذكر ما ذكره ونص كلامه : حدثنا عبد الله بن عمران المخزومي قال : حدثنا سعيد بن سالم ، قال : قال عثمان يعنى ابن ساج : أخبرني محمد بن إسحاق ، وحدثني عبد الملك بن محمد ، عن زياد بن عبد الله ، عن ابن إسحاق ، يزيد أحدهما على صاحبه في اللفظ ، قال : ثم إن غبشان من خزاعة وليت البيت من بعد جرهم دون بكر بن كنانة فكانت بكر لهم عضدا وناصرًا ممن بغى عليهم . وقد حاربتهم ، وقريش إذا ذاك حلول وأصرام وهم بيوتات متفرقون في قومهم من بنى كنانة . وكان الذي يلى البيت من غبشان عمرو بن الحارث بن لؤى بن ملكان بن قصي وهو الذي يقول :

نحن وليناه فلم نغشاه
وابن مضاض قسائم يهشه
يأخذ ما يهدى له يعشه
نترك مال الله لا نمسه
وقال أيضا :

نحن ولينا البيت من بعد جرهم
لنمنعه من كل باغ وظالم
ونمنعه من كل باغ يسريسه
فيرجع منا عنده غير سالم
ونحفظ حق الله فينه وعهدنا
ونمنعه من كل باغ وآثم
وتترك ما يهدى له لا نمسه
نخاف عقاب الله عند المحارم
وكيف نريد الظلم فينه وربنا
بصير بأمر الظلم من كل غاشم
فوالله لا ينفك يحفظ أمره
ويعمره ما حج أهل المواسم
ونحن نفينا جرهما عن بلادها
إلى بلدة فيها صنوف المآثم

على ما ذكره الفاكهي فيما رواه بسنده عن عائشة وابن إسحاق وغيره من أهل الأخبار.

وذكر الفاكهي خبرا يقتضي أن أبا غبشان الخزاعي كان شريك حليل في الكعبة، وأبو غبشان هو على ما ذكره الزبير عن الأبرم عن أبي عبيدة: سليم بن عمرو بن لؤي بن ملكان ابن أفصى (مضى ذكره على أن اسمه قصي) بن حارثة ابن عمرو بن عامر، ونص الخبر الذي ذكره الفاكهي قال الواقدي: وسمعت ابن جريج يقول: كان حليل يفتح البيت، فإذا اعتل أعطى ابنته المفتاح حتى تفتحه، فإذا اعتلت أعطت زوجها قصيا يفتحه. وكان قصي يعمل في أخذ البيت وحيازته إليه. وذكر قطع خزاعة منه وكان شريك حليل فيه أبو غبشان وكان حليل يتنزه عن أشياء يفعلها أبو غبشان. وذكر الفاكهي خبرا يقتضي أن حليلا أوصى بولاية البيت لأبي غبشان لأنه قال: حدثنا حسن بن حسين الأزدي قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: قال عيسى بن بكر الكنانى المدنى قال: قال ابن الكلبي أو غيره: يقال: إن قصيا دعا أبا غبشان الملكاني فقال: هل لك أن تدع الأمر الذي أوصى به إلسى حبي وعبد المدان فتخلي بينهما وبينه وتصيب عرضا من الدنيا فطابت نفس أبي غبشان وأجابهم إلى ذلك فأعطاهم قصي أثوابا وأبصرة ولم يكن أبو غبشان وارثا لحليل ولا وليا إنما كان وصيًا فجاز وصيته وصيرت حبي إلى ابنها حجابة البيت ودفعت المفاتيح إليه اهـ.

وذكر الزبير بن بكار خبرا يقتضي أن حليل بن حبشية جعل لأبي غبشان فتح البيت وإغلاقه، وأن قصيا اشترى ولاية البيت من أبي غبشان بزق خمر وقعود. وهذا الخبر نقله الزبير عن الأشرم عن أبي عبيدة. وقال الزبير: قال محمد بن الضحاك: اشترى قصي مفتاح بيت الله الحرام من أبي غبشان الخزاعي بكبش وزق خمر. فقال الناس: أخسر من صفقة أبي غبشان فذهبت مثلاً اهـ.

فتحصل من هذه الأخبار، فيما اشترى به قصي من أبي غبشان ما كان له في الكعبة، ثلاثة أقوال: هل ذلك أثواب وأبصرة؟ أو هو زق خمر وقعود؟ أو هو كبش وزق خمر؟

وفي ذلك قول آخر رابع، وهو زق خمر فقط، وذكر الزبير أن أبا غبشان كان يلي البيت وأفاد الفاكهي سببا فسي بيع أبي غبشان ما كان له في البيت لأن في الخبر الذي نقله الفاكهي عن الواقدي عن ابن جريج بعد قوله «وكان يتنزه عن أشياء يفعلها أبو غبشان»: وكانت البحائر تنخر عند البيت عند أساف ونائلة، فكان أبو غبشان له من كل بحيرة رأسها والعنق ثم أنه استقل ذلك أن يرضى بذلك فقال: يزيدون الأكتاف. ففعلوا، ثم أدب لهم: فقال: يزيدون العجز، فأبى الناس ذلك عليه. فأتى رجل من بني عقيل يقال له: مرة بن كثير أو كبير بيدنة له وكانت سميئة فنهزها وأبو غبشان قائم. فقال: ابدأ بالعنق، والرأس، والكتف، والعجز. فقال العقيلي: فما بقي إذا لمن سيقت إليه؟ قال: الأكارع، قال: فرفده الناس ومن حضر من قريش وغيرهم وقالوا: عبث، كنت أولا تقول: الرأس والعنق؟ فكان هذا أخف من غيره، ثم تعديت إلى «الأكارع» فقال: لا أقيم في هذا البلد أبدا إلا على ذلك. فلما أبوا عليه. قال: من يشتري نصيبي من البيت بأداة تبلغني إلى اليمن أو بزق خمر. فاشترى نصيبه في ذلك قصي وارتحل أبو غبشان إلى اليمن. فقال الناس: أخسر من صفقة أبي غبشان.

قال الواقدي: وقد رأيت مشيخة خزاعة تنكر هذا: ونقل الفاكهي عن الزبير بن بكار ما يقتضي أن قصيا اشترى مفتاح البيت من أبي غبشان بالطائف، وهذا يخالف ما في الخبر الذي قبله، فإنه يقتضي أن شراء قصي لذلك كان بمكة.

وقد ذكر ابن عبد البر في كتاب له في الأنساب شيئا من فضل خزاعة يحسن ذكره هنا، وذلك أنه قال بعد أن ذكر نسبهم نزول خزاعة الحرم ومجاورتهم قريشا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزل القرآن بلغة الكعبيين: كعب بن لؤي وكعب بن عمرو بن لُحَي، وذلك أن دارهم كنانت واحدة، ويقال لخزاعة حلفاء رسول الله ﷺ وسلم لأنهم حلفاء بني هاشم وقد أدخلهم رسول الله ﷺ في كتاب القضية عام الحديبية حين قاضى مشركي مكة معه وأدخلت قريش بني بكر بن عبد مناة بن كنانة معهم، فوقع حرب بين خزاعة

وبين بنى بكر فأعان مشركو قريش حلفاءهم بنى بكر ونقضوا بذلك العهد. فكان ذلك سبب فتح مكة لنصر رسول الله ﷺ خزاعة حلفاءه (جاء في هامش (١): وقد أنشد عمرو بن سالم الخزاعى فى ذلك قصيدة طويلة أمام رسول الله ﷺ، ذكرناها فى غير هذا الموضع. فلما سمعها الرسول وعرف منها غدر قريش أقسم قائلا: «والله لأغزون قريشا» وروى عنه ﷺ قال يومئذ لسحابة رأها: واهها هذه السحابة تستهل بنصر ابن كعب، وأعطاهم النبى ﷺ منزلة لم يعطها أحدا من الناس، أن جعلهم مهاجرين بأرضهم وكتب لهم بذلك كتابا. اهـ. ووقع فيما ذكرناه من خبر عمرو بن لحي ذكر البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، من غير بيان لذلك، وقد بين ذلك ابن إسحاق، أما البحيرة فهى بنت السائبة والسائبة: الناقة إذا تابعت من بين عشر إناث ليس بينهن ذكر سييت فلم يركب ظهرها ولم يجر وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما أنتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذننها ثم خلنى سبيلها مع أمها، فلم يركب ظهرها ولم يجر وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها، فهى البحيرة بنت السائبة؛ والوصيلة: الشاة إذا أنتجت عشر إناث متتابعات فى خمسة أبطن ليس بينهن ذكر، جعلت وصيلة. قالوا: قد وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون الإناث إلى أن يموت منها شيء فيشركون فى أكله ذكورهم وإناثهم. قال ابن هشام: ويروى ما كان ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم. قال ابن إسحاق: والحام: الفحل إذا أنتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمى ظهره فلم يركب ولم يجر وبره وخلقى فى إبله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك. قال ابن هشام: هذا عند العرب على غير هذا إلا الحام فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق: فالبحيرة عنده الناقة تشق أذننها فلا تركب ظهرها ولا يُجر وبرها ولا يشرب لبنها إلا ضيف أو يتصدق بها ويهمل لآلهتهم. والسائبة التى ينذر الرجل أن يسيبها إذا برأ من مرضه، أو أصاب أمرا يطلبه، فإذا كان كذلك ساب من إبله ناقة أو جملا لبعض آلهتهم فسابت فصارت لا ينتفع بها؛ والوصيلة التى تلد أمها اثنين فى كل بطن فيجعل صاحبها لآلهته الإناث منها ولنفسه الذكور فتلدها أمها ومعها ذكر فى

بطونها فيقولون وصلت أخاها فيسيب أخاها معها فلا ينتفع به، حدثنى به يونس وغيره، وروى بعض من لم ير بعض. قال ابن إسحاق: فلما بعث الله رسوله محمدا ﷺ أنزل عليه ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ [المائدة: ١٠٣] وأنزل عليه ﴿وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم﴾ [الأنعام: ١٣٩] وأنزل عليه ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون﴾ [يونس: ٥٩] وأنزل عليه ﴿ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين، قل آلذكورين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤] اهـ. وقال السهيلي: فصل، وذكر البحيرة والسائبة، وفسر ذلك وفسره ابن هشام بتفسير آخر، وللمفسرين فى تفسيرهما أقوال، منها ما يقرب ومنها ما يبعد عن قولهما، وحسبك منها ما وقع فى الكتاب لأنها أمور كانت جاهلية والله أعلم.

(شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقى الدين الفاسى ٢/ ٤٤ - ٥٦)

انظر خبر عمرو بن لحي فى مادة «الأصنام» فى م ٥/ ٢١٠، ٢١١. ونوافيك بخبر عمرو بن عامر الذى تنسب إليه خزاعة فى موضعه فى حرف العين إن شاء الله تعالى.

«أبو خزامة»

قال ابن عبد البر:

أبو خزامة. اسمه رفاعه بن عرابة. ويقال: ابن عرادة العذرى من بنى عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة. ويقال فيه الجهنى، وهو بالجهنى أشهر وجهينة أخو عذرة، كان يسكن الحجاب، وهى أرض عذرة، له صحبة، عداؤه فى أهل الحجاز. روى عنه عطاء بن يسار. وقد ذكر بعضهم فى الصحابة آخر أبا خزامة بحديث أخطأ فيه رواية عن ابن شهاب. والصواب ما رواه

يونس بن يزيد، وابن عيينة، وعبد الرحمن بن إسحاق. عن الزهرى، عن أبي خزيمة، أحد بنى الحارث بن سعد، عن أبيه - أنه قال: يارسول الله، أرايت رقى نسترقىها، وتقى نتقىها، وأدوية نلداوى بها، أترد من قدر الله؟ فقال رسول الله ﷺ: هي من قدر الله. وقال غيرهم فيه، عن الزهرى، عن أبي خزيمة بن يعمر، عن أبيه، عن النبي ﷺ. وأبو خزيمة هذا من التابعين لا من الصحابة، على أن حديثه هذا مختلف فيه جدا.

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر - تحقيق على محمد البجاوى ٤ / ١٦٣٩، ١٦٤٨).

الخزامى:

أدرجه المظفر الرسولى تحت عنوان «خزم وخزامى» نقلا عن كتاب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية» لعبد الله بن البيطار الذى رمز إليه بالحرف «ع» قال:

خَزَمٌ وَخُزَامَى - «ع» الخَزَمُ والخُزَامَى: نبات ينبت فى البساتين، ذو أوراق قليلة العرض، يحمل زهرا متفرق الورق، لونه بنفسجى، بل هو أحسن من لون البنفسج، له رائحة حسنة، وهو كثير بأرض الفرس، وهم يعظمونه ويتبركون به، لأن شمه والنظر إليه يحدث سرورا، ويفرح النفس، ويزيل الغم المعترض بلا سبب، وإذا أمسك إنسان ورقه فى كفه حُبب إلى كل من ينظر إليه. والخزامى: هي خيرى البر، وهي طويلة العيدان، صغيرة الورق، حمراء الزهر، طيبة الرائحة، ليس فى الزهر أطيّب نفحة منها، تشاكل رائحة فاغية الحناء، وهو حار ملطف، مسخن للدماغ البارد إذا حمل عليه، ويشرب لسوء مزاج الكبد والطحال، وإذا بخر به أذهب كل رائحة منتنة، ويسخن الرحم، ويجفف رطوباته السائلة منها سيلانا مزمنا، ويحسن حاله، ويعين على الحمل إذا احتمل فى فرجة مجرب.

(المعتمد ١ / ١٢٥)

وقال عنه داود الأنطاكي، وقد كتب «خزاما» بالألف: خزاما نبتة لطيفة تقارب البنفسج حتى إن بصلتها إذا عكست أو شقت صليبا كانت بنفسجا كذا فى الفلاحة وهو يبدو بأذار (مارس) ويدرك بحزيران (يونية) وموضعه الجبال وبطون

الأودية وليس هو برى الخيرى بل مستقبل يزهر إلى الزرقنة واللازوردية يخلف بزرا إلى سواد ذكى الرائحة يفوق الفاغية ويقارب النسرين حار فى الثانية أو بارد فى الأولى رطب فى أول الثانية أو يابس يفتح سدد الدماغ ويقوى ويجلب زكاما كثيرا ورطوبات من الأنف ويحلل الرياح الغليظة والصداع البارد ويقوى الكبد والقلب والطحال والكلى ويدر الفضلات وينقى الأرحام ويعين على الحمل شربا وحمولا وإذا مزج به البدن طيب رائحته ومنع نتونة العرق وشد الأعصاب ودهنه المستخرج منه يقوم مقام النفط فى أفعاله وهو يصدع المحرور ويصلحه الأس وشربته إلى ثلاثة وبدله البابونج (التذكرة ١ / ١٣٩).

ونجاء فى مفتاح الفلاحة مايلى:

الخزامى (الخيرى أو المنشور)

ضرب من الرياحين، وهو خيرى البر، ويسمى بمصر المنشور وهو خيرى أصفر والبعض يسميه البابونة، طويلة العيدان، صغيرة الورق، حمراء الزهر، طيبة الريح، كرائحة فاغية الحناء، ومنابتها الرمل والرياض (مفتاح الراحة / ٣٢٧).

وقال عنه الشيخ عبد الغنى النابلسى:

يزرع بزره فى تشرين الأول (أكتوبر) والثانى وكانون الأول والثانى (ديسمبر ويناير) وهو لا يحب الماء ولا الزبل، وينقل فى شباط وآذار، ويؤخذ بزره فى آب ويحفظ، وهو أنواع، نوع طيب الريح، وهو المرماحوز، ونوع أقل ريحا منه يسمى سموما، ونوع يقال له الأبيض ويقال له الثور، ونوع بارد، ونوع حار يسمى مرماهونس. والأبيض معتدل فيه قوة مفرحة، والنوع الحار يزيل الانتفاخ وينقى البلغم، ويفتح الانسداد وينفع من الصداع البارد ووجع المعدة ويقويها ويقوى الأمعاء، وبزره ينفع من الإسهال والدوسنطارية إذا قلى. والمرماحوز برى وبستاني، وأجوده البستاني الأخضر، وهو حار يابس فى الثانية، وقيل فى الثالثة، وقيل يابس فى الرابعة، وقيل حرارته فى الأولى، وهو لطيف محلل مسكن للأرياح ويفتح الانسدادات البلغمية حيث كانت، وينشف رطوبة المعدة ويقويها، وقدر ما يؤخذ منه درهم، وهو يمنع

القيء، ويعين على الاستمرار، وشمه يجلب الصداع لكن تريقه الرياحين الباردة (علم الملاحة / ١٦٢).

(المعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٢٥، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١ / ١٣٩، ومفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول - تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، ود. إحسان صدقي العماد / ٣٢٧، وعلم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغنى النابلسي / ١٦٢. انظر أيضا المواكب الإسلامية لمحمد بن عيسى بن كنان الصالحى - تحقيق ودراسة د. حكمت إسماعيل، مراجعة محمد المصري / ٢٤٧).

* خزانات ماء الشرب بالمدينة المنورة:

قال تقي الدين الفاسي:

كان أهل المدينة المنورة في الجاهلية، وصدر الإسلام، يستقون من آبارها الشهيرة بعدوبة مائها: كبئر «بضاعة»، وبئر «أريس» وبئر «بيرحاء»، وبئر «غرس»، وبئر «رومة»، وبئر «البصة»، وبئر «السقيا» وبئر «ذروان»، وبئر «عروة» وبئر «أبي أيوب».

وما زال هذا شأن أهل المدينة المنورة، حتى انتقلت الخلافة من الكوفة إلى دمشق، وأصبح معاوية بن أبي سفيان هو الخليفة. فأحب أن يتخذ يدا عند أهل المدينة المنورة، فبعث إلى واليه فيها «مروان بن الحكم» وكان ذلك في طليعة النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وأمره بإجراء الماء من الضواحي إلى البلدة كما رأى ذلك في دمشق، وأمدة من أجل ذلك بكل ما يحتاجه من أموال ورجال وآلات وسوى ذلك.

وبعد أن استقر رأى الخبراء على أن يكون مأتى الماء من ضاحية قباء لعذوبة مياهها وغزارتها. طفقوا يحفرون الأنفاق للدليل وقد فرح أهل المدينة بذلك. وسموا عين الماء التي جرت إليهم بالعين الزرقاء نسبة إلى مروان الذي كانت عيناه زرقاوين (الدليل: هو جدول الماء، والجمع ديول، وهو اللفظ المطلق لدى أهل المدينة حتى اليوم).

وقد ظل مصدر العين الزرقاء من بئر الأزرق الواقعة غربي مسجد قباء، مدة من الزمن، ثم ضوعف ماؤها من آبار كثيرة،

وينابيع شتى، في عصور مختلفة على جملة من الأيدي البارة المحسنة.

وقد وافت عين الزرقاء المدينة المنورة وهي منخفضة، لذلك شيدت لها جملة مناهل ذات دركات يهبط منها إليها كمنهل الزكي، ومنهل درب الجنائز، ومنهل درب السلام، ومنهل حارة الأغوات ومنهل مسجد المصلى، ومن المناهل ما جعل كأبار يجذب الماء من «الدليل» بواسطة، الدلاء كمنهل أبي جيدة المواقع قريبا من الجسر. ومنهل الباب المصري، ومنهل باب بصرى. ومنهل الباب الشامي.

ولم يفت جلاله الملك سعود حين زار المدينة، أن يمد يده ويساهم في إصلاح العين الزرقاء مساهمة جليلة، حيث أصدر أمره، بإنشاء خزانات حديثة بالأسمنت المسلح، لتحفظ فيها المياه من منابعها صافية نقية، ثم توصل إلى المدينة المنورة. في الأنابيب الحديدية الخفية في جوف الأرض وتوزع فيها على محلاتها.

والذي يدلنا على اهتمام جلاله الملك بمشروع خزانات العين الزرقاء، وضعه الحجر الأساس بيده. وقد دس فيه جملة من النقود الذهبية والفضية وبعض الوثائق التاريخية والخرائط، وجملة من أعداد جريدة المدينة المنورة. وبالله التوفيق اهـ.

(شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين الفاسي ٤٣٠، ٤٣١).

* خزانة الأدب وغاية الأرب:

من مخطوطات الأدب بخزانة المدرسة الأحمدية (في محلة الجلوم - البهراقية) بحلب، وهي الآن تحت رعاية الأوقاف - وجاء بيان المخطوط كما يلي:

١٠ - خزانة الأدب وغاية الأرب - أو شرح بديعية ابن حجة الحموي.

- تأليف: أبي بكر علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموي ٧٦٧ - ٨٣٧ هـ - ١٣٦٦ - ١٤٣٤ م.

- شرح فيه قصيدته البديعة التي أسماها «تقديم أبي بكر» وعدد أبياتها مائة وثلاثة وأربعون بيتا وهي مشتملة على مائة وستة وثلاثين نوعا، وهذا الشرح من أجل كتب المجاميع

الأدبية لما اشتمل عليه من الشواهد والنوادر. وقد أتم تأليفه سنة ٨٢٦ هـ.

— أوله بعد البسملة: قال الشيخ ... أبو المحاسن تقي الدين ... أبو بكر بن حجة ... الحمد لله البديع الرفيع الذي أحسن ابتداء خلقنا بصنعه ... ».

— آخره: « ... ولا ضمه صدر كتاب وأنا أسأل الله حسن الخاتمة ببركة الممدوح عليه أفضل الصلاة والسلام. قال المصنف رحمه الله وكان الفراغ من هذا التصنيف المبارك في شهر ذي القعدة الحرام سنة ست وعشرين وثمانمائة والحمد لله وحده ».

— النسخة جيدة قريبة من عهد مؤلفها، تمت نساختها سنة ٨٨٤ هـ. خطها تعليق معتاد، وأبيات المتن بالحمرة، ولم نقف على اسم الناسخ.

(٢٣٢) ق — المسطرة (٣٥) س — الأحمدية — الأدب (١٠٥٣)

الكشف ١ / ١٩١ — بروكلمان ١٦ / ٢ — بروكلمان — الذيل ٩ / ٢

كما يوجد مخطوط بخزانة القرويين وجاء بيانه كما يلي: شرح على قصيدته البديعية في مدح النبي ﷺ. سفر ضخيم بخط مشرقى واضح جيد في أوراق ملونة أحيانا ومداد أسود مرصع بالألوان المختلفة جزئى إلى جزئين في سفر واحد، من تحجيس السلطان مولاي عبد الله بتاريخ شوال عام ١١٦٩.

فرغ منه مؤلفه سنة ٨٢٦ هـ وبأول ورقة منها ما صورته: كتاب شرح البديعيات لإمام العصر وعلامة الزمان ملك النحاة وسلطان المتأدبين وقدره الدين أبو بكر ابن حجة الحموى تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته بجاه سيدنا محمد وآله وصحابه، وعقبه التعريف بابن حجة المذكور نقلا عن شهاب الدين ابن حجر في كتابه إنباه الغمر بأبناء العمر وملخصه أن أبا بكر بن علي ابن حجة الحموى شاعر الشام تقي الدين الأزراعى كان يعقد الأزرار ومهر في الأزجال قال: ولما شاع أمره نظم قصيدة بديعة على طريقة شيخه العز

الموصلى وشرحها في ثلاث مجلدات ومات ببليده في الخامس والعشرين من شعبان سنة ٨٣٧ قال ابن حجر: سمعت من نظمته كثيرا وسمعت عليه معظم شرحه على البديعية وجملته من إنشائه ولقيته بحماة سنة ٣٦ ونعم الرجل كان رحمه الله تعالى اهـ باختصار.

وأول القصيدة البديعية المشروحة:

لى فى ابتداء مدحكم يا عرب ذى سلم

براعة تستهل المدح فى العلم

وأول شرحه: الحمد لله البديع الرفيع الذى أحسن ابتداء خلقنا بصنعه وأولانا جميل الصنيع ... على نمط بديعية شمس الدين أبى عبد الله محمد بن جابر الأندلسى الشهيرة ببديعية العميان، وبديعية صفى الدين الحللى، وقد تعرض المؤلف فى أول شرحه للمقارنة بين بديعته وبديعيات من ذكر وأطنب فى ذلك كما نقل خطبة كتابه المسمى بمجرى السوابق فى وصف الخيول المسومة، وشرح البديعية هذا مملوء أدبا ورقة وعلماء وقد أكثر فيه من ذكر صلاح الدين الصفدى وجمال الدين ابن نباتة وأطنب فى باب التورية من نقل كلام العصاة التى انتهجت طريقة القاضى الفاضل كما ورد ترجمة الشيخ علاء الدين الوداعى وأتى بكثير من بدائعه وبين أن الشيخ جمال الدين ابن نباتة أغار على الوداعى فى كثير من غرائب كما أغار الصفدى على ابن نباتة وشرح ذلك واستشهد عليه فى هذا الباب (التورية)، وقد أورد المؤلف نص استجازة الشيخ الصفدى من ابن نباتة محمد بن محمد. وأورد نص الإجازة المذكورة مؤرخة بمستهل شعبان سنة ٧٢٩ وذكر ابن نباتة فى إجازته له أن مولده بمصر فى ربيع الأول سنة ٦٨٦ وعدد شيوخه وبعض إنشاداتهم له كما ذكر موضوعاته ومؤلفاته ثم نقل عن شهاب الدين ابن حجر بعض مقاطيع والده أبى الحسن وقال عنه: كان والدى رحمه الله معدودا فى طبقات ابن الصاحب وبينهما مجارة كثيرة عند أهل مصر مشتهرة لكننى لم أظفر بديوانه الكبير وإنما وقفت له على مقاطيع يسيرة وعلى مدائحه النبوية التى سماها ديوان الحرم ... ونقل عدة من ذلك كما نقل المؤلف ما خيره من نظم الشيخ شهاب

الدين بن أبي حجلة وتكرر قوله فيه : إنه كان يرضى لأجل الكثرة بالرخيص كما نقل كثيرا من لطائف علامة العصر الشيخ بدر الدين محمد بن الدماميني المخزومي المالكي . وقال أيضا مرة عند ذكر ابن حجر : ومما اختاره سيدنا الشيخ الإمام الحافظ أبو العباس ابن حجر العسقلاني الشافعي من مقطعات نظمته لنفسه الكريمة حرسها الله تعالى في باب التورية . فرأيت أن يكون وسيطة لهذا العقد فكتبت ذلك من خطه الكريم من كراسة كان أتحنف بها العبد فنظمتها في عقد هذه الأسلاك . . ثم ذكر من نظم الشيخ بدر الدين اليتيكي فسح الله في أجله ونقل عن كتابه المسمى برفع شان العميان . . وبالجمل ففقد أظن المؤلف في باب التورية وأكثر في ذلك مما أخذ نحو ٧٩ ورقة حتى قال أثناء كلامه مرة : وقد عَنَّ لِي إِذْ أَفْرَغْتَ مِنْ هَذَا الشَّرْحِ أَنْ أَفْرِدَ بِابِ التَّوْرِيَةِ وَالِاسْتِخْدَامِ ثُمَّ تَكَلَّمَ الْمُؤَلِّفُ عَلَى اللَّغْزِ عِنْدَ قَوْلِهِ وَكَلِمًا أَلْغَزُوهُ حَلَّةَ لِسَنٍ ... وَأَتَى بَعْدَهُ الْغَازَ لَعْدَةً أَفْرَادَ مِنَ الْأَدْبَاءِ وَلَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى السَّجْعِ أَتَى بَعْدَهُ مِنْ نَثْرِهِ الْبَدِيعِ ... ابْتَدَأَ قَصِيدَتَهُ بِبِرَاعَةِ الْمُطْلَعِ وَخَتَمَ بِحَسَنِ الْخَاتَمَةِ فِي قَوْلِهِ :

حسن ابتدائي به أرجو التخلص من نار الجحيم وهذا حسن مختتم ويسمى أيضا حسن المقطع ، قال المؤلف : وكان الفراغ من هذا التصنيف المبارك في شهر ذي القعدة سنة ست وعشرين وثمان مائة ، قال ناسخه وكان الفراغ من كتابته يوم السبت المبارك سادس شهر رجب الفرد سنة أربع وخمسين وثمان مائة وأورد الناسخ عقب ذلك تقريظ الكتاب لشهاب الدين أحمد بن أبي الحسن نور الدين على بن حجر العسقلاني ، ومن جملة قوله فيه أشهد أن أبا بكر مقدم على أنصاره فلا أعدل في هذه الشهادة من أحمد وأجزم برفعه قدره على كل من انتصب لهذا الفن ولا أبلغ من حاكم يشهد .

قلت : وإنما أطلت في نقل بعض ما تضمنه هذا الكتاب من الغرائب والنوادر لأجل تنبيه الكثير من الناس على ما تضمنته بعض هذه الكتب التي أهملت إهمالا من القراء ، وربما يجد فيها الباحث والأديب ما لا يجده في غيرها وقد

طبع الشرح المذكور عدة مرات بمصر كما طبع كتابه كشف اللثام الذي وعد بتأليفه ، بيروت .

أوراقه ٣٠٧ مسطوره ٢٧ مقياسه ٢٧ / ١٨

(فهرس القرويين ٢ / ١٢١ - ٢٢٣)

(المنتخب من المخطوطات العربية في حلب ، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، وفهرس مخطوطات خزانة القرويين لمحمد العابد الفاسي ٢ / ١٢١ - ١٢٣) .

قالت المؤلفة : أوردنا بديعية ابن حجة الحموي بتمامها في مادة «ابن حجة الحموي» في م ١٣ / ٢١٦ - ٢٢٠ فانظرها في موضعها .

* خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب :

كتاب من تأليف عبد القادر البغدادي ، الذي نشأ ببغداد وتردد على القاهرة (توفي سنة ١٠٩٣) وهو أشهر كتبه شرح فيه شواهد شرح الكافية للرضي ، واستطرد في الأدب واللغة وتاريخ العرب . وهذا الكتاب في اتساع مباحثه واستقصائها جدير بأن يوضع في مرتبة الكتب التي ألفت في عصور ازدهار التأليف ، وهو كتاب جليل القيمة جدا يدل على علم واسع ودقة وتمحيص (المجمل / ١٦٥ ، والمفصل ٢ / ٢٨٤) .

وقد جاء في فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية أن منه نسخة تامة في جزأين ذكرنا في فهرس مخطوطات النحو صفحة ١٧٧ ولم يرد اسم الناسخ أو تاريخ النسخ وبيانها كما يلي :

الجزء الأول : الرقم ١٦٨٣ ٤٨٦ ق ٣٥ س ٢٩ × ١٩,٥ سم .

الجزء الثاني : الرقم ١٦٨٤ ٦٠١ ق ٣٥ س ٢٩ × ١٩,٥ سم .

(فهرس الظاهرية ٢ / ٤٠٠ ، ٤٠١)

أما عن طبعات الكتاب فهناك طبعة بولاق سنة ١٢٩٩ هـ وطبعة السلفية سنة ١٣٤٧ هـ ، وظهر في سلسلة تراثنا بتحقيق عبد السلام هارون سنة ١٩٦٧ م (الأعراب الرواة / ٣٣١) .

أما الطبعة التي عندي فقد عانيت بنشرها المطبعة السلفية ومكتبتها ، وإدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ . طبعت على نسخة العلامة الشنقيطي (رقم ١ نحو ش بدار الكتب المصرية) وهي منقولة من نسخة المؤلف وحليت بتصحيحات العلامة الجليل تيمور باشا ، وتصحيحات وتعليقات المحقق الكبير الأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، وقد وضعنا تعليقاته بين أقواس فى ثنايا النص إتماما للفائدة . ومن هذه النسخة نقل لك فيما يلى مقدمة المؤلف بتمامها رغم طولها لفوائدها اللغوية ، ولما تزخر به من معلومات عن المصادر التى اعتمد عليها المؤلف . وقد قسم المقدمة إلى «أمور» ثلاثة : الأمر الأول فى الكلام الذى يصح الاستشهاد به فى اللغة والنحو والصرف ، الأمر الثانى فى ذكر المواد التى اعتمد عليها وانتقى منها ، وهما ما نكتفى بذكرهما هنا . وأما الأمر الثالث فيتعلق بترجمة الشارح الإمام محمد بن الحسن الشهير بالرضى الأسترباذى ، ونوردها فى موضعها فى حرف الراء إن شاء الله تعالى .

قال عبد القادر البغدادي بعد البسملة والحمدلة :

أما بعد فيقول المفتقر الى معونة ربه الهادى ، عبد القادر ابن عمر البغدادي : هذا شرح شواهد شرح الكافية لنجم الأئمة ، وفاضل هذه الأمة ، المحقق محمد بن الحسن الشهير بالرضى الأسترباذى عفا الله عنه ورحمه ؛ وهو كتاب عكف عليه نحارير العلماء ، ودقق النظر فيه أمائل الفضلاء ، وكفاه من الشرف والمجد ، ما اعترف به السيد والسعد (السيد هو على بن محمد بن على الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ صاحب التعريفات . قال كاتب جلى : له حاشية على شرح الرضى للكافية . وله شرح الكافية بالفارسية . وأما السعد فهو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى المتوفى سنة ٧٩٢ هـ) لما فيه من أبحاث أنيقة ، وأنظار دقيقة ؛ وتقريرات رائقة ، وتوجيهات رائقة ، وتوجيهات فائقة ؛ حتى صارت بعده كتب النحو كالشريعة المنسوخة أو كالأمة المنسوخة ؛ إلا أن أبياته التى استشهد بها - وهى زهاء ألف بيت - كانت محلولة العقال ظاهرة الأشكال ، لغموض معناها وخفاء مغزاها ؛ وقد انضم إليها التحريف ، وبان عليها أثر التصحيف ؛ وكنت ممن مرن

فى علم الأدب ، حتى صار يلبيه من كذب ؛ وأفرغ فى تحصيله جهده ، وبذل فيه وكده وكده وجمع دواوينه ، وعرف قوانينه ، واجتمع عنده بفضل الله من الأسفار ، ما لم يجتمع عند أحد فى هذه الأعصار ؛ فشمريت عن ساعد الجدد والاجتهاد ، وشرعت فى شرحها على وفق المنى والمراد ، فجاء بحمد الله حائز المفاز والمحامد ، فائقا على جميع شروح الشواهد ، فهو جدير بأن يسمى «خزانة الأدب ، ولب لباب لسان العرب» وقد عرضت فيه بضاعتى للامتحان ، وعنده يكرم المرء أو يهان

على أننى راض بأن أحمل الهوى

وأخلص منه لآعلى ولا لى

وقد جعلته هدية لسدة هي مقبل شفاه الأقبال ، ومخيم سرادق المجد والإقبال ... إلخ ألا وهو السلطان ابن السلطان ، السلطان الغازى (محمد خان) ابن السلطان (ابراهيم خان) ، نخبة آل عثمان ... إلخ .

وها هنا مقدمة تشتمل على أمور ثلاثة ينبغى ذكرها أمام الشروع فى المقصود فنقول بحون الله المعبود :

الأمر الأول

فى الكلام الذى يصح الاستشهاد به فى اللغة والنحو والصرف .

قال الأندلسى فى شرح بديعية رفيقه ابن جابر «علوم الأدب ستة : اللغة والصرف والنحو والمعانى والبيان والبديع ؛ والثلاثة الأول لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب ، دون الثلاثة الأخيرة فإنه يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين ، لأنها راجعة إلى المعانى ولا فرق فى ذلك بين العرب وغيرهم ، إذ هو أمر راجع إلى العقل ، ولذلك قيل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحترى وأبى تمام وأبى الطيب وهلم جرا» .

(الأندلسى هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعينى المتوفى ٧٧٩ . وابن جابر هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على بن جابر الهوارى (٦٩٨ - ٧٨٠ هـ) كلاهما نحوى . وكان أولهما معروفاً بالبصير وأما الثانى فقد كان ضريرا . وبديعته تعرف ببديعية العميان ، واسمها : الحلة

السيرا في مدح خير الوري (وقد طبعتها المطبعة السلفية وكانوا يترافقان في التجوال والسفر من الأندلس إلى بلاد المشرق حيث طوفا زمنا طويلا في ربوع مصر والشام . قال ابن حجر في الدرر الكامنة : فكان ابن جابر ينظم والغرناطى يكتب ، ثم نبغ الغرناطى فى النظم أيضا ، لكن المكثر هو ابن جابر).

وأقول : الكلام الذى يستشهد به نوعان : شعر وغيره : فقائل الأول قد قسمه العلماء على طبقات أربع : (الطبقة الأولى) الشعراء الجاهليون وهم قبل الإسلام كامرىء القيس والأعشى ، (والثانية) المخضرمون وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كليد وحسان ، (والثالثة) المتقدمون ويقال لهم الإسلاميون وهم الذين كانوا فى صدر الإسلام كجرير والفرزدق (والرابعة) المولدون ويقال لهم المحدثون وهم من بعدهم إلى زماننا كبشار بن برد وأبى نواس . فالطبقتان (الأوليان) يستشهد بشعرهما إجماعا ، وأما (الثالثة) فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها ؛ وقد كان أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبى إسحاق والحسن البصرى وعبد الله بن شبرمة يلحنون الفرزدق والكميت وذا الرمة وأضرابهم ، كما سيأتى النقل عنهم فى هذا الشرح إن شاء الله فى عدة أبيات أخذت عليهم ظاهرا ؛ وكانوا يعدونهم من المولدين لأنهم كانوا فى عصرهم والمعاصرة حجاب ؛ قال ابن رشيى فى العمدة (الجزء الأول : باب فى القدماء والمحدثين) «كل قديم من الشعراء فهو محدث فى زمانه بالإضافة إلى من كان قبله ، وكان أبو عمرو يقول : لقد حسن هذا المولد حتى لقد هممت أن أمر صبياننا بروايته . يعنى بذلك شعر جرير والفرزدق — فجعله مولدا بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين ، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين ؛ قال الأصمعى : جلست إليه عشر حجج فما سمعته يحتج بيت إسلامى» . وأما (الرابعة) فالصحيح إنه لا يستشهد بكلامها مطلقا ؛ وقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم ، واختاره الزمخشري وتبعه الشارح المحقق فإنه استشهد بشعر أبى تمام فى عدة مواضع من هذا الشرح ؛ واستشهد الزمخشري أيضا فى تفسير أوائل البقرة من الكشف بيت من شعره ، وقال : «وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره فى

اللغة فهو من علماء العربية ، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه» اهـ واعترض عليه بأن قبول الرواية مبنى على الضبط والوثوق ، واعتبار القول مبنى على معرفة أوضاع اللغة العربية والإحاطة بقوانينها ؛ ومن البين أن إتقان الرواية يستلزم إتقان الدراية خاصة فهى كنقل الحديث بالمعنى وقال المحقق التفتازانى فى القول بأنه بمنزلة نقل الحديث بالمعنى : «ليس بسديد بل هو بعمل الراوى أشبه وهو لا يوجب السماع إلا ما كان من علماء العربية الموثوق بهم فالظاهر أنه لا يخالف مقتضاها ، فإن استؤنس به ولم يجعل دليلا لم يرد عليه ما ذكر ولا ما قيل من أنه لو فتح هذا الباب لزم الاستدلال بكل ما وقع فى كلام علماء المحدثين كالحريرى وأضرابه ، والحجة فيما روه لا فيما رأوه ، وقد خطأوا المتنبي وأبا تمام والبحترى فى أشياء كثيرة كما هو مسطور فى شروح تلك السدواوين ؛ وفى الاقتراح للجلال السيوطى «أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين فى اللغة والعربية ، وفى الكشف ما يتقضى تخصيص ذلك بغير أئمة اللغة ورواتها ، فإنه استشهد على مسألة بقول أبى تمام الطائى : وأول الشعراء المحدثين بشار بن برد وقد احتج سيبويه ببعض شعره تقريبا إليه لأنه كان هجاء لتركه الاحتجاج بشعره ، ذكره المرزبانى وغيره ، ونقل ثعلب عن الأصمعى أنه قال : ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة وهو آخر الصحيح» اهـ (الاقتراح للسيوطى كتاب فى أصول علم النحر وجدله طبع فى حيدرآباد الدكن وهو قيم ممتع ، قال فى مقدمته أنه اختزل فيه من تضاعف خصائص ابن جنى ما يتعلق بهذا الفن ، وأنه أول مقيم لذلك العلم) وكذا عد ابن رشيى فى العمدة طبقات الشعراء أربعا ، قال : هم جاهلى قديم ومخضرم وإسلامى ومحدث . قال : ثم صار المحدثون طبقات أولى وثانية على التدرج هكذا فى الهبوط إلى وقتنا هذا . وجعل الطبقات بعضهم سبنا ، وقال : الرابعة المولدون وهم من بعد المتقدمين كمن ذكر ، والخامسة المحدثون وهم من بعدهم كأبى تمام والبحترى ، والسادسة المتأخرون وهم من بعدهم كأبى الطيب المتنبي . والجيد هو الأول ، إذ ما بعد

المتقدمين لا يجوز الاستدلال لكلامهم فهم طبقة واحدة ولا فائدة في تقسيمهم .

وأما قائل الثاني (أى النوع الثانى وهو ما كان غير شعر) فهو إما ربنا تبارك وتعالى فكلامه - عز اسمه - أفصح كلام وأبلغه ، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشأذه ، كما بينه ابن جنى فى أول كتابه (المحتسب) وأجاد القول فيه ؛ وإما بعض أحد الطبقات الثلاث الأول من طبقات الشعراء التى قدمناها .

وأما الاستدلال بحديث النبى ﷺ فقد جوزه ابن مالك وتبعه الشارح المحقق فى ذلك ، وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت رضى الله عنهم ، وقد منعه ابن الضائع وأبو حيان وسندهما أمران : أحدهما أن الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبى ﷺ وإنما رويت بالمعنى (النقل بالمعنى شىء ليس بمقصود على الأحاديث فحسب ، بل إن تعدد الروايات فى بيت واحد من هذا القبيل . والقول بان منشأ تعدد لغات القبائل ليس مما يتمشى فى كل موضع . أن إثبات ذلك فى كل بيت دونه خوط القتاد . زد إلى ذلك ما طرأ على الشعر من التصحيف والوضع والاختلاق من مثل ابن دأب وابن الأحمر والكلبى وأضرابهم ، ورواة الشعر أيضا فيهم من الأعاجم والشعوبية أمم . على أن المسلمين فى القرون الأولى كانوا أحرص على إتقان الحديث من حفظ الشعر والتثبت فى روايته ، وقد قبض الله لأحاديث رسوله من الجهابذة النقاد من نفى عنه ما كان فيه شبهة الوضع والانتحال ، وهذا حرم الشعر مثله) ، وثانيهما أن أئمة النحو المتقدمين من المصرين لم يحتجوا بشىء منه . ورد الأول - على تقدير تسليمه - بأن النقل بالمعنى إنما كان فى الصدر الأول قبل تدوينه فى الكتب وقبل فساد اللغة ، وغايته تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به فلا فرق ، على أن اليقين غير شرط بل الظن كاف . ورد الثانى بأنه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به ، والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحوى فى ضبط ألفاظه ، ويلحق به ما روى عن الصحابة وأهل البيت كما صنع الشارح المحقق .

وإن شئت تفصيل ما قيل فى المنع والجواز ، فاستمع لما ألقىه بإطنا ب دون إيجاز :

قال أبو الحسن بن الضائع فى شرح الجمل «تجوز الرواية بالمعنى هو السبب عندى فى ترك الأئمة - كسيبويه وغيره - الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث واعتمدوا فى ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى فى الحديث لكان الأولى فى إثبات فصيح اللغة كلام النبى ﷺ لأنه أفصح العرب . قال : وابن خروف يستشهد بالحديث كثيرا فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمروى فحسن ، وإن كان يرى أن من قبله أغفل شيئا وجب عليه استدراكه فليس كما رأى » اهـ .

وقال أبو حيان فى شرح التسهيل (نقل السيوطى فى الاقتراح قول أبى حيان هذا) : قد أكثر المصنف من الاستدلال بما وقع فى الأحاديث على إثبات القواعد الكلية فى لسان العرب . وما رأيت أحدا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره ؛ على أن السواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب - كأبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين ، والكسائى والفراء وعلى بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين - لم يفعلوا ذلك ، وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من الفريقين ، وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس . وقد جرى الكلام فى ذلك مع بعض المتأخرين الأذكياء فقال : إنما ذكر العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول ﷺ إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم فى إثبات القواعد الكلية ، وإنما كان ذلك لأمرين : أحدهما أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى فتجد قصة واحدة قد جرت فى زمانه ﷺ لم تقل بتلك الألفاظ جميعها : نحو ما روى من قوله ﷺ «زوجتكها بما معك من القرآن» «ملككتها بما معك من القرآن» «خذها بما معك من القرآن» وغير ذلك من الألفاظ الواردة ، فعلم يقينا أنه ﷺ لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ ، بل لا نجزم بأنه قال بعضها إذ يحتمل أنه قال لفظا مرادفا لهذه الألفاظ غيرها فأنت الرواة بالمرادف ولم تأت بلفظه ، إذ المعنى هو المطلوب ، ولا سيما مع تقادم السماع ، وعدم ضبطها بالكتابة ، والاتكال على الحفظ ، والضابط منهم من ضبط المعنى وأما من ضبط اللفظ فبعيد

جدا لا سيما في الأحاديث الطوال؛ وقد قال سفيان الثوري: «إن قلت لكم إنني أحدثكم كما سمعت فلا تصدقوني إنما هو المعنى» ومن نظر في الحديث أدنى نظر علم العلم اليقين أنهم يروون بالمعنى. الأمر الثاني: أنه وقع اللحن كثيرا فيما روى من الحديث، لأن كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع، ويتعلمون لسان العرب بصناعة النحو، فوقع اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون، ودخل في كلامهم وروايتهم غير الفصيح من لسان العرب. ونعلم قطعا من غير شك أن رسول الله ﷺ كان أفصح الناس فلم يكن يتكلم إلا بأفصح اللغات وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها، وإذا تكلم بلغة غير لغته فإنما يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغة على طريق الإعجاز، وتعليم ذلك له من غير معلم. والمصنف قد أكثر من الاستدلال بما ورد في الأثر متعبا بزعمه على النحويين وما أمعن النظر في ذلك ولا صحب من له التمييز. وقد قال لنا قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة - وكان ممن أخذ عن ابن مالك - قلت له: يا سيدي هذا الحديث رواية الأعاجم ووقع فيه من روايتهم ما نعلم أنه ليس من لفظ الرسول؛ فلم يجب بشيء. قال أبو حيان: وإنما أمنت الكلام في هذه المسألة لثلاث يقول مبتدئ ما بال النحويين يستدلون بقول العرب، وفيهم المسلم والكافر، ولا يستدلون بما روى في الحديث بنقل العدول كالبخاري ومسلم وأضرابهما؟ فمن طالع ما ذكرناه أدرك السبب الذي لأجله لم يستدل النحاة بالحديث اهـ.

وتوسط الشاطبي فجوز الاحتجاج بالأحاديث التي اعتنى بنقل ألفاظها. قال في شرح الألفية «لم نجد أحدا من النحويين استشهد بحديث رسول الله ﷺ وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهاءهم الذين يبولون على أعقابهم، وأشعارهم التي فيها الفحش والخنا، ويتركبون الأحاديث الصحيحة، لأنها تنقل بالمعنى وتختلف رواياتها وألفاظها، بخلاف كلام العرب وشعرهم فإن رواته اعتنوا بألفاظها لما يبنى عليه من النحو، ولو وقفت على اجتهداهم قضيت منه العجب، وكذا القرآن ووجوه القراءات. وأما الحديث فعلى قسمين: قسم يعتنى ناقله بمعناه دون لفظه فهذا لم يقع به

استشهاد أهل اللسان وقسم عرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصود خاص؛ كالأحاديث التي قصد بها بيان فصاحته ﷺ، ككتابه لهما، وكتابه لوائيل بن حجر، والأمثال النبوية؛ فهذا يصح الاستشهاد به في العربية. وابن مالك لم يفصل هذا التفصيل الضروري الذي لا بد منه، وبنى الكلام على الحديث مطلقا؛ ولا أعرف له سلفا إلا ابن خروف فإنه أتى بأحاديث في بعض المسائل حتى قال ابن الضائع لا أعرف هل يأتي بها مستدلا بها أم هي لمجرد التمثيل؟ والحق أن ابن مالك غير مصيب في هذا، فكأنه بناء على امتناع نقل الحديث بالمعنى، وهو قول ضعيف اهـ.

وقد تبعه السيوطي في الاقتراح. قال فيه: «وأما كلامه ﷺ فيستدل منه بما أثبت أنه قاله على اللفظ المروي؛ وذلك نادر جدا، إنما يوجد في الأحاديث القصار على قلة أيضا، فإن غالب الأحاديث مروى بالمعنى، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها فرووها بما أدت إليه عباراتهم، فزادوا ونقصوا وقدموا وأخروا وأبدلوا ألفاظا بألفاظ؛ ولهذا ترى الحديث الواحد مرويا على أوجه شتى بعبارات مختلفة، ومن ثم أنكر على ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة في الحديث» ثم نقل كلام ابن الضائع وأبى حيان وقال «ومما يدل على صحة ما ذهبوا إليه أن ابن مالك استشهد على لغة أكلوني البراغيث بحديث الصحيحين (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) وأكثر من ذلك حتى صار يسميها لغة يتعاقبون، وقد استشهد به السهيلي، ثم قال: لكني أنا أقول: إن الواو فيه علامة إضمار، لأنه حديث مختصر، رواه البزار مطولا. فقال فيه «إن الله تعالى ملائكة يتعاقبون فيكم: ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» وقال ابن الأنباري - في الإنصاف - في منع «أن» في خبر كاد. وأما حديث «كاد الفقر أن يكون كفرا» فإنه من تغيير الرواة لأنه ﷺ أفصح من نطق بالضاد اهـ وقد رد هذا المذهب الذي ذهبوا إليه البدر الدماميني في شرح التسهيل، والله ذره! فإنه قد أجاد في الرد، قال «قد أكثر المصنف من الاستدلال بالأحاديث النبوية، وشنع أبو حيان عليه وقال: إن ما استند إليه من ذلك لا يتم له، لتطرق احتمال الرواية بالمعنى، فلا يوثق بأن ذلك المحتج به لفظه

عليه الصلاة والسلام حتى تقوم به الحجة . وقد أجريت ذلك لبعض مشايخنا فصوب رأى ابن مالك فيما فعله ، بناء على أن اليقين ليس بمطلوب في هذا الباب وإنما المطلوب غلبة الظن الذي هو مناط الأحكام الشرعية ، وكذا ما يتوقف عليه من نقل مفردات الألفاظ وقوانين الإعراب ، فالظن في ذلك كله كاف ، ولا يخفى أنه يغلب على الظن أن ذلك المنقول المحتج به لم يبدل لأن الأصل عند التبديل ، لا سيما والتشديد في الضبط ، والتحري في نقل الأحاديث ، شائع بين النقلة والمحدثين ؛ ومن يقول منهم بجواز النقل بالمعنى فإنما هو عنده بمعنى التجويز العقلي الذي لا ينافي نقيضه ، فلذلك تراهم يتحرون في الضبط ويتشددون ، مع قولهم بجواز النقل بالمعنى ؛ فيغلب على الظن من هذا كله أنها لم تبدل ويكون احتمال التبديل فيها مرجوحاً فيلغى ولا يقدر في صحة الاستدلال بها . ثم إن الخلاف في جواز النقل بالمعنى إنما هو فيما لم يدون ولا كتب ، وأما ما دون وحصل في بطون الكتب فلا يجوز تبديل ألفاظه من غير خلاف بينهم ، قال ابن الصلاح بعد أن ذكر اختلافهم في نقل الحديث بالمعنى إن هذا الخلاف لانراه جارياً ولا أجراه الناس - فيما نعلم - فيما تضمنته بطون الكتب فليس لأحد أن يغير لفظ شيء من كتاب مصنف ويثبت فيه لفظاً آخر - وتدون الأحاديث والأخبار بل وكثير من المرويات وقع في الصدر الأول قبل فساد اللغة العربية ، حين كان كلام أولئك المبدلين على تقدير تبديلهم يسوغ الاحتجاج به ، وغايته يومئذ تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به ، فلا فرق بين الجميع في صحة الاستدلال ؛ ثم دون ذلك المبدل - على تقدير التبديل - ومنع من تغييره ونقله بالمعنى كما قال ابن صلاح ، فبقى حجة في بابه ، ولا يضر توهم ذلك السابق في شيء من استدلالهم المتأخر ، والله أعلم بالصواب » هـ كلام الدماميني .

وعلم مما ذكرنا - من تبين الطبقات التي يصح الاحتجاج بكلامها - أنه لا يجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعرف قائله ، صرح ذلك ابن الأنباري في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف ؛ وعلة ذلك مخافة أن يكون ذلك الكلام مصنوعاً أو لمولد أو لمن لا يوثق بكلامه ؛ ولهذا اجتهدنا في تخريج

أبيات الشرح ، وفحصنا عن قائلها حتى عزونا كل بيت إلى قائله - إن أمكننا ذلك - ونسبناه إلى قبيلته أو فصيلته ، وميزنا الإسلامي عن الجاهلي ، والصحابي عن التابعي ، وهلم جرا ، وضممنا إلى البيت ما يتوقف عليه معناه ؛ وإن كان من قطعة نادرة أو قصيدة عزيزة أوردناها كاملة ، وشرحنا غريبها ومشكلها ، وأوردنا سببها ومنشأها ؛ كل ذلك بالضبط والتقيد ، ليعم النفع ويؤمن التحريف والتصحيف ، وليوثق بالشاهد لمعرفة قائله ويدفع احتمال ضعفه . قال ابن النحاس في التعليقة «أجاز الكوفيون إظهار «أن» بعد «كى» واستشهدوا بقول الشاعر:

أردت لكيماً أن تطير بقرى

فتتركها شناً بيداء بلقع

قال : والجواب أن هذا البيت لا يعرف قائله ولو عرف لجاز أن يكون من ضرورة الشعر . وقال أيضاً : ذهب الكوفيون إلى جواز دخول اللام في خبر لكن واحتجوا بقوله :

ولكننى من حبها لعميد

والجواب أن هذا البيت لا يعرف قائله ولا أوله ، ولم يذكر منه إلا هذا ، ولم يشده أحد ممن وثق في اللغة ، ولا عزى إلى مشهور بالضبط والإتقان » هـ ويؤخذ من هذا أن الشاهد المجهول قائله وتتمته إن صدر من ثقة يعتمد عليه قبل ، وإلا فلا . ولهذا كانت أبيات سيوبه أصح الشواهد ، اعتمد عليها خلف بعد سلف ، مع أن فيها أبياتاً عديدة جهل قائلوها ، وما عيب بها ناقلوها . وقد خرج كتابه إلى الناس والعلماء كثير والعناية بالعلم وتهذيبه وكيدته ، ونظر فيه وفتش فما طعن أحد من المتقدمين عليه ولا ادعى أنه أتى بشعر منكر . وقد روى في كتابه قطعة من اللغة غريبة لم يدرك أهل اللغة جميع ما فيها ولا ردوا حرفاً منها . قال الجرمي «نظرت في كتاب سيوبه فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً ، فأما الألف فقد عرفت أسماء قائلها فأثبتها ، وأما الخمسون فلم أعرف أسماء قائلها» فاعترف بعجزه ولم يطعن عليه بشيء .

(كتب الأستاذ أحمد تيمور باشا على هامش الخزانة في هذا الموضع ما يأتي :

«ذكر شيخنا العلامة محمد محمود الشنقيطي رحمه الله تعالى في كتابه الحماسة السنية أن واحدا منها عرف اسم قائله وهو:

«أبعد كندة تمدحن قبلا»

قال: وصدره «قالت فطيمة جل شعرك مدحه»

وهو لامرئ القيس من قصيدة عدتها ثمانية عشر بيتا نادرة الوجود، أوردتها كلها في الحماسة المذكورة» انتهى) ولم يظعن عليه بشيء. وقد روى هذا الكلام لأبي عثمان المازني أيضا، ولكون أبياته أصح الشواهد التزمنا في هذا الشرح أن ننص على ما وجد فيه منها بيتا بيتا، ونميزها عن غيرها ليرتفع شأنها ويظهر رجحانها، وربما روى البيت الواحد من أبياته أو غيرها على أوجه مختلفة ربما لا يكون موضع الشاهد في بعضها أو جميعها، ولا ضير في ذلك لأن العرب كان بعضهم ينشد شعره للآخر فيرويه على مقتضى لغته التي قطره الله عليه وبسببه تكثر الروايات في بعض الأبيات فلا يوجب ذلك قدحا فيها ولا غضا منه، فإذا وقع في هذا الشرح من ذلك شيء نبهنا عليه.

وانتزمنا في شرح هذه الشواهد عدها واحدا بعد واحد ليسهل موضع الحوالة فيه، ويزول التعب عن متعاطيه.

الأمر الثاني:

في ذكر المواد التي اعتمدنا عليها وانتقينا منها، وهي «ضروب وأجناس» فمنها ما يرجع إلى «علم النحو» وهو كتاب س (أي كتاب سيويه) والأصول لابن السراج، ومعاني القرآن للفراء. ومعاني القرآن للزجاج. وتآليف أبي علي الفارسي: كالتذكرة القصيرية، والمسائل البغدادية، والمسائل العسكرية، والمسائل البصرية، والمسائل المنثورة، ونقض الهاذور على ابن خالويه، وكتاب الشعر. وتآليف تلميذه ابن جني: كالخصائص، والمحتسب، وشرح تصريف المازني، وسر الصناعة، وإعراب الحماسة، والمبهج في شرح أسمائها، وشرح ديوان المتنبي. والإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري. وتذكرة أبي حيان، وارتشاف الضرب له أيضا. والضرائر الشعرية لابن عصفور. والأمالى

لابن الحاجب. والأمالى لابن الشجري. وشروح الكافية وشروح التسهيل. ومغنى اللبيب، وشروحه. وغير ذلك من المتداول.

ومنها ما يرجع إلى «شروح الشواهد» وهو شرح أبيات الكتاب: لأبي جعفر النحاس، وللأعلم الشستمرى، ولابن خلف، ولأبي محمد الأعرابي المسمى فرجة الأديب. وشرح أبيات الجمل لابن السيد البطليوسي، ولابن هشام اللخمي، ولغيرهما. وشرح أبيات المفصل لابن المستوفى الإربلي، ولبعض علماء العجم المسمى بالتخميمير. وشرح أبيات شروح ألفية ابن مالك للعيني، وشرح أبيات ابن الناظم لابن هشام الأنصاري، ولم يكمل. وشرح أبيات الكشف للحموي. وشرح أبيات التفسيرين لخضر الموصلي (يوجد منه نسخة بحيدر آباد وأخرى بباتكي بور واسمه «الإسعاف بشرح شواهد القاضى والكشاف» وخضر هذا ترجم له الخفاجي في الريحانة ص ١٠٦ سنة ١٣٠٦ هـ).

وشرح أبيات الإيضاح والمفتاح في علم المعاني. وشرح أبيات التلخيص للعباسي. وشرح أبيات إصلاح المنطق ليوسف بن السيرافي. وشرح أبيات الغريب المصنف له أيضا. وشرح أبيات أدب الكاتب للجواليقي، ولابن السيد البطليوسي، وللبلي (أحمد بن يوسف بن علي) وشرح أبيات الآداب. المسمى بالعباب وغير ذلك.

ومنها ما يرجع إلى «تفسير أبيات المعاني المشككة» وهو أبيات المعاني للأخفش المجاشعي؛ وأبيات المعاني للاشناداني بخط ابن جني وعليها إجازة أبي علي له. وأبيات المعاني لابن السكيت. وأبيات المعاني لابن قتيبة في مجلدين ضخمين. وأبيات المعاني لابن السيد البطليوسي وغير ذلك.

ومنها ما يرجع إلى «دفاتر أشعار العرب» وهو قسمان: دواوين ومجاميع (فالأول) ديوان امرئ القيس الكندي، وديوان الأعشى ميمون، وديوان علقمة الفحل، وديوان ابن جحرزة، وديوان أبي دواد الإينادي، وديوان طرفة بن العبد، وديوان عمرو بن قميئة، وديوان طفيل الغنوي، وديوان عامر بن

الطفيل، وديوان بشر بن أبي خازم، وديوان أوس بن حجر، وديوان أعشى باهلة، وديوان عوف بن عطية بن الخرج، وديوان مطير بن الأشيم، وديوان الحادرة، وديوان المثقب العبدى، وديوان لقيط بن يعمر الإيادى، وديوان نابغة بنى شيان، وديوان النابغة الذبياني، وديوان زهير بن أبى سلمى، وديوان أبى طالب عم النبى ﷺ.

«ومن شعر الصحابة» ديوان حسان بن ثابت، وديوان ليلى ابن ربيعة العاصرى، وديوان كعب بن زهير، وديوان حميد بن ثور، وديوان أبى محجن الثقفى، وديوان النمر بن تولب، وديوان عمرو بن معد يكرب، وديوان خفاف بن ندبة، وديوان الخنساء أخت صخر وغير ذلك.

ومن «شعر الإسلاميين» ديوان رافع بن هريم اليربوعى، وديوان القطامى، وديوان جران العود، وديوان محمد بن بشير الخارجى (الخارجى من خارجة عدوان) وديوان ابن همام السلولى، وديوان الشماخ، وديوان عدى بن الرقاع، وديوان عروة بن حزام العذرى، وديوان عبيد الله الهذلى، وديوان أبى دهل الجمحى، وديوان الحطيئة، وديوان عمرو بن الأهمم المتقرى، وديوان ابن قيس الرقيات، وديوان الفرزدق، وديوان جرير، وديوان الأخطل النصرانى، وديوان ذى الرمة، وديوان جميل العذرى، وديوان المغيرة بن حبياء، وديوان رجز روبة ابن العجاج، وديوان رجز الزيفان السعدى، وديوان رجز الأخزر الحماني وغير ذلك.

«ومن ديوان المولدين والمحدثين» ديوان مسلم بن الوليد، وديوان ابن الوكيح، وديوان العباس بن الأحنف وديوان على بن جبلة الطوسى، وديوان أبى نواس، وديوان ابن المعتز، وديوان ابن الرومى، وديوان أبى تمام الطائى، وديوان البحترى، وديوان الشريف الرضى، وديوان المتنبى، وديوان أبى فراس الحمدانى. وغير ذلك «والمجاميع» منها أشعار بنى محارب للشيبانى، والمفضليات للمفضل الضبى، وأشعار الهذليين للسكرى، وشرحها له ولالإمام المرزوقى، وأشعار لصوص العرب للسكرى أيضا، والنقائض لأبى حبيب، ومختار شعر الشعراء الستة: امرئ القيس والنابغة وعلقمة وزهير وطرفة وعترة، وشرحها للأعلم الشتمرى، وأشعار

تغلب لأبى عمرو الشيبانى، ومختار شعراء القبائل لأبى تمام، والحماسة له أيضا وشرحها للنمرى وأبى محمد الأعرابى ولالإمام المرزوقى، وللخطيب التبريزى، ولأبى الفضل الطبرسى، والحماسة البصرية، وحماسة الشريف الحسينى (هو ابن الشجرى، وطبعت بحيدر آباد)، وحماسة الأعلم الشتمرى، وأشعار النساء للمرزبانى، وشروح المعلقات لابن النحاس، وللوزنى، وللخطيب التبريزى، وجمهرة أشعار العرب، ومنتهى الطلب من أشعار العرب: فيه أكثر من ألف قصيدة، واليتيمة للثعالبى، وكتاب المغربين، وكتاب النساء الفوارك، وكتاب النساء النواشز؛ والثلاثة للمدائنى، والمجتبى لابن دريد، وشروح لامية العرب للخطيب التبريزى، وللزمخشري، ولغيرهما، وشرح بانت سعاد لابن الأنبارى، ولأبى العباس الأحول، ولابن خالويه، ولابن هشام الأنصارى، ولابن كتيلة البغدادى، وشرح البردة (هى بانت سعاد) للمرزوقى وغير ذلك «ومن المجاميع» النوادر والأمالى: أما النوادر فهى نوادر أبى زيد الأنصارى، وشرحها لأبى الحسن الأنخفش ولغيره. ونوادر ابن الأعرابى، وشرحها لأبى محمد الأعرابى. ونوادر أبى على القالى (اشتبه على البغدادى أمر الأمالى والنوادر. والأعجب أنه عد شرح الأمالى أيضا للبكرى مع أنه شىء واحد. فإن كل ما نقله عنه فى اللآلى شرح أمالى القالى سواء نقله بلفظ شرح الأمالى أو شرح النوادر).

وشرحها لأبى عبيد البكرى (كان هذا الكتاب من النوادر المظنون أنها فقدت فعثرنا فى مكة على نسخة منه نقلناها بالتصوير الشمسى. وقد تولى العلامة الكبير الأستاذ عبد العزيز الراجكوتى تصحيح هذا الشرح وتحقيقه). وأما الأمالى فهى أمالى ثعلب، وأمالى الزجاجى الصغرى والكبرى، وأمالى أبى على القالى، وشرحها لأبى عبيد البكرى، وذيل أمالى القالى للقالى أيضا، وصلة ذيل الأمالى له أيضا؛ وأمالى الصولى، وأمالى السيد المرتضى المسماة بالغرر والدرر فى مجلدين ضخمين. وأمالى شيخنا الشهاب الخفاجى.

ومنها ما يرجع إلى فن الأدب وهى: البيان للجاحظ، والمحاسن والأضداد له أيضا، وكتاب الشعر والشعراء له أيضا. والكامل للمبرد، وشرحه لابن السيد البطليوسى؛

ولأبى الوليد الوقشى، ولغيرهما. والعقد الفريد لابن عبد ربه. وزهر الآداب للحصري، وجواهر النكت والملح له أيضا. وديوان المعاني لأبى هلال العسكري. والأغانى للأصفهاني في عشرين مجلدا. والعمدة لابن رشيق، في مجلدين. والمثل السائر لابن الأثير. وتحرير التحبير لابن أبى الإصبع ومساوى الخمر لابن الحباب السعدي. والأوائل لابن هبة الله الموصلي في مجلدين. ومدرج البلاغة لابن فضالة [ابن فضال] المجاشعي. ونقد الشعراء لقدامة الكاتب، وشرحه لعبد اللطيف البغدادي. وسفر السعادة للسخاوي.

ومنها ما يرجع إلى كتب السير وكتب الصحابة وأنساب العرب وهو: سيرة ابن هشام، وشرحه: الروض الأنف للسهيلي، وسيرة الكلاعي، وسيرة ابن سيد الناس، وسيرة الشامي، والاستيعاب لابن عبد البر، والإصابة لابن حجر، وجمهرة الأنساب لابن الكلبي، ومختصرها لياقوت الحموي، وأنساب قريش للزبير بن بكار، ومقدمة الاستيعاب لابن عبد البر، والمعارف لابن قتيبة، وتنكيس الأصنام لابن الكلبي.

ومنها ما يرجع إلى طبقات الشعراء وغيرهم وهو: كتاب الشعراء لابن قتيبة، والمؤتلف والمختلف للآمدي، والموشح لأبى عبد الله المرزباني (صوابه لأبى عبيد الله). والمرشح ظنه البغدادي في طبقات الشعراء، وللمرزباني كتب في هذا المعنى. إلا أن الموشح في ما أخذوه على الشعراء ليس إلا) وكتاب المعمرين لأبى حاتم السجستاني، وكتاب المقتولين غيلة لابن حبيب، وكتاب من نسب إلى أمه من الشعراء له أيضا، وكتاب المنسوين إلى أمهاتهم للحلواني بخطه، وطبقات النحويين للتاريخي، وطبقاتهم أيضا لأبى عبد الله اليميني، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، في عدة مجلدات.

ومنها ما يرجع إلى كتب اللغة وهو: الجمهرة لابن دريد، والصحاح للجوهري، والعياب للصاغاني (نسبة إلى صغانيان والصغاني نسبة أخرى إليها وبها ينعت صاحب العباب أحيانا) والقاموس لمجد الدين، واليواقيت لأبى عمرو الطرزي (الصواب لأبى عمرو المطرزي، وهو الزاهد غلام ثعلب وقد ترجمنا له وأوعينا في أول كتاب المداخل له، وجعلناه

أطروحتنا على انتقائنا عضوا بالمجمع العلمي بدمشق في سنة ١٩٢٩ - وهذا الغلط يكثر في هذا الكتاب وغيره أيضا. وكانت صناعة أبى عمر تطريز الثياب) وكتاب ليس لابن خالويه، والنهاية لابن الأثير، والزاهر لابن الأنباري، والمصباح لخطيب الدهشة (هو أحمد بن محمد بن علي الفيومي وكان يعرف بخطيب جامع الدهشة، توفي سنة ٧٧٠ هـ)، والتقريب في علم الغريب لولده (واسمه محمود)، وكتاب النبات في مجلدات كبار ستة لأبى حنيفة الدينوري، وإصلاح المنطق لابن السكيت، وشرحه للبلبي، ومختصره للخطيب التبريزي، وكتاب الألفاظ لابن السكيت، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وشرحه للجواليقي، ولابن السند البطليوسي، وللزجاجي، وللبلي، ولابن بري، والفصيح لثعلب، وشرحه لابن درستويه، وللهروري، وللمرزوقي، وللبلي، ولابن هشام اللخمي، ولغيرهم، وذيل الفصيح لعبد اللطيف البغدادي، وكتاب الأضداد لابن السكيت، ولعبد الواحد اللغوي، وغيره، وكتاب الفروق لأبى هلال العسكري، وكتاب البيضة والدرع لأبى عبيدة، وخلق الإنسان للزجاج، والمعربات للجواليقي، والمثلثات لابن السيد البطليوسي، وكتاب التفسيح في اللغة لأبى الحسين النحوي، والمرصع لابن الأثير، والمزهر للجلال السيوطي، وكتاب القلب والإدغام لابن السكيت (الصواب: القلب والإبدال، والكتاب مطبوع) وكتاب المذكر والمؤنث له أيضا وغيره، وكتاب الأيام والليالي للفرء، وكتاب اليوم واللييلة والشهر والسنة والدهر لأبى عمرو المطرزي، وكتاب الأنواء وأسماء الشهور للزجاج، والأنواء لأبى العلاء المعري (هذا الكتاب لم أر من ذكره في عداد تآليف المعري) وغيره، والمقصود والممدود لابن الأنباري. وللقالي، ولابن ولاد، ولغيرهم، وغير ذلك.

ومنها ما يتعلق بأغلاط اللغويين وهو: التنبيهات على أغلاط الرواة (المعروف اسمه «على أغلاط الرواة») لعلى بن حمزة البصري وفيه: أغلاط نوادر أبى زياد الكلابي، وأغلاط نوادر أبى عمرو الشيباني، وأغلاط النبات لأبى حنيفة الدينوري، وأغلاط الغريب المصنف لأبى عبيد، وأغلاط

خزانة الأكمل فى الفروع : ست مجلدات لأبى يعقوب يوسف بن على بن محمد الجرجانى الحنفى ذكر فيه أن هذا الكتاب محيط بجمل مصنفات الأصحاب بدأ بكافى الحاكم ثم بالجامعين ثم بالزيادات ثم بمجرد ابن زياد والمنتقى والكرخى وشرح الطحاوى وعيون المسائل وغير ذلك واتفق بدايته يوم الأضحى (يوم عيد الأضحى) سنة ٥٢٢ اثنتين وعشرين وخمسمائة (كشف ١ / ٧٠٢).

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى : الرقم ٩٤١٦ الجزء الثالث :

يبتدىء بكتاب الصرف وينتهى بكتاب الذبائح .
أوله : كتاب الصرف ، قال الله سبحانه وتعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ﴾ .
آخره : فقال رسول الله ﷺ إن لها أوابدا كأوابد الوحش ، فإن فعل شيئا من ذلك فافعلوا بها كما فعلتم بهذا ثم كلوه .
نسخة جيدة ومقابلة وقديمة .

الخط نسخ معتاد . كتبه عمر بن بلال بن إبراهيم الحنفى النصيبى ٦٣٥ هـ .

المراجع : معجم المؤلفين ١٣ / ٣١٩ ، فهرس الخديوية ٣ / ٤٣ (فهرس الظاهرية - ١ / ٢٩٤ ، ٢٩٥)

(كشف الظنون ١ / ٧٠٢ وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية .
الفقه الحنفى - وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٢٩٤ ، ٢٩٥) .

* خزانة البنود :

كانت هذه الخزانة من منشآت الدولة الفاطمية بناها الخليفة الظاهر بين قصر الشوك وباب العيد لخزن أنواع البنود من الرايات والأعلام عدا أنواع السلاح والآلات الحربية ، وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين فى سائر الصنائع وبها مدرسة لتعليم ممالك الدولة أنواع العلوم وفنون الحرب وصنوف حيلها من الرماية والمطاعنة والمسابقة . ثم احترقت تلك الخزانة بما فيها من أنواع المتاع سنة ٤٦١ هـ وجعلت بعد هذا الحريق حبسا للأمراء والوزراء والأعيان إلى أن زالت الدولة الفاطمية . وقد اتخذها ملوك بنى أيوب أيضا سجنا تعتقل فيه

إصلاح المنطق لابن السكيت ، وأغلاط الجمهرة لابن دريد .
وأغلاط المعجاز لأبى عبيد ، وأغلاط الفصيح لثعلب ، وأغلاط الكامل للمبرد ، وغير ذلك ، وكتاب التصحيح للحسن العسكرى ، وكتاب التنبيه على حدوث التصحيح لحمزة الأصفهاني ، (منه فى الخزانة التيمورية نسخة فتوغرافية) ولحن العامة للجوالقى ، ولأبى بكر الزبيدى ، وحاشية ابن برى على صحاح الجوهري ، وأغلاط الجوهري للمصالح الصفدى ، ودرة النواص للحريرى ، وشرحها لابن برى ولابن الحنبلى ، ولشيخنا الشهاب الخفاجى .

ومنها كتب الأمثال وهى : أمثال أبى عبيد القاسم بن سلام ، وشرحها لتلميذه ، وأمثال أبى فيد : مؤرج السدوسى ، والفخر للمفضل الضبى (هذا وهم ، والصواب أن الفناخر لأبى طالب المفضل بن سلمة . والمفضل بن محمد الضبى صاحب المفضليات أقدم منه) والأمثال التى على «أفعل» لحمزة الأصفهاني ، ومجمع الأمثال للميداني ، ومستقصى الأمثال للزمخشري . وغير ذلك .

ومنها كتب الأماكن والبلاد وهى : المعجم فيما استعجم لأبى عبيد البكرى فى ثلاث مجلدات كبار . ومعجم البلدان لياقوت الحموى فى عشر مجلدات كبار وغير ذلك مما لو سدرته لطلال ، وأورث السأم والملا (خزانة الأدب ١ / ١٨ - ٣٧) .
(المجمل فى تاريخ الأدب العربى - طه حسين وزملائه / ١٦٥ ، والمفصل فى تاريخ الأدب العربى - أحمد الإسكندرى وزملائه / ٢ / ٢٨٤ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب - وضعه رياض عبد الحميد مراد ، وياسين محمد السواس ٢ / ٤٠٠ ، ٤٠١ ، والأعراب الرواة د . عبد الحميد الشلقانى / ٣٣١ ، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادى . عنى بنشره المطبعة السلفية ومكتبتها ، وإدارة الطباعة المنيرية - تصحيحات العلامة الجليل تيمور باشا ، وتصحيحات وتعليقات المحقق الكبير الأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ١ / ١٨ - ٣٧)

انظر طبعات الكتاب فى مادة «البغدادى» (عبد القادر) فى م ٧ / ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، وترجمة المؤلف / ٢٤١ - ٢٤٥ .

* خزانة الأكمل :

قال حاجى خليفة

الأمراء والمماليك ثم جعلوها منازل للأسرى من الفرنج المأسورين من البلاد الشامية ، واستمرت مخصصة لذلك الغرض زمن دولة المماليك حتى عهد الناصر محمد بن قلاوون .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١١٧
عن صبح الأعشى للقلقشندي ٣ / ٣٥٤ ، وخطط المقرئى / ١ / ٤٢٢).

* خزانة التجميل:

من عهد الفاطميين وهى خزانة فيها أنواع من السلاح ، وتحتوى كذلك على الآلات الثمينة التى ربما تستخدم فى المناسبات الرسمية على الخصوص ففيها عدة صناديق مملوءة بالفصوص والجواهر وأوان من ذهب وفضة وسروج ذهب وكنائش مطرزة وملابس مطرزة وحوائص وأمتعة حسنة من كل نوع . وكان يشرف عليها ناظر .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١١٧
عن صبح الأعشى للقلقشندي ٣ / ٤٧٤ ، وزبدة كشف الممالك لابن شاهين / ١١٥).

* الخزانة التيمورية:

أوردناها فى مادة «تيمور باشا (أحمد) فى م ١١ / ٢٠٠ ، ٢٠١ فانظرها فى موضعها .

* خزانة جامع القرويين:

تعد خزانة جامع القرويين أغنى المكتبات العامة وأعظمها وأقدمها فى المغرب . وقد ضمت نوادر من المخطوطات التى لا توجد فى مكان ، وكثير منها نسخ قديمة جدا .

والقرويين ، مسجد وجامعة وخزانة . فأما المسجد قامت ببناؤه فاطمة أم البنين بنت محمد بن عبد الله الفهرى فى القرن الثالث الهجرى ، وأما الجامعة فقد أخذت تعقد فى فترة جد قريبة من تاريخ البناء .

وأما الخزانة فقد بنيت فى أواسط القرن الثامن الهجرى وهذه الخزانة ضمت نوادر غريبة جدا . وقد أدرجت مجموعة من مخطوطاتها فى كتاب مجموعة مختارة من ص ٩٥ إلى ٢١٤ .

(مجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة فى

المغرب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١ / ٩٥).

* خزانة الحكمة:

انظر: دار الحكمة .

* خزانة الخاص:

وتسمى أيضا «ديوان الخاص» أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان يشرف على هذه الخزانة «ناظر الخاص» . وكان عمله الإشراف على ما هو خاص بمال السلطان وكان يتبعه مستوفى الخاص وشاد الخاص وحتى شاد القصر .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١١٨
عن صبح الأعشى للقلقشندي ٣ / ٤٥٢).

* خزانة الخواص:

خزانة الخواص : لعبد الفتاح الملائندوى وهو مختصر على سبعة أبواب وخاتمة أوله حمدا لملك ملكوت الملك حكما إلخ وترتيب أبوابه هكذا الأول فى خواص الأدعية والثانى فى الأوراد والدعوات والثالث فى خواص الفاتحة وسائر السور والرابع فى خواص الأسماء والحروف والخامس فى دفع كيد العدو والسادس فى تسهيل المأرب والسابع فى الطهارة والخاتمة فى المهمات .

(كشف الظنون / ١ / ٧٠٢).

* خزانة داود الجلبى:

هو الدكتور داود بن محمد سليم بن أحمد بن محمد الجلبى (تُلفظ الجيم شينا مفخمة) (١٢٩٧ - ١٣٧٩ هـ / ١٨٧٩ - ١٩٦٠ م) وقد أفردنا له مادة تحت عنوان «داود الجلبى» فانظرها فى موضعها .

ولما كانت خزائن الكتب من معالم الحضارة الإسلامية سواء كانت عامة كما فى الجوامع والمدارس ودور العلم بأنواعها والربط ، أو كانت خاصة كما فى قصور الملوك والأمراء والوزراء والعلماء وغيرهم من صنوف الناس . ومن بين هذه الخزائن الخاصة وجدنا نموذجا جيدا هو خزانة الدكتور داود الجلبى التى يقول عنها الدكتور فيصل دبذوب : للدكتور داود الجلبى خزانة كتب تضم ١٨١٤ مجموعة وكتابا ورسالة

- معظمها مطبوع، وقد وقفها وقفا خاصا وقامت أسرته مؤخرًا بإنشاء بناية خاصة لكتب الخزانة بأجمعها وستدعى مكتبة المرحوم الدكتور داود الجلبى الموصلى» وحينذاك يسمح لرجال العلم بالتزود من كنوزها العلمية الثمينة (ملاحظة: بحث الدكتور فيصل دبذوب هذا نشر فى مجلة المخطوطات عام ١٩٦٧).
- وقد أحصى الدكتور فيصل دبذوب ما تضمنه خزانة الدكتور داود الجلبى من مخطوطات رأينا أن ننقل بيانها لتكون بين أيدي رجال العلم والدارسين والباحثين والمؤلفين - يقول الدكتور فيصل:
- تضم خزانته ١٦٠ مجلدة خطية تحتوى على ٢٧٥ كتابا ورسالة. وقد صنفها حسب موضوعاتها وإليك بيانها:
- القرآن وما يتعلق به:
- ١ - مجموعة فيها:
- (١) حرز الأمانى ووجه التهانى «الشاطبية فى القراءات» للشاطبى بخط عبد الرحمن بن محمد أمين.
- (٢) عقيلة أتراب القصائد فى أسنى المقاصد، بخط عبد الرحمن بن محمد أمين.
- (٣) رسالة فى جمع الأوجه السبعة، فى أربع صحائف، لم يذكر اسم مؤلفها، بخط عبد الرحمن بن محمد أمين.
- (٤) القول المكين فى تكبير سنة المكين، لم يذكر اسم مؤلفها، بخط عبد الرحمن بن محمد أمين.
- (٥) ذكر الأحرف التى أدغمها الإمام أبو شعيب السوسى فى المتقاربين والمتمائلين (الإدغام الكبير) للناسخ عينه.
- (٦) العقود المجوهرية واللالئى المبتكرة «شرح البقرية فى القراءات» (١٢٦٩ هـ) الناسخ عينه.
- (٧) رسالة فى أوقاف القرآن.
- الفقه:
- ١ - كنز الدقائق للنسفى. بخط رسول بن برى بن طوسون (٩٤٠ هـ).
- ٢ - كتاب القدورى. بخط حسين ابن الشيخ مصطفى الزيارى (١١٢٤ هـ) فى آخر رسالة العقائد للغزالى.
- ٣ - الفتاوى الخيرية، لخير الدين البرملى. بخط الحاج حسين ابن الحاج محمد الغلامى (١١٨٧ هـ).
- ٤ - الربع من ابن حجر. بخط ملا ياسين بن ملا شريف وآخرين (١١٨٨ هـ).
- ٥ - تحفة الطلاب بشرح تنقيح اللباب. المتن والشرح للقاضى زكريا.
- ٦ - الأعلام بقواطع الإسلام، لابن حجر الهيتمى. بخط السيد سليمان بن هلال المشهدانى (١٢٥٥ هـ).
- ٧ - مختصر على المقدمة الرحبية، لمحمد بن سبط الماردىنى، بخط أحمد جلبى بن محمد جلبى (١٢٦٨ هـ).
- ٨ - (١) ترجيح البيئات لملا كاظم البغدادى. أوله الحمد لله الذى أظهر قواطع الحجج والبيئات.
- (٢) كتاب فى ترجيح البيئات أيضا، للسيد عبد الرحمن ابن سليمان الشهير بخصال. أوله: الحمد لله عظيم البرهان.
- (٣) ترجيح البيئات الأسيرية. يليه حل ألغاز لمحمد صالح بن طه الموصلى وحل عويصات له ولغيره.
- (٤) رد لداود بن السيد سليمان البغدادى، يرد به ترجيح بهاء الدين العاملى لمسح الرُّجُلَيْن فى الوضوء عام ١٢٨٢.
- ٩ - مسائل كالأغاليط فى الفرائض، لملا حسين الشيفكى. بخط محمد (١٢٩٢ هـ) كتب الشبلى غلطا.
- ١٠ - جدول فى الفرائض، للدكتور داود الجلبى وبخطه ١٣٤٥ هـ.
- ١١ - أرجوزة فى الفقه خط، قسم منها فقط.
- ١٢ - يزيدان حقارندة فتاوى شريفة، لأبى سعيد العمادى بخط الدكتور داود الجلبى (١٩٣٧ م) (باللغة التركية).
- ١٣ - صورة وقفية جامع نبي الله شيت، من قبل أحمد باشا الجلبى.

- العقائد الإسلامية :
- ١ - مجموعة فيها (١) الابتهاج بالكلام على الإسراء والمعراج ، لنجم الدين الفيضى (٩٧٩ هـ) .
 - (٢) الآية الكبرى فى قصة الإسراء . لجلال الدين السيوطى (١٢١٨ هـ) .
 - ٢ - مجموعة فيها (١) أسئلة وأجوبة فى العقائد والإيمان ، للشيخ عطية القهوقى . بخط أحمد بن الشيخ حسن الأملطى (١٠٨٤ هـ) .
 - (٢) شرح صغرى الصغرى ، لأبى عبد الله محمد بن يوسف السنوسى الحسينى ، بخط أحمد ابن الشيخ حسن الأملطى .
 - ٣ - حاشية الخيالى على شرح سعد الدين التفتازانى لرسالة العقائد النسفية (١٠٨٩ هـ) .
 - ٤ - كشف الشبهات فى رد أهل الضلالات ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بخط يوسف (١٢٦٣ هـ) .
 - المواعظ والخطب والأدعية والعبادات :
 - ١ - بداية الهداية للغزالي .
 - ٢ - مجموعة فيها (١) رسالة فى فضل عاشوراء ، الشيخ على الأهورى (١٠٨٢ هـ) .
 - (٢) رسالة فى فضل ليلة النصف من شعبان للشيخ على الأهورى أيضا (١٠٨٢ هـ) .
 - التصوف :
 - ١ - بلغة الغواص إلى معدن الإخلاص ، للشيخ محبى الدين ابن عربى . فيه نقص فى عدة أماكن .
 - ٢ - فصل فى ذكر الطريقة النقشبندية ، بخط محمد جلبى الجد الأكبر للدكتور داود الجلبى .
 - (٢) النفحات الأنسية فى تبرة عقائد الصوفية ، لمحمد سعيد النقشبندى البغدادى ، بخط إبراهيم (١٣٠٤ هـ) .
 - ٣ - إجازة من السيد إبراهيم القادري ابن السيد مصطفى ،
 - بخط إسماعيل بن محمد سعيد (١٣١٨ هـ) أعطيت لدرويش هندی .
 - ٤ - البهجة ، للحسين بن منصور الحلاج . كتبت للدكتور داود الجلبى عام (١٩٣١ م) .
 - الأديان والمذاهب والجدال فيها :
 - ١ - رسالة فى الرد على النصارى ، لسليمان بك بن مراد بك الجلبى ، بخط الدكتور داود الجلبى عام (١٩٢٥ م) .
 - ٢ - الفريدة السنية فى كشف عقائد اليزيدية ، لمحمد أفندى ابن أحمد أفندى الخياط بخط الدكتور داود الجلبى عام (١٩٤٠ م) .
 - ٣ - الجلوة ومصحف ورش ، بخط أحمد بن طاهر أفندى الموصلى (١٩٤١ م) .
 - ٤ - مجموعة فيها (١) الرسالة المحمدية فى الرموز الخفية ، للشيخ محمد الكلازى الأنطاكى فى مذهب النصيرية ، بخط عبد الله ابن الشيخ نجم الدين (١٣٢٩ هـ) .
 - (٢) الرسالة الشافية فى الحقائق المخفية للشيخ محمد الكلازى الأنطاكى فى مذهب النصيرية ، بخط عبد الله ابن الشيخ نجم الدين (١٣٢٩ هـ) .
 - (٣) اللؤلؤة السنية بحل رموز الطلسمات الخفية ، للشيخ درويش محمد . فى مذهب النصيرية ، بخط يوسف ابن الشيخ نجم الدين (١٣٣٥ هـ) .
 - (٤) درياق العليل فى مسائل الخليل . للشيخ حسين أحمد فى مذهب النصيرية .
 - ٦ - رساله الملا سعيد الجوادى إلى مطران اليعاقبة بالموصل موسى بن اللثى بخط الدكتور داود الجلبى (١٩٤٧ م) .
 - ٧ - سلم المسيح ، للقس يوحنا الحكيم الموصلى ابن القس عبد الأحد الصباغ . بخط صليبا شمعون البرطللى عام (١٩٥٢ م) .

العلوم الإلية :

٦ - حقائق الدقائق فى شرح رسالة علامة الحقائق . مبتور الطرفين . والكتاب فى النحو .

٧ - الروضة المزهرة فى شرح نظمنا المسمى بالميسرة ، لعلى ابن الحاج يونس بن عبد الجليل ، وهو نظم قواعد الإعراب لابن هشام وشرحه .

٨ - الرشيدية وهى شرح عبد الرشيد الجونفورى لرسالة السيد الشريف الجرجانى فى المناظرة ، بخط أحمد الرمضانى عام (١٣٢٤ هـ) .

٩ - حواشى على بن عبد الله محضر باشى الموصلى على شرح خواجه على السمرقندى لرسالة الوضع .

١٠ - حاشية عبد الغفور عيسى الجامى فى النحو (٩٤٥ هـ) .

الهيئة والتقويم :

١ - الروض العاطر فى تلخيص زيغ ابن الشاطر ، لمحمد بن على بن زريق ، نقله الجد الأكبر للدكتور داود الجلبى - محمد جلبى - من طول دمشق إلى طول الموصل .

٢ - مجموع فيها (١) مقاصد الغوالى بقلائد اللاكى فى علم التوقيت ، لمحمد بن سليمان المغرى الروانى بخط عبد الفتاح السيد حسن .

(٢) سراج الاستخراج من استخراج التقاويم لفريد بخومى دهلوى . (فارسى) .

٣ - رسالة فى قواعد الاسطرلاب ، لعيدر بن السيد عبد الرحمن الحسينى الجزرى (١٣٢٨ هـ) .

٤ - كشف غمرة اللبس فى كشف الزهرة للشمس ، لدرويش محمد بن أحمد الطالوى ، بخط الدكتور داود الجلبى . الجغرافيا :

١ - كتاب جغرافيا عربى قديم مبتور الأول والآخر ، يظن أنه لساهاى زاده .

٢ - تقويم البلدان للملك المؤيد صاحب حماة . بخط محمد جلبى ١٢٤٩ هـ - الجد الأعلى للدكتور داود الجلبى - وقد زاد محمد جلبى هذا الكتاب الكثير من الفوائد .

١ - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسى ، بخط المؤلف (٩٢١ هـ) .

٢ - مجموعة فيها (١) حواشى الزيارى على شرح عصام لرسالة الاستعارات لأبى القاسم الليثى السمرقندى ، بخط عبد الله .

(٢) شرح عاصم الدين الإسفرائينى لرسالة الاستعارات لأبى القاسم السمرقندى . أتم نقصها عام ١٢٦٧ هـ .

(٣) ميزان الأدب المعروف بالحنفية ، وهو شرح محمد الحنفى التبريزى للرسالة العضدية فى أدب البحث ، بخط عبد الوهاب عام ١١٥٢ هـ .

٣ - شرح عروض الأندلس لعبد المحسن القيصرى . بخط عثمان بن الملا على السوسنى عام ١١٥٥ هـ .

٤ - مجموعة فيها (١) تلخيص الحساب لبهاء الدين العاملى ، بخط محمد حسن الأيروانى ولد مشهدى على أولوخابلو عام (١٢٤٢ هـ) .

(٢) تلخيص المفتاح فى الحساب لجمشيد بن مسعود الملقب بغياث ، بخط محمد حسن الايروانى أيضا عام (١٢٤٢ هـ) .

(٣) كتاب الأمداد والأرطال لمحمد باقر ابن محمد تقى ، بخط محمد حسن الأيروانى عام (١٢٤٢ هـ) .

٥ - مجموعة فيها (١) الرسالة العضدية فى علم الوضع لعبد السدين بن عبد الرحمن الإيجى الشيرازى .

(٢) شرح الرسالة العضدية فى علم الوضع لعصام الدين الإسفرائينى عام (١١٦٥ هـ) .

٢ - إتحاف الأنام بأخبار سيدنا جرجيس عليه السلام لأبى الفتوح على بن مصطفى السدباغ . بخط المؤلف عام (١١٤٥ هـ) .

٣ - مجموعة فيها (١) صورة الكتاب الوارد من ملا باشى على أكبر إلى السيد يحيى أفندى بأمر نادر شاه وجواب المكتوب بخط الدكتور داود الجلبى .

(٢) قصيدة هجوم فى حق حمام العليل للملا جرجيس الموصلى وقصيدة مدح لها ردا على الملا جرجيس ، بخط الدكتور داود الجلبى .

(٣) منهل الأولياء ومورد الأصفياء فى سادات الموصل الحدياء ، لمحمد أمين بن خير الله العمرى ، بخط الدكتور داود الجلبى (١٩٢٤ م) .

الأدب:

١ - مجموعة فيها (١) شرح المعلقات السبع للزوزنى ، بخط عبد الله بن عبد الله (٦٠٠ هـ) .

(٢) قصائد وأشعار لشعراء جاهليين بخط عبد الله بن عبد الله (٦٠٠ هـ) أغلبها مشروح ومشكل .

(٣) القصيدة الحرباوية لعثمان بن عيسى البلطى بخط عبد الله بن عبد الله (٦٠٠ هـ) .

(٤) شرح مقصورة ابن دريد ، بخط عبد الله ابن عبد الله (٦٠٠ هـ) .

(٥) لامية العجم للطغرائى ، بخط عبد الله بن عبد الله (٦٠٠ هـ) .

٢ - تخميس الوترية فى مدح خير البرية لمجد الدين أبى عبد الله محمد البغدادي خط (٩٤٤ هـ) الأصل على حروف الهجاء .

٣ - بستان الحكماء وسراج العلماء للقمان الحكيم؟ خط عام ٩٩٨ هـ قد سقطت منه أوراق فى سبعة مواضع .

الرحلات:

١ - سياحة الخورى إيلياس ابن القسيس حنا الموصلى ، تاريخها ١٧٨٦ ، عن نسخة حررها الكوالير اندراوس (١٦٩٩ م) .

٢ - رحلة أوليفى . القسم المختص منها بالموصل . ترجمة الدكتور داود الجلبى عام ١٩٥٣ م .

التاريخ:

١ - محاضرات الأوائل ومسامرات الأواخر للشيخ على دده . بخط على بن الحاج أيوب العمرى (١٠٩٢ هـ) تنقصه ورقتان .

٢ - كتاب تاريخ للأنبياء (مجهول) مبثور الأول والآخر .

٣ - شجرات أنساب للأنبياء والملوك . ناقصة .

٤ - صفحات من كتاب عثمان بن حبيب بن حجر القارصى المسمى بوقائع قارص وإيران ، نقلها الدكتور داود الجلبى ، تركية العبارة .

٥ - مجموعة تحتوى على :

(١) صفحات من تاريخ الموصل من كتاب ألفه الأب لنزا ، مترجم من الفرنسية من قبل الدكتور داود الجلبى عام (١٩٤٨ م) .

(٢) ثلاث كتابات تاريخية وجدت فى كنيسة فى قرية قوش ، بخط ناظم أفندى العمرى .

(٣) كتابة تاريخية وجدت فى أحد الكتب السريانية فى كنيسة بحزانى ، بخط ناظم أفندى العمرى .

(٤) صورة كتاب من محمد أمين بك إلى خاله عبد الله أفندى فخرى زاده يصور فيه وقعة عبد الفتاح بك الجلبى التى حدثت فى الموصل عام (١١٧٥ هـ) .

(٥) زبدة الآثار الجلية استخرجها الدكتور داود الجلبى من الآثار الجلية لياسين العمرى ، بخط الدكتور داود الجلبى .

التراجم:

١ - ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا للخفاجى شهاب الدين أحمد .

- ٤ - شرح سرورى لكلىستان الشيخ سعدى بالعربية ، بخط
خواجة خليل ابن الشيخ محمود (١٠٢٣ هـ).
- ٥ - رسالة صغيرة فى الحكميات . مجهولة تبدأ بقال أبو العيناء
لصاعد . مبنورة الأول والآخر.
- ٦ - مجموعة فيها (١) كلزار إبراهيم . (فارسي) خط فى غاية
الجودة .
- (٢) نثر نصيرانى همذانى وديباجات ورقع
مختلفة لغيره . فارسي بالخط عينه عام
(١٠٣٢ هـ).
- (٣) إنشاء ملا ظهورى . فارسي بالخط
عينه .
- (٤) إنشاء ملا ظهورى . فارسي - غير الأول
- وبالخط عينه .
- ٧ - الفريدة السنية فى الحكم العربية لمحمد أمين خير الله
الخطيب العمرى الموصلى بخطه (١١٨٤ هـ).
- ٨ - مجموعة تحتوى على :
(١) مجموعة خطوط مختلفة فيها قصائد وأشعار لمحمد
أمين بك ياسين أفندى زاده وموسى الحدادى وغيرها على
بعضها مكتوب عام (١١٤٩ هـ).
- ٩ - ألفية العراقى بخط حمو الكردى النفيس (١١٨٤ هـ) فيها
نقص كبير فى الوسط .
- ١٠ - المنح المكية فى شرح الهمزية لابن المكى الهيمى
بخط أحمد بن الحاج حسين أفندى الغلامى عام (١٢٠٤ هـ).
- ١١ - مجموعة فيها (١) تخميس الهمزية لعلى الجفعترى خط
عام (١٢٣٢ هـ).
- (٢) تشاير وتخليس لسليمان أفندى .
- ١٢ - ديوان الشيخ الحاج أبى بكر بن جميل خليفة مصطفى
(١٢٣٢ هـ).
- ١٣ - مجموعة فيها أشعار قاسم بن يحيى أفندى بن يونس
أفندى ديوان أفنديسى وأشعار أخيه صالح وأشعار
موصليين آخرين .
- ١٤ - قصائد محبوبكة الطرفين لمحمد الغلامى بن حسن بن
على بن مصطفى الغلامى مفتى الشافعية فى مدح أحمد
باشا الجلبى .
- ١٥ - مجموعة (ديوان) محمد أفندى ابن الحاج إسماعيل
أفندى قاضى زاده . فى آخرها قصيدة فى المدح عن
الأولياء والطعن بابن تيمية .
- ١٦ - مجموعة تبدأ بزهرة البستان فى تجربة الخلال لفتح الله
الموصلى يتلوها قصائد وأشعار لشعراء موصليين وغيرهم .
- ١٧ - مجموعة التواريخ فى مدح الوزراء من بنى عبد الجليل .
- ١٨ - مجموعة تحتوى على :
(١) ديوان صفى الدين الحلى مبنورة الآخر .
(٢) قصائد محبوبكة الطرفين لمحمد بن مصطفى الغلامى
الموصلى فى مدح فتاح باشا الجلبى .
(٣) قصيدة للسيد فتح الله القادرى الموصلى فى حصار نادر
شاه طهماسب قولى للموصل .
- ١٩ - مجموعة فيها (١) المعشرات . نظم . تحت كل كلمة
ترجمتها بالفرنسية بين السطور .
(٢) الخمسات . نظم . تحت كل
كلمة ترجمتها بالفارسية بين
السطور .
(٣) ترجمة لامية العجم إلى الفارسية .
(٤) شرح القصيدة الحرباوية التى هى
لتاج الدين عثمان بن عيسى
البلخى .
(٥) النجديات ، لأبى المظفر محمد
ابن أبى العباس أحمد بن إسحاق
الأيوردى .
(٦) آيات وأحاديث وحكم وأشعار
شئى . لعل جميع ما احتوته هذه
المجموعة هو للأيبوردى المذكور .
- ٢٠ - مجموعة من الأقوال والأشعار الحكمية ، لعبد الله جلبى
ابن أحمد جلبى . بخطه - عم الدكتور داود الجلبى .

- ٢١ - مجموعة أشعار من جمع الدكتور داود الجلبى . بخطه .
- ٢٢ - رسالة الطيف لبهاء الدين على بن عيسى الأربلى ، بخط الدكتور داود الجلبى .
- ٢٣ - مجموعة فيها (١) تقويم السديم وعقبى النعيم المقيم لأبى المظفر فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ قدر الدين محمد بن حمويه . بخط الدكتور داود الجلبى (١٩٣٩ م) .
- (٢) مقامة له ألفها عند سفر الملك الكامل إلى ثغر الإسكندرية . بخط الدكتور داود الجلبى الموصلى (١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م) .
- ٢٤ - ديوان مرتب على حروف المعجم لبعض شعراء المعجم من بحر الدوييت كتب للدكتور داود الجلبى (١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م) .
- الفنون الجميلة :
- ١ - مجموعة قصائد وعتابات وزهريات منسوبة إلى نعمان أفندى العمرى وغيره . المنطقه والفلسفة :
- ١ - مجموعة فيها (١) شرح إيساغوجى ، لحسام الدين حسن كاتى ، بخط أحمد الدرويش العمرى عام (١٢٠٠ هـ) .
- (٢) حاشية على شرح حسام كاتى لمحجى الدين التالجبى ، بخط أحمد الدرويش العمرى عام (١٢٠٠ هـ) .
- ٢ - مجموعة فيها (١) شرح الرسالة القياسية لمحمد بن مصطفى الأرض زوض عام (١٢٥٤ م) .
- (٢) متن الرسالة القياسية لموسى الكليم البهلوانى عام (١٢٥٤ م) فى آخر المجلدة .
- ٣ - مجموعة فيها (١) شرح محمد بن شريف الحسينى لقسمى الطبيعى والإلهى من هداية
- الحكمة لأثير الدين الأبهمدى ، بخط يوسف ابن مولانا عبد اللطيف .
- (٢) شرح ما سوى المنطق من هداية الحكمة ، لملا زاده ، بخط يوسف بن مولانا عبد اللطيف عام (٨٨٧ هـ) .
- الحيوان :
- ١ - حياة الحيوان الكبرى للدميرى . الجزء الأول . بخط على ابن أحمد بن على بن عمر المقرئ اليمنى . المعروف بالشواطى عام (٨٥٨ هـ) .
- النبات :
- ١ - كتاب نبات مصور قديم مخطوط .
- ٢ - سر الأسرار فى معرفة الجواهر والأحجار لابن الشماع الحلبي ، بخط الدكتور داود الجلبى (١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م) .
- الكيمياء :
- ١ - مجموعة تحتوى على :
- (١) رسالة لمحمد بن عمر المحمدى فى الحجر الأعظم .
- (٢) رسالة فى الكيمياء نسبت لخالد بن يزيد .
- ٢ - مجموعة فى علم الكاف (الكيمياء القديمة) .
- ٣ - مجموعة فيها (١) الطب الجديد الكيمياوى لبراكلسوس ، بخط محمد جلبى جد الدكتور داود الجلبى عام (١٢٣٦ هـ) .
- (٢) الكيمياء الملكية فى صناعة الطب الكيمياءى لفروليوس ، بخط محمد جلبى جد الدكتور داود الجلبى عام (١٢٣٦ هـ) .
- الطب :
- ١ - دفع مضار الأغذية لمحمد بن زكريا الرازى ، بخط محمد ابن الحسين بن زيد تاريخها (٤٠٣ هـ) . لا يوجد أقدم من هذا المخطوط فى الموصل .
- قالت المؤلفة : الكتاب الذى عندى بعنوان «منافع الأغذية

الجلبى . أدرك هذا الرجل أوائل الحركة الطبية عند الإفرنج واقتبس من مؤلفاتهم . النسخة تامة وخطها جيد .

١١ - مجربات أحمد جلبى بن محمد جلبى المتوفى فى جمادى الآخرة عام (١٢٨٢ هـ) فى الطب ٢٥ ورقة بخطه والمؤلف هو جد الدكتور داود الجلبى .

١٢ - مجلد فيه رسالتان فى العلة المراقية .

(١) تبدأ الأولى بقوله (الحمد لله رب العالمين . أما بعد فهذه رسالة ألفها مصطفى أفندى فىضى حكيم باشى سلطان محمد الفاتح بن سلطان إبراهيم (كذا . ويقتضى أن يكون الضواب محمد الرابع لا الفاتح) أشار بتأليفها فصفها برسمه فى بيان معالجة العلة المراقية السوداوية والعلة المراقية غير السوداوية .

(٢) الرسالة الثانية : جاء فيها بعد أسطر من البدء ما نصه (اعلم أن العلة المراقية السوداوية والعلة المراقية المحضة كل منهما علة مستقلة كما بينا فى الرسالة الأولى) فىفهم أن مؤلف الرسالتين واحد فى أسفل الصفحة الأخيرة قال الناسخ «كتب بخط الفقير قس عبد الأحد الطيب وذلك قد كتبه لنفسه» ثم إنه محاسن (قس عبد الأحد الطيب) وكتب فوقه بخطه أيضا (محمد الطيب المهتدى) إذن قد استنسخ هذا الكتاب قبل اعتدائه [للإسلام] عام (١١٣٦ هـ) ومحمد المهتدى هو محمد جلبى الطيب - الموصلى الجد الأعلى للدكتور داود الجلبى .

وإليك هذا الفهرست للمخطوطات .

فهرست مخطوطات خزانة الدكتور داود الجلبى ويشتمل على (الموضوعات وعدد المجلدات وعدد الكتب والرسائل)

الموضوع	عدد المجلدات	عدد الكتب والرسائل
القرآن وما يتعلق به	١	٧
الفقه	١٣	١٦
العقائد الإسلامية	٤	٦
المواعظ والخطب	٢	٣
التصوف	٤	٤

ودفع مضارها - راجعه وقدم له د . عاصم عيثانى . دار إحياء العلوم بيروت . الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .

٢ - انتخاب الاقتضاب المشتمل على سؤال وجواب وهو المدخل للمبتدئ فى علم صناعة الطب تصنيف أبى النصر سعيد بن أبى الخير المسيحى بن عيسى - المطبيب - يليه نهاية القصد فى صناعة الفصد لمحمد بن إبراهيم صاعد الأنصارى .

٣ - بحر الجواهر لمحمد بن يوسف الطيب الهرورى . قال إنه ألفه بأمر الوزير محمد المشتهر بأمير بيك ، وهو دائرة معارف للطب القديم لم يذكر فى كشف الظنون . قد سقطت ورقة من أوله وأخرى عند حرف الجيم عند الكلام على الجدرى .

٤ - برء الساعة لمحمد بن زكريا الرازى (١٢٨١ هـ) .

٥ - جداول الحاوى نقلها الدكتور داود الجلبى من مجلد من أجزاء الحاوى وجده فى مدرسة جامع البلس بالموصل .

٦ - رسالة فى النبض ، فى ٢٤ صفحة من جمع محمد جلبى - يليها فصل فى النبض أيضا مقتبس من نور البيان وآخر من كامل الصناعة .

٧ - شرح الموجز لنفيس بن عوض . المتن لعلاء الدين على ابن أبى الحزم القرشى .

٨ - شفاء السقيم . كتاب صغير لم يذكر اسم مؤلفه . قد جمع فيه صفات للأمراض المختلفة منقولة من التحفة الجامعة لمفردات الطب للشيخ يحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى ومن غاية البيان لصالح أفندى ومن يادكار بن شريف ومن رسالة نصره أفندى الإسلامبولى ومفردات ملا قاسم المولوى الموصلى بخط مصطفى الحافظ عام (١٢٤١ هـ) .

٩ - العيسوى فى صناعة الطب ، لأبى سهل عيسى بن يحيى المسيحى وقد يسمى كتاب المائة لأنه مقسم إلى مائة كتاب .

١٠ - غاية الإتقان فى تدبير بدن الإنسان لصالح أفندى

الذي خلق الإنسان وعلمه البيان ... إلخ ذكر فيه أنه أفنى عمره في جمع المسائل وغريب الروايات وأبتدأ بكتاب العلم لأنه أشرف العبادات .

(كشف الظنون ١ / ٧٠٢)

* خزانة سابور:

انظر: دار العلوم ببغداد

* خزانة السلاح:

ما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في الفنون الحربية والفروسية مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلي: خزانة السلاح لم يعلم مؤلفه .

وهي مختارات في وصف السلاح .

أوله: الحمد لله الذي أنزل الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وجعل الجنة تحت ظلال السيوف تأتي من الخير بأنواع وأجناس ... وبعد، فهذه رسالة كتبها على وفق الاقتراح، وسميتها خزانة السلاح، تطعن صدور المعاندين برماح ألفاتها، وترمي مقاتل الأغراض بقسي نواتها ... وذلك أني لما تشرفت بالمشول في الحضرة الشريفة الإمامية العالمية العاملة العادلة السلطانية الناصرية، حضرة مولانا السلطان الأعظم والخاقان الأرفع الأكرم ... أبي الفتح أحمد شاه بن سلطان محمد شاه بن السلطان مظفر شاه ... إلخ .

وآخره: فدونكها رسالة قد حلت من جرمة المنيع بأعز الأوطان، وآثرت الاختصاص بخدمته الشريفة، ومن أحق بخزانة السلاح من السلطان، وأنا أعتذر بما أجده من تشتت الخاطر الكليل، وأسأل إقامة العذر بما أنا بصده من العزم على الرحيل ... إلخ .

- نسخة كتبت بخط نسخ جميل، جاء بآخرها أنها تمت كتابة سنة ٨٤٠ هـ في ٤١ ورقة ومسطرتها ١٥ سطرا .
[دار الكتب المصرية رقم ٢٧٩٦ أدب]

(فهرس المخطوطات المصرية، معهد المخطوطات العربية المعارف العامة والفنون المتنوعة - تصنيف فؤاد سيد، القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ج ٤ / ١٥) .

* خزانة الشراب:

هي الصيدلية الملحقة بالبيمارستان، وقد عرفها

الأديان والمذاهب والجدال فيها	٦	٩
العلوم الآلية	١٠	١٥
الهيئة والتقويم	٤	٤
الجغرافيا	٢	٢
الرحلات	٢	٢
التاريخ	٥	٨
التراجم	٣	٥
الأدب	٢٤	٤٠
الفنون الجميلة	١	١
المنطق والفلسفة	٣	٦
الحيوان	١	١
النبات	٢	٢
الكيمياء	٣	٥
الطب	٣٤	٤٢
الصيدلة	٥	٥
التربية والتدريس	٢	٢
العلوم غير المثبتة	٧	١٣
كتب شتى	٢	٤
المجاميع	٢٠	٧٣
المجموع	(١٦٠)	(٢٧٥)

ونكتفي بهذا القدر ومن أراد المزيد فليرجع إلى المصدر ص ٢٥ - ٣٩ .

(الدكتور داود الجلبى: حياته ومخطوطات خزانته» - د. فيصل دبدوب. مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية. المجلد الثالث عشر، الجزء الأول، ربيع الأول ١٣٧٨ هـ - مايو ١٩٦٧ م / ٧ - ٢٤، ٤٠) .

انظر: خزائن الكتب، داود الجلبى .

* خزانة الروايات:

خزانة الروايات في الفروع: القاضي جكن الحنفى الهندي الساكن بقصبة كن من الكجرات وهو مجلد أوله: الحمد لله

أبو العباس القلقشندي على الشكل الآتي : «هي الخزانة المعبر عنها في زماننا (أي زمن القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ / ١٤١١) بالشرابخانة، وكان فيها من أنواع الأشرطة والمعاجين النفيسة والمربيات الفاخرة وأصناف الأدوية، والعطريات الفائقة التي لا توجد إلا فيها، وفيها من الآلات النفيسة والآنية الصني من الزبادي والبراني والأزيار ما لا يقدر عليه غير الملوك». وكان للشرابخانة رئيس يسمى رئيس صيدلاني البيمارستان.

كانت الصيدلية في بادئ الأمر تابعة لعلم الطب، غير مستقلة عنه إذ كان الطبيب في الوقت نفسه صيدلانياً، وكان له أعوان يساعدونه في عمله، فيجمعون له الأعشاب الطبيعية. وكان ثمة تجار يتعاطون تجارة العقاقير والمواد الطبية، كما كانوا يتعاطون تجارة البخور والتوابل وغير ذلك، وكان الطبيب على رأس هذه الشبكة، يتولى صنع الدواء وتركيبه في دكانه، ثم يقدمه للمريض ويقبض ثمنه.

(الطب عند العرب - د. حنيفة الخطيب / ٢٢١).

انظر مادة «البيمارستان» في م ٨ / ٢٣٧ - ٢٤٤.

* خزانة شمايل:

اسم السجن الذي كان يقع مكان جامع المؤيد بالقاهرة. وشمايل هذا من ممالك الكامل الأيوبي، أظهر شجاعة وبراعة خلال الحملة الصليبية التي استولت على دمياط فكان يسبح في النيل ليلاً ويتسقط أخبار الصليبيين، فكافأه الكامل بتعيينه والياً على القاهرة عقب الانتصار وإجلاء الحملة، فبنى سجنًا في هذا الموضع بالقرب من باب زويلة ونسب هذا السجن إليه. وكان المؤيد شيخ من سجن فيه خلال استبداد منطاش بالأمور، ويذكر المؤيد شيخ أنه قاسى في هذا السجن الشدائد، فنذر لله تعالى: إن أوتي ملك مصر ليعلن هذه البقعة مسجداً لله تعالى ومدرسة لأهل العلم.

(صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي - عبد الوهاب حمودة

/ ٩٣، ٩٤).

* خزانة الطعم:

كانت في عصر الفاطميين وعرفت في عصر المماليك «بالحوائج خاناه»، وكانت تحتوى على عدة أصناف من

جميع أصناف القلويات من الفستق وغيره والسكر والقند (القند عسل قصب السكر إذا جمد، معرب كند وهو قصب السكر) والأعسال على أصنافها والزيت والشمع وغير ذلك، ومنها يخرج راتب المطابخ خاصاً وعاماً وما ينفق لأرباب الخدم وأصحاب التوقيعات في كل شهر ولا يحتاج إلى غيرها إلا في اللحم والخضر.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلي / ١١٨

عن صبح الأعشى للقلقشندي ٣ / ٤٧٢، ٤٧٣).

* الخزانة الظاهرة:

عرفت في العصر الفاطمي وهي جزء من خزانة الكسوة، وعرفت في عصر المماليك بخزانة الخصاص وكان فيها من الحواصل من الدجاج الملون على اختلاف أنواعه والشرب الخاص الدبقي والسقلاطون وغير ذلك من أنواع القماش الفاخرة ما يدل على عظم المملكة وإليها يحمل ما يعمل بدار الطراز بتنيس ودمياط والإسكندرية من مستعملات الخصاص وفيها يفصل ما يؤمر به من لباس الخليفة وما يحتاج إليه من الخلع والتشريف وغير ذلك.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلي / ١٨٨

عن صبح الأعشى للقلقشندي ٣ / ٤٧٢).

* الخزانة العالية:

يعبر عن الخزانة في دمشق بالخزانة العالية ومتوليها يكون رفيقاً للخازنارية من الطواشية ويكون متحدثاً في أمر التشريف والخلع وما معها، وهي وظيفة جلييلة يوليها النائب بتوقيع كريم.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلي / ١١٨

عن صبح الأعشى للقلقشندي ٤ / ١٩١).

* خزانة الفتاوى:

لأحمد بن محمد

قال حاجي خليفة:

خزانة الفتاوى: لأحمد بن محمد بن أبي بكر الحنفى صاحب مجمع الفتاوى وهو مجلد أوله: أحمد الله حمداً

خزانة الفتاوى : للشيخ الإمام طاهر بن أحمد البخارى
الحنفى السرخسى المتوفى سنة ٥٤٢ هـ اثنتين وأربعين
وخمسائة صاحب الخلاصة وهو كتاب معتبر قليل الوجود .
(كشف الظنون ١/٧٠٢، ٧٠٣).

* خزانة الفقه:

خزانة الفقه للإمام أبى الليث نصر بن محمد الفقيه
السمرقندى الحنفى المتوفى سنة ٣٨٣ ثلاث وثمانين وثلثمائة
وهو مختصر أوله : الحمد لله رب العالمين جمع فيه مسائل
الفقه معدودة الأجناس مجموعة النظائر ورتب ترتيب الكثر ثم
نسج صاحب التنف على منواله (كشف ١/٧٠٣).

من مخطوطات الفقه الحنفى بدار الكتب الظاهرية (أو
بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى : الرقم ٦٠١٠

تأليف أبى الليث إمام الهدى نصر بن محمد بن أحمد بن
إبراهيم السمرقندى المتوفى سنة ٣٩٣ هـ وفى رواية سنة
٣٧٣، أو (٣٨٣) / ١٠٠٣ م .

جمع فيه مسائل الفقه معدودة الأجناس مجموعة النظائر
تسهيلا للحفظ ، ورتبه ترتيب الكثر.

أوله : الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على نبيه محمد
 وآله أجمعين الطيبين ، قال الشيخ الإمام الفقيه أبو الليث
السمرقندى رحمه الله : اعلم أن الفقه علم حسن .

آخره : لرجل جراكرد حلال نكرديدى ، فقال : من حرام
يايم حلال راجه كنم : معناه : أن يقول لرجل لم لا تدور حول
الحلال قال : ما دام أجد الحرام ليس أعمل بالحلال يكفر .
والله أعلم .

نسخة جيدة . مشكولة .

الخط نسخ معتاد . بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة .
كتبه على المصرى الأزهرى سنة ١٠٦٠ هـ .

١٩٩ ق ١٥ س ١٩,٥ × ١٣,٥ سم .

وتوجد خمس نسخ أخرى أرقامها على التوالى هى :
٦٨٥٣ ، ٥٢٧٩ ، ٨١٢٩ ، ١١١٥٧ ، ٨٢٧٤ (فهرس الظاهرية
١/٢٩٦-٢٩٨) .

بعدد ما أظهر من معدن الإنسان ... إلخ ذكر فيه أنه جمعه من
الفتاوى وأورد فيها غرائب المسائل (كشف ١/٧٠٣) .

من مخطوطات الفقه الحنفى فى دار الكتب الظاهرية
بدمشق (أو بمكتبة الأسد) ، وجاء بيانه كما يلى :

تأليف أحمد بن محمد بن أبى بكر الحنفى المتوفى سنة
٥٢٢ هـ / ١١٢٨ هـ

جمع فيه من كتب العلماء العظام أولها الفتاوى الكبرى
والصغرى للصدر ، وفتاوى أبى بكر محمد بن الفضل البخارى
وفتاوى الشيخ محمد بن الوليد السمرقندى ، وفتاوى أبى
الحسن الرستغنى وفتاوى عطاء بن حمزة والناطفى وغريب
الرواة والمنتقى والشرح المنتسب بالجصاص ، وملتقط أبى
القاسم وتحفة الفقهاء والعلاى وبديع الدين وجامع ظهير
الدين .

وبجمعه هذا ألف كتاب مجمع الفتاوى ، ثم اختصره
وجمع غرائب المسائل فى خزانة الفتاوى .

أوله : أحمد الله حمدا بعدد ما أظهر من معدن الإنسان
يوافيت ودررا .
آخره :

وقد ضمته سحرا حلالا

وقد نظمته سمط الكفايه

ولا أدرى لسانا قد تبدي

لأدنى حسنه أقصى النهايه

نسخة جيدة قديمة عليها بعض التعليقات .

الخط نسخ جيد كتب سنة ٩١٦ هـ

٢٢٠ ق ١٦ س ١٨ × ١٢,٥ سم .

المراجع : معجم المؤلفين ٢/ ٨٥ (فهرس الظاهرية
١/ ٢٩٦، ٢٩٥) .

(كشف الظنون ١/ ٧٠٣ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية .

الفقه الحنفى - وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٩٦، ٢٩٥) .

* خزانة الفتاوى:

لطاهر بن أحمد .

كما يوجد مخطوط في مكتبة متحف «مولانا» في قونيا وجاء بيانه كما يلي :

لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي المتوفى سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م .

انظر ترجمة المؤلف في معجم المؤلفين ٩١/١٣ ، وقد طبعت ببغداد سنة ١٩٦٥ ، بتحقيق الدكتور صلاح الدين الناهي .

خط السلجوقي ، الأبواب بالذهب .

في الورقة الأولى فهرست ناقص وعليها ثلاثة قيود للتملك ومكان الاسم فيها ممسوح وفي نفس الورقة قيد بمطالعته سنة ٩٤٦هـ / ١٥٣٩ - ١٥٤٠م . قام أحدهم بالكتابة على الورقة الأخيرة لإتمامه .

أوله : بسم ... اعلم أن الفقه علم حسن وهو أجل من سائر العلوم .

آخره : وقال لرجل ... والله أعلم بالصواب ... تم الكتاب بعون الملك الوهاب .

مقياس المجلد : ١٨,٥ × ١٣ .

مقياس الكتابة : ١٥ × ٩,٥ .

عدد الأوراق : ١٤١ .

عدد الأسطر .

رقمه في الخزانة : ٥٥١٧ .

رقم المجلد : ٩٨٢ (المخطوطات العربية ق ٥/ ١٣٠) .

كما يوجد مخطوط في دار الكتب القطرية وقد ورد فيه وفاة المؤلف سنة ٣٧٣هـ وجاء بيانه كما يلي :

أوله : الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله . تملكها الخطيب بالجامع الكبير .

نسخة كتبت سنة ٩٢٠هـ بخط فارسي جميل ودقيق ، عليها أختام عديدة ، وتملكات كثيرة منها تملك باسم : هبة الله بن محمد بن هبة الله الحنفي الخطيب ، بالجامع الكبير .

٦٧ ورقة ، ٢٤ × ١٥ سم ، مسطرتها ٢١ سطرا (مخطوطات القطرية / ٦١ ، ٦٢) .

وتوجد في المجمع العلمي العراقي خمس نسخ من كتاب خزانة الفقه نورد بيان كل منها فيما يلي . ونبدأ أولا بما جاء في هامش (١) لواضع الفهرس الأستاذ ميخائيل عواد الذي يقول : نهض الدكتور صلاح الدين الناهي ، لدراسة طائفة من آثار أبي الليث السمرقندي ، وعني بتحقيقها ونشرها ، بعنوان «المصنفات الفقهية لإمام الهدى الفقيه أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي : من فقهاء الحنفية بما وراء النهر في القرن الرابع للهجرة» فظهر منها . المجلد الأول ويتناول «خزانة الفقه وعيون المسائل» : (ببغداد ١٩٦٥) ، والمجلد الثاني : «عيون المسائل» : (ببغداد ١٩٦٧) .

قال في مقدمته التي صدر بها المجلد الأول (ص ٧) : « ... وثمة كتاب ثالث لهذا المؤلف ، هو بمثابة المقدمة ، وأعني به : خزانة الفقه . لأن هذا الكتاب عبارة عن مختصر للفقه ، أراد به تقريب الفقه لأذهان الجميع من عالم وجاهل ، أي بيان ما لا يستغنى عنه كل مسلم من أحكام الفقه » .

كما جاء في هامش (٢) هذه الترجمة مختصرة للمؤلف أبي الليث : نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، أبو الليث ، الملقب بإمام الهدى : علامة ، من أئمة الحنفية ، من الزهاد المتصوفين . له تصانيف نفيسة . ترجمته وذكر آثاره في : «الأعلام» ٨/ ٣٤٨ - ٣٤٩ ، «معجم المؤلفين» ١٣/ ١٩ ، وما ذكره من مراجع بشأنه .

وقد استوفى ترجمته : د . صلاح الدين الناهي ، ضمن مقدمته التي صدر بها «خزانة الفقه» : (ص ٧ - ٦٧) .

وكان عبد الحميد العلوجي ، كتب بحثا مستفيضا ، بعنوان «مؤلفات أبي الليث السمرقندي» : (مجلة «الأقلام» ٣ [ببغداد - مارس ١٩٧٦] ج ٩ ، ص ٤٤ - ٥٢) ، تناول فيه ترجمة أبي الليث ، ومصنفاته ، ونسخها الخطية ، ومواطن وجودها .

وإليك بيان نسخ المخطوطات :

المؤلف : أبو الليث السمرقندي (ت : ٣٧٣هـ / ٩٨٣م ، وقيل ٣٧٥ و ٣٨٣ و ٣٩٣هـ) .

أوله : «بسملة ... ، الحمدلة ... ، قال الشيخ الإمام

نسخة أخرى مصورة بالفتستات عن نسخة خطية في
الخزانة العامة بالرباط - المغرب (برقم D 1666)

أولها : « البسملة ... ، الحمدلة ... ، اعلم أن الفقه علم
حسن ، وهو أجل العلوم ، وهو علم الدين والشرعة ... » .
آخرها : « ... تمت الكتاب [كذا] بعناية الله المرشد
بالصواب ، وهو المسمى بخزانة الفقه ، تأليف الشيخ الفقيه
العالم الزاهر المحقق أبو [كذا] الليث السمرقندي ، رحمة الله
عليه رحمة واسعة » .

يلى ذلك :

« قد وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب المستطاب بعون
الله الملك الوهاب في دمشق [كذا] المحروسة حرسها الله
تعالى من جميع الآفة [كذا] والبلايا في يوم الأحد الأول من
شهر شوال المعظم في تاريخ سنة ست وسبعين وتسعمائة عن
يد العبد الحقير الفقير محمود بن محمد المتوفى ، غفر الله له
ولوالديه وللمن نظر فيه واستكتب ... » .

يلى ذلك في ورقة أخرى :

« هذا مما وقفه الفقير إلى الله تعالى محمود بن محمد
متوفى في حال حيوته من ثلث ماله هبة لله وطلباً لرضاه على
نفسه ، وبعد نفسه إلى أولاده ، وإلى أولاد أولاده إلى انقراض
الأولاد . وبعد انقراض الأولاد على أهله من أصلح المؤمنين
في المدون وفقاً مؤبداً حبساً تاماً صحيحاً شرعياً ، وشرط أن لا
يباع ولا يوهب ولا يرهن ولا يعار لغير أهله ، ولا يعطى لأحد
إلا برهن يحرز القيمة مثلين ، « فمن بدله بعدما سمعه فإنما
إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم » [البقرة : ١٨١]
وكان في أوائل شوال المعظم من سنة ست وسبعين وتسعمائة »
يلى ذلك أسماء شهود الحال مع ذكر السنوات .

وفي أخير الورقة ٩٤ : « وتم كتابته في ضحوة يوم الثلاثاء
سنة عشر من رجب ... في شهور سنة سبع وسبعين وتسعمائة
بمدينة السلام ، تمام وقت التوجه إلى بيت الله الحرام ، وأنا
الفقير محمود المتوفى ... » .

وفي هامش الورقة نفسها : « وقع الفراغ من تأليف هذه
الأوراق وجمعها ، ضحوة يوم الخميس الثاني والعشرين من

أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى . اعلم أن الفقه علم
حسن وهو أجل من سائر العلوم ، وهو علم الدين والشرعة ،
وقوام الشرائع به ، ... » .

آخره : « ... قد وقع الفراغ من تنميق هذا السفر الشريف
والدفتر اللطيف على يد ... سميت [؟] بن حاجي القرمانى ،
في يوم الأحد ، وهو اثنا عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث
وسبعين وتسعمائة بعد العصر بمحمية قسطنطينية » .

يلى ذلك :

« تم كتاب خزانة الفقه على مذهب الإمام الأعظم أبى
حنيفة النعمان بن ثابت رضى الله عنه وأرضاه . تأليف الشيخ
الإمام العالم ... أبى الليث نصر بن محمد بن أحمد بن
إبراهيم السمرقندي ، تغمده الله ... » .

يلى ذلك كلمة في ترجمة أبى حنيفة .

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية في خزانة كتب
بنى جامع باستانبول (برقم ٦٧٧) بخط نستعليق .

على حواشى النسخة تعليقات كثيرة مكتوبة بخط
التعليق ، دقيق للغاية . صفحة العنوان ساقطة ، وكتب في
صفحة أخرى : « هذا فهرس ما فيه » .

٦١ ق ، ٢٧ س (٣ / فقه - فرائض - قضاء)

خزانة الفقه :

المؤلف : أبو الليث السمرقندي .

نسخة أخرى مصورة بالفتستات عن نسخة خطية في خزانة
كتب السلیمانیة باستانبول (برقم ٤١٦) وعلى حواشيه
تعليقات مختلفة .

آخرها : « تمت الكتاب [كذا] بعون الله الملك الوهاب .
قد وقع الفراغ من هذه النسخة الشريفة في يوم (الثلاثاء) شبّه
من ربيع الآخر سنة ١٠٤٦ قصبه إيزنجه بخط تعليق .

١١٥ ق ، ١٩ س

(٤ / فقه - فرائض - قضاء)

خزانة الفقه :

المؤلف : أبو الليث السمرقندي

شعبان المعظم في شهور سنة سبع وسبعين وثمانمائة بمدينة السلام بغداد، وقت التوجه إلى بيت الله الحرام، وأنا الفقير عبد الرحمن أحمد الجامي، وفقه الله سبحانه لما يحبه ويرضاه. تم بحمد الله وتوفيقه بمكة المشرفة زادها الله تعالى شرفاً.

١٤٢ق، ٢١س

(٥/ فقه - فرائض - قضاء).
خزانة الفقه (في الورقة الأولى فهرست موضوعات الكتاب. وفي أعلاها، بقلم مغاير، كتب: «عيون المسائل» والصواب «خزانة الفقه» كما جاء في مقدمة الكتاب).
المؤلف: أبو الليث السمرقندي.

أوله: «بسملة...، الحمدلة...»، قال الشيخ الإمام أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى. اعلم إن الفقه علم حسن...، وقد استجمع في هذا التأليف من مسائل الفقه معدودة الأجناس... وسمى خزانة الفقه، فوائده أكثر من أن تحصى وتعد. وابتدأت في مسائل الطهارات والوضوء...»

آخره: «... قد وقع الفراغ من تنميق هذا السفر الشريف والدفتر اللطيف على يد أضعف عباد الله العائذ برب الناس من شر الوسواس الخناس ضير [خير؟] الدين بن إلياس، يوم السبت وقت الظهر وهو الثالث والعشرون من شهر شعبان الشريف المنخرط في سلك شهور سنة تسع وخمسين وتسعمائة باستانبول المحمية في إحدى الثمان وهي الثالثة من الجانب الأيمن المحاذية بالحرم في الزاوية الصغرى. تم».

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية في خزانة كتب حميدية باستانبول (برقم ٤٨٠).

بخط النسخ. وعلى حواشي النسخة تعليقات مختلفة.

١١٧ق، ١٩س

(٦/ فقه - فرائض - قضاء).

«كتاب» خزانة الفقه على مذهب الإمام الأعظم:

المؤلف: أبو الليث السمرقندي:

أوله: «بسملة...، النون النوازل للفقيه أبي الليث، والعين عيون المسائل، والواو واقعات الناطقي، والباء فتاوى الإمام أبي بكر الفضل...».

آخره: «... تم فتاوى في قعود الأجناس بعون تعالى».

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية في خزانة كتب حميدية باستانبول بخط النسخ.

الورقة الأولى فيها العنوان، وعليها أيضاً تعليقات مختلفة، وأختام. وتملكها بعضهم.

٧٣ق، ١٧س

(٧/ فقه - فرائض - قضاء).

(مخطوطات المجمع العلمي العراقي ١/ ٥٣ - ٥٧).

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٧٠٣، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفي - وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٩٦ - ٢٩٨، والمخطوطات العربية في مكتبة متحف «مولانا» في قونيا، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٥ / ١٣٠، والمنتخب من دار الكتب القطرية. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٣ / ٦١، ٦٢، ومخطوطات المجمع العلمي العراقي. دراسة وفهرسة - ميخائيل عواد ١/ ٥٣ - ٥٧).

* الخزانة الكبرى:

كان يطلق عليها الخزانة السلطانية وأيضاً بيت المال، وكانت في أول أمرها مستودع أموال المملكة وكان ناظر الخاص يشرف على جميع أموال الدولة. وعندما أنشئت وظيفة الخاص قل شأن الخزانة الكبرى وأصبحت لا تستعمل إلا في تخزين الفائض والاحتياطي أو حفظ ما يخصص للموظفين من أرزاق. وكان يعمل بها ناظر وشهود وصيارفة وكاتب.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلي/

١١٨، ١١٩ عن صبح الأعشى للقلقشندي ٤/ ٣٠، وخطط المقريري

٣/ ٣٦٩).

* خزانة الكتب:

انظر: خزائن الكتب.

* خزانة الكعبة :

كانت الكعبة في الجاهلية تكسى بكساوى كثيرة ومتعددة، كانت البدن تجلل الحبر والبرود والأكسية وغير ذلك من عصب اليمن، وكان يهدى للكعبة هدايا من كسى شتى سوى جلال البدن حبر وخز وأنماط فتكسى منه الكعبة ويجعل ما بقى فى خزانة الكعبة فإذا بلى منها شيء أخلف عليها مكانه ثوب آخر ولا ينزع مما عليها شيء .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١١٩
عن صبح الأعشى للقلقشندي ٤ / ٢٧٣) .

* خزانة اللباس :

انظر : الطشت خاناه .

* خزانة المفتين :

قال حاجي خليفة :

خزانه المفتين فى الفروع : للشيخ الإمام حسين بن محمد السميقيانى [السمنقانى] الحنفى صاحب الشافى فى شرح الوافى وهو مجلد ضخمة أوله : الحمد لله حمد الشاكرين ... إلخ ذكر فيه أنه صنفه بإشارة حكيم الدين محمد بن على الناموسنى فأورد ما هو مروى عن المتقدمين ومختار عند المتأخرين وطوى ذكر الاختلاف واكتفى بالعلامات من الهداية والنهاية وقاضىخان والخلاصة والظهيرية وشرح الطحاوى وغير ذلك من المعتبرات وفرغ فى محرم سنة ٧٤٠ أربعين وسبعمائة (كشف ١ / ٧٠٣) .

يوجد مخطوطه بخزانة المدرسة الأحمديّة (فى محلة الجلوم - البهراقية) وهى الآن تحت رعاية الأوقاف ، وجاء بيانه كما يلى ، وقد ورد اسم المؤلف فيه « السمعانى » :

خزانة المفتين - الجزء الأول :

تأليف : حسين بن محمد السمعانى كان حيا سنة ٧٤٠ هـ ، ١٣٣٩ م .

كتاب فى فروع الفقه الحنفى ، ذكر مصنفه فى خطبته دواعى تأليفه هذا الكتاب والكتب التى أخذ عنها وأورد فيه المعمول عليه فى الذات وطوى ذكر الإضافات ، واكتفى بجميع ما أورد فيه من الكتب بالعلامات والرموز وبين كيفية الأخذ

بالمذاهب . ويبدأ بكتاب الطهارة ، وينتهى بباب دعوى الوقف والشهادة وفرغ من تأليفه سنة ٧٤٠ هـ .

أوله بعد البسملة : « الحمد لله حمد الشاكرين ونؤمن به إيمان الموقنين ... » .

آخره : « ... وأقام البينة بوقف جميع الدار تقبل تم النصف الأول من خزانة المفتين والحمد لله رب العالمين » .

النسخة ملفقة إذ كتبت خطبة الكتاب بخط النسخ الجيد ، وأما الكتاب نفسه فكتب بخط فارسى مستعجل وعلى هوامشه تعليقات كثيرة وكتبت الأبواب والفصول والكتب والرموز بالحمرة نسخها محمد ابن الحاج نعيم المعصنلى سنة ٩٧١ هـ .

(٣٥٣) فى المسطرة (٢٤) س الأحمديّة (١ / ٥٦٥)
الفقه .

الجزء الثانى منه :

يبدأ هذا الجزء بكتاب البيع وينتهى بكتاب الفرائض ، وفى أوله فهرس ضم الكتب الواردة فيه مع أرقام صفحاتها .
أوله بعد البسملة « كتاب البيع وهو فى اللغة عبارة عن تمليك المال ... » .

آخره وختمته : « ... قال مؤلف هذا الكتاب : هذا آخر خزانة المفتين وقد أثبت به على ... من تلك القواعد واجتهدت فى التوفيق بين المسائل واخترت فيه ما هو المقول فى الباب ، وذكرت ما هو الأصح فى المذاهب فى الكتاب ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله الطيبين الطاهرين » .

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ الجيد . لصفحاتها أطر ، وعلى هوامشها بعض التعليقات ، كتبها محمد ذارى بن نسيمانى الحنفى سنة ٩٧٣ هـ .

(٤٥٢) فى المسطرة (٢٧) س الأحمديّة (٢ / ٥٦٥)
الفقه .

بروكلمان : ١٦٣ / ٢ ذيل بروكلمان : ٢٠٤ / ٢

(كشف الظنون ١ / ٧٠٣ ، والمنتخب من المخطوطات العربية فى حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤ / ١٧٨ ، ١٧٩) .

* خزانة الواقعات :

خزانة الواقعات : للشيخ الإمام افتخار الدين طاهر بن أحمد البخاري الحنفي المتوفى سنة ٥٤٢ اثنتين وأربعين وخمسمائة لخص منه ومن النصاب الخلاصة كما ذكر في ديوانه .

(كشف الظنون / ١ / ٧٠٣) .

* خزانة الواقعات في الفروع :

خزانة الواقعات في الفروع : للشيخ الإمام أحمد بن محمد ابن عمر الناطقي الحنفي المتوفى سنة ٤٤٢ اثنتين وأربعين وأربعمائة وهو مختصر مشهور بالواقعات .

(كشف الظنون / ١ / ٧٠٣) .

* خزائن الأسرار وبدائع الأفكار شرح تنوير الأبصار :

من مخطوطات الفقه الحنفي بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) : وجاء بيانه كما يلي :

الرقم : ١٠١٠٤

تنوير الأبصار وجامع البحار تأليف شمس الدين محمد ابن عبد الله بن محمد التمرناشي الغزي المتوفى سنة ١٠٠٤هـ / ١٥٩٦م .

خزائن الأسرار تأليف علاء الدين محمد بن علي بن محمد الحصكفي المتوفى سنة ١٠٨٨هـ / ١٦٧٧م وهذا شرح آخر غير الدر المختار، وقد ألفه المؤلف ووصل فيه إلى باب الوتر والنوافل ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى .
أوله : حمداً لك يا من شرحت صدورنا بأنواع الهداية سابقا، ونورت بصائرنا بتنوير الأبصار لاحقا ...

آخره : وهذا يقتضي أن المذهب خلاف ما في الخانية، وأنه ترجيح متنه لا اختيار في المذهب وأقره في النهر والله أعلم .

نسخة جيدة . كتبها تلميذ المؤلف .

الخط نسخ معتاد والمتن مكتوب بالحمرة . كتبه محمد ابن عمر الميداني سنة ١١٢٨هـ .

١٣٠ ق ٢٧ س ١٦×٢٢ اسم

المراجع : معجم المؤلفين ١٠ / ١٩٦ ١١ / ٥٦ ، هدية العارفين ٢ / ٢٦٢ ، ٢٩٦ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، الفقه الحنفي - وضع محمد مطيع الحافظ / ١ / ٢٩٣ ، ٢٩٤) .

* خزائن الجواهر ومخازن الزواهر :

من مصنفات التراث الإسلامي في علوم القرآن الكريم .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم : ٨١١١

المؤلف : أبو سعيد محمد بن مصطفى بن عثمان المفتي الخادمي الحنفي المتوفى ١١٧٦ .

أوله : بسم الذي جعل البسملة شريفة للافتتاح ، الرحمن الذي جعلها لوصول كل بركة المفتاح ، وجناحا إلى حل رموز الخطاب ...

وبعد فيقول أبو سعيد محمد الخادمي ... هذه خزائن الجواهر ومخازن الزواهر رقية عجائب أسرارها ، رقيقة غرائب أزهارها ، حاوية لفرائد العقليات جامعة لفرائد النقليات ، لم يأت بمثلا الأعصار ولم يسمح إلى الآن الأدهار .

آخره : وهي مفتاح للكلام القديم ومظهر بجميع أسرار القرآن العظيم ، فالمطلب في غاية العزة والبضاعة في نهاية القلة مع كون ذلك ثمرة قريحة جامدة ونتيجة فطنة خامدة مع صدور عند تلاطم الأشعار وتكاثر عوائق الأحوال فالمرجو من الإخوان فالمتحايين في الله سلام الله عليهم أجمعين وأوصلهم إلى عز يبعثهم إلى أن يصلوا إلى مرتبة حق اليقين ... هذا آخر ما أبدع حكمة الحكيم من بيان بسم الله الرحمن الرحيم في وسط شهر رجب سنة ١١٥٩ .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثاني عشر الهجري كتبت بخطين فارسيتين مختلفتين ، على الهوامش بعض الشروح والتعليقات . الأبواب ورؤوس الفقر وبعض العناوين على الهوامش . أصيب المخطوط بالرطوبة دون أن تتأثر الكتابة بذلك ، على الورقة الأولى قيد وقف باسم نقيب السادة الأشراف محمد سعيد آل حمزة على المكتبة الظاهرية .

٢٩ (١ - ٢٩) ٢١ × ١٥ س ٢٧

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم - وضعه صلاح محمد الخيمي ٢/ ١١٠ ، ١١١).

* خزائن الحكمة:

كانت خزائن الحكمة بجانب دور الحكمة ، تسهل نشر العلوم والمعارف ، أودع بها بعض محبي العلم ما اجتمع لديهم من هذه الكتب الجليلة . ومنها : - خزنة الحكمة للفتح ابن خاقان (٢٣٢ - ٢٤٧هـ) جمع فيها الكتب التي حصل عليها والتي ألقت له . أو نقلت باسمه ، وحوث نفائس المخطوطات في العلوم والحكمة .

- خزنة الحكمة لآل المنجم التي أنشأها أبو الحسن علي ابن يحيى المنجم المتوفى سنة ٢٧٥هـ بكركر من نواحي القفص ، وكانت خزنة كتب عظيمة يقصدها الناس من كل بلد ، فيقيمون بها ، والكتب لهم مبدولة من كل علم .

وأسس منصور بن نوح بن نصر الله الساماني (٣٥٠ - ٣٦٦هـ) خزنة كتب حكمة في بخارى ، ومن تولاها الرئيس أبو علي بن سينا الطبيب المشهور ، واستفاد من كتبها ، كما استفاد منها كثيرون غيره ممن كانوا يرتادونها .

(التربية والتعليم في الإسلام - سعيد الديوه جي ، طبع بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري في الجمهورية العراقية ١٩٨٢ (مقدمة المؤلف) / ٦٤) .

* خزائن الخليفة:

هي التي يحتفظ فيها بدواة الخليفة المحلاة بالذهب وفيها الشمع الذي يحمل إليه موقدا عند ركوبه في ليالي الوقود الأربع ويكون في كل جانب ثلاثون شمعة .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١٢٠ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٣/ ٤٨٦ ، ٤٨٧) .

* الخزائن السلطانية:

هي التي تحفظ فيها الأموال والنقد ويحمل إليها معدن النفط المستخرج من ساحل بحر القلزم فهو يسيل دهنه من أعلى جبل قليلا قليلا وينزل إلى أسفله فيجمع في أوان قد وضعت لذلك منذ أزمان بعيدة وتأتي العرب فتحمله إلى

الخزائن السلطانية ويدخل هذه الخزنة أيضا ما يحمل إليها من البلاد الخارجية ويدخلها كذلك ما يتحصل من الثغور وتحمل إليها كذلك المعادن كمعدن الزمرد ومعدن الشب .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١٢٠ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٣/ ٢٨٤ ، ٤٥٥ و ٥/ ٤٦٢ و ١١/ ٤٢١) .
* خزائن القصر الكبير :

القصر الكبير بالقاهرة . كان في الجهة الشرقية ، ولذلك يقال له القصر الشرقى الكبير ، ويسمى القصر المِعزى . قال المقرئ :

وكانت بالقصر الكبير عدة خزائن منها خزنة الكتب وخزنة البنود وخزائن السلاح وخزائن الدرق وخزائن السروج وخزنة الفرش وخزنة الكسوات وخزائن الأدم وخزائن الشراب وخزنة التوابل وخزائن الخيم ودار التعبية وخزائن دار افتكين ودار الفطرة ودار العلم وخزنة الجواهر والطيب وكان الخليفة يمشى إلى موضع من هذه الخزائن في كل خزنة دكة عليها طراحة ولها فرأش يخدمها وينظفها طول السنة وله جار في كل شهر فيطوفها كلها في السنة .

(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقرئى ١/ ٤٠٨) .

وقد تناول المقرئى بالتفصيل كلا من هذه الخزائن على حدة فارجع إليه إن شئت .

* خزائن الكتب:

من المعالم الحضارية في ديار الإسلام ، وهي إما عامة وإما خاصة .

فالعامة منها قائمة في المعاهد الدينية وفي بعض المساجد الكبيرة ، على أنها لم تكن من التنظيم والتبويب بحيث يسلس للمستعير تناول ما شاء منها . وخاصة في نوادر الكتب ، وفي غير الدائر من العلوم .

وهناك الخزائن الخاصة في قصور الأمراء ومن إليهم ، وفي دور متقدمى العلماء . كما كان هناك جماعات الوراقين يبيعون صنوف الكتب في حواضر البلاد . ولا يذهب عنك ،

في الغاية، أن هذه الكتب مخطوطة كلها، فهي في الجملة، نادرة. وتناولها ليس بالسهل اليسير على كل إنسان (المفصل ٣٠٠/٢، ٣٠١).

وكان بكثير من المدارس في مصر خزائن كتب حافلة بالكتب الثمينة النادرة النافعة في شتى العلوم والفنون، فكان بالمدرسة الفاضلية في صدر هذه الدولة خزانة بها نحو مائة ألف مجلد. وكان بالمدرسة الصحاحية البهائية خزانة كتب جليلة. وحوث المدرسة الظاهرية التي أسسها بيبرس خزانة كتب كانت تشتمل على كثير من أمهات الكتب في سائر العلوم. وعمل بالمدرسة المحمودية التي أنشئت سنة (٧٩٧هـ) خزانة كتب.

قال المقرئ في شأنها: «ولا يعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها، وهي باقية إلى اليوم، وبهذه الخزانة كتب الإسلام من كل فن».

وكانت بمدرسة الأمير جمال الدين التي أنشئت سنة (٨١٠هـ) خزانة حافلة بالمصاحف الثمينة والكتب النفيسة.

وقد ضم مسجد المؤيد خزانة كتب حافلة بمختلف العلوم الدينية منها ما نقل من القلعة، ومنها خمسمائة (٥٠٠) مجلد قدمها ناصر الدين محمد البارزى كاتب السر، تقرباً وزلفى إلى السلطان، وفي نظير هذه الهدية القيمة عينه السلطان خطيباً للمسجد وخازناً لمكتبته وناظرًا له (صفحات من تاريخ مصر ١٠٢، ١٠٣، ٩٤، ٩٥).

وقد كانت خزانة الكتب في عهد الفاطميين من أجل الخزائن وأعظمها شأنًا وكان مقرها القلعة وكانت تتكون من أربعين حجرة وفيها من المصاحف الشريفة المكتوبة بالخطوط المنسوبة الفائقة مجموعة متعددة، وفيها ما يزيد على مائة ألف مجلد في فنون متنوعة وقد يكون من الكتاب الواحد عشر نسخ، وكان بها نسخ خطية من خطوط ابن مقلة وابن البواب وغيرهما. ولكن هذه المكتبة احترقت في عام ٦٩١هـ / ١٢٩٢م فتلف ما بها من كتب الفقه والحديث والتاريخ وبعد ذلك نهبت.

وقد أهمل المماليك إعادة إنشاء خزانة الكتب لأنهم انشغلوا بالحروب والدفاع عن بلاد الإسلام ضد أعدائه الذين تكالبوا عليه؛ فلم يستكينوا فترات طويلة في بلاطهم لكي يهتموا بالكتب والمكتبات (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١١٩).

ويصف المقرئ خزانة الكتب بالقصر الكبير في عهد الفاطميين فيقول: قال المسبحى وذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن أحمد فأمر خزان دفاتره فأخرجوا من خزائنه نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل ابن أحمد وحمل إليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبرى اشتراها بمائة دينار فأمر العزيز الخزان فأخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبرى منها نسخة بخطه وذكر عنده كتاب الجمهرة لابن دريد فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها.

وقال في كتاب الذخائر عدة الخزائن التي يرسم الكتب في سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة وأن الموجود فيها من جملة الكتب المخرجة في شدة المستنصر ألفان وأربعمائة ختمة قرآن في رباعته بخطوط منسوبة زائدة الحُسن محلاة بذهب وفضة وغيرهما وإن جميع ذلك كله ذهب فيما أخذه الأتراك في واجباتهم ببعض قيمته ولم يبق في خزائن القصر البرانية منه شيء بالجملة دون خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصل إليها ووجدت صناديق مملوءة أقلاما مبرية من براية ابن مقلة وابن البواب وغيرهما.

قال وكنت بمصر في العشر الأول من محرم سنة إحدى وستين وأربعمائة فرأيت فيها خمسة وعشرين جملاً موقرة كتباً محمولة إلى دار الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي فسألت عنها فعرفت أن الوزير أخذها من خزائن القصر هو والخطير بن الموفق في الدين بإيجاب وجبت لهما عما يستحقانه وعلمانهما من ديوان الجليلين وأن حصه الوزير أبي الفرج منها قومت عليه من جارى مماليكه وعلمانه بخمسة آلاف دينار وذكر لى من له خبرة بالكتب أنها تبلغ أكثر من مائة

وتولى بيعها ابن صورة فى أيام الملك الناصر صلاح الدين فإذا أراد الخليفة الانفصال مشى فيها مشية لنظرها وفيها ناسخان وفراشان صاحب المرتبة وآخر فيعطى الشاهد عشرين دينارا ويخرج إلى غيرها .

وقال ابن أبى طى بعدما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر ومن جملة ما باعوه خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا ويقال إنه لم يكن فى جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التى كانت بالقاهرة فى القصر ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتا نسخة من تاريخ الطبرى إلى غير ذلك ويقال إنها كانت تشتمل على ألف وستمئة ألف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة انتهى .

ومما يؤيد ذلك أن القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة ألف كتاب مجلد وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة فى مدة أعوام فلو كانت كلها مائة ألف لما فضل عن القاضى الفاضل منها شيء وذكر ابن أبى واصل أن خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين ألف مجلد (المواعظ والاعتبار ١ / ٤٠٨ ، ٤٠٩) .

موظفو خزانة الكتب فى العصرين الأيوبي والمملوكي :
أما موظفو خزانة الكتب فأهمهم الخازن وكان يشترط فى خازن الكتب أن يكون عالما فقيها وفى وثيقة للسلطان برسباى يذكر على من يتولى خزانة الكتب أن يكون رجلا من أهل الدين والخير والإمامة وكان يتولى هذه الوظيفة أحد العلماء أو الأدباء ليكون عوناً للطلبة والباحثين ويمكنه إرشادهم للمراجع وحددت وثائق الوقف مهمة الأمين فى العصر المملوكي فكان الناظر يسلم الكتب إلى الخازن ويقوم بمراجعتها ونفط الغبار وترميمها وكان أحيانا يختار من بين الطلبة المترددين على المدرسة ، وكان يتسلم الخزانة بحضور الشهود ويعتبر مسئولاً عنها ولقد حددت بعض الوثائق المملوكية مدة العطلة التى يحصل عليها مثل الحج أو زيارة الأهل فكان يسمح له بثلاثة أشهر لا غير ، ومن غاب عن وظيفته شهرا بغير عذر استبدل بآخر .

ألف دينار ونهب جميعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر فى صفر من السنة المذكورة مع غيرها مما نهب من دور من سار معه من الوزير أبى الفرج وابن أبى كدينة وغيرهما هذا سوى ما كان فى خزائن دار العلم بالقاهرة وسوى ما صار إلى عماد الدولة أبى الفضل بن المحترق بالإسكندرية ثم انتقل بعد مقتله إلى المغرب ، وسوى ما ظفرت به لواتة محمولاً مع ما صار إليه بالابتياح والغصب فى بحر النيل إلى الإسكندرية فى سنة إحدى وستين وأربعمائة وما بعدها من الكتب الجليلة المقدار المعدومة المثل فى سائر الأمصار صحة وحسن خط وتجليد وغرابة التى أخذ جلودها عبيدهم وإماؤهم برسم عمل ما يلبسونه فى أرجلهم وأحرق ورقها تأولاً منهم أنها خرجت من قصر السلطان أعز الله أنصاره وأن فيها كلام المشاركة الذى يخالف مذهبهم ، سوى ما غرق وتلف وحمل إلى سائر الأقطار وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالاً باقية إلى اليوم فى نواحي آثار تعرف بتلال الكتب .

وقال ابن الطوير: خزانة الكتب كانت فى أحد مجالس المارستان اليوم يعنى المارستان العتيق فيجىء الخليفة راكباً ويترجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر إليه من يتولاها وكان فى ذلك الوقت المجلس بن عبد القوى فيحضر إليه المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحه من الكتب فإن عن له أخذ شيء منها أخذه ثم يعيده .

وتحتوى هذه الخزانة على عدة رفوف فى دور ذلك المجلس العظيم والرفوف مقطعة بحواجز وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتى ألف كتاب من المجلدات ويسير من المجردات فمنها الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخ ومنها النواقص التى ما تمت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة وما فيها من المصاحف الكريمة فى مكان فوقها وفيها من الدروج بخط ابن مقلة ونظائره كابن البواب وغيره .

وكان الخازن لا يستطيع التنازل عن عمله إلا بإشهار شرعى على يد القاضى وكان الخازن يحصل على أجر من الوقف وكان بعضهم من الواقفين كخوند الحجازية يفرق كل سنة أيام عيد الفطر الكعك والخشكناك وفي عيد الأضحى اللحوم وفي شهر رمضان يطبخ لهم الطعام .

وكانت المدرسة الناصرية تفرق على سائر أرباب الوظائف سكرًا كل شهر ولحوم الأضاحى كل سنة ، وذكر المقرئى أن خازن مكتبة القصر الفاطمى يحصل على أربعين دينارًا أما فى العصر المملوكى فيتراوح أجره بين عشرة إلى أربعين درهماً فى الشهر فخازن قلاوون كان يحصل على أربعين درهماً وخازن مكتبة الأمير جمال الدين عشرة دراهم ، وكان الناظر يتم اختياره بناء على رغبة الواقف وأحياناً يليها أحد أقربائه أو أبنائه أو أحد العلماء أو الفقهاء (مكتبات المدارس - ٢١٩ - ٢٢١) .

ويمدنا الأستاذ كوركيس عواد بمادة مستفيضة عن خزائن الكتب القديمة فى العراق ، وهو فى إحصائه لها يقسمها إلى خمسة أقسام ، وننقل فيما يلى ملخصه :

١ - خزائن كتب الخلفاء ببغداد وهى : خزانة المنصور ، وخزانة الحكمة ببغداد (خزانة الرشيد والمأمون) ، وخزانة المعتضد ، وخزانة المكتفى ، خزانة الراضى بالله ، خزانة القائم بأمر الله ، خزانة المقتدى بأمر الله ، خزانة الناصر لدين الله ، خزانة المستنصر بالله ، خزانة المستعصم بالله .

٢ - خزائن كتب الملوك والسلاطين وهى : خزانة عضد الدولة البويهى ، وخزانة الملك العادل نور الدين إرساله شاه بالموصل ، وخزانة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل .

٣ - خزائن الكتب العامة : خزائن المساجد والمدارس والربط ودور العلم وغيرها : الخزانة الحيدرية بالنجف ، دار العلم بالموصل ، خزانة الوقف بالبصرة ، دار كتب بالبصرة ، دار العلم ببغداد (خزانة سابور) خزانة المدرسة النظامية ببغداد ، خزانة الكتب فى مشهد أبى حنيفة ، خزانة كتب الوقف بمسجد الزيدى ، خزانة الرباط الخاتونى السلجوقى ، خزانة كتب الرباط بالحريم الطاهرى ببغداد ، دار الكتب التى برباط المأمونية ببغداد ، خزانة مشهد عبيد الله بن على فى المذار ، خزانة جامع قمريه ببغداد ، خزانة المدرسة

المستنصرية ببغداد ، خزانة رباط باتكين فى البصرة ، خزانة المدرسة البشيرية ببغداد ، خزانة المدرسة المجاهدية ببغداد ، خزانة مدرسة سيدى خان العباسى ، خزانة مدرسة قاسم العبادى فى العمادية ، خزانة مدرسة قبهان فى العمادية ، خزانة مدرسة العقر ، خزانة مدرسة قباذ العباسى ، خزانة مدرسة مرادخان فى العمادية .

٤ - خزائن كتب الوزراء فى العراق : خزانة يحيى البرمكى ، خزانة كتب الوزير ابن شاه مرادان بالبصرة ، خزانة محمد بن عبد الملك الزيات بسر من رأى ، خزانة الفتح بن خاقان ، خزانة الوزير القاسم بن عبيد الله ، خزانة الوزير سابو بن اردشير (نوردها تحت عنوان «دار العلم ببغداد» إن شاء الله تعالى) ، خزانة الوزير ابن هبيرة ، خزانة الوزير مؤيد الدين ابن القصاب ، خزانة الكندرى ، خزانة ابن العلقمى ، خزانة علاء الدين عطا ملك الجوينى .

٥ - خزائن الكتب الخاصة بالعراق منذ صدر الإسلام حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة :

(أ) خزائن المائة الثانية للهجرة :

خزانة أبى عمرو بن العلاء ، خزانة سفيان الثورى .

(ب) خزائن المائة الثالثة للهجرة :

خزانة الواقدى ، خزانة الأصمعى ، خزانة إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، خزانة كتب أحمد بن حنبل ، خزانة كتب أبى حسان الزبادى ، خزانة أبى كريب بالكوفة ، الخزانة الكندية ، خزانة الجاحظ ، خزانة أبى حاتم السجستاني ، خزانة إسحاق بن سليمان الهاشمى ، خزانة العصفري ، خزانة على بن يحيى المنجم (خزانة الحكمة) ، خزانة إسماعيل بن إسحاق الأزدى ، خزانة إبراهيم بن إسحاق الحربى ، خزانة بنى موسى بن شاكر المنجم ، خزانة ثعلب النحوى ، وخزانة ابن سعدان ، وخزانة محمد بن الحسين فى الحديث ، خزانة الحسن بن موسى التوبختى .

(ج) خزائن المائة الرابعة للهجرة :

خزانة جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى ، وخزانة ابن دريد ، وخزانة أبى بكر بن الأنبارى ، وخزانة ابن عقدة فى

بن يوسف بن الخضر الأمدي الحنبلي، خزانة ابن القوطي، خزانة قوام الدين الشيباني، خزانة ابن عبد الحق، خزانة ابن التردة (خزائن الكتب القديمة / ١٠١ - ٢٧٦) وسيأتي ذكر هذه الخزائن عند أدراج بعض تراجم أصحابها أو بلادهم في مواضعها إن شاء الله تعالى.

(المفصل في تاريخ الأدب العربي - أحمد الإسكندري وزملائه ٢ / ٣٠٠، ٣٠١ وصفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي - عبد الوهاب حمودة / ١٠٢، ١٠٣، ٩٤، ٩٥، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلي / ١١٩ عن صبح الأعشى للقلقشندي ٣ / ٤٧١، ٤٧٢، وخطط المقرئ / ٣ / ٢٥٣ - ٢٥٥، ٣٤٥، والمواظ والاعتبار بذكر الخطوط والآثار (خطط المقرئ) لتقي الدين المقرئ / ١ / ٤٠٨، ٤٠٩، و «مكتبات المدارس (خزانة الكتب) في العصرين الأيوبي والمملوكي» أ. د. زبيدة محمد عطا تاريخ المدارس في مصر الإسلامية. تاريخ المصريين (٥١) / ٢٢٠، ٢٢١، وخزائن الكتب القديمة في العراق - كوركيس عواد / ١٠١ - ٢٧٦. انظر أيضا «المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي» - د. أيمن فؤاد سيد، تاريخ المدارس في مصر الإسلامية. تاريخ المصريين (٥١) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ / ١٠٩، ١١٠).

✽ خزائن الكسوات:

أفاض المقرئ في وصف «خزانة الكسوات» التي كانت بالقصر الكبير، ونحن إذ نتقل وصفه هذا بتمامه فإنما نفعل ذلك لأنه يعكس ثراء الدولة الفاطمية، كما أنه يمدنا بمعلومات هامة عن نظام الإنعام بالخلع في المناسبات المختلفة مثل العيدين، والجمعة، وفتح الخليج وغيرها.

يقول المقرئ تحت عنوان «خزانة الكسوات» معددا أسماء المنعم عليهم بالكسوات ووظائفهم، قال ابن أبي طي وعمل يعنى المعز لدين الله دارا وسمها دار الكسوة كان يفصل فيها من جميع أنواع الثياب والبز ويكسوها بها الناس على اختلاف أصنافهم كسوة الشتاء والصيف وكانت لأولاد الناس ونسائهم كذلك وجعل ذلك رسما يتوارثونه في الأعقاب وكتب بذلك كتباً وسمى هذا الموضع خزانة الكسوة وقال عند ذكر انقراض الدولة ومن أخبارهم أنهم كانوا يخرجون من خزائن الكسوة إلى جميع خدامهم وحواشيهم ومن يلوذ بهم

الكوفة، وخزانة كتب الصولي، وخزانة هرون بن المقتدر بالله، وخزانة علي بن أحمد العمراني بالموصل، وخزانة ابن الكوفي، وخزانة ابن الجعابي، وخزانة كتب الحبشي بن معز الدين البويهى، وخزانة أحمد بن محمد الجراح، خزانة محمد بن العباس بن الفرات، خزانة ابن طازاد، خزانة ابن حاجب النعمان، خزانة ابن النديم، خزانة أبي خليفة في البصرة، خزانة أبي سليمان.

(د) خزائن المائة الخامسة للهجرة:

خزانة الشريف الرضى، خزانة ابن الخفاف، خزانة الشريف المرتضى، خزانة أبي حسن الفالى (بالفاء)، خزانة الخطيب البغدادي، خزانة مسعود بن ناصر الشجرى، خزانة غرس النعمة الصابىء، خزانة عبد السلام بن بندار القزوينى، خزانة الحميدى، خزانة ابن جزلة، وخزانة القاضي أبي الفرج ابن أبي البقاء.

(هـ) خزائن المائة السادسة للهجرة:

خزانة أبي سعيد بن المعوج، خزانة ثابت بن منصور بن المبارك الكيلى، خزانة عبد الوهاب الأنماطى، خزانة سعد الخير الأندلسى، خزانة عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله، خزانة محمد بن ناصر البغدادي، خزانة ابن المرخم القاضي، خزانة ابن الخشاب البغدادي، خزانة ابن الدهان النحوى، خزانة كتب الزيدى، خزانة سبط بن التعاويذى، خزانة كتب صبيح بن عبد الله الحبشى، وخزانة الحازمى، وخزانة ابن الجوزى، خزانة ابن المارستانية.

(و) خزائن المائة السابعة للهجرة:

خزانة مبارك شاه بن الحسين المروذى، خزانة أبي المعالى أحمد بن هبة الله، خزانة الحربوى، خزانة قثم بن طلحة الزينى، خزانة الحسن بن حمدون، خزانة عبد السلام الجيلى، خزانة ابن البرفطى، خزانة علي بن البورى، خزانة ابن التجار، خزانة رضى الدين بن طاوس، خزينة غياث الدين ابن طاوس، خزانة عز الدين الفاروئى.

(ز) خزائن المائة الثامنة للهجرة:

خزانة معاوية الموصلى البغدادي، خزانة علي بن أحمد

من صغير وكبير ورفيع وحقير كسوات الصيف والشتاء من العمامة إلى السراويل وما دونه من الملابس والمنديل من فاخر الثياب ونفيس الملبوس ويقومون لهم بجمع ما يحتاجون إليه من نفيس المطعومات والمشروبات وسمعت من يقول إنه حضر كسا القصر التي تخرج في الصيف والشتاء فكان مقدارها ستمائة ألف دينار وزيادة وكانت خلعتهم على الأمراء الثياب الديبقي والعمائم بالطراز الذهب وكان طراز الذهب والعمامة من خمسمائة دينار ويخلع على أكابر الأمراء الأطواق والإسورة والسيوف المحلاة وكان يخلع على الوزير عوضا عن الطوق عقد جواهر.

وقال ابن المأمون وجلس الأجل يعني الوزير المأمون في مجلس الوزارة لتنفيذ الأمور وعرض المطالعات وحضر الكتاب ومن جملتهم ابن أبي الليث كاتب الدفتر ومعه ما كان أمر به من عمل جرائد الكسوة للشتاء بحكم حلوله وأوان تفرقتها فكان ما اشتمل عليه المنفق فيها لسنة ست عشرة وخمسمائة من الأصناف أربعة عشر ألفا وثلاثمائة وخمس قطع وإن أكثر ما أنفق عن مثل ذلك الأيام الأفضلية في طول مدتها لسنة ثلاث عشرة وخمسمائة ثمانية آلاف وسبعمائة وخمس وسبعون قطعة يكون الزائد عنها بحكم ما رسم به في منفق سنة ست عشرة ، خمسة آلاف وستمائة وأربعا وثلاثين قطعة .

ووصلت الكسوة المختصة بالعيد في آخر الشهر وقد تضاعفت عما كانت عليه في الأيام الأفضلية لهذا الموسم وهي تشتمل على ذهب وسلف دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلل لأن الحلل فيه تعم الجماعة وفي غيره للأعيان خاصة فأحضر الأمير افتخار الدولة مقدم خزانة الكسوة الخاص ليتسلم ما يختص بالخليفة وهو برسم الموكب بدلة خاص جليلة مذهبة ثوبها موشح مجاوم مذايل عدتها باللفاقتين إحدى عشرة قطعة السلف عنها مائة وستة وسبعون دينارا ونصف ومن الذهب العالي المغزول ثلاثمائة وسبعة وخمسون مثقالا ونصف كل مثقال أجرة غزله ثمن دينار ومن الذهب العراقي ألفان وتسعمائة وأربع وتسعون قصبة .

تفصيل ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا منديل بعمود ذهب السلف سبعون وألفان ومائتان وخمسون قصبة ذهبا عراقيا فإن كان الذهب نظير المصري كان الذي يرقم فيه ثلاثمائة وخمسة وعشرين مثقالا لأن كل مثقال نظير تسع قصبات ذهبا عراقيا وسط سرب بطانة للمنديل السلف عشرة دنانير وسبعون قصبة ذهبا عراقيا ثوب موشح مجاوم مطرف السلف خمسون دينارا وثلاثمائة وأحد وخمسون مثقالا ونصف ذهبا عاليا أجرة كل مثقال ثمن دينار تكون جملة مبلغه وقيمة ذهبه ثلاثمائة وأربعة وتسعين دينارا ونصف ، ثوب ديبقي حريري وسلطاني السلف اثنا عشر دينارا ، غلالة ديبقي حريري السلف عشرون دينارا ، منديل كم أول مذهب السلف خمسة دنانير ومائتان وأربع قصبات ذهبا عراقيا ، منديل كم ثان حريري السلف خمسة دنانير ، حجرة السلف أربعة دنانير ، عرضي مذهب السلف خمسة دنانير وخمسة عشر مثقالا ذهبا عاليا ، عرضي لفافة للتخت دينار واحد ونصف ، بدلة ثانية برسم الجلوس على السماط عدتها باللفاقتين عشر قطع ، السلف مائة وأربعة عشر دينارا ومن الذهب العالي خمسة وخمسون مثقالا ومن الذهب العراقي سبعمائة وأربعون قصبة .

تفصيل ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا ، منديل السلف ستون دينارا وستمائة قصبة ذهبا عراقيا ، شقة وكم السلف ستة عشر دينارا وخمسة وخمسون مثقالا ذهبا عاليا أجرة كل مثقال ثمن دينار ، شقة ديبقي حريري وسلطاني اثنا عشر دينارا ، شقة ديبقي غلالة ثمانية دنانير منديل الكم الحريري خمسة دنانير حجرة أربعة دنانير عرضي خمسة دنانير عرضي برسم التخت دينار واحد ونصف وهذه البدلة لم تكن فيما تقدم في أيام الأفضل لأنه لم يكن ثم سماط يجلس عليه الخليفة فإنه كان قد نقل ما يعمل في القصور من الأسمطة والدواوين إلى داره فصار يعمل هناك ما هو برسم الأجل أبي الفضل جعفر أخى الخليفة الأمر بدلة مذهبة مبلغها تسعون دينارا ونصف وخمسة وعشرون مثقالا ذهبا عاليا وأربعمائة وسبعون قصبة ذهبا عراقيا تفصيل ذلك منديل السلف خمسون دينارا وأربعمائة وسبعون قصبة ذهبا

عراقيا شقة ديبقى حريرى وسطانى السلف عشرة دنانير شقة غلالة ديبقى السلف ثمانية دنانير حجرة ثلاثة دنانير وثلاث عرضى ديبقى ثلاثة دنانير الجهة العالية بالدار الجديدة التى يقوم بخدمتها جوهر حلة مذهب موشح مجاوم مذايل مطرف عدتها خمس عشرة قطعة سلفها ستة آلاف وثلثمائة وثلثون قصبه تفصيل ذلك مذهب مكلف موشح مجاوم السلف خمسة عشر دينارا وستمائة وستون قصبه، سداسى مذهب السلف ثمانية عشر دينارا ومائتا قصبه، معجر أول مذهب موشح مجاوم مطرف السلف خمسون دينارا وألف وتسعمائة قصبه معجر ثان حريرى السلف خمسة وثلثون دينارا ونصف، رداء حريرى أول السلف عشرة دنانير ونصف، رداء حريرى ثان السلف تسعة دنانير، دراعة موشح مجاوم مذايل مذهب السلف خمسة وتسعون دينارا، ومن الذهب العراقى ألفان وستمائة وخمس وخمسون قصبه، شقة ديبقى حريرى وسطانى السلف عشرون دينارا ونصف شقة ديبقى بغير رقم برسم عجز التفصيل ثلاثة دنانير مائة ديبقى السلف أربعة وعشرون دينارا وستمائة قصبه، منديل كم أول السلف ستة دنانير ومائة وستون قصبه، منديل كم ثان السلف خمسة دنانير ومائة وستون قصبه، منديل كم ثالث السلف خمسة دنانير حجرة ثلاثة دنانير عرضى ديبقى ثلاثة دنانير جهة مكنون القاضى بمثل ذلك على الشرح والعدة جهة مرشد حلة مذهب عدتها أربع عشرة قطعة السلف مائة وأحد وأربعون دينارا ومن الذهب العراقى ألف وستمائة وتسع وثمانون قصبه، جهة عنبر مثل ذلك، السيدة جهة ظل مثل ذلك، جهة منجب مثل ذلك، الأمير أبو القاسم عبد الصمد بدلة مذهب، الأمير داود مثله، السيدة العمة حلة مذهب السيدة العابدة العمة مثل ذلك الموالى الجلساء من بنى الأعمام وهم أبو الميمون بن عبد المجيد والأمير أبو اليسر ابن الأمير محسن، والأمير أبو على ابن الأمير جعفر، والأمير حيدرة ابن الأمير عبد المجيد، والأمير موسى ابن الأمير عبد الله والأمير أبو عبد الله ابن الأمير داود لكل منهم بدلة مذهب.

البنون والبنات من بنى الأعمام غير الجلساء لكل منهم بدلة حريرى، ست سيدات لكل منهن حلة حريرى، جهة

المولى أبى الفضل جعفر التى يقوم بخدمتها ريحان حلة مذهب، جهة المولى عبد الصمد حلة حريرى، ما يختص بالدار الجيوشية والمظفرية فعلى ما كان بأسمائهم المستخدمات لخزانة الكسوة الخاص زين الخزان المقدمة حلة مذهب ست خزان لكل منهن حلة حريرى عشر وقافات لكل منهن كذلك، المعلمة مقدمة المائدة كذلك، زايات مقدمة خزانة الشراب كذلك، المستخدمات من أرباب الصنائع من القصوريات، ومن انضاف إليهن من الأفضليات مائة وسبعون حلة مذهب وحريرى على التفصيل المتقدم، المستخدمات عند الجهات العالية جهة جوهر عشرون حلة مذهب وحريرى وكذلك المستخدمات عند مكنون الأمراء الأستاذون المحنكون الأمير الثقة زمام القصور بدلة مذهب، الأمير نسيب الدولة مرشد متولى الدفتر كذلك، الأمير خاصة الدولة ريحان متولى بيت المال كذلك، الأمير عظيم الدولة وسيفها حامل المظلة كذلك الأمير صارم الدولة صاف متولى الستر كذلك وفى الدولة إسعاف متولى المائدة مثله، الأمير افتخار الدولة جندب بدلة مذهب نظير البدلة المختصة بالأمير الثقة.

ولكل من غير هؤلاء المذكورين حلة حريرى أربع قطع ولقافة فوطة. مختار الدولة ظل بدلة حريرى ستة أستاذين فى خزانة الكسوة الخاص عند الأمير افتخار الدولة جندب لكل منهم بدلة مذهب جوهر زمام الدار الجديدة بدلة حريرى تاج الملك أمين بيت المال مثله مفلح برسم الخدمة فى المجلس مثله مكشون متولى خدمة الجهة العالية مثله، فنون متولى خدمة التربة مثله، مرشد الخاصى مثله النواب عن الأمير الثقة فى زمام القصور وعدتهم أربعة لكل منهم بدلة حريرى خسروانى. العظمى مقدم خزانة الشراب ورفيقه لكل منهما بدلة كذلك الصقالبة أرباب المداب وعدتهم أربعة لكل منهم بدلة حريرى وشقة وفوطة، نائب الستر مثل ذلك، الأستاذون برسم خدمة المظلة وعدتهم خمسة لكل منهم منديل سوسى وشقة دمياطى وشقة إسكندرانى وفوطة.

الأستاذون الشدادون برسم الدواب وعدتهم ستة كذلك ما حمل برسم السيد الأجل المأمون يعنى الوزير بدلة خاصة

مذهبة كبيرة موكبية عدتها إحدى عشرة وما هو برسم أولاده الأجل تاج الرياسة وتاج الخلافة وسعد الملك محمود وشرف الخلافة جمال الملك موسى وهو صاحب التاريخ نظير ما كان باسم أولاد الأفضل بن أمير الجيوش وهم حسن وحسين وأحمد الأجل المؤتمن سلطان الملوك يعنى أخا الوزير عن تقدمه العساكر وزم الأزمة وبرسم الجهة المختصة به، وركن الدولة عز الملوك أبو الفضل جعفر عن حمل السيف الشريف خارجا عماله من حماية خزانة الكسوات وصناديق النفقات.

وما يحمل أيضا للخزائن المأمونية مما ينفق منها على من يحسن فى رأى من الحاشية المأمونية ثلاثون بدلة الشيخ الأجل أبو الحسن بن أبى أسامة كاتب الدست الشريف بدلة مذهبة عدتها خمس قطع وكم، وعرضى الأمير فخر الخلافة حسام الملك متولى حجبة الباب بدلة مذهبة كذلك القاضى ثقة الملك ابن النائب فى الحكم بدلة مذهبة عدتها أربع قطع وكم وعرضى، الشيخ الداعى ولى الدولة بن أبى الحقيق بدلة مذهبة الأمير الشريف أبو على أحمد بن عقيل نقيب الأشراف بدلة حريرى ثلاث قطع وفوطة، الشريف أنس الدولة متولى ديوان الإنشاء بدلة كذلك، ديوان المكاتبات الشيخ أبو الرضى ابن الشيخ الأجل أبى الحسن النائب عن والده فى الديوان المذكور بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم، أبو المكارم هبة الله أخوه بدلة مذهبة ثلاث قطع وفوطة، أبو محمد حسن أخوهما كذلك أخوهم أبو الفتح بدلة حريرى قطعتان وفوطة، الشيخ أبو الفضل يحيى بن سعيد الندمى منشئ ما يصدر عن ديوان المكاتبات ومحرر ما يؤمر به من المهمات بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم ومزنى، أبو سعيد الكاتب بدلة حريرى، أبو الفضل الكاتب كذلك، الحاج موسى المعين فى اللصاق كذلك.

وأما الكتاب بديوان الإنشاء فلم يتفق وجود الحساب الذى فيه أسماءهم فيذكروا ومن القياس أن يكونوا قريبا من ذلك. الشيخ ولى الدولة أبو البركات متولى ديوان المجلس والخاص بدلة مذهبة عدتها خمس قطع وكم وعرضى، ولأمراته حلة مذهبة، الشيخ أبو الفضائل هبة الله بن أبى الليث متولى

الدفتى وما جمع إليه بدلة، أبو المجد ولده بدلة حريرى، أبو البركات متولى دار الضيافة بدلة مذهبة وبعده الضيوف الواردون إلى الدولة جميعهم منهم من له بدلة مذهبة ومنهم من له بدلة حريرى وكذلك من يتفق حضوره من الرسل على هذا الحكم مقدمو الركاب، عفيف الدولة مقبل بدلة مذهبة، القائد موفق والقائد تميم مثل ذلك، أربعة من المقدمين برسم الشكيمة لكل منهم بدلة حريرى، الرواض عدتهم ثلاثة لكل منهم بدلة حريرى، الخاص من الفراشين وهم اثنان وعشرون رجلا منهم أربعة مميزون لكل منهم بدلة مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى، الأطباء الشديد أبو الحسن على بن أبى الشديد بدلة حريرى، أبو الفضل النسطورى بدلة حريرى، وكذلك الفئة المستخدمون برسم الحمام وهم ثمانية مقدمهم بدلة مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى، والى القاهرة ووالى مصر لكل منهما بدلة مذهبة، المستخدمون فى المواكب الأمير كوكب الدولة حامل الرمح الشريف وراء الموكب والدرقة المعزية بدلة حريرى، حاملا الرمحين المعزية أيضا أمام الموكب بغير درق لكل منهما منديل وشقة وفوطة، وهؤلاء الثلاثة رماح ماهى عربية بل هى خشوت قدم بها المعز من المغرب حاملا لواء الحمد المختصان بالخليفة عن يمينه ويساره لكل منهما بدلة، متولى بغل المركب الذى يحمل عليه جميع العدة المغربية بدلة حريرى، متولى حمل المظلة كذلك عشرة نفر من صبيان الخاص برسم حل العشرة رماح العربية المغشاة بالدبياج وراء المركب لكل منهم منديل وشقة وفوطة، حامل السبع وراء الموكب بدلة حريرى، المقدمون من صبيان الخاص وهم عشرون لكل منهم بدلة عرفاء الفراشين الذين ينحطون عن فراشى الخاص وفراشى المجلس وفراشى خزائن الكسوة الخاص لكل منهم بدلة حريرى، الفراشون فى خزائن الكسوات المستخدمون بالإيوان وهم الذين يشدون ألوية الحمد بين يدي الخليفة ليلة الموسم فإنها لا تشد إلا بين يديه ويبدأ هو باللف عليها بيده على سبيل البركة ويكمل المستخدمون بقية شدها وما سوى ذلك من القضب الفضة وألوية الوزارة وغيرها وعدتهم سبعة لكل منهم منديل سوسى وشقتان إسكندراني المستخدمون برسم حل القضب الفضة ولواءى الوزارة أربعة عشر كذلك مشارف

الجامع الأزهر للجمعة الأولى من الشهر بدلة موكبية حريري مكملة منديلها وطيلسانها بياض، وبرسم الجامع الأنور للجمعة الثانية بدلة منديلها وطيلسانها شعري، وما هو برسم أخى الخليفة للغرة خاصة بدلة مذهبة ويرسم له مع جهات الخليفة أربع حلل مذهبات، وبرسم الوزير للغرة بدلة مذهبة مكملة موكبية، ويرسم الجمعيتين بدلتان حريري ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير فى ذلك شىء فيذكر ووصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج وهى برسم الخليفة تختان ضمنهما بدلتان إحداهما منديلها وطيلسانها طميم برسم المضى والأخرى حريري برسم العود وكذلك ما يختص بإخوته وجهاته بدلتان مذهبتان وأربع حلل مذهبة وبرسم الوزير بدلة موكبية مذهبة فى تخت وبرسم أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة وبرسم جهته حلة مذهبة فى تخت وبقيّة ما يخص المستخدمين وابن أبى الرداد فى تخوت كل تخت عدة بدلات.

وحضر متولى الدفتر واستأذن على ما يحمل برسم الخليفة وما يفترق ويفصل برسم الخلع وما يخرج من حاصل الخزائن عن الواصل وهو ما يفصل برسم الخاص من الغلمان برسم سبعمائة قباء وخمسمائة وشقين سقلاطون دارى، وبرسم رؤساء العشاريات من الشقق الدمياطى والمناذيل السوسى والقوط الحرير الحمر، وبرسم النواتية التى برسم الخاص من العشارية من الشقق الإسكندراني والكلوتات وقد تقدم تفصيل الكسوات جميعها وعددها وأسماء المستمرين لقبضها.

وقال فى كتاب الذخائر وحدثنى من أثق به عن ابن عبد العزيز أنه قال قَوْمًا ما أخرج من خزائن القصر يعنى فى سنى الشدة أيام المستنصر من سائر ألوان الخسروانى ما يزيد على خمسين ألف قطعة أكثرها مذهب وسألت ابن عبد العزيز فقال أخرج من الخزائن مما حررت قيمته على يدي وبحضرتي أكثر من ألف قطعة وحدثنى أبو الفضل يحيى بن إبراهيم البغدادي أحد أصحاب الدواوين بالحاضرة أن الذى تولى أبو سعيد النهاوندى المعروف بالمعتمد بيعة خاصة من مخرج القصر دون غيره من الأمناء فى مدة يسيرة ثمانية عشر ألف قطعة من بلور ويحكم منها ما يساوى الألف دينار إلى عشرة

خزانة الطيب وكانت من الخدم الجليلة وكان بها أعلام الجواهر التى يركب بها الخليفة فى الأعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد إليها عند الغنى عنها وكذلك السيف والثلاثة رماح المعزية، مشارف خزائن السروج بدلة حريري مشارف خزائن الفرش وكاتب بيت المال ومشارف خزائن الشراب ومشارف خزائن الكتب كل منهم بدلة حريري، بركات الآدمى والمستخدمون بالدولة بالباب وسنان الدولة من الكركندى عن زم الرهجية والمبيت على أبواب القصور وكانت من الخدم الجليلة والصبيان الحجرية المشدون بأواء الموكب بعد المقربين وعددتهم عشرون لكل منهم الكسوة فى الشتاء والعيدى وغيرهما وعدة الذين يقبضون الكسوة فى العيدين من الفراشين أكثر من صبيان الركاب وذلك أنهم يتولون الأسطة ويقفون فى تقدمتها وينفرد عنهم المستخدمون فى الركاب بمالهم من المتحصل فى المخلفات فى العيدين وهو ما يبلغه ستة آلاف دينار ما لأحد معهم فيها نصيب.

وكان يكتب فى كل كسوة هى برسم وجوه الدولة رقعة من ديوان الإنشاء فمهما كتب به من إنشاء ابن الصيرفى مقترنة بكسوة عيد الفطر من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة: ولم يزل أمير المؤمنين منعمًا بالرفائب، موليا إحسانه كل حاضر من أوليائه وغائب، مجزلا حظهم من منائحه ومواهبه، موصلا إليهم من الحباء ما يقصر شكرهم عن حقه وواجبه، وإنك أيها الأمير لأولاهم من ذلك بجسيمه، وأحراهم باستنشاق نسيمه، وأخلقهم بالجزء الأوفى منه عند فضه وتقسيمه، إذ كنت فى سماء المسابقة بدرا وفى جرائد المناصحة صدرا وممن أخلص فى الطاعة سرا وجهرا، وحظى فى خدمة أمير المؤمنين بما عطر له وصفا وسير له ذكرا. ولما أقبل هذا العيد السعيد والعادة فيه أن يحسن الناس هيأتهم، ويأخذوا عند كل مسجد زينتهم، ومن وظائف كرم أمير المؤمنين تشريف أوليائه وخدمه فيه، وفى المواسم التى تجاريه، بكسوات على حسب منازلهم تجمع بين الشرف والجمال، ولا يبقى بعدها مطمع للأمال، وكنت من أخص الأمراء المقدمين.

قال ووصلت الكسوة المختصة بغرة شهر رمضان وجمعته برسم الخليفة للغرة بدلة كبيرة موكبية مكملة مذهبة وبرسم

بالقصر فقتيل إن الموجود فيها مائة صندوق كسوة فاخرة من موشى ومرصع وعقود ثمينة وذخائر فخمة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر عظيمة الخطر وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش .

(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقرئى / ١)

(٤١٣-٤٠٩).

الخزر (بحر):

اسمه أيضا بحر قزوين . ولكنه يرد فى مصنفات التراث الإسلامى الجغرافية باسم بحر الخزر فأما الوصف الحديث له فهو كما يلى : بحيرة ملحة (٤٢ ٤٢٤ كم^٢) فى ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى وإيران، بين أوروبا وآسيا، تنخفض ٢٨ م عن سطح البحر. أكبر بحر داخلى فى العالم، ترتفع من ساحله الجنوبي (الإيراني) جبال البورز، ومن ساحله الجنوبي الغربى جبال الشوقاز. تصب فيه أنهار فولجا وأورال وكورا وترش. معدل التبخر مرتفع، وبه رواسب ملحية ضخمة. مصايد المصدر الأول للكافيار. أهم موانيه باكو، وإستراخان (الموسوعة الثقافية / ٧٥٩).

أما فى مصنفات التراث الإسلامى الجغرافى فلدينا نموذجان. الأول وصف القزوينى الذى يقسول عنه :

بحر الخزر هو البحر الذى فى جهة الشمال على شرقه جرجان وطبرستان وفى شمال بلاد الخزر وفى غربيه جبال العقيق وفى جنوبيه الجبل والديلم، وهو بحر عظيم واسع لا اتصال له بشئ من البحار على وجه الأرض فلو أن رجلا طاف حوله رجع إلى مكانه الذى ابتداء منه، وهو بحر صعب المسلك سريع المهلك كثير الاضطراب شديد الأمواج لا مد فيه ولا جزر ولا يرتفع منه شئ من اللآلى والجواهر، وجزائره غير مسكونة ولكن فى جزائره غياض مياه وأشجار وليس فيها أنيس، قالوا: إن دوران هذا البحر ألف وخمسمائة فرسخ وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل، وهو مدور الشكل (عجائب المخلوقات / ٩٥، ٩٦).

والنموذج الثانى نص مأخوذ من كتاب «مسالك الممالك»

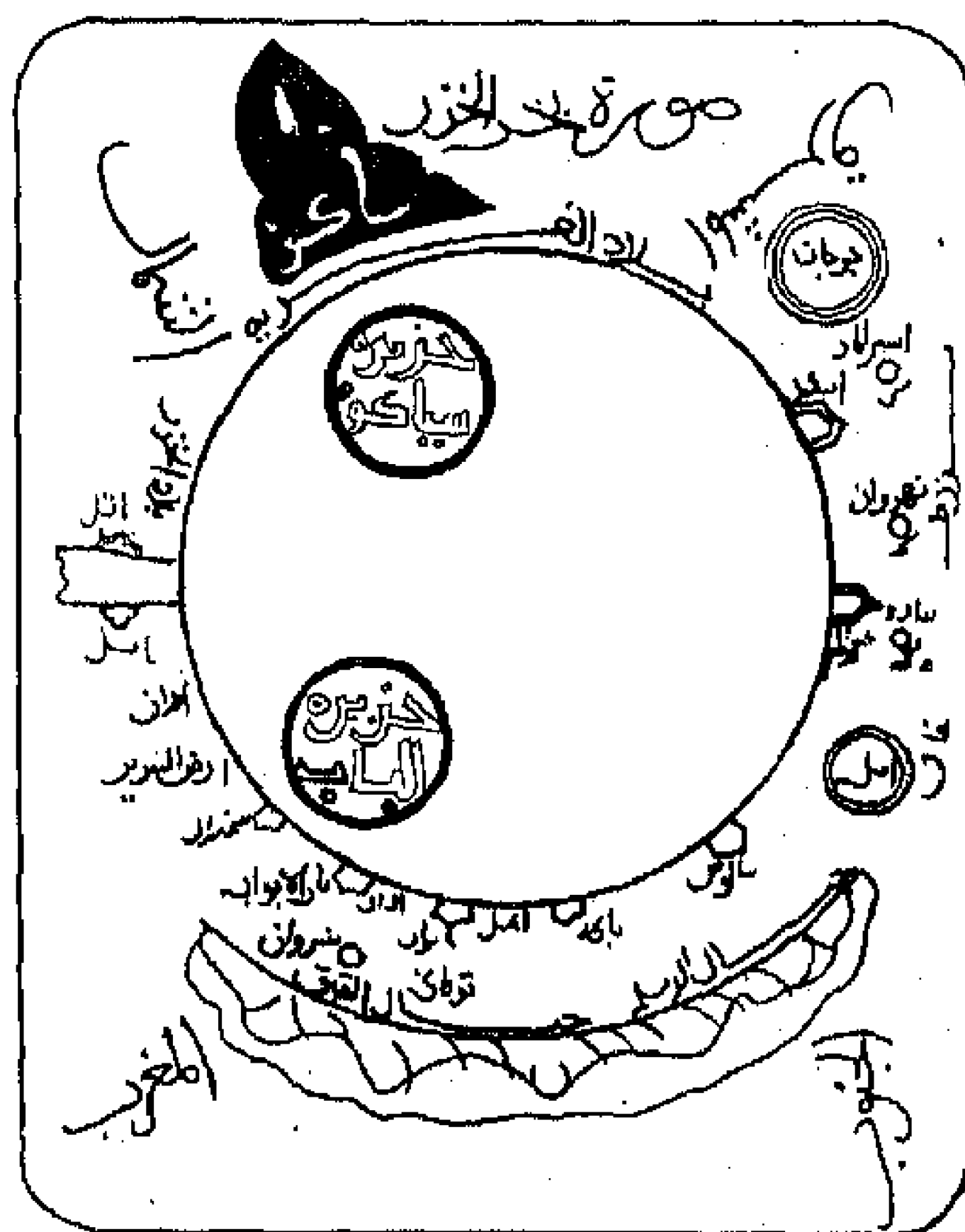
دنائير ونيف وعشرون ألف قطعة خسروانى وحدثنى عبيد الملك أبو الحسن على بن عبد الكريم فخر الوزراء بن عبد الحاكم أن ناصر الدولة أرسل يطالب المستنصر بما بقى لغلمانه فذكر أنه لم يبق عنده شئ إلا ملابسه فأخرج ثمانمائة بدلة من ثيابه بجميع آلاتها كاملة فقومت وحملت إليه .

وقال ابن الطوير الخدمة فى خزائن الكسوات لها رتبة عظيمة فى المباشرات وهما خزانة فالظاهرة يتولاها خاصة أكبر حواشى الخليفة إما أستاذ أو غيره وفيها من الجواهر ما يدل على إسباغ نعم الله تعالى على من يشاء من خلقه من الملابس الشروب والخاص الديبقي الملونة رجالية ونسائية والديباج الملونة والسقلاطون وإليها بحمل ما يستعمل فى دار الطراز بتتيسر ودمياط وإسكندرية من خاص المستعمل، وبها صاحب المقص وهو مقدم الخياطين ولأصحابه مكان لخياطتهم والتفصيل يعمل على مقدار الأوامر وما تدعو الحاجة إليه ثم ينقل إلى خزانة الكسوة الباطنة ما هو خاص للباس الخليفة ويتولاها امرأة تنعت بزين الخزان وبين يديها ثلاثون جارية فلا يغير الخليفة أبدا ثيابه إلا عندها ولباسه خافيا الثياب الدارية وسعة أكمامها سعة نصف أكمام الظاهر وليس فى جهة من جهاته ثياب أصلا ولا يلبس إلا من هذه الخزانة وكان يرسم هذه الخزانة بستان من أملاك الخليفة على شاطئ الخليج يعنى أبدا فيه النسر والياسمين فيحمل فى كل يوم منه شئ فى الصيف والشتاء لا ينقطع ألبته يرسم الثياب والصناديق فإذا كان أوان التفرقة الصيفية أو الشتوية شد لمن تقدم ذكره من أولاد الخليفة وجهاته وأقاربه وأرباب الرواتب والرسوم من كل صنف شدة على ترتيب المفروض من شقق الديباج الملون والسقلاطون إلى السوسى والإسكندراني على مقدار الفصول من الزمان ما يقرب من مائتى شدة، فالخواص فى العراضى الديبقي، ودونهم فى أوطية حرير ودونهم فى فوط إسكندرية. ويدخل فى ذلك كُتاب ديوانى الإنشاء والمكاتبات دون غيرهم من الكُتاب على مقدارهم وذلك يخرج من الجوارى فى الشهر المطلقات .

وقال القاضى الفضل فى متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة بعد وفاة العاضد، وكشف حاصل الخزائن الخاصة

عيون وأشجار وغياض وبها دواب وحش ، ومنها جزيرة بحذاء الكر، وهي كبيرة، بها غياض وأشجار . ومياه ويرتفع منها الفوة، ويخرج إليها من نواحي برذعة، فيحملون منها الفوة ويحملون في السفن إليها دواب من نواحي برذعة وسائر المواضع فتسرح فيها حتى تسمن .

وليس من أبسكون إلى الخزر عن اليمين على شط البحر قرية ولا مدينة سوى موضع من أبسكون على نحو خمسين فرسخا يسمى دهستان، وهى داخلة فى البحر تستتر فيها السفن فى هيجان البحر. ويقصد هذا الموضع خلق كثير من النواحي ويطعمون بها للصيد وبها مياه، ولا أعلم غير هذا المكان مكانا يقيم به أحد إلا أن يكون سياكوه فإنه تقيم به طائفة من الأتراك، وهم قريبو العهد بالمقام به لاختلاف وقع بين الغزاة وبينهم، فانقطعوا عنهم واتخذوه مأوى ومرعى لهم، ولهم عيون ومراع، وهذا ما عن يمين هذا البحر من أبسكون، ومن أبسكون عن يسارها إلى الخزر فى عمارة متصلة إلا شيئا بين باب الأبواب والخزر، وذلك أنك إذا أخذت من أبسكون مضيت على حدود جرجان وطبرستان والديلم والجيل، ثم تدخل فى حدود الران، وإذا جرت موقان إلى

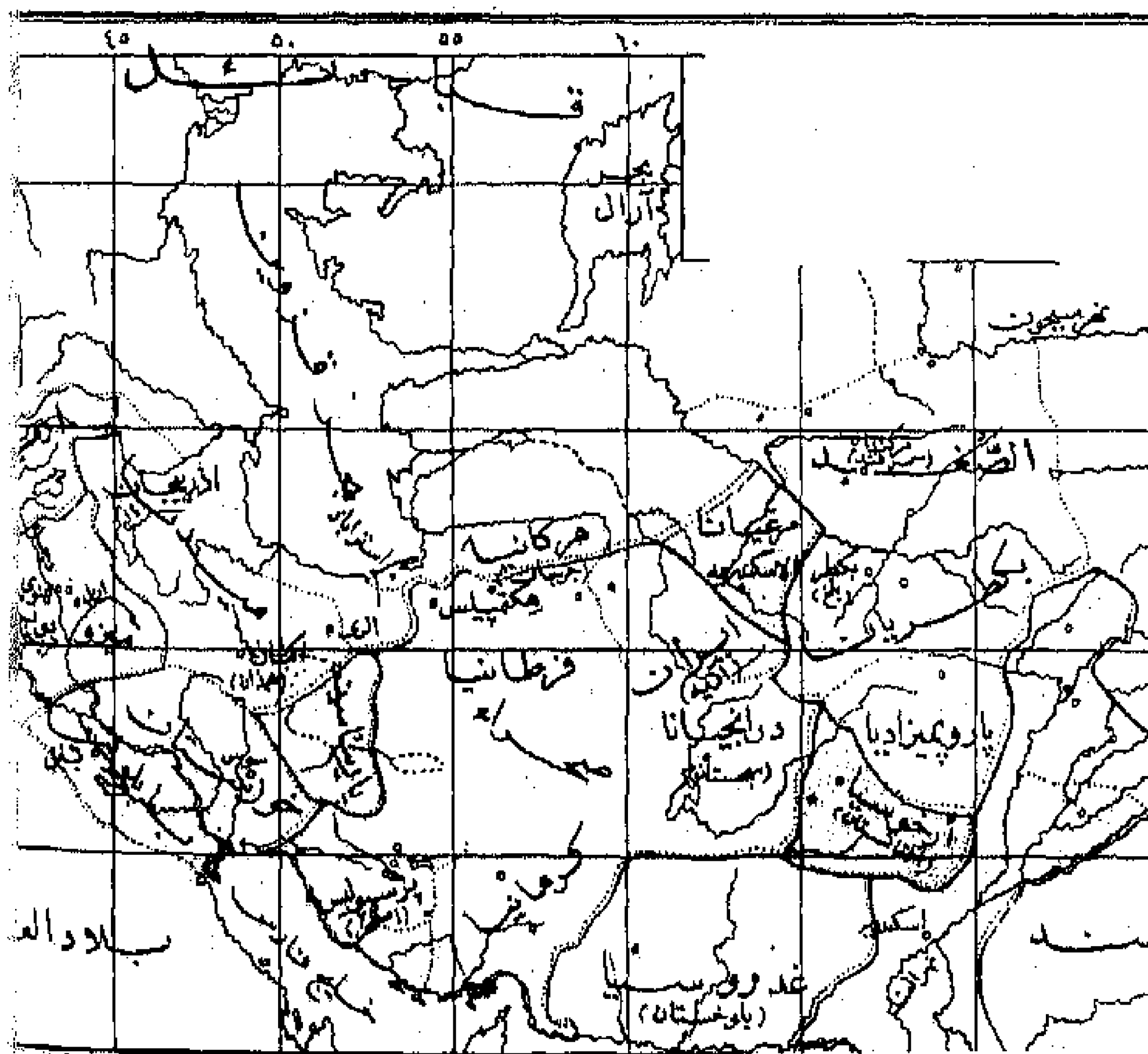


خريطة بحرقزون والمناطق المجاورة (مخطوطة) في القرن السادس

للإصطخري عن بحر الخزر والأقطار المحيطة به . قال
الإصطخري :

«وأما بحر الخزر فإن شرقيه بعض الديلم وطبرستان وجرجان وبعض المفاضة التي بين جرجان وخوارزم، وغربيه أَرَّان وحدود السريز وبلاد الخزر وبعض مفاضة الغزية، وشماليه مفاضة الغزية بناحية سياكوه، وجنوبيه الجبل والديلم.

وهذا البحر ليس له اتصال بشيء من البحار على وجه الأرض، فلو أن رجلا طاف بهذا البحر لرجع إلى مكانه الذي ابتدأ منه لا يمنعه مانع إلا نهر عذب يقع فيه، وهو بحر مالح ولا مد له ولا جزر وهو بحر مظلم، قعره طين بخلاف بحر القلزم وسائر بحر فارس، فإن في بعض المواضع من بحر فارس ربما يرى عمقه لصفاء ما تحته من الحجارة البيض، ولا يرتفع من هذا البحر شيء من الجواهر من لؤلؤ أو مرجان أو غيره، مما يرتفع من البحار، ولا يتثقل بشيء مما يخرج منه سوى السموك، ويركب فيه التجار من أراضي المسلمين إلى أرض الخزر، وما بين الران والجيل وطبرستان وجرجان، وليس في هذا البحر جزيرة مسكونة فيها عمارة كما ذكرنا في بحري فارس والروم، إلا أن فيها جزائر، فيها غياض ومياه وأشجار، وليس بها أنيس، ومنها جزيرة سياكوه، وهي جزيرة كبيرة، بها



باب الأبواب على يومين فهو بلد شروان شاه، ثم تتجاوز إلى سمندر أربعة أيام، ومن سمندر إلى أثل سبعة أيام مفاوز. ولهذا البحر بناحية سياكوه زنقة يخاف على السفن الداخلة بها الريح أن تنكسر، وإذا انكسرت السفن هناك لم يتها جمع شيء منها من الأتراك فإنهم يستولون على ذلك.

وأما الخزر فإنه اسم الإقليم وقصته تسمى أثل، وأثل اسم النهر الذي يجري إليه من الروس وبلغار، وأثل قطعتان قطعة على غربي هذا النهر المسمى أثل، وهي أكبرهما، وقطعة على شرقيه، والملك يسكن في الغربي منهما. ويسمى الملك بلسانهم بك ويسمى أيضا باك. وهذه القطعة مقدارها في الطول نحو فرسخ، ويحيط بها سور إلى أنه مفترش البناء، وأبنيتهم خركاهات لبود إلا شيئا يسيرا بنى من طين. ولهم أسواق وحمامات، وفيها خلق من المسلمين يقال: إنهم يزيدون على عشرة آلاف مسلم، ولهم نحو ثلاثين مسجداً. وقصر الملك بعيد من شط النهر، وقصره من آجر وليس لأحد بناء من آجر غيره، ولا يسوغ الملك لأحد أن يبنى بالآجر. ولهذا السور أبواب أربعة؛ منها إلى ما يلي النهر، ومنها إلى ما يلي الصحراء على ظهر المدينة. وملكهم يهودى يقال: إن له من الحاشية نحو أربعة آلاف رجل، والخزر مسلمون ونصارى ويهود، وفيهم عبدة أوثان، وأقل الفرق اليهود، وأكثرهم المسلمون والنصارى. إلا أن الملك وخاصته يهود، والغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان، يسجد بعضهم لبعض عند التعظيم وأحكام خضوا بها على رسوم قديمة مخالفة لدين المسلمين واليهود والنصارى. وللملك من الجيش اثنا عشر ألف رجل، وإذا مات منهم رجل أقيم آخر مكانه. وليست لهم جناية دارة إلى [إلا] شيء نزر يسير يصل إليهم في المدة الطويلة إذا كان لهم حرب أو حزبهم أمر يجتمعون له، وأبواب مال هذا الملك من الأرصاد وعشور التجارات على رسوم لهم من كل طريق وبحر ونهر، ولهم وظائف على أهل المحال والنواحي من كل صنف مما يحتاج إليه من طعام وشراب وغير ذلك. وللملك سبعة من الحكام من اليهود والنصارى والمسلمين وأهل الأوثان إذا عرض للناس حكومة قضى منها

هؤلاء، ولا يصل أهل الحوائج إلى الملك نفسه، وإنما يصل إلى هؤلاء الحكام، وبين هؤلاء الحكام يوم القضاء وبين الملك سفير يرأسونه فيما يجرى من الأمر ويتتهون إليه، فيرد عليهم أمره ويمضونه، وليس لهذه المدينة قرى إلا أن مزارعهم مفترشة، يخرجون، في الصيف، في الزروع نحو عشرين فرسخا ليزرعوا ويجمعوا بعضه على النهر، وبعضه على الصحارى، فينقلون غلاتهم بالعجل وفي النهر، والغالب على قوتهم الأرز والسمك وهذا الذى يحمل منهم من العسل والشمع إنما يحمل إليهم من ناحية الروس وبلغار، وكذلك هذه الجلود الخز إلى الآفاق لا تكون إلا في تلك الأنهار التى بناحية بلغار والروس وكويابة، ولا تكون في شيء من الأقاليم فيما علمته، والنصف الشرقى من الخزر فيه معظم التجار والمسلمين والمتاجر، والغربى خالصة للملك وجنده والخزر الخالص.

ولسان الخزر غير لسان الترك والفارسية، ولا يشاركه لسان فريق من الأمم.

وإنما [وأما] نهر أثل فإنه فيما بلغنى يخرج من قرب خرخيز فيجرى فيما بين الكيماكية والغزية وهو الحد بين الكيماكية والغزية، ثم يذهب غربا على ظهر بلغار ويعود راجعا إلى ما يلي المشرق حتى يجوز على الروس، ثم يمر على بلغار ثم على برطاس حتى يقع في بحر الخزر، ويقال: إنه يتشعب من هذا النهر نيف وسبعون نهرا، ويبقى عمود النهر يجرى على الخزر حتى يقع في البحر. ويقال إن هذه المياه إذا كانت مجموعة في نهر واحد أعلاه يزيد على جيحون، وبلغ من كثرة هذه المياه وغزارتها أنها تنتهى إلى البحر فتجرى في البحر داخلا مسيرة يومين، وتغلب على ماء البحر حتى يجمد في الشتاء لعذوبته وحلاوته، ويبين في البحر لونه من لون ماء البحر.

وللخزر مدينة تسمى سمندر فيما بينها وبين باب الأبواب لها بساتين كثيرة، ويقال: إنها تشتمل على نحو من أربعة آلاف كرم إلى حد السرير، والغالب على ثمارها الأغراب، وفيها خلق من المسلمين، ولهم بها مساجد، وأبنيتهم من خشب قد نسجت، وسطوحهم مسنمة، وملكهم من اليهود

قراية ملك الخزر، وبينهم وبين حد السرير فرسخان، وبينهم وبين صاحب السرير هدنة.

والسرير هم نصارى، ويقال: إن هذا السرير هو لبعض ملوك الفرس من ذهب، فلما زال ملكهم حمل إلى السرير وحمله بعض ملوك الفرس، بلغنى أنه من أولاد بهرام جويين. والملك إلى يومنا هذا فيهم، ويقال: إن هذا السرير عمل لبعض الأكاسرة فى سنين كثيرة، وبين السرير وبين المسلمين هدنة. ولا أعلم فى عمل الخزر مجمع ناس سوى سمندر.

وبرطاس هم أمة متاخمون للخزر ليس بينهم وبين الخزر أمة أخرى، وهم قوم مفترشون على وادى أثل، وبرطاس اسم الناحية، وكذلك الروس والخزر، والسرير اسم للملكة لا للمدينة ولا للناس.

والخزر لا يشبهون الأتراك وهم سود الشعر، وهم صنفان صنف يسمون قراخزر. وهم سمر يضربون لشدة السمرة إلى السواد، كأنهم صنف من الهند، وصنف بيض ظاهره الحسن والجمال، والذى يقع من رقيق الخزر هم أهل الأوثان الذين يستجيزون بيع أولادهم واسترقاق بعضهم بعضا. فأما اليهود منهم والنصارى فإنها تدين بتحريم استرقاق بعضهم بعضا مثل المسلمين.

وبلد الخزر لا يرتفع شىء منه يحمل إلى الآفاق غير الغرى. وأما الزبيب والعسل والشمع والخز والأوبار فمجلوب إليها.

ولباس الخزر وما حوالها القراطف والأقبيية وليس يكون عندهم شىء من الملبوس وإنما يحمل إليهم من نواحى جرجان وطبرستان وأرمينية وأذربيجان والروم.

وأما سياستهم وأمر المملكة بهم فإن عظيمهم يسمى خاقان خزر (انظر مادة «الخاقان») وهو أجل من ملك الخزر إلا أن ملك الخزر هو الذى يقيمه، وإذا أرادوا أن يقيموا هذا الخاقان جاؤوا به فيخنقونه بحريرة حتى إذا قارب أن ينقطع نفسه قالوا: كم تشتهى مدة الملك؟ فيقول كذا وكذا سنة، فإن مات دونها ولا قتل إذا بلغ تلك السنة. ولا تصلح الخاقانية عندهم إلا فى أهل بيت معروفين، وليس له من الأمر والنهى

شىء، إلا أنه يعظم ويسجد له إذا دخل إليه، ولا يصل إليه أحد إلا نفر يسير مثل الملك ومن فى طبقتة، ولا يدخل عليه الملك إلا لحادثة، فإذا دخل عليه تمسغ فى التراب وسجد وقام من بعد حتى يأذن له بالتقرب، وإذا حزبههم حزب عظيم أخرج فيه خاقان، فلا يراه أحد من الأتراك ومن يصاقبههم من أصناف الكفر إلا انصرف ولم يقاتله تعظيما له، وإذا مات ودفن لم يمر بقبره أحد إلا ترجل وسجد، ولا يركب ما لم يغب عن قبره، ويبلغ من طاعتهم لملكهم أن أحدهم ربما يجب عليه القتل، ويكون من كهرائهم، فلا يحب الملك أن يقتله ظاهرا فيأمره أن يقتل نفسه، فينصرف إلى منزله ويقتل نفسه، والخاقانية فى قوم معروفين ليس لهم مملكة ويسار، فإذا انتهت الرئاسة إلى أحدهم عقدوا له، ولم ينظروا إلى ما عليه من حال، ولقد أخبرنى من أثق به أنه رأى فى بعض أسواقهم شابا يبيع الخبز كانوا يقولون: إن خاقانهم إذا مات فليس أحد أحق منه بالخاقانية إلا أنه كان مسلما ولا تعقد الخاقانية إلا لمن يدين باليهودية، والسرير والقبعة الذهب التى لهم لا تضرب إلا لخاقان ومضاربه إذا برزوا فوق مضارب الملك ومسكنه فى البلد أرفع من منزل مسكن الملك.

وبرطاس اسم للناحية، وهم أصحاب بيوت خشب وهم مفترشون، وبسجرت هم صنفان: صنف من آخر الغزية على ظهر بلغار، ويقال: إن مبلغهم نحو ألف رجل، ممتنعون فى مشاجر لا يقدر عليهم، وهم فى طاعة بلغار وبسجرت آخرهم متاخمون لبجناك، وهم وبجناك أترك وهم متاخمون للروم، ولسان بلغار مثل لسان الخزر، ولبرطاس لسان آخر، وكذلك لسان الروس غير لسان الخزر وبرطاس.

وبلغار اسم المدينة، وهم مسلمون، وفيها مسجد جامع، وبقرب مدينة أخرى تسمى سوار، فيها أيضا مسجد جامع، وأخبرنى من كان يخطب بها أن مقدار عدد الناس بهاتين المدينتين نحو عشرة آلاف رجل، ولهم أبنية خشب يأوونها فى الشتاء، وفى الصيف يفترشون فى الخركاهات، وأخبرنى الخاطب بها أن الليل عندهم لا يتهى أن يسير فيه الإنسان أكثر من فرسخ فى الصيف، وفى الشتاء يقصر النهار ويطول الليل حتى يكون نهار الشتاء مثل ليالى الصيف.

(الموسوعة الثقافية - بإشراف د. حسين سعيد / ٧٥٩ وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ٩٥، ٩٦، وأعلام الجغرافيين العرب - د. عبد الرحمن حميدة / ٢٠١-٢٠٨).

«الخزرج»

انظر مادة «الأوس والخزرج» في م ٦ / ٢٣٦، ٢٣٧).

«الخزرجي»

قال السمعاني: الخزرجي: بفتح الخاء المعجمة وسكون الزاي وفتح الراء وفي آخرها الجيم، هذه النسبة إلى الخزرج وهو بطن من الأنصار، وهو الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن أمريء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان. وفي اللغة: الخزرج: الريح الباردة، قال ابن فارس: وبها سمي الرجل. قال الفراء: خزرج: الجنوب، غير مجرى بوسيد الخزرج لأبو [الأبي] ثابت، وقيل أبو قيس، وقيل أبو الحباب سعد بن عبادة بن دليم بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري، شهد بدرًا والعقبة، وكان نقيبًا ومات لستين ونصف من خلافة عمر رضي الله عنه بخوران من أرض الشام، وهو الذي يقال له سعد الخزرج.

وأبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن الحسن بن عيسى الأنصاري الخزرجي من ولد سعد بن عمرو بن حرام بن زيد ابن النعمان بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، من أهل بغداد سكن مصر، وحدث بها عن حامد بن محمد بن شعيب البلخي وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، روى عنه أبو محمد بن النحاس المصري، وكانت ولادته بحرية بغداد في المحرم من سنة ثمانين ومائتين، وتوفي بمصر في شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وثلاثمائة. قال أبو الفتح بن مسرور: ما علمت من أمره إلا خيرا.

وأبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عمار بن يحيى بن العباس بن عبد الرحمن بن سالم بن قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي ثم الأنصاري، من أشرف بيت للأنصار، ومن أوجه

والروس هم ثلاثة أصناف: فصنف هم أقرب إلى بلغار، وملكهم يقيم بمدينة تسمى كويابة، وهم أكبر من بلغار. وصنف أبعد منهم يسمونه الصلاوية. وصنف يسمونه الأرثانية وملكهم مقيم بأرثا. والناس يبلغون في التجارة إلى كويابة. فأما أرثا فإنه لا يذكر أن أحدا دخلها من الغرباء لأنهم يقتلون كل من وطىء أرضهم من الغرباء، وإنما ينحدرون في الماء يتجرون فلا يخبرون بشيء من أمورهم ومتاجرهم ولا يتركون أحدا يصحبهم ولا يدخل بلادهم. ويحمل من أرثا السمر الأسود والرصاص. والروس قوم يحرقون أنفسهم إذا ماتوا، وتحرق مع مياسيرهم الجوارى بطيبة من أنفسهم، وبعضهم يحلق اللحى وبعضهم يقتله مثل الذوائب، ولباسهم القراطف القصار، ولباس الخزر وبلغار وبنجناك القراطف التامة.

وهؤلاء الروس يتجرون إلى الخزر ويتجرون إلى الروم وبلغار الأعظم، وهم متاخمون للروم في شمالها، وهم عدد كثير يبلغ من قوتهم أنهم ضربوا خراجا على ما يلي بلادهم من الروم، وبلغار الداخل هم نصاري.

المسافات بين بلاد الخزر ونواحيها من أبسكون إلى بلاد الخزر عن اليمين نحو ثلاثمائة فرسخ، ومن أبسكون عن يسار السائر إلى الخزر نحو ثلاثمائة فرسخ، ومن أبسكون إلى دهستان مراحل، ويقطع هذا البحر إذا طابت الريح عرضا من طبرستان إلى باب الأبواب في أسبوع. وأما من أبسكون إلى بلاد الخزر فإنه زائد على العرض لأنه مزوى، ومن أثل إلى سمندر أيام، ومن سمندر إلى باب الأبواب ستة أيام، وبين مملكة السريز وباب الأبواب ثلاثة أيام، ومن أثل إلى أول حد برطاس مسيرة عشرين يوما، ومن أول برطاس إلى آخره نحو خمسة عشر يوما، ومن برطاس إلى بنجناك نحو عشر مراحل، ومن أثل إلى بنجناك مسيرة شهر، ومن أثل إلى بلغار على طريق المفازة نحو شهر، وفي الماء نحو شهرين في الصعود، وفي الحدور نحو عشرين يوما، ومن بلغار إلى أول حد الروم نحو عشر مراحل، ومن بلغار إلى كويابة نحو عشرين مرحلة، ومن بنجناك إلى بنجناك الداخل عشرة أيام، ومن بنجناك الداخل إلى بلغار خمس وعشرون مرحلة (أعلام الجغرافيين العرب / ٢٠١-٢٠٨).

الإسكندرية، وهو الشيخ الأديب الفاضل المعمر ضياء الدين أبو الحسن علي بن محمد الخزرجي الساعدي أندلسي المولد والمنشأ، شيخ صالح ثبت حاضر الذهن عالم، له ديوان المواجهد الخزرجية. سمع جعفر الهمداني وابني دحية، وقبل سفره إلى المشرق أبا محمد بن حوط الله، ولقي أبا الحجاج المنصفي، وقرأ على الفزازي شعره.

وذكر له ابن رشيد قطعا من النظم عارض بها الحريري وكعب بن زهير، وقصيدة رائية دعا فيها إلى سلوك سبيل المتقين الصالحين.

وإليك ما قاله عنه ابن رشيد. وقد أبقينا على أرقام هوامش المحقق في مواضعها، ونورد ما جاء بها في نهاية المادة إن شاء الله تعالى لما بها من فوائد. قال ابن رشيد:

وممن لقيناه أيضا بثغر الإسكندرية المحروس: الشيخ الأديب الفاضل المعمر ضياء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف بن عفيف الخزرجي الساعدي، من أهل غرناطة ويشهر بالخزرجي.

مولده ببيغو (١٦٧)، رحل عن الأندلس قديما واستقر أخيرا بالإسكندرية. لقيته بها غير مرة. وأجاز لي ولابني محمد ولأختيه عائشة وأمة الله ولأخواتي عائشة وفاطمة ورحمة جميع ما جوز له روايته وماله من نظم ونثر. وكتب عنه - بإذنه وبمحضره ومحضري - زين الدين أبو بكر بن منصور شيخنا، وذلك في الثامن من جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وستمئة، لتعذر بصر الشيخ.

سألت الشيخ ضياء الدين في هذه السنة عن مولده فقال: سني خمس وتسعون سنة. فعلى هذا يكون في حدود التسعين وخمسة المائة.

وضياء الدين هذا شيخ صالح فاضل ثبت حاضر الذهن، يتصرف في حوائجه بنفسه، عدل بالديار المصرية، أديب ناظم مطيل مطيب. وقد وصف لنا بالعالم العامل. وجمع بعض شعره في ديوان سماه المواجهد الخزرجية.

سمع جعفر الهمداني، وقرأ عليه ملخص القابسي، وكتاب كفاية المتحفظ في اللغة (١٦٨) تصنيف إبراهيم بن

مشايخ نيسابور في الثروة والعدالة والورع والقبول والإتقان في الرواية، وأكثرهم طلبا للحديث بالفهم والمعرفة، سمع بنيسابور محمد بن رافع وإسحاق بن منصور وعبد الرحمن بن بشر بن الحكم، وبالعراق عمر بن شبة النميري والحسن بن محمد بن الصباح ومحمد بن إسماعيل الأحمسي وأحمد بن سنان القطان، وبالحجاز بحر بن نصر الخولاني، وبالري أبا زرعة ومحمد بن مسلم بن وارة، روى عنه أبو إسحاق إبراهيم ابن عبدوس ومحمد بن شريك الإسفرايني وأبو أحمد إسماعيل بن يحيى بن زكريا بن حرب، ومات في جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وثلاثمئة بنيسابور.

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي / ٢ / ٣٥٩، ٣٦٠: انظر أيضا الباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥١٣).

* الخزرجي (عبد الله بن محمد) (٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م):

عبد الله بن محمد الخزرجي، ضياء الدين، أبو محمد، عروضي أندلسي نزل بالإسكندرية وتوفي قتيلا. له «الرامزة في علمي العروض والقافية» مطبوع قصيدة تعرف بالخزرجية نسبة إليه (انظرها في موضعها)، و«علل الأعاريض» مخطوط. (الأعلام للزركلي ٤ / ١٢٤).

* الخزرجي (علي بن الحسن) (٨١٢ هـ / ١٤١٠ م):

علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن وهّاس الخزرجي الزبيدي، أبو الحسن موفق الدين، مؤرخ، بحاث، من أهل زبيد في اليمن. عاش نيفا وسبعين سنة. من كتبه «الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من الإسلام»، و«طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن»، و«العسجد المسبوك في تاريخ الإسلام وطبقات الملوك» مخطوط مجلد واحد منه، و«العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية» مطبوع. جزءان، و«العقد الفأخر الحسن في طبقات أكابر اليمن»، و«مرآة الزمن في تاريخ زبيد وعدن»، و«ديوان شعره».

(الأعلام للزركلي ٤ / ٢٧٤ ومصادره بهامش ١).

* الخزرجي (علي بن محمد):

من شيوخ الرحالة ابن رشيد الدين التقى بهم في

إسماعيل الأجدابي (١٦٩) وسمع أيضا على أبي الخطاب بن
دحية ملخص القابسي . وسمع الموطأ رواية يحيى (١٧٠)
على أخيه أبي عمرو بن دحية (١٧١) وأجازوا له ثلاثتهم .

وسمع ، قبل رحلته ، القاضي أبا محمد بن حوط الله
(١٧٢) قال : وأول حديث سمعت منه الحديث المسلسل
(١٧٣) :

« الراحمون يرحمهم الرحمان ، ارحموا من في الأرض
يرحمكم من في السماء » (١٧٤) .

قلت : وقد أسمعني المتن من لفظه . وهو أول حديث
سمعت منه .

قال : وسمعت عليه صحيح مسلم سنة سبع وستمئة .
قال : ولقيت أبا الحجاج المنصفي (١٧٥) سنة ست
وستمئة بمالقة ولم أسمع منه .

قال : ورأيت ابن أبي يحيى الذي قتله شابا وقيحا .
ولقي أبا زيد القازي ، وقرأ عليه من معشراته الحبية إلى
حرف العين ، وأجاز له جميع ما قاله من نظم ونثر .
أنشدنا شيخنا ضياء الدين هذا قصائد من قبله ، وأمر أن
يكتب لنا بعض شعره . ودفعه إلينا .

فمما قرئ لي عليه وأنا أسمع قصيده المسمط (١٧٦)
الذي عارض به قصيدة أبي محمد القاسم بن علي الحريري
التي أولها :

[مجزوء الرجز]

نخل اذكار الأربع (١٧٧)

وهذا القصيد الذي صنعه شيخنا ضياء الدين الخزرجي -
نفع الله به - مطلعته :

هــمـون بأهل البـعد
والهـجـر والتـصـنع
ودن بتـرك الطمـع
ولـمـد بأهل السـورع
وعـنـد عن كل بـعد
لم يكتـرث بـالنـبـد

والهـجـر ببـعد جـهـبـد
وعـنـد المـتـضـع
وانـدب زـمـانـا قـد سـلف
ولم تـجـد مـنـه خـلف
وابـعث بـأنفـاس الأسف
رـسـائل التـضـرع
وهي طويـلة ، عددـها أحد وأربعون بيتـا ، تقيـدت بـجـملـتها
في غير هذا الموضع .
ومما قرئ لي عليه من قبله وأنا أسمع :

[البسيط]

بأمر دنياك لا تحفل وكن حـادرا
فقد أبانت لأرباب النهى عبـرا
فأى عيش بها ما شابهه غير؟
وأى صفوتنا هي لم يصـر كـدرا؟
كم سـالم أسلمتـه للـردى فقضى
حتفا ، لم يقض من لذاتها وطـرا
ومتـرف قلبت ظهـر المجنـلـه
فعاد بعد علـو القـدر محـتـقـرا
فعد عنها ولا تلـهـج بـزخـرفـها ،
وغض طرفك عنه ، قل أو كـثـرا .

فكل عيش تـراه العين من حسن
كر الأهلـة لا يـقى لـه أثـرا
طوبى لمن جـال فيـها فـكره فـنـأى
عما تغيب يوما منه أو حضـرا
وقام في حـدس الظلـماء مجتـهدا
يردد الـذكـر والآيات والسـورا
ذاك الـذى سـرحت في العلـو هـمتـه
فخالف النـوم لما حـالف السـهـرا
حتى إذا الليل ولى منه أكـثـره
وراقب البـوقـت لما قـارب السـحـرا

أهدت له نسيمات اللطف ساعة هل
من سائل فدعا مولاه واعتذرا
ولم يزل واقفاً بالبواب مبتهلاً
يرجو الإجابة ممن جل واقدرا
حلاله المورد الأصفى فتساق إلى
ورد أبان له ما عنه قد صدرا
سما بمدحة سيماهم فلاح له
عند السجود هلال القرب فابتدرا
فبات ينادي أرض الأرض احسنا
وإنما يحصد الإنسان ما بذرا
مشى على منهج التقوى، ودام على
حفظ الأوامر، فاحتاجت له الأمرا
تالله، ما الملك إلا ملك من منحت
له الفتاة فاستغنى وما افتقرا
تاقت إلى رؤية السادات همته
في روضة الأنس فاستاقوا له زمرا
هم الأتلاء يوم الملقى، وهم
حزب الإله على من ندد أو بطرا
أنوارهم، يوم جز، تطفئ وتخمدا
قد لاح من لفحات النار واستعرا
يقننوا أنهم في كل معضلة
بعين محبوبهم فاستعذبوا الصبرا
مأنوا ومنوا وما منوا فمنيتهم
أمن وجبر لمن قد جاء منكسرا
لهم جنسوب تجافى عن مضاجعها
وأعين أقسمت أن لا تذوق كسرى
يانائما وعيون القوم ساهرة،
ولا يبالى أطال الليل أم قصرا
قم للتجهد يانومان مجتهدا
فلججديدين سيف ينسف العمر

هنا الفلام قد اشمطت ذواييه
وكل ركب السدجى واستصحب الخزرا
واعتاضت الزهر بعد الزهو إذ جنحت
إلى الغوارب من إشراقها غيرا
وغادر الظل زهر السروض حين سرت
رويحة الفجر غضا ناعما نظرا
وبشر الفجر باليوم الجديد، فقم
وناد من لم يزل في الملك مقتدرا
يا عالم السر لا تفضح سريرة من
وافاك، يافالقي الإصباح، مفتقرا
وجئ على خزرجي قد ألم به
ضيم، فأضعف منسه السمع والبصرا،
وقددعاك قريح القلب منكسرا
وأنت تعلم ما أبدي وما ستر
فهب له توبة. وارحم تضرعه
إليك، واغفر له يسا خير من غفرا
وصل وصل وواصل كل أوناسة
على النبي سلالا طيبا عطرا
وصحبه ومن استهدى بهديهم
فهم أئمة من صلى ومن ذكر
ومما أمر بكتبه إلى. وأنشدني بعضه إن لم يكن كله، وأذن
لي: قصيده الطويل الذي عارض به قصيد كعب بن زهير:
[البسيط]
بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
مقيم إثرها لم يفد مكبول
ومطلع قصيده:
ما في سعاد لنا قصد ولا سول
فإن قلبي عنهما اليوم مشغول
وما سعاد وما مقدر منصبا
حتى أبيت وقلبي منه متبول

بيتا، تعالى قدره حيا وتحيا ذكره ميستا، يقول في
خاتمتها.

يا من له في حديث المصطفى سند
عال، ويسمعه والنقل معلول
خذ هذه، فهي للناسين تذكرة،

ونظمها فيها تقريبا وتسهيل
بمسلم، والبخاري والموطأ قد
صحت، وبالترمذي فيها، الأقاويل
وما رواه ابن إسحاق الذي نقلت

عنه المنزلي، وهذا القول منقول
عن الرواية في الأخبار تكملة
تشفي الغليل، ولكن ثم تعليق
إن كان ممن له علم ومعرفة
وحسن لفظ، وإلا فيسه تأويل.

فاحفظ وصحح وقيد ما استطعت فالله
محدث البقطان السدس تبجيل

يا سماميها، سألوا عن كل واقعة
منها، قرب سؤال فيه تحصيل
وأخلصوا دعوة منكم لناظمها

فعرمه بحلول الشيب محلول
وحين عاين شمس العمر قد جنحت

إلى الغروب شدا والقلب متبول
يا عالم السر لا تفضح سريرة من

له على عفوك المرجو تعويل
وقد دعاك قريح القلب منكسرا

وما له في حماك اليوم تحويل
فهب له توبة قبل الممات، فقد

آن الرحيل، ووقتي فيه تعجيل
وصل صلاة على خير الوري، فله

بين النبيين تخصيص وتفضيل

سيان عندي إن بسانت وإن وصلت
فوصلها بنصال الصمد مفصول

ما أن يدوم لها عهد، وإن غدرت
فهو الوفاء، وعهد الغيد ممطول

فاعجب لمن بالغواني قد غدا كلفا،
وعقدهن وإن آلين محلول

وذراغن غضيض الطسرف ذا كحل
ولا تغرنك العيس المراقيل،

وعند عن نسبة الوجناء إن نسبت
وسيرها، فهو أمر فيه تطويل

إن كان أعرب كعب عن فصاحته
فإن كعبا على الإعراب مجبول

فهو الذي فاز بالفضل العميم، ومن
رام امتداحا سواء فهو مفضول

أولاه خير الوري أمتا، وشرفه
عند القدوم ببرد فيه تجميل

فمن تكلف ما أبست باديته
وإن أصاب فمما في ذاك محصول

الأمر أعجل من هذا فكن حذرا
بغت المنسون فإن الوقت مجهول

وأظن المدح فيمن قد أعد له
في حضرة القدس ترحيب وتبجيل:

خير البرية من عرب ومن عجم
ومن عليه لنا في الحشر تعويل،

أولاه موجدته مجدا، وتوجه

تاج الرسالة، والتبليغ إكليل

ثم تمادي في مدح النبي ﷺ مطيبا، ودعا الإحسان فلباه
مجيبا، وأتى بأعلام من معجزاته ﷺ متبعا الطيب بالطيب،

وجاءا بعد الجود بالصيب، ناسجا على منوال الإحسان،
واسجنا في ميدان البيان، إلى أن نيف على مائتين وثلاثين

وصحبه، ومن استهدى بهديهم

فأنت يا سا مع الأصوات مسؤول

نجزت، وتامها مكتوب في غير هذا الموضع.

وإليك تعليقات المحقق الفاضل التي جاءت في

الهوامش:

(١٦٧) مدينة بالأندلس من عمل غرناطة وإليها ينسب

أبو محمد يعيش بن محمد بن سعيد الأنصاري البيهقي. راجع الحميري / ٦٠، الحموي ٢ / ٣٣٩.

(١٦٨) مصنف مختصر فيما يحتاج إليه من غريب

الكلام. وليس هو كفاية المحتفظ لابن الخوي التي نظمها ابن جابر الأعمى والبعلى. الكشف.

(١٦٩) هو أبو إسحاق اللواتي الطرابلسي الأجدابي ٦٥٠

/ ١٢٥٢، لغوى باحث، له الكفاية، والعروض، ومختصر في علم الأنساب. وآخر في الأنواء. الزركلى: ١ / ٢٥.

(١٧٠) هو أبو محمد يحيى بن يحيى بن أبي عيسى

الليثي ١٥٢ / ٧٦٩ - ٢٣٤ / بقرطبة ٨٤٩ عالم الأندلس في عصره. قرأ بقرطبة ورحل إلى الشرق. وسمع الموطأ من مالك. ونشر مذهبه بالأندلس. الزركلى: ٩ / ٢٣.

(١٧١) تقدم ذكر ابني دحية في أول ترجمة ابن منصور

الهمداني. وأبو عمرو هذا هو عثمان بن الحسن أخو الحافظ أبي الخطاب بن دحية وفدا على القاهرة من الأندلس. وكان أبو عمرو أسن من أخيه. بالقاهرة. وهو لغوى رتبته الملك الكامل مكان أخيه على دار الحديث الكاملة. المقرئ. النفع ٢ / ٩٤، ٩٥، ٥١.

(١٧٢) هو الحافظ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود

ابن حوط الله الأنصاري الحارثي الأندلسي ٥٤٦ / ١١٥٤ بأندلس ٦١٢ / ١٢١٥ بقرطبة. محدث مقرئ كاتب، شاعر، نحوي. كحالة ٦ / ٦١.

(١٧٣) التسلسل من نعوت الأسانيد. وهو عبارة عن تتابع

رجال الأسناد وتواردتهم فيه واحدا بعد واحدا على صفة أو حالة واحدة. وينقسم إلى ما يكون صفة للرواية والتحمل، وإلى ما يكون صفة للرواة أو حالة لهم. ابن الصلاح ٢٣٦، ٢٣٧ وفي

ترجمة المراغي من هذا الجزء ذكر لصلة الناسك في معرفة المناسك. قال ابن رشيد: وهو جزء نبيل نبيه تكلم فيه على حديث الرحمة المسلسل وطرقه وفوائده. وهو جزء مملوء فوائد بغرائب من النفع عوائد. وقد دخل لنا حديث الرحمة المسلسل مصرحا به في ما أجازنا به المغفور له شيخنا محمد الفاضل بن عاشور.

(١٧٤) ورد الحديث في آخر باب ما جاء في رحمة الناس وعقب عليه بقوله هذا حديث حسن صحيح وورد عن ابن عمرو بلفظ «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». حم، د، ت، ك، (لأحمد في مسنده، وأبي داود، والترمذي، والحاكم، وزاد الثلاثة دون أبي داود: والرحم: الشجعة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله). النبهاني: وقد ضمن جماعة من الحفاظ هذا الحديث في أبيات نظموها. فمن ذلك أما نشده أبو الحسن علي بن حسن بن عساكر:

بادر إلى الخير يا ذا اللب مغتتما

ولا تكن عن قليل الخير منحزما

واشكر لمولك ما أولاك من نعم

فالشكر يستوجب الأفضال والكرما

وارحم بقلبك خلق الله وارهم

فإنما يرحم الرحمن من رحما

ومنه ما قاله ابن حجر العسقلاني:

إن من يرحم من في الأرض قد

جاءنا يرحمه من في السما

فأرحم الخلق جميعا إنما

يرحم الرحمن من رحما

ومن هذا النحو قول العراقي:

إن كنت لا ترحم المسكين إن عدما

ولا الفقير إذا يشكو لك العدم

فكيف ترجو من الرحمن رحمة

فإنما يرحم الرحمن من رحما

انظر الفاداني: ١٧٧

اسم الشهرة : الخزرجي .

(١٧٥) هو أبو الحجاج يوسف المنصف نسبة إلى قرية المنصف من قرى بلنسية . زاهد مشهور سكن سبتة . المقرئ . النفع : ٣ / ٥٩٥ ابن سعيد . المغرب ٢ / ٣٥٤ ، ٥٧٠ ولا نعلم شيئاً عن ابن أبي يحيى الشاب الوقح . وورد هذا الوصف بالأصل على زنة فعيل ولعله خطأ من الناسخ . (١٧٦) هو الذي تكون أبياته مقسمة إلى أجزاء عروضية مقفاة على غير روى القافية .

(١٧٧) بالأصل قصيد فانشأ اللفظ للتطابق مع ما بعده .
وتمام البيت والطالع :

خل ادكــار الأربع

والمعــد المرتبع

والظــاعن المــودع

وعــد عنــه ودع

راجع المقامة الخمسين البصرية للحريري

(ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة لابن رشيد - تقديم وتحقيق سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ٣ / ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٣ - ٤٩) .

* الخزرجية :

منظومة في العروض والقافية اشتملت على نيف وسبعين بيتاً لضيء الدين الخزرجي الأندلسي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ . ويذكر البقاعي أن القلصادي بحث مع القرباقي شرحه للخزرجية في العروض (رحلة القلصادي / ٨٨) وجاء في ترجمة تقي الدين الشمني أنه قرأ على الشيخ ناصر الدين البارباري الخزرجية في العروض (المنهل الصافي ٢ / ١٠٢) .

يوجد مخطوط الخزرجية بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض ، وجاء بيانه كما يلي :

رقم الحفظ : ٦١ ف .

الفن : عروض .

عنوان المخطوطة : الخزرجية في العروض .

عنوان المخطوط الفرعي : الرامزة .

اسم المؤلف : عبد الله بن محمد بن عثمان ، الخزرجي ،

ضيء الدين

تاريخ وفاته : ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م القرن ٦ هـ .

قالت المؤلفة : وفاته في الأعلام ٤ / ١٢٤ هي سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م .

بداية المخطوطة :

وللشعر ميزان يسمى عروضه

بها النقص والرجحان يدريهما الفنى

نهاية المخطوطة :

ويسأل عبــــــــــــــــد الله والخــــــــــــــــزرجي

من مطالعها إتحافه منه بالدعا

نوع الخط : نسخي واضح .

تاريخ النسخ : القرن ٩ هـ / ١٥ م .

عدد الأسطر : ٢٨ س .

ملاحظات عامة : نسخة جيدة وكاملة .

مكان الحفظ : رئيس الكتاب ، برقم ١١٨٩ / ٥ (فهرس المصورات / ٥٩) .

(رحلة القلصادي لأبي الحسن على القلصادي الأندلسي - دراسة وتحقيق محمد أبي الأجنان / ٨٨ هامش ٤٠ للمحقق ، والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي - حققه ووضع حواشيه د . محمد محمد أمين ، تقديم د . سعيد عبد الفتاح عاشور ٢ / ١٠٢ هامش ٤ للمحقق ، وفهرس المصورات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات . مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . الرياض . العدد الثاني ، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م / ٥٩) .

* الخزرجي :

الخزرجي : بفتح الخاء والزاي المعجمتين وكسر الراء المهملة ، هذه النسبة إلى الجد لبعضهم ، ولبعضهم إلى موضع من الثغور عند السد لدى القرنين يقال له دربند خزران ، ونسب الخزر إلى خزر بن يافث بن نوح وقيل الخزر (وجلان وموقان وجماعة بنو كاشح بن يافث بن نوح وقيل الخزر) والصقالبة ولد ثوبان بن يافث . فأما المنسوب إلى الجد فهو أبو بكر محمد بن خزر الصوفي الخزرجي العالم بهمدان ، كان

بنى غدا نسيته ما إن أنتم ذهب
ولا صريف ولكن أنتم الخزف
(المعتمد ١/١٢٥).

ذكره المظفر الرسولي نقلاً عن مصدرين رمز إلى أحدهما
بالحرف «ع» وإلى الآخر بالحرف «ج»:
ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية
والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله
الإنسان».

قال: الخزف - «ع» قوة الخزف تجلو وتجفف، وخاصة
خزف الثنور، لأنه قد ناله من السجر ييس كثير، ولهذا يكون
المرهم الذي يقع فيه دواء نافعا جدا في ختم الجراحات
وإدخالها، وله قوة تكوي، فإذا خلط بالخل وتلطخ به نفع من
الحكة والبثور، وقد ينفع من النقرس، ويجفف من غير لزع،
فينفع من القروح المترهلة، ومن انسلاخ الجلد، ويجلو
الأسنان.

«ج» ألطف الأخفاف خزف السرطان البحري المجفف،
يجلو الكلف والنمش. والمرهم المتخذ من الخزف قوى

يروى تفسير السدي عاليا، وكانت له رقة في بعض الأوقات إذا
قرئ عليه شيء يتغير عليه، روى عنه أبو جعفر بن محمد بن
الحسين الأبهري وأبو سعد أحمد بن محمد الماليني وأبو نصر
الحسن بن عبد الواحد الشيرازي وغيرهم، وروى عن إبراهيم
ابن محمد بن فيرة الطيان عن الحسين بن محمد الزاهد عن
إسماعيل بن أبي زياد كتاب التفسير، كتبه عنه ببغداد أبو
حفص بن شاهين، وسمع منه أيضا ببغداد عبد الله بن عثمان
الصفار وأبو القاسم بن الثلاث فيما زعم، وروى عنه محمد بن
أبي الفوارس الحافظ وكان سماعه منه بهمدان.

والمشهور بالانتساب إليها - يعنى إلى دربند عبد الله بن
عيسى الخزري - حدث عن عفان بن مسلم، روى عنه
الطستى، كانوا يضعفونه.

وأحمد بن موسى البغدادي يعرف بأخي خزري، حدث
عن علي بن حرب، روى عنه أبو بكر الشافعي، وعياش بن
الحسن بن عياش أبو القاسم البغدادي، يعرف بالخزري،
حدث عن النيسابوري أبي بكر بن زياد والقاضي المحاملي
وابن مغلدة وابن الأنباري، حدث عنه الدارقطني وجماعة من
مشايخنا.

وأبو أحمد عبد الوهاب بن الحسن بن علي بن محمد
المؤدب الحربي، يعرف بابن الخزري، سمع أبا بكر بن مالك
القطيعي والحسين بن أحمد الشماخي الهروي.

(الأنساب للسمعاني ١/٣٦٠، ٣٦١. انظر أيضا الباب لابن الأثير،

١/٥١٣، ٥١٤).

«الخزري»:

قال السمعاني:

الخزري: بضم الخاء المعجمة والزايين بعدها أولاهما
مفتوحة، هو لوالد محمد بن خزر الطبراني الخزري، من أهل
طبرية، قال أبو الحسن الدارقطني: محمد بن خزر له تاريخ
كبير كتبه بطبرية.

(الأنساب ٢/٣٦١. انظر أيضا الباب ١/٥١٤، ٥١٥).

«الخزف»:

الخزف: هو الفخار، قال الشاعر:



لأريق من الخزف بخاروف بارزة تحت طلاء زجاجي فيروزجى اللون، إيران - القرن ٧ هـ (١٣ م).



بلاطات من الخزف - آسيا الصغرى ، القرن ١٠ هـ (١٦ م) [رقم السجل ٦٣٢١]

الذى صنع فيه ، وأهمها : زليج ، كما فى إسبانيا وشمال إفريقيا ، وزليزلى : كما عرف فى شمال مصره وفرفورى : نسبة إلى بلاد الفرفور ، أى اليابان ، وقاشانى نسبة إلى قاشان ، المدينة الفارسية التى كانت لها سمعتها العالية فى هذا المجال ، وقاشى وكاشى كما يسمى فى العراق حالياً ، وغيرى : وهو خزف فارسى مزخرف متين ، نادر وثمين (موسوعة العمارة الإسلامية / ١٥٩ ، ١٦٠) .

يقول الأستاذ أنور الرفاعى :

إن مجموعة الخزف هى أكبر ما وصلنا من تحف الفن الإسلامى فهى كثيرة العدد جداً ، متنوعة المواضع . نجدها فى كل بلد إسلامى . كما تتشابه أساليبها الفنية بكل مكان . ويبدو من تطور الفنون الخزفية أن منبع الابتكار فيها كان فى فارس والعراق وهى استمرار وتطوير لصناعة الآجر المزجج الذى استخدمه بكثرة العرب القدماء فى بلاد ما بين النهرين ومنها كانت تنتقل الأساليب بسرعة غريبة إلى غرب «مملكة الإسلام» .

وقد استعمل المسلمون الخزف فى صناعة البلاطات الزخرفية الجميلة لكسوة الجدران فى البيوت والمساجد والمدارس وغيرها من المباني . كما استعملوه فى عمل الأواني من أكواب وصحون وسلطانيات وأباريق ودوارق وقدرور وأزيار وشماعد ومسارج ومباخر وزهريات وتماثيل صغيرة ولعب ، وأنواع أخرى من التحف الفنية .

وقد بدأ صنع الخزف الإسلامى أول الأمر كتتمة لصناعة الخزف الساسانى والبيزنطى ، ثم استقل بأسلوب إسلامى خالص وتنوعت أساليب الزخرفة بالرسم تحت الطلاء الزجاجى الشفاف بالألوان ، أو بالبزق المعدنى ، أو

الاندمال ، وينفع من القروح ، ويجلو الجرب . وخزف التنور يطلى على النقرس والجرب والحكة والقوباء والسعفة والحصف ، مع الخل ، فينفع . وخزف الأجاجين الخضمر يجلو العين ، ويقويهها . وخزف الغضار الصينى ينفع من القروح والجرب والنقرس الشربة منه : درهمان (المعتمد ١/ ١٢٥ ، ١٢٦) .

وقال داود الأنطاكى : الخزف هو الفخار إذا شوى بحيث يبلغ الحرق وهو قسمان مدهون بالمرداسنج وغيره كالزبادى المشهورة وهذا إما شريف الصناعة كالصينى وسيأتى أو ما يقاربه كالمعمول بأذنيك ومالقة وأنطاكية غير مدهون كالقدرور والشقف ومنه الآجر والكل حار يابس فى الثالثة إذا بولغ فى سحقه وعجن بنحو الخل كان ضماداً جيداً للاستسقاء والترهل وتحليل الأورام والنقرس والمدهون بلحم الجراح ويقطع الدم ويجلو الآثار ونحو الحكة . (التذكرة ١/ ١٣٩) .

ذاك كان على المستوى الطبى . أما على المستوى الفنى فيعرف الخزف السيراميك بأنه طين تصنع منه أوعية وأقنية وبلاطات ، يطلى بمواد مزججة وأصباغ ومعادن ومشتقاتها ، أو يعجن مع بعضها قبل إدخاله الفرن مرة واحدة ، كالفخار ، فهو منه وله خصائصه ، ولكن غالباً ما يشوى ، قبل المعالجة بتلك التراكيب وبعدها .

وقد أخذ الخزف تسميات متعددة ، حسب نوعه أو البلد



صحن من الخزف ذو البريق المزدق ، مصر ، القرن ١٥ هـ (١١ م) [رقم السجل ١٤٩٢٣]

ومما يثير إعجاب ودهشة الناقلين الفنيين لصناعة الخزف الإسلامي، الإتقان الزائد في استغلال تأثير النور والظل، ونجاح الخزافين المسلمين في ذلك نجاحاً بز جميع زملائهم من خارج العالم الإسلامي .

— وكما يقول د. محمد مصطفى: نجد في الخزف الإسلامي الألوان دافئة، مريحة للنظر، ونجد الزخارف البارزة المنحوتة أو المصبوبة في القالب، يختلف عليها النور والظل، ويكسبها رونقا، ويعطيها نوعاً من الحياة . ويتخلل النور الزخارف المخزومة في جدران الأواني، والمكسوة بطلاء زجاجي شفاف، يبعث الحياة فيما يوجد داخل الإناء، كما تلمع الزخارف المدهونة بالبريق المعدني وتبهر الأبصار، بينما تظهر الصور المرسومة باللون الأسود تحت طلاء زجاجي شفاف فيروزي اللون وكأنها أشباح في ليلة مقمرة .

وكان الخزافون المسلمون هم أول من اخترع البريق المعدني في زخرفة الخزف . ويعتقد أن ابتكاره تم في العراق، ولكنه نضج وأصبح لونه ذهبياً منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وانتشر استعماله في مصر والعراق وإيران ثم في الشام والأندلس . وكانت الزخارف ترسم فوق الطلاء الزجاجي بأكاسيد بعض المعادن، أو تحجز على أرضية مدهونة بهذه الأكاسيد، تثبت في أفران خاصة، فيظهر لها لمعان معدني واضح، يختلف بين اللون الذهبي والأحمر النحاسي والبنّي والزيتوني .

وكان الفنانون من الخزافين يتقلون في البلدان الإسلامية ويصنعون بنفس أساليبهم، عددًا من التحف، في البلدان التي يحلون فيها، لذلك نجد أواني خزفية متشابهة في أشكالها وفي أساليبها الزخرفية، مصنوعة في مصر أو العراق أو إيران في نفس العصر، مع اختلاف بتاريخ الصناعة وتقارب .

ومن المراكز التي اشتهرت بصنع الخزف «قاشان» وإليها تنسب صناعة ترابيعات (بلاط) القاشاني ذي البريق الملون ويسمى بالمغرب الزليج (يأتي الكلام على البلاطات الخزفية فيما بعد عند وصف البلاطات العثمانية) واشتهرت به سوريا (الرقّة) في العهد السلجوقي، كما عُرفت مصر بالصناعة

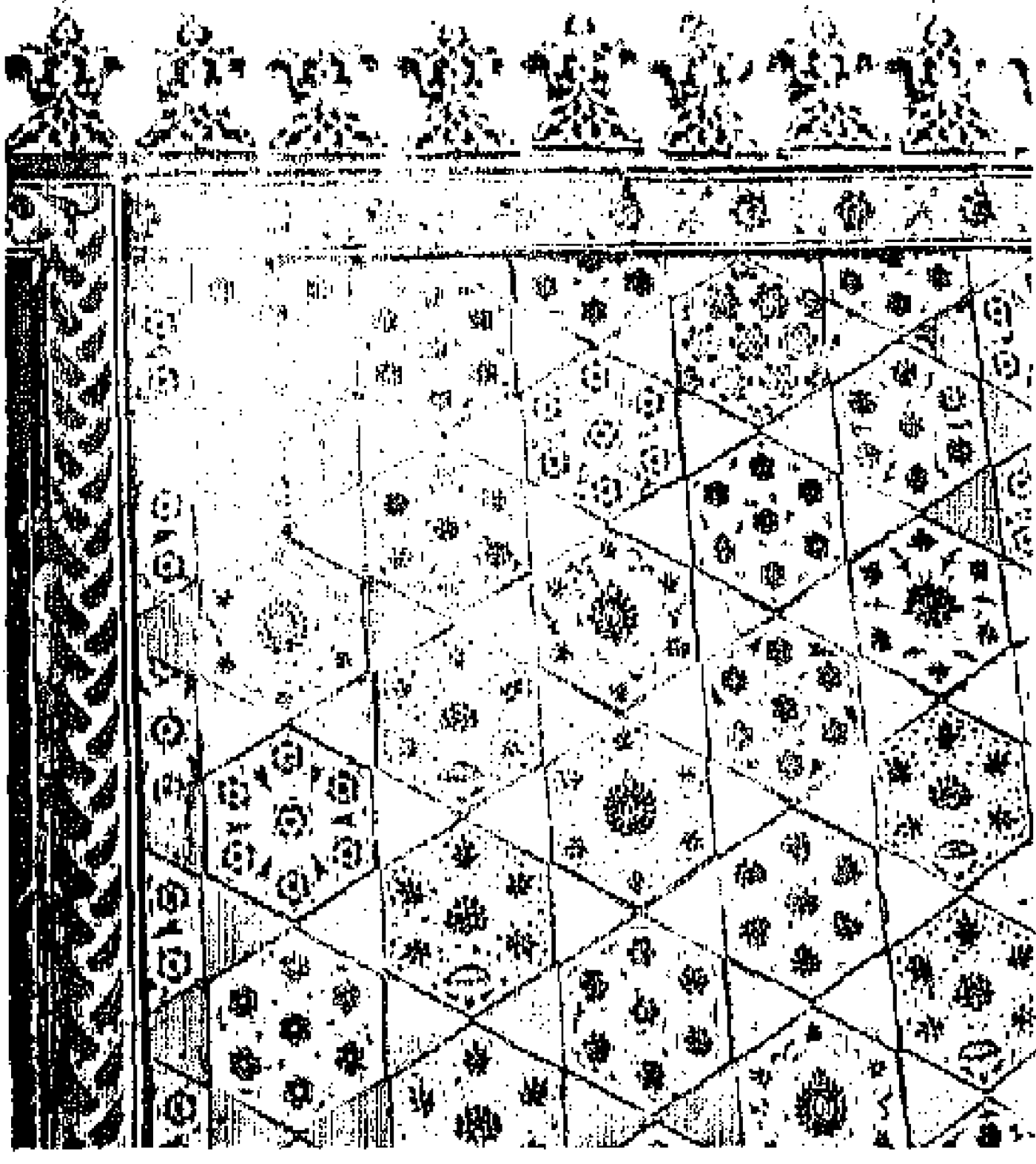


١٤٢ - مشكاة من الخزف : مصر في عصر المماليك (القرن ١٤)

بالذهيب فوق طلاء زجاجي شفاف أو غير شفاف، وبالنحت والحز والتخريم، وبالصّب فوق القالب، والمينا، كما تعددت أنواع العناصر الزخرفية، من زخارف عربية، وهندسية ونباتية، سواء الطبيعي منها كالأشجار والثمار والزهور أو المقتبس والمعدل بشكل فني زخرفي تزييني، ورسوم مبان ومراكب تمخر مياه البحر، وصور حيوانات وطيور وأسماك، وأشخاص في مناظر الحياة اليومية .

واختص الفن الإسلامي، سواء في الخزف، أو في غيره، دون سائر الفنون العالمية بالكتابة العربية الزخرفية، وهنا في الخزف استخدم الخزافون المسلمون الكتابة بالخط الكوفي بمختلف أشكاله أو النسخي كوسيلة للربط بين العناصر الزخرفية الأخرى، أو لملء شريط زخرفي بكلمات ذات صيغة دعائية لصاحب التحفة، أو حكمة عربية، أو آية من القرآن الكريم أو حديث من أحاديث الرسول عليه السلام .

وجميع مخلفات العصور الإسلامية من الخزف تدل على أنها تنتمي إلى وحدة فنية تجمع بينها، رغم ما فيها من تنوع في الأساليب الزخرفية التي ازدهرت في شتى بلاد العالم الإسلامي، فلكل بلد أسلوب زخرفي خاص به، يميزه عن غيره، ولكن ضمن وحدة الزخرفة الإسلامية كإطار عام يختلف عن الأساليب الأخرى الصينية أو الهندية أو الأوروبية مثلاً .



شكل ١٥١ - ادرنة، مسجد المرادية، تفاصيل للبلطات السداسية الزرقاء والبيضاء.

بمزججات معدنية، وتعرض الآنية للتسخين مرة أخرى، في تنور خامد ودرجة حرارة منخفضة، ينتج فوق التصميم سطح رقيق لامع.

نمت الأساليب المستحدثة في مجال صناعة الخزف في مصر في العصر الفاطمي، إلى الحد الذي أصبحت نماذج الأوعية ذات الهياكل البيضاء بزخارفها الملونة بالمزججات القلوية تستخدم في الحاجات اليومية. أما الطراز اللامع الذي كان قد تطور في تاريخ مبكر فيتميز بالجودة، وعوضت تصميماته الماهرة المتنوعة عن ضعف مستوى الصقل في هياكله. ومن أكثر التصميمات التي استخدمت في تزيين مثل هذه الطرز نجدها رسوم الأسماك والأشكال آدمية، ومن أساليب التلوين طريقتان: الأولى أحادية، والثانية متعددة الألوان. وفي المتحف الإسلامي بالقاهرة العديد من النماذج الرائعة من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني، وعليها توقيع «سعد» أو «مسلم» (يأتي بيان محتويات المتحف إن شاء الله تعالى) وتتميز هذه النماذج بالدقة والإتقان في رسوم الأشخاص والحيوانات، المنقوشة فوق أرضيات من التفريعات النباتية، وبالمتحف أيضا يحفظ صحن ينسب إلى ذلك العصر ومرسوم عليه ديك.

الخزفية الراقية زمن الفاطميين والأيوبيين والمماليك وأما في المغرب والأندلس فذاعت شهرة ملقة وغرناطة وبلنسية. وأما في العهد العثماني فاشتهرت «بروسية» في آسيا الصغرى ودمشق بالبلاط القاشاني (تاريخ الفن عند العرب والمسلمين / ١٥٤-١٥٩).

ويتابع الدكتور محسن محمد عطية تطور أساليب صناعة الخزفيات عبر العصور الإسلامية المختلفة فيقول:

تعددت أساليب صناعة الخزف في عصور الإسلام المختلفة، وتحققت من خلالها القيم الفنية المتميزة، حتى أن وصلت إلى حد من الفخامة والإبداع، أصبحت معه بعض الأواني من النوع ذي البريق المعدني تنافس المنتجات المصنوعة من ذهب أو فضة. أما الطريقة التي اشتملت بعض مراحلها على رسم بالألوان تحت طلاء شفاف، بالإضافة إلى أسلوب الحفر أو التخریم على سطح الآنية فقد كانت على مستوى فني غاية في الإتقان.

وفي عصر الخلافة العباسية كانت مصر مركزاً لإنتاج نوعية من الأواني الفخارية، من التي ترسم بنقوش بارزة وتدهن بطلاءات زجاجية رصاصية، خضراء أو صفراء، وقد يضاف إليها الطلاء اللامع. ونوعية أخرى لونت بالألوان حمراء، أو صفراء، أو برتقالية، أضيفت إليها زخارف مزججة في أجزاء بطريقة القاشاني، بحيث تغطي الآنية ببطانة، وينقش عليها رسم محزوز بخدش طبقة الصاصال بإبرة دقيقة. ثم تغلف الآنية بأكملها بطبقة زجاجية رقيقة، وبحرق الآنية تكتسب الأجزاء المكشوفة منها درجة ظليلة أكثر عتامة. وفي هذه المرحلة كانت تضاف بقع من الألوان المزججة، أغلبها الأخضر المنجيزي أو الأصفر.

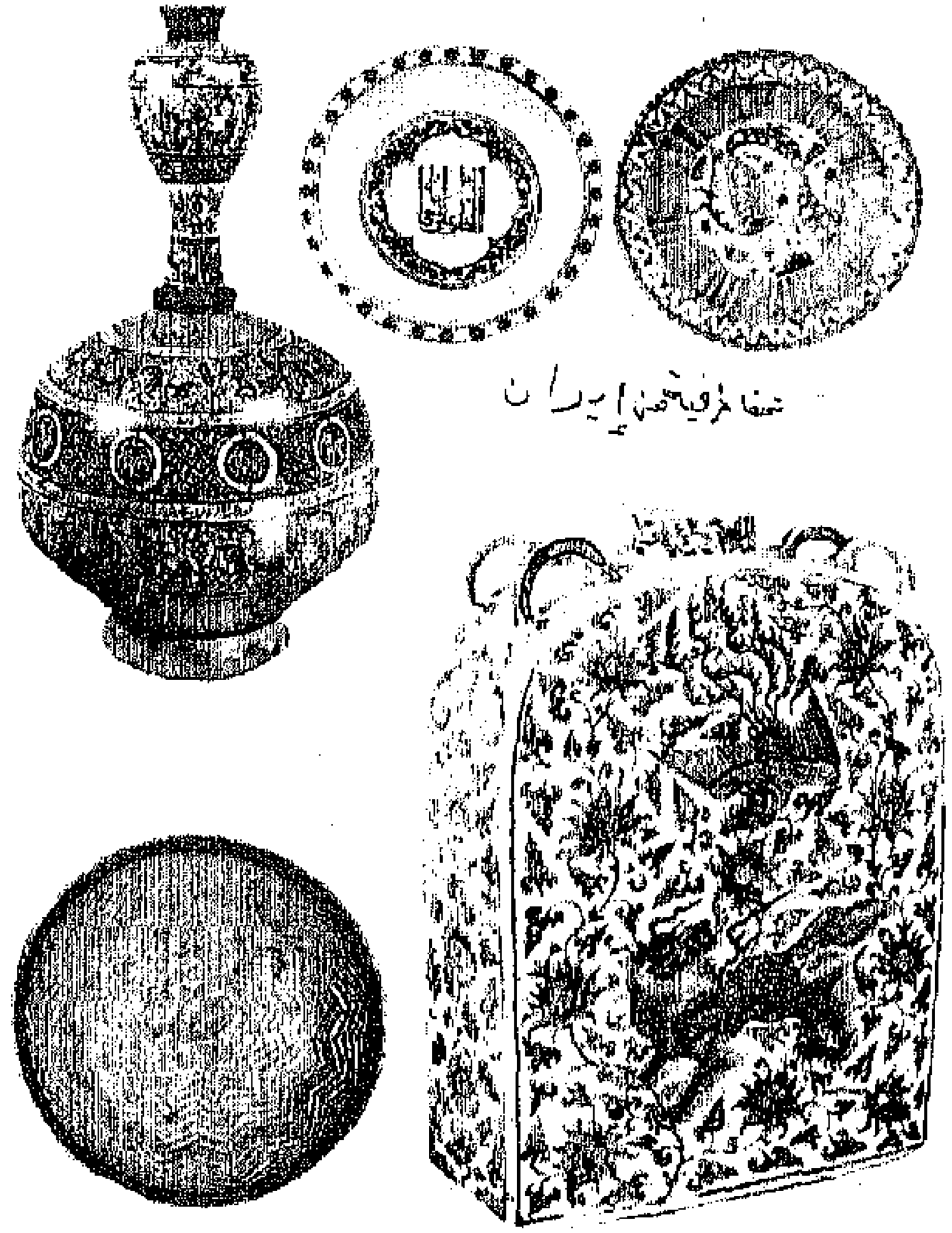
وقد عثر في سامراء على أوانٍ تميزت بسمات الفن الإسلامي الأصيل، استخدمت في تلوينها الطلاءات اللامعة للمرة الأولى، وقد غلب على ألوانها العديدة، الياقوتي الصارخ وإليه يضاف قليل من ظلال صفراء أو بنية. أما النوعية التي لونت أرضيتها بالأبيض الناعم فكانت تغطي بطبقة زجاجية شفافة، بعد تسخينها تطلی أجزاء التصميم المرسوم

نوع من المنتجات الخزفية، التي صنعت في مدينة الزهراء الأسبانية. ومعظمها أباريق مزخرفة وملونة بطلاءات خضراء وبنية على أرضية صفراء. وربما نلاحظ في مثل هذه النوعية من الأواني بعض التأثيرات، مأخوذة عن أساليب بلاد النهرين. غير أنه لا يمكن إغفال السمات المحلية الواضحة. أما الخزف الذي يعرف بالذهب «الطليطلى» فهو نوعية متقنة الصنع من تلك الأواني الباربوتانية، بل على مستوى فني متميز.

تطورت صناعة الخزفيات في عهد الأيوبيين (١١٧١ - ١٢٥٠ م) وشملت أنواعا من القاشاني وأواني مطلية ولماعة، ذات لون متميز بدرجة بنية خاصة، على أرضية زرقاء. أما التطور الأكبر فقد تحقق برعاية المماليك (١٢٥٠ - ١٣٨٢ م) فازدهرت الفنون بكل أشكالها واتصفت الصناعات الخزفية بالإتقان والرفعة.

وتمتاز المنتجات من الخزف التي عثر عليها في مدينة «الفسطاط» بصغر حجمها وبدقة صناعتها، وبالألوان المتقن لطلائها اللامع، وغالبا ما وجدنا زخارفها قد احتوت طيورًا أو تفريعات نباتية. وفي الفسطاط أيضا انتشر نوع الأوعية الخزفية التي استخدمت في زخرفتها القاشاني، وتطلى بتزججات تحت درجة حريق عالية فتكتسب لونا بنيا قاتما. ومثل هذه الأوعية نجدها قد تميزت بقواعدها العالية وهيكلها السميكة الثقيلة، وسادت في زخرفتها أشكال الطيور والحيوانات.

أما في دمشق فقد اقترن بها نمط خزفي معظمه أوانٍ فيما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر، وجرار مزخرفة بطريقة الطلاء اللامع بألوانه الزرقاء والسوداء. واتخذت وحدات زخارفها من التفريعات النباتية وأشكال الأسماك والطيور، بالإضافة إلى الأشكال آدمية. وبمتحف «المتربوليتان» إناء خزفي على شكل مشكاة، وعليه كتابات بخط كبير على أرضية من الزخارف النباتية وتزهيرات باللون الأزرق والأبيض على أرضية سوداء. وهو نموذج للخزف المملوكي المصنوع في مدينة الفسطاط (موضوعات في الفنون الإسلامية / ٩٤ - ١٠٠).



نماذج خزفية إيرانية

لقد انتشرت في إيران في القرن الثاني عشر صناعة البلاطات الحائطية، والتي تميزت بشراء زخارفها التي اشتملت عناصرها على رسوم الحيوانات والطيور والتفريعات النباتية، بالإضافة إلى النصوص الكتابية، واستخدمت مثل هذه البلاطات ذات البريق المعدني في تكسية المحاريب. وغالبا ما كانت الموضوعات الزخرفية ترسم وسط أرضية بطلاءات البريق المعدني، والسلطانية المزينة برسم «البُرَاق» على أرضية من التفريعات النباتية تعد من أبداع نماذج الخزف ذي البريق المعدني، من النوعية التي انتجت برسوم حيوانية، أو بطيور على أرضية نباتية.

وخلال الحكم الفاطمي ظل يتطور طراز صناعة أباريق الماء الفخارية، غير المزججة بشكل راق، تدل عليه النماذج التي اشتملت على مرشحات مثقبة في أعناقها، ونقشت عليها زخارف تتمتع بمنتهى الزينة. ونمت الأساليب الحديثة في هذا المجال، وبلغ انتشارها أن أصبحت نماذج الأوعية ذات الهياكل البيضاء منها، بزخارفها الملونة وبمزججات قلووية تستخدم في أغراض الحياة اليومية.

والأواني المشهورة باسم «الباربوتانية» ترجع في الأصل إلى

(الذي الإسلامى / ١٩٨٠ : ١٩٨١ : ١٩٨٢).

يقول الدكتور أمين فكتور : « وقد ازدهرت صناعة هاتل الخزف من الخزف فائدة في إسبانيا بعد المصير الإسلامية ، وازدهرت مدينة بلنسية بها » الصناعة ، شهرة جعلت كبار الأدياء في إيطاليا وفرنسايرون هذا الزرع هذه المدينة يصنع ألوان خاصة بهم فحمل أسمائهم وشعاراتهم ، ومن ذلك حصن سطلين بالبريق المعدني الأزرق والأزرق ، صنع لأمر (أباري) من فلورنسا ، وهم صنفون حاليا بمصنف ، فكانت أوروبا والكثير من لندن . ومن إسبانيا اقتبس الإيطاليون أساليب الخزف المعدني البراق ، ونشأت في مدينة (جويرو) مصانعها بالبريق المعدني اللامع والأخضر .

وكذلك قائد الحرفيون الإيطاليون صناعة الخزف الإسلامي المعروف بلونقة السهم بالمغرب وكانت هذه بداية لاستحقاقات الخزف من أم القرب صناعة الخزف عند المسلمين ، عاونه معاونة كبيرة علي ازدهار هذه الصناعة في عصر النهضة الأوربية فنشأت ، مثل الصناعة المعروفة باسم (البارلو) وبما اشتهر هذا الاسم من الكلمة العربية (البزنية) وهي التي كانت يطلق على الآنية المخصصة لحفظ الأدوية . وازدهرت صناعة هذه الأواني في مدينة إيطالية كذلك هي (فاينزا) في منتصف القرن الخامس عشر «في العمارة والتحف الفنية» / ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

أما عن البلاطات الخزفية واستخدامها في تزيين العمائر الإسلامية فلدينا نموذج رائع هو البلاطات العثمانية ، التي يسط الكلام عليها أوقطان أصلان آبا في كتابه النفيس مما نقله لك فيما يلي ، يقول المؤلف : « كان التقاء فن القيسية الخزفية السلجوقية ، مع أساليب صناعة الطلاء المتعدد الألوان ، هو الأساس الذي استند إليه فن صناعة البلاطات الخزفية عند العثمانيين .

ومع أن مثذنة الجامع الأخضر بأزنيق جاءت أقرب للتقاليد الفنية السلجوقية ، إلا أنها كانت أول عمل تظهر فيه الألوان : الفيروزى ، والأزرق ، والأخضر بدرجات متفاوتة ، مع الأبيض والأصفر الفاتح ، ومما يؤسف له أن هذه المثذنة تهدمت حديثا وأعيد بناؤها ببلاطات جديدة .

ويقام الدكتور ربيع عامر ، خاتمة دراسة عن الإنتاج البرقي المعالج من الفخار والخزف ، ويرجع إلى أنواع من الخزف كان اليمن يستوردتها في القرون الإسلامية المختلفة ، وهذه الأنواع هي كما يتضح فيما يلي : الخزف العراقي ، والصيني ، والمصري ، والأيراني ، ثم يعدد أنواع الخزف اليمني المعالج وهي :

١ - الخزف المطلى باللون الأزرق (خزف تهامة الأزرق) .

٢ - خزف قهامة الأخضر والأزرق .

٣ - الخزف المعزوز تحت الطلاء .

٤ - الخزف المعزوز بطريقة الجرافيتو .

٥ - خزف مدينة حيس (الفنون الخزفية اليمنية / ٢٠٥ - ٢١٠) .

وعن فن الخزف في الأندلس يقول الدكتور عبد الرحمن زكي :

كانت الصدارة للأندلس في إنتاج الخزف في غرب العالم الإسلامي وكانت بلاد المغرب تستورد منها الأصناف البديعة . ومن أنواع المنتجات الخزفية في الأندلس بين القرنين الخامس والسابع الهجري (١١ - ١٣ م) أباريق كبيرة وقدر للاستخدام المياه من الآبار . وقد ذاعت شهرة ملقمة وغرناطة خلال القرن الثامن والتاسع بعد الهجرة (١٤ - ١٥ م) في إنتاج التاجون وقدر وبلاطات من الخزف ذي البريق المعدني ذي اللون الذهبي أو اللونين الأزرق والذهبي ، ومن أبداع هذه التحف الخزفية القدور التي عرفت باسم «قدور قعر الحمراء» وتنسب إلى القرن الثامن . وبلاطات فيها كتابات كوفية ونسخية وفروعا نباتية ، كما أننا نجد فيها أحيانا شارات ملوك غرناطة ، فضلا عن رسوم حيوانات مسورة عن الطبيعة . ومن المراكز الخزفية التي شهرت في إنتاج الخزف ذي البريق المعدني «منيشة» من أعمال بلنسية ، وقد ازدهرت فيها هذه الصناعة بين القرنين الثامن والعاشر الهجري (١٤ - ١٦ م) ، وظلت تتطور وتجدد في الزخارف التي تستعملها إلى القرن ١١ الهجري (١٧ م) . ولما سقطت بلنسية في يد النصارى عام ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م) ظلت صناعة الخزف في يد المسلمين مدة طويلة .

بدأت التقاليد العثمانية الرائعة فى صناعة الخزف ببلاطات الجامع الأخضر والتربة الملحقة به فى بورصة . وتجمع هذه البلاطات فى الواقع بين أساليب صناعية مختلفة . فنرى أمثلة من الفسيفساء الخزفية ذات المستوى الرفيع والصناعة الجيدة ، إلى جوار أمثلة من الخزف العثمانى المتعدد الألوان والبعيد عن التقاليد السلجوقية . وما الأشكال الرقيقة من الفسيفساء التى تزين باطن أسقف الجناح الملكى ، وحنيات السواقد من الداخل ، وباطن عقد الشرفة الملكية ، وأسفل حنيات الأبواب ، والنوافذ الموجودة بالضريح ، ما هذه كلها إلا فيض من الأعمال الخزفية التى استخدمت فيها الألوان المتعددة . وتجمع البلاطات هنا بين اللونين السائدين عند السلاجقة ، وهما الفيروزى والأرجوانى . ثم زادت بهجة البلاطات بإضافة ألوان أخرى أخاذاً ، هى الأصفر والأخضر والأبيض . وثمة تجديد آخر ، هو استخدام مادة حمراء داكنة أو مغبرة أضيفت إلى الطَّفْل لتقسيمه ، لملء مسابن التصميمات من فراغات ، وزيد فى زخرفة البلاطات الصفراء بالتذهيب . وإذا كانت قد حدثت طفرة ثراء فى التصميمات ، فقد حدث مثلها فى غنى الألوان ، وأصبحت زخارف التوريق الكبيرة ذات المسحة الصينية (خطاى) هى التعبير المميز لأعمال القرن الخامس عشر (انظر مادة « التوريق » فى م ١١ / ٦٦ - ٧٢) وتخللت تلك الرسوم أغصان ممتدة فيروزية اللون ، وتوريقات كبيرة ذات طابع أناضولى (رومى) ثم ، زيادة فى البهجة ، استخدمت بلاطات صفراء جذابة ، وطفلة حمراء داكنة بالأركان ، لوضع نهايات للأشكال المرسومة . وهكذا ، كانت البلاطات المكسوة بالكامل بالتعبيرات المورقة ذات التفاصيل الرقيقة ، والفواصل أو التحديدات الدقيقة ، من بين الابتكارات التى فرقت بين الخزف العثمانى والخزف السلجوقى .

أما الحشوات الخزفية ذات البلاطات المتعددة الألوان داخل مناطقها المحددة بالخطوط الفاصلة ؛ فإنها تعلن عن ظهور أسلوب فنى جديد ، يختلف تماماً عن أسلوب السلاجقة . ونشاهد أرق أمثلة أسلوب هذه البلاطات فى الجامع الأخضر ، والمقبرة الملحقة به ، فى بورصة . فهناك ،

نرى بوضوح خطوطاً باللونين الأحمر والأسود ، تحدد وتفصل ما بين ألوان الطلاء المختلفة . وتمهد خطوط التحديد هذه بدورها إلى ابتكارات أخرى فى استخدام أشكال الزهور الطبيعية ، والتوريق الصينى الطابع ، والورود وعود الصليب (الفاونيا) إلى جانب التعبيرات النباتية المستخدمة فى الفسيفساء الخزفية السلجوقية ، مع المحاولة فى بلوغ مستواها الرفيع .

والمثل الذى ييشرنا بقدم أسلوب جديد فى محاكاة الطبيعة ، نراه فى الأزهار التى تخرج من زهرية بمحراب تربة الجامع الأخضر ؛ كما نرى سيادة الألوان : الأصفر والأخضر والأبيض والأرجوانى . وإن نظرة إلى محراب التربة وبلاطات النواوس الموجود بها ، لتوضح لنا ما هناك من درجات متعددة من اللونين الأزرق والأرجوانى ، وكيف أنهما استخدمتا بمهارة فائقة ، من غير استعانة بخطوط التحديد الفاصلة .

كان تعدد الألوان إذن ، هو أول ابتكار قدمه العثمانيون لفن الخزف ، وكانت هذه البلاطات تصنع فى بورصة ؛ ولم تثبت الحفريات التى أجريت فى أزيق ، أن بلاطة واحدة من هذا النمط قد اكتشفت هناك . وقد تعطى النظرة الأولى ، لمحة من التشابه بين هذه البلاطات العثمانية ، وبين البلاطات التى استخدمها التيموريون فى عمائرهم أوائل القرن الخامس عشر ؛ إلا أن البلاطات السمرقندية ضعيفة المستوى ، سيئة الطلاء لكثرة تشققها . وتجىء السيادة للطلاء الفيروزى ، لكن درجة اللون وتكوين الطَّفلة (أو العجينة) يختلفان . على أن خطوط تحديد سوداء وحمراء ، قد ظهرت لتفصل بين الطلاء المتعدد الألوان فى بلاطات جامع بيى هانم (١٣٩٩ - ١٤٠٤) ومدرسة أولوغ بك (١٤٢٠) فى سمرقند ، وقد نُفذت بعناية ، وكشفت عن تقدم فى أسلوب الصنعة .

واستخدمت بمسجد المرادية فى بورصة ، بلاطات فسيفسائية ، سادها اللون الأصفر الغامق ، وذلك فى فتحات النوافذ وفى خصرى عقد مدخل الصفة .

ومن الابتكارات التى ظهرت أوائل العصر العثمانى فى مجال البلاطات ، النوع المرسوم تحت الطلاء باللونين الأبيض والأزرق . ونرى هذا النوع ضمن أشرطة تزين حافات فى

مقبرتين بجامع المرادية في بورسة ومن أجمل أمثلة هذا النوع، ٣٧ بلاطة سداسية الشكل، تضم كل منها أشكالا زخرفية مختلفة عن الأخرى، تغطي الجدران في مسجد المرادية بادرنة (انظر الصورة) وأهم ما يلفت النظر في هذا المسجد، محرابه الرائع، المصنوع من بلاطات متعددة الطلاء، على مساحة يبلغ قدرها ٨,٥ × ٦,٣ مترا مربعا؛ وهي أكبر بلاطات المحارب مساحة، بعد بلاطات محراب الجامع الأخضر في بورسة، حيث يوجد تشابه كبير بينهما. ولا يرى أثر للون الأحمر في التحديدات، وكل ما نلاحظه أن حنية المحراب بها تصميمات من نسوع أدق وأرق من تلك التي عرفناها في بلاطات بورسة. ومن العناصر الموجودة بمرادية أدرنة أيضا، استخدام المخطوط الفاصلة في البلاطات، إلى جانب استخدام البلاطات الزرقاء، والبيضاء.

ويدخل ضمن هذه المجموعة، محراب رابع، يرجع إلى دار للمرق أسسها إبراهيم بك (١٤٣٢) في قره مان. وتوجد في هذا المحراب تحديدات باللون الأحمر، تفصل بين مختلف ألوان الطلاء. وهذا المحراب موجود الآن في كوشك الخزف (جينلي كوشك) باستانبول.

وإيوان المدخل في كوشك الخزف (١٤٧٢)، الذي بناه السلطان محمد الفاتح في استانبول؛ يعتبر قمة الروائع في صناعة البلاطات الفسيفسائية. ومع أن أسلوب هذا العمل، من حيث مستوى الصناعة والتأثير العام، يتفق وتقاليد الفسيفساء السلجوقية، إلا أن توزيعاته وأزهاره المحاكية للطبيعة وألوانه الفيروزية الأخاذة، تعيد إلى الأذهان أسلوب بلاطات مدينة بورسة.

وأول أمثلة البلاطات ذات الطلاء المتعدد الألوان، موجود في استانبول بمسجد وتربة السلطان سليم (١٥٢٢)؛ لكن أبدع الأمثلة هي ما يوجد في تربة شهزادة محمد (١٥٤٨) وتتفوق هذه البلاطات كثيرا على بلاطات بورسة من حيث دقة الصنعة وروعة اللون وثناء التصميم. والواقع أن ذلك كله، أحال التربة من الداخل، إلى عالم من عوالم الخيال.

وعندما بطل استخدام خطوط التحديد الفاصلة منذ منتصف القرن السادس عشر؛ بدأت تحل محله عملية أخرى

هي الرسم تحت الطلاء. وبهذا يكون الخزف العثماني قد انتقل إلى مرحلة ثانية وعظيمة لهذه الصناعة وما علينا إلا أن نشاهد أسلوب هذه المرحلة الجديدة، في البلاطات التي تزين جامع السليمانية (١٥٥٧)، وبالذات على جانبي المحراب، وعلى الأجزاء العليا من الجدران. ونشاهد مثلا آخر، أكثر من حيث البهجة والتنوع، في ضريح خرم سلطان ثم تتوالى التجديدات، الواحد في إثر الآخر، ويشمل ذلك الألوان والتصميمات معا. ويكفي هنا للتدليل على ذلك، أن ثمة ٤١ نوعا من أزهار الخزامي (التوليب)، نراها في بلاطات مسجد رستم باشا، الذي يرجع لعام ١٥٦١ وفي ضريح سليمان القانوني (١٥٦٦) أما البلاطات الموجودة في مسجد صوقوللي محمد باشا، الموجود إلى جوار السلطان أحمد (١٥٧٢) وفي مسجد بيالة باشا بمنطقة قاسم باشا باستانبول (١٥٧٤)؛ فإنها تكشف عن قفزة متطورة في ألوانها ومستوى صناعتها. ويظهر من بلاطات هذه الأماكن، استمرار ظهور خط عتيقي اللون، على مدى أربعين عاما، إلى أن اختفى فجأة. ويبدو أن هذه الطفرة الفنية العظيمة كانت من ابتكارات مصانع أزيق. والواقع أن إنتاج عدة ألوان مختلفة، هي الفيروزي والأزرق والأخضر الغامق الجذاب والأزرق الفاتح والأبيض والأسود أحيانا، واستخدامها في زخرفة الخزف تحت الطلاء قد خلق أسلوبا صناعيا لا نظير له في العالم كله. وتتكون التصميمات في معظمها من الأزهار الطبيعية كالخزامي والسنبلي البري والقرنفل وزهر الرمان والفاونيا. إلى جانب أفرع يانعة من شجر الإحاص ومن براعم الكرز وملئت المسافات التي بين الأزهار بأوراق كبيرة خضراء تشبه الخناجر المقوسة. ولم يحل النصف الثاني من القرن السادس عشر إلا وقد سادت أشكال الأزهار الطبيعية كل أعمال الفنون الزخرفية التركية. ويضم طوب قابي سراي مجموعة من أبدع البلاطات التي لم يستخدم فيها اللون الأحمر العتيقي إطلاقا.

وتبدو ألوان وتصميمات بلاطات الحشوات الكبيرة، التي تزين جدران جانبي محراب مسجد السليمانية في أدرنة عام ١٥٧٤ أكثر تناسقا وانسجاما. أما تلك التي تزين الجناح

الإسلامية منذ أوائل القرن الثاني الهجري (٨م) على الأقل، والتي يمكن فيها دراسة تطور العناصر الزخرفية من الفنون المختلفة، ودراسة أشكال الأثاث من أنواع مختلفة من صناعاتها.

والأخيراً أنه قد عثر في هذه الحفريات إلى جاذبية صناعات الخزف السجانية على أنواع أخرى كانت تستورد من البلاد الأجنبية ولا سيما من بلاد الصين، وكانت لها أنواع الأبنية تأثير يذكر في صناعة الخزف، وأشكال الآنية وعروق زخرفتها في البلاد الإسلامية منذ القرن الثاني الهجري (٨م)، وهذا يشير وجود بعض الأنواع التي تشترك في الأشغال بالأساليب الفنية نتيجة لتبادل كل من هذه البلاد التي من أنواع الخزف الأبنية كان يستورد إلى كل منها رأساً وفي نفس الوقت، وقد ما يلي نستعرض أهم أنواع الخزف الإسلامية المعروفة في المتحف الإسلامي بالقاهرة الذي يقع في ميدان بابي الخانق.

في فجر الإسلام حتى القرن ٤ هـ (١٠م).

في مصر والعراق وإيران.

الخزف ذو الزخارف البارزة المصنوعة بالقالب.

من بين أنواع الخزف المصري في العصر الروماني نوع ذو زخارف بارزة في مغوطة على سطح الإناء بالأسلوب ويكسوها دلاء زجاجي شفاف ملون، واستحدثت هذه الصناعة في مصر حتى العصر العباسي، فكانت تصنع بهذه الطريقة مسحون صغيرة ومسارج وأكواب تتألف زخارفها البارزة من مسور حيوانات وطيور وأشربة زخرفية نباتية وكتابات، وفيرة وكانت تغطي بطلاء زجاجي شفاف، ملون باللون الأخضر أو الأصفر أو البني.

وقد عرفت هذا النوع في العراق وفي إيران في أوائل القرن الثالث بعد الهجرة (٩م)، ولكن غلبت هناك العناصر الزخرفية الهندسية وفروع نباتية محورة عن الطبيعة وقد عرض المتحف بالقاعة ٢ (خزانة ١) ثلاث مسارج من النوع المصري وصحنا (رقم السجل ١٥٩٩٧) عليه زخارف هندسية تحت طلاء أصفر ذهبي يؤرخ بالقرن ٣ هـ (٩م).

الخزف ذو البريق المعدني

طريقة رسم الزخارف على الخزف بأكاسيد معينة تجعلها

خامت بريق معدني في ذلك الوقت أشهرها الخزف المسجاني في القرن الثالث الهجري (٩م) ما كان له من تأثيرات واضحة على بعض أنواع الخزف الذي صنع بعده في قسطنطينية وبلاد الشام، إضافة إلى البريق المعدني وهو من أصل السجاني أو الإيراني وقد ربما أنشأه الأيوبيون في القرنين الرابع والخامس في البريق المعدني في كل من بلاد العراق.

وزخارفها التي هي من الخزف في الحافة، مصنوعة من معدني ذو لون واحد أو عدة الألوان، وهي من أصل السجاني أو الإيراني، فروع نباتية محورة عن الطبيعة أو أشكال الآنية، والكتابة في القاعة ٢ بالمتحف.

وزخارف الخزف ذو البريق المعدني الذي كان على شكل مصر وإيران من هذا العصر وما تراه على شكل الآنية العباسية المسجانية من مسور الحيوانات والطيور والآنية الإسلامية في القاعة ٢٢ بالخزانة ١٢ تحت من الخزف ذو البريق المعدني الإيراني من بينها المسجاني رقم السجل ١٦١٠٢ على مسجني شخص يجلس القرفصاء وعلى رأسه تاجاً منقوشاً من أعمالها وهو يزين على فيشار وفي القاعة ٢٢ بالمتحف ١ تحت مصرية من بينها المسجاني رقم السجل ١٦٢٢٣ على مسجاني أوتة مسجني.

الخزف الأبيض ذو الماويين الأزرق والأخضر فوق الملائح.

ويعد من هذا النوع في العراق وفي إيران، وأشكال الأولى منه تشبه أشكال الأولى من الخزف في الروم، وفي المسجاني العاصري له، وتزين على هذا الخزف ما يرمز إلى الحياة والزخارف الهندسية، وعلى بعض المسجاني توقيع المصانع مثل «عمل عمل» على المسجاني رقم السجل ١٣٦١٨ و ١٦٠٠٥، وتوقيع «عمل عمل» على المسجاني رقم السجل ١٦٠٠٤ وهي معروضة بالخزانة ١ في القاعة ٢٢ حيث توجد تحت أخرى من هذا النوع، وذلك في الخزانة ١ بالقاعة ٣.

خزف بلاد ما وراء النهر

ازدهرت صناعة الخزف في بلاد ما وراء النهر ولا سيما في سمرقند ونيسابور فيما بين القرنين ٦ و ٢ هـ (٨ و ١٢م) وتأثرت

العناصر الزخرفية بالأصول الساسانية وهي تظهر لذلك فى وضوح وقوة تعبير .

وترسم الزخارف بالبطانة الملونة تحت طلاء زجاجى شفاف سمنى اللون ، أو ترسم بالألوان فوق الطلاء الزجاجى . والألوان التى استعملت هى الأسود والبني والمنجنيز والأحمر والأصفر والأخضر والأزرق ، وتتألف الزخارف من كتابات كوفية جميلة ومن رسوم حيوانات وطيور ونباتات وعناصر هندسية .

ويوجد من هذا النوع تحف فى الخزانة ١ بالقاعة ١٦ وفى الخزانة ١ بالقاعة ٢٢ .

خزف بخطوط أو نقط من ألوان متعددة

ويعرف فى مصر باسم خزف الفيوم

عثر على تحف من هذا النوع فى العراق وإيران ومصر ، وهى مصنوعة من الفخار الأحمر وعليها خطوط أو نقط أو رسوم بسيطة بالألوان الأحمر والأخضر والأصفر والمنجنيز على أرضية بيضاء أو لونها سمنى وتشبه هذه التحف فى مظهرها الخارجى الأوانى الصينية المرشوشة أو المنقوطة بالألوان المتعددة .

ويوجد من هذا النوع بالمتحف صحن (رقم السجل ١٦٠١١) فى الخزانة ١ بالقاعة ٢٢ وبهذا الصحن زخارف أخرى محزوزة بخطوط رفيعة وتتألف من مراوح نخيلية ودوائر صغيرة ، وهو من صناعة إيران فى القرن الرابع الهجرى (١٠ م) وفى القاعة ١٣ بالخزانة ٦ مجموعة من الخزف المصرى من هذا النوع وهو المعروف باسم «خزف الفيوم» ويؤرخ فيما بين القرنين ٣ و ٦ هـ (٩ و ١٢ م) .

الخزف بعد منتصف القرن الرابع الهجرى (١٠ م) .

أولا - فى مصر .

١ - الخزف ذو البريق المعدنى

تطورت صناعة الخزف ذو البريق المعدنى فى مصر تطورا طبيعيا حتى بلغت أوج ارتفاعها فى العصر الفاطمى . ويمتاز هذا النوع بما وصل إليه الخزافون الفاطميون من دقة التعبير فى الرسوم الآدمية والإتقان فى الزخارف النباتية والكتائية . وقد

وصلت إلينا إمضاءات طائفة من الخزافين الفاطميين على تحف من الخزف ذو البريق المعدنى ، وعلى رأسهم «مسلم ابن الدهان» و «سعد» وكان لكل منهما مدرسة فى صناعة الخزف لها ذاتيتها ومميزاتها . والراجح أن مسلما عاش فى بداية العصر الفاطمى فإن العناصر الزخرفية فى منتجاته متأثرة بالطراز الطولونى وعليها طابع البساطة والحرية والقوة فى الزخرفة ، أما سعد فنلاحظ فى طرازه شيئا من الدقة والرشاقة والتناسق ، والراجح أنه عاش فى أواخر القرن الخامس أو القرن السادس الهجرى (١١ - ١٢ م) .

٢ - الخزف ذو الزخارف البارزة بالحفر أو المحزوزة

تحت طلاء زجاجى من لون واحد

تأثر هذا الخزف فى طريقة تنفيذ زخارفه بالسيلادون المصنوع فى بلاد الصين فى عصر أسرة سونج . وقوام زخارفه رسوم آدمية وصور حيوانات وطيور وزخارف نباتية بارزة بالحفر أو محددة بخطوط محزوزة تحت طلاء زجاجى من لون واحد ، أزرق أو سمنى أو أخضر أو بنى أو منجنيز ، ويؤرخ بالقرنين ٦ - ٧ هـ (١٢ - ١٣ م) . ويوجد من هذا النوع فى الخزانة ٦ بالقاعة ١٣ وكذلك نماذج كثيرة فى قاعة دراسة الخزف .

٣ - خزف دقيق الصنع

يمتاز هذا النوع من الخزف بالدقة فى رسم العناصر الزخرفية ، وبأن رسوم الحيوانات والطيور فيه كثيرا ما تكون محورة عن الطبيعة تحويرا يجعلها فى بعض الأحيان ذات طابع زخرفى أنيق . ويوجد من هذا النوع فى الخزانة ٦ بالقاعة ١٣ كما توجد منه نماذج كثيرة فى قاعة دراسة الخزف . ويؤرخ هذا النوع بالقرن ٧ هـ (١٣ م) .

٤ - الخزف المملوكى

أقبل الخزافون المصريون فى عصر المماليك على تقليد الخزف من نوعى البورسيلان والسيلادون المصنوع فى بلاد الصين سواء فى ألوانه أو فيما يمتاز به من صور الحيوانات والطيور والنباتات القريبة من الطبيعة فى شكلها وما فيها من حركة والمرسومة باللونين الأزرق والأخضر على أرضية بيضاء تحت طلاء زجاجى شفاف كما نراها على البورسيلان ، أو

البارزة والمرسومة بخطوط محزوزة تحت طلاء من لون واحد كما نراها على السيلادون .

وإلى جانب هذا الأسلوب الصيني نجد أسلوباً آخر احتفظ بالتقاليد الفنية المتوطنة في مصر منذ العصر الفاطمي من زخارف عربية ورسوم هندسية .

ولقد وصلت إلينا أسماء بعض الخزافين الذين أنتجوا في هذا العصر ومنهم : غيبى وغزال والهومزى ودهين وابن الملك والعجيل والشاعر والرزاز وأبو العز . وقد عرض المتحف قطعاً عليها توقيعات بعضهم في الخزانة ٩ بالقاعة ١٣ كما توجد بالقاعة ٥ في الخزانة ٢ زهرية من الخزف رقم السجل ٤٥٧٧ عليها توقيع الصانع «أبو العز» .

وامتاز عصر المماليك بنوع خاص من الفخار المظلي بالمينا عليه زخارف عربية ورسوم هندسية وكتابات نسخية تظهر بارزة بالمينا ذات اللون البنى تحت طلاء زجاجي شفاف ملون باللون الأصفر . ومن أشهر الخزافين الذين وصلتنا أسماؤهم : شرف الأبوانى وعمر وغازى وأحمد الأسيوطى .

واضمحلت صناعة الخزف في مصر بعد الفتح العثماني فأخذ القوم يجلبون الخزف من آسيا الصغرى ، ولكن هذه الصناعة لم تندثر تماماً في مصر ، بل كانت لها نهضة متواضعة في القرن الثاني عشر الهجرى (١٨ م) على يد خزاف اسمه «عبد الكريم الزريع الفاسى» ، وتوجد من آثاره بالمتحف مشكاة من الخزف رقم السجل ٧٥٩ بالقاعة ٢٣ وعليها اسمه وتاريخ سنة ١١٥٥ هـ (١٧٤٢ م) وفي الشباك الأيمن بالقاعة ١٣ بلاطات عليها اسمه وتاريخ صناعتها .

ثانياً - فى إيران

١ - الخزف ذو الزخارف المنحوتة أو المحزوزة

(أ) الخزف الأبيض

جدار الأوانى فى هذا النوع من الخزف ذى الزخارف المنحوتة رقيق جداً ومصنوع من عجينة بيضاء ناعمة تشبه مادة البورسيلان ، وتنحت الزخارف على الجدار . أو تحز فيه بخطوط غائرة ثم يغطى الجدار بطلاء زجاجي شفاف غير ملون أو بلون عاجي خفيف . والواقع أن هذا النوع من الخزف

تقليد للخزف المصنوع فى بلاد الصين فى عهد أسرة سونج ، ولكن الخزافين الإيرانيين جددوا فى أشكال الأوانى وزخارفها ، فنرى منها الأكواب والسلطانيات والأباريق ذات الأشكال الإسلامية . وعليها فروع نباتية متموجة وأوراق وكتابات كوفية أو نسخية ورسوم طيور وحسوانات وصور أشخاص ويؤرخ هذا النوع بالقرن ٦ هـ (١٢ م) ويوجد منه بالمتحف فى الخزانة ٢ بالقاعة ١٥ .

(ب) الخزف ذو الزخارف المنحوتة تحت طلاء زجاجي من لون واحد :

وحوالى منتصف ٦ هـ (١٢ م) بدأ الخزافون بتلوين الطلاء الزجاجي لهذا النوع بلون واحد ، أزرق أو أخضر أو بنى أو أصفر ، ولكننا نلاحظ أن جدار الأوانى ليس فى رقة جدار الخزف الأبيض . وعرض المتحف تحفاً من هذا النوع فى المكانين السابقين .

(ج) الخزف ذو الزخارف المنحوتة تحت طلاء متعدد الألوان :

يعرف هذا النوع باسم «خزف لقيى» ويمتاز عن النوعين السابقين بتعدد ألوان الطلاء لتظهر تفاصيل الرسوم المنحوتة فيه . ونلاحظ أن الزخارف محددة بخطوط بارزة أو غائرة لتفصل بين ألوان الطلاء الزجاجي كى لا يمتزج بعضها ببعض ويؤرخ هذا النوع الثانى من القرن ٦ هـ (١٢ م) . ويوجد منه بالمتحف صحنان أحدهما رقم السجل ١٦٠٤٠ فى الخزانة ٢ بالقاعة ٢٢ .

٢ - خزف منطقة مازنداران

(١) متعدد الألوان

وينسب إلى مدينة سارى . وهو نوع من الخزف ريفي المظهر عليه رسوم طيور محورة ودوائر بالألوان البرتقالي والأحمر والأخضر والأسود والبنى والمنجنيز .

ويؤرخ بالقرنين ٤ - ٦ هـ (١٠ - ١٢ م) . ويوجد منه بالمتحف بعض الصحنون منها الصحن رقم السجل ١٦٠٣٧ فى الخزانة ٤ بالقاعة ٢٢ .

(ب) خزف آمل

وينسب إلى منطقة آمل صحنون من الخزف بزخارف محزوزة ملونة بالأخضر على أرضية من لون سمى ، وتتألف من

أشهرها بها شريحة كتابية كسوفية وردت في طيور وحيوانات في أساطير
تخيليات من صور عن الطبيعة أو من مناطق برية مع ٢٢ م.
ويؤرخ هذا النوع أيضا فيما بين القرنين ١٠ هـ - ١٤ هـ (١٤ م)
وتوجد منه عدة نسخ في أغلب الخزائن السابقة.

٢- الخزف فيزي

والمعروف أيضا بالاسم على نوع من الخزف وهو خبز فيزي، وقد
التاحيات فيه مع بعض عادات من مناطق أخرى، وكان هذا النوع في إيران
ولا سيما من مناطق أهل وزيان وقد كان له يد فنية.

وزخارفه بارزة بحفر ضارب على من طبقة الطين البيضاء
الرقمية حتى يظهر جدار الإضاء في اللون الأحمر، وتتألف
موضوعات الزخارف من رسوم طيور وحيوانات ونباتات
تجدها كلها مستوحاة من الطبيعة، ويرى قوي المظهر فضلا عن
الكتابات الكوفية والرسوم النباتية، ويؤرخ هذا النوع إلى ما
بين القرنين ٤ هـ - ٧ هـ (١٠ م - ١٣ م)، ويوجد منه بالمخزاة السابقة
عدة وعدة طيبة.

٤- الخزف «السياني» متعدد الألوان

ينسب هذا النوع إلى مدينتي السبي وقاشان، وزخارفه
مرسومة بالألوان متعددة بعضها تحت الطلاء وبعضها الآخر
فوقه، ويؤرخ فيما بين القرنين ٦ هـ - ٨ هـ (١٢ م - ١٤ م)، ويوجد
منه بالمتحف مذمت مسروقة في المخزاة ٨ بالقاعة ٢٢ وكذلك
في المخزاة ٢ بالقاعة ١٦.

٥- الخزف بزخارف بارزة وطلاء زجاجي أزرق غامق أو

فيروزي.

أكثر الخزف من هذا النوع مصبوبة في القالب، وهي عبارة
عن قباور وأباريق وسلطانيات وقهقهيل من أنواع مختلفة
لأشخاص أو طيور أو حيوانات أو غير ذلك... وطلاؤه الزجاجي
الشفاف ملون بأجود المسوين الأزرق الغامق أو الأزرق
الفيروزي، ويؤرخ بالقرنين ٧ هـ - ٨ هـ (١٣ م - ١٤ م). وقد عرض
المتحف بعضها في المخزاة ٦ بالقاعة ٢٢ وفي المخزاة ٢
بالقاعة ١٦.

٦- الخزف ذو الزخارف وباللونين لأزرق والأخضر تحت

الطلاء.

وينسب هذا النوع إلى منطقة سلطان آباد، وتتألف زخارفه

من رسوم الباقير ومجموعة من الشجر والطيور والحيوانات
والأشكال الكونية، وكان هذا النوع في إيران مع ٢٢ م.
بالأشكال العربية تأثرا بالعباسية، وتكونت أيضا من أنواع هذا
النوع بارزة في السبي، ويؤرخ بالقاعة ٨ هـ - ١٢ هـ (١٤ م - ١٥ م)
م، ويوجد منه في المخزاة ٧ بالقاعة ٢٢ بالمخزاة السابقة.

٧- الخزف ذو الزخارف النباتية

لويحت من طراز الخزف من السبي إلى ما بين القرنين ٤ هـ - ١٢ هـ
بين القرنين ١٢ هـ - ١٧ هـ (١٥ م - ١٨ م) ولا سيما في مدينتي السبي
وقاشان، وقد كانت تحت حكم الدولة الأتلية من سلطنة السبي
وأباريق في تلك المنطقة، وقد كان هذا النوع من الخزف
الزخرفية وتأثيرها طابعها في الخزف السبي، وقد كانت
الطبيعة من رسوم النباتات والطيور والأشكال الكونية
مربوطة كالمس والنباتات والطيور، وقد كانت هذه الخزف
(فوزي)، وقد كانت بالطلاء من هذا النوع على زخارف الخزف
١٤ هـ - ١٦ هـ - ٢٢ هـ كما توجد منه في مخزاة السبي
١٤ هـ - ١٥ هـ - ٢٢ هـ.

وبعد فترة زمنية قصيرة في هذا من الخزف في السبي
السبي في القرن ٩ هـ (١٥ م) كانت هذه الخزف التي
الأندلس في السبي الصغير، وقد كانت في السبي
الأندلس، ويؤرخ هذا النوع الأخير في السبي
يعتلف بين اللغتين والأشكال النباتية، وقد كانت
بذلكها ومرونة طبعها، ويوجد منه في المخزاة ١٧ بالقاعة
٢٢.

٨- الخزف كويشجي

نسبة إلى بلدة في جبال فارس، وقد كان هذا النوع
أنواع منه برسوم المناظر الطبيعية ورسوم الأشخاص وقد كان
بالألوان متعددة ترى فيها اللون الأحمر، بارز على سطح الإضاء.
ويؤرخ هذا النوع بالقرنين ١١ هـ - ١٢ هـ (١٧ م - ١٨ م) ويوجد منه
في المخزاة ٧ بالقاعة ٢٢.

٩- الخزف تقليم البورميلا

وفق الخزف في إيران، وفي الخزف الثاني من القرن
العاشر الهجري (١٦ م) إلى إنتاج نوع من الخزف بكاد يشبه

وصحون وفناجين وعلب وزهريات وزمزميات وغير ذلك، وقوام زخرفتها زهور ونباتات ورسوم حيوانات وطيور وصور آدمية وذلك بألوان متعددة منها الأزرق والأحمر والأخضر والبنفسجى فضلا عن اللون الأصفر الذى امتاز به هذا النوع. كما صنعت فى كوتاهية تحف بزخارف من لون واحد أو من خزف أبيض وزخارف زرقاء. وتوجد بالمتحف بلاطات من صناعة كوتاهية بالقاعة ١٤ كما توجد صحون وتحف أخرى بخزانات القاعة ٢٣.

٣- خزف چنك قلعة

ينسب إلى هذه المدينة التى تقع على ساحل الدردنيل نوع من الخزف مصنوع من عجينة حمراء، قوام زخرفته موضوعات زخرفية بسيطة ترسم بألوان متعددة هادئة منها الأزرق والأصفر والأحمر والزيتونى. وبعض هذه الزخارف متأثر بالزخارف الأوربية. ويؤرخ هذا النوع بالقرن ١٣ هـ (١٩ م). ويوجد منه بالمتحف فى الخزانة ١ بالقاعة ٢٣.

القاعة ١٣

خصصت هذه القاعة لأنواع من الخزف المصرى فى عصور مختلفة.

وقد عرض المتحف فى خمس من خزانات هذه القاعة على جانبى المدخل وفى الوسط وعلى الجدار الأيسر أرقام ١، ٢، ٣، ٤، ٥ مجموعة كبيرة من الخزف المصرى ذى البريق المعدنى تختلف تواريخ صناعة تحفها بين القرنين ٣-٦ هـ (٩-١٢ م).

وعلى الجانب الأيمن من الحائط القبلى المواجه لمدخل القاعة خزانة ٦ بأعلاها إلى اليمين تحف من الخزف ذى الزخارف المحفورة تحت الطلاء من القرنين ٦-٧ هـ (١٢-١٣ م) وإلى اليسار تحف من الخزف دقيق الصنع المتعدد الألوان من القرن ٧ هـ (١٣ م). وعلى الرفين الأوسط والأسفل صحون وقدور من الخزف المعروف باسم خزف الفيوم ذى الألوان المتعددة المرشوشة، وترجع هذه التحف إلى ما بين القرنين ٣-٦ هـ (٩-١٢ م).

البورسيلان الصينى تمام الشبه، وهو متنوع الزخارف ولكن معظمها رسوم طيور وحيوانات فى مناظر طبيعية صينية، وكلها باللونين الأزرق والأسود الرمادى على أرضية بيضاء. ويوجد منه فى الخزانة ١ بالقاعة ٤١.

ثالثا- فى تركيا.

١- خزف إزنيق (إسك).

كانت مدينة إزنيق فى آسيا الصغرى أعظم مراكز صناعة الخزف التركى فى القرنين ١٠-١١ هـ (١٦-١٧ م) وينسب إليها من هذا العصر نوع من الخزف يعرف فى سوق العاديات باسم «خزف رودس» ٤ كما ينسب إلى آسيا الصغرى عامة نوع يعرف باسم «خزف دمشق». وكل من النوعين لا يختلف عن الآخر كثيرا، فهما سواء فى العجينة التى يصنعان منها وفى البطانة الناصعة البياض التى تكسى بها وفى معظم الرسوم التى تحدد بخطوط سوداء وترسم تحت طلاء زجاجى شفاف، ولكنهما يختلفان فى أن النوع الذى ينسب إلى رودس يمتاز بوجود اللون الأحمر الطماطمى بارزا على سطح الإناء، بينما يمتاز النوع المنسوب إلى دمشق بوجود لون بنفسجى إلى جانب الألوان المشتركة بين النوعين وهى الأزرق والأخضر والزيتونى والأسود والزخارف فى النوعين متشابهة غير أن الخزافين كانوا يقبلون فى النوع المنسوب إلى دمشق أكثر من النوع الآخر على رسوم المراوح النخيلية وشجر السرو وعلى نوع من الأوراق الطويلة المسننة يشبه سعف النخل. وإلى جانب هذا نجد فى هذين النوعين رسوم الزهور الطبيعية كالورد والقرنفل وقرن الغزال والسنبلى البرى وأنواع من الثمار ورسوم السحب الصينية وقشور السمك والسفن والحيوانات والزخارف الهندسية وغير ذلك. ويوجد بالمتحف بلاطات من النوعين على جدران القاعات ١٤، ١٥، ١٦، ٢٣ كما توجد صحون وأباريق وأكواب وقماقم من النوعين فى خزانات القاعة ٢٣.

٢- خزف كوتاهية

اشتهرت مدينة كوتاهية فى القرن ١١، ١٢، ١٣ هـ (١٧، ١٨، ١٩ م) بصناعة الأوانى من الخزف من أكواب وأباريق

مثلثة الشكل تشبه رؤوس السهام أو القلب، وهي عنصر زخرفي نلاحظه في هذا الخزف ذي البريق المعدني المبكر.

مصر - القرن ٣ هـ (٩ م)

رقم ٧٩٠٠ - صحن من الخزف ذي البريق المعدني عليه رسم قارب ذي مجاديف وترفرف عليه الأعلام، ورسم تحت القارب ثلاث سمكات تسبح حتى يخيل للناظر إلى القارب أنه يسير فوق الماء.

(دليل متحف الفن الإسلامي / ٧٣ - ٨٥)

وثمة بيانات عن معروضات خزفية أخرى وردت في الدليل في الصفحات ١٥٥، ١٥٦، ١٤٣، ١٤٧. فارجع إلى المصدر إن شئت الاستزادة.

(المعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي - صححه وفهرسه مصطفى السقا / ١، ١٢٥، ١٢٦، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكي / ١، ١٣٩، وموسوعة العمارة الإسلامية - د. عبد الرحمن غالب / ١٥٩، ١٦٠، وتاريخ الفن عند العرب والمسلمين - أنور الرفاعي / ١٥٤ - ١٥٩، وموضوعات في الفنون الإسلامية - د. محسن محمد عطية / ٩٤ - ١٠٠، والفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي - د. ربيع حامد خليفة / ٢٠٥ - ٢١٢، والفن الإسلامي - د. عبد الرحمن زكي / ٩٩، ١٠٠، و «في العمارة في التحف الفنية» - د. أحمد فكري. أثر العرب في النهضة الأوربية / ٤٠٥، ٤٠٦، وفنون الترك وعماثرهم لأوقطاي أصلان آبا - ترجمة أحمد محمد عيسى / ٢٥٤ - ٢٥٧، ودليل المتحف الإسلامي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٢ / ٧٣ - ٨٥. انظر أيضا الفن الإسلامي - أبو صالح الألفي / ٢٦٢ - ٢٧٥، والفنون الإسلامية - م. س. ديمان / ١٦٤ - ٢٣٩، ودراسات في الفنون والعمارة الإسلامية - د. محمود وصفي محمد / ٥٦ - ٥٨، و «الفنون الزخرفية» - د. سعاد ماهر، دراسات في الحضارة الإسلامية. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥. المجلد الأول / ٢٨٢ - ٢٩٢).

انظر مادة «التوريق» في م ١١ / ٦٦ - ٧٢. وانظر صورة التكسية بالقاشاني لجدار القبلة في جامع آق سنقر في م ١ / ٤٩٣.

* الخزفي؛

قال السمعاني:

الخزفي: بفتح الخاء المعجمة والزاي وفي آخرها الفاء،

وعلقت على الجدار فوق هذه الخزانة لوحة بها بلاطات من الخزف من النوع المعروف باسم بلاطات دمياط، وتتألف زخارفها من خطوط هندسية باللونين الأزرق والأسود على أرضية بيضاء، وهي من القرن ١٢ هـ (١٨ م).

وعلى الجانب الأيسر من هذا الجدار خزانة ٧ بها خزف من عصر المماليك، في أعلاها خزف مرسوم بالألوان تحت الطلاء، وعلى الزفين الأوسط والأسفل توجد تحف من الفخار المطلي بالميناء كما نرى مجموعة أخرى من هذا النوع من الفخار في الخزانة الصغيرة ٨ المجاورة لهذه.

وفي الخزانة الكبيرة ٩ التي تتوسط الجدار الأيسر، نجد أجزاء من أوانٍ من الخزف عليها توقيعات صانعيها ويرجع أغلبها إلى عصر المماليك، كما نجد في هذه الخزانة بعض الأواني الصغيرة من الخزف مثل أغطية الأواني والأباريق والأكواب وغير ذلك.

وعلى جدران هذه القاعة علقت مجموعات من قطع من الخزف والفخار المطلي تمثل بعض أنواع الخزف المصري من خزف ذي بريق معدني أو محفور تحت الطلاء أو خزف مصري تقليد للبورسلان أو السيلادون الصيني أو أجزاء من الفخار المطلي بالميناء عليها رنوك مختلفة الشارات.

وعلى الجدار الأيمن لهذه القاعة مجموعات من بلاطات الخزف بعضها على الجانب الأيمن باسم السلطان الأشرف الغوري.

وفي الشباك الأيمن لوحتان من بلاطات عليها توقيع الخزاف عبد الكريم الزريع إحداهما مؤرخة سنة ١١٧١ هـ (١٧٥٧ م) والأخرى سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م). ولهذا الخزاف أيضا مشكاة من الخزف معروضة في الخزانة ٣ بالقاعة ٢٣ عليها اسمه وتاريخ سنة ١١١٥ هـ (١٧٤٢ م).

ومن أهم التحف المعروضة في هذه القاعة:

خزانة ١ إلى يمين مدخل القاعة

رقم ١٦٣٣٥ - صحن صغير من الخزف ذي البريق المعدني المبكر الزيتوني اللون، عليه رسم محور لأورة تظهر وكأنها تسبح، وعلى حافة الصحن صفوف من نقط صغيرة

الليث : الخُزلة سقوط تاء متفاعلين ومفاعلتين ، وبعضهم يقول : خزلة كقوله :

وأعطى قومه الأنصار فضلاً

وإخوتهم من المهاجرين

وتمامه : من المهاجرين ، قال : ولا يكون هذا إلا في الوافر والكامل ، ومثله :

لقد بحثت من النـ

ع بجمعكم : هل من مـ

تمامه : ولقد بالواو ، ويسمى هذا أخزل ومخزولا (لسان العرب ١٢ / ١١٥٢)

(التعريفات للشريف الجرجاني - تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٢ ولسان العرب لابن منظور ١٢ / ١١٥٢).

الخزم :

الخزم : أخذ من خزمت البعير إذا جعلت في أنفه خزمة . وهو زيادة في أول البيت لا يُعتد بها في التقطيع . ولا يكون الخزم إلا فيما أوله وتد وقد تكون الزيادة حرفاً أو حرفين وأكثرها أربعة أحرف (معجم مصطلحات العروض والقافية / ١٠٣).

قال ابن رشيق :

ويأتون بالخزم - بزاى معجمة - وهو ضد الخرم - بالراء غير معجمة ، الناقص منهما ناقص نقطة ، والزائد زائد نقطة - وليس الخزم عندهم بعيب ؛ لأن أحدهم إنما يأتي بالحرف زائداً في أول الوزن ، إذا سقط لم يفسد المعنى ، ولا أدخل به ولا بالوزن ، وربما جاء بالحرفين والثلاثة ، ولم يأتوا بأكثر من أربعة أحرف ، أنشدوا عن علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى ورضي عنه :

أشدد حيازيمك للموت

فإن الموت لا ييكـ

ولا تجزع من الموت

إذ حل بـ

فزاد « أشدد » بيانا للمعنى لأنه هو المراد . قال كعب بن مالك الأنصاري يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه :

هذه النسبة إلى بيع الأواني الخزفية واشتهر بهذه النسبة الإمام أبو بكر محمد بن علي الراشدي الخزفي ، من أهل سرخس ، ولعل بعض أجداده كان يعملها ويبيعها ، كان فقيهاً فاضلاً ديناً خيراً مرجوعاً إليه في الفتاوى ، وكان عالماً بالنحو والأدب ، تفقه أولاً على محمد بن أحمد السائواجردي وأدرك آخر عهده ، ثم تفقه على أبي محمد الزيادي ، سمع أبا الفتيان عمر بن عبد الكريم بن سعدويه الرواسي الحافظ ، حج سنة أربع وثلاثين ، وتصاحبنا في الطريق وظنى أنني سمعت منه شيئاً يسيراً ، وكانت وفاته في شهر رمضان سنة سبع وأربعين وخمسمائة في العشر الأواخر . وأما أبو الحسن محمد ابن الفضل بن علي بن العباس بن الوليد بن بهراذان بن جعفر الناقد الحربي الخزفي ، كان ينزل ساباط الخزف موضعاً ببغداد ، حدث عن عبد الله بن محمد البغوي ويحيى بن محمد بن صاعد ، قال أبو بكر الخطيب : حدثني عنه أبو القاسم الأزهرى ونسبه لي وسألته عنه فقال : ثقة . وقال أحمد ابن محمد بن الفضل الحربي مات لأربع بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ؛ قال : وكان ثقة مأموناً انتقى عليها الدارقطني .

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ /

٣٦١ ، ٣٦٢ . انظر أيضاً الباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٥١٤ ، ٥١٥).

الخزل :

قال الجرجاني :

الخزل : هو الإضممار والطي من متفاعلين ، يعني إسكان التاء منه وحذف ألفه ليبقى متفعلاً . فينقل إلى مفتعلن ، ويسمى أخزل (التعريفات / ١٣٢).

وجاء في اللسان : الخزل والخُزلة في الشعر ضرب من زحاف الكامل ، سقوط الألف وسكون التاء من متفاعلين ، فيبقى مُتَفَعِّلُنْ ، وهذا البناء غير مقول فيصرف إلى بناء مقول وهو مُفْتَعِّلُنْ وبيته :

منزلة صم صمهاها وعفت

أرسمها إن سئلت لم تجيب

لقد عجت لقوم أسلموا بعد عزهم
إمامهم للمنكرات وللغدر
فزاد «لقد» على الوزن، هكذا أنشدوه . وأنشد الزجاج -
وزعم أصحاب الحديث أن الجن قالت: :
نحن قتلنا سيد الخزير

ج سعد بن عبد الله
رميناه بسهمين
فلم نخط فؤاده
فزاد على الوزن «نحن» وأنشد الزجاج أيضا:
* بل لم تجزعوا يا آل حرب مجزعا *
فزاد «بل» وأنشد أيضا:

يامطر بن خارجة بن مسلم إنني
أجفئ وتغلق دوني الأبواب
وإنما الوزن «مطر بن خارجة» والياء والألف زائدة . . ومما
جاء فيه الخزيم في أول عجز البيت وأول صدره، وهو شاذ
جدا، قول طرفة:

هل تذكرون إذ نقاتكم
إذ لا يضر مع عدمه
فزاد في أول صدر البيت «هل» وزاد في أول العجز «إذ»
والبيت من قصيدته المشهورة:

أشجباك الربيع أم قدّمه
أم رمداد دارس حُممه
وقال جريفة بن الأشيم أنشده أبو حاتم عن أبي زيد
الأنصاري:

لقد طال إيضاعي المنخدّم لا أرى
في الناس مثلي من معد يخطب
حتى تأوبت البيسوت عشيّة
فوضعت عنه كوره تشاءب
فاللام في «لقد» زائدة، وصاحب هذا الشعر جاهلي
قديم، وقالت الخنساء:

أقلى بعينك أم بالعين عوار
أم أوحشت إذ خلت من أهلها السدار
فزادت ألف الاستفهام، ولو أسقطنا لم يضر المعنى ولا
الوزن شيئا، وروى أن أبا الحسن بن كيسان كان ينشد قول
امريء القيس:

* كأن ثبيرا في عرائين وبله *

فما بعد ذلك بالواو فيقول:

* وكان ذرى رأس المجيمر غدوة *

* وكان السباع فيه غرقى عشية *

معطوفا هكذا؛ ليكون الكلام نسقا بعضه على بعض
وقال عبد الكريم بن إبراهيم: مذهبهم في الخزيم أنه إذا
كان البيت يتعلق بما بعده وصلوه بتلك الزيادة بحروف العطف
التي تعطف الاسم على الاسم والفعل على الفعل والجملة
على الجملة، وأخذ الخزيم من خزيمة الناقة، ومن شأنهم مد
الصوت فجعلوه عوضا من الخرم الذي يحذفونه من أول
البيت.

وقد قال غيره: إنما أسقطوه كأنهم يتوهمون أنه في
السكتة؛ فلذلك جعلوه في الوجد المجموع؛ لأن المفروق لو
أسقطوا حركته الأولى لبقى أوله ساكنا، ولا يبتدأ بالساكنا،
فيسقط أيضا، والسكتة لا تحمل عندهم إلا حرفا واحدا؛
وهذا اعتلال مليح بين جدا (العمدة ١ / ١٤١، ١٤٣).

(معجم مصطلحات العروض والقافية - د. محمد علي الشوايكة،
و د. أنور أبو سويلم / ١١٣، والعمدة في محاسن الشعر ونقده لابن
رشيق - حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد / ١
٣٤١-٣٤٣).

* الخزيم:

انظر: الخزامي

* ابن خزيمة (٢٣٣-٣١١ هـ / ٨٢٨-٩٢٤ م):

من رواة الحديث من التابعين، وهو محمد بن إسحاق بن
خزيمة بن المغيرة السلمى بالولاءة النيسابوري، أبو بكر،
المشهور بابن خزيمة، المحدث الفقيه المجتهد.

مولده ووفاته بنيسابور، سمع الحديث فيها والكوفة والشام والجزيرة ومصر وواسط.

جمع بين الفقه والحديث، وكان إمام نيسابور في عصره، ويعرف عند المحدثين والفقهاء بإمام الأمة، وكان أحد أعلام الأمة بحفظ الحديث والفقه والقراءة والزهد، وبلغ رتبة الاجتهاد المطلق، وكان يدرّس، ويُفتى وينظر ويحدّث في نيسابور (مرجع العلوم الإسلامية / ٢٥٤).

ولد في صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين. ولد في صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين رحل إلى الري وبغداد والبصرة والكوفة والشام والجزيرة ومصر وواسط، وسمع الحديث من خلق كثير منهم إسحاق بن راهويه ومحمد بن حميد الرازي ولم يحدث عنهما لكونه سمع منهما في صغره، وحدث عن محمود بن غيلان ومحمد بن إبان المستملي وإسحاق بن موسى الخطمي وأبي قدامة السرخسي وغيرهم، وروى عنه الأئمة الكبار كالبخاري ومسلم خارج الصحيح ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكيم شيخه ويحيى بن محمد بن صاعد وأبو علي الغساني وإسحاق بن سعد النسوي وخلائق كثير.

كان ابن خزيمه قبله العلم والعلماء وإماما يقصده الناس من كل ناحية.

كالبحر يذف للقريب جواهر

كرما ويبعث للغريب سحابا

وكان شديد التحري للحديث حتى ليتوقف في التصحيح لأدنى كلام يقال في الإسناد. روى الحاكم عن أبي العباس بن سريج أنه قال فيه: «إنه يخرج النكت من حديث رسول الله ﷺ بالمنقاش» وقال الربيع بن سليمان: «استفدنا من ابن خزيمه أكثر مما استفاد منا» وقال محمد بن حبان التميمي: «ما رأيت على وجه الأرض من يحسن صناعة السنن ويحفظ ألفاظها الصحاح وزياداتها حتى كأن السنن كلها بين عينيه إلا محمد بن إسحاق»، وقال الدارقطني: «كان ابن خزيمه إماما ثبتا معدوم النظير». عده الحاكم من فقهاء الحديث قال: «ومصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتابا سوى المسائل والمسائل المصنفة أكثر من مائة جزء فإن فقه حديث بريرة

ثلاثة أجزاء ومسألة الحج خمسة أجزاء» وله كتاب الصحيح وهو من أجل كتب الحديث يثلو صحيح مسلم بن الحجاج على ما ذكره السيوطي في ألفيته إلا أنه قد انعدم أكثره. توفي رحمه الله سنة ٣١١ هـ (الحديث والمحدثون / ٣٤٧، ٣٤٨).

وله أيضا «كتاب التوحيد»، و«إثبات صفة الرب» (مرجع العلوم الإسلامية / ٢٥٤).

وهكذا كانت مؤلفاته وعلمه فقد بلغ رتبة الاجتهاد وإن كان يذكره المؤلفون في طبقات الشافعية شافعيًا روى عنه أنه قال: ما قلدت أحدا منذ بلغت سنة عشر وكان يرى رأي السلف في الصفات والقرآن وإن كان لم يسلم من تقول المفترين عليه وقد كذبهم فيما يدعون عليه (السنة النبوية وعلومها / ٣٢٦).

وقد ذكره الإمام الكتاني في أصحاب الكتب التي التزم أهلها فيها الصحة من غير الموطأ والصحيحين فقال عن صحيح ابن خزيمه: منها صحيح أبي بكر محمد بن إسحاق (بن خزيمه) بن المغيرة السلمي النيسابوري الشافعي شيخ ابن حبان المتوفى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. ويعرف عند المحدثين بإمام الأئمة ١ هـ (الرسالة المستطرفة / ١٦).

(مرجع العلوم الإسلامية - د. محمد الزحيلي / ٢٥٤، والحديث والمحدثون - محمد محمد أبو زهر / ٣٤٧، ٣٤٨، والسنة النبوية وعلومها - د. أحمد عمر هاشم / ٣٢٦، والرسالة المستطرفة للإمام محمد بن جعفر الكتاني / ١٦).

✽ خزيمه بن ثابت:

خزيمه بن ثابت الصحابي رضى الله عنه تكرر في المذهب في أول باب الإحرام بالحج وفي عشرة النساء والشهادات هو أبو عمارة خزيمه بن ثابت بن عمارة بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن عنان بن عامر بن خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي الخطمي المدني (تهذيب / ١٧٥).

ذو الشهادتين، أمه كبشة بنت أوس الساعدية (الرياض المستطابة / ٦٦)، وسمى خطمة لأنه ضرب رجلا على خطمه شهد خزيمه مع رسول الله ﷺ بدرا وما بعدها من المشاهد وكان خزيمه وعمير بن عدى يكسران أصنام بني خطمة وكانت

انظر: الخزيمى

* الخزيمى:

قال السمعاني:

الخزيمى: بضم الخاء المعجمة وفتح الزاى وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفى آخرها الميم، هذه النسبة إلى أبى بكر محمد بن إسحاق بن خزيمه بن المغيرة بن صالح بن بكر النيسابورى الخزيمى (إمام الأئمة)، (انظر ترجمته تحت عنوان «ابن خزيمه» اتفق أهل عصره على تقدمه فى العلم، حدث عن إسحاق بن راهويه وعلى بن حمجر وعلى بن خشرم المروزيين، ورحل إلى العراق والشام ومصر؛ وجماعة إليه ينسبون يقال لكل واحد منهم الخزيمى، وكان أدرك أصحاب الشافعى وتفقه عليهم، ومات فى ذى القعدة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ودفن فى داره ثم جعلت مقبرة.

وعلى بن محمد الخزيمى، سمع سريسا السقطى، روى عنه العباس بن يوسف الشكلى.

وحفيد أبى بكر بن خزيمه هو أبو طاهر محمد بن الفضل ابن محمد بن إسحاق بن خزيمه بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمى الخزيمى، من أهل نيسابور من أولاد الأئمة سمع جده وأبا العباس محمد بن إسحاق السراج وأبا العباس الماسرجسى وجماعة سواهم، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ وأبو عثمان سعيد بن محمد البجيرى وأبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابونى وأبو سعد محمد بن عبد الرحمن بن محمد الكنجرودى وأبو بكر أحمد بن منصور بن خلف المغربى، وغيرهم، وذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ فى التاريخ فقال: أبو طاهر حفيد إمام المسلمين أبى بكر محمد بن إسحاق بن خزيمه كاتبوه للتزكية سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، وقد كان سمع الكثير من جده أبى بكر وأبوى العباس السراج والماسرجسى، فعقدت له المجلس للتحديث فى شهر رمضان من سنة ثمان وثلاثمائة، ودخلت بيت كتب جده وأخرجت له مائتين وخمسين جزءاً من سماعاته الصحيحة وحملت إلى منزلى فخرجت له الفوائد فى عشرة أجزاء؛ وقلت دع الأصول عندى صيانة لها وحدث

راية بنى خطمة بيده يوم فتح مكة وشهد مع على رضى الله عنه الجمل وصفين ولم يقاتل فيهما فلما قتل ابن ياسر بصفين قال سمعت رسول الله ﷺ يقول تقتل عماراً الفئة الباغية فسل سيفه وقاتل حتى قتل وكانت صفين سنة سبع وثلاثين (تهذيب ١/ ١٧٥، ١٧٦).

روى عنه ابنه عمارة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم اشترى فرساً من سواء بن قيس المحاربى، فجحدته سواء، فشهد عليه خزيمه، فقال له رسول الله ﷺ: ما حملك على الشهادة؟ قال: صدقت بما جئت به، وعلمت أنك لا تقول إلا حقاً. وروى أنه قال: نصدقك فى خبر السماء ولا نصدقك فى خبر الأرض! فقال صلى الله عليه وآله وسلم: من شهد له خزيمه أو شهد عليه فحسبه. وعنه أيضاً عن أبيه (خزيمه) أنه رأى فى منامه أنه سجد على جبهة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فاضطجع له النبى ﷺ وقال: صدق رؤياك. فسجد على جبهته. وروى عن أنس قال: تفاخرت الأوس والخزرج، فقالت الأوس: منا ذو الشهادتين، وغسيل الملائكة، ومن اهتز لموته عرش الرحمن وخيمى الدبر. فقالت الخزرج: منا أربعة حفظوا القرآن كله فى حياة رسول الله: زيد بن ثابت، وأبو زيد، وأبى بن كعب، ومعاذ بن جبل، رضى الله عنهم أجمعين.

خرج مسلم لخزيمه حديثاً واحداً مشتركاً بينه وبين أسامة، وخرج عنه الأربعة، وعنه ابنه عمارة وابن أبى ليلى وآخرون (الرياض المستطابة / ٦٦، ٦٧).

روى له عن رسول الله ﷺ ثمانية وثلاثون حديثاً. ومن أجل مناقبه أن رسول الله ﷺ جعل شهادته كشهادة رجلين فكان يسمى ذا الشهادتين. رويناه فى صحيح البخارى عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ جعل شهادة خزيمه بن ثابت شهادة رجلين (تهذيب ١/ ١٧٦).

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محبى الدين بن شرف النووى / ١٧٥، ١٧٦، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر اليمنى / ٦٦، ٦٧. انظر أيضاً مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢/ ١٢٦، ١٢٧، والأعلام للزركلى ٢/ ٣٠٥ وما جاء بهامش (١) من مصادر.

كتبه المؤلف سنة ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م، ورتبه على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة. المقدمة في المبادئ التي يجب أن تتقدم. الفصل الأول في شرح الأدوية والأغذية المفردة بأسمائها اليونانية والعربية والفارسية والهندية وقد رتبها على حروف الهجاء.

الفصل الثاني في معالجة الأمراض لكل واحد منها مشتملة على قواعد كلية وأدوية المخصوصة.

الفصل الثالث في إصلاح بعض الأعضاء بالأدوية

الفصل الرابع في أحوال غير ما كان لمرض كمصنفات الصوت ومجففات اللبن في الثدي.

الخاتمة في فوائد متفرقة

نسخة جيدة في صفحة العنوان طبعة ختم مؤرخة ١٢٣٥ هـ / ١٨١٩ م.

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي - أسامة ناصر النقشبندى / ٩٨، ٩٩).

«خزينة العلماء وزينة الفقهاء»

خزينة العلماء وزينة الفقهاء: للشيخ محمد البلغاري وهو مختصر في الموعظة أوله: الحمد لله الذي لم يلد له والد... إلخ أورد فيه من الأحاديث والآثار والحكم.

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٧٠٤).

«الخس»

أورده المظفر الرسولي في المعتمد نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية»

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان»

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسي:

قال:

الخس: «ع» جيد للمعدة، مبرد، منوم، مدر للبول. وإذا طبخ يكون أكثر غذاء وإذا أكل كما يقلع وافق الذين يشكون

بالفوائد، فلما كان بعد سنين حمل تلك الأصول وفرقها على الناس وذهبت، ومد يده إلى كتب غيره فقرأ منها، ثم إن أبا طاهر مرض وتغير يزوال العقل في ذى الحجة من سنة أربع وثمانين وثلاثمائة فإني قصده بعد ذلك غير مرة فوجدته لا يعقل، وكل من أخذ عنه بعد ذلك فلقلته مبالاته بالدين، وتوفي في جمادى الأولى من سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ودفن في بيت جده بقره.

وأبو بكر محمد بن علي بن محمد بن علي بن خزيمه العطار الخزيمي، من أهل نسا، كان شيخا دينيا فقيها صالحا، من المشاهير، وكانت إليه التزكية؛ سمع جده محمد ابن علي الخزيمي وأبا عامر الحسن بن محمد النسوي وغيرهما، حدث ببلده وبنيسابور، وكتب إلى بالإجازة بجميع مسموعاته، وروى لي عنه أبو منصور عبد الخالق بن زاهر الشحامى بنيسابور وأبو الفتح سعد بن محمد بن علي الخزيمي وأبو عبد الرحمن محمد بن عبد الخالق التميمي وأبو عمرو عثمان بن الفرغ الطاهري، بنسا وغيرهم، توفي بنسا في رجب سنة عشر وخمسمائة.

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٣٦٢ - انظر أيضا الباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥١٥، ٥١٦).

«خزينة العلاج»

من مصنفات التراث الإسلامي في علم الصيدلة.

مخطوط في مكتبة المتحف العراقي.

الرقم ١٠٩٩٦

لأبي القاسم حكيم سيد علي المتخلص بشوق الذي كان حيا سنة ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م. الأول «الحمد لله الذي خلق المواليد بتجليات قدرته وأودع فيها الخواص والتأثيرات لأشرف مخلوقاته...».

استفاد المؤلف في وضع هذا الكتاب من كتب الطب المشهورة وانتخب منها وطابقها مثل كتاب القانون لابن سينا والأسباب والعلامات للسمرقندي وشروح الموجز وتذكرة الأنسطاكي وتحفة المؤمنين والقرباذين القادريين وغيرها..

يؤكل كما يقلع، من غير أن يغسل بالماء، ويؤكل بعده الزنجبيل المربى لمن كان مزاجه بارداً. والله أعلم. عن هامش ص، ق (المعتمد ١/ ١٢٦، ١٢٧).

أما الشيخ داود الأنطاكي فيقول عنه في تذكرته:

الخس نبت من خضروات البقول ينمو ويزيد على الزفر والزبل والمياه ويخرج طبقات متراكمة على أصل صنوبري، وهو على قسمين غليظ خشن شديد المرارة بلا ساق، وقسم سبط غض يقوم له ساق فوق شبر وكل منهما برى ينبت وبستاني يستنبت ويدرك بالخريف والربيع له زهر أبيض يخلف بزرا ليس بالمستدير وهو بارد رطب في الثانية والبرى في الأولى يدفع تغيرات الهواء السوائي والماء والسعال اليابس والعطش ويكسر سورة الدم إذا أكل بعد نحو الفصد والحميات المحرقة والخلفة والسهر المزمن مفردا في الشباب ومع الصندل في الشيخوخة ويولد دما صالحا ليس بالكثير كما هو شأن البقول وينفع من ضرر اليابسين وأمراضهما كالشور والحكة والجنون والجذام ومزاوره أطف المزاور وأنفعها خصوصا في الحميات ويفتح السدد ويدر ويفت ويمنع الحرقنة ولبنه ينفع من السموم وخصوصا العقرب والبياض والجرب طلاء وكحلا والنزلات والأورام دهنا ويسهل الأخلاط شربا وبزره يصلح الأدمغة وأوجاع الصدر ودهنه يحلل الصلابات مطلقا ويرطب جفاف الرأس وينفع من الصرع والماليخوليا عن يس ويبطئ السكر ورماده يلحم القروح وذهب القلاع ومع العسل يجلو الآثار وبدهن الورد يطول الشعر... وهو يولد رياحا غليظة وقرقر ونسيانا يصلحه الكمون والنعنع والكرفس وأن لا يغسل. والشربة من عصارتة إلى ثلاثين وبزره إلى اثنين ولبنه إلى نصف والبرى أقوى وبدله الأفيون (التذكرة ١/ ١٣٩).

وعن إفلاحه يقول القزويني في عجائبه:

قال صاحب الفلاحة: إذا تركت بزره في وسط النانخواه ثم زرعه يسلم منه جميع الآفات، وإذا أخذت بعرج الجمل ونقبتها وتركها فيها بزر الخس والجرجير وحب الرشاد وتحفر لها وتستريحها بالتراب وتسقيها ينبت عليها هذه الأنواع الثلاثة

معدّهم... وإذا أكل دائما أحدث غشاوة على العين. والخس البرى شبيه بالخس البستاني، غير أنه أكبر منه ساقا، وأشدّ بياضا، وأدق وأخشن، وطعمه مر، ولبنه شبيه بلبن الخشخاش الأسود، وهو نافع لقروح قرنية العين، وينوم، ويسكن الوجع، ويدر الطمث، ويشفي لسعة العقرب، ونهشة الرتيلاء. والخس بارد رطب، وليس في الغاية، ولولا ذلك لكان مما لا يؤكل لكن برودة الخس كبرودة مياه الغدران، وهو أجود البقول غذاء، لأنه يولد دما ليس بكثير ولا بالردى، إلا أنه ليس في غاية الجودة، ويبرد المعدة الحارة، ويصلح للشيوخ مسلوقا لمدومة السهر، وإذا دق وضمده به اليافوخ سكن الحرارة في الرأس والهديان، وهو سريع الهضم، وهو دواء لاختلاف المياه وتغيرها، وتغير الأرضين، ويسكن وجع الشدي، وإذا أخذ نيشا سكن الصداع المتولد عن أبخرة صفراوية، ولا يصلح لمن به قيح في صدره، أو ربو، أو خلط يحتاج أن يرمى به، فإنه يخنق هؤلاء خنقا سريعا.

«ج» الخس بارد رطب في الدرجة الثالثة، وقيل إن بزره في الثانية وغير المغسول منه أقل توليدا للرياح، وإن استعمل في وسط الشراب منع من أمراض السكر، وينفع من الأورام الحارة والحمرة طلاء، ويضمده به الوثاء، وينوم، ويزيل السهر نيشا ومسلوقا، وينفع من الهديان وإحراق الشمس الرأس، ويضمده به الورم الحاد، ولبن البرى منه يجلو آثار القرنية، ونصف درهم ربما أسهل كيموسا مائيا، ودوام أكلها يضعف العين ويظلمها.

«ف» من البقول. برى، وبستاني بارد رطب في الثانية، ينفع من العطش وبالخل من اليرقان، ويشهى الطعام. الشربة منه: بقدر الحاجة.

وجاء في هامش: عن ص. ق (لعلهما اختصار اسم المصحح) ما يلي:

الخس: بارد رطب، يسكن الالتهب العارض في المعدة الحارة، والدم المتولد منه أفضل من الدم المتولد من سائر البقول. منفعة: إدراج البول، ملين للطبيعة، مسكن حرارة المعدة، مطفيء حدة الدم، جالب للنوم. دفع ضرره: أن

على ساق، وإذا قطعت أوراقه السفلى يطيّب طعم فوقانيات، والخس يجلب النوم ويدفع العطش (عجائب المخلوقات / ١٨٦).

وقد أفرد له السيوطي مقامة من مقاماته جاء فيها ما يلي.

الخس وما أدراك ما الخس بارد رطب أشد من الهندبا ترطيبا وأوفى في التطفئة، وتسكين العطش نصيبا، مبرد للبطن منوم، مدر للبول إذا عليه دووم، وإذا طبخ فهو أكثر في الغذاء، وإذا أكل كما قلّع غير مغسول وافق من يشتكى من معدته أذى، وينفع من الحمرة والورم الحار، وليكثر من أكله من معدته تولد المرار.

قال ابن البيطار: ولم أجد شيئا من البقول يُداوى به السهر غيره، والخلط المتولد منه بارد رطب لا يوازي بقل خيره، إذ ليس يعرض له رداءة الاستمرار كما يعرض لسائر البقول، والبطن معه لا هو مطلق ولا معقول، وهو يهيج للإنسان بشهوة المأكول، وينفع من اللدغ العارض في المعدة، ومن حرقة المثانة التي هي من خلط صفراوي متولد هو في السعال الذي لا نفث معه، وهو من مادة رقيقة تنجلب من الرأس الدمة، ويغزر اللبن ويذهب اليرقان، ويسكن حرارة الرأس والهذيان، ويسكن وجع الشدى، وهو دواء لاختلاف المياه والأرضين والهواء، وإن أكل بالخل نثا سكن المرار والصداع المتولد عن صفراوي البخار، وإذا عجن بمائه دقيق الشعير سكن الورم الحار من العين، والإكثار من أكله يضعف البصر ويكسبه الغشاوة والغيم، وبزره يسكن وجع الصدر ولدغة العقرب والهوام...

وفيه يقول الشاعر

أناي الغلام قبيل الطعمام

وقد حم جسمي بخس نضير

كقضب اللجين بأطرافها

لمبصرها عذبان الحريير

(المعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي - صححه وفهرسه

مصطفى السقا ١ / ١٢٦، ١٢٧، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر

الأنطاكي ١ / ١٣٩، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني

/ ١٨٦، ومقامات السيوطي للإمام جلال الدين السيوطي تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري، ومحمد السعيد بن بسيوني زغلول / ٢٩. انظر أيضا مفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول - تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، ود. إحسان صدقي العماد / ١٤٩، ١٥٠، والطب العربي في القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية - تحقيق وتعليق د. بدر السنازي، تعريب وتقديم د. عبد الهادي السنازي / (١٣٥).

«خسرو:

«خسرو» لفظ فارسي معناه ملك، وتعريبه كسرى

(الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٧٥).

«خسرو إيران

أطلق لقب «خسرو إيران» على أبي الفتح محمد بن قرا أرسلان في نص تعمیر بتاريخ سنة ٥٧٩ هـ في باب ارفا في ديار بكر، وكذلك على أبي الفتح موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في نقش بتاريخ سنة ٦٢٥ هـ على اسطرابل من سوريا.

(الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٧٥).

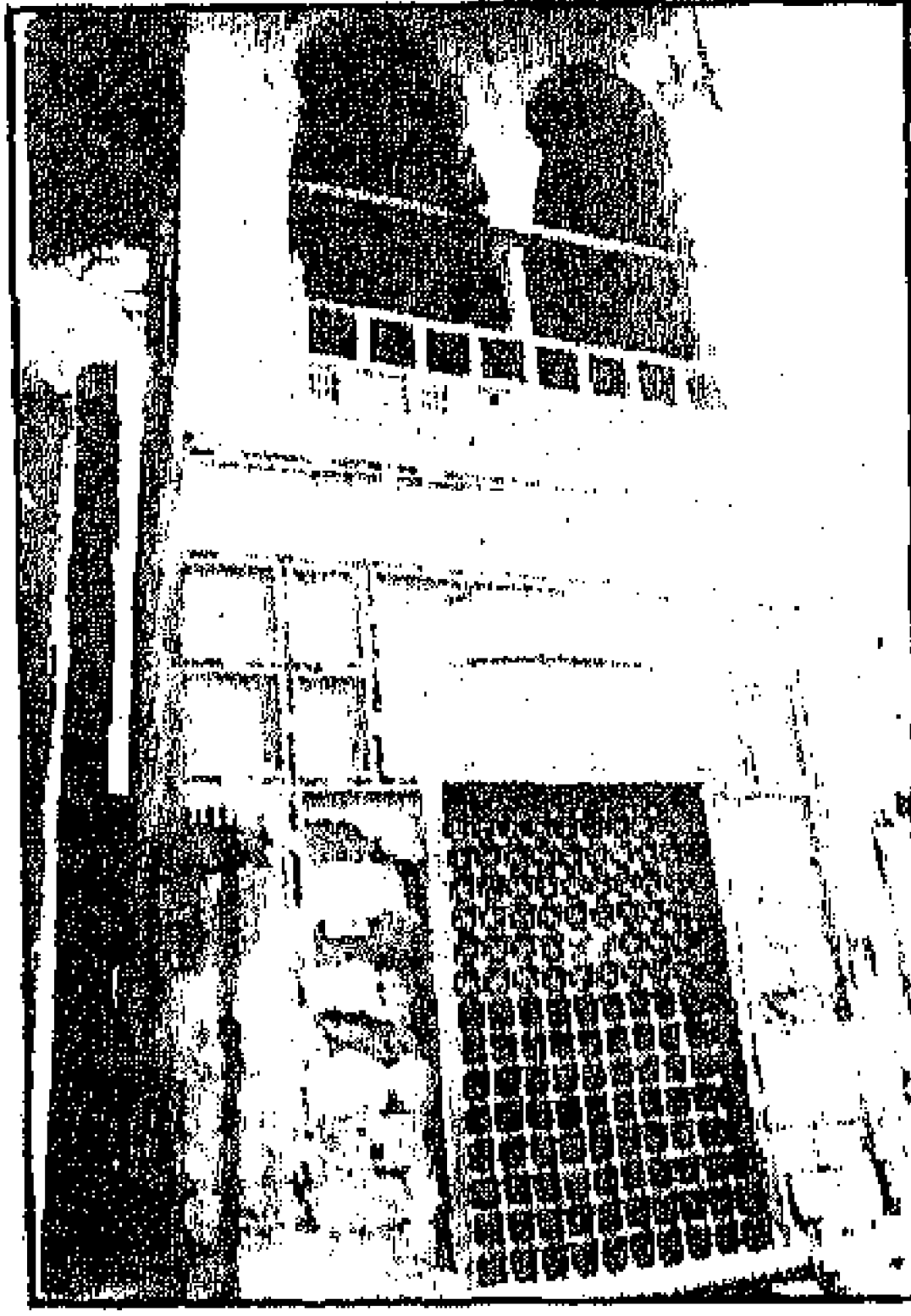
«خسرو باشا (سبيل وكتاب -) (٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م) أثر ٥٢:

قال الأستاذ محمود أحمد:

هذا السبيل أمام مارستان قلاوون ويحجب جزاء من المدرسة الصالحية. أنشأه خسرو باشا والي مصر في دولة السلطان سليمان خان بن السلطان سليم الأول. (هو أحد ولاية مصر المعينين من قبل الدولة العثمانية، وليها سنة ٩٤١ هـ (١٥٣٥ م) نيابة عن سليمان باشا وبقي نائبا عنه نحو سنة وعشرة شهور إلى أن عاد إليها في رجب سنة ٩٤٣ هـ (١٥٣٧ م).

وهو سبيل له وجهتان بهما زخارف مدقوقة في الحجر ويعلوه كتاب منسجم الشكل متناسب الأوضاع حليت أعتاب شبايكه بالرخام، ومكتوب عليه اسم المنشئ وألقابه وتاريخ الإنشاء.

وبه من الداخل سقف منقوش بالذهب والألوان. وأرضية من الرخام الدقيق وسلسيل من الرخام.



لوحة (١)

الواجهة الشمالية الغربية لسبيل خسرو
باشا بشارع النحاسين. أثر ٥٢.

ومكتوب عليها اسم المنشئ وألقابه وتاريخ
الإنشاء.

الواجهة الشمالية الغربية: (لوحة ١) يتوسطها شباك
للتسبيل مستطيل الشكل مغشى بمصبغات نحاسية، في
جزئها العلوى تشابيك هندسية تكون أشكالاً غير منتظمة
يتوسطها لفظ الجلالة (الله) يتقدم شباك التسبيل لوح رخامى
مخصص لوضع كيزان الشرب، يرتكز على ثلاثة كوابيل
حجرية بمحاذاة الأرض الآن نظراً لارتفاع الشارع، هذا ويعلو
شباك التسبيل عتب مستقيم ملبس بالرخام على شكل
صنجات مزرة على هيئة الورقة النباتية يعلوه عقد عاتق مكون
من صنجات رخامية مزرة على هيئة ورقة نباتية فى شكل أفقى
متتابع أو متقابل.

وعلى جانب العتب والعقد العاتق أربع مناطق مستطيلة
ومربعة فى كل جانب بها زخارف منحوتة فى الحجر نحتاً
دقيقاً قوامها إما زخارف هندسية عبارة عن شكل طبق نجمى أو
زخارف نباتية محورة تشبه زخرفة الأرابسك ولكنها منفذة بشكل
بسيط. هذا وتنتهى واجهة السبيل من أعلى بشريط ممتد
ليتوج الواجهتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية ويحتوى
على نص كتابى بالخط الثلث يقرأ كالاتى:

«أمر بإنشاء هذا السبيل المبرور اغتنام الثواب والأجور فى

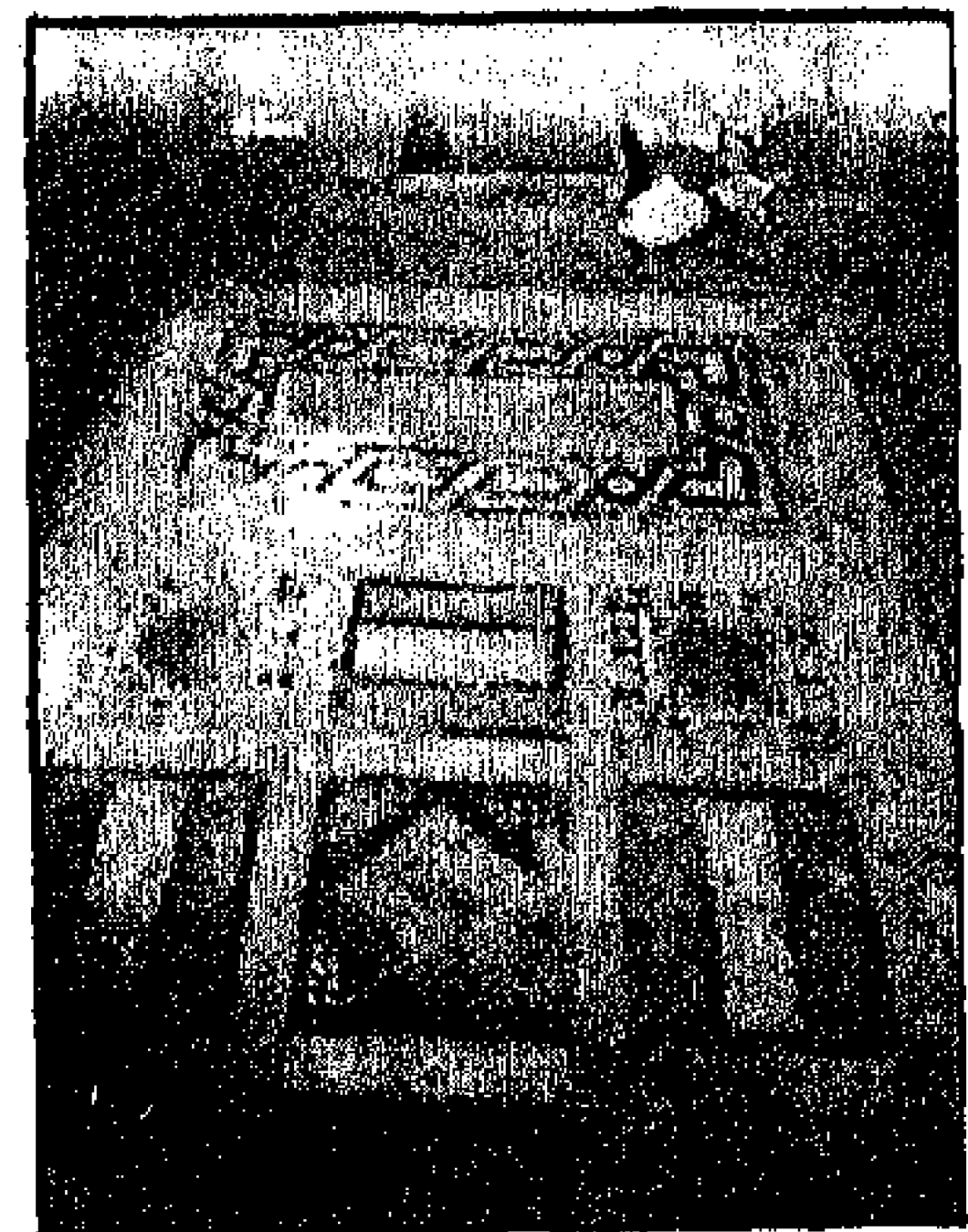
وهو ثانى سبيل وكتاب أنشئ مستقلاً إذ الأول سبيل
وكتاب الأشرف قايتباى بالصليبة (دليل موجز /
١٨٧).

وقد وصف الدكتور محمود حامد الحسينى هذا الأثر
وصفاً مفصلاً نقله لك فيما يلى يقول المؤلف:

يقع بشارع النحاسين مقابلاً لمجموعة قلاوون ويلاصق
الناحية الجنوبية لبروز ضريح الصالح نجم الدين، ويحتوى
على واجهتين حرتين على الشارع هما الواجهة الشمالية
الغربية، والواجهة الشمالية الشرقية. أما الواجهة الجنوبية
الغربية فملاصقة لمحلات بيع النحاس والذهب، والتي
كانت تحتوى قديماً على كتلة الدخول للسبيل والكتاب. أما
الواجهة الجنوبية الشرقية فتطل على الواجهة الخارجية للإيوان
الشمالى الغربى للمدارس الصالحية.

وأنشأ هذا السبيل مع الكتاب - خسرو باشا والى مصر فى
جمادى الثانية عام ٩٤٢، كما ورد بالنص التأسيسى على
الواجهة، وهو أقدم سبيل ما زال باقياً من العصر العثمانى
بالقاهرة، كما أنه مستقل غير ملحق بأبنية أخرى، وهو سبيل
ناصية ذو شباكين للتسبيل ويعلوه كتاب.

واجهات السبيل: يحتوى على واجهتين متشابهتين تماماً
هما «الشمالية الغربية»، و «الشمالية الشرقية» ومحليتين
بالزخارف، كذلك حليت أعتاب شبابيكهما بالرخام،

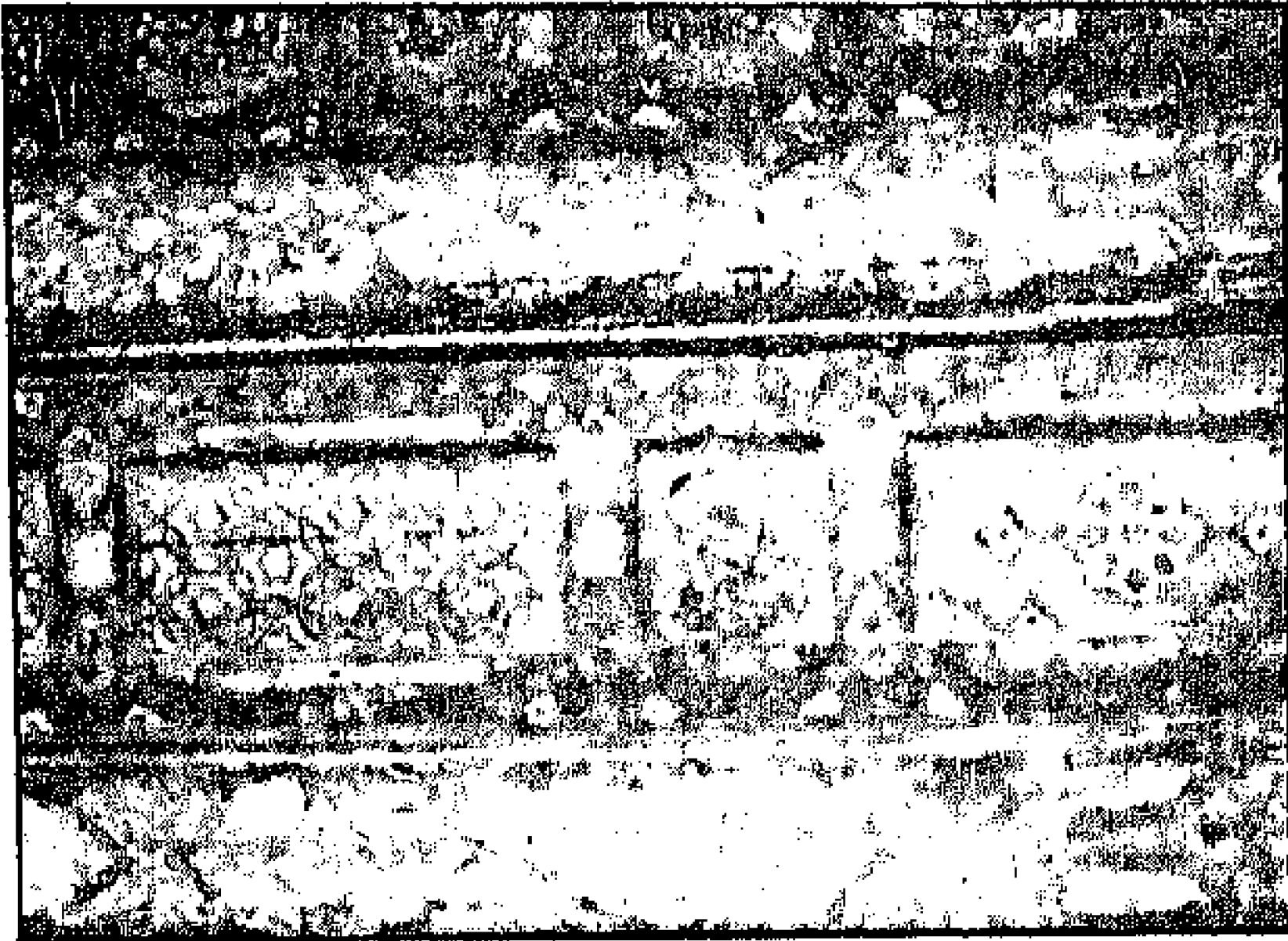


أرضية حجرة التسبيل بسبيل خسرو باشا
بشارع النحاسين. أثر ٥٢.

تخطيط السبيل :

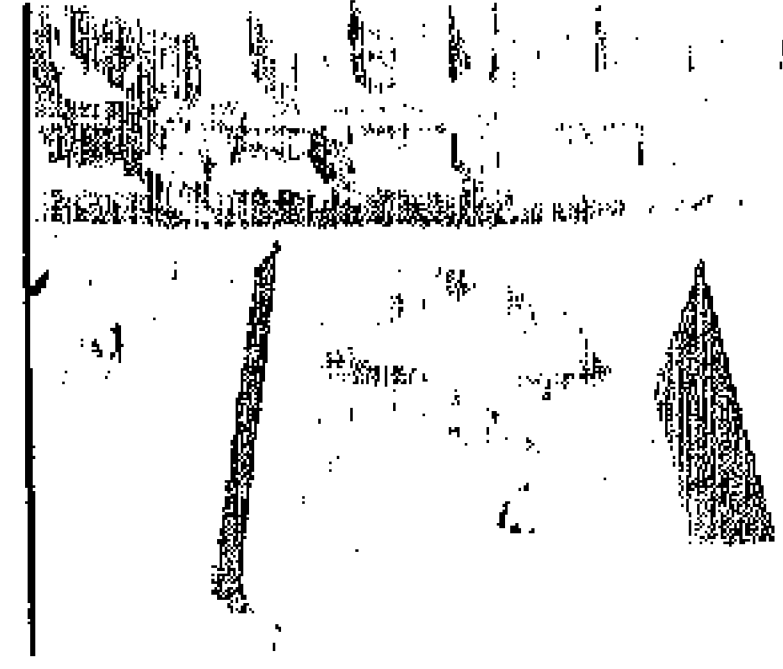
يتكون من حجرة تسبيل مستطيلة الشكل مساحتها ٥٧٠ × ٣٧٠ سم بضلعها الشمالى الغربى دخلة مستطيلة الشكل اتساعها ٢٠٠ سم وعمقها ٦٠ سم تطل على الخارج بشباك للتسبيل يقابلها فى الضلع الجنوبى الشرقى ثلاث دخلات، الجانبيتان اتخذتا كخزانتين لحفظ أدوات المزملاى، أما الوسطى فهى المخصصة للشاذوران والى يبلغ اتساعها ٨٠ سم وعمقها ٢٠ سم، كان يكتنفها عمودان اندثرا الآن. أما الضلع الشمالى الشرقى فيحتوى على دخلة مستطيلة الشكل تفتح على الشارع بشباك للتسبيل مائلة تماما للدخلة الموجودة بالضلع الشمالى الغربى، إلى اليسار منها خزانة للمزملاى مستطيلة الشكل. أما الضلع الجنوبى الغربى فيحتوى على باب الدخول لحجرة التسبيل يجاوره جهة اليسار باب آخر، كان يؤدى قديما إلى كتلة دخول السبيل على شارع النحاسين.

أرضية حجرة التسبيل : مغطاة بألواح رخامية مقسمة إلى مناطق هندسية من مستطيلات، ومربعات، ودوائر محددة



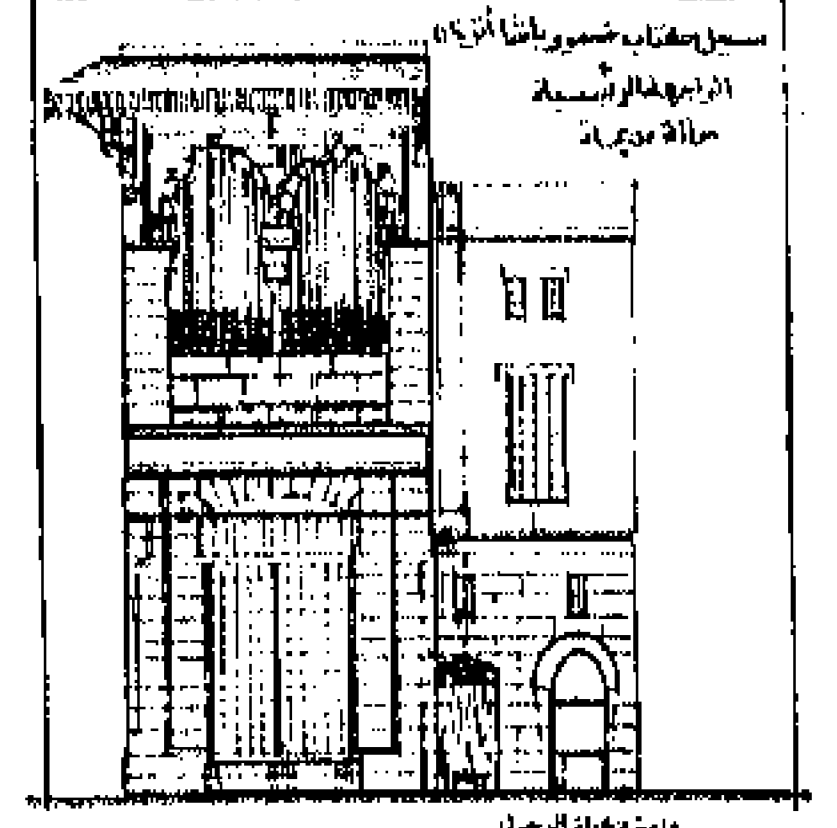
لوحة (٩)

تفاصيل من سقف حجرة التسبيل بسبيل خسرو باشا بشارع النحاسين، أثر ٥٢.



لوحة (١٠)

الواجهة الغربية للسبيل حجرة التسبيل بشارع النحاسين، أثر ٥٢.



لوحة (١١)

الواجهة الغربية للسبيل حجرة التسبيل بشارع النحاسين، أثر ٥٢. ويصح هنا كمن الممر للسبيل والكتاب على الشارع وحان لهما، من ممرات هذه الأبنية.

أيام مولانا الإمام الشريف ظل الله الوريث الخنكار الأعظم مالك رقاب الأمم ملك ملوك العرب والعجم السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان ابن عثمان خلد الله ملكه وسلطانه وأدام أيامه، منشى هذا السبيل مولانا الباشا الأعظم والكافل المفخم مدير مصالح الأمم ناظم مناظم العالم خسرو باشا كافل الديار المصرية والأقطار الحجازية غفر الله له وللمن دعا له بالمغفرة بمحمد وآله وكان الفراغ من ذلك فى شهر جمادى الآخرة سنة اثنان [اثنين] وأربعين وتسعمائة من الهجرة النبوية .

وقد حددت المناطق الزخرفية والكتابية لهذه الواجهة بجفوت لاعبة سداسية الميمة، كما يشغل ناصيتيه عمودان مدمجان لهما تيجان مقرنصة.

الواجهة الشمالية الغربية للكتاب : تمتد بامتداد واجهة السبيل وهى عبارة عن بائكة من عقدين على شكل حدوة الفرس مرتكزين على عمود أوسط فى جزئها السفلى درابزين من الخشب الخرط . وهذه الواجهة بصفة عامة خالية من الزخرفة عدا الجفوت اللاعبة التى تلفت حول عقدي البائكة.

يتوج واجهة الكتاب رفرف خشبى يرتكز على كوابيل خشبية يتدلى منه شراريف على هيئة ورقة نباتية ثلاثية.

كيفية الدخول للسبيل : يتم الدخول من باب مستطيل الشكل فى الطرف الجنوبى من الضلع الجنوبى الغربى لحجرة التسبيل، ويتم الوصول له من ممر خلف محلات النحاس والصاغة.

بإطارات من الرخام الخردة المختلف الألوان إما على شكل معينات متقابلة الرؤوس أو مثلثات دقيقة أو شكل الجفوت اللاعبة ذات الميمة السداسية (لوحة ٦).

السقف : عبارة عن سقف خشبي مسطح يرتكز على براطيم خشبية عددها ستة تحصر فيما بينها تجاويط طولية ذات مستطيلات ومربعات ، مزخرفة بالتجليد والألوان المتعددة وقوام الزخرفة في المناطق المستطيلة إما صرة مفصصة في الوسط وأرباعها في الأركان بينما شغلت بقية المساحة بزخارف هندسية زجاجية ، أو مناطق سداسية متقاطعة تحصر بداخلها أشكال نجوم سداسية أيضا بداخلها زهور (لوحة ٩).

أما في المناطق المربعة فنجد أفرع متداخلة تكون في مجموعها زخارف شبيهة بالأرابيسك (لوحة ٩)، كما نجد أن الفنان لم يترك المساحات بين المستطيلات والمربعات خالية دون زخرفة فقام بملئها بالأفرع الممتدة والتي تخرج منها الأوراق النباتية .

أما البراطيم فقد حظيت أيضا بنصيب كبير من الزخارف حيث شغلها الفنان بأفرع حلزونية تكون أشكالا بيضاوية تحصر بداخلها زخارف نباتية (لوحة ٩)، هذا ويرتكز السقف على إزار خشبي عريض ذي حنايا ركنية ووسطية مقرنصة تنتهي الركنية منها بذبول هابطة ذات ورقة نباتية ثلاثية .

ينقسم الإزار إلى قسمين . العلوى يحتوى على بحور كتابية بالخط النسخ على أرضية نباتية وهذه الكتابة مضمونها كالاتى : «بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يسؤده حفظهما وهو العلى العظيم﴾ صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم سيدنا محمد» والسفلى عبارة عن صفين من المقرنصات المسطحة والتي تتوج جدران حجرة السبيل من أعلى .

الشاذروان : عبارة عن دخلة فى الضلع الجنوبي الشرقى

مستطيلة الشكل تتوجها من أعلى طاوية خشبية مقرنصة قمته ذات قطلاع على شكل عقد منكسر تمتد إلى أسفل إزار السقف مباشرة ، ويصدد هذه الطاوية زخرفة حجرية محفورة من الأرابيسك ، وفى الجزء السفلى ، من دخلة الشاذروان نجد لوحا رخاميا مائلا (السلسيل) قوام زخرفته ورقة نباتية ثلاثية بارزة وغائرة ويحيط بهذا اللوح إطار مستطيل يحتوى على زخرفة من أنصاف مراوح نخيلية ، وكان من الطبيعى أن يعلو هذا اللوح حوض مربع أو مستطيل (هذا اللوح غير موجود حاليا) ينساب منه الماء على السطح الخارجى للسلسيل متجمعا فى حوض آخر أسفل السلسيل حتى تسير المياه منه عن طريق المحان الرصاصية إلى أحواض الشرب .

أحواض الشرب : نجد فى أرضية دخلة كل من شبك التسيل الشمالى الشرقى ، والشمالى الغربى حوضا للشرب مستطيل الشكل من الرخام (لوحة ١٣).

الكتاب : يتم الصعود إليه عن طريق سلم حديدى ركب فى عام ١٩٠٩ م خلف الجدار الجنوبى الشرقى لحجرة التسيل والذى ينتهى يسارا بباب يفتح على حجرة الكتاب حيث تأخذ نفس تخطيط حجرة التسيل مع الاتساع قليلا نظرا لقلّة سمك الجدران فى الطابق العلوى عنه فى الطابق السفلى .

الحالة القديمة للسبيل والكتاب :

يقول المؤلف : من حسن الحظ أننى استطعت العثور على بعض المساقط واللوحات لهذا السبيل بمركز تسجيل الآثار، ترجع إلى عام ١٩٠٣ م، والتي تبين حالة السبيل والكتاب القديمة (لوحة ١٤)، ويتضح منها أنه كان للسبيل والكتاب كتلة دخول على شارع النحاسين بالجهة الغربية من الواجهة الشمالية الغربية للسبيل حيث مدخل مستقل لكل من السبيل والكتاب - إلا أن هذين المدخلين قد اندثرا الآن وحل محلهما دكان لبيع النحاس - ومما يؤكد صحة هذا القول أيضا أن الواجهة الجنوبية الغربية للكتاب مازالت تحتوى حاليا على بعض الدخلات فى الجدران من الخارج .

مدخل السبيل : (لوحة ١٤)، عبارة عن باب يؤدى لدھليز

مستطيل ينتهى يسارا بباب يفتح على حجرة التسييل ، أما باب الدخول الحالى لحجرة التسييل والذي يجاور الباب السالف الذكر فقد كان يؤدى إلى دهليز مستطيل مغلق مغطى بقبو ربما كان من ملاحق حجرة التسييل ، ويشغله الآن دورة مياه حديثة .

مدخل الكتاب : (لوحة ١٤) ، يجاور كتلة الدخول للسبيل جهة اليمين مدخل معقود يؤدى إلى دهليز ينتهى بسلم صاعد للكتاب حيث يفتح فى النهاية بباب على حجرة الكتاب وذلك فى الجدار الجنوبى الغربى (هذا الباب مسدود حاليا واستبدل بباب فى الجدار الجنوبى الشرقى كما سبق القول) .

(الأنسبة العثمانية بمدينة القاهرة - د. محمود حامد الحسينى /

١٢٢-١٢٦) .

❖ الخسرو جردى :

قال السمعانى :

الخُسْرُو جَرْدَى : بضم الخاء المعجمة وسكون السين المهملة وفتح الراء وسكون الواو وكسر الجيم وسكون الراء وفى آخرها الدال المهملة ، هذه النسبة إلى خسرو جرد ، وهى قرية من ناحية بيهق وكانت قصبتها ثم صارت القصبة سبزوار ، خرج منها جماعة من الأئمة مثل أبى سليمان داود بن الحسين ابن عقيل بن سعيد الخسرو جردى البيهقى كان شيخا مكثرا رحالا ، سمع بنيسابور يحيى بن يحيى التميمى وإسحاق بن إبراهيم الحنظلى وعمرو بن زرار ، وبمرو على بن حجر وعلى ابن خشرم ، وبلاخ قتيبة بن سعيد ، وبالعراق عبد الله بن معاوية الجمحى ونصر بن على الجهضمسى ، وبالحجاز أبا مصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى ويعقوب بن حميد بن كاسب ، وبمصر عيسى بن حماد التجيبى ومحمد بن رمح وحرملة بن يحيى ، وبالشام أبا التقي اليزنى ومحمد بن خلف العسقلانى وغيرهم ؛ روى عنه أبو حامد أحمد بن محمد بن الشرقى وأبو بكر بن على الحافظ وبشر بن أحمد الإسفرايينى وعبد الله بن محمد بن سلم وغيرهم ، ومات بقريته سنة ست وتسعين ومائتين ، وقيل سنة ثلاث .

وأبو يوسف يعقوب بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن الأزهر الخسرو جردى البيهقى ، كان قديم السماع حسن الأصول ، سمع أبا سليمان داود بن الحسين الخسرو جردى وأقرانه بذلك الناحية ، وسمع بنيسابور جعفر بن محمد الحافظ وعبد الله بن محمد بن شيرويه ، وسمع يوسف بن موسى المروذى عند اجتيازه به ، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ ، ذكر أنه توفى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة .

وأبو حامد أحمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الخطيب الخسرو جردى ، سمع أبا سليمان داود بن الحسين وعبدان بن عبد الحلیم الخسرو جرديين بخسرو جرد ، وإبراهيم ابن على الدهلى بنيسابور ، وأبا عبد الله محمد بن أيوب الرازى بالرى ، وعيسى بن محمد بن عيسى المروزى بمرو ، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ ، وذكره فى التاريخ ، فقال : أبو حامد الخسرو جردى شيخ كبير السن حسن المعرفة بالآدب وقلمما كان يرد البلد ، إنما كان ملازما لوطنه بخسرو جرد يخطب بها وهناك كتبنا عنه ، وتوفى بخسرو جرد فى شهر ربيع الأول من سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ... كذلك قال أبو أحمد التميمى .

(الأنساب للسمعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ /

٣٦٤ . انظر أيضا الباب لابن الأثير تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٥١٦) .

❖ الخسرو شاهى :

قال السمعانى :

الخسرو شاهى : بضم الخاء المعجمة وسكون السين المهملة وفتح الراء وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وفى آخرها الهاء ، هذه النسبة إلى خسرو شاه ، وهى قرية من قرى مرو على فرسخين مشهورة ، منها سعد محمد بن أحمد بن على بن مجاهد بن على الخسرو شاهى ، كان شيخا صالحا عفيفا تقيسا سليم القلب ، سمع جدى الإمام أبا المظفر السمعانى وأبا القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازى ، كتبت عنه قبل الرحلة ، وبعد رجوعى عنها ، وكانت ولادته فى

المحرم سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة، ووفاته في رجب سنة ثمان وأربعين وخمسمائة (الأنساب ٢ / ٣٦٤ . ٣٦٥).

وقد ذكر البدر العيني فيمن توفي من الأعيان في سنة ٦٥٢ هـ الخسروشاهي المتكلم عبد الحميد بن عيسى شمس الدين وقال عنه:

أحد مشاهير المتكلمين، وممن اشتغل على الفخر الرازي في الأصول وغيرها، ثم قدم الشام فلزم الملك الناصر داود بن الملك المعظم وحظى عنده.

وقال أبو شامة: وكان شيخا نبيها فاضلا متواضعا حسن الظاهر.

وقال السبط: كان كيسا، محضر خير، لم ينقل عنه أنه أذى أحدا، فإن قدر على نفع وإلا سكت.

توفي رحمه الله بدمشق، ودفن بقاسيون على باب تربة المعظم اهـ.

له ترجمة في: المنهل الصافي، فوات الوفيات، ٢ / ٢٥٧ رقم ٢٤٥، مرآة الزمان ٨ / ٧٩٣، النجوم الزاهرة ٧ / ٣٢، العبر ٥ / ٢١١، شذرات الذهب ٥ / ٢٥٥، البداية والنهاية ١٣ / ١٨٥، الذيل على الروضتين ١٨٨.

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٣٦٤، ٣٦٥، وعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين محمود العيني - حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ١ / ٩٤ وهامش (١) للمحقق. انظر أيضا الباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ١ / ٥١٦، ٥١٧).

* الخسروية (جامع ومدرسة):

جامع ومدرسه الخسروية (أو الخسرفية) إحدى مدارس حلب التي قمنا بزيارتها يوم الإثنين ٩ صفر ١٤١٢ هـ / ١٩ أغسطس ١٩٩١ م، وتقع في منتهى المحلة المعروفة بالسفاحية. وفي شرفها المدرسة السلطانية الواقعة تجاه باب القلعة. وقف عليها خسرو باشا ومصطفى باشا ابن سنان باشا. تولى الخطابة بها عدد من علماء حلب. وتعد أول عمارة أنشئت بحلب منذ الفتح العثماني، وتدعى اليوم الثانوية الشرعية (معادن الذهب / ٢٣٥).

قال عنها خير الدين الأسدي وقد أدرجها تحت محلة السفاحية: وفيها الخسروية وهي جامع كبير ومدرسة وتكية ومطبخ، وتمنح طلابها حاليا درجة الثانوية الشرعية. أمر بعمارته خسرو باشا عام ٩٥١ (أحياء حلب وأسواقها / ٢١٧). (معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب لأبي الوفاء بن عمر الحلبي العرفي - حققه وشرحه د. محمد التونجي / ٢٣٥، وأحياء حلب وأسواقها لخير الدين الأسدي - تحقيق عبد الفتاح رواس قلعه جي / ٢١٧).

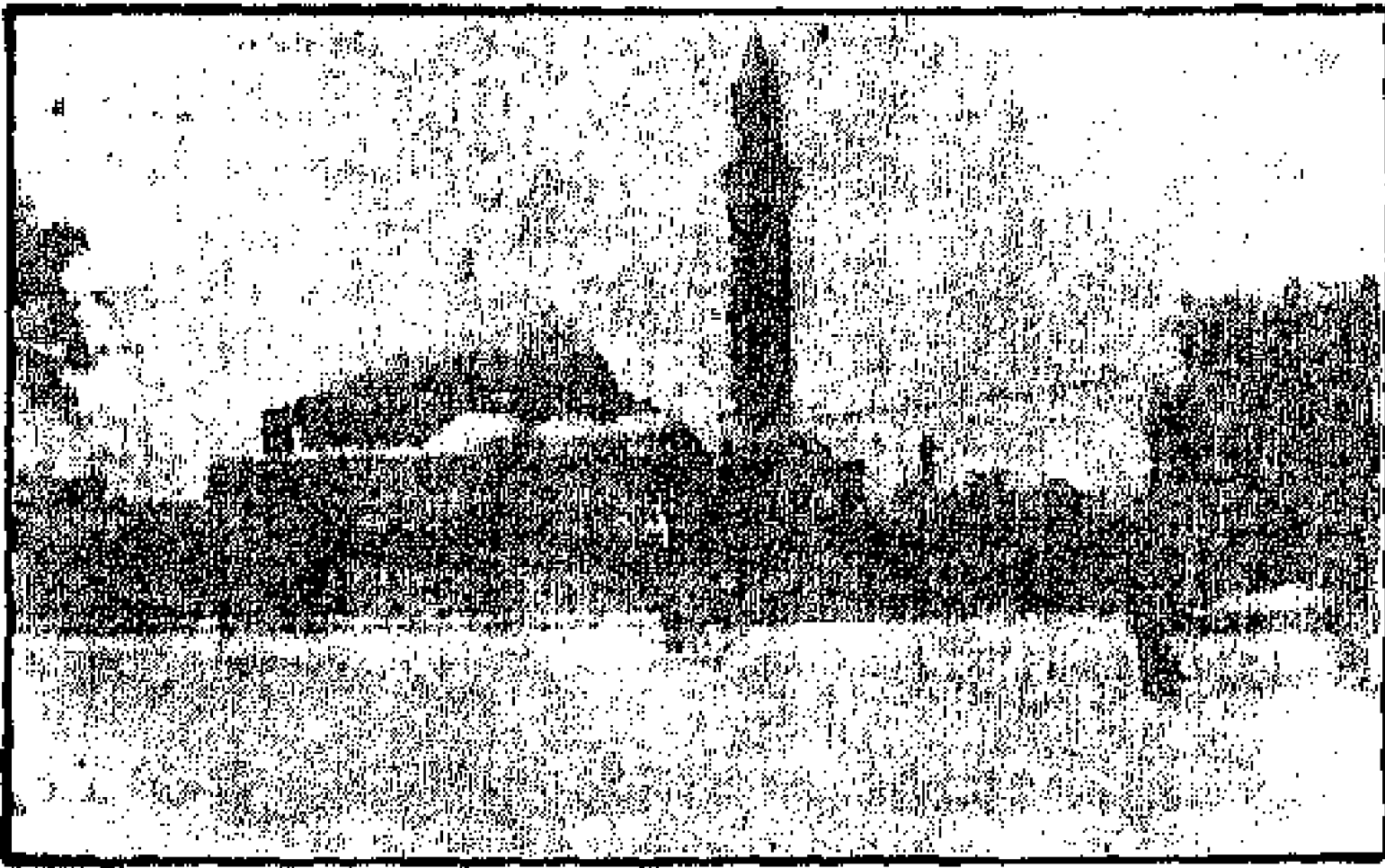
قالت المؤلفة: كانت زيارتنا لهذا الأثر العجيب في خلال العطلة الصيفية، وحين صحبتنا المسؤول عن المدرسة في جولة في أنحائها وجدنا أطفالا عاكفين على قراءة القرآن الكريم، وعلمنا أن الإدارة تستغل المبنى في تلك الفترة لعقد فصول لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم.

* الخشب:

قال السمعي:

الخشب: بفتح الخاء والشين المعجمة وفي آخرها الباء المنقوطة بواحدة، هذا اسم لمن يبيع الخشب، والمشهور بهذه النسبة جماعة، منهم سليم بن مسلم الخشاب من أهل مكة، يروي عن ابن جريج وسعيد بن بشير، روى عنه محمد ابن أبان ومحمد بن مالك والناس، يروي عن الثقات الموضوعات التي يتخايل إلى المستمع لها وإن لم يكن الحديث صناعته أنها موضوعة، وكان يحيى بن معين يزعم أنه كان جهميا خبيثا - قاله أبو حاتم بن حبان.

وإبراهيم بن عثمان بن المثنى الأزرق الخشاب



المدرسة الخسروية

أبو عبد الله بن منده الحافظ الأصبهاني وأبو علي الحسين بن علي الحافظ وأبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب الصبغى وغيرهم، وتوفي بنيسابور يوم الأضحى سنة ثلاثين وثلاثمائة.

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن عيسى بن مزيد الخشّاب المديني من أهل أصفهان، ثقة مأمون، حدث عن أحمد بن مهدي وأبي بكر عبد الله بن محمد بن النعمان وأبي خالد القرشي وهشام السيرافي وغيرهم من البصريين، روى عنه أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الحافظ، وتوفي في شوال سنة خمس وأربعين وثلاثمائة.

(الأنساب للسمعان - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٣٦٦، ٣٦٧. انظر أيضا الباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥١٧).

«ابن الخشّاب (٤٩٢ - ٥٦٧ هـ / ١٠٩٩ - ١١٧٢ م):

الخطيب الحافظ المحدث أبو محمد عبد الله بن الخشّاب المتوفى سنة ٥٦٧ هـ هو عبد الله بن أحمد بن أحمد ابن عبد الله بن نصر، المعروف بابن الخشّاب، من أئمة اللغة والنحو في عصره. ولد ببغداد سنة ٤٩٢ هـ، وسمع منه على الربيعي وابن النرسي، وأخذ العربية عنه ابن الشجري وابن الجواليقي. قال ابن النجار: «كان أعلم أهل زمانه بالنحو، وله معرفة بالحديث واللغة والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة، وما من علم من العلوم إلا كانت له فيه يد حسنة» وقال الذهبي: «كان إليه المنتهى في حسن القراءة وسرعتها وفصاحتها مع الفهم والعذوبة، وانتهت إليه الإمامة في النحو، وكان ظريفاً مزاحاً. وقد عُذ من أعلم أهل وقته فيه، مع الحظوة الكبرى في سائر الفنون، فذاع اسمه، وكان حسن الخط والحظ فانتفع الناس به (كتاب الوفيات / ٢٨٦) وله مصنفات في النحو وغيره، فمن النحوية «شرح جمل الزجاجي»، و«الرد على ابن بابشاذ» وغيرهما (نشأة النحو / ٢٠٦).

توفي ببغداد سنة ٥٦٧ هـ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد قريبا من بشر الحافي. له كتب منها «نقد المقامات الحريية» و«المرتجل في شرح الجمل»، للزجاجي، و

أبو إسحاق، مصري روى عن يونس بن عبد الأعلى والحسن ابن سليمان وغيرهما، توفي في رمضان سنة ثلاث وثلاثمائة.

وأحمد بن عيسى اللخمي الخشّاب، حدث عن عمرو بن أبي سلمة وغيره. توفي بتنيس سنة ثلاث وسبعين ومائتين، كان مضطرب الحديث جدا.

وسعيد بن يحيى الخشّاب، أندلسي وشقي، توفي بها سنة ثمان عشرة وثلاثمائة - قاله ابن يونس.

وأبو محمد عبد الله بن مزيد الخشّاب، أصفهاني، يروي عن أحمد بن يوسف الرقام وغيره، روى عنه أبو بكر بن مردويه الحافظ وأبو بكر بن أبي علي الأصبهاني.

وأبو سعيد محمد بن علي بن محمد الخشّاب، من أهل نيسابور، صاحب أبي عبد الرحمن السلمي وخادمه كتب الكثير من كتبه، وروى عن أبي طاهر بن خزيمة والمخلدي والخفاف وأبي نعيم الأزهري وغيرهم، روى لنا عنه محمد بن الفضل الفسراوي وهبة الله بن سهل السدي وأبو المظفر بن القشيري بنيسابور، وأبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامي بمرو، وأبو عبد الله الحسين بن أحمد البيهقي بخسروجر، وكان فيه لين، وتوفي سنة نيف وخمسين وأربعمائة.

وأبو الفتح محمد بن عبد الرحمن الخشّاب الكاتب، ووالده أبو الفضل، كان من الكتبة الفضلاء، وأبو الفضل كان له شعر رائق وخط فائق، سمع الحديث بنيسابور من أبي القاسم القشيري وفاطمة بنت أبي لعي الدقاق وأبي القاسم الفضل بن عبد الله بن المحجب، وبأصفهان من أبي منصور محمد بن أحمد بن علي بن شكرويه القاضي وغيرهم، لقّيته بمرو غير مرة وكتبت عنه بأصفهان في دار شيخنا الحسين الخلال الأديب، وتوفي بكشانية في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، وحمل إلى مرو ودفن بها.

وأما الخشّاب لقب أبي حامد أحمد بن محمد بن يحيى ابن بلال البزاز، قيل له الخشّاب لا لبيعه الخشب، بل لأنه يسكن الخشابين بنيسابور، وكان يكره هذه النسبة، وكان من الثقات الأثبات المكثرين، سمع أبا الحسن أحمد بن يوسف السلمي وعبد الرحمن بن بشر بن الحكم وطبقتهما، روى عنه

وقال الشعر الرائق والنثر الفائق، وصحب بالطف سجاياه
ودمائه أخلاقه وكرم شمائله أرباب المظاهر من الكتاب
والأمراء والتجار وتنافسوا في صحبته وارتاحوا لمنادمته،
وكان الوقت إذ ذاك غاصا بالأكابر في هنيئ من
العيش.

ولما رتب الفرنساوية ديوانا، لقضايا المسلمين تعين في
كتابة التاريخ لحوادث الديوان؛ لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء
بضبط الحوادث اليومية في سجلهم وتوزيعها على الجيش،
فكان يرقم كل ما يصدر في المجلس من أمر أو نهى أو
خطاب أو جواب أو خطأ أو صواب (الخطط ٥ / ٢١٤) وكانوا
ينشرونها في صحيفة «التنبيه» (المفصل ٢ / ٣٤).

وقرروا له كل شهر سبعة آلاف فضة مضافة لما هو فيه من
حرفة الشهادة، وكان ديوانهم ضحوة يومين في الجمعة،
فجمع من ذلك عادة كراريس ولا أدري ما فعل بها.

ولما رجع الشيخ حسن العطار من سياحته رافقه ووافقه
ولازمه، فكانا يقطعان الليل بأحاديث أرق من نسيم السحر
ويجولان في فنون الأدب والتاريخ والمحاضرات وهما حينئذ
فريدا عصرهما لم يعززا بثالث في تلك الشؤون التي أربت
على المثاني والمثالث. (الخطط ٥ / ٢١٤).

والخشب، بالإضافة إلى عصره، يعد من أفحل الأدباء،
وأبلغ الشعراء، وأبرع الكتاب، وشعره في الجملة يمتاز
بالسهولة والرصانة وقلة التكلف، وخاصة ما يتعلق منه بألوان
البديع.

وقد امتد به الزمن حتى أدرك عصر محمد علي الكبير،
ولكنه لم يل له عملا. وإذا كان محمد علي لم يستصنع
فذلك لأن السنة التي مات فيها (١٢٣٠ هـ) لم تكن الحاجة
قد دعت بعد إلى استخدام أصحاب البيان.

ولما توفي الخشب جمع صديقه الشيخ حسن العطار
أشعاره في ديوان خاص طبع بعد في الأستانة (المفصل ٢ / ٣٣٥).

ولم يزل على رفته ولطافته مع كرم النفس والعفة وكثرة
الإنفاق وكان له صاحب يسمى أحمد العطار بباب الفتوح
توفي فتزوج بزوجته وهي نصف، وكان لها ولد من المتوفى

«شرح مقدمة الوزير ابن هبيرة» في النحو وغير ذلك (كتاب
الوفيات / ٢٨٦).

وهذا الشرح في أربع مجلدات وله أيضا «الرد على
التبريزي في تهذيب الإصلاح» (الأعلام ٤ / ٦٧).

له ترجمة في إنباه الرواة ٢ / ٩٩، ومعجم الأدباء ١٢ /
٤٧، وذيل طبقات الحنابلة ١ / ٣١٦، والمتنظم ١٠ /
٢٣٨، وبغية الوعاة ٢ / ٢٩ - ٣١، والنجوم الزاهرة ٦ / ٦٥،
ومرآة الجنان ٣ / ٣٨١ (وفات الوفيات ٢ / ١٥٦).

(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسطنطيني - تحقيق
عادل نويهض / ٢٨٦ وهامش ١ للمحقق، ونشأة النحو - الشيخ محمد
الطنطاوي / ٢٠٦، والأعلام للزركلي ٤ / ٦٧، وفات الوفيات لابن شاعر
الكنبي ٢ / ١٥٦ هامش ٢١٢ للمحقق. انظر أيضا طبقات المفسرين
للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي / ١٠٠ هامش ٢
للمحقق).

«الخشب (إسماعيل) (١٢٣٠ هـ / ١٨١٥ م):

ذكره علي باشا مبارك في خططه عند الكلام على جامع
الكردي الذي بالمحسينية، ومن دفن فيه فقال تحت عنوان
«ترجمة سيدي إسماعيل الخشب»:

وممن دفن بهذا الجامع كما في الجبرتي نادرة الزمان السيد
إسماعيل بن سعد الشهير بالخشب توفي سنة ثلاثين ومائتين
وألف.

كان أبوه نجارا فتولع هو بحفظ القرآن، ثم بطلب العلم
فجد في التحصيل حتى نجب في فقه الشافعية والمعقول بقدر
الحاجة، ونزل في حرفة الشهادة بالمحكمة الكبرى وطالع
كتب الأدب والتاريخ؛ فحفظ كثيرا من الأشعار والمراسلات
والحكايات الصوفية انتهى (الخطط التوفيقية ٥ / ٢١٣،
٢١٤).

وكان قد أقبل على حفظ القرآن الكريم حتى أتمه، ثم
طلب العلم في الأزهر حتى أصبحت له مشاركة في كثير من
علومه تجرد في قراءة كتب الأدب والتاريخ والتصوف،
واستظهر كثيرا من الشعر ومحاضرات الأدباء ومراسلاتهم حتى
برع في هذا جميع لداته (المفصل ٢ / ٣٣٤).

يزيل الخفقان والكرب والغشى لكنه يولد الرياح ويصلحه
الأنيسون، ومن الكمثرى يحبس البخار عن الرأس ويصلح
السعال وحمى العفن والخشاف بأسره جيد لتصفية الخلط
وتنقية العروق وأردؤه ما عمل من المشمش وإصلاح ضرره
بالمصطكى أو العسل.

(تذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١ / ١٤٠،

١٤١).

«الخشاوري»

قال السمعاني:

الخشاوري: بفتح الخاء والشين المعجمتين والواو بعد
الألف وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى خشاورة وهي سكة
بنيسابور، منها أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم
القاري الخشاوري من أهل نيسابور، وكان على رأس سكة
خشاوره - ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ في التاريخ
فقال: إبراهيمك القاري، كان من الصالحين حدثونا أنه كان
يقرا عند أبي عمرو الحيري والمتقدمين من مشايخنا ولا نذكره
إلا شيئا هرما كان على رأس سكة خشاوره، سمع أبا زكريا
يحيى والسري بن خزيمة وأقرانهما بنيسابور، وبلغني أنه كان
كتب عن علي بن الحسن الداربيجدي ولم أسمع منه، ثم إنه
خرج مع أبي عمرو الحيري إلى هراة فسمع المسند الكبير من
عثمان بن سعيد الدارمي وعقد عليه مجلس لقراءة المسند،
وكان أبو عبد الرحمن بن الشيخ أبي بكر بن إسحاق يستعير
سماعه من ورثة أبي عمرو الحيري، ويقرا عليه، وتوفي يوم
الجمعة الخامس عشر من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين
وثلاثمائة، وصلى عليه الحاكم يحيى بن منصور ودفن في
مقبرة الحسين بن معاذ، وشهدت الصلاة عليه، وتوفي
وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وقد احدث دواء.

(الإنساب للسمعاني ٢ / ٣٦٨. انظر أيضا الباب لابن الأثير، ١ /

٥١٨).

«الخشب»

ويقال الحفر على الخشب، والتحف الخشبية

فتبناه ورفهه بالملابس وأشفق به وزوجه وأنفق في زواجه مالا
كثيرا ثم مات الولد؛ فجزع عليه جزعا شديدا وبكى وانتحب،
واختارت أمه دفنه بجامع الكردى بالحسينية ثم اتخذت مسكنا
ملاصقا لقبره أقامت به نحو ثلاثين سنة مع دوام عمل الثريد
والكعك بالعجمية والسكر للمقرئين والزائرين، والمترجم طوع
يدها في كل ما طلبته تسخيرا من الله تعالى لها ولأقاربها لا لذة
له في ذلك (الخطوط ٥ / ٢١٣-٢١٥).

قال الجبرتي: توفي يوم السبت ثاني شهر الحجة الحرام
بمنزله الذي استأجره بدير قرمز بين القصرين، وصلينا عليه
بالأزهر في مشهد حافل، ودفن عند ابنه المذكور بالحسينية
وكثيرا ما كنت أتذكر قول القائل في ذلك:

ومن تراه بأولاد السوى فرحاً

في عقله عجزه إن شئت وانتسب

أولاد صلب الفتى قلت منــــافهم

فكيف يلمح نفع الأبعد الجنب

مع أنه كان كثير الانتقاد على غيره فيما لا يداني انقياده

لهذه المرأة وحواشيها (الجبرتي ٣ / ٥٠٠، ٥٠١).

(الخطوط التوفيقية الجديدة لعلی باشا مبارك ٥ / ٢١٣-٢١٥،

والمفصل في تاريخ الأدب العربي - أحمد الإسكندري وزملائه ٢ /

٣٣٤، ٣٣٥، وعجائب الآثار في التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن

الجبرتي ٣ / ٤٩٩-٥٠١. انظر أيضا الأزهر وأثره في النهضة الأدبية

الحديثة - د. محمد كامل النقي ٣ / ١٤١-١٦٠).

«الخشاف»

قال عنه الشيخ داود الأنطاكي:

خشاف عجمي هو ما يغلي من الأجسام ذات الحلاوة

حتى يتارب التهرى ويؤخذ ماؤه فيشرب بالسكر وأجوده

المأخوذ من الزبيب الجيد وهو حار رطب في الثانية يصفى

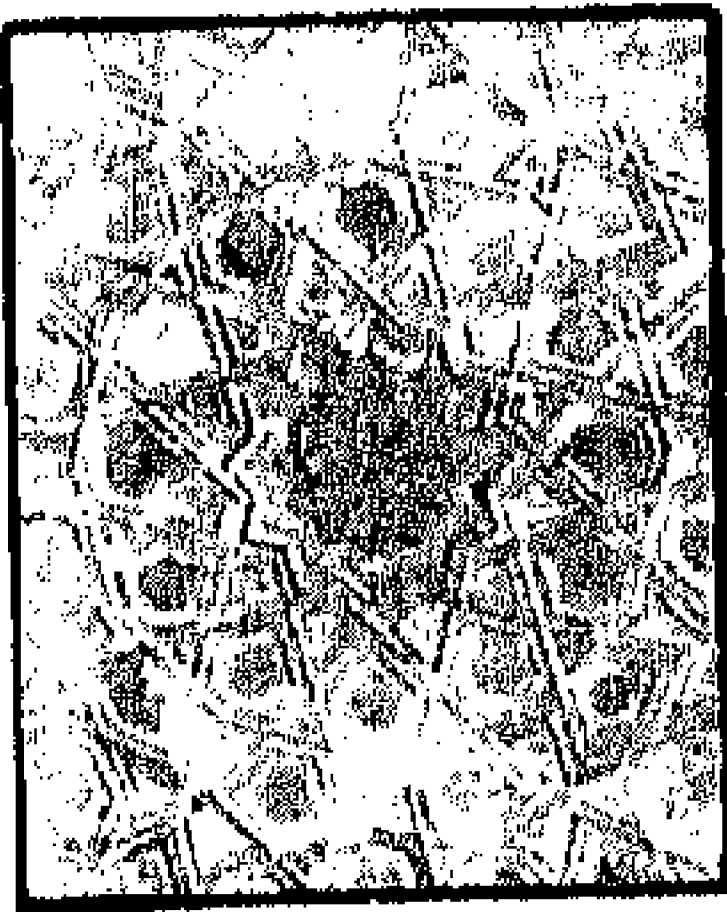
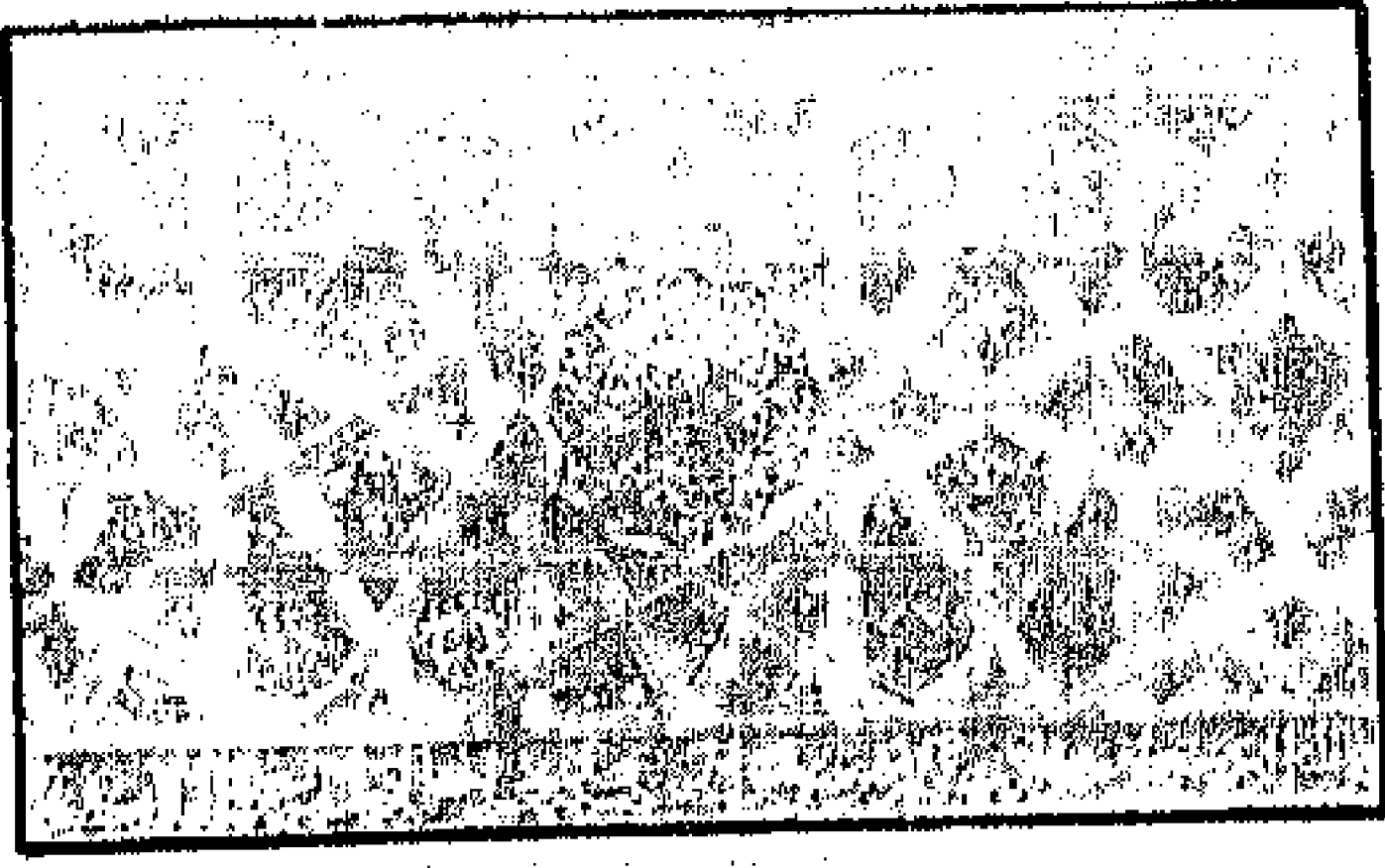
الصوت ويصلح الصدر ويفتح السدد ويزيل اليرقان ومبادئ

الاستسقاء وضعف الكبد وعسر البول والمعمول من الخوخ

يزيل العطش واللهيب والخلفة والأحلاط المحترقة وأوجاع

الطحال ومن السفرجل ينعش الأرواح ويقوى الأعضاء الرئيسة

والهضم ويزيل الصداغ ويخرج الثقل والعفونات، ومن التفاح



أصلها من الأبنية أو قطع الأثاث . وأقدم هذه القطع يرجع إلى القرن الثامن والتاسع الميلادي . وقد وجد في القرافة القديمة بالفسطاط حيث كان يستعمل - بعد كسره من الأبنية والآثاث - لمنع انهيار الأتربة في المدافن .

وتظهر الكتابة الكوفية في عصر الانتقال (من القرن السابع إلى التاسع)، ولكن حروفها لا تصل فيه إلى ما وصلت إليه بعد ذلك من أشكال زخرفية جميلة ... وقد تأثر الطولونيون بسامرا وبالفن العراقي في هذا الميدان، كما تأثروا بهما في العمارة وفي زخرفة المباني .

وتملك دار الآثار العربية [متحف الفن الإسلامي] وبعض المتاحف والمجموعات الأثرية المصرية والأجنبية تربيعة من الخشب الطولوني مصدرها إما المسجد الجامع أو القصور والأبنية الطولونية . ومن السهل تمييزها لأن ما عليها من زخرفة محفورة بعمق في الخشب تذكرنا بزخارف الطراز الأول من سامرا .

والأختاب الطولونية تمثل طراز الحفر منحرف الجوانب، وتظهر فيها الصناعة الطولونية التي تخلق زخرفة من بضعة فروع

كانت صناعة التحف الخشبية من الميادين البارزة في تاريخ الفنون الإسلامية

يقول الدكتور زكي محمد حسن عن فن الحفر في الخشب:

كانت مصر ولا تزال فقيرة في الخشب، فإن ما يوجد بها من الشجر لا يستخدم خشبه إلا لأعمال النجارة البسيطة، ومثل ذلك شجر السنط والجميز والزيتون والنبق والسرو.

وبدأت الحكومة منذ قيام الدولة الفاطمية في زرع الأشجار والعناية بالغابات . وإذا كان الغرض الأساسي من هذا العناية إنما كان استخراج الخشب اللازم لعمل مراكب الأسطول فإن جزءا كبيرا من الخشب المنتج استعمل في الأبنية والآثاث .

وعلى كل حال فقد كان استعمال الخشب ذائعا في مصر الديوع كله، ولا سيما أن جفاف الجو كان يساعد على حفظه في حالة جيدة . ومن ثم عمل التجار على استيراده من الأقطار المجاورة فكانوا يجلبون خشب الأرز والصنوبر من تركيا وسورية، والأبنوس من السودان، والتك من بلاد الهند، فضلا عن أن جنوب أوربا كان مصدرا كبيرا من المصادر التي استمدت منها مصر حاجتها من الخشب . وإذا صح ما ذكره المقرئى تبين أنه كان للخشب أسواق هامة في الفسطاط منذ العصر الطولوني (الخطط ١ / ٢٣٢، ٢٣٣).

ولم يستعمل المسلمون الخشب في مساجدهم بكثرة إذ لم يكونوا في حاجة إلى مذبح أو مقاعد أو غير ذلك من أثاث الكنائس . فلم يستعملوا الخشب إلا في السقوف والأبواب والمنابر والدكك، وفي عمل أشرطة الكتابة التاريخية أو الزخرفية، أو في ربط القوائم والأعمدة بعضها ببعض، وفي صناعة القباب أو تقويتها .

واستعمل الخشب أحيانا في صناعة محاريب منقولة، كالمحاريب الثلاثة المحفوظة بدار الآثار العربية [متحف الفن الإسلامي الآن] والواردة إليها من مساجد الأزهر والسيدة رقية والسيدة نفيسة .

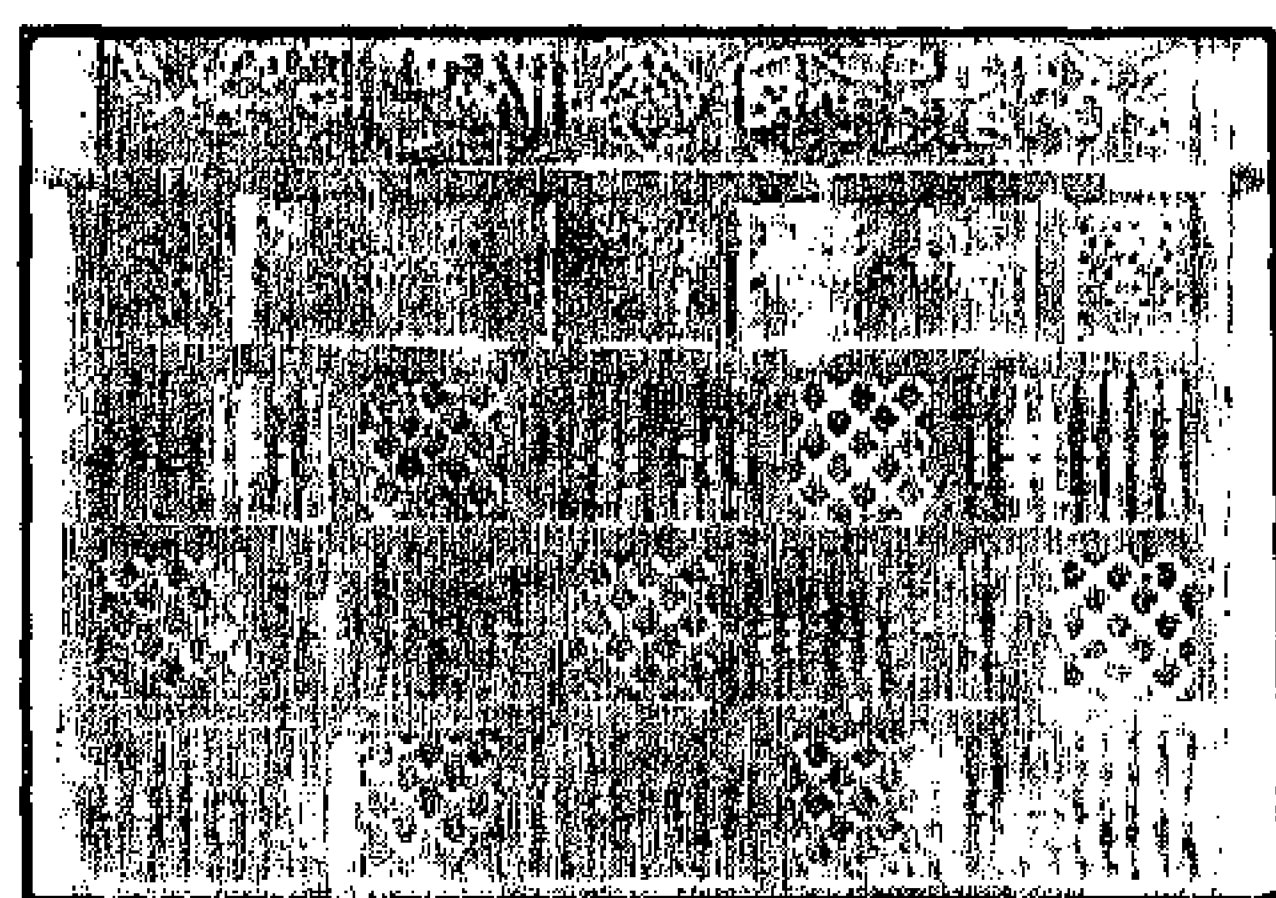
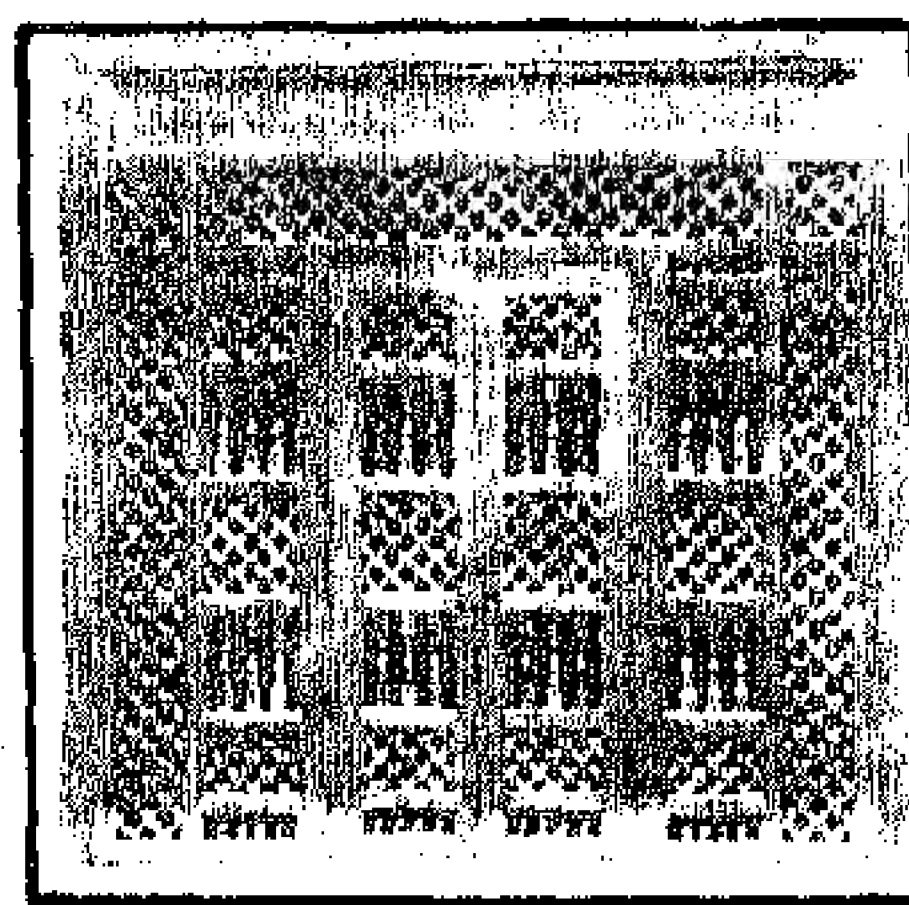
وقد وصلت إلينا قطع كثيرة من الخشب ذى الزخارف

على صورته وصور حظاياه والمغنيات اللاتي يغنيه
بأحسن تصوير وأبهج تزويق» (خطط المقریزی ١ /
٣١٦).

ولكن عبارة المقریزی لا توضح هل كانت هذه التماثيل
بارزة كلها ويمكن فصلها عن الجدران، أو كانت منقوشة
عليها بالبارز وتكون جزءا لا يتجزأ منها. ولكن الفرض الأول
أكثر احتمالا؛ لأن المقریزی يضيف على عبارته سالفه الذكر
أن خمارويه «جعل على رؤوس هذه التماثيل الأكاليل من
الذهب الخالص الأبريز الرزين والكودان المرصعة بأصناف
الجواهر وفي آذانها الأجراس الثقال الوزن المحكمة الصنعة
وهي مسمرة في الحيطان ولونت أجسامها بأصناف أشباه
التياب».

بقى علينا أن نشير إلى الأخشاب الطولونية ذات
الكتابات؛ فإن للجامع الطولوني طرازا من الخشب تحت
السقف بأعلى الجدران، عليه كتابة من آيات قرآنية حروفها من
الكوفي البسيط المعاصر لبناء الجامع. وقد نقشت هذه
الحروف بارزة في الألواح الخشبية، وليست قطعاً منفصلة
ومسمرة في الخشب كما ظن كوربت بك. وقد زعموا طويلا
أن القرآن كله كان مكتوبا في الإزار ولكن كوربت بك نفى
احتمال ذلك متهما من عدد حروف القرآن وطول الإزار أن هذا
لا يمكن أن يسع أكثر من $\frac{1}{3}$ من القرآن الكريم.

وكتابات الجامع الطولوني ليس فيها عناصر زخرفية فهي
نموذج مما كان عليه الخط الكوفي قبل تطوره. والمعروف أن
الحروف الكوفية لم يكن لها في القرن التاسع الميلادي
المسحة الزخرفية التي اكتسبتها في العصور التالية؛ فإنها
كانت لا تزال الحروف المربعة ذات الزوايا، بالرغم من أن
الكوفي المشجر ثابت وجوده في النصف الثاني من القرن
الثالث الهجري، كما يتبين من شاهد قبر محفوظ بدار الآثار
العربية [متحف الفن الإسلامي] وتاريخه ٢٤٣ هجرية (٨٥٧
م). وفضلا عن ذلك فقد لاحظ «فلوري» استعداد الحروف
للتحول إلى زخرفة في كتابة صغيرة تحيط بأحد الشبايك
الجصية المخرمة الموجودة في الجامع الطولوني.



وخطوط حلزونية تغطي الأرضية كلها، ويتجلى فيها الإبداع
والبراعة النادرة. وقد يغطي التريعة من الخشب الطولوني رسم
تخطيطي، أو آخر موضوعاته نباتية تحيط به أشربة من أقراص
صغيرة محفورة، أو فروع مستديرة، أو مربعات، أو أشكال
مستطيلة.

وفي متحف اللوفر بباريس قطعة من تريعة من الخشب
يرجع عهدها إلى العصر الطولوني. وتمثل زخرفتها طائرا
تقليديا، جناحه وساقاه على شكل فروع نباتية ونقوش حلزونية
الشكل، كما أن في دار الآثار العربية قطعة تمثل زخرفتها
عصفورين متقابلين.

ونجد في الأخشاب الطولونية التأثير العراقي الكبير الذي
يميز هذا الفن في خلال العصر الطولوني...

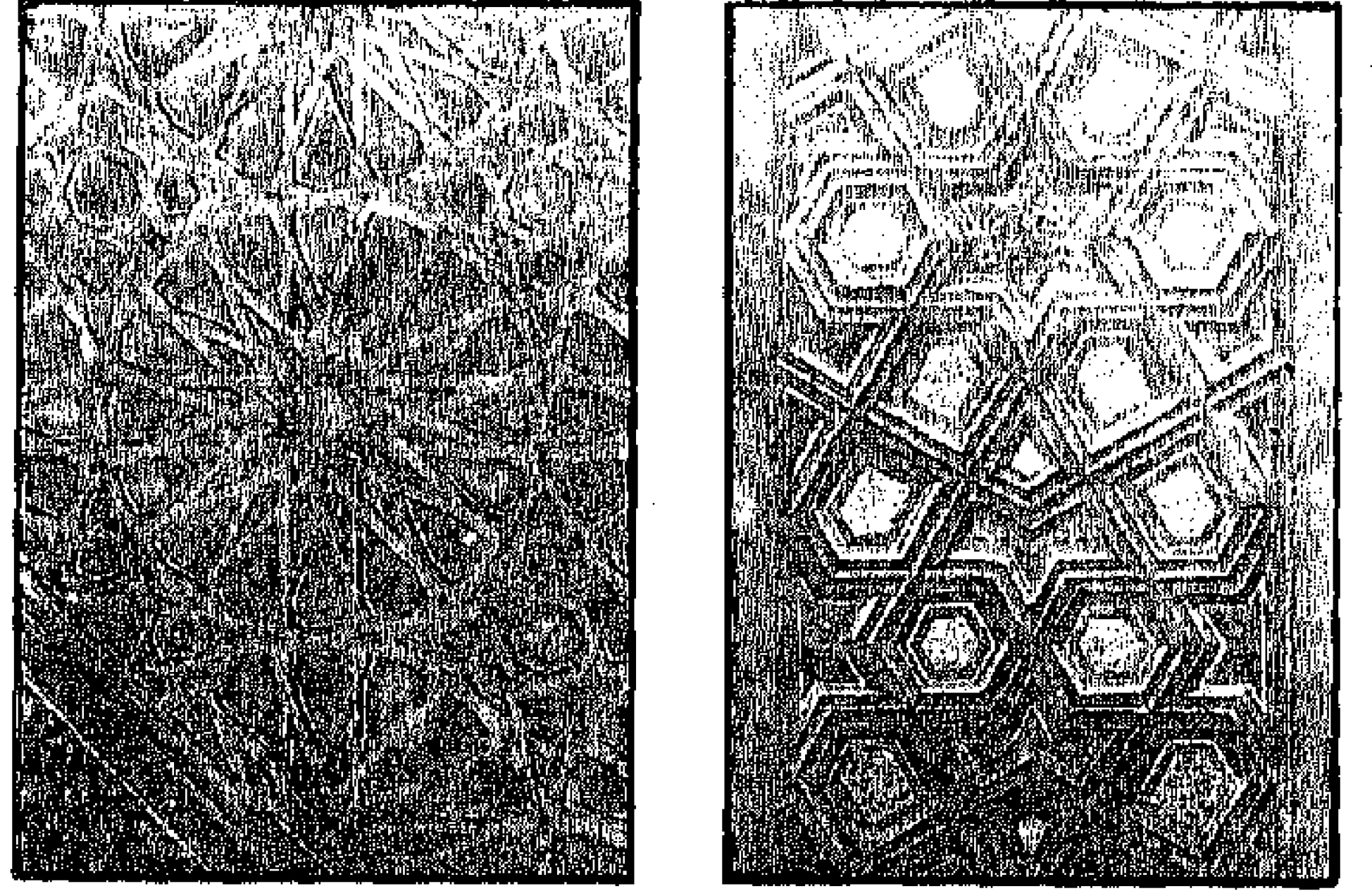
وتقودنا إلى هذه النتيجة أيضا التماثيل الخشبية التي
اتخذها خمارويه، والتي لا نعرف عنها إلا ما ذكره المقریزی
عن وصف «بيت الذهب» من أن خمارويه «جعل فيه على
مقدار قامة ونصف صورا، في حيطانه بارزة من خشب معمول

الطبيعة في حفر العناصر الزخرفية، كعناقيد وأوراق العنب والورقة النباتية ذات الثلاثة الفصوص والفروع الملتوية التي تحصر بينها العناصر الزخرفية الموروثة عن الفن الهلنستي.

أما الأخشاب التي تنسب إلى صدر العصر العباسي (القرن ٢ - ٣ هـ) (القرن ٨ - ٩ م)، فتمتاز زخارفها بالدوائر ذوات المركز الواحد ورسوم العقود المتشابكة والمستطيلات الصغيرة المفرغة؛ ولكن التطور الفني في الحفر في الخشب تأثر بقدوم ابن طولون إلى مصر سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) فقد أخذ يظهر في صورة جديدة لم تكن معروفة في مصر قبل ذلك، سواء في تكوين العناصر الزخرفية أو في طريقة الحفر، فالأخشاب الطولونية مزينة بزخرفة محفورة حفرا مائلا وتمثل بضعة فروع وخطوط، وقد يؤلف منها رسم تخطيطي محور عن الطبيعة لحيوان أو طائر. ويلاحظ أن هذا الأسلوب الجديد في الحفر والزخرفة يذكرنا بأسلوب الطراز الأخير من طراز الزخرفة في الجص العباسي في سامرا.

أما أخشاب العصر الفاطمي (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ) (٩٦٩ - ١١٧١ م) فتوجد منها مجموعة طيبة في حالة جيدة من الحفظ، وطبيعي أن أساليب الحفر في الأخشاب التي تنسب إلى بداية هذا العصر، كانت لا تزال وثيقة الصلة بالأساليب التي كانت شائعة في عصر الدولة الطولونية.

وبانتهاء عصر الخليفة الحاكم سنة ٤١١ هـ (١٠٢٠ م) تنتهي الفترة الأولى من عصر الفاطميين في مصر وتبدأ الفترة الثانية التي تشمل حكم الخليفين الظاهر والمستنصر والتي تطور فيها الحفر في الخشب إلى أقصى ما بلغه في عهد هذه الدولة. بدأت الفترة الثانية حيث أخذت الأساليب الزخرفية الطولونية تختفي تدريجيا بينما زادت الدقة في الحفر والإتقان العظيم في نقش الفروع النباتية والأوراق فضلا عن التوفيق العظيم في استعمال رسوم الحيوانات والطيور عنصرا زخرفيا وتمثيل الطبيعة في إخراج هذه الزخارف أصدق تمثيل. ومن أبرز أمثلة الحفر في الخشب لهذه الفترة مجموعة من ألواح خشبية عثر عليها بمارستان قلاوون ولكن طراز زخارفها يشهد بأنها ترجع إلى العصر الفاطمي.



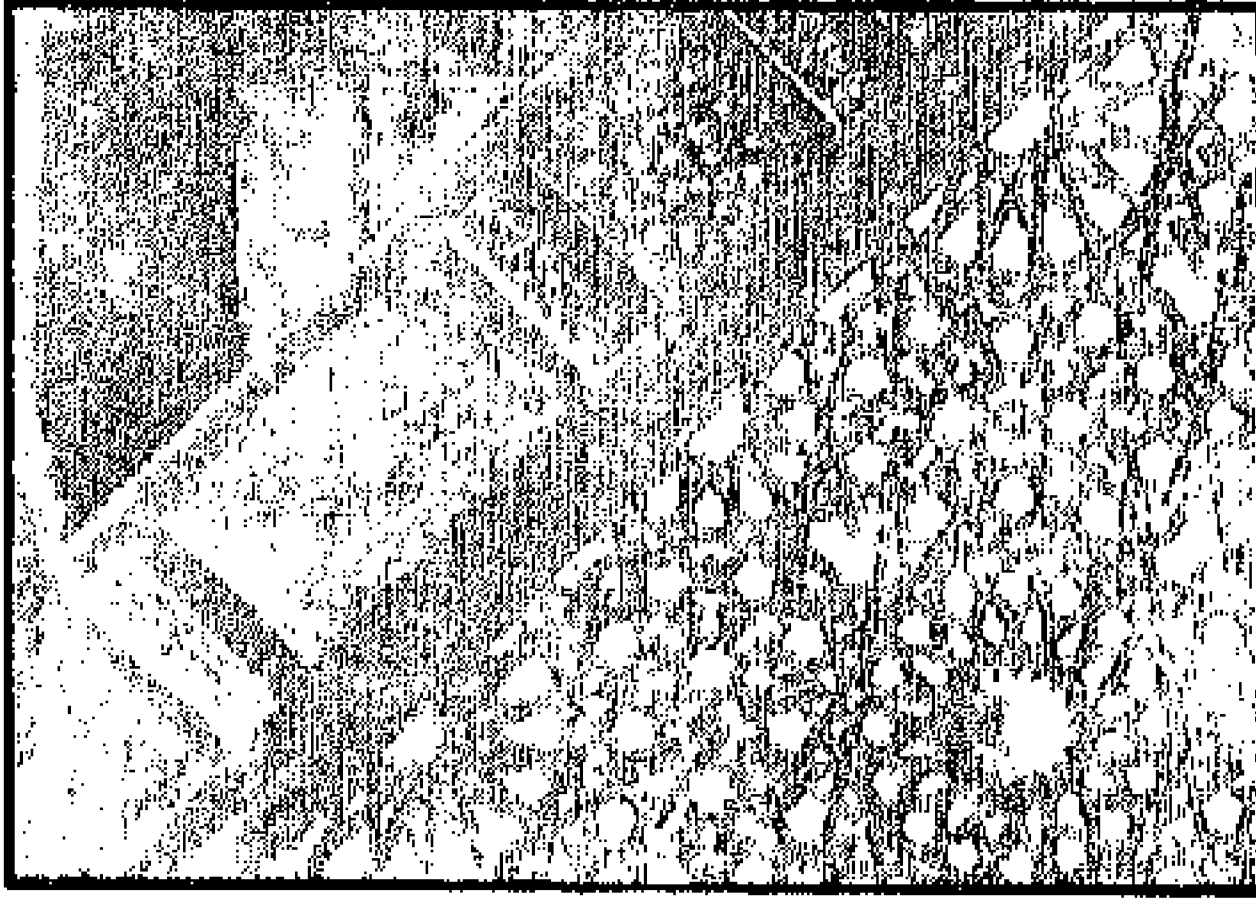
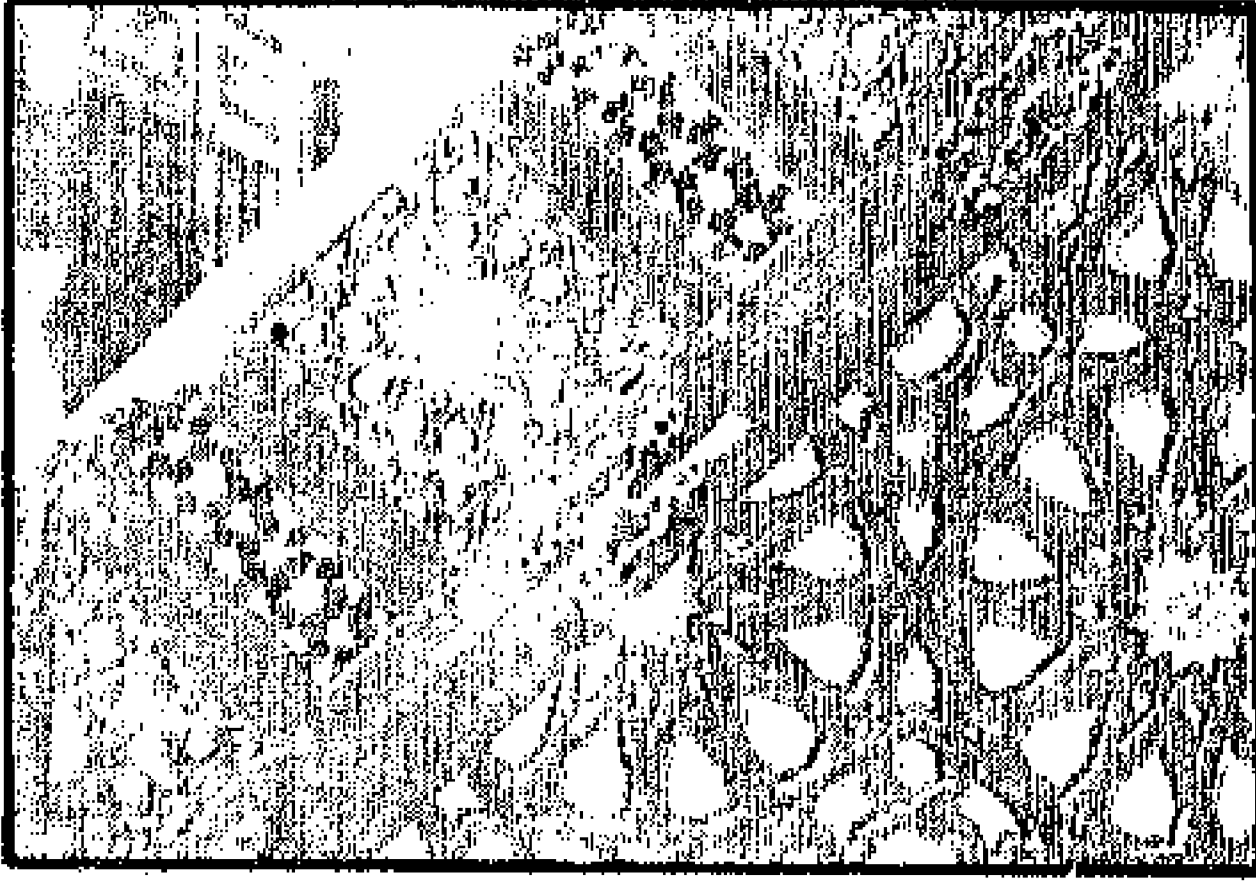
زخرفة من الخشب

بقي علينا قبل أن نختم الكلام على الخشب الطولوني أن نشير إلى الأثر الذي كان لصناعته على الأخشاب الفاطمية في القرن التالي، كما يتبين من باب جامع الحاكم، حيث أكثر التريعات الخشبية تزيينها زخارف نباتية عميقة الحفر وظاهر فيها تأثير الصناعة الطولونية (الفن الإسلامي في مصر/ ٩١ - ٩٧، ٩٩).

وإليك ما جاء عن فن الحفر في الخشب في دليل متحف الفن الإسلامي من واقع ما يحتويه من تحف خشبية:

في متحف الفن الإسلامي مجموعة طيبة من الأخشاب التي تنسب إلى مختلف العصور الإسلامية، عثر على عدد كبير منها في حفائر الفسطاط وعين الصيرة ومعظمها من الأخشاب التي استعملت في العمائر أو قطع الأثاث.

وأهم ما يلاحظ في أخشاب العصر الأموي ٤١ - ١٣٢ هـ (٦٦١ - ٧٥٠ م) وضوح التأثيرات الساسانية والهلنستية والقبطية فيها، سواء في طريقة الحفر العميق أو تصوير



والجديد في زخارف هذه الألواح (وهي معروضة في القاعة ٦) أنها تضم رسوما كثيرة لأشكال آدمية في مناظر صيد أو موسيقى أو رقص وطرب وغير ذلك من المناظر التي تصور الحياة الاجتماعية لهذا العصر، كما أن هذه الزخارف توجد داخل مناطق ذات أرضية نباتية بالنقش البارز في مستوى أقل بروزا من مستوى الرسوم الآدمية، ومعنى ذلك أن الزخارف في الحفر على هذه الألواح في أكثر من مستوى واحد.

أما التحف الخشبية التي ترجع إلى الفترة الأخيرة من حكم الفاطميين ابتداء من عصر المستعلي سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) فأهم ما تمتاز به أن الفنان بدأ يتجه نحو زخرفة المساحات الكبيرة من غير أن تكون الزخرفة فيها وحدة مستمرة لأن زخرفة هذه المساحات كانت عن طريق تجميع عدة حشوات صغيرة ذات أشكال نجمية أو مسدسة، وعلى كل حشوة منها زخرفة قائمة بذاتها. وفي محراب السيدة رقية المعروف في المتحف الإسلامي (انظر الصورة) مثال واضح لهذا التطور في زخارف أخشاب هذه الفترة. أما العناصر الزخرفية لهذه التحف فتألف من رسوم هندسية وأخرى نباتية في غاية الدقة وتشتمل على سيقان ووريقات بينها أوراق العنب وحباته مرسومة في أسلوب يمثل الطبيعة أحسن تمثيل. كما أن الكتابات الكوفية أذنت بالتجويد وببداية الخط النسخ، هذا إلى جانب استمرار استخدام رسوم الطيور والحيوانات في الزخارف غير أن هذه الرسوم كانت أقل تفصيلا من مثيلاتها في القرن الخامس الهجري (١١ م).

أما في عصر الدولة الأيوبية (٥٦٤ - ٦٤٨ هـ) (١١٦٨ - ١٢٥٠ م) فقد احتفظت صناعة الحفر على الخشب في هذا العصر بالأساليب الفنية التي كانت مستعملة في نهاية العصر الفاطمي، ولكن الذي نلاحظه في التحف الأيوبية أن الخط النسخ يحل محل الخط الكوفي في معظم الحالات وأن الزخارف النباتية في الحشوات تزداد دقة وإبداعا كما أن زخارف بعض الحشوات، وخصوصا التي ترجع إلى صدر هذه الدولة وتنسب إلى سوريا، تظهر فيها التأثيرات الساجوقية بوضوح.

أما في عصر دولتي المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ) (١٢٥٠ - ١٥١٧ م) فقد استطاع الفنان أن يبدع في زخرفة الحشوات

بالرسوم الدقيقة وأصبح العنصر الزخرفي السائد في ترتيب الحشوات تجميعها بحيث تؤلف أطباقا نجمية وأجزاء من أطباق. أما رسوم الحشوات فكانت تمتاز بأنواع المرواح النخيلية والفروع النباتية والوريقات وما إلى ذلك مما تبدو فيه الثروة الزخرفية جلية واضحة. وطبيعي أن استعمال هذه الحشوات المتكررة جعل زخارف الخشب المملوكي خالية من أي موضوع زخرفي رئيسي يظهر بوضوح بين تفاصيل ثانوية تحف به. وأقبل الفنان في عصر المماليك على إنتاج التحف الدقيقة ولا سيما المنابر والخزانات والأبواب والكراسي والدكك، كما ازدهرت أساليب أخرى في زخرفة الخشب كتطعيم الحشوات بخيوط أو أشرطة رفيعة من نوع آخر من الخشب أغلى ثمنًا وأندر وجودًا أو بالعاج والعظم، كما استخدم الفنان أيضا طريقة الترصيع وذلك بأن يكسو التحفة الخشبية بطبقة دقيقة من الفسيفساء تتألف في الغالب من قطع صغيرة من الأبنوس والسن وتلصق على السطح كله، كما كانت بعض الأخشاب تزخرف بنقوش ملونة ومذهبة تتألف من زخارف نباتية أو كتابات ورنوك.

نفيسة وتزين حنيتها عناصر نباتية وأشربة هندسية تكون أشكالاً متعددة الأضلاع، وله إطار مزين بالخط الكوفي المزخرف الذى يقترب - بسبب طبيعته اللينة - من الخط السخى. وظهر المحراب مقسم إلى حشوات مستطيلة ذات نسب مختلفة زخارفها نباتية وهندسية، ورقة وأنسجام وتكامل زخارف هذا المحراب، تذكرنا بالقدرة الفائقة على جمع أسلوبين من أساليب الزخرفة فى وحدة واحدة، وهما الأسلوب الهندسى العلمى وأسلوب الأرابيسك الذى يعتمد على الخط اللين يدفعه الشوق الصوفى إلى الملاذ الأعلى فى المطلق (الفن الإسلامى / ٢٨٢، ٢٨٣).

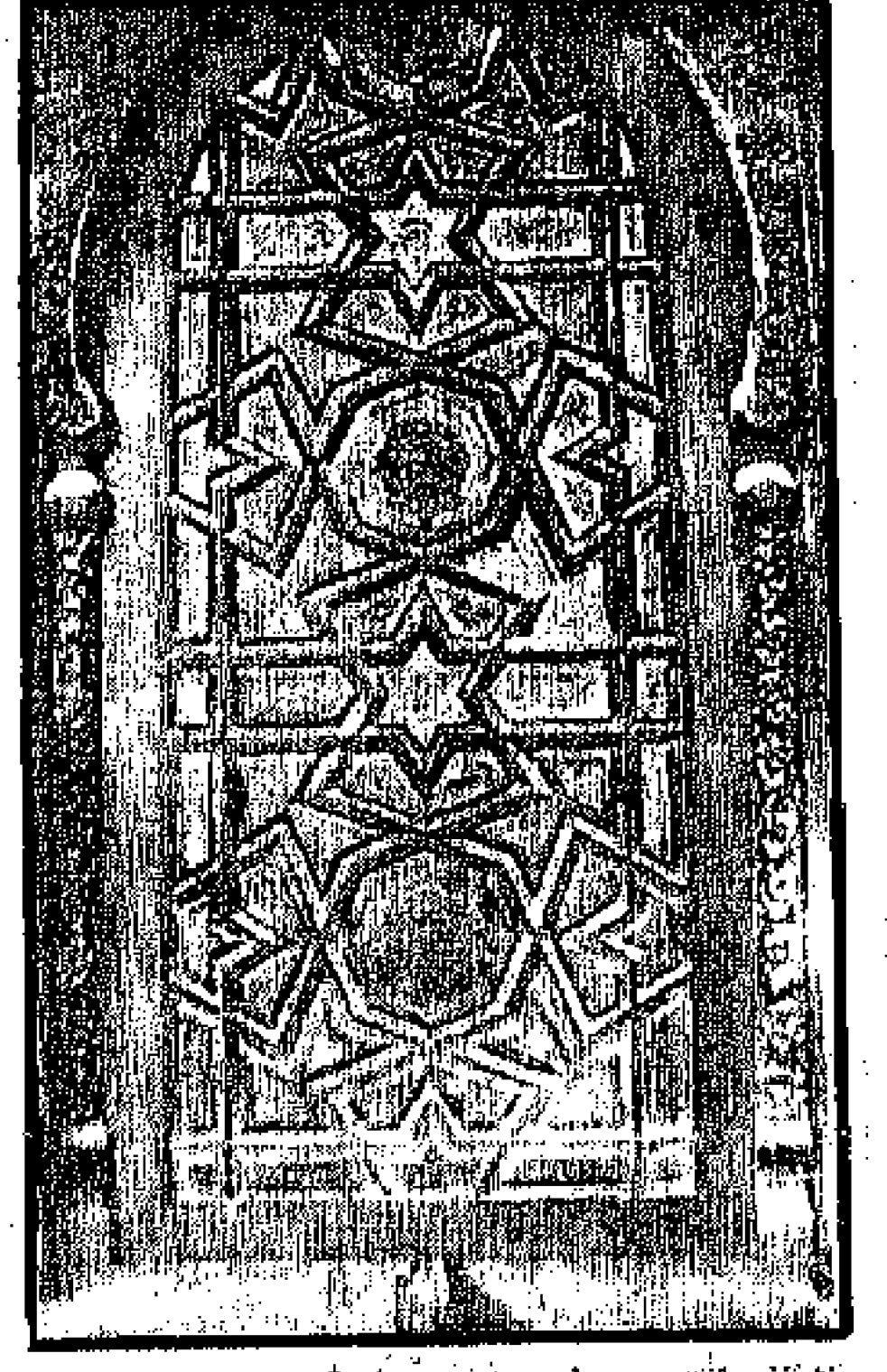
وعن فن الحفر فى الخشب عند المسلمين يقول الأستاذ أنور الرفاعى.

فأما فى الخشب فقد وصلنا من العصرين الأموى والعباسى عدة أمثلة منها حشوات فى المسجد الأقصى بالقدس. وباب أموى، فى الغالب، مملوء بالزخارف الهندسية والنباتية، ومنبر جامع عقبة فى القيروان، المتميز بالإتقان. ويبدو أن الحفر الخشبي تقدم فى مصر فى العهد الطولونى ولكنه بلغ أوجه فى العصر الفاطمى إذ دقت الزخرفة وظهر التفريغ الدقيق.

ومن أمثلة ذلك تابوت قبر سكينه (فى دمشق). وظلت هذه الصناعة محتفظة بأساليبها وانتشارها فى العهد الأيوبي والمملوكى وقد تركت لنا عددا كبيرا من المحاريب والنوافذ والحواجز والمنابر والتوابيت. (كتابوت صلاح الدين بدمشق) وقد تأثر الحفر فى العهد السلجوقى فى إيران وآسيا الصغرى بأساليب الشام ومصر وترك لنا تحفا محدودة كما تأثرها حفارو الأندلس. غير أن العصر المغولى والتمورى أدخل على الزخارف الخشبية عناصر جديدة أكثر حياة وشبها بالطبيعة من الزخرفة الفاطمية (تاريخ الفن / ١٦٥، ١٦٧).

ويقول الدكتور عبد الرحمن زكى:

وتابوت الإمام الشافعى يعتبر أروع ما وصل إلينا من التحف الخشبية الأيوبية، وهو مصنوع من خشب الساج على هيئة منشور مستطيل يعلوه جزء هرمى الشكل، وجميع جوانبه



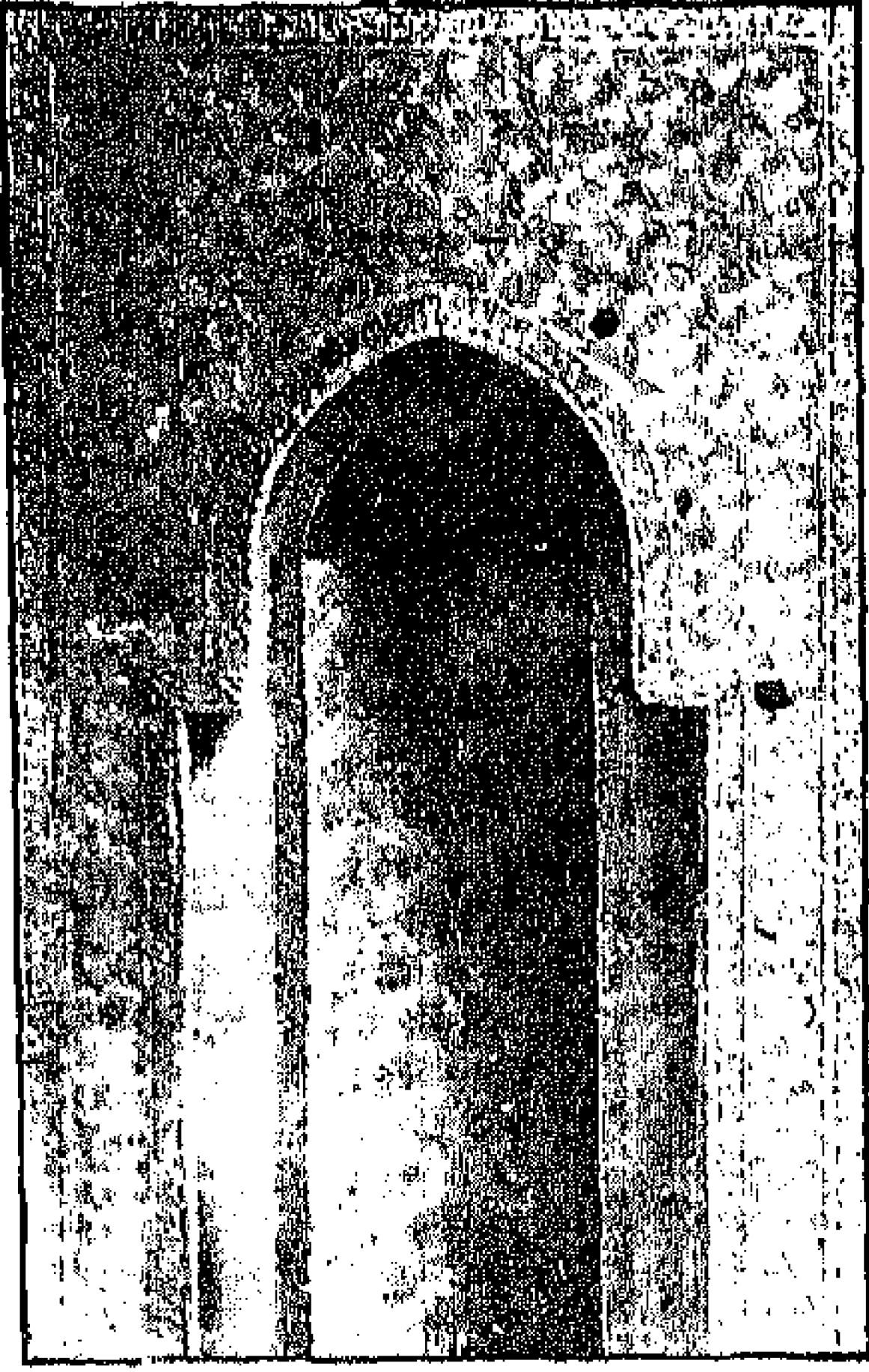
زخارف الخشب

وقد ازدهرت فى هذا العصر صناعة الشبكيات من الخشب المخروط حيث استعملت فى صناعة المشربيات التى تكسو واجهات المنازل وفى مقصورات المساجد. وكانت فتحات العيون فى المشربيات تتفاوت اتساعاً بأن يملأ بعضها بقطع من الخشب المخروط لتؤلف كتابات أو رسوماً.

ومنذ نهاية القرن التاسع الهجرى (١٥ م) كان للعوامل الاقتصادية والسياسية أثرها فى الضعف الذى تسرب إلى هذا الفن وغيره من الفنون الأخرى فقل ظهور الرسوم الزخرفية كما استخدم العظم بدلا من العاج فى التطعيم وكثر استعمال الحشوات البسيطة الخالية من الزخارف والمهياة فى خشب التحفة نفسه بدلا من الحشوات ذات الزخارف المحفورة والمطعمة بالعاج التى امتاز بها العصر المملوكى الزاهر.

(دليل متحف الفن الإسلامى / ٤١ - ٤٤).

ويوجد فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ثلاثة محاريب خشبية، نقالى، تعود إلى القرن ١٢ م. أبدعها محراب السيدة



نوبة (٦٥) محراب
من الخشب المزخرف
بالحفر - من مشهد
البيعة ريفية - القرن
١٢

الأربعة مغطاة بحشوات منقوشة بزخارف نباتية دقيقة الصنع. والنصوص التي نقرأها على هذا التابوت تنقسم قسمين: قسم بالخط الكوفي مثبت على حشوة كبيرة بمقدمة التابوت، وقسم منقوش في نهاية الجزء الهرمي الذي يعلو التابوت وهو بالخط النسخ والنص هو: «عمل هذا الضريح المبارك للإمام الفقيه أبي عبد الله بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد الله بن عبد يزيد بن الهاشم بن المطلب بن عبد مناف رحمه الله صنعت (كذا) عبيد النجار».

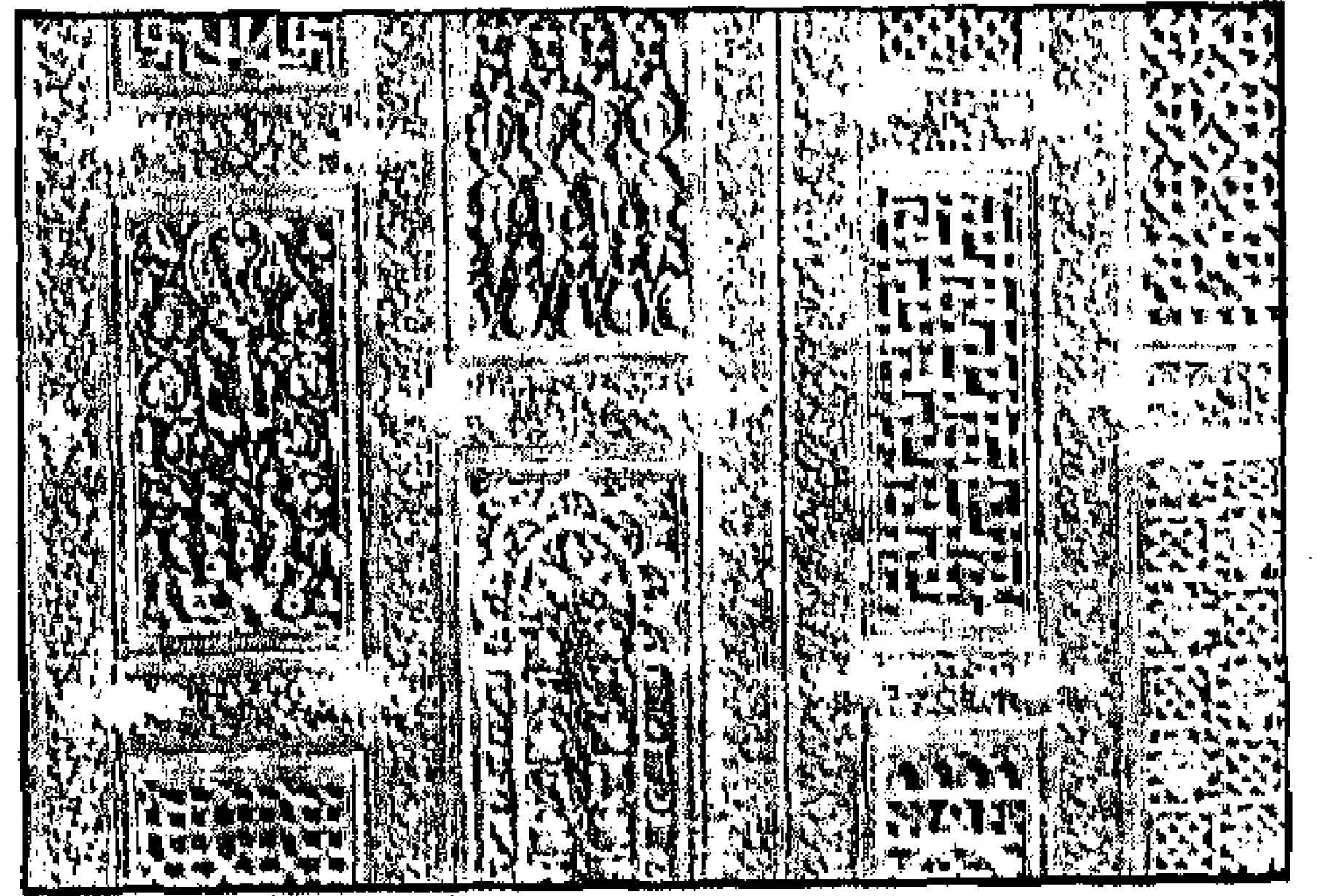
وإلى جوار تابوت الإمام الشافعي يوجد تابوت آخر موضوع فوق تربة زوجة الملك العادل وهو لا يقل أهمية من الناحية الفنية أو التاريخية عن تابوت الإمام الشافعي، وهو مصنوع من الخشب وتتألف جوانبه من حشوات مجمعة ذات زخارف نباتية دقيقة تؤلف فيما بينها أطباقاً نجمية ويتضمن نصاً تاريخياً بالخط النسخ (الفن الإسلامي / ٤٤، ٤٥).

وأنفس قطع الخشب المحفورة التي وصلتنا تعود إلى عهد الخليفة هارون الرشيد، وأهمها منبر جامع القيروان في تونس (انظر الصورة)، وقد زخرف حسب الطراز العباسي، واستعملت فيه أشكال أغصان دالية العنب المتداخلة، وعليها

أوراقها، ومعها أكواز الصنوبر بدلا من عناقيد العنب، ويعد منبر جامع القيروان تحفة نادرة لمدرسة بغداد في فن الحفر على الخشب؛ وتدل الزخارف على براعة فائقة في تنفيذ التفاصيل الدقيقة على السطوح النافرة، والتضاريس المختلفة.

وقد استمر استعمال أشكال الصنوبر الذي ظهر أول مرة في العهد الأموي حتى العهود اللاحقة، وأصبح أحد العناصر الزخرفية الهامة في الزخرف الإسلامي والرقش، كما استعملت اللوحات الخشبية المحفورة أو الحشوات في تزيين السقوف والأبواب، وبعضها لوّن بألوان جميلة جذابة بالإضافة إلى تحفيرها (الأمويون، والعباسيون، الأندلسيون / ١٢٠).

(الفن الإسلامي في مصر - د. زكي محمد حسن. الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الثانية ١٩٩٤ / ٩١-٩٧، ٩٩ ودليل متحف الفن الإسلامي / ٤١-٤٤، والفن الإسلامي - أبو صالح الألفي / ٢٨٢، ٢٨٣، وتاريخ الفن عند العرب والمسلمين - أنور الرفاعي / ١٦٥، ١٦٧، والفن الإسلامي - د. عبد الرحمن زكي / ٤٤، ٤٥، والأمويون. والعباسيون. الأندلسيون - وجدان على نايف / ١٢٠. انظر أيضا «الفنون الزخرفية» - د. سعاد ماهر. دراسات في الحضارة الإسلامية الهيئة المصرية



١٧ - تفصيل لمنبر القيروان بتونس

العامّة للكتاب ١٩٨٥، المجلد الأول / ٣١٥ - ٣٢١، والفنون الإسلامية - م. س. ديمانند - ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم د. أحمد فكري / ١١٥ - ١٣٠ والفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي - د. ربيع حامد خليفة / ٦٣ - ١٥٠.

«الخشخاش»:

من مصنفات التراث الإسلامي في طب الأعشاب:

ويسمى الخشخاش في مصر أيضا (أبو النوم). وتستعمله النساء لنوم الأطفال أورده المظفر الرسولي نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية»

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان» فيما يستعمله الإنسان

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسي قال:

الخشخاش: «ع» منه بستاني، وبزره أبيض، ومنه برى، وبزره أسود، وله رءوس إلى العرض مائلة، ومنه صنف ثالث برى أصغر من هذين الصنفين، وأشد كراهة، وله رءوس مستطيلة. وجميع الخشخاش قوته قوة تبرد، والخشخاش الذي يزرع في المناهل، بزره ينوم تنويما معتدلا قصدا، ولذلك صار الناس ينثرون منه على الخبز، ويأكلونه، ويخلطونه بالعسل. والثاني من جنس الأدوية. والدوائية عليه أغلب، ويرد تبريدا بليغا. والثالث هو أكثر دخولا في جنس الأدوية، ويبلغ من شدة تبريده أن يحدث خدرا وتماوتا، فلا يستعمله إلا الطبيب المجيد، ليكسر قوة تبريده، لأنها في الدرجة الأخيرة الرابعة من درجات الأشياء المبردة. والأبيض منه إذا سحق الرأس منه كما هو بقشره، وحمل على مقدم الدماغ، سكن الصداع الحار ونوم، وإذا سحق الرأس كما هو بقشره وأضيف إلى مثله حلبة مسحوقة، وطبخ بماء أو ماء ورد، بحسب حرارة العلة، ووضع على الرمء في ابتدائه، سكن الوجع، وردع المادة، وإذا خلط بالأدوية النافعة من السعال، بحسب استعماله مطبوخة أو ممسكة، نفع من

السعال الرقيق المادة، بأن يغلظها، ومن الحرارة بأن يعدلها، ومما ينصب من الدماغ، بأن يمنعه من انصباب الموائد إلى الحلق.

«ج» خشخاش أبيض: هو البستاني، وهو أصالح الخشخاش للأكلة، وأجوده الحديث الرزين، وهو بارد رطب في الدرجة الثانية، وقيل في الثالثة، وقيل إنه يابس في الثانية، وهو نافع من السعال البارد، ونسازل الصدر، ونفث الدم، والمواد الحارة النازلة من الرأس... وقشره أشد تقويما من بزره إذا طبخ وصب ماؤه على الرأس، والأسود هو البرى المصرى. وهو بارد يابس في الثالثة، وقيل في الرابعة، وقد يستعمل في وجع العين إذا اشتد عند الضرورة إليه، على خطر فيه، وهو نافع من شدة حرارة الكبد، وقد مر ما يؤخذ منه دانقان، وهو منوم مخدر، يحتمل في فتيلة فينوم وخبخاش بحرى، ثمرة معقفة كقرن الثور ويعرف بالمقرن، وهو مقطّع شديد الجلاء، يطلى به النقرس مع اللبن.

«ف» الخشخاش الأبيض معروف. وهو صنفان: برى وبستاني، ينفع من السعال والنوازل في الصدر، وجرمه يحبس البطن، وماؤه يسهل. الشربة منه: ثلاثة دراهم. والأسود برى وبستاني، وأجوده المصرى الحديث الرزين، وهو بارد يابس في الثانية وينقى الصدر، وبالشراب للإسهال المزمن، ومنه يصنع الأفيون، أى من عصارتها، وهو من الأدوية المسببة، إذا دق وأغلى وصب ماؤه على الرأس ينفع من الصداع الحادث من إحراق الشمس، ومن الحرارة التي في البدن، فإذا أحرق وأخذ رماده، وطللى على الجرب مع دهن الخل ودهن الورد في الحمام، وترك حتى ينزل من تلقاء نفسه بالعرق، نفع مزمنه. والمقرن البحرى مقطّع، شديد الجلاء، وورقه نافع من القروح السوسخة، ويأكل اللحم الزائد، ويقطع الخشكريشات، وكذلك زهره، ولا يصلح للقروح الظاهرة لفرط جلالته. (المعتمد ١/ ١٢٧، ١٢٨).

كما أورده الشيخ داود الأنطاكي فقال عنه: الخشخاش: إذا أطلق يراد به النبات المعروف في مصر بأبى النوم وهو أبيض هو أجوده وأحمر أعدله وأسود أشده قطعاً وأفعالا وزهر

كل كلونه وقد يزهر أصفر وله أوراق إلى خشونة ما ويطول إلى نحو ذراع ويخلف هذا الزهر رؤوسا مستديرة غليظة الوسط يجمع آخرها قمعا يشبه الجلائر لكن أدق تشريفا وداخلها نقطة كان تلك النشاريف خطوط خارجة منها وداخلها هذه بزر مستدير صغير كما ذكرنا من الألوان وقد تكون الحبة الواحدة ذات ألوان كثيرة وكله إما برى مشرف الورق مزغب كثيرا أو بستاني ويزرع الخشخاش بأواخر طوبة إلى تمام أمشير ويدرك بمرمودة ومنه يستخرج الأفيون والخشخاش بارد يابس لكن الأسود من البرى فى الرابعة والأبيض البستاني فى الأول وغيرهما فى الثالثة هذا من حيث جملة فإذا فصل كان بزره حارا رطبا فى الثانية على الأرجح وقشره كما سبق فإذا دق بجملة رطبا وقرص كان مرقدًا جالبا للنوم مجففا للرطوبة محللا للأورام قاطعا للسعال وأوجاع الصدر الحارة وحرقة البول والإسهال المزمن والعطش شربا وطلاء ونطولا وكذا إن طبخ بجملة بعد الإنضاج لكن يكون أضعف ويفعل قشره كذلك أما بزره فنافع لخشونة الصدر والقصة وضعف الكبد والكلى مسمن للبدن تسمينا جيدا إذا لوزم على أكله صباحا ومساء أو خبز مع الدقيق ومتى أضيف إلى مثله من اللوز وعمل حشوا وشرب سمن المهازيل وقوى الكلى وأذهب الحرقة وولد الدم الجيد وقشره يقطع الزحير والثقيل مع النيمرشت شربا ويحلل الأورام بدقيق الشعير طلاء وإذا نقع فى ماء الكزبرة وعمل طلاء على الجمرة والقروح والنملة الساعية أذهبها ويصب طبيخه على الرأس فيشفى صداعه وأنواع الجنون كالبرسام والماليخوليا وزهره عظيم النفع فى المراقدة ويقع فى الأكحال لأجل الحرقة وقروح القرنية والإكثار منه يسدر ويثبت والأبيض يضر الرئة ويصلحه العسل أو المصطكى والأسود الرأس ويصلحه المرزنجوش والشربة من زهره إلى نصف درهم ومن قشره إلى درهم ومن بزره إلى عشرة والأسود نصف ما ذكر وبدله الخس.

والخشخاش الزبدي نبت طويل الأوراق مزغب الساق أبيض جلاء حاد مقطع والخشخاش المقرن نبت له ورق كالجرجير يشبه المنشار فى تشريفه له زهر أصفر يخلف قرونا معوجة فيها بزر كالحلبة حار يابس فى الثالثة يقطع الأخلاط

الغليظة اللزجة بالقيء والإسهال وينفع من الاستسقاء وربما اشتبه بالجبلهيك والفرق بينهما عدم صفرة هذا والمعروف بجلائر الحبشة هو الخشخاش البرى لا المقرن والزبدي خلافا لمن زعمه (تذكرة أولى الألباب ١ / ١٤٠).

وقال عنه القزويني :

الخشخاش : يورث النعاس كالخس وهو أبيض وأسود وأحمر وأما الأبيض فنافع للسعال جدا من نوازل الصدر ومع العسل ... وأما الأسود فممنوم جدا وصاحب السهر إذا ضمده به جبهته انتفع به، عصارة المصرى تسمى أفيونا، وهو مخدر مسكن كل وجع شربا وطلاء، الشربة منه مقدار عدسة، وإذا طلى به الرأس سكن وجعه لكنه يبطل الفهم والذهن وإن طلى به النقرس سكن وجعه (غرائب المخلوقات / ١٨٦).

وقد بسط ابن سينا الكلام عليه وتناول الخصائص الطبية لأنواعه المختلفة فقال :

الخشخاش أصناف كثيرة، منها البستاني . ويتخذ من بزره خبز يؤكل فى الصحة . وقد يستعمل أيضا مع العسل بدل السمسم . رأس هذا الصنف مستطيل ، وبزره أبيض . ومنها البرى ، له رؤوس إلى العرض ، وبزره أسود . ومن الناس من يسميه راوس ، لأنه تسيل منه رطوبة لينة . ومنه صنف ثالث برى ، أصغر من الصنفين ، وأشد كراهة ، له رؤوس مستطيلة ، وقوة الثلاثة الأصناف مبردة . وينبغى أن تدق الرؤوس وهى طريئة ، ويعمل منها أقراص ويجفف ويخزن .

وأما صمغة الخشخاش ، فإنما تستخرج إذا زال عنه الظل الذى يقع على النبات ، بأن يشق بالسكين حول رأس الخشخاش شقا رقيقا ، بقدر ما لا يثقب ، ويشرب جوانب الخشخاش شرطا ابتداءه من الشق الأول مارا على استقامة ، ولا يعمق الشرط . فإذا نبغ لبنه وصمغه أخذ بالإصبع ، ويجمع فى صدفة ، وعلى هذا ، كلما نبغ مسح ، وجمع فيها وقتا بعد وقت ، فإنه إذا مسح موضع الشرط وتركه قليلا ، وجد من الصمغة شيئا قد ظهر طول النهار ، ومن الغد ، ينبغى أن تؤخذ هذه الصمغة وتسحق على صلابة ، ويعمل منها أقراص الخشخاش ، ويخزن .

ومن الخشخاش صنف آخر سواحلى . وهو نبات له ورق

مخدر. وصاحب السهر إذا ضمد به جبهته انتفع وكذلك إذا نطل بطيخه، والزبدى منه إذا بقى شرباً في ماء القراطن انتفع به المصروعون، من جهة أنه ينقى معدهم خاصة. ودهنه مع دهن الورد صالح للصداع إذا سرخ به الرأس. على أن اجتنابه ما أمكن أولى. فقد يقطر طبيخه في الأذن الشديدة الألم فيسكن وجعها.

يستعمل البارد في أوجاع العين الشديدة عند الضرورة، وفيه خطر، كما قلنا في الأفيون، إلا أن يخلط ببعض الأدوية المانعة لمضرته، فيقل ضرره. نافع من السعال الحار، والنوازل إلى الصدر، ومن نفث الدم، وقد يتخذ منه لعوق نافع لذلك جداً، وخصوصاً إذا خلط بأقاريا وعصارة لحية التيس (اسم نبات). قال ابن ماسويه: إن بزر الأسود ينقى الصدر. وأما القشر فالأظهر من حاله أنه يعسر النفس، وفي جميع بزره تنقية. نافع من رطوبات المعدة. والبحري المقرن منه إذا طبخ أصله بالماء حتى ينتصف الماء، نفع من علل الكبد، ولمن في بطنه، خلط غليظ. وبزر الزبدى منه ينقى. وقيل هذا في البرى أيضاً. الأبيض الأسود إذا دق ناعماً وسقى بالشراب الأسود العفص قطع الإسهال المزمن، وليس يجلو طبيخته من قسوة مطلقة. ومع ذلك ينحل في الماء، وطبيخه القوى للطبخ إذا حقن نفع الدوسنطاريا، وإذا شرب بزره بشراب قراطن لين الطبيعة، وإذا سقى من الزبدى قدر أكسوف في ماء القراطن قياً ويسهل بزر الزبدى البلغم (القانون في الطب / ٢٩٩-٣٠٣).

وعن زراعة الخشخاش جاء ما يلي في مفتاح الراحة: قال ابن وحشية: وهذا نبات مشهور في أكثر البلدان، وهو نوعان: أبيض وأسود، أعنى بزره، وقد يطحن الأبيض منه، ويؤكل خبزه بعد أن يعجن ويخبز، فيغذو البدن، وينبغي أن يؤكل خبزه مع الحلاوات، وهو نبات شتوى يحب الأرض التي يخالط تربتها رمل، والتي فيها أدنى رطوبة ونز، والتي قد استنقعت، ويعيش بريح الشمال والغربية، ويذبل إن دامت عليه الجنوب الخالصة. وقد ينبت منه شيء لنفسه في البرارى والقفار، ويورد وردا نصف الورد الفوقى أسود، ونصفها الآخر أبيض، وينبغي ألا يقرب أحد هذا النبات فإنه

عليه زغب، مسرف الطرف كسرمق المنشار، مثل ورق الخشخاش البرى. وساق شبيه بساقه، وله زهر أصفر، وثمر صغار بغلف منحني كالقرون، وفيه بزر أسود صغار، وشبيه ببزر الخشخاش الأسود. وينبت أصله على وجه الأرض. غليظ أسود. ينبت في سواحل البحر وأماكن خشنة. ومن الناس من غلط وظن أنه يستخرج من هذا النبات.

ومن الخشخاش صنف آخر يسمى الخشخاش الزبدى. وإنما سمي بهذا الاسم لأنه يشبه بالزبد فى بياضه، له ساق طوليه نحو من شبر، وورق صغار، وله ثمر وهذا النبات كله أبيض. وساقه، وورقه، وثمره، شبه الزبد. وله أصل دقيق. ويجمع ثمره متى استكمل الفطم، وذلك يكون فى الصيف. وإذا جمع جفف وخزن. أجوده وأسلمه الأبيض. يجب أن تدق رؤوس الخشخاش من كل صنف طرياً، ويقرص ويخزن ويستعمل. وأجود ما يكون من صمغه شديد السريح من الطعم، حين الذوب، لينا، أملس، أبيض، ليس بخشن، ولا يجمد إذا خلط بالماء، كما يجمد الموم. وإذا وضع فى الشمس ذاب. وإذا قدم من لهيب السراج اشتعل، وإذا اطفئ كانت رائحته قوية. قيل: إنه يظلم العين، ويثقل السمع، وقال إدريوس الحكيم: إن هذا الدواء لولا أنه يغش لكان يعمى من يكتحل به. وقال آخر إنما ينتفع به من الرائحة فقط لينوم، وأما فى سائر الأشياء فهو ضار وقد - لعمري - إنهم غلطوا، وخالفوا ما يتعرف بالتجارب من قوة هذا الدواء، فإن ما يظهر منه عند التجارب يدل على حقيقة ما أخبرنا من فعله.

أصناف الخشخاش مبرده، وليس فيه تغذية يتغذى بها. والأسود منه مغلط، مجفف، والخشخاش البحرى المقرن الذى ثمرته معقفة كقرن الثور، حار، مقطوع، شديد الجلاء، وزهره البرى منه ينقى آثار قروح عين المواشى. وركى المقرن الساحلى نافع من القروح الوسخة، ويأكل اللحم الزائد لجلائه، ويقلع الخشكريات (التتوءات). وكذلك زهره، ولا يصلح للقروح الظاهرة لفرط جلائه. والبرى يتخذ منه ضماد بالزيت على القرح فيقلعها. يطلى البحرى مع اللبن على النقرس فينفع، وإذا طبخ أصل الخشخاش البرى ليذهب النصف، وسقى، نفع من عرق النسا. منوم. وخاصة الأسود

« خشدقم الأحمدي:

انظر: خشدقم اللالا.

« خشدقم الأحمدي (جامع.) أثر: ١٥٣

وصفه على باشا مبارك كما كان في زمانه فقال:

هذا المسجد بشارع درب الحصر من خط الخليفة . وله باب على الشارع وآخر داخل درب الحصر، وبه إيوانان ومنبر ودكة تبليغ من الخشب تحتها عمودان من الرخام، وبأعلاها لوح رخام منقوش فيه بليقة ذهبية: بسم الله الرحمن الرحيم «وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم» وبدايرة إزار خشب مكتوب فيه أسماء الله الحسنى، وتاريخ سنة سبعين وثمانمائة. وله مطهرة ومنازة، وهو الآن مقام الشعائر مع قلة أوقافه، وهو تحت نظر الديوان.

ولعل هذا الجامع هو جامع خشدقم اللالا الذي ذكره السخاوي في الضوء اللامع اهـ.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلی باشا مبارك ٤ / ٢٢٢).

« خشدقم (حارة):

حارة خشدقم أو خوشقدم ذكرها على باشا مبارك في خططه عند الكلام على شارع العقادين وكان يعرف أيضا بشارع الشوايين (ويعرف الآن بشارع الغورية) يقول على مبارك: وآخره باب سوق المؤيد الذي في مقابلة زاوية سالم. وعلى يسار المار بهذا الشارع باب حارة خوشقدم، وهي حارة الديلم التي ذكرها المقرئزي، وكانت كبيرة جدا، فإن درب الأتراك الذي تجاه سور الجامع الأزهر القبلي أصله منها، واليوم يفصل بينهما حارة الكحكيين فما كان يعرف بحارة الديلم في القديم صار الآن ثلاث حارات: حارة الكحكيين، ودرب الأتراك، وحارة خوشقدم.

حارة خوشقدم

والى الآن يوجد بحارة خوشقدم زقاق مشهور بحبس الديلم، وهو كدهليز صغير ضيق عليه باب ولا شيء فيه، واليوم فتح فيه باب منزل على يمين الداخل إليه.

جامع كافور الزمام (المدرسة الزمامية، أثر ١٠٧).

وبهذه الحارة من الآثار القديمة المدرسة التي تجاه منزل خسرو باشا، وتعرف الآن بجامع الديلمي، وهو جامع صغير

سم قاتل . وليس يحتاج الخشدخاش البستاني إلى إصلاح ولا إلى علاج، لقلة ما يعرض له من الآفات . وهو يزرع على وجهين، نثرا على الماء، ثم يغطى إذا نصب . أو يؤخذ منه برؤوس الأصابع فيجعل في حفائر صغار، ثم يطمر بالتراب . ومن أراد أن يكثر زريعته، فليزرعه في غلفه، فإذا زرع هكذا نبت منه أصل كثير، يكون منه قصب كثيرة إلا أنه يبطل، ويحتاج قبل زرعه أن تحرث له الأرض بشبر نصف ثم يزرع فيها .

الوصف والتشبيه:

وخشدخاش كأننا منه نفرى

قميص زبرجند عن جسم در

كأقصاد من البلصور صيت

بأغشية من السديساج خضر

(مفتاح الراحة / ١٣٢)

وقد أورد السيوطي هذين البيتين في حسن المحاضرة (٢ /

٤٢٨) ونسبهما لابن وكيع .

(المعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي - صححه وفهرسه

مصطفى السقا ١ / ١٢٧، ١٢٨، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر

الأنطاكي ١ / ١٤٠، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقرظيني /

١٨٦، والقانون في الطب لابن سينا - شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور.

قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطي / ٢٩٩ -

٣٠٣، ومفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن

الهجري - تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، ود. إحسان صدقي

العمد / ١٣٢، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن

السيوطي - بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ٢ / ٤٢٨. انظر أيضا معجم

أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي - جمع محمود مصطفى

الديماطي / ٥٢).

« خشداش:

معرب اللفظ الفارسي خواجاتاش، أي الزميل في

الخدمة . والخشداشية أو الخجداشية أو الخواجداشية في

اصطلاح عصر المماليك بمصر: الأمراء الذين نشأوا ممالك

عند سيد واحد فنبئت بينهم رابطة الزمالة القديمة (التعريف

بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل القبلي / ١٢٠).

باشا، ودار الأمير سليمان باشا أباطة (ويغلب على الظن أنها هي دار الأمير خوشقدم)، ودار الحاج محمد الطوير، والحاج سيد الخرزاتي، والسيد الحمصاني وغيرهم.

قالت المؤلفة: كما أن بها الآن بيت جمال الدين الذهبي كبير تجار مصر، وقد أفردنا مادة بعنوان «بيت جمال الدين الذهبي» في م ٨ / ٨٥، ٨٦ فانظرها في موضعها.

ويمضي على مبارك في الكلام على حارة خوشقدم فيقول: وبها سبع عطف منها أربع على يمين المار بها، وليست نافذة.

الأولى: عطفة شق العرسة (قالت المؤلفة: اسمها الآن عطفة خوشقدم): هذه العطفة يغلب على الظن أنها زقاق العريسة الذي ذكره المقرئ في ضمن الكلام على الحريق الذي حصل في القاهرة حيث قال: وقع الحريق بحارة الديلم في زقاق العريسة بالقرب من دار كريم الدين ناظر الخاص في خامس عشرى جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، وكانت ليلة شديدة الريح، فسرت النار من كل ناحية، حتى وصلت إلى بيت كريم الدين، وبلغ ذلك السلطان، فأنزعج انزعاجا عظيما لما كان هناك من الحواصل السلطانية، وجمعوا الناس لإطفائه، ووقف الأمير بكتمر الساقى، والأمير أرغون النائب على نقل الحواصل السلطانية من بيت كريم الدين إلى بيت ولده بدرى الرصاصى وخربوا ستة عشر دارا من جوار الدار وقبلتها حتى تمكنوا من نقل الحواصل. (انتهى). ودرى الرصاصى المذكور هو عطفة الحمام الآن.

الثانية عطفة الطاحون عرفت بذلك لأن بها طاحونا يطحن فيه بالأجرة.

الثالثة العطفة الصغيرة.

الرابعة عطفة الجامع، وبداخلها ضريحان: أحدهما لسيدى الغمرى، والآخر لسيدى الطباخ.

وثلاثة على اليسار: الأولى هي التي سماها المقرئ درى ابن المجاور، فقال: إن على يسرة من دخل من أول حارة الديلم دربا يعرف بدرى ابن المجاور بداخله دار الوزير نجم الدين بن المجاور وزير الملك العزيز عثمان، مات بمكة سنة ست وثمانين وخمسمائة. (اه).

بناؤه شركسى بغير عمد وشعائره مقامة، ومنافعه تامة، وبه منبر وخطبة، وله منارة، ويعرف أيضا بالجامع الحوانى، وبجامع كافور الزمام، وهو مدرسة حارة الديلم التي ترجم لها المقرئ ولم يذكرها.

حمام الجبيلى

وحمام الجبيلى له بابان: أحدهما من الكحكيين، والآخر من زقاق فى حارة خوشقدم يعرف بزقاق المزار، وهى حمام قديمة، سماها المقرئ حمام الجوينى، عرفت بالأمير عز الدين إبراهيم بن محمد الجوينى والى القاهرة فى أيام الملك العادل أبى بكر بن أيوب، لأنه أنشأها بجوار داره، وتنقلت إلى أن اشتراها القاضى أوحى الدين ياسين كاتب السر الشريف فى أيام الملك الظاهر برقوق بطريق الوكالة عن الملك الظاهر، وجعلها وقفا على مدرسته بخط بين القصرين، وهى الآن فى جملة الموقوف عليها. (انتهى ملخصا). وقال صاحب «قطف الأزهار»: هى باقية إلى اليوم، وتعرف بحمام الجبيلى (انتهى). (قلت): وهى لم تزل باقية إلى يومنا هذا يدخلها الرجال والنساء، وعليها حكر لوقف السلطان الغورى، وأظنها جددت فى عهده.

قال المقرئ: وهذه الحارة عرفت بحارة الديلم لنزول الديلم الواصلين مع هفتكين الشرابى حين قدم ومعه أولاد مولا معز الدين البويهى وجماعة من الأتراك فى سنة ثمان وستين وثلثمائة، فسكنوا بها، فعرفت بهم، ثم قال: وحارة الأتراك هى تجاه الجامع الأزهر، وتعرف اليوم بدرى الأتراك وكان نافذا إلى حارة الديلم. والوراقون القدماء تارة يفردونها من حارة الديلم، وتارة يضيفونها إليها ويجعلونها من حقوقها فيقولون حارة الديلم والأتراك وتارة يقولون حارتى الديلم والأتراك، وقيل لها حارة الأتراك لنزول جماعة من الأتراك بها، وكانت مختلطة بحارة الديلم لأنهما أهل دعوة واحدة إلا أن كل جنس على حدة لتخالفهما فى الجنسية، ثم قيل بعد ذلك درى الأتراك. (انتهى ملخصا).

وكانت حارة خوشقدم مسكنا للأمرء والأعيان كما هى الآن، ولذلك يقال لها فى حجج الأملاك حارة الأمرء، وإلى وقتنا هذا بها عدة دور من دور الأمرء والأعيان مثل دار خسرو

الثانية عطفة الحمام، وهى زقاق الحمام الذى ذكره المقرئى حيث قال: زقاق الحمام بحارة الديلم عرف قديما بخوخة المنقدي، ثم عرف بخوخة سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك وزوج ابنة الصالح بن رزيك، ثم عرف بزقاق حمام الرصاصى، ثم عرف بزقاق المزار، ثم قال: وفيه قبر تزعم العامة ومن لا علم عنده أنه قبر يحيى بن عقب، وأنه كان مؤدبا للحسين بن على بن أبى طالب، وهو كذب مختلق وإفك مفترى كقولهم فى القبر الذى بحارة برجوان إنه قبر جعفر الصادق، وفى القبر الآخر إنه قبر أبى تراب النخشبى، وفى القبر الذى على يسرة من خرج من الباب الحديد ظاهر باب زويلة إنه قبر زرع النوى وإنه صحابى، وغير ذلك من أكاذيبهم. (انتهى).

الثالثة عطفة الطوير بداخلها بيت محمد بيك الطوير أحد تجار المغاربة بمصر.

وهذا وصف حارة خوشقدم قديم وحديثا. (انتهى).

(الخطط التوفيقية الجريدة لعلى باشا مبارك ٢ / ١١٩-١٢١).

«خُشْقَدَم (الظاهر) (٧٩٥-٨٧٢ هـ / ١٣٩٣-١٤٦٧ م):

خُشْقَدَم بن عبد الله الناصرى، أبو سعيد سيف الدين، السلطان، أول ملوك الروم بمصر والشام والحجاز، وكان مملوكا للخوجة ناصر الدين - وإليه نسبته - واشتراه منه «المؤيد» شيخ بن عبد الله، بمصر، وأعتقه واستخدمه. ثم عينه الظاهر جقمق «مقدم ألف» فى دمشق سنة ٨٥٠ هـ، وأبعد إلى مصر، فعينه الأشرف إينال «أمير سلاح» ثم ولاه المؤيد أحمد «أتابكية» العساكر، وهى أعلى الرتب فى الدولة. وثار المماليك على المؤيد فخلعوه، ونادوا بسلطنة «خُشْقَدَم» سنة ٨٦٥ هـ، فتلقب بالملك «الظاهر» وسجن بعض أمراء الجيش، وقتل آخرين، فقامت فتنة أتباعهم، فقمعها، وصفا له الجور. وكان داهية، فهييا، كفؤا للسلطنة، فصيحيا بالعربية، قليل الأذى بالنسبة إلى من جاء بعده من ملوك الروم. وهدأت البلاد فى أيامه. واستمر إلى أن توفى ٨٧٢ هـ بالقاهرة (الأعلام ٢ / ٣٠٥، ٣٠٦).

قال السخاوى: وأنشأ مدرسة بالصحراء بالقرب من قبة

النصر، وثربة، وكثرت مماليكه الذين غطوا ما لعله اشتمل عليه من المحاسن، وعظم وضخم وهابته ملوك الأقطار فمن دونهم وانقطع معاندوه، إلى أن مرض فى أوائل المحرم ولزم الفراش حتى مات بعد ظهر يوم السبت عاشر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين [وثمانمائة] وقد ناهز خمسا وستين، وصلى باب القلة (انظر: القلة (باب -) بحضرة الخليفة ممن دونه، ثم دفن بعد عصر يومه بالقبة التى أنشأها بمدرسته، وكان عاقلا مهابا عارفا صبورا بشوشا مدبرا متجملا فى شئونه كلها حشما مليحا رشقا عارفا بأنواع الملاعب كالرمح والكرة وسوق الخيل، مكرما للعلماء والفقراء، معتقدا فيمن ينسب إلى الخير، وربما كان يقرأ فى القرآن على التاج السكندرى وغيره. واستدعى بى فى مرض موته فقرأت له الشفا فى ليلة فاتحته وخاتمته بحضرة وتأدب كثيرا وأنعم بما قسمه الله، وله فهم وذوق بحيث يلم ببعض ما يتكلمه الفقهاء عنده (الضوء اللامع ٢م ج ٣ / ١٧٥، ١٧٦).

(الأعلام للزركلى ٢ / ٣٠٥، ٣٠٦، والضوء السامع لشمس الدين

السخاوى ٢م ج ٣ / ١٧٥، ١٧٦).

«خُشْقَدَم اللالا (٨٩٤ هـ):

قال السخاوى فى الضوء اللامع: خُشْقَدَم الظاهرى جقمق الرومى اللالا، ويقال له أيضا الأحمدي لتاجره. لم ينتقل فى أيام أستاذه عن كونه لولده (الالا لفظ تركى يوصف به من يعمل مربيا لأولاد السلاطين. انظر مادة «جوهر اللالا (مسجد ومدرسة -) فى م ١٢ / ٥٧٣) ... وقد عمل إحدى قاعاته بالقرب من درب الرملة جامعا تقام فيه الجمعة والجماعة، وجدد زاوية قطاى تحت القلعة وبنى بها بيوتا ونحوها، وحفر هناك بئرا تكلف نقرها فى الحجر، وكان أول أمره لالة ولد سيده ثم صار أحد السقاى، ثم فى أيام الأشرف فايتباى كان رأس نوبة السقا، ونوبة الجمدارية، وشاد السواقى، ثم عمل وزيرا بمشارفه، ثم استقر خازندارا زماما فظلم وعسف وأهين مرة بعد أخرى، وتأمر على الحج، وربما كان يتلو القرآن، ويصلى بالليل، ويستعمل بعض الأوراد وييكى، واستمر على الزمامية والخازندارية حتى غضب عليه

السلطان وأرسله مع ابن عمر شيخ هواراة ليرسله إلى سواكن، فكانت منيته بسواكن في شوال سنة أربع وتسعين ذليلاً مهاناً، وقد بلغ السبعين إن لم يكن جازها، وكان يقول قبل انفصاله بنحو سنة إن له في القلعة أربعاً وخمسين سنة رحمه الله تعالى:

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلی باشا مبارك ٤ / ٢٢٢، والضوء اللامع لشمس الدين السخاوي ٢ م ح ٣ / ١٧٦، ١٧٧).

* خشنام البصري:

من كتاب المصاحف المشهورين والمجودين في الخط الكوفي، عاش في أيام الرشيد وعاصر مهدي الكوفي، ذكر أن خشنام البصري كان على كل حال كبير الحجم فخماً يملأ العين.

(نفائس الخط العربي - حسن قاسم حيش / ٢٧٤).

* الخشني (٥٤٤ هـ ١١٤٩ م):

محمد بن مسعود بن عبد الله بن مسعود، أبو بكر الخشني، ويقال له ابن أبي الركب، عالم بالعربية والقراءات. أندلسي، من أهل جيان. استوطن غرناطة وولى الخطبة بجامعها له «شرح كتاب سيوي».

(الأعلام ٧ / ٩٦).

* الخشوع:

جاء في التعريفات:

الخشوع والخضوع والتواضع: بمعنى واحد، وفي اصطلاح أهل الحقيقة الخشوع الانقياد للحق، وقيل هو الخوف الدائم في القلب. قيل من علامات الخشوع أن العبد إذا غضب أو خولف أو رد عليه استقبل ذلك بالقبول.

(التعريفات / ١٣٢، ١٣٣).

وقال الراغب الأصفهاني:

خشع: الخشوع الضراعة وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب ولذلك قيل فيما روى: إذا خسر القلب خشعت الجوارح، قال تعالى: ﴿ويزيدهم خشوعاً﴾ [الإسراء: ١٠٩]

وقال تعالى: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ [المؤمنون: ٢] ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾، [الأنبياء: ٩٠] ﴿وخشعت الأصوات﴾ [طه: ١٠٨] ﴿خاشعة أبصارهم﴾، [القلم: ٤٣] ﴿أبصارهم خاشعة﴾، [النازعات: ٩] كناية عنها وتنبها على ترعزها كقوله تعالى: ﴿إذا رجفت الأرض رجاً﴾، [الواقعة: ٤] و ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ [الزلزلة: ١] ﴿يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا﴾، [الطور: ٩، ١٠] (المقررات / ١٤٨).

وجاء في اللسان في مادة «خشع»: خَشَعَ يخشع خُشوعاً واختشع وتخشع: رمى ببصره نحو الأرض وغضّه وخفض ثوته. وقوم خشع: متخشعون. وخشع بصره: انكسر... واختشع إذا طأ طأ صدره وتواضع، وقيل: الخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن، وهو الإقرار بالاستخذاء، والخشوع في البدن والصوت والبصر، كقوله تعالى: ﴿خاشعة أبصارهم﴾ [القلم: ٤٣]، ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ [طه: ١٠٨]... والتخشع: تكلف الخشوع. والتخشع لله: الإخبات والتذلل (لسان العرب ١٣ / ١١٦٥).

وينكر الإمام ابن الجوزي على المتخشعين ادعاءهم الخشوع بطأطة رءوسهم لما فيه من رياء، ويذكر أن السلف كانوا يستنكرون ذلك، فيقول، مشيراً إلى نفسه بعبارة «قال المصنف رحمه الله»:

قال المصنف رحمه الله: إذا سكن الخوف القلب أو جب خشوع الظاهر ولا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقاً متأدباً متذلاً وقد كانوا يجتهدون في ستر ما يظهر منهم من ذلك. وكان محمد بن سيرين يضحك بالنهار ويكي بالليل ولسنا نأمر العالم بالانبطاح بين العوام فإن ذلك يؤذيهم. فقد روى عن علي رضي الله عنه: إذا ذكرتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك فتمجه القلوب. ومثل هذا لا يسمى رياء لأن قلوب العوام تضيق عن التأويل للعالم إذا تفسح في المباح فينبغي أن يتلقاهم بالصمت والأدب وإنما المذمور تكلف التخشع والتباكي ومطأطة الرأس ليرى الإنسان بعين الزهد والتهيو للمصافحه وتقبيل اليد وربما قيل له ادع لنا فيتهياً للدعاء كأنه

يستنزل الإجابة . وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعي أنه قيل له ادع لنا، فكره ذلك واشتد عليه . وقد كان في الخائفين من حملة الخوف على شدة الذل والحياء فلم يرفع رأسه إلى السماء وليس هذا بفضيلة لأنه لاخشوع فوق خشوع رسول الله ﷺ . وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى قال كان رسول الله ﷺ كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء ، وفي هذا الحديث دليل على استحباب النظر إلى السماء لأجل الاعتبار بآياتها وقد قال الله تعالى ﴿فلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها﴾ [ق : ٦] وقال ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾ [يونس : ١٠١] وفي هذا وفي هذا رد على المتصوفين فإن أحدهم يبقى سنين لا ينظر إلى السماء ، وقد ضم هؤلاء إلى ابتداعهم الرمز إلى التشبيه ولو علموا أن إطرارهم كرفعهم في باب الحياء من الله تعالى لم يفعلوا ذلك غير أن ما شغل إبليس إلا التلاعب بالجهلة ، فأما العلماء فهو بعيد عنهم شديد الخود منهم لأنهم يعرفون جميع أمره ويحترزون من فنون مكره .

أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر قالوا أخبرنا محمد بن الحسن الباقلاني نا القاضي أبو العلاء الواسطي نا أبو نصر أحمد بن محمد نا أبو الخير أحمد بن محمد البزار ثنا البخاري ثنا إسحاق ثنا محمد بن المفضل ثنا الوليد بن جميع عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ وسلم منحرفين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فإذا أريد أحد منهم على شيء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون ، أخبرنا عبد الوهاب الحافظ ثنا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز الحسن ابن إسماعيل الضراب نا أبي ثنا أحمد بن مروان ثنا إبراهيم الحربي ثنا محمد بن الحارث عن المدائني عن محمد بن عبد الله القرشي عن أبيه قال : نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال له : يا هذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب فمن أظهر للناس خشوعا فوق ما في قلبه فائما أظهر نفاقا على نفاق .

أخبرنا عبد الوهاب نا المبارك بن عبد الجبار نا علي بن أحمد الملقب نا أحمد بن محمد بن يوسف ثنا ابن صفوان نا أبو بكر القرشي ثنى يعقوب بن إسماعيل قال : قال عبد الله

أخبرنا المعتمر عن كههم بن الحسين أن رجلا تنفس عند عمر بن الخطاب كأنه يتحازن فلكره عمر أو قال لكمه .

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن علي التميمي نا أبو بكر عن عاصم ابن كليب الجرمي : قال لقي أبي عبد الرحمن بن الأسود وهو يمشي وكان إذا مشى يمشي جنب الحائط متخشعا هكذا : وأمال أبو بكر عنقه شيئا فقال أبي مالك إذا مشيت مشيت إلى جنب الحائط ، أما والله إن عمر إذا مشى لشديد الوطء على الأرض جهوري الصوت .

أخبرنا محمد بن طاهر نا أبو محمد الجوهري نا ابن حياة نا أبو الحسن بن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد يرفعه إلى سليمان بن أبي خيثمة عن أبيه قال قالت الشفا بنت عبد الله وقدرت فتينا يقتصرون في المشي ويتكلمون رويدا فقالت : ما هذا؟ قالوا نساك . قالت : كان والله عمر إذا تكلم أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، وهو الناسك حقا .

قال المصنف رحمه الله : قلت وقد كان السلف يسترون أحوالهم ويتصنعون بترك التصنع . وقد ذكرنا عن أيوب السخيتاني أنه كان في ثوبه بعض الطول ليستر حاله . وكان سفيان الثوري يقول لا أعتد بما ظهر من علمي . وقال لصاحب له ورآه يصلي ما أجراك تصلي والناس يرونك قال حدثنا محمد بن ناصر ثنا عبد القادر ابن يوسف نا ابن المذهب نا القطيعي ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبو عبد الله يعني السلمي ثنا بقيقه عن محمد بن زياد قال : مر أبو أمامة برجل ساجد فقال يالها من سجدة لو كانت في بيتك .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا الجوهري ثنا محمد بن العباس ثنا محمد بن القاسم الأنباري ثنا الحارث بن محمد ثنا يحيى بن أيوب ثنا شعيب بن حرب ثنا الحسين بن عمار . قال رجل في مجلس الحسن بن عماره آه قال ، فجعل يتبصره ويقول من هذا حتى ظننا أنه لو عرفه أمر به .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد المقرئ نا أحمد بن أحمد الحداد ثنا أبو نعيم الحافظ نا أبو عبد الله محمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن محمد بن يعقوب ثنا أبو حاتم ثنا حرملة قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول :

ودع الذين إذا أتوك تنسكوا

وإذا خلوا فهم ذئاب خفاف

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن علي بن ثابت نا أبو عمر الحسن ابن عثمان الواعظ نا جعفر بن محمد الواسطي نا الحسين بن عبد الله الازاري قال سمعت إبراهيم بن سعيد يقول: كنت واقفا على رأس المأمون فقال لي يا إبراهيم: قلت لبيك قال عشرة من أعمال البر لا يصعد إلي الله والله منها شيء. قلت ماهي يا أمير المؤمنين فقال بكاء إبراهيم على المنبر، وخشوع عبد الرحمن بن إسحاق، وتقشف ابن سماعة، وصلاة خيعويه بالليل، وصلاة عباس الضحى، وصيام ابن السندی الاثني والخميس، وحديث أبي رجاء، وقصص الحاجي، وصدقة حفصوبه وكتاب الشامي ليعلى بن قريش (فقد العلم والعلماء / ٢٨٠ - ٣٨٣).

(التعريفات للشریف الجرجاني - تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٢، ١٣٣، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني - تحقيق وضبط محمد سيد كيلاي / ١٤٨، ولسان العرب لابن منظور ١٣ / ١١٦٥، ونقد العلم والعلماء أو تليس إبليس للإمام ابن الجوزي / ٢٨٠ - ٢٨٣. انظر الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري / ١٥٥ - ١٢٠).

* خشيش بن أحرم (٢٥٢ هـ / ٨٦٧ م):

خشيش بن أحرم بن الأسود النسائي، أبو عاصم، من حفاظ الحديث. له كتاب «الاستقامة» في الرد على أهل البدع. مات بمصر (الأعلام ٢ / ٣٠٦).

وقد ذكره صاحب الرسالة المستطرفة في أصحاب الكتب التي تعرف بكتب السنة، وهي «الكتب الحاضرة على اتباعها والعمل بها وترك ما حدث بعد الصدر الأول من البدع والأهواء» وقال عنه: «وكتاب الاستقامة في الرد على أهل البدع لأبي عاصم خشيش بمعجمات مصغرا ابن أصرم النساب الحافظ المتوفى سنة ثلاثة وخمسين ومائتين» (الرسالة المستطرفة / ٣٠).

(الأعلام للزركلي ٢ / ٣٠٦، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتاني / ٢٩، ٣٠).

* الخصاف (٢٦١ هـ / ٨٧٥ م):

من فقهاء الحنفية:

أحمد بن عمر، وقيل: عمرو، بن مهير، وقيل: مهرا، الشيباني، أبو بكر، الخصاف

ذكره صاحب «الهداية» في الوديعة، بلقبه الخصاف.

روى عن أبيه، وحدث عن أبي عاصم النبيل، وأبي داود الطيالسي ومسدد بن مسرهد، والقعنبي، ويحيى بن عبد الحميد الحماني. وعلى بن المديني، وعارم بن محمد أبي الفضل. وأبي نعيم الفضل بن دكين، في خلق.

ذكره النديم، في «فهرست العلماء»، فقال: كان فاضلا، فارضا حاسبا، عارفا بمذهب أصحابه، وكان مقدما عند المهتدي بالله، وصنف للمهتدي «كتابا في الخراج»، فلما قتل المهتدي نهب الخصاف، وذهبت بعض كتبه، ومن جملة كتاب الخراج هذا، و«كتاب» عمله في المناسك، لم يكن خرج للناس.

قال النديم: وله من المصنفات: كتاب الخيل في مجلدين، و«كتاب الوصايا»، وكتاب «الشروط الكبير» وكتاب «الشروط الصغير»، و«كتاب الرضاع»، و«كتاب المحاضر والسجلات»، وكتاب أدب القاضي، و«كتاب النفقات على الأقارب»، «كتاب إقرار الورثة بعضهم لبعض»، و«كتاب أحكام الوقف» و«كتاب النفقات» و«كتاب العصير وأحكامه» و«كتاب ذرع الكعبة والمسجد الحرام والقبر».

قال ابن النجار: وذكر بعض الأئمة، أن الخصاف كان زاهدا ورعا، يأكل من كسب يده.

وقال شمس الأئمة الحلواني: الخصاف، رجل كبير في العلم، وهو ممن يصح الاقتداء به.

وقال شمس الأئمة الحلواني: الخصاف، رجل كبير في العلم، وهو ممن يصح الاقتداء به.

وروى عن بعض مشايخ بلخ، أنه قال: دخلت بغداد، وإذا على الجسر رجل ينادي ثلاثة أيام، يقول: إن القاضي أحمد بن عمرو الخصاف، استفتى في مسألة كذا، فأجاب بكذا وكذا وهو خطأ، والجواب كذا وكذا، رحم الله من بلغه صاحبها.

* خصال السلف:

خصال السلف في آداب السلف والخلف: لمولانا حسن ابن حسين التالشي وهو مختصر أوله: الحمد لله مميت الأحياء ومحبي الأموات إلخ... ذكر فيه أنه ألفه حين قدم من مكة المكرمة

(كشف الظنون ١ / ٧٠٥).

* الخصال في الفروع:

الخصال في الفروع: لأبي ذر عبد الله بن أحمد الهروي الحافظ المتوفى سنة ٤٣٤، والطرسوسي نجم الدين ابراهيم ابن علي بن أحمد الحنفي المتوفى سنة ٧٤٦، وفي فروع الشافعية لابن سريج أحمد بن عمر الشافعي المتوفى سنة ٣٠٦ ست وثلاثمائة وفي فروع المالكية لأبي بكر محمد المالكي القرطبي المتوفى سنة ٣٨١ إحدى وثمانين وثلاثمائة مجلد ذكر في أوله نبذة من الأصول وسماء بالأقسام والخصال ولو سماه بالبيان لكان أولى لأنه ترجم الباب بقوله البيان عن كذا.

(كشف الظنون ١ / ٧٠٥).

قالت المؤلفة: أورده حاجي خليفة تحت عنوان «الخصال في فروع الحنفية»، ولكنه كما ترى أورد فروعا أخرى هي الشافعية والمالكية، ومن ثم فقد غيرنا العنوان إلى «الخصال في الفروع» وأحلنا إليها «الخصال في فروع الحنفية».

* الخصال في فروع الحنفية:

انظر: الخصال في الفروع

* الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة:

الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمانمائة وهو مختصر أوله: الحمد لله غافر الذنب، وفي بعض النسخ أحمد والحمد له... إلخ رتب على أربعة أبواب مشتملة على الأحاديث الواردة فيه والآثار.

(كشف الظنون ١ / ٧٠٥).

* الخصائص:

كتاب في النحو لابن جني، واحد زمانه في التصريف

قلت: هكذا ينبغي أن يكون العلماء، وهكذا يجب أن يكون التحفظ في دين الله، والنصيحة لعباد الله، لا كعلماء زماننا الذين ليس لهم غرض إلا التفاخر بالعلم، والتكبر به، وإظهار القوة والغلبة، فلا يبالي أحدهم إذا كان مستظلهرا في البحث على خصمه، أن يكون على الحق أو على الباطل، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكانت وفاة صاحب الترجمة ببغداد، سنة إحدى وستين ومائتين رحمه الله تعالى.

له ترجمة في: تاج التراجم / ٧، الجواهر المضية / ٨٧، ٨٨، ٨٩ / ٢، طبقات الفقهاء للشيرازي / ١١٨، طبقات ابن هداية الله / ٢٤، الفهرست / ١ / ٢٠٦، الفوائد البهية / ٢٩، ٣٠، كشف الظنون / ٢١.

(الطبقات السنية في تراجم الحنفية للمولى تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي المصري - تحقيق عبد الفتاح محمد الحلوي، ١ / ٤٨٤، ٤٨٥. انظر أيضا مرجع العلوم الإسلامية - د. محمد الزحيلي / ٣٨١).

* الخصال:

الخصال: لأبي الحسن علي بن مهدي الأصبهاني الطبري ثم البغدادي المتوفى في حدود سنة «٣٣٠» جمع فيه الأشعار والحكم والأمثال.

(كشف الظنون / ٧٠٥).

* الخصال الجامعة لمحصل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام:

مجلد شرحه أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦ ست وخمسين وأربعمائة وسماه الإيصال إلى فهم كتاب الخصال وهو شرح كبير أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة في مسائل الفقه ودلائله.

(كشف الظنون ١ / ٧٠٤، ٧٠٥).

والبحث في فقه اللغة وخصائصها. أوردته حاجي خليفة تحت عنوان «الخصائص في النحوي» وقال عنه :

الخصائص فى النحو: لأبى الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٢٩٢ اثنتين وتسعين وثلاثمائة قال السيوطى فى اقتراحه وضعه فى أصول النحو وجدله لكن أكثره خارج عن هذا المعنى فليخص منه الاقتراح وضم إليه فوائده كما سبق . واختصره أبو العباس أحمد بن محمد الإشبلى المتوفى سنة ٦٥١ إحدى وخمسين وستمائة . ولموفق الدين عبد اللطيف ابن يوسف البغدادى حاشية على الخصائص المذكورة (كشف (٧٠٦/١).

وقد طبع الجزء الأول في القاهرة سنة ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م ، وطبع بدار الكتب بتحقيق الأستاذ محمد علي النجار من سنة ١٩٥٢ م إلى سنة ١٩٥٥ م في ثلاثة أجزاء (الأعراب الرواة / ٣٣١، ٣٣٢).

وقد أورد المنتخب فقرة من كتاب الخصائص كنموذج للنشر العلمي التأليفى ننقلها لك فيما يلى :

باب القول على اللغة وما هي؟

أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم .
هذا حدها . وأما اختلافها فلما سنذكره في باب القول عليها :
أما ماضية هي ، أم إلهام ، وأما تصریفها ومعرفة حروفها فإنها
فُعْلَةٌ من لَعَوْتُ أى تكلمتُ . وأصلها لغة ككرة وقلة وثبة كلها
لاماتها واوات ، لقولهم كروث بالكرة ، وقلوت بالقلة ، ولأن ثبة
كانها من مقلوب ثاب يشوب . وقد دلت على ذلك وغيره من
نحوه في كتابي «سر الصناعة» . وقالوا لها : لغات ولغون ،
ككرات وكرون ، وقيل منها : لغى يلغى : إذا هذى . قال :

ورب أسرار حجيج كظم

عن اللغة _____ ورفث التكلم
وكذلك اللغو، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغْوِ
مَرُوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] أى بالباطل. وفى الحديث: «من
قال فى الجمعة صَه فقد لغا» أى تكلم. وفى هذا كاف
(المنتخب ٢ / ٣٣٩).

(كشف الظنون ١ / ٧٠٦، والأعراب الرواة - د. عبد الحميد الشلقاني

/ ٣٣١، ٣٣٢ والمتنخب في أدب العرب — طه حسين وزملائه ٢ /
(٣٣٩).

انظر ترجمة ابن جنبي في م ١٢ / ٣٩٧ - ٤٠١.

✽ خصائص الأحجار:

من المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية
وجاء بيانه كما يلي : خصائص الأحجار .
مجهول المؤلف .

أوليه : الحمد لله العلى المجيد القوى الشديد . . وبعد
فإني قد جمعت فى كتابى هذا ملخص كلام المتقدمين
والمتأخرين من الحكماء المعشرين من الجواهر والأحجار ،
والله تعالى هو الموفق والمستعان ... إلخ

وآخره : والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب .

نسخة بقلم معتاد كتبت سنة ١٢٦٦. في ٥٦ ورقة
ومسطرتها ١٥ سطرا.

مس ۲۰ × ۱۰

[دار الكتب المصرية - ٣٦ طبعة]

منه نسخة أخرى بعنوان «سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار»

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية - ٣
العلوم في ٤ الكيمياء والطبيعيات - وضع فؤاد سيد. القاهرة ١٩٦٣ / ٣٨،
٣٩).

* خصائص الأقاليم:

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الجغرافيا كتاب المقدسى الموسوم «بأحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» وقد تناول فى أحد فصوله خصائص الأقاليم مما ننقله لك فيما يلى كنموذج للنشر العلمى: قال المقدسى، وقد امتدح بعض الأقاليم وذم بعضها الآخر:

أظرف الأقاليم العراق . وهو أخف على القلب ، وأحد للذهن ، وبها (أنث الضمير ذهابا بالعراق إلى البلاد) تكون النفس أطيّب ، والخاطر أدق إذا كانت كفاية . وأجلها وأوسعها فواكه ، وأكثرها علما وأجلة وبردا المشرق . وأكثرها صوفا وقرا

جبال في خراسان وقد ورد هذا التفسير في أحسن التقاسيم ص: ٣٠٩ وأضاف إليها المقدسي: «وتم عدل حقيقى، ونظر غريزى، وبقية من سنن العمرين، ورسوم تقر بها العين» وهو المعنى المقصود) ولاصفهان الهواء والحلل والفضار (أفردنا لها مادة خاصة في م ٥ / ١٣٢ - ١٤١ فانظرها في موضعها) ورسوم شيراز على الإسلام عار، وعدن دهليز مع صحار، وبالصغانيان الكلا والثمار والأطيار، وبخارا جليلة لولا الماء وحريق النار، وبلغ خزانة الفقه مع الرحب واليسار، وإيليا تصلح لأهل الدين والدار، وأهل بغداد قليلو الأعمار، وصنعاء ونيسابور بالضد. وليس أكثر ولا أرذل من مذكرى نيسابور، ولا أطمع من أهل مكة، ولا أفقر من أهل يثرب، ولا أعف من أهل بيت المقدس، ولا آدب من أهل هراة وبيار، ولا أذهن من أهل الري، ولا أنقب من أهل سجستان، ولا أبخس من أهل عمان، ولا أجهل من أهل عمان، ولا أصح موازين من أهل الكوفة وعسكر مكرم، ولا أحسن من أهل حمص وبخارا، ولا أقبح من أهل خوارزم، ولا أحسن لحى من السديلم، ولا أشرب للخمور من أهل بعلبك ومصر، ولا أفسق من أهل سيراف، ولا أعصى من أهل سجستان ودمشق، ولا أشغب من أهل سمرقند والشاش، ولا أوطأ من أهل مصر، ولا أبله من أهل البحرين، ولا أحمق من أهل حمص، ولا ألبق من أهل فسا ونابلس ثم الري بعد بغداد، ولا أحسن لسانا من أهل بغداد، ولا أوحش من لسان صيدا وهراة، ولا أصح من لسان خراسان، ولا أحسن عجمية من أهل بلخ والشاش، ولا أعقط من أهل البطائح، ولا أسلم صدورا من أهل هيطل، ولا أخير قوما من أهل غرج الشار.

فإن سأل سائل: أى البلدان أطيب نظر: فإن كان ممن يطلب الدارين قيل له: بيت المقدس. وإن كان مخلصا آمنا من الطمع قيل: مكة. وإن كان ممن يطلب النعمة والحياة والرخص والفواكه قيل له: كل بلد أجزاك، وإلا فعليك بخمسة أمصار: دمشق والبصرة والري وبخارا وبلخ. أو بخمس مدائن: قيسارية، وباعيناثا (بلدة لها نهر كبير يصب في دجلة، تشبه بدمشق لكثرة بساينها، وخجندة (بلدة نزهة

ودخلا على قدره الديلم. وأجودها ألبانا وأعسالا وألذها أخبازا وأمكنها زعفرانا الجبال. وأكثرها ثمارا، وأرخصها أسعارا ولحوما، وأثقلها قوما الرحاب. وأسفلها قوما وأشرهم أصلا وفصلا خوزستان (الجبال والرحاب وخوزستان من أقاليم العجم). وأحلاها تمورا، وأوطؤها قوما كرمان. وأكثرها فانيذا (حلواء من السكر والدقيق) وأرزازا ومسكا وكفار السند. وأكيسها قوما وتجارا، وأكثرها فسقا فارس. وأشدّها حرا وقحطا ونخيلا جزيرة العرب. وأكثرها بركات وصالحين وزهادا ومشاهد الشام. وأكثرها عبادا وقراء وأموالا ومتجرا وخصائص وحبوبا مصر. وأخوفها سبلا، وأجودها خيلا، وأوسطها قوما أقور (هو إقليم الجزيرة وقد أوردناه تحت عنوان أقور (إقليم -) في م ٥ / ٥٤٥ - ٥٤٧ فانظره في موضعه) وأجفاهها وأثقلها وأغشها قوما، وأكثرها مدنا، وأوسعها أرضا المغرب.

وقال عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى: دخلت على الجاحظ فقلت: أفدنى في البلدان فائدة. قال: نعم الأمصار عشرة:

المرؤة ببغداد، والفصاحة بالكوفة، والصنعة بالبصرة، والتجارة بمصر، والغدر بالري، والجفاء بنيسابور، والبخل بمر، والصلف ببلخ، والحرفة بسمرقند.

وقد صدق، لعمرى، إلا أن بنيسابور أيضا صناعا حذاقا، وبالبصرة تجارات، وبمكة فصاحة، وبمر دهاء.

وصنعاء طيبة الهواء، وبيت المقدس حسنة البناء، وصغر وجرجان موضع الوباء، ودمشق كثيرة الأنهار وصغد ممتدة الأشجار، والرملة لذيدة الثمار، وطبرستان دائمة الأمطار، وفرغانة رخيصة الأسعار، والمروءة والجحفة معدن الدعار، والرقعة موضع الأخطار، وهمذان وتيس مركز الأحرار، والشام إقليم الأخيار، وسمرقند فرضة (الفرضة: محط السفن) التجار، ونيسابور بلدة الكبار، والفسطاط أهل الأمصار. وطوبى لأهل الغرج بعدل الشار (جاء في «بلدان الخلافة الشرقية» لسترنغ ٤٥٨: «الغرج - على ما ذكر المقدسي - هي الجبال في لغة أهل البلاد تلك، والشار الملك في لغة خراسان، فتفسير «غرج الشار» جبال الملك. وصاروا يسمون هذه البلاد في أواخر العصور الوسطى: غرجستان، وهي

* خصائص رسول الله ﷺ *

قال الجرجاني: الخاص: عبارة عن التفرّد، يقال فلان خُصَّ بكذا أُفرد به ولا شركة للغير فيه (التعريفات / ١٣٣).

ومن ثمّ فإننا حين نتكلم على خصائص رسول الله ﷺ فإنما نعني ما خُصَّ به صلى الله ﷺ دون سائر البشر.

وما من مؤلف تناول السيرة النبوية العطرة إلا وحصى تلك الخصائص في إيجاز أو في إسهاب، وفيما يلي ما أورده الشيخ الشبلنجي رحمه الله في فصل أفرد له خصائص رسول الله ﷺ ودلائل نبوته. قال عن خصائصه ﷺ، ونقل لك منها بعضها:

الكلام على خصائصه ﷺ منحصر في ثمانية أنواع:

النوع الأول: ما اختص به في ذاته في الدنيا اختص ﷺ بأنه أول النبيين خلقاً وبتقدم نبوته فكان نبياً و آدم منجداً في طينته وتقدم أخذ الميثاق عليه وأنه أول من قال بلى يوم ﴿أأستبر بكم﴾.

قالت المؤلفة: يقصد قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ [الأعراف: ١٧٢] أي أنه ﷺ أول من شهد من بنى آدم.

وخلق آدم وجميع المخلوقات لأجله، وكتابة اسمه الشريف على العرش وكل سماء والجنان وما فيها وسائر ما في الملكوت، وذكر الملائكة له في كل ساعة، وذكر اسمه في الأذان، والتبشير به في الكتب السابقة ونعته فيها ونعت أصحابه وأمه وحجب إبليس من السموات لمولده، وشق صدره على قول، وجعل خاتم النبوة بظهره بإزاء قلبه حيث يدخل الشيطان وسائر الأنبياء كان الخاتم في يمينهم، وبأن له ألف اسم، وبأنه سُمي من أسماء الله بنحو سبعين اسماً، وبأنه سُمي أحمد ولم يُسمَ به أحد من قبله، وبأنه أرجح الناس عقلاً، وبأنه أوتي كل الحسن، ولم يموت يوسف إلا الشطر، وبغَطّه ثلاثاً عند ابتداء الوحي عَدّها البيهقي، وبرؤيته جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، وبانقطاع الكهانة

كثيرة الفاكهة على شاطئ سيحون) والدينور، ونوقان (إحدى قصبتى طوس والأخرى طابران). أو بخمس نواح: الصغد والصغانيان ونهاوند وجزيرة ابن عمر وسابور (كورة مدينتها النوبندجان) فاختر ما شئت منها فإنها مناره الإسلام. وأما الأندلس فيقال: إنها جنات. ومستفاض جنات الدنيا أربع: غوطة دمشق ونهر الأبلّة وروضة الصغد وشعب بؤان. ومن أراد التجارة فعليه بعدن أو عمان أو مصر. وكل ما نذكر من عيوب أهل البلدان فأهل العلم والأدب عنه بمعزل خاصة الفقهاء، لأنى رأيت الفضل فيهم.

واعلم أن كل بلد فيه صاد فأهله حمقى إلا البصرة، فإن اجتمعت صadan مثل المصيصة وصرصر فتعوذ بالله. وكل بلد نسبت صاحبه إليه فلقبت الزاى الياء فهو داه مثل رازى مروزي سجزي. وكل بلد آخره (آن) فله خاصية أو طيبة، مثل: جرجان موقان أرجان. وكل بلد شديد البرد فأهله أسمن وأضخم وأحسن وأكبر لحى، مثل: فرغانة وخوارزم وأرمينية ... وكل بلد يحيط به أنهار، فإن فى أهله شغباً وخروجاً، مثل: دمشق وسمرقند والصليق. وكل بلد رحب رخي فإن المعاش به ضيقة إلا بلخ.

واعلم أن بغداد كانت جليلة فى القديم. وقد تسداعت الآن، وإن مدحناها فللتعارف. وفسطاط مصر اليوم كبغداد فى القديم. ولا أعلم فى الإسلام بلداً أجمل منه. وأما إقليم المشرق فقد فشا فيه الجور، وفسد. وهو خير من غيره. وأقاليم الأعاجم فلا تطيب لأهل أسفل. ولو كان للرملة ماء جار لما استثنينا أنها أطيب بلد فى الإسلام، لأنها ظريفة خفيفة، بين قدس وثغور، وغور وبحور، معتدلة الهواء، لذيدة الثمار، سرية الأهل، غير أن فيهم جهلاً، خزانة مصر ومطرح البحرين رحية.

(أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى المعروف بالبشارى -

وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم / ٤١ - ٤٣، ومن أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم - اختار النصوص وعلق عليها وقدم لها غازى طليعات / ٧٨ - ٨٣ وقد وضعنا تعليقاته بين أقواس فى ثنايا النص).

لمبعثته وحراسة السماء، وإحياء أبويه له حتى آمنا به، وبوعده بالعصمة من الناس، وبالإسراء وما تضمنه من اختراق السموات السبع والقرب إلى قاب قوسين، وبوطئه مكانا ما وطأه نبي مرسل ولا ملك مقرب، وإحياء الأنبياء له وصلاته بهم والملائكة وباطلاعه على الجنة والنار ورؤيته للباري تعالى مرتين، وقتال الملائكة معه، وإيتائه الكتاب وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، وبأن كتابه معجز ومحفوظ من التبديل والتحريف على ممر الدهور ومشمتم على ما اشتمل [اشتملت] عليه جميع الكتب وزيادة، جامع لكل شيء مستغن عن غيره ميسر للحفظ وبأنه معجزة مستمرة إلى يوم الدين ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت لوقتها.

النوع الثاني: ما اختص به أمته في شرعه ﷺ: اختص ﷺ بإحلال الغنائم، وجعل الأرض كلها مسجداً ولم تكن الأمم تصلى إلا في البيع والكنائس، والتيمم والوضوء على قول وهو الأصح فلم يكن إلا للأنبياء دون أممهم، وبمجموع الصلوات الخمس، وبالعشاء ولم يصلها أحد، وبالأذان والإقامة وافتتاح الصلوات بالتكبير والتأمين وبالركوع على ما ذكره جماعة من المفسرين ويقول اللهم ربنا ولك الحمد وباستقبال الكعبة، وبالصف في الصلاة كصفوف الملائكة، وبالجماعة في الصلاة، وبتحية السلام، وبالجمعة، وبساعة الإجابة، وبعيد الأضحى، وشهر رمضان، وأن الشياطين تصفد فيه، وأن الجنة تُزَيَّن فيه، وأن خلوف فم الصائم فيه أطيب عند الله من ريح المسك، وباستغفار الملائكة لهم حتى يفطروا، وبالغفران في آخر ليلة منه، وبالسحور وتعجيل الفطر وبإباحة الأكل والشرب والجماع ليلاً إلى الفجر وكان محرماً على من قبلنا بعد النوم وكذا كان في صدر الإسلام، وبليلة القدر كما قاله النووي في شرح المذهب، وبجعل صوم عرفة كفارة ستين لأنه سنته، وصوم عاشوراء كفارة سنة لأنه سنة موسى، وغسل اليدين بعد الطعام بحستين لأنه شرعه وقبله بحسنة لأنه شرع التوراة، وبالاسترجاع عند المصيبة (أى قول: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾) وبالحوقة (أى قول: لا حول ولا قوة إلا بالله) وباللحد ولأهل الكتاب الشق، وبالنحر ولهم الذبح قاله مجاهد وعكرمة، وبالعبدة للعمامة

وهي سيما الملائكة، وبالاتزار في الأوساط، وأن أمته خير الأمم وآخر الأمم ففضحت الأمم عندهم ولم يفضحوا. واشتق له اسمان من أسماء الله المسلمون والمؤمنون وسمى دينهم الإسلام ولم يوصف بهذا الوصف إلا الأنبياء دون أممهم، ورفع الإصر عنهم الذي كان على الأمم قبلهم، وإحلال كثير مما شدد على من قبلهم، ولم يجعل عليهم في الدين من حرج، ورفع المؤاخذه بالخطأ والنسيان وما استكروها عليه، وحديث النفس وأن من همَّ بسيئة ولم يفعلها لم تكتب سيئة فإن عملها كتبت سيئة واحدة ومن همَّ بحسنة ولم يعملها كتبت حسنة فإن عملها كتبت عشرة، ووضع عنهم قتل النفس في التوبة، وقرض موضع النجاسة، وربح المال في الزكاة، وشرع لهم نكاح أربع...

وشرع لهم التخيير بين القصاص والدية وحرم عليهم كشف العورة والتصوير وشرب المسكر وعصموا من الاجتماع على ضلالة، وإجماعهم حجة واختلافهم رحمة، وكان اختلاف من قبلهم عذاباً، والطاعون لهم شهادة ورحمة، وما دَعَوْا استُجيب لهم ويغفر ذنوبهم بالاستغفار ووعدوا أن لا يهلكوا بجوع، ولا بعدو من غيرهم يستأصلهم، ولا يعذبون بعذاب عذب به من قبلهم وإذا شهد الاثنان منهم لعبد بخير وجبت له الجنة وكانت الأمم السالفة إذا شهد منهم مائة ردت شهادتهم، وهم أقل الأمم عملاً، وأكثرهم أجراً، وأقصرهم أعماراً، وأوتوا العلم الأول والعلم الآخر، وفتح عليهم خزائن كل شيء حتى العلم، وأوتوا الإسناد والأنساب والإعراب وتصنيف الكتب، ولا تزال طائفة منهم على الحق حتى يأتي أمر الله، وفيهم أقطاب وأوتاد ونجباء وأبدال، ومنهم من يصلى إماماً بعيسى ابن مريم، ومنهم من يجرى مجرى الملائكة في الاستغناء عن الطعام بالتسييح، ويقاثلون الدجال، وعلماءهم كأنبياء بني إسرائيل، وتسمع الملائكة في السماء أذانهم وتليبتهم وهم الحامدون لله على كل حال، ويكبرون على كل شرف، ويسبحون عند كل هبوط، ويقولون عند إرادة فعل الأمر إن شاء الله تعالى، وإذا غضبوا هلموا، وإذا تنازعوا سبحوا، ومصاحفهم في صدورهم، وسابقهم سابق، ومقتصدهم ناج، وظالمهم مغفور له، ويلبسون ألوان

منها بلا ذنوب تمحص عنها باستغفار المؤمنين لها، ولها ماسعت وما سعى لها وليس لمن قبلهم إلا ما سعى، قاله عكرمة، ويُقضى لهم قبل الخلائق، يدخل منهم الجنة سبعون ألفا بغير حساب.

النوع الخامس: ما اختص به من الواجبات لحكمة زيادة الزلفى والدرجات: اختص ﷺ بوجوب صلاة الضحى والوتر والتهجد أى صلاة الليل، والسواك والأضحية والمشاورة على الأصح وركعتى الفجر لحديث فى المستدرک وغيره، وغسل الجمعة ورد فى حديث ضعيف، وقضاء دين من مات من المسلمين معسرا على الصحيح، وقيل كان يفعله تكريما وأن يقول إذا رأى ما يعجبه لبيك العيش عيش الآخرة فى وجه حكاة فى الروضة وأصلها، وأن يؤدى فرض الصلاة كاملة كما ذكره الماوردى وغيره ولا يسقط عنه الصوم والصلاة وسائر الأحكام كما فى زوائد الروضة عن القفال وجزم به ابن سيع.

النوع السادس: ما اختص به من المحرمات: اختص ﷺ بتحريم الزكاة والصدقة عليه، وفى صدقة التطوع قولان: كذا نقل عن مغلطى وتحريم الزكاة على آله قيل والصدقة أيضا وعليها المالكية وعلى موالى آله فى الأصح، وتحريم كون آله عُمالا على الزكاة فى الأصح، وصرف النذر والكفارة إليهم، وأكل ثمن أحد من ولد إسماعيل ورد به حديث فى المسند، واليمن ليستكثر (قالت المؤلفة: يقصد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦] ومعناه: لا تعط عطية لتعطى أكثر منها: مصحف الشروق / ٦٦٤) ومد العين إلى ما مُنع به الناس، ونكاح الكتابية، وقيل والتسرى بها، ونكاح الأمة المسلمة ولو قدر نكاحه أمة كان ولده منها حرا ولا يلزمه قيمته ولا يشترط فى حقه حينئذ خوف العنت ولا فقد الطول، وله الزيادة على واحدة قال إمام الحرمين: ولو قدر نكاح الغر فى حقه لا يلزمه قيمة الولد. قال ابن الرفعة: وفى تصور ذلك فى حقه فيه نظر.

النوع السابع: ما اختص به من المباحات: اختص ﷺ بإباحة المكث فى المسجد جنبا وفيها خلاف وبأنه لا يتنقض وضوؤه بالنوم مضطجعا... وإباحة الصلاة بعد العصر، وإباحة النظر إلى الأجنبية، والخلو بهن ونكاح أكثر من

ثياب الجنة، يراعون الشمس للصلاة، وهم أمة وسط عدول بتركية الله لهم، وتحضرهم الملائكة إذا قاتلوا، وافترض عليهم ما افترض على الرسل والأنبياء وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج والجهاد، وأعطوا من النوافل ما أعطى الأنبياء وقال الله فى غيرهم ﴿وَمَنْ قَوْمَ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩] ونودوا فى القرآن بيا أيها الذين آمنوا ونوديت الأمم فى كتبهم بيا أيها المساكين وشتان ما بين الخطابين.

النوع الثالث فيما اختص به فى ذاته فى الآخرة: اختص ﷺ بأنه أول من تشق عنه الأرض، وأول من يفى من الصعقة، وبأنه يحشر فى سبعين ألف ملك، ويحشر على البراق، ويؤذن باسمه فى الموقف... وأول شافع مشفع وبالشفاعة العظمى فى فصل القضاء، وبالشفاعة فى إدخال قوم الجنة بغير حساب، وبالشفاعة فىمن استحق النار أن لا يدخلها، وبالشفاعة فى رفع درجات ناس فى الجنة جوز اختصاصها النورى والتى قبلها به، وبالشفاعة فىمن خلد فى النار من الكفار أن يخفف عنهم، وبالشفاعة فى أطفال المشركين أن لا يعذبوا، وأنه أول من يجوز على الصراط، وأن له فى كل شعرة من رأسه ووجهه نورا وليس للأنبياء إلا نوران... وأنه أول من يقرع أبواب الجنة، وأول من يدخلها وبعده أمته، وبالكوثر، والوسيلة، وهى أعلى درجة فى الجنة وقوائم منبره ذوائب الجنة، ومنبره على ترعة من ترع الجنة، وما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنة، ولا يطلب منه شهيد على التبليغ ويطلب من سائر الأنبياء، وكل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببه ونسبه، قيل إن أمته ينسبون إليه يوم القيامة وأسم سائر الأنبياء لا ينسبون إليهم، وقيل ينتفع يومئذ بالنسبة إليه ولا ينتفع بسائر الأنساب والله أعلم بالصواب.

النوع الرابع: ما اختص به فى أمته فى الآخرة: اختص ﷺ بأن أمته أول من تشق عنهم الأرض من بين الأمم، ويأتون يوم القيامة غُرًا محجلين من آثار الوضوء، ويكونون فى الموقف على كوم عال ولهم نوران كالأنباء وليس لغيرهم إلا نور واحد، ولهم سيما فى وجوههم من أثر السجود، ويؤذن كتبهم بأيمانهم، وعجل الله عذابها فى الدنيا وفى البرزخ لتوافى القيامة ممحصة الذنوب وتدخل قبورها بذنوبها وتخرج

أربع نسوة وكذلك الأنبياء والنكاح بلفظ الهبة وبلا مهر ابتداء وانتهاء وبلا ولى وبلا شهود وفى حال الإحرام ... وكان له أن يستثنى فى كلامه بعد حين ولا يكره له الفتوى والقضاء فى حال الغضب ذكره النووى فى شرح مسلم، وكان له أن يدعو لمن شاء بلفظ الصلاة وليس لنسا أن نصلى إلا على نبي أو ملك، وضحي عن أمته وليس لأحد أن يضحي عن غيره إلا بإذنه، وكان يقطع الأراضى قبل فتحها لأن الله ملكه الأرض كلها. وأفتى الغزالي بكفر من عارض أولاد تميم السدارى فيما أقطعه لهم وقال إنه ﷺ كان يقطع أرض الجنة فأرض الدنيا أولى.

النوع الثامن : ما اختص به من الكرامات والفضائل :
اختص ﷺ بأنه كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه، ويرى فى الليل والظلمة كما يرى بالنهار والضوء، وبأن ريقه يعذب الماء المالح، ويغذى الرضيع، وإبطه أبيض غير متغير اللون لا شعر عليه، وما ثأب قط، ولا احتلم قط، وكذلك الأنبياء فى الثلاثة، وعرقه أطيب من المسك وكان إذا مشى مع الطويل طالاه، وإذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين، ولم يقع ظله على الأرض، ولا رؤى له ظل فى شمس ولا قمر، ولا يقع ذباب على ثيابه، ولا آذاه قمل. وكانت الأرض تطوى له إذا مشى ... ولم ير له أثر قضاء حاجة بل كانت الأرض تبتلعه وكذلك الأنبياء، وكان يبيت جائعا فيصبح طاعما يطعمه ربه ويسقيه من الجنة، ولم يضغط فى قبره وكذلك الأنبياء ولا يسلم منها لا صالح ولا غيره، ولا تأكل السباع جسده وكذلك الأنبياء، ولا يجوز للمضطر أكل ميتة نبي، وهو حى فى قبره يصلى فيه بأذان وإقامة وكذلك الأنبياء، ولهذا قيل لا عدة على أزواجه، وموكل بقبره ملك يبلغه صلاة المصلين، وتعرض عليه أعمال أمته ويستغفر لهم والمصيبة بموته عامة لأمة إلى يوم القيامة، ومن رآه فى المنام فقد رآه حقا فإن الشيطان لا يتمثل بصورته، ومن أمره بأمر فى المنام وجب عليه امتثاله فى أحد وجهين واستحب فى الآخرة، وقراءة أحاديثه عبادة يثاب عليها، وثبت صحبته لمن اجتمع به ولو لحظة بخلاف التابعى مع الصحابة فلا تثبت إلا بطول الزمن عند أهل الأصول والفرق عظيم منصب

النبوة ونورها فكان ﷺ بمجرد ما يقع بصره على الإعرابى العجلف ينطق بالحكمة. وأصحابه كلهم عدول فلا يبحث عن عدالة أحد منهم كما يبحث عن سائر الرواة، ولا يكره للنساء زيارة قبره كما يكره لهن زيارة سائر القبور بل يستحب كما قاله العراقى فى نكته، والمصلى بمسجده لا يبصق عن يساره كما هو السنة فى سائر المساجد، ويحرم التقدم عليه، ورفع الصوت فوق صوته، والجهر له بالقول، ونداؤه من وراء الحجرات، والصياح به من بعيد، وتجب محبة أهل بيته وأصحابه، ومن قذف أزواجه فلا توبة له ألبة كما قال ابن عباس وغيره، ولم تبغ امرأة نبي قط، وأولاد بناته ينسبون إليه ولا يتزوج على بناته، ومن صاهره من الجانبين لم يدخل النار. وفى هذا القدر كفاية لأولى الأبصار وقد جمع بعض خصائصه ﷺ جلال الدين السيوطى فى رسالة سماها أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب (نور الأبصار / ٤٠ - ٤٥).

قالت المؤلفة : ذكر حاجى خليفة (كشف / ١ / ٧٠٥) تحت عنوان «الخصائص النبوية» يأتى، أن السيوطى ذكر أنه اختصر الخصائص النبوية وسماه «أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب» كما ذكر شرحه فانظره فى موضعه.

يزيدنا علما بخصائص رسول الله ﷺ الإمام محبى الدين النووى فى التهذيب، وننقله لك فيما يلى إتماما للفائدة. قال رحمه الله :

قال أصحابنا خصائصه ﷺ أربعة أضرِب .

الأول ما اختص به ﷺ من الواجبات قالوا والحكمة فيه زيادة الزلفى والدرجات العلى فلم يتقرب المتقربون إلى الله تعالى بمثل أداء ما افترض عليهم كما صرح به الحديث الصحيح ونقل إمام الحرمين عن بعض أصحابنا أن ثواب الفرض يزيد على ثواب النفل بسبعين درجة واستأنسوا فيه بحديث، فمن هذا الضرب صلاة الضحى، ومنه الأضحية، والوتر، والتهجد والسواك، والمشاورة. والصحيح عند أصحابنا أنها واجبات عليه وقيل ستين [درجة] والأصح عند أصحابنا أن الوتر غير التهجد والصحيح أن التهجد نسخ وجوبه فى حقه ﷺ كما نسخ فى حق الأمة وهذا هو

القسم الثاني : فى النكاح فممنه إمساك من كرهت نكاحه والصحيح عند أصحابنا تحريمه وقال بعضهم كان لا يفارقها تكراً ومنه نكاح الكتابية والأصح عند أصحابنا أنه كان محرماً عليه وبه قال ابن سريج وأبو سعيد الأصبهاني والقاضي أبو حامد المرورودي . وقال أبو إسحاق المروذي ليس بحرام ويجزى الوجهان فى التسرى بالأمة الكتابية ونكاح الأمة المسلمة لكن الأصح فى التسرى بالكتابية الحل وفى نكاح الأمة المسلمة التحريم . وأما الأمة الكتابية فقطع الجمهور بأن نكاحها كان محرماً عليه وطرد الحنابلة الوجهين وفرع الأصحاب هنا تفرعات لا أراها لائقة بهذا الكتاب .

الضرب الثالث : التخفيفات والمباحات وما أبيح له ﷺ دون غيره نوعان . أحدهما لا يتعلق بالنكاح فممنه الوصال فى الصوم ، واصطفاء ما يختاره من الغنمة قبل القسمة من جارية وغيرها ، ويقال لذلك المختار الصفى والصفية وجمعها صفايا ، ومنه خمس الخمس فى الفى والغنمة ، وأربعة أخماس الفى ، ودخول مكة بلا إحرام ، وإباحة القتال فيها ساعة دخلها يوم الفتح . وله أن يقضى بعلمه وفى غيره خلاف ، ويحكم لنفسه وولده ، ويشهد لنفسه وولده ، ويقبل شهادة من يشهد له ، ويحصى الموات لنفسه ، ولا ينتقض وضوؤه بالنوم مضطجعا . وذكر بعض أصحابنا فى انتقاض وضوئه بلمس المرأة وجهين والمشهور الانتقاض . وفى إباحة مكته فى المسجد مع الجنبات وجهان لأصحابنا قال أبو العباس بن القاص فى التلخيص يباح وقال القفال وغيره لا يباح وغلط إمام الحرمين وغيره صاحب التلخيص فى الإباحة وقد يحتج للإباحة بحديث عطية عن أبى سعيد قال النبى ﷺ «ياعلى لا يحل لأحد يجنب فى هذا المسجد غيرى وغيرك» قال الترمذى حديث حسن . وقد يعترض على هذا الحديث بأن عطية ضعيف عند الجمهور ويجاب بأن الترمذى حكم بأنه حسن فلعنه اعتضد بما اقتضى حسنه . وأبيح له أخذ الطعام والشراب من مالكيهما المحتاج إليهما إذا احتاج هو ﷺ إليهما ويجب على صاحبهما البذل له ﷺ وصيانة مهجته ﷺ قال الله تعالى «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم» [الأحزاب : ٦] واعلم أن معظم هذه المباحات لم يفعلها ﷺ وإن كانت مباحة له والله أعلم .

المنصوص للشافعى رحمه الله . قال الله تعالى «ومن الليل فتهجد به نافلة لك» [الإسراء : ٧٩] وفى صحيح مسلم عن عائشة ما يدل عليه . ومنه وجوب مصابرة العدو وإن كثروا وزادوا على الضعف . ومنه قضاء دين من مات وعليه دين لم يخلف وفاء . وقيل كان يقضيه تكريماً لا وجوباً والأصح عند أصحابنا أنه كان واجباً وقيل يجب عليه ﷺ إذا رأى شيئاً يعجبه أن يقول لبيك إن العيش عيش الآخرة . ومن هذا الضرب فى النكاح أنه أوجب عليه تخيير نسائه بين مفارقتها واختياره . وقال بعض أصحابنا كان هذا التخيير مستحباً والصحيح وجوبه فلما خيهرن اخترنه والدار الآخرة فحرم عليه التزوج عليهن والتبديل بهن مكافأة لهن على حسن صنيعهن قال الله تعالى «لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج» [الأحزاب : ٥٢] ثم نسخ لتكون المنة لرسول الله ﷺ بترك التزوج عليهن . فقال تعالى «إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن» [الأحزاب : ٥٠] واختلف أصحابنا هل حرم طلاقهن بعد الاختيار فالأصح أنه لم يحرم وإنما حرم التبديل وهو غير مجرد الطلاق .

الضرب الثانى : ما اختص به من المحرمات عليه ليكون الأجر فى اجتنابه أكثر وهو قسمان : أحدهما فى غير النكاح فممنه الشعر والخط . ومنه الزكاة وفى صدقة التطوع قولان للشافعى أصحابهما أنها كانت محرمة عليه وأما الأكل متكثراً وأكل الثوم والبصل والكراث فكانت مكروهة له غير محرمة فى الأصح . وقال بعض أصحابنا محرمات وكان يحرم عليه إذا لبس لامته أن ينزعها حتى يلقى العدو ويقاتل . وقيل كان مكروهاً والصحيح عند أصحابنا تحريمه وقال بعض أصحابنا تفرعاً على هذا أنه كان إذا شرع فى تطوع لزمه إتمامه وهذا ضعيف وكان يحرم عليه مد العين إلى ما متع به الناس من زهرة الدنيا وحرم عليه خائنة الأعين وهى الإيماء برأس أو يد أو غيرهما إلى مباح من قتل أو ضرب أو نحوها على خلاف ما يظهر ويشعر به الحال ، وكان لا يصلى أولاً على من مات وعليه دين لا وفاء له ويأذن لأصحابه فى الصلاة عليه . واختلف أصحابنا هل كان يحرم عليه الصلاة أم لا ثم نسخ ذلك وكان يصلى عليه ويوفى دينه من عنده .

النوع الثاني : متعلق بالنكاح فمنه إباحة تسع نسوة والصحيح جواز الزيادة له ﷺ ومنه انعقاد نكاحه بلفظ الهبة على الأصح والأصح انحصار طلاقه في الثلاث وقيل لا ينحصر وإذا عقد نكاحه بلفظ الهبة لا يجب مهر بالعقد ولا بالدخول بخلاف غيره . ومنه انعقاد نكاحه بلا ولي ولا شهود وفي حال الإحرام على الصحيح في الجميع وإذا رغب في نكاح امرأة خلية لزمها الإجابة على الصحيح ويحرم على غيره خطبتها وفي وجوب القسم بين أزواجه وإمائه وجهان ، قال الإطخري لا يجب فيكون من الخصائص . وقال آخرون يجب فليس منها . وبني الأصحاب أكثر هذه المسائل ونظائرها على أصل عندهم وهو أن نكاحه ﷺ هل هو كالنكاح في حقنا أم كالتسرى وأعتق صفية وتزوجها وجعل عتقها صداقها فقيل أعتقها وشرط أن ينكحها فلزمه الوفاء بخلاف غيره . وقيل جعل نفس العتق صداقا وصح ذلك بخلاف غيره وقيل أعتقها بلا عوض وتزوجها بلا مهر لا في الحال ولا فيما بعد وهذا أصح وذكر الأصحاب في هذا النوع أشياء كثيرة جدا حذفناها .

الضرب الرابع : ما اختص به ﷺ من الفضائل والإكرام فمنه أن أزواجه اللاتي توفى عنهن محرمات على غيره أبدا وفيمن فارقها في الحياة أوجه أصحابها تحريمها وهو نص الشافعي رحمه الله في أحكام القرآن وبه قال أبو علي بن أبي هريرة لقوله تعالى ﴿ وَأَزْوَاجَهُمْ أَهْلَهُمْ ﴾ [الأحزاب : ٦] والثاني يحل والثالث يحرم التي دخل بها فقط . فإذا قلنا بالتحريم ففي أمة يفارقها بوفاة أو غيرها بعد الدخول وجهان ومنه أن أزواجه أمهات المؤمنين سواء من توفيت تحته ومن توفى عنها وذلك في تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن وطاعتهن وتحريم حقوقهن لا في النظر والخلوة وتحريم بناتهن وأخواتهن فلا يقال بناتهن أخوات المؤمنين ولا آبائهن وأمهاتهن أجداد وجدات المؤمنين ولا إخوتهن وأخواتهن أخوال ونحالات المؤمنين . وقال بعض أصحابنا يطلق اسم الأخوة على بناتهن واسم الخلوة على إخوتهن وهذا ظاهر نص الشافعي رحمه الله في مختصر المزني . وهل كن أمهات المؤمنات فيه وجهان لأصحابنا أصحهما : لا بل هن أمهات المؤمنين دون المؤمنات وهو المنقول عن عائشة رضي الله عنها

بناء على المذهب المختار لأهل الأصول أن النساء لا يدخلن في ضمير الرجال . وقال البغوي من أصحابنا ويقال للنبي ﷺ أبو المؤمنين والمؤمنات ونقل الواحدى عن بعض أصحابنا أنه لا يقال ذلك لقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] قال ونص الشافعي رضي الله عنه على جوازه أى أبوهم في الحرمة قال ومعنى الآية ليس أحد من رجالكم ولد صلبه . وفي الحديث الصحيح في سنن أبي داود وغيره « أن النبي ﷺ قال إنما أنا لكم مثل الوالد » قيل في الشفقة وقيل في ألا يستحيوا من سؤالي عما يحتاجون إليه من أمر العورات وغيرها . وقيل في ذلك كله وغيره وقد أوضحت ذلك كله في كتاب الاستطابة من شرح المذهب .

ومنه تفضيل نسائه ﷺ على سائر النساء وجعل ثوابهن وعقابهن ضعفين ، وتحريم سؤالهن إلا من وراء حجاب ويجوز في غيرهن مشافهة . وأفضل أزواجه خديجة وعائشة . قال أبو سعد المتولى واختلف أصحابنا أيتهما أفضل .

ومنه في غير النكاح أنه ﷺ خاتم النبيين وخير الخلائق أجمعين . وأتمه أفضل الأمم وأصحابه خير القرون وأتمه معصومة من الاجتماع على ضلالة . وشريعته مؤبدة وناسخة لجميع الشرائع . وكتابه معجزة محفوظة عن التحريف والتبديل وهو حجة على الناس بعد وفاته ومعجزات سائر الأنبياء انقضت . ونصر بالرعب مسيرة شهر وجعلت له الأرض مسجدا وطهورا ، وأحلت له الغنائم ، وأعطى الشفاعة والمقام المحمود ، وأرسل إلى الناس كافة وهو سيد ولد آدم ، وأول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع وأول مشفع ، وأول من يقرع باب الجنة ، وهو أكثر الأنبياء تبعا ، وأعطى جوامع الكلم ، وصفوف أمته في الصلاة كصفوف الملائكة وكان لا ينام قلبه ويرى من وراء ظهره كما يرى من قدامه ولا يحل لأحد أن يرفع صوته فوق صوته ولا أن يناديه من وراء الحجرات ولا أن يناديه باسمه فيقول يا محمد بل يقول يا نبي الله يا رسول الله ويخاطبه المصلى بقوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ولو خاطب آدميا غيره بطلت صلاته ، ويلزم المصلى إذا دعاه أن يجيبه وهو في الصلاة ولا تبطل صلاته ، وكان بوله ودمه يترك بهما . وكان شعره طاهرا وإن حكمتنا بنجاسة شعر الأمة .

وما لا نص فيه فالخلاف فيه هجوم على الغيب من غير فائدة .

الكلام الثاني قال الصيمري منع أبو على بن خيران الكلام في الخصائص لأنه أمر انقضى قال وقال سائر أصحابنا لا بأس به وهو الصحيح لما فيه من زيادة العلم . هذا كلام الأصحاب والصواب الجزم بجواز ذلك بل باستحبابه ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا إن لم يمنع منه إجماع لأنه ربما رأى جاهل بعض الخصائص ثابتا في الصحيح فعمل به أخذا بأصل التأسى فوجب بيانها لتعرف ولا مشاركة فيها وأى فائدة أعظم من هذه . وأما ما يقع في أثناء الخصائص مما لا فائدة فيه اليوم فقليل جدا لا تخلو أبواب الفقه عن مثله للتدرب ومعرفة الأدلة وتحقيق الشيء على ما هو عليه كما يقولون في الفرائض ترك مائة جدة ونحو ذلك وبالله التوفيق (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٣٨ - ٤٤) .

وقد صاغ كل هذه الخصائص شعرا ، الحافظ زين الدين العراقي ، والنظم ممزوج بشرح فضيلة الشيخ عبد الرزاق المناوي ، ولكننا آثرنا حذفه تجنباً للتكرار . وقد بدأ الشارح بقوله عن الخصائص :

وهي كثيرة وفيها مؤلفات غزيرة شهيرة وذكرها جازر مندوب بل قيل يجب ثم هي أربعة أضرب الأول الواجبات لزيادة ثوابها على مثلها نفلا بسبعين درجة وإليها أشار الناظم بقوله .

خص النبي بـ **وجوب عـ**

السوتر والسواك والأضحية

كذا الضحى لوصح والمصاברה

على العبدو وكذا المشاورة

والشافعي عن الوجوب صرفه

حكاه عنه البيهقي في المعرفه

ثم يمضي كل من الناظم والشارح في الكلام على الضرب الثاني : وهو المحرمات ، والضرب الثالث وهو المباحات له دون غيره ، والضرب الرابع وهو ما اختص به من الواجبات عليه ، يقول الناظم :

كذا التهجد ولكن خففا

نسختا وقيل السوتر ذا وضعفا

واختلف أصحابنا في طهارة دمه وبوله وسائر الفضلات . وكانت الهدية حلالا له بخلاف غيره من ولاية الأمور فلا تحل له هدية رعاياهم على تفصيل مشهور ولا يجوز الجنون على الأنبياء ويجوز عليهم الإغماء لأنه مرض بخلاف الجنون واختلفوا في جواز الاحتلام والأشهر امتناعه . وفاته ﷺ ركعتان بعد الظهر فقضاهما بعد العصر وواظب عليهما بعد العصر وفي اختصاصه بهذه الملازمة والمداومة وجهان لأصحابنا أصحهما وأشهرهما الاختصاص وقال ﷺ « لا تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي » وفي جواز التكني بأبي القاسم خلاف أوضحته في الروضة وفي كتاب الأذكار وقال ﷺ « كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي » قيل معناه أن أمته ينسبون إليه يوم القيامة وأمم سائر الأنبياء لا تنسب إليهم . وقيل ينتفع يومئذ بالانتساب إليه ولا ينتفع بسائر الأنساب . قال أصحابنا : ومن استهان أو زنى بحضرته كفر كذا قالوه . وفي الزنا نظر . قال ابن القاص والقفال والمروزي ومن الخصائص أنه ﷺ يؤخذ عن الدنيا عند تلقى الوحي ولا يسقط عنه الصلاة ولا غيرها ومنه أن من رآه في المنام فقد رآه حقا فإن الشيطان لا يتمثل بصورته ولكن لا يعمل بما يسمعه الرائي منه في المنام فيما يتعلق بالأحكام إن خالف ما استقر في الشرع لعدم ضبط الرائي لا للشك في الرؤية لأن الخبر لا يقبل إلا من ضابط مكلف والنائم بخلافه .

ومنها أن الأرض لا تأكل لحوم الأنبياء للحديث المشهور . ومنها قوله ﷺ « إن كذب على ليس ككذب على أحد » قال أصحابنا وغيرهم فتعمد الكذب عليه من الكبائر فإن استحلته المتعمد كفر والإلهو كسائر الكبائر لا يكفر بها . وقال الشيخ أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين يكفر بذلك والصواب الأول وبه قطع الجمهور والله أعلم .

واعلم أن هذا الضرب لا ينحصر ولكن نبهنا بما ذكرناه على ما سواه ولنختتم الفصل بكلامين . أحدهما قال إمام الحرمين قال المحققون ذكر الخلاف في مسائل الخصائص خبط لا فائدة فيه فإنه لا يتعلق به حكم ناجز تمس الحاجة إليه وإنما يجري الخلاف فيما لا نجد بدا من إثبات حكم فيه فإن الأقيسة لا مجال لها والأحكام الخاصة تتبع فيها النصوص

كذلك قضاء دين من مات ولم
يتسرك وفاء وقيل بل هذا كرم
كذلك تخير النساء اللاتي
معه وأما في المحرمات
مما أبيع لسواه حرما
عليه فهو مد عينيه لما
قد متع الناس به من زهرة
دنياههم كذلك من خائفة
الأمين اعلمده ونزعته لما
ليس من أمة حرب حرما
حتى يلاقى العدا فينزعا
صدقة فامنع ولو تطوعا
والشعر والخط وقيل يمنع
ثوم ونحوه وأكل يقع
مع أتكاء والنكاح للأمة
مع الكتابية غير المسلمة
كذلك إمساك التي قد كرهت
نكاحه والخلف في هذا ثبت
وقد أباح ربه الوصالا
لله وفي ساعة القتال
بمكة كذلك إلا إحرام
دخولها وليس بالمنام
مضطجعاً نقض وضوئه حصل
كذلك اصطفاً ماله الله أحل
من قبل قسمة كذلك يقضى
لنفسه وولده فيمضى
كذلك الشهادة كذلك يقبل
من شهدوا له كذلك يفصل
في حكمه بعلمه للعصمة
واختلفوا في غيره للبرية

كذلك أنه أن يحمي المسواتا
لنفسه ويأخذ الأقاتا
وغيرها من الطعام مهما
احتاج والبال فأوجب حتما
من مالك إن يكن محتاجا
لكنه لفعل هذا مساجا
والخلف في النقض بلمس المسراه
والمكث في المسجد مع جنابه
وجائز نكاحه لتسعه
وفوقها وعقده بالهبة
فإن فلا بالعقد حتم مهره
ولا الدخول بخلاف غيره
كذلك إلا ولي أو شهود أو
في حال إحرام بخلف قد حكوا
ومن يرم نكاحها لزمها
إجابة وحرمت خطبتها
ومن لها زوج فحقا وجبا
طلاقها كما جرى لزينا
وفي وجوب قسمه بين الإما
وبين زوجات له خلف نما
زوجاته كل محرمات
هن لدى الإيمان أمهات
نكاحهن مع عقوقهن
مع الزوجوب لا حترامهن
لا نظروا وخلوة بهن
ولا بتحرير بناتهن
من دخلت عليه أو قد فورقت
أو مات عنها أو تكون سبقت
وهن أفضل نساء الأمة
ضعفن في الأجر وفي العقوبه

أفضلهن مطلقاً خديجته
وبعدهما عائشة الصديقة
وأنته خاتم الأنبياء
خير الخلائق بسلاً وراء
أمتيه في الناس أفضل الأمم
معصومة من الضلال بعصم
أصحابه خير القرون في الملا
كتابيه المحفوظ أن يُبدل
شرعته قبل أبدت ونسخت
كل الشرائع التي قبل خلت
والأرض مسجدة له طهور
والعرب شهراً نصرته يسير
سيد أولاد أبنينا آدمياً
قد حلل الله له الغنائم
أرسل للناس جميعاً أعطيها
مقامه المحمود حتى رضيا
وخص بالشفاعة العظمى
التي يحجم عنها كل من لها أوتى
أول من تنشق عنه الأرض
ولا ينال قلبه بل غمض
أول من يقوم للشفاعة
أول من يقرع باب الجنة
أكثر الأنبياء حقاً تبعاً
يرى وراءه كُفُوداً معاً
أتاه ربه جوامع الكلم
قرينه أسلم فهو قد سلم
صفوفه والأمة المباركة
كصف عند ربها الملائكة
ولا يحل السرفع فوق صوتيه
ولا ينادي باسمه بل نعتيه
خطوب في الصلاة بالسلام
عليك دون سائر الأنعام

ومن دعاه في الصلاة وجبت
إجابة له وفرضه ثبت
وبوليه ودمه إذ أتيا
تبركا من شارب ما نهيا
يقبل ما يهدي له فحل
دون الصلاة فهو لا يحل
فاتته ركعتان بعد الظهر
صلاههما ودام بعد العصر
ومنا لهما دوام ذا بل يمنع
ومنا سوى سببه فمنقطع
ونسب يوم القيامة ومن
رآه نوبن أبي طالب ما فهو قد رآه لن
يكون للشيطان من تمثيل
بصورة النبي أو تخيل
وكذب عليه ليس ككذب
على سواه فهو أكبر الكذب
(العجالة السنية / ١٣٣ - ١٥٠).

وقد ألفت في ذلك كتب منها «الخصائص الكبرى» للإمام
الشيخ عبد الرحمن السيوطي ، و «الخصائص الصغرى» له
أيضاً رحمه الله تعالى . ومنها كتاب «الخصائص» للعلامة
مغلطاي التركي (محاسن الإسلام / ١٣١).

(التعريفات للشيخ الجرجاني - تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن
عميرة / ١٣٣ ، ونور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار للشبلنجي .
ط دار الغد العربي / ٤٠ - ٤٥ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي
الدين بن شرف النووي / ١ - ٣٨ ، ٤٤ ، والعجالة السنية على ألفية السيرة
النبوية للعراقي - الشيخ عبد الرزاق المناوي / ١٣٣ - ١٥٠ ، ومحاسن
الإسلام - الشيخ محمد سعد بن عبد الله الرباطي العباسي / ١٣١).

« خصائص السَّوَاك :

خصائص السَّوَاك - للشيخ أبي الخير أحمد بن إسماعيل

القزويني الطالقاني وهو مختصر مشتمل على اثني عشر فصلا .

رياض المالح (١ / ٤٩٨) .

« الخصائص الكبرى :

(كشف الظنون ١ / ٧٠٥) .

« الخصائص في فضل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه :

الخصائص في فضل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي الحافظ المتوفى سنة ٣٠٣ ثلاث وثلثمائة ذكر أنه قيل له لم لا صنف في فضائل الشيخين قال دخلت إلى دمشق والمنحرف عن علي بها كثير فصنفته رجاء أن يهديهم الله سبحانه وتعالى به فأنكروا عليه وأخرجوه من المسجد ثم من دمشق إلى الرملة فمات بها .

(كشف الظنون ١ / ٧٠٦) .

« خصائص القرآن :

من مصنفات التراث الإسلامي في التصوف

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٦٤٢٣

رسالة في خصائص القرآن نقل مؤلفها عن ابن عربي في تفسيره الكبير الجمع والتفصيل في أسرار معاني التنزيل وعن أوجد الدين الكرمانى .

المؤلف :

أولها : اعلم أن للشيخ الأكبر محيي الدين بن علي العربي الأندلسي الحاتمي الطائي قدس سره العزيز تفسيراً لكلام الله تعالى واسمه كتاب الجمع والتفصيل في أسرار معاني التنزيل وقدره ستون وستمائة مجلد ووجد منه الآن في مصر القاهرة إلى قوله تعالى وإذا قال موسى لفته ...

آخرها : هذه الآيات قطب الأقطاب والخواص المذكورة جمعت ودونت من كتب التفاسير والأحاديث ... وشرح خواصها خارجة من أن يدركها العقل والفهم وهذه الآيات ... يا قدوس يا قائم يا قابل التوب ...

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف — وضع محمد

الخصائص الكبرى ، أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص المحيى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ وهو عن خصائص رسول الله ﷺ (انظر هذه المادة تحت عنوانها) .

ونقل لك فيما يلي خطبة الكتاب ، وقد وضعنا تعليقات المحقق الدكتور هراس بين أقواس في ثانيا النص . قال الإمام السيوطى رحمه الله بعد البسملة :

الحمد لله الذى أطلع فى سماء النبوة سراجاً لامعاً وقمراً منيراً ، وأطلع من أكماس الرسالة ثمراً يانعاً وزهراً منيراً ، تبارك اسمه ، وتمت كلمته ، وعمت نعمه ، وجمت حكمه ، وجرى بما كان وبما يكون قلمه .

(حديث القلم وارد من طرق عن أبي هريرة وعبادة بن الصامت وابن عباس من رواية مقسم وأبي الضحى وأبي ظبيان ومجاهد ولفظ رواية مجاهد «قيل لابن عباس إن هاهنا قوما يقولون فى القدر فقال : إنهم يكذبون بكتاب الله عز وجل لئن أخذت بشعر أحدهم لأنصونه .

(قالت المؤلفة : نصاه : قبض على ناصيته . المعجم الوسيط ٢ / ٩٢٧) إن الله عز وجل كان عرسه على الماء قبل أن يخلق شيئاً ثم خلق فكان أول ما خلق القلم ثم أمره فقال اكتب فكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة وإنما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه) .

أوجد الأنام من العدم ، وجعل الضياء والظلم ، وخلق اللوح والقلم ، وقدر الآجال والأرزاق والأعمال وقسم ، أحمدته وهو المحمود أزلاً وأبداً ، وأشكره مستزيداً من نعمه مسترفداً وأستهديه ، ومن يضل الله فلن تجد له ولياً مرشداً ، وأستنصره ولن تجد من دونه ملتحداً ، وأستكفيه وله الحول ، والقوة سرمداً ، وأستعينه ونعم المولى والنصير مؤيداً ، وأعتصم به وأستمسك بحبله فلا انفصام له أبداً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهها واحداً ، أحداً ، فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، تنزه عن سمات المحدثات فلا جسم ولا

عرض ولا صوت ولا انتقال، ولا يحويه مكان ولا زمان ولا يخطر بالبال، ولا يدركه العقل ولا يحيط به الإدراك ولا للذهن إلى حقيقته مجال وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله نبي ما ضل وما غوى، وما ينطق عن الهوى، ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ * عند سدره المنتهى * عندها جنة المأوى ﴿[النجم: ١٣ - ١٥]، وسمع صريف الأقلام بالمستوى، وكتب الرحمن اسمه على العرش إذ استوى﴾ (أخرجه الحاكم وصححه وأفرده السبكي في شفاء السقام والبلقينى فى فتاويه، ولكنه غير صحيح ففى سنده عمرو بن أوس وهو مجهول) وأذن باسمه فى المبتدأ فى الأرض وفى السماء، ويوم النشأة الأخرى سلم عليه الحجر والشجر، ودر له ضرع الجدعة بالذر وحن الجدع لفراقه حتى خار خوار البقر، ونبع الماء من أصابعه ومن الأرض انفجر، وانشق له وكان يناغيه فى مهده القمر، ونبع الماء من أصابعه ومن الأرض انفجر، وانشق له وكان يناغيه فى مهده القمر، وحى له الميت، وآمنت لدعوته أسكفة الباب وحوائط البيت (حنين الجدع ونبع الماء وانشق القمر كلها معجزات صحيحة واردة فى الصحيحين وغيرهما وأما مناغاة القمر فى المهد وإحياء الميت وإيمان الأسكفة والحيطان فهى آثار موضوعة أو واهية)، وأشار إلى السحاب بالغيث، فأجاب من غير ريث هيث ﷺ صلاة تسعد عند الممات، وتسعف عند أهوال المسألة بالثبات، وتجزى على الصراط إذا كثر الزالون والزالات، وعلى آله وصحبه نجوم الهدى، وليوث العدى، وغيوث الندى، ما صاح حاد وشدا. وراح شاد وغدا، وضاب غاد وهدى، وغاب صاد وندا، وصال باد وودى، وسال واد وجدى، هذا كتاب مرقوم يشهد بفضل المقربون. وسحاب مركوم يحيى بوابله الأقصون والأقربون. كتاب نفيس جليل، محله من الكتاب محل الدرة من الإكليل، أو موضع السجدة من آى التنزيل، كتاب أمرت قطراته، وأينعت ثمراته وعبقت زهراته، وأشرقت أنواره ونيراته. وصدقت أخباره آياته، كتاب بسقت فنونه، وأورقت غصونه، واتسقت أسانيدته ومثونه، كتاب يؤجر قارئه ومستمعه، ويحفظ به إن شاء الله تعالى مؤلفه فيما يأتبه ويدعه، ويثبت بالقول الثابت إذا حان مصرعه ويكون له فى

عرصات القيامة نورا يسعى بين يديه ويتبعه، كتاب جمع فأوعى، ما كل عن جمعه ووهى، كل بطل شديد القوى، كتاب فاق الكتب فى نوعه جمعا وإتقانا، يشرح صدور المهتدين إيقانا، ويزداد به الذين آمنوا إيمانا، ديوان مستوف لما تناسخته السفرة الكرام البررة، مستوعب لما تناقلته أئمة الحديث بأسانيد المعتمدة، مشتمل على ما اختص به سيد المرسلين من المعجزات الباهرة، والخصائص التى أشرقت إشراق البدور السافرة، أوردت فيه كل ما ورد، ونزهته عن الأخبار الموضوعة، وما يرد وتتبع الطرق. والشواهد، لما ضعف من حيث السند، ورتبه أقساما متناسقة، وأبوابا متلاحقة، بحيث جاء بحمد الله كاملا فى فنه؛ وإبلا مطر دجنه سابعة ذيوله، سائغة نيوله، حلله ضافية، ومناهلة صافية، وموارده كافية، ومصادره وافية، لا تجمع واردة إلا وهى فيه مسموعة، ولا تسمع شاردة إلا وتراها فى ديوانه مجموعة، قربت فيه ما كان بعيدا. وأنست ما كان فريدا، وأهلت ما كان شريدا وفتحت لكل غريبة وصيدا (الوصيد: الباب) وشرحت به صدور قوم مؤمنين. وقلوب طائفة آمين، وغطت به الجاحدين والمفسدين، والطائفة المبتدعة والملحدين والفلاسفة المتمردين، ورجوت به الحسنى ومن يهده الله فهو من المهتدين (الخصائص الكبرى ١ / ٩٠٥).

قالت المؤلفة: لم أجد فيما لدى من المراجع التى ترجمت للسيوطى أو فى ترجمته الذاتية (حسن المحاضرة ١ / ٣٣٥ - ٣٤٤) أى ذكر لكتاب بعنوان «الخصائص الكبرى» أو بالعنوان الفرعى «كفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب»، وليس لدى من دليل على نسبة الكتاب للسيوطى سوى الطبعتين اللتين نقلت منهما هذه المادة، وهما طبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة، تحقيق الدكتور محمد خليل هراس، وطبعة مكتبة ٣٠ تموز ببغداد أما عن الترجمة الذاتية للسيوطى، وهى المشار إليها آنفا، فقد ذكر السيوطى من بين مؤلفاته فى فن الحديث وتعلقاته كتابا بعنوان «المعجزات والخصائص النبوية» وهو الذى ذكره صاحب الأعلام (٣ / ٣٠٢) باسم «الخصائص والمعجزات النبوية»

٦٦٣) وابن جر العسقلاني وسماه الأنوار (كشف ١ / ٧٠٥، ٧٠٦).

كما أورد كتاب أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب كما يلي :

أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة إحدى عشرة وتسعمائة . مختصر أوله : الحمد لله الذي أتقن بحكمته كل شيء ... إلخ ذكر فيه أنه لخصه من كتابه الكبير في الخصائص وجعله على بابين : الأول في التي اختص بها عليه الصلاة والسلام عن جميع الأنبياء ، والثاني في التي اختص بها عن أمته (كشف ١ / ١٨٥) .

أما مخطوط معهد المخطوطات العربية الذي سبقت الإشارة إليه فقد ورد في الفهرس (مسلسل ١٥٩٠) تحت عنوان «الخصائص النبوية الكبرى» وجاء بيانه كما يلي :

لجلال السدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي ، المتوفى سنة ٩١١ هـ (بروكلمن ٢ / ١٤٦) وملحق ١٨١ / ٢ .

أوله : «الحمد لله الذي أطلع في سماء النبوة سراجا لامعا» .

وآخره : «وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ... والحمد لله رب العالمين . نجزت الخصائص الكبرى والمعجزات النبوية ... ووافق فراغه يوم الأربعاء ثالث وعشرين ربيع الأول عام خمسة وثلاثين وألف للهجرة ... قال ذلك كاتبه ... محمد السعيد بن عمر بن أحمد بن محمد الحسنى تاب الله عليه . نسخة كتبت بخط مغربي في ٣١٠ ورقات ، ومسطرتها ٢٦ سطرا .

[ليبيا . مكتبة الأوقاف . طرابلس الغرب ٢٣] UNESCO

(فهرس المخطوطات المصورة ج ٢ ق ٤ / ١٥٩ ، ١٦٠) .

(الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - تحقيق د . محمد خليل هراس . ط دار الكتب الحديثة . القاهرة ١ / ٩٠٥ ، وط مكتبة ٣٠ تموز .

وذكر السيوطي في ترجمته الذاتية أيضا من بين مؤلفاته في الأجزاء المفردة كتابا باسم «أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب» ويأتي بيانه فيما بعد .

وأورد صاحب كشف الظنون كتابا للسيوطي بعنوان «الخصائص النبوية» (كشف ١ / ٧٠٥ ، ٧٠٦) وذكر أول الكتاب وهو مطابق لأول كتاب الخصائص الكبرى الذي نحن بصددده . مما قد يشجعنا على القول بأن الاسمين هما لكتاب واحد . ومما يؤيد هذا الاستنتاج أنه يوجد بمعهد المخطوطات العربية كتاب نوره في موضعه إن شاء الله تعالى وهو بعنوان «الخصائص النبوية الكبرى» ، أي أنه يجمع بين العنوانين . بقي أن نضيف أن العنوان الفرعي ، وهو «كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب» لا يرد في أي من المراجع التي بين يدي .

قال صاحب كشف الظنون تحت عنوان «الخصائص النبوية» .

الخصائص النبوية :

للشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة وهو مجلد أوله : الحمد لله الذي اطلع في سماء النبوة ... إلخ ذكر فيه أنه تتبع هذه الخصائص عشرين سنة إلى أن زادت على الألف ثم اختصره وسماه أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب روى أنه أخذ بعض معاصريه وأسندته إلى نفسه فكتب السيوطي فيه مقامة تسمى الفارق بين المصنف والسارق . واختصره أيضا الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني المتوفى سنة ٩٧٢ اثنتين وسبعين وتسعمائة . وعلى الأنموذج المذكور شرحان كبير وصغير لعبد الرؤوف المناوي . وصنف فيه أيضا سراج السدين عمر بن علي بن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤ أربع وثمانمائة ، وجلال الدين عبد الرحمن بن عمر البلقيني المتوفى سنة ٨٢٤ أربع وعشرين وثمانمائة ، وإمام الكاملية (هو كمال الدين محمد بن محمد الشامي المتوفى سنة ٨٧٤) والقطب الخيضري ويوسف بن موسى الجذامي (الأندلسي المعروف بابن المعدي المتوفى سنة

بغداد ١ / ٢ ، ٣ ، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٧٠٥ ، ٧٠٦ ،
١٨٥ ، وفهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ،
التاريخ ، ج ٢ ق ٤ . القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م / ١٥٩ ، ١٦٠ .

* الخصائص الكبرى - للنبي ﷺ :

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما
يلي :

لمحمد بن إبراهيم الرحمانى الحنفى ، من علماء القرن
الحدادى عشر الهجرى (فهرست المكتبة الأزهرية ١ /
٤٦٦) .

أوله : « الحمد لله الذى أتقن بحكمته فاحتبك ، وبعث
حبيبه محمدا فأنار به كل حلك » .

وآخره : « واجعلنا من الفائزين بقربه وجواره ولذذ بصائرنا
بالنظر إلى طلعة جمال أنواره بدار القرار يا كريم والحمد لله
رب العالمين » .

نسخة كتبت بقلم معتاد فى ٢٦٧ ورقة ، ومسطرتها ٢٣
سطرا . وقد فرغ المؤلف من تبيض كتابه يوم الأحد سابع محرم
سنة ١٠٣٩ هـ

[الأزهر ٩٠٧ حديث] UNESCO

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ،
التاريخ ، ج ٢ ق ٤ . القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م / ١٥٩) .

* خصائص المدن :

مما عني به الجغرافيون العرب وصف خصائص المدن ،
فالمدينة الإسلامية تحتل عندهم مكانة بارزة ، ونحن نفرد لها
مادة خاصة إن شاء الله تعالى ونسوق لك فيما يلي نموذجا من
ذلك الوصف هو ما أورده ابن قتيبة عن عدد كبير من المدن
الإسلامية ، وذلك فى كتابه «عيون الأخبار» . قال رحمه الله :

قالت الحكماء : المدائن لا تبنى إلا على ثلاثة أشياء :
على الماء والكلأ والمحتطب .

قال ابن شهاب : من قدم أرضا فأخذ من ترابها فجعله فى
مائها ثم شربه عوفى من وبائها .

وقال معاوية لقوم قدموا عليه : كلوا من فحأ أرضنا ، فقلما

أكل قوم من فحأ أرض فضرهم ماؤها (الفحأ : التوابل ،
كالفلفل والكمون وغيرهما) .

حدثنى الرياشى قال : حدثنى الأصمعى قال :

قال معاوية : أغبط الناس عندى سعد مولاي ، وكان يلى
أمواله بالحجاز ، يتربع جُدة ويتقيظ الطائف ويتشنى مكة .

حدثنا الرياشى قال : حدثنا الأصمعى قال : أربعة أشياء
قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن : الخطر والكندر والعصب
والورس . (الخطر : نبات يجعل ورقه فى الخضاب الأسود
يختضب به . والكندر : اللبان . والعصب : برود يمنية يعصب
غزلها أى يجمع ويشد . والورس : نبت أصفر يصيغ به) .

وقال الأصمعى عن معمر قال : وقفت باليمن على قرية
فقلت لامرأة : ما تسمى هذه القرية ؟ فقالت : ويحك ! أما
سمعت قول الشاعر :

أحب أنصافت عند القطاف

وعند عصارة أعصابها

قال الأصمعى : سواد البصرة : الأهواز ودستيميسان
وفارس . وسواد الكوفة : كسكر إلى الزاب إلى عمل حلوان إلى
القادسية . وعمل العراق : هيت إلى الصين والسند والهند ،
ثم كذلك إلى الرى وخراسان إلى الديلم والجبال كلها ،
وأصبهان صرة العراق ، افتتحها أبو موسى الأشعرى . والجزيرة
ما بين دجلة والفرات ، والموصل من الجزيرة ، ومكة من
المدينة ، ومصر لا تدخل فى عمل العراق .

حدثنى عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن
منبه قال : أول قرية بنيت بعد الطوفان قرية بقردى تسمى سوق
ثمانين ، كان نوح لما خرج من السفينة ابتناها وجعل فيها لكل
رجل آمن معه بيتا وكانوا ثمانين ، فهى اليوم تسمى سوق
ثمانين .

قال : وحران سميت بهاران بن أزر أخى إبراهيم النبي ﷺ
وهو أبو لوط .

قال النبي ﷺ لبريدة : «يابريدة إنه سيبعث بعدى بعوث ،
فإذا بعثت فكن فى أهل بعث المشرق ، ثم فى بعث خراسان ،
ثم فى بعث أرض يقال لها : مرو ، فإذا أتيتها فانزل مدينتها فإنه

وكان يقال : إذا كان علم الرجل حجازيا وسخاؤه كوفيا
وطاعته شامية فقد كمل .

لما اجتوى (أى كرهوا المقام بها) المسلمون المدائن (من
بلاد الفرس بالعراق) بعد ما نزلوا وآذاهم الغبار والذباب كتب
عمر إلى سعد فى بعثة رواد يرتادون منزلا برياً فإن العرب لا
يصلحها إلا ما يصلح الإبل والشاء . فسأل من قبله عن هذه
الصفة فيما يليهم ، فأشار عليه من رأى العراق من وجوه العرب
باللسان . وظهر الكوفة يقال له اللسان ، وهو فيما بين النهرين
إلى عين بنى الحداء ، وكانت العرب تقول : أدلع البر لسانه فى
الريف (أى خرجه) فما كان يلى الفرات منه فهو الملطاط وما
كان يلى الظهر منه فهو النجاف ، فكتب إلى سعد بأمره به .
وقال النابغة الجعدي يمدح الشام :

جساعلين الشام حمسا لهم
ولئن همموا لنعم الممتقل
مسوته أجر ومحياه غنى
واليسه عن أذاه معتزل
(الحم : القصد) .
وقال أيضا :

ولكن قومى أصبحوا مثل خيسر
بها داؤها ولا تضر الأعدا
قال الأصمعى : لم يولد بغدير خم (خم : واد بين مكة
والمدينة عند الجحفة به غدير) مولود فعاش إلى أن يحتلم إلا
أن يتحول عنها .

قال وحره ليلى ربما مر بها الطائر فيسقط ريشه . الحرة :
الأرض الغليظة ذات الحجارة النخرة السود كأنها أحرقت
بالنار . وحره ليلى يطؤها الحجاج فى طريقهم إلى المدينة
المنورة وهى من وراء وادى القرى من جهة المدينة) .

قال عمرو بن بحر يزعمون أن من دخل أرض تبت (وهى
المعروفة بالثبت المتاخمة للصين) لم يزل ضاحكا مسرورا من
غير عجب حتى يخرج منها .

ومن أقام بالموصل عاما ثم تفقد قوته وجد فيها فضلا .

أبو بكر الهذلى : نحن أكثر منكم ساجا (الساج : شجر عظيم
طيب الرائحة ، قيل يشبه الأبنوس وعاجا وديابجا وخراجا ونهرا
عجاجا) .

وقال الخليل (وهو الخليل بن أحمد الفراهيدى ، واضع
علم العروض وإمام اللغويين ، توفى سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) .
فى ظهر البصرة مما يلى قصر أوس من البصرة :

زر وادى القصر نعم القصر والسوادر
لا بد من زورة عن غير ميعاد
ترفنا بن السفن والظلمان واقفة
والضرب والنون والملاح والحادى
(ترفا : تصلح ، الظلمان : مفردا ظليم وهو ذكر النعام ،
والنون : الحوت) .

قال ابن أبى عيينة فى مثل ذلك :
يا جنة فأت الجنان فما
تبلغها قيمه ولا ثمن
ألفتها فاتخذتها وطنا
إن فؤادى لحبهها وطن
زوج حيتانها الضباب بها
فهذه كنية وذا ختن
فانظر وفكر فيما تطيف به
إن الأريب المفكر الفطن
من سفن كنعام مقبله
ومن نعام كأنها سفن
أنشد محمد بن عمر عن ابن كناسة فى ظهر الكوفة
(وهو محمد بن عبد الله (الملقب بكناسة) الأسدى ، من
شعراء الدولة العباسية ومن أهل الكوفة ، وكان عالما بالعربية
وأيام الناس وراوية للشاعر الكميت وغيره . توفى سنة ٢٠٧ هـ
/ ٨٢٣ م)
وإن بها لو تعلمين أصلا
وليس رقيقا مثل حاشية البرد

ومن أقام بالأهواز حولاً فتفقد عقله وجد نقصان فيه بيئاً .
والناس يقولون : حمى خبير، وطحال البحرين، ودماميل
الجزيرة، وطواعين الشام .

قالوا : من أطال الصوم بالمصيصة (وهي مدينة على
شاطيء نهر جيحان بين أنطاكية وبلاد الروم (تركيا اليوم)
تقارب طرسوس) في الصيف خيف عليه الجنون .

وأما قصبة الأهواز فتقلب كل من ينزلها من الأشراف إلى
طبائع أهلها، ووباؤها وحماها يكون في وقت انكسار الرباء
ونزوع الحمى عن جميع البلدان، وكل محموم فإن حماه إذا
أقلعت عنه فقد أخذ عند نفسه منها البرائة إلى أن يعود إلى
التخليط، وإلى أن يجتمع في جوفه الفساد إلا محموم الأهواز
فإنها تعاود من فارقتها لغير علة حدثت، ولذلك جمعت سوق
الأهواز الأفاعى في جبلها المطل عليها، والجرارات (وهي
عقارب قتالة تجر ذنبها إذا مشت لا ترفعه كما تفعل سائر
العقارب) في بيوتها، ومن ورائها سباخ ومناقع مياه غليظة،
وفيها أنهار تشققها مسایل كنفهم (جمع كنيف وهو المرحاض،
يريد المياه القذرة الناتجة عن المراحيض) ومياه أمطارهم،
فإذا طلعت الشمس طال مقامها واستمرت مقابلتها لذلك
الجبل قبل تشبب (أي ارتفاع) الصخرية التي فيها الجرارات،
فإذا امتلأت ببسا وحرًا وعادت جمرة واحدة قذفت ما قبلت
من ذلك عليهم وقد بخرت تلك السباخ وتلك الأنهار. فإذا
التقى عليهم ما بخرت به السباخ وما قذفه ذلك الجبل فسد
الهواء وفسد بفساد الهواء كل ما يشتمل عليه الهواء .

وقال إبراهيم بن العباس الكاتب (هو الصولي، كاتب
العراق في عصره، كان كاتباً للمعتصم والواثق والمتوكل، توفي
سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م) : حدثني مشايخ أهل الأهواز عن
القوايل جمع قابلة وهي التي تقوم بالتوليد أنهن ربما قبلن
الطفل فيجدنه في تلك الساعة محموماً يعرفن ذلك ويتحدثن
به .

قال : وفي عهد سجستان على العرب حين افتتحوها : ألا
يقتلوا قنفذاً ولا يصيدوه ، لأنها بلاد أفاع والقنافذ تأكلها ولولا
ذلك ما كان لهم بها قرار .

وقال ابن عياش لأبى بكر الهذلي يوم فآخره عند أبى
العباس : إنما مثل الكوفة مثل اللهاة من البدن يأتيها الماء ببرده
وعذوبته ، والبصرة بمنزلة المثانة يأتيها الماء بعد تغيره وفساده .

وقال محمد بن عمير بن عطار (وهو ابن حاجب بن زرار
التميمي الدارمي ، من أشراف أهل الكوفة وأجوادهم توفي نحو
سنة ٨٥ هـ / ٧٠٥ م) : إن الكوفة قد سفلت عن الشام
ووبائها، وارتفعت عن البصرة وعمقها فهي مريثة مربعة عذبة
ثرية إذا أنتنا الشمال ذهبت مسيرة شهر على مثل رضراض
الكافور (هو فتات الكافور) وإذا هبت الجنوب جاءتنا بريح
السواد وورده ويأسمينه وأترجه (انظر مادة «الأترج» في م ٢ /
٣٠٥ - ٣١١) وماؤنا عذب وعيشنا خصب .

وقال الحجاج : الكوفة بكر حسناء ، والبصرة عجوز بخراء
أوتيت من كل حلى وزينة .

اجتمع أهل العراق ليلة في سمر يزيد بن عمر بن هبيرة،
فقال يزيد : أي البلدين أطيب ثمرة : الكوفة أم البصرة؟ فقال
خالد بن صفوان : بل ثمرتنا أيها الأمير منها الأراذ والمعقلى
وكذا وكذا فقال عبد الرحمن بن بشير العجلي لست أشك أيها
الأمير أنكم قد اخترتم لأمير المؤمنين ما تبعثون به إليه . قال :
أجل ، قال : قد رضينا باختيارك لنا وعلينا . قال : فأى الرطب
تحملون إليه؟ قال المشان . قال ليس بالبصرة منه واحدة . ثم
أيه؟ قال : السابري . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال خالد
ابن صفوان : بل عندنا بالبصرة منه شيء يسير . قال : فأى
التمر تحملون إليه؟ قال : النرسيان . قال : ولا بالبصرة منه
واحدة . قال : ثم أيه؟ قال الهيرون أراذ قال : ولا بالبصرة منه
واحدة (وكلها أنواع جيدة من التمر) قال : فأى القسب (وهو
التمر اليابس) تحملون إليه قال : قسب العنبر . ولا بالبصرة منه
واحدة . قال ابن هبيرة لخالد : ادعى عليك خمسا فشاركته في
واحدة وسلمت له أربعاً ، ما أراه إلا قد غلبك .

قال خالد بن صفوان : ما رأينا أرضاً مثل الأبله أقرب مسافة
ولا أعذب نطفة ولا أوطأ مطية ولا أربح لتاجر ولا أخفى لعابد
(الأبله : بلدة على شاطئ دجلة البصرة، انظر مادة «الأبله»
في م ٢ / ٢٠٦) .

وقال ابن أبي عيينة يذكر قصر أنس بالبصرة :

فيا حسن ذاك القصر قصيرا ونسوة

بأنس سهل غيسر وعيسر ولا فسك

بغسر كأكسار الجسوارى وتربية

كان نسرهمسا مساء ورد على مسك

كان قصور الأرض ينظرون حورله

إلى ملك مسوف على منيسر المسك

ينسدل عليها مستطيلا بعينه

ويضحك منهسا وهى مطسرقنة تبكى

(من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة / ٢٣٠-٢٤٦).

« الخصائص المكية لزانري الصبيح محمد ﷺ إلى المدينة:

(جاء فى عنوان المطبوعة كما يلى : الدرة الثمينة فى زائر

النبي ﷺ إلى المدينة) من مخطوطات التصوف بدار الكتب

الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٤٣٢٣

وهو فى فصول، وفى مائة طبعة، منها الطبعة السادسة من

طبقات الزيارة والزائرين وأن لهم من الله توبة ورحمة من حضرة

الله العليم منانحة ومكافحة بسلطان العلم القاضى فى

المعلومات بسلطانه. ضمنه كثيرا من مشارب الصوفية

ومقابلتها مع الأسماء الإلهية والأسماء السعيدة.

المؤلف: صفى الدين أحمد بن محمد المدنى

الأنصارى الدجاني البدرى الحسينى المتوفى سنة ١٠٧١ هـ

/ ١٦٦١ م.

أوله : بسم الله وصلى الله على سيدنا محمد الذى ألهم

بالعقل الأقوم، لبروز الأمر منه إليهم بداعى (وما آتاكم الرسول

فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وآله وصحبه الرقيب عند قول

القاتل : وهمة الهام فى سائر الهمم بما فاؤوا به منه...

آخره : ونقل صاحب الدر المنظم أنه ﷺ لما مات ﷺ فى

أمة رحمة لهم فإنه ﷺ عز وجل أن يكون بين أمة إلى م

القيامة وحديث «أنا أكرم على ربي أن يتركنى فى قبرى ..»

الخط نسخ مقروء، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات : نسخة قيمة مصححة ومراجعة قوبلت على

المطبوعة فصح أولها وآخرها، كانت مجهولة فكتبت بالكتابة

مع نسخة مطبوعة لى.

مصادر عن الكتاب : الإيضاح ١ / ٤٥٧ معجم

المطبوعات / ١٧٢١.

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٢ / ١٧٠.

طبعة الكتاب : مطبعة التخدم العلمية سنة ١٣٢٦

هـ ١٥٧ م.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، التصوف، وضع محمد

رياض السالحي ١ / ٤٩٩، ٥١٠)

« الخصائص النبوية:

انظر : الخصائص الكبرى.

« الخصائص النبوية الكبرى:

انظر : الخصائص الكبرى

« الخصم:

الخصم (بفتح الخاء) : المخاض والمنساز يقع على

المفرد وغيره والذكر والأنثى بلفظ واحد، فتقول : هذا

خصمى، وهذه خصمى وهم خصمى، وهن خصمى، وفى

لغة فصيحة يطابق فى التثنية، وبها ورد قوله تعالى فى سورة

الحج : ﴿هذان خصمان اختصموا فى ربهم﴾ [الحج : ١٩]

وفى سورة ص : ﴿إذ دخلوا على داود ففرغ منهم قالوا لا تخف

خصمان بغى بعضنا على بعض﴾ [ص : ٢٢] ويطابق فى

الجمع فيقال : هؤلاء خصوم.

فى المختار: الخصم معروف يستوى فيه المذكر والمؤنث

والجمع لأنه فى الأصل مصدر، ومن العرب من يثنيه ويجمعه

فيقول : خصمان، وخصوم (الرسالة الرشادية / ٢٤).

قال الراغب الأصفهاني :

خصم : الخصم مصدر خصمته أى نازعته خصما، يقال

خاصمته وخصمته مخاصمة وخصاما، قال تعالى ﴿وهو ألد

الخصام﴾ [البقرة : ٢٠٤] ﴿وهو فى الخصام غير مبين﴾

[الزخرف : ١٨] ثم سمي المخاض خصما، واستعمل

لأولئك والجميع وربما أكثر، أصل الخصامة أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر أي بغيره وأنه يوجب لكل واحد خصم الحيوان من جنسه وروى أنه في خصم فراشه، والجميع خصم، والخصم مقابلة تعالى في الخصمان اختف حواء [الحج: ١٩] أي فريدان وإنما كان قتال اختف حواء وقال تعالى فلا تختف حواء [ق: ٢٨] وقال تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَفُونَ﴾ [الشعراء: ٩٦] والخصم الكثير المتخاصمة، قال فإذا هم خصيم ميسر [النحل: ٤] و [يس: ٧٧] والخصم المختص بالخصومة، قال ﴿فَإِذَا هُمْ يَخْتَفُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]. (المفردات / ١٤٩).

وفي منظر منته النصارى في «دول العرب وعظماء الإسلام» يسجل أمير الشعراء أحمد شوقي ما شجر بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه، وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ونزله فيما يلي، وقد رقا من الآيات ليهتل السرجسوع إليهما، فقال المظالم رحمة الله تحت عنوان «الخصمان»:

١. يسيما فطننا بسيسر الكبير
- مفتننا بفطننا بفساد الأمور الأخر
٢. سوط سائب الجسوس في التسراجم
- ماتمس التيسر من المشراجم
٣. سجتناك بسالبرجساس والمسير يخ
- خضمين بين يسيدي التيسار يخ
٤. قسرت خيسرها تقى وعلمنا
- بخيرها سببنا سنة وحدها
٥. سبل قسرت بينهما أيسدي الغيسر
- وافسرقا على التسلاقي في السيسر
٦. أسو الشهابين وهل يخذي القيسر
- والشاقب السرائي اللعوب بالسزمر
٧. أقيم السدين ولا أحسابي
- وقيم السدين من الصحاب
٨. إن ذكر الآباء جاءا بالقمر
- جيدا تمناه العتيق وعممر

٩. تحسنا من سفين من غسسام
- ولا قيسا السديسة في الأعدسام
١٠. قسري على تساوت المنسوب
- كسالمهم والشهد من اليعسوب
- وإليك دعائي بعض الأفاضل:

البيت ٣: البرجساس: المشتري، ويعني بالسرجساس والمريخ عليا ومعاوية.

البيت ٤: سدر البيت: هو علي رضي الله عنه

: عجز البيت: هو معاوية رضي الله عنه

البيت ٥: الغير: يريد بالخير ما شجر بين علي ومعاوية

البيت ٦: سدر البيت: أبو الشهابين: علي رضي الله عنه، والشهابان: الحسن والحسين

: عجز البيت: معاوية

البيت ٨: القمر: هو عيد مناف وهو جد هما الذي يلتقيان فيه

العتيق: هو أبو بكر

البيت ١٠: الموم: الشع، واليعسوب: أمير النحل (دول العرب / ٥٢)

(الرسالة الرشادية فرسا يجرز تذكيره وتأثيره معا في العربية، محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٤، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني - تحقيق وضبط محمد كيلاي / ١٤٩، ودول العيوب وعظماء الإسلام - نظم أحمد شوقي / ٥٢).

« خصوصيات يوم الجمعة:

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأمام)

الرقم ٥٢٦٨

كتاب في مائة خصوصية ليوم الجمعة وما ورد فيها من الآثار والأخبار. الخصوصية الأولى أنه عيد هذه الأمة. الخصوصية المائة وواحد أن الجمعة تبعث يوم القيامة كالعروس.

المؤلف: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر

السيوطى الشافعى المصرى المتوفى سن ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م.

أوله : الحمد لله الذى خص هذه الأمة المحمدية بما ادخر لها من الفضائل السنية ... وبعد فقد ذكر الأستاذ المصنف ...
آخره : الحادية بعد المائة أخرج الحاكم وابن خزيمة والبيهقى عن أبى موسى ... لا يطرقون تعجبا حتى يدخلوا الجنة ...

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.
نسخة ثانية

الرقم ٧٦٦٤

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط فارسى واضح، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

مصادر عن الكتاب : الدكتور صلاح الدين المنجد معجم المخطوطات المطبوعة ٢ / ٨٣ برقم ٤ فهرس الخديوية ٧ / ٢٤٧ ، مخطوطات جامعة الرياض ١٨ رقم ٩ نشرة خاصة بمؤلفات السيوطى .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨ .

طبعة الكتاب : ١- مصر ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٨٨ / ١ باسم نور اللمعة فى خصائص يوم الجمعة سنة ١٣٤٣ هـ . ٢- صورت فى بيروت صورها أمين دمج سنة ١٩٧٠ م ٣- مصر مكتبة التوفيق بالصنادقية بـ ٣٤ ص بلا تاريخ . ٤- يقول الأستاذ محمد رياض المالح واضع الفهرس : طبعته بدمشق بتحقيقى وشرحى المرة الأولى سنة ١٩٦٤ م بمطابع دار الفكر بدمشق بـ ١٤٠ ص ٥ . طبعته ثانية بدمشق بمطبعة العلم سنة ١٩٦٦ م بـ ١٤٠ ص مع تنقيح وزیادات .

بعض نسخ الكتاب : أحفظ بنسخة مخطوطة منه ، دار الكتب المصرية مجموعة ١٩٤ / ١٢ عارف حكمت بالمدينة ٧٢ حديث ، جامعة الرياض ١٢٧ متسلسل ٢٩ رقم ١٣٨٢ / ٨ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد

رياض المالح ١ / ٥٠٢ ، ٥٠٣) .

* الخضاب :

جاء فى اللسان فى مادة «خضب» : الخضاب : ما يخضب به من حنّاء وكنم ونحوه ، وفى الصحاح : الخضاب ما يختضب به
واختضب بالحناء ونحوه ، وخضب الشئ يخضبه خضبا ، وخضبه : غيّر لونه بحمرة أو صفرة أو غيرهما . قال الأعشى :

أرى رجلا منكم أسفلا كأنما

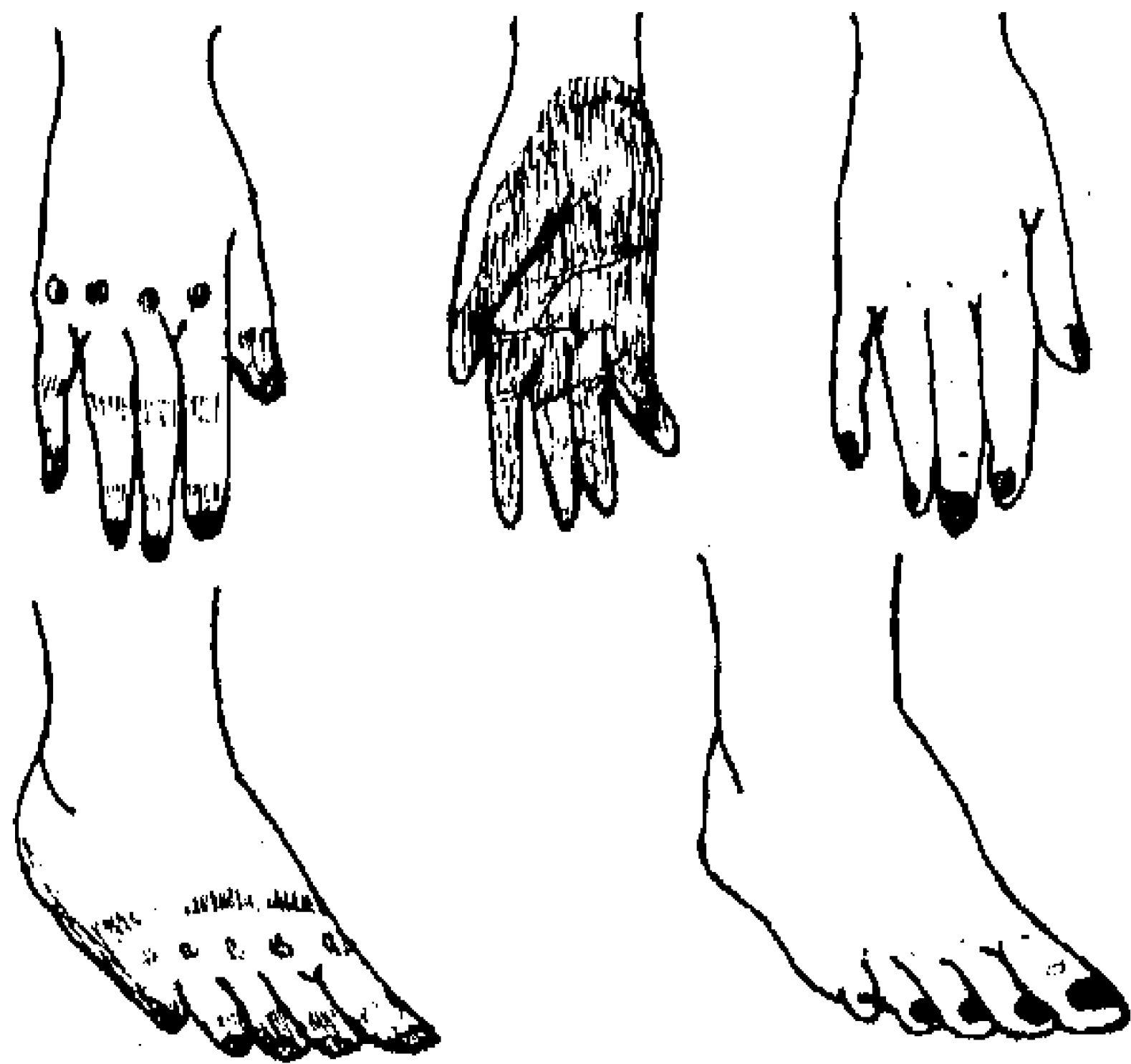
يضم إلى كشحيه كفسا مخضبا

وخضب الرجل شبيه بالحناء يخضبه ، والخضاب : الاسم : قال السهيلي : عبد المطلب أول من خضب بالسواد من العرب . ويقال : اختضب الرجل ، واختضبت المرأة ، من غير ذكر الشعر .

وكل ما غير لونه فهو مخضوب وخضيب ، وكذلك الأثى ، يقال : كف خضيب ، وامرأة خضيب (الأخيرة عن اللحياني) ، والجمع خُضْب

التهذيب : كل لون غيّر لونه حمرة فهو مخضوب ... وقد اختضب بالحناء ونحوه وتخضب ، واسم ما يخضب به : الخضاب (لسان العرب ١٤ / ١١٧٩) .

وقد ذكره صاحب تسهيل المنافع من بين عشرة أشياء فى تدبير البدن الصحيح فقال فى فصل فى الخضاب فى الرأس



واللحية واليدين والرجلين : هو سنة مندوب إليها وهو يلين الأعضاء ، ويزيد في نور البصر قلت وما ذكره في الخضاب بالحناء فهو جائز للرجال والنساء في اليدين والرجلين فقال الإمام الريمى عليها ونقله البيهقي وقال هو مقتضى ما في البيان والشامل والحاوي الكبير للمأوردى ونقل عن الإمام محمد بن إسماعيل والد الفقيه إسماعيل المشهور وقال ولا التفات إلى ما وقع في شرح الوجيز للعجلي والروضة من تحريمه وله في ذلك كلام طويل فليطلبه من أراد ذلك واختار هذا الفقيه أبو بكر العرضي رحمه الله تعالى فقال في شرح المذهب : وأما الخضاب بالحناء فمستحب للزوجة في يديها ورجليها تعميما لا تطريفا ويكره لغيرها ويحرم ذلك للرجل لعموم الأحاديث الصحيحة في نهى الرجال عن التشبه بالنساء إلا لحاجة وفي السروضة وفتاوى ابن الصلاح نحوه . والمراد بالتطريف هو خضب أطراف الأصابع كما قاله في الروضة والله أعلم . ومال صاحب كتاب الرحمة إلى ترجيح التحريم فقال ما لفظه : وأما الرجل فيحرم عليه خضاب يديه ورجليه بالحناء إلا لحاجة وقد نص على ذلك حسين والبغوي والعجلي والنووي وغيرهم وذكر في شرح المذهب أنه صنف فيه بعض الحكماء كتابا في إثبات تحريمه والرد على فاعله فقد فعل ذلك من الرجال مع العلم بتحريمه ولم يصح عن النبي ﷺ في ذلك شيء بل الوارد عنه خضاب الشعر الشائب لا غير فإنه يجوز خضاب الرأس واللحية بصفرة أو حمرة وأحسن ما غير به الشيب الحناء والكتم كذا قاله النبي ﷺ ويحرم خضابه بالسواد إلا لجهاد الكفار ودليل جميع ما ذكرته من الأحاديث الصحيحة والآثار الصريحة معروف في كتب الحديث انتهى لفظه فحينئذ تكون المسألة مسألة خلاف وفي فتاوى الإمام محيي الدين النووي ما صورته . ما الحكم في خضاب اللحية البيضاء؟ الجواب خضابها بصفرة أو حمرة سنة وخضابها بالسواد حرام على الصحيح وقيل مكروه وهذا في حق الرجل والمرأة إلا الرجل المجاهد قال المارديني لا يحرم في حقه . وقال في صحيح مسلم عن جابر أن النبي ﷺ حين رأى لحية أبي قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بيضاء قال غيروا هذا بشيء واجتنبوا السواد هذا لفظه بحروفه انتهى . وفي

سنن أبي داود في الخضاب بالصفرة عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ وسلم كان يلبس النعال السبتية وهي التي لا شعر فيها أي خلقة كما قاله في فقه اللغة وكفاية المتحفظ وغيرهما والله أعلم ؛ وعن ابن عباس رضي الله عنهما مر على النبي ﷺ رجل وقد خضب لحيته بالحناء فقال ما أحسن هذا قال ومر رجل آخر قد خضب بالحناء والكتم فقال ما أحسن هذا كله انتهى كلامه . وفي كتاب الأربعين أن جرير بن عبد الله البجلي هذا كان من كرام أصحاب رسول الله ﷺ فاق الناس كما قال فيه النبي ﷺ على وجهه مسحة ملك وكان نعله زراعا وقد أحببت أن أذكر أشياء في خضاب الشعر والدليل على ما ذكره ابن الجوزي في كتاب اللقط .

فصل : وأما الخضاب فقد روى الزبير وعبد الرحمن بن عوف وعائشة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ أنه قال «غَيِّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشْبَهُوا بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى» وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال عليه السلام : «اِخْتَضَبُوا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ يَسْتَبْشِرُونَ بِخَضَابِ الْمُؤْمِنِ» وروى الشيخ بإسناده عن عثمان بن عبد الله بن وهب قال دخلنا على أم سلمة فأخرجت لنا شعرا من شعر رسول الله ﷺ مخضوبا بالحناء والكتم رواه الإمام أحمد في مسنده قال الشيخ وقد خضب بالحناء والكتم أبو بكر الصديق وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وغيرهم في خلق كثير من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين وقد روينا أن رسول الله ﷺ اختضب بالحناء أي خالصا لم يخلط بغيره والله أعلم . وروى الشيخ بإسناده عن أبي رمثة قال في رسول الله ﷺ ورأيت أنه قد لطح لحيته بالحناء وقد اختضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأنس بن مالك وأبو هريرة وعبد الله بن أبي أوفى في خلق كثير من صحابته رضي الله عنهم أجمعين . فإن قال قائل أليس قد صح في الحديث عن أنس قال لم يختضب رسول الله ﷺ فقد أجاب عن هذا أحمد بن حنبل فقال شوهه من رسول الله ﷺ أنه خضب وقال الإمام محيي الدين النووي في شرح مسلم المختار أنه صَبَغَهُ في وقت وتركه في معظم الأوقات فأخبر كل بما رآه وهو صادق والله أعلم . ورأى أحمد بن حنبل رجلا قد خضب فقال إني لأرى الرجل يحيى شيئا من السنة فأفرح به

وإنني لأستبرأ أني أرى الشيخ قد غلبت عليه الشيخ وسادها
يتخضبون بالسواد... وروى أيضا في كتاب الأقدام أحمد وقد
صحب عن الحسن والخمسين عليهما السلام أنهما كانا يخطبان
بالسواد وروى ابن جرير في كتاب تاريخ الأثر ذلك عنهما
وعن عثمان بن عفان أيضا. وأما كان عبد الله بن جعفر بن
أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وعقبة بن عامر، والخيرة
بن شعبة، وجبريل بن عبد الله، وعبد بن العاص، ومن
التابعين عمرو بن عثمان بن عفان، وعلي بن عبد الله بن
العباس، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن الأسود، وموسى بن
أبي طلحة، وإسماعيل بن محمد بن كريب بن يونس، والزهري
وغيرهم. وتخضب بالسواد محمد بن يزيد البجلي والعمري
ابن أرقطبة وابن جرير وابن يعقوب، وسعد بن إسحق وابن
أبي ليلى وابن علقمة وعليان بن جامع ونافع بن حمير وعبد بن
علي المقامي وأبو عبد الله القاسم بن سلام في جماعة يطول
ذكرهم؛ ومن الخلفاء هشام بن عبد الملك وأبو جعفر
المنصور وعبد الله بن الخيرة وذكرى الأشراف، وأمثالها
بأسانيدها في كتاب الشيب والخضاب فذكرت إحداهما ههنا.
فإن قال قائل الخضاب بكل شيء لا يلبس وإنما يلبس
بالسواد وقد جاءت فيه أحاديث تدل على الكراهة. الجواب
أنه متى ما قصد به التلبس كان مكروها منهيًا عنه مثل أن
تخضب المرأة لتغر من يتزوجها والرجل من يخطبها ويخضب
المملوك ليبيع فالغرض منهي عنه لا نفس الخضاب. والكراهة
في أحاديث النهي ترجع إلى الغرر وكل هذا مبين في كتاب
الشيب والخضاب. وأعلم أن الشرع جاء بالأخلاق السديدة
والأفكار الرشيدة فما غيروا الشيب حرافا ولكن تهاب منه النفس
لأن الإنسان إذا رآه استشعر الموت وكان في تغطيته أمل يعيش
به وإن كانت النفس تعلم باطن الحال، والثاني أمن لزوجته
فإن علمت ذلك، أنست به ولم تنفر من الشيب كما قال
الشاعر:

❦ وبين البيض والبيض الحروب ❦

إلى غير ذلك من الفوائد انتهى، والمفهوم من كلامه جواز
الخضاب بالسواد مطلقا إذا لم يكن تدليس وغرور كما ذكره
في كلامه مثل أن تخضب المرأة لتغر من يتزوجها والرجل ليغر
من يخطبها ويخضب المملوك ليغر من يشتريه فهذا عنده

غش وتكدير ولا يجوز الخضاب بالسواد عند ابن أبي عمير
الصفحة ١٠٠ فإذا كانت هذه الحالة في حاله في حاله
بالسواد مما يبرر ذلك وبالجملة والخيرة وسعد بن العاص
والعباس بن الجوزي وعبد الله بن جعفر بن عثمان بن
السيد بن كمال بن أبي وقاص، وعقبة بن عامر، والخيرة
بن شعبة، وجبريل بن عبد الله، وعبد بن العاص، ومن
التابعين عمرو بن عثمان بن عفان، وعلي بن عبد الله بن
العباس، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن الأسود، وموسى بن
أبي طلحة، وإسماعيل بن محمد بن كريب بن يونس، والزهري
وغيرهم. وتخضب بالسواد محمد بن يزيد البجلي والعمري
ابن أرقطبة وابن جرير وابن يعقوب، وسعد بن إسحق وابن
أبي ليلى وابن علقمة وعليان بن جامع ونافع بن حمير وعبد بن
علي المقامي وأبو عبد الله القاسم بن سلام في جماعة يطول
ذكرهم؛ ومن الخلفاء هشام بن عبد الملك وأبو جعفر
المنصور وعبد الله بن الخيرة وذكرى الأشراف، وأمثالها
بأسانيدها في كتاب الشيب والخضاب فذكرت إحداهما ههنا.

فإن قال قائل الخضاب بكل شيء لا يلبس وإنما يلبس
بالسواد وقد جاءت فيه أحاديث تدل على الكراهة. الجواب
أنه متى ما قصد به التلبس كان مكروها منهيًا عنه مثل أن
تخضب المرأة لتغر من يتزوجها والرجل من يخطبها ويخضب
المملوك ليبيع فالغرض منهي عنه لا نفس الخضاب. والكراهة
في أحاديث النهي ترجع إلى الغرر وكل هذا مبين في كتاب
الشيب والخضاب. وأعلم أن الشرع جاء بالأخلاق السديدة
والأفكار الرشيدة فما غيروا الشيب حرافا ولكن تهاب منه النفس
لأن الإنسان إذا رآه استشعر الموت وكان في تغطيته أمل يعيش
به وإن كانت النفس تعلم باطن الحال، والثاني أمن لزوجته
فإن علمت ذلك، أنست به ولم تنفر من الشيب كما قال
الشاعر:

❦ وبين البيض والبيض الحروب ❦

إلى غير ذلك من الفوائد انتهى، والمفهوم من كلامه جواز
الخضاب بالسواد مطلقا إذا لم يكن تدليس وغرور كما ذكره
في كلامه مثل أن تخضب المرأة لتغر من يتزوجها والرجل ليغر
من يخطبها ويخضب المملوك ليغر من يشتريه فهذا عنده
غش وتكدير ولا يجوز الخضاب بالسواد عند ابن أبي عمير
الصفحة ١٠٠ فإذا كانت هذه الحالة في حاله في حاله
بالسواد مما يبرر ذلك وبالجملة والخيرة وسعد بن العاص
والعباس بن الجوزي وعبد الله بن جعفر بن عثمان بن
السيد بن كمال بن أبي وقاص، وعقبة بن عامر، والخيرة
بن شعبة، وجبريل بن عبد الله، وعبد بن العاص، ومن
التابعين عمرو بن عثمان بن عفان، وعلي بن عبد الله بن
العباس، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن الأسود، وموسى بن
أبي طلحة، وإسماعيل بن محمد بن كريب بن يونس، والزهري
وغيرهم. وتخضب بالسواد محمد بن يزيد البجلي والعمري
ابن أرقطبة وابن جرير وابن يعقوب، وسعد بن إسحق وابن
أبي ليلى وابن علقمة وعليان بن جامع ونافع بن حمير وعبد بن
علي المقامي وأبو عبد الله القاسم بن سلام في جماعة يطول
ذكرهم؛ ومن الخلفاء هشام بن عبد الملك وأبو جعفر
المنصور وعبد الله بن الخيرة وذكرى الأشراف، وأمثالها
بأسانيدها في كتاب الشيب والخضاب فذكرت إحداهما ههنا.

❦ وبين البيض والبيض الحروب ❦

إلى غير ذلك من الفوائد انتهى، والمفهوم من كلامه جواز
الخضاب بالسواد مطلقا إذا لم يكن تدليس وغرور كما ذكره
في كلامه مثل أن تخضب المرأة لتغر من يتزوجها والرجل ليغر
من يخطبها ويخضب المملوك ليغر من يشتريه فهذا عنده
غش وتكدير ولا يجوز الخضاب بالسواد عند ابن أبي عمير
الصفحة ١٠٠ فإذا كانت هذه الحالة في حاله في حاله
بالسواد مما يبرر ذلك وبالجملة والخيرة وسعد بن العاص
والعباس بن الجوزي وعبد الله بن جعفر بن عثمان بن
السيد بن كمال بن أبي وقاص، وعقبة بن عامر، والخيرة
بن شعبة، وجبريل بن عبد الله، وعبد بن العاص، ومن
التابعين عمرو بن عثمان بن عفان، وعلي بن عبد الله بن
العباس، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن الأسود، وموسى بن
أبي طلحة، وإسماعيل بن محمد بن كريب بن يونس، والزهري
وغيرهم. وتخضب بالسواد محمد بن يزيد البجلي والعمري
ابن أرقطبة وابن جرير وابن يعقوب، وسعد بن إسحق وابن
أبي ليلى وابن علقمة وعليان بن جامع ونافع بن حمير وعبد بن
علي المقامي وأبو عبد الله القاسم بن سلام في جماعة يطول
ذكرهم؛ ومن الخلفاء هشام بن عبد الملك وأبو جعفر
المنصور وعبد الله بن الخيرة وذكرى الأشراف، وأمثالها
بأسانيدها في كتاب الشيب والخضاب فذكرت إحداهما ههنا.

فإن قال قائل الخضاب بكل شيء لا يلبس وإنما يلبس
بالسواد وقد جاءت فيه أحاديث تدل على الكراهة. الجواب
أنه متى ما قصد به التلبس كان مكروها منهيًا عنه مثل أن
تخضب المرأة لتغر من يتزوجها والرجل من يخطبها ويخضب
المملوك ليبيع فالغرض منهي عنه لا نفس الخضاب. والكراهة
في أحاديث النهي ترجع إلى الغرر وكل هذا مبين في كتاب
الشيب والخضاب. وأعلم أن الشرع جاء بالأخلاق السديدة
والأفكار الرشيدة فما غيروا الشيب حرافا ولكن تهاب منه النفس
لأن الإنسان إذا رآه استشعر الموت وكان في تغطيته أمل يعيش
به وإن كانت النفس تعلم باطن الحال، والثاني أمن لزوجته
فإن علمت ذلك، أنست به ولم تنفر من الشيب كما قال
الشاعر:

وعن عبد الرحمن الثمالى قال :

[٢٣] «كان رسول الله ﷺ يغير لحيته بماء السدر، ويأمر بتغيير الشعر مخالفة للأعاجم (انظر طبقات ابن سعد. باب ذكر من قال : خضب رسول الله ﷺ ١ / ٤٣٧، ٤٣٨. والسدر شجر النبق والواحدة سدره).

[٢٤] «وبرأسه رذع من حناء».

الرذع : ضبطوه فى كتب اللغة والغريب بمهمات

هو : لطح من زعفران أو ورّس.

أو قال : «رذع» يعنى بالغين المعجمة.

(الحديث أخرجه أبو داود فى كتاب اللباس (باب) فى

الخضرة ، بلفظ «ذو وفرة بها رذع من حناء» ح (٤٠٦٥)، ص (٤ : ٥٢)، ويونس عن عبد الله بن إباد، عن إباد بن لقيط بقصة البردين، وقال : «حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث ابن إباد». وأخرجه النسائي فى كتاب الصلاة عن بندار محمد ابن بشار به - مختصرا، وزاد «يخضب» وزاد فى كتاب الزينة بهذا الإسناد قصة خضابه بالحناء.

قال النووى : والمختار أنه ﷺ خضب فى وقت لما دل عليه حديث ابن عمر فى الصحيحين، ولا يمكن تركه، ولا تأويله. وتركه فى معظم الأوقات. فأخبر كل بما رأى وهو صادق. والله أعلم.

ويحتمل أن من أثبت الخضاب شاهد الشيب أبيض ثم لما وراه الدهن ظن أنه خضب.

ومن نفاه علم أنه لم يخضب، وإنما وراه الدهن (زهر الخمائل / ٦١-٦٣).

وقد ذكره الحكيم الترمذى فى «المنهيات»، ونقله لك فيما يلى، وقد وضعنا تعليقات المحقق الأستاذ محمد عثمان الخشت بين أقواس فى ثنايا النص، كما أبقينا على الرقم التسلسلى للحديث الذى ورد فى النص وهو الرقم ١٢٦ :

[١٢٦] وأما قوله : «ونهى عن الخضاب بالسواد».

(مسلم : كتاب اللباس، حديث ٧٩. وأبو داود : كتاب الترجل، باب ١٨. والنسائي : كتاب الزينة، باب ١٥. وابن ماجه : كتاب اللباس، باب ٣٣. وأحمد : الثالث؛ ص (٢٤٧، ٣٣٨).

فهذا من أجل أنه غرر (أى خداع)، فإن أراد أن يتزوج ولم يبعه كان غررا ومن أجل أن الشيب وقار أكرم الله به إبراهيم عليه السلام ومن تبعه على ملته، فإذا شاب وغيره بالسواد فكأنه رفض تلك الكرامة وزينتها وحرم وقاره؛ لأنه يريد أن يتشبه بالحالة الأولى.

وهذا تأديب واختيار من النبى ﷺ للأمة. ومن فعله لم يقع فى النهى المأثوم، وقد كان الحسن والحسين رضى الله عنهما يخضبان بالسواد، وقد فعله كثير من الصحابة، إلا أن الخضاب على الغالب الحمر والصفرة، فقد زجر عن ذلك فى وقته.

حدثنا أبى، حدثنا أبو نعيم، عن سفيان، عن أبى رباح، عن مجاهد قال : أول من خضب بالسواد فرعون.

فهذا فعل الجبارين الذين يأنفون من الشيب، ويكرهون أن يكونوا فى زى الضعفاء المشيخة. فأما عبد تذلل لله عبادة وعبودة، فإن خضب بالسواد ليتزين عند أهله أو ليهيب العدو إذا خرج غازيا، فإن الشاب أنكى فى العدو من الشيخ وأهيب له، لم تلحقه سنن الفراعنة، وهو على كل مراده أمر جميل.

حدثنا قتيبة، عن ابن لهيعة، عن خالد بن أبى عمران، عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، عن أنس بن مالك، قال : قال رسول الله ﷺ : «غبروا الشيب، ولا تقربوه السواد، ولا تشبهوا باليهود».

(الترمذى : كتاب اللباس. باب ٢٠. والنسائي : كتاب الزينة، باب ١٤. وأحمد : الأول ص ١٦٥. والثانى؛ ص ٢٦١، ٣٥٦، ٤٩٩. والثالث؛ ٢٤٧، ٣٣٨).

حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى، حدثنا سفيان، عن الزهرى، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة رضى الله عنه.

وحدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا ابن إدريس، عن ليث، عن أبى الزبير، عن جابر، قال : جىء بأبى قحافة يوم فتح مكة ولحيته كالثغامة بياضا، فقال رسول الله ﷺ : «غبروا هذا الشيب، وجنبوه السواد» (مسلم : كتاب اللباس، حديث ٧٩. أبو داود : كتاب الترجل، باب ١٨. والنسائي : كتاب الزينة، باب ١٥. وابن ماجه : كتاب اللباس، باب ٣٣، حديث ٣٦٢٤).

قال : أبو عبد الله رحمه الله : فالشيب وقار، وإنما قصد رسول الله ﷺ لتغييره مخالفة أهل الكتاب.

حدثنا حميد بن الربيع اللخمي ويعقوب بن شيبة قالوا: حدثنا محمد بن كناسة، عن هشام بن عروة، عن أخيه عثمان ابن عروة، عن الزبير بن العوام، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم».

(البخاري: كتاب الأنبياء، باب ٥٠. وكتاب اللباس، باب ٦٧. ومسلم: كتاب اللباس، حديث ٨٠. وأبو داود: كتاب الترجل، باب ١٨. والنسائي: كتاب الزينة؛ باب ١٤. وابن ماجه: كتاب اللباس، باب ٣٢. وأحمد: الثاني؛ ص ٢٤٠، ٢٦٠، ٣٠٩، ٤٠١).

حدثنا علي بن حجر، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «غيروا اللحى ولا تشبهوا بالأعاجم» (البخاري: وفيه رشدين بن كريب وهو ضعيف. مجمع الزوائد: الخامس، ص ١٦٠).

وحدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق العبدي، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا الأجلح، عن عبد الله بن بريدة، عن أبي الأسود الدبلي، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم».

(أبو داود: كتاب الترجل، باب ١٨. والترمذي: كتاب اللباس، باب ٢٠. والنسائي: كتاب الزينة، باب ١٦. وابن ماجه: كتاب اللباس، باب ٣٢. وأحمد: الخامس، ١٤٧، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٩).

وحدثنا علي بن حجر السعدي ويحيى بن أحمد الطائي، قالوا: حدثنا إسماعيل بن عياش الحمصي، حدثنا سالم بن عبد الله الكلاعي، عن أبي عبد الله القرشي، عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصفرة خضاب المؤمن، والحمرة خضاب المسلم، والسواد خضاب الكافر» (رواه الطبراني. وقال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه. مجمع الزوائد: الجزء الخامس، ص ١٦٣).

حدثنا أبي رحمه الله، حدثنا جندل بن والق، حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقي، عن عبد الكريم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون قوم في آخر الزمان يخضبون بالسواد كحواصل الطير لا يجدون رائحة الجنة».

وحدثنا محمد بن علي الشقيقي، حدثنا أبي، حدثنا أبو حمزة، حدثنا عبد الكريم، عن مجاهد: أنه ذكر عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد لا ينظر الله إليهم يوم القيامة». (أبو داود: كتاب الترجل، باب ٢٠. والنسائي: كتاب الزينة، باب ١٥. وأحمد: الأول، ص ٢٧٣. وابن سعد في الطبقات. والبيهقي في السنن. وجمع الجوامع: الأول، ص ١٠١٢).

قال أبو عبد الله رحمه الله: فهذا فعل أهل العتو والجبرية في آخر الزمان، وكذلك كان من قبل فعل الفراعنة. فإن المرء إذا شاخ راح، وإذا راح استحققره السفهاء، واستوقره العقلاء، وكان أهل العتو يأنفون من ذلك، ويغيرونه بالسواد، يخفون على الناظرين إليهم أحوالهم.

فهذه مثله يريد أن يعود في هيئة الشاب، وقد قال الله تعالى في تنزيهه فيما يحكى عن قول العدو: ﴿وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩] وقال الله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] فإذا أذهب المغيّر وقاره بسواد، فهو كأنه يريد أن يعود كما كان، لحبه للشباب، وحرصه على العمر. فإنه يكره الشيب؛ لأنه علامة لإقباله على الموت... ألا ترى أن أول من خضب بالسواد فرعون، فهو السابق على السعوت.

إلا أن المجوس يحفون لحاهم، ويعفون شواربهم، يريدون بذلك التعلم والتجلد للسنين، فقال ﷺ: «خالقوا المجوس؛ جزوا الشوارب، وأوفروا اللحى» (البخاري: عن أنس وفيه الحسن بن أبي جعفر، وهو ضعيف متروك. مجمع الزوائد: الخامس؛ ص ١٦٦).

وقال رسول الله ﷺ: «إن أهل الشرك يعفون شواربهم ويحفون لحاهم، فخالقوهم فأعفوا اللحى وحفوا الشوارب».

(الطبراني، عن أبي هريرة، بإسنادين في أحدهما عمر بن أبي سلمة، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه شعبة وغيره، وبقيّة رجاله ثقات) ففي مذهب كسرى التجلد والتجبر والعتو، وأن يكون في هيئة الغلمان والشبان. وفي مذهب محمد ﷺ التواضع، والعبودية لله، والتطهير، وزينة الرجال في اللحى، وتطهرهم في قص الشارب لثلا يبق فيه وضر الطعام. (الوضر: الوسخ من الدسم أو غيره، والجمع: أوضار).

قال أبو عبد الله رحمه الله : فأما من يرخص في خضاب السواد من السلف فلمعنى غير هذا ...

وحدثنا عبد الجبار، حدثنا الحسن بن حبيب بن ندية، عن عبد الصمد بن حبيب، عن أبيه عن الحكم بن عمرو الغفاري، قال : دخلت أنا وأختي رافع على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأنا مخضوب بالحناء وأختي بالصفرة، فقال : أما خضابك فخضاب الإسلام، وأما خضاب أخيك فخضاب الإيمان ... وسئل عن السواد، فكرهه .

وإنما قال : «الحمرة خضاب الإسلام، والصفرة خضاب الإيمان» ؛ لأن الإسلام في الحياة، والإيمان عند الموت، لأن إذا قرب الموت زالت عنه أعمال الشريعة والإسلام ما ظهر، والإيمان ما بطن . وإنما يبقى عند الموت الباطن . فقد زال الظاهر ؛ ففي ذلك الوقت يصفر، حتى يقدم إلى ربه وقد غير شيبه ، لثلا يشبه أهل الكتاب ... ألا ترى إلى قوله عليه السلام في دعائه على الجنائز : «اللهم من أحبيته منا فأحيه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان» .

(أبو داود : كتاب الجنائز؛ باب ٥٦ . والترمذي : كتاب الجنائز؛ باب ٣٨ . وابن ماجه : كتاب الجنائز؛ باب ٢٣ . وأحمد : الثاني ؛ ص ٣٦٨ . والرابع ؛ ص ١٧٠ . والخامس ؛ ص ٢٩٩ ، ٣٠٨ . وانظر : نيل الأوطار : الرابع ؛ ص ٦٣) (المنهيات / ١٩٦ - ٢٠٣) .

وقد أورد الحافظ السيوطي هذه الفتوى لمسألة وردت إليه فأجاب عنها :

مسألة - خضب الرجل لحيته ويديه ورجليه بالحناء هل يجوز له من غير ضرورة أم لا؟ وهل المرأة والرجل في ذلك سواء أم لا وهل ورد في ذلك شيء من السنة الشريفة؟ .

الجواب - خضاب الشعر من الرأس واللحية بالحناء جائز للرجل بل سنة صرح به النووي في شرح المذهب نقلا عن اتفاق أصحابنا لما ورد فيه من الأحاديث الصحيحة، منها حديث الصحيحين عن أبي هريرة «أن رسول الله ﷺ قال : إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم» وروى مسلم عن جابر قال : «أتى بأبي قحافة والد أبي بكر الصديق - يوم فتح مكة - ورأسه ولحيته كالثغامة بياضا فقال رسول الله ﷺ : غيروا هذا واجتنبوا السواد» وأما خضاب اليدين والرجلين بالحناء

فيستحب للمرأة المتزوجة وحرام على الرجال إلا لحاجة - هكذا قاله أيضا في شرح المذهب، قال ومن الدليل على تحريمه للرجال ما رواه أبو داود عن أبي هريرة «أن رسول الله ﷺ أتى بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء فقال ما بال هذا؟ فقيل يارسول الله يتشبه بالنساء فأمر به فنفي إلى البقيع» ومنها حديث الصحيحين عن أنس «أنه ﷺ نهى أن يتزعفر الرجال» قال النووي : علة النهي اللون لا الرائحة فإن ريح الطيب للرجل محبوب والحناء في هذا كالزعفران، والأحاديث في استحبابه للنساء المتزوجات كثيرة مشهورة (الحاوي للفتاوى ١ / ٧٤) .

ومما قيل في الشعر في مدح الخضاب ما أورده الثعالبي وهو كما يلي :

كان يقال : الخضاب أحد الشبايين .

ويقال : الخضاب تذكرة الشباب .

ومن أحسن ما قيل في مدحه :

الشيب موت ولكن في إمسائته

محيا ليل قليات وأيام

وقال ابن المعتز :

وقالوا : النصول مشيب جديد

فقلت : الخضاب شيب جديد

إساءة هذا بإحسان هذا

فإن عباد ذاك فهذا يعود

وقال آخر :

للضيف أن يقري ويعرف حقّه

فالشيب ضيفك فاقره بخضاب

وأطرف ما قيل في الخضاب قول عبدان الأصفهاني :

في مشيبي شمساتي لعدياتي

ومو ناع منغص لحياتي

ويعيب الخضاب قسوم وفيه

لي أنس إلى حضور وفناتي

لا ومن يعلم السرر مني

ما به رمت خلة الغانيات

إنمــــا رمت أن يغيب عني
ماترينه كل يوم مراتي
وهــــو نــــاع إلى نفسى ومن ذا
ســــره أن يــــرى وجــــوه النــــساء
(اللطائف والظرائف / ٢٦٢، ٢٦٣)

(لسان العرب لابن منظور ١٤ / ١١٧٩، وتسهيل المنافع في الطب
والحكمة لابن الأزرق / ٨٣ - ٨٥، وزهر الخمانل على الشمانل، أوصاف
النبي ﷺ للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي - تحقيق مصطفى عاشور
/ ٦١ - ٦٣، والمنهيات لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي -
دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١٩٦ - ٢٠٣، والحاوي للفتاوى
للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي / ١ / ٧٤، واللطائف والظرائف
لأبي منصور الثعالبي / ٢٦٢، ٢٦٣).

« خضر:

قال الراغب الأصفهاني في مادة «خضر»:

خضر: قال تعالى: ﴿فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً﴾ [الحج:
٦٣] ﴿ثِيَابًا خَضِرًا﴾ [الكهف: ٣١] خضرة جمع أخضر
والخضرة أحد الألوان بين البياض والسواد وهو إلى السواد
أقرب ولهذا سمي الأسود أخضر والأخضر أسود قال الشاعر:
قد أعسف النساخ المجهود معسفة

في ظل أخضر يدعو هامه البوم
وقيل سواد العراق للموضع الذي يكثر فيه الخضرة،
وسميت الخضرة بالدهمة في قوله سبحانه ﴿مدهامتان﴾
[الرحمن: ٦٤] أي خضراوان وقوله عليه السلام «إياكم
وخضراء الدمن» فقد فسره عليه السلام حيث قال «المرأة
الحسنة في منبت السوء» والمخاضرة المبايعه على الخضر
والشمار قبل بلوغها، والخضيرة نخلة ينتثر بسرهما أخضر.
(المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني - تحقيق وضبط
محمد سيد كيلاني / ١٥٠).

الخضر:

ومن اصطلاحات الصوفية. قال الجرجاني:
الخضر: يعبر به عن البسط فإن قواه المزاجية مبسوطة إلى
عالم الشهادة والغيب، وكذلك قواه الروحانية (التعريفات /
١٢٣).

وقال القاشاني: الخضر كناية عن البسط، والياس كناية
عن القبض. أما كون الخضر عليه السلام شخصا إنسانيا باقيا
من زمان موسى عليه السلام إلى هذا العهد أو روحانيا يتمثل
بصورته لمن يرشده فغير محقق عندي. بل قد يتمثل معناه له
بالصفة الغالبة عليه ثم يضمحل وهو روح ذلك الشخص أو
روح القدس (اصطلاحات الصوفية / ١٦٠)

(التعريفات للشريف الجرجاني - تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن
عميرة / ١٣٣، واصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين عبد الرزاق
القاشاني - تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر / ١٦٠).

« خضر (زاوية الشيخ):

قال علي باشا مبارك:

هي بشارع السروجية بين رأس درب الدالي حسين ورأس
بحارة عبد الله بيك عن شمال الداهب من باب زويلة إلى
الصلبية.

كانت متهدمة فجددها حضرة محمد أفندي مناو، وكيل
الأمير منصور باشا يكن سنة أربع وتسعين ومائتين وألف،
وجعلها علوية في دور ثان، وجدد تحتها الضريح الذي بها
المعروف بالشيخ خضر الصحابي رضي الله عنه. ويعرف أيضا
بزرع النوى.

قال السخاوي في كتاب المزارات: ثم بعد المدرسة
اليونسية تقصد إلى رأس الهلالية والمنجية وسوق الطير؛
فتجد على رأس الطريق مسجدا يعرف القبر الذي فيه بزرع
النوى الصحابي، ويقال: خضر الصحابي. وهذا لا حقيقة له
فإن المخرّجين للأحاديث لم يذكروا أن في الصحابة من اسمه
زرع النوى.

وقال المقرئزي: كان هناك قبر فهو لأمين الأمناء أبو عبد
الله الحسن بن طاهر الوزان. انتهى من كتاب المزارات،
وسمى المقرئزي هذا المسجد بمسجد زرع النوى، ثم ترجم
أمين الأمناء بأنه كان يتولى بيت المال، ثم جعله الخليفة
الحاكم بأمر الله في الوساطة بينه وبين الناس والتوقيع عن
الحضرة في سنة ثلاث وأربعمائة ثم أبطل أمره وذلك أنه ركب
مع الحاكم على عادته فضرب رقبة بحارة كتامة خارج
القاهرة، ودفن في هذا الموضع تخميناً أي في المسجد
المعروف بزرع النوى.

وكانت مدة نظرة الوساطة والتوقيع ، وهي رتبة الوزارة سنتين وشهرين وعشرين يوما ، وكان توقيعه عن الحضرة الإمامية : الحمد لله وعليه توكلني « انتهى بتصرف » وسمعت من بعض الفضلاء أن صاحب هذا الضريح هو خضر السحابي بالسين المهمة لا بالصاد .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلی باشا مبارك ٦ / ٧٢ ، ٧٣) .

* الخضر بن ثروان (٥٠٥-٥٨٠ هـ / ١١١١-١١٨٤ م):

الخضر بن ثروان بن أحمد الثعلبي التوماني الفارقي الجزري ، أبو العباس وتومانا : قرية عند برقيد ، ولد بجزيرة ابن عمر من أرض الموصل ، ونشأ بميفارقين ، وقرأ بها الأدب على جماعة ، ثم انحدر إلى بغداد ، وقرأ الأدب على الشيخ أبي منصور بن الجواليقي ، والنحو على الشريف أبي السعادات بن الشجري ولا زمهما .

وكان ضريرا حافظا لأصول اللغة ، عالما بها . وكان يحفظ «المجمل» ، وشعر الهذليين وأخبار الأصمعي وشعر رؤية بن العجاج وذی الرمة وغيرهما من المخضرمين وأهل الإسلام والجاهلية . وسار بعد ذلك إلى خراسان ، وأقام بنيسابور ، ودخل مرو وبلخ ، وكان مولده في المحرم سنة خمس وخمسمائة ، ولد شعر منه :

أنت في غمرة النعيم تعموم
لست تدري بأن ذا لا يسدوم
كم رأينا من الملوک قديما
همدوا فاعظما منهم رميم
ما رأينا الزمان أبقي على شخص
نص شقاء فهل يسدوم النعيم
والغنى عند أهله مستعار
فحميم منهم به وديم
ومن شعره أيضا :

كتبت وقد أودى المداد بمقلتي
وقد ذاب من شوقي إليكم سوادها
فما وردت لي نحوكم من رسالة
وحقكم إلا وذاك مصادها
ومن شعره أيضا :

لا تعجبوا من نزول الشيب في شعري
فإنه لم ينزلني من الكبر

لكن رأي مقلتي قد شاب ناظرها

فجاءني ليعسزني على النظر

(إنباء الرواة ١ / ٣٥٦ ، ٣٥٧)

توفي في بخارى سنة ١١١١ هـ ١١٨٤ . أثنى عليه ياقوت في معجميه وأورد شيئا من شعره (الأعلام ٢ / ٣٠٦)

قالت المؤلفة : ذكره ياقوت في معجم البلدان (٣ ، ٥٩ ، ٦٠) في مادة «تومانا» ، ونقلناها عنه تحت عنوانها في م ١١ / ١٣٩ ، ١٤٠ فانظرها في موضعها

له ترجمة في : بغية الوعاة / ٢٤١ ، وتلخيص ابن مكتوم / ٦٨ ، ٦٩ ، وروضات الجنات / ٢٧٠ ، ومعجم الأدباء ١١ / ٥٩ - ٦١ ، ونكت الهميان / ١٤٩ ، والوافي بالوفيات ج ٤ م ٢ / ٢٧٣) (إنباء الرواة / ٣٥٦) .

(إنباء الرواة للنفطی - بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم / ١ / ٣٥٦ ، ٣٥٧ والأعلام للزركلي ٢ / ٣٠٦) .

* الخضر عليه السلام:

ترد قصة الخضر مع موسى عليهما السلام في سورة الكهف في الآيات ٦٠ - ٨٢ . يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات الكريمة :

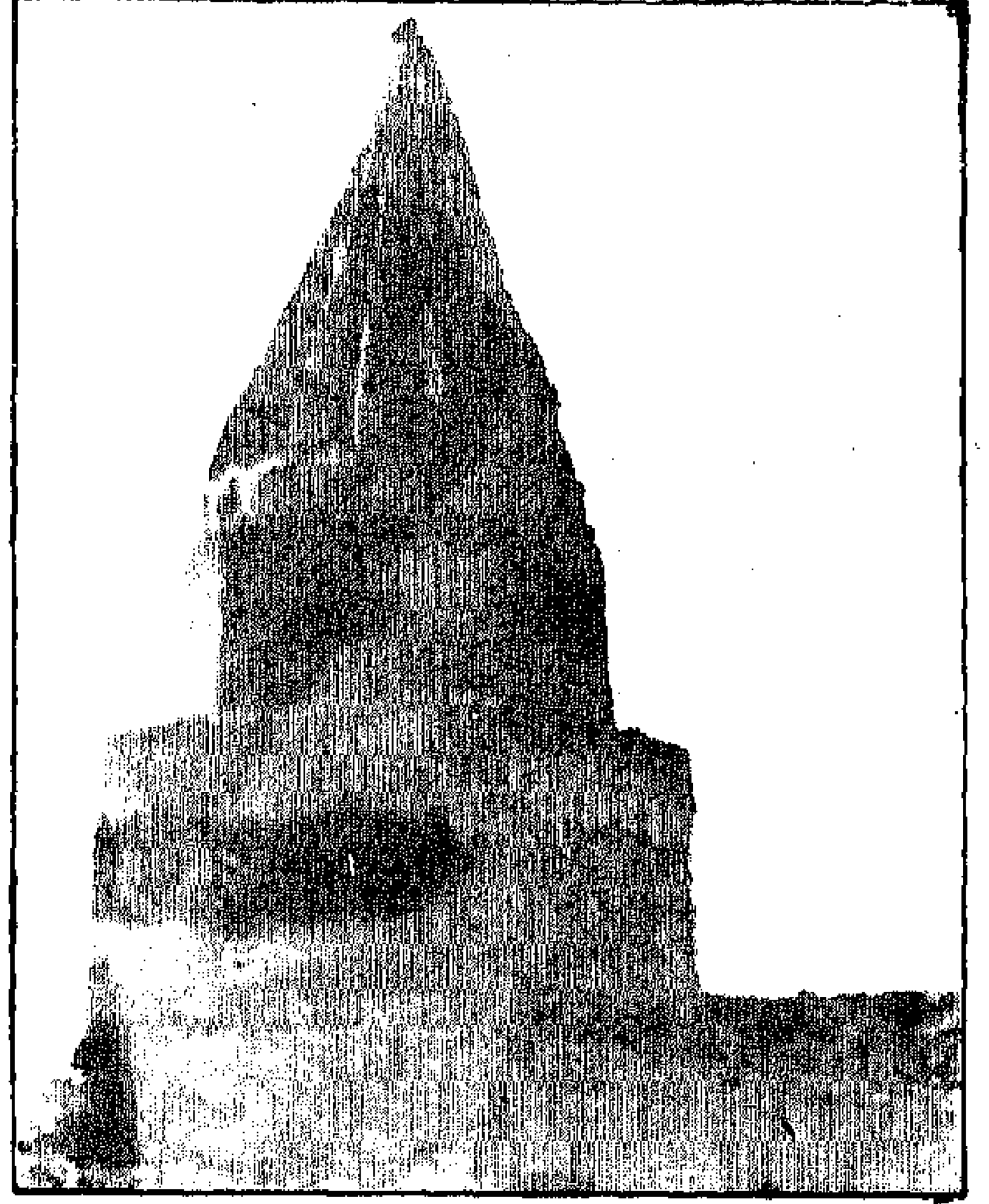
حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو بن دينار ، أخبرني سعيد بن جبیر قال : قلت لابن عباس : إن نوحا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل . قال ابن عباس : كذب عدو الله ؛ حدثنا أبي بن كعب رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل ، فسئل : أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه : إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك : فقال موسى : يارب ، وكيف لي به ؟ قال : تأخذ معك حوتا ، تجعله بمكثل ، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم : فأخذ حوتا ، فجعله بمكثل ، ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون عليهما السلام ، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما ، واضطرب الحوت في المكثل ، فخرج منه ، فسقط في البحر ، واتخذ سبيله في البحر سريبا ، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء ، فصار عليه مثل الطاق . فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت ، فانطلقا بقية يومهما وليتهما ، حتى إذا كان من الغد قال

قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قد حملونا بغير نول، فعمدت إلى سفينتهم فخرقتها، لتغرق أهلها قال. لقد جئت شيئاً إمرأ. ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ [٧٢، ٧٣] قال: وقال رسول الله ﷺ كانت الأولى من موسى نسياناً - قال: وجاء عصفور فنزل على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر: ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر.

ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه. فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: ﴿أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً﴾ قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ [٧٤، ٧٥] قال: وهذه أشد من الأولى - ﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً﴾ فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها﴾ فابوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض﴾ [٧٦، ٧٧] قال: مائل. فقال الخضر بيده ﴿فأقامه﴾، فقال موسى: قوم أتيانهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا، ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجراً﴾ قال هذا فراق بيني وبينك، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا﴾ [٧٧، ٧٨] فقال رسول الله ﷺ: «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما».

قال سعيد بن جبير: كان ابن عباس يقرأ (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا)، وكان يقرأ: (وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين) (البخاري، تفسير سورة الكهف ٦ / ١١٠ - ١١٢).

ثم رواه البخاري عن قتيبة، عن سفيان بن عيينة... فذكر نحوه، وفيه: «فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون، ومعهما الحوت حتى انتهيا إلى الصخرة، فنزلا عندها - قال: فوضع موسى رأسه فنام - قال سفيان وفي حديث غير عمرو قال: وفي أصل الصخرة عين يقال لها «الحياة»، لا يصيب من مائها شيء إلا حي، فأصاب الحوت من ماء تلك العين، قال: فتحرك وأنسل من المكمل، فدخل البحر فلما استيقظ قال موسى لفتاه! آتنا غداءنا [٦٢] كذا قال: وساق الحديث «ودفع



موسى لفتاه: ﴿آتنا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ [٦٢] ولم يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذي أمره الله به. قال له فتاه: ﴿أرأيت إذ أوتينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً﴾ [٦٣] قال: فكان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً، فقال: ﴿ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً﴾ [٦٤] قال: فرجعا يقصان أثرهما، حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجي (أي مغطى) بشوب، فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام!، قال: أنا موسى: قال: موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا. ﴿قال إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ [٦٧] ياموسى، إني على علم من علم الله علمني، لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه. فقال موسى: ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً﴾ [٦٩] قال له الخضر: ﴿فإن اتبعتنى فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ [٧٠].

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة فكلّمهم أن يحملوهما، فعرفوا الخضر، فحملوهم بغير نول (أي بغير أجرة) فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد

عصفور على السفينة، فغمس منقاره في البحر، فقال الخضر لموسى: ما علمى وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره (البخارى، تفسير سورة الكهف ١١٥/١١٦) وذكر تمامه بنحوه،

وقال البخارى أيضا: حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم قال أخبرني يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير - يزيد أحدهما على صاحبه - وغيرهما قد سمعته يحدث عن سعيد بن جبير قال: إنا لعند ابن عباس في بيته، إذ قال: سلونى. فقلت: أى أبا عباس، جعلنى الله فداك، بالكوفة رجل قاص، يقال له «نوف»، يزعم أنه ليس به موسى بنى إسرائيل - أما عمرو فقال لى: قال: كذب عدو الله! وأما يعلى فقال لى: قال ابن عباس: حدثنى أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ موسى رسول الله، ذكّر الناس يوما، حتى إذا فاضت العيون، ورقّت القلوب، ولى، فأدركه رجل فقال: أى رسول الله، هل فى الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا: فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله، قيل: بلى، قال: أى رب، وأين؟ قال: بمجمع البحرين. قال: أى رب، اجعل لى علما أعلم ذلك به - قال لى عمرو: قال: حيث يفارقك الحوت. وقال لى يعلى: خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فى الروح، فأخذ حوتا فجعله فى مكمل، فقال لفته: لا أكلفك إلا أن تخبرنى حيث يفارق الحوت، قال: ما كلفت كبيرا. فذلك قوله: ﴿وإذ قال موسى لفته﴾ [٦٠] يوشع بن نون، ليست عن سعيد بن جبير - قال: فينا هو فى ظل صخرة فى مكان ثريان، إذ تضرب الحوت وموسى نائم، فقال لفته: لا أوقظه حتى إذا استيقظ نسى أن يخبره، وتضرب الحوت حتى دخل البحر، فأمسك الله عنه جرية الماء حتى كأن أثره فى حجر. قال: فقال لى عمرو: هكذا كأن أثره فى حجر، وحلق بين إبهاميه والتى تليهما - ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ [٦٢] قال: «وقد قطع الله عنك النصب» ليست هذه عن سعيد - أخبره، فرجعا فوجدا خضرا: قال: قال عثمان بن أبى سلمان: على طنفسة خضراء على كبد البحر (أى وسطه) قال سعيد بن جبير: مسجى بثوب، قد جعل طرفه تحت رجليه، وطرفه تحت رأسه، فسلم عليه موسى، فكشف عن وجهه وقال: هل بأرض من سلام؟ من أنت؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بنى إسرائيل؟ قال:

نعم. قال: فما شأنك؟ قال: جئت لتعلمنى مما علمت رشدا. قال: يكفيك التوراة بيدك، وأن الوحى يأتيك! : ياموسى، إن لى علما لا ينبغى لك أن تعلمه، وإن لك علما لا ينبغى لى أن أعلمه. فأخذ طائر بمنقاره من البحر فقال: والله ما علمى وعلمك فى جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر، حتى إذا ركبا فى السفينة وجدا معا بر صغارا تحمل أهل هذا الساحل إلى هذا الساحل الآخر عرفوه، فقالوا: عبد الله الصالح؟ - قال: فقلنا لسعيد: خضر؟ قال: نعم - لا نحمله بأجر. فخرقها، ووتد فيها وتدا. قال موسى: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا﴾ [٧١] قال مجاهد: منكرا ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا﴾ [٧٢]، كانت الأولى نسيانا، والوسطى شرطا، والثالثة عمدا: ﴿قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا﴾ فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله ﴿[٧٣، ٧٤] قال يعلى: قال سعيد، وجد غلامانا يلعبون، فأخذ غلاما كافرا ظريفا فأضجعه، ثم ذبحه بالسكين، فقال: ﴿أقتلت نفسا زكية﴾ [٧٤] لم تعمل بالحنث: وابن عباس قرأها (زكية): مسلمة كقولك: غلاما زكيا فانطلقا فوجدا جدارا يريد أن ينقض فأقامه، قال سعيد بيده هكذا، ورفع يده فاستقام - قال يعلى: حسبت أن سعيدا قال: فمسحه بيده فاستقام ﴿قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ [٧٧] قال سعيد: أجرا نأكله (أى نأكل به): ﴿وكان وراءهم ملك﴾ [٧٩] وكان أمامهم، قرأها ابن عباس: (أمامهم ملك)، يزعمون عن غير سعيد أنه هذد ابن بَدَد، والغلام المقتول اسمه - يزعمون - جيسور ﴿ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾ [٧٩]، فأردت إذا هى مرت به أن يدعها بعيها، فإذا جاوزه أصلحوها فانتفعوا بها ومنهم من يقول: سدوها بقنارورة، ومنهم من يقول: بالقار. ﴿كان أبواه مؤمنين﴾، وكان كافرا، ﴿فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا﴾ [٨٠] كقوله: ﴿أقتلت نفسا زكية﴾ [٧٤] ﴿وأقرب رحما﴾ [٨١] هما به أرحم منهما بالأول الذى قتل خضر: وزعم غير سعيد بن جبير أنهما أبدا جارية، وأما داود بن أبى عاصم فقال عن غير واحد: إنها جارية (البخارى، تفسير سورة الكهف ١١٢/١١٥).

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن أبى إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: خطب موسى عليه

السلام بنى إسرائيل فقال : ما أحد أعلم بالله وبأمره منى . فأمر أن يلقي هذا الرجل : فذكر نحو ما تقدم بزيادة ونقصان ، والله أعلم (تفسير القرآن العظيم ٥ / ١٧٥) .

تلك كانت قصة الخضر مع موسى عليهما السلام كما وردت فى الآيات ٦٠ - ٨٢ من سورة الكهف فى القرآن الكريم .

أما عن الخضر نفسه فقد قال عنه الإمام النووى رحمه الله : مذكور فى المذهب فى باب التعزية هو بفتح الخاء وكسر الضاد ويجوز إسكان الضاد مع كسر الخاء وفتحها كما فى نظائره . والخضر لقب قالوا واسمه بليا بموحدة مفتوحة ثم لام ساكنة ثم مثناة تحت . ابن ملكان بفتح الميم وإسكان اللام وقيل كليمان ، قال ابن قتيبة فى المعارف قال وهب بن منبه اسم الخضر بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح قالوا وكان أبوه من الملوك واختلفوا فى سبب تلقينه بالخضر فقال الأكثرون لأنه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء والفروة وجه الأرض وقيل الهشيم من النبات وقيل لأنه كان إذا صلى اخضر ماحوله والصراب الأول . فقد رويناه فى صحيح البخارى عن همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة فإذا هى تهتز من خلقه خضراء فهذا نص صحيح صريح . وكنية الخضر أبو العباس وهو صاحب موسى النبى عليه السلام الذى سأل السبيل إلى لقيه وقد أثنى الله تعالى عليه فى كتابه بقوله تعالى ﴿فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾ فأخبر الله عنه فى باقى الآيات بتلك الأعجوبات وموسى الذى صحبه هو موسى بنى إسرائيل كليم الله تعالى كما جاء به الحديث المشهور فى صحيح البخارى ومسلم وهو مشتمل على عجائب من أمرهما واختلفوا فى حياة الخضر ونبوته فقال الأكثرون من العلماء هو حى موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم فى رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده فى المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر . قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى فتاويه هو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم فى ذلك قال وإنما شذبت بكاره بعض المحدثين . قال وهو نبى واختلفوا فى

كونه مرسلاً وكذا قاله بهذه الحروف غير الشيخ من المتقدمين . وقال أبو القاسم القشيري فى رسالته فى باب الأولياء لم يكن الخضر نبياً وإنما كان ولياً . وقال أفضى القضاة الماوردى فى تفسيره قيل هو ولي وقيل هو نبى وقيل إنه من الملائكة وهذا الثالث غريب ضعيف أو باطل . وفى آخر صحيح مسلم فى أحاديث الدجال أنه يقتل رجلاً ثم بحيا قال إبراهيم بن سفيان صاحب مسلم يقال إن ذلك الرجل هو الخضر وكذا قال معمر فى مسنده أنه يقال إنه الخضر . وذكر أبو إسحاق الثعلبى المفسر اختلافاً فى أن الخضر كان فى زمن إبراهيم الخليل عليه السلام أم بعده بقليل أم بعده بكثير قال والخضر على جميع الأقوال نبى معمر محبوب عن الأبصار . قال وقيل إنه لا يموت إلا فى آخر الزمان عند رفع القرآن (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٧٦ ، ١٧٧) .

ويحكى القزوينى فى عجائب الحكاية التالية عن الخضر عليه السلام ، ويختتم بها المقالة الأولى فى العلويات فيقول : ولينختم هذا الفصل بحكاية عجيبة وهى ما روى أنه كان فى بنى إسرائيل شاب عابد ، وكان الخضر عليه السلام يأتبه ، فسمع بذلك ملك زمانه فأحضره بين يديه وقال : إذا جاء الخضر فائتنى به وإلا قتلتك ، فقال الشاب : ويحك أأتيك بالخضر؟ قال : نعم وإلا قتلتك ، فرجع الشاب إلى مكانه متفكراً فى أمره حتى جاءه الخضر عليه السلام ، فحدثه بحديث الملك فقال : امض بى إليه ، فلما دخلا على الملك قال له الملك : أنت الخضر؟ قال : نعم ، قال : حدثنى بأعجب شئ رأيته ، فقال الخضر عليه السلام : رأيت كثيراً من عجائب الدنيا وأحدثك بما حضرنى الآن . كنت فى اجتيازى مررت بمدينة كثيرة الأهل والعمارة سألت رجلاً من أهلها متى بنيت هذه المدينة؟ فقال : هذه مدينة عظيمة ما عرفنا مدة بنائها نحن ولا آبائنا ثم اجتزت بها بعد خمسمائة سنة فلم أر للمدينة أثراً ، ورأيت هناك رجلاً يجمع العشب فسألته متى خربت هذه المدينة؟ فقال : لم تزل هذه الأرض كذلك ، فقلت : أما كانت هاهنا مدينة؟ فقال : ما رأينا هاهنا مدينة ولا سمعنا عن آبائنا ، ثم مررت بها بعد خمسمائة عام فوجدت بها بحراً ، فلقيت هناك جمعا من الصيادين فسألتهم متى صارت هذه الأرض بحراً؟ فقالوا : مثلك يسأل عن هذه؟ إنها لم تزل كذلك ، قلت : أما كان قبل ذلك ييسا؟ قالوا :

ما رأيناه ولا سمعنا به عن آبائنا، ثم اجتزت بعد خمسمائة عام وقد يبست فلقيت بها شخصا يختلي، فقلت: متى صارت هذه الأرض يبسا؟ فقال لم تزل كذلك، فقلت له: أما كان بحر قبل هذا؟ فقال، ما رأيناه ولا سمعنا به قبل هذا، ثم مررت بها بعد خمسمائة عام فوجدتها مدينة كثيرة الأهل والعمارة أحسن مما رأيتهما أولا، فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقال: إنها عمارة قديمة ما عرفنا مدة بنائها نحن ولا آبائنا، فقال الملك إنني أريد أن أتبعك وأفارق ملكي، فقال له: إنك لا تقدر على ذلك ولكن اتبع هذا الشاب فإنه يدللك على الرشاد، والله الموفق للصواب. تمت المقالة الأولى في العلويات والحمد لله رب العالمين.

(عجائب المخلوقات / ٦٥).

ويورد الحافظ السيوطي مسألة وردت إليه عما إذا كان الخضر قد مات أم لا يزال حيا ثم يرد على السائل، وهذه هي:

مسألة:

ما أشهر القسولين يامن علمه
أربى على الأقسران والنظر
في موت مشهور الحياة أي الخضر
وحياته يا فائزا بثناء
قولان مشهوران قالهما الرضا
شيخ الزمان وفائق العلماء
بقوام دين الله لقب وهو من
بغداد يشهر بين كل ملاء
وأقام برهانا على فقدانه
فما عجب لدا ياكامل الآراء
لا زلت معددودا لكل ملهمة
وجزيت يوم العشر خير جزاء
الجواب:

من بعد حمدي دأبنا وثنائي
ثم الصلاة لسيّد النجباء
لنناس خلف شاع في خضر وهل
أودي قديما أو حي يبقا

ولكل قول حجة مشهورة
تسمو على الجوزاء في العلياء
والمرتضى قول الحياة فكم له
حجج تجل الدهر عن إحصاء
خضر وإلياس بأرض مثل ما
عيسى وإدريس بقوا بسما
هذا جواب ابن السيوطي السدي
يرجو من السرحمن خير جزاء
(الحاوي للفتاوى ٢ / ١٣٩).

ويرى الإمام ابن قيم الجوزية أن الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد، ويسوق أمثلة من هذه الأحاديث كما يدحض بالأدلة قول القائلين بأن الخضر لا يزال حيا، مما ننقله فيما يلي، وقد وضعنا تعليقات المحقق الأستاذ طه عبد الرؤوف سعد بين أقواس في ثانيا النص إتماما للفائدة، كما أبقينا على الأرقام التسلسلية التي وردت في النص. قال ابن القيم رحمه الله.

١٢٣ - ومنها (أي من الأحاديث الموضوعة)، الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته، كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد.

١٢٤ - كحديث «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان في المسجد، فسمع كلاما من ورائه، فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر». (أخرج ابن عدي من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده: «أن النبي سمع وهو في المسجد كلاما، فقال: يا أنس، اذهب إلى هذا القائل فقل له يستغفر لي فذهب إليه فقال: قل له إن الله فضلك على الأنبياء بما فضل به رمضان على الشهور قال: فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر» وإسناده ضعيف).

١٢٥ - وحديث «يلتقي الخضر وإلياس كل عام ...» (روى الدارقطني في الأفراد من طريق عطاء عن ابن عباس مرفوعا: يجتمع الخضر وإلياس كل عام في الموسم فيعلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان من هؤلاء الكلمات. باسم الله ما شاء الله ... إلخ وفي إسناده محمد بن أحمد بن زيد وهو ضعيف).

١٢٦ - وحديث: «يجتمع بعرفة جبريل وميكائيل

والخضر. (الحديث المفترى الطويل). (الحديث المفترى الطويل).
الطويل).

سئل إبراهيم الحربى عن تعمير الخضر وأنه باق؟ فقال:
من أحال على غائب لم ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس
إلا شيطان.

١٢٧ - وسئل البخارى عن الخضر وإلياس، هل هما
أحياء؟ فقال: كيف يكون هذا وقد قال النبى صلى الله عليه
 وآله وسلم: «لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على
ظهر الأرض أحد» (رواه الشيخان. وممن جزم أيضا أنه غير
موجود الآن واستدل بهذا الحديث إبراهيم الحربى وأبو جعفر
بن المنادى وأبو يعلى بن القراء وأبو طاهر العبادى وأبو بكر بن
العربى وطائفة. انظر ما قيل فى الحديث فى فتح البارى
بتحقيقنا)

وسئل عن ذلك كثير غيرهم من الأئمة فقالوا:

﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم
الخالدون﴾ [الأنبياء: ٣٤].

١٢٨ - وسئل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقال
لو كان الخضر حيا لوجب عليه أن يأتى النبى ﷺ وآله وسلم،
ويجاهد بين يديه، ويتعلم منه. وقد قال النبى صلى الله عليه
 وآله وسلم يوم بدر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى
الأرض»، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا معروفين بأسمائهم
وأسماء آبائهم وقبائلهم، فأين كان الخضر حينئذ؟

(حديث ابن عباس أخرجه البخارى «ما بعث الله نبيا إلا
أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به
ولينصرنه» ولو كان الخضر موجودا لجاء إليه وآمن به، ولم
يصح أنه جاءه أو قاتل معه)

قال أبو الفرج بن الجوزى: والدليل على أن الخضر ليس
بباق فى الدنيا أربعة أشياء: القرآن، والسنة، وإجماع
المحققين من العلماء. والمعقول.

١٢٩ - أما القرآن: فقولته تعالى: ﴿وما جعلنا لبشر من
قبلك الخلد﴾ [الأنبياء: ٣٤] فلو دام الخضر كان خالدا.

١٣٠ - وأما السنة: فذكر حديث: «أرأيتمكم ليلتكم هذه؟
فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى على ظهر الأرض ممن هو
اليوم عليها أحد». متفق عليه.

١٣١ - وفى «صحيح مسلم»، عن جابر بن عبد الله رضى
الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ - قبل موته بقليل -: «ما من
نفس منفوسة يأتى عليها مائة سنة وهى يومئذ حية».

١٣٢ - وأما إجماع المحققين من العلماء فقد ذكر عن
البخارى، وعلى بن موسى الرضا: أن الخضر مات؛ وأن
البخارى سئل عن حياته فقال: وكيف يكون ذلك؟ وقد قال
النبى صلى الله عليه وآله وسلم «أرأيتمكم ليلتكم هذه؟ فإن على
رأس مئة سنة منها لا يبقى ممن على ظهر الأرض أحد».

قال: وممن قال إن الخضر مات: إبراهيم بن إسحاق
الحربى، وأبو الحسين بن المنادى وهما إمامان، وكان ابن
المنادى يقيح قول من يقول: إنه حى.

وحكى القاضى أبو يعلى موته عن بعض أصحاب أحمد،
وذكر عن بعض أهل العلم: أنه احتج بأنه لو كان حيا لوجب
عليه أن يأتى إلى النبى ﷺ.

١٣٣ - وقال: حدثنا أحمد حدثنا شريح بن
النعمان، حدثنا هشيم، أخبرنا مجالد، عن الشعبى، عن
جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم قال: «والذى نفسى بيده، لو أن موسى كان حيا ما
وسعه إلا أن يتبعنى»، فكيف يكون حيا ولا يصلى مع رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم الجمعة والجماعة ويجاهد معه؟
(روى أحمد بن جابر عن رسول الله ﷺ أن عمر أثاره فقال: «إنا
نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها. فقال
رسول الله ﷺ: أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟
لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا
اتباعى»).

ألا ترى أن عيسى عليه السلام إذا نزل إلى الأرض يصلى
خلف إمام هذه الأمة، ولا يتقدم، لئلا يكون ذلك خدشا فى
نبوة نبينا ﷺ.

قال أبو الفرج: وما أبعد فهم من يثبت وجود الخضر،
وينسى ما فى طى إثباته من الإعراض عن هذه الشريعة.

أما الدليل من المعقول: فمن عشرة أوجه:

الوجه الأول: أن الذى أثبت حياته يقول: إنه ولد آدم
لصلبه هذا فاسد (روى الدارقطنى فى الأفراد عن طريق مقاتل
عن الضحاك عن ابن عباس قال: هو ابن آدم لصلبه، وهو
ضعيف منقطع).

(وهو نوح عليه السلام فقد جاء في القرآن الكريم : ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾ [العنكبوت : ١٤] وجعله آية ، فكيف بمن أحياء إلى آخر الدهر ؟ ولهذا قال بعض أهل العلم : ما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان .
والوجه السادس : أن القول بحياة الخضر قول على الله بلا علم . وذلك حرام بنص القرآن .

أما المقدمة الثانية : فظاهرة . وأما الأولى : فإن حياته لو كانت ثابتة لدل عليها القرآن ، أو السنة ، أو إجماع الأمة . فهذا كتاب الله تعالى ، فأين فيه حياة الخضر ؟ وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأين فيها ما يدل على ذلك بوجه ؟ وهؤلاء علماء الأمة ، هل أجمعوا على حياته ؟

الوجه السابع : أن غاية ما يتمسك به من ذهب إلى حياته حكايات منقولة ، يخبر بها : أنه رأى الخضر . فيالله العجب . هل الخضر علامة يعرفه بها من رآه ؟ وكثير من هؤلاء يغتر بقوله : أنا الخضر . ومعلوم : أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله . فأين للرائي أن المخبر له صادق ، ولا يكذب ؟ (روى ابن وهب من طريق ابن المنكدر : أن عمر صلى على جنازة فسمع قائلاً يقول : لا تسبقنا . وذكر أنه دعا للميت فقال عمر : خذوا الرجل . فتواري عنهم فإذا أثر قدمه ذراع . فقال عمر : هذا والله الخضر . وفي إسناده مجهول مع انقطاعه ، إلى غير ذلك من أحاديث ضعيفة واهية) .

الوجه الثامن : أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن ، ولم يصاحبه ، وقال له : ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ [الكهف : ٧٨] فكيف يرضى لنفسه بمفارقتها لمثل موسى ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة ، الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة ، ولا مجلس علم ، ولا يعرفون شيئا ؟ وكل منهم يقول : قال الخضر .

فيا عجبا له ! يفارق كليم الله تعالى ويدور على صحبة الجهال من لا يعرف كيف يتوضأ ، ولا كيف يصلي ؟ ! (روى عمر الجهمي في فوائده والفاكهى في كتاب مكة بسند فيه مجهول عن جعفر بن محمد أنه رأى شيئا كبيرا يحدث أباه ثم ذهب فقال له أبوه : رده عليّ : فطلبته فلم أقدر عليه . فقال لي أبي : ذاك الخضر) .

ذلك أن يكون عمره الآن ستة آلاف سنة ، فيما ذكر في كتاب يوحنا المؤرخ . ومثل هذا بعيد في العادات أن يقع في حق البشر .

الوجه الثاني : أنه لو كان ولده لصلبه (ذكر أبو حاتم السجستاني في المعمرين أنه ابن قابيل بن آدم ، رواه عن أبي عبيدة وغيره) ، أو الرابع من ولد ولده - كما زعموا - وإنه كان وزير ذي القرنين ، فإن تلك الخلقة ليست على خلقتنا ، بل مفروط في الطول والعرض .

(قال الطبري في تاريخه : كان الخضر في أيام أفريدون في قول عامة علماء الكتاب الأول . وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر) .

١٣٤ - وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال :

«خلق الله آدم طوله ستون ذراعا ، فلم يزل الخلق ينقص بعد» . وما ذكر أحد ممن رأى الخضر : أنه رآه على خلقة عظيمة ، وهو من أقدم الناس .

الوجه الثالث : أنه لو كان الخضر قبل نوح لركب معه في السفينة ، ولم ينقل هذا أحد .

الوجه الرابع : أنه قد اتفق العلماء أن نوحا لما نزل من السفينة مات من كان معه ، ثم مات نسلهم ، ولم يبق غير نسل نوح ، (روى ابن إسحاق في كتاب المبتدأ أو مبتدأ الخلق عن أصحابه أن آدم أخبر بنيه عند الموت بأمر الطوفان ودعا لمن يحفظ جسده بالتعمير حتى يدفنه ، فجمع نوح بنيه لما وقع الطوفان وأعلمهم بذلك فحفظوه حتى كان الذي تولى دفنه الخضر) .

والدليل على هذا : قوله تعالى :

﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ [الصافات : ٧٧] وهذا يبطل قول من قال : إنه كان قبل نوح .

والوجه الخامس : أن هذا لو كان صحيحا أن بشرا من بني آدم يعيش من حين يولد إلى آخر الدهر ، ومولده قبل نوح لكان هذا من أعظم الآيات والعجائب ، وكان خبره في القرآن مذكورا في غير موضع ، لأنه من أعظم آيات الربوبية . وقد ذكر الله سبحانه وتعالى من أحياء ألف سنة إلا خمسين عاما .

الوجه التاسع : أن الأمة مجمعة على أن الذي يقول : أنا الخضر ولو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : وكذا ، لم يلتفت إلى قوله ، ولم يحتج به في الدين . إلا أن يقال : إنه لم يأت إلى رسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا بايعه ، أو يقول هذا الجاهل : إنه لم يرسل إليه . وفي هذا من الكفر ما فيه (حيث إنه ثبت أنه ﷺ أرسله الله إلى الناس كافة ، وإلى الجن)

الوجه العاشر : أنه لو كان حيا لكان جهاده الكفار ورباطه في سبيل الله ، ومقامه في الصف ساعة ، وحضوره الجمعة والجماعة ، وتعليمه العلم : أفضل له بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والفلوات . وهل هذا إلا من أعظم الطعن عليه ، والعيب له ؟؟ (المنار المنيف / ١٢٨ - ١٣٦) .

يقول ابن الحوراني : وفي مقبرة باب كيسان ، شرقي دمشق ، موضع يقال إن الخضر روى فيه ، وهو موضع يتبرك به الناس ويذرونه (الإشارات ٢٤) .

قالت المؤلفة : أثناء زيارتنا الأولى لدمشق من الاثنين / ٢ صفر ١ أغسطس إلى ١٢ صفر / ٢٢ أغسطس ، سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م ، شاهدنا في باب أنطاكية ضريحاً قال لنا الدليل إنه ضريح الخضر عليه السلام !

وفي العراق ، يوجد أثر يعرف بقبة مقام الخضر ، وهو مدرج ضمن القباب المخروطية في العراق ، وجاء عنه ما يلي :

بناء منفرد يقوم على مرتفع أثرى يعرف بالاسم نفسه ويقع على بعد حوالي كيلو متر واحد إلى الجنوب من ناحية كبيسة من أعمال هيت .

الضريح مبنى بالحجر والجص بشكل مربع وتقوم فوقه قبة مضلعة مخروطية ذات ستة عشر ضلعاً ويدخل إليه من مجاز مقبى مستطيل الشكل أبعاده ٩٠ / ٦ × ٩٠ / ٢ متر وارتفاعه ٣ أمتار ملتصق بالضلع الغربية من القبة ويمتد بموازاتها . والأرجح أن هذا المجاز متأخر عن بناء قبة الضريح .

البناء مربع ، كما ذكرنا ، طول ضلعه من الداخل ٥٠ / ٣ × ٥٠ / ٣ ومن الخارج ٥٠ / ٣ × ٥٠ / ٣ متر يتوسط الجدار المواجه للمدخل محراب عرضه ٦٠ سم وعمقه ٨٥ سم وارتفاعه ٥٠ / ١ متر . وعلى ارتفاع ٣ أمتار من الأرضية نلاحظ

ثلاثة مستطيلات تحوى في داخلها زخارف جصية اثنان منها في جدار القبلة والثالث في الجدار الغربي . عرض كل مستطيل ٧٠ سم وارتفاعه ٣٠ / ١ متر . قوام زخرفة هذه المستطيلات أشكال هندسية مركبة ، إذ تتألف الوحدة الزخرفية من مربع داخله دائرة في داخلها مربعان متعاكسا الأضلاع داخلهما نجمة ذات ثمانية رؤوس .

وعلى ارتفاع أربعة أمتار من الأرضية توجد أربع نوافذ متقابلة ، في كل ضلع نافذة ، يعلوها إطار يبرز عن سطح الجدار بمقدار ١٠ سم يعلوه إطار آخر بارتفاع ٥٠ سم خال من الزخرفة تقوم فوقه صفان من الحنيات تكون مرحلة الانتقال من المربع إلى المثلث فالدائري .

يتكون الصف الأول من حنيات مقوسة مسطحة القاعدة تنتهي بعقود مدببة ، في كل ضلع حنيات فتكون بمجموعها ثمانية حنيات يقوم فوقها صف آخر من حنيات مشابهة للأولى في كل جدار ثلاث حنيات وتكون بمجموعها اثني عشرة حنية وهي مرحلة الانتقال من المثلث إلى الشكل الدائري للقبلة . تعلو هذه المنطقة من الحنيات منطقة تحوى أربعة صفوف من الأشكال المعينية ، تتكون من شرائط متعاكسة ثم تتقارب وهكذا بصورة متتالية وتحصر بينها زخارف هندسية معينية الشكل عددها ستة عشر معينا في كل صف وتنتهي هذا الأشكال في الصف الرابع مكونة نجمة ذات ستة عشر رأسا بارزة الأضلاع والقبلة نصف كروية من الداخل ومخروطية من الخارج وبين القبتين فراغ .

ويمكننا أن نلاحظ على الجدار الخارجى للقبلة وعلى الصف الأول من المقرنصات فوق المدخل بقايا قطع من القرميد الأزرق .

ويرجح نسبة هذا القبة إلى العهد الأتابكي . هذا وقع جاء عن الصورة المصاحبة لهذه المادة ما يلي منظر خارجي لمقام الخضر ، وهو مبنى من الحجر . وتشهد فيه القبة المخروطية ذات الستة عشر ضلعاً ، ومنطقة الانتقال المثمنة وتبدو فيها نافذتان من أصل ست نوافذ ، كما يشاهد عقد المدخل إلى المقام .

كما جاء في هامش (١) هذا التنويه : لم نعث على اسم الشخص المدفون في هذا الضريح . أما اسم الخضر بصفة عامة فمعناه الرجل الأخضر ، ثم نسي هذا اللقب على مر

حملها معه فخلّفها هذه الجزيرة فنسبت إليها وعلى مرسى أم حكيم مدينة الجزيرة الخضراء، وبينها وبين مدينة قلشانة أربعة وستون ميلا، وهى على ربوة مشرفة على البحر وسورها متصل به، وبشرقيها خندق وبغربيها أشجار تين وأنهار عذبة، وقصبة المدينة موفية على الخندق وهى سبعة حصينة سورها حجارة وهى فى شرق المدينة ومتصلة بها، وبالمدينة جامع حسن البناء فيه خمس بلاطات وصحن واسع وسقائف من جهة الجوف وهو فى وسط المدينة فى أعلى الربوة، وأسواقها متصلة من الجامع إلى شاطئ البحر، وعلى البحر بين القبلية والشرق من مدينة الجزيرة مسجد سوي يعرف بمسجد الرايات، ركزت فيه المجوس راياتها، فنسب إليها، وله باب من خشب سفن المجوس، وبها كانت دار صناعة بناها عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين للأساطيل، وأتقن بناءها، وعلى أسوارها، ثم اتخذها المنتزون بها فى الفتنة قصرا، وبقرب المدينة مدخل الوادى فى البحر، عليه بساكن كثيرة، ومهبطه من حيث تدخل السفن، ومنه شرب أهل الجزيرة، ويسمونه وادى العسل، ويمد البحر إلى قدر شطر المدينة، وهو نحو نصف ميل، وتجاهه أثر مدينة الجلندى الملك صاحب قرطاجنة إفريقية بقبلى مدينة الجزيرة، وهو اليوم خربة تزدرع، وبها حائط عريض مبنى بالحجارة داخل البحر، ومن هذا الحائط كانت تشحن المراكب، وبني عليه محمد ابن بلال برجا.

ومدينة الجزيرة طيبة رفيقة بأهلها جامعة لفائدة البر والبحر قريبة المنافع من كل وجه لأنها وسطى مدن الساحل وأقرب مدن الأندلس مجازا إلى العدو. ومنها تغلب ملوك الأندلس على ما تغلبوا عليه من بلاد إفريقية؛ وبها ثلاث حمامات، ولها كور كثيرة، وكانت جبايتها ثمانى عشر ألفا وتسعمائة. وأهل الجزيرة هذه هم الذين أبوا أن يضيفوا موسى والخضر (عليهما السلام) وبها أقام الخضر الجدار وخرق السفينة، والجلندى هو الذى كان يأخذ كل سفينة غصبا، حكى ذلك عن وكيع بن الجراح.

ومرسى الجزيرة مشى مأمون، وهو أيسر المراسى للجواز، وأقربها من بر العدو، ويحاذيه مرسى مدينة سبتة، ويقطع البحر بينهما فى ثلاث مجار، ويتلوه جبل طارق.

وللخضراء هذه سور حجارة مفرغ بالجيار، ولها ثلاثة

الأيام. يطلق المفسرون اسم الخضر على العبد الذى صحب موسى عليه السلام فى قصة الحوت... ويتبين أن الخضر لم يكن نبيا بل عبدا صالحا من عباد الله كان يسكن مجمع البحرين، وكان يعيش فى جزيرة أو على طنفسة خضراء على كبد البحر.

وتذكر تواريخ متفاوتة للعهد الذى وجد الخضر فيه فيقال (١) إنه معاصر لإبراهيم الذى هاجر معه من أرض بابل. (٢) فى عهد أفريدون (٣) معاصر للإسكندر وإنه عمّر إلى زمان موسى (٤) ولد فى عهد ناشية بن أموص ويرجع الخلاف فى هذه الأقوال إلى خلوده.

وإذا عد نبيا بقى الخلاف فى اعتباره من الرسل وكان إلى هذا إنسيا ملكيا أرضيا سماويا.

وهناك مثل صوفى إن لكل عصر خضره، وهو من الخالدين ويعيش فى بيت المقدس (القباب المخروطية فى العراق / ٦٧-٩٦، ١٧٤).

(تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير - تحقيق عبد العزيز غنيم، ومحمد أحمد عاشور، ومحمد إبراهيم البناء. كتاب الشعب. دار الشعب م ١٧٢ / ٥ - ١٧٥، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى / ١ / ١٧٦، ١٧٧، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقرطوبى / ٦٥، والحاوى للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى / ٢ / ١٣٩، والمنار المنيف فى الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية - حقق أصوله وخرّج أحاديثه وكتب مقدماته وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرؤوف سعد / ١٢٨ - ١٣٦ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثانيا النص، والإشارات إلى أماكن الزيارات المسمى زيارات الشام لعثمان بن أحمد السويدي السدمشقى المعروف بابن الحوراني - تحقيق بسام عبد الوهاب العجابتى / ٢٤ والقباب المخروطية فى العراق - عطا الحديثى وهناء عبد الخالق، وزارة الإعلام مديرية الآثار العامة. بغداد ١٩٧٤ / ٦٧-٦٩، ١٧٤. انظر أيضا تيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الدبيع الشيبانى / ٣ / ٢٢٣، والمنار المنيف فى الصحيح والضعيف للإمام ابن قيم الجوزية - حققه وضبطه أحمد عبد الشافى / ٦٦-٧٤ والمعارف لابن قتيبة - حققه وقدم له د. ثروت عكاشة / ٤٢).

* الخضراء (الجزيرة -):

وصف الحميرى الجزيرة الخضراء بقوله:

بالأندلس، وهى الجزيرة الخضراء، ويقال لها جزيرة أم حكيم، وهى جارية طارق بن زياد مولى موسى بن نصير كان

والنهاية ٩ / ١٤٣) ولعل قصر معاوية أقيم على أنقاض قصر قديم إذ يذكر ابن عساكر: «أن الخضراء التي فيها قصر معاوية من بناء أهل الجاهلية، من البناء القديم» (تاريخ دمشق تحقيق المنجد ٢ / ١٣٨).

ويقع القصر في المكان المحاذي لجدار الجامع الأموي من الجهة الجنوبية، ولقد كان القصر يتصل بحرم الجامع من خلال باب كان يطلق عليه اسم باب الخضراء وهو في الأصل أحد الفتحات الثلاثة لمعبد جوبيتر.

ويعتبر قصر معاوية أول قصر عربي يشاد في بلاد الشام، ولقد أصابه الخراب بعد زوال الأمويين من الشام، ثم التهمته النار في أواخر عهد الفاطميين كما يروي ابن كثير الذي يذكر: «ألقيت نار بدار الملك وهي الخضراء المتاخمة للجامع من جهة القبلة فاحترقت» (البداية والنهاية ١٢ / ٩٧).

ويضيف ابن كثير: «وبادت الخضراء فصارت كوما من تراب بعدما كانت في غاية الإحكام والإتقان وطيب الغناء ونزهة المجلس، وحسن المنظر». وبقيت المنطقة التي كان فيها القصر تحمل اسم الخضراء حتى أقيم على جزء منها عما ١٧٤٩ م قصر العظم السدي ما زال حتى الآن مستعملاً كمتحف للتقاليد الشعبية. وتجري التنقيبات حالياً في تلك المنطقة للتعرف على آثار الخضراء.

وهكذا فإننا لانعرف عن هذا القصر إلا الملامح التالية:

١ - موقعه المؤكد الذي سبق عرضه.

٢ - قبته الخضراء التي شملت تسميتها القصر والمنطقة.

٣ - قيامه المحتمل على قصر سابق للإسلام.

٤ - سادة بنائه وهي الحجارة كما ذكر ابن عساكر (انظر تاريخ دمشق ٢ / ١٣٨) فقد روى: «أن معاوية بناها بالطوب فلما فرغ منها قدم عليه رسول ملك الروم فنظر إليها فقال معاوية: كيف ترى هذا البنيان، قال: أما أعلاه فللمصافير، وأما أسفله فللنار. قال: فنقضها معاوية وبناها من الحجارة.

وعدا هذه الملامح تروى الأخبار أنه كان قصرًا تحف به حدائق غناء ويطل على السهل المخصب النضر الممتد إلى الجنوب الغربي، حتى جبل الشيخ المعمم بالثلج، ولقد سمي هذا القصر بالخضراء نسبة إلى قبة خضراء كانت تعلوه (انظر ابن جبير / ٢٦٩ والأغاني ٦ / ١٥٩).

أبواب، وبها دار صناعة داخل المدينة؛ وعلى نهرها المسمى نهر الحسل بساتين وجنات بصفته معا، وبالجيزة الخضراء إنشاء وإقلاع وحط، وأمام المدينة الجزيرة المعروفة بأمر حكيم المتقدمة الذكر؛ والجزيرة الخضراء أول مدينة افتتحت من الأندلس في صدر الإسلام سنة ٩٠ من الهجرة على يد موسى ابن نصير من قبل المروانيين، ومعه طارق بن عبد الله بن ونمو الزناتي في قبائل البربر.

وعلى باب البحر مسجد يسمى مسجد الرايات يقال إن هناك اجتمعت رايات القوم للرأى. وكان وصولهم أيضا من جبل طارق، وإنما سمي بجبل طارق لأن طارق بن عبد الله لما جاز بالبربر الذين معه تحصن بهذا الجبل. وقدر أن العرب لا ينزلونه، فأراد أن ينفي عن نفسه التهمة، فأمر بإحراق المراكب التي جاز بها فتبرأ بذلك مما اتهم به. وبين هذا الجبل والجزيرة الخضراء ستة أميال، وهو جبل منقطع مستدير، في أسفله كهوف فيها ماء.

ولها من الأبواب الباب الكبير، يعرف بباب حمزة غربي، وباب الخوخة قبلي، وباب طرفة جوفي؛ ولها ثلاث حمامات. وتغلب المجوس عليها في سنة ٢٤٥، وأحرقت المسجد الجامع بها؛ وفي الشرق من مدينة الجزيرة مسجد يقال إنه من بناء صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ، ويقال إنه أول مسجد بنى بالأندلس، ويعرف الموضع الذي هو فيه بقرطاجنة، فإذا أقحط أهل الجزيرة استسقوا فيها فسقوا بفضل الله تعالى ورحمته.

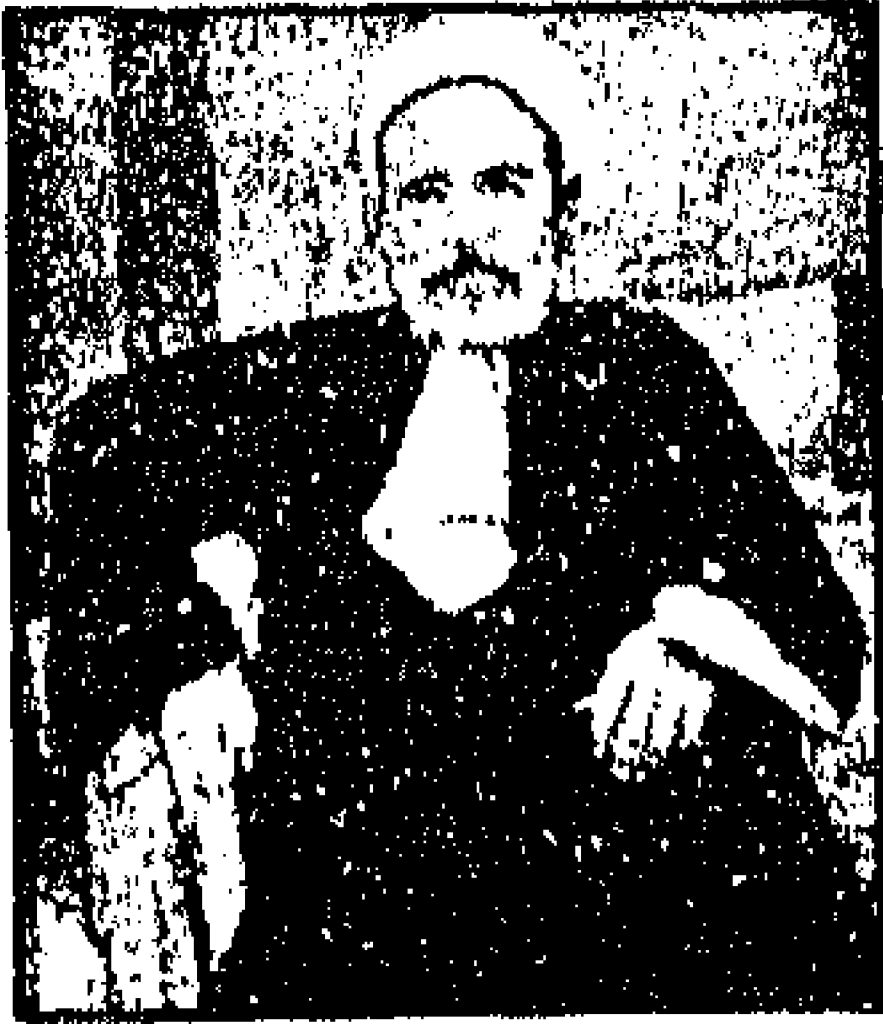
والجزيرة في شرق شلدونة، وقبلي قرطبة، ولها أقاليم عدة.

(صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري. عنى بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيه إ. لافي بروقتصال / ٧٣-٧٥).

«الخضراء (قصر):

يقول الدكتور عفيف بهنسي:

أما معاوية بن أبي سفيان فلم يعرف له من القصور إلا قصر الخضراء الذي بناه أيام ولايته على الشام كدار للإمارة يقع قبلي المسجد وبنى فيها قبة خضراء فعرفت الدار بكاملها بهذا الاسم، وسكنها معاوية أربعين سنة كما يقول ابن كثير (البداية



محمد بن علي الخضري

- بلغني أنه استأذن بعض الأعيان على بعض الزهاد، فرآه -
في رمضان - يأكل خبزاً يابساً بملح، فرجع إلى منزله وبعث
إليه بألف دينار، فردّه وقال: إن هذا جزاء من أفشى سره إلى
مثلك.

- لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رق أملك من الشهوة، ولولا
ثقل الغفلة ما ظهرت بك الشهوة.

- ليس من طالبه الحق بآلائه كمن طالبه الحق بنعمائه.

- وسئل: أي الأعمال أفضل؟ فقال: رعاية السر عن
الالتفات إلى شيء سوى الله تعالى.

(طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي - يسره ورتبه أحمد

الشرابصي / ٢٥، ٢٦).

✽ الخضري (١٢٨٩ - ١٣٤٥ هـ / ١٨٧٢ - ١٩٢٧ م):

هو العالم المؤرخ الأديب الشيخ محمد بك الخضري ابن
الشيخ هفيى الباجورى نسبة إلى بلدة الباجور من أعمال
مديرية المنوفية. ولد بالقاهرة ونشأ فيها، تعلم في بعض
كتاتيبها مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم. ثم
أدخل الأزهر فطلب العلم فيه بضع سنين، وكان رحمه الله
وافر الذكاء جيد الحفظ، ثم تحول إلى دار العلوم فتخرج
على كبار أساتذها. وكان معروفا عندهم كما كان معروفا بين
لداته بالجد في طلب العلم، والحمل على النفس في سبيل
تحصيله. ولما أحرز إجازة تلك المدرسة خرج للتعليم في
مدارس الحكومة سنين عددا. ثم تولى القضاء في السودان
دهرا، ثم تحول إلى التدريس في كلية غردون. حتى إذا
أنشئت مدرسة القضاء الشرعى دعى للتدريس فيها. ثم
صارت إليه وكالتها. وظل في هذا المنصب إلى أن قبض إلى
رحمة الله. وفوق عمله الأصيل في مدرسة القضاء ندب
لتدريس التاريخ الإسلامى في الجامعة المصرية القديمة.

وكان فيه ميل شديد إلى التاريخ الإسلامى، يعالج مباحثه
ما تهيأ له ذلك بالمحاضرة والكتابة والتأليف. وهو مرسل
القلم، سلس العبارة، لا يتعمل ولا يتكلف بديعا، على أنه
كان على حظ من الأدب غير يسير. ومن مؤلفاته: نور اليقين،
في سيرة سيد المرسلين، وإتمام الوفاء بسيرة الخلفاء (قالت
المؤلفة: كتاب إتمام الوفاء هذا عندي منه نسخة طبع دار
الوفاء للطباعة والنشر المنصورة. بدون تاريخ)، وتاريخ

التشريع الإسلامى وكتاب الأصول (في أصول الفقه)، ومهذب
الأغاني (لأبي فرج الأصبهاني) تسعة أجزاء، فضلا عن
محاضراته في الجامعة في التاريخ الإسلامى، فقد جمعها بعد
ذلك. ومؤلفات كلها مطبوعة بمصر. وله مقالات كان يبعثها
في الصحف السيارة في المسائل الدينية الأخلاقية والاجتماعية
والأدبية، وفي أكثرها كان يطوى اسمه عن جمهرة القارئین
(المفصل ٢ / ٤٠٧، ٤٠٨) (والأعلام ٦ / ٢٦٩).

ويضيف الزركلى إلى مؤلفات الشيخ الخضري ما يلي:
«محاضرات» في نقد كتاب الشعر الجاهلى للدكتور طه
حسين، و «الغزالي وتعاليمه وآراؤه» مطبوع نشر تباعا في
المجلد ٣٤ من مجلة المقتطف، و «دروس تاريخية» مطبوع
(الإعلام ٦ / ٢٦٩).

(المفصل في تاريخ الأدب العربى - أحمد الإسكندري وزملائه ٢ /
٤٠٧، ٤٠٨، والأعلام للزركلى ٦ / ٢٦٩).

✽ الخضيري (٩٦٥ هـ):

هو الذى أنشأ الجامع المعروف باسمه. قال عنه على
مبارك:

والشيخ الخضري - كما فى كتاب مناقب السادة
الخضيرية للشيخ عبد الرحمن جاويش - هو السيد سليمان
أبو الربيعين الزبيرى الصديقى الحسينى ابن نور الدين على بن
شهاب الدين أحمد، ينتهى نسبه إلى ثابت بن عبد الله

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٤٤ ، ٢٢٥).

انظر: الخضيرى (جامع -)

«الخضيرى (جامع)» (١١٨١ هـ / ١٧٦٧ م) أثر ٥٥٢:

وصفه على باشا مبارك كما كان فى زمانه فقال:

هذا المسجد بشارع حدرة الحناء بالقرب من قلعة الكباش عن يمين الذهاب من الصليبة إلى جهة السيدة زينب رضى الله عنها تجاه مدرسة صرغتمش . كان أصله زاوية أنشأها العارف بالله تعالى سيدى الشيخ سليمان الخضيرى رضى الله عنه قبل وفاته ، ووقف عليها أطيانا كثيرة لإقامة شعائرها ، وشرط فى الوقفية أن ما فضل من الربيع يكون لذريته طبقة بعد طبقة ، تحجب الطبقة العليا الطبقة السفلى ، الذكر والأنثى فى ذلك سواء ، إلا أن أولاد الظهور مقدمون على أولاد البطون ، بحيث لا يستحق أولاد البطون إلا بعد انقراض أولاد الظهور ، إلى آخر ما هو موضح بحجة الوقفية . وقد رتب فيها مجلس ذكر وصلوات بعد صلاة الجمعة يستمر إلى آخر الليل ، ورتب لذلك شموعا وجرايات مستمرة إلى الآن .

ثم إن ابنه الولي الصالح العارف بالله تعالى الشيخ أحمد الخضيرى هدم بعضها وجدها بأحسن مما كانت عليه ، وبعد وفاته دفن بها بجوار قبر والده .

ثم فى سنة ألف ومائة وثمان وثمانين جدها ناظرها سليمان أفندى بن الشيخ عبد الرحمن ابن نسل الأستاذ الخضيرى ، وزاد فيها سعة من الجهة البحرية وجعلها مسجدا جامعاً ، وأحدث بها المنبر والدكة ، ووضع فى حيطانها القيشانى مكتوبا فيه أبيات من بردة المديح ، وتاريخ هذه العمارة مكتوب على واجهة باب المسجد فى بيت شعر وهو:

باب الخضيرى لما تبغى عليك به

وأرخن فهو جاء حاضر المدد

ووقف عليها رزقا من الأطيان ورتب لها علوفات مقبوضة ، وكذا ابن عمه مصطفى أفندى وقف أوقافا كثيرة للصرف على شعائر المسجد والمجاورين به ، وقد انضمت تلك الأطيان لجانب الديوان سوى ثلاثة أفدنة وكسور بناحية طسوخ طنبشا .

ابن الزبير بن العوام رضى الله عنهم ، يجتمع مع النبى ﷺ فى قصى . والمراد بالربيعين علم الظاهر والباطن . وكان صاحب كرامات وزار الرحاب الحرمية مرارا ، وكان لا يذكر أحدا بمنقصة ولا يسمع من أحد ذلك ، ويقول : لا يذكر نقائص الناس إلا ناقص . وكان شأنه الصمت ، أخذ القرآن والطريق عن الشيخ أحمد المرحومى المدفون بمصر القديمة ، وأخذ عن الجلال السيوطى . ومن إخوانه فى الطريق الشيخ أبو السعود الجارحى رضى الله عنه ، وكان من العلماء العاملين ، وكان مسموع الكلمة عند الأمراء ، وكان له نحو خمسمائة تلميذ ، وتوفى تساع شهر ذى الحجة سنة خمس وستين وتسعمائة ، ودفن بزاويته فى مزاره المشهور لجده السيد محمد المزبور وصلى فى قبره ركعتين .

وكان ابنه الشيخ أحمد عارفا بالله تعالى وليا صالحا مجذوبا ، مربيا للمريدين ومرشدا للسالكين ، حصلت له جذبة قوية وهو صغير فى حياة والده رضى الله عنه ، وكانت إقامته غالبا فى هذا الحالة بساقية مكى من بر الجيزة فوق ساقية هناك على الطريق ، ثم رجع إلى الصحو وأخذ عن والده وأقام طريقته من بعده ، وصار عالما هماما ، وأطعم الفقراء ، وزادت تلامذته ، وكان يقيم كل سنة أربعة أشهر فى ثغر الإسكندرية ، ولم يزل على حالة حسنة إلى أن توفى ودفن بجوار والده . وقد نظم تاريخ موته بعض تلامذته فقال :

مات مولانا سعيـدا

لا يرى فى الحشر ضيرا

قلت حقـا فى تاريخ

قد جزاه الله خيرا

وترك من الأولاد ثلاثة ذكور: عليا ، وصالحا ، وعبد الرحمن ، وأنثى واحدة ، وقام مقامه ابنه الشيخ على إلى أن مات فدفن بهذه الزاوية أيضا انتهى .

يعمل للأستاذ الخضيرى مولد كل سنة فى شهر ذى القعدة وقد نقله الشيخ أحمد تاج الدين إلى شعبان ، ثم حوله السيد محمد قاسم إلى ذى القعدة ثانيا ، ويستمر نحو عشرة أيام .

القبة يوصل للسطح، وبأعلى المسجد شبابيك مصنوعة من الجبس والزجاج الملون، ويكتنف القبلة شباك من الحديد مطلان على الشارع، وفوقهما شباك من الزجاج، وبين المنبر والمقام فجوة صغيرة تسع المصلى وشباك من الخشب المخروط، وعلى يسار القبلة مكتوب: قال الله تعالى: ﴿كَلِمَاتٍ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ [آل عمران: ٣٧] وعلى يسارها خلوة صغيرة تسمى المعبد هي مخزن للجارية.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك - إعداد محمد مصطفى إبراهيم ٤ / ٢٢٢ - ٢٢٤).

قالت المؤلفة: القيشاني الذي يغطي الحائط في جامع الخضيري الذي ذكره على مبارك أعلاه قد أدرج تحت عنوانه ذلك الجامع في فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة، والعنوان هو «قاشاني بمسجد الخضيري»، ولا أدري إن كان ذلك يعني أنه لم يبق من ذلك الأثر سوى القيشاني إذ أنني لم أشهد هذا الجامع رغم أنه كما يقول على مبارك يقع تجاه مدرسة صرغتمش، وهي من المدارس التي قمت بزيارتها. انظر: الخضيري.

* الخضيري (زاوية):

قال عنها على مبارك: زاوية الخضيري بحارة درب شغلان من شارع التبانة، على يمين الداخل بهذا الدرب من شارع التبانة، وكانت قد تخربت فجددتها الآن امرأة تدعى الحاجة فاطمة الناطرة عليها من ريع ربع وقفه عليها الحاج محمد الفيومي الطحان زوج هذه المرأة، ولم تزل هذه الزاوية ناقصة العمارة لكن شعائرها مقامة، ولها مطهرة وأخيلة وبها ضريح ولي يقال له الشيخ على الخضيري، وقبر آخر يقال إنه لزوجته.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ٧٣).

* الخط:

قال الراغب الأصفهاني:

خط: الخط كالمد، ويقال لما له طول، والخطوط أضرب فيما يذكره أهل الهندسة من مستطوح ومستدير ومقوس وممال، ويعبر عن كل بأرض فيها طول بالخط كخط اليمن وإليه ينسب الرمح الخطي، وكل مكان يخطه الإنسان لنفسه ويحفره يقال له خط وخطه والخطيطة أرض لم يصبها مطر بين

ورتب له العزيز محمد على باشا بالمرور زمامجة بدلا عن تلك الأطيان كل شهر مائتين وستة وثمانين قرشا ديوانيا، وذلك غير مرتب أوقاف سليمان أفندي ومصطفى أفندي وغيرهما وهو كل شهر مائة وسبعة وخمسون قرشا.

ولم يكن لهذا المسجد مطهرة إلى أن تولى نظره السيد محمد قاسم الخضيري بعد رجوعه من سفر الشام صحبة سر عسكر الوزير إبراهيم باشا والد الخديوي إسماعيل باشا فأجرى به عمارة وأحدث الميضاة والمغطس والحنفية والأخيلة على ما هي عليه الآن.

وفي سنة تسع وسبعين ومائتين وألف حصل خلل بالبوائك فهدمها السيد حسن قاسم وهدم الدهليز ليحدها، وكان ناظر الأوقاف يومئذ الأمير راتب باشا الكبير، فمر بتلك الجهة فرأى ذلك فأحضر الحاج محمد صالح سريه المهندس المعماري وأمره بتكميل بناء هذا المسجد على طرفه، فجدد على ما هو عليه الآن. وهو مسجد عامر مقام الشعائر إلى الغاية وحضرته مستمرة على ما كانت عليه، ويصعد إليه بسلم من حجر مدور، وبداخل الباب دهليز بآخره خلوة صغيرة بها نضبة القهوة، وعن يمين الداخل من الجهة الشرقية سلم بعده درج يوصل إلى المطهرة والبئر، فإذا توضأ الشخص يصعد إلى المسجد من سلم آخر يسمى سلم الطهارة، وعن يسار الداخل بالدهليز باب للمسجد يسمى باب الوسط، وبه عشرة أعمدة بعضها من حجر وبعضها من رخام وعليها بوائك من الحجر، وأرضه مفروشة، وسقفه من الخشب المنقوش وتحت السقف كرنيش مكتوب عليه: أنشأ هذا المسجد أبو العباس أحمد الخضيري.

وضريح الأستاذ تجاه باب الوسط عليه قبة ومقصورة من الخشب، وبداخل المقصورة قبر ابنه الشيخ أحمد، وقبر آخر فيه السيد حمزة الخضيري، وبجوارها مقصورة أخرى صغيرة بها قبر السيد أحمد تاج الدين، وهناك قطعة من إزار خشب عليها أبيات شعريّة، وتحت الإزار دواليب للزواجر المجاورين، ودكتة قائمة على عمودين من أعمدته وتحتها إزار خشب فيه أبيات تتضمن مدح السادة الخضيرية، وتحت ذلك ألواح من القيشاني ممتدة من ابتداء الحائط إلى سلم الطهارة، وتحت ذلك خزانة الكتب بجوارها باب يسمى باب

أرضين ممطورتين كالخط المنحرف عنه، ويعبر عن الكتابة بالخط قال تعالى : ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ [العنكبوت : ٤٨] (المفردات / ١٥٠). وقال الجرجاني :

الخط : تصوير اللفظ بحروف هجائية، وعند الحكماء هو الذي يقبل الانقسام طولاً لا عرضاً ولا عمقاً، ونهايته النقطة. اعلم أن الخط والسطح والنقطة أعراض غير مستقلة الوجود على مذهب الحكماء، لأنها نهايات وأطراف للمقادير عندهم، فإن النقطة عندهم نهاية السطح وهو نهاية الجسم التعليمي. وأما المتكلمون فقد أثبت طائفة منهم خطأ وسطحا مستقلين حيث ذهبت إلى أن الجوهر الفرد يتألف في الطول فيحصل منهما خط، والخطوط تتألف في العرض فيحصل منها سطح، والسطوح تتألف في العمق فيحصل الجسم والخط والسطح على مذهب هؤلاء جوهران لا محالة، لأن المتألف من الجوهر لا يكون عرضاً.

الخط : ماله طول لكن لا يكون له عرض ولا عمق (التعريفات / ١٢٣).

(المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني - تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١٥٠ والتعريفات للشيخ الجرجاني - تحقيق د. عبد الرحمن عميرة / ١٢٣).

* الخط الرومي :

الخط الرومي : وهو أربعة وعشرون حرفاً كما ذكرنا في المقدمة ولهم قلم يعرف بالساميا ولا نظير له عندنا فإن الحرف الواحد منه يدل على معان وقد ذكره جالينوس في ثبت كتبه. (كشف / ١ / ٧٠٩).

* الخط الزنجي والحبشي :

الخط الزنجي والحبشي : على ندرة لهم قلم حروفه متصلة كحروف الحميري يبتدىء من الشمال إلى اليمين يفرقون بين كل اسم منها بثلاث فقط (كشف / ١ / ٧١٠).

* الخط السرياني :

الخط السرياني : ثلاثة أنواع المفتوح المحقق ويسمى اسطريجالاً وهو أجملها والشكل المدور ويقال له الخط الثقيل ويسمى أسكولينا وهو أحسنها، والخط الشرطاً وبه يكتبون الترسل. والسرياني أصل النبطي (كشف / ١ / ٧٠٩).

* الخط الصيني :

الخط الصيني : خط لا يمكن تعلمه في زمان قليل لأنه يتعب كاتبه الماهر فيه ولا يمكن للخفيف اليد أن يكتب به في اليوم أكثر من ورقتين أو ثلاثة وبه يكتبون كتب ديانتهم وعلومهم. ولهم كتابة يقال له كتابة المجموع وهو أن كل كلمة تكتب بثلاثة أحرف أو أكثر في صورة واحدة ولكل كلام طويل شكل من الحروف يأتي على المعاني الكثيرة، فإذا أرادوا أن يكتبوا ما يكتب في مائة ورقة كتبوه في صفحة واحدة بهذا القلم (كشف / ١ / ٧٠٩).

* الخط العبراني :

الخط العبراني : أول من كتب به عامر بن شالح وهو مشتق من السرياني وإنما لقب بذلك حيث عبر إبراهيم الفرات يريد الشام وزعمت اليهود والنصارى لا خلاف بينهم أن الكتابة العبرانية في لوحين من حجارة وأن الله سبحانه وتعالى رفع ذلك إليه (كشف / ١ / ٧٠٩).

* الخط العربي :

الخط العربي : قال ابن إسحاق أول خطوط العربية الخط المكي وبعده المدني ثم البصري ثم الكوفي. وأما المكي والمدني ففي ألفاته تعويج إلى يمين اليد وفي شكله انضجاع يسير قال الكندي لا أعلم كتابة يحتمل من تحليل حروفها وتدقيقها ما تحتمل الكتابة العربية ويمكن فيها من السرعة ما لا يمكن في غيرها من الكتابات (كشف / ١ / ٧٠٩).

انظر : الخط العربي (علم -).

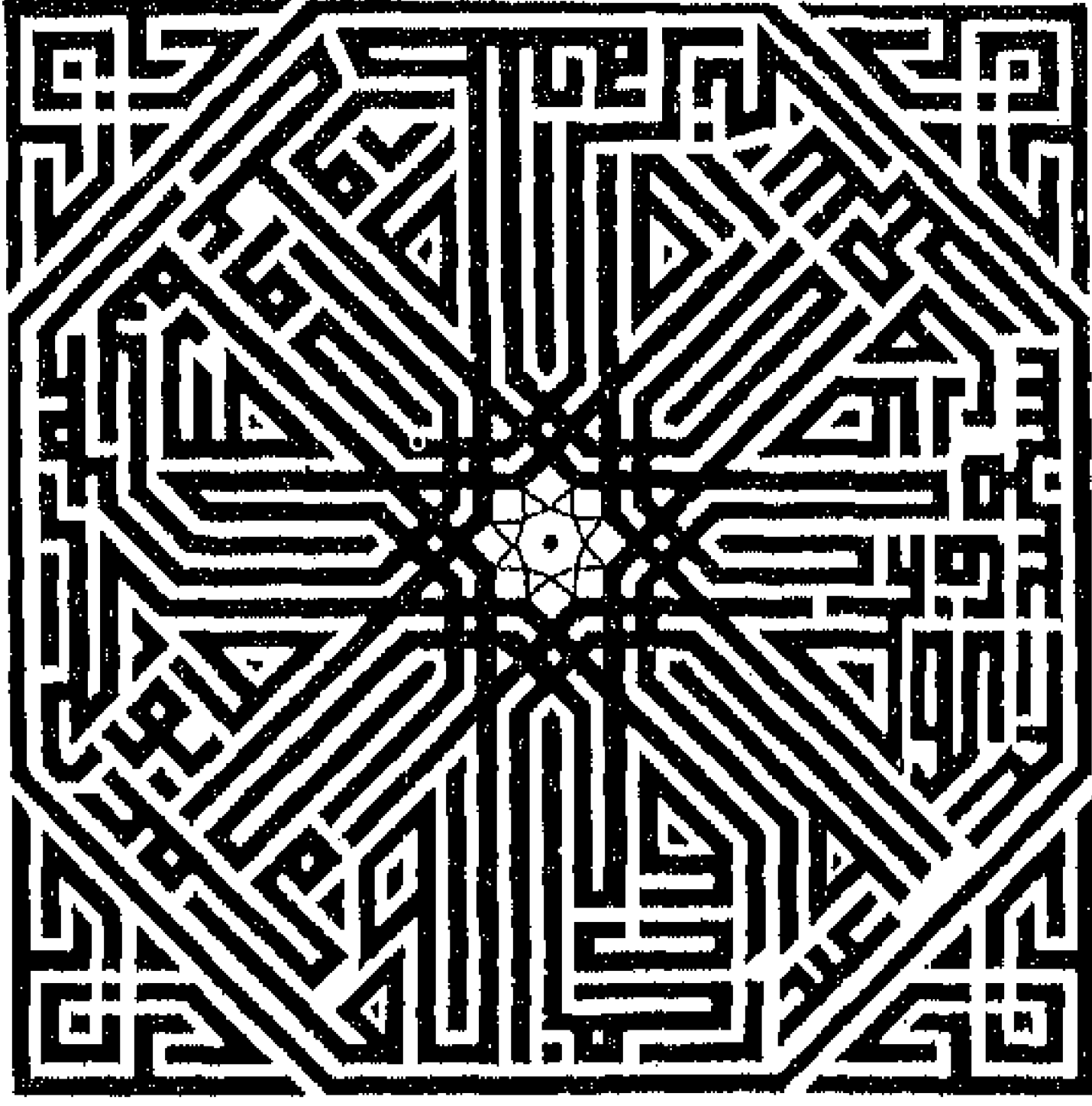
* الخط العربي (علم -) :

حينما نتكلم عن الخط العربي فإن ذلك يكون من وجهين الأول من حيث إنه علم فتتكم على تعريفه وتاريخ نشأته وأطوار تطوره، وهو في هذه الحالة ما يمكن أن يسمى بالكتابة الخطية.

أما الوجهة الثانية فهو أن الخط العربي فن من الفنون الإسلامية، ذو عظمة وجلال، وهو ما يمكن أن نسميه بالزخرفة الخطية.

ونبدأ بالتعريف بالخط من حيث هو علم من العلوم، وذلك بما أورده ابن الحاجب في الشافية قال رحمه الله :

الخط تصوير اللفظ بحروف هجائه إلا أسماء الحروف إذا قصد المسمى بها، نحو : قولك اكتب جيم عين فأراً، فإنك



ممرقة قمرية من مجموعة منسجدة، مسجدة، في القرن العاشر، من مجموعة منسجدة

بالواو، ونحو : فيّة بالياء، وكتب، نحو: سأل ولؤم، ويئس،
ومن مقرئك، ورءوف بحرف حركته، وجاء في نحو: سئل،
ويقرئك القولان، والآخر إن كان ما قبله ساكنا حذف، نحو:
خبء، وخبئا، وخبء، وإن كان متحركا كتب بحرف حركة
ما قبله كيف كانت مثل: قرأ، ويقرئ، وردؤ، ولم يقرأ، ولم
يقرئ ولم يردؤ، والطرف الذي لا يوقف عليه لاتصال غيره به
كالوسط، نحو: جزأك، وجزؤك، وجزئك، ونحو: وردأك،
وردأك، وردئك، ونحو: يقرؤه، ويقرئك إلا في نحو: مقروءة
وبرية، بخلاف الأول المتصل به غيره، نحو: وردؤك ردئك
بأحد ولأحد وكأحد، بخلاف لثلا لكثرتة ولكراهة صورته وكل
همزة بعدها حرف مد كصورتها تحذف، نحو: خطأ في
النصب، ومستهزون، ومستهزين، وقد تكتب بالياء بخلاف
قرأ ويقرآن للبس، وبخلاف نحو: مستهزين في المثني لعدم
المد، وبخلاف ردائي ونحوه في الأكثر لمغايرة الصورة، أو
للفتح الأصلي، وبخلاف نحو: حنائى في الأكثر للمغايرة
والتشديد، وبخلاف نحو: لم تقرئى للمغايرة واللبس. وأما
الوصل فقد وصلوا الحروف وشبهها بما الحرفية، نحو: إنما
إلهكم الله، وأينما تكن أكن، وكلمما أتيتنى أكرمته، بخلاف
إن ما عندى حسن، وأين ما وعدتنى، وكل ما عندى حسن،
وكذلك من ما وعن ما في الوجهين، وقد تكتبان متصلتين
مطلقا لوجوب الإدغام، ولم يصلوا متى بما لما يلزم من تغيير
الياء. ووصلوا أن الناصبة للفعل مع لا، بخلاف المخففة،

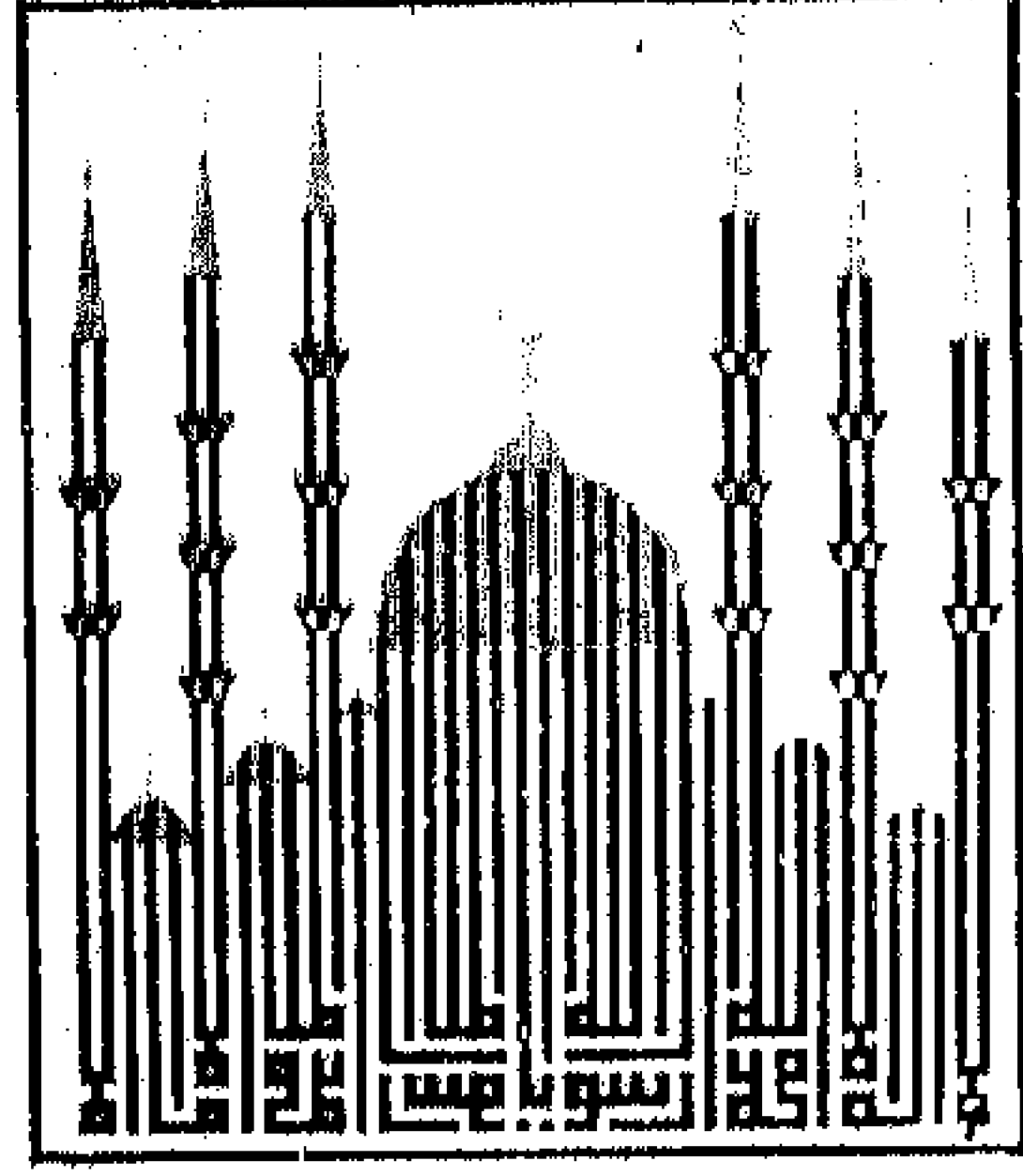
تكتب هذه الصورة جعفر لامساها خطا ولفظا، ولذلك قال
الخليل لما سأله: كيف تنطقون بالعجم من جعفر، فقالوا:
جيم، فقال: إنما نطقتم بالاسم ولم تنطقوا بالمسؤول عنه،
والجواب ج لأنه المسمى، فإن سمي بها مسمى آخر كتبت
كغيرها، نحو: ياسين وحاميم، وفي المصحف على أصلها
على الوجهين، نحو: يس وخم، والأصل في كل كلمة أن
تكتب بصورة لفظها بتقدير الابتداء بها والوقف عليها، فمن
ثمت كتب، نحو: ده زيدا، وقه زيدا بالهاء، ونحو: مه أنت،
ومجىء بالهاء أيضا بخلاف الجار، نحو: حتام وإلام وعلام
لشدة الاتصال بالحروف، ومن ثمت كتبت معها بألفات،
وكتبت مم، وعمم بغير نون، فإن قصدت إلى الهاء كتبتها،
ورجعت الياء وغيرها إن شئت، ومن ثمت كتب أنا زيد
بالألف، ومنه لكنا هو الله، ومن ثمت كتبت تاء التأنيث في
نحو: رحمة، وقمحة هاء، وفيمن وقف بالتاء تاء بخلاف
أخت، وبنات، وباب قائمات، وباب قامت هند، ومن
ثمت كتب المنون المنصوب بالألف، وغيره بالحذف، وإذا
بالألف على الأكثر، وضربا كذلك على الأكثر، وكان قياس
اضربن واضربن بواو وألف واضربن بياء، وهل تضربن بواو
ونون، وهل تضربن بياء ونون، ولكنهم كتبوه على لفظه لعسر
تبيينه، أو لعدم تبيين قصدها.

وقد يجرى اضربن مجراه، ومن ثمت كتب باب قاض
بغير ياء، وباب القاضى بالياء على الأوضح فيهما، ومن ثمت
كتب، نحو: بزيد، ولزيد، وكزيد متصلا لأنه يوقف عليه،
وكتب، نحو: منك، ومنكم، وضربكم متصلا لأنه لا يبدأ
به، والنظر بعد ذلك فيما لا صورة له تخصه، وفيما خولف
بوصل، أو زيادة، أو نقص، أو بدل.

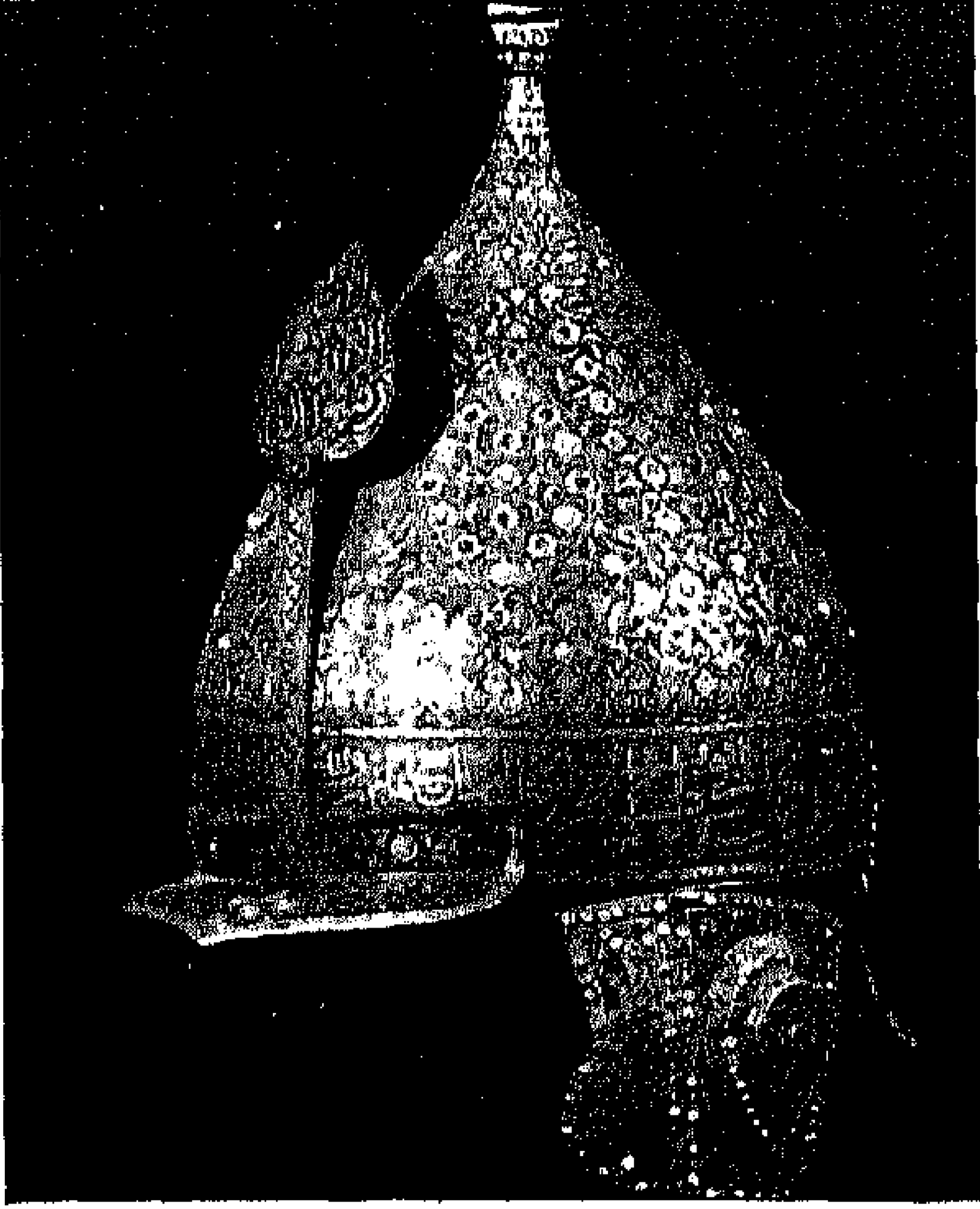
فالأول الهمزة، وهو أول، ووسط، وآخر والأول ألف
مطلقا، مثل: أحد، وأحد، وإيل. والوسط إما ساكن،
فَيَكْتُبُ بحرف حركة ما قبله، مثل: ياكل، ويومن، ويبس،
وإما متحرك قبله ساكن، فيكتب بحرف حركته، مثل: يسأل،
ويلؤم، ويسشم، ومنهم من يحذفها إن كان تخفيفها بالنقل
والإدغام، نحو: مسلة، ومسئل، ومنهم من يحذف المفتوحة
فقط، والأكثر على حذف المفتوحة بعد الألف، نحو: سال،
ومنهم من يحذفها في الجميع. وإما متحرك، وقبله متحرك،
فيكتب على نحو: ما يسهل، فلذلك كتب، نحو: موجل

وحمل اللتين عليه، وكذلك اللاءون وأخواته، ونحو: عم، ومم، وإما، وإلا ليس بقياس، ونقصوا من بسم الله الرحمن الرحيم، الألف لكثرة، بخلاف باسم الله، وباسم الله الرحمن ونحوه، وكذا الألف من اسم الله والرحمن مطلقا، ونقصوا من نحو: للرجل وللرجل، وللدار وللدار جرا وابتداء الألف لثلاث يلتبس بالنفى بخلاف بالرجل ونحوه، ونقصوا مع الألف اللام فيما أوله لام، نحو: للحم وللبن كراهة اجتماع ثلاث لامات، ونقصوا من نحو: أبك بار؟ في الاستفهام، وأصطفى البنات ألف الوصل، وجاء في نحو: الرجل الأمان، ونقصوا من ابن إذا وقع صفة بين علمين ألفه مثل: هذا زيد بن عمرو، بخلاف زيد ابن عمرو، وبخلاف المثني، ونقصوا ألف ها للتنبيه مع الإشارة، نحو: هذا، وهذه، وهذان، وهؤلاء، بخلاف هاتا، وهاتى لقلته، فإن جاءت الكاف ردت، نحو: هاذك، وهاذانك لاتصال الكاف، ونقصوا الألف من ذلك وأولئك، ومن الثالث والثلاثين، ومن لكن ولكن، ونقص كثير الواو من داود لكراهة اجتماع الواوين، والألف من إبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، وبعضهم الألف من عثمان، وسليمان، ومعاوية. وأما البدل فإنهم كتبوا كل ألف رابعة فصاعدا في اسم أو فعل ياء إلا فيما قبلها ياء إلا في يحيى ورئى علما. وأما الثالثة فإن كانت عن ياء كتبت ياء، وإلا فبالألف، ومنهم من يكتب الباب كله بالألف، وعلى كتبه بالياء، فإن كان منونا، فالمختار أنه كذلك وهو قياس المبرد. وقياس المازني بألف، وقياس سيبويه: المنصوب بألف، وما سواه بياء، ويتعرف الياء من الواو بالثنية، نحو: فتان وعصوان، وبالجمع نحو: الفتيات والقنوات، وبالمرة، نحو: رمية وغزوة، وبرد الفعل إلى نفسك، نحو: رميت وغزوت، وبالمضارع نحو: يرمى ويغزو، وبكون ألفاء واوا، نحو: وعى، ويكون العين واوا، نحو: شوى إلا ماشد، نحو: القوى والعوى فإن جهلت فإن أميلت فالياء نحو: متى، وإلا فالألف، وإنما كتبوا لدى بالياء، لقولهم: لديك، وكلا كتبت على الوجهين لاحتمالهما. وأما الحروف فلم يكتب منها بالياء غير بلى، وإلى وحتى، وعلى. والله أعلم بالصواب (متن الشافية/ ٥٥١ - ٥٥٧).

أما من حيث النظم فلدينا ما أورده الحافظ السيوطي في خاتمة ألفيته النحوية، وهي من زياداته على ألفية ابن مالك،



نحو: علمت أن لا يقوم، ووصلوا إن الشرطية بلا، وما، نحو: إلا تفعلوه، وإما تخافن، وحذفت النون في الجميع لتأكيد الاتصال. ووصلوا نحو: يومئذ، وحيث في مذهب البناء، فمن ثمت كتبوا الهمزة ياء، وكتبوا نحو الرجل على المذهبين متصلا لأن الهمزة كالعدم، أو اختصارا للكثرة. وأما الزيادة فإنهم زادوا بعد واو الجمع المتطرفة في الفعل ألفا، نحو: كلوا واشربوا فرقا بينها وبين واو العطف، بخلاف نحو: يدعوا، ويغزو، ومن ثمت كتب، نحو: ضربوا هم في التأكيد بألف، وفي المفعول بغير ألف، ومنهم من يكتبها، في نحو: شاربوا الماء، ومنهم من يحذفها في الجميع، وزادوا في مائة ألفا فرقا بينها وبين منه، وألحقوا المثني بها. بخلاف الجمع، وزادوا في عمرو واوا فرقا بينه وبين عمر مع الكثرة، ومن ثمت لم يزيده في النصب، وزادوا في أولئك واوا فرقا بينه وبين إليك، وأجرى أولاء عليه، وزادوا في أولى مالا واوا فرقا بينه وبين إلى، وأجرى أولو عليه، وأما النقص فإنهم كتبوا كل مشدد من كلمة حرفا واحدا، نحو: شذ، ومد، واذكر وأجرى، نحو: فنت مجراه، بخلاف نحو: وعدت، وأجبهه، وبخلاف لام التعريف مطلقا، نحو: اللحم، والرجل لكونهما كلمتين ولكثرة اللبس، بخلاف الذي، والتي، والذين لكونها لا تنفصل عنها، ونحو: اللذين في التثنية بلامين للفرق،



قلم من قلم السبيل في القاموس العربي

ومن ثم وضعت كلها بين قوسين . قال السيوطي رحمه الله
تحت عنوان «خاتمة في الخط» .

(الخط رسم لفظية بأحرف
هجائها أن تبدى أو تقف
فسره ورحمه ومجىء به
والياء في القاضى وقاض دونها
ونحو زيدا واضربا بالالف
ومدغم بلفظه إذا بى
من كلمته لا كلمتين واكتب
الهمز بالالف بدءا تصب
ووسطا ساكنة بحرف
حركة قبل وعكسا تلف

ابحرفها وتلو تحريك على
تسهيلها وطرفا قد خُزلا
تكون أو بحرف ما تلا
واحذف من ابن علمين اتصلا
وبعد لام ال كذلك البسملة
وصل بخط كل حرف قبالة
ومضمرة الوصل وما تكف أو
ملفأة أو بالشرط لا متى تلو
وكلمة ما قبلها لم يعمل
وغالبها بى ومن إن توصل
وبهمما وعن إذا ما استفهما
وصل بى من إن أتى استفهما
ومن وعن موصولة وأن وإن
شرطا بلا وما ونونها ابن
والف لـ واو فعل جمع
زيد وواو فى أولو والفرع

وفى أولئك ويى أخى مع
عمرو بـ لا نصب وتصغير يقع
ولام موصول سوى المثنى
تحذف أو فيه ثلاث عنا
وألف الرحمن والآله
سبحان إذ ضافة الله
ونحو ذلك وهذا وثلاث
ولكن والأعلام أرتقت فوق الثلاث
ما لم ترى حذف كـ داود ولا
كـ امر بالحذف ليس حصلا
والـ واو من واو ضم الأول
وياء إسرائيل والياء تجعل
فى ألف رابعة فصاعدا
أو أصلها الياء أو تمال راشدا
وكل حرف كتبوا غير بلى
حتى على بالـ ثم إلى

يميز بها عن الحيوان وأيضا فهي تطلع على ما فى الضمائر وتتأدى بها الأغراض إلى البلاد البعيدة فتقضى الحاجات وقد دفعت مؤنة المباشرة لها ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع وخروجها فى الإنسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع وال عمران والتناغى فى الكمالات والطلب لذلك تكون جودة الخط فى المدينة إذ هو من جملة الصنائع وقد قدمنا أن هذا شأنها وأنها تابعة لل عمران لهذا نجد أكثر البدو أميين لا يكتبون ولا يقرأون ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطه قاصرا أو قراءته غير نافذة ونجد تعليم الخط فى الأمصار الخارج عمرانها عن الحد أبلغ وأحسن وأسهل طريقا لاستحكام الصنعة فيها كما يحكى لنا عن مصر لهذا العهد وأن بها معلمين منتصبين لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين وأحكاما فى وضع كل حرف ويزيدون إلى ذلك المباشرة بتعليم وضعه فتعتمد لديه رتبة العلم والحس فى التعليم وتأتى ملكته على أتم الوجوه وإنما أتى هذا من كمال الصنائع ووفورها بكثرة العمران وانفساح الأعمال.

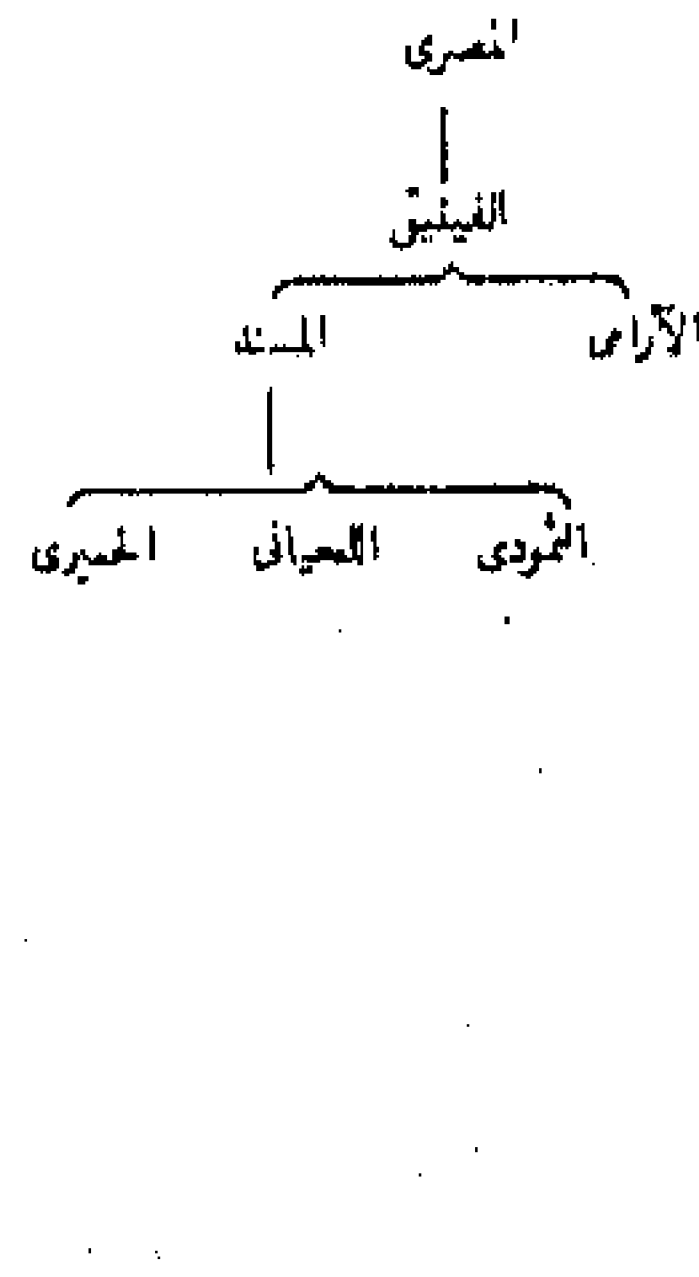
وقد كان الخط العربى بالغاً مبالغاً من الإحكام والإتقان والجودة فى دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمى بالخط الحميرى، وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها من دول آل المنذر نساء التبابعة فى العصبية والمجدين لملك العرب بأرض العراق ولم يكن الخط عندهم من الإجابة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش فيما ذكر ويقال إن الذى تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أمية ويقال حرب بن أمية وأخذها من أسلم بن سدره وهو قول ممكن وأقرب ممن ذهب إلى أنهم تعلموها من إياد أهل العراق لقول شاعرهم:

قوم لهم ساحة العراق لقول شاعرهم:

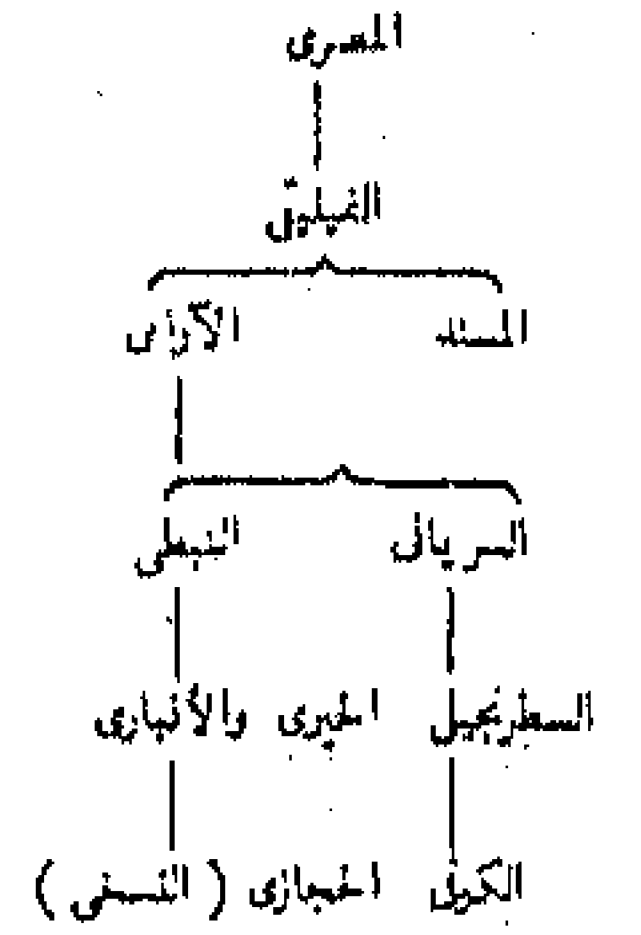
ساروا جميعا والخط والقلم

وهو قول بعيد لأن إياد وإن نزلوا ساحة العراق فلم يزالوا على شأنهم من البداوة، والخط من الصنائع الحضرية وإنما معنى قول الشاعر إنهم أقرب إلى الخط والقلم من العرب

سلسلة الخط العربى على رأى رواة العرب



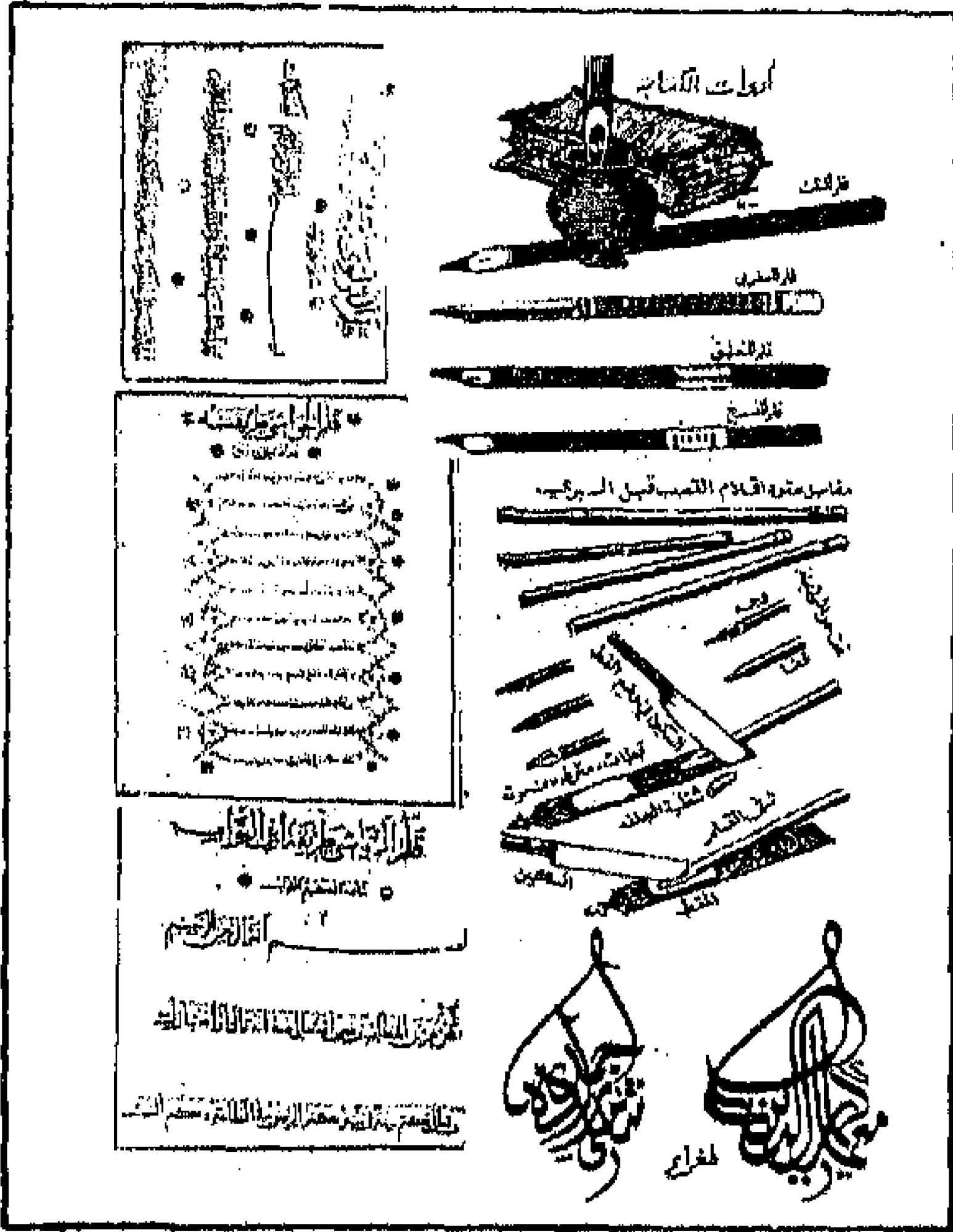
سلسلة الخط العربى على رأى الإفرنج



وفى لدى الخلف حكاه الناس
والخط فى المصحف لا يقاس
ومثل هـ هذا أحرف القصيدة
هذا تمام نظمى الفيرى
فيرى فى كل عقيدة
فى جبهة المختصرات غره
كافية للطالبين وإفيه
بقصد للمعضلات شافيه
أثبت من التسهيل بالخالصه
فما لقارىء بها خصاصه
(الفية السيوطى النحوية / ٧٥-٧٧).

ويفرد ابن خلدون فى مقدمته الفصل الثلاثين للكلام على أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية، ويتكلم على تاريخ الخط وكونه مظهرا من مظاهر الحضارة، وأثرا من آثار الاجتماع والتجارة، ومن ثم فإن رقيه أو تأخره يرتبط برقى أو تأخر الحضارة فى بلد بعينه. يقول ابن خلدون:

الخط هو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما فى النفس فهو ثانى رتبة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة إذ الكتابة من خواص الإنسان التى



لقربهم من ساحة الأمصار وضواحيها فالقول بأن أهل الحجاز إنما لقنوها من الحيرة ولقنها الحيرة من التسابعة وحمير هو الأليق من الأقوال.

وكان لحمير كتابة تسمى المسند حروفها منفصلة وكانوا يمنعون من تعلمها إلا بإذنهم ومن حمير تعلمت مصر الكتابة العربية إلا أنهم لم يكونوا مجيدين لها شأن الصنائع إذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذهب ولا ماثلة إلى الإتقان والتنميق لبون ما بين البدو والصناعة واستغناء البدو عنها في الأكثر وكانت كتابة العرب بدوية مثل كتابتهم أو قريبا من كتابتهم لهذا العهد أو نقول إن كتابتهم لهذا العهد أحسن صناعة لأن هؤلاء أقرب إلى الحضارة ومخالطة الأمصار والدول.

وأما مضر فكانوا أعرق في البدو وأبعد عن الحضار من أهل اليمن وأهل العراق وأهل الشام ومصر فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا بما رسمه أصحاب الرسول ﷺ وخير الخلق من بعده المثلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه كما يقتفى لهذا العهد خط ولى أو عالم تبركا ويتبع رسمه خطأ أو صنوبا وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبه فاتبع ذلك وأثبت رسما وفيه العلماء بالرسم على مواضعه ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكلها وجه يقولون في مثل زيادة الألف في لا أذبحنه إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع وفي زيادة الياء في باييد إنه تنبيه على كمال القدرة الربانية وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخط وحسبوا أن الخط كمال فنزهوهم عن نقصه ونسبوا إليهم الكمال بإجادته وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه وذلك ليس بصحيح واعلم أن الخط ليس

بكمال في حقهم إذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية كما رأيت فيما مر والكمال في الصنائع إضافي بكمال مطلق إذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في الخلال وإنما يعود على أسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لأجل دلالة على ما في النفوس . وقد كان ﷺ أميا وكان ذلك كمالا في حقه وبالنسبة إلى مقامه لشرفه وتنزهه عن الصنائع العملية التي هي أسباب المعاش والعمران كلها وليست الأمية كمال في حقنا نحن إذ هو منقطع إلى ربه ونحن متعاونون على الحياة الدنيا شأن الصنائع كلها . حتى العلوم الاصطلاحية فإن الكمال في حقه هو تنزهه عنها جملة بخلافنا .

ثم لما جاء الملك للعرب وفتحوا الأمصار وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة واحتاجت الدولة إلى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمه وتداولوه فترقت الإجادة فيه وأستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الإتقان إلا أنها كانت دون الغاية والخط الكوفي معروف الرسم لهذا العهد ثم انتشر العرب في الأقطار والممالك وافتتحوا أفريقية والأندلس واختط بنو العباس ببغداد وترقت الخطوط فيها إلى الغاية لما استبحرت في العمران وكانت دار الإسلام ومركز الدولة العربية

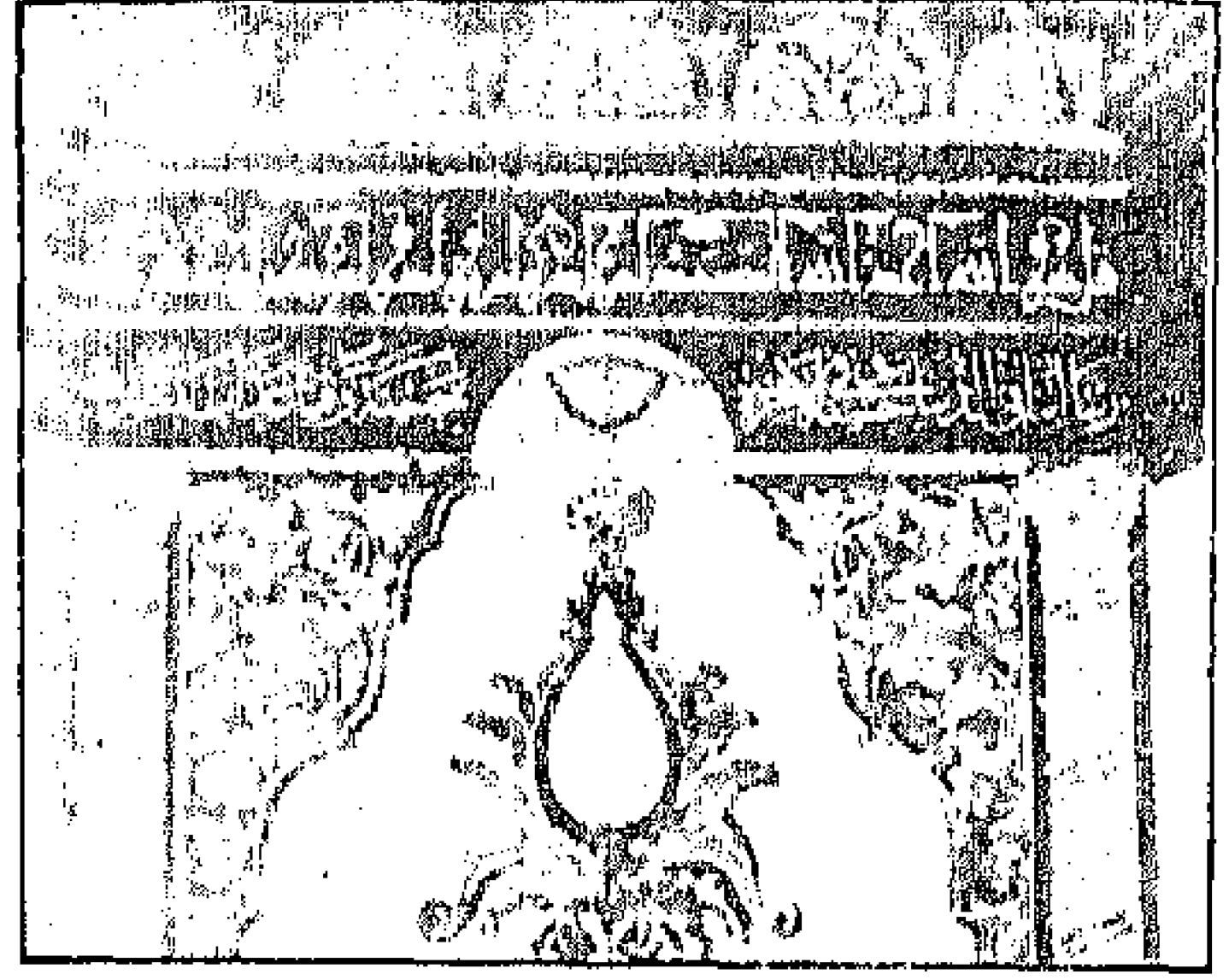
الأندلسى بتونس وما إليها لتوفر أهل الأندلس بها عند الجالية من شرق الأندلس وبقي منه رسم ببلاد الجريد الذين لم يخالطوا كتاب الأندلس ولا تمرسوا بجوارهم إنما كانوا يغدون على دار الملك بتونس فصار خط أهل أفريقية من أحسن خطوط أهل الأندلس.

حتى إذا تقلص ظل الدولة الموحدية بعض الشيء وتراجع أمر الحضارة والترف بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وجهل فيه وجه التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران وبقيت فيه آثار الخط الأندلسى تشهد بما كان لهم من ذلك لما قدمناه من أن الصنائع إذا رسخت بالحضارة فيعسر معوها وحصل في دولة بنى مرين من بعد ذلك بالمغرب الأقصى لون من الخط الأندلسى لقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم إلى فارس قريبا واستعمالهم إياهم سائر الدولة ونسى عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره كأنه لم يعرف فصارت الخطوط بأفريقية والمغربيين ماثلة إلى الرداءة بعيدة عن الجودة وصارت الكتب إذا انتسخت فلا فائدة تحصل لمتصفحها منها إلا العناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الأشكال الخطية عن الجودة حتى لا تكاد تقرأ إلا بعد عسر ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول والله أعلم. (المقدمة / ٤١٧ - ٤٢١).

وفي فصل بعنوان «فى ذكر من وضع الخط وأصله، ووصله وفصله» يقول الزبيدى فى كتابه الموسوم بحكمة الإشراف (أفردنا له مادة فى م ١٤ / ٤٢٢، ٤٢٣ فانظره فى موضعه):

يقال: إن أول من وضع الخط والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها فى طين وطبخه، فلما أضل القوم الغرق أصاب كل قوم كتابهم.

وقيل: أول من وضعه أخنوخ، وهو إدريس عليه السلام. وقيل إن نفيس (تسميه التوراة «نافيش»)، ونصر [بطور]، وتيما، ورومه، بنو إسماعيل، وضعوا كتابا واحدا وجعلوه سطرا واحدا غير متفرق، موصول الحروف كلها، ثم فرقة نبت (هو «نبايوت»، وهو بكر إسماعيل) وهميسع وقيدار، وفرقوا الحروف وجعلوا الأشباه.



«لغة الافلاص للبيت
بالخط الديواني المصنوع
وهو على شكل حجاب
من العنبر اللؤلؤى في تركيا
ولقد كان فوقه لؤلؤا زهرا
نالا في الدنيا حسنة إلى
الخرقة حسنة - ولقد اطلق

وكان الخط البغدادي معروف الرسم وتبعه الأفريقى المعروف رسمه القديم لهذا العهد ويقرب من أوضاع الخط المشرقى وتحيز ملك الأندلس بالأمويين فتميزوا بأحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط فتميز صنف خطهم الأندلسى كما هو معروف الرسم لهذا العهد وطما بحر العمران والحضارة فى الدول الإسلامية فى كل قطر وعظم الملك ونفقت أسواق العلوم وانتسخت الكتب وأجيد كتبها وتجليدها وملئت بها القصور والخزائن الملوكية بما لا كفاء له وتنافس أهل الأقطار فى ذلك وتنافسوا فيه ثم لما انحل نظام الدولة الإسلامية وتناقصت تناقص ذلك أجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة فانتقل شأنها من الخط والكتابة بل والعلم إلى مصر والقاهرة فلم تزل أسواقها بها نافقة لهذا العهد وله بها معلمون يرسمون لتعليم الحروف بقوانين فى وضعها وأشكالها متعارفة بينهم فلا يلبث المتعلم أن يحكم أشكال تلك الحروف على تلك الأوضاع وقد لقنها حسنا وحذق فيها دربة وكتابا وأخذها قوانين علمية فتجىء أحسن ما يكون.

وأما أهل الأندلس فافترقوا فى الأقطار عند تلاشى ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتألبت عليهم أمم النصرانية فانتشروا فى عدوة المغرب وأفريقية من لدن الدولة اللمتونية إلى هذا العهد وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع وتعلقوا بأذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الأفريقى وعفى عليه ونسى خط القيروان والمهيدية بنسيان عوائدهما وصنائعهما وصارت خطوط أهل أفريقية كلها على الرسم

رعاك جدولا يبين لك لغة هذه الخطوط المختلفة على رأي العرب :

أبجد عبراني	أبجد فارسي	أبجد يوناني	أبجد عبراني	أبجد فارسي	أبجد يوناني	أبجد عبراني	أبجد فارسي	أبجد يوناني	أبجد عبراني	أبجد فارسي	أبجد يوناني
א	א	א	א	א	א	א	א	א	א	א	א
ב	ב	ב	ב	ב	ב	ב	ב	ב	ב	ב	ב
ג	ג	ג	ג	ג	ג	ג	ג	ג	ג	ג	ג
ד	ד	ד	ד	ד	ד	ד	ד	ד	ד	ד	ד
ה	ה	ה	ה	ה	ה	ה	ה	ה	ה	ה	ה
ו	ו	ו	ו	ו	ו	ו	ו	ו	ו	ו	ו
ז	ז	ז	ז	ז	ז	ז	ז	ז	ז	ז	ז
ח	ח	ח	ח	ח	ח	ח	ח	ח	ח	ח	ח
ט	ט	ט	ט	ט	ט	ט	ט	ט	ט	ט	ט
י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י
כ	כ	כ	כ	כ	כ	כ	כ	כ	כ	כ	כ
ל	ל	ל	ל	ל	ל	ל	ל	ל	ל	ל	ל
מ	מ	מ	מ	מ	מ	מ	מ	מ	מ	מ	מ
נ	נ	נ	נ	נ	נ	נ	נ	נ	נ	נ	נ
ס	ס	ס	ס	ס	ס	ס	ס	ס	ס	ס	ס
ע	ע	ע	ע	ע	ע	ע	ע	ע	ע	ע	ע
פ	פ	פ	פ	פ	פ	פ	פ	פ	פ	פ	פ
צ	צ	צ	צ	צ	צ	צ	צ	צ	צ	צ	צ
ק	ק	ק	ק	ק	ק	ק	ק	ק	ק	ק	ק
ר	ר	ר	ר	ר	ר	ר	ר	ר	ר	ר	ר
ש	ש	ש	ש	ש	ש	ש	ש	ש	ש	ש	ש
ת	ת	ת	ת	ת	ת	ת	ת	ת	ת	ת	ת

وثاني حلقة من سلسلته : الخط الفينيقي نسبة إلى فينيقيا بقرب أرض نعان على ساحل البحر الأبيض ، وتسمى اليوم جبل لبنان . والفينيقيون من الأمم السامية ، كانوا أكثر الناس مخالطة للمصريين للتجارة ولدواع أخرى فتعلموا حروف كتابتهم . ثم وضعوا لأنفسهم حروفا بسيطة خالية عن التعقيد للكتابات التجارية ، وقد أخذوا من حروف المصريين خمسة عشر حرفا مع تعديل قليل - كما قال الأثرى ماسيرو في كتابه تاريخ المشرق - وأضافوا إليها باقي الحروف ، ثم اشتهرت حروفهم لسهولة في آسيا وأوربا .

وثالث حلقة من سلسلته : الآرامي أو المسند ، على خلاف بين مؤرخي أوربا والعرب (الآرامي نسبة إلى الآرام أبناء آرام بن سام المعروف عند العرب باسم آرم ، وهو من أسلاف العرب ، سكن أبناؤه بلاد العرب في فلسطين والشام)

رأى مؤرخي أوربا :

خلاصة رأى مؤرخي أوربا هي أن الخط الفينيقي تولد منه أربعة خطوط وهي :

(١) اليوناني القديم أصل خطوط أوربا كلها والخط القبطي .

وأما الخط العربي فأول من وضعه وألف حروفه ستة أشخاص من طسم ، كانوا نزولا عند عدنان بن أدد ، وكانت أسماؤهم : أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ، فوضعوا الكتابة والخط على أسماؤهم ، فلما وجدوا في الألفاظ حروفا ليست في أسماؤهم ألحقوها بها ، وسموها الروادف ، وهي ثخذ ضطغ .

وقيل : أول من وضع الخط العربي مرمر بن مرة (ويقال «ابن مروة») وقيل ، عامر بن جذرة .

وقد ذكر كلا منهما صاحب القاموس - وقيل أسلم بن سدره ، وهم نفر من بولان رسموه أحرفا مقطعة ، ثم قاسوه على هجاء السريانية ، فوضع مرمر صوره ، وعامر أعجمه ، وأسلم وصل وفصل .

وقال ابن خلكان (في الوفيات ١ / ٣٤٦ في ترجمة على ابن هلال ، المعروف بابن البواب) : والصحيح عند أهل العلم أن أول من خط هو مرمر بن مرة من أهل الأنبار ، وقيل إنه من بني مرة ، ومن الأنبار انتشرت الكتابة في الناس . قال الأصمعي : ذكروا أن قريشا سئلوا : من أين لكم الكتابة ؟ فقالوا : من الأنبار .

وقال هشام بن محمد بن السائب : تعلم بشر بن عبد الملك الكتابة من أهل الأنبار وخرج إلى مكة وتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية تعلم منه حرب ، ومنه ابنه سفيان ، ومنه ابن أخيه سيدنا معاوية رضي الله عنه ، ثم انتشر في قريش ، وهو الخط الكوفي الذي استنبطت منه الأقلام التي هي الآن .

وفيه كلام في الإعلام (هو التعريف والإعلام وننقل له دائما في المسواد التي تختص بسور القرآن الكريم) للسهلي ، والمزهر للسيوطي ، والأوليات العسكرية ، وقد ذكرنا كلامهم في كتابنا «تاج العروس لشرح جواهر القاموس» . فمن أراد الزيادة على ذلك فليراجعه (حكمة الإشراق / ٦٣ ، ٦٥) .

وقد أفرد الأستاذ عبد الله الزنجاني الفصل الأول في كتابه «تاريخ القرآن» للكلام على حدوث الخط في الحجاز وانتشاره فيه وعلى الخط الذي كتب به القرآن ننقله لك فيما يلي ، وقد وضعنا تعليقات المحقق الأستاذ طه عبد الرؤوف سعد بين أقواس في ثانيا النص إتمام للفائدة . يقول المؤلف :

أول حلقة من سلسلة الخط العربي هي الخط المصري (ديموطيق) وهو خط الشعب .

رأى مؤرخي العرب :

ملخص رأى مؤرخي العرب قبل الإسلام وبعده أن خطهم الحجازي مأخوذ في أهل الحيرة وأهل الأنبار ووصل الخط إلى أهل هذين البلدين من عرب كندة ، ومن النبط الناقلين عن المسند . أجمع مؤرخو العرب أن الخط دخل إلى مكة بواسطة حرب بن أمية بن عبد شمس ، وكان قد تعلمه في أسفاره من عدة أشخاص ، منهم : بشر بن عبد الملك أخو أكيدر صاحب دومة الجندل ، وقد حضر بشر إلى مكة مع حرب بن أمية وتزوج الصهباء ابنته ، وعلم جماعة من أهل مكة ثم ارتحل ، وفيه يقول شاعر من كندة يمن على قريش :

ولا تجحدوا نعماء بشر عليكم

فقد كان ميمون النقيصة أزهر

أناكم بخط العجزم حتى حفظتمو

من المال ما قد كان شتى مبشرا

وأغنيتكم من مسند القوم حمير

وما زيرت في الكتب أقيال حميرا

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه أن أهل الأنبار

تعلموا الخط من أهل الحيرة .

(روى عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن أبيه قال :

قلت لابن عباس : من أين أخذتم معاشر قريش هذا الكتاب

العربي قبل أن يبعث محمد ﷺ تجمعون منه ما اجتمع

وتفرون منه ما افترق . قال : أخذناه عن حرب بن أمية . قال :

فمن أخذه حرب ؟ قال : عن عبد الله بن جدعان . قال : فمن

أخذه ابن جدعان ! قال : من أهل الأنباط قال : فمن أخذه أهل

الأنبار . قال من أهل الحيرة : قال فمن أخذه أهل الحيرة .

قال : من طاريء طراً عليهم من اليمن من كندة . قال : فمن

أخذه ذلك الطاريء ؟ قال : من الخفلةجان كاتب الوحي ليهود

عليه السلام).

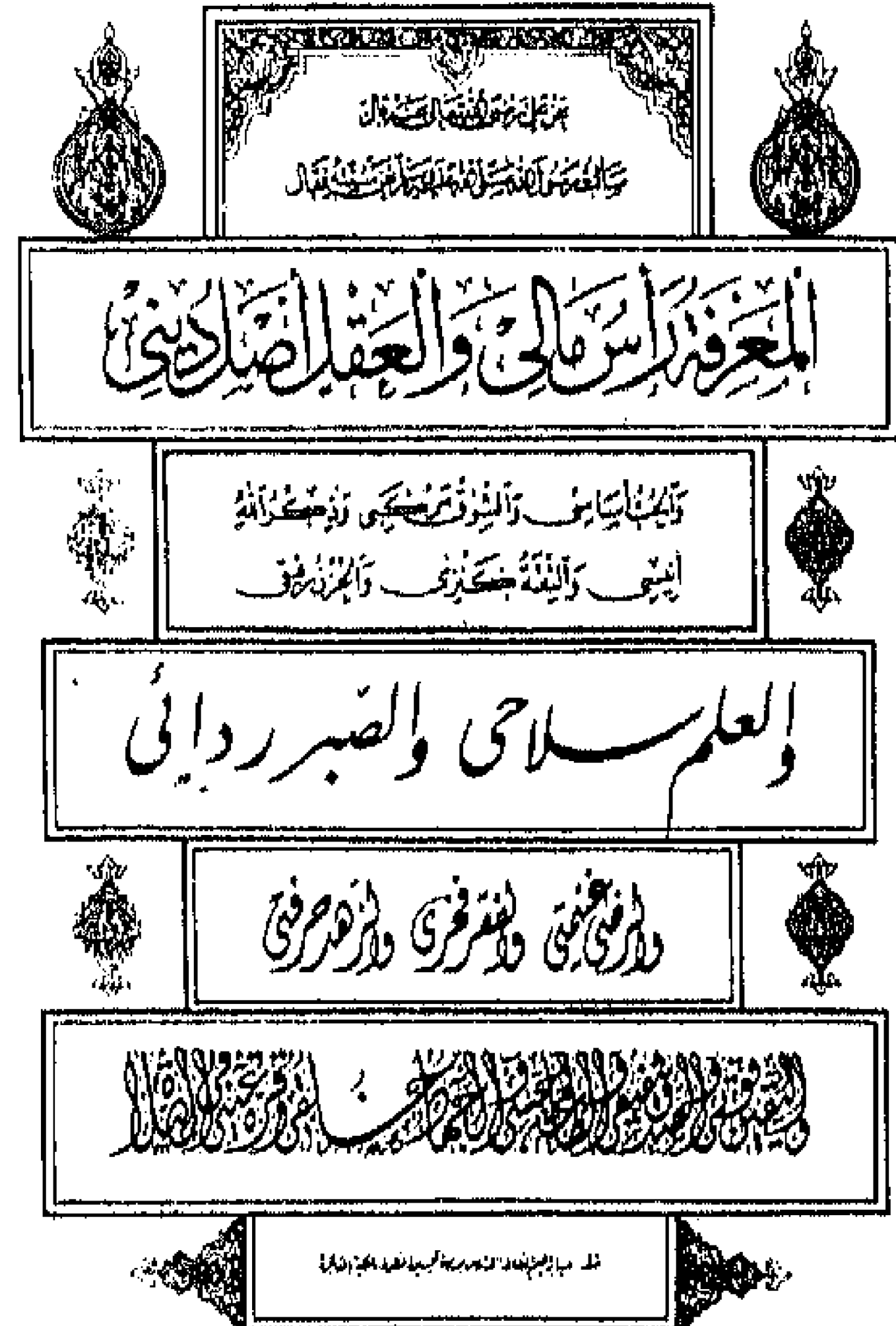
فالخط المسند على رأى مؤرخي العرب من حلقات

سلسلة الخط العربي ، ومن أصوله .

وقد رجح بعض الباحثين من علماء العرب في كتابه «حياة

اللغة العربية» رأى مؤرخي العرب لوجوه :

الأول : أن الخط المسند عرف له أربعة أنواع ، وأقرب تلك



بين هذه الأربعة أنواع من الخط العربي ، فمن الأول إلى أصل : ١ - الرمان أو الإجازة ٢ - الألف ٣ - النسخ ٤ - الفارسي ٥ - الهرواني ٦ - الخط الدار ٧ - الألف ٨ - الألف

(٢) العبري القديم ، ومنه الخط السامري نسبة إلى سامرة

نابلس .

(٣) المسند الحميري ، ومنه تولد الخط الحبشي .

(٤) الخط الآرامي ، وهو أصل ستة خطوط :

(أ) الهندي بأنواعه .

(ب) الفارسي القديم : الفهلوي .

(ج) العبري المربع .

(د) التدمري .

(هـ) السرياني .

(و) النبطي (مملكة الأنباط الممتدة من دمشق إلى قرب

المدينة إلى خليج السويس ، وقد وجدت آثار الأنباط في

مدائن صالح وحوران ودمشق وسيناء) .

وعلى رأى الإفرنج ، الخط العربي قسمان : أحدهما

كوفي ، وهو مأخوذ من نوع من السرياني يقال له اسطرنجيل

وهو مأخوذ من النبطي ، فعلى هذا الرأي لا يقع الخط المسند

في سلسلة الخط العربي ، ووضعوا السرياني مع النبطي في

آخر حلقة منها .

تَرَاتْ فَرِيد .. تَرَاتْ تَلِيد .. غَابَ عَنْهُ
أَبْنَاؤُهُ وَمَتَلَقَّوْهُ، وَزَهَبَ عَنْهُ عَسَاكُهُ
وَمَجْبُوه، تَرَاتْ غَارِب .. تَرَاتْ مَرِيضٌ

أنه تعلم نفس الخط السطرنجيلى أصل الخط الكوفى وأحد نوعى الخط السريانى - خط اليهود، ولذلك ذكر فى ترجمة زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه تعلم السريانى ومنه حدث الكوفى .

ثم إن الخط الكوفى أشبه الخطوط للخط الحيرى، والحيرى قريب الشبه من النبطى، وهو من الآرامى، وهو من الفينيقي، وهو من ديموطيق - خط الشعب المصرى - فذلك يدل على تسلسل تلك الخطوط حسب الترتيب المذكور.

الخط فى المدينة «يثرب» .

أما الخط فى المدينة (يثرب) فقد قرر أهل السير أن النبى ﷺ دخلها، وكان فيها يهودى يعلم الصبيان الكتابة، وكان فيها بضعة عشر من الرجال يعرفون الكتابة، منهم سعيد بن زرارة، والمنذر بن عمرو، وأبى بن وهب، وزيد بن ثابت، ورافع بن مالك، وأوس بن خولى، والظاهر أنهم كانوا يعرفون الخط الحجازى المأخوذ من الحيرى، فلا ينافى هذا تعلم زيد كتابة اليهود بأمر النبى ﷺ بعد دخوله ﷺ المدينة .

وأول من نشر الكتابة بطريقة عامة، هو الرسول الأكرم محمد ﷺ بعد مهاجره إلى المدينة، فقد أسر فى غزوة بدر سبعين رجلا من قريش وغيرهم وفيهم كثير من الكتاب فقبل من الأميين الاقتداء بالمال، وجعل فدية الكاتبين منهم أن

الأنواع إلى الفينيقي هو الصفوى، فيدل ذلك على أن الخط المسند هو خط واحد فى الأصل، قريب من أصله الفينيقي، وغير بعيد الشبه عن الآرامى، وقد وصل الخط من اليمن والآراميين إلى الحيرة والأنبار بواسطة كندة والنبط، ومن الحيرة والأنبار وصل لأهل الحجاز، وفيه أن هذا احتمال ضعيف، مؤداه أن قرب الصفوى من الخط الفينيقي يؤيد كون المسند مأخوذا من الفينيقي، وانتشر فى اليمن ووصل إلى الحيرة والأنبار، مع أن الاعتراف بوصول الخط بواسطة الآراميين يقوى كون الآرامى من أصول الخط الحجازى، لأن نشر هؤلاء الآراميين غير خطهم الخاص بعيد جدا .

الثانى: اختلاط النبط باليمانيين ومجاورتهم لهم، كاختلاطهم ببعض طوائف الآرام يقتضى أخذ النبط خطهم المسند منهم، وفيه أن المخالطة إن دلت على أخذ النبط خطهم من اليمانيين، كذلك تدل على أخذهم من الآراميين لنفس الدليل .

الثالث: إجماع مؤرخى العرب وتضافر رواياتهم، واتفاق كلمتهم، بأن الخط وصل إلى الحجاز من اليمن، وفيه أن وصول الخط من طريق اليمن لا ينافى كون أصله آراميا، لإمكان أخذ اليمانيين عن الآراميين لمخالطتهم كما سبق .

الرابع: وجود حروف الروادف، وهى (ثخذ، ضطغ) فى الخط المسند الحميرى دون الآرامى، وفيه أن المسند لو كان من أصول الخط الحجازى، لكان لتلك الحروف صور خاصة فيه، متسلسلة عن أصلها كسائر الحروف، ففقد الخط الحجازى صورة خاصة لتلك الحروف، يدل على أن الخط الآرامى المفاقد لها من أصوله، ولكن أصوات حروف الروادف الموجودة فى لسان العرب، دعاهم إلى وضع الحروف الروادف بالإعجام لتلك الأصوات - ويؤيده قول مؤلف كتاب حياة اللغة العربية ص ٨٨، فلا بد أن يكون واضع الحروف العربية قد أخذ لها صورة الباء والجيم والذال والصاد والطاء والعين، ووضع لها النقط للتمييز، ويدل أيضا على أن الآرامى من أصول الخط العربى، أن الحافظ شمس الدين الذهبى ذكر فى تذكرة الحفاظ فى ذيل رواية خارجة بن زيد عن أبيه، أن زيد بن ثابت رضى الله عنه بأمر النبى ﷺ تعلم كتابة اليهود وحذقها فى نصف شهر، فتعلمه فى مدة نصف شهر يدل على

المصاحف لعثمان، وهم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام. ولما فتح المسلمون الممالك ومصر والأمصار ونزلت جمهرة الكتاب منهم الكوفة عنوا بتجويد الخط العربى وهندسة أشكاله وتمطيط عراقاته (كاساته) حتى صار خط أهل الكوفة ممتازا بشكله من الخط الحجازى، واستحق أن يسمى باسم خاص وهو (الكوفى) وبه كانت تكتب المصاحف الموجودة الخط، وحلى القصور والمساجد، وسك النقود. وبقي الحجازى مستعملا فى المكاتبات العادية. ثم حدث فى الكوفى أنواع بعد هذا العصر نذكرها بعد.

وكان الصحابة وتابعوهم من بنى أمية يكتبون بلا إعجام (أى الإعجام بالنقط لتمييز الحروف). ولا شكل إلا قليلا، اعتمادا منهم على معرفة المكتوب إليهم باللغة، واكتفائهم بالرمز القليل فى قراءة اللفظ. فلما فسد اللسان باختلاط العرب بالعجم، وظهر اللحن والتحريف فى الألسنة وفى قراءة القرآن. أشفق المسلمون على تحريف كلم الكتاب الكريم فوضع أبو الأسود الدؤلى علامات فى المصاحف بصنع مخالف، فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة نقطة أسفله، والضمة نقطة من الجهة اليسرى، وجعل التنوين نقطتين، وكان ذلك فى خلافة معاوية.

ووضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر الحجاج نقط الإعجام بنفس المداد الذى كان يكتب به الكلام حتى لا يختلط بنقط أستاذهما أبى الأسود. وكان ذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان. ثم شاع فى الناس بعد (الوسطى / ١٢٢)، (١٢٣).

وقد تفرغ من الخطين الكوفى والنسخى ستة أقلام هى:

الثلاث - النسخ - التعليق - الريحاني - المحقق - الرقاع، ثم تفرغ من هذه الأقلام: القلم الديوانى والقلم الفارسى وغيرهما.

«الخط المغربى» وهو من الخطوط العربية وأقدمها عهدا وأكثرها انتشارا وهو منتشر الآن فى جميع أنحاء إفريقيا الشمالية (غير مصر) وكان مستعملا فى أسبانيا فى القرون الوسطى.

الخط الكوفى

خط الثلث

خط الأجازى

خط النسخ

خط التعليق

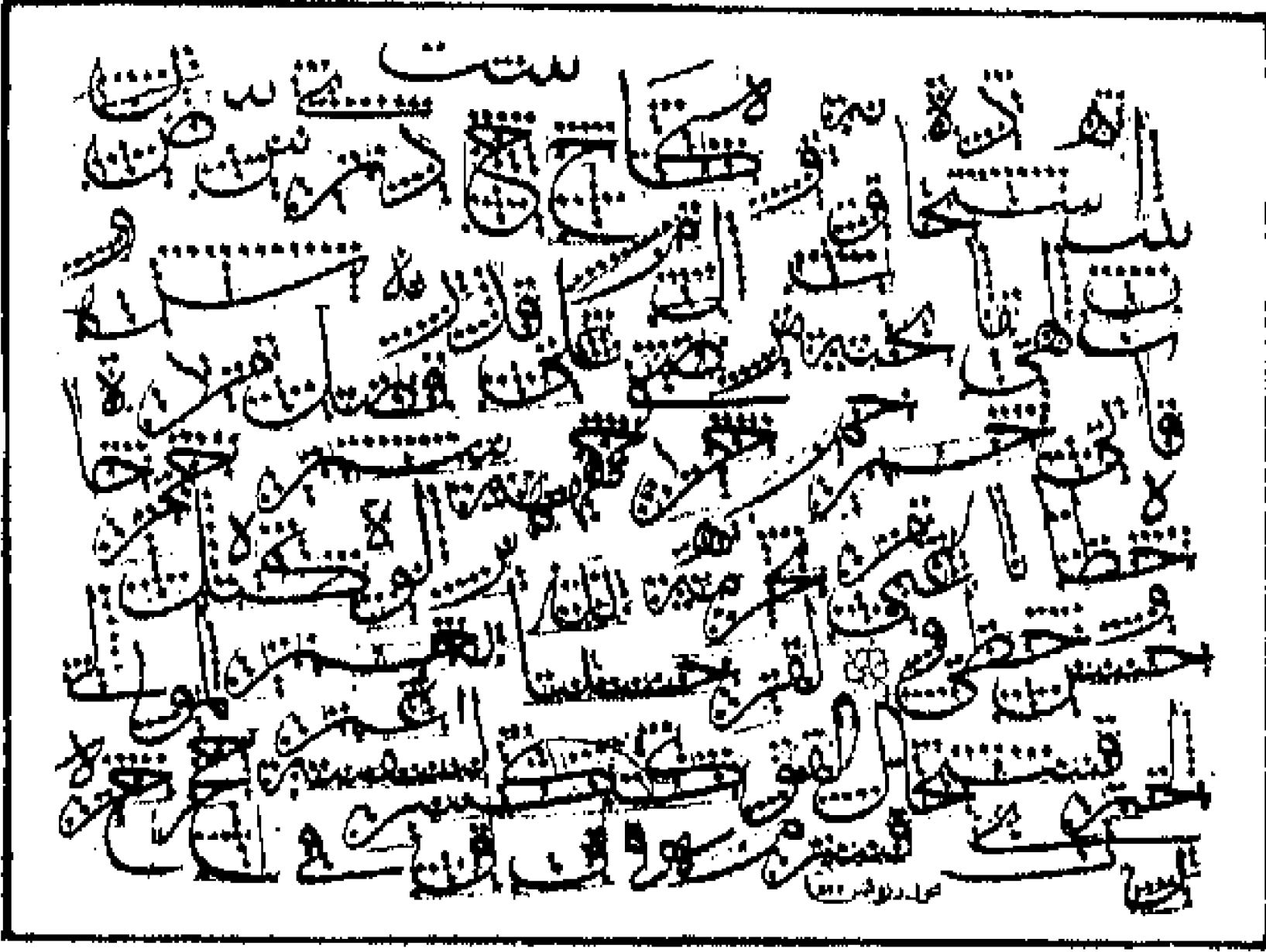
أنواع الخطوط

يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة. ففعلوا ذلك وانتشر الخط بالتدريج من هذا الحين فى المدينة، والأمصار التى دخلت فى حوزة الإسلام، وبقيت الأمية الصرفة فى البوادي.

للخط الحجازى نوعان: أحدهما النسخى المستعمل فى المكاتبات، والثانى الكوفى نسبة إلى الكوفة بعد بنائها، لأن الخط الحجازى هذبت قواعده وصور حروفه ولذلك نسب إليها.

فقد عثر الباحثون على نفس الكتابين المرسلين من النبى الأكرم إلى المقوقس والمنذر بن ساوى، وأخذوا صورتهم بالتصوير الشمسى (فتوغراف) وطبعوهما والكتاب المرسل إلى المقوقس محفوظ فى دار الآثار النبوية فى الأستانة، وكان قد عثر عليه عالم فرنسى فى دير بمصر قرب إخميم، وسمع بحديثه السلطان عبد المجيد فاستقدم ذلك العالم وعرض النسخة على العلماء، فقرروا إنها هى بعينها كتاب النبى ﷺ إلى المقوقس فاشتراها بمال عظيم، والكتاب الثانى محفوظ فى مكتبة فيينا عاصمة النمسا، (تاريخ القرآن / ١-٦).

ومن أشهر كتاب الصحابة النسخ الأربعة الذين كتبوا



الخط الكوفى

به قطبة، فهندسا الحروف وقَدَّرًا مقاييسها وأبعادها، وضبطاها ضبطا محكما، واخترعا له القواعد، وعن الوزير ابن مقلة أخذ أبو عبد الله بن أسد القارئ المتوفى ٤١٠ هـ وعنه أخذ أبو الحسن على بن هلال البغدادى المعروف بابن البواب (انظر ترجمته فى م ٧ / ٥٨١ - ٥٨٦) المتوفى سنة ٤١٣ هـ وهو الذى أكمل قواعد الخط واخترع عدة أقلام، وإليه انتهت الغاية، وكل من جاء بعده فهو تابع لطريقته، كأمين الدين ياقوت الملكى المتوفى سنة ٦١٨ هـ كاتب السلطان ملكشاه السلجوقى.

أما الأندلسيون والمغاربية فلم يعبأوا بهذا الإصلاح وبقوا يكتبون على طريقة الخط الحجازى إلى الآن بنوع من التعديل.

ضبط الحروف بالشكل: قد ذكرنا فيما تقدم طريقة أبى الأسود التى اتبعت فى زمن بنى أمية وصدر بنى العباس، وبقيت مستعملة فى الأندلس إلى أواسط القرن الرابع. ولما استكثر الناس من إعجام الحروف لتسهيل التعليم، اشتبهت نقط الإعجام بنقط الشكل، مع أن هذه كانت تلون بممداد مخالف، فكان من الصعب وضياح الزمن كتابتها بمدادين، فاخترع الخليل الشكل المستعمل الآن بأن كتب الضمة واوا صغيرة تكتب فوق الحرف، والفتحة ألفا، والكسرة ياء والشدة رأس شين (مختزلة من لفظ «تشديد») والسكون رأس خاء

والخط المغربى مشتق من الخط الكوفى القديم وتكتب قاف هذا الخط كالفاء فى الخطوط الأخرى كما تختلف أيضا كثير من حروفه عن الحروف الأخرى فى غيرها من الحروف العربية (معرض دار الكتب المصرية / ١١، ١٢).

تنوع فى عصر الدولة العباسية (١٣٢ - ٦٥٦ هـ) الخط الكوفى إلى أنواع أريت على خمسين نوعا، من أشهرها المحرر والمشجر والمربع والمدور والمتداخل وبقي مستعملا فى المباني والسكة إلى حدود الألف، ثم نسي جملة. وقد جددت منه أنواع فى عصرنا.

أما تاريخ خطنا المستعمل الآن فحدث فى آخر الدولة الأموية أن استنبط قطبة المحرر من الخط الكوفى والحجازى خطا هو أساس الخط الذى يكتب به الآن، واخترع القلم الجليل الذى يكتب به على المباني ونحوها وقلم الطومار (الورقة الكبيرة) وهو أصغر أنواع الجليل، وعرض قطته ٢٤ شعرة من شعر ذنب البرذون، وحسن عمله غيره من كتاب صدر الدولة العباسية، حتى ظهر إبراهيم الشحرى وأخوه يوسف من كتاب أواخر القرن الثانى، فولد إبراهيم من الجليل قلم الثلاثين (أى ثلثى الطومار) وعرض قطته ١٦ شعرة، وقلم الثلث وعرض قطته ٨ شعرات. وولد يوسف من الجليل القلم الرياسى (نسبة الى الفضل ذى الرياستين وزير المأمون) وهو قلم التوقيع.

وعن إبراهيم أخذ الأحول المحرر (من صنائع البرامكة) واخترع النصف وعرضه ١٢ شعرة، وخفيف الثلث والمسلسل (هو المشتبك الحروف) وغبار الحلبة (شبه لدقته بغبار حلبة الخيل ويكتب به فى بطائق الحمام الزاجل: انظر مادة «حمام الرسائل» فى م ١٤ / ٥٢٥ - ٥٢٩). والرقاع وغيرها. هذه هى أشهر الخطوط، وقد تولد منها نحو من ٢٠ خطا يختص كل منها بعرض خاص. واتفقوا على أن طول الألف يعتبر معيارا لارتفاع بقية الحروف، وأن يكون طول الألف مربع مقدار قطة القلم.

وعن الأحول أخذ مهندس الخط الأعظم الوزير أبو على محمد بن مقلة وأخوه أبو عبد الله الحسن المتوفى سنة ٣٣٨ هـ، وهما اللذان تم على أيديهما هندسة خط النسخ والجليل وفروعه على الأشكال التى نعرفها الآن، وأتما العمل الذى بدأ

٩ - الخط الأندلسى - وكانت أنواعه لا تختلف إلا بالصغر أو الكبر، وربما مال الجليل منه إلى بعض قواعد الثلث فى أواخر عصورهم، كما يشاهد على جدران الحمراء بقرنطة (الوسيط / ١٩٥، ١٩٦، ٢٩٢، ٢٩٤).

ويضيف الأستاذ يحيى سلوم العباسى الخطاط فى تعدادة لأنواع الخط العربى السالفة أنواعا أخرى فيقول.

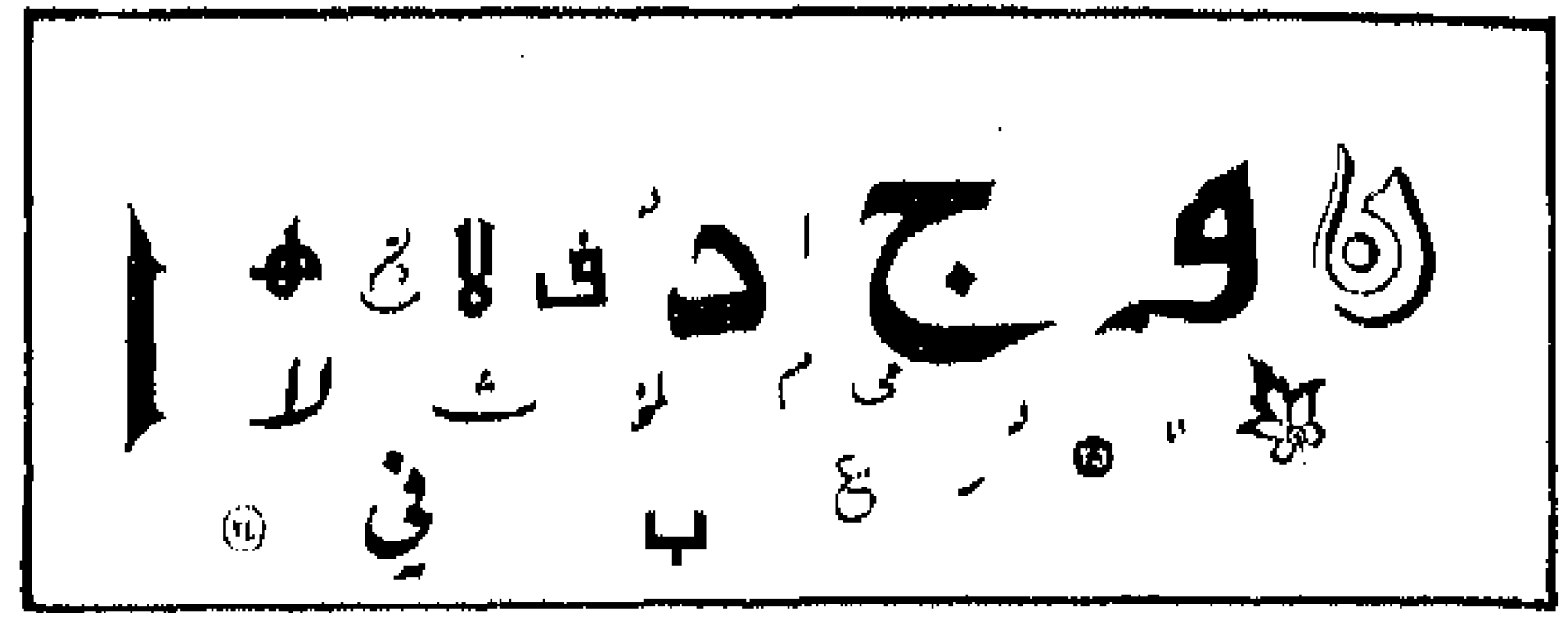
من تتبعنا لتاريخ الخط العربى ظهر أن للخط أنواعا كثيرة منها ما استعمل قديما، وقد أطلق عليها أسماء كثيرة، قد استغنى عن معظمها لحلول خطوط أحسن وأجمل منها وإن تلك الخطوط: هى ١ - الكوفى ٢ - الطومار ٣ - الجليل ٤ - المجموع ٥ - الرياسى ٦ - الثلثين ٧ - النصف ٨ - الجوانحى ٩ - المسلسل ١٠ - غبار الجلية ١١ - المؤامرات ١٢ - المحدث ١٣ - المدمج ١٤ - المنشور ١٥ - المقترن ١٦ - الحواشى ١٧ - الأشعار ١٨ - اللؤلؤى ١٩ - المصاحف ٢٠ - فضاح النسخ ٢١ - الغبار ٢٢ - العهود ٢٣ - المعلق ٢٤ - المخفف ٢٥ - المرسل ٢٦ - المبسوط ٢٧ - المقور ٢٨ - الممزوج ٢٩ - المفتوح ٣٠ - المعمة ٣١ - المؤلف ٣٢ - التوامان ٣٣ - المعجز ٣٤ - المخلع ٣٥ - الديوانى ٣٦ - سياقت ٣٧ - القرمة ٣٨ - السجلات ٣٩ - الأمانات ٤٠ - السدياج ٤١ - المديح ٤٢ - المرصع. ومن الخطوط العربية السائدة الآن فى البلاد العربية والإسلامية هى:

١ - الخطة الكوفى: وهو أصل للخطوط العربية ويستعمل فى كتابة عناوين الكتب ويستخدم فى كثير من زخارف المباني والحفر على الخشب والزجاج والتحف المعدنية وغيرها.

٢ - خط الثلث: ويعبر عنه بأصل الخطوط ويستعمل فى كتابة عناوين الكتب وأوائل سور القرآن الكريم وجدران المساجد والأماكن المقدسة وكراتات الأسماء.

٣ - خط النسخ: وهذا خاص لكتابه المصاحف الشريفة وجميع ما يطبع من الكتب والصحف والمجلات العربية.

٤ - الخط الفارسى: يستعمل غالبا مقام خط الثلث خاصة فى إيران والهند وأفغانستان وباكستان.



نماذج من الخط العربى القديم والمعبد

(مختزلة من لفظ «تخفيف») وهمزة القطع رأس عين (مختزلة من لفظ «قط») ثم اختزل شكلها وزيد عليها حتى آلت إلى الشكل المعروف الآن.

أما فى العصر التركى (٦٥٦ - ١٢٢٠ هـ) فقد درج الخط فى الطريق التى مهدها ابن مقلة وابن البواب وياقوت الملكى وياقوت المستعصى، واستعملت فيه أكثر أنواعه، إلا أنه اشتهر من بينها تسعة أنواع.

١ - الجليل (على قاعدة الثلث المعروفة لنا) وتشاهد نماذجه المتعددة على جدران مساجد القاهرة، ومدارسها وأربطتها، وخرائب قصور أمرائها.

٢ - قلم الطومار (على قاعدة الثلث أيضا) وكانت تكتب به أسماء السلاطين وعلاماتهم على المنشورات والعهود ونحوها (راجع صبح الأعشى الجزء الثالث).

٣ - قلم الثلث ويشبه قلم الثلث عندنا، ومنه الثلث المبسوط الحروف المسمى الآن بالريحانى.

٤ - النسخ على قاعدته المعروفة إلا أن بعض حروفه معلق الأطراف إلى فوق ويقرب مما نسميه الآن خط التعليق - وكانت تكتب به كتب العلم والأدب.

٥ - التعليق - وكان يطلق على الثلث الخفيف عندنا مع تعليق خراطيم الحروف إلى أعلى.

٦ - قلم الرقاع - وكان وسطا بين النسخ والتوقيع، وكانت تكتب به كتب العلم والأدب والرسائل.

٧ - القلم المسلسل المشتبك الحروف - وكانت تكتب به عامة الرسائل المطولة والعقود وكتب الوقف ونحوها.

٨ - الخط الفارسى - وكان استعماله عاما فى أواسط آسيا وفارس.



7. A

ويروى في الخبر المأثور: من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فحسنه أحسن الله إليه . كذا في منهاج الإصابة للزفتاوى .

وفي شرعة الإسلام (للإمام الواعظ محمد بن أبي بكر المعروف بإمام زاده الحنفى المتوفى سنة ٥٧٣) من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجوده غفر الله له . وفي الجامع الصغير من رواية سلمة ، فى الجامع الصغير أم سلمة : «الخط الحسن يزيد الحق وضحا (الجامع الصغير لجلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ وأشار السيوطى إلى أنه حديث ضعيف ، وروى الحديث منسوباً إلى عليّ فى صبح الأعشى ٣ / ٢) . وفيه أيضاً : قَيِّدُوا العلم بالكتاب الجامع الصغير وقال عنه : حديث صحيح» ، قال شارحه المناوى : العلم يعقل ثم يحفظ ، والنسيان كامن فى القلب ، فلخوف ذهاب العلم قيد بالكتابة .

وجاء فى حديث آخر: حق الوالد على ولده أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية ، وأن لا يرزقة إلا طيباً (فى الجامع الصغير ٣٧٤ من حديث . أبو رافع ، قال حديث ضعيف) وفى رواية أخرى : «حق الوالد على ولده أن يحسن اسمه ، ويزوجه إذا أدرك ، ويعلمه الكتاب» (فى الجامع الصغير عن أبى هريرة ، وذكر أنه ضعيف) . قال الشارح : يعنى القرآن ، ويحتمل إرادة الخط .

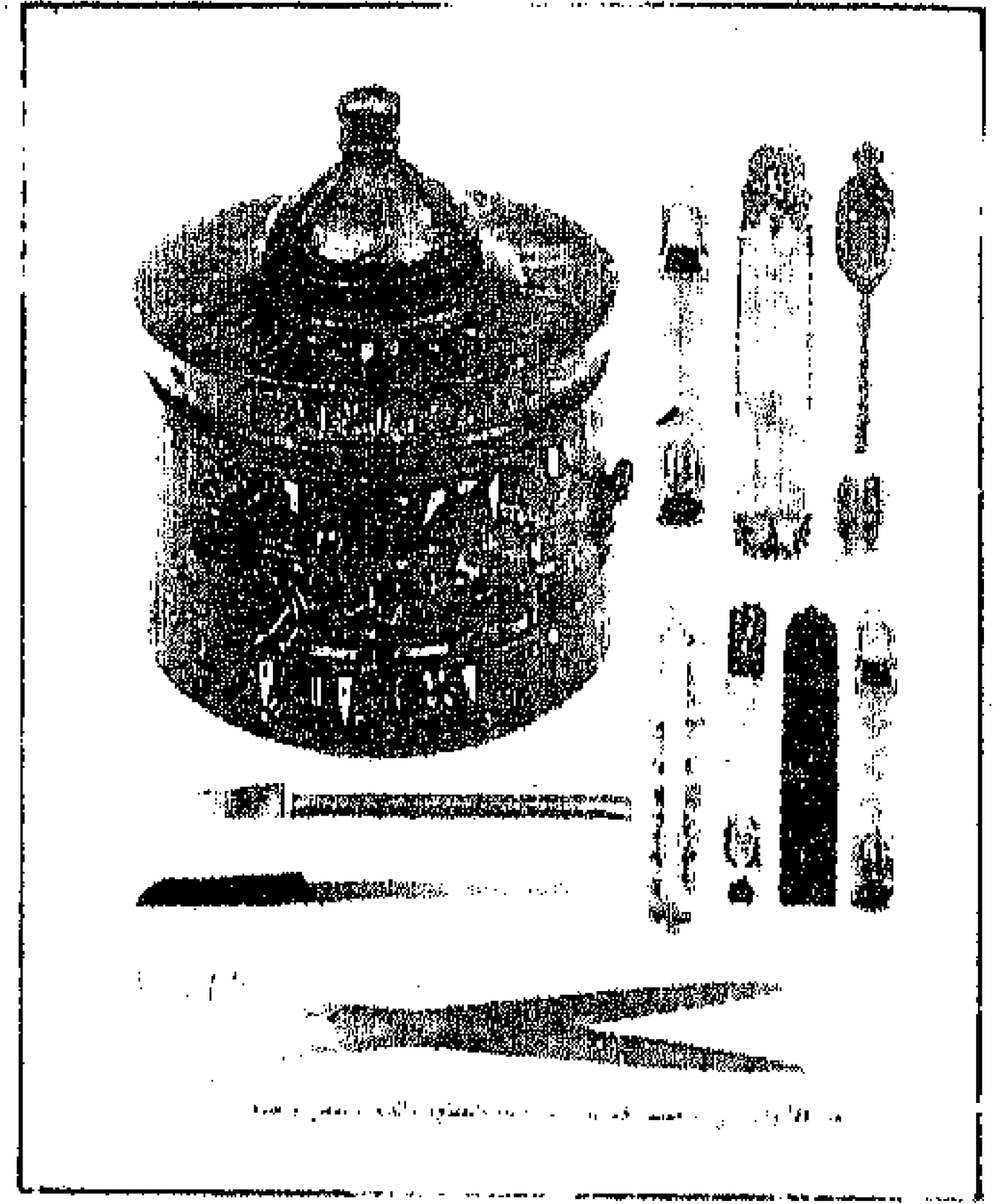
وفى الحديث أيضاً ، قال ﷺ لزيد بن ثابت «إذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فبين السين فيه» (حديث ضعيف كما فى الجامع الصغير ٨٣٥) .

وذكر صاحب الشريعة أيضاً أنه ﷺ قال لمعاوية رضى الله عنه وهو يكتب بين يديه . «ألق الدواة ، وحرف القلم ، وانصب الباء ، وفرق السين ، ولا تعور الميم ، وحسن الله ، ومد الرحمن ، وجود الرحيم .

وقالوا : لما كانت الكتابة شريفة كان حسن الخط فيها فضيلة .

وقال المأمون : لو فاخرتنا الملوك الأعاجم بأمثالها لفخرناها بما لنا من أنواع الخط يقرأ بكل مكان ، ويترجم بكل لسان ، ويوجد مع كل زمان .

وقال النّظام : الخط أصل فى الروح يظهر بآلة جسدانية .



بفضل تشجيعه لها ، واستقدامه «عبد الله الزهدى بك» كاتب الحرمين . وما تزال آثاره على «سبيل أم عباس» شاهدة بعبقرية هذا الخطاط العظيم .

وانتشر الخط بعد ذلك تبعاً لرقى مصر العلمى ، وانتشار المدارس فيها ، فنبغ كثير من أبناء مصر فى هذا الفن ، وفى طليعتهم «محمد مؤنس زاده» الذى تخرج عليه طائفة من مشاهير الخطاطين ، وكذلك الأستاذ «جعفر بك» الذى كانت شوارع القاهرة وما زالت تزدهن بخطه الرائع .

ثم عرضت فترة تعرض فيها هذا الفن للتدهور لأسباب ليس هذ مقام بسطها ، فقلت العناية به .

وألهمت عناية الله المغفور له الملك فؤاد الأول أن يتدارك هذا الفن ، فأنشأ له «مدرسة تحسين الخطوط الملكية» وعين لها أساتذة من الترك والمصريين ، فكانت بارقة الأمل فى إنعاش الخط بعد أن اندثر أو كاد .

(الخط العربى فى العصر الحديث / ١٥٠) .

ولأهمية الخط نجد المؤلفين يتحدثون عن فضائله ، ومنهم

الزبيدى الذى يقول :

جاء فى تفسير قوله تعالى : ﴿يزيد فى الخلق ما يشاء﴾

[فاطر : ١] : أنه الخط الحسن وعن ابن عباس رضى الله عنهما

فى قوله تعالى : ﴿أو أثارة من علم﴾ [الأحقاف : ٤] قال :

الخط

وقال بعض الحكماء (في صبح الأعشى أنه جعفر بن يحيى) : الخط سمط الحكمة ، بها يفصل شذورها وينتظم منشورها .

ويقال : قريش أهل الله ، لأنهم كتبه حسنة .

(كذا . وفي أدب الكتاب للصولي / ٢٨ : «وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : «قريش أهل الله ، وهم الكتبة الحسبة» : جمع كاتب وحاسب)

وكان يقال : حسن الخط أحد اللسانين ، كما قيل : قلة العيال أحد اليسارين .

وقال بعض العلماء (انظر صبح الأعشى ٣ / ٢٠ ، ٢١) الخط كالروح في الجسد ، فإذا كان الإنسان جميلاً وسيماً حسن الهيئة كان في العيون أعظم ، وفي النفوس أفخم ، وبضد ذلك تسأمه النفوس . فكذلك الخط إذا كان حسن الوصف ، مليح الرصف ، مفتوح العيون ، أملس المتون ، كثير الائتلاف ، قليل الاختلاف ، هشت إليه النفوس واشتهته الأرواح ، حتى إن الإنسان ليقروءه - وإن كان فيه كلام دنيء ، ومعنى رديء مستزيذاً منه ولو كثر ، من غير سأم يلحقه ولا ضجر . وإن كان الخط قبيحاً مجتبه الأفهام ، ولغظته العيون والأفكار ، وسئمه قارئه وإن كان فيه من الحكمة عجائبها ، ومن الألفاظ غرائبها .

وقيل : إن وزن الخط مثل وزن القراءة ، فأجود الخط أبينه ، كما أن أجود القراءة أبينها (صبح الأعشى ٣ / ٢١) .

فحرفة أصول الخط وهندسته ، وكيفية وحقيقته ، أشرف من عمله تقليداً من غير تحقيق .

قيل : وصف أحمد بن إسماعيل خطاً فقال : لو كان نباتاً لكان زهراً ، ولو كان معدناً لكان تبراً ، أو مذاقاً لكان حلواً ، أو شراباً لكان صفواً .

وقال عمرو بن مسعدة : الخطوط رياض العلوم ، وهي صورة روحها البيان ، وبدنها السرعة ، وقدمها التسوية ، وجوارحها معرفة الفصول ، وتصنيفها كتصنيف النغم واللحون .

وقيل : إن أحمد الخطوط رسماً ما اعتدلت أقسامه ، وانتصبت ألفه ولامه ، واستقامت سطورها ، وضاهى صعوده وحدوره ، وتفتحت عيونها ، ولم تشبه رأؤه ونونه ، وقدرت

أصوله ، واندمجت وصوله ، وتناسب دقيقه وجليله . ولا يجمع في سطر بين مدتين ولا ياءين مردودتين ، ويراعى موضع الفصول والوصول ، ولا تقطع كلمة بحرف يفرد في غير سطره (حكمة الإشراق / ٦ - ٦٩) .

أما حاجي خليفة صاحب كشف الظنون فيقول عن فضل الخط :

اعلم أن الله سبحانه وتعالى أضاف تعليم الخط إلى نفسه وامتن به على عباده في قوله علم بالقلم وناهيك بذلك شرفاً . وقال عبد الله بن عباس الخط لسان اليد قيل ما من أمر إلا والكتابة موكل به مدبر له ومعبر عنه وبه ظهرت خاصية النوع الإنساني من القوة إلى الفعل وامتن به عن سائر الحيوانات وقيل الخط أفضل من اللفظ لأن اللفظ يفهم الحاضر فقط والخط يفهم الحاضر والغائب وفوائده كثيرة معروفة .

ثم يفرد فصلاً في وجه الحاجة إلى الخط فيقول : واعلم أن فائدة التخاطب لما لم تبين إلا بالألفاظ وأحوالها وكان ضبط أحوالها مما اعتنى بها العلماء كان ضبط أحوال ما يدل على الألفاظ أيضاً مما يعتنى بشأنه وهو الخطوط والنقوش الدالة على الألفاظ فيبحثوا عن أحوال الكتابة الثابتة نقوشها على وجه كل زمان وحركاتها وسكناتها ونقطتها وشكلها وضوابطها من شداتها ومداتها وعن تركيبها وتسطيرها ليتنقل منها الناظرون إلى الألفاظ والحروف ومنها إلى المعاني الحاصلة في الأذهان (كشف / ١ / ٧٠٧) .

كذلك ذكر الماوردي في كتابه «أدب الدنيا والدين» فضل الخط ووجه النظر إلى ما ينبغي أن يعمل من أراد حفظه ، ونوه على أهمية صحته وحسنه ، كما عدد الأسباب المانعة من قراءته وفهم ما تضمنه .

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿أو أثارة من علم﴾ [الأحقاف : ٤] قال الخط . وعن مجاهد في قوله تعالى : ﴿يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة : ٢٦٩] يعني الخط والعرب تقول :

الخط أحد اللسانين وحسنه أحد الفصاحتين . وقال جعفر ابن يحيى : الخط سمط الحكم (السمط ، بكسر السين المشددة ، الخيط ما دام فيه الخرز ، وقيل : خيط النظم ، وقيل : القلادة) به يفصل شذورها وينظم منشورها . وقال

ابن المقفع اللسان مقصور على القريب الحاضر والقلم على الشاهد والغائب . وقال حكيم الروم : الخط هندسة روحانية وإن ظهرت بآلة جسمانية . وقال حكيم العرب : الخط أصيل في الروح وإن ظهر بحواس الجسد .

واختلف في أول من كتب الخط فذكر كعب الأحبار أن أول من كتب آدم عليه السلام كتب سائر الكتب قبل موته بثلاثمائة سنة في طين ثم طبخه فلما غرقت الأرض في أيام نوح على نينا وعليه السلام بقيت الكتابة فأصاب كل قوم كتابهم وبقي الكتاب العربي إلى أن خص الله تعالى به إسماعيل فأصابه وتعلمها ، وحكى ابن قتيبة أن أول من كتب إدريس على نينا وعليه السلام وكانت العرب تعظم قدر الخط وتعده من أجل المنافع ، حتى قال عكرمة : بلغ فداء أهل بدر أربعة آلاف حتى أن الرجل ليفادي على أنه يعلم الخط لما هو مستقر في نفوسهم من عظم خطره وجلالة قدره وظهور نفعه وأثره . وقد قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ الذي علم بالقلم ﴿ [العلق ٣ ، ٤] فوصف نفسه بأن علم بالقلم كما وصف نفسه بالكرم وعد ذلك من نعمه العظام ومن آياته الجسم حتى أقسم به في كتابه فقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم : ١] فأقسم بالقلم كما أقسم بما يخط بالقلم .

واختلف في أول من كتب العربية فذكر كعب الأحبار أن أول من كتب بها آدم عليه السلام ثم وجدها بعد الطوفان إسماعيل على نينا وعليه السلام . وحكى ابن عباس رضى الله عنهما أن أول من كتب بها ووضعها إسماعيل عليه السلام على لفظه ومنطقه ، وحكى عروة بن الزبير رضى الله عنه أن أول من كتب بها قوم من الأوائل أسماؤهم أبجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وكانوا ملوك مدين . وحكى ابن قتيبة في المعارف أن أول من كتب بالعربية مرامر بن مرة من أهل الأنبار (مدينة مشهورة في غرب بغداد) ومن الأنبار انتشرت . وحكى المدائني أن أول من كتب بها مرامر بن مرة وأسلم بن سدره وعامر بن جدرة فمرامر وضع الصور ، وأسلم فصل ووصل ، وعامر وضع الإعجام .

ولما كان الخط بهذه الحال وجب على من أراد حفظ العلم أن يعنى بأمرين : أحدهما تقويم الحروف على أشكالها الموضوع لها والثاني ضبط ما اشتبه منها بالنقط والأشكال

ال مميزة لها ثم ما زاد على هذين من تحسين الخط وملاحظة نظمه فإنما هو زيادة حذق بصنعتة وليس بشرط في صحته . وقد قال على بن عبيدة : حسن الخط لسان اليد وبهجة الضمير . وقال أبو العباس المبرد : رداء الخط زمانة الأدب . وقال عبد الحميد : البيان في اللسان [والخط في] البنان . وأنشدني بعض أهل العلم لأحد شعراء البصرة :

أعذر أخاك على رداء خطه

واغفر نذاته لجودة ضبطه

واعلم بأن الخط ليس يـــــــراد من

تـــــــركيـــــــه إلا تبين سمطه

فلذا أبان عن المعــــانــــى لم يكن

تحسينه إلا زيادة شرطه

ومحل ما زاد على الخط المفهوم من تصحيح الحروف وحسن الصورة محل ما زاد على الكلام المفهوم من فصاحة الألفاظ وصحة الإعراب ولذلك قالت العرب : حسن الخط إحدى الفصاحتين وكما أنه لا يعذر من أراد التقدم في الكلام أن يطرح الفصاحة والإعراب وإن فهم وأفهم كذلك لا يعذر من أراد التقدم في الخط أن يطرح تصحيح الحروف وتحسين الصور وإن فهم وأفهم . وربما تقدم بالخط من كان الخط أجل فضائله وأشرف خصائله حتى صار علما مشهورا وسيدا مذكورا غير أن العلماء أطرحو صرف الهمة إلى تحسين الخط لأنه يشغلهم عن العلم ويقطعهم عن التوفر عليه ولذلك تجد خطوط العلماء في الأغلب رديئة إلا من أسعده القضاء وقد قال الفضل بن سهل : من سعادة المرء أن يكون رديء الخط لو أن الزمان الذي يفنيه بالكتابة يشغله بالحفظ والنظر وليست رداء الخط هي السعادة وإنما السعادة أن لا يكون له صارف عن العلم وعادة ذي الخط الحسن أن يتشاغل بتحسين خطه عن العلم فمن هذا الوجه صار برداء خطه سعيدا وإن لم تكون رداء الخط سعادة . وإذا كان ذلك كذلك فقد يعرض للخط أسباب تمنع من قراءته ومعرفته كما يعرض للكلام أسباب تمنع من فهمه وصحته .

والأسباب المانعة من قراءة الخط وفهم ما تضمنه قد تكون من ثمانية أوجه :

شر القراءة الهذمة (الهذمة : القراءة السريعة) وإن كان للتعمية والرمز لا يعرف إلا بالمواضعة .

والوجه السادس : تغيير الحروف عن أشكالها وإبدالها بأغيارها حتى يكتب الحاء على شكل الباء والصاد على شكل الراء وهذا يكون في رموز التراجم لا يوقف عليه إلا بالمواضعة إلا لمن قد زاد فيه الذكاء فيقدر على استخراج المعنى .

والوجه السابع : ضعف الخط عن تقويم الحروف على الأشكال الصحيحة وإثباتها على الأوصاف الحقيقية حتى لا تكاد الحروف تمتاز عن أغيارها حتى يصير العين الموصولة كالفاء والمفصولة كالحاء وهذا يكون من رداءة الخط وضعف اليد واستخراج ذلك ممكن بفضل المعاناة وشدة التأمل وإن كان ربما أضجر قارئه وأوهى معانيه . ولذلك قيل : إن الخط الحسن ليزيد الحق وضوحا .

والوجه الثامن : إغفال النقط والأشكال التي تتميز بها الحروف المشتبهة وهذا أيسر أمرا وأخف حالا لأن من كان متميزا بصحة الاستخراج ومعرفة الخط لم تحف عليه معرفة الخط وفهم ما تضمنه مع إغفال النقط والأشكال بل قد استقبح الكتاب ذلك في المكاتبات ورأوه من تقصير الكاتب أو سوء ظنه بفهم المكاتب وكان استقبحهم له في مكاتبة الرؤساء أكثر . حكى قدامة بن جعفر : أن بعض كتاب الدواوين حاسب عاملا فشكا العامل منه إلى عبيد الله بن سليمان وكتب رقعة يذكر فيها احتجاجا لصحة دعواه ووضوح شكواه فوقع فيها عبيد الله بن سليمان هذا ، فأخذها العامل وقرأها فظن أن عبيد الله أراد بهذا إثباتا لصحة دعواه وصدق قوله كما يقال في إثبات الشيء هو هو فحمل الرقعة إلى كاتب الديوان وأراه خط عبيد الله وقال له : إن عبيد الله قد صدق قولى وصح ما ذكرت فخفى على الكاتب ذلك وأطيف به على كتاب الدواوين فلم يقفوا على مراد عبيد الله فرد إليه ليسأل عن مراده فشدد عبيد الله الكلمة الثانية وكتب تحتها والله المستعان استعظاما منه لتقصيرهم في استخراج مراده حتى احتاج إلى إبانته بالشكل فهذه حال الكتاب في استقبحهم إعجام المكاتبات بالنقط والأشكال .

فأما غير المكاتبات من سائر العلوم فلم يروه قبيحا بل استحسونه لاسيما في كتب الأدب التي يقصد بها معرفة صيغة

الوجه الأول : إسقاطه ألفاظا من أثناء الكلام يصير الباقي بها مبتورا لا يعرف استخراجها ولا يفهم معناه وهذا يكون إما من سهو الكاتب أو من فساد نقله وهذا يسهل استنباطه على من كان مرتاضا بذلك النوع فيستدل بحواشى الكلام وما سلم منه على ما سقط أو فسد لا سيما إذا قل لأن الكلمة تستدعى ما يليها ومعرفة المعنى توضح عن الكلام المترجم عنه فأما من كان قليل الارتياض بذلك فإنه يصعب عليه استنباط المعنى منه لاسيما إذا كان كثيرا لأنه يحتاج في فهم المعانى إلى الفكرة والروية فيما قد استخرجه بالكتابة فإذا هو لم يعرف تمام الكلام المترجم عن المعنى قصر فهمه عن إدراكه وضل فكره من استنباطه .

والوجه الثانى : زيادة ألفاظ فى أثناء الكلام يشكل بها معرفة الصحيح غير الزائد من معرفة السقيم الزائد فيصير الكل مشكلا وهذا لا يكاد يوجد كثيرا إلا أن يقصد الكاتب تعمية كلامه فيدخل فى أثناءه ما يمنع من فهمه فيصير ذلك رمزا يعرف بالمواضعة . فأما وقوعه سهوا فقد يكون بالكلمة والكلمتين وذلك لا يمنع من فهمه على المرتاض وغيره .

والوجه الثالث : إسقاط حروف من أثناء الكلمة تمنع من استخراجها على الصحة وقد يكون هذا تارة من السهو فيقل وتارة من ضعف الهجاء فيكثر والقول فيه كالقول فى الوجه الأول .

والوجه الرابع : زيادة حروف فى أثناء الكلمة يشكل بها معرفة الصحيح من حروفها وهذا يكون تارة من سهو الكاتب فيقل ولا يمنع من استخراج الصحيح ويكون تارة لتعمية ومواضعة يقصد بها الكاتب إخفاء غرضه فيكثر كالتراجم ويكون القول فيه كالقول فى الوجه الثانى .

والوجه الخامس : وصل الحروف المفصولة وفصل الحروف الموصولة فيدعو ذلك إلى الإشكال لأن الكلمة ينبه عليها وصل حروفها ويمنع فصلها من مشاركة غيرها فإن كان ذلك من سهو قل فسهل استخراجها وإن كان ذلك من قلة معرفة بالخط أو مشقا (المشق : السرعة فى الكتابة) تسبق به اليد كثر فصعب استخراجها إلا على المرتاض به . ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : شر الكتابة المشق كما أن

والفليبين للغرض نفسه . وامتد انتشار الكتابة العربية حتى الصين فكتبت بها النصوص الدينية الإسلامية لصالح مسلمى الصين .

كذلك ، تداولت الكتابة العربية الأمم التركية والتتية التى تسكن حول بحر قزوين وشمالى البحر الأسود وجنوب جبال الأورال . على أن لغات هذه البلاد لم تدون بالحرف العربى إلا منذ القرن السابع الهجرى ، وهو عصر التدوين فى محيط الأمم التتية والتركمانية ، بخلاف الفرس والهنود الذين سبقوا إلى اعتناق الإسلام واتخاذ الكتابة العربية .

بل وصل الخط العربى إلى مسلمى سيبيريا بتأثير من مسلمى تركستان الروسية ، واقتضى ذلك زيادة حروف معينة لتحقيق صلاحية الحروف لأداء المخارج التى ليست أصلا فى اللغة العربية . وكان الأتراك وسيلة لنقل الكتابة العربية إلى بعض دول البلقان التى انتشر فيها الإسلام كآلبانيا وبلغاريا .

من الملحوظات الجديدة بالاهتمام أن تدوين القرآن الكريم وكتب الدين بين الأمم الإسلامية التى احتفظت بلغاتها الأصلية كان بالخط النسخى ، لسهولة قراءته وعدم اللبس فيه . على أن الفرس استطاعوا بما لديهم من نفوذ خاص ، فى الهند والصين ، أن ينشروا خط التعليق (الخط الفارسى) فى هذه البلاد لكتابة الشروح والتفسيرات ، أما الآيات القرآنية فكانت تكتب بالخط النسخى .

ومنذ فتح مصر على يد القائد عمرو بن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب (١٨ - ٢٠ هـ) ثم فتح شمال أفريقيا بعد ذلك ثم إسبانيا ، امتد الخط العربى فى هذه البقاع ، وأصبح له فى شمال أفريقيا والأندلس خصائص مميزة .

وعندما نشر المغاربة الإسلام فى غرب أفريقيا نشروا معه الخط العربى ، وكان ذلك حوالى القرن السابع الهجرى ، حيث كانت النيجر مركزا للنشاط الإسلامى ، وبديهي أن يكون الخط الذى استعمل فى غرب أفريقيا متفرعا من الخط المغربى ، وقد سمي «الخط السودانى» ، والخط المغربى السودانى كان وسطا بين الخط اللين والخط الجاف .

وعرف شرق أفريقيا الكتابة العربية فى أرتريا والصومال ومدغشقر التى ساد فيها الإسلام مبكرا بسبب كثرة وفود العرب إلى هذه الجزيرة بقصد التجارة ، وهم يستخدمون الحرف

الألفاظ وكيفية مخارجها مثل كتب النحو واللغة والشعر والغريب فإن الحاجة إلى ضبطها بالشكل والإعجام أكثر وهى مما سواه من العلوم أيسر . وقد قال الشورى (هو سفيان بن سعيد ، وثور اسم قبيلة من مضر ، وهو من أئمة المحدثين وعلماء الكلام فى العراق ، وأحد المذاهب الستة المتبوعة ، وهو من تابعى التابعين ، وكانوا يطلقون عليه : أمير المؤمنين فى الحديث . توفى سنة ١٦٢ هـ) : الخطوط المعجمة كالبرود المعلمة . وقال بعض البلغاء : إعجام الخط يمنع من استعجابه وشكله يؤمن إشكاله : وقال بعض الأدباء : رُب علم لم تعجم فصوله فاستعجم محصوله . وكما استقبح الكتاب والإعجام فى المكاتبات وإن كان فى كتب العلوم مستحسنا فكذلك استحسنوا مشق الخط فى المكاتبات وإن كان فى العلوم مستقبحا وسبب ذلك أنهم لفسرط إدلالهم بالصنعة وتقدمهم فى الكتابة يكتفون بالإشارة ويقتصرون على التلويح ويرون الحاجة إلى استيفاء شروط الإبانة تقصيرا ولقصد ما يعتقدونه من التقدم بهذا الحال رأوا ما نبه عليه من سواد المداد أثرا جميلا وعلى الفضل والتخصيص دليلا . حكى أن عبيد الله بن سليمان رأى على بعض ثيابه أثر صفرة فأخذ من مداد الدواة فطلاه به ثم قال : المداد بنا أحسن من الزعفران وأنشد :

إنما الزعفران عطر العذارى

ومداد السأوى عطر الرجال

فهذه جملة كافية فى الإبانة عن الأسباب المانعة من فهم الكلام ومعرفة معانيه لفظا كان أو خطأ والله ولى التوفيق (أدب الدنيا والدين . انظر ثبت المراجع) .

وعن انتشار الخط العربى فى الأمصار يقول الدكتور أبو صالح الألفى :

أدت قوة الكتابة العربية وعظم سلطانها إلى اتخاذها لرسم لغات الكثير من الأمم التى فتحها العرب ، كما حدث فى بلاد فارس حيث حلت الحروف العربية محل الحروف الفهلوية فى كتابة اللغة الفارسية ، مع زيادة الحروف الخاصة ، كما حلت الحروف العربية كذلك محل الحروف الأوردية الهندوستانية ولغة أهل كشمير ، وامتدت الحروف العربية إلى المسلمين من أهل الملايو لكتابة لغتهم ، كما استعملها كذلك أهل جاوة

ومن أمثلتها من الخطوط ذات الطابع المحلى : نقش من كيتاهار مؤرخ سنة ٩١٦ هـ / ١٥١٠ م (بالبنغال).

نقش قدم رسول مؤرخ ٩٣٧ هـ / ١٥٣٠ م من مزار قدم رسول فى غور (بالبنغال) (المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ٢ / ٢٠٦، ٢٠٧).

وفيما يلى بعض التعريفات والاصطلاحات الخطية التى أوردتها الأستاذ يحيى سلوم العباسى الخطاط :

جاوة : قلم من الخشب الصلب الذى تكفى قطته لكتابة على ما لا يقل عن مائتى صفحة ولا يتغير عرضه .

الحبر العربى : وهو الحبر الذى مادته الصمغية راجعة .
الحبر الصينى : وهو الحبر الذى مادته الصمغية غير راجعة .

الخط العربى : هو فن الكتابة العربية الذى له قاعدة وزينة .

سلاية كروكى : وهى نوع من السلايات المعدنية الرفيعة جدا وتستعمل للزخرفة .

الطرمة : وهى المحبرة الموجودة فى الطقم الهندسى .
الطرة : وهى محبرة الخطاط الحاوية على خيوط الإبريسم والحبر .

عراقة : هى نهايات الحروف القابلة قسم منها للتدوير والقسم الآخر بالإرسال والمد .

الكشيده : هى مد الحروف القابلة للمد فى الخطوط وتأتى أيضا فى بداية الألف .

ورق الترمه : وهو ورق يصنع باليد ويطلق بصفار البيض ويستغرق وقتا طويلا وهو أجود أنواع الورق للخط ويكون لونه أصفر مُسمرا يستعمل للكتابات الخطية الجيدة والحليات (الخط العربى : تاريخه وأنواعه / ١٢٧، ١٢٨).

وبالإضافة إلى تعريفنا لعلم الخط العربى الذى تناولناه من الناحية التاريخية والاجتماعية يضيف الدكتور الفنجري وجها آخر، هو ارتباط الخط بالعلوم الرياضية، ومن ثم فإنه يعرف الخط العربى باعتباره علما وفنا فيقول :

إنه علم لأن الخطاط يعتمد على علم الهندسة وحساب المثلثات والدوائر وعلم الحساب . . . وجميع اللوحات القيمة

العربى لكتابة اللغات المحلية . على أن الصومال ترك استعمال الحرف العربى فى كتابة اللغة الصومالية قبل بضع عشرة سنة ، والمأمول أن يعود إلى استعمال الكتابة العربية بعد أن انضم إلى جامعة الدول العربية .

وقد بلغت العلوم والمعارف العربية شأوا كبيرا، وانتقلت هذه العلوم والمعارف المدونة فى مخطوطات، إلى أوروبا عبر إسبانيا الإسلامية، وظل الكثير من كتب العرب يدرس فى جامعات أوروبا إلى عهد ليست بعيدة («الخط العربى أرقى الفنون الإسلامية» / ٧٧).

ومن أمثلة الخط الكوفى فى وسط آسيا :
نقش قرآنى بضريح شاه فاضل من الداخل بجمهورية قرغيزيا من القرن السادس الهجرى (١٢ م).

ومن أمثلة الخط النسخ فى إيرانى :
مصحف بخط عبد الله بن محمد الهمدانى كتبه للسلطان الإيلخانى أولجايتو سنة ٧١٤ هـ / ١٣١٣ م بالخط الثلث الربحانى .

كما وجد فى إيران والهند وباكستان وبعض المناطق الملحقة بها مصاحف بخط النستعليق ومن أمثلتها :
صفحة من مصحف بخط النستعليق كتبه شاه محمد النيسابورى سنة ٥٨٦ هـ / ١٥٦٠ م محفوظ بمكتبة جامعة استانبول .

ووصلنا من وسط آسيا كتابات قرآنية كثيرة على الآثار بالخط الثلث منها :

نقش بمحراب مسجد بلند فى بخارى يرجع إلى القرن العاشر الهجرى (١٦ م) نقش ببوابة ضريح بيان قلى خان فى بخارى يرجع إلى سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م نقش فى بوابة شاه زنده بسمرقند (ضريح شيرين) سنة ٧٨٧ هـ / نقش بالمدخل الرئيسى لمسجد بى بى خانم بسمرقند سنة ٨٠٢ - ٨٠٧ هـ / (١٣٩٩ - ١٤٠٤ م).

وبالإضافة إلى هذه الخطوط الأصلية استخدمت بعض الشعوب فى الكتابات القرآنية خطوطا ذات طابع محلى مستمدة من خطى النسخ والثلث، ومن أمثلة هذه الخطوط خط بهار الذى استخدم فى كتابة بعض المصاحف فى الهند وباكستان وأفغانستان ومناطق أخرى مرتبطة بها حضاريا .

والدعاء بالنصر أولا . ثم الناحية الزخرفية والجمالية ثانيا (العلوم الإسلامية ٢ / ١٠٤، ١٠٦) .

ونحن حين نتكلم على الخط باعتباره فنا فإنما نقصد ما يمكن أن يسمى بالزخارف الكتابية أو الزخرفة بالخط .

لقد كان فن الزخارف الكتابية في الفن الإسلامي له عظيم الأثر في كثير من المصاحف والألواح المعروضة في القسم الرابع بدار الكتب . لذلك رأينا أن نعرض لها بإيجاز ليستفيد المشاهد .

للكتاب الزخرفية شأن عظيم في تاريخ الفنون الإسلامية . لأن لكل إقليم في العالم الإسلامي أسلوبا في الخط وزخرفته . ويستطيع ذوو الخبرة أن يدرسوا الزخارف الكتابية فينسبوا التحفة إلى العصر أو الإقليم الذي صنعت فيه .

وإن استعمال الزخارف الكتابية ازداد شيوعا في العالم الإسلامي من القرن الرابع الهجري وبلغ ذروة مجده في القرنين الخامس والسادس .

وكان الخط الكوفي الذي هو عماد الزخارف في الخطوط العربية بسيطا في مبدأ أمره لا توريق فيه ولا تعقيد ولا ترابط بين الحروف . ومع ذلك كله فإن المتقن من هذا النوع البسيط لا يخلو من طابع زخرفي رصين هادي .

ورأى الفنانون أن في خطوطه العمودية والأفقية عنصرا يمكن استغلاله من الناحية الزخرفية فأقبلوا على ذلك وأبدعوا فيه وصنعوا ضروبا من الكتابة الزخرفية متعددة الجوانب والصفات ، فمنها الكوفي المورق والمشجر ، يخرج من أطراف حروفه سيقان نباتية دقيقة محملة بالوريقات المختلفة الأشكال ، وتزخرف نهايات حروفه بما يشبه الفروع عندما تخرج من السيقان .

ومن أنواعها الأخرى كتابات كوفية تقوم على أرض من الزخارف النباتية المستقلة عنها ، وقوام هذه الزخارف النباتية فروع وسيقان ووريقات لا تتصل بالكتابة بل تبدو كأنها تنحدر في اتجاه واحد .

ولزخرفة الكتابة بالخط الكوفي ضروب كثيرة لا يسعنا أن نعرض لها كلها هنا . يجدها الباحث في كتاب فنون الإسلام وضع الدكتور زكي حسن (قالت المؤلفة : انظر كتابه « الفن الإسلامي في مصر / ٩٧ - ٩٩ »).

يعمل لها رسم هندسي قبل تنفيذها على الطبيعة . وتعمل لها مقاييس ونسب مدروسة تماما كما يفعل المهندس المعماري قبل أن يبنى العمارة الضخمة . ويستوى في ذلك إذا كان الرسم ضخما يملؤ قبة كبيرة في سقف مسجده . أو كان دقيقا كمن يكتب القرآن كله على قشرة بيض أو يكتب سورة كاملة على حبة قمح (متحف طوب كابي اسطنبول) .

أما كون الخط العربي فنا فلأن الخطاط لا يكتب مجرد كتابة تؤدي الوظيفة والغرض . ولكنه يضع روحه وخياله وفنه في كل حرف يخطه بيده . وإذا كان الإسلام قد كره رسم الأشخاص فقد شجع على رسم الكلمات وإحسان الخط . ومن هنا فقد وضع الفنان المسلم كل طاقاته الفنية وعبقريته في إظهار الكلمات بطريقة تعبر عن مشاعره . ومن هنا أيضا نقول إن كبار الخطاطين المسلمين لا يقلون أهمية عن كبار الرسامين في أوربا أمثال ليوناردو - وزوفانييل - وبيكاسو ، ورغم أنهم أقل شهرة من هؤلاء الرسامين إلا أن فنههم أصعب من فن الرسم لأنه فن تجريدي بحث (العلوم الإسلامية ٢ / ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩) .

ذاك كان الكلام على الخط كعلم . بيد أن الخط العربي يعتبر أيضا فنا قائما بذاته ، وكما يقول الدكتور أحمد شوقي الفنجري :

لا توجد أمة في التاريخ لعب الخط الجميل في حياتها دورا هاما مثل الأمة العربية الإسلامية . . . فأينما أدت عينيك في الآثار الإسلامية القديمة . . . فسوف تجد الكلمات المكتوبة بخط جميل وزخرف إسلامي بديع . . . تملأ القصور والمساجد والمدارس والحمامات والبيمارستانات .

فعلى الحوائط والسقوف آيات قرآنية وشعارات إسلامية مكتوبة بخط جميل تتناسب مع المكان والغرض الذي يستعمل من أجله .

وعلى المعلقة والقناديل الضوئية والأواني الفخارية والنحاسية والبرونزية وعلى الصناديق والأبواب الخشبية والمقابض النحاسية . . . وعلى العملات الذهبية وآلات الجراحة والأسلحة بأنواعها من دروع وسيوف وسهام ورماح . . . بل أن المسلمين عندما استعملوا البندقية والمسدس والمدفع لأول مرة لم يستغنوا عن تزيينها بآيات من القرآن من باب التبرك

كذا، أو بدمتي لفلان ابن فلان كذا، وهكذا، ومستتينة، أى ظاهرة ومقروءة.

ثانيا: كتابة مستتينة، غير مرسومة كالكتابة على غير الوجه المعتاد عرفاً أو الكتابة على الحائط وأوراق الشجر.

ثالثا: كتابة غير مستتينة، كالكتابة على الماء أو فى الهواء.

وقالوا: إن ما ينبغى فيه الاحتمال الأول، وهو قصد التجربة أو اللهو مع استثناء الاحتمال الثانى، يكون حجة ويعمل به دفعا للضرر عن الناس، ولا سيما التجار، وأخذاً بالعرف، وذلك كالكتابة المستتينة المرسومة مطلقاً وهى التى عنها الفقهاء حين قالوا إن الإقرار بالكتابة كالأقرار باللسان، وألحقوها بالصريح من القول فى عدم توقف دلالتها على شبه أو إشهاد أو إملاء. وكالكتابة المستتينة غير المرسومة إذا وجدت نية أو كان معها إشهاد عليها أو إملاء على الغير ليكتبها مما ينفى احتمال التجربة أو اللهو. أما إذا لم يوجد معها شئ من ذلك فلا يعمل بها لقيام الاحتمال وكذلك إذا قضت العادة بأنه لا يكتب إلا على سبيل الجدية وجرى العرف باعتباره حجة كما فى دفاتر السمسار والتاجر والصراف، وما يكتبه الأمراء والكبراء ممن يتعذر الإشهاد عليهم من سندات وصكوك، ويعترفون بها أو يعدهم الناس مكابرين حين ينكرونها أو توجد بعد موتهم فإنها تكون حجة عليهم ويعمل بها.

وكذلك من توجد فى صندوقه صرة مكتوب عليها هذه أمانة فلان الفلانى يؤخذ بها لأن العادة تقضى بأن الشخص لا يكتب ذلك على ملكه.

وقالوا: إن ما ينبغى فيه الاحتمالان معا يكون حجة ويعمل به كما فى سجلات القضاة المحفوظة عند الأمراء ولو كانت حديثشة العهد فإنه يؤخذ بما فيها من أقوال الخصوم وشهادة الشهود ويحكم بها ويعتمد عليها فى ثبوت وشروط ومصارف الأوقاف المنقطعة الثبوت المجهولة الشرائط والمصارف وكما فى البراءات، والقرارات السلطانية المتعلقة بالوظائف فإنها تعتبر حجة فيما تضمنته واشتملت عليه، إذ العرف جرى باعتبارها من أقوى الحجج والأدلة لبعدها عن احتمال التزوير والتجربة واللهو.

أما الكتابة غير المستتينة أصلاً فهى لغو ولا أثر لها (ابن عابدين ج ٤ ص ٤٧٨ وما بعدها، وص ٥٤٦ وما بعدها).

كما للخطوط الأخرى زخارف هى ولا شك دون زخارف الخط الكوفى وأقل شأننا منه كالخط النسخى والديوانى وغيرهما يراها الناظر فى القاعة الكبرى (معرض دار الكتب / ١٢، ١٣).

ومنذ القرن الثانى عشر الميلادى، عم استخدام الخط النسخى، وكان قبل ذلك لا يكاد يستعمل إلا فى المخطوطات العادية، فاستخدم فى شواهد القبور والكتابات التاريخية، وكان ذلك وسيلة من الوسائل التى لجأ إليها السنيون للقضاء على آثار الشيعة الفاطمية.

واستعملت أسطرة الكتابة على التحف المختلفة، وعلى العمائر تحت السقف لربط المستويات الرأسية بالمستويات الأفقية أو بالقبّة. . كما ابتكر الخطاطون كتابة العبارات بالخط الكوفى المربع أو الكوفى المتداخل لتبدو على شكل حيوان أو طائر.

والمعروف أنه كان للخطاطين المنزلة الأولى بين الفنانين، إذ كان الخطاط هو الذى يحدد الفراغات التى يملؤها الرسام بالصور التوضيحية لتزيين الكتاب. وكان هواة الخط يتسابقون لشراء نماذج من خطوط مشاهير الخطاطين، كما يحدث الآن بالنسبة للوحات التصوير (الفن الإسلامى / ١٢٠). وبالإضافة إلى هذا كله فإن للخط جانباً آخر هاماً، ألا وهو الجانب الفقهي، إذ أن الخط من أدلة إثبات الدعوى فى الفقه الإسلامى كما يتضح مما يلى:

مذهب الحنفية:

اختلف فقهاء الحنفية فى اعتبار الكتابة حجة يؤخذ بها فى إثبات الحق ويعتمد عليها فى القضاء وعدم اعتبارها كذلك، وبالرغم من اقتناع الكثيرين من عدم جواز العمل بالخط معللين ذلك بأحد أمرين:

الأول: احتمال أن الكاتب لم يقصد بما كتبه إفادة المعانى الحقيقية للكلمات والألفاظ التى كتبها وإنما قصد تجربة خطه أو مجرد اللهو والتسلية.

والثانى: احتمال التزوير فى الخط إذ الخطوط تتشابه كثيراً إلى درجة كبيرة. . وقد قسموا الكتابة إلى ثلاثة أقسام.

أولاً: كتابة مرسومة، أى معنونة، ومصدرة بعنوان على ما جرى به العرف المتبع. كأن يكتب من فلان ابن فلان إلى فلان ابن فلان، أو وصلنى فلان ابن فلان، من فلان ابن فلان مبلغ

مذهب المالكية :

قال في الجواهر: لا يعتمد على الخط لإمكان التزوير فيه ، وإذا وجد في ديوانه حكما بخطه ولم يتذكره لا يعتمد عليه لإمكان التزوير ، ولو شهد به عنده شاهدان فلم يذكر.

قال القاضي أبو محمد: ينفذ الحكم بشهادتهما ، أى لا يعتمد على المدون ، وما وجد في ديوان القاضي من شهادات الناس لا يعتمد القاضي منه إلا ما دونه بخطه أو بخط كاتبه العدل المأمون إذا لم يستنكر فيه شيئا (البصرة ١ / ٣٨ و ٢ / ٥٠).

ونقل ابن القيم في الطرق الحكمية أن ابن وهب روى عن مالك في الرجل يقوم فيذكر حقا قد مات شهوده ويأتى بشاهدين عدلين على خط كاتب الخط ، قال: تجوز شهادتهما على كاتب الكتاب إذا كان عدلا مع يمين الطالب ، وهو قول ابن القاسم ، وأنه يجوز عند مالك الشهادة على الوصية المختومة (الطرق الحكمية ص ٢٤٤ وما بعدها).

مذهب الشافعية :

المشهور من مذهب الشافعي أنه لا يعتمد على الخط لا في القضاء ولا في الشهادة ، لاحتمال التزوير فيها ، فإن كانت محفوظة وبعد التزوير فيها وتذكرها القاضي أو الشاهد يجوز الاعتماد عليها ، وإن لم يتذكرها فالصحيح عدم جواز الاعتماد . (الأشباه والنظائر للجلال السيوطي / ٢٦٢).

مذهب الحنابلة :

إذا رأى القاضي حجة فيها حكمه لإنسان وطلب منه إمضاؤه ، فعن أحمد ثلاث روايات :

أحدها : أنه إذا تيقن أنه خطه نفيه ، وإن لم يذكره ، واختاره في الترغيب ، وقدمه الشيخ مجد الدين في التحرير ومثله الشاهد إذا وجد شهادة بخطه .

الثانية : أنه لا ينفذه إلا إذا تذكره فإن لم يتذكره لم ينفذه .

الثالثة : إذا كان في حزره وحفظه كقمطره نفيه ، وإلا فلا .

وقال إسحاق بن إبراهيم : قلت لأحمد رضى الله عنه : الرجل يموت وتوجد له وصية تحت رأسه من غير أن يكون قد أشهد عليها أحدا ، فهل يجوز إنفاذ ما فيها؟

قال : إن كان قد عرف خطه وهو مشهور الخط ، فإنه ينفذ

ما فيها .

قال الزركشى : نص عليه الإمام أحمد رضى الله عنه واعتمده الأصحاب

وقد نص في الشهادة على أنه إذا لم يذكرها ورأى خطه لا يشهد حتى يذكرها .

وقال الإمام فيمن كتب وصيته وقال اشهدوا على بما فيها : أنهم لا يشهدون إلا أن يسمعوها منه أو تقرأ عليه فيقر بها .

فنص الإمام رضى الله عنه على الصحة وجواز التنفيذ بعد معرفة الخط في الصورة الأولى .

ونص على عدم الصحة وعدم جواز الشهادة إلا بعد السماع أو الإقرار بعد القراءة في الصورة الثانية .

وقد اختلف أصحاب أحمد في ذلك ، فمنهم من خرج في كل مسألة حكم الأخرى وجعل فيها وجهين بالنقل والتخريج ، فجوز عدم الصحة في الأولى أخذا من الثانية ، وجعل في الثانية وجها بالصحة أخذا من الأولى ، ومنهم من منع التخريج وأقر النصين ، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وفرق بين الحالتين بأنه في الحالة الأولى انتفى احتمال التغير في الوصية بالزيادة والنقص بعد موت الموصى ، فلم تمنع الشهادة عليها .

وفي الثانية هذا الاحتمال قائم لوجود الموصى فمنعت الشهادة عليها ما لم يتأكد بالسمع أو الإقرار . فالروايات عن الإمام مختلفة في الأخذ بالخط واعتباره حجة . (الطرق الحكمية ص ٢٣٩ وما بعدها).

مذهب الزيدية :

وفي مذهب الشيعة الزيدية لا يحكم القاضي بما وجد في ديوانه من خطه ولو عرفه لأن الخطوط تشبه .

جاء في البحر الزخار : (٥ / ١٣٣) ولا يحكم بما وجد في ديوانه ولو عرف خطه لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء / ٣٦] .

وقال ابن أبي ليلى وأبو يوسف يصح بمعرفة الخط ، قلنا تشبه الخطوط .

وفي باب الشهادة منه أنه لا تجوز الشهادة ولو عرف خطه أو خط غيره بإقرار بحق لاحتمال التزوير . (٥ / ٢٠).

وجاء في شرح الأزهاري: ولا يجوز للحاكم أن يحكم بما وجد في ديوانه مكتوباً بخطه وختمه سجلاً أو محضراً إن لم يذكر، هذا مذهبننا، فقيده بما إذا لم يذكر.

مذهب الإمامية:

وفي مذهب الشيعة الإمامية: جاء في كشف اللثام من باب القضاء: لا يجوز للحاكم أن يعتمد على خطه إذا لم يتذكره وكذا الشاهد وإن شهد معه آخر ثقة لإمكان التزوير عليه.

واكتفى الحنفية والقاضي وأبو علي بخطه مع شهادة ثقة والصدوقان كذلك مع ثقة المدعى، وجاء فيه أنه لا يكتفى بما يجده مكتوباً بخطه وإن كان محفوظاً عنده. وعلم عدم التزوير، وكذا ما يجده بخط مورثة كما هو الشأن في الشهادة، لاحتمال اللعب، أو السهو، أو الكذب، في الكتابة.

واعتمد الشيخ جعفر الكبير على الكتابة في إثبات الوقف إذا كانت مضبوطة مرسومة تظهر منها الصحة وإن لم تبلغ حد العلم وإلا ضاعت الأوقاف، لأن طريقها الكتابة وفي الجواهر من باب القضاء: التحقيق أن الكتابة من حيث هي كتابة لا دليل على حجيتها من إقرار أو غيره.

نعم، إذا قامت القرينة على إرادة الكاتب بكتابه مدلول اللفظ المستفاد من رسمها فالظاهر جواز العمل بها للسيرة المستمرة في الأعصار والأمصار على ذلك بل يمكن دعوى الضرورة على ذلك.

كتاب القاضي إلى القاضي

ويتصل بما نحن فيه كتاب القاضي إلى القاضي، وهو عند الحنفية إما بنقل الحكم إلى المكتوب إليه للتنفيذ أو بنقل الشهادة إليه للحكم بها ويقبل عندهم فيما عدا الحدود والقصاص، ويعنونه القاضي الكاتب من فلان إلى فلان بما يميزه ويسدون فيه ما قام لديه، ويقرؤه على الشهود ويختمه أمامهم، ولا يقبله المكتوب إليه إلا بحضور الشهود والخصم ولا بد من تعديلهم (ابن عابدين ج ٤ ص ٥٤٣ وما بعدها).

مذهب المالكية:

وعند المالكية، كذلك يكون كتاب القاضي تارة بنقل الحكم للتنفيذ والتسليم واختلفوا فيما إذا كان الحكم على غير

رأى المكتوب إليه، كما إذا كتب قاضي حنفى لقاض مالكي بأن يمكن رجل من امرأة زوجت نفسها منه بغير ولي، هل يجب عليه التنفيذ أو لا.

فمن سحنون لا ينبغي له تنفيذه لأنه خطأ عنده، وعن أشهب يجب التنفيذ لأنه صدر من صاحب سلطة وتعلق به حق المحكوم له فلا يجوز له أن يبطله، وتارة يكون بما ثبت عند القاضي الكاتب من حق لرجل علي غريم غائب ويطلب إليه الحكم بما ثبت، وهذا لا خلاف في وجوب قبوله والعمل به وهل يلزم أن يشهد عليه شاهدان يشهدان عند المكتوب إليه، أو يكفي أن يختمه ويقبله المكتوب إليه بعد معرفة الخط والختم؟ خلاف.

ويقبل كتاب القاضي عندهم في جميع الحقوق والأحكام (التبصرة ج ٢ ص ٣٨ وما بعدها).

مذهب الشافعية:

وعند الشافعية، تارة يكون كتاب القاضي إلى القاضي وجوباً بناء على طلب المدعى بما قام لديه من دعوى وإثبات على غائب بشروطها ليحكم له بها أو ينهى إليه بحكم أصدره على غائب بشروطه لينفذه عليه في ماله.

وفي صورة أخرى يكون المدعى به عيناً في بلد تحت ولاية المكتوب إليه فيكتب إليه يطلب إرسال العين بكفالة ليشهد عليها البينة بالمعينة، أو يتدعى الخصمان هناك لدى المكتوب إليه إذا لم يمكنه أو تعذر إرسال العين (حواشي تحفة المحتاج ج ١ ص ١٦٣ وما بعدها).

مذهب الحنابلة:

وعند الحنابلة يكون الكتاب بنقل الحكم لتسليم المحكوم به أو تنفيذه في مال الغائب أو الهارب، وتارة بنقل الشهادة المعدلة عند الكاتب أو عند المكتوب إليه ليحكم بها، وكتاب القاضي إلى القاضي عندهم بمثابة الشهادة على الشهادة، ويشترط أن يقرأ الكاتب الكتاب على عدلين ويشهدهما عليه للتحميل، ثم يقرؤه المكتوب إليه ويشهدان بما فيه عنده، ولا يكفي معرفة الخط والختم للاشتباه وإمكان التزوير.

ويقبل في دعوى العين لإرسالها بكفالة أو مع أمين للشهادة عليها بالمعينة كما عند الشافعية.

مذهب الزيدية :

وفى مذهب الشيعة الزيدية : للقاضى أن يكتب إلى حاكم آخر بحكمه إن كان قد حكم وينفذه المكتوب إليه ولو خالف مذهبه . وقيل ينفذه إن وافق مذهبه . ورد ببطلان فائدة الحكم ونصب الحكام . وإن كان لم يحكم وكتب إليه يعرفه أن فلانا وفلانا شهدا عندى بكذا لم ينفذه المكتوب إليه ما لم يحكم الكاتب .

وللمكتوب إليه أن يحكم بشهادتهما إن وافق مذهبه واجتهاده لكن بشروط تضمنها الفروع ، وهى أن يشهد القاضى الكاتب شاهدين على الكتاب وأن يقرأه عليهما أو يقرأ بحضرته عليهما ، ويقول أشهدكما أنى كتبت إلى فلان ابن فلان ، فإن ختمه ولم يقرأه عليهما لم يعمل به .

وقال الإمام يحيى : إذا ختمه وأشهدهما أنه كتابه فقد حصل أمان التحريف . وكذا يشترط أن يكتب اسم المكتوب إليه فى باطنه ولا يعمل به إذا مات الكاتب قبل بلوغ الكتاب إلى المكتوب إليه ، وكذا إذا فسق أو عزل ، ولو مات المكتوب إليه أو فسق أو عزل قبل بلوغه الكتاب لم يعمل به من ولى مكانه لأنه موجه إلى غيره .

ولا يعمل بالكتاب إلا ببينة كاملة أنه كتابه وقيل يعمل به من غير شهادة لعملهم بكتب رسول الله ﷺ من غير شهادة وقيل إن عرف الخط والختم عمل به وإلا فلا ورد بأن الخطوط والختم تشبه وعلى رأى الأول لا بد أن يقرأ الكاتب الكتاب على الشاهدين أو يقرأ الكتاب عليهما بحضرته ويقول أشهدكم أنى كتبت إلى فلان ابن فلان (البحر الزخار ٥ / ١٢٧) .

مذهب الإمامية :

وعند الشيعة الإمامية : المشهور عند علمائهم عدم جواز العمل بكتاب القاضى إلى القاضى وقال ابن الجنيد لا يجوز ذلك فى حقوق الله تعالى ، أما فى حقوق العباد وفى الأموال وما يجرى مجراها فيجوز العمل بكتاب القاضى إلى القاضى إذا كان القاضى من قبل الإمام .

وقال ابن حمزة : لا يجوز للحاكم أن يقبل كتاب حاكم آخر إلا بالبينة فإن شهدت البينة على التفصيل حكم به (مختلف الشيعة ٢ / ١٥٤ وكفاية الأحكام باب القضاء) .

وفى المختصر النافع (ص ٢٨٣) لا يحكم الحاكم بأخبار

حاكم آخر ولا بقيام البينة لثبوت الحكم عند غيره ، نعم لو حكم بين الخصوم وأثبت الحكم وأشهد على نفسه فشهد شاهدان بحكمه عند آخر وجب على المشهود عنده إنفاذ ذلك الحكم .

مذهب الإباضية :

جاء فى شرح النيل (ج ٦ ص ٥٧٣ وما بعدها) : الخطاب فى عرفهم فى الأحكام أن يكتب قاضى بلد إلى قاضى بلد آخر بما يثبت عنده من حق لشخص فى بلد الكاتب على آخر فى بلد المكتوب إليه لينفذه فى بلده وذلك واجب إن طلبه ذو الحق ويقبل كتاب القاضى فى الأحكام والحقوق بمجرد معرفة خطه بلا شهادة ولا خاتم وليس ذلك قضاء بعلمه بل لقبول بيته .

وقال بعض أصحابنا لا يحكم القاضى بكتاب القاضى إليه ، وقال بعضهم يحكم ، ويجوز كتاب القاضى فى الحقوق كلها إلا الحدود والقصاص ، وإنما يكتب فيما يختص عليه الخصمان وليس حاضرا فى بلده فيكتب الدعوى والجواب والشهادة إلى حاكم البلد الذى فيه الشئ بكتابه وكذا يكتب الدعوى والشهادة إن لم يحضر المدعى عليه إلى قاضى بلد هو فيه . (موسوعة جمال عبد الناصر ٢ / ١٧١ - ١٧٧) .

انظر مادة «الإثبات» فى م ٢ / ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

وفى مجال الأدب جاءت هذه الأقوال فى مزايا الخط :

خط القلم يقرأ فى كل مكان وفى كل زمان ، ويترجم بكل لسان . ولفظ اللسان لا يجاوز الآذان ، ولا يعم الناس بالبيان ، ولولا الكتاب - أى الفنانين الخطاطين - لانتفت أخبار الماضين وانقطعت أنباء الغابرين .

والفن ينقل العواطف الكامنة فى النفس ويفصح عنها بشكل فصيح جذاب . فهو يعبر عن العالم الداخلى للإنسان المبدع . وليس فقط عن العالم الخارجى ، وعن آثار الإنسان والزمان . وقال على بن عبيدة : «القلم أصم ، ولكنه يسمع النجوى ؛ وأبكم ، ولكنه يفصح عن الفحوى ؛ وهو أعمى من باقل ، ولكنه أفصح وأبلغ من سحبان وائل ؛ يترجم عن الشاهد ، ويخبر عن الغائب» .

وقال جبل بن يزيد : «القلم لسان البصير يناجيه بما استتر من الأسماع . ويناغيه بما استثار من الطباع ، ويحدثه بما

حدث وإن كان في البقاع». ويقول أبو حيان عند تعريفه للفن، «أنه مؤلف من شكل ومضمون، من فكر هو الحكمة، وإبداع هو البلاغة، وهو لرى العقول الظامئة والنفوس التواقعة للجمال».

قال عبد الحميد بن يحيى - كاتب مروان -: «القلم شجر ثمرته اللفظ والفكر، وبحر لؤلؤه الحكمة والبلاغة، ومنهل فيه رى العقول الظامئة، والخط حديقة زهرتها الفوائد البالغة».

(الخط العربي / ٨٧).

وقد أورد أبو منصور الثعالبي في لطائفه بابا في مدح الخط والقلم، وآخر في ذمها، فقال في مدح الخط والقلم:

يقال: القلم أحد اللسانين. ، وقال إقليدس: القلم صانع الكلام يفرغ ما يجمعه القلب، ويصوغ ما يسكبه اللب؛ وقال أيضا: الخط هندسة روحانية وإن ظهرت بألة جسمانية؛ وقال أفلاطون الخط عقل العقل. وقال جعفر بن محمد، رضى الله عنهما: لم أر باكيا أحسن تبسما من القلم (نسبه في خاص الخاص ص ٧ ليحيى بن خالد البرمكى وفيه أحسن ضحكا)؛ وقال المأمون: لله در القلم كيف يحوك وشى المملكة؛ وقال ثمامة (هو ثمامة بن أشرس النميرى المعتزلى ت ٢١٣ هـ): ما أثرته الأقلام، لا تطمع فى دروسه الأيام؛ وقال ابن المعتز: القلم مجهز لجيوش الكلام يخدم الإرادة، ولا يمل الاستزادة، كأنه يفتح باب بستان، أو يقبل بساط سلطان؛ وقيل: الأقلام مطايا الأوهام فامتطوها يطرد لكم الكلام، ويسهل بجريها النظام.

ويقال: عقول الرجال تحت أسنة أقلامها (نسبه في خاص الخاص ص ٧ لأبى عبد الله كاتب المصرى)؛ وعن بعض الفلاسفة أنه قال: صورة الخط فى الأبصار سواد، وفى البصائر بياض.

وقال مؤلف الكتاب: قد نوه الله باسم الكتابة وعظم من شأنها إذ أضافها إلى نفسه جل ذكره، وإن لم تكن تلك الإضافة من النوع الذى يضاف إلى خلقه، ولا راجعة بوجه من الوجوه إلى شبهه، إلا أنه دلنا بها على علو رتبته وشرف منزلته، فقال عز من قائل: ﴿وكتبنا له فى الألواح﴾ [الأعراف: ١٤٥]. وقال تعالى جده: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال سبحانه: ﴿كتب الله

لأغلبين أنا ورسلى﴾ [المجادلة: ٢١]. وجعل جل جلاله من ملائكته كتب سفرة، وهم أرفع الخلق درجة وقال عز ذكره: ﴿وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين﴾ [الأنفطار: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ورسلنا لديهم يكتبون﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقال جل ذكره: ﴿بأيدي سفرة كرام بررة﴾ [عبس: ١٥، ١٦]، ومعلوم أنه لو لم تكتب أعمال العباد كانت محفوظة لا يتخللها خلل، ولا يتداخلها نسيان ولا زلل، لكنه علم، عز اسمه، أن نسخ الكتاب أبلغ فى التحذير، وأؤكد فى الإنذار، وأهيب فى الصدور، وأراد تعريف عباده فضيلة الخط والكتابة وأقسم، عز اسمه، بالآلة التى تنهى بها الكتابة، وهى القلم، فقال: ﴿إن والقلم وما يسطرون﴾ [القلم: ١]، كما أقسم بالأشياء الجليلة الأقدار، الكبيرة الأخطار فى نفوس عباده وعيون بلاده، كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض؛ وذاكرت فى هذا أبا الفتح البستى فأنشدنى لنفسه:

إذا افتخر الأبطال يسوما بسيفهم

وعبدوه مما يكسب المجد والكرم

كفى قلم الكتاب فخرا ورفعة

مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وفى رسالة، لمؤلف الكتاب أوردها فى كتاب النظم والنثر وحل عقد السحر للمجلس الرفيع، أولها فى طريق اللغز وآخرها فى مدح القلم: ما أصم سميع، أخرس بليغ، ضعيف قوى، مهين عزيز، دقيق الجسم جليل الفعل، نحيل الشخص، سمين الخطب، حقير المنظر، شهير المخبر، صغير الجرم عظيم الجرم... إلخ؛ وقال ابن المعتز:

إذا أخذ القسطاس خلت يمينه

يفتح نسورا أو ينظم جوهرا

وقال كشاجم:

وإذا نمت بنسانك خطا

معربا عن ملاحاة وسداد

عجب الناس من بياض معان

تجتلى من سواد ذاك المـ

وقال البستى:

إن هز أقلامه يوما ليعملها

أنساك كل كمي هز عامله

وإن أقر على رق أناماله

أقر بالرق كتاب الأنام له

ثم يقول الثعالبي في باب ذم الخط والقلم:

قال ابن المعتز:

وأجوف مشقوق كأن سنانه

إذا استعجلت الكف منقار لاقط

وتناه به قوم فقلت رويدكم

فما كاتب بالكف إلا كشارط

وقال أبو العلاء المعري: لو كان في الخط فضيلة لما

حرمها رسول الله ﷺ؛ وقال بعض أولاد الأمراء: الخط

صناعة، ولا تحسن الصناعة بالملوك؛ وقال كشاجم:

سل بي عن الأيسام تعسرف

أنسى ابن دهر ليس ينصف

وبلاغتي معروفة

سهل وأخطأها التكلف

وسط خط مـونق

كـالـرـوض والبـرد المـفـوـف

والخط ليس بنـافع

مـالـم يـكن في خط مصحف

وقال بعض الحكماء: ماذا لقينا من الكتاب في الدنيا

والآخرة؟ أما في الدنيا فقد بلينا به وأخذنا بحفظ فرائضه وإقامة

شرائطه، وأما في الآخرة فإننا نلقاه منشورا بسرائرنا وخفايا

ضمايرنا؛ وذكر الجاحظ عامة الكتاب فقال: أخلاق حلوة

وشمائل معسولة، وثياب مغسولة، وتظرف أهل الفهم، ووقار

أهل العلم، فإذا صلوا بنا الامتحان والاختبار، وعرضوا على

محك الاعتبار، كانوا كالزبد يذهب جفاء، أو كنبات الربيع

في الصيف تحركه هيفاء الرياح، لا يستندون إلى وثيقة، ولا

يدينون بحقيقة، أخفر الخلق لأماناتهم، وأشراهم بالثمن

البخس لعهودهم ودياناتهم: ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم

وويل لهم مما يكسبون﴾ [البقرة: ٧٩].

وقال الشاعر:

وإذا أخطأ الكتـابة حـظـ

صدمت تأوها فصارت كآبه

ومن ملح ما قيل في ذم الكتابة لأبي عروس:

نعس الزمان لقد أتى بعجاب

ومحـا رسـوم الظـرف والآداب

فأتى بكتاب لو انطلقت يدي

فيهم رددتهم إلى الكتـاب

وقوله أيضا:

وكاتب يقرأ القرآن في سند

من بعد حين وأما بعد في حين

لا يعرف الفرق في عمرو ولا عمر

جهـلا ولا الفـرق بين السين والشين

ولبعض أهل العصر:

وكاتب كتبه تذكروني القرآن

حتى أظـل في عـجب

فاللفظ قالوا: قلوبنا غلف

والخط تبت يـدا أبـي لهـب

وقيل: فلان قد صدا فهمه، وتبلد طبعه، وتكدر خاطره؛

ويقال: خط ممجج (خلط وأفسد)، ولفظ ملجلج (مختلط

ليس بمستقيم) (اللطائف والظرائف / ٥٢-٥٦).

أما عن المخطوطات التي وردت في الخط العربي فنسوق

أمثلة منها مما هو محفوظ بالمجمع العلمي العراقي وبيانها

كما يلي:

١- شرح الخطبة:

المؤلف: مجهول.

أوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا

محمد وآله أجمعين: «ذكر أصناف الكتـاب».

أصناف الكتـاب على ما ذكر، ابن مقلة: خمسة، كاتب

خط، وكاتب لفظ، وكاتب عقد، وكاتب حكم، وكاتب

تدبير...».

آخره: «كمل شرح الخطبة وما تعلق بها من الزوائد بحمد

الله وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

وصحبه وسلم تسليما».

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية في الخزانة

العامة بالرباط، برقم (D. ١٩٧٣).

بخط مغربي .

٢٤ ق، ٢٠ ص

وعنى بتحقيقه : هلال ناجي ، فظهر في («المورد» ٢
[بغداد - حزيران ١٩٧٣] ع ٢ ؛ ص ٤٣ - ٧٨).

وقد تناول بالبحث في المقدمة التي صدر بها الكتاب (ص
٤٣ - ٤٦) : وصف المخطوط ، ومؤلف الكتاب ، ومحتوياته ،
ومناحي علمية أخرى .

والمؤلف هو عبد الله بن عبد العزيز ، أبو القاسم الضير
النحوي البغدادي ، المعروف بأبي موسى . كان يؤدب
المهتدي بالله (محمد بن هارون الواثق) (٢١٠ - ٢٥٦ هـ) .
كان من أهل بغداد ، وسكن مصر ، وحدث بها عن أحمد بن
جعفر الدينوري ، وجعفر بن مهلهل بن صفوان الراوي ، عن
ابن الكلبي . صنف بعض الكتب . ترجمته في («نكت
الهميان في نكت العميان» ١٨٢) ، و (مقدمة المحقق - هلال
ناجي - ، ص ٤٤) .

٣ - لوحات خط :

كتبت بخطوط مختلفة في بعضها زخرفة .
إحدى اللوحات فيها «البسمة» كتبها : الخطاط حامد
الأمدي .

سبع لوحات ، فيها أدعية ، وأبيات من الشعر . كتبها
حامد الأمدي سنة ١٣٨٠ هـ .

لوحة أخرى فيها من أقوال عمر بن الخطاب ، وبعض
أبيات من الشعر ، خطت سنة ١٣٠٨ هـ .

لوحة كتبها حسني .

لوحة أخرى كتبها حسين حسني ، ت ١١٨٩ هـ .

لوحة أخرى كتبها (يوسف) معلم الخط في المكاتب
العمومية بالشام .

لوحة كتبها (إسماعيل البغدادي) .

اللوحات مصورة بالفتستات عن نسخ خطية في المؤسسة
العامة للآثار والتراث - ببغداد .

١٦ لوحة ، أحجامها مختلفة

(٣ / خط وكتابة) .

٤ - لوحات خط :

الخطاط : هاشم محمد الخطاط ، المعروف بالبغدادي .

(ت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م)

(١ / خط وكتابة)

وقد تناول فيه مؤلفه ، أو جامعته ، الموضوعات الآتية :
أصناف الكتاب ، إصلاح الدواة بالممداد ، القلم وأصناف
الأقلام ، الورق ، السكين ، الكتاب ، طبع الكتاب [كذا :
لعله : طي الكتاب] وختمه ، العنوان ، الديوان ، البراءة ،
التوقيع ، التاريخ ، ذكر أول من افتتح كتابه بالبسمة ، وأول من
قال أما بعد ، وأول من طبع الكتاب [كذا] ، وأول من كتب من
فلان بن فلان إلى فلان ابن فلان .

استشهد المؤلف في مواطن كثيرة بأبن مقلدة [أبي علي
محمد بن علي بن الحسين ، ت ٣٢٨ هـ - ٩٤٠ م] ، وأخذ
عنه .

٢ - «كتاب» الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها :

المؤلف : البغدادي (من أهل المئة الثالثة للهجرة / المئة
العاشرة للميلاد)

أوله : «البسمة ... ، وبه ألق . ما يحتاج إليه الكاتب من
آله الكتابة : أخبرني جعفر بن مهلهل بن صفوان ، عن أبي
المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه ، قال :
أول من وضع الخط نفر من طيء من بولان ،
وهم : ...» .

آخره : «تم الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وسام تسليم كثيرا وحسبنا الله
ونعم الوكيل» .

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية في مكتبة فاتح
- باستانبول برقم ٥٣١٦ ، بخط النسخ .

٢٤ ق، ١٩ س

(٢ / خط وكتابة)

نشر المستشرق الفرنسي دومينيك سورديل ، قسما كبيرا
منه في المجلد ١٤ من مجلة المعهد الفرنسي بدمشق ،
الصادر سنة ١٩٥٢ - ١٩٥٤ ، وصدره بمقدمة فرنسية ، قيمة ،
وقد استغرق النص والمقدمة : الصفحات ١١٥ - ١٥٣ من
المجلد المذكور .

آيات قرآنية

٤ لوحات : الأولى . الثانية . الثالثة . الرابعة

بخط الثلث والنسخ

(٤ / خط وكتابة)

المؤلف هو أبو راقم هاشم بن محمد بن الحاج درباس القيسي البغدادي . أبصر النور في محلة العزة ببغداد، يوم الخميس ٢٤ / ١١ / ١٩٢١ . وأخذ الخط في صباه عن الخطاط ملا عارف الشيخلي (ت ١٩٤٢ م) . والحاج محمد علي الملقب «صابر» (ت ١٩٤١ م) . وأجازه الملا علي الفضلي ، والسيد إبراهيم بمصر، وحامد الأمدي في تركيا .

ثم انتقل لدراسة أصول الخط، فتمهر به وأجاد .
في سنة ١٩٦١ أخرج كتابه الموسوم بـ «قواعد الخط العربي» .

أسهب في ترجمته، وذكر ما خطه من الروائع :

إبراهيم السدروبي : «البغداديون : أخبارهم ومجالسهم» ص ٢٧٥-٢٧٦ .

الخطاط وليد الأعظمي : «مجلة المجمع العلمي العراقي» ٢٣ [بغداد ١٩٧٣] ص ٣١٠-٣١٦ .

الدكتور نوري حمودي : «آفاق عربية» ٢ [بغداد - تشرين الثاني / ١٩٧٦] ع ٢ ، ص ٤٦ - ٥٧ ، بعنوان «معجزة الخط العربي هاشم محمد الخطاط» .

ثابت منير : «المورد» ٥ [بغداد ١٩٧٦] ع ٣ ، ص ٥١ - ٥٣ .

(جريدة «العراق» . بغداد - الأحد ٢ / ٦ / ١٩٧٩ ، بعنوان «نبع الخط من دار السلام ، وعاد إليها على يد هاشم الخطاط» .)

٥ - مقدمه في الخط :

أولها : «بسملة ... الخط تصوير اللفظ بحروف هجائية ...» .

آخره : «... عن يد أحقر الطلاب وأعجز الكتاب حسين المعروف بجنباز داد، وهو حسين بن عمر بن ده ده مصطفى ابن عمر بن مصطفى، غفر الله لهم ... من تلاميذ خليل الوهبي غفر الله له ولأستاذه ولوالديه ... ، في يوم ثلاثة في ٢٥ سنة ١٢٦٣ .

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية في الخزانة العامة بالرباط - المغرب، برقم ١٦٢٤ ، بخط النسخ غير مشكول .

٧ ق، ١٣ س

(٥ / خط وكتابة)

٦ - نماذج خطوط مشاهير الخطاطين «في السنوات الأخيرة» :

(١) هاشم محمد الخطاط، المعروف بـ «البغدادي» .

(ت : ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م)

لوحة . تاريخها ١٣٧٨ هـ

لوحة . تاريخها ١٣٨٩ هـ

(٢) الشيخ عبد العزيز الرفاعي لوحة . تاريخها ١٣٤٣ هـ

(٣) موسى عزيمى المعروف بـ «حامد» الأمدي .

١١ لوحة، تواريخ بعضها :

١٣٤٨ ، ١٣٧١ ، ١٣٦٨ ، ١٣٧٧ هـ

(٤) الحاج السيد حسن رضا لوحة . تاريخها ١٣٢٩ هـ

(٥) الحاج محمد لطيف . لوحة . تاريخها ١٣٠٧ هـ

(٦) محمد أمين لوحة . تاريخها ١٣٣٩ هـ

(٧) الحاج مصطفى عزت «إمام الثاني لأمر المؤمنين عبد المجيد خان» . لوحة . تاريخها ١٢٦٤ هـ

(٨) حقي لوحة . تاريخها : (تحريرا

في اليوم التاسع عشر من شهر شوال المكرم . يوم الجمعة سنة ١٣٣٩ هـ) .

مجموع النماذج ١٩ لوحة، مصورة بالفتستات عن الأصل المحفوظ في خزانة المرحوم هاشم محمد، الخطاط البغدادي .

(٦ / خط وكتابة)

(٢) [كذا] عبد العزيز الرفاعي : تركي الأصل، أقام بمصر، أسس معهد تحسين الخطوط بالقاهرة . كتب مصحف فؤاد .

(٣) حامد الأمدي : يكتب اسمه في أكثر الأحيان «حامد» وفي بعضها «حامد الأمدي» . يعيش اليوم في تركيا، وقد بلغ التسعين، وهو من تلاميذ الخطاط محمد نظيف .

(٤) الحاج السيد حسن رضا : تركي . توفي . وهو من

والمؤلف ولد في سنة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م، في محلة الشيوخ بالأعظمية.

في سنة ١٩٥٩ طبعته مجموعته الشعرية الأولى، بعنوان «الشعاع».

له جملة آثار فنية كتبها بالكاشاني.

له جملة تآليف، بينها دواوين شعر، ودراسات في التراجم، ونحوها.

راجع بشأنه: («شعراء العراق في القرن العشرين» ١ / ٤١٣ - ٤٢٤)، («معجم المؤلفين العراقيين ٣ / ٤٥٨».

طبع في بيروت، سنة ١٩٧٧.

المتن بخط النسخ. والنماذج متنوعة الخطوط

١ / ٨٢ ص.

(٨ / خط وكتابة)

قالت المؤلفة: عندى للمؤلف الشيخ وليد الأعظمى كتاب من جزئين بعنوان جمهرة الخطاطين البغداديين يتضمن ستين وأربعمئة ترجمة نشرته دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد طبعة أولى سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ وجاء على الغلاف أن المؤلف خطاط بالمجمع العلمي العراقي.

٨ - مجموعة خطوط:

كتبها

هاشم محمد الخطاط (ت ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م)

حامد الأمدى

آيات قرآنية كريمة، وأحاديث نبوية شريفة

(٨) أوراق، تضم (١٠) لوحات مزخرفة، وبخطوط مختلفة.

ثمان لوحات: كتبها هاشم الخطاط، خلال السنوات: ١٣٧٣ - ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٨٠، ١٣٨٣، ١٣٨٤ هـ.

لوحتان: كتبهما الخطاط حامد.

(٩ / خط وكتابة)

٩ - مجموعة من خطوط:

الخطاط ماجد الزهدى التركى (ت ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م)

مجموعها (٣٦) لوحة. كتبها في تواريخ مختلفة، منها:

السنوات: ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧ هـ.

١٩٥٦، ١٩٥٧، ١٩٥٨ م.

كتاب المصاحف، وله مصحف طبعته وزارة الأوقاف العراقية.

(٥) الحاج محمد نظيف: تركى. توفى. له مصحف بخطبه.

(٦) محمد أمين: تركى. له مصحف الأوقاف الكبير بخطه. وله «دلائل الخيرات» فى الأدعية.

(٧) الحاج مصطفى عزت: من مشاهير الخطاطين العثمانيين. له «كراسة عزت».

(٨) حقى: من مشاهير الخطاطين العثمانيين.

٧ - مجموع فيه:

خصائص الخط العربى:

المؤلف: الحاج وليد الأعظمى (الخطاط).

أولها: «أول ما كتب القلم: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعهم إلى يوم الدين. أما بعد: فهذه رسالة شيقة منيفة، وضعتها فى خصائص الخط العربى، تتضمن الكشف عن أصول التشكيل، وفنون التركيب والتوليد، وأبعاد الحروف واتجاهاتها، بعبارة واضحة لطيفة بعيدة عن التعقيد، مع نماذج توضح الكلام...».

آخرها: «... وبعد: فقد تمت هذه الرسالة المباركة «خصائص الخط العربى»، وهى مقدمة لكتابى (تراجم خطاطى بغداد المعاصرين). واعتبرت هذه الرسالة وقفا فى سبيل الله... وأهديتها إلى مكتبة الأوقاف العامة ببغداد،... وقد فرغت من كتابتها فى حرم جامع الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان بن ثابت... يوم الإثنين الثانى والعشرين من شهر ذى الحجة الحرام سنة ألف وثلثمائة وإحدى وتسعين لهجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، الموافق لليوم السابع من شباط سنة ألف وتسعمائة واثنين وسبعين ميلادية... وأنا الفقير إليه أبو خالد الحاج وليد بن الحاج عبد الكريم ابن ملا إبراهيم كاكّا بن مهدي بن صالح بن صافى بن عزو الأعظمى العبيدى الحنفى،...».

هذه الرسالة تبحث فى أصول التشكيل وفنون التركيب والتوليد وأبعاد الحروف، مع نماذج جيدة من فنون الخط العربى. لم تطبع.

المجموعة مصورة بالفتستات . وخطوطها مختلفة .

(١٠ / خط وكتابة)

المؤلف ماجد زهدى إيراى : من مشاهير الخطاطين فى
استانبول . راجع : (مجلة «سومر» ٣٢ [بغداد ١٩٧٦] ج ١ و
٢ ص ٤١٤ ، ٤١٦ : ضمن مقال «الخط العربى فى تركيا»
بقلم المرحوم عباس العزاوى المحامى .

توفى باستانبول يوم ١ شوال ١٣٨١ هـ / ٢٧ آذار ١٩٦١ م
(مخطوطات المجمع العلمى العراقى ١ / ٢١٢ - ٢٢٠) .

أما عن النظم فننقل إليك أولا أبياتا مستقلة ساقها الأستاذ
يحيى سلوم العباسى الخطاط وهذه هى :

تعلم قوام الخط يـ إذا التأدب

فما الخط إلا زينة المتأدب

فإن كنت ذا مـال فخطك زينة

وإن كنت محتساجا فأفضل مكسب

(منسوب للإمام على رضى الله عنه)

خط حسن جمال مرء

إن كان لعالم فأحسن

كـالسدر مع البنات أحلى

والسدر مع البنات أزين

إذا افتخر الأصناف يوما بفاخر

فنحن يا قلام وطرس نفاخر

فهن رماح المـاجدين ولعبهم

كما ورثت عن كـابرين الأكابر

مما نبـا يتباهى الفضل والأدب

بمثلنا اليوم يزهو العجم والعرب

نحن السـدين إذا اهتزت قـريحتهم

تهتز من وجدها الأشعار والخطب

للمستريب وإن لسننا نجده كفى

هـدي الرسائل والأوراق والكتب

ويبقى الخط فى القـرطاس دهر

وكتابه رميم فى التراب

ولسى خط ولا يـام خط

وبينهما مـخالفة المـداد

فأكتبه سـوادا فى يـاض

وتكتبه يـاضا فى سـواد

كتبت فلولا أن هذا محـلل

وذاك حـرام قست خطك بـالسحـر

أرونى مرشدا فى الخط مثلى

ومن أحيا الكتـابة فى البـلاد

فلا فى الشرق لى ضد يضاهى

ولا فى الغرب من تبع اجتـهادى

وقد أبدعت خطا لم تـلـسه

سـراة بنى الفـرات ولا ابن مقلـه

فإن كانت خطوط الناس عينا

فخطى فى عـيون الخط مقلـه

أنا الذى شهدت بالمعجزات له

أقلامه وحـروف الخط والنـقـط

أخذت من كل فن من عجائبه

حتى تعجب منى الفن والنمـط

زاد خطى وقـل حظى فمن لى

نقل نقط من فوق خـاء لـطـاء

(الخط العربى : تاريخه وأنواعه / ١٣٠ ، ١٣١) .

وقد ذكر الزركلى (الأعلام ٨ / ١٧٥) فى ترجمة «ابن هبيرة»

أن له أرجوزة فى علم الخط .

ولدينا نص أرجوزة بعنوان «نظم لآلى السمط ، فى حسن

تقويم بديع الخط» لأحمد بن محمد بن محمد بن قاسم

الرفاعى الحسنى الرباطى ننقلها بتمامها لفوائدها

التعليمية . والناظم فى هذه الأرجوزة يمتدح الخط الحسن ،

وينعى على الناس إهمالهم لهذا الفن ، مما دعاه إلى نظم هذه

الأرجوزة فى حسن تقويم الخط ، يوجهها إلى الولدان ، وإلى

المؤدبين كى يتفـعوا بها . يقول الناظم :

قال الرفـاعى الفـقيـر أحمد

الله جل وتعالى أحمد

مصليا على الرسول الهادى
المصطفى سيد كل هاد
وآله صفوة خلق الله
وصحبه ذوى العلى والجلاه
(وبعد) فاعلم أن حسن الخط
أجل مقتنى وخير أعطى
فكم سما إلى العلا من رامه
ونال منه العز والكرامه
وحسبه أثنى عليه الله
فى الذكر بالحكمة واجتباها
بقوله يزيد ما يشاء
فى خلقه ويوتى من يشاء
وهو ما اختص به الإنسان
كالعقل يشهد به العيان
وإننى لمسا رأيت الناسا
قد شربوا من الونى أكواسا
وقصرت همهم وما اعتنا
بالخط منهم أحد وما اقتنى
وهجروا سوره دون عذر
ونبذوه من وراء ظهر
وأعرضوا كل الإعراض عنه
وما روا ممسا رويت منه
حتى غدا بنسبنا مفقودا
وكاد لم يكن به موجدودا
قمت لذا نظمت فيه أرجوزه
قريبة ألفاظها وموجزه
(سميتها) نظم لثالى السمط
فى حسن تقويم بديع الخط
قلدتها الجيد من السولدان
زيادة فى الحسن والمعانى
وللمؤدين تاجا قد علا
رؤوسهم فخيرهم قد كمالا

نظمتها على مسابى من عيب
مبتغيا بها رضاء الرب
والله أرجو أن تكون نافعه
لى ولهم وكل خير جامعه
تقويم السطور وتسويتها:
السطر فى اصطلاحهم خط وصل
مما بين نقطتين من ذاك حصل
وكونه خطا رقيقا صافيا
مستحسن ولا يكون خاليا
بحيث يرشد البنان لالتزام
وضع الحروف فى اتساق وانتظام
كسلك عقيد من لثالى السار
فى جيد لبيات ذوات النخدر
فإن أضفت له وصار اثنين
فاجعلهما إذا موازين
وإن جمعت فكذلك والتزم
تساوى كلهم وعادل واحتكم
تقويم القلم وكيفية قبضه:
من قصب يكون فهو خير
من ذهب وذاك فيسه سحر
وانح برأسه أعالى القصبه
مصطفيا ليه أجل أنبه
كالرمح فى التقويم حاد الرأس
سليلا صلد لا تبرى من بأس
ذا فضلة من لحمه وقشرته
بذلك تعجب إذا من جريره
وسوفى الفسرى جريديته
من غير ميل نحو حافتيه
وإن أردت أمنه من كسر
وقت الكتابة يميننا أجر

والسين والشين كذا ولهما
ثلاث أسنان لكل منهما
واظهر السين كما في الخبير
واتبع الشين لها في الأثر
واستحسنوا التواء رأس السلام
ورأس أولى السين خذ نظما
تقويم الحروف المفتوحة:

الميم دائرة تمامية بدأت
صغيرة على بيضاء احتوت
فإن تكن صمدرا بنصف دائره
وتسرها السطر ووسطى دائره
لكن ذى فوق وتحت جاء به
والسطر قطرها وحتى التاليه
ومثل ميم أول السطر تسرى
واو وباليمين قوسه جرى
والفاء مثل الميم أيضا جاءت
لكن لها ساق عليه قامت
قد وصلت بالسطر، والقاف الوسط
كذا وإن أخرت دع النقط
والساق منهما كقوس ظهرت
من يمنة السطر للسطر جرت
وهاء يائها قل دائرتين
صغرى بوسط كبرى متصلتين
وأيه الساحر كالمثلث
حذت زواياه فكن ذا بعث
وهكذا الهاء من اسم الجلاله
فاعن بفتحها تحز جلاله
وخذ من الدائرة العظيمه
ثلثها لصناد مستقيمه
والضناد والظاء كذا والطاء
وذا ن خط لهما وفاء

وبعضهم إلى اليسار ينحرف
لحكممة زائدة بها عرف
وقبضمة القلم شيء معتمدا
فاعن بها فإنها أمر أكد
فصف الأربع من بناتك
منعطفها بها إلى جنابك
واقرن إبهامك برأس الشاهد
كحلقة واجعله خير راشد
بينهما معتمدا على الوسط
لكن على رأسه والشهد وسط
الدواة وما يتعلق بها:
يقال للدواة نون والبرقيم
كذلك ألفى بـدفتر قديم
جمع دواة دوايات ندادوا
وهى التى يلقي بها الممداد
وإن أليقت فهى نون مليقه
وصوفية الممداد هى الليقه
تقويم الحروف القائمة:
أجل ما انتصب واستقاما
وخير خط فى اعتدال قاما
الألف الحائز قصب السبق
بسجدة سجدها للحق
يشهدنا بأن الله واحد
ما إن له من ولد ووالد
والسلام مثله بثلاثه
وارسم كذلك بـاء بسم الله
واتبعن فى الوصف هاء واقفه
وهى لأسفل اليسار عاطفه
كالها من الحياة فى الوقف ولا
تجعل أنبوبا فحسن عملا
ودون ذى الحروف فى القيام بها
وتا وثا واليا ونون نسبا

طرفها الأسفل بالسطر اتصل
ومنسه خط لليسار قسد وصل
وذا إذا كانت في الخط صلدرا
كعين عيسى وكعين علدرا
وغين غيب وبنقططة جلدلا
كفلك كنوكبسه الأوج عللا
وشطر سن حربية للسرائيه
جيم بذا حقق لسه دراياه
والحاء والخاء كذلك الحقن
مفرقا لراسها أو ألصقن
واختبر من السوجهين أولهما
فهو الذي تجده أفضلهما
تقويم الحروف المعركة :
الراء قسوس وهي ربع دائره
رأسها بالسطر وتحت سائر
واحكم كذا للزاي واجعل نقطته
ظاهرة فوق وعدل صورته
والنون في التعريق نصف دائره
ليس لها قرن لأعلى ظاهرة
وامنع أخيرها ليللا يتصل
بالسطر واجعله قريبا منفصل
واللام والقاف كذا والياء
ما بين سطرهما لها انتهاء
بحيث إن وقع تحتها ألف
لم يختلط معها وذا حكم ألف
وارفع قرين الياء كالمثلث
واعطف وعسرق وعن الشيخ ابحت
والسين والشين إن كانا طرفا
كالياء في الرفع ودع ما انعطفا
والضاد والضماد كنون مسح
وارد عنان قلم إن جمعا

والسطر هو وتر للكل
إيالك أن تحيد عن ذا الأصل
والعين إن تك بوسط الكلمه
مثلث الزوايا ليست قائمه
ساقاه بالجانب وأعلى قساعده
وصله بالسطر وحن ذا لفائده
كذلك إن تكن أخيره ورد
تعريقها نحو اليسار فلتسد
تقويم الحروف المشقوقة :
الذال شكلها كقوس فاعلمها
وقطرها إلى اليسار يماما
حتى إذا جاز محيط قسوسه
ثنا بزايد لنحو عكسه
وبعضهم يجعلها كطائره
لها جناحان وصدر طائره
والذال مثلها يزيد نقطه
بوسط القسوس ترى منحنه
والياء من الذي كذلك لكن
معكوسه بدون نقط كسائن
وقد يرى ذال كراء رفعا
رأس لسه ما إن تراه منع
كدال مهد ومحمد وما
أشبهه والذي خيرا قدما
والكاف فوق السطر خط ائتلف
بلا مواز لسه طوليه ألف
متصلا بقسوس ربع الدائره
تحيط لليسرى وقيت الدائره
وابدأه من أعلاه غير قاسم
لله وثغره الزهى باسم
والعين قسوس يتحنى للكبرى
محيطها محدد لليسرى

وراءها ركب وأعل الطررفا
منها وذاك حسن قد وصفها
والسلام من على وصلى وبلى
فوق قرين اليساء سره اجتلا
وحاز هذا السر بين الناس
أنسدلس ولم يكن بفاس
وفاء جر إن تكن مقطوعه
محمولة وقد ترى موضوعه
كفءاء فى الأرض وفى الجنات
(محمدا) مع آله الثقات
ويساء يرتضى اجعلن فى السطر
وفوقها ما قبلها فلتدر
اتساق الحروف وانتظامها:
قد مثلوا الحروف بالجواهر
والسطر بالسمط وهذا ظاهر
بل للحروف عندهم أسرار
أودعها من السورى المختار
فإن كتبت فاجعل الحروف
فى وسط السطر ولا تحيفها
وسو ما بين الحروف فى النظام
من غير زيد يبدو أو نقص يرام
سيان ما قد كان منها متصل
بغيره أو كان عنه منفصل
وذا المسمى عندهم فى الأصل
ببالنظم إلا أن يكن كالفصل
وقائم الحروف سو قامة
مع أخيه واحدا تفاوته
بحيث لو أتت عليه مسطوره
مرت برأسهم غير مسفوره
والسزم أخى حروف ربع الدائرة
ما بين سطريك اجعلنه آخره

ونسون إن قاربت منها أخسرى
أو شبهها فتلك أم الأخسرى
ولا تقاطع أو تطابق حرفا
لأخسر فذلك شين يلفى
والحاء والجيم والخاء إن عرقت
فثلث قوس لليسار رجعت
ومثلها عين وغين وقعا
فى طرف من غير خلف فاسمعا
تقويم لام الألف:
خطان رأساهما قد تفوقا
واقطعها من أسفل واعتنقا
واجتمعا فأعجب لقساطمين
مجتمعين متمعنانقين
وإن لسويت رأس كل منهما
أو واحد أحسن من تسركهما
تقويم حروف التركيب:
وأحرف التركيب عند الكتبه
جيم وحاء وخاء كشبه
وكمحمد وكالجنات
ما قبلها فوق السطور ياتى
متصلا بغير رفع يبدو
لرأسها فذلك فيه قيد
كذلك إن حرفان قبل سبقا
كحاء سبج واعطف وعرقا
وبعضهم السين فى السطر يضع
كالشيخ مروان والياء قد رفع
ويجبرى ذا فى حواء مصبحين
والصلحاحات وكمصلحين
وحاء حمرا قد ترى سر كبه
على تلك الميم رواه الكتبه

كذلك في التعريق ميم تالييه
فهى من أقطاب الحروف العاليه
إن التزممت ذا بخطك تبرى
سرا وهو معنى قصر (مزوزا)
وقد يسزى الخط حسنا حصر
إذا التوى يحار فيه الوصف
كطاء ساطعان سطيا ولطفيا
خطه واصطفى وطاء لطفيا
وهاء هاد وبهاء حسنوا
التواءها ومذهبى قد أحسنوا
لكن فى التواءها تفصيلا
فاشرب إذا ما شئت سلسلا
كما لوى الشيخ الوزير الكاتب
كاف هنالك لله كاتب

والخط أنواعه لا تنحصر
أفرادها يقصر عنها الخبر
لكن خيرها الذى انتمى [انتمى] إلى
أنلدس فسرّه قد اجتلا
واقتبسوا من نورهم أهل سلا
فخطهم قدما ووقتا قد علا
كابن الفقيه المرتضى الجريرى
وكالسوسى ذى البها المنير
فضل هذا مولانا الإمام
عن غيره (سليمان) الهمام
واشتهرت به رباط الفتح
عند أناس منحسوا بفتح
وأرجو ربي أن أكون منهم
فينظموا جسوهرى فى سلكهم
والسر فى الشيخ لا بد منه
فيه تسمو فابحثن عنه

(وهذه) نبذة فيه كافييه
طال بها يعنى بها أمانيه
نظمتها غرة (شكر) لامعه
مع (أربع) من السنين واقعه
أبياتها (قوم) قد احتوا على
سسر وأدر كيه من تبتلا
(وهاهنا) قد تم ما قصدت
من صنعة الخط كما أردت
وذاك مع جهلى الذى اتسمت
ببه وفسرقتى لمن أحببت
وأستل (الرحمان) جمع الشمل
بسالأهل والمنشأ وكل أمل
والختم بالحسنى مع السزى ساه
بجساه (طه) صاحب السياه
صلى عليه ربه وسلم

وآله ما سع سحب وهمما
وصحبه ذوى العلا ومن تلا
فقال من حسن الختام أملا

(تاريخ الوراقة المغربية / ٢١٥ - ٢٢٠)

انظر منظومة ابن البواب فى م ٧ / ٥٨٢ ، ٥٨٤
ويرتبط بما جاء فى هذه الأرجوزة ما أورده الدكتور عفيف
البهنسى عن شروط الخط الجميل ، وعن الميزان فى الخط .
أما عن شروط الخط الجميل فيقول :

يضع أبو حيان شروطا للخط الجميل فيقول : «والكتاب
يحتاج إلى سبعة معان : الخط المجرد بالتحقيق ، والمحلى
بالتحديق ، والمجمل بالتحويق ، والمزين بالتخريق ،
والمحسن بالتشقيق والمجاد بالتدقيق ، والمميز بالتفريق .

أما المجرد بالتحقيق فإبانة الحروف كلها ، منشورها
ومنظومها ، مفصلها وموصلها ، بمداتها وقصراتها ،
وتفريجاتها وتعويجاتها ، حتى نراها كأنها تبسم عن ثغور
مفلجة ، أو تضحك عن رياض مدهجة .

وأما المراد بالتحديق ، فإقامة الحاء والخاء والجيم وما

نرى أن ثمة مقاييس يمكن استخلاصها لتحقيق سلامة الخط . الأصل إذن أن يقوم الفنان الخطاط ، وليكن ابن مقلة أو ابن السواب بإبداع هذا الخط الذى يصبح أسلوبا راسخا يعزز قاعدة ، ثم يأتى تلاميذ هؤلاء لكى يطبقوا هذه الخطوط ، ويكون مقاييسهم فى ذلك قاعدة أو مقياسا .

صحيح أن تطبيق المقياس فى الخط قد يجعل منه عملا تطبيقيا ، ولكن هذا التطبيق نفسه يتطلب تفوقا ومهارة ، ويفسح المجال إلى إبداع جديد . فالطبيى كان تلميذا للبواب ، قلده خطه بدقة ، فى مخطوط (جامع محاسن كتابة الكتاب) وكان فى ذلك أعجوبة عصره ، ثم إنه - أى الطبيى - قدم أنماطا من الخط جديدة لم يكن أستاذه قد قدمها مثل الخط اللؤلئى .

إن أول من استخلص المقياس فى الخط لإحكام حسنه وإحكام نسخه كان ابن مقلة . والألف عند الخطاطين العرب هى الحرف الذى أصبح مقياس التناسب لباقي الحروف الجميلة فى جميع أنماط الخطوط ، وأما أسباب اختيار الألف لكى تكون مقياسا فهى أولا شكل الألف الممتد ، وقيمة هذا الحرف القدسية الذى يشير إلى معنى (الله) لأنه الحرف الذى يتبدى به اسم الجلالة ، ولأنه الحرف الذى يشابه الرقم واحد الأحد ، وطول الألف مختلف عليه بين الخطاطين وهو يقاس عادة بنقطة معينة ، أى بنقطة القصبة التى تكون قطعتها نفس قطعة الألف . والقطعة ذات عرض فنى ، ولكن فى بعض الخطوط كالطومار ، وهو خط رسمى يكتب به السلطان اسمه وتوقيعه ، تكون قطعة القلم فيه ثابتة ، وعرضها ، كما يقول القلقشندى ، أربعة وعشرون شعرة . أما فى باقى الخطوط فإن لكل خطاط أن يقط قلمه حسب ما اعتاد عليه ، وحسبما جرت العادة عليه بين أهل صنعته وحسب نوع النص الذى يريد أن يكتبه .

وهكذا فإن أسلوب الكتابة يخضع فى الواقع إلى نوع القلم وعرض قطته ، ففى الخط الثلث نرى أن عرض قطعة القلم يعادل ثلث عرض قطعة الطومار ، كذلك عرض النقطة .

إن ارتفاع الألف يختلف من ثلاث نقاط إلى اثني عشر نقطة ، وعرض الألف يبقى بعرض النقطة فى جميع الحالات . واختيار ارتفاع الألف فى نص من النصوص يقيد الخطاط فى تحديد مقاييس الألف فى النص كله .

أشبهها على تبيض أوساطها ، محفوظة عليها من تحتها وفوقها وأطرافها ، سواء أكانت مخلوطة بغيرها أو بارزة عنها حتى تكون كالأحداق المفتحة .

وأما المراد بالتحويق فإدارة الواوات والفاءات والقافات وما أشبهها مصدرة وموسطة ومذبذبة يكسبها حلاوة ويزيدها طلاوة .

وأما المراد بالتخريق فتفتيح وجوه الهاء والعين والغين وما أشبهها ، كيفما وقعت أفرادا وأزراجا ، بما يدل الحسن الضعيف على اتصاحها وانفتاحها .

وأما المراد بالتعريق فإبراز النون والياء وما أشبهها ، مما يقع فى أعجاز الكلمة مثل عن وفى ومتى وإلى وعلى بما يكون كالمنسوج على منوال واحد .

وأما المراد بالتشقيق فتكثف الصاد والضاد والكاف والطاء وما أشبه ذلك مما يحفظ عليها التناسب والتساوى . فإن الشكل يصح ومعها يحلو ، والخط فى الجملة كما قيل هندسة روحانية بآلة جسمانية .

وأما المراد بالتنسيق ، فتعميم الحروف كلها ، موصولها وموصولها بالتصفية ، وحياطتها من التفاوت فى التأدية ، ونفض العناية عليها بالتسوية .

وأما المراد بالتوفيق فحفظ الاستقامة فى السطور من أوائلها وأواسطها وأواخرها وأسافلها وأعاليها بما يفيدها وفاقا لا خلافا .

وأما المراد بالتدقيق ، فتحديد أذنان الحروف بإرسال اليد ، واعتماد سن القلم ، وإدارته مرة بصدرة ، ومرة بسنية ، ومرة بالانكاء ومرة بالإرخاء ، بما يضيف إليهما بهجة ونورا ورونقا وشدورا .

وأما المراد بالتفريق ، فحفظ الحروف مزاحمة بعضها لبعض ، وملابسة أول منها الآخر ليكون كل حرف منها مفارقا لصاحبه بالبدن ، جامعا بالشكل الأحسن .

ويختتم أبو حيان شروط الخط الجميل ، بشرط أساسى جامع فيقول «فهذه جملة كافية متى كان طبع الكاتب مؤتيا ، وفعله مواظنا وقريحته عذبة وطينته وطئة» (أبرحان: الرسائل / ٤٢) .

وأما عن الميزان فى الخط فيقول (انظر الصورة) :
الخط فن بمعنى أنه يستقيم مع الإبداع وينمو بازدهار الحرية فيه ، ولكننا مع ذلك إذا دققنا فى الخط العربى ، فإننا

١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣١، ١٥٣، ١٥٤) ومعرض دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م). ١٣، ١٢، و «الخط العربي أرقى الفنون الإسلامية» - د. أبو صالح أحمد الألفى مجلة الفيصل - العدد (٢٠٩) ذو القعدة ١٤١٤ هـ - إبريل - مايو ١٩٩٤ م / ٧٧، و «الخط العربي في العصر الحديث» - سيد إبراهيم الخطاط، مجلة الهلال - العدد الذهبي، إبريل ١٩٣٩ / ١٥٠، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٧٠٧، وأدب الدنيا والدين للماوردي. طبعة وزارة المعارف العمومية، الطبعة ١٦ / ٤٤ - ٤٩، وطبعة الدار المصرية اللبنانية بتحقيق محمد فتحي أبي بكر / ٨٢ - ٨٩، والمسلمون في آسيا الصغرى والقوقاز - إعداد مصطفى كسبة. هدية مجلة الأزهر رجب ١٤١٤ هـ - ٢٠٧، ٢٠٨، والعلوم الإسلامية - د. أحمد شوقي الفنجري ٢ / ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، والفن الإسلامي - أبو صالح الألفى / ١٢٠، وموسوعة جمال عبد الناصر في الفقه الإسلامي ٢ / ١٧١ - ١٧٧، والخط العربي: أصوله، نهضته، انتشاره - د. عفيف البهنسي / ٧٦، ٧٧، ٨٧، ٨٩، ٩٠، واللطائف والظرائف لأبي منصور الثعالبي / ٥٢ - ٥٦، ومخطوطات المجمع العلمي العراقي - ميخائيل عواد، ١ / ٢١٢ - ٢٢٠، وتاريخ الوراقة المغربية - محمد المنوني / ٢١٥ - ٢٢٠، والموسوعة الجامعة للخط العربي - كتبها محمد حداد / ٢١٤، «الخط العربي تراث إسلامي أصيل» - محمود بيومي. الوعي الإسلامي - العدد ٣٤٢، السنة الحادية والثلاثون. صفر ١٤١٥ هـ - يوليو - تموز ١٩٩٤ م / ٣٦ - ٣٩.

انظر أيضا كيف نعلم الخط العربي - معروف زريق / ٢٢، ٢٣، والخط العربي وأدوات الكتابة - د. مجاهد توفيق الجندى، وتراثنا المخطوط من التأليف إلى الوراقة - د. علي الخطيب / ٣٦، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٧٩ - ٨٤، ومدخل إلى الآثار الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٩٧ - ٣٣٢، والحضارة العربية الإسلامية - د. رشيد الجميلي / ٢٠٥، ٢٠٦، و «رحلة مع الخط العربي» - محمد عباس محب الدين. المجلة العربية. العدد (١٠) السنة الخامسة. ربيع الأول ١٤٠٢ هـ - يناير ١٩٨٢ م / ١١٢ - ١٠٤، ومدخل إلى علم الجمال الإسلامي - عبد الفتاح رواس قلعه جي. دار قتيبة. بيروت، دمشق. الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م / ٨٢ - ٩٠، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك - حققه وقدم له محمد كامل بركات / ٧٧، ٧٨، والخط العربي - زكي صالح / ١٦٨ - ١٧٧، وكشاف اصطلاحات الفنون التهانوي ١ / ٤٣٥ والعلوم والفنون عند العرب - د. سيد رضوان علي / ١٣٤ - ١٣٦، والأمويون - العباسيون - الأندلسيون - وجدان علي بن نايف / ٧٠ - ٧٢، ١٣٦ - ١٤٠، ٢٢٧ - ٢٣٠، وانتشار الخط العربي في العالم

وتستعمل الألف أيضا كقطر لدائرة موهومة، نستطيع فيها أن نكتب جميع الأحرف. وهكذا فإن الخطاط عندما يرسم أحرفه، يقيسها في الواقع بواسطة ثلاثة مقاييس: هي عرض الحرف، وقطة القلم، وقطر الدائرة. وهذه المقاييس الثلاثة تختار من قبله وتكون أساسا لتناسب خطه (الخط العربي / ٧٦، ٧٧، ٨٩، ٩٠).

وكما نعي شاعرنا هذا في أرجوزته انصراف الناس عن الخط وعلومه، وإهمالهم لبدائعه وفنونه نجد الخطاط الفنان محمد حداد يعبر عن ذلك بما كتبه بخطه وأوردنا صورته مع ذلك المادة وهو قوله عن الخط: تراث فريد. . تراث تليد. . غاب عنه أبنائه ومتلقوه، وذهب عنه عشاقه ومحبه، تراث غارب. . تراث مهيبض (الموسوعة الجامعة للخط العربي / ٢١٤).

ولا نملك بعد هذه هذه الرحلة الطويلة مع الخط العربي وتاريخه وتطوره وقواعده وخصائصه ومزاياه ومحاسنه وبدائعه وفنونه إلا أن ندعو الله أن يعيد إليه سابق عهده من الانتشار والازدهار.

ولقد حاولنا في هذه الموسوعة أن نسجل روائع هذا الفن الإسلامي الفريد في نوعه، وذلك بإدراج كل ما يتصل به في موضعه من مواد الموسوعة، مع الحرص على تزويد كل مادة بالصور التي تنقل إلينا إبداع الخطاط المسلم في التعبير عن الحرف في أبهى حلله.

ومما يدعو إلى الغبطة أن نعلم أن جامعة سلجوق في قونية بتركيا قد منحت شهادة الدكتوراه الفخرية في فن الخط إلى الخطاط التركي حسين وكسوز المعروف بلقب «القنوي» تقديرا لدور فن الخط العربي (مجلة الوعي الإسلامي / ٣٩).

(الشافعية في الصرف لابن الحاجب، المطبوعة في مجموع مهمات المتون / ٥٥١ - ٥٥٧، وألفية السيوطي النحوية للمحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي / ٧٥ - ٧٧، ومقدمة ابن خلدون / ٤١٧ - ٤٢١، وحكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، المطبوع في كتاب نوادر المخطوطات بتحقيق عبد السلام هارون / ٦٤ - ٦٩، وتاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني - حققه الأستاذ طه عبد الرؤوف سعد / ١ - ٦، والوسيط في الأدب العربي وتاريخه - الشيخ أحمد الإسكندري والشيخ مصطفى عثاني / ١٩٥، ١٩٦، ٢٩٢، ٢٩٤، ٣٢٧، والخط العربي: تاريخه وأنواعه - يحيى سلوم العباسي الخطاط /

الكتاب المتمم»: في الخط والهجاء خطان لا يقاسان، خط المصحف: لأنه سنة، وخط العروض: لأنه يثبت فيه ما أثبتته اللفظ. ويسقط عنه ما أسقطه.

واعلم: أن خط العروض وإن كان من أنواع علم الخط، لكن لما كان من فروع علم العروض أيضا أخرجنا تفصيله، وتفصيل ما فيه من المصنفات إلى هناك. والمسؤول من الله تعالى الوصول إلى هذا السؤال. إنه أكرم مسؤول ومعطي كل مأمول.

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٩٣، ٩٤. انظر أيضا كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٧١٢، ٧١٣)

انظر: العروض (علم).

الخط (علوم):

قال حاجي خليفة عند الكلام على الخط:

وأما المولى أبو الخير فأورد في الشعبة الأولى من مفتاح السعادة علوما متعلقة بكيفية الصناعة الخطية فنذكرها إجمالا في فصل.

فما ذكره أولا علم أدوات الخط من القلم وطريق تزيها وأحوال الشق والقط ومن الدواة والمداد والكاغد. فأقول هذه الأمور من أحوال علم الخط فلا وجه لإفرازه ولو كان مثل ذلك علما لكان الأمر عسيرا وذكر أن ابن البواب نظم فيه قصيدة رائية بليغة استقصى فيها أدوات الكتابة ولياقوت رسالة فيه أيضا.

ومنها علم قوانين الكتابة أي كيفية نقش صور الحروف البسائط وما ذلك إلا علم الخط.

ومنها علم تحسين الحروف وهو أيضا من قبل تكثير السواد قال ومبنى هذا الفن الاستحسانات الناشئة من مقتضى الطباع السليمة بحسب الألف والعادة والمزاج بل بحسب كل شخص و شخص وغير ذلك مما يؤثر في استحسان الصور واستقباحتها ولهذا يتنوع هذا العلم بحسب قوم وقوم ولهذا لا يكاد يوجد خطان متماثلان من كل الوجوه. أقول ما ذكره في الاستحسان مسلم لكن تنوعه ليس بمتفرع عليه وعدم وجدان الخطين المتماثلين لا يترتب على الاستحسان بل هو أمر عادي قريب إلى الجبلي كسائر أخلاق الكاتب وشمائله وفيه سر إلهي لا يطلع عليه إلا الأفراد.

الشرقي والعالم الغربي - عبد الفتاح عبادة الطبعة الثانية، وموسوعة الخطوط العربية وزخارفها - معروف زريق، ودراسات في التراث العربي - د. محمد عبد القادر أحمد / ٧٥ - ٩٧، والمزهر في علوم اللغة وآدابها للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي - شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى، وعلى محمد البجاري، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ٢ / ٣٤١ - ٣٥٢، و«الخط العربي بالتنوع والتأريخ - إعداد عبد الغنى محمد عبد الله الوعى الإسلامى العدد ٣١١ - ذو القعدة ١٤١٠ هـ - يونيو ١٩٩٠ م / ٩٠ - ٩٧، ودراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية - د. محمود وصفي محمد / ٨٦ - ١٠٩، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٦٣ حيث أورد المؤلف كتابا بعنوان «أرجوزة في الحط لعون الدين أبي المظفر يحيى بن محمد الوزير المتوفى سنة ستين وخمسمائة، وموضوعات في الفنون الإسلامية - د. محسن محمد عطية / ٨٦ - ٩٣، ومفاتيح العلوم للخوارزمي / ١١٨ - ١٢٠).

خط العروض (علم):

قال عنه صاحب مفتاح السعادة:

وهو ما اصطلح عليه أهل العروض في تقطيع الشعر، واعتمادهم في ذلك على ما يقع في السمع دون المعنى. إذا المعتمد به في صنعة العروض إنما هو اللفظ لأنهم يريدون عدد الحروف التي يقوم بها الوزن متحركا وساكنة فيكتبون التنوين نونا ساكنة. ولا يراعون حذفها في الوقف، ويكتبون الحرف المدغم بحرفين ويحذفون اللام مما يدغم فيه في الحرف الذي بعده، كالرحمن، والذاهب، والضارب. ويعتمدون في الحروف على أجزاء التفعيل، فقد تنقطع الكلمة بحسب ما يقع من تبين الأجزاء. كما في قول الشاعر:

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فيكتبونه على هذه الصورة:

ستبدى لك الأيا مما كن تجساهلن

ويأتى كبسلا أخبار منلم تزودى

قال في «الكشاف»: وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بنى عليها علم الخط والهجاء، ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان، لاستقامة اللفظ وبقاء الخط. وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف.

قال عبد الله بن درستويه في كتابه «المترجم بكتاب

ومنها علم كيفية تولد الخطوط عن أصولها بالاختصار والزيادة والتغيير وهو أيضا من هذا القبيل . ومنها علم ترتيب حروف التهجي بهذا الترتيب المعهود وإزالة التباسها بالنقط . ولابن جنى والجزري رسالة في هذا الباب . أما ترتيب الحروف فهو من أحوال علم الحروف وإعجامها من أحوال علم الخط .

ذكر النقط والإعجام في الإسلام - اعلم أن الصدر الأول أخذ القرآن والحديث من أفواه الرجال بالتلقين ثم لما كثرت أهل الإسلام اضطروا إلى وضع النقط والإعجام فقبل إن أول من وضع النقط مرار [مرامرا] والإعجام عامر وقيل الحجاج وقيل أبو الأسود الدؤلي بتلقين على رضى الله تعالى عنه إلا أن الظاهر أنهما موضوعان مع الحروف إذ يبعد أن الحروف مع تشابه صورها كانت عرية عن النقط إلى حين نقط المصحف وقد روى أن الصحابة جردوا المصحف من كل شيء حتى النقط ولو لم يوجد في زمانهم لما يصح [لماصح] التجريد منه . وذكر ابن خلكان في ترجمة الحجاج أنه حكى أبو أحمد العسكري في كتاب التصحيف أن الناس مكثوا يقرءون في مصحف عثمان رضى الله تعالى عنه نيفا وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففرغ الحجاج إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشبهة علامات فيقال إن نصر بن عاصم وقيل يحيى بن يعمر قام بذلك فوضع النقط وكان مع ذلك أيضا يقع التصحيف فأحدثوا الإعجام انتهى . واعلم أن النقط والإعجام في زماننا واجبان في المصحف وأما في غير المصحف فعند خوف اللبس واجبان البتة لأنهما ما وضعوا إلا لإزالته وأما مع أمن اللبس فتركهما [أولى سيما إذا كان المكتوب إليه أهلا . وقد حكى أنه عرض علي عبد الله بن طاهر خط بعض الكتاب فقال ما أحسنه لولا أكثر شؤنيته ويقال كثرة النقط في الكتاب سوء الظن بالمكتوب إليه وقد يقع بالنقط ضرر... إلا في حروف لا يحتمل غيرها كصورة الياء والنون والقاف والفاء المفردات وفيها أيضا مخير .

ثم أورد في الشعبة الثانية علوما متعلقة بإملاء الحروف المفردة وهي أيضا كالأولى فمنها علم تركيب أشكال بسائط الحروف من حيث حسنها فكما أن للحروف حسنا حال بساطتها فكذلك لها حسن مخصوص حال تركيبها من تناسب

الشكل ومبادئها أمور استحسانية ترجع إلى رعاية النسبة الطبيعية في الأشكال وله استمداد من الهندسيات وذلك الحسن نوعان حسن التشكيل في الحروف يكون بخمسة أولها التوفية ، وهي أن يوفى كل حرف من الحروف حظه من التقوس والانحناء والانبطاح ، والثاني الإتمام وهو أن يعطى كل حرف قسمته من الأقدار في الطول والقصر والدقة والغلظة ، والثالث الانكباب والاستلقاء ، والرابع الإشباع ، والخامس الإرسال ، وهو أن يرسل يده بسرعة وحسن الوضع في الكلمات وهي ستة : الترصيف وهو وصل حرف إلى حرف ، والتأليف وهو جمع حرف غير متصل ، والتسطير وهو إضافة كلمة إلى كلمة ، والتفصيل وهو مواقع المدات المستحسنة ومراعاة فواصل الكلام وحسن التدبير في قطع كلمة واحدة بوقوعها في آخر السطر وفصل الكلمة الثامنة ووصلها بأن يكتب بعضها في آخر السطر .

(كالفصل بين المضاف والمضاف إليه والصفة والموصوف والاسم والصفة والاسمين المركبين) وبعضها في أوله .

ومنها علم إملاء الخط العربى أى الأحوال العارضة لتقوش الخطوط العربية لا من حيث حسننها بل من حيث دلالتها على الألفاظ وهو أيضا من قبيل تكثير السواد .

ومنها علم خط المصحف على ما اصطلاح عليه الصحابة عند جمع القرآن الكريم على ما اختاره زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه ويسمى الاصطلاح السلفى أيضا وفيه العقيلة الرائية للشاطبي .

(كشف الظنون ١/ ٧١١-٧١٣) .

* الخط المانوي :

مستخرج من الفارسي والسرياني استخرجه «مانى» كما أن مذهبه مركب من المجوسية والنصرانية وحروفه زائدة على حروف العربية وهذا القلم يكتب به قدماء أهل ما وراء النهر كتب شرائعهم وللمرقونية قلم يختصون به . (كشف الظنون ١/ ٧١٠) .

* خط المصحف (علم) :

قال عنه صاحب مفتاح السعادة : على ما اصطلاح عليه الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين ، عند كتابة المصحف عند جمع القرآن الكريم على ما اختاره زيد بن ثابت ، رضى

الله عنه ويسمى : الاصطلاح السلفى ، أيضا . وهذا العلم ، وإن كان من فروع علم الخط - من حيث كونه باحثا عن نوع من الخط - لكننا نبحت عنه فى علوم تتعلق بالقرآن الكريم .

[وهى رسم المصحف]

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاد ١٥ / ٩٣) .

انظر: رسم المصحف

* الخط الهندى والسندى:

وهو أقلام عدة يقال إن لهم نحو مائتى قلم بعضهم يكتب بالأرقام التسعة على معنى أبجد وينقون تحته نقطتين وثلاثا . (كشف الظنون ١ / ٧١٠) .

* الخطا:

قال الجرجاني :

الخطا: هو ما ليس للإنسان فيه قصد ، وهو عذر صالح لسقوط حق الله تعالى إذا حصل عن اجتهاد ، وبصير شبهة فى العقوبة حتى لا يؤثم الخاطيء ، ولا يؤخذ بحد ولا قصاص ، ولم يجعل عذرا فى حق العباد حتى وجب عليه ضمان العدوان ، ووجب به الدية كما إذا رمى شخصا ظنه صيدا أو حربيا ، فإذا هو مسلم ، أو غرضا فأصاب آدميا وما جرى مجراه كئاثم ثم انقلب على رجلى فقتله . (التعريفات / ١٣٣) .

وقال التهانوى :

الخطا: يفتحان نقيض الصواب وقد يمد وقرىء بالقصر والمد قوله تعالى ﴿ومن قتل مؤمنا خطأ﴾ [النساء: ٩٢] وبالكسر الإثم قال تعالى ﴿إن قتلهم كان خطئا كبيرا﴾ [الإسراء: ٣١] أى إثم كذا فى الصراح والمنتخب وفى المذهب الخطا بالفتح خلاف الصواب والمفهوم من الفتح المبين شرح الأربعين أن الخطا يطلق على ثلاثة معان: الإثم ، وضد العمد ، وضد الصواب قال المراد بالخطا فى قوله عليه السلام «إن الله تجاوز عن أمتى الخطا» ضد العمد وهو أن يقصد بفعله شيئا فيصادف غير ما قصد لا ضد الصواب خالفا لمن زعمه لأن تعمد المعصية يسمى خطا بالمعنى الثانى وهو غير ممكن الإرادة ههنا .

ولفظه يمد ويقصر ويطلق على الذنب أيضا من خطا وأخطا بمعنى على ما قاله أبو عبيدة . وقال غيره المخطيء من أراد الصواب فصار إلى غيره والخطا من تعمد إلى غيره انتهى كلامه ، ومن قال الخطا فعل يصدر بلا قصد إليه عند مباشرة أمر مقصود سواء فقد أراد ما هو به ضد العمد ثم الخطا بهذا المعنى يجوز المؤاخذه به لكن عفى عنه المؤاخذه تفضلا

خلافًا للمعتزلة فإنهم قالوا لا يؤخذ به لأن المؤاخذه إنما هى على الجنابة وهى بالقصد والجواب أن ترك التثبت منه جنابة وقصد وبهذا الاعتبار جعل الأصوليون الخطا من العوارض المكتسبة وفى الحمادية الخطا والصواب يستعملان فى المجتهديات (كشف اصطلاحات الفنون ١ / ٤٠١ ، ٤٠٢) .

وقال الراغب الأصفهاني :

الخطا العدول عن الجهة وذلك أضرب ، أحدها : أن يريد غير ما تحسن إرادته فيفعله وهذا هو الخطا التام المأخوذ به الإنسان ، يقال خطئ يخطأ خطأ وخطأة قال تعالى ﴿إن قتلهم كان خطئا كبيرا﴾ [الإسراء: ٣١] وقال: ﴿وإن كنا لخطائين﴾ [يوسف: ٩١] والثانى أن يريد ما يحسن فعله ولكن يقع منه خلاف ما يريد فيقال أخطأ إخطاء فهو مخطئ ، وهذا قد أصاب فى الإرادة وأخطأ فى الفعل وهذا المعنى بقوله عليه السلام : «رفع عن أمتى الخطا والنسيان» . وبقوله «من اجتهد فأخطأ فله أجر» ﴿ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبته﴾ [النساء: ٩٢] والثالث أن يريد مالا يحسن فعله ويتفق منه خلافه ، فهذا مخطئ فى الإرادة ومصيب فى الفعل فهو مذموم بقصده وغير محمود على فعله ، وهذا المعنى هو الذى أراده فى قوله :

أردت مساءتى فأجرت مسرتى

وقد يحسن الإنسان من حيث لا يدري

وجملة الأمر أن من أراد شيئا فاتفق منه غيره يقال أخطأ ، وإن وقع منه كما أراده يقال أصاب ، وقد يقال لمن فعل فعلا لا يحسن أو أراد إرادة لا تجمل إنه أخطأ ولهذا يقال أصاب الخطا وأخطأ الصواب ، وأصاب الصواب وأخطأ الخطا ، هذه اللفظة مشتركة كما ترى مترددة بين معان يجب لمن يتحرى الحقائق أن يتأملها . وقوله تعالى ﴿وأحاطت به خطيئته﴾ [البقرة: ٨١] والخطيئة والسيئة يتقاربان لكن الخطيئة أكثر ما تقال فيما لا يكون مقصودا إليه فى نفسه بل يكون القصد سببا لتولد ذلك الفعل منه كمن يرمى صيدا فأصاب إنسانا أو شرب مسكرا فجنى جنابة فى سكره . والسبب سببان : سبب محظور فعلة كشرب المسكر وما يتولد عنه من الخطا غير متجاف عنه ، وسبب غير محظور كرمى الصيد ، قال تعالى ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ [الأحزاب: ٥] وقال تعالى: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثما﴾ [النساء: ١١٢] فالخطيئة ههنا هى التى لا تكون

عن قصد إلى فعله ، قال تعالى ﴿ولا تزد الظالمين إلا ضلالا﴾ مما خطيئاتهم ﴿[نوح : ٢٤ ، ٢٥]﴾ «إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا» [الشعراء : ٥١] «ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء» [العنكبوت : ١٢] وقال تعالى : ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ [الشعراء : ٨٢] والجمع الخطيئات والخطايا وقوله تعالى : ﴿نغفر لكم خطاياكم﴾ [البقرة : ٥٨] فهي المقصود إليها والخطيئة هو القاصد للذنوب ، وعلى ذلك قوله ﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾ لا يأكله إلا الخاطئون ﴿[الحاقة : ٣٦ ، ٣٧]﴾ وقد يسمى الذنب خاطئة في قوله تعالى : ﴿والمؤتفكات بالخطئة﴾ [الحاقة : ٩] أي الذنب العظيم وذلك نحو قولهم شعر شاعر . فأما ما لم يكن مقصودا فقد ذكر عليه السلام أنه متجاف عنه ، وقوله تعالى : ﴿نغفر لكم خطاياكم﴾ [البقرة : ٨٥] ، فالمعنى ماتقدم (المفردات / ١٥١ ، ١٥٢) .

(التعريفات للشريف الجرجاني - تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٤ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي / ١ / ٤٠١ ، ٤٠٢ ، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني - تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١٥١ ، ١٥٢) .

خطا المجتهدين من المفتين والحكام :

أفرد الإمام ابن عبد البر في كتابه «جامع بيان العلم فضله» بابا بهذا العنوان جاء فيه يلي . قال رحمه الله :

حدثنا عبيد الله بن محمد ومحمد بن عبد الملك قالوا : حدثنا عبد الله بن مسرور قال : حدثنا عبيد بن مسكين قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن سنجر قال حدثنا الحسن بن بشر قال حدثنا شريك عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن ابن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ «القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة قاض بقضي غير الحق وهو يعلم فذلك في النار وقاض قضي وهو لا يعلم فأهلك حقوق الناس فذلك في النار وقاض قضي بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة» .

(رواه أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه . وقد جمع طرقه الحافظ ابن حجر العسقلاني في جزء مفرد . قال في مختصر شرح السنة إنه لا يجوز لغير المجتهد أن يتقلد القضاء ولا يجوز للإمام توليته . قال والمجتهد من جمع خمسة علوم علم كتاب الله وعلم سنة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأقوايل علماء السلف من إجماعهم واختلافهم ، وعلم اللغة ، وعلم القياس وهو طريق استنباط الحكم من الكتاب أو السنة إذا لم يجده صريحا في

نص كتاب أو سنة أو إجماع فيجب أن يعلم من علم الكتاب الناسخ والمنسوخ والمجمل والمفسر والخاص والعام والمحكم والمتشابه والكراهة والتحريم والإباحة والندب . ويعرف من السنة هذه الأشياء ويعرف منها الصحيح والضعيف والمسنند والمرسل ويعرف ترتيب السنة على الكتاب وبالعكس حتى إذا وجد حديثا لا يوافق ظاهره الكتاب اهتدى إلى وجه محمله فإن السنة بيان للكتاب فلا تخالفه وإنما تجب معرفة ما ورد فيهما من أحكام الشرع دون ما عداها من القصص والأخبار والمواعظ وكذا يجب أن يعرف من علم اللغة ما أتى في الكتاب والسنة في أمور الأحكام دون الإحاطة بجميع لغات العرب ويعرف أقاويل الصحابة والتابعين في الأحكام ومعظم فتاوى فقهاء الأمة حتى لا يقع حكمه مخالفا لأقوالهم فيأمن فيه خرق الإجماع . فإذا عرف كل نوع من هذه الأنواع فهو مجتهد وإذا لم يعرفها فسيبيله التقليد ، والله أعلم) .

أخبرنا عبد الوارث بن سفيان ويعيش بن سعيد قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا أبو بكر محمد بن أبي العوام البغدادي قال سمعت أبي يقول حدثنا خلف بن خليفة قال قال أبو هاشم الرماني لولا حديث ابن بريدة لقلت إن القاضي إذا اجتهد فليس عليه سبيل ولكن قال ابن بريدة عن أبيه قال النبي ﷺ «القضاة ثلاثة قاض في الجنة واثنان في النار قاض عرف الحق فقضى به فذلك في الجنة وقاض قضى بالجهل فذلك في النار وقاض عرف الحق وجار في الحكم فهو في النار» وحدثنا عبد الوارث قال حدثنا قاسم قال حدثنا ابن وضاح قال حدثنا يوسف بن عدي قال حدثنا عبد الله بن بكير الغنوي عن حكيم بن جبير عن أبي بريدة قال أراد يزيد بن المهلب أن يستعمله على قضاء خراسان فقال ابن بريدة لقد حدثني أبي عن النبي ﷺ في القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة قاض علم الحق فقضى به فهو من أهل الجنة وقاض علم الحق فجار متعمدا فهو من أهل النار وقاض قضى بغير الحق واستحيا أن يقول لا أعلم فهو في النار» .

حدثنا أحمد بن قاسم بن عيسى قال حدثنا عبيد الله بن محمد بن حبابة قال حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال حدثنا علي بن الجعد قال حدثنا شعبة عن قتادة قال سمعت أبا العالية قال قال علي : القضاة ثلاثة قاضيان في

النار وقاض في الجنة فأما اللذان في النار فرجل جار متعمدا فهو في النار ورجل اجتهد فأخطأ فهو في النار وأما الذي في الجنة فرجل اجتهد فأصاب الحق فهو إلى الجنة قال قتادة فقلت لأبي العالية ما ذنب هذا الذي اجتهد فأخطأ قال ذنبه ألا يكون قاضيا إذا لم يعلم .

وروى المعتمر بن سليمان عن عبد الملك بن أبي جميلة أنه سمعه يحدث عن عبد الله بن موهب أن عثمان بن عفان قال لابن عمر اذهب فافت بين الناس قال أو تعافيني يا أمير المؤمنين قال فما تكره من ذلك وكان أبوك يقضى قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كان قاضيا فقضى بالعدل فبالحر أن ينقلب منه كفافا فما أرجو بعد ذلك » .

قرأت على أحمد بن عبد الله أن الحسن بن إسماعيل حدثهم بمصر قال حدثنا عبد الملك بن بحر قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا سنيد قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن بسطام بن مسلم عن عامر الأحول عن الحسن بن أبي الحسن قال والله لولا ما ذكره الله من أمر هذين الرجلين يعني داود وسليمان لرأيت أن القضاة قد هلكوا فإنه أثنى على هذا بعلمه وعذر هذا باجتهاده .

حدثني عبد الوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك قال حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير وحدثني عبد الوارث قال حدثنا قاسم قال حدثنا المطلب بن شعيب قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنا الليث بن سعد عن أبي الهادي عن محمد بن إبراهيم عن بشر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاصي عن عمرو بن العاصي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إذا حكم الحاكم واجتهد وأصاب فله أجران وإن حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » (رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه والإمام أحمد بن حنبل . وقوله إذا حكم أى أراد الحكم لأن الحكم متأخر عن الاجتهاد . وقوله وأصاب معناه صادف ما في نفس الأمر من حكم الله . وقوله ثم أخطأ أى ظن أن الحق في جهته صادف أن الذي في نفس الأمر بخلاف ذلك والله أعلم) فحدثت بهذا الحديث أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فقال هكذا حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن عن أبي هريرة . ورواه الدراوردي عن يزيد بن عبد الله بن الهادي فحدثت هذا الحديث أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فقال

هكذا حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة فجعل مكان أبي بكر بن عبد الرحمن أبا سلمة والقول قول الليث والله أعلم ذكره الشافعي وأبو المصعب وغيرهما عن الدراوردي . وروى عبد الرزاق عن معمر عن سفيان الثوري عن يحيى بن سعيد عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر » .

قال البخاري لم يرو هذا الحديث عن معمر غير عبد الرزاق وأخشى أن يكون وهم فيه يعنى في إسناده قال أبو عمر اختلف الفقهاء في تأويل هذا الحديث فقال قوم لا يؤجر من أخطأ لأن الخطأ لا يؤجر أحد عليه وحسبه أن يرفع عنه المأثم وردوا هذا الحديث بحديث بريدة المذكور في هذا الباب ويقولون « تجاوز الله لأمتي عن خطائهم ونسيانها » ويقول الله « ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به » [الأحزاب : ٥] ونحو هذا . وقال آخرون يؤجر في الخطأ أجرا واحداً على ظاهر حديث عمرو بن العاصي لأن رسول الله ﷺ قد فرق بين أجر المخطيء والمصيب فدل أن المخطيء يؤجر وهذا نص ليس لأحد أن يرده .

وقال الشافعي ومن قال بقوله يؤجر ولكنه لا يؤجر على الخطأ لأن الخطأ في الدين لم يؤمر به أحد وإنما يؤجر لإرادته الحق الذي أخطأه . قال المزني فقد أثبت الشافعي في قوله هذا أن المجتهد المخطيء أحدث في الدين ما لم يؤمر به ولم يكلفه وإنما أجر في نيته لا في خطئه قال أبو عمر لم نجد لمالك في هذا الباب شيئا منصوصا إلا أن ابن وهب ذكر عنه في كتاب العلم من جامعته قال سمعت مالكا يقول : من سعادة المرء أن يوفق للصواب والخير ومن شقوة المرء أن لا يزال يخطيء وفي هذا دليل أن المخطيء عنده وإن اجتهد فليس بمرضى الحال والله أعلم .

وذكر إسماعيل القاضي في المبسوط قال قال محمد بن مسلمة إنما على الحاكم الاجتهاد فيما يجوز فيه الرأي فإذا اجتهد وأراد الصواب يجهد نفسه فقد أدى ما عليه أخطأ أو أصاب قال وليس أجد في رأي على حقيقته أنه الحق وإنما حقيقته الاجتهاد فإن اجتهد وأخطأ في عقوبة إنسان فمات لم يكن عليه كفارة ولا دية لأنه قد عمل بالذي أمر به قال وليس يجوز لمن لا يعلم الكتاب والسنة ولا ما مضى عليه أولو الأمر أن يجتهد رأيه فيكون اجتهاده مخالفا للقرآن والسنة والأمر المجمع عليه .

هذا كله قول محمد بن مسلمة على ما ذكره عنه إسماعيل القاضى وذكر عبيد الله بن عمر بن أحمد الشافعى البغدادى فى كتابه فى القياس جملا مما ذكر الشافعى رحمه الله فى كتابه فى الرسالة البغدادية وفى الرسالة المصرية وفى كتاب جماع العلم وفى كتاب اختلاف الحديث فى القياس وفى الاجتهاد وقال فى هذا من قول الشافعى دليل على ترك تخطئة المجتهدين بعضهم لبعض إذ كل واحد منهم قد أدى ما كلف باجتهاده إذا كان ممن اجتمعت فيه آلة القياس وكان ممن له أن يجتهد ويقيس قال وقد اختلف أصحابنا فى ذلك فذكر مذهب المزنى قال وقد خالفه غيره من أصحابنا قال ولا أعلم خلافا بين الحذاق من شيوخ المالكيين ونظارهم من البغداديين مثل إسماعيل بن إسحاق القاضى وابن بكير وأبى العباس الطيالسى ومن دولهم مثل شيخنا عمرو بن محمد أبى الفرج المالكى وأبى الطيب محمد بن محمد بن إسحاق بن راهويه وأبى الحسن بن المتشاب وغيرهم من الشيوخ البغداديين والمصريين المالكيين كل يحكى أن مذهب مالك رحمه الله فى اجتهاد المجتهدين والقائسين إذا اختلفوا فيما يجوز فيه التأويل من نوازل الأحكام أن الحق من ذلك عند الله واحد من أقوالهم واختلافهم إلا أن كل مجتهد إذا اجتهد كما أمر وبالعالم ولم يأل وكان من أهل الصناعة ومعه آلة الاجتهاد فقد أدى ما عليه وليس عليه غير ذلك وهو مأجور على قصده الصواب وإن كان الحق عند الله من ذلك واحدا قال وهذا القول هو الذى عليه عمل أكثر أصحاب الشافعى . قال وهو المشهور من قول أبى حنيفة فيما حكاه محمد بن الحسن وأبو يوسف وفيما حكاه الحذاق من أصحابهم مثل عيسى بن أبان ومحمد بن شعاع البلخى ومن تأخر عنهم مثل أبى سعيد البرذعى ويحيى بن سعيد الجرجانى وشيخنا أبى الحسن الكرخى وأبى بكر البخارى المعروف بحد الجسم وغيرهم ممن رأينا وشاهدنا .

وحدثنا عبيد الوارث حدثنا قاسم حدثنا الخشني حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن معمر عن سماك بن الفضل عن وهب بن منبه عن مسعود بن الحكم قال أتى عمر فى زوج وأم وإخوة لأم وإخوة لأب وأم فأعطى الزوج النصف وأعطى الأم السدس وأعطى الثلث الباقي للإخوة للأم دون بنى الأب والأم فلما كان من قابل أتى فيها فأعطى الزوج النصف والأم السدس

وشرك بين بنى الأم وبنى الأب والأم فى الثلث وقال إن لم يزد لهم الأب قريبا لم يزد لهم بعدا فقام إليه رجل فقال ياأمير المؤمنين شهدتك عام الأول قضيت فيها بكذا وكذا فقال عمر تلك على ما قضينا وهذه على ما قضينا .

(جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ / ٦٩ - ٧٤) .

❦ الخطا والصواب فى أمور الحرب:

عن ذلك يقول الهرثمى فى الباب الثلاثين من كتابه :

ليعلم صاحب الحرب أن الخطا والصواب فى أمور الحرب كل واحد منهما ، قد يكون من جهة التدبير ، وقد يكون بالاتفاق (أى بالصدفة) وليعلم أن الخطا والصواب كل واحد منهما قد يكون ظاهرا يعرفه بديهية كل ذى رأى من الناس ، وقد يكون ظاهرا يعرفه أهل المعرفة بالحرب ، وقد يكون باطنا لا يعرفه إلا المدبر له الذى هو فيه .

وليعلم أنه قد يكون على الصواب ، فلا يعرفه أو يشك فيه أو يظن أنه على الخطا ، وأنه قد يكون على الخطا فلا يعرفه أو يشك فيه أو يظن أنه على الصواب ، وكذلك قد يكون عدوه . وليعلم أن عدوه قد يكون على الصواب فلا يعرف هو ذلك من عدوه أو يشك فيه أو يظنه على الصواب ، وكذلك قد يكون حاله عند عدوه .

وليعلم أنه قد يكون على الصواب الذى يرجو ولا يشك أن فيه ظفره بعدوه ويكون فيه الظفر من عدوه به ، وأنه قد يكون على الخطا الذى يخاف أو لا يشك أن فيه الظفر من عدوه به ، فيكون فيه ظفره بعدوه وكذلك قد يكون عدوه .

وليعلم أن عدوه قد يكون على الصواب الذى يخاف هو أو لا يشك فى ظفر عدوه به . فيكون ظفره بعدوه ، وأن عدوه قد يكون على الخطا الذى يرجو هو أو لا يشك فى ظفره بعدوه ، فيكون ظفر عدوه به ، وكذلك قد يكون حاله عند عدوه . وليعلم أنه قد يعرض فى أمور الحرب وأعمالها وفيما ليس من الحرب أيضا فى شىء أعمار يرض كثيرة عجيبة يكون فيها الظفر وتكون الهزيمة منه أو من عدوه .

وليس على صاحب الحرب إلا الاجتهاد فى اجتناب الخطا الذى يقع منه الذم كيف كانت عاقبته ، والتعمد للصواب الذى يقع منه الحمد كيف كانت عاقبته ، وأن يلجأ فى ذلك كله وفى جميع أموره إلى الله والتوكل عليه ، ومسأله

التوفيق والتسديد، والنصر والتأييد بمنه وقدرته .

(مختصر سياسة الحروب للهرثمي صاحب المأمون تحقيق عبد الرؤوف عون، مراجعة د. محمد مصطفى زيادة / ٦٨، ٦٩).

« الخطأ والنسيان :

الحديث التاسع والثلاثون من الأربعين النووية وهو: ما لا إثم فيه :

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» حديث حسن ، رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما .
المقدمة :

هذا الحديث حديث عظيم عام النفع ، لقد اشتمل على فوائد وأمور مهمة فهو يحوى حكم الخطأ والنسيان والمكره عليه بأنه لا إثم على ذلك .

الشرح :

شرحه الإمام النووي بقوله :

قوله ﷺ : «إن الله تعالى تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» ، أى تجاوز عنهم إثم الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، وأما حكم النسيان والمكره عليه فغير مرفوع ، فلو أتلّف شيئاً خطأ أو ضاعت منه الوديعة نسياناً ضمن . ويستثنى من الإكراه الإكراه على الزنا والقتل ، فلا يساحان بالإكراه ، ويستثنى من النسيان ما تعاطى الإنسان سببه ، فإنه يَأْثَمُ بفعله لتقصيره ، وهذا الحديث اشتمل على فوائد وأمور مهمة جمعت مصنفها لا يحتمله هذا الكتاب . هـ .

أفكار الحديث :

١ - أن الله لا يعاقب الناس .

٢ - أن الله لا يعاقب المخطئ الناس .

٣ - أن الله لا يعاقب المكره .

ما يستنبط من الحديث :

١ - أن الله لا يؤاخذ إلا عن عمد وتصميم

٢ - هذا الحكم خاص للأمة المحمدية .

٣ - إذا ضاق الأمر اتسع .

(شرح متن الأربعين النووية فى الأحاديث الصحيحة النبوية للإمام

يحيى بن شرف الدين النووى - تحقيق وتعليق عبد الله إبراهيم الأنصارى / ١٢٩، ١٣٠).

« الخطاب :

الخطاب بالكسر وتخفيف الطاء المهملة على ما فى المنتخب وهو بحسب أصل اللغة توجيه الكلام نحو الغير للإفهام ثم نقل إلى الكلام الموجه نحو الغير للإفهام وقد يعبر عنه بما يقع به التخاطب قال فى الأحكام الخطاب اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهىء لفهمه ، فاحترز باللفظ عن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضع ، وبالتواضع عليه عن الأقوال المهملة ، وبالمقصود به الإفهام عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطاباً ويقول له لمن هو متهىء لفهمه عن الخطاب لمن لا يفهم كالنائم والظاهر عدم اعتبار القيد الأخير ، ولهذا يلام الشخص على خطابه من لا يفهم .

والكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع على مدلولها القائم بالنفس فالخطاب إما الكلام اللفظي أو الكلام النفسى الموجه به نحو الغير للإفهام ، والمتبادر من عبارة الأحكام الكلام اللفظي ، والمراد بالخطاب فى تفسير الحكم هو الكلام النفسى كما سبق .

ثم الخطاب قسمان تكليفي ووضعي اعلم أنه قد جرى الخلاف فى تسمية كلام الله تعالى خطاباً فى الأزل قبل وجود المخاطبين تنزيلاً لما سيوجد منزلة الموجود أولاً . وهو مبنى على تفسير الخطاب ، فإن قلنا إنه الكلام الذى علم أنه يفهم كان خطاباً وإنما اعتبر العلم ولم يقل من شأنه لفائدتين إحداهما أن المتبادر منه الإفهام بالقوة فيخرج عنه الخطاب المفهم بالفعل ، وثانيتهما أن المعتبر فيه العلم بكونه مفهماً فى الجملة فما لا يفهم فى الحال ولم يعلم إفهامه فى المآل لا يكون خطاباً ، بل إن كان مما يخاطب يكون لغواً بحسب الظاهر على ذلك التقدير ، وليس المراد من صيغة يفهم معنى الحال أو الاستقبال بل مطلق الإنصاف بالإفهام الشامل لحال الكلام وما بعده .

وإن قلنا إنه الكلام الذى أفهم لم يكن خطاباً ، والمراد

يختلف دون المعنى والفرق بين الكلام النفسى والعلم هو أن ما مخاطب به مع نفسه أو مع غيره فهو كلام وإلا فهو علم. ونسبة علمه تعالى إلى جميع الأزمنة على السوية فيكون جميع الأزمنة من الأزل إلى الأبد بالقياس إليه تعالى كالحاضر فى زمان واحد فيخاطب بالكلام النفسى مع المخاطب النفسى ولا يجب فيه حضور المخاطب الحسى فيخاطب الله تعالى كل قوم بحسب زمانه وتقدمه وتأخره مثلا إذا أرسلت زيدا إلى عمرو تكتب فى مكتوبك إليه إنى أرسلت إليك زيدا مع أنه حين ماتكته لم يتحقق الإرسال فتلاحظ حال المخاطب وكما تقدر فى نفسك مخاطبا فتقول له تفعل الآن كذا وستفعل بعد كذا ولا شك أن هذا المضى والحضور والاستقبال إنما هو بالنسبة إلى زمان الوجود المقدر لهذا المخاطب لا بالنسبة إلى زمان المتكلم. ومن أراد أن يفهم هذا المعنى فليجرد نفسه عن الزمان يجد هذا المعنى معانية. وهذا سر هذا الموضع والله الموفق هكذا فى كليات أبى البقاء.

ودليل الخطاب عند الأصوليين هو مفهوم المخالفة، وفحوى الخطاب ولحن الخطاب عندهم هو مفهوم الموافقة والبعض فرق بينهما.

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٤٠٣، ٤٠٤).

بالإفهام هنا الإفهام الواقع بالفعل أعم من الماضى والحال ويبتنى عليه أن الكلام حكم فى الأزل أو يصير حكما فيما لا يزال هذا كله خلاصة ما فى العضدى وحاشيته للسيد الشريف والحاصل أن من قال الخطاب هو الكلام الذى يقصد به الإفهام سمي الكلام فى الأزل خطابا لأنه يقصد به الإفهام فى الجملة، ومن قال هو الكلام الذى يقصد به إفهام من هو أهل للفهم على ما هو الأصل لا يسميه فى الأزل خطابا. والأكثر ممن أثبت لله تعالى الكلام النفسى من أهل السنة على أنه كان فى الأزل أمر ونهى وخبر واستخبار ونداء والأشعرية على أنه تعالى تكلم بكلام واحد وهو الخبر ويرجع الجميع إليه لينتظم له القول بالوحدة. وليس كذلك إذ مدلول اللفظ ما وضع له اللفظ لا ما يقتضى مدلوله أو يؤول إليه أو يأول به وإلا لجاز اعتباره فى الخبر أيضا فحيثند يرتفع الوثوق عن الوعد والوعيد لاحتتمال معنى آخر من البشارة والإنذار وغيرهما ومن يريد أن يأمر أو ينهى أو يخبر أو يستخبر أو ينادى يجد فى نفسه قبل التلفظ مغناها ثم يعبر عنه بلفظ أو كتابة أو إشارة وذلك المعنى هو الكلام النفسى وما يعبر به هو الكلام اللفظى.

وقد يسمى الكلام الحسى ومغايرتهما بينة إذ المعبر به قد

تم بحمد الله وحسن توفيقه
المجلد الخامس عشر
من الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

ويليه إن شاء الله تعالى
المجلد السادس عشر

وأوله مادة:

الخطاب فى القرآن الكريم
أعان الله على إتمامه

تجليد



دار الفند العربي

تجليد هذه الموسوعة بهذا الشكل ملك خاص:

لدار الفند العربي وحقوق إعادة الطبع والتجليد بهذه الصورة من حقوق ملكية الدار
ولا يجوز الطبع والتجليد إلا بإذن الدار وموافقتها قانوناً

Bibliotheca Alexandrina



0576822